
خزانة الأدب
ولب لباب لسان العرب
تأليف
عبد القادر بن عمر البغدادي
١٠٣٠ – ١٠٩٣
تحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون
الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة
عبد القادر بن عمر البغدادي
تأليف
خزانة الأدب

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ — ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الأول

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الرابعة

١٤١٨هـ = ١٩٩٧م

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

البغدادى

١٠٣٠ — ١٠٩٣

مولده ونشأته :

ولد عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغدادى(١) فى مدينة بغداد سنة ١٠٣٠ . وكانت بغداد فى هذا العهد موضع نزاع وتطاحن بين الدولة الصفوية التى يرأسها الشاه عباس الصفوى(٢) ، الذى عرف بقسوته وفظاظته وجبروته ، وبين الدولة العثمانية التى كان لجنودها من الشراسة والعرامة ما كان مخافة للناس وفزعاً ، بل كان وزراء الدولة العثمانية ممن يهابون سطوة هؤلاء الجنود .

ففى تلك الفترة كان القتال مستمرا ، ورحى الحرب دائرة من حول هذه العاصمة العربية الخالدة . وما زال القتال يشتد ويبلغ أوجه حتى سقطت بغداد فريسة فى أيدى جيوش السلطان العثمانى مراد الرابع . وكانت بغداد كالكرة يتقاذفها كل من الصفويين والعثمانيين .

وفى تلك الظروف الحرجة لم يفت عبد القادر أن يشتغل بالعلم واللغات ،

---

(١) عثرت على هذه النسبة الكاملة فى ختام نسخة البغدادى بقلمه من كتاب فرحة الأديب المودع بدار الكتب .

(٢) حكم إيران من سنة ١٠٨٨ إلى سنة ١٦١٩ م وكان عمره عند توليه الحكم سبع عشرة سنة . وبلغ من قسوته أن قتل ولده البكر صفى ميرزا . تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان ٣ : ١٢٠ — ١٢٢ .

وأن يفيد من لغة الفرس والترك إلى جانب إفادته من العربية ، فشق لنفسه بذلك ميدانا فسيحا ، أمكنه فيه أن يشدو من آداب تلك اللغات جميعا[1] .

رحلته الأولى إلى دمشق :

وفى تلك الفترة نظر عبد القادر فى مغادرة وطنه ، واللجوء إلى بلد آمن بعيد عن تلك القلاقل السياسية ، فكان أن نزح إلى دمشق فى نحو سنة ١٠٤٨ واتصل بنقيب أشرافها الطالبيين محمد بن كمال الدين الحسينى شيخ آل حمزة[2] ، فلقى من عطفه وإكرامه ما أنساه قسوة الغربة ، وخصص له منزلا فى المسجد المقابل لداره فى الحى المعروف بزقاق النقيب[3] .

وكان محمد بن كمال الدين أول أستاذ له فى دمشق ، ثم جلس فى حلقة الإمام محمد بن يحيى الفرضى[4] فدرس عليه دراسة واسعة فى علوم العربية .

---

(١) يقول المحبى فى خلاصة الأثر ٢ : ٤٥١ : « وهو أحسن المتأخرين معرفة باللغة والأشعار والحكايات البديعة ، مع التثبت فى النقل وزيادة الفضل ، والانتقاد الحسن ، ومناسبة إيراد كل شىء منها فى موضعه ، مع اللطافة وقوة المذاكرة وحسن المنادمة وحفظ اللغة الفارسية والتركية ، وإتقانهما كل الإتقان ، ومعرفة الأشعار الحسنة منهما ، وأخبار الفرس . خرج من بغداد وهو متقن لهذه اللغات الثلاث » .

(٢) محمد بن كمال الدين بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة الحسينى المنتمى الحنفى المذهب . ولد بدمشق سنة ١٠٢٤ وتوفى سنة ١٠٨٥ . وكان نقيب الشام ، فقيها محدثا نحويا شاعرا ، وكان ممن يكثر السفر إلى بلاد الروم ، ثم رجع إلى الشام وأقام بها وولى النيابة الكبرى . ولما توفى والده ولى مكانه فى النقابة وانعقدت عليه صدارة الشام . وله حاشية على شرح الألفية لابن الناظم وتحريرات على الهداية . وانتفع بعلمه خلق كثير . خلاصة الأثر ٤ : ١٢٤ — ١٣١ .

(٣) حى معروف بدمشق إلى الآن ، كان فيه منزل الأمير عبد القادر الجزائرى وبنيه وأحفاده ، وفيه منازل آل حمزة إلى الآن . وبه كان ينزل الشيخ طاهر الجزائرى قبل مجيئه إلى مصر ، كما ذكر الأستاذ محب الدين الخطيب .

(٤) هو نجم الدين محمد بن يحيى الفرضى ، قال المحبى : « كان أعظم شيخ أدركناه واستفدنا منه . . . ولم أر مثله فى تفهيم الطلبة والحرص على تهذيب قرائحهم » . وكان عالما بالعربية والفرائض والحساب . ومن تلاميذه الشيخ خليل الحصانى ، وعز الدين خليفة الحمصى . توفى سنة ١٠٩٠ . خلاصة الأثر ٤ : ٢٦٥ — ٢٦٦ .

رحلته إلى مصر وشيوخه فيها :

وكانت الرحلة التالية إلى مصر سنة ١٠٥٠ وكان البغدادي إذ ذاك في العشرين من عمره ، وهي سن الوعي الكامل والنشاط العلمي ، فعقد صلته بأكبر شيخ له ، وهو شهاب الدين الخفاجي(١) صاحب ريحانة الألباء وشفاء الغليل ، كما جلس إلى آخرين من علماء الجامع الأزهر وفطاحله ، منهم الشيخ يٓس الحمصي(٢) ، والنور الشَّبراملّسي(٣) ، وسري الدين الدروري(٤) ، والبرهان إبراهيم المأموني(٥) .

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي . ترجم لنفسه في ريحانة الألباء ، بأنه قرأ على خاله أبي بكر الشنواني علوم العربية ، وعلى جماعة من العلماء ثم ارتحل إلى القسطنطينية ، وولي القضاء ببلاد الروم ، ثم في مصر ، ثم عاد إلى بلاد الروم فر على دمشق . وكانت وفاته سنة ١٠٦٩ . قال المحبي : والخفاجي نسبة إلى أبيه خفاجي ، ولا أدري معناه . وأصل والده من سرياقوس : قرية من قرى الخانقاه . ريحانة الألباء ٣٦٨ طبع ١٣٠٦ وخلاصة الأثر ١ : ٣٣١ – ٣٤٣ وجورجي زيدان ٣ : ٣٠٨ .

(٢) هو يس بن زين الدين بن أبي بكر بن محمد بن عليم الحمصي الشافعي القاهري المعروف بالعليمي . ولد بحمص ، ثم رحل إلى الشام ونشأ بها وقرأ وتصدر في الأزهر لإقراء العلوم . وتوفي بالقاهرة سنة ١٠٦١ . وهو صاحب الحاشية المشهورة على شرح التوضيح المسمى بالتصريح للشيخ خالد . خلاصة الأثر ٤ : ٤٩١ .

(٣) هو أبو الضياء نور الدين علي بن علي الشبراملسي ، من أهل القاهرة ، وكان من فقهاء الشافعية ، وله حاشية على المواهب اللدنية للقسطلاني ، وأخرى على الشمائل، وغيرهما . ولد سنة ٩٩٧ وتوفي سنة ١٠٨٧ . قال في خلاصة الأثر : « والشبراملسي بشين معجمة فموحدة فراء فألف مقصورة ، على وزن سكرى ، كما في القاموس ، مضافة إلى ملس بفتح الميم وكسر اللام المشددة وبالسين المهملة ، أو مركبة تركيب مزج ، وهي قرية بمصر » . خلاصة الأثر ٣ : ١٧٤ – ١٧٧ .

(٤) ويقال سري الدين دوري ، كما في عقد الجواهر والدرر نسخة رامپور .

(٥) كذا في خلاصة الأثر ٢ : ٣٥٢ في ترجمة البغدادي . لكن في خلاصة الأثر في ترجمته هو : الشيخ إبراهيم بن محمد بن عيسى المصري الشافعي الملقب برهان الدين الميموني . وهو الصواب ، وقال : «كان آية ظاهرة في علوم التفسير والعربية ، أعجوبة باهرة في العلوم العقلية والنقلية ... وأبلغ ما كان مشهورا فيه علم المعاني والبيان حتى قل من يناظره فيهما » . وله حاشية على المواهب اللدنية ، وأخرى على تفسير البيضاوي ، وبعض تعليقات على شرح التلخيص للمولى عصام الدين ، المسمى بالأطول . ولد سنة ٩٩١ وتوفي سنة ١٠٧٩ ودفن بتربة المجاورين . قال المحبي : « والميموني نسبة للميمون من الصعيد » . خلاصة الأثر ١ : ٤٥ – ٤٦ .

وكان أستاذاه البارزان هما : الشهاب الخفاجي ، والشيخ يس الحمصى . وهو لا يذكر واحداً منهما فى الخزانة إلا بلفظ « شيخنا » . وقد أجازه الخفاجي بمؤلفاته[1] .

وقد حفظ البغدادى فى صدر شبابه مقامات الحريرى ، وطائفة من دواوين العرب على اختلاف طبقاتهم[2]، فاكتسب بذلك حذقا فى نقد النصوص ومقارناتها، وكان أستاذه الخفاجي مع غزارة علمه واتساع أفقه فى الاطلاع يقدره قدره ويشهد له بالفضل ، كما أن البغدادى كان يحفظ لأستاذه حقه ، وينتهز الفرصة للإشادة بفضله . ومن ذلك ماروى المحبي فى خلاصة الأثر عن مصطفى بن فتح الله قال[3] قلت له — يعنى للبغدادى — لما رأيت من سعة حفظه واستحضاره : ما أظن هذا العصر سمح برجل مثلك ! فقال لى : جميع ما حفظته قطرة من غدير الشهاب ، وما استفدت هذه العلوم الأدبية إلا منه ! .

ومع ذلك إن الرجل كان محققاً حر الفكر ،معتزا بعلمه، لاينزل به إلى درك الخضوع لأستاذه ، فهو يعترض عليه فى أدب العالم حين وجده يعزو بيت عمرو ابن معديكرب إلى المفضليات إذ يقول[4] : « والعجب من شيخنا الخفاجي أنه نسبه إليه فى حاشية البيضاوى وقال : هو من قصيدة مسطورة له فى المفضليات ، مع أنه غير موجود فى شعره فى المفضليات لا من قليله ولا من كثيره » .

وينقل عنه كذلك نصا فى الشاهد ٧١٩ نقله أستاذه عن الرضى فيعقب عليه بقوله[5] : « وهذا مخالف لصريح كلام الرضى » . كما تسجل الخزانة اعتراضه على شيخه الخفاجي فى مواضع أخرى[6] .

وأحب أن أذكر أيضاً أن البغدادى ذكر شيخه يس الحمصى صاحب الحاشية

(١) انظر صورة الإجازة فى ريحانة الألباء للخفاجي ٣٦٨

(٢) خلاصة الأثر ٢ : ٤٥١ .

(٣) الخزانة ٤ : ٥٦ .

(٤) الخزانة ٤ : ١٧ .

(٥) انظر منها ٣ : ٦٠٣ .

(٦) الخزانة ٣ : ٤١٠ ، ٤٣٢ .

على التصريح فى موضعين من الخزانة[1] ، ولم يذكره فيهما إلا ليعترض عليه ويحقق كلامه ، فقد كان التحقيق ونصرة الحق هو رائده الأول ، بغض النظر عن اعترافه المتوالى بأستاذية شيخيه الإمامين .

مكتبة الشهاب الخفاجى

وقد كان لمكتبة الشهاب فضل عظيم على صاحب الخزانة فى أثناء حياة الشهاب بمقتضى ملازمته له ، وبعد وفاته سنة ١٠٦٩ لأن البغدادى تملك أكثر كتبه ، كما ذكره المحبي[2] .

فمن ذلك ما نرى أن ثبت مكتبة البغدادى مما يقف أمامه الناظر وقفة العجب والدهشة ، لما حواه من نوادر التصنيف وعجائب التأليف .

رحلته الأولى إلى بلاد الروم

ظفرت مصر بإقامة البغدادى فيها طالبا وشيخا ومؤلفا من سنة ١٠٥٠ إلى ١٨ من ذى القعدة سنة ١٠٧٧ أى من سن العشرين إلى سن السابعة والأربعين . ثم عنّ له أن يغادرها إلى القسطنطينية عاصمة آل عثمان ، وكان إذ ذاك قد وصل من تأليفه خزانة الأدب إلى الشاهد ٦٦٩ كما ذكر فى خاتمة الخزانة . ويبدو أنه لم تطب له الإقامة فى تلك الرحلة ، فسرعان ما عاد إلى مصر فى اليوم السابع من ربيع الأول سنة ١٠٧٨ أى إنه قضى فى تلك الرحلة نحو خمسة أشهر .

عودته إلى مصر

وبعد ما رجع إلى مصر عقد سببه بواليها من قبل الدولة العثمانية إذ ذاك ، وهو إبراهيم باشا كتخذا وذلك فى سنة ١٠٧٨ فاتخذه الوالى نديما له وسميرا ، وأحله محلا مرموقا ، واستمرت الصلة بينهما موثقة الأسباب فى مصر نحو سبع سنوات ، إلى السنة التى عزل فيها هذا الوالى بوالٍ آخر هو حسين باشا .

---

(١) الخزانة ٣ : ٤١٠ ، ٤٣٢ .

(٢) فى خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٢ : « ولما مات الشهاب تملك أكثر كتبه، وجمع كتبا كثيرة غيرها . وأخبرنى عنه بعض من لقيته أنه كان عنده ألف ديوان من دواوين العرب العاربة » .

ويبدو أن البغدادى كان محتفظا بولائه لإبراهيم ، أو ان إبراهيم كان مصرا على استصحابه ، فرحلا معا إلى بلاد الروم فى سنة ١٠٨٥ (١) وكان سفرهما بطريق بلاد الشام ، فتسنى للبغدادى أن يدخل الشام مرة ثانية بعد انقضاء ٣٧ عاما بعد دخوله الأول .

وفى هذه الرحلة الثانية قدر له أن يتصل برجل خطير من رجال الدولة العثمانية وهو الوزير احمد باشا بن محمد كوپريلى (٢) . وكان هذا الرجل فى أول أمره من رجال العلم والتعليم ، ثم تقلب فى المناصب المدنية إلى أن ولى الوزارة العظمى وهو لايزال على عرق من محبة العلم والعلماء ، فلما لمس الفضل فى البغدادى أدناه وقربه ، وأحله محل الكرامة والتقدير ، وجعله فى خواصه . وألف البغدادى حاشيته على شرح بانت سعاد لابن هشام ، وجعلها برسمه ، كما سيأتى .

وفى أثناء ذلك عرف فضله السلطان العثمانى محمد بن السلطان إبراهيم (٣) .

---

(١) خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٣ .

(٢) قال المحبى : « ولم يكن فى الوزراء من يحفظ أمر الدين وقانون الشريعة مثله ، صعبا شديدا فى أمور الشرع ، سهلا فى أمور الدنيا ... وملك من نفائس الكتب وعجائب الذخائر ما لا يدخل تحت الحصر ولا يضبط بالإحصاء » . تولى ولاية روم إيلى فظهرت كفايته ، ثم انتقل إلى حكومة الشام سنة ١٠٧١ ثم ولى الصدارة العظمى بعد وفاة والده سنة ١٠٧٢ وكان السلطان حينئذ بأدرنة ، ثم انتقل إلى القسطنطينية فى سنة ١٠٨٧ فرحل معه إليها ثم أدركه المرض مقدار ستة أشهر فتوفى فى تلك السنة وكانت ولادته سنة ١٠٤٥ . قال المحبى : « وكان قبل وفاته وقف كتبه ووضعها فى خزانة بالتربة المذكورة — يعنى تربته بالقسطنطينية — ورتب لها أربعة حفاظ ، وفيها من نفائس الكتب ما لا يوجد فى مكان . وأخبرنى بعض من أثق به أنها خمنت بأربعين ألف قرش » . يقول المحبى : هذا فى الوقت الذى يذكر فيه أنه حصل قحط فى الشام وبلغت غرارة الحنطة فى الثمن إلى ثمانين قرشا . خلاصة الأثر ١ : ٣٥٢ — ٣٥٦ . وكوپريلى : نسبة إلى كوپرى : مدينة قرب أماسية ، كما ذكر بروكلمان فى تاريخ الشعوب الإسلامية ٣ : ١٤٦ . والمحبى يجعله « الكوپرى » على غرار النسبة العربية ، لا التركية التى تلحق اللام والياء بالمنسوب . وقد ترجم المحبى لأبيه فى الخلاصة ٤ : ٣٠٩ — ٣١٢ .

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن أحمد خان ، تولى السلطنة بعد قتل أبيه سنة ١٠٥٨ وأقام فى السلطنة ٤١ عاما ثم خلع سنة ١٠٩٩ . تحفة الناظرين للشيخ عبد الله الشرقاوى ١٦١ طبع الأزهرية سنة ١٣١١ .

فنال تقديره أيضا . وجعل البغدادى كتابه « خزانة الأدب » باسم هذا السلطان كما ذكر فى مقدمة الخزانة التى بدأ تأليفها سنة ١٠٧٣ وأتمها سنة ١٠٧٨ .

ويذكرون أنه كان مقيما طوال تلك المدة فى مدينة « أدرنة » من بلاد الروم . وقد زاره فيها « المحبى » صاحب خلاصة الأثر ، الذى كان لوالده صلة وثيقة بالبغدادى . يقول المحبى : « فرحب بى وأقبل علىّ ، وكان إذ ذاك فى غاية من إقبال الكبراء عليه » .

شعر البغدادى

يقول المحبى[1] : وكان مع تبحره فى الآداب ومعرفة الشعر لم يتفق له نظم ، حتى طلبتُ من بعض المختصين به شيئا من شعره لأثبته فى ترجمته ، فذكر لى فيما زعم أنه لم يتفوه بشىء منه ترفعا عنه . ثم رأيت الشبلى[2] ذكر له فى ترجمته هذه الأبيات فى هجاء طبيب يهودى يعرف بابن جميع :

يابن جميع أصبحت تمتحن النحـ … و ودعواك فيـه منحوله
أمك ما بالهـا فقـد ذهبت … مرفوعة السـاق وهى مفعوله
فاعلهـا الأير وهو منتصب … مسـائل قد أتتك مجهوله
والعـين عطل وعـين عصعصها … بنقطة الخصيتين مشكوله

وهو كما ترى شعر ماجن متكلف ، وعلى طريقة النحويين .

خط البغدادى

للبغدادى قطعة من شرحه على شواهد شرح التحفة الوردية بخطه ، وهى مسوّدة سيأتى الكلام عليها .

---

(١) خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٣ .

(٢) هو جمال الدين محمد بن أبى بكر الشبلى ، صاحب « عقد الجواهر والدرر ، فى أعيان القرن الحادى عشر » . ومن هذا الكتاب نسخة فى خزانة رامبور عدد صفحاتها ٤٨٠ ذكر فيها وفيات هذا القرن . وله كتاب آخر فى التراجم ، عنوانه « المشرع الروى ، فى مناقب السادة بنى علوى » ، منه نسخ فى حضرموت ، كما ذكر الأستاذ محب الدين الخطيب .

ومن خط البغدادى أيضا نسخة من فرحة الأديب ، لأبى محمد الأعرابى كتبها لنفسه ، وهى مودعة بدار الكتب المصرية برقم (٧٨ مجاميع م) جاء فى خاتمتها : « تم هذا الكتاب بعون الله على يد الفقير إلى رحمة ربه الغفور عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغدادى . كتبه لنفسه ولمن شاء الله من بعده . وكان بدء الكتابة فى يوم الأحد ، وآخرها فى ضحوة يوم الاثنين التاسع عشر من شهر شوال المبارك من شهور سنة ثمان وسبعين بعد الألف من الهجرة . وكان تاريخ الأصل الذى كتبت منه يوم الأحد تاسع وعشرين شعبان سنة اثنين (كذا) وتسعين وخمسمائة . هكذا رأيته مؤرخا . وحسبنا الله ونعم الوكيل » . وكتب البغدادى إلى جوار هذا الكلام : « فيكون مدة كتابته تسعه أيام مع أشغال عائقة . والحمد لله عليه » .

وهذه النسخة فى ٥٨ ورقة صغيرة . وقد نقلت منها نسخة دار الكتب ذات الرقم ٤٤٢١ أدب بقلم محمود فهمى بن محمد بن أحمد بن زين الصياد المرصفى سنة ١٣٤١ .

وذكر الأستاذ عبد العزيز الميمنى أن نسخة مجمع الأمثال للميدانى المحفوظة بخزانة بانكى بور فى الهند عليها خط للبغدادى هذا نصه : « من نعم الله على عبده الفقير إليه عبد القادر بن عمر البغدادى » .

وكذا على كتاب المعمرين للسجستانى الذى طبع فى ليدن من هذا الأصل .

وكذا كتاب الوصايا للسجستانى . وكذلك فى أوربا جزء من كتابه شرح شواهد شرح الشافية بخطه .

ويجد القارئ فى معجم الأدباء لياقوت ٢ : ٩٧ طبع دار المأمون فى ترجمة الحصرى صاحب زهر الآداب مانصه : « وله عندى كتاب الجواهر والملح والنوادر . كتبه عبد القادر البغدادى » .

وكذا فى طبعة مرجليوث قبله . ولا ريب أن هذا من كلام البغدادى تعليق منه على النسخة ، لا من كلام ياقوت . فأقحمه الناسخ فى صلب الكتاب ، ولم يتنبه له مرجليوث ولا القائمون على طبعة دار المأمون .

خاتمة حياته :

ولم يزل البغدادى فى أدرنة مقيما ، عاقداً سببه بالوزير الكوبريلى ، إلى أن أدركته علة شديدة أعجزت نطس الأطباء . يقول المحبي(١) : « ولم يبق طبيب إلا باشر معالجته » . وفى أثناء ذلك ذهب إلى معرة مصرين(٢) . ثم عاد إلى بلاد الروم مرة ثالثة، فابتلى برمد فى عينيه حتى أوشك أن يكف ، وذلك فى سنة ١٠٨٧ كما ذكر هو فى خاتمة كتابة شرح أبيات مغنى اللبيب لابن هشام الذى سيأتى الكلام عليه ، وانقطع بذلك نحو شهر عن التأليف ، ثم برأ بعد ذلك ، وسافر إلى القسطنطينية فى سنة ١٠٩١ ثم سافر من طريق البحر إلى مصر ولم تطل إقامته بها حتى توفى فى أحد الربيعين من سنة ١٠٩٣ .

---

(١) خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٢ .

(٢) بليدة وكورة بنواحى حلب ، بينهما نحو خمسة فراسخ ، كما فى معجم البلدان . وفى الأصل : « معرة مصر » ، تحريف .

مكتبة البغـــدادى

كانت السمة الغالبة على تأليفه هو شرح شواهد العربية فى إسهاب وعناية وتحقيق مع ترجمة قائليها . وهذا الضرب من التأليف كانت له جذور عميقة تمتد إلى أبى الفرج الأصبهانى مؤلف الأغانى ، إذ جعل أبيات الأغانى وسيلة وسلما إلى ترجمة الشعراء والأدباء فى الجاهلية والإسلام ومن كان على صلة بهم وبأخبارهم .

وهذا ثبت أسماء مؤلفاته :

١ — خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . (وسأفرد لها ذكراً) .

٢ — شرح شواهد الشافية للرضى والجاربردى . بدأ تأليفه فى يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٠٧٩ وأتمه فى يوم الجمعة ليلة الثالثة عشرة من صفر الخير سنة ١٠٨٠ اى فى أقل من سنة . قال فى مقدمته : « وبعد فلما فرغت بتوفيق الله من شرح شواهد الكافية لنجم الأئمة الرضى الاستراباذى رحمه الله وتجاوز عنه ، رأيت أن ألحق به شرح أبيات شواهد الشافية له أيضا ، وهى مائة وتسعون بيتاً ، لكونهما ككتاب واحد مَتْناً وشرحا ، فكذلك ينبغى أن يكون شرح أبياتهما . وأشار إلى بعض الأفاضل بأن أضم إليها أبيات شرح المحقق العلامة أحمد بن الحسن الجاربردى التى انفرد بها ، لمسيس الحاجة إليها لكثرة تداولها تدريسا ومراجعة حتى يعم النفع ، وهى اثنان وخمسون بيتا ، فأجبته إلى ذلك .

ونهجه فيه مماثل لنهجه فى الخزانة ، مع انتفاعه بالإحالة إلى ما سبق تفصيل له فى الخزانة ، ومع التزامه بالنص على ما فى تلك الشواهد من أبيات سيبويه ، والنص على ما انفرد به الجاربردى .

وقد ألحق البغدادى به فهرسا على حروف الهجاء لمن ترجم لهم فيه ممن يترجموا فى الخزانة ، فإنه اكتفى فى هؤلاء بالتنبيه على مواضعهم فى الخزانة .

والثانية منهما منقولة من الأولى. والأولى وهى الشنقيطية تاريخها سنة ١٢٩٨ ذكر فى خاتمتها أنها منقولة من خط المؤلف. وهى فى ٢٨٠ ورقة. أما تاريخ الثانية المنقولة من الأولى فهو سنة ١٣٤١ .

وعدد من ترجم لهم فى هذا الشرح أربعة وثلاثون كما أحصاهم بقلمه .

ومن هذا الكتاب نسختان بدار الكتب المصرية برقم ٤ ـ مجاميع ، ٢٨٥ صرف . وتوجد قطعة منه بخط البغدادى فى مكتبات أوربا طبعت صفحة منها بالتصوير الشمسى ، وألحقت بآخر مجموعة ديوان أبى محجن وزهير وغيرهما كما ذكر الأستاذ محب الدين الخطيب .

وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الأساتذة: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، ملحقاً بشرح شافية ابن الحاجب بمطبعة حجازى سنة ١٣٥٦ .

٣ ـــ شرح مقصورة ابن دريد . ألفه فى شبيبته ، ولعله أول تصانيفه . ذكره فى أثناء الكلام على الشاهد ١٧٨ وقال[1] : « عدتها مائتان وتسعة وثلاثون بيتا ، لها شروح لا تحصى كثرة . وأحسن شروحها شرح العلامة الأديب أبى على محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخمي السبتى . وقد شرحتها أنا شرحاً موجزا مع إيضاح واف ، وتبيين شاف ، فى أيام الشبيبة ، نفع الله به » .

٤ ـــ شرح أبيات مغنى اللبيب لابن هشام ، كما كتب على النسخة ، ويعرف أيضا بشرح شواهد المغنى . ومنه نسخة فى دار الكتب المصرية برقم ٢ ـ نحو . وهذه النسخة فى مجلدين الأول منهما فى ١٠٦١ صفحة والثانى فى ١٠٨٧ تم نسخها فى ٢٠ من رجب سنة ١٣٢٠ وقت إقامة الشنقيطى بالقسطنطينية ، بخط أحمد بن حسونة القفصى السوسى . وفى صدر كل من المجلدين فهرس لما فيه من الشواهد حسب ورودها فى الكتاب . وتشتمل على ٩٤٦ شاهداً .

وقال البغدادى فى خاتمته : « وهذا آخر الأبيات التى ختم المصنف بها كتابه. وقد من الله علينا فى أن وفقنا لشرح أبياته من الأول إلى الآخر ، بعد أن يكاد

---

(١) الخزانة ١ : ٤٩٠ .

يذهب البصر برمد شديد ، فإنى لما وصلت إلى الإنشاد الثالث والأربعين بعد الستمائة حدث لى شقيقة رمدت بها عينى اليمنى ، وانطبقت معها اليسرى ، وذلك فى اليوم الرابع من ذى الحجة ختام سنة سبع وثمانين وألف (١٠٨٧) فرمدت عينى بنزلة حادة مدة ثلاثين يوما ، ففترت النازلة فانفتحت عيناى بعض الانفتاح وهى تحب التغميض ، فما زالت موجعة ونورها ينقص إلى أن كدت لا أبصر شيئاً حتى أنعم الله على بإبصارها ، فرجعت فى تكميل شرح الأبيات فى غرة ربيع الأول من شهور سنة إحدى وتسعين بعد الألف (١٠٩١) ولله الحمد على هاتين النعمتين . وتم شرحها فى وقت العصر من يوم الجمعة السادس من شهر رجب من السنة المذكورة ، ولكنا استعجلنا فى أواخر هذا الشرح لتصمم العزم إلى القسطنطينية لأمر عرض ، فتمّ قبل السفر بخمسة أيام . وكان ابتداء الشروع فى الشرح الساعة السابعة من الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان المبارك من السادسة والثمانين بعد الألف من الهجرة (١٠٨٦) .

فأنت ترى كيف كان البغدادى يسجل بدء أعماله العلمية وختامها بهذه الدقة التاريخية . وهو ما يجدر بكل عالم مؤلف أن يصنعه .

٥ — حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام . ومنه ثلاث نسخ : واحدة فى راجپور بالهند كتبت سنة ١١١٢ ، والثانية فى مكتبة أياصوفيا ، والثالثة فى الخزانة التيمورية برقم (٧٤٦ شعر) . وهذه فى مجلدين فى نحو ١٣٠٠ صفحة نسخت سنة ١٣٣٣ أو هى من أنفس ما كتب البغدادى ، شرح فيها شواهد هذا الشرح ومافيه من أمثال أو أمثلة أو نحو ذلك . وشواهده زهاء ٤٠٠ بيت تولاّها بالشرح والتحقيق والنسبة ، وترجمة قائليها من الشعراء ، بل تجاوز ذلك إلى إضافة تراجم بعض من أجرى ذكرهم ابن هشام من علماء وفقهاء وقراء ونحاة وغيرهم .

وذكر البغدادى فى أولها أنه ألف هذه الحاشية لما قرأ هنا الشرح بمصر سنة ١٠٨١ وجعلها برسم الوزير الأعظم بن الوزير الأعظم : أحمد بن محمد ، وزير السلطان محمد بن إبراهيم العثمانى . يعنى أحمد الكوبريلى[1] .

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٨ .

ويقول أيضا : « ولما قدمت فى هذه الوفادة — يعنى وفادته على الوزير المذكور — دمشق الشام فى سابع ذى القعدة من سنة ١٠٨٤ سمع بهذه الحاشية السيد الشهم . . . السيد محمد بن كمال الدين بن حمزة الحسينى(١) نقيب السادة الطالبية بدمشق المحمية ، استعارها منى ، فبعد أن تأملها دقق نظره فيها ، قرظها بهذه القصيدة » .

ونص القصيدة فى مقدمة تلك الحاشية .

وذكر البغدادى فى خاتمتها أنه أتمها فى ضحوة ويوم الاثنين ٢٩ جادى الآخرة سنة ١٠٨٢ .

وفى صدر هذه النسخة التيمورية سبع فهارس بخط أحمد تيمور باشا :

١ — أبيات المتون

٢ — المسائل المتعلقة بالعربية .

٣ — لغات القبائل .

٤ — ما يتعلق بالأدب والشعر والعروض .

٥ — مطالب متنوعة .

٦ — أسماء المترجمين فى الكتاب .

٧ — شواهد الشرح .

٦ — شرح شواهد شرح التحفة الوردية فى النحو ، لابن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ .

والتحفة مقدمة فى النحو اختصر فيها ابن الوردى « اللمحة البدرية » لأبى حيان المتوفى سنة ٤٧٥ . والتحفة منظومة أولها :

لله شكرى أبدا وحمدى مصليا على النبى العربى

وقد شرحها ابن الوردى نفسه أيضا .

ومن شرح شواهد هذا الشرح مسودة بخط البغدادى فى ٣٧ ورقة الورقة

---

(١) انظر ماسبق فى ص ٤ .

الأخيرة منها تعد ملحقة بالورقة الثالثة ، كما أشار إلى ذلك البغدادى . وهذه النسخة غير كاملة إذ فيها نقص فى آخرها بأوراق قليلة وهى برقم (١١١٣ نحو) .

ومنه نسخة أخرى كاملة برقم (١١٤٣ نحو) كتبت سنة ١١٣٤ . ونسخة ثالثة بمكتبة تيمور برقم (٢٧٣ نحو تيمور) فى ٣٠٠ صفحة بخط محمود حمدى النسّاخ سنة ١٣٢٨ . وفى مقدمة التيمورية أربعة فهارس فنية بخط تيمور باشا تتضمن ما يأتى :

١ — بعض مطالب الكتاب .

٢ — الأحاديث والآثار المستشهد بها فى الكتاب .

٣ — الأمثال المستشهد بها فى الكتاب .

٤ — الشواهد الشعرية .

وقد أهدى البغدادى هذا الكتاب إلى الوزير مصطفى بن أحمد بن محمد الكوبريلى .

وكتب البغدادى فى آخر النسخة ما نصه :

« وتم فى ليلة الجمعة التاسعة والعشرين من شهر رجب الفرد من شهور سنة سبع وثمانين بعد الألف من الهجرة النبوية . . . وكان الابتداء فى شرحها فى اليوم السادس من الشهر المذكور . ومن الله بالتسهيل فى جميع الأمور » .

وهذا يعد رقماً قياسيا — كما يقولون — فى سرعة التأليف : أن يؤلف كتاب مثل هذا فى نحو ٢٣ يوماً مع الإجادة والإتقان .

٧ — لغت شاهنامة(١) . شرح فيه باللغة التركية غريب الألفاظ الفارسية الواقعة فى كتاب شاهنامه . وذكر فيه أنه ألفه سنة ١٠٦٧ وكان إذ ذاك فى مصر .

---

(١) الشاهنامة : ملحمة فارسية فى نحو ٦٠ ألف بيت من الشعر الفارسى من بحر المتقارب على نظام المثنوى ، نظمها أبو القاسم الفردوسى المولود فى حدود ٣٣٠ والمتوفى سنة ٤١١ أو ٤١٦ . سرد فيها تاريخ الفرس منذ بدء الخليقة حتى نهاية الدولة السامانية . وتناول فى أولها التاريخ الأسطورى القديم للفرس المتمثل فى الدولة البيشدادية والكيانية . انظر تاريخ الأدب الفارسى للدكتور رضا زاده ، ترجمة الدكتور هنداوى ص٤٩ — ٦١ .

وقد نشر هذا الكتاب المستشرق الروسى «كارل زالمان» (١٨٤٩—١٩١٦) فى بطرسبرج سنة ١٨٩٥ معتمدا على مخطوطة مكتوبة بادرنة سنة ١٠٨٢ أى فى زمن حياة البغدادى .

٨ — شرح التحفة الشاهدية ، وهى منسوبة إلى مؤلفها الشاهدى(١) . وهى منظومة باللغة التركية التى تتخللها بعض الألفاظ الفارسية ، على عدة بحور عروضية عربية مختلفة فى فن التصوف. وقدقام البغدادى بتفسير ألفاظهاومعانيها ، ووجدت له نقداً فى استعمال الشاهدى لبعض الكلمات الفارسية ينم عن علم واسع .

ومن هذا الكتاب نسخة بالمكتبة التيمورية برقم (٥ لغات) أولها : «هذه كلمات عربية إملاء شيخنا وأستاذنا لسان المتكلمين ، حجة المناظرين ، جمال أهل الأدب ، ترجمان العجم والعرب ، مولاى عبد القادر افندى البغدادى — أطال الله بقاءه — على التحفة الشاهدية ، حل به مشكلاتها ، وأزال معضلاتها . جعله الله خالصا لوجهه الكريم ، وللفوز بجنات النعيم » .

ومما يجدر ذكره أن المحبي سماه «شرح الشاهدى الجامع بين الفارسى والتركى»(٢)

٩ — رسالة فى معنى التلميذ . وهى بحث لغوى فيما يتعلق بهذه الكلمة ومادتها وتأصيلها . وقد قمت بنشر هذه الرسالة مرتين : إحداهما فى مجلة المقتطف (عدد مارس سنة ١٩٤٥) . والأخرى فى المجلد الأول من نوادر المخطوطات(٣) مع دراسة فنية لها عن أصول ثلاثة محفوظة بدار الكتب بالأرقام : ٦ مجاميع م ، ١٨١ مجاميع ، ١٢٢ مجاميع . كما أن بالخزانة التيمورية نسخة بخط العلامة أحمد تيمور باشا كتبها لنفسه سنة ١٣٢٢ كما أخبرنى الأستاذ محب الدين الخطيب .

---

(١) الشاهدى أديب تركى من بلدة « مغلة » واسمه إبراهيم دده، وكان من المولوية . وله منظومة أخرى هى « كلشن توحيد » على غرار المثنوى لجلال الدين الرومى . كما أن له شرحا على كلستان السعدى . توفى سنة ٩٢٧ .

وفى الشعراء أيضا شاعر إيرانى من أهل قم يعرف بالشاهدى توفى سنة ٩٢٥ . وشاعر إيرانى آخر من أهل نيسابور . ورابع هندى ، هو مير عبد الواحد البلجرامى .

(٢) انظر خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٣ .

(٣) نوادر المخطوطات ١ : ٢١٧ — ٢٢٥ .

ولم أهتد إلى موضع هذه النسخة التيمورية ، ويبدو أنها فى تضاعيف بعض مجاميع مكتبته . ومنه كذلك نسخة فى بطرسبرج برقم ٤٦ كما ذكر بروكلمان .

١٠ — كتاب فى التراجم بدون عنوان فى مكتبة عاشر افندى[١] ١ : ٦٢٧ .

(٤) انظر بروكلمان ٢ : ٣٠٧ النسخة الألمانية .

خزانة الأدب

وهو الكتاب الذى خلّد اسم البغدادى ، ويعدّ أعلى موسوعة فى علوم العربية وآدابها . شحنه بالنصوص النادرة ، وحفظ لنا به بقايا من كتب قد فقدت أو اندثرت ، مع عناية حازمة بالنقد والتحقيق لكلّ مايورده من ذلك .

هذا إلى سرده لكثير من أمثال العرب وبيان معانيها ومضاربها واصولها ، وحشده للغات القبائل ولهجاتها ، وحرصه على إيراد قصائد الأبيات التى تعرّض لها ، مع شرح الكثير منها شرحا محقّقا ، مستطرداً فى ذلك إلى أخبار العرب وذكر أيامها فى الجاهلية والإسلام ، إلى العناية الكاملة بالمقصد الأول لشرح الشواهد ، وهو تحقيق المسائل النحوية واستيعاب دراستها ، مع الاعتماد على أمهات النحو ومطولاته ، ومراجع شروح الشواهد ، فى علاج علمىّ نقدىّ .

والخزانة شرح لشواهد الرضى على الكافية ، التى بلغت ٩٥٧ شاهداً من شواهد العربية . وفيها يقول المولى محمد المحبى(١) :

« وألّف المؤلفات الفائقة ، منها شرح شواهد شرح الكافية للرضى الأستراباذى فى ثمانى مجلدات ، جمع فيه علوم الأدب واللغة بأسرها إلاّ القليل ، ملكْتُه بالروم وانتفعت به ، ونقلت منه فى مجاميع لى نفائس أبحاث يعزّ وجودها فى غيره » .

وقد ساق فى مقدمة الخزانة ثبتا للكتب التى اعتمد عليها فى الشرح والتحقيق ، مصنّفا لها ، فنها ما هو فى علم النحو ، وما هو فى شروح الشواهد ، ومنها ما هو فى تفسير أبيات المعانى المشكلة ، وما يرجع إلى دفاتر أشعار العرب من الدواوين والمجاميع ، وما يرجع إلى فن الأدب ، وما يرجع إلى كتب السير وكتب الصحابة وأنساب العرب ، وما يرجع إلى طبقات الشعراء وغيرهم ،

---

(١) خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٢ .

وما يرجع إلى كتب اللغة ، وما يتعلق بأغلاط اللغويين ، وكتب الأمثال ، وكتب الأماكن والبلاد .

وهى نحو ٩٤٥ عنوانا إذا ضمت إلى تلك العنوانات شروحها والكتب المؤلفة فى تلخيصها أو نقدها جاوزت أربعة آلاف كتاب ، كثير منها قد فقد أوضاع .

وذكر فى المقدمة أيضا أنه أهدى (الخزانة) إلى السلطان محمد خان بن إبراهيم خان العثمانى(١) . ثم تكلم على ثلاثة أمور :

الأمر الأول : فى الكلام الذى يصح الاستشهاد به فى اللغة والنحو والصرف .

الأمر الثانى : ذكر المواد التى اعتمد عليها فى كتابه ، وهى المراجع المختلفة التى سبقت الإشارة إليها .

الأمر الثالث : يتعلق بترجمة شارح الكافية الإمام الرضى .

والكافية هذه أحد كتابين لابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ أحدهما فى النحو ، وهو « الكافية » ، والآخر فى الصرف ، وهو « الشافية » . وقد شرح الرضى كلا من الكتابين شرحا مسهبا ناقدا محققا ، وكلاهما مطبوع . ويعد هذان الكتابان — أعنى الكافية والشافية — النبع الذى استقى منه ابن مالك سرّ تسميته لمنظومته الكافية الشافية التى جمع فيها بين علمى النحو والصرف ، وكانت هى الأصلَ الذى اختزل منه الخلاصة المسماة بالألفية . وكأنَّ ابن مالك أراد أن يبين فضله على ابن الحاجب(٢) إذ جمع فى منظومته بين علمين ، على حين اقتصر مجهود ابن الحاجب على إفراد كل منهما بكتاب موجز . كما أراد من ناحية أخرى أن يستعلن فضله على ابن معط فى منافسته له فى تأليفه الألفية .

وشواهد شرح الرضى للكافية بلغت (٩٥٧) شاهداً ، قد يكرَّر الواحد

(١) تقدمت ترجمته فى ص ٨ من هذا التقديم .

(٢) مما يجدر ذكره أن ابن مالك كان يستهين بابن الحاجب إذ يقول فيه : « إنه أخذ نحوه من صاحب المفصل ، وصاحب المفصل نحوى صغير » . انظر ترجمة ابن مالك فى بغية الوعاة .

منها فى مواضع مختلفة من الشرح ، فإذا تكرر الشاهد نبّه البغدادى على ذلك ، ولم يدخله فى نطاق العدد .

تاريخ تأليف الخزانة :

يتضح من الفصل الذى تكلمت فيه على مكتبة البغدادى أنه كان حريصا على إثبات تواريخ تأليف كتبه فى بدئها وختامها . وقد صنع ذلك أيضا فى الخزانة . قال فى ختامها :

« وكان ابتداء التأليف بمصر المحروسة فى غرة شعبان من سنة ثلاث وسبعين وألف (١٠٧٣) وانتهاؤه فى ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعين (٧٩) . فتكون مدة التأليف ست سنين ، مع ما تخلل فى أثنائها من العطلة بالرحلة ؛ فإنى لما وصلت إلى شرح الشاهد التاسع والستين بعد الستمائة (٦٦٩) سافرت إلى قسطنطينية فى الثامن عشر من ذى القعدة من سنة سبع وسبعين (٧٧) ولم يتفق لى أن أشرح شيئا إلى أن دخلت مصر المحروسة فى السابع من ربيع الأول من العام القابل ، ثم شرعت فى ربيع الآخر . وقد يسر الله التمام وحسن الختام » .

الطبعات السابقة :

طبعت الخزانة للمرة الأولى فى مطبعة بولاق سنة ١٢٩٩ أى منذ أكثر من ٨٥ عاما فى أربعة مجلدات ، وعلى جوانبها كتاب المقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية المعروف بالشواهد الكبرى(١)

---

(١) جمعها من شروح ابن الناظم ، وابن أم قاسم ، وابن هشام ، وابن عقيل . وعدد الأبيات المستشهد بها ١١٩٤ ، وفرغ منها العينى فى شوال سنة ٨٠٦ . انظر كشف الظنون فى الكلام على ألفية ابن مالك . وقد أخطأ صاحب الكشف وتبعه فى ذلك صانعو فهرس دار الكتب المصرية ، إذ أقحم « شواهد شروح التوضيح لابن هشام » فى أول الشواهد ، فإن العينى لم يتعرض لها ولم يرمز إليها . واقتصر تعرضه ورمزه لما ذكرت على النظام التالى لشراح الألفية :

ظ = ابن الناظم   ق = ابن أم قاسم
هـ = ابن هشام   ع = ابن عقيل

ومنه خمس مخطوطات بدار الكتب ، بعضها بخط المؤلف العينى . وقد اختصره فى كتاب آخر سماه « فرائد القلائد ، فى مختصر شرح الشواهد» ، وهو المعروف بالشواهد الصغرى . طبع فى مصر بالمطبعة الكاستلية سنة ١٢٩٧ .

العيني(١) . ثم طبعت منها أربعة أجزاء تمثل ثلثها فقط ، أى الجزء الأول و ٢٨٤ صفحة من الجزء الثانى من طبعة بولاق . وذلك فى المطبعة السلفية من سنة ١٣٤٧ — ١٣٥١ بتحقيقى ومقابلتى لطبعة بولاق على مخطوطة الشنقيطى، ومع إضافة تعليقات وتحقيقات للأستاذ عبدالعزيز الميمنى الراجكوتى ، والعلامة احمد تيمور باشا ، بإشراف الأستاذ محب الدين الخطيب أطال الله بقاءه . وكنت إذ ذاك طالبا بتجهيزية دار العلوم ، فلم أفرغ من دراستى بدار العلوم سنة ١٣٥١ حتى فرغت من تحقيق هذه الأجزاء الأربعة فى أربع سنوات . ولعل هذا ما حدا بالأستاذ محب الدين الخطيب أن يقتصر على التنويه باسمى فى أثناء تقديمه للخزانة فى ص ٥ . ولم تتم هذه الطبعة لظروف خاصة .

وفى أثناء ذلك ظهرت طبعة ثالثة ناقصة كالسابقة بعناية الأستاذ الجليل الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد فى جزأين اثنين استوعبا المجلد الأول من طبعة بولاق . وذلك فى سنة ١٣٤٧ .

هذه الطبعة :

أما هذه الطبعة الرابعة ، التى أسأل الله العون فى إتمامها فقد دفعنى إلى البدء فيها ندرة نسخ الخزانة ، وعدم وجود طبعة كاملة محققة على النهج العلمى الحديث .

وإنى لآمل من فضل الله أن يسعفنى الوقت والجهد لإتمام هذا العمل الضخم ، وآمل كذلك أن أتمكن من إضافة الفهارس الفنية التى تكشف خبايا هذا الكنز الدفين إن شاء الله .

---

(١) هو بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحلبى العينى ، نسبة إلى عينتاب ببلاد الشام . ولى الحسبة بالقاهرة بعد تقى الدين المقريزى سنة ٨٠١ ثم ولى قضاء الحنفية بها وتدريس الحديث بالمؤيدية والفقه بالمحمودية . ومن آثاره : عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى . ولد سنة ٧٦٢ وتوفى بالقاهرة سنة ٨٥٥ . التبر المسبوك للسخاوى ٣٧٥ وبغية الوعاة ٣٨٦ وتاريخ ابن إياس ٢ : ٣٢ .

مخطوطات الخزانة :

إن الأصل الذى أخذت منه طبعة بولاق لا يزال مجهولا(١) ، ولم أهتد بعد إلى مخطوط غير مخطوط الشنقيطى المودع بدار الكتب المصرية برقم (١ ش نحو) وقطعة اخرى هى الجزء الثالث من نسخة أخرى ، أوله « باب شواهد الموصول » ، ونهايته « شواهد المصدر » . كتبت هذه القطعة سنة ١٠٨٠ وهى مودعة بدار الكتب برقم (١٣ ش نحو) وسأستعين بهذه القطعة فى حينها إن شاء الله .

مخطوطة الشنقيطى :

أما مخطوطة الشنقيطى فهى مخطوطة كاملة كتبت بخط بين خط النسخ والفارسى ، غير مراعى فيه تجويد أو دقة فى نظام . وبعض كلمات هذه النسخة مضبوط ، والشواهد فيها مميزة بالمداد الأحمر ، وفى نهايتها ما نصه :

« وكان الفراغ منه فى يوم الأحد المبارك التاسع عشر من شهر ربيع الأول الأنور ، من شهور سنة ١٢٩٢ على يد كاتبه أفقر الورى وأحوجهم إلى مولاه على بن محمد بن مصطفى الشهير بابن رجب وبابن الترجمان ، الجزائرى المنشأ المدنى الدار . كتبه لأخيه فى الله وصديقه ، العلامة الفاضل الورع العامل ، سيد أدباء أهل زمانه الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزى المجاور بالمدينة المنورة ... » :

وهذه النسخة فى مجلدين كبيرين أولهما فى ٣٣٩ ورقة والثانى فى ٣٢٦ ورقة . وفى صدر كل من المجلدين فهرس للشواهد مرتبة قوافيها على حروف الهجاء ، ثم فهرس آخر للقوافى على النمط المتقدم مع إضافة سبب الاستشهاد وصاحب الشاهد ، وذلك على أساس الأبواب التى وردت فيها الشواهد .

وفى صدر المجلد الأول كذلك ترجمة للبغدادى منقولة من خلاصة الأثر .

---

(١) من البديهى أنه غير نسخة الشنقيطى ، للتخالف الشديد بينهما . وجاء فى ١ : ٤٦٠ من طبعة بولاق فى الهامش ما صورته : « بهامش الأصل : وفيه أيضا عيب لم يذكره الشارح ، وهو عيب الردف » . ولا نجد هذا الكلام فى النسخة الشنقيطية .

وكتب الشنقيطى على صدر المجلد الثانى : « ملك بفضل ربه وكرمه محمد محمود ابن التلاميذ التركزى ثم وقفه على عصبته وقفا مؤبدا ، فمن بدله فإثمه عليه . وكتبه محمد محمود بالمدينة المنورة عام ١٢٨٨ » .

فيبدو من هذا أن الشنقيطى لشدة حرصه أثبت هذا التاريخ المبكر قبل أن يتم نسخ الكتاب جميعه بنحو سنة .

ومهما يكن فإن كتابة هذه النسخة استغرقت أربع سنوات على الأقل ، من سنة ١٢٨٨ إلى سنة ١٢٩٢ .

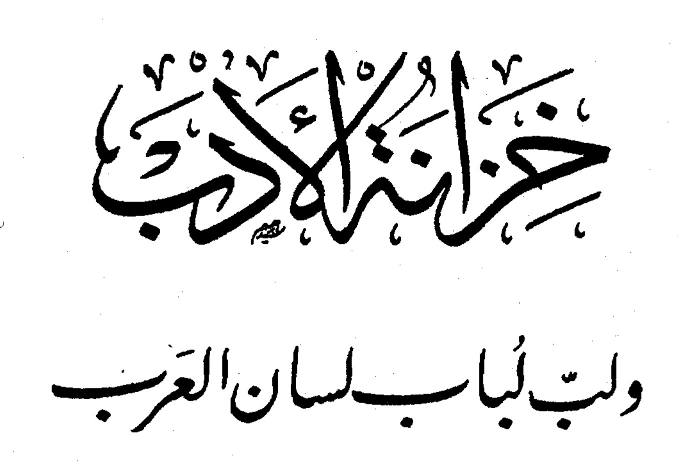
وفى هامش الشنقيطية بعض إصلاحات من الكاتب ، كتداركه لسهو أو خطأ ، أو كقوله : « كذا بخط المؤلف » . كما أن بها بعض تحقيقات بخط الشنقيطى ذاهبة فى الندرة ، وبعض إصلاحات قلمية له سأنبه عليها فى مواضعها .

ويبدو كذلك أن تلك النسخة منقولة عن نسخة البغدادى ، فإنك كثيرا ما ترى بالهامش عبارة « كذا بخط المؤلف » . وكذلك الشنقيطى قد اطلع على نسخة البغدادى فقد كتب فى هامش آخر صفحة منها : « هكذا وجدته بخطه رحمه الله تعالى » . يعنى البغدادى .

وقد عنيت بمقابلة طبعة بولاق على هذه النسخة ذاكراً للمفارقات التى بينهما ، جامعا للصواب من أثنائهما ومن مراجع التحقيق المختلفة ، وحرصت كما حرصت فى طبعة السلفية أن أثبت على جوانب الصفحات الأرقام الدالة على صفحات طبعة بولاق للانتفاع بها فى الإشارات الواقعة فى بحوث العلماء والمستشرقين وللاحالة على المواضع المقبلة التى يحتاج إلى الإشارة إليها فى التعليقات .

ومن الله التيسير والعون ؟

مصر الجديدة فى { ٨ من ربيع الأول ١٣٨٧ / ١٥ من يونية ١٩٦٧ } — عبد السلام محمد هارون



الجزء الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يامن شواهدُ آياته غنيةٌ عن الشرح والبيان ، ودلائل توحيده متلوّة بكل لسان . صلّ وسلم على رسولك محمد المؤيَّد بقواطع الحجج والبرهان ، وعلى آله وصحبه الباذلين مهجَهم فى نَصر دينه على سائر الأديان . صلاةً وسلاماً دائمين على ممرّ الأزمان .

أما بعد فيقول المفتقر إلى معونة ربه الهادى ، عبدُ القادر بن عمر البغدادي :

هذا شرح شواهد الكافية لنجم الأئمة ، وفاضل هذه الأمة ، المحقِّق محمد ابن الحسن ، الشهير بالرضيّ الأستَرابادى ، عفا الله عنه ورحمه . وهو كتاب عكف عليه نحارير العلماء ، ودقَّق النظر فيه أماثل الفضلاء ؛ وكفاه من الشرف والمجد ، ما اعترف به السيِّد والسعد[(1)] ؛ لما فيه من أبحاث أنيقة ، وأنظار دقيقة ؛ وتقريرات رائقة ، وتوجيهات فائقة ؛ حتى صارت بعده كتب النحو كالشريعة المنسوخة ، أو كالأمّة الممسوخة ؛ إلا أن أبياته التى استشهد بها — وهى زُهاء ألف بيت — كانت محلولة العِقال[(2)] ، ظاهرة الإشكال ، لغموض معناها ، وخفاء مغزاها ؛ وقد انضم إليها التحريف ، وبان عليها أثر التصحيف . وكنتُ ممن مَرَن فى علم الأدب ، حتى صار يلبِّيه من كَثَب ؛ وأفرغَ فى تحصيله جُهدَه ، وبذل فيه وُكده وكَدَّه[(3)] ؛ وجمع دواوينه ، وعرف قوانينه ، واجتمع عنده بفضل

(1) السيد هو على بن محمد بن على الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ . وهو صاحب التعريفات . قال كاتب جلبي : « له حاشية على شرح الرضى للكافية . وله شرح الكافية بالفارسية » . وأما السعد فهو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى المتوفى سنة ٧٩٢ .

(2) عبارة عن عدم التقييد والضبط والتحرير .

(3) الوُكد ، بالضم : السعى والجهد . يقال : ما زال ذلك وُكدى ، اى فعلى . والوَكد ، بالفتح : المراد والهم والقصد . والكد : الإلحاح فى الطلب .

الله من الأسفار ، ما لم يجتمع عند أحد فى هذه الأعصار ؛ فشمَّرتُ عن ساعد الجد والاجتهاد ، وشرعت فى شرحها على وَفق المنى والمراد . فجاء بحمد الله حائز المفاخر والمحامد ، فائقاً على جميع شروح الشواهد ؛ فهو جدير بأن يسمى :

(خِزانة الأدب ، ولُبّ لُباب لسان العرب)

وقد عرضتُ فيه بضاعتى للامتحان ، وعنده يكرم المرء أو يهان

٣ على أننى راضٍ بأن أحمل الهوى وأخلُصَ منه لاَ علىّ ولا ليا[١]

وقد جعلته هديّةً لسُدّةٍ هى مُقبَّل شفاه الأقيال[٢] ، ومُخيَّم سرادق المجد والإقبال : حضرة سيِّد ملوك بنى آدم ، وواسطة عقد سلاطين العالم ، ملك ألبس الدنيا خِلَع الجمال والكمال ، وأحيا دائِرَ الأمانى والآمال[٣] . حامى بيضة الإسلام ، بالصارم الصمصام ، وناشر أعلام الشريعة الغراء ، والملة الحنيفية البيضاء ، ومُرغِم أنوف الفراعين ، ومعفِّر تيجان الخواقين[٤] ، خليفةِ رب السموات والأرضَين ، ظلّ الله على العالمين ، وقطب الخلافة فى الدنيا والدين ، خادِمِ الحرمين الشريفَين ، وسلطان المشرقين[٥] ، الغازى فى سبيل الله ، والمجاهد لإعلاء كلمة الله ، ألا وهو السلطان ابن السلطان ، السلطان الغازى (محمد خان[٦]) ابن السلطان (إبراهيم خان) ، نخبة آل عثمان .

---

(١) البيت للمجنون برواية أخرى فى تزيين الأسواق ٦٩ .

(٢) القيل ، بالفتح : الملك ، وقيل : من كان ملوك حمير . ومثله المقول ، كمنبر . والجمع أقيال ، وأقوال ، ومقاول ، ومقاولة .

(٣) ط : « وأدى لأهلها دائر الأمانى والآمال » ، صوابه فى ش .

(٤) جمع خاقان ، وهو اسم لكل ملك من ملوك الترك . معرب .

(٥) المشرقان : الشرق والغرب . وبهما فسر قوله تعالى : « ياليت بينى وبينك بعد المشرقين » .

(٦) هو السلطان محمد خان بن إبراهيم خان بن أحمد خان . تولى السلطنة بعد قتل ابيه سنة ١٠٥٨ هـ . وأقام فى السلطنة إحدى وأربعين سنة ثم خلع سنة ١٠٩٩ . تحفة الناظرين للشيخ عبد الله الشرقاوى ص ١٦١ .

خلّد الله ظلال خلافته السابغة الوارفة ، وأفاض على العالمين سِجال رأفته المترادفة . ويسّر له النصر المتين ، وسهّل له الفتح المبين ، بجاه حبيبه ورسوله محمد الأمين . آمين .

وها هنا مقدمة تشتمل على أمور ثلاثة ينبغى ذكرها أمام الشروع فى المقصود ، فنقول بعون الله المعبود :

الأمر الأول

فى الكلام الذى يصح الاستشهاد به فى اللغة والنحو والصرف .

قال الأندلسى فى شرح بديعية رفيقه ابن جابر[1] « علوم الأدب ستة : اللغة والصرف والنحو ، والمعانى والبيان والبديع ؛ والثلاثة الأول لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب ، دون الثلاثة الأخيرة فإنه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولّدين ، لأنها راجعة إلى المعانى ، ولا فرق فى ذلك بين العرب وغيرهم ، إذ هو أمر راجع إلى العقل ، ولذلك قُبل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحترى ، وأبى تمام ، وأبى الطيب وهلم جرّا » . اهـ

وأقول : الكلام الذى يستشهد به نوعان : شعر وغيره :

فقائل الأول قد قسمه العلماء على طبقات أربع :

(الطبقة الأولى) : الشعراء الجاهليون ، وهم قبل الإسلام ، كامرئ القيس والأعشى .

(١) الأندلسى هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعينى المتوفى سنة ٧٧٩ . وابن جابر هو ابو عبد الله محمد بن احمد بن على بن جابر الهوارى المولود سنة ٦٩٨ والمتوفى سنة ٧٨٠ . وكلاهما نحوى . وكان أولهما معروفا بالبصير ، والآخر يعرف بالضرير ، وبديعيته تسمى « بديعية العميان » ، واسمها « الحلة السيرا ، فى مدح خير الورى » . وكانا يترافقان فى التجوال والسفر من الأندلس إلى بلاد المشرق ، حيث طوفا زمنا طويلا فى ربوع مصر والشام .

(الثانية): المخضرَمون،وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، كلَبيد وحسّان.

(الثالثة) : المتقدمون ، ويقال لهم الإسلاميون ، وهم الذين كانوا فى صدر الإسلام ، كجرير والفرزدق .

(الرابعة) : المولَّدون ، ويقال لهم المحْدَثون ، وهم مَن بعدهم إلى زماننا ، كبشّار بن بُرد وأبى نُواس .

فالطبقتان (الأوليان) يستشهد بشعرهما إجماعاً . وأما (الثالثة) فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها .

وقد كان أبو عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن أبى إسحاق ، والحسن البصرى وعبد الله بن شبرُمة ، يلحّنون الفرزدق والكميت وذا الرُّمّة وأضرابهم ، كما سيأتى النقل عنهم فى هذا الشرح إن شاء الله ، فى عدة أبيات أُخذت عليهم ظاهراً ، وكانوا يعدّونهم من المولّدين لأنهم كانوا فى عصرهم ، والمعاصرة حجاب .

قال ابن رشيق فى العمدة[1] «كل قديم من الشعراء [فهو[2]] محدَث فى زمانه بالإضافة إلى من كان قبله . وكان أبو عمرو يقول : لقد أحسَنَ هذا المولّد حتّى لقد هممت أن آمر صبياننا برواية شعره — يعنى بذلك شعر جرير والفرزدق — فجعله مولّداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين . وكان لايعدّ الشِّعرَ إلاّ ما كان للمتقدّمين ، قال الأصمعى : جلست إليه عشر حجج[3] ، فما سمعته يحتج ببيت إسلامى » .

٤

وأما (الرابعة) فالصحيح أنه لايستشهد بكلامها مطلقاً ؛ وقيل يستشهد بكلام من يوثَق به منهم ، واختاره الزمخشرى ، وتبعه الشارح المحقق ؛

---

(١) العمدة ١ : ٥٦ .

(٢) التكملة من العمدة .

(٣) فى بعض نسخ العمدة : « ثمانى حجج » .

فإنه استشهد بشعر أبي تمّام في عدة مواضع من هذا الشرح .

واستشهد الزمخشرى أيضاً فى تفسير أوائل البقرة من الكشاف ببيت من شعره ، وقال : « وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية ، فأجعل مايقوله بمنزلة مايرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه » اهـ

واعتُرِض عليه بأن قبول الرواية مبنى على الضبط والوثوق ، واعتبار القول مبنى على معرفة أوضاع اللغة العربية والإحاطة بقوانينها ، ومن البيّن أن إتقان الرواية [لا(١)] يستلزم اتقان الدراية . وفى الكشف أن القول رواية(٢) خاصة ، فهى كنقل الحديث بالمعنى .

وقال المحقق التفتازانى فى القول بأنه بمنزلة نقل الحديث بالمعنى : « ليس بسديد ، بل هو بعمل الراوى أشبه ،وهو لايوجب السماع ، إلاّ ممّن كان من علماء العربية الموثوق بهم ،فالظاهر أنه لايخالف مقتضاها ، فإن استُؤنس به ولم يجعل دليلا ، لم يرد عليه ماذكر ولا ماقيل ، من أنه لو فتح هذا الباب لزم الاستدلال بكل ما وقع فى كلام علماء المحدثين كالحريرىّ وأضرابه ، والحجة فيما رووه لافيما رأوه . وقد خطّئوا المتنبي وأبا تمام والبحترىّ فى أشياء كثيرة كما هو مسطور فى شروح تلك الدواوين .

---

(١) تكملة لا يصلح الكلام بدونها . وفى حاشية الكشاف لعمر بن عبد الرحمن القزوينى بدار الكتب المصرية ٨٣ م تفسير ، ما نصه :

« قوله : فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، قيل عليه : عمل الراوى ليس بحجة فى مثله اتفاقا ، إذ لا يدل على عدم العدالة . وإتقان الرواية لا يستلزم إتقان الدراية ، لا سيما فى الشعر فإنه محل الضرورات . والجواب عنه : أن القول رواية خاصة فهو كنقل الحديث بالمعنى » .

(٢) فى النسختين : « دراية » ، والوجه ما اثبت . وانظر الحاشية السابقة .

وفى الاقتراح[١] للجلال السيوطى : « أجمعوا على أنه لا يُحتجُّ بكلام المولَّدين والمحدَثين فى اللغة والعربية . وفى الكشَّاف مايقتضى تخصيص ذلك بغير أئمة اللغة ورواتها ، فإنه استشهد على مسألة بقول أبى تمام الطائى[٢] . وأوّلُ الشعراء المحدثين بشّار بن برد ، وقد احتج سيبويهِ ببعض شعره تقرباً إليه ، لأنه كان هجاه لتركه الاحتجاج بشعره ، ذكره المرزبانى وغيره . ونقل ثعلب عن الأصمعى أنه قال : ختم الشعر بابراهيم بن هَرْمة وهو آخر الحجج[٣] » اهـ .

وكذا عدّ ابن رشيق في العمدة[٤] طبقات الشعراء أربعاً ، قال : هم جاهلى قديم ، ومخضرم ، وإسلامى ، ومحدث . قال : ثم صار المحدثون طبقات أولى وثانية على التدريج هكذا فى الهبوط إلى وقتنا هذا .

وجعل الطبقات بعضهم ستاً ، وقال : الرابعة المولَّدون وهم من بعدهم كأبى الطيب المتنبى .

والجيد هو الأول ، إذ ما بعد المتقدمين لايجوز الاستدلال بكلامهم ، فهم طبقة واحدة ، ولا فائدة فى تقسيمهم .

---

(١) الاقتراح فى أصول علم النحو وجدله . ذكر فى مقدمته أنه اختزل فيه من تضاعيف خصائص ابن جنى ما يتعلق بهذا الفن ، وأنه أول مقيم لهذا العلم . وقد طبع هذا الكتاب مرتين فى حيدر آباد .

(٢) فى الاقتراح ٢٦ : « بقول حبيب بن أوس » . وبين هذا الكلام وتاليه فيه : « ثم قال : وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره فى اللغة . فهو من علماء العربية ، فاجعل ما أقوله بمنزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقتنعون بذلك لتوثقهم بروايته وإتقانه » .

(٣) فى الأغانى ٤ : ١٠٤ : « كان الأصمعى يقول : ختم الشعراء بابن هرمة ، وحكم الخضرى ، وابن ميادة ، وطفيل الكنانى ، ودكين العذرى » .

(٤) العمدة ١ : ٧٢ .

وأما قائل الثانى[١] فهو إما ربنا تبارك وتعالى، فكلامه — عز اسمه — أفصح كلام وأبلغه، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه، كما بينه ابن جِنّى فى أول كتابه (المحتسب) وأجاد القول فيه؛ وإما بعض إحدى الطبقات الثلاث الأول من طبقات الشعراء التى قدمناها.

وأما الاستدلال بحديث النبي صلى الله عليه وسلم فقد جوّزه ابن مالك وتبعه الشارح المحقق فى ذلك، وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت رضى الله عنهم. وقد منعه ابن الضائع وأبو حيان، وسندهما أمران:

أحدهما أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما رويت بالمعنى[٢].

وثانيهما أن أئمة النحو المتقدمين من المصرَين لم يحتجوا بشىء منه.

ورُدّ الأول — على تقدير تسليمه — بأنّ النقل بالمعنى إنما كان فى الصّدر الأول قبل تدوينه فى الكتب، وقبل فساد اللغة، وغايته تبديلُ لفظٍ بلفظٍ يصحُّ الاحتجاج به، فلا فرق. على أنّ اليقينَ غير شرط، بل الظن كاف.

وردّ الثانى بأنه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدمُ صحة الاستدلال به، والصواب جوازُ الاحتجاج بالحديث للنحوىّ فى ضبط ألفاظه. ويُلحق به

(١) أى النوع الثانى من الكلام، وهو ما كان غير شعر.

(٢) قال الميمنى: «النقل بالمعنى شىء ليس بمقصور على الأحاديث فحسب، بل إن تعدد الروايات فى بيت واحد من هذا القبيل. والقول بأن منشأه تعدد القبائل ليس مما يتمشى فى كل موضوع. على إن إثبات ذلك فى كل بيت دونه خرط القتاد. زد إلى ذلك ما طرأ على الشعر من التصحيف والوضع والاختلاق، من مثل ابن دأب، وابن الأحمر، والكلبى، وأضرابهم. ورواة الشعر أيضاً فيهم من الأعاجم والشعوبية أمم. على أن المسلمين فى القرون الأولى كانوا أحرص على إتقان الحديث من حفظ الشعر والتثبت فى روايته. وقد قيض الله لأحاديث رسوله، من الجهابذة النقاد، من نفى عنه ما كان فيه من شبهه الوضع والانتحال. وهذا حرم الشعر مثله».

ما روى عن الصحابة وأهل البيت ، كما صنع الشارح المحقق .

وإن شئت تفصيل ماقيل في المنع والجواز، فاستمع لما ألقيه بإطناب دون إيجاز:

قال أبو الحسن بن الضائع في شرح الجُمَل : « تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندى فى ترك الأئمة — كسيبويه وغيره — الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث ، واعتمدوا فى ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى فى الحديث لكان الأولى فى إثبات فصيح اللغة كلامُ النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه أفصح العرب . قال : وابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً ، فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروىّ فحسن ، وإن كان يرى أن من قَبْله أغفل شيئاً وجب عليه استدراكه فليس كما رأى » اهـ .

وقال أبو حيان فى شرح التسهيل [١]: قد أكثر المصنف [٢] من الاستدلال بما وقع فى الأحاديث على إثبات القواعد الكلية فى لسان العرب . وما رأيتُ أحداً من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره . على أن الواضعين الأولين لعلم النحو، المستقرئين للأحكام من لسان العرب — كأبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين ، والكسائى والفراء وعلى بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين — لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين ، وغيرُهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس . وقد جرى الكلام فى ذلك مع بعض المتأخرين الأذكياء فقال : إنما ترك [٣] العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول

(١) نقل السيوطى فى الاقتراح ١٧ قول أبى حيان هذا .

(٢) فى الاقتراح : « هذا المصنف » .

(٣) ط : « ذكر » صوابه فى سه والاقتراح .

صلى الله عليه وسلم ، إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم فى إثبات القواعد الكلية . وإنما كان ذلك لأمرين : أحدهما أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى ، فتجد قصة واحدةً قد جرت فى زمانه صلى الله عليه وسلم لم تُقَل بتلك الألفاظ جميعها : نحو ما روى من قوله : « زوَّجتكها بما معك من القرآن » « ملَّكتكها بما معك من القرآن »، « خُذها بما معك من القرآن »، وغير ذلك من الألفاظ الواردة ، فتعلم يقيناً أنه صلى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ ، بل لا يُجزم بأنه قال بعضها إذ يحتمل أنه قال لفظاً مرادفاً لهذه الألفاظ [غيرها[1]] ، فأتت الرواة بالمرادف ولم تأت بلفظه ، إذ المعنى هو المطلوب ، ولا سيما [مع[2]] تقادم السماع ، وعدم ضبطها[3] بالكتابة ، والاتكال على الحفظ . والضابط منهم من ضبط المعنى ، وأما من ضبط اللفظ فبعيدٌ جداً لا سيما فى الأحاديث الطوال . وقد قال سفيان الثورى : « إنْ قلت لكم إنى أحدثكم كما سمعت فلا تصدّقونى ، إنما هو المعنى » . ومن نظر فى الحديث أدنى نظرٍ علم العلم اليقينَ أنهم يروون بالمعنى . الأمر الثانى : أنه وقع اللحن كثيراً فيما روى من الحديث ، لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ، ويتعلّمون لسان العرب بصناعة النحو ، فوقع اللّحنُ فى كلامهم وهم لا يعلمون ، وقد وقع[4] فى كلامهم وروايتهم غيرُ الفصيح من لسان العرب . ونعلم قطعاً من غير شك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب[5] فلم يكن يتكلّم إلاّ بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها ، وإذا تكلم

---

(١) التكملة من الاقتراح .

(٢) التكملة من سه والاقتراح .

(٣) فى الاقتراح : « عدم ضبطه » .

(٤) ط : « ودخل » وأثبت ما فى سه والاقتراح .

(٥) هذه الكلمة من سه فقط . وبدلها فى الاقتراح : « الناس » .

بلغة غير لغته فإنما يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة على طريق الإعجاز ، وتعليم [الله[1]] ذلك له من غير معلم . والمصنف قد أكثر من الاستدلال بما ورد فى الأثر متعقباً بزعمه على النحويين ؛ وما أمعن النظر فى ذلك ، ولا صحب من له التمييز . وقد قال لنا [قاضى القضاة[2]] بدر الدين بن جماعة — وكان ممن أخذ عن ابن مالك — قلت له : يا سيدى ، هذا الحديث رواية الاعاجم ، ووقع فيه من روايتهم ما نعلم أنه ليس من لفظ الرسول . فلم يجب بشىء . قال أبو حيان : وإنما أمعنت الكلام فى هذه المسألة لئلا يقول مبتدئ : ما بال النحويين يستدلون بقول العرب ، وفيهم المسلم والكافر ، ولا يستدلون بما روى فى الحديث بنقل العدول ، كالبخارى ومسلم وأضرابهما ؟ ! فمن طالع ماذكرناه أدرك السبب الذى لأجله لم يستدلّ النحاة بالحديث » اه[3] .

وتوسط الشاطبى فجوّز الاحتجاج بالأحاديث التى اعتُنِىَ بنقل ألفاظها . قال فى شرح الألفية :

« لم نجد أحداً من النحويين استشهد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم، الذين يبولون على أعقابهم، وأشعارِهم التى فيها الفُحش والخنَى ، ويتركون الأحاديثَ الصحيحة ، لأنها تُنقل بالمعنى ، وتختلف رواياتها وألفاظها ، بخلاف كلام العرب وشعرهم ، فإنّ رواته اعتنَوا بألفاظها ، لما ينبنى عليه من النحو ، ولو وقفتَ على اجتهادهم قضيت منه العجب ، وكذا القرآن ووجوه القراءات . وأما الحديث فعلى قسمين : قسم يعتنى ناقله بمعناه دون لفظه ، فهذا لم يقع به استشهادُ أهل اللسان . وقسم

(١) التكملة من سه والاقتراح .
(٢) التكملة من الاقتراح .
(٣) فى الاقتراح للسيوطى : « انتهى كلام ابى حيان بلفظه » .

عُرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصود خاص ؛ كالأحاديث التى قصد بها بيان فصاحته صلى الله عليه وسلم ، ككتابه لهمدان ، وكتابه لوائل بن حُجر ، والأمثال النبوية ؛ فهذا يصح الاستشهاد به فى العربية . وابن مالك لم يفصّل هذا التفصيلَ الضرورى الذى لابد منه ، وبنى الكلام على الحديث مطلقاً ؛ ولا أعرف له سلفاً إلا ابنَ خروف ؛ فإنه أتى بأحاديثَ فى بعض المسائل حتى قال ابن الضائع : لاأعرف هل يأتى بها مستدلا بها ، أم هى لمجرد التمثيل ؟ والحق أنّ ابن مالك غير مصيب فى هذا ، فكأنه بناه على امتناع نقل الحديث بالمعنى ، وهو قول ضعيف » اهـ .

وقد تبعه السُّيوطى فى الاقتراح[1] . قال فيه : « وأما كلامه صلى الله عليه وسلم فيُستدل منه بما أُثبت أنه قاله على اللفظ المرويّ ، وذلك نادرٌ جداً ، إنما يوجد فى الأحاديث القصار على قلّة أيضاً ، فإنّ غالب الأحاديث مرويّ بالمعنى ، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها ، فرووها بما أدّت إليه عباراتهم ، فزادوا ونقصوا ، وقدّموا وأخّروا ، وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ ؛ ولهذا ترى الحديث الواحد مروياً على أوجه شتى بعبارات مختلفة ، ومن ثَم أنكرَ على ابن مالك إثباته القواعد النحويةَ بالألفاظ الواردة فى الحديث » .

ثم نقل كلام ابن الضائع وأبى حيان وقال : ومما يدل على صحة ماذهبا إليه، أن ابن مالك استشهد على لغة أكلونى البراغيث بحديث الصحيحين : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » . وأكثرَ من ذلك ، حتى صار يسميها لغة يتعاقبون . وقد استشهد به السهيلى ، ثم قال : لكنى أنا أقول : إن الواو

(١) الاقتراح ص ١٦ .

فيه علامة إضمار ، لأنه حديث مختصر . رواه البزار مطولا [١] . فقال فيه : « إنّ لله تعالى ملائكةً يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار [٢] » . وقال ابن الانبارى – فى الإنصاف – فى منع « أنْ » فى خبر كاد . وأما حديثُ « كاد الفقر أن يكون كفراً » فإنّه من تغيير الرواة ، لأنه صلى الله عليه وسلم أفصح من نَطق بالضاد » اه .

وقد ردّ هذا المذهب الذى ذهبوا إليه البدر الدمامينى فى شرح التسهيل، ولله درُّه ! فإنه قد أجاد فى الرد ، قال :

« وقد أكثر المصنف من الاستدلال بالأحاديث النبوية ، وشنّع أبو حيان عليه وقال : إن ما استند إليه من ذلك لايتم له ، لتطرّق احتمال الرواية بالمعنى، فلا يوثق بأن ذلك المحتجَّ به لفظه عليه الصلاة والسلام حتّى تقوم به الحجة . وقد أجريت ذلك لبعض مشايخنا فصوّب رأى ابن مالك فيما فعله، بناء على أن اليقين ليس بمطلوب فى هذا الباب ، وإنما المطلوب غلبة الظن الذى هو مناطُ الأحكام الشرعية ، وكذا مايتوقّف عليه من نقل مفردات الألفاظ وقوانين الإعراب ، فالظن فى ذلك كلِّه كاف . ولا يخفى أنه يغلب على الظن أن ذلك المنقول المحتج به لم يبدَّل ، لأن الأصل عدم التبديل، لاسيما والتشديد فى الضبط، والتحرى فى نقل الأحاديث ، شائع بين النَّقلة والمحدّثين . ومن يقول منهم بجواز النقل بالمعنى فإنما هو عنده بمعنى التجويز العقلى الذى لا ينافى وقوع نقيضه ، فلذلك تراهم يتحرّون فى الضبط ويتشددون ، مع قولهم بجواز النقل

(١) فى الاقتراح وشرح الأشمونى للألفية : « مطولا مجردا » ، أى مجرداً من علامه الجمع الموجودة مع الاسم الظاهر لعدم إسناده فى تلك الرواية التالية إلى الظاهر ، بل إلى الضمير .

(٢) قال الأشمونى بعده : « وحكى بعض النحويين أنها لغه طيْ ، وبعضهم أنها لغه أزدشنوءة » .

بالمعنى ، فيغلب على الظن من هذا كله أنها لم تبدّل، ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحاً ، فيلغى ولا يقدح في صحة الاستدلال بها . ثم إنّ الخلاف في جواز النقل بالمعنى إنما هو فيما لم يدوّن ولا كتب ، وأما مادوّن وحصّل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل ألفاظه من غير خلاف بينهم . قال ابن الصلاح بعد أن ذكر اختلافهم في نقل الحديث بالمعنى : إنّ هذا الخلاف لانراه جارياً ولا أجراه الناس ـ فيما نعلم ـ فيما تضمنته بطون الكتب ، فليس لأحد أن يغير لفظ شيء من كتاب مصنّف ويثبت فيه لفظاً آخر اه . وتدوين الأحاديث والأخبار بل وكثير من المرويات ، وقع في الصّدر الأول قبل فساد اللغة العربية ، حين كان كلام أولئك المبدّلين على تقدير تبديلهم يسوغُ الاحتجاج به ، وغايته يومئذ تبديل لفظ بلفظ[1] يصح الاحتجاج به ، فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال ، ثم دُوِّن ذلك المبدل ـ على تقدير التبديل ـ ومنع من تغييره ونقله بالمعنى ، كما قال ابن الصلاح ، فبقي حجّةً في بابه . ولا يضر توهم ذلك السابق في شيء من استدلالهم المتأخر ، والله أعلم بالصواب » . اه كلام الدماميني .

وعلم مما ذكرنا ـ من تبيين الطبقات التي يصحُّ الاحتجاج بكلامها ـ أنه لايجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يُعرف قائله ، صرح بذلك ابن الأنباري في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف ، وعلة ذلك مخافة أن يكون ذلك الكلام مصنوعاً ، أو لمولّد ، أو لمن لا يوثق بكلامه . ٧

ولهذا اجتهدنا في تخريج أبيات الشرح ، وفحصنا عن قائليها ، حتى عزونا كل بيت إلى قائله ـ إن أمكننا ذلك ـ ونسبناه إلى قبيلته أو فصيلته ، وميّزنا

(١) هذه الكلمة ساقطة من ـه .

الإسلامىّ عن الجاهلى ، والصحابىُّ عن التابعىّ ، وهلم جرّا ، وضممنا إلى البيت ما يتوقف عليه معناه ؛ وإن كان من قطعةٍ نادرة أو قصيدة عزيزة ، أوردناها كاملة ، وشرحنا غريبها ومشكلها ، وأوردنا سببها ومنشأها ؛ كلُّ ذلك بالضبط والتقييد ، ليعمّ النفع ، ويؤمن التحريف والتصحيف ، وليوثق بالشاهد لمعرفة قائله ، ويدفع احتمال ضعفه .

قال ابن النحاس فى التعليقة : « أجاز الكوفيون إظهار (أنْ) بعد كى واستشهدوا بقول الشاعر[1] :

أردتُ لكيما أن تطيرَ بِقِربَتى فتتركها شَنًّا ببيداء بلقعِ[2]

قال : والجواب أن هذا البيت لا يعرف قائله ، ولو عرف لجاز أن يكون [من] ضرورة [الشعر] .

وقال أيضاً : ذهب الكوفيون إلى جواز دخول اللام فى خبر لكنّ ، واحتجوا بقوله :

* ولكنّنى من حبها لعميدُ[3] *

والجواب أن هذا البيت لا يعرف قائله ولا أوله ، ولم يذكر منه إلا هذا ، ولم ينشده أحد ممن وثّق فى اللغة ، ولا عُزى إلى مشهور بالضبط والإتقان » اهـ .

ويؤخذ من هنا أن الشاهد المجهول قائله وتتمته ، إنْ صدَر من ثقة يعتمد عليه قُبل ، وإلا فلا . ولهذا كانت أبيات سيبويه أصحَّ الشواهد ، اعتمد عليها خلفٌ بعد سلف ، مع أن فيها أبياتا عديدة جُهل قائلوها ، وما عيب بها ناقلوها . وقد خرج كتابه إلى الناس والعلماء كثير ، والعناية بالعلم وتهذيبه وكيدة ،

(١) لم يعلم قائله . وانظر الخزانة ٣ : ٥٨٥ والعينى ٤ : ٤٠٥ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ١٧٣ .

(٢) الشن : القربة الخلق .

(٣) الخزانة ٤ : ٣٤٣ والعينى ٢ : ٢٤٧ والأشمونى ١ : ٢٨٠ .

ونُظر فيه وفتّش ، فما طعن أحد من المتقدمين عليه ولا ادّعى أنه أتى بشعر منكر . وقد روى فى كتابه قطعة من اللغة غريبة لم يدرك أهل اللغة معرفةَ جميع ما فيها ، ولا ردُّوا حرفا منها .

قال الجرمى : « نظرت فى كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتا ، فأما الألف فقد عَرفت أسماء قائليها فأثبتّها ، وأمّا الخمسون فلم أعرف أسماء قائليها [1] » . فاعترف بعجزه ولم يطعن عليه بشىء .

وقد روى هذا الكلام لأبى عثمان المازنى أيضاً .

ولكون أبياته أصحَّ الشواهد ، التزمنا فى هذا الشرح أن ننصَّ على ماوُجد فيه منها بيتا بيتا ، ونميِّزها عن غيرها ، ليرتفع شأنها ويظهر رجحانها . وربما رُوى البيت الواحد من أبياته أو غيرها على أوجه مختلفة ، ورُبّما لا يكون موضع الشاهد فى بعضها أو جميعها ، ولا ضير فى ذلك ، لأنَّ العرب كان بعضهم ينشد شعره للآخر فيرويه على مقتضى لغته التى فطره الله عليها ، وبسببه تكثر الروايات فى بعض الأبيات ، فلا يوجب ذلك قدحا فيه ولا غضًّا منه . فإذا وقع فى هذا الشرح من ذلك شىء نبهنا عليه .

---

(١) كتب المغفور له أحمد تيمور باشا على هامش الخزانة فى هذا الموضع ما نصه : « ذكر شيخنا العلامة محمد محمود الشنقيطى رحمه الله فى كتابه الحماسة السنية ، أن واحدا منها عرف اسم قائله ، وهو :

* أفبعد كندة تمدحن قبيلا *

قال : وصدره :

* قالت فطيمة حل شعرك مدحه *

وهو لامرئ القيس من قصيدة عدتها ثمانية عشر بيتاً نادرة الوجود ، أوردها كلها فى الحماسة المذكورة » .

قلت : والقصيدة فى ديوانه بتحقيق الأخ محمد أبى الفضل إبراهيم ص ٣٥٨ . و« حل » أريد بها حلِئ . والمحلأ : المطرود عن الماء . وفى أصل الحاشية « جل » بالجيم ، تحريف.

والتزمنا فى شرح هذه الشواهد عدَّها واحدا بعد واحد ، ليسهل موضع الحوالة فيه ، ويزول التعبُ عن متعاطيه .

الأمر الثانى

فى ذكر المواد التى اعتمدنا عليها وانتقينا منها

وهى ضروب وأجناس

فمنها ما يرجع إلى (علم النحو) وهو كتاب س[١] . والأصول لابن السراج . ومعانى القرآن للفرّاء . ومعانى القرآن للزجاج . وتآليف أبى على الفارسى : كالتذكرة القصرية ، والمسائل البغدادية ، والمسائل العسكرية ، والمسائل البصرية ، والمسائل المنثورة ، ونقض الهاذور[٢] على ابن خالويه ، وكتاب الشعر . وتآليف تلميذه ابن جنى : كالخصائص ، والمحتسب ، وشرح تصريف المازنى ، وسر الصناعة ، وإعراب الحماسة ، والمبهج فى شرح أسماء شعرائها[٣] ، وشرح ديوان المتنبى . والإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الانبارى . وتذكرة أبى حيان ، وارتشاف الضرَب له أيضاً . والضرائر الشعرية لابن عصفور . والأمالى لابن الحاجب . والأمالى لابن الشجرى . وشروح الكافية . وشروح التسهيل . ومغنى اللبيب ، وشروحه . وغير ذلك من المتداول .

ومنها ما يرجع إلى (شروح الشواهد) وهو شرح أبيات الكتاب :

---

(١) هذا الحرف رمز إلى أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الملقب بسيبويه المتوفى سنه ١٨٠ .

(٢) انظر ما سيأتى فى ص ٣٥٢ من صفحات الطبعة الأولى من الجزء الأول . والهاذور من الهذر .

(٣) ط : « فى شرح أسمائها » ، والوجه ما أثبت من س . وقد طبع هذا الكتاب فى دمشق سنه ١٣٤٨ بمطبعه الترقى .

لأبى جعفر النحاس ، وللأعلم الشنتمرى ، ولابن خلف ، ولأبى محمد الأعرابى المسمى فُرحة الأديب . وشرح أبيات الجمل لابن السِّيد البطليوسى ، ولابن هشام اللخمى ، ولغيرهما . وشرح أبيات المفصّل لابن المستوفى الإربلىّ ، ولبعض علماء العجم المسمى بالتخمير[1] . وشرح أبيات شروح ألفية ابن مالك للعينى ، وشرح أبيات ابن الناظم لابن هشام الأنصارى ، ولم يكمل . وشرح أبيات الكشّاف للحموى . وشرح أبيات التفسيرين لخضر الموصلى[2] . وشرح أبيات الإيضاح والمفتاح فى علم المعانى . وشرح أبيات التلخيص للعباسى . وشرح أبيات إصلاح المنطق ليوسف بن السيرافى[3] . وشرح أبيات الغريب المصنّف له أيضاً . وشرح أبيات أدب الكاتب للجواليقى ، ولابن السِّيد البطَلْيَوْسى ، وللَّبْلى[4] . وشرح أبيات الآداب المسمى بالعباب وغير ذلك .

---

(١) وقد ورد باسم « التحبير » فى بعض مواضع من الخزانة ، وكذا فى حرف التاء فى كشف الظنون . وأورد صاحب كشف الظنون فى رسم (المفصل) برسم «التخمير» أيضاً للقاسم بن الحسينى المعروف بصدر الأفاضل الخوارزمى المتوفى سنة ٦١٧ وهو أحد شراح سقط الزند لأبى العلاء المعرى ، وقد نشر شرحه فيما قامت به لجنة أحياء آثار أبى العلاء . وصواب عنوان الكتاب « التجمير » كما ورد فى ترجمته من معجم الأدباء لياقوت ١٦ : ٢٥٣ . قال : « وله من التصانيف : كتاب المجمرة فى شرح المفصل ، صغير . وكتاب السبيكة ، فى شرحه أيضا ، وسط . وكتاب التجمير ، فى شرح المفصل أيضا ، بسيط» . والمراد بالبسيط الكبير . وهو فى ثلاثة مجلدات كما ذكر صاحب كشف الظنون .

(٢) قال الميمنى : « يوجد منه نسخة بحيدر أباد ، وأخرى ببانكى بور ، واسمه : الإسعاف بشرح شواهد القاضى والكشاف . وخضر هذا ترجم له الخفاجى فى الريحانة ص ١٠٦ سنة ١٣٠٦ هـ » .

(٣) السيرافى المشهور هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان النحوى القاضى شارح كتاب سيبويه سنة ٣٦٨ . وابنه هو أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله ، شارح أبيات الكتاب المتوفى سنة ٣٨٥ .

(٤) نسبة إلى لبلة ، كتمرة ، وهى مدينة الحمراء الأندلسية . واسمه أحمد بن يوسف ابن على بن يوسف الفهرى . توفى سنة ٦٩١ . بغية الوعاة ١٧٦ وصفه جزيرة الأندلس للحميرى ١٦٨ .

ومنها ما يرجع إلى (تفسير أبيات المعانى المشكلة)، وهو أبيات المعانى للأخفش المجاشعى ؛ وأبيات المعانى للأشناندانى[١] بخط ابن جنى وعليها أجازة أبى على له . وأبيات المعانى لابن السكيت . وأبيات المعانى لابن قتيبة[٢] فى مجلدين ضخمين . وأبيات المعانى لابن السِّيد البطليوسى وغير ذلك .

ومنها ما يرجع إلى (دفاتر أشعار العرب) وهو قسمان : دواوين ومجاميع (فالأول) : ديوان امرئ القيس الكندى ، وديوان الأعشى ميمون ، وديوان علقمة الفحل ، وديوان ابن حِلِّزة ، وديوان أبى دُواد الإيادى ، وديوان طَرَفة ابن العبد ، وديوان عمرو بن قَميئة ، وديوان طُفيل الغنَوى ، وديوان عامر ابن الطفيل ، وديوان بشر بن أبى خازم ، وديوان أوس بن حَجر ، وديوان أعشى باهلة ، وديوان عوف بن عطية بن الخَرِع ، وديوان مَطير بن الأشيم ، وديوان الحادرة ، وديوان المثقِّب العبدى ، وديوان لقيط بن يعمُر الإيادى ، وديوان نابغة بنى شيبان ، وديوان النابغة الذبيانى ، وديوان زهير بن أبى سُلمىٰ ، وديوان أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم . (ومن شعر الصحابة) : ديوان حسان بن ثابت ، وديوان لبيد بن ربيعة العامرى ، وديوان كعب بن زهير ، وديوان حُميد بن ثور ، وديوان أبى محجن الثقَفى ، وديوان النمر بن تولب ، وديوان عمرو بن معد يكرب ، وديوان خُفاف بن ندبة ، وديوان الخنساء أخت صخر ، وغير ذلك . (ومن شعر الإسلاميين) : ديوان رافع بن هُريم اليربوعى ، وديوان القَطامى ، وديوان جِران العَود ، وديوان محمد بن

---

(١) طبع فى دمشق سنة ١٣٤٠ باسم معانى الشعر لأبى عثمان سعيد بن هارون الأشناندانى ، برواية ابن دريد . وانظر الفهرست لابن النديم ١٢٣ وكشف الظنون فى رسم (معانى) . ولا عبرة بما ورد فى الفهرست ٨٩ من تكرار اسم الكتاب بلفظين.

(٢) طبع فى حيدر أباد سنة ١٣٦٨ باسم كتاب المعانى الكبير عن نسخة وحيدة فى خزانة أيا صوفيا .

١٠ بشير الخارجى[١] ، وديوان ابن همام السلولى[٢] ، وديوان الشماخ ، وديوان عَدى بن الرِّقاع ، وديوان عُروة بن حزام العُذرى ، وديوان عبيد الله الهذَلى[٣] ، وديوان أبى دَهْبَل الجمحىّ ، وديوان الحطيئة ، وديوان عمرو بن الأهتم المِنقرى ، وديوان ابن قيس الرُّقَيَّات ، وديوان الفرزدق ، وديوان جرير ، وديوان الأخطل النصرانى ، وديوان ذى الرُّمَّة ، وديوان جَميل العذرى ، وديوان المغيرة بن حبناء ، وديوان رجز رؤبة بن العجاج ، وديوان رجز الزَّفَيان السعدى ، وديوان رجز أبى الأخزر الحِمَّانى وغير ذلك . (ومن دوَاوين المولَّدين والمحدَثِينَ) ديوان مسلم بن الوليد ، وديوان ابن الوكيع ، وديوان العباس بن الأحنف ، وديوان على بن جَبَلة الطوسى ، وديوان أبى نواس وديوان ابن المعتز ، وديوان ابن الرومى ، وديوان أبى تمام الطائى ، وديوان الشريف المرتَضى[٤] ، وديوان المتنبى ، وديوان أبى فراس الحمدانى . وغير ذلك . (والمجاميع) منها أشعار بنى محارب للشيبانى . والمفضليات للمفضل الضبّى . وأشعار الهُذَليين للسكرى وشرحها له ، وللإمام المرزوقى . وأشعار لصوص العرب للسكّرى أيضاً . والنقائض لابن حبيب[٥] . ومختار شعر الشعراء الستة : امرىء القيس والنابغة وعَلقمة وزهير وطَرَفة وعنترة ، وشرحها

(١) نسبة إلى بنى خارجة بن عدوان . الاشتقاق ٢٦٧ بتحقيقنا . وترجمته فى الأغانى ١٤ : ١٤٢ .

(٢) هو عبد الله بن همام .

(٣) كذا فى النسختين . ويقال له أيضا « عبد الله » ، وهو عبد الله بن مسلم ابن جندب الهذلى . وشعره فى بقية أشعار الهذليين المطبوع فى برلين ١٨٨٤ ص ٧٣-٧٥ وانظره باسم « عبد الله » أيضا فى الأغانى ١ : ١٥٣ / ٤ : ٥٤ / ٥ : ١٣٨ / ٦ : ٧ / ٨ : ١٢٥ / ١٥ : ٦٥ وباسم « عبيد الله » فى الأمالى ٣ : ٨٧ .

(٤) طبع أخيرا فى سنة ١٩٥٨ بمطبعة الحلبي بتحقيق الأديب العراقى رشيد الصفار .

(٥) ط : « لأبى حبيب » ، صوابه فى ش وهو محمد بن حبيب ، وحبيب اسم امه لا يصرف . وقد طبعت النقائض فى ليدن بتحقيق المستشرق بيفان ، برواية محمد بن حبيب عن أبى عبيدة .

للأعلم الشنتمرى . وأشعار تغلب لأبى عمرو الشيبانى . ومختار شعراء القبائل[١] لأبى تمام ، والحماسة أيضاً وشرحها النمرى وأبى محمد الأعرابى وللإمام المرزوقى[٢] ، وللخطيب التبريزى ، ولأبى الفضل الطَّبرسى . والحماسة البصرية ، وحماسة الشريف الحَسنىّ[٣] ، وحماسة الأعلم الشنتمرى ، وأشعار النساء للمرْزُبانى . وشروح المعلقات لابن النحاس ، وللزَّوزنى ، وللخطيب التبّريزى . وجمهرة أشعار العرب . ومنتهى الطلب من أشعار العرب : فيه أكثر من ألف قصيدة . واليتيمة للثعالبى . وكتاب المُغْربين ، وكتاب النساء الفوارك ، وكتاب النساء النواشز ، والثلاثة للمدائنى[٤] . والمجتنى لابن دُرَيد[٥] . وشروح لامية العرب : للخطيب التبريزى ، وللزمخشرى ، ولغيرهما . وشرح بانت سعاد لابن الأنبارى ، ولأبى العباس الأحول ، ولابن خالويه ، ولابن هشام الأنصارى[٦] ، ولابن كُتَيلة البغدادى[٧] . وشرح البردة لابن مرزوق[٨]

(١) ويسمى أيضا « أشعار القبائل » .

(٢) طبع هذا الشرح بتحقيقنا فى سنة ١٣٧٢ .

(٣) فى النسختين : « الحسينى » تحريف . وهو هبة الله بن على بن محمد بن حمزة ابن على بن عبيد الله بن حمزة بن محمد بن عبيد الله بن على بن عبيد الله بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، المعروف بابن الشجرى ، المتوفى سنة ٥٤٢ . وقد طبعت حماسته فى حيدر أباد سنة ١٣٤٥ . انظر ترجمته فى نزهة الألباء والبغية والوفيات ، والمستفاد لابن الدمياطى نسخة دار الكتب برقم ٢٩٦ .

(٤) ولأبى عبيدة أيضا كتاب النواشز ، ومنه نص فى اللآلىء لأبى عبيد البكرى ٢٩ .

(٥) فى النسختين : « المجتبى » صوابه بالنون ، وقد طبع الكتاب بحيدر أباد سنة ١٣٤٢ . وقال ابن دريد فى مقدمته : « سميناه كتاب المجتنى لاجتنائنا فيه طرائف الآثار كما نجتنى أطايب الثمار » .

(٦) ولعبد القادر البغدادى حاشية على شرح ابن هشام ، كما فى كشف الظنون ٢ : ٢٢٤ .

(٧) هو أحمد بن محمد بن الحداد البجلى البغدادى . ألف شرحه فى بغداد سنة ٧٢٤ كما نص عبد القادر البغدادى فى الخزانة ٤ : ٨ وذكر أن حجم هذا الشرح فى حجم شرح ابن هشام ، وأن عصرى تأليفهما متقاربان .

(٨) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمسانى المتوفى سنة ٧٨١ . ط : « للمرزوقى » صوابه فى سه .
ولاريب أن وفاة المرزوقى سنة ٤٢١ سابقة على مولد البوصيرى محمد بن سعيد سنة ٦٠٨ .

وغير ذلك . (ومن المجاميع) : النوادر والأمالى . أما النوادر فهى نوادر أبى زيد الأنصارى وشرحها لأبى الحسن الأخفش ولغيره . ونوادر ابن الأعرابى . ونوادر أبى على القالى ، وشرحها لأبى عبيد البكرى . وأما الأمالى فهى أمالى ثعلب ، وأمالى الزجّاجى الصغرى والكبرى ، وأمالى أبى على القالى ، وشرحها لأبى عبيد البكرى [١] ، وذيل أمالى القالى للقالى أيضاً ، وصلة الأمالى له أيضاً ؛ وأمالى الصُّولى ، وأمالى السيد المرتضى المسماة بالغرر والدرر ، فى مجلدين ضخمين . وأمالى شيخنا الشهاب الخفاجى .

ومنها ما يرجع إلى فن الأدب وهى : البيان للجاحظ ، والمحاسن والأضداد له أيضاً ، وكتاب الشعر والشعراء له أيضاً [٢] . والكامل للمبرد ، وشرحه لابن السِّيد البَطْليوسى ، ولأبى الوليد الوَقَّشىّ [٣] ، ولغيرهما . والعقد الفريد لابن عبد ربّه . وزهر الآداب للحُصْرى ، وجواهر النكت والملح له أيضاً [٤] . ١١
وديوان المعانى لأبى هلال العسكرى . والأغانى للأصفهانى فى عشرين مجلداً . والعمدة لابن رشيق ، فى مجلدين . والمثل السائر لابن الأثير . وتحرير التحبير لابن أبى الإصبَع . ومساوى الخمر لابن الحباب السعدى . والأوائل لابن هبة الله الموصلى فى مجلدين . ومدرج البلاغة لابن فضالة المجاشعى [٥] . ونقد الشِّعر [٦]

(١) فصل بين النوادر والأمالى للقالى ، وهما شىء واحد ، وذلك ليجعل جزءاً من الكتاب مع كتب النوادر ، وجزءاً آخر منه مع كتب الأمالى ، وقد نشر شرح البكرى للأمالى بتحقيق الأستاذ الميمنى سنة ١٣٥٤ .

(٢) لم يذكر فى الخزانة إلا فى هذا الموضع .

(٣) بتشديد القاف : نسبة إلى مدينة وقش ، من أعمال طليطلة . وهو أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام المتوفى سنة ٤٨٨ . معجم البلدان والروض المعطار ١٩٦ .

(٤) طبع باسم «جمع الجواهر فى الملح والنوادر» سنة ١٣٥٣ بالمطبعة الرحمانية .

(٥) كتب الميمنى : « ابن فضالة غلط ، صوابه ابن فضال ، كشداد . ترجم له فى معجم الأدباء ٥ : ٢٨٩ — ٢٩٥ » .

(٦) فى النسختين : « نقد الشعراء » تحريف ، وإن كان قد صحح فى سه «الشعر». ونسبة هذا الكتاب إلى قدامة موضع تحقيق .

لقُدامة الكاتب ، وشرحه لعبد اللطيف البغدادي . وسفر السعادة للسخاوى .

ومنها ما يرجع إلى كتب السير وكتب الصحابة وأنساب العرب وهو : سيرة ابن هشام وشرحه : الروض الأنُف للسهيلى . وسيرة الكَلاَعى . وسيرة ابن سيِّد الناس[١] . وسيرة الشامى . والاستيعاب لابن عبد البر . والإصابة لابن حجر . وجمهرة الأنساب لابن الكلبى ، ومختصرها لياقوت الحموى . وأنساب قريش ، للزُّبير بن بكَّار[٢] . ومقدمة الاستيعاب لابن عبد البَرّ . والمعارف لابن قتيبة . وتنكيس الأصنام لابن الكلبى[٣] .

ومنها ما يرجع إلى طبقات الشعراء وغيرهم وهو : كتاب الشعراء لابن قتيبة . والمؤتلف والمختلف للآمدى . والموشَّح لأبى عبيد الله المرزُبانى[٤] . وكتاب المعمَّرين لأبى حاتم السجستانى . وكتاب المقتولين غِيلة لابن حبيب[٥] ، وكتاب من نسب إلى أمه من الشعراء له أيضاً[٦] . وكتاب المنسوبين إلى أمهاتهم للحلوانى بخطه . وطبقات النحويِّين للتاريخى[٧] . وطبقاتهم أيضاً لأبى عبد الله اليمنى . ومعجم الأدباء لياقوت الحموى ، فى عدة مجلدات .

---

(١) طبعت باسم « عيون الأثر ، فى فنون المغازى والشمائل والسير » سنة ١٣٥٦ نشر مكتبة القدسى .

(٢) طبعت منه قطعة باسم « جمهرة نسب قريش وأخبارها » تبدأ بالجزء الثالث عشر وهو أول القسم الثانى بتحقيق محمود محمد شاكر بمطبعة المدنى سنة ١٣٨١ .

(٣) هو المعروف بكتاب الأصنام ، نشره المغفور له أحمد زكى باشا سنة ١٣٣٢ .

(٤) ط : « لأبى عبد الله » ، صوابه فى ســ . وهو أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (٢٩٦ — ٣٨٤) . وليس الموشح فى طبقات الشعراء ، وإنما هو فى نقد الشعراء وإن كان مظهره مظهر الطبقات .

(٥) انظر تحقيق تسميته فى صدر نشرى له فى المجلد الثانى من نوادر المخطوطات ص ١٠٦ — ١٠٨ .

(٦) قمت بنشره مرتين : إحداها فى مجلة المقتطف جزء مايو سنة ١٩٤٥ والأخرى فى المجلد الأول من نوادر المخطوطات ص ٨١ — ٩٦ .

(٧) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن السراج كما سيأتى فى ص ١١٥ من أرقام طبعة بولاق .

ومنها ما يرجع إلى كتب اللغة وهو : الجمهرة لابن دريد . والصحاح للجوهري . والعباب للصاغاني[١] . والقاموس لمجد الدين . واليواقيت لأبي عُمَر المطرِّزي[٢] . وكتاب ليس لابن خالويه . والنهاية لابن الأثير . والزاهر لابن الأنباري . والمصباح لخطيب الدهشة[٣] . والتقريب في علم الغريب لولده[٤] . وكتاب النبات في مجلدات كبار ستة لأبي حنيفة الدِّينَوَرى . وإصلاح المنطق لابن السِّكِّيت ، وشرحه لِلَّبْلي ، ومختصره للخطيب التبريزى . وكتاب الألفاظ لابن السكيت . وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وشرحه للجواليقي ، ولابن السيد البطْلَيوسي ، وللزَّجاجي ، وللَّبْلي ، ولابن بَرِّيّ . والفصيح لثعلب ، وشروحه لابن درستويه ، وللهرويّ ، وللمرزوقي ، ولِلَّبْلي ، ولابن هشام اللخمي ، ولغيرهم . وذيل الفصيح لعبد اللطيف البغدادي. وكتاب الأضداد لابن السكيت ، ولعبد الواحد اللغوي ، ولغيره . وكتاب الفروق لأبي هلال العسكري . وكتاب البيضة والدرع لأبي عبيدة . وخَلْق

---

(١) نسبة إلى صغانيان . والصغاني نسبة أخرى إليها . وبها ينعت صاحب العباب أحياناً .

(٢) في النسختين : « لأبي عمرو المطرزي » وإن كان قارئٌ نسخة ش قد محا الواو من « عمرو » . وهو أبو عمر الزاهد غلام ثعلب ، واسمه محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم . والمطرز الذي يقوم بتطريز الثياب ، وتلك كانت صناعته . وفي النسختين « المطرزي » ، تحريف .

والمعروف بالنسبة الأخيرة أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي المطرزي الخوارزمي صاحب المغرب في غريب ألفاظ فقه الحنفية . توفي سنة ٦١٠ .

(٣) هو أحمد بن محمد بن علي الفيومي . وكان يعرف بخطيب جامع الدهشة . توفي سنة ٧٨٠ . الدرر الكامنة ١ : ٣١٤ وبغية الوعاة ١٧٠ .

(٤) هو نور الدين محمود بن أحمد الفيومي المتوفى سنة ٨٣٤ . وكتابه في غريب الموطأ والصحيحين . كشف الظنون ١ : ٣١٨ .

الإنسان للزجاج . والمعرّبات[١] للجواليقي . والمثلّثات لابن السِّيد البَطَليوسي وكتاب التفسُّح في اللغة[٢] لأبي الحسين النحوي . والمرصَّع لابن الأثير . والمزهر للجلال السيوطي . وكتاب القلب والإدغام لابن السكيت[٣] وكتاب المذكر والمؤنث له أيضاً ولغيره . وكتاب الأيام والليالي للفرّاء[٤] . وكتاب اليوم والليلة والشهر والسنة والدهر لأبي عُمر المطرّز[٥] . وكتاب الأنواء وأسماء الشهور للزجاج . والأنواء لأبي العلاء المعري[٦] وغيره . والمقصور والممدود لابن الأنباري ، وللقالي ، ولابن ولاّد ، ولغيرهم ، وغير ذلك .

ومنها ما يتعلق بأغلاط اللغويين وهو : التنبيهات على أغلاط الرواة[٧]

٢١ لعلي ابن حمزة البصري وفيه : أغلاط نوادر أبي زياد الكلابي ، وأغلاط نوادر أبي عمرو الشيباني ، وأغلاط النبات لأبي حنيفة الدِّينَوَري ، وأغلاط الغريب المصنّف لأبي عبيد ، وأغلاط إصلاح المنطق لابن السكيت ، وأغلاط الجمهرة لابن دريد ، وأغلاط المجاز لأبي عبيدة[٨] ، وأغلاط الفصيح لثعلب ،

---

(١) طبع باسم « المعرب » مرتين : إحداهما في ليبسك سنة ١٨٦٧ م والأخرى في دار الكتب المصرية بتحقيق المغفور له الشيخ أحمد شاكر سنة ١٣٦١ هـ .

(٢) يبدو أنه من كتب المجاز اللغوي ، كما يظهر من نصوصه المقتبسة في ٢ : ٤٥٣/٤ : ١٦٤ ، ٤٢٠ من أرقام طبعة بولاق . وقد ورد في الموضع الأخير باسم « تفسيح اللغة » .

(٣) كذا في النسختين . وصوابه « القلب والإبدال » . وقد طبع في بيروت في مجموعة الكنز اللغوي سنة ١٩٠٣ .

(٤) طبع في مصر بتحقيق الأستاذ الأبياري .

(٥) في ط : « لأبي عمرو » وفي ش . « لأبي عمر » مع أثر تصحيح ، وهو الصواب انظر ما سبق من التحقيق في ص ٢٧ . وفي نسختين : « المطرزي » تحريف . وانظر كشف الظنون في رسم « كتاب » .

(٦) لم نجد من ذكره في مؤلفات أبي العلاء . وانظر تعريف القدماء بأبي العلاء المعري . ولم يذكر البغدادي منه نصاً واحداً في الخزانة .

(٧) صوابه « أغاليط الرواة » كما هو في سائر المواضع التي وردت نصوص منه فيها من الخزانة . ومنه نسخ في دار الكتب المصرية بالأرقام ٢٠٠٢،٥٠٠٢،٢٢٠٠٢ – ٣ لغة .

(٨) في ط : « لأبي عبيد » ، تحريف صوابه في ش . وكتاب المجاز طبع في القاهرة سنة ١٣٧٤ بتحقيق محمد فؤاد سزكين .

وأغلاط الكامل للمبرد، وغير ذلك. وكتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهانى[١]. ولحن العامة للجواليقى[٢] ولأبى بكر الزُّبيدى. وحاشية ابن بَرِّىّ على صحاح الجوهرى. وأغلاط الجوهرى للصلاح الصفدى. ودرة الغَوّاص للحريرى، وشرحها لابن برى، [ولابن ظَفر[٣]]، ولابن الحنبلى، ولشيخنا الشهاب الخفاجى.

ومنها كتب الأمثال وهى: أمثال أبى عبيد القاسم بن سلاّم، وشرحها لتلميذه[٤]. وأمثال أبى فيد: مؤرِّج السَّدوسى. والفاخر للمفضل الضبىّ[٥] والأمثال التى على «أفعَل» لحمزة الأصفهانى. ومجمع الأمثال للمَيدانى. ومستقصى الأمثال للزمخشرى. وغير ذلك.

ومنها كتب الأماكن والبلاد وهى: المعجم فيما استعجم[٦] لأبى عبيد البكرى فى ثلاث مجلدات كبار. ومعجم البلدان لياقوت الحموى فى عشر مجلدات كبار، وغير ذلك مما لو سردته لطال، وأورث السأم والملال.

---

(١) منه نسخة فى المكتبة التيمورية برقم ٨٩٦ أدب.

(٢) طبع بتحقيق عز الدين التنوخى باسم «تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة» فى مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٣٥. ونشرت قبل ذلك فى المجلة الألمانية سنة ١٨٧٥. وهو تكملة لدرة الغواص للحريرى.

(٣) التكملة من ـــ. وهو محمد بن محمد، المعروف بابن ظفر المكى المتوفى سنة ٥٦٨ كما فى كشف الظنون.

(٤) لم يظهر من هو. وفى ترجمته من طبقات الزبيدى ٢٢٠: «قال أبو عبد الرحمن اللحية صاحب أبى عبيد». فلعله هو.

(٥) كذا فى النسختين، وإنما هو المفضل بن سلمة اللغوى الكوفى، وليس بالضبى وأما المفضل الضبي صاحب المفضليات فهو المفضل بن محمد بن يعلى الضبي المتوفى سنة ١٧٨ فيما نرجح، وهو أقدم من المفضل بن سلمة. انظر تحقيق ذلك فى مقدمة المفضليات بشرحنا مع الشيخ أحمد شاكر.

(٦) هو معجم ما استعجم، ولكن وردت تسميته هكذا هنا.

الأمر الثالث

يتعلق بترجمة الشارح المحقق والحبر المدقق ، رحمه الله وتجاوز عنه

ولم أطَّلع على ترجمة له وافية بالمراد ، وقد رأيت فى آخر نسخة قديمة من هذا الشرح ما نصه : « هو المولى الإمام ، العالم العلامة ، ملك العلماء ، صدر الفضلاء ، مفتى الطوائف ، الفقيه المعظم ، نجم الملة والدين ، محمد بن الحسن الأستَرابادى . وقد أملى هذا الشرح بالحضرة الشريفة الغروية[1] فى ربيع الآخر من سنة ثمان وثمانين وستمائة » .

هذا صورة ما رأيته . وهذا التاريخ غير موافق لما أرّخه هو فى آخر شرحه قبل أحكام هاء السكت . قال فيه : « هذا آخر شرح المقدمة ، والحمد لله على إنعامه وإفضاله ، بتوفيق إكماله ، وصلواته على محمد وكرام آله . وقد تم تمامه وختم اختتامه ، فى الحضرة المقدسة الغروية على مشرِّفها أفضل تحية رب العزة وسلامه ، فى شوّال سنة ست وثمانين وستمائة » .

وقد أورده الجلال السيوطىّ فى معجم النحويين[2] ولم يعرف اسمه ، قال : « الرضىّ الإمام المشهور ، صاحب شرح الكافية لابن الحاجب الذى لم يؤلف عليها بل ولا فى غالب كتب النحو مثله جمعاً وتحقيقاً وحسنَ تعليل . وقد أكبّ الناس عليه وتداولوه ، واعتمده شيوخ العصر فمن قبلهم فى مصنفاتهم ودروسهم . وله فيه أبحاث كثيرة واختيارات جمة ومذاهب ينفرد بها . ولقبه نجم الأئمة ، ولم أقف على اسمه ولا على شىء من ترجمته . إلا أنه فرغ من تأليفه هذا الشرح سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، وأخبرنى صاحبنا شمس الدين بن عزم

---

(١) نسبة إلى الغرى ، وهو مشهد الإمام على بن أبى طالب بالنجف .

(٢) هو المعروف ببغية الوعاة انظر منه ص ٢٤٨ .

بمكة أن وفاته سنة أربع وثمانين أو ست وستمائة ، الشك منى . وله شرح على الشافية » .

هذا ما ذكره السيوطى ، والتاريخان غير موافقين لما ذكرناه . وقد ذكر البقاعى (فى مناسبات القرآن) تاريخ هذا الشرح كما نقلنا ، قال : « هو محمد ابن الحسن الأستَرَاباذى العلامة نجم الدين ، وتم شرح الكافية فى سنة ست وثمانين وستمائة . ولم ينقل الشرح من العجم إلى الديار المصرية إلا بعد أبى حيان وابن هشام » اهـ . ١٣

وعلى هذا لا يمكن أن يكون تاريخ وفاته ما ذكره السيوطى ؛ فإنه عاش مدة يحرر شرحه ، ولهذا تختلف نسخه اختلافاً كثيرا ، كما نقله السيد الجرجانى فى إجازته الآتية . وشرحه للشافية متأخر عن شرحه للكافية فلا يصح ذلك التاريخ . وعصره قريب من عصر ابن الحاجب ، فإن وفاة ابن الحاجب كانت فى سنة ست وأربعين وستمائة .

وقد رأيت أن أكتب هنا صورة إجازة الشريف الجرجانى لمن قرأ عليه هذا الشرح ، فإنه بالغ فى تقريظه وأطرى ، ومدح الشارح بما هو اللائق والأحرَى. وهى هذه : « أحمده على جزيل نواله ، وأصلى على نبيه محمد وصحبه وآله . وبعد فإن صناعة الإعراب لا يخفى شأنها ، فى رفعة مكانها ، تجرى من علوم الأدب مجرى الأساس ، وتنزل منها منزلة البرهان من القياس . وبها يتم ارتشاف الضَّرَب ، من تراكيب كلام العرب . بل هى مِرقاة منصوبة إلى علم البيان ، المطلِع على نكت نظم القرآن . وإنّ شرح الكافية ـ للعالم الكامل نجم الأئمة ، وفاضل الأمة ، محمد بن الحسن الرضىّ الأستراباذى ، تغمده الله بغفرانه ، وأسكنه بحبوحة جنانه ـ كتابٌ جليل الخطر ، محمود الأثر ، يحتوى من أُصول هذا الفن

على أمهاتها ، ومن فروعه على نكاتها ، فد جمع بين الدلائل والمبانى وتقريرها ، وبين تكثير المسائل والمعانى وتحريرها ، وبالغ فى توضيح المناسبات ، وتوجيه المباحثات ، حتى فاق ببيانه ، على أقرانه ، وجاء كتابه هذا كعقد نُظم فيه جواهر الحكم ، بزواهر الكلم . لكن وقع فيه تغييرات ، وشىء كثير من المحو والإثبات ، وبدّل بذلك صور نُسخه تبديلا ، بحيث لانجد إلى سيرتها سبيلا . وإنى — مع ما منيت به من الأشغال ، واختلال الحال ، وانتكاس سوق الفضل والكمال ، وانقراض عصر الرجال ، الذين كانوا محط الرحال ، ومنبع الأفضال ، ومعدن الإقبال[1] ، ومجمع الآمال ، وتلاطم أمواج الوسواس ، من غلبة أفواج الشوكة وظهور الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ، قد بذلتُ وسعى فى تصحيحه بقدر ما وفى به حتّى مع تلك العوائق ، ووسعه مقدرتى مع موانع العلائق ، فتصحّح إلا ماندر ، أوطغى به القلم أو زاغ البصر . وقد قرأه علىّ من أوله إلى آخره ، المولى الإمام ، والفاضل الهمام ، زبدة أقرانه فى زمانه ، وأسوة الأفاضل فى أوانه ، محمد حاجى ابن الشيخ المرحوم السعيد عمر بن محمد — زِيدت فضائله كما طابت شمائله — قراءة بحث واتقان ، وكشف وإيقان . وقد تقرّ فيها عن معضلاته ، وكشف عن وجوه مخدَّراته . هذا ، وقد أجزته أن يرويه عنّى مع سائر ما سمعه علىّ من الأحاديث وفنون الأدب والأصولين ، راجياً منه أن لا ينسانى فى خلواته ، وفى دعواته عقيب صلواته ، لعل الله يجمعنا فى جنانه ، ويتغمدنا برضانه ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير . كتبه الفقير الحقير الجانى ، على بن محمد الحسينى الجرجانى . وذلك بمحروسة سمرقند سنة اثنتين وثمانمائة » .

---

(١) فى النسختين : « ومدن الإقبال » ، والوجه ما أثبت .

وهذا آخر الإجازة . وقد حان أن نشرع فيما انتوينا ، ونتوجه إلى ١٤
ما انتحينا ، راجين من الله إخلاص العمل ، والعصمةَ عن الزيغ والخطل .
ومن هنا نقول ، وعلى الله القبول .

أنشد فى :

خواص الاسم

١ (يَقُولُ الخَنَى وأبغضُ العُجمِ ناطقاً إلى ربِّنا صوتُ الحمار اليُجَدَّعُ)

أورده الشارح ، وابن هشام فى مغني اللبيب ، على أن « أل » فى اليجدع اسم موصول ، دخل على صريح الفعل لمشابهته لاسم المفعول ، وهو مع ذلك شاذ قبيح لايجيء إلا فى ضرورة . وقال الأخفش : أراد الذى يجدع كما تقول : هو اليضربك ، تريد الذى يضربك . وقال ابن السراج فى كتاب الأصول : لما احتاج إلى رفع القافية قلب الاسم فعلا ، وهو من أقبح ضرورات الشعر . قيل : لا ضرورة فيه فإنه يمكن أن يقول (يجدع) بدون أل لاستقامة الوزن ، وأن يقول المتقصع .

أقول : هذا مبنى على أن معنى الضرورة عند هذا القائل ما ليس للشاعر عنه مندوحة ، وهو فاسد كما يأتى بيانه . والصحيح تفسيرها بما وقع فى الشعر دون النثر سواء كان عنه مندوحة أولا .

قال شارح شواهد الألفية : « ذاك مسلم فى يجدع دون المتقصع فإنه يلزمه الإقواء وهو عيب » .

أقول : لايلزمه الإقواء ، فإن اليربوع مرفوع والمتقصع وصفه كما يأتى بيانه . وقيل « أل » فيه زائدة والجملة صفة الحمار أو حال منه ، لأن أل فى الحمار جنسية ، وهذا لا يتمشى فى أخواته .

وقول الشارح المحقق « لمشابهته لاسم المفعول » يريد أنها إذا دخلت على مضارع مبنى للمفعول إنما تدخل عليه لمشابهته لاسم المفعول ، نحو اليجدع واليتقصع ، وقول الفرزدق :

ما أنت بالحكم التُرضى حُكومتُه ... ولا الأصيلِ ولا ذى الرأى والجدلِ

وإذا دخلتْ على مضارع مبنى للفاعل إنما تدخل عليه لمشابهته لاسم الفاعل كقوله :

وليس اليَرى للخِلِّ مثلَ الذى يرى ... له الخلُّ أهلا أن يُعدَّ خليلا

وقوله :

ما كاليروحُ ويغدو لاهياً فرِحاً ... مشمرٌ يستديم الحزمَ ذو رشَدِ

وقوله :

لا تبعثنَّ الحرب إنى لك الـيُنذِرُ من نيرانها فاتّقِ

وقوله :

فذو المال يؤتى مالَه دون عرضه ... لما نابه والطارق اليتعمّلُ

وقوله :

أحين اصطبانى أن سكتُّ وإننى ... لفى شغل عن دخلىَ اليتتبع

وقول أبى على الفارسى فى المسائل العسكرية : إن دخول (أل) على الفعل المضارع لم يوجد إلا فى اليجدع واليتقصع ، وأظن حرفاً أو حرفين آخرين ، ليس كذلك كما ذكرنا ، وسكت عن دخولها على الظرف نحو :

من لا يزال شاكراً على المعَهْ ... فهو حَرٍ بعيشةٍ ذاتِ سَعهْ

وقوله . ١٥

وغيّرنى ما غال قيساً ومالكا ... وعمراً وحُجراً بالمشقّر ألمعا[1]

(١) البيت لمتمم بن نويرة فى المفضليات ٢٦٩ .

يريد اللذين معا ــ وقال الكسائى : أراد معا و أل زائدة ــ وعن دخولها على الجملة الاسمية نحو :

بل القومُ الرسولُ اللهِ فيهم هُمُ أهل الحكومة من قصىٍّ

لأنه لايرد النقض بها وإن كانت موصولة اسمية شاذة كشذوذها مع الفعل والكل خاص بالشعر .

قال الشاطبى فى شرح ألفية ابن مالك : وأما أل فمختصة بالأسماء على جميع وجوهها : من كونها لتعريف العهد ، أو الجنس ، أو زائدة ، أو موصولة أو غير ذلك من أقسامها .

واعلم أنّ صريح مذهب الشارح المحقق فى (الضرورة) هو المذهب الثانى وهو ماوقع فى الشعر ، وهو مذهب الجمهور . وذهب ابن مالك إلى أنها ماليس للشاعر عنه مندوحة ، فوصلُ أل بالمضارع وغيره عنده جائز اختياراً ، لكنه قليل ، وقد صرح به فى شرح التسهيل فقال : وعندى أن مثل هذا غير مخصوص بالضرورة لإمكان أن يقول الشاعر : صوت الحمار يجدع ، وما من يُرى للخل ، والمتقصع ، وإذا لم يفعلوا ذلك مع الاستطاعة ففى ذلك إشعار بالاختيار وعدم الاضطرار . وما ذهب إليه باطل من وجوه :

(أحدها) إجماع النحاة على عدم اعتبار هذا المنزع وعلى إهماله فى النظر القياسى جملة . ولو كان معتبراً لنبهوا عليه . (الثانى) أن الضرورة عند النحاة ليس معناها أنه لايمكن فى الموضع غير ما ذكر ، إذ ما من ضرورة إلا ويمكن أن يعوض من لفظها غيره ، ولا ينكر هذا إلا جاحد لضرورة العقل . هذه الراء فى كلام العرب من الشّياع فى الاستعمال بمكان لايجهل ، ولا تكاد تنطق بجملتين تَعريان عنها ، وقد هجرها واصل بن عطاء لمكان لُثغته فيها ، حتّى كان

يناظر الخصوم ويخطب على المنبر فلا يسمع فى نطقه راء، فكان إحدى الأعاجيب حتى صار مثلا . ولا مرية فى أن اجتناب الضرورة الشعرية أسهل من هذا بكثير وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد أدى أن لاضرورة فى شعر عربى. وذلك خلاف الإجماع ، وإنما معنى الضرورة أن الشاعر قد لا يخطر بباله إلا لفظة ماتضمنته ضرورة النطق به فى ذلك الموضع إلى زيادة أو نقص أو غير ذلك ، بحيث قد يتنبه غيره إلى أن يحتال فى شىء يزيل تلك الضرورة . (الثالث) أنه قد يكون للمعنى عبارتان أو أكثر ، واحدة يلزم فيها ضرورة إلا أنها مطابقة لمقتضى الحال ، ولا شك أنهم فى هذه الحال يرجعون إلى الضرورة ، لأن اعتناءهم بالمعانى أشد من اعتنائهم بالألفاظ . وإذا ظهر لنا فى موضع أن مالا ضرورة فيه يصلح هنالك فمن أين يعلم أنه مطابق لمقتضى الحال . (الرابع) أن العرب قدتأبى الكلام القياسى لعارض زِحاف ، فتستطيب المزاحفَ دون غيره أو بالعكس، فتركب الضرورة لذلك .

وقد بَسط الردَّ عليه الشاطبى فى شرح الألفية ، وهذا أنموذج منه . ثم قال : وقد بينت هذه المسألة بما هو أوسع من هذا فى باب الضرائر من أصول العربية .

صاحب الشاهد — وهذا البيت ثانى أبيات سبعة أوردها أبو زيد فى نوادره لذى الخِرَق الطُهَوىّ وهى :

١٦
(أتانى كلام ابن الثعلبىّ ابن دَيسق ... ففى أىِّ هذا ويلَه يتترَّعُ
يقول الخنى وأبغض العجم ناطقاً ... إلى ربنا صوتُ الحمار اليُجدَّع
فهلا تمنّاها إذ الحربُ لاقحٌ ... وذو النَّبوان قبره يتصدَّع
يأتك حيّا دارم وهما معًا ... ويأتك ألفٌ من طُهيّة أقرع

فيستخرجَ اليربوع من نافقائه ومن جُحره بالشيحة اينقصع
ونحن أخذنا الفارس الخير منكم فظل ـ وأعيا ذو الفَقار ـ يُكرَّع
ونحن أخذنا ـ قدعلمتم ـ أسيركم يساراً فنُحذِيَ من يسارٍ ونَنقَع)

شرح قصيدة الشاهد

قوله « أتاني كلام الثعلبيّ » هو بفتح المثلثة وسكون العين المهملة كما في نوادر أبي زيد في نسخة قديمة صحيحة ، نسبة إلى ثعلبة بن يربوع[1] : أبي قبيلة ، لا بمثناة فوقية فغين معجمة نسبة إلى تغلب بن وائل : أبي قبيلة كما ضبطه بعضهم . فإن ابن ديسق هو أبو مذعور طارق بن دَيسق بن عوف ابن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . كذا سرد نسبه الأسود أبو محمد الأعرابي الغُندِجاني في شرحه نوادر ابن الاعرابي ، وأورد له شعراً جيداً . وديسق علم منقول ، قال الصاغاني في العباب : قال الليث : (الديسق) خوان من فضة ، والطريق المستعمل ، والحوض الملآن ، والشَّيخ ، والتَّنور ، وكل حلي من فضة بيضاء صافية ، ووعاء من أوعيتهم ؛ مأخوذ من الدَّسَق بفتحتين وهو امتلاء الحوض ، يقال ملأت الحوض حتى دسق أي ساح ماؤه . وقيل هو بياض الحوض وبريقه . وقوله (يتترَّع) التترُّع بفتحتي التاء المثناة فوق والراء ، في العباب : ترع الرجل كفرح ، إذا اقتحم الأمور مرحاً ونشاطاً . وقيل ترع سارع إلى الشر والغضب ، وتترع إليه بالشر أي تسرع . وكأنه توعده بالقتل والسبي والنهب وما أشبه ذلك . يقول : إلى أي هذه الأمور يسابق بشرّه وبَلائه . وقوله (يقول الخنى . .) البيت ، قال الجوهري وتبعه الصاغاني : « هذا من أبيات الكتاب » وهذا لا أصل له . وقد تصفّحتُ شواهد سيبويه

(١) ط : « ثعلب بن يربوع » ، صوابه في ش ومن نص نوادر أبي زيد ٦٦ وفيها : « الثعلبي هذا من بني ثعلبة بن يربوع » . وانظر الإنباه على قبائل الرواة ٧٧ وجمهرة ابن حزم ٢١٢ .

فى عدة نسخ ولم أجده فيها . قال الصاغانى : لم أجد هذا البيت فى شعر ذى الخِرق ، وقد قرأت شعره فى أشعار بنى طُهيّة . وساق له أبياتاً سبعة لم يكن هذا البيت فيها ، وذكر له بيتاً بدل ما قبل البيت الأخير ، وهو :

(ونحن حَبسنا الدُّهم وسط بيوتكم فلم تقربوها والرماحُ تزعزع)

والخنى بالخاء المعجمة والنون : الفحش من الكلام ، وألفه منقلبة عن ياء ، ولهذا كتبت بالياء . يقال كلام خَنٍ وكلمة خنية ، وقد خنِيَ عليه بالكسر وأخنى عليه فى منطقه ، إذا أفحش . وهو منصوب بالقول لتضمنه معنى الجملة كقلت قصيدةً ، فلا حاجة لتأويل يقول بيفُوه ويتكلّم . وجملة يقول الخنى تفسير لقوله أتانى كلام الثعلبى . و (أبغض) اسم تفضيل على غير قياس ، لأنه بمعنى اسم المفعول من أبغضته إبغاضاً فهو مبغض ، أى مقتُّه وكرهته ، ولأنه من غير الثلاثى ، أو هو[1] من بغُض الشىء بالضم بغاضة بمعنى صار بغيضاً ، فلا شذوذ. قال السخاوى فى شرح المفصل : قالوا هو أبغض لى من زيد وأمقت لى منه ، أى يبغضنى أكثر مما يبغضنى زيد ، وقالوا إنه مردود إلى بغُض ومقُت ، يقال بغُض بغاضة إذا صار بغيضاً . قال ابن برِّىّ : إنما جعل شاذاً لأنه جعل من أبغض ، والتعجب لا يكون من أفعل إلا بأشد . وليس كما ظن الجوهرى ، بل هو من بغض فلان إلىّ . وحكى اللغويون والنحويون ما أبغضنى له إذا كنت أنت المبغض له ، وما أبغضنى إليه إذا كان هو المبغض لك . انتهى . وإلى فى التفضيل غير ماذكر فى التعجب . فإن إلى هنا بمعنى عند ومجرورها فاعلٌ معنى . و (العُجم) : جمع أعجم وعجماء ، وهو الحيوان الذى لا ينطق . والأعجم أيضا : الإنسان الذى فى لسانه عُجمة ، وإن كان بدويا ، لشبهه

١٧

(١) فى النسختين : « وهو » .

بالحيوان . و (ناطقاً) فاعل من النطق ، قال الراغب : النطق فى التعارف : الأصوات المقطّعة التى يظهرها اللسان وتعيها الآذان . . ولا يقال للحيوانات ناطق إلا مقيدا أو على طريق التشبيه ، كقول الشاعر[١] :

عجبت لها أنَّى يكون غِناؤها فصيحا ولم تفغَر بمنطقها فما

انتهى . وهو هنا مجاز عن الصوت ، من إطلاق الخاص وإرادة العام ، وهو منصوب على التمييز للنسبة ، وأصله : وأبغض نطق العجم ، أى تصويتها ، فلما حذف صارت نسبة البغض إلى العجم مبهمة ففسرت بالتمييز ، ولابد من هذا المحذوف ليصح الإخبار . أراد الشاعر تشبيه صوته إذ يقول الخنى ، فى بشاعته بصوت الحمار إذ تقطع أذناه . وصوت الحمار شنيع فى غير تلك الحال ، فما الظن به فيها ؟ ! وزعم جماعة أن ناطقًا حال ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : هو حال من العجم . ويَرِد عليه أنه مفرد وصاحب الحال جمع . ومن صححه بإنابة المفرد مناب الجمع ، أو أن ناطقا بمعنى ذات نطق ، فقد تكلّف . وقال بعضهم : هو حال من أبغض ، ويرد عليه أن الأصح أن المبتدأ لا يتقيد بالحال . وجوز هذا القائل أن يكون حالا من ضمير يقول ، مع اعترافه بأنه يلزم الفصل بين المبتدإ والخبر بالأجنبى . وذهب بعضهم إلى أنه حال من ضمير أبغض ، وهذا سهو ، إذ ليس فيه ضمير ، ولو كان خبراً لتحمله . وقوله (إلى ربنا) متعلق بأبغض . وروى ابن جِنّى فى سر الصناعة : « إلى ربه » فالضمير يرجع إلى ابن ديسق . وقوله (اليجدّع) قال الصاغانى : « الجَدْع بالدال المهملة : قطع الأنف ، وقطع الأذن ، وقطع اليد ، وقطع الشَّفة . وجدعته أى سجنته وحبسته » ثم قال : « وحمار مجدّع مقطوع الأذنين » . وأنشد هذا البيت عن نوادر أبى زيد . وزعم شارح

(١) هو حميد بن ثور . ديوانه ٢٧ والمخصص ١٣ : ٩ .

مغنى اللبيب ـ وهو الحقّ ـ أنّه من جدعت الحمار : سجنته ، قال : لأن الحمار إذا حبس كثر تصويته ، وإذا جعل من الجدع الذى هو قطع الأذن لم يظهر له معنى . قال السيوطى : « وليس كما قال ، لأنّ صوت الحمار حالةَ تقطيع أذنه أكثر وأقبح . وكأنه ظن أن المراد صوته بعد التجديع ؛ وليس كذلك ، بل المراد وقت التجديع » . هذا كلامه ، وفيه نظر فإنه قيل لا يصوت عند قطع أذنه أصلا ، وقيل إن الحمار إذا كان مقطوع الأذن يكون صوته أرفع ، وإنما كان صوت الحمار مستكرها لأنّ أوله زفير وآخره شهيق ؛ وهذه حالة تنفر منها الطباع . وقد ورد تمثيل الصوت المرتفع بصوت الحمار فى القرآن ، قال تعالى فى وصية لقمان لابنه : «واغضُضْ من صوتك إن أنكَر الأصواتِ لصوت الحَمير » ، أى أوحش ١٨ الأصوات وأقبحها . قال القاضى[1] : «وفى تمثيل الصوت المرتفع به[2] ثم إخراجه مُخرَج الاستعارة مبالغة شديدة . وقال معين الدين الصفوى[3] : « شبه الرافعينَ صوتَهم بالحمير من غير أداة التشبيه ، مبالغةً فى التنفير . ولما كان صوته لا يكاد يختلف وأصواتُ سائر الحيوانات مختلفة جداء أفرد وجمعت . والحمير بمنزلة أسماء الأجناس على الأصح . والظاهر أن أنكر الأصوات الخ كلام لقمان ، وقيل هذا من كلام الله » انتهى . وهذا القول الأخير يناسبه قول الشاعر (إلى ربنا) فإن إلى بمعنى عند . وقال النسفى : ولو كان فى ارتفاع الصّوت فضيلة لم يُستشنع صوت الحمار الذى هو أرفع الأصوات . وقوله : (فهلا تمنّاها) الضمير راجع إلى معهود فى الذهن ، أى فهلا تمنى الحرب حين كانت حُبلى بمنايا الرجال ،

---

(١) هو ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوى صاحب التفسير المتوفى سنة ٦٨٥ . ونسبته إلى البيضاء : بلدة بفارس قرب شيراز . واسم تفسيره « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » .

(٢) لفظ البيضاوى : « بصوته » .

(٣) صاحب « جامع البيان فى تفسير القرآن » ، ولعل عبارته منقولة من كتاب آخر غير التفسير ، لأنها ليست فى تفسير آية « إن أنكر الأصوات » .

ومقارعةِ الأبطال . و (لاقح) من لقِحت الناقة لقَحا ، من باب تعب ، فهى لاقحٌ مطاوع ألقح الفحل الناقة إلقاحا : أحبلها ؛ كذا فى المصباح . وقوله (وذو النَّبوَان) فى شرح نوادر أبى زيد « وذُو النبوان[١] لم يعرفه أبو زيد » . والنبوان ـ بفتح النون والبا الموحدة ـ اسم ماء بنجد لبنى أسد ، وقيل لبنى السِّيد من ضبّـة . كذا فى معجم البلدان لياقوت الحموى[٢] . ويقال له نبوان أيضاً بلا لام ، قال أبو صخر الهذَلى :

ولها بذى نبَوانَ مــنزلة قفرٌ سوى الأرواح والرِّهمِ

أى لهـا بأراضى نبوان منزلة . والمراد بذى النبوان هنا رجل ، وهو إما صاحب هذا المـاء أو لأنه دفن فى أرضها . و (التصدع) : التشقق ، يقال صدعته صدعا ، من باب نفع : شققته . وصدعت القوم صدعا فتصدعوا : فرقتهم فتفرقوا . والمراد به هنا الحفر والنبش ، أى هلا تمنيتَ الحرب إذ قتلنا منكم ذا النبوان لحفرتَ له قبرا وواريته فيه ، وأنت شديد الحزن عليه ولم تقدر على الأخذ بثاره ؟! وقوله : (يأتِكَ حيا دارم) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب ، جزم « يأت » فى جواب شرط مقدر ، أى إن تمنيت حربنا يأتك الحيان من دارم دفعة . ودارم : أبو قبيلتين من تميم . وطُهيّة : حى من تميم ، سموا باسم أمهم ، وهى طهية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهى أم أبى سُود وعوف بن مالك بن حنظلة ، والنسبة إليها طُهْوى بسكون الهـاء وبعضهم يفتحها على القياس . و (أقرع) بالقاف : تامّ ، يقال ألْف أقرع ، ودرهم أقرع ، ومِائة قرعاء . وقوله : (فيستخرجَ اليربوع . . الخ) الفاء للسببية ، ويستخرجَ منصوب بأن مضمرة وجوبا ، وهو مبنى للمفعول ، ويجوز بالبناء

(١) ط : « والنبوان » ، وأثبت مافى ـــ و النوادر ٦٧ .
(٢) فى رسم (النبوان) .

للفاعل نسبة إلى الألفِ . واليربوع دُوَيبّةٌ تحفر الأرض — والياء زائدة ، لأنه ليس فى كلام العرب فَعلول سوى صَعفوق على مافيه — وله جحران أحدهما: القاصِعاء وهو الذى يدخل فيه . وأما قول الفرزدق يهجو جريرا :

وإذا أخذتُ بقاصعائك لم تجد أحداً يعينك غير من يتقصّعُ

فمعناه إنما أنت فى ضعفك إذا قَصدتُ لك كأولاد اليرابيع لا يعينك إلاضعيف مثلك . والآخر: النافقاء وهو الُجحر الذى يكتمه ويُظهر غيره ، وهو موضعٌ يرققه ، فإذا أُتِىَ من قِبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أى خرج . وجمعهما قواصع ونوافق . ونافق اليربوع : اخذ فى نافقائه ، ومنه المنافق ، شبه باليربوع لأنّه يخرج من الإيمان من غير الوجه الذى دخل فيه ، وقيل لأنه يستر كفره ، فشبه بالذى يدخل النفقَ — وهو السَّرَب — يستتر فيه . والجحر يكون للضب واليربوع والحية ، والجمع جِحَرة كعنبة[1] وانجحر الضب على انفعل : أوى إلى جحره . وقوله (بالشيحة) رواه أبو عُمر الزاهد وغيره تبعاً لابن الأعرابى : « ذى الشِّيحة » وقال : لكل يربوع شيحة عند جحره . وردّ الأسود أبو محمد الأعرابى الغُندِجانى على ابن الأعرابى وقال : ما أكثر ما يصحّف فى أبيات المتقدمين ، وذلك أنّه توهم أن ذا الشيحة موضع يُنبت الشيح ، وإنما الصحيح : « ومن جحره بالشِّيخة » بالخاء المعجمة ، وقال : هى رملة بيضاء فى بلاد بنى أسد وحنظلة . وكذا رواه الجرمى أيضا . والشين فى الروايتين مكسورة . وقوله (اليتقصّع) رواه أبو محمد الخوارزمى عن الرياشى بالبناء للمفعول[2] . يقال تقصَّع اليربوع دخل فى قاصعائه ، فتكون صفة

(١) وأجحار أيضا .

(٢) النص فى نوادر أبى زيد ٦٧ وليس فيه قيد « بالبناء للمفعول » لا لفظاً ولا ضبطا .

للجُحر وصلته محذوفة ، أى من جحره الذى يتقصع فيه ، كما قدّره ابن جنى فى سر الصناعة . وروى بالبناء للفاعل فيكون صفة اليربوع ولا حذف ورواه أبو زيد « المتقصَّع » بصيغة اسم المفعول وقال : « والمتقصَّع متفعَّل من القاصعاء » ، فيكون صفة اليربوع أيضا لكن فيه حذف الصلة . قال أبو الحسن الأخفش فى شرح نوادر أبى زيد : رواه لنا أبو العباس ثعلب اليَتقصع واليجدّع ، قال : هكذا رواه أبو زيد . قال : والرواية الجيدة عنده المتقصَّع والمجدَّع . وقال : لايجوز إدخال أل على الأفعال ، فإن أريد بها « الذى » كان أفسدَ فى العربية . وكان لا يلتفت إلى شىء من هذه الروايات التى تشذ عن الإجماع والمقاييس . ومعنى البيت : إنكم إن حاربتمونا جئنا كم بجيش لُهَام ، يحيطون بكم فيوسعونكم قتلا وأسرا ، ولا نجاة لكم ولو احتلتم بكلّ حيلة ، كاليربوع الذى يجعل النافقاء حيلة للخلاصة من الحارش ، فاذا كثر عليه الحارش أخذوا عليه من نافقائه وقاصعائه ، فلا يبقى له مهرب البتة .

وروى بعض شراح الشواهد هذا البيت بعد البيتين الأولين ، ولم يزد على الثلاثة ، وظن أن قوله يَستخرج اليربوع بالبناء للمعلوم — معطوف على قوله يقول الخنى فقال : ووصفه أخيرا بالخديعة والمكر .

ثم أخذ الشاعر فى الفخر عليه بما فعل قومُه فيهم من القتل والأسر فى الحروب السابقة فقال : (ونحن أخذنا .. الخ) الخير هنا إما أفعل تفضيل أى أفضلكم ، وإما مخفف خيّر بالتشديد ، أى الجيد الفاضل . (ومنكم) على التقديرين متعلق بأخذنا . وقوله (فظلّ) أى استمرّ فى أسرنا . وقوله (وأعيا ذو الفقار) هو بفتح الفاء ، قال الصاغانى : هو مسشر بن عمرو الهَمْدانى . وهو فاعل أعيا ، من أعيا فى مشيه أى كلّ ، بمعنى لم يقدر على شىء . وجملة (يكرَّع) بالبناء للمفعول حال من الفاعل ، ومعناه تقطع أكارعه : جمع كُراع بالضم

وهو — كما قال ابن فارس — من الإنسان : مادون الركبة ، ومن الدوابّ : ما دون الكعب . وروى الصاغانى : « وأضحى ذو الفقار يكرع » فجملة يكرع إما خبر أضحى ، أوحال أيضا إن كانت تامة . وقوله (ونحن أخذنا قد علمتم) الخ يقول : نحن قد فككنا يساراً — الذى أسرتموه — من أسركم بأموالنا .

٢٠ فنحن نعطى ونضيف من ثروة ، وأنتم صعاليك لا تقدرون على شىء من ذلك . ويسار الأول اسم رجل ، والثانى بمعنى الغنى والثروة . و (نُحذِى) بضم النون وسكون المهملة والذال المعجمة بمعنى نُعطِى ، من الإحذاء وهو الإعطاء . و (ننقع) بالنون والقاف ، يقال نَقَع الجزورَ ينقَع بفتحتين نقوعا ، إذا نحرها للضيافة . قال الصاغانى : وفى كلام العرب إذا نقى الرجل منهم قوماً يقول : ميلوا يُنقع لكم ، أى يجزر لكم ، كأنه يدعوهم إلى دعوته . والنقيعة : الجزور التى تجزر للضيافة . وفسر بعض مَن كتب على نوادر أبى زيد (نُنقع) بقوله نُروى . وهذا غير مناسب . وقال الرياشى : حفظى « ونمنع » ومصدره المنع إما مقابل الإعطاء ، وإما بمعنى الحياطة والنصرة . يقال فلان عزّ ومَنَعة بالتحريك ، وقد تسكن النون ، وكلاهما مناسب لنُحذى . قال الصاغانى : والمانع — من صفات الله تعالى — له معنيان : أحدهما مقابل الإعطاء ، والثانى أنّه يمنع أهل دينه ، أى يحوطهم وينصرهم .

(تتمـــة)

صاحب الشاهد — نسب أبو زيد فى نوادره هذا الشعر لذى الخِرق الطُّهوى قال : « وهو جاهلى » . ومن لقّب من الشعراء من بنى طهية ذا الخرق ثلاثة : (أحدهم) خليفة بن حمل بن عامر[1] بن حميرىّ بن وقدان بن سُبيع بن عوف بن مالك ابن حنظلة بن طهية ، ولقب ذا الخرق بقوله :

(١) المؤتلف والمختلف ١٠٩ . والذى فيه : « خليفة بن عامر » بإسقاط « حمل »

ما بال أمّ حُبيش لا تكلّمنا ... لما افترقنا وقد نُثرى فننتفقُ
تقطّع الطرفَ دونى وهى عابسة ... كما تَشاوسَ فيك الثائر الحنق
لمّا رأتْ إبلى جاءت حُمولتها ... غرثى عجافا عليها الريش والخرق
قالت : ألا تبتغى مالاً تعيش به ... عما تلاقى وشر العيشة الرَّمَق[1]
فيئى إليك فأنا معشر صُبر ... فى الجدب لا خفّة فينا ولا ملق
إنا إذا حُطمة حتّت لنا ورقا ... نمارس العيش حتى ينبت الورق

(الثانى) قُرط ، ويقال له ذو الخرق بن قرط[2] أخو بنى سعيدة بن عوف ابن مالك بن حنظلة بن طهية ، وهو فارس أيضا . (الثالث) شَمير بن عبد الله ابن هلال بن قُرط بن سعيدة ، كذا فى المؤتلف والمختلف للآمدى[3]. ولم يذكر هذا صاحبُ العباب ولم أر من قيد أحد هذه الثلاثة بكونه جاهليا ، فلا يظهر أن هذا الشعر لمن هو من هؤلاء الثلاثة . وقال العينّى : إن ذا الخرق الطهوى صاحبَ الشعر اسمه دينار بن هلال . ولا أدرى من أين نقله . وقال شارح شواهد المغنى : وفى المؤتلف والمختلف للآمدى أن اسمه قرط ، شاعر جاهلى ، سُمّى بذلك لقوله :

* جاءت عجافا عليها الريش والخرقُ *

وفيه ثلاثة أمور : الأول أن الآمدى لم يذكر هذا الشعر فكيف ينسبه إلى قرط[4] . الثانى أنّه لم يقيد قرطا بكونه جاهليا . الثالث أنّ هذا الشعر

---

(١) ويروى : « الرنق » كما فى نسخة من الأصمعيات . انظر الأصمعيات ١٣٤ بتحقيقنا مع الشيخ أحمد شاكر . والرواية فيها أيضاً : « مما تلاق » .

(٢) فى المؤتلف ١١٩ : « ويقال ذو الخرق بن قرط » رواية أخرى فى اسمه .

(٣) ذكر هذا الثالث فى المؤتلف على أنه حاشية من ابن حبيب لا من صلب الكتاب .

(٤) الحق أن الآمدى ذكره فى موضع متقدم وهو ص١٠٩ كما سبق فى الحواشى .

ليس لقرط ، وإنما هو لخليفة بن حمل كما تقدم آنفا . وفيه أيضا أن الرواية « غرثى عجافا » لا « جاءت عجافا » .

بقى من يلقب بذى الخرق من الشعراء من غير طهية . وهم اثنان : أحدهما ذو الخرق اليربوعى أحد بنى صَبير بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم . والثانى : ذو الخرق بن شُريح بن سيف بن أبان بن دارم . وهذا والذى قبله من شعراء الجاهلية .

ومن غير الشعراء (ذو الخرق) النُّعمان بن راشد بن معاوية بن عمرو ابن وهب بن مرّة ، كان يُعلِم نفسه فى الحرب بخرق حمر وصفر .

٢١

و (ذوالخرق) أيضا : فرس عَبّاد بن الحارث بن عدى بن الأسود[1] ، كان يقاتل عليه يوم اليمامة . والخرق : جمع خرقة وهى القطعة من الثوب .

ترجمة الأسود الغندجانى

والأسود الغُندِجانى ترجمة ياقوت الحموى فى معجم الأدباء المسمى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب[1] ، قال : هو الحسن بن أحمد أبو محمد الأعرابى المعروف بالأسود الغندجانى اللغوى النسابة ، وغندجان بلد قليل الماء لايخرج منه إلا أديب أو حامل سلاح . فى القاموس : غَندَجان بالفتح[2] بلد بفارس بمفازة مَعطشَة . وكان الأسود صاحبَ دنيا وثروة ، وكان عارفا بأيام العرب وأشعارها ، قيِّماً بمعرفة أحوالها . وكان مستنده فيما يرويه عن محمد بن أحمد أبى الندى . وكان قد رزق فى أيامه سعادة ، وذلك أنه كان فى كنف الوزير العادل أبى منصور بهرام بن مافنّه ، وزير الملك أبى كالَنْجار[3] ابن بهاء الدولة

---

(١) انظر القاموس (خرق) .
(٢) معجم الأدباء ٧ : ٢٦١ — ٢٦٤ .
(٣) ضبطه ياقوت فى معجم البلدان بضم فكسر فسكون .
(٤) فى معجم الأدباء : « كاليجار » .

ابن بويه صاحب شيراز ، وقد خطب له ببغداد بالسلطنة . وكان الأسود إذا
صنف له كتابا جعله باسمه . وكان يُفضل عليه إفضالا جما ، فأثرى من جهته .
ومات أبو منصور الوزير فى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة . قال ياقوت : وقرأت
فى بعض تصانيفه أنّه صنفه فى شهور سنة اثنتى عشرة وأربعمائة وقرئ عليه
فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . وله من التصانيف : فُرحة الأديب ، فى الرد
على يوسف بن أبى سعيد السيرافى[1] فى شرح أبيات سيبويه . وكتاب قيد
الأوابد فى الرد على ابن السيرافى أيضا فى شرح أبيات إصلاح المنطق . وكتاب
ضالّة الأديب فى الرد على ابن الأعرابى فى النوادر التى رواها ثعلبٌ عنه .
وكتاب الرد على أبى على النمرى فى شرح مشكل أبيات الحماسة . وكتاب
نزهة الأديب فى الرد على أبى على فى التذكرة . وكتاب السَّلّ والسرقة . وكتاب
الخيل : مرتب على حروف المعجم . وكتاب فى أسماء الأماكن . وأكثرها
عندى ، ولله الحمد والمنة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى من شواهد سيبويه[2] :

٢ (ولا أرضَ أبقلَ إبقالَهَا)

أوله :

(فلا مُزْنَةٌ وَدقت وَدْقَها)

أورده نظيراً لعرفات : فى كونها مؤنثة لايجوز فيها التذكير إلا بتأويل
بعيد ، وهو أن يراد بها المكان . وأورده أيضاً فى باب المذكر والمؤنث

(١) وأبو سعيد السيرافى هو الحسن بن عبد الله .

(٢) سيبويه ١ : ٢٤٠ .

على أنّه لايحذف علامة التأنيث من المسند إلى ضمير المؤنث المجازى إلالضرورة الشعر . وهو من شواهد الكتاب ومغنى اللبيب . قال ابن خلف: الشاهد فيه أنه ذكّر أبقل وهو صفة للأرض ضرورةً ، حملا على معنى المكان ، فأعاد الضمير على المعنى وهو قبيح . والصحيح أنه ترك فيه علامة التأنيث للضرورة واستغنى عنه مما علم من تأنيث الأرض . وإلى هذا الوجه أشار أبو على . وقال غيره : وإنما قبح ذلك لاتصال الفاعل المضمر بفعله ، فكأنّه كالجزء منه حتى لايمكن الفصل بينهما بما يسدُّ مسدّ علامة التأنيث . ولا يخفى ما فيه . وعند ابن كيسان والجوهرى أن الفعل إذا كان مسنداً لضمير المؤنث المجازى لايجب إلحاق علامة التأنيث .

وقول بعضهم : وهذا ليس بضرورة لأنه كان يمكنه أن يقول « ولا أرضَ أبقلتِ إبقالها » بنقل حركة الهمزة إلى ماقبلها وإسقاطها — ليس بجيد ، لأن الصحيح أن الضرورة ماوقع فى الشعر ، سواء كان للشاعر عنه فسحة أم لا . وأجاب السيرافى بأنه يجوز أن يكون هذا الشاعر ليس من لغته تخفيف الهمزة ، وحينئذ لايمكنه ماذكره . وذكر ابن يسعون أنّ بعضهم رواه بالتاء بالنقل المذكور . قال ابن هشام : فإن صحت الرواية وصح أن القائل ذلك هو الذى قال ولا أرض أبقل بالتذكير صحّ لابن كيسان مدّعاه ، وإلا فقد كانت العرب ينشد بعضهم بعضاً ، وكلٌّ يتكلم على مقتضى لغته التى فطر عليها ، ومن هنا كثرت الروايات فى بعض الأبيات .

٢٢

وزعم جماعة أنه لاشاهد فيه ، فقال ابن القوّاس فى شرح ألفية ابن معطى أنه روى إبقالها بالرفع ، مسنداً إلى المصدر . وبردّه أن إبقالها منصوب على المصدرالتشبيهى : أى ولاأرض أبقلت كإبقال هذه الأرض . ولو كان كما زعم كان معناه نفى الإبقال ، وهو نقيض مراد الشاعر . وزعم بعضهم أن ضمير

أبقل عائد على مذكر محذوف : أى ولا مكان أرض ، فقال أبقل باعتبار المحذوف ، وقال إبقالها باعتبار المذكور . وهذا فاسد أيضاً ، لأن ضمير إبقالها ليس عائداً على الأرض المذكورة هنا ، فتذكير أبقل باعتبار المحذوف لادليل عليه ، ولو قال إن الأرض مما يذكر ويؤنث — كما قال أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات عندما أنشد هذا البيت : إن الأرض تذكَّر وتؤنَّث ، وكذلك السماء ، ولهذا قال أبقل إبقالها — لكان وجهاً .

قال ابن الحاجب فى أماليه : الضمير فى « ودقها » « وإبقالها » ، راجع إلى غير المزنة والأرض المذكورتين ، ولا يستقيم أن يعود إليهما لئلا يصير مخبراً أنّه ليس مزنة تدق مثلَ ودق نفسها ، وهو فاسد . وإن لم تقدّر محذوفاً كان أفسد ، إذ يصير المعنى أنه ليس مزنة تَدِقُ وَدْق نفسها ، والأمر على خلافه ، إذ لاتدقُ مزنة إلاّ ودق نفسها . فوجب أن يكون التقدير فلا مزنة ودقت ودقا مثل هذه المزنة ، المحذوفة . وزعم الصاغانى فى العباب : أن الرواية « ولا روض أبقل إبقالها » ، وهذا لايصادم نقل سيبويه لأنه ثقة ، والاعتماد عليه أكثر .

فقوله : (فلا مزنة الخ) لا الأولى نافية للجنس على سبيل الظهور عاملة عمل ليس أو ملغاة ، والثانية نافية للجنس على سبيل التنصيص ، و (مزنة) اسم لا إن كانت عاملة عمل ليس ، أو مبتدأ إن كانت غير عاملة ، وصح الابتداء بالنكرة إمّا للعموم وإما للوصف . وجملة (ودقت) محلها نصب : خبر لا ، أو رفع : خبر المبتدأ ، أو نعت لمزنة والخبر محذوف أى موجودة أو معهودة . وجملة (أبقل) خبر لافقط ، ولا يجوز كونها صفة لاسم لا ، كما جوزه شراح الشواهد ؛ لأنه يجب حينئذ تنوين اسم لا لكونه مضارعاً للمضاف . والمزنة — واحدة المزن — السحابة البيضاء ، ويقال المطرة. والمعنى

هنا على الأول . انتهى . وكلاهما غير صحيح ، أما الأوّل فلأن السحابة البيضاء لا ودق لها ، وأما الثانى فيرده قوله تعالى : « أأنتم أنزلتموه من المُزْن » . والودق : المطر ، قال المبرد فى الكامل : يقال ودَقت السماء يافتى تَدِق ودقا ، قال تعالى: « فترى الوَدْق يخرج من خِلاله » ، وأنشد هذا البيت .

٢٣ و (أبقل) قال الدينورى فى كتاب النبات : يقال بقل المكان يَبقُل بقولا إذا نبت بقله ، وأبقل يبقل إبقالا وهذا أكثر اللغتين وأعرفهما ، وأكثر العلماء يردّ بقل المكان . وقال بعض الرواة : أبقلت الأرض وأبقلها الله وبَقل وجهُ الغلام إذا خرج وجهه[1] .وقال بعض علماء العربية : أبقل المكان ثم يقولون مكان باقل ، قال : ولا نعلمهم يقولون بقل المكان . ومثلة قولهم أدْرستِ الأرض ونبت دارس ، ولا يقولون غيرها ، وقال أيضاً : أعشب البلد ثم قال بلد عاشب ، وكذا قال أبو عبيدة والأصمعى ، وتبعهما ابن السكيت وغيره ، قالوا : يقال بلد عاشب ، ولا يقال إلاّ أعشب ، وباقل الرِّمْث — وهو نبت — وقد أبقل ، ودارس الرمث وقد أدرس ، فيقولون فى النعت على فاعل ، وفى الفعل على أفعلَ ، كذا تكلمت به العرب . قال الدينَوَرىّ — وتبعه على بن حمزة البصرى فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة — : وقد جاء عن العرب مايردّ عليهم ، قال رؤبة :

* يملحنَ من كل غَميس مُبقِلِ[2] *

وقال ابن هَرْمة :

---

(١) أى بدت لحيته .

(٢) ملح : ورد . والغميس : الجدول الصغير بين البقل والنبات . وفى اللسان (بقل) مع نسبته إلى أبى النجم « يلمحن » تصحيف . ولم يرد الشطر فى أرجوزته ولا فى ديوان العجاج .

لرُعْت بصفراء الشحالة حرةً لها مرتع بين النبيطين مبقلُ(١)

وقال آخر :

* ولا أرضَ أبقل إبقالها *

فجاء به على أبقل يبقل فهو مبقل . وقال النابغة الجعدى :

على جانبىْ حائرٍ مفرط ببرث تبوَّأنه معشبِ(٢)

وقال الدِّينَوَرىّ فى موضع آخر : « النبات كله ثلاثة أصناف : شىء باق على الشتاء أصلُه وفرعه . وشىء آخر يُبيد الشتاء فرعه ويبقى أصله ، فيكون نباته فى أرومته الباقية . وشىء ثالث يبيد الشتاء أصله وفرعه ، فيكون نباته من بزره . وكل ذلك يتفرق ثلاثة أصناف أخر : فصنف يسمو صعداً على ساقه مستغنياً بنفسه عن غيره . وصنف يسمو أيضاً صعداً لا يستغنى بنفسه ، ويحتاج إلى ما يتعلق به ويرتقى فيه . وصنف ثالث لا يسمو ولكن ينسطح على الأرض فينبت مفترشاً . فيقال لكل ما سما بنفسه : شجر ، دقّ أو جل ، قاوم أو عجز عنه . وقيل له شجر لأنّه شجرَ قِسما ، فكلُّ ما سمكتَه ورفعته فقد شجرته . وما كان منه ينبت فى بزره ولا ينبت فى أرومته فاسمه البقل . وكل نابتة بقلةٌ فى أول ماتنبت ، ولذلك قيل لوجه الغلام أوّلَ ما يخرج : بقَلَ . وما نبت فى أرومة وكان مما يهلك فرعه فاسمه الجَنْبة ، لأنه فارق الذى يبقى فرعُه وأصله ، وفارق البقل الذى يبيد أصلُه وفرعه فكان جَنبةً بينهما . وما تعلق بالشجر فرقىَ فيه وعصَب به فهو فى طريقة العَصْبَة . وما افترش ولم يسمُ فهو فى طريقة السُّطّاح ، وقد زعم أبو عبيدة أنّه النجم . على أنّ كل ما طلع من الأرض فقد نجم ، فهو نجم إلى أن تتبين وجوهه » . اهـ .

(١) اللسان (بقل) و (برث) .

(٢) ديوانه ص ٣٢ واللسان (برث) .

وقال الجواليقى فى لحن العامة : يذهب العامة إلى أنّ البقل ما يأكله الناس خاصة دون البهائم ، من النبات الناجم الذى لا يحتاج فى أكله إلى طبخ . وليس كذلك ، إنّما البقل العشب وما يُنبت الربيع ممـا تأكله البهائم ، قال الشاعر :

* ولا أرض أبقل إبقالها *

وقال آخر[1] :

قومٌ إذا نبتَ الربيع لهم   نبتت عِداتُهمُ مع البقل[2]

٢٤ وقال زهير :

رأيتَ ذوى الحاجات حول بيوتهم   قطيناً لهم حتّى إذا أنبتَ البقلُ

يقال منه : بقلت الأرض وأبقلت ، لغتان فصيحتان ، إذا أنبتت البقل . قال أبو النجم يصف الإبل :

* تبقّلتْ فى أول التبقّل *

والفرق بين البقل ودِقّ الشجر : أنّ البقل إذا رعى لم يبق له ساق ، والشجر يبقى له .

صاحب الشاهد (تتمة) قال شراح شواهد الكتاب : هذا البيت لعامر بن جُوين الطائى ، وهو أحد الخلعاء الفُتّاك ، قد تبرأ قومه من جرائره . وله حكاية مع امرئ القيس ، وسيأتى فى ترجمته إن شاء الله . وصف به أرضاً مخصبة بكثرة ما نزل بها من الغيث . ولم يذكروا مما قبله ولا مما بعده شيئاً . وقال شارح شواهد المغنى : قال الزمخشرى : أوّله :

---

(١) هو الحارث بن دوس الإيادى ، كما فى حواشى ابن برى على تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقى ص١٣ واللسان (بقل) .

(٢) فى اللسان وتكملة الإصلاح واللآلئ ٢٤ : « عداوتهم » ، وهو الوجه

وجارية من بنات الملو ك قعقعت بالرمح خلخالها
كـكِرفئة الغيث ذات الصبيـ ـرِ ترمى السّحابَ ويُرمى لها
تواعدتَها بعد مرّ النجو م كلفاء تـكثر تهطالها
فلا مزنة ودقت ودقها . . . . (البيت)

انتهى . وقد رأيت البيتين الأولين فى شعر الخنساء من قصيدة ترثى بها أخاها صخراً[1] أولها :

ألا ما لعينى ألا مالهـا لقد أخضلَ الدمعُ سربالها

ثم وصفت جيشاً فقالت :

ورَجراجة فوقها بيضُها عليها المضاعَف زفْنا لها
كـكِرفئة الغيث ذات الصبيـ ـرِ . . . (البيت المذكور)

وقال شارح ديوانها الأخفش : الرجراجة : الـكتيبة ، كأنها تتحرك وتتمخض من كثرتها . والمضاعَف من الدروع : التى تنسج حلقتين حلقتين . وزِفنا لها : مشينا لها باختيال ، وهى بالزاى المعجمة والفاء ، زاف يَزيف زيفاً وزَيفاناً : تبختر فى مشيته . وشبه الرجراجة فى كثرتها وحركتها وتمخضها بالـكرفئة ، وهى السحابة العظيمة التى يركب بعضُها على بعض حَملا للماء . والحَمل بالفتح : ما كان فى الجوف مستـكناً . والحِمل بالـكسر : ظاهر مثل الوقر على الظهر . شبه الـكرفئة بالناقة يكثر لحمها وشحمها ، يقال : إنّ عليها[2]

---

(١) فى ديوان الخنساء : مخطوط دار الـكتب رقم ٤٣ ــه أدب : « وقالت لمعاوية أخيها وقتله بنو مرة على غدير قلهى » . وفى الأغانى ١٣ : ١٣١ : « ليست هذه فى صخر ، وإنما رثت به معاوية أخاها » . وبعد هذه الـكلمة فى ط : « وهو جرم بن عمرو بن الغوث بن طيىء » ، وهى عبارة مقحمة رجع عليها فى ش . وواضح أنه سهو كتابى ، وإنما هو اسم لقبيلة عامر بن حوين ، كما سيأتى .

(٢) ط : « عليه » ، صوابه فى ــه .

لكرافئ من اللحم والشحم . والصبير : سحاب أبيض . ترمى السحابَ هذه الكرفئة أى تنضم إليه وتتّصل به ، ويُرمى لها بالبناء للمفعول ، أى يُضمّ إليها حتى يستوىَ ويخاولق .

قال ابن الأعرابى : هذا البيت لعامر بن جوين الطائى . وقال الأصمعى : الكرفئة وجمعه كرافئ : قِطع من السحاب بعضها فوقَ بعض . والصبير : السحاب الأبيض

ثم قالت تخاطب أخاها :

وبيضٍ منعتَ غداةَ الصباح وقد كَفَّتِ الرّوعُ أذيالها
وهاجرةٍ حـرّها واقدٌ جعلتَ رداءك أظلالها
وجامعةِ الجمع قد سقتها وأعلمتَ بالرمح أغفالها
ورُعبوبةٍ من بنات الملو ك قعقعت بالرمح خَلخالها

٢٥ بيض ، تعنى جوارى سُبين . كفت : كشفت . والروع : الفزع[1] . وروى ابن الأعرابى : « تكشف للروع أذيالها » . واقد : شديد الحر . جعلت رداءك أظلالها ، أى استظللت فيها بالرداء . وتعنى بجامعة الجمع إبلا كثيرة . قد سقتها إمّا لتزويج وإما لسباء تفُكّه . وروى ابن الأعرابى : « ومُعلَمة سقتها قاعداً » معلمة : إبل . قاعداً : أى قاعداً على فرسك . والأغفال : التى لا سماتِ عليها ولا علامات . تقول : أعلمتَ منها ما كان أغفالا . والرُعبوبة : الناعمة الرخصة اللينة . قعقعت خلخالها ، أى تزوجت بها أو سبيتها، فهو سلبها .

ولا يخفى أن هذه الأبيات غير مرتبطة ببيت الشاهد ، ولا مناسبةَ لها به . والله أعلم .

---

(١) وأنثه بتضمينه معنى الحرب .

وقد نسب أبو محمد الأعرابى ـ فى فرحة الأديب ـ الأبيات التى نقلت عن الزمخشرى إلى عامر المذكور .

وقال المظهرى ـ فى شرح المفصل ـ كلاما يشبه كلام المبرسَمين وهذيان المحمومين ، وهو قوله : قصة هذا البيت أنّ جارية هربت من غارة وفى رجلها خَلخال ، يقول الشاعر : إنّ هذه الجارية تعدو ويصوّت خلخالها كصوت الرعد ، فليس مزنة تمطر مطراً مثل السحاب الذى يشبه هذه الجارية ، وليس أرض تخرج النبات مثل أرض أصابها ذلك السحاب . هذا كلامه(١)

ترجمة عامر ابن جوين

و (عامر بن جوين) صاحب الشاهد : هو ـ كما قال محمد بن حبيب فى أسماء المقتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام(٢) ـ: هو عامر بن جُوين ابن عبد رُضاء بن قمران الطائى ، أحد بنى جَرم بن عمرو بن الغوث بن طيء ، كان سيداً شاعراً فارسا شريفا ؛ وهو الذى نزل به امرؤ القيس بن حجر . وكان سبب قتله أن كلبا غزت بنى جَرم ، فأسر بشر بن حارثة وهُبيرة ابن صخر الكلبى ، عامر بن جوين ـ وهو شيخ ـ فجعلوا يتدافعونه لكبره ، فقال عامر بن جوين : لا يكن لعامر بن جوين الهوان ! فقالوا له : وإنك لهو ؟! قال : نعم . فذبحوه ومضوا ، فأقبل الأسود بن عامر فلما رأى أباه قتيلا تتبعهم فأخذ منهم ثمانية نفر ـ وكانوا قتلوا عامراً وقد هبت الصبا ـ فكممهم ووضع أيديَهم فى جفان فيها ماء ، وجعل كلما هبت الصبا ذبح واحداً حتى أتى عليهم .

قال أبو حاتم السجستانى ـ فى كتاب المعمّرين(٣) ـ : عاش عامر ابن جوين مائتى سنة .

---

(١) انظر اللسان (صبر) .

(٢) ص ٢٠٩ من المجلد الثانى من نوادر المخطوطات .

(٣) المعمرين ص ٤١ .

ورُضاء بضم الراء والمد ؛ قال ابن الكلبي في كتاب الأصنام[١] : وقد كانت العرب تسمى بأسماء يعبّدونها لا أدرى أعبّدوها للأصنام أم لا : منها عبد رُضاء ، كان بيتا لأبى ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهدمه المستوغر في الإسلام وقال :

ولقد شدَدتُ على رُضاء شَدّة فتركتها تلاً تنازع أسحما

وقران بفتح القاف وسكون الميم وبعدها راء مهملة . وجَرم اسم ثعلبةَ حضنته أمةٌ يقال لها جَرم فسمّى بها ، وابنه الأسود كان شريفا شاعراً . وقبيصة ابن الأسود وفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

وهذه نسبة عامر بن جوين من الجمهرة : عامر بن جوين بن عبد رُضاء ابن قران بن ثعلبة بن جيّان (وهو جَرم) بن عمرو بن الغوث بن طيء .

ترجمة ابى حنيفة الدينورى

(وأبوحنيفة الدينورى) هو أحمد بن داود بن وَنند[٢] . أخذ عن البصريين والكوفيين ، وأكثر أخذه عن ابن السكيت ، وكان نحويا لغويا مهندسا منجما حاسبا ، راوية ثقة فيما يرويه ويحكيه . مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ؛ قال أبو حيان التوحيدى : أبو حنيفة الدينورى من نوادر الرجال ، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب ، له في كل فن ساق وقدم . وهذا كلامه في الأنواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك ، وأما كتابه في النبات فكلامه فيه في عروض كلامِ أبدَى بدوىّ ، وعلى طباع أفصح عربىّ . ولقد قيل لى إن له في القرآن كتابا يبلغ ثلاثة عشر مجلدا ـ وما رأيته ـ وإنه ما سُبق إلى ذلك النمط مع ورعه وزهده وجلالة قدره . وله من الكتب : كتاب الباءة . كتاب ما تلحن فيه العامة . كتاب الشعر

٢٦

(١) الأصنام ص ٣٠ . وفى نقل البغدادى بعض التصرف .
(٢) هذه الترجمة برمتها من معجم الأدباء ٣ : ٢٦ — ٣٢ .

والشعراء . كتاب الفصاحة . كتاب الأنواء . كتاب فى حساب الدّر[١] . كتاب البحث فى حساب الهند . كتاب الجبر والمقابلة . كتاب البلدان ، كبير . كتاب النبات ، لم يصنف مثله فى معناه . كتاب الجمع والتفريق . كتاب الأخبار الطوال . كتاب الوصايا . كتاب نوادر الجبر . كتاب إصلاح المنطق . كتاب القِبلة والزوال . كتاب الكسوف . وله غير ذلك .

روى أن أبا العباس المبرد ورد الدينور زائراً لعيسى بن ماهان ، فأول ما دخل عليه وقضى سلامه قال له عيسى : أيها الشيخ ما الشاة المجثَّمة التى نهى النبىُّ صلَّى الله عليه وسلم عن أكل لحمها ؟ فقال : هى الشاة القليلة اللبن ، مثل اللَّجْبة ، فقال : هل من شاهد ؟ قال : نعم ، قول الراجز :

لم يبقِ من آل الحميد نسمهْ إلا عنيز لجبة مجثَّمهْ

فإذا الحاجب يستأذن لأبى حنيفة الدينورى ، فلما دخل عليه قال : أيها الشيخ ،ما الشاة المجثَّمة التى نُهينا عن أكل لحمها ؟ فقال : هى التى جثِّمت على ركبها وذبحت من خلف قفاها . فقال : كيف تقول وهذا شيخ أهل العراق يقول هى مثل اللجبة؟! وأنشده الشعر . فقال أبو حنيفة : أيمان البيعة تلزم أبا حنيفة ، إن كان هذا التفسير سمعه هذا الشيخ أو قرأه ، وإن كان الشعر إلّا لساعته هذه . فقال أبو العباس : صدق الشيخ ، فإنى أنفت أن أرِد عليك من العراق ، وذكرى ما قد شاع ، فأول ما تسألنى عنه لا أعرِفه . فاستحسن منه هذا الإقرار .

* * *

وأنشد بعده لامرئ القيس ، وهو الشاهد الثالث ، وهو من شواهد س[٢] :

---

(١) فى معجم الأدباء : « الدور » .
(٢) سيبويه ٢ : ١٨ .

٣ (تنوَّرْتُها من أذرعات وأهلُها بيثربَ أدنى دارها نظرٌ عالِ)

وقال الشارح : يروى بكسر التاء بلا تنوين ، وبعضهم يفتح التاء فى مثله مع حذف التنوين ، ويروى « من أذرعاتَ » كسائر ما لاينصرف . فعلى هذين الوجهين التنوين للصرف بلا خلاف . والأشهر بقاء التنوين فى مثله مع العلمية .

أقول : أراد بهذا الكلام تقرير ما ذهب إليه تبعاً للربعى والزمخشرى ـ وإن خالفهما فى الدليل ـ من أن تنوين جمع المؤنث السالم تنوين صرف لا تنوين مقابلة ، فإنّ حذف التنوين فى بعض اللغات مما سمى بهذا الجمع ، دليلٌ على أن تنوينه قبل التسمية تنوين صرف . فاستند أولا إلى تجويز المبرد والزجاج حذف التنوين منه مع العلمية ، وثانياً إلى رواية منع الصرف فيه مع العلمية بوجهين : سماعى وقياسى ، فالأول نقله ابن جنى ـ فى سر الصناعة ـ عن بعض العرب فقال : واعلم أنّ من العرب من يشبه التاء فى مسلمات ـ معرفةً ـ بتاء التأنيث فى طلحة وحمزة ، ويشبّه الألف التى قبلها بالفتحة التى قبل هاء التأنيث ، فيمنعها حينئذ الصرفَ فيقول : هذه مسلماتُ مقبلة . وعلى هذا بيت امرئ القيس : « تنورتها من أذرعاتَ » ، وقد أنشدوه من أذرعاتٍ بالتنوين . وقال الأعشى : ٢٧

تخيّرها أخو عاناتَ شهراً ورجّى خيرها عاماً فعاما [1]

وعلى هذا ما حكاه س من قولهم : هذه قرشياتُ [2] غير منصرفة . انتهى . والثانى أن بعضهم ـ أى بعض النحاة ـ يفتح التاء فى مثله ، أى فى

---

(١) فى النسختين : « لخيرها » ، صوابه من الديوان ١٣٤ واللسان (عون) ، وقال : « عانات : موضع بالجزيرة تنسب إليها الخمر العانية » .

(٢) فى كتاب سيبويه : « قريشيات » . والنسبتان صحيحتان .

مثل أذرعات مما سمى بجمع مؤنث سالم ، مع حذف التنوين ، أى بفتح التاء ويحذف التنوين منه ، ويروى ذلك البعض من أذرعاتَ بفتح التاء قياساً على سائر مالا ينصرف . فعلى هذين الوجهين أى حذف التنوين مع كسر التاء وحذف التنوين مع فتح التاء التنوين للصرف أى التنوين الذى كان قبل التسمية . فإنّ النحاة اتفقوا على أن التنوين الذى يحذف فيما لاينصرف إنما هو تنوين الصرف .

و (أذرعات) قال ياقوت فى معجم البلدان : وهى بلد فى أطراف الشام يجاور البلقاء وعَمّان ، وينسب إليه الخمر . وقد ذكرتها العرب فى أشعارها لأنها لم تزل من بلادها . والنسبة إليه أذرعىّ . و (يثرب) زاد الصاغانى : وأثرب[1] . اسم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ياقوت — نقلا عن الزجاجى : « سُمّيت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن عَوْص بن إرَم بن سام بن نوح صلى الله عليه وسلم ، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها طَيبة وطابة ، كراهيةً للتثريب . وسميت مدينةَ الرسول صلى الله عليه وسلم لنزوله بها . ثم اختلفوا فقيل : إن يثرب اسم للناحية التى منها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال آخرون : بل يثرب ناحية من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم[2] ، وقيل هى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . قال ابن عباس : من قال يثرب فليستغفر الله ثلاثا إنما هى طَيْبَة » . وقال فى المصباح : ثرب عليه من باب ضرب : عتب ولامَ ، وبالمضارع بياء الغائب سمى رجلٌ من العمالقة ، وهو الذى بنى المدينة سميت باسمه ، قاله السهيلى . وأما (يترب) بالمثناة الفوقية بدل المثلثة ، فقال ياقوت : هى بفتح الراء قيل

---

(١) ط : « ويثرب » صوابه فى سه كما تقتضيه المغايرة .

(٢) فى النسختين : « من ناحية مدينة الرسول » ، صوابه فى معجم البلدان .

قرية باليمامة عند جبل وشم . وقيل اسم موضع فى بلاد بنى سعد . وقال الحسن ابن أحمد الهمْدانى اليمنىّ[١] : هى مدينة بحضرموت نزلها كِندة . وإياها عنى الأعشى بقوله :

* بسهام يثرب أو سهام الوادى[٢] *

ويقال إن عرقوباً صاحب المواعيد كان بها . ثم قال : والصحيح أنه من قدماء يثرب . وأما قول ابن عبيد الأشجعى :

وعدتَ وكان الخلفُ منك سجيةً مواعيد عُرقوب أخاه بيترب

فهكذا أجمعوا على روايته بالتاء المثناة ؛ قال ابن الكلبى : وكان من حديثه أنه كان رجلا من العماليق يقال له عرقوب ، فأتاه أخ له يسأله شيئاً ، فقال له عرقوب : إذا أطلعَت النخلة فلك طلعها . فلما أتاه للعِدَة قال : دعها تصير بلحاً. فلما أبلحت قال : دعها تصير زهواً ؛ ثم حتى تصير بسراً ؛ ثم حتى تصير رطباً ؛ ثم تمراً . فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجدّها ولم يعطه شيئاً ، فصار مثلا فى الخلف » . و (التنوُّر) قال المبرد فى الكامل : المتنوّر الذى يلتمس ما يلوح له من النار . ورد عليه أبو الوليد الوقشى – فى شرحه عليه – بأن المتنور إنما هو الناظر إلى النار من بعد ، أراد قصْدها أو لم يرد ، كما قال امرؤ القيس : « تنورتها من أذرعات » ، ولم يرد أن يأتيها ، كما لم يُردِ القائل[٣] :

٢٨

وأشرفُ بالقُور اليَفاع لعلنى أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها

---

(١) هو صاحب كتاب الإكليل ، وصفة جزيرة العرب ، المتوفى سنه ٣٣٤ .

(٢) فى ديوان الأعشى ٩٨ومعجم البلدان ٢:٢٥٨ : « أو سهام بلاد». وصدره :

* منعت قياس الماسخية رأسه *

(٣) هو توبة بن الحمير من مقطوعة فى الأمالى ١ : ٨٨ ، كما ورد بهذه النسبة فى اللسان (بصر) .

والنظر إلى نارها إنما هو بنظر قلبه، تشوقاً إليها . كما قال ابن قتيبة فى أبيات المعانى[1] : هذا تحزُّن وتظنُّنٌ منه[2] ، ليس أنه رأى بعينه شيئاً إنما أراد رؤية القلب . ومثله قول الآخر :

ألَيس بصيراً من رأى وهو قاعد بمكة أهلَ الشام يختبزونا

وقال الأعشى[3] :

أريتُ القوم نارك لم أغمّض بواقصة ومشربنا زَرودُ
فلم أر موقداً منها ولكن لأية نظرة زَهَرَ الوقود[4]

وجوّز أرباب البديع فى الإغراق من المبالغة أن يكون نظراً بالعين حقيقة . قالوا : لا يمتنع عقلا أن يرى من أذرعات من الشام نار أحبَّتِه، وكانت بيثرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم على بعد لهذه المسافة ، على تقدير استواء الأرض وأن لا يكون ثمّ حائل من جبل أو غيره ، مع عظم جِرم النار ، وإن كان ذلك ممتنعاً عادة . وجملة تنورتها استئنافية ، و (أدنى دارها) مبتدأ و (نظر عالى) خبره بتقدير مضاف . قال أبو على فى الإيضاح الشعرى : ولا يجوز أن يكون نظرٌ خبر أدنى لأنه ليس به ، لأن أدنى أفعل تفضيل ، وأفعل لا يضاف إلا إلى ما هو بعضٌ له ، فوجب أن يكون بعض الدار ، وبعض الدار لا يكون النظر فإما أن يحذف المضاف من النظر ، أى أدنى دارها ذو نظر ، وإما أن يحذف من الأوّل ، أى نظرُ أدنى دارها نظر عالى ، ليكون الثانى الأوّل. فى المصباح: علا علوًّا من باب قعد : ارتفع ، فهو عال . يريد أن أقرب مكان من دارها

---

(١) المعانى الكبير ص ٤٣٥ .

(٢) ط : « وتمن منه » صواب النص من ب والمعانى

(٣) ديوانه ص ٦٥ .

(٤) زهر السراج والقمر ونحوها : تلألأ .

بعيد . فكيف بها ودونها نظر عالٍ ! والجملتان الاسميتان حال من ضمير المؤنث في تنوّرتها ، وجاءت الثانية بلا واو كقوله :

واللهُ يبقيك لنا سالماً بُرْداك تعظيم وتبجيلُ

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس عدتها ستة وخمسون بيتاً ، وهي من عيون شعره ، وأكثرها وقعت شواهد في كتب المؤلفين : هنا ، وفي مغني اللبيب ، وفي كتب النحو والمعاني . فينبغي شرحها ـ تتميما للفائدة ـ وإن شرحت هنا بأجمعها طال الكلام . فلنوزعها مع الأبيات التي ذكرت

قصيدة الشاهد

منها في هذا الكتاب متفرقة ، فنذكر هنا من أول القصيدة إلى البيت الذي شرحناه :

(ألا عم صباحاً أيُّها الطلل البالى وهل يعمنْ من كان في العُصر الخالى
وهل يعمنْ إلا سعيدٌ مخلدٌ قليلُ الهموم ما يبيتُ بأوجال)

٢٩ قوله « عم صباحاً » هذه الكلمة تحية عند العرب ، يقال : عم صباحاً وعم مساء وعم ظلاماً . والصباح من نصف الليل الثاني إلى الزوال ، والمساء من الزوال إلى نصف الليل الأوّل . قال ابن السيد في شرح شواهد أدب الكاتب « يقال وَعَمَ يَعِمُ كوعد يعد وومق يمق . وذهب قوم إلى أن يم محذوف من ينم ، وأجازوا عم صباحاً بفتح العين وكسرها ، كما يقال انعَم صباحاً وانعِم . زعموا أن بعض العرب أنشد :

* ألا عم صَباحاً أيها الطلل البالى *

بفتح العين . وحكى يونس أن أبا عمرو بن العلاء سئل عن قول عنترة :

* وعمى صباحاً دار عبلة واسلمى *

فقال : هو من نعم المطر إذا كثر ، ونعم البحر إذا كثر زَبَدُه ، كأنه

يدعو لها بالسقيا وكثرة الخير . وقال الأصمعى والفراء : إنما هو دعاء بالنعيم والأهل وهو المعروف ، وما حكاه يونس نادر غريب . ولم يذكر صاحب الصحاح مادة وعم قال : «وقولهم عم صباحاً كأنه محذوف من نعم ينعم بالكسر». وزعم ابن مالك فى التسهيل أن عم فعل أمر غير متصرف . قال أبو حيان : ليس الأمر كما زعم ، بل هو فعل متصرف ، وقد حكى يونس وعمتُ الدارَ أعم، أى قلت لها انعمى . قال الأصمعى : عم فى كلام العرب أكثر من انعمْ . وقد روى « ألا انعم صباحاً الخ » . ونَعُم الشىء نعومة صار ناعماً ليناً ، من باب كرم وحذر وحسب . ويقال انعم صباحَك أيضاً، من النعومة . وصباحاً ظرف أو تمييز محول عن الفاعل . والطلل : ماشخص من آثار الدار . والرسم : مطلق الأثر . والبالى : من بلى الثوب من باب تعب ، بِلَى بالكسر والقصر وبَلاء بالفتح والمد : خلق . أو من بلىَ الميتُ : أفنته الأرض . وقوله « وهل يعمن » هو استفهام إنكارى ، استشهد به ابن هشام ـ فى شرح الألفية ـ على أن مَن يستعمل فى غير العقلاء . وقال العسكرى ـ فى كتاب التصحيف ـ اختلفوا فى معناه لا فى لفظه ، فقال الأصمعى : اللفظ على مذهب أنت يا طلل قد تفرق أهلك وذهبوا ، فكيف تنعم بعدهم ؟ ! أو المعنى كيف أنعم أنا ؟ فكأنه نعنى أهل الطلل . و «العصر» بضمتين : لغة فى العصر وهو الدهر . والخالى : الماضى، قال تعالى : « وإنْ مِنْ أُمَّةٍ إلاَّ خَلاَ فيها نذير » . وقوله « وهل يعمن إلا سعيد إلخ » قال العسكرى : المخلّد : الطويل العمر الرخىّ البال ، ومخلد إذا لم يشب . وقيل المخلّد المقرّط ، والقُرط الخلَدة . ورواه بعضهم :

* وهل ينعمنْ الا خلىٌّ مخلَّد *

وقال : يعنى غلاماً حدَثاً خليا من العشق . والأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف ، وفعله من باب تعب .

(وهل يَعمنْ من كان أحدثُ عهده ثلاثين شهراً فى ثلاثة أحوال)

قال العسكرى — نقلا عن الأصمعى وابن السكّيت — يقول : كيف ينعم من كان أقربُ عهده بالرفاهية ثلاثين شهراً من ثلاثة أحوال ، على أن فى بمعنى من . ثم قالا : وقد تكون بمعنى مع ، قال ابن السيد « وكونها بمعنى مع أشبهُ من كونها بمعنى من . ورواه الطوسى: «أو ثلاثة أحوال» . وكل من فسره ذهب إلى أن الأحوال هنا السنون جمع حول[1] . والقول فيه عندى أن الأحوال هنا جمع حال لا جمع حول ، وإنما أراد كيف ينعم من كان أقرب عهده بالنَّعيم ثلاثين شهراً وقد تعاقبت عليه ثلاثة أحوال ، وهى اختلاف الرياح عليه ، وملازمة الأمطار له ، والقدم المغيّر لرسومه . فتكون « فى » هنا هى التى تقع بمعنى واو الحال فى نحو قولك: مرت عليه ثلاثة أشهر فى نعيم . أى وهذه حاله » .

٣٠

(ديارٌ لسَلمى عافياتٌ بذِى الخالِ ألحّ عليها كلُّ أسحمَ هطَّالِ)

عافيات : من عفا المنزل يعفو عَفواً وعفوّاً وعفاء بالفتح والمدّ : درس . وذو الخال قال ابن الأثير — فى المرصّع — جبل مما يلى نجداً ، وقيل موضع ، وأنشد هذا البيت . ولم يذكره ياقوت فى معجم البلدان . والأسحم : الأسود ، أراد به السحاب لكثرة مائه . وهذا البيت مصرّع . وديار مبتدأ ، ولسلمى صفةُ ، وعافيات خبره ، وبذى الخال حال من ضمير عافيات ، وجملة ألح خبر بعد خبر .

(وتحسب سَلمى لاتزالُ كعهدنا بوادى الخزامَى أو على رأس أوعالِ[2])

---

(١) فى النسختين : « جمع سنة » ، صوابه من الاقتضاب لابن السيد ٤٥٣ .
(٢) وروى : « رس أوعال » وبذلك غيرت فى ح .

العَهْد: الحال والعِلم، يقال هو قريب العهد بكذا، أى قريب العلم والحال . والخزامى — بالضم والقصر — خِيرِىّ البر . ووادى الخزامى ورأس أوعال : موضعان . ويروى « ذات أو عال » قال ابن الأثير فى المرصَّع: هى هضبة فيها بئر، وقيل هى جبل بين علمين فى نجد، والأوعال: جمع وعل . وأنشد هذا البيت :

أى إن سلمى تظنُّ أنها تبقى على الحالة التى كنا عليها فى ذينك المكانين.

(وتحسَب سَلمى لاتزَال ترى طَلاً من الوحش أو بَيضاً بميثاء محلالِ)

سلمى فاعل تحسب، والمفعول الأول من ترى محذوف أى نفسها، وجملة ترى خبرُ لاتزال — وهذا الإعراب جارفى السابق على هذا الترتيب — والرؤية عِلمية . وطلا مفعولها الثانى، والطلا بالفتح : ولد الظبية . ومن الوحش صفة طلا، وبيضا معطوف على طلا، أراد بيض النعام فى البياض والملاسة والنعومة . والميثاء قال فى العباب: « هو بالفتح الأرض السهلة » . وأنشد هذا البيت، وقال العسكرى — فى التصحيف — هو بفتح الميم طريق للماء عظيم مرتفع من الوادى، فإذا كان صغيرا فهى شعبة، وهو نحو من ثلث الوادى أو أقل، فإذا كان أكثر من ذلك فهو تَلعة، فإذا كان مثل نصف الوادى أو ثلثيه فهو مَيثاء . والميث: مالان وسهل من الأرض، وروى (الميثاء) بالكسر، وهى الأرض اللّيِّنة، وروى (الميتاء) بالكسر وبالتاء المثناة فوق، وهو الطريق المأتىّ أى المسلوك . والمحلال بالكسر، من حللت إذا نزلت به، قال الصاغانى : وأرض محلال إذا أكثر القوم النزول فيها، وكذلك روضة محلال، وأنشد هذا البيت . وقال العينى : أى تحسبها ظبية لاتزال تنظر إلى ولدها، وتحسبها بيض نعام، وقال بعض شراح

القصيدة : أى بالبادية حيث يكون بيض النعام أو ولد الوحش . اهـ . وهذا لا يخفى ما فيه .

(ليالىَ سلمى إذ تُريك منصَّبا وجِيداً كجيدِ الرِّيم ليس بمعطالِ)

ليالىَ منصوب بتقدير اذكر ونحوه ، وإذ بدل من ليالى . ومنصَّباً ، قال العسكرى : « من رواه بالنون أراد ثغرها ، والمنصب : المستوى من الأرض المتسق . ومن روى مقصبا بالقاف، أراد شعرها ، قصّبته : جعلته ذوائب ، وشعر مقصّب أى قُصابة [قُصَّابة[1]] . وقال الأصمعى : قصبة قَصبة . وقال غيره : قصيبة وقصائب » انتهى . وفى الصحاح : الذوائب المقصّبة تلوى ليا حتى ٣١ تترجّل ، ولا تضفر ، واحدتها قصيبة وقُصّابة بالضم والتشديد . والمعطال : المرأة التى خلا جيدها من القلائد ، والفعل من باب قتل ، وعَطلا بالتحريك وعطولا بالضم .

(ألا زعمتْ بَسباسةُ اليومَ أننى كبرْتُ وأن لا يشهد اللهوَ أمثالى)

بسباسة : امرأة من بنى أسد . وكبر : شاخ ، يقال كبر الصبى وغيره ، من باب تعب ، مَكبِرا كمسجد ، وكبراً كعنب . وشهده بالكسر يشهده بالفتح شهودا : حضره . واللهو : مصدر لهوت بالشىء ، إذا لعبت به . قال فى الصحاح : وقد يكنى باللهو عن الجماع . وقوله تعالى : « لو أُردنا أن نتخذ لهواً » ، قالوا : امرأة ، ويقال [ولداً[2]] .

(بلى ربّ يوم قد لهوتُ وليلةٍ بآنسة كأنَّها خطُّ تِمثال)

بلى : حرف إيجاب يختص بالنفى ويفيد إثباته ، وأثبت به هنا الشهود المنفى فى البيت السابق . ورواه ابن هشام فى مغنى اللبيب : « فيارب يوم الخ »

---

(١) التكملة من تصحيف العسكرى ص ٢٢٨ .

(٢) التكملة من سه والصحاح .

وأورده شاهدا على ورود ربّ للتكثير . وجملة قد لهوت صفة يوم ، والعائد محذوف أى فيه ، وصفة ليلة مع العائد محذوف أى لهوت فيها ، ولا يجوز أن يكون الوصف لهما . والآنسة : المرأة التى تأنس بحديثك . والخط : الكتابة ، قال فى العباب : يقال خطّه فلان كما يقال كتبه . وأنشد هذا البيت . وقال فى مادة مثل : والتمثال الصورة ، والجمع التماثيل . وقوله تعالى : « ما هذه التماثيل » ، أى الأصنام . وقوله تعالى : « يعمَلون له مايشاء من مَحاريبَ وتماثيلَ » وهى صور الأنبياء عليهم السلام ، وكان التصوير مباحا فى ذلك الوقت .

(يضىء الفراشَ وجهُها لضجيعها كمصباح زيتٍ فى قناديلِ ذُبّالِ)

الفراش : مفعول مقدم ووجهها الفاعل . والمصباح : السراج . والذبّال بضم الذال وتشديد الموحدة : جمع ذُبَّالة وهى الفتيلة ، لغة فى الذُّبال بتخفيف الباء . ويروى : « فى قناديل آبال » : جمع أبيل ، كشريف وأشراف ، وهو الراهب ، قال عدىّ بن زيد العِبادىّ :

إننى والله فاقبل حِلْفتى بأبيل كُلّما صلّى جأرْ

وفى ، بمعنى مع .

(كأنَّ على لَبَّاتها جمرَ مُصطَلٍ أصاب غَضًى جزلا وكُفّ بأجذال
وهبّتْ له ريحٌ بمختلَف الصُّوى صَبا وشَمالاً فى منازل قُفَّال)

اللبة : المنحر ، وموضع القلادة من الصدر ، والمراد هنا هو الثانى . والمصطلى اسم فاعل من اصطلى بالنار . وصلى بها وصليها من باب تعب : وجد حرّها ، وجملة أصاب غضًى صفة لمصطل . والغضى : شجر خشبه من أصلب الخشب ، ولهذا يكون فى فحمه صلابة . وأصاب : وجد . والجزل : الغليظ ، وجزُل الحطب بالضم إذا عظم وغلظ ، فهو جزل . وكُفّ بالبناء للمفعول ، من كففت الثوب ، أى خطت حاشيته ، وهى الخياطة الثانية . أراد : جُعل

حول الجمر أجذال ، وهى أصول الحطب العظام ، جمع جِذْل بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة . والمختلف بفتح اللام : موضع الاختلاف أى التردد ، وهو أن تذهب ريح وتجىء ريح . والصُّوى : جمع صُوَّة ، كقوى جمع قوّة ، والصوّة قال فى الصحاح : هى مختلف الريح ، وأنشد هذا البيت . والصوّة أيضاً : حجر يكون علامةً فى الطريق ، وليس بمراد هنا ، خلافاً لبعضهم . والقفّال : جمع قافل كعباد وعابد ، والقافل : الراجع من سفره ، وفعله من باب قعد ، ويكون القفول فى المبتدئ للسفر تفاؤلا بالرجوع . بالغ فى سخونة هذه المرأة فى الشتاء حيث وَصف الحلى الذى على لبّانها بما ذكر فى البيتين ، وهذا مدح فى النساء ، كما إذا بردت فى الصّيف[1] . قال الأعشى : ٣٢

ونسخن ليلةَ لا يستطيع نباحا بها الكلب إلا هريرا
وتبرد بردَ رداء العرو س بالصيف رقرقت فيه العبيرا

(كَذَبتِ لقدأُصبِي على المرء عِرسَه وأمنع عِرسى أن يُزَنّ بها الخالى)

صرّح بتكذيب بسباسة ، حيث زعمت أنه لا يلهو بالنساء فقال : إنى أشوّقُ النساء إلىّ معوجود أزواجهن ، ولاأدع أحدا يُتّهم بامرأتى ، لأنها لاتميل إلى أحد مع وجودى ، لأنى محبّب عند النساء . وأصبى : مضارع أصبيت المرأة ، بمعنى شوّقتها وجعلتها ذاتَ صبوة وهى الشّوق . والعرس بالكسر : الزوجة . ويُزَنّ : يتهم ، بالبناء للمفعول ؛ يقال أزننته بشىء : اتهمته به ، وهو يزنّ بكذا ، وأزنّه بالأمر إذا اتهمه به . والخالى قال فى الصحاح : « قال الأصمعى : هو من الرجال : الذى لا زوجة له » . وأنشد هذا البيت .

(ومثلكِ بيضاءِ العوارض طَفلةٍ لعوبٍ تنسّينى إذا قمتُ سِربالى)

---

(١) قال الوزير أبو بكر : شبه توقد الحلى على صدرها بجمر المصطلى . وخص المصطلى لأنه يذكيه ويقلبه ، فهو يتوقد ويظهر جمرة جمرة .

الواو واو رب . وهو خطاب لبسباسة . فى القاموس : العارض والعارضة : صفحة الخد ، وصفحتا العنق ، وجانبا الوجه . والعارضة أيضاً : ما يستقبلك من الشيء ، ومن الوجه : ما يبدو عند الضحك . والطَّفلة بفتح الطاء : الناعمة البدنِ ، والطَّفل : الناعم . واللَّعوب : الحسنة الدَّل. والنسيان : خلاف الذكر . وأنسانيه الله ونَسَّانيه تنسية بمعنًى . ورواه الجوهرى عن أبى عبيدة : « لعوب تناسانى إذا قمت سربالى » . قال : ومعناه تنسينى . والسِّربال : القميص .

(لطيفة طىُّ الكشحِ غيرَ مُفاضة إذا انفتلت مرتجَّةً غيرَ مِتفالِ)

لطف لطفا ولطافة ككرم : صغر ودقّ ، وهو لطيف . والكشح بالفتح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف . وطى الكشح هنا : جدلها وفتلها ، يريد أنَّها مجدولة الكشح جدلاً لطيفاً ، فإنَّ هَيف الكشح والخصر ممدوح . والمفاضة من النساء : الضخمة البطن ، وهذا ذمٌّ فيهن ، ومن الدروع : الواسعة ، وهما من الفيض . وانفتلت : انصرفت . ومرتجّة من الارتجاج ، وهو التحرُّك والاضطراب ، أراد عظم كفلها ، وهى خبر تكون محذوفة . والمِتفال بالكسر : من تَفِل بالمثناة الفوقيّة والفاء ، قال فى العباب : التَّفَلَ بالتحريك : مصدر قولك تَفِل الرجل بالكسر ، إذا ترك الطيب ، فهو تفل ، وامرأة تفلة . وفى الحديث : « لا تمنعوا إماء الله مساجدَ الله ، وليَخرجنَ إذا خرجنَ تَفِلاتٍ » ، أى تاركات للطيب . وامرأة متفال ، إذا كانت كذلك ، وأتفله غيره ، ومنه حديث على رضى الله عنه لرجل رآه نائماً فى الشمس : « قم عنها فإنها تُتفِل الرِّيح ، وتبلى الثوب ، وتظهر الداء الدفين » . وصفها بثلاثة أمور : بِهَضمِ الخصر ، وضخامة الكفَل ، والطيب. ٣٣

(إذا ما الضجيعُ ابتزَّها من ثيابها تَميلُ عليه هونةً غيرَ مِعطال)

ابتزها : نزع بزّها أى ثيابها ، وأراد مطلق النزع والسلب . والمونة والهونة بالفتح والضم : المتئدة . والهَوْن : السكينة والوقار . والمعطال تقدم تفسيره . ويروى « مجبال »[1] قال الأصمعى : معناه هى الغليظة .

(كدِعص النَّقا يمشى الوَليدانِ فوقه بما احتسبا من لين مسٍّ وتَسهالِ)

الدعص بالكسر : قطعة من الرمل مستديرة . والنقا : الكثيب من الرمل . أراد تشبيه عجزها بالدِّعص لعظمه ، حتى أنّ ولدين يمكنهما أن يلعبا فوقه من غير ضرر عليهما ، للينه وسهولته . والوليدان : الصبيّان . واحتسب : اكتفى . والتَّسهال : السهولة .

(إذا ما استحمّت كان فيضُ حَميمها على مَتنَتيها كالُجمان لدَى الحال[2])

استحمت : اغتسلت بالحميم ، وهو الماء الحار . ومتنتا الظهر : مكتنفا الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم ، والمفرد متن ومتنة . والجمان بالضم : اللؤلؤ . والحال : وسط الظهر ، ومن الفرس : موضع اللبد . أراد أن الماء الذى ينفصل من ظهرها عند الاغتسال يشبه اللؤلؤ المتناثر .

(تنورتها من أذرعات . . . . (البيت)

الضمير راجع إلى بسباسة . وقد شُرح البيت .

(نظرتُ إليها والنجومُ كأنّها مصابيحُ رُهبانٍ تُشبُّ لقُفّال)

ضمير إليها راجع إلى النار المفهوم من تنورتها ، وجملة والنجوم الخ حال من الفاعل ، وجملة تشبّ حال من ضمير النار . قال ابن رشيق فى العمدة[3] :

---

(١) فى ط : « محيال » صوابه فى ش والديوان ٣١ .

(٢) ويروى : « الجالى » وهو الذى يجتليها ، أى يعرضها كما فى شرح الطوسى . الديوان ٣٧٨ .

(٣) العمدة ٢ : ٤٥ .

ومن أبيات المبالغة قول امرئ القيس يصف نارا ، وإن كان فيه إغراق :
نظرت إليها والنجوم ، البيت ؛ يقول : نظرتُ إلى نار هذه المرأة تشبّ لقفال،
والنجوم كأنها مصابيح رهبان . وقد قال « تنورتها من أذرعات » البيت ،
وبين المكانين بُعد أيام ، وإنما ترجع القفال من الغزو والغارات وجهَ الصباح ،
فإذا رآها من مسيرة أيام ، وجهَ الصباح ، وقد خمد سناها وكَلَّ مُوقدها ،
فكيف كانت أول الليل ؟! وشبه النجوم بمصابيح الرُّهبان لأنها فى السَحَر
يضعف نورها كما يضعف نور المصابيح الموقدةِ ليلها أجمع ، لا سيما مصابيح
الرهبان ، لأنّهم يكلُّون من سهر الليل ، فربّما نعسوا فى ذلك الوقت » .

وقال بعضهم : ومن التشبيه الصادق هذا البيت ، فإنّه شبه النجوم
بمصابيح رهبان لفرط ضيائها ، وتعهُّد الرهبان لمصابيحهم وقيامهم عليها لتزهر
إلى الصبح ، فكذلك النجوم زاهرة طول الليل وتتضاءل إلى الصبح كتضاؤل
المصابيح له .

وقال « تشب لقفال » لأن أحياء العرب بالبادية إذا قفلت إلى مواضعها
التى تأوى إليها من مَصيفٍ إلى مشتًى إلى مربع ، أُوقدت لها نيران على قدر
كثرة منازلها وقلّتها ، ليهتدوا بها . فشبَّه النجوم ومواقعها من السماء بتفرق
تلك النيران واجتماعها من مكان بعد مكان ، على حسب منازل القفال بالنيران
الموقدة لهم .

٣٤ وقد طال الكلام هنا ولم يمكننا أن نترجم امرأ القيس . ونترجمه إن شاء
الله فى الشاهد الثانى من شواهد شعره .

* * *

وأنشد بعده وفى آخر الشرح ،فى التنوين ،وهو الشاهد الرابع :

٤ (أقلّى اللّومَ عاذلَ والعتابَنْ وقُولى إن أصبتُ لقد أصابَنْ)

على أن تنوين الترنم يلحق الفعل والمعرّف باللام ـ وقد اجتمعا فى هذا البيت — والفعلَ سواء كان ماضياً كما ذكر أو مضارعا ، كقوله :

* داينتُ أروى والديونُ تُقضَيَنْ [(١)] *

وقد لحقت المضمرَ أيضاً كقوله :

* يا أبتا علّك أو عساكن *

قال الشارح : ولم يسمع دخولُها على الحرف ، ولا يمتنع ذلك فى القياس .

أقول : قد سمع فى الحرف أيضاً كما مثّل له شُراح الألفية بقول النابغة :

أفِدَ التَّرحُّل غير أنّ ركابنا لما تزلْ برحالنا وكأن قدن

ولحاق هذا التنوين لما ذكر إنما هو عند بنى تميم ، كما قال الشارح ، وعند قيس أيضاً كما قاله ابن جنّى فى سر الصناعة .

و (أقِلّى) فعل أمر مسنَد إلى ضمير العاذلة ، يقال أقللته وقلّلته بمعنى جعلته قليلا ، بتعدية قلّ بالهمزة والتضعيف . وهذا المعنى ليس بمراد ، بل المقصود اتركى اللوم ؛ فإنّ القلة يعبر بها عن العدم كما هو مستفيض . و (اللّوم) مفعول أقلّى ، وهو مصدر لام يلوم ، ومعناه العذل ، والتوبيخ . و (عاذلَ) منادى محذوف منه حرف النداء ، ومرخم عاذلة ، من عذل يعذل من بابى ضرب وقتل ، بمعنى لام . و (العتاب) معطوف على اللّوم ، مصدر عاتب معاتبة وعتابا . قال الخليل : العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة أى الغضب . وهذا ليس بمقصود إذ هو بهذا المعنى لا يكون إلاّ بين متحابّين ، وإنّما المراد مصدر

(١) قال الميمنى : هذا من تمحّل النحاة ، فإن الشطر لرؤبة . راجع اللآلىء ص ٥٧) ويليه :

* فمطلت بعضاً وأدت بعضا *

فكيف تستقيم الأشطار بتنوين الترنم .

عَتَب عليه عتباً من بابى ضرب وقتل ، بمعنى لامه فى تسخُّط . وقوله (قُولى) فعل أمر أيضاً معطوف على أقلى . وقوله (لقد أصابن) مقول القول ، وجملة (إن أصبتُ) معترضة بينهما ، وجواب الشرط محذوف وجوبا يفسره جملة القول .

صاحب الشاهد

وهذا البيت مطلع قصيدة طويله عدد أبياتها مائة و تسعة ، لجرير[1] يهجو عُبيدا الراعى النميرى ، والفرزدق . وسبب هجوه إياهما على ما حكى فى شرح المناقضات ، أنّ عَرَادة النميرى كان نديماً للفرزدق ، فقدم الراعى البصرةَ فقدّم عرادة طعاماً وشراباً ، فدعا الراعىَ ، فلما أخذت الكاس منهما قال عَرادة للراعى : يا أبا جندل ، قل شعراً تفضّل الفرزدق على جرير . فلم يزل يزيّن له ذلك حتى قال :

يا صاحبىّ دنا الأصيلُ فسيرا غلب الفرزدقُ فى الهجاء جريرا

فغدا به عرادة على الفرزدق فأنشده إياه ، وكان عبيد الراعى شاعر مضر وذا سنّها ، فحسب جرير أنه مغلّب الفرزدقَ عليه ، فلقيه يوم الجمعة فقال : يا أبا جندل : إنى أتيتك بخبر أتانى ، إنى وابن عمى هذا — يعنى الفرزدق — نستبّ صباحاً ومساء ، وما عليك غلبة المغلوب ولا عليك غلبة الغالب ، فإما أن تدعَنى وصاحبى ، وإما أن تغلّبنى عليه ، لانقطاعى إلى قيس وحَطْبى فى حبلهم . فقال له الراعى : صدقت ، لا أبعِدك من خَير ، ميعادك المِربد . فصحبه جرير ، فبينما هما يستخرج كلٌّ منهما مقالةَ صاحبه رآهما جَندل بن عُبيد فأقبل يركض على فرس له فضرب بغلة أبيه الراعى ، وقال : مالك يراك الناس واقفاً على كلب بنى كليب ؟ ! فصرفه عنه . فقال جرير : أما والله ٣٥

(١) ديوانه ٦٤ — ٨٠ والنقائض ٤٣٢ .

لأثقلنّ رواحلك . ثم أقبل إلى منزله ، فقال للحسين رَاوِيتهِ : زد فى دُهن سراجك الليلة ، وأعدِد لوحاً ودواة. ثم أقبلَ على هجاء بنى نمير ، فلم يزل يُملى حتى ورد عليه قوله .

فغُضَّ الطرفَ إنك من نمير ... فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

فقال : حسبك ، أطفِء سراجك ونم ، فرَغتُ منه . ثم إنَّ جريراً أتم هذه بعد ، وكان يسمِّيها الدامغة أو الدمَّاغة ، وكان يسمى هذه القافية المنصورة ، لأنه قال قصائدَ فيها ، كلُّهن أجاد فيها . وبعد أن أتمها أدخل طرفَ ثوبه بين رجليه ثم هَدَر ، فقال : أخزيت ابن يربوع ! حتّى إذا أصبح غدًا ورأى الراعى فى سوق الإبل ، فأتاه وأنشدُه إياها ، حتى وصل إلى قوله :

أجندلُ ما تقول بنو نُمَيرٍ ... إذا ما الأير فى آست أبيك غابا

فقال الراعى : شراً والله تقول !

علوتُ عليك ذِروة خِنْدِفيٍّ ... ترى من دونها رُتَباً صعابا

لنا حَوضُ النبي وساقياه ... ومَن ورث النبوّة والكتابا

إذا غضبتْ عليك بنو تميم ... حسبتَ الناس كلهم غضابا

فغضَّ الطرف إنك من نمير ... . . . (البيت[1]) .

فقال الراعى وهو يريد نقضها :

أتانى أنَّ جحش بنى كليب ... تعرَّض حَول دِجلة ثم هابا

فأولى أن يظلَّ البحر يطفو ... بحيث ينازع الماء السحابا

أتاك البحرُ يضرب جانبيه ... أغرُّ ترى لِجريته حَبابا

---

(١) ورد فى ط فقط بعده الحرف « ن » ، ولعله إشارة إلى النقائض ، كما يشير بالحرف « س » إلى سيبويه .

ثم كفّ ورأى أن لايجيبه . فأجاب عنه الفرزدق على رويّ قوله :

أنا ابن العاصمين بنى تميم إذا ما أعظم الحدَثان نابا

ثم إنّ الراعى قال لابنه : ياغلام بئسما كسَبنا قومُنا[1] . ثم قام من ساعته وقال لأصحابه : ركابَكم فليس لكم ها هنا مقام ، فَضَحكم جرير . فقال له بعض القوم : ذلك بشؤمك وشؤم ابنك . وسار إلى أهله ، فلما وصل إليهم سمع عند القدوم :

فغضّ الطرف إنّك من نمير . . . . . . (البيت)

وأقسم بالله مابلَّغَها إنسىّ ، وإن لجرير لأشياعاً من الجن . فتشاءمت به بنو نمير وسبُّوه وسبُّوا ابنه . وهم يتشاءمون به إلى الآن .

قال ابن رشيق فى العمدة[2] : « وممن وضعه ماقيل فيه من الشعر ، حتى أنكر نسبه وسقط عن رتبته ، وعِيب بفضيلته ، بنو نمير . كانوا جمرة من جمرات العرب ، إذا سئل أحدهم : ممن الرجل ؟ فخم لفظه ومدّ صوته وقال : من بنى نمير . إلى أن صنع جرير قصيدته التى هجا بها عُبيد بن حُصينٍ الراعى فسهر لها فطالت ليلته إلى أن قال : فغض الطرف إنك من نمير . . البيت . فأطفأ سراجَه ونام ، وقال : والله قد أخزَيتُهم آخر الدهر . فلم يرفعوا رأساً بعدها ، إلاّ نكس بهذا البيت ، حتّى أن مولى لباهلة كان يرد سوق البصرة ممتاراً فيصيح به بنو نمير : ياجوذابَ باهلة ، فقص الخبر على مواليه — وقد ضجر من ذلك — فقالوا له : إذا نبزوك فقل لهم :

٣٦

فغضّ الطرف إنك من نمير . . . . . . (البيت)

ومرّ بهم بعد ذلك فنبزوه ، وأراد البيت فنسيه فقال : غمِّضْ وإلاّ جاءك

(١) انظر النقائض ٤٣٢ .

(٢) العمدة ١ : ٢٦ .

ماتكره ! فكفُّوا عنه ، ولم يَعرِضوا له بعدها . ومرت امرأة ببعض مجالس بني نمير ، فأداموا النظر إليها فقالت : قَبحكم الله يابني نمير ، ماقَبِلتم قول الله عز وجل : « قُلْ لِلمُؤْمِنين يَغُضُّوا مِن أبْصارِهِمْ » ، ولا قول الشاعر :

فغضّ الطرف إنك من نمير . . (البيت)

وهذه القصيدة تسمِّيها العرب الفاضحة ، وقيل سماها جرير الدمّاغة ، تركت بني نميربالبصرة ينتسبون إلى عامر بن صعصعة ويتجاوزون أباهم نميراً إلى أبيه ، هرباً من ذكر نمير ، وفِراراً مما وسم به من الفضيحة والوصمة » .

جمرات العرب

واعلم أنّ جمرات العرب ثلاث : وهم بنو نُمير بن عامر بن صعصعة ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو ضَبة بن أدّ . فطَفِئت جمرتان وهما بنو ضبة لأنّها حالفت الرِّباب ، وبنو الحارث بن كعب لأنّها حالفت مذحجاً ، وبقيت نمير لم تحالف فهى على كثرتها ومنعتها . وكان الرجل منهم إذا قيل له : مَنْ أنت ؟ قال : نميريٌّ ، إدلالاً بنسبه ، وافتخاراً بمنصبه ، حتى قال جرير :

فغضّ الطرف إنك من نمير . . (البيت)

وكعب وكلاب ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة . والتجمير فى كلام العرب التجميع ، وإنّما سموا بذلك لأنّهم متوافرون فى أنفسهم لم يُدخلوا معهم غيرهم. وفى القاموس : الجمرة : النار المتقدة ، وألف فارس ، والقبيلة لاتنضم إلى أحد ، أو التى فيها ثلاثمائة فارس . وجمرات العرب : بنو ضَبة بن أد ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو نمير بن عامر ؛ أو عبس ، والحارث ، وضبّة لأنّ أمهم رأت فى المنام أنه خرج من فرجها ثلاث جمرات ، فتزوّجها كعب بن المَدَان[1]

(١) وكذا فى القاموس ، والوجه « بن عبد المدان » كما فى اللسان (بيت ، جمر) والمدان : صنم لهم . وانظر للجمرات أيضاً ثمار القلوب ١٢٦ وجنى الجنتين ٣٦ وشمس العلوم ٢٢ والشريشى ١ : ٢٩٨ والحيوان ٥ : ١٢٣ .

فولدت له الحارث ، وهم أشراف اليمن . ثم تزوّجها بَغيض بن رَيث فولدت له عَبساً ، وهم فرسان العرب . ثم تزوّجها أدّ فولدت له ضَبة . فجمرتان فى مضر ، وجمرة فى اليمن .

ترجمة جرير

و (جرير) ابنُ عطية بن الخَطَفى بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وجرير من الأسماء المنقولة ، لأن الجرير حبل يكون فى عنق الدابة أو الناقة من أدم ، كذا فى أدب الكاتب . وسمى جريراً لأنّ أمه كانت رأت فى نومها — وهى حاملة به — أنها تلد جريراً ، فكان يلتوى على عنق رجلٍ فيخنقه ، ثم فى عنقِ آخر ، ثم فى عنق آخر ، حتى كاد يقتل عدّةً من الناس ، ففزعت من رؤياها وقصّتها على معبِّر ، فقال لها : إن صدقتْ رؤياك ولدتِ ولداً يكون بلاء على الناس . فلما ولدته سمّته جريراً . وكان تأويل رؤياها أنه هجا ثمانين شاعراً فغلبهم كلهم إلا الفرزدق . وكانت أمه ترقّصه وهو صغير[1] وتقول :

قصصت رؤياى على ذاك الرجلْ　　فقال لى قولاً وليتَ لم يقُلْ
لَتلدِنّ عُضلةً من العُضَل　　ذا منطق جزل إذا قال فصل
مثل الحسام العَضْب ماسٍّ فَصل　　يَعدِل ذا الميل ولمّا يعتدل
يُنهل سماً من يُعادى ويُعلّ

والخَطَفى لقب جده، واسمه حذيفة ، مصغر حَذْفة ، وهى الرمية بالعصا ، ولُقّب بالخطفيَ لقوله :

يرفعنَ بالليل إذا ما أسدفا　　أعناقَ جِنّان وهاما رُجّفا
وعنقا باقى الرسيم خطفا

(١) ط : « قصير »، صوابه فى ـه .

ويروى «خَيطفا» ، وهو السريع . ويكنى جريرٌ أبا حَزْرة ، بفتح المهملة وسكون المعجمة ، بابن كان له . والحزرة : فعلة من حزرت الشيءُ ، إذَا خرصته وخمّنته ، والحزرة أيضاً : خيار المال ، وحموضة اللبن .

قال ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء « وكان له عشرة من الولد : ثمانية ذكور ، منهم بلال وكان أفضلَهم وأشعرهم .. وله عقب[1] منهم عُمارة ابن عقَيل بن بلال . ومن ولد جرير : نوح وعكرمة ، وكانا شاعرين أيضا . وكان جرير من فحول شعراء الإسلام ، وكان يشبّه بالأعشى ميمون ، وكان من أحسن الناس تشبيباً[2] . قال الأصمعى : سمعت الحى يتحدثون عن جرير أنه قال : لولا ماشغلنى من هذه الكلاب لشبّبت تشبيباً تحنُّ منه العجوز إلى شبابها ، حنين الناقة إلى سقبها . وكان من أشد الناس هجاء » .

وقد أجمع علماء الشعر على أنّ جريرا والفرزدق والأخطل مقدَّمون على سائر شعراء الإسلام ، واختلفوا فى أيُّهم أفضل ، وقد حكم مروان بن أبى حفصة بين الثلاثة بقوله :

ذهب الفرَزْدَقُ بالفخار وإنّما حلو الكلام ومرُّه لجريرِ[3]
ولقد هجا فأمضَّ أخطلُ تغلب وحَوى اللُّهَى بمديحه المشهور

فحكم للفرزدق بالفخار ، وللأخطل بالمدح والهجو ، ولجرير بجميع فنون الشعر .

قال المدائنى : كان جرير أعقّ الناس لأبيه ، وكان ابنه بلال أعقّ الناس به[4] . فراجع جرير بلالا فى الكلام ، فقال بلال : الكاذب من ناك أمه !

---

(١) ط : « ولهم » صوابه فى ش والشعر والشعراء ٤٣٥ وفيه : « ولبلال عقب » .
(٢) فى النسختين : « تشبهاً » صوابه من الشعراء ٤٣٧ وما يقتضيه السياق .
(٣) أنشد هذا البيت فى الشعراء ٤٣٨ .
(٤) قال الميمنى : « الصواب له ، فإن عق لا يحتاج إلى الباء فى التعدية »

فأقبلَتْ عليه وقالت له : يا عدوّ الله أتقول هذا لأبيك ؟ ! قال جرير : فوالله لــكأنّى أسمعها وأنا أقولها لأبى .

ولما بلغ موتُ الفرزدق جريرا قال :

هلك الفرزدقُ بعد ماجدَّعته ليت الفرزدقَ كان عاش قليلا

ثم أطرق طويلا وبكى ، فقيل له : ما أبكاك ؟ قال : بكيت على نفسى ، والله إنّى لأعلم أنى عن قليل لاحِقُه ، فلقد كان نجمنا واحدا ، وكلٌّ واحد منا مشغول بصاحبه ،وقلما مات ضدٌّ أو صديق إلا تبعه الآخر. ثم أنشأ يرثيه :

فُجِعنا بحمّال الديات ابن غالب وحامى تميم عُرضها والبَراجم[1]
بــكيناكَ حِدثانَ الفراق وإنّما بــكيناكَ إذ نابتْ أمورُ المظائم
فلا حَملَتْ بعد ابن ليلى مَهيرةٌ ولا شدَّ أنساع المطىّ الرواسم

ثم لم يلبث أن مات بعد قليل باليمامة .

ذكر من اسمه جرير

وذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف من اسمه جرير من الشعراء سبعة : أحدهم هذا وتُوفى فى سنة عشر وقيل إحدى عشرة ومائة ، وعمره قد قارب التسعين . والثانى : جرير العِجْلى[2] ، وهو عصرىّ الأوّل ، وقد رد على الفرزدق . الثالث : جرير بن عبد الله ، أحد بنى عامر بن عُقيل ، فارس شاعر . والرابع : جرير بن عبد المسيح الضُّبعى ، وهو المتلمس صاحب طرفة بن العبد . والخامس : جرير بن كليب بن نوفل ، وهو إسلامى . السادس:جرير بن الغوث ،

(١) البراجم فى بنى تميم : عمرو ، وقيس ، وغالب ، وكلفة ، وظليم ؛ وهم بنو حنظلة ابن زيد مناة ، تحالفوا على أن يكونوا كبراجم الأصابع فى الاجتماع . الاشتقاق ١٣٤ واللسان (برجم) . وفى النسختين : « المراجم » بالميم ، وهى على الصواب الذى أثبت فى الشعراء ٤٥٤ . وعرض تميم ، بالضم ، أى معظمها وجمهورها .

(٢) هو جرير بن الخرقاء ، كما فى المؤتلف ٨١ .

أخو بنى كنانة بن القين . السابع : جُرير وهذا مصغّر ، وهو أبو مالك المُدلجى .

* * *

٣٨ وأنشد بعده، وهو الشاهد الخامس ، وهو من شواهد سيبويه(١) ، أنشده في باب وجوه القوافى ، واستشهد به لما يلزم من إثبات الواو والياء إذا كانتا قافيتين ، كما يلزم إثبات القاف فى المخترق لأنّها حرف الروى :

٥ (وقاتِم الأعماقِ خاوى المخترَقْنْ)

على أن تنوين الترنم قد يلحق الروى المقيَّد فيختص باسم الغالى ، تبع الشارح المحقق فى جعل تنوين الغالى نوعاً من تنوين الترنم لابن جنى ، فإنه قال فى سر الصناعة : الرابع من وجوه التنوين وهو أن يلحق أواخر القوافى معاقباً لما فيه من الغنة لحرف الميم ، وهو على ضربين : أحدهما أن يلحق متمماً للبناء ، والآخر أن يلحق زيادة بعد استيفاء البيت جميع أجزائه ، نيفاً(٢) من آخره بمنزلة الزيادة المسماة خزماً فى أوله . ثم قال : وإنما زادوا هذا التنوين فى هذا الموضع ونحوه بعد تمام الوزن ، لأن من عادتهم أن يلحقوه فيما يحتاج إليه الوزن نحو :

* قِفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلن *

وقوله :

* الحمد لله الوهوب المجزلنْ(٣) *

فلما اعتادوه فيما يكمل وزنه ألحقوه أيضاً بما هو مستغنى عنه . وهذا معنى

(١) سيبويه ٢ : ٣٠١ .
(٢) النيف ، بالفتح ، وكسيد: الزيادة .
(٣) لأبى النجم العجلى من أرجوزته المسماة أم الرجز ، المنشورة بالعدد الثامن من مجلة المجمع العلمى بدمشق سنه ١٩٢٨ .

قول الشارح : «وإنما ألحق بالروى المقيد تشبيهاً له بالمطلق » . وزعم ابن يعيش أن فائدة هذا التنوين التطريب والتغنى . وجعله ضرباً من تنوين الترنم ، وزعم أن تنوين الترنم يراد به ذلك . وهو غلط كما بينه الشارح المحقق . وقال عبد القاهر : فائدته الإيذان بأنّ المتكلم واقف ، لأنه إذا أنشد مجلاً والقوافى ساكنة صحيحة لم يُعلم أواصلٌ هو أم واقف؟ وأنكر هذا التنوين الزجاج والسيرافى، وزعما أن رؤبة كان يزيد فى أواخر الأبيات (إن) فلما ضعف صوته بالهمزة لسرعة الإيراد ظن السامع أنّه نون، وفى هذا توهيم الرواة الثقاتِ بمجرد الاحتمال.

وقول الشارح «فيفتح ماقبل النون تشبيهاً لها بالخفيفة ، أو يكسر للساكنين كما فى حينئذ » قال ابن هشام فى شرح الشواهد : والأخفش يسمّى هذا التنوين غالياً ، والحركة التى قبل التنوين غلوّا ، وهى الكسرة ، لأنها الأصل فى التقاء الساكنين ، كقولهم يومئذٍ ومهٍ . وزعم ابن الحاجب أنّ الأولى أن تكون الحركة قبلُ فتحةً ، كما فى نحو اضربن ، وأنّ هذا أولى من أن يقاس على يومئذ لأن ذاك له أصل فى المعنى ، وهو عوض من المضاف إليه . ولنا أن قياس التنوين على التنوين أولى ، لاتحاد جنسهما ، ولأنهما يكونان فى الاسم ، والنون لاتكون إلا فى الفعل . ثم إن فتحة اضربَنْ ، للتركيب كما فى خمسة عشر ، لا لالتقاء الساكنين .

والروى هو الحرف الذى تنسب إليه القصيدة ، مأخوذ من الرِّواء ، بالكسر والمد ، وهو الحبل . والمقَيد : الساكن الذى ليس حرف علة .

وهذا البيت مطلع قصيدة مرجّزة مشهورة لرؤبة بن العجاج . وقال ابن قتيبة فى أول كتاب الشعر والشعراء[٢] : حدثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال : صاحب الشاهد

---

(١) الشعر والشعراء ص ٥ .

كان ثلاثة إخوة من بنى سعد لم يأتوا الأمصار ، ذهب رجزهم ، يقال لهم نُذير ، ومنيذر ومنذر ، يقال إنَّ قصيدة رؤبة التى أولها « وقاتم الأعماق » لنذير .

٣٩ وهذه القصيدة طويلة لا فائدة فى إيراد جميعها ، لـكنْ فيها بيت من شواهد التفسير ومغنى اللبيب لا يتَّضح معناه إلا بشرح الأبيات التى قبله ، فلهذا شرحت.

شرح الأرجوزة فقوله (وقاتم) الواو واو رب ، وهى عاطفة لا جارّة ، وقاتم مجرور برب لا بالواو على الصحيح . وقد أنشد الشارح هذا البيت فى ربّ من حروف الجرّ أيضاً على أن ربّ محذوفة بعد الواو ، وذكر أنه يجوز حذفها فى الشعر بعد الواو والفاء وبل . ولم أر من قيَّد حذفها فى الشعر وغيره . وهذا هو مذهب البصريين ؛ وزعم الـكوفيون والمبرد أن الجر بالواو لا بربّ ، واستدلوا فى افتتاح القصائد بها ، كهذا البيت . وأجيب بجواز العطف على كلام تقدّم ملفوظٍ به لم ينقل ، أو مقدر حكم له — منوياً فى النفس — بحكم المنطوق به . ورد مذهبهم بوجوه أيضاً :

أحدها : أنها — مع ذكر ربّ — عاطفة باتفاق ، فـكذلك مع حذفها ، ولا تنقل عن ذلك إلا بدليل ، والأصل عدمه . قال ابن خالويه : الواو إذا كانت فى أوائل القصائد نحو « وقاتم الأعماق » فإنها تدل على ربّ فقط ولا تـكون للعطف ، لأنه لم يتقدَّم ما يعطف عليه بالواو . قال أبو على الفارسى فى نقض الهاذور : هذا شىء لم نعلم أحداً ممن حكينا قوله فى ذلك ذهب إليه ولا قال به ، وليس هذا الذى تَظنّاه من الفصل بين الأوائل وغيرها بشىء ، وذلك أن أوائل القصائد يدخلُ عليها حروف العطف على جهة الخزم ، نحو مارووا من قوله :

* بل ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجا[1] *

(١) للعجاج فى ديوانه ٧ واللآلىء ١٥٥ . وروى الشطر بدون الخزم أيضاً .

وكأنه جعله عطفاً على كلام قد كانوا يقولونه ، وقصّةٍ خاضوا فيها ، فعطف الشعر بحرف العطف على ذلك الكلام الذى كانوا فيه .

الثانى : لو كانت الواو عوضاً من ربّ لما جاز ظهورها معها ، لأنه لايجوز أن يجمع بين العوض والمعوّض عنه .

الثالث : أنها لو كانت نائبة عن ربّ لجامعها واو العطف كما تجامعها واو القسم ، كقوله :

* ووالله لولا تمره ما حَبِبته(١) *

الرابع : أنّ رب تضمر بعد الفاء وبل ، ولم يقل أحد إنهما حرفا جرّ ، فكذلك ينبغى أن يكون الحكم مع الواو .

وقال الشاطبى : وفى هذه الأدلة كلها نظر ، وأقربها الرابع إنْ ثبت الاتفاق من الفريقين على أن الفاء وبل ليستا جارتين عند حذف رب ، فإنّ الفرق بينهما وبين الواو فيه بُعْدٌ وبُعد . فهذه المسألة لاثمرة لها فى النحو ، وإنّما البحث فيها مظهر للمرتكب الأولىٰ فى ضبط القوانين خاصة . وإذا كان كذلك فما قاله أهل البصرة له وجه صحيح ، وما قاله الآخرون كذلك . والله أعلم .

و (قاتم) قال الأصمعى فى شرح ديوان رؤبة : القُتمة : الغبرة إلى الحمرة ، مصدر الأقتم . وقال ابن السكيت فى كتاب القلب والإبدال : ويقال أسود قاتم وقاتن ، بالميم والنون ، وفعله من بابى ضرب وعلم ؛ وهو صفة لموصوف محذوف أى رب بلد قاتم . و (الأعماق) جمع عمق بفتح العين وضمها ،

(١) لعيلان بن شجاع النهشلى ، كما فى اللسان (حبب) . وعجزه :

* ولا كان أدنى من عبيد ومشرق *

وهو مابعُد من أطراف المفاوز ، مستعار من عمق البئر ، يقال عمقت البئر عمقاً من باب قرب ، وعَماقة بالفتح أيضاً : بعُد قعرها . وتعديته بالهمزة والتضعيف . و (الخاوى) من خوى المنزل ، إذا خلا . و (المخترق) بفتح الراء : مكان الاختراق ، من الخرق بالفتح ، وأصله من خَرقت القميص من باب ضرب إذا قطعته ، وقد استعمل فى قطع المفازة فقيل خرقت الأرض ، إذا جبتها . ومخترق الرياح : ممرُّها .

(مشتبهِ الأعلام لمّاع الخفَقْ)

٤٠ الأعلام : جمع علَم ، وهى الجبال التى يهتدى بها ، يريد أن أعلام هذا البلد يشبه بعضها بعضاً ، فتشتبه عليك الهداية . والخَفْق بفتح الخاء وسكون الفاء : مصدر خفق السراب وخفقت الراية ، من بابى نصر وضرب ، خفقاً ، وخفقاناً ، إذا تحركت واضطربت ؛ وتحريك الفاء ضرورة . يريد أنه يلمع فيه السراب . ومشتبِه ولماع صفتان لقاتم .

(يكلّ وفدَ الريح من حيثُ انخرقْ)

يكل : مضارع كلّ — من باب ضرب — كلالة : تعب وأعيا . ويتعدى بالألف ، وروى بضم الياء مضارع أكلّه ، فالوفد مفعوله ، وضميره المستتر راجع لقاتم ، والجملة على الوجهين صفة لقاتم ، إلاّ أن الرابط فى الوجه الأوّل محذوف أى يكلّ فيه . والوفد : جمع وافد ، من وفد على القوم من باب وعد [وفداً[1]] ووفوداً بمعنى قدم . ووفدُ الريح : أولها ، وهذا مثل . وقوله حيث انخرق : أى حيث صار خرقاً ، والخرق الواسع ، يريد اتّسعَ ، فإذا اتسع الموضع فترت الريح ، وإذا ضاق اشتد مرورها فيه .

---

(١) التكملة من س . وواو « ووفودا » ثابتة فى ط .

(شأز بمن عَوَّهَ جدْبِ المنطلَقْ)

قال أبو زيد : شئز مكاننا شأزاً : غلظ واشتدّ ، ويقال قلق . وأشأزه : أقلقه . ومثله شأسٌ تصرفاً ومعنى . وهو هنا وصف كصعب بمعنى الغليظ والشديد . وعَوّه بالعين المهملة : مصدره التعويه بمعنى التعريس ، وهو النزول فى آخر الليل . وكل من احتبس فى مكان فقد عوّه . والجدب بالفتح : نقيض الخصب ، وهو هنا وصف كالأول ؛ فإنه يقال مكان جدبٌ وأرض جدبة ، ويقال أيضاً مكان جديب وأرض جُدوب[1] ، أى بيِّنُ الجدوبة فيهما . وشأز وجدب وصفان لقائم . والمنطلق بفتح اللام : محلُّ الانطلاق . يعنى أن هذا البلد شديدٌ على من تلبّث فيه ، غير خصيب على المارّ والسالك .

(ناءٍ من التَّصبيح نَأىَ المغتبَقْ)

يقول : هو بعيد من أن يصبحه الراكب فيصطبح فيه أو يأتيه ليلاً فيغتبق ، وهو وصف لقائم أيضاً .

(تَبدو لنا أعلامُهُ بَعد الغرقْ)

يعنى تظهر جباله بعد أن تغرق فى الآل . وضمير أعلامه لقائم . ومثله :

ترى قورها يغرقن فى الآل مرّةً   وآونة يخرُجنَ من غامرٍ ضحلِ

(فى قِطعِ الآل وهَبْوات الدُّقَق)

متعلق بالغرق قبله . قال الأصمعى . قطع الآل : غُدران من الآل ، جمع قطعة . والآل : قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب : « الفرق بين الآل والسراب : أن الآل يكون أوّلَ النهار وآخره ؛ وسمّى آلاً لأن الشخص هو الآل . فلما رفع الشخص قيل هذا آلٌ قد بدا وتبين . أما السراب

(١) بضم الجيم ، وفى اللسان : « كأنهم جعلوا كل جزء منها جدبا ثم جمعوه على ذلك » .

فهو الذى تراه نصف النهار كأنه ماء » . وردّ عليه ابن السِّيد فى شرحه فقال : « إنكار[١] أن يكون الآل هو السراب من أعجب شىء يسمع به » ، وذكر أبياتاً تدل على أن الآل هو السراب . والمبوة : الغبرة . والدُّقق : بضم الدال وفتح القاف الأولى : جمع دُقّة ، وهو التراب الذى كسحته الريح من الأرض .

(خارجةً أعناقُها من معتنَق)

خارجة : حال سببية من الأعلام . وأعناقها : فاعل خارجة ، والضمير للأعلام . والمعتنق : مخرج أعناق الجبال من السراب .

(تنشطَتْه كلُّ مِغلاة الوَهقْ)

٤١ هذا جواب ربّ . وقد غفل عنه العينى مع أنّه شرح القصيدة جميعها ، فقال: وجواب وقاتم الأعماق محذوف ، والتقدير ورب قاتم الأعماق الخ قد قطعته أوجُبته أو نحو ذلك . انتهى . وتنشَّطته : تجاوزته بنشاط ، قال أبو حاتم : « هو أن تمد يدها ثم تسرع ردها » . والضمير للقاتم . وكلّ فاعل . والمغلاة من النوق : التى تُبعد الخطو وتغلو فيه ، أى تفرط . والوهَق : المباراة فى السير . وقال الليث : المواهقة : المواظبة فى السير ومدّ الأعناق ، وتواهقت الرِّكاب : تسايرت .

(مَضبورةٍ قرواءَ هرجابٍ فُنُقْ)

المضبورة : المجموعة الخلق المكتنزة . والقَرْواء : الطويلة القَرَا ، بالفتح والقصر ، وهو الظهر . وفى الصحاح : « وناقة قرواء : طويلة السنام ، ويقال الشديدة الظهر بيِّنة القَرا » . والهِرجاب بالكسر والجيم : الطويلة الضَّخمة

(١) فى الاقتضاب ١١١ : « وإنكار من أنكر » . . الخ

من النوق . والفنق ، بضم الفاء والنون : الناقة الفتية ، ولا يقال لشيء من الذكور فنق ، وقيل المنعمة في عيشها . وقال الأصمعي : هي الفتية الضخمة . وهذه الكلمات الأربع صفات للمغلاة .

(مائرةِ العَضُدَين مِصلاتِ العُنق)

مار الشيء يمور موراً : تحرّك ، وجاء ، وذهب . أي يَمور ضبعاها لسعة إبطيها وليست بكَنِزَة فرجعُهما سريع . والعَضُدان : بسكون الضاد مخفف مِن ضمّها ، ويروى « الضبعين » بفتح المعجمة وسكون الموحدة ، وهو كالعضدين وزنا ومعنى . والمصلات بالكسر ، ومثله الصَّلتة بالفتح ، وهي التي انحسر الشعر عن عنقها ، والهجينة تكون شَعراء العنق ، وقيل : هي التي تنصلت في السير أي تتقدم .

(مُسودَّةِ الأعطافِ من وسم العرَق)

مسودّة : مجرور كالمائرة والمصلاتِ ، صفات للمغلاة . يقول : قد جهدتْ حتى عرِقت ، وتراكب عليها العرَق واسودّ حتى صار وسما . يقال [وسمه[1]] وسما وسمة ، إذا أثرّ فيه بسِمة وكيّ . وروى «من وشم» بالمعجمة ، يقال : وشم يده وشما ، إذا غرزَها[2] بإبرة ثم ذرَّ عليها النَّئُور وهو النِّيل ، والاسم الوشم أيضاً .

(إذا الدليلُ استافَ أخلاقَ الطرُقْ)

إذا : هنا ظرف ، وليست شرطية ، والعامل فيها ما في كأنّ من معنى التشبيه . واستاف : شمّ ، يقال ساف يسوف سَوفاً إذا شم ، وذلك بالليل ،

(١) التكملة من سه .

(٢) ط : « غزها » ، والصواب ما أثبت من سه . وانظر اللسان (وشم) .

يشمُّ الدليل التراب . وأخلاق الطرق : الدارس منها التي قد أُخلقت ، واحدها خَلَق بفتحتين . شبهها بالثوب الخلَق لأن الاستدلال بشم التراب إنما يكون في الطرق القديمة التي كثُر المشي فيها ، فيوجد رائحة الأرواث والأبوال .

(كأنّها حَقباء بَلْقاء الزَّلَقْ)

ضمير كأنّها للناقة المقلاة . والحقباء : مؤنث الأحقب ، وهو حمار الوحش سمي بذلك لبياض في حَقوَيه . شبه الناقة بالأتان الوحشية ، وهي في الجلادة والسُّرعة مثلها . والبلقاء : مؤنث الأبلق . والزَّلَق : عجُز الدابة ، أي المكان الذي تزلق اليدُ عن كفلها أبيضُ وأسود .

(أو جادرُ اللِّيتَين مطويُّ الحَنَق)

في العباب : وجَدِر لِيته ، إذا بقي فيها جدَر بالتحريك ، أي أثر الكدم والعضّ . وجادر بمعنى ذو جدر . واللِّيت بالكسر : صفحة العنق ، وهما ليتان . يقول : عضتّه الفحول فصار في عنقه أثر . ومطويُّ الحنق ، قال الأصمعي في شرحه : يقول : طوِي بالحنق أي بالضُّمر ، يقال أُحنق إذا ضَمر ، وإبل محانيق أي ضوامر . وفي الصحاح : حمار محنق : ضَمُر من كثرة الضِّراب . ٤٢ شبه الناقة — التي سلكت به هذا البلد الهائل ممّره ، في الوقت الذي يحار الدليل في الطرق القديمة التي لا علَمَ بها ، وذلك آية الهلاك — بالأتان الوحشية أو الحمار الوحشي ، الموصوفين بهذه الأوصاف ، وإنما خصّهما بالتشبيه لكونهما أجلدَ الوحوش وأسرع . وجادر معطوف على حقباء .

(مُحَلَّج أُدرِجَ إدراجَ الطَّلَق)

هذا وصفٌ للحمار الوحشي . والمحلج : اسم مفعول من حملج الحبل : فتله فتلا شديداً ، وأوله مهملة وآخره معجمة . وأدرج بالبناء للمفعول أيضاً

بمعنى فُتل وطوى . وإدراج بكسر الهمزة : مصدر تشبيهى ، أى كإدراج الطلق. والطَّلَق : بفتحتين : قيد من جلود . وصف هذا الحمار بالضمر والاكتناز الخلق ، وذلك أشدُّ لعدْوه

(لَوَّح منه بعدَ بُدْنٍ وسَنَقْ)

يقال : لاحه السفر ولوّحه : غيَّره وأضمره . وضمير منه للجادر الليتين . وفاعل لوّحَ « قُودٌ ثمان » فى البيت الثالث بعد هذا . ومن للتبعيض . وبُدْن : بضم فسكون وبضمتين : السِّمَن والاكتناز ، تقول منه بَدَن الرجل بالفتح يبدُن بدناً بالضم فيهما إذا ضخم ، وكذلك بَدُنَ بدانة فهو بادن ، وامرأة بادن أيضاً . فى الصحاح : « والسنق ، بفتحتين : البشم ، يقال شَرِب الفصيل حتى سنق — بالكسر — يسنق بالفتح ، وهو كالتُّخمة » . قال الأصمعى : والسَنَق : كراهة الطعام من كثرته على الإنسان حتى لا يشتهيه . قيل لأعرابية : أترين أحداً لا يشتهى الخبيص ؟ قالت : ومن لا يشتهيه إلاّ من سنق منه ؟!

(مِن طول تَعداء الرَّبيع فى الأنق)

هذا علّة للسنق . والأنق بفتحتين : الإعجاب بالشىء ، تقول أنقت به من باب فرح ، فأنا به أنقٌ أى معجب . وقال الأصمعى : الأنق المنظر المعجب ومنه أنيق . يعنى أنّه سَنَق من طول ما عدا فى الربيع فى مكان أنيق .

(تلويحكَ الضّامرَ يُطْوى للسَّبَقْ)

تلويحك : مصدر تشبيهى منصوب بلوّح المذكور قبل ، وهو مضاف إلى الفاعل . والضامر مفعول به . يقول : كما تلوِّح أنت الفرس الضامر تريد أن تسابق عليه . ويُطوى : يجوّع ويضمّر بالبناء للمفعول . والسبق : بفتحتين والسبقة بالضم مثله : الخطر والرَّهن الذى يوضع بين أهل السباق ، والجمع أسباق

(قُودٌ ثمانٍ مثل أمراس الأبقْ)

قُود : فاعل لوَّح المتقدم ، وهو جمع قوداء بمعنى الطويلة العنق والظهر . والأمراس : جمع مَرَس ، وهو جمع مَرَسة بمعنى الحبل . والأبق : بفتح الهمزة والموحدة : القنّب وقيل قشر القنّب ، وقال الأصمعىّ : هو الكتان يفتل . يقول : هذه الأتن كأنّها حبال من شدة طيّها . وهذه الأوصاف مما تزيد فى نشاط الحمار وجريه ، فإذا كانت الناقة تشبهه فلا شىء أسرعُ منها .

(فيها خُطوطٌ من سواد وبَلقْ كأنّه فى الجلد توليعُ البهقْ)

البلق بفتحتين والبُلقة بالضم مثله ، وهو سواد وبياض . والتوليع : استطالة البلق . قال الأصمعى : إذا كان فى الدابة ضروبٌ من الألوان من غير بلق فذلك التوليع ، يقال برذون مولع . والملمّع[1] : الذى يكون فى جسده بقع تخالف سائر لونه ، فإذا كان فيه استطالة فهو مولَّع والبهق كما فى المصباح : بياضٌ يخالف للون الجسد وليس ببرص . وقال ابن فارس : سواد يعترى الجلد أو لونٌ يخالف لونه . وفعله من باب تعب ، وهو أبهق وهى بهقاء . وجملة فيها خطوط إما صفة ثالثة لقُود ، وإما حال منها ، والرابط الضمير . وبه علم سقوط ما نقله شارح شواهد التفسيرين خضرٌ الموصلى ، من أنَّ الضمير راجع إما إلى بقرة يصفها كما فى بعض الحواشى ، أو إلى أفراس كما قال جماعة ، أو إلى أتان كما قاله ابن دريد ، مع أنه لم يتقدّم ذكر شىء من بقر وأفراس . والعجب منه أنه سطر الأرجوزة برمّتها ولم يتأمل مرجع الضمير . وقوله من سواد وبلق ، بيان للخطوط ، يريد أن بعض الخطوط من سواد بحتٍ وبعضها من سواد يخالطه بياض ، فالتقابل بين سوادين . وجملة كأنه فى الجلد الخ صفة للخطوط

٤٣

(١) فى النسختين : « واللمع »، والوجه ما أثبت . وانظر اللسان (لمع) .

أو للسواد والبلق ، والرابط الضمير بتأويله باسم الإشارة ، واسم الإشارة مؤوّل بالمذكور ونحوه ، وإنما لم يؤوّل بالمذكور ابتداء لأنّ التأويل قد كثر فى اسم الإشارة كما نقلوا عن أبى عبيدة ، أنه قال لرؤبة : إن كنت أردت الخطوط فقل كأنّها ، وان أردت السواد والبلق فقل كأنهما . فقال رؤبة : أردت كأن ذلك ، ويلك ! وتأويل اسم الإشارة بالمذكور إذا خالف المشار إليه جعله علماء التفسير والعربية قانونا يرجع إليه عند الاحتياج ، وخرّجوا عليه آيات ، منها قوله تعالى: « ذلك بما عصوا » بإفراد اسم الإشارة مع أن المشار إليه شيئان : الكفر والقتل ، وأورد هذا البيت نظيرا له . وزعم ابن جنى فى المحتسب : أنه لو قال قائل إن الهاء فى كأنه عائدة على البلق وحده لكان مصيبا ، لأن فى البلق ما يحتاج إليه من تشبيه بالبهق ، فلاضرورة إلى إدخال السواد معه. انتهى . وفيه أن المحدّث عنه هو الخطوط ، وهى المشبّهة بالبهق . فإما أن يرجع الضمير إلى المبين الذى هو المحدث عنه ، أو إلى البيان بتمامه ، وأما إرجاعه إلى بعض البيان فيلزم تشبيه بعضه دون بعض ، وهذا ليس بمقصود ، بل المراد تشبيه الخطوط التى بعضها من سواد بحت وبعضها من سواد فيه سواد وبياض أيضاً ، فتأمل . وروى الأصمعى « كأنها » أيضاً بضمير المؤنث ، وعليها فلا إشكال .

وفى هذه الأرجوزة بيت وهو :

(لواحق الأقرابِ فيها كالمَقَقْ)

أورده الشارح فى حرف الكاف من حروف الجر على أنّ الكاف فيه زائدة . ونشرحه هناك إن شاء الله تعالى .

ترجمة رؤبة

و (رؤبة) هو أبو الجحّاف بن العجاج عبدِ الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر ، من بنى مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، هو وأبوه شاعران ، كلٌّ منهما له

ديوانُ رجز ، وهما مجيدان فيه عارفان باللغة وحشيِّها وغريبها . وهو أكثر شعرا من أبيه وأفصح منه . روى أنَّه قال لأبيه : أنا أشعر منك لأنى شاعر وابن شاعر ، وأنت شاعر فقط . وقيل ليونس النحوى : من أشعرُ الناس[1]؟ قال : العجاج ورؤبة . فقيل له : لم نعن الرجاز[2] . قال : هما أشعر أهل القصيد ، وإنَّما الشعر كلام فأجوده أشعره[3] . قال ابن عون : ما شبَّهت لهجة الحسَن البصرى إلاَّ بلهجة رؤبة .

وحكى عن يونس بن حبيب النحوى[4] أنه قال : كنت عند أبى عمرو ابن العلاء فجاءه شُبيل بن عَزْرة الضُّبعى[5] فقام إليه أبو عمرو وألقى إليه لبدة بغلته فجلس إليها ، ثم أقبل عليه يحدّثه فقال شبيل : يا أبا عمرو ، سألتُ رؤبتكم عن اشتقاق اسمه فما عرفه. قال يونس : فلم أملك نفسى عند ذكر رؤبة فقلت : ٤٤ لعلك تظن أنّ معد بن عدنان أفصح منه ومن أبيه ، أفتعرف أنت ما الرُّؤبة ؟ وكررها خمسا فلم يُحِرْ جوابا وقام مغضبا ، فقال لى أبو عمرو : هذا رجل شريف يزور مجلسنا ويقضى حقوقنا . وقد أسأت بما فعلت مما واجهته به ! فقلت : لم أملك نفسى عند ذكر رؤبة ، فقال : أو قد سُلِّطت على تقويم الناس ؟ !

وحكى المدائنى قال : قدم البصرة راجزٌ من رجاز العرب فجلس إلى حلقة فيها الشعراء ، وجعل يقول : أنا أرجز العرب، أنا الذى أقول:

---

(١) فى النسختين : « أكثر الناس » . والوجه ما أثبت من الأغانى ٢١ : ٦٠ .

(٢) فى الأغانى : « لم ؟ ولم نعن الرجاز » .

(٣) هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزنى ، أحد رواة الحسن البصرى . تهذيب التهذيب . فى الأصل : «أبو عوف » . صوابه من الأغانى ٢١ : ٦٠ .

(٤) فى الأصلين : « وحكى ابن حبيب عن يونس » والوجه ما أثبت مطابقاً لما فى الأغانى ٢١ : ٥٨

(٥) فى النسختين : « شبل بن عمرو » . صوابه من الاشتقاق ٧٤ ، ١٩٣ حيث تكلم فى الموضع الأخير على اشتقاق اسمه ، ومن الأغانى ٢١ : ٥٧ .

مروان يعطى وسعيد يمنع مروان نبعٌ وسعيد خِروعُ

والله أنا أرجز من العجاج ، فليت البصرة جمعت بينى وبينه — ورؤبة والعجاج حاضرًا المجلس — فقال رؤبة لأبيه : قد أنصفك الرجل فقم إليه . فأقبل عليه وقال : هأنا العجاج(١) وزحف إليه . قال أىُّ العجاجين أنت ؟ قال : ما خلتك تعنى غيرى ، أنا عبد الله الطويل ، وكان يعرف بذلك . فقال: ما عنيتُك وما قصدتك ، قال : كيف وقد هتفت باسمى وتمنيت أن تلقانى ؟ ! قال : أو مافى الدنيا عجّاج سواك ؟ قال : فهذا ابنى رؤبة . قال : اللهمّ غفراً ، إنما مرادى غيركما . فضحك الناس وكفّا عنه .

قال ابن قتيبة فى كتابه الشعر والشعراء(٢) : قال أبو عبيدة : دخلت على رؤبة وهو يجيل(٣) جرذانا فى النار ، فقلت : أتأكلها ؟ قال : نعم أنها خير من دجاجكم التى تأكل العذرة ، إنها تأكل البر والتمر .

وكان رؤبة مقيما بالبصرة ولحق الدولة العباسية كبيرا ، ومدح المنصور وأبا مسلم . ولما ظهر بها إبراهيم بن الحسن بن على رضى الله عنه وخرج على المنصور خاف على نفسه من الفتنة ، فخرج إلى البادية فمات بها فى سنة خمس وأربعين ومائة . كذا قيل ، وهذا يخالف ماروى عن يعقوب(٤) قال : لقيت الخليل بن أحمد يوما بالبصرة فقال لى : يا أبا عبد الله دفنّا الشعر واللغة والفصاحة اليوم . فقلت له وكيف ذاك ؟ فقال : هذا حين انصرفنا من دفن رؤبة بن العجاج .

---

(١) فى الأغانى ١١ : ٦٠ : « هأنذا العجاج » .

(٢) الشعر والشعراء ٥٧٦ .

(٣) فى الشعراء : « يمل » ، أى يشويها فى الملة ، وهى الرماد الحار .

(٤) هو أبو عبد الله يعقوب بن داود وزير المهدى ، المتوفى سنة ١٨٢ . تاريخ بغداد ١٤ : ٢٦٢ ووفيات الأعيان ٢ : ٣٣١ . وكانت حياة الخليل ما بين سنتى ١٠٠ و ١٧٥ . والنص فى الأغانى ١٨ : ١٢٥ ، وفيه : « عن يعقوب بن داود » .

ولم أر له في ديوانه من غير الرجز إلاّ هذين البيتين :

أيها الشامت المعيّر بالشيـ ـب أقِلَنّ بالشباب افتخارا
قد لبستُ الشباب غضا طريا فوجدت الشبابَ . ثوبا معارا

وبيتين آخَرين وهما :

إذا ما الموت أقبل قُبْلَ قوم أكبّ الحظُّ وانتقِص العديد
أرانا لايفيق الموت عنا كأنّ الموت إيانا يكيد

من اسمه رؤبة

وذكر الآمدى ، فى المؤتلف والمختلف، مَن اسمه رؤبة ثلاثة . أحدهم هذا ، والثانى : رؤبة بن العجاج بن شَدقم الباهلى ، هو وأبوه شاعران ، وكنية هذا أبو بَيْهس [١] ومن شعره :

قالت لنا وقولها أحزانُ ذِروةُ والقول له بيان[٢]
يا أبنا أرَّقنى القِــذَّانُ فالنوم لاتطعمه العينانُ[٣]
من وخز بُرغوث له أسنانُ وللبعوض فوقه دَنْدان

الدندنة : الكلام الذى لايفهم ؛ والقِذّان : جمع قُذَذ[٤] وهو البرغوث . والثالث : رؤبة بن عمرو بن ظهير الثعلبى ، أحد بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ابن بغيض .

(تتمة)

٤٥ رؤبة : اسم منقول إمّا من رؤبة بالهمز ، وهى قطعةٌ تَرأب بها الشىء أى تشده بها ، قال صاحب أدب الكاتب (فى باب مايغير من أسماء الناس) :

---

(١) فى ط : « بهيس » صوابه فى سه والمؤتلف ١٢١ . وانظر القاموس(بهس).
(٢) الرجز فى المؤتلف ١٢١ وشرح شواهد المغنى ٢٠ والضرائر للآلوسى ١٦٣ .
(٣) يستشهد به النحاة على ضم نون المثنى المرفوع .
(٤) فى ط : « قذن » ، تحريف . وانظر اللسان (قذذ)

إنّ رؤبة بن العجاج بالهمز لاغير . وهذا الحصر باطل لأنّ المهموز فى مثله يجوز تخفيف همزه بلا خلاف . وقد نقض قوله هذا بما ذكره فى أوائل الكتاب فى باب المسمَّين بالصفات وغيرها ، فجوز أن يكون مهموزاً وغير مهموز ، فإنه قال : رُوبة اللبن خميرة تلقى فيه من الحامض ليروب ، وروبة الليل ساعة منه ، ويقال فلان لايقوم بروبة أهله أى بما أسندوا إليه من حوائجهم ، غير مهموز . ورؤبة بالهمز ، قطعة ترأب بها الشىء ، وإنما سمى رؤبة بواحدة من هذه[1] . فذكر لغير المهموز ثلاثة معان ، وبقى له معان أخر : رابعها رُوبة الفرَس وهى طَرقُه فى جِمامه[2] . خامسها يقال أرض روبة أى كريمة . سادسها شجر الزُّعرور . سابعها روبة الرجل عقله . ثامنها الفترة والكسل من كثرة شرب اللبن . تاسعها اللبن الذى فيه زبده ، والذى نزع زبده ؛ فهو من الأضداد . وله معان أخر .

قال ابن خلف فى شرح شواهد سيبويه : قيل سمى روبة لأنّه ولد نصف الليل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو من شواهد مغنى اللبيب[3] ، وهو الشاهد السادس :

٦ (ياما أُميلِحَ غِزلاناً شَدَنَّ لنا   مِن هؤُلَيّائِكُنَّ الضالِ والسَمُر)

أورده على أنّ التصغير فى فعل التعجب راجع إلى المفعول المتعجب منه ، أى هنّ مليحات ، والتصغير للشفقة . وأنشده فى باب التعجب أيضاً ، على

(١) انظر مثيل هذا النقد لابن السيد فى الاقتضاب ٢٢٦ .

(٢) الطرق ، بالفتح : ماء الفحل . وجامه : اجتماعه . ط : « جماحه » صوابه فى سه .

(٣) المغنى ٢ : ١٩٢ فى الباب الثامن وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٣٢٤ .

أن الكوفيين غير الكسائى زعموا اسميته ، واستدلوا عليها بتصغيره فى نحو البيت . وهذا جواب س : قال الشاطبيّ : وعلّل ذلك سيبويه[١] بأنهم أرادوا تصغير الموصوف بالملاحة ، كأنّك قلت مُليحٌ لكنهم عدلوا عن ذلك وهم يعنون الأول ، ومن عادتهم أن يلفظوا بالشىء وهم يريدون شيئاً آخر .

وقد ذكر ابن الأنبارى فى كتابه الإنصاف فى مسائل الخلاف جميع أدلة الكوفيين مع أجوبة البصريين عنها فقال : ومن جملة أدلتهم أنهم استدلوا على اسميَّته بالتصغير . وأجاب عنه بثلاثة أوجه :

أحدها أن التصغير فى هذا الفعل ليس على حدّ التصغير فى الأسماء فإنه ـ على اختلاف ضروبه من التحقير ، والتقليل ، والتقريب ، والتحزن ، والتعطف كقوله صلى الله عليه وسلم : « أصيحابى ، أصيحابى » ، والتعظيم كقوله :

* دُوَيهِيَةٌ تصفرُّ منها الأناملُ[٢] *

والتمدُّح كقوله : « أنا جُذَيلها المحكَّك » فإنه يتناول الاسم لفظاً ومعنى والتصغير اللاحق فعل التعجب إنما يتناوله لفظاً لا معنى ، من حيث كان متوجهاً إلى المصدر ، وإنما رفضوا ذكر المصدر ها هنا ، لأن الفعل إذا أزيل عن التصرف لا يؤكد بذكر المصدر ، لأنه خرج عن منهب الأفعال ؛ فلما رفضوا المصدر وآثروا تصغيره صغروا الفعل لفظاً ووجهوا التصغير إلى المصدر ، وجاز تصغير المصدر بتصغير فعله لأن الفعل يقوم فى الذكر مقام مصدره لأنه يدل عليه بلفظه ؛ ولهذا يعود الضمير إلى المصدر بذكر فعله وإن لم يجر

---

(١) كتاب سيبويه ٢ : ١٣٥ .

(٢) للبيد فى ديوانه ٢٨ . وصدره :

* وكل أناس سوف تدخل بينهم *

له ذكر ، فكما يجوز عود الضمير إلى المصدر وإن لم يجر له ذكر ، استغناء بذكر فعله ، فكذلك يجوز أن يتوجه التصغير اللاحق لفظ الفعل إلى مصدره وإن لم يجرِ له ذكر . ونظيره إضافة أسماء الزمان إلى الفعل نحو : « هذا يومُ ينفعُ الصادِقينَ صدقُهم » . وإنما جاز لأن المقصود بالإضافة إلى الفعل مصدره ، من حيث كان ذكر الفعل يقوم مقام ذكر مصدره ، فكما أن هذه الإضافة لفظية لا اعتداد بها فكذلك التصغير لفظي لا اعتداد به . الوجه (الثانى) : إنما دخله التصغير حملا على باب أفعل التفضيل ، لاشتراك اللفظين فى التفضيل والمبالغة ، ألا ترى أنك تقول : ما أحسن زيداً — لمن بلغ الغاية فى الحسن — كما تقول : زيد أحسن القوم ، فتجمع بينه وبينهم فى أصل الحسن وتفضله عليهم . و (الثالث) : إنما دخله التصغير لأنه ألزم طريقةً واحدة ، فأشبه بذلك الأسماء ، فدخله بعض أحكامها . وحملُ الشيء على الشيء فى بعض أحكامه لا يخرجه عن أصله ، ألا ترى أن اسم الفاعل محمول على الفعل فى العمل ولم يخرج بذلك عن كونه اسما ؟ وكذلك المضارع محمول على الاسم فى الإعراب ولم يخرج بذلك عن كونه فعلا . اهـ .

٤٦

شرح الشاهد

و (يا) حرف نداء ، والمنادى محذوف ، أى ياصاحبى ونحوه . و (الملاحة) : البهجة ، وحسن المنظر . وفعله ملُح الشيء بالضم ملاحة . ومَلح الرجل وغيره مَلحاً من باب تعب : اشتدت زرقته ، وهو الذى يضرب إلى البياض ، فهو أملح وهى ملحاء ، والاسم المُلحة كغرفة . و (الغِزلان) : جمع غزال ، وهو ولد الظبية ؛ قال أبو حاتم : الظبى أوّلَ ما يولد هو طلا ، ثم هو غزال والأنثى غزالة ، فإذا قوى وتحرّك فهو شادن ، فإذا بلغ شهراً فهو شَصَر بمعجمة ومهملة مفتوحين — فإذا بلغ ستة أشهر أو سبعة فهو جَداية — بفتح الجيم — للذكر والأنثى وهو خِشْف أيضاً . والرشأ : الفتىّ من الظباء ، فإذا أثنى فهو ظبى ،

ولا يزال ثنيّا حتى يموت ، والأنثى ثنيةً وظبية . والثنى : الذى يلقى ثنيَّته : أى سنه — من ذوات الظلف والحافر — فى السنة الثالثة ؛ يقال أثنى فهو ثنىٌّ ، فعيل بمعنى فاعل . و (شدنّ) ماضى شدن الغزال بالفتح يشدُن بالضم شدوناً : قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه . وربّما قالوا شدَن المهر . وأشدنت الظبية فهى مُشدِن ، إذا شدن ولدها ، النون الثانية ضمير الغزلان . وجملة شدنّ صفة غزلان . و (لنا) و (من) متعلقان بشدنّ . وقوله (من هؤليائكنّ) هو مصغر هؤلاء ، شذوذاً ، وأصله أولا بالمد والقصر . وها للتنبيه ، وهو اسم إشارة يشار به إلى جمع سواء كان مذكراً أو مؤنثاً ، عاقلا أم غير عاقل . والكاف حرف خطاب . والنون حرف أيضاً لجمع الإناث .

وقد استشهد به النحاة على دخول ها التنبيه عليه ، وعلى تصغيره شذوذاً ، وقد رواه الجوهرى :

* من هؤليّاء بين الضّال والسَّمُر (١) *

وقال : ولم يصغروا من الفعل غير هذا وغير قولهم ما أحيسنه . و (الضال) صفة اسم الإشارة أو عطف بيان . والضالُ : السِّدر البَرىّ ، جمع ضالَة ، ولهذا صح إتباعه لاسم الإشارة إلى الجمع ، وألفه منقلبة من الياء . والسدر : شجر النبق ، الواحدة سدرة . وما نبتَ منه على شطوط الأنهار فهو العُبرىّ ، نسبة إلى العُبر بالضم ، وهو شط النهر وجانبه . (والسَّمُر) بفتح السين وضم الميم : جمع سَمُرة ، وهو شجَرُ الطَّلح . والطَّلح : نوع من العِضاه ، وهو شجر عظام والعضاه بكسر العين : جمع عضاهة ، وهو كل شجر عظيم وله شوك .

---

(١) وروى صدره فى الصحاح (ملح) :

* ياما أميلح غزلانا عطون لنا *

وهذا البيت من جملة أبيات ذكرها ابن هشام فى شرح شواهده[1] وهى : أبيات الشاهد

٤٧ (حوراء لو نظرتْ يوماً إلى حجرٍ لأثّرت سَقماً فى ذلك الحجرِ
يزداد توريدُ خدَّيْها إذا لحظت كما يزيدُ نباتُ الأرض بالمطر
فالورد وجنتها والخمرُ ريقتها وضوء بهجتها أضوا من القمر
يامن رأى الخمر فى غير الكروم ومن هذا رأى نبت ورد فى سوى الشجر[2]
كادت ترفُّ عليها الطير من طرب لما تغنت بتغريد على وتر
بالله ، يا ظبيات القاع ، قلن لنا ليلاى منكنّ أم ليلى من البشر
ياما أميلح غزلانا شدن لنا (البيت) ....

وروى العباسى فى معاهد التنصيص[3] عن بعضهم أنّه من أبيات لبعض الأعراب . وذكرها فى الدمية للباخرزىّ[4] أنّه أول أبيات ثلاثة لبدوى اسمه كامل الثقفى ، ثانيها : بالله يا ظبيات القاع قلن لنا .. البيت . وثالثها :

إنسانة الحىّ أم أدمانة السَّمُرِ بالنِّهى رقّصها لحنٌ من الوتر[5]

وقال العينى : إنّه من قصيدة للعَرْجىّ ، ومنها : بالله ياظبيات القاع .. البيت .

وهذا البيت قد روى للمجنون ، ولذى الرُّمّة ، وللحسين بن عبد الله .
والله أعلم .

(١) نص السيوطى فى شرح شواهد المغنى بعد إيراده للأبيات : « هكذا رأيته بخط المصنف فى بعض تعاليقه » . وليس لابن هشام مؤلف خاص لشرح الشواهد .
(٢) كلمة « هذا » ليست فى الاصل ، وبدونها لا يستقيم الوزن . وإثباتها من شرح شواهد المغنى .
(٣) معاهد التنصيص ٣ : ١٦٧ .
(٤) دمية القصر للباخرزى ص ٢٩ .
(٥) ليس البيت ثالث هذه الأبيات ، بل هو أولها ، والثانى فيها هو « يا أميلح » .

ثم رأيت الصاغانى قال فى العباب : يقولون ما أميلح زيدا . ولم يصغروا من الفعل غيره وغير قولهم ما أحيسنه . قال الحسين بن عبد الرحمن العرينى :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا . . . . (البيت)

بانت لنا بعيونٍ من براقعها مملوءةٍ مُقلَ الغِزلان والبقرِ

ياما أميلح غزلان شدن لنا اهـ .

والأدمانة قال الجوهرى : والأدم من الظباء بيضٌ تعلوهن جدد ، فيهن غبرة ، تسكن الجبال، يقال ظبية أدماء . وقد جاء فى شعر ذى الرمة أدمانة، قال :

أقول للركب لما عارضت أُصُلا أُدمانةٌ لم تُربِّبها الأجاليد[1]

وأنكره الأصمعى . والنِّهىُ بكسر النون وسكون الهاء : الغدير فى لغة نجد ، وغيرهم يقول بالفتح ، كذا فى الصحاح .

وقال السّخاوى فى شرح المفصّل : والنحاة ينشدون : ياما أميلح غزلانا البيت ، ظنا منهم أنه شعر قديم ، وإنما هو لعلى بن محمد العرينى ، وهو متأخر ، وكان يروم التشبه بطريقة العرب فى الشعر ، وله مدح فى على بن عيسى وزير المقتدر . وقتل المقتدر فى شوال سنة عشرين وثلاثمائة . ونسبه قوم من النحاة إلى مجنون بنى عامر وأنشدوا معه : بالله يا ظبيات القاع ، البيت ، والصحيح ما قدمته اهـ

ترجمة العرجى

(والعَرْجىّ) اسمه عبد الله ، وهو أموىٌّ ، وإنّما لقب العرجى لأنّه كان يسكن العرج . قال فى الصحاح : « والعرج منزل بطريق مكة ، وإليه

---

(١) فى الديوان ١٣٣ واللسان والصحاح (أدم) : « لما أعرضت » . و « لم تربها » كذا جاءت فى جميع المراجع ، وهى على لغة من قال :

* يوم الصليفاء لم يوفون بالجار *

ينسب العرجى الشاعر » . ولم يكن له نباهة فى أهله ، مات فى حبس محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومى ، وهو خال هشام بن عبد الملك ، وكان والياً بمكة بعد ضربٍ كثير وتشهير فى الأسواق ، لأنه شبَّب بأمه ليفضحه ، لا لمحبةٍ كانت بينه وبينها . وقال فى حبسه قصيدته التى منها :

كأنِّى لم أكن فيهم وسيطاً ولم تكُ لسبتى من آل عمرو

أضاعونى وأىَّ فتًى أضاعوا ليوم كريهة وسِداد ثغر

وكان من الفرسان المعدودين مع مَسلمة بن عبد الملك بأرض الروم . وترجمته مع أحواله مفصَّلة فى الأغانى والمعاهد .

* * *

٤٨ وأنشد فى باب المعرب ، وهو من شواهد سيبويه[١] ، وهو البيت السابع :

٧ (تُـكتِّبانِ فى الطريق لامَ ألفْ)

على أنّ مقصود الشاعر اللام والهمزة ، لا صورة لا ، فيكون معناه أنه تارة يمشى مستقيماً فتخط رجلاه خطًّا شبيهاً بالألف ، وتارة يمشى معوجا فتخط رجلاه خطًّا شبيهاً باللام . وعليه فالظاهر أن يقول لاما وألفا . ووجهه أنّه حذف التنوين من الأوّل من باب الوصل بنية الوقف ، وحذف العاطف ووقف على الثانى على لغة ربيعة ، وليس فى واحد من هذه الثلاثة ضرورة .

ووجّه هذا البيت ابنُ جنى فى سر الصناعة بوجهين آخرين فقال : « إنّما أراد كأنهما تخطان حروف المعجم ، لا يريد بعضها دون بعض ، وقد يمكن أنه أراد بقوله لام ألف شكل (لا) ، فإنه تلقّاه من أفواه العامة ، لأنّ الخط ليس له تعلُّق بالعرب ولا عنهم يؤخذ . وقول من لا خبرة له بحروف

(١) سيبويه ٢ : ٣٤ .

المعجم كالمعلِّمين لام ألف خطأ ، وصواب النطق به لا ، فإنّه اسمُ الألف اللينة التى تكون قبل الياء فى آخر حروف المعجم » .

وفيما قاله نظر من وجهين :

الأوّل : قال الدماميني فى شرح المغنى : نسبة العربى الفصيح إلى أنه اعتمد فى النطق على العامَّة أمر بعيد لا يلتفت إليه . وقوله لأنّ الخط لا تعلُّق له بالفصاحة ساقط ، لأن ما صدر عنه لفظٌ لا خط .

الثانى : أن قوله لام ألف خطأ ممنوع ، فإنه قد ورد فى الشعر ، أنشد أبو زيد فى نوادره[1] لراجزٍ يصف جندباً ، وقيل غرابا :

يخطُّ لامَ ألفٍ موصولِ والزاى والرا أيّما تهليلِ

وسيأتى شرحه فى الشاهد الثانى بعد هذا .

وأما ما أورده أبو بكر الشنوانى فى جواب أسئلة السيوطى السبع بقوله : قال : روى أبو ذرّ الغفاريّ رضى الله عنه أنه قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله كل نبى يرسل بم يرسل ؟ قال: بكتاب منزل . قلت : يا رسول الله أيُّ كتاب أنزله الله على آدم ؟ قال : كتاب المعجم ألف با تا ثا إلى آخرها . قلت : يارسول الله كم حرفاً ؟ قال : تسعة وعشرون . قلت : يا رسول الله عددت ثمانية وعشرين ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت عيناه ثم قال : يا أبا ذر ، والذى بعثنى بالحقّ نبياً ، ما أنزل الله على آدم إلاّ تسعة وعشرين حرفا . قلت : أليس فيها ألف ولام ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : لام ألف حرف واحد ، قال : أنزله الله تعالى على آدم فى صحيفة واحدة ومعه سبعون ألف ملك ، من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل علىَّ ، من لم يعدَّ لام ألف فهو برىء منى وأنا برىء منه ، ومن لم يؤمن

---

(١) نوادر أبى زيد ص ١٦٧ .

بالحروف وهي تسعة وعشرون لا يخرج من النار أبدا[1] » اﻫ . فهو موضوع .
قال ابن عراق : سئل عنه ابن تيمية فقال : لا أَصْلَ له ، ولوائح الوضع عليه ظاهرة ، ولا سيما في آخره ، فهو كذب قطعا اﻫ

وعلى هذا فالفرق بين لا وبين لام ألف : أن لا اسم الألف اللينة ، ولام ألف اسم لا ، لأنّها على صورة اللام والهمزة إذا كتبتا معا . وعلم مما تقدم أنّ بيت الشاهد إنّما هو بإضافة لام إلى ألف بكون أصل لام ألف مركبا مزجيا ، فأعرب بإضافة أحد الجزءين إلى الآخر على أحد الوجوه . لا كما زعمه الشارح ٤٩ وتبعه الدماميني في شرح المغني .

ثم قال ابن جني : « وإنما لم يجز أن تفرد الألف اللينة من اللام وتقام بنفسها ـ كما أقيم سائر حروف المعجم سواها بأنفسها ـ من قِبَل أنها لا تكون إلا ساكنة تابعة للفتحة ، والساكنُ لا يمكن ابتداؤه ، فدُعمت باللام ليقع الابتداء بها . ويؤيد هذا أن واضع حروف المعجم إنما رسمها منثورة غير منظومة ، فلو كان غرضه في (لا) أن يرينا كيفية تركب اللام مع الألف للزمه أيضاً أن يرينا كيف تركب الجيم مع الطاء ، والقاف مع التاء ، وغير ذلك مما يطول تعداده ؛ وإنما غرضه التوصل إلى النطق بالألف ، فدعم باللام ليمكن الابتداء به . فإن قيل : ما بالهم دعموه باللام دون سائر الحروف ؟ أجيب بأنهم خصّوا اللام من قِبَل أنهم لما احتاجوا لسكون لام التعريف إلى حرف يقع الابتداء به قبلها أتوا بالهمزة فقالوا : الغلام ، فكما أدخلوا الألف قبل اللام كذلك أدخلوا اللام قبل الألف ليكون ذلك ضربا من التقارض » اﻫ .

واعترض عليه الدماميني بأن الذى تُوصّل به إلى النطق بلام التعريف

---

(١) انظر محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر للبسنوى ٦٥ .

هو الهمزة لا الألف ، والذى توصل باللام إلى النطق به هو الألف الهوائى لا الهمزة . فلا تقارض اهـ .

وفيه أنّهما أخوان يبدل كل منهما إلى الآخر فتبدل الهمزة ألفا فى نحو راس ، وتبدل الألف همزة فى نحو دأبّة وشأبّة وحُبلأ فى الوقف ، وفى هذا القدر من الاشتراك يتحقق التقارض .

واستشهد به سيبويه على أنه ألقى حركة « ألف » على ميم « لام » . وكذلك أورده الشارح فى شرح الشافية [١] أيضاً فى باب التقاء الساكنين . على أنه نقل حركة همزة ألف إلى ميم لام ، كما نقلت حركة همزة أربعة إلى الهاء فى قولك : ثلاثةَ اَربعة ، إذا وصلت ثلاثة بما بعدها .

صاحب الشاهد

وهذا البيت ثالث أبيات ثلاثة لأبى النجم العِجْلّى ، وهى :

خَرجتُ من عند زيادٍ كالخرِفْ تخطُّ رجلاىَ بخطٍّ مختلِفْ

تـكـتّبان فى الطريق لام آلف

قال المرزَبانى فى الموشح ـ وهو طبقات الشعراء فى الجاهلية والإسلام [٢] أخبرنى الصُّولىّ قال : حدثنا القاسم بن إسماعيل قال : أنشدنا محمد بن سلام لأبى النجم العجلى ، وكان له صديق يسقيه الشراب فينصرف من عنده ثملا :

أخرجُ من عند زياد كالخرف . . (الأبيات)

قال الصُّولى : وقد عيب أبو النجم [بهـذا [٣]] فقيل : لولا أنه كان يـكتب ما عرف صورة لام ألف وعناقها [لها [٣]] اهـ . وقد عرفت ما فيه :

وروى أيضاً :

(١) شرح الشافية للرضى ٢ : ٢٢٣ .

(٢) هذا ما كان يفهم البغدادى ، وانظر ما سبق فى الحاشية ٤ من ص ٢٤ .

(٣) التكلة من الموشح ١٧٧ .

أقبلت من عند زياد الخ

والخرِف : صفة مشبهة من خَرِف الرجل خَرَفا ، من باب تعب : فسَد عقله لكبره . وخط على الأرض خطًا : أعلم علامة . وخط بيده خطا : كتب . وكتَّب ، يقال بالتخفيف والتثقيل ، والتثقيل هنا لتكثير الفعل .

ترجمة أبى النجم

(وأبو النجم) هو الفَضْل بن قُدامة بن عُبيد الله بن عبد الله بن الحارث ابن عبدة بن الحارث بن الياس بن العَوْف بن ربيعة بن مالك بن عجل بن لجيم ابن صعب بن على بن بكر بن وائل . وهو أحد رجّاز الإسلاء المتقدمين فى الطبقة الأولى . قال أبو عمرو بن العلاء : هو أبلغ من العجّاج فى النعت . قال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء [1] : كان أبو النجم ينزل سو الكوفة . وراجز العجاجَ فخرج إليه العجاج على ناقةٍ له كوماء ، وعليه ثيابٌ حسان ، وخرج أبو النجم على جمل مهنوء ، وعليه عَباءةٌ ، فأنشد العجّاج : ٥٠

* قد جبر الدينَ الإلهُ فجبرْ *

وأنشد أبو النجم :

* تذكّرَ القلبُ وجهلا ما ذكر *

حتى بلغ قولَه :

إنى وكُلّ شاعر من البشرْ ... شَيطانُه أنثى وشيطانى ذكر

فما رآنى شاعرٌ إلّا استتر ... فِعلَ نجوم الليل عاينَّ القمر

فبينا هو ينشد ، إذ وثب جمله على ناقة العجاج ، فضحك الناس وانصرفوا يقولون :

* شيطانه أنثى وشيطانى ذكر *

(١) طبقات الشعراء ٥٨٤ — ٥٩١ .

وقال له هشام بن عبد الملك يوما : يا أبا النجم ، حدِّثنى . قال : عنّى أو عن غيرى ؟ قال : بل عنك . قال : إنى لمّا كبرت عرضَ لى البول ، فوضعت عند رجلى شيئاً أبول فيه ، فقمتُ من الليل أبول فخرجَ منى صوت ، فتشدّدت ثم عُدت فخرج منى صوتٌ آخر ، فأويت إلى فراشى فقلت : يا أمّ الخيار ، هل سمعتِ شيئاً ؟ قالتْ : لا ، ولا واحدة منهما ! فضحك هشام وأحسن إليه بصِلة . وله معه نوادر ومضحكات مذكورة فى الأغانى[1] وغيرها . وسنورد له إن شاء الله منها إذا ورد شاهد من شعره

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثامن :

٨ (تداعَيْنَ باسم الشِّيب فى مُتثلِّمٍ)

على أنّ اسم الصوت إنما أعرب فى هذا للتركيب ، وإن كان بناؤه أصلياً . يريد أن أسماء الأصوات إذا ركّبت جاز إعرابها ، اعتباراً بالتركيب العارض بشرط إرادة اللفظ لا المعنى ، كما يجوز إعراب الحروف إذا قصد ألفاظها . والإعراب مع اللام أكثر من البناء لكونه علامة الاسم الذى أصله الإعراب ، لكنها لا توجبه بدليل « الآن » و « الذى » و « الخمسة عشر » . كذا فصله الشارح فى باب الصوت .

وعجز هذا المصراع :

(جَوانبُهُ من بَصرةٍ وسِلام)

صاحب الشاهد — وهو من قصيدة لذى الرُّمّة يمدح بها إبراهيم بن هشام بن الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم . وقبل بيت الشاهد :

---

(١) الأغانى ٩ : ٧٣ — ٧٨ .

أبيات الشاهد

(وكم عَسَفتْ من منهل متخطَّإٍ أفلَّ وأقوى ، فالجِمامُ طوامى

إذا ما وردنا لم نصادف بجوفه سوى واردات ٍ من قطاً وحمام

إذا ساقيانا أفرَغا فى إزائه على قُلُص ٍ بالمقفرات حيام

تداعين باسم الشيب . . . . . . (البيت) .

يصف قطعةَ القفار على إبله . والعسف : الأخذ على غير هدى ، والضمير المستتر راجع إلى الإبل العيس . والمنهل : المورد ، وهو عين ماء ترده الإبل . والمنهل المتخطّأ : الذى تخطّأه الناس فلم ينزلوه . وأفلّ ، بالفاء ، فعل ماض بمعنى لم يصبه مطر ، وهو مع ضميره صفة لمنهل ، وهذا سبب كون الناس لم ينزلوا فيه . يقال أرضٌ فِلٌّ بالكسر : لا نبات فيها لعدم المطر . وأقوى بمعنى خلا ، يقال أقوت الدار وقويت أيضاً أى خلت . والجِمام : بكسر الجيم جمع جُمّة بضمها ، وهو المكان الذى اجتمع فيه ماؤه . وطوامى : مملوءة ، جمع طامٍ اسم فاعل من طما الماء يطمو طموّاً كسموّ ، إذا ارتفع وملأ النهر . وساقيانا : تثنية ساق ، وهو من يستقى الماء من البئر . والإزاء ، بكسر الهمزة والزاى معجمة : مصب الماء فى الحوض ، قال أبو زيد : هو صخرة، وما جعلت وقايةً على مصبّ الماء حين يفرغ الماء ، ويقال أزّيت الحوض تأزية ، وآزيته بالمد إزاء . وعلى قلص متعلق بأفرَغا . والقُلص ، بضمتين : جمع قلوص ، وهى الناقة الشابة . والحيام بكسر المهملة : جمع حوم ، والحوم بالفتح : القطيع الضخم من الإبل . وبالمقفرات صفة لقُلُص ، من أقفرت الدار : إذا خلت . و (تداعين) : دعا بعضُ القلص بعضاً ، وروى (تنادين) من النداء . والجملة جواب إذاً . و « الشِّيب » بالكسر : حكاية أصوات مشافر الإبل عند الشرب ، والصَّوت شِيب شِيب ، جعل هذا الصوت مما يدعوهن

٥١

إلى الشرب ، ويأتى إن شاء الله تعالى فى باب الإضافة الكلامُ على إضافة « اسم » إلى الشيب . و « المنثِمِ » : المتكسِّر والمتهدم ، أراد فى حوض متثلم ، فحذف الموصوف لدلالة مصبِّ الحوض عليه ، يقال ثلمته من باب ضرب كسرته فانثلم وتثلم . والبصرة ، بفتح الباء : حجارة رخوة فيها بياض ، وبه سميت « البصرة » . والسِّلام بكسر المهملة : جمع سلمة بفتحها وكسر اللام ، وهى الحجارة .

ترجمة ذى الرمة

و (ذو الرُّمَّة) هو غَيلان بالمعجمة ابنُ عقبة ، من بنى صعب بن مالك ابن عدىّ بن عبد مناة . ويكنى أبا الحارث . وسمى ذا الرمة بقوله :

لم يَبقَ فيها أبدُ الأبيدِ غير ثلاثٍ ماثلاتٍ سود
وغير مرضوخ القفا موتود[1] أشعث باقى رُمَّة التقليد

والرُّمة : بضم الراء وتشديد الميم : قطعة من الحبل الخلق ، ويجوز كسرها . وقال ثعلب : إنّ ميّة لقبته بذلك ، وذلك أنه مر بخبائها قبل أن ينشبّب بها ، فرآها فأعجبته ، فأحبّ الكلام معها ، فخرقَ دلوه وأقبل إليها وقال : يافتاةُ اخرزى لى هذا الدلو . فقالت : إننى خرقاء — والخرقاء : التى لا تحسن عملا — فخجل غيلانُ ، ووضع دلوه على عنقه ، وهى مشدودة بقطعة حبل بال ، وولّى راجعاً . فعلمتْ مية ما أراد ، فقالت : ياذا الرمة انصرفْ . فانصرف ، فقالت له : إن كنت أنا خرقاء فإنّ أمَتى صَناع ، فاجلس حتى تخرز دلوك . ثم دعت أمتها قالت : اخرزى له هذا الدلو . وكان ذو الرمة يسمى مية خرقاء لقولها إننى خرقاء . وغلب عليه ذو الرمة لقولها ياذا الرمة ، اهـ .

---

(١) فى النسختين : « موضوح » ، ولا وجه له ، وصوابه من ديوان ذى الرمة ١٥٥ والشعراء ٥٠٨ واللآلى ٨٢ . والرضخ : الشق والدق .

وهذا خلاف ما نقله ابن قتيبة فى كتاب الشعراء[1] أن مية بنت فلان[2] ابن طلبة بن قيس . وهى غير الخرقاء ، فإن الخرقاء من بنى البكّاء بن عامر .
وكان سبب تشبيبه بها أنه مر فى بعض أسفاره ببعض البوادى ، وإذا خرقاء خارجة من خباء لها ، فنظر إليها فوقعت فى قلبه ، فخرق إداوته ودنا منها وقال: إنّى رجل على ظهر سفر ، وقد تخرّقت إداوتى فأصلحيها — يستطعم بذلك كلامها — فقالت : والله إنى ما أحسن العمل ، وإنى لخرقاء . والخرقاء : التى لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على أهلها . فشبّب بها وسمّاها خرقاء .

وقال أبو العباس الأحول : سمّى ذا الرمة لأنه خُشى عليه العين وهو غلام فأتى به إلى شيخ من الحىّ ، وصنع له مَعاذةً ، وشُدّت فى عضده بحبل .

والمشهور القول الأول .

قال حمّاد الراوية : امرؤ القيس أحسن الجاهلية تشبيها ، وذو الرمة أحسن الإسلام تشبيها ، وما أخرَ القومُ ذكرَه إلا لحداثة سنه وأنهم حسدوه ؛ وكان الفرزدق وجرير يحسدانه على شعره . ولقيه جرير فقال : هل لك فى المهاجاة ؟ ٥٢
قال : لا . قال : كأنك هبتنى . قال : لا والله ، ولكن حرمُك قد هتكهُنّ السّفَل ، وما أرى فى نسوتك مُترقَّعاً[3] . قال أبو المطرِّف : لم يكن أحد من القوم فى زمانه أبلغَ منه ولا أحسنَ جواباً ، ولقد عارضه رجلٌ بسوق الإبل فى البصرة يهزأ به ، فقال : يا أعرابى ، أتشهد بما لا ترى ؟ قال : نعم ؛ أشهد بأن أباك ناك أمك !

---

(١) الشعراء ٥٠٨ .

(٢) وكذا ورد النص فى الشعر . فلعله نسى اسم أبيها ، أو أهمله للخلاف فقيل مية بنت عاصم ، وقيل مية بنت مقاتل . اللآلئ ٨٢ والاغانى ١٦ : ١١٤ وجمهرة ابن حزم ٢٠٦ .

(٣) مترقعا : موضعا للشتم والهجاء . ط : « مرتعا » ش : « مرتقعا » ، وانظر اللسان (رقع) .

وقال أبو عمرو بن العلاء مرةً : خُتم الشعر بذى الرمة والرجز برؤبة . وقال أخرى — كما فى الموشح للمرزبانى[١] — شعر ذى الرمة نُقط عروس تضمحلّ[٢] عن قليل ، وأبعار ظباء لها مَشَمٌّ فى أول شمّها ثم تعود[٣] إلى أرواح البعر وإنما وضع منه لأنه كان لا يحسن الهجاء والمدح . . قال المبرد : معنى قوله نقط عروس أنها تبقى أول يوم ثم تذهب ؛ وبعر الظباء إذا شممته من ساعته وجدت فيه كرائحة المسك ، فإذا غبَّ ذهب ذلك منه . وقد أسند هذا التعبير فى حقه إلى جماعة منهم الفرزدق وجرير . قال الأصمعى : إن شِعر ذى الرمة حلوٌ أولَ ما تسمعه ، فإذا كثر إنشاده ضُعف ولم يكن له حسن ، لأن أبعار الظباء أول ما تشم توجد لها رائحةُ ما أكلت من الشيح والقيصوم والجنجاث والنبت الطيِّب الريح ، فإذا أدمتَ شمه ذهبت تلك الرائحة ، ونُقط العروس إذا غسلَتْها ذهبت .

وقال ابن قتيبة[٤] : وقف ذو الرمة فى سوق الإبل ينشد شعره الذى يذكر فيه ناقته صيدح. فوقف عليه الفرزدقُ فقال : كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس؟ قال : ما أحسن ما تقول ! قال : فمالى لا أُذْكر مع الفحول ! قال : قصّر بك عن غاياتهم بكاؤك فى الدِمن ، ونعتُك الأبعار والعطن . ومات بالبادية ولما حضرته الوفاة قال : أنا ابن نصف الهرم . أى ابن الأربعين

وقال المفضل الضبى[٥] : كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت ، فقال لى يوما : هل لك فى خرقاء صاحبة ذى الرمة ؟ قلت : بلى. فتوجهنا نريدها

---

(١) الموشح ص ١٧٢

(٢) فى النسختين : « يضمحل » ، ووجهه من الموشح .

(٣) فى النسختين : « يعود » . صوابه من الموشح .

(٤) الشعر والشعراء ٥٠٦ .

(٥) الشعر والشعراء ٥١٠ .

فعدل بى عن الطريق بقدر ميل ، فإذا أبياتٌ فقرع باباً منها فخرجت إلينا امرأة حُسَّانة بها قوة[1] فتحدثنا طويلا فقالت : أحججت قبل هذه ؟ قلت : بلى . قالت : فما منعك من زيارتى ؟ أما علمت أنى منسَك من مناسك الحجّ ؟ قلت : وكيف ذلك ؟ قالت : أما سمعت قول ذى الرمة :

تمامُ الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعةِ اللثام

وفى الأغانى عن ابن قتيبة : أنّ ميّة جعلت لله عليها أن تنحر بدنة يوم تراه . فلما رأته رجلا دميا أسود ، وكانت من أجملِ الناس فقالت : واسَوءتاه ، واضيعة بَدَنتاه ! فقال ذو الرمة :

على وجه ميٍّ مَسحةٌ من ملاحة وتحت الثياب الشَّيْنُ لو كان باديا

قال : فكشفت ثوبها عن بدنها وقالت : أشيناً ترى لا أمَّ لك ؟ فقال :

ألم تر أنَّ المـاء يخبث طعمُه وإن كان لون الماء أبيضَ صافيا

فقالت : أمّا ما تحت الثياب فقد رأيته وعلمتَ أن لا شين فيه ، ولم يبق إلاّ أن أقول لك هلّم حتى تذوق ماوراءه ! والله لا ذقتَ ذلك أبدا . فقال :

فياضيعة الشعر الذى لجَّ وانقضى بمىّ ولم أملك ضلالَ فؤاديا[2]

قال : ثم صلَح الأمر بينهما بعد ذلك ، فعاد إلى ما كان عليه من حبّها .

٥٣ ثم قال صاحب الأغانى : أنّ مية كانت لها بنت [عمٍّ][3] قالت على لسان ذى الرمة :

(١) وكذا فى الاغانى ١٦ : ١١٥ رواية عن ابن قتيبة . وفى الشعر والشعراء : « بها فوه » . والفوه ، بالتحريك : سعة الفم وعظمه .

(٢) فى شرح الأمير للمغنى ١ : ٧٣ نقلا عن هذا الموضع من الخزانة : « ضلالا فؤاديا » .

(٣) التكملة من الأغانى . وفيها : « وكانت لها بنت عم من ولد قيس ، يقال لها كثيرة أم سلهمة » . وانظر أمالى الزجاجى ٥٧ .

* على وجه مىّ مسحة من ملاحة *

الأبيات. فكان ذو الرمة إذا ذُكر ذلك له يتمعّض منه[1] ويحلف أنّه ما قاله قطّ.

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد التاسع:

٩ (إذا اجتمعوا على ألفٍ وَواو ... وياءٍ هاج بينهمُ جِدالُ)

على أن أسماء حروف المعجم تعرب إذا ركبت وإن كان بناؤها أصليًا. قيل: حيث كانت معربة لأجل التركيب عُلم أنها قبل التركيب غير معرَبة، وهذا حكم جميع الأسماء، سواء قلنا إنها قبل التركيب موقوفة أم مبنية، فما الفرق بينها وبين سائر الأسماء؟

أقول: الفرق أن أسماء حروف الهجاء إنّما وضعت لسردها مفردة للتعليم، لا لأنْ تكون مركبة مع عامل، فالتركيب فيها عارض بخلاف سائر الأسماء فإنها إنما وُضعت للتركيب، وسردُها منثورة أمرٌ عارض. ثم رأيت الشارح المحقق قد ذكر ما قلتُه في مواضع أُخر من شرحه[2] فقال: إن أسماء حروف المعجم لم توضع إلا لتُستعمل مفردات، لتعليم الصبيان ومن يجرى مجراهم، موقوفاً عليهم. فإذا استعملت مركبة مع عاملها فقد خرجت عن حالها الموضوعة لها.

وهذا مذهب ابن جنى فى سر الصناعة حيث قال: «اعلم أن هذه الحروف ما دامت حروفَ هجاء فإنها سواكن الأواخر فى الدَّرْج والوقف، لأنها أصوات بمنزله صه ومه، فإن وقعت موقع الأسماء أعربت».

---

(١) فى الأغانى: «يتمعض منه».

(٢) انظر الرضى على الكافية: ٢ : ١٣٢. ومنه نقل البغدادى النص الذى سيأتى

وأراد الشارح بإعرابها عند التركيب وجوب إعرابها كما نص عليه فى موضع آخر فقال : « إذا أردت إعراب أسماء حروف المعجم الكائنة على حرفين ضعَّفت الألف وقلبتها همزة . ولا تجوز الحكاية فى أسماء حروف المعجم مع التركيب مع عاملها » .

وأغرب السيوطى فى جمع الجوامع وشرحه فقال : « وأسماء الحروف ألف با تا ثا إلى آخرها وقف ، إلاّ مع عامل فالأجود حينئذ فيها الإعراب ومد المقصور منها ، ويجوز فيها الحكاية كهيئتها بلا عامل ، ويجوز ترك المد بأن يعرب مقصوراً منوّناً . كما إذا تعاطفت فإن الأجود فيها الإعراب والمدّ وإن لم يكن عامل » . انتهى.

فجوّز مع العامل الحكاية والقصر ، كما إذا لم تكن مع عامل ؛ وجوز أيضاً إعرابها مع القصر ، وجوز فى التعاطف مع عدم العامل الإعراب والمد .

وأما الأول فصرَّح بمنعه ابن جنى والشارح .

وأما الثانى فمنعه ابن جنى أيضاً فقال : فأما ما كان من نحو با تا فإنك متى أعربته لزمك أن تمدّه ؛ وذلك أنه على حرفين ، الثانى منهما حرفُ لين ، والتنوين يدرك الكلمة فتحذف الألف لالتقاء الساكنين ، فيلزمك أن تقول بن وتن يافتى ، فيبقى الاسم على حرف واحد ، فإن ابتدأته وجب أن يكون متحركا ، وإن وقفت عليه وجب أن يكون ساكناً ، وهذا ظاهر الاستحالة . فأما ما روى « شربتُ مًا » يريد ماء ، فحكاية شاذة لا نظير لها ، ولا يسوغ قياس غيرها عليها ، وإذا كان الأمر كذلك زدت على ألف با تا ألفاً أخرى ، كما رأيت العرب فعلت حين أعربت لوّا فقالوا :

* إن لوًّا وإنّ ليتاً عناء[1] *

(١) هو الشاهد ٧٣٥ . ومثله فى الأغانى ١٩ : ١٥٨ :

علقت لوا تكررها إن لوا ذاك أعيانا

وأما قول الشاعر :

بخط لامِ ألفٍ موصول والزاى والرا أيّما تهليل

إنما أراد (والراء) ممدودة ، فلم يمكنه ذلك لئلا يكسر الوزن ، فخفف الهمزة من الراء ، وجاء بذلك على قراءة أبى عمرو وتحقيقه الأولى من الهمزتين إذا التقتا من كلمتين وكانتا جميعاً متّفقتى الحركتين ، نحو: «فقد جاء أشراطها» و « شاء أنشره » ، وكذلك كان أصل هذا « والزاى والراء أيما تهليل » ، فلما اتفقت الحركتان حذف الأولى من الهمزتين .

وأما الثالث فلا وجه للإعراب والمد جميعاً مع عدم العامل .

وأظن أن السيوطى لخص كلامه من الارتشاف لأبى حيّان ، وأصله من المقصور والممدود لابن الأنبارى ، وتبعه أبو على القالى — فى المقصور والممدود له أيضاً — حرفاً بحرف — فقالا : وما كان من حروف الهجاء على حرفين فالعرب تمده وتقصره فيقولون: باء وتاء ، ومنهم من يقصر فيقول با و تا ، ومنهم من ينون فيقول باً و تاً . قال يزيد بن الحكم يذكر النحويين :

إذا اجتمعوا على ألفٍ وواو وياء ... (البيت)

والزاى فيها خمسة أوجه : من العرب من يمدها فيقول زاء فاعلم ، ومنهم من يقول زاى ، ومنهم من يقول هذه زا ، فيقصرها ، ومنهم من ينون فيقول زاً ، ومنهم من يقول زىّ فيشدّد . وأنشد الفراء :

بخط لامِ ألفٍ موصول والزاى والرا أيما تهليل

انتهى .فأنت تراهما كيف أطلقا ولم يفصّلا ، وهو مخالف لكلام الناس

ومراد الشارح بالتركيب أن تقع مع عامل ، نحو أول الجيم جيم ، وأوسط السين ياء ، وكتبتُ ياء حسنة . وكذلك العطف فيقال : ما هجاء بكر ؟ فنقول.

باء وكاف وراء، وكبيت الشاهد . فإن لم تعطف تبْن ، فتقول باءْ ، كافْ ، راءْ ، بإسكان الأواخر .

صاحب الشاهد

وبيت الشاهد ليزيد بن الحكم ، كما نسبه إليه الزَّجّاج فى أول تفسيره ، وابن الأنبارى ، وأبو على القالى . وروى الحريرى في درة الغوّاص[1] عن الأصمعى أنه قال : أنشدنى عيسى بن عمر بيتا هجا به النحويين ، يعنى أنهم إذا اجتمعوا للبحث عن إعلال حروف العلة ثار بينهم جدال . والجدال : مصدر جادل إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب ، وهذا أصله ، ثم استعمل فى لسان حملة الشرع فى مقابلة الأدلة لظهور أرجحها . وهو محمود إن كان للوقوف على الحق ، وإلاّ فمذموم ، يقال : إن أول من دوّن الجدل أبو على الطبرى . ويروى بدله « قتال » .

ترجمة يزيد ابن الحكم

أما يزيد بن الحكم فهو يزيد بن الحكم بن أبى العاص الثقفى البصرى ، الشاعر المشهور . ومن قال يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبى العاص فقد وهم ، فإن عثمان جدُّه أو عم أبيه أحد من أسلم من ثقيف يوم الطائف . حدث عن عمه عثمان المذكور ، وروى عنه معاوية بن قُرّة وعبدالرحمن بن إسحاق .

حكى أن الفرزدق مرَّ على يزيد هذا وهو يُنشد فى المسجد ، فقال : من هذا الذى ينشد شعرا كأنه شعرنا ؟ قالوا : يزيد بن الحكم . فقال : أشهد بالله أن عمتى ولدته .

وأم يزيد : بكرة بنت الزِّبرقان بن بدر . وأمها هُنيدة بنت صعصعة ابن ناجية . وكانت بكرة أول عربيّة ركبت البحر .

وروى الزجاجى فى أماليه الصغرى قال : ورد يزيد بن الحكم الثقفى من

(١) درة الغواص ١٠٦ .

٥٥ الطائف على الحجاج بن يوسف بالعراق ، وكان شريفاً شاعراً ، فولاه الحجّاج فارس ، فلما جاء لأخذ عهده قال له : يا يزيد أنشدنا من شعرك — يريد أن ينشده مديحاً له — فأنشده :

مَن يك سائلا عنّى فإنى أنا ابن الصَّيدِ من سلَفَيْ ثقيف
وفى وَسط البطاح محلُّ بيتى محلّ الليث من وسط الغريف
وفى كعب ومن كالحىّ كعبٍ حللت ذُؤابة الجبل المنيف
حويتُ فخارها غورا ونجداً وذلك منتهى شرف الشريف
نمانى كلُّ أصيدَ لا ضعيفٍ بحمل المعضلات ولا عنيفِ

فوجم الحجاجُ وأطرق ساعةً ، ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله ، أحمده وأشكره إذ لم يأت علينا زمان إلّا وفينا أشعر العرب ! ثم قال : أنشدنا يايزيد . فأنشأ يقول :

وأبى الذى فتح البلاد بسيفه فأذلّها لبنى الزمان الغابر
وأبى الذى سلب ابن كسرى راية فى الملك تخفقُ كالعُقاب الكاسر
وإذا فخرتُ فخرتُ غير مكذَّب فخراً أدُقُّ به فخار الفاخر

فقام الحجاج مغضباً ، ودخل القصرَ وانصرف يزيد ـ والعهد في يده ـ فقال الحجاج لخادمه : اتبعه وقل له اردُدْ علينا عهدنا ، فإذا أخذته فقل له : هل ورّثك أبوك مثل هذا العهد ؟ ! ففعل الخادم وأبلغه الرسالة . فردَّ عليه العهد فقال : قل للحجاج : أورثنى أبى مجده وفعاله ، وأورثك أبوك أعنُزاً ترعاها . ثم سار تحت الليل ، فلحق بسليمان وهو ولىّ عهد الوليد ؛ فضمَّه إليه وجعله فى خاصته . ومدحه بقصائد ، فقال له سليمان : كم كان أُجرىَ لك فى عمالة فارس ؟ قال : عشرين ألفاً . قال : هى لك علىّ ما دمت حياً .

ومما مدحه به هذه القصيدة ، ومطلعها :

أمسى بأسماء هذا القلبُ معمودا إذا أقول صحا يعتاده عيدا
كأنَّ أحور من غزلان ذى بقرٍ أهدى لنا شبه العينين والجيدا
أجرِى على موعد منها فتُخلفنى فلا أملّ ولا توفى المواعيدا
كأننى يوم أمسى لا تكلّمنى ذو بغية يشتهى ما ليس موجودا

ومنها :

سُمِّيت باسم امرءٍ أشبهت شيمته فصلاً وعدلاً سليمان بن داودا
أحمِدْ به فى الورى الماضين من ملك وأنت أصبحت فى الباقين محمودا
لا يبرأ الناس من أن يحمدوا ملكا أولاهم فى الأمور الحلم والجودا

ومن الناس من ينسب هذه الأبيات لعمر بن أبى ربيعة ، وذلك خطأ(١) .

وفى الأغانى بسنده إلى ابن عائشة قال : دخل يزيد بن الحكم على يزيد ابن المهلب فى سجن الحجاج ـ وهو يُعذَّب ـ وقد حل عليه نجم كان قد نُجِّم عليه ، وكانت نجومه فى كل أسبوع ستة عشر ألف درهم ، فقال له :

أصبح فى قيدك السَّماحةُ والجـودُ وفضل الصلاح والحسبُ
لا بطرٌ إن تتابعت نعم وصابرٌ فى البلاء محتسب
برّزت سبق الجياد فى مهل وقصّرتْ دون سعيك العرب

٥٦

قال : فالتفت يزيد إلى مولًى له ، وقال : أعطه نجم هذا الأسبوع ، ونصبر على العذاب إلى السبت الآخر(٢) .

---

(١) الأغانى ١١ : ٩٧ .

(٢) بعده فى الأغانى ١١ : ٩٨ : « وقد رويت هذه الأبيات والقصة لحمزة بن بيض مع يزيد » .

وليزيد بن الحكم عدةُ قصائد يعاتب فيها أخاه عبد ربّه بن الحكم ، وابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبى العاصى . ومما قال فى ابن عمه[١] :

ومولًى كذئب السوء لو يستطيعنى ... أصاب دمى يوماً بغير قتيل
وأعرض عما ساءه ، وكأنما ... يُقاد إلى ما ساءنى بدليل
مجاملة منى وإكرامَ غيره ... بلا حسنٍ منه ولا بجميل
ولو شئتُ ـ لولا الحلم ـ جدّعت أنفه ... بإيعاب جدع بادئ وعليل
حفاظاً على أحلام قومٍ رُزئتهم ... رزانٍ يزينون الندىّ كهول

وقال فى أخيه عبد ربه :

أخى يسرُّ لى الشّحناء يضمرها ... حتّى وَرى جوفَه من غمره الداء
حرّانُ ذو غُصّة ، جُرّعت غصّته ... وقد تعرّض دون الغصّة الماء
حتّى إذا ما أساغ الريق أنزلنى ... منه كما يُنزل الأعداء أعداء
أسعى فيكفر سعيى ما سعيتُ له ... إنى كذاك من الإخوان لقّاء
وكم يدٍ ويدٍ لى عنده ويدٍ ... يَعُدّهن تِراتٍ وهى آلاء

و (الغريف) بفتح الغين المعجمة هو الأجمة والغابة .

ترجمة عيسى ابن عمر

وأما عيسى بن عمر فهو عيسى بن عمر الثقفى ، مولى خالد بن الوليد . أخذ عن أبى عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن أبى إسحاق . وروى عن الحسن البصرى والعجاج ، ورؤبة ، وجماعة ـ وعنه أخذ الأصمعىّ وغيره ـ وكان يتقعّر فى كلامه ، حكى عنه الجوهرىُّ فى الصحاح ، أنه سقط عن حمار ، فاجتمع عليه الناس فقال : مالى أراكم تكأكأتم علىّ تكأكؤكم على ذى جِنّة ؟ افرنقعوا عنى[٢] ! واتّهمه عمر بن هُبيرة بوديعة ، فضربه نحو ألف سوط . فجعل يقول :

(١) الأغانى ١١ : ١٠٠ .
(٢) التكأكؤ : التجمع . والجنة : الجنون . والافرنقاع . التفرق .

والله إن كانت إلاّ أثيابا فى أسيفاط قبضها عشّاروك ! مات سنة تسع وأربعين ، وقيل سنة خمسين ومائة[1] ، كذا فى معجم النحويين للسيوطى .

والبيت الذى مثل به ابن جنى ووعدْنا بشرحه هو من أبيات رواها أبو زيد فى نوادره[2] قال : إنها لراجز يصف بها جُندبا ، وهى :

أبيات الشاهد

يحجل فيها مقلزُ الحجول ... بغياً على شقّيه كالمشكول[3]

بخط لامٍ ألف موصول ... والزاىَ والرا أيَّما تهليل

خطَّ يد المستطرق المسئول

(الجندب) بفتح الدال وضمها : ضرب من الجراد ؛ وقال أبو الحسن الأخفش فى شرح نوادر أبى زيد : قال أبو العباس ثعلب إنه عنى غراباً يحجل . قال فى العباب : الحجَلان : مشية المقيّد ، يقال حجل الطائر يحجل بضم الجيم وكسرها ، إذا نزا فى مشيه ؛ والحجول بفتح المهملة وضم الجيم صفة الجندب أو الغراب . وضمير فيها للأرض . و (المقلز) بكسر الميم وفتح اللام ، أراد به رجل الجندب أو الغراب لأنه اسمْ آلة من قلز الغراب والعصفور فى مشيهما ، وكل من لا يمشى مشياً فهو يقلز بضم اللام وكسرها قلْزاً بسكون اللام . ورواه أبو حاتم بفتح الميم وكسر اللام ، فيكون مصدراً ميميًّا . وزعم الأخفش فى شرح النوادر أنه مقلوب مقزل من القزل بفتحتين وهو أسوأ العرج . وقد قزل[4] بالكسر فهو أقزل، والقَزَلان: العرَجان ، وقد قزَل بالفتح قزلاناً : إذا مشى مشية العرْجان . ولا حاجة إلى ادّعاء القلب ، لأن مادة (قلز) ثابتة مذكورة

٥٧

(١) هذا يصحح ما فى بغية الوعاة ٢٧٠ : « وقيل سنة خمس ومائة » .

(٢) نوادر أبى زيد ١٦٧ .

(٣) ط : « كالمشلول » ، صوابه من النوادر ومما سيأتى من تفسير .

(٤) ط : « قزله » فى هذا الموضع وفى « مقلوبة من قزل » التالية ، صوابهما من ش .

فى العباب والقاموس ، ولم يقل أحد إنها مقلوبة من قزل . ثم قال الأخفش :
« روى لى ثعلب : مقلز الحجول بكسر الميم ، ولا وجه له عند أهل العربية ،
لأنّ المقلز هو الحجول ، ولا يضاف الشىء إلى نفسه : والرفع فى الحجول أجود
وإن كان الشعر يصير مُقوًّى . وقد روى بالرفع . وفيه معهذا عيب ، وهو أنه
حذف التنوين من مقلز لسكونها وسكون اللام . وحذف التنوين هو الذى شجّع
من رواه مخفوضاً ولم يتأمّل المعنى ، والإقواء أصلح من الإحالة . انتهى .

أقول : هذا تطويل بلا طائل ، يعلم فسادُه ممّا قدمناه . على أن المقلز لم يقل
أحد إنه بمعنى الحجول . و (البَغْى) هنا : الاختيال والمرح . و (المشكول) :
الذى فى رجليه شِكال ، يقال : شكلته شكلاً من باب قتل : قيّدته بالشكال ،
وشكلتُ الكتاب شكلاً : أعلمته بعلامات الإعراب . وقوله (بخطّ) الباء
متعلقة بيحجل ، ويجوز أن يكون بمثناة تحتية مضارع خطّ ، فيكون ضميره
المستتر للمقلز و (لام ألف) مفعوله . و (موصول) وصف اللام ، والصلة
محذوفة أى موصول بها أى بالألف . و (الزاى والرا) منصوبان بالعطف
على محل لام ألف . وقوله : (أيما تهليل) منصوب بفعل محذوف ، وما زائدة ،
أى هلّل تهليلا أىّ تهليل ، وهو مصدر هلّل ، بمعنى نكَص وجبُن وفرّ و (خطاً)
منصوب على المصدر التشبيهى ، أى بخط لام ألف كخط يد الكاهن المسئول
منه التكهن . و (المستطرِق) : الكاهن الذى يطرق الحصى بعضَه ببعض ،
والطرق : ضرب الكاهن الحصى ، وقد استطرقته أنا ، روى بكسر الراء وفتحها

وقد أورد هذه الأبياتَ ابن الأعرابى أيضاً فى نوادره . قال أنشدنيها
المفضّل وذكر داراً خلت من أهلها فصار فيها الغربان والظباء والوحش . ثم
قال : المستطرق : الذى يتكهّن ، فإذا سئل عن الشىء خَطّ فى التراب ونظر .
وحكى عن أعرابى قال : عالجت جارية شابّة فإذا قَلَزَّة كأنها أتان وحش .

قال : القُلُزّة : الشديدة ، والقُلزّ : النحاس الذى لا يعمل فيه الحديد . وقال أبو المنهال : هو القِلزّ ولم يعرف القُلُزّ : اهـ .

وروى (الحجول) بضمتين على أنه مصدر . وروى (نعبا) بدل بغيا ، بفتح النون وسكون العين المهملة بعدها موحدة ، وهو صوت الغراب . وروى (تفصيل) بدل تهليل .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد العاشر وهو من شواهد سيبويه[1] :

١٠ (أحضُرَ الوغى)

وهو قطعة من بيت وهو :

(ألا أيُّهذا اللائمى أحضُرَ الوغى وأنْ أشهدَ اللذات هل أنت مُخلدى)

على أن نصب (أن) المقدرة فى مثل هذا ضعيف وقال فى باب نواصب الفعل : نصبها فى مثله شاذ ، والكوفيون يجوّزون النصب فى مثله قياساً . ٥٨

أقول : ذهب الكوفيون إلى أنها تعمل محذوفة فى غير المواضع المعدودة . واستدلوا بهذا البيت فقالوا : الدليل على صحة هذا التقدير أنه عطف عليه قوله :(وأن أشهد) فدل على أنها تنصب مع الحذف . ومنع البصريون ذلك بأن عوامل الأفعال ضعيفة لا تعمل مع الحذف ، وإذا حذفت ارتفع الفعل ؛ ومنه عند سيبويه قوله تعالى : « قل أفغير الله تأمرونِّى أعبد[2] » . وقالوا : رواية البيت عندنا إنما هى بالرفع ، فقال سيبويه أصله (أن أحضر) فلما حذفت

---

(١) سيبويه (١ : ٤٥٢)

(٢) الآية ٦٤ من سورة الزمر . وقرأ الحسن : « أعبد » بالنصب أيضاً ، كما فى الأشمونى ٣ : ٣١٥ .

(أن) ارتفع ؛ و (أن أحضر) مجرور بنى مقدرة و (أن أشهد) معطوف عليه . وقال المبرِّد : جملة أحضُر حال من الياء . و (أن أشهد) معطوف على المعنى ، لأنه لما قال أحضُر دل على الحضور كما تقول : من كذب كان شراً له ، أى كان الكذب . كذا نقلوا عنه ؛ ولئن صحت رواية النصب فهو محمول على أنه توهم أنه أتى بأن ، فنصب ، كقوله :

بدا لىَ أنّى لستُ مدركَ ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا [1]

بجر (سابق) على توهم أنه قال : لست بمدرك ما مضى . وهذا لا يجوز القياس عليه .

وروى (ألا أيُّهذا الزاجرى) ، وروى أيضاً (ألا أيُّها اللاحىّ) بتشديد الياء . و (الوغى) : الحرب ، وأصله الأصوات التى تكون فيها ، وقال ابن جنى : الوغى بالمهملة : الصوت ، وبالمعجمة : الحرب نفسها . و (الشُّهود) : الحضور ، يقال : شهدت المجلس بمعنى حضرته . و (أخلده) : أبقاه .

ومعنى البيت : يامَنْ يلومنى فى حضور الحرب لئلا أقتل ، وفى أن أنفق مالى لئلا أفتقر ، ما أنت مخلدى إن قبلتُ منك ، فدعنى أنفق مالى فى الفتوة ولا أخلِّفه لغيرى .

صاحب الشعر

وهذا البيت من قصيدة لطرفة بن العبد ، وهى إحدى المعلَّقات السبع . ونذكر ترجمته وأخباره فى موضع آخر إن شاء الله تعالى [2] . وبعد هذا البيت:

(فإن كنتَ لا تسطيعُ دفعَ منيّتى فذرنى أبادرْها بما ملكتْ يدى)

---

(١) لزهير بن أبى سلمى أو لغيره . وهو الشاهد ٧٠٤ .

(٢) فى الشاهد ١٥٢ .

يقول : إن كنت لاتقدرُ أن تدفع موتى فذرنى أسبق الموت بالتمتع بإنفاق مالى . يريد أن الموت لابد منه فلا معنى للبخل وترك اللذات .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر :

١١ (أدنُو فأنظورُ)

وهو قطعة من بيت ثان[١] أنشدهما الفراء ، وهما :

(اللهُ يعلمُ أنَّا فى تلفتنا يوم الفراق إلى أحبابنا صُورُ
وأنّى حوثُما يثنى الهوى بصرى من حوثما سلكوا أدنو فأنظورُ)

على أن الواو حاصلة من إشباع الضمة، وأصله أنظر . ويروى (إلى إخواننا) بدل أحبابنا . و (الصُّور) بصاد مهملة : جمع أصور ، وهو المائل من الشوق من صَوِر[٢] يصوَر صوَراً بالتحريك : مال . وأصاره فانصار : أماله فمال . ويجوز أن يكون جمع (صُورة) ، أى إذا تلفَّتنا إلى الأحباب عند رحيلهم فكأننا أشكال وأشباح ليس فيها أرواح . و (أنى) بفتح الهمزة . و (حوْث) ظرف مكان ، لغة فى حيث ، بتثليث الثاء فيهما ؛ وهو خبر أن . و (ما) زائدة . و (ثناه) : أماله . و (الهوى) : العشق ، وهو فاعل ، و (بصرى) مفعوله . أى أنا فى الجهة التى يُميل الهوى بصرى إليها . وقوله : (من حوثما) روى فى الموضعين (حيثما[٣]) متعلق بأدنو وبأنظر ، أى أدنو فأنظر إليهم من الجهة التى سلكوا فيها . وروى ابن جنى فى سر الصناعة ،

٥٩

(١) ش مع أثر إصلاح : « من ثانى بيتين » .
(٢) فى الأصل : « صار » .
(٣) وهى رواية الصاحبى ص ٢١ . وروى فى اللسان (شرى) :
وأننى حوثما يشرى الهوى بصرى من حيثما سلكوا أثنى فانظور

وفى الخصائص ، وفى المبهج : (يسرى) بدل يثنى ، وزاد فى المحتسب فقال : هكذا روى أبو على يسرى من سريت ، ورواه ابن الأعرابى (يُشرى) بالشين معجمة أى يعلّق ويحرّك الهوى بصرى ؛ وما أحسن هذه الرواية وأظرفها ! انتهى .

أما الأول فهو مضارع سريت الثوب عنى سرْياً ، لغة فى سروته عنى سرواً بمعنى ألقيته . وأما الثانى فهو مضارع أشريته ، متعدى شرى البرق شرى من باب فرح ، إذا كثر لمعانه ، وشرى زمامُ الناقة إذا كثر اضطرابه ، وشرى الرجل واستشرى إذا لج فى الأمر . وقوله: (أدنو فأنظور) روى ابن جنى موضعه (أثنى فأنظور) ، أى أثنى عنقى فأنظر نحوهم ، من ثناه بمعنى لواهُ . قال أبو على ، وتبعه ابن جنى : لو سميت رجلا بأنظر لمنعته الصرف للتعريف ووزن الفعل ، ولو سميته بأنظور من قول الشاعر « أدنو فأنظور » لصرفته لزوال لفظ الفعل ، وإن كنا نعلم أن الواو إنما تولدت من إشباع ضمة الظاء وأن المراد عند الجميع : أنظر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر :

١٢ (ينباعُ من ذفْرى غَضُوبٍ جسرةٍ)

تمامه : (زيّافةٍ مثل الفنيق المُكدم)

على أن الألف تولدت من إشباع الفتحة ، والأصل ينبع ، كذا قال جماعة ؛ وقال ابن الأعرابى : ينباع ينفعل ، من باع يبوع إذا مرّ مرًّا ليّنا فيه تلوٍّ ، وأنكر أن يكون الأصل فيه ينبع ، وقال : (ينبع) يخرج كما ينبع الماء من الأرض ، ولم يرد هذا ، إنما أراد السّيلان وتلوّيه على رقبتها . وفى العباب :

وانباع العرق سال ، وأنشد هذا البيت ؛ وقال : ويروى (ينبعّ) ، وقيل ينبَع فتولدت الألف من إشباع الفتحة ، ويروى (ينهمّ) أى يذوب ، يقال همّه المرضُ إذا أذابه ، وانهمّ الشحمُ والبرد : ذابا . وإنكار ابن الأعرابى رواية ينبع مردود برواية الثقات ؛ وقوله : ليس المراد ينبع الخ ، مردود أيضاً ، فإنّ (الذفرى) هو الموضع الذى يعرق من الإبل خلف الأذن . وفاعل ينباع ضمير عائد على الرُّب أو الكُحيل فى البيت السابق ، وجملة ينباع خبر كأنّ ، وهو :

(وكأنَّ رُبًّا أو كُحيلا مُعقدا حشَّ الوقودُ به جوانب قُمْقُم)

(الربّ) بضم المهملة معروف ، وهو شبيه الدِّبس و(الكُحيل) بضم الكاف وفتح الحاء المهملة : القطران ؛ شبّه عرق الناقة بهما . وقال الخطيب التبريزى : وقيل (الكحيل) هِنا ء تُهنأ به الإبل من الجرب ، شبيه بالنِّفْط ، يقال له الخضخاض . وقال أبو جعفر النحوى : هو ردىء القطِران ، يضرب إلى الحمرة ثم يسودّ إذا عقد . وفى العباب : (الكحيل) مصغر : الذى يطلى به الإبل للجرب وهو النِّفْط ، قاله الأصمعى . قال : والقطران إنما يطلى به للدَّبر والقُراد وشبه ذلك ؛ وأنشد هذا البيت . و (معُقد) : اسم مفعول من أعقد ، وهو الذى أوقد تحته النارُ حتى انعقد وغلظ . قال فى الصحاح: «وعقد الرُّبُّ وغيره أى غلظ ، فهو عقيد ، أعقدته أنا وعقدته تعقيداً . قال الكسائى : يقال للقطِران والربّ ونحوه أعقدته حتى تعقّد » ، وهو وصف الثانى لا الأول فإن الربَّ يكون معقداً . و (حشّ) بالحاء المهملة ، يقال : حششت النار إذا أوقدتها . (والوقود) بفتح الواو : الحطب ، و (الوُقود) بالضم المصدر ؛ وهو فاعل حشّ . و (جوانب) مفعوله ؛ ويجوز أن يكون حشّ بمعنى احتشّ أى اتقد ، كما يقال : هذا لا يخلطه شىء بمعنى لا يختلط به ؛ فيكون (جوانب) منصوبا على الظرف ، كذا فى شرح أبى جعفر النحوى . و (القمقم) كهدهد : الجرة

٦٠

وآنية معروفة[١] . قال القاضى أبو الحسين الزوزنى فى شرحه : « شبه العرق السائل من رأسها وعنقها برب أو قطران جعل فى قمقم أو قدت عليه النار ، فهو يترشح به عند الغليان ، وعرق الإبل شبّهه بهما وشبه رأسها بالقمقم فى الصلابة . وتقدير البيت : وكأن ربا أو كحيلا حشّ الوقود بإغلائه فى جوانب قمقم ، عرقُها الذى يترشح منها » اﻫ . و (الذِّفرى) بكسر الذال المعجمة وسكون الفاء ، من القفا : الموضع الذى يعرق من الإبل خلف الأذن ، يقال هذه ذفرى أسيلة ، لاتنوَّن لأن ألفها للتأنيث ، و بعضهم ينون ويجعل ألفها للإلحاق ، وهى مأخوذة من ذفَر العرق ؛ لأنها أول ما يعرق من الإبل الذفريان ، وأول ما يبدو فيه السمن لسانه وكرشه ، وآخر ما يبقى فيه السمن عينه وسُلاماه وعظام أخفافه . (والغَضُوب) بالغين والضاد المعجمتين قالوا : هى الناقة العبوس ، والمراد الناقة الصعبة الشديدة المراس ، قال الخطيب فى شرحه تبعاً لأبى جعفر : « الغضوب والغضبى واحد ، وغضوب للتكثير كما يقال ظلوم وغشوم » ؛ وروى شارح شواهد التفسيرين: (من ذفرى أسيل) ، قال : والأسيل من كل شىء : المسترسل الطويل السّهل . وهذه الرواية غير صحيحة ، لأنه إن كان بإضافة ذفرى إليه فكان يجب أن يقول أسيلة لأن كلامه فى الناقة بدليل ما بعده ، وإن كان الأسيل وصفاً للذفرى — وإن صح بتقدير ألفها للإلحاق — لكن تبقى الذفرى غير مقيدة . و (الجسرة) بفتح الجيم وسكون السين المهملة قال فى الصحاح : الجسر العظيم من الإبل ، والأنثى جسرة . وفى الشروح : (الجسرة) الماضية فى سيرها ، ومنه جسر فلان على كذا ، وقيل هى الضخمة

---

(١) وكذا فى القاموس ، ومثله فى المصباح : « والقمقم : آنية العطار . والقمقم أيضاً : آنية من نحاس يسخن فيه الماء ، ويسمى المحم كخضم ، وأهل الشام يقولون غلاية » . وقد رأيت اشتراكهما فى تفسير القمقم وهو مفرد بأنه آنية ، والآنية جمع إناء . ففى عبارتيهما تجوز .

القوية . وروى بدله (حرة) والحر : الجيد الأصيل ، والخالص من كل شيء .
و (الزَّيافة) بفتح الزاى المعجمة وتشديد المثناة التحتية والفاء ، مبالغة زائف ،
وهو من زاف يزيف زيفاً وزيفانا إذا تبختر فى مشيته ، كذا فى العباب . وقال
الخطيب : هى المسرعة . و (الفنيق) بفتح الفاء وكسر النون : الفحل .
(المُكْدم) : الذى لا يؤذى ولا يركب لكرامته على أهله ، والمكدم بضم
الميم وسكون الكاف اسم مفعول ، قياسه أن يكون من أكدمه ، لكنهم[1]
لم ينقلوا إلاّ كدمه ثلاثيا من الباب الأول والثانى[2] ، قالوا الكدم : العضّ
بأدنى الفم كما يكدم الحمار . والمكدَّم بالتشديد : المعضّض . وروى موضعه
(المُقْرم) على وزنه ، وهو : البعير الذى لا يُحمل عليه ولا يذلّل ، وإنما هو
للفِحلة بكسر الفاء وسكون الحاء المهملة . قال الزوزنى : يقول : ينبع هذا
العرق من خلف أذن ناقة غضوب موثقة الخلق ، شديدة التبختر فى سيرها ،
مثل فحلٍ من الإبل قد كدمته الفحول ، شبهها بالفحل فى تبخترها ووثاقة
خلقها وضخمها .

صاحب الشاهد ٦١

وهذان البيتان من معلقه عنترة ، وهى من أجود شعره . وكانت العرب
تسميها المذهبة[3] بصيغة اسم المفعول من الإذهاب أو التذهيب ، وهما بمعنى
التَّمويه والتَّطلية بالذهب .

ومعنى المعلّقة : أن العرب كانت في الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر

---

(١) فى النسختين : « لكونهم » والوجه ما أثبت .

(٢) يعنى بابى نصر وضرب .

(٣) وهذا غير الاصطلاح الذى جرى عليه ابو زيد القرشى فى تقسيم كتابه « جمهرة أشعار العرب » إذ جعل المذهبات لسبعة من الشعراء وهم عبد الله بن رواحة ، ومالك بن عجلان ، وقيس بن الخطيم ، وأحيحة بن الجلاح ، وابو قيس بن الأسلت ، وعمرو بن امرئ القيس .

فى أقصى الأرض فلا يُعبأ به ولا يُنشده أحدٌ ، حتى يأتىَ مكةَ فى موسم الحج فيعرضه على أندية قريش ، فإن استحسنوه رُوى وكان فخراً لقائله وعلّق على ركن من أركان الكعبة حتى يُنظر إليه ، وإن لم يستحسنوه طُرح ولم يعبأ به.
وأول من علق شعره فى الكعبة امرؤ القيس ، و بعده علقت الشعراء . وعددُ من علّق شعره سبعة ، ثانيهم طرَفة بن العبد ، ثالثهم زُهير بن أبى سُلمى ، رابعهم لبيد بن ربيعة ، خامسهم عنترة ، سادسهم الحارث بن حلّزة ، سابعهم عمرو بن كلثوم التغلبى ، هذا هو المشهور .

وفى العمدة لابن رشيق[1] : « وقال محمد بن أبى الخطاب فى كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب : إن أبا عبيدة[2] قال : أصحاب السبع التى تسمى السموط[3] امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو وطرفة ، قال : وقال المفضل : من زعم أن فى السبع التى تسمى السُّموط لأحد غير هؤلاء فقد أبطل . فأسقطا من أصحاب المعلقات عنترة والحارث بن حلزة ، وأثبتا الأعشى والنابغة . وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك أنها اختيرت من سائر الشعر ، فكتبت فى القباطىّ[4] بماء الذهب ، وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال : مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره ، ذكر ذلك غير واحد من العلماء . وقيل : بل كان الملك إذا استجيدت قصيدةٌ يقول : علّقوا لنا هذه ، لتكون

(١) العمدة ١ : ٦٠ — ٦١ .

(٢) كذا خلط ابن رشيق بين قول أبى عبيدة والمفضل ، ولم يطابق ما فى نص جمهرة أشعار العرب ص ٣٤ — ٣٥ . وتبعه البغدادى دون رجوع إلى أصل الجمهرة .

(٣) فى ط وأصل س. «السمط» ، وأثبت مافى الجمهرة ، وبذلك صححت أيضاً فى س .

(٤) القباطى : جمع قبطية بضم القاف على غير قياس النسب ، وبكسرها على القياس ، وهى ضرب من الثياب ينسب إلى القبط أهل مصر .

فى خزانته[1] » .

ونذكر إن شاء الله خبر كل واحد من أصحاب القصائد ، وأنسابهم ، والسبب الذى دعاهم إلى قول تلك القصائد ، عندما يأتى شعر كل منهم .

وقد طرح عبد الملك بن مروان شعر أربعةٍ منهم وأثبت مكانهم أربعة .

وروى أن بعض أمراء بنى أمية أمر من اختار له سبعة أشعار فسمّاها المعلقات .

والسبب الذى حمل عنترة على نظم هذه القصيدة : أنه كان لا يقول من الشعر إلا البيتين والثلاثة ، حتّى سابّه رجل من قومه فعابه بسواده وسواد أمّه ، وأنه لا يقول الشعر ، فأجابه عنترة أبلغ جواب ـ نقله ابن قتيبة فى طبقات الشعراء[2] ـ وقال : أما الشعر فستعلم ! فقال هذه القصيدة .

ويستحسن منها قوله فى وصف روضة :

(وخلا الذُّبابُ بها فليس ببارحٍ ... غَرِداً كفعل الشارب المترنّمِ
هزِجاً يحُكّ ذراعه بذراعه ... فعلَ المكبِّ على الزِّناد الأجذمِ)

(البَراح) : الزّوال . و (الغرد) وصف من غرد ، من باب فرح ، إذا تغنّى . يقول : خلا الذباب بهذه الروضة فلا زال يرجّع صوته بالغناء كشارب الخمر . و (الهزَج) : تراكب الصوت . ومعنى يحكّ ذراعه بذراعه يُمرّ إحداهما على الأخرى . و (الأجذم) بالمعجمتين : صفة المكبّ ، وهو المقطوع اليد ، شبّه الذباب إذا سنّ إحدى ذراعيه بالأخرى بأجذم يقدح ناراً بذراعيه ، وهذا من عجيب التشبيه ، يقال : إنّه لم يقل أحدٌ فى معناه مثله ، وقد عدّه

(١) إلى هنا ينتهى نقل البغدادى عن العمدة .

(٢) الشعر والشعراء ٢٠٥ — ٢٠٦ . وقد أغفله البغدادى هنا لطوله .

أرباب الأدب من التشبيهات العُقم ؛ وهى التى لم يسبق إليها ولا يقدر أحد
عليها ، مشتق من الريح العقيم ، وهى التى لا تُلقح شجرة ولا تنتج ثمرة ، ٦٢
وقد شبه بعضهم من يفرك يديه ندامة بفعل الذباب ، وزاده اللطمَ فقال :

فعلُ الأديب إذا خلا بهمومه   فعلُ الذباب يزنّ عند فراغه[1]
فتراه يفرُك راحتيه ندامةً   منه ويُتبعها بلطم دماغه

زوجة عنترة

وعنترة هو عنترة العَبْسى بن شدّاد بن عمرو بن قُراد ؛ قال الـكلبى : شدّاد جدّه غلب على اسم أبيه ، وإنّما هو عنترة بن عمرو بن شداد . وقال غيره : شداد عمه ، تكفّله بعد موت أبيه فنسب إليه . ويقال : إن أباه ادّعاه بعد الـكبر . وذلك أنه كان لأمةٍ سوداء يقال لها زَبيبة ، وكانت العرب فى الجاهلية إذا كان لأحدهم ولد من أَمةٍ استعبده . وكان لعنترة إخوة — من أمّه — عَبيدٌ . وكان سبب ادّعاء أبى عنترة إياه : أنّ بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بنى عبس فأصابوا منهم ، فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم ، وفيهم عنترة ، فقال له أبوه : كرّ يا عنترة . فقال : العبد لا يحسن الـكرّ إنما يحسن الحِلاب والصر ! قال : كرّ وأنت حر . فقاتلهم واستنقذ ما فى أيدى القوم من الغنيمة ، فادّعاه أبوه بعد ذلك .

وهو أحد أغربة العرب وهم ثلاثة . والثانى خُفاف كغراب واسم أمّه ندبة كتمرة ، والثالث السُّليك بالتصغير واسم أمه السُّلَـكة بضم ففتح ، وأمهات الثلاثة سُود .

وكان عنترة أشجع أهل زمانه وأجودهم بما ملـكت يده ، وكان شهد حرب داحسٍ والغبراء ، وحُمدت مشاهده فيها ، وقتل فيها ضمضما المرىّ :

(١) كذا فى النسختين . و « يزنّ » الوجه فيها يرن ، من الرنين أو الإرنان وهو الصوت . على أن الشعر يبدو أنه لمولد . وقد وردت « زن » بالزاى المعجمة فى المستطرف للأبشيهى ١ : ٣٥ فى الأمثال العامية « زنبور زن على حجر مسن » .

أبا الحصين بن ضمضم ، وأبا أخيه هرم ؛ ولذلك قال فى هذه القصيدة :

(ولقد خشيتُ بأن أموت ولم تَدُر للحرب دائرة على ابنَىْ ضمضم

الشاتمىْ عِرضى ولم أشتمهما والنّاذِرَيْن إذا لم آلقهما دمى

إن يفعلا فلقد تركتُ أباهما جَزَرَ السباع وكلِّ نسر قشعم)

وهذا آخر المعلقة .

قال أبو عبيدة : إن عنترة ، بعد ما أوت عبس إلى غطفان بعد يوم جَبَلَة وحَمْلِ الدماء احتاج ؛ وكان صاحبَ غارات ، فكبر وعجز عنها ، وكان له يدٌ على رجل من غطفان ، فخرج يتجازاه فمات فى الطريق .

ونقل عن أبى عبيدة أيضاً : أنَّ طيئًا تدّعى قتل عنترة، ويزعمون أن الذى قتله الأسد الرَّهيص[1] وهو القائل :

أنا الأسدُ الرهيص قتلت عمرا وعنترةَ الفوارس قد قتلتُ

والله أعلم . والعنتر[2] فى اللغة: الذباب الأزرق ، الواحد عنترة ؛ قال سيبويه: نونه ليست بزائده .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر :

١٣ (فى كِلتَ رجلَيْها سلامَى زائدهْ كِلتاهما قد قُرِنتْ بواحدهْ[3])

على أن (كلت) أصلها كلتا ، حذفت ألفها ضرورة ، وفتحة التاء دليل عليها ، رأيت فى حاشية الصحاح : أن هذا البيت من رجز يصف به نعامة ،

(١) فى الاشتقاق ٢٨٠ بتحقيقنا : « قتله طيء فيما تزعم العرب وعامة العلماء . وكان أبو عبيدة ينكر ذلك ويقول : مات بردا وكان قد أسن » .

(٢) فى النسختين : « العنترة » ، والوجه ما أثبت .

(٣) أنشده فى اللسان (كلا) .

فضمير (رجلها) عائد على النعامة . و (السُّلامى) على وزن حُبارى : عظمٌ في فِرسِن البعير ، وعظامٌ صغار طولَ إصبع أو أقل في اليد والرجل ، والجمع سُلامَيات. والفِرسن بكسر أوّله وثالثه ، هو للبعير بمنزلة الحافر للفرس. والضمير

٦٣ في (كلتاهما) للرجلين . وقوله (في كلت) خبر مقدّم ، والكسرة مقدرة على الألف المحذوفة ، و (سلامى) مبتدأ مؤخر . و (زائدة) وصفه و (كلتاهما) مبتدأ ، وما بعده الخبر .

وهذا المصراع تأكيد للأول ، وفيه قلب : يجعل المجرور والمرفوع في الأول مرفوعا ومجرورا في الثاني ، أي قرنت بواحدة من السلاميات .

وأورده الشارح – مرة ثانية هنا – على أن الكوفيين زعموا أن كلت مفرد كلتا ، لكن هذا المفرد لم يستعمل ويجوز استعماله للضرورة ، كما في هذا البيت؛ أقول : (الكوفيون) ذهبوا إلى أنّ كلا وكلتا فيهما تثنية لفظية ومعنوية ، وأصلهما (كُلّ) فكسرت الكاف وخففت اللام وزيدت الألف للتثنية والتاء للتأنيث . وقد بين الشارح مذهبهم ؛ واستدلوا على أنهما مثنَّيان لفظاً ومعنى وأن ألفهما للتثنية ، بالسماع والقياس . أمَّا السماع فنحو هذا البيت ، فأفرد كلت وهى بمعنى إحدَى ، فدل عن أنّ كلتا تثنية وأما القياس فقالوا : الدليل على أنّ ألفهما للتثنية ، أنها تنقلب إلى الياء في النصب والجر إذا أضيفا إلى المضمر ، ولو كانت ألف قصر لم تنقلب .

وذهب (البصريون) إلى أنهما ليستا بمأخوذتين من كلّ ، لأنّ كلاً للإحاطة ، وهما لمعنًى مخصوص ، ليس أحد القبيلين مأخوذاً من الآخر ، بل مادّتهما الكاف واللام والواو وهما مفردان لفظاً مثنَّيان معنى ، والألف في كِلا كألف عصا وفي كلتا للتأنيث ، ويدلّ لما قالوا عود الضمير إليهما تارة مفرداً حملا على اللفظ ، وتارة مثنى حملا على المعنى ، وقد اجتمعا في قوله :

كلاهما حين جدَّ الجرىُ بينهما قد أقلعا وكلا أنفيهما رابى[1]

ولو كانا مثنيين حقيقة لَزِمَهم أمران :

الأول : كان يجب عود الضمير إليهما مثنى ، مع أن الحمل على اللفظ فيهما أكثر من الحمل على المعنى ؛ ونظيرهما كلّ ، فإنه يجوز عود الضمير إليها مفرداً بالنسبة إلى لفظها ، نحو كل القوم ضربته ، وعوده جمعاً بالنسبة إلى معناها نحو كل القوم ضربتهم ، لكن الحمل على المعنى فيه أكثر من الحمل على اللفظ ، عكس كلا وكلتا .

الثانى : كان يمتنع نحو كِلا أخويك ، لأنه يلزم إضافة الشىء إلى نفسه . ويدل على أن ألفهما ألف مقصورة إمالتُها : كما قرأ حمزة والكسائى وخلف ، بإمالة قوله تعالى : « إمَّا يبلُغنَّ عِندكَ الكِبَرَ أحَدُهما أو كِلاهُما » ، وقوله تعالى : « كِلْتا الجنّتين آتتْ أُكُلَها » ، فلو كانت للتثنية لما جاز إمالتُها .

وأجابوا عن الدليل الأوّل بأنه لاحجة فى البيت فإن أصله كلتا ، حذفت الألف ضرورة واكتفى عنها بفتحة التاء ، كما قال الشاعر :

* وصّانىَ العجاج فيما وصَّنى[2] *

أراد وصَّانى . وقال الآخر :

فلستُ بمدركٍ ما فات منى بلهفَ ولا بليتَ ولا لوَ انى

أراد بلهفى ، فحذفت الألف منهُما ضرورة ، ومثله كثير .

أقول : استدلالهم بهذا البيت على الإفراد يردُّه معناه ، فإن المعنى على التثنية ، بدليل تأكيده بالمصراع الثانى ، فتأمل .

(١) البيت للفرزدق فى ديوانه ٣٤ ونوادر أبى زيد ١٦٢ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ١٨٨ .
(٢) لرؤبة فى ملحقات ديوانه ١٨٧ .

وأجابوا عن الدليل الثانى بأنها إنما قلبت فى حال الإضافة إلى المضمر لوجهين : ٦٤

أحدهما : أنّه لما كان فيهما إفرادٌ لفظى وتثنية معنوية ، وكانا تارة يضافان إلى المظهر وتارة إلى المضمر ، جعلوا لها حظًّا من حالة الإفراد وحظًّا من حالة التثنية . وإنّما جعلوهما مع الإضافة إلى المظهر بمنزلة المفرد لأن المفرد هو الأصل ؛ وجعلوهما مع الإضافة إلى المضمر بمنزلة التثنية لأن المضمر فرع والتثنية فرع ، فكان الفرع أولى بالفرع .

والثانى : أنه إنما لم تقلب ألفهما مع المظهر لأنّهما لزمتا الإضافة وجر الاسم بعدهما ، فأشبهتا لدى ، وإلى ، وعلى . وكما أنّ هذه الثلاثة لاتقلب ألفها مع المظهر وتقلب مع المضمر ، كان كلا وكلتا كذلك . ويدل على صحة ذلك أن القلب فيهما يختص بحالة النصب والجر دون الرفع ، لأنّ لديك إنّما تستعمل فى حالة النصب والجر ، دون الرفع ، فلهذا المعنى كان القلب مختصا بهما دون حالة الرفع .

قال ابن الأنبارى فى كتاب الإنصاف[1] : وهذا الوجه أوجه الوجهين ، وبه علل أكثر المتقدمين . قال : والدليل على أنّ الألف فيهما ليست للتثنية أنها لو كانت للتثنية لانقلبت فى حالة النصب والجر إذا أضيفتا إلى المظهر ، لأن الأصل هو المظهر والمضمر فرعه ، فلما لم تنقلب دل على أنها ألف مقصورة لا أنها للتثنية . والله أعلم .

هذا وقد قال أبو حيان فى تذكرته : « هذا البيت من اضطرار الشعراء ، وكلت ليس بواحد كلتا ، بل هوَ جاء بمعنى كِلا ، غير أنه أسقط الألف اعتماداً

(١) الإنصاف ص ٢٦٤ .

على الفتحة [١] التي قبلها ، وعملا على أنها تكنى من الألف الممالة إلى الياء . وما من الكوفيين أحد يقول : كلت واحدة كلتا ، ولا يدعى أنّ لكلا وكلتا واحداً منفرداً فى النطق مستعملاً . فإن ادّعاه عليه مدّع فهو تشنيع وتفحيش من الخصوم على قول خصومهم » . انتهى .

ويؤيده ما رأيته [٢] فى معانى القرآن للفرّاء عند تفسير قوله تعالى « كِلتا الجَنَّتين آتتْ أُكُلها » ؛ وهذه عبارته : وقد تُفرد العرب إحدى كلتى بالإمالة، وهم يذهبون بإفرادها إلى اثنيتّها . وأنشدنى بعضهم :

فى كلت رجليها سُلامى واحده كلتاهما قد قُرنت بزائده

يعنى الظليم ، يريد بكلت كلتى [٣]

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الرابع عشر :

١٤ (كِلتَ كفّيه تُوالى دائماً بجُيوش من عِقابٍ ونِعَمْ)

على أن (كِلت) مفرد كلتا عند الكوفيين . والكلام عليه كالكلام على البيت الذى قبله . ووالى بين الأمرين موالاة ووِلاء : تابعَ . والجيش : الجندُ ، وقيل : الجند السائر لحرب أو غيرها . والعقاب : النّكال . والنُّعم : جمع نِعمة ، وهو المال هنا : والظاهر أن مراد الشاعر : أنّ إحدى يديه تفيد النعم لأوليائه ، والأخرى توقع النقم بأعدائه ، كما قال آخر :

يداك : يدٌ خيرُها يرتجى وأخرى لأعدائها غائظه

(١) فى النسختين : « الكسرة » ، وصححت فى حاشية ش : « الفتحة » .
(٢) ط : « على ما رأيته » ، والوجه إسقاط « على » كما فى ش .
(٣) ط : « كلتا » ، ووجه كتابتها من ش.

وحينئذ فلا يتأتّى قول الكوفيين إن (كِلت) هنا بمعنى إحدى؛ فوجب أن يكون أصله كلتا، حذفت الألف ضرورة، كما تقدم بيانه فى البيت السابق. وفيه أيضاً ما نقلناه.

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الخامس عشر :

٦٥ ١٥ (كِلانا إذا ما نال شيئاً أفاتَه)

تمامه :

(ومَنْ يحترِثْ حَرْثى وحَرثَكَ يُهْزَلِ)

على أنَّ (كلا) و (كلتا) لو كانتا مثنيين حقيقة لم يجزْ عود ضمير المفرد إليهما، كما عاد ضمير نال المفرد إلى (كلا) فى هذا البيت، فلما عاد إليها ضمير المفرد علم أنها مفردة لفظاً مثناة معنًى، فعاد إليها باعتبار اللفظ، وهو الكثير. ويجوز أن يثنى الضمير العائد إليها باعتبار المعنى.

صاحب الشاهد

وهذا البيت من أبيات أربعة رواها الرُّواة لتأبط شرًّا، منهم الأصمعى، وأبو حنيفة الدِّينَوَرىّ فى كتاب النبات، وابن قتيبة فى أبيات المعانى[1]. وخالفهم أبو سعيد السكّرى، وزعم أنها لامرئ القيس، ورواها فى معلقته المشهورة بعد قوله :

(كأنّ الثريّا علِّقت فى مَصامِها[2] بأمراسِ كتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ)

والأبيات هذه :

(وقِربةِ أقوامٍ جعلتُ عصامَها على كاهلٍ منّى ذَلولٍ مرحَّلِ

---

(١) المعانى الكبير لابن قتيبة ٢٠٩ .

(٢) ط : « مصامه » تحريف .

وَوادٍ كجَوْفِ العَيرِ قفرٍ قطعتُه ... به الذئبُ يعوى كالخليع المعيَّلِ
فقلتُ له لما عوى : إنّ شأننا ... قليل الغنى إن كنت لمَّا تَموَّلِ
كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته ... ومَنْ يحترث حرثى وحرثك يُهْزَلِ)

وهذا الشعر أشبه بكلام اللص والصُّعلوك ، لا بكلام الملوك .

الواو واو رُبَّ . والعصام : الحبل الذى تحمل به القربة ويضعه الرجل على عاتقه وعلى صدره . والكاهل : موصل العنق والظهر . والذَّلول : فعول من ذلَّت الدابة ذِلاًّ بالكسر : سهلت وانقادت ، فهى ذلول . والمرحَّل : اسم مفعول من رحَّلته ترحيلا ، إذا أظعنته من مكانه وأرسلته . يصف نفسه بأنه يخدم أصحابه .

قوله : (و وادٍ كجوف العير . . الخ) الواو حرف عطف ، عطفت على مجرور واو رب ، وجوف العير فيه قولان :

أحدهما : أنه مَثلٌ لما لا ينتفع منه بشىء . قال أبو نصر : والعَير عند الأصمعى الحمار ، يُذهَب به إلى أنه ليس فى جوف الحمار شىء يؤكل وينتفع به إذا صيد ، فجوف الحمار عندهم بمنزلة الوادى القفر . وفى كتاب العشرات للتميمى[1] : فى المثل : تركه جوفَ حمار ، أى ليس فيه ما ينتفع به .

الثانى : أن العَير رجل من العمالقة ، وقيل مِن عاد ، كان له بنون ووادٍ خصيب وكان حسنَ الطريقة ، فخرج بنوه يتصيدون فأصابتهم صاعقة فأحرقتهم فكفر بالله وقال : لا أعبدُ ربًّا أحرق بَنِىّ ! وأخذ فى عبادة الأصنام ، ودعا قومه إليها فمن أبى قتله ، فسلط الله على واديه ناراً ، فأهلكه وأخرب واديه . والوادى ، بلغة اليمن : الجَوف .

(١) ذكر فى كشف الظنون كتاب العشرات لابن خالويه ، ولم يذكر كتاب التميمى .

قال حمزة الأصبهانى فى أمثاله : قال أبو نصر : قال الأصمعى : حدثنى ابن الكلبى عن فَروة بن سعيد عن عفيف الكندى : أنَّ هذا الذى ذكرته العرب كان رجلاً من بقايا عاد ، يقال له : حِمار بن مُوَيْلع ، فعدلت العرب عن ذكر الحمار إلى ذكر العَير لأنه فى الشعر أخف وأسهل مخرجاً . اهـ .

وقد ضربت العرب المثل به فى الخراب والخلاء فقالوا : « أخرب من جوف حمار » . و « أخلى من جوف حمار » . قال الشاعر :

٦٦ وبشؤم البغى والغَشم قديماً ما خلا جوفٌ ولم يبق حمار [1]

وقالوا أيضاً : أكفر من حمار . وقال بعضهم : أراد بجوف العير وسط السيف . والعير : وسط السيف .

والخليع ، قال ابن قتيبة فى أبيات المعانى : هو الذى قد خلعه أهله لجناياته. والمعيَّل : الذى تُرك يذهب ويجىء حيث شاء . وقال الخطيب التبريزى : « الخليع:المقامر ، ويقال : هو الذى خلع عذاره فلا يبالى ما ارتكب.والمعيَّل : الكثير العيال ، وأراد يعوى عواء مثل عواء الخليع [2] » . وقوله : « إن كنتَ لما تموّل » لما نافية ، وتموّل : مضارع محذوف منه التاء ، الماضى تموّل [3] إذا صار ذا مال . ومثله مال الرجل يمول ويَمال مَولا ومُؤولا . يقول : إن كنت لم تصب من الغنى ما يكفيك فإن شأننا قليل الغنى : أى أنا لا أغنى عنك وأنت لا تغنى عنى شيئاً ، أى أنا أطلب وأنت تطلب فكلانا لا غنى له . ومن رواه «طويل الغِنى» أراد : همَّتى تطول فى طلب الغنى . وروى ابن قتيبة :

وقلت له لما عوى إن ثابتاً [4] *قليلُ . . . . الخ

---

(١) معجم البلدان فى رسم (جوف) .

(٢) النقل من التبريزى بتصرف ، والنص فيه : « والكاف منصوبة بيعوى » .

(٣) ط : « ماضى تمول » ، صوابه فى س .

(٤) فى النسختين : « إن شأننا » صوابه فى المعانى الكبير حيث عقب على النص ابن قتيبة بقوله : « وثابت : اسم تأبط شرا » .

وقوله : (كلانا إذا ما نال) إلخ ، نال ينال نيلا : أصابه . وأفاته : فوّته ولم يدّخره . ورواه ابن قتيبة :

* كلانا مُضِيعٌ لا خِزانة عنده *

والمضيع ، مِن أضاع المال بمعنى أهلكه .

وروى الدينَوَرىّ :

* كِلانا مقلٌّ لا خِزانةَ عنده *

وقال : يقال للعمل فى الحرث — لزرعٍ كان أو لغرس — الحراثة والفِلاحة والإكارة ، ثم قيل للعمل فى كلّ شىء حرث ، فقيل : فلان يحرث لآخرته . يقول : من يكسب كسبى وكسبك لا يستغنى ، لأنه يعيش من الخلس ولا يقتنى .

وقال الخطيب التبريزى : « أى من طلب منى ومنك شيئاً لم يدرك مراده . وقال قوم : معناه مَن كانت صناعته وطلبته مثل طلبتى وطلبك فى هذا الموضع مات هزالا ، لأنهما كانا بواد لا نبات فيه ولا صيد » .

ترجمة تابط شراً

و (تأبط شرًّا) اسمه ثابت ، وكنيته أبو زهير بن جابر بن سفيان[1] ابن عَميثل بن عدىّ بن كعب بن حرب بن تَيم بن سعد بن فَهم بن عمرو ابن قيس عيلان . وأمه أميمة من قين : بطن من فهم .

وفى تلقيبه بتأبط شراً أربعة أقوال :

أحدها : وهو المشهور ، أنه تأبط سيفاً وخرج فقيل لأمه : أين هو ؟ فقالت : لا أدرى ، تأبط شرا وخرج .

(١) انظر نسبه فى جمهرة ابن حزم ٢٣٢ والأغانى ١٨ : ٢٠٩ والشعر والشعراء ٢٧١ والاشتقاق ١٦٢ — ١٦٣ .

الثانى : أن أمه قالت له فى زمن الكمأة : ألا تَرى غلمانَ الحى يجتنون لأهلهم الكمأة فيروحون بها ! فقال لها : أعطينى جرابك حتى أجتنى لك فيه . فأعطته فملأه لها أفاعى من أكبر ما قدَر عليه ، وأتى به متأبطاً له ، فألقاه بين يديها ، ففتحته فسَعين بين يديها فى بيتها ، فوثبتْ وخرجت منه ، فقال لها نساء الحى : ما ذا كان الذى تأبطه ثابتٌ اليوم ؟ قالت : تأبط شراً .

الثالث : أنه رأى كبشاً فى الصحراء فاحتمله تحت إبطه ، فجعل يبول طول الطريق عليه ، فلما قرب من الحى ثقُل عليه حتى لم يُقلّه ، فرمى به فإذا هو الغول ! فقال له قومه : بم تأبطت يا ثابت ؟ فأخبرهم ، فقالوا : لقد تأبط شراً .

الرابع : أنه أتى بالغول فألقاه بين يديها ، فسئلت أمه عما كان متأبطاً ، فقالت ذلك ، فلزمه .

وكان أحدَ لصوص العرب يغزو على رجليه وحده ، وكان إذا جاع نظر إلى الظباء فينتقى على نظره أسمنَها ، ثم يجرى خلفه فلا يفوته حتى يأخذه .

وترجمته مذكورة فى الأغانى بحكايات كثيرة يتعجب منها العقل لغرابتها .

وقيس عَيلان تركيب إضافى لأن عيلان اسم فرس قيس لا أبيه كما ظنه بعض الناس ، كذا فى القاموس وغيره . وهو بفتح العين المهملة ، وليس عيلان فى لغة العرب غيره وما عداه غيلان بالمعجمة . وقيس : أبو قبيلة من مضر ، واسمه الناس بن مضر بن نزار ، وقيس لقبه . يقال : تقيّس فلان ، إذا تشبّه بهم أو تمسّك منهم بسبب ، إمّا بِحلْف أو جوار أو وَلاء . قال رؤبة : ٦٧

* وقيسَ عَيلان ومن تقيّسا *

ثم رأيت فى شرح أدب الكاتب للجواليقى قال ، عند بيت رؤبة هذا : قيس عيلان بن مضر ، ويقال قيس بن عيلان ، واسمه الناس بالنون ، وأخوه

الياس[1] بالياء وفيه المدد . وكان الناسُ متلافا ، وكان إذا نفد ما عنده أتى أخاه الياس فيناصفه ماله أحيانا ويواسيه أحيانا ، فلما طال ذلك عليه وأتاه كما كان يأتيه قال له الياس : غلبتْ عليك العَيلة فأنت عَيلان ، فسُمّى لذلك « عيلان » وجُهل « الناس » . ومن قال قيس بن عيلان فإنّ عيلان كان عبداً لمضر حضن ابنه الناس فغلب على نسبه اهـ .

ومثله فى الأنساب للكلبي ، قال : كان عيلان عبداً لمضر فحضن ابنه الناس .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر ، وهو من شواهد س[2] :

١٦ (فلا أعنِى بذلك أسفَليكم ولكنّى أريدُ به الذَّوِينا) .

على أنّ (الذوين) داخلٌ فى حدّ الجمع المذكور على أىّ وجه كان ، لأن واحده ذو .

وأنشده[3] أيضاً فى آخر باب الإضافة على أن قطع (ذو) وإدخال اللام عليه شاذ ، وذلك لإجرائه مجرى صاحب .

وأنشده أيضاً فى باب جمع المذكر السالم على أنه لو اعتبر اللام أى لام الفعل لقال الذَّوَين كالأعلين ، فإن ذو مفتوح العين عند س .

قال أبو على الفارسى فى الإيضاح الشعرى : « كسر العين من الذوِين

---

(١) الأصح أن همزته همزة وصل . وقد يقال « إلياس » بقطع الهمزة . انظر الروض الأنف للسهيلى ١ : ٧ . ومن شواهد الوصل قوله :

إنى لدى الحرب رخى اللبب أمهتى خندف والياس أبى

(٢) كتاب سيبويه ٢ : ٤٣ .

(٣) فى النسختين : « وأنشد » .

وكان حقها أن تفتح ، لأن ذوين جمع ذَوًى ، وقد ثبت بـ « ذواتا أفنان[١] » أن العين مفتوحة » اهـ .

قال فى الصحاح : « ولو سمَّيتَ رجلا ذو لقلت هذا ذَوًى قد أقبل ، فترد ما ذهب منه ، لأنه لا يكون اسم على حرفين أحدهما حرف لين ، لأن التنوين يذهبه فيبقى على حرف واحد » .

وأنشده س أيضاً فى باب تغيير الأسماء المبهَمة[٢] إذا صارت أعلاماً خاصة فإنه جمع ذو جمعا سالماً وأفرده من الإضافة وأدخل عليه اللام وجعله اسما على حياله .

قال فى الصحاح : « ولو جمعت ذو مال لقلت هؤلاء ذوون ، لأن الإضافة قد زالت . وأنشد بيت الكميت وقال : أراد أذواء اليمن[٣] .

وكذلك قال أبو البقاء فى شرح الإيضاح النحوى للفارسى : إنما جاز هذا لأنه أراد ملوك اليمن فقد أخرجه إلى باب المفرد ، ولذلك قالوا : الأذواء فى هؤلاء.

لكن قال أبو بكر الزبيدى فى كتاب لحن العامة : « لا يجوز أن تدخل اللام على (ذو) ولا على (ذات) فى حال إفراد ولا تثنية ولا جمع ، ولا تضاف إلى المضمرات ، وإنما تقع مضافة إلى الظاهر . وقد غلط فى ذلك أهل الكلام وأكثر النحويين من الشعراء والكتاب والفقهاء . فأما قولهم فى ذى رُعين ، وذى أصبَح ، وذى كلاع : الأذواء ، وقوله :

---

(١) الآية ٤٨ من سورة الرحمن .

(٢) ط : « المشبهة » ، صوابه فى سـ . وانظر سيبويه ٢ : ٤٢ .

(٣) نص الصحاح : « يعنى به الأذواء ، وهم ملوك اليمن من قضاعة المسمون بذى يزن ، وذى جدن ، وذى نواس ، وذى فائش ، وذى أصبح ، وذى الكلاع ، وهم التبابعة » .

* ولكني أريد به الذوينا *

فليس من كلامهم المعروف، ألا ترى أنك لا تقول هؤلاء أذواء الدار ولا مررت بأذواء المال. وإنما أحدث ذلك بعض أهل النظر، كأنه ذهب إلى جمعه على الأصل، لأن أصل ذو (ذَوَى) فجمعه على أذواء، مثل قفا وأقفاء. وكذلك الذوون، كأنه جمعه مفردا وأخرجه مُخرج الأذواء في الانفراد، وذلك غير مقول، لأن ذو لا تكون إلّا مضافة، وكما لا يجوز أن تقول هذا (الذو) و (الذوان) فتفرد، فكذلك لا تقول الأذواء ولا الذوون، لأن ذو لا تكون إلا مضافة وكذلك جمعها» اهـ.

٦٨

والصحيح عند س ومن تبعه جواز جمع (ذو) في نحو ذي رعين: مما هو جزء علم على الأذواء والذوين كما في شعر الكميت، وهو عربيٌّ فصيح. ومراد الزبيدي بتغليط من ذكر: أنهم يقولون الذات وذاته، فيدخلون اللام عليه ويضيفونه إلى الضمير وهو مؤنث ذو، وهذا جائز أيضاً وإنْ توقّف فيه أكثر الناس، فإن الذات قد أجرى مُجرى الأسماء الجامدة، فإن المراد به حقيقة الشيء ونفسه، من غير ملاحظة موصوف يجرى عليه.

قال الزركشيّ في تذكرته: «سئل الزمخشريّ عن إطلاق الذات على الله عز وجل، فأجاب بأنّها تأنيث ذو بمعنى صاحب، وهي موضوعة ليوصف بها ما تلبَّس[1] بما يلزمها الإضافة إليه من الأجناس في نحو قولهم: رجل ذو مال وامرأة ذات جمال، ثم قطعت عن مقتضاها وأجريت مُجرى الأسماء الجوامد، فلا تلزم الإضافة ولا الإجراء على موصوف، وعُني بها نفس الباري وحقيقته، وأصلها في التقدير نفسٌ ذات علم وغيره من الصفات، ثم استغنى بالصفة عن الموصوف، ومثله كثير. وحُذف المضاف إليه لإرادة التعميم كما تحذف المفاعيل. فإن قلت: كيف جاز إطلاقه على الله مع ما فيه من التأنيث،

(١) تلبس بالشيء: تعلق به، كما في اللسان (لبس).

وهم يمنعون إطلاق (العلاّمة) عليه مع أن تاءه للمبالغة لما فيه من الإيهام ؟ قلتُ: ساغ من حيث ساغ النَّفْس والحقيقة ، ووجهه أن امتناع علامة لأنه صفة حُذى بها حذو الفعل فى التفصلة بين المذكر والمؤنث ، بخلاف الأسماء التى لا تَجرى على مَجرى الأفعال فى الفرق ، فلما انسلكت الذات فى مسلك الأسماء جرت مجرى النفس والحقيقة . فإن صحَّ ما حكى عن العرب من قولهم :جعل الله مابيننا فى ذاته . وعليه بنى حَبيبٌ[1] قوله :

* ويَضرِبُ فى ذات الإله فيوجِع[2] *

فالكلمة إذن عربية ، وعلى ذلك استعمال المتكلمين » اه .

واعلم أن استشهادهم بشعر حَبيبٍ وبما وقع فى الحديث من قوله : « ثلاث كذبات فى ذات الله » لتصحيح هذه اللفظة ، فيه أن بعض المحققين قال : ليس معناه ما ذكروه ، وإنما معنى (ذات) فيه أمور تستند إلى الله مما أراده وأوجبه على عباده ، من طاعته وعبادته والإيمان به ، ونحو ذلك ، وهو المتبادر منه بشهادة السياق والتأمل الصادق .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة الكميت بن زيد ، هجا بها أهل اليمن تعصبا لمضر . وسيأتى فى الشاهد الرابع والعشرين سبب عصبيته لمضر ونظمه لهذه القصيدة .

يقول : لا أعنى بهجوى إياكم أراذلكم وإنما أعنى عِلْيتكم وملوككم .

وروى :

---

(١) فى النسختين : « خبيب » مع ضبطه فى ش بهيئة التصغير ، وإنما هو حبيب ابن أوس الطائى .

(٢) من قصيدة لأبى تمام فى ديوانه ١٩١ وصدره :

* يقول فيسمع ويمضى فيسرع *

والقول مقتبس من كلام عائشة رضى الله عنها إذ تقول فى صفة أمير المؤمنين عمر : « وإذا ضرب فى ذات الإله أوجع » . انظر بلاغات النساء لابن طيفور ص ١٢ .

لم أقصد بذلك أسفليكم ولكنى عَنَيتُ به الذّوينا[1]

يقال : عنيته عَنيا من باب رمى : قصدته . فمفعوله (أسفليكم) وهو جمع مذكر سالم . واعتنيت بأمرى : اهتممت واحتفلت . وعَنيت به أعنى ، من باب رمى أيضاً عناية كذلك . وأما المبنيّ لمفعول نحو عُنيت بأمر فلانٍ عناية وعُنِيًّا فهو بمعنى شُغلتُ به . ولتُعن بحاجتى ، أى لتكن حاجتى شاغلةً لسرِّك . وربما قيل عَنيت بأمره بالبناء للفاعل . كذا فى المصباح . والأسفلون : جمع أسفل ، وهو خلاف الأعلى . يقال : سفَل سُفولا من باب قعد ، وسفُل من قرب لغة : صار أسفل من غيره . وسفَل فى خلقه وعمله سُفْلا من باب قتل وسَفالا والاسم السُّفل بالضم . ومنه قيل للأراذل سَفِلة بفتح السين وكسر الفاء ، ويجوز التخفيف بنقل الكسرة إلى ما قبلها . وأراد بالذوين الأذواء ، وهم ملوك اليمن المسمَّون بذى يزن ، وذى جدن ، وذى نواس ، وهم التبابعة . ٦٩

وقال ابن الشجرى فى أماليه[2] ، وأذواء اليمن منهم ملوك ومنهم أقيال ، والقيل دون الملك . ثم سرد من سُمى بذى كذا من ملوك اليمن ، وبالغ فى جمعها وشرحها ، فمن أرادها فلينظر ثمة .

من اسمه الكميت

ومن يقال له الكميت من الشعراء كما فى المؤتلف والمختلف للآمدى ثلاثة من بنى أسد بن خزيمة .

أولهم : الكميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل بن نضلة[3] . ابن الأشتر ابن جحوان — بتقديم المعجمة — ابن فقعس .

والثانى : الكميت بن معروف بن الكميت الأكبر .

---

(١) كذا بالخزم .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٧٠ — ١٧٤ .

(٣) فى النسختين : « فضلة » صوابه بالنون ، كما فى المؤتلف ١٧٠ .

الثالث : هو صاحب الشاهد ، وهو الكميت بن زيد بن الأخنَس ابن مُجالد بن ربيعة بن قيس بن الحارث بن عامر بن دويبة[١] بن عمرو ابن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد . وهو كوفى شاعر مقدم عالم بلغات العرب،خبير بأيامها ، ومن شعراء مضر وألسنتها المتعصبين على القحطانية المقارعين العالمين بالمثالب[٢] ، يقال :ما جمع أحد من علم العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ما جمع الكميت ، فمن صحَّح الكميتُ نسبَه صحَّ ، ومن طعنَ فيه وهَن .

وسئل مُعاذُ الهراء عن أشعر الناس فقال : من الجاهليين امرؤ القيس وزهير وعَبيد بن الأبرص ، ومن الإسلاميين الفرزدق وجرير والأخطل. فقيل له : يا أبا محمد، ما رأيناك ذكرت الكميت ! قال : ذاك أشعرُ الأوَّلين والآخرين .

وقال أبو عِكرمة الضبِّيّ : لولا شعر الكميت لم يكن للغة تُرْجُمان ، ولا للبيان لسان . يقال : إنّ شعره بلغ أكثر من خمسة آلاف بيت .

وقال أبو عبيدة : لو لم يكن لبنى أسد منقَبة غير الكميت لكفاهم ، حبَّبهم إلى الناس وأبقى لهم ذكراً .

وقال بعضهم : فى الكميت خصال لم تكن فى شاعر . كان خطيب بنى أسد ، وفقيهَ الشِّيعة ، وحافظ القرآن ، وكان ثَبْت الجَنان ، وكان كاتباً حسن الخطّ ، وكان نسابة ، وكان جَدليـًّا .

وهو أول من ناظر فى التشيُّع مجاهراً بذلك ، وله فى أهل البيت القصائد المشهورة ، وهى أجود شعره .

وكان فى صغره ذكيًّا لوذعيًّا . يقال إنه وقف وهو صبى على الفرزدق

(١) فى الأغانى ١٥ : ١٠٨ والمؤتلف : « ذؤيبة » .

(٢) فى الأغانى ١٥ : ١٠٩ : « المقارعين لشعرائهم ، العلماء بالمثالب والأيام ، المفاخرين بها » .

وهو ينشد ، فأعجبه سماعه ، فلما فرغ قال : ياغلام كيف ترى ما تسمع ؟ قال : حسنٌ ياعمّ . قال : أيسرك أنى أبوك ؟ قال : أما أبى فلا أبغى به بدلا ، ولكن يسرنى أنك أمى ! فحَصِر الفرزدق وقال : ما مرّ بنا مثلها .

وحكى صاعد ، مولى الكميت ، قال : دخلتُ مع الكميت على علىّ ابن الحسين رضى الله عنه فقال : إنى قد مدحتك بما أرجو أن يكون لى وسيلةً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم أنشده قصيدته التى أولها :

من لقلبٍ متيَّمٍ مستهامٍ غيرِ ما صبوةٍ ولا أحلامِ

فلما أتى على آخرها قال له : ثوابك نعجزُ عنه ، ولكن ماعجزنا عنه فإن الله لا يعجِز عن مكافأتك : اللهم اغفر للكميت ، اللهم اغفر للكميت . ثم قسّط له على نفسه وعلى أهله أربعمائة ألف درهم وقال له : خذ ياأبا المستهلّ . فقال له : لو وصلتنى بدانق[1] لكان شرفاً لى ولكن إنْ أحببت أن تحسن إلىّ فادفع إلىَّ بعض ثيابك التى تلى جسدَك أتبرّكْ بها . فقام فنزع ثيابه ودفعها إليه كلَّها ، ثم قال : اللهم إنَّ الكميت جادَ فى آل رسولك وذرية نبيك بنفسه حين ضنّ الناس ، وأظهر ما كتمه غيره من الحقّ ؛ فأحيِهِ سعيداً ، وأمِتْه شهيداً ، وأرِهِ الجزاءَ عاجلا ، وأجزل له جزيل المثوبة آجلا ؛ فإنّا قد عجزنا عن مكافأته . قال الكميت : مازلت أعرف بركة دعائه .

٧٠

وحدَّث محمد بن سهل قال : دخلت مع الكميت على جعفرٍ الصادق فى أيام التشريق فقال : جعِلْتُ فداءك ، ألا أنشدك ؟ قال : إنها أيامٌ عظام . قال : إنها فيكم . قال : هات . فأنشده قصيدته التى أولها :

ألا هل عَمٍ فى رأيه متأملُ وهل مدبرٌ بعد الإساءة مقبلُ

(١) الدانق ، بفتح النون وكسرها : سدس الدرهم ، معرب « دانه » .

وهل أمة مستيقظون لدينهم فيكشف عنه النعسة المتزمّل(١)
فقدطال هذاالنومُ واستخرج الكرى مساويَهم لو أنَّ ذا الميل يُعْدَلُ
وعُطّلت الأحكام حتّى كأننا على ملة غير التى نتنحّل
كلامُ النبيين الهُداةِ كلامُنا وأفعالَ أهل الجاهلية نفعل
رضينا بدُنيا لا نريد فراقَها على أنّنا فيها نموت ونُقتلُ
ونحن بها مستمسكون كأنها لنا جُنةٌ مما نخافُ ومعقِل

فكثر البكاء ، وارتفعت الأصوات ؛ فلما مر على قوله فى الحسين رضى الله عنه :

كأنّ حُسيناً والبهاليلَ حولَه لأسيافهم ما يختلى المتبقِّل(٢)
وغاب نبيّ الله عنهم ، وفقدُه على الناس رُزء ما هناك مجلّل
فلم أر مخذولاً أجلَّ مصيبة وأوجبَ منه نُصرة حين يُخذَل(٣)

فرفع جعفرٌ الصادق رضى الله عنه يديه وقال : اللهم اغفر للكميت ماقدم وما أخر ، وما أسرّ وما أعلن ، وأعطه حتى يرضَى . ثم أعطاه ألف دينار وكسوة . فقال له الكميت : والله ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردتُها لأتيت من هى فى يديه ، ولكننى أحببتكم للآخرة . فأما الثياب التى أصابت أجسادكم فإنى أقبلها لبركتها ، وأما المال فلا أقبله .

وكانت ولادة الكميت سنة ستين ، وهى أيام مقتل الحسين رضى الله عنه ، وكانت وفاته سنة ست وعشرين ومائة فى خلافة مروان بن محمد .

وكان السبب فى موته أنه مدح يوسف بن عمر ، بعد عزل خالدٍ القسريّ

(١) ط : « المترنل » ، صوابه فى س .
(٢) ط : « المتبتل » ، صوابه فى س .
(٣) ط : « لأجل مصيبة » ، صوابه فى س .

عن العراق ، فلما دخل عليه أنشده مديحه معرِّضاً بخالد ، وكان الجند على رأس يوسف متعصبين لخالد ، فوضعوا سيوفهم فى بطنه وقالوا : أتنشد الأمير ولم تستأمره[1] ؟ ! فلم يزل ينزف الدم منه حتى مات رحمه الله تعالى .

والكميت مشتق من الكُمْتة . يقال للذكر والأنثى ، ولا يستعمل إلا مصغَّرا ، وهو تصغير أكمت على غير قياس ؛ والاسم الكمتة ، وهو من الخيل بين الأسود والأحمر . قال أبو عبيد : ويفْرق بين الكميت والأشقر بالعرف والذنب ؛ فإن كانا أحمرين فهو أشقر ، وإن كانا أسودين فهو الكميت . ووجَّه تصغيرَه س بما يستحسن فقال لأنه لم يخلص له لون بعينه فينفرد به مكبرا . والله أعلم . ٧١

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر :

١٧ (وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقانِ مِرداسَ فى مَجمعِ)

على أنَّ الكوفيين وبعض البصريين جوَّزوا للضرورة ترك صرف المنصرف بشرط العلمية . وأنشده أيضاً هنا فى آخر الكلام على منتهى الجموع على أنَّ الكوفيين يمنعون الصَّرف بالعلمية وحدها ، لأنها سبب قوىٌّ فى باب منع الصرف . أراد ببعض البصريين أبا الحسن الأخفش وأبا على الفارسى وابن بَرْهان[2] .

واشتراط العلمية لمنع الصرف إنَّما هو مذهب السُّهيلى لا غير ، وأما الكوفيون فهم يجيزون ترك الصرف للضرورة مطلقاً ، فى الأعلام وغيرها ، ومن جملة شواهدهم قول الشاعر :

---

(١) استامره : استشاره .

(٢) هو أبو القاسم عبد الواحد بن على بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم بن برهان الأسدى العكبرى . وبرهان ، بفتح الباء كما فى البغية ٣١٧ والقاموس (برهن) . توفى سنة ٤٥٦ .

فأوفضَ منها وهى ترغو حُشاشة   بذى نفسها والسَّيفُ عريانُ أحمرُ

قالوا : ترك صرف عريان وهو منصرف لأنَّ مؤنثه عُريانة لاعرياء، وسيأتى مثله للشارح فى هذا الباب . وقول الفرزدق ـ وقيل هو لابن أحمر ـ :

إذا قال عَاوٍ من تنوخ قصيدة   بها جَربٌ عُدَّت على بزوبرا[1]

قالوا : ترك صرف زوبر وهو منصرف ، ومعناه نسبتْ إلىَّ بكمالها ، من قولهم أخذ الشىء بزوبره ، إذا أخذه كلَّه . وقيل بزوبَرا ، أى كذبا وزوراً ، وإن كان زوبر عند البصريين معرفة .

قال ابن جنى فى المبهج[2] ، وهو تفسير أسامى شعراء الحماسة : سألت أبا على عن ترك صرف زوبر ، فقال : جعلها علماً لما تضمنته القصيدة من المعنى.

وقال الزمخشرى فى المفصل : هو علم للكلّيّة كسبحان علم للتسبيح .

وكذا ذكره الشَّارح فى باب العلم . نعم أكثر شواهدهم جاءت فى الأعلام، وكأنَّهم راعَوا بحسب الأغلب العلمية فى منع الصرف وحدها للضرورة . كما أهملوها أيضا للضرورة . فالمسألة ثلاثية : الجواز مطلقاً ، وهو مذهب الكوفيين ، والمنع مطلقاً وهو مذهب البصريين ، والجواز مع العلمية وهو مذهب السهيلى . وقد حكى هذه المذاهبَ الثلاثة الشاطبىُّ فى شرح الألفية .

وقال المبرد : الرواية :

* يفوقان شيخىَ فى مجمع *

قال ابن مالك فى شرح التسهيل : وللمبرِّد إقدامٌ فى ردِّ مالم يَرو ، مع أن البيت بذكر مرداسٍ ثابت بنقل العدل عن العدل فى صحيح البخارى ومسلم ؛ وذكر

(١) ط : « غاو » ، وأثبت ما فى ش واللسان (زبر) .
(٢) المبهج ص ١٢ .

(شيخى) لايعرف له سندٌ صحيح ولا سبب يدنيه من التسوية ، فكيف من الترجيح ؟! وقال ابن جنى فى سر الصناعة ، بعد أن عارض الرواية المشهورة برواية المبرد : على أنَّ المبرد قد حكى عنهم « سلامُ عليكم » غير منون ، والقول فيه أنَّ اللفظة كثرت فى كلامهم فحذف تنوينها تخفيفاً ، كما قالوا لم يك ولا تُبَلْ ولا أدرِ . انتهى .

يريد : إن سلَّمنا رواية الكوفيين فهو من باب حذف التنوين لا من باب منع الصرف . وهذا ظاهر فى المنصوب . وليت شعرى مايقول فى المجرور إذا جر بالفتحة ، كقول الشاعر : ٧٢

قالت أميمةُ ما لثابتَ شاخصا   عارى الأشاجع ناحلاً بالمفصلِ

فثابتَ علم جر بالفتحة ، وقول الآخر :

وإلى ابن أمِّ أناسَ تعمد ناقتى   عمرٍو لتنجح ناقتى أو تتلفُ

فجر أناس بالفتحة ، وأم أناس بنت ذهل بن شيبان[1] وعمرو هو عمرو بن حُجر الكندى . وقوله :

وقائلة ما بال دَوسرَ بعدنا   صحا قلبُه عن آل ليلى وعن هندِ

ونحو هذا من أبيات أخر .

واستدل الكوفيون على جواز ترك الصرف ضرورة بالسماع والقياس: أما السماع ، فكثرة الشواهد وهى تزيد على عشرين بيتاً ذكرها ابن الأنبارى فى كتاب الإنصاف ، وأثبتها (البصريون) بروايات ليس فيها ترك الصرف، فقالوا فى قوله :

---

(١) ط : « ذهل من بنى شيبان » صوابه من سه مع اثر تصحيح . ونسب ذهل ابن شيبان بن ثعلبة بن عكابة نسب مشهور .

* وقائلة مابال دوسر بعدنا *

الرواية : * وقائلة ما للقُريعىّ بعدنا *

وقالوا فى قوله :

ومصعبُ حين جدَّ الأمـ ـرُ أكثرُها وأطيبـها

الرواية : « وأنتم حين جد الأمر » . وهكذا رووا فى سائر الأبيات .

فقال الكوفيون : الرواية الصحيحة المشهورة ما رويناه ، ولو سلّمنا صحة روايتكم فما جوابكم عما رويناه مع صحته وشهرته . وأما القياس فإنه لما جاز صرف مالا ينصرف اتفاقا وهو خلاف القياس جاز العكس أيضاً ، إذ لافرق بينهما ، وأيضا فإنه إذا جاز حذف الواو المتحركة ضرورة من قوله :

فبيناهُ يشرى رحلَه قال قائلٌ لِمَن جمل رِخوُ المِلاط نجيب

وأصله (فبينا هو) ، فجواز حذف التنوين ضرورة من باب أولى ، لأن الواو من « هو » متحركة والتنوين ساكن ، ولا خلاف أنّ حذف الحرف الساكن أسهل من حذف المتحرك .

وأما البصريون فقالوا : لايجوز ترك الصرف ، لأن الأصل فى الأسماء الصرف ، فلو أنّا جوَّزنا ذلك أدى إلى ردّه عن الأصل إلى الفرع ، ولالتبس ماينصرف بما لاينصرف . وعلى هذا يُخرَّج حذف الواو من هو فى نحو قوله : « فبيناه يشرى رحله » فإنّه لايؤدّى إلى لَبس . وإنما جاز فى الضرورة صرف مالا ينصرف لأنه من أصل الاسم ، فإذا اضطرّوا ردّوه إلى أصله وإن لم ينطقوا به فى السعة ، كما لم ينطقوا بنحو ضننوا فى السعَةِ[1] بخلاف منع الصرف لأنّه ليس من أصل المنصرف ألا ينصرف .

---

(١) فى مثل قول قعنب بن أم صاحب (اللسان ضنن) :

مهلا أعادل قد جربت من خلق أنى أجود لأقوام وإن ضننوا

وقد ذهب ابن الأنبارىّ ، فى كتاب الإنصاف[1] مذهب الكوفيين ؛ لكثرة النقل الذى خرج عن هذا الشذوذ والقلة فقال : « ولما صحت الرواية عند الأخفش والفارسى وابن برهان ، من البصريين ، صاروا إلى جواز ترك الصرف ضرورة تبعاً للكوفيين ؛ وهم من أكابر أئمة البصريين والمشار إليهم من المحققين » .

وأجاب عن كلمات البصريين فقال : « أما قولهم : يؤدى ترك الصرف إلى الفرع ؛ قلنا : هذا يبطل بحذف الواو من هو فى قوله « فبيناه يشرى » خصوصاً على أصل البصريين فإن الواو عندهم أصلية ؛ وقولهم : لا التباس بحذفها غير مسلَّم ، فإنك إذا قلت: غزا هو ، بتأكيد الضمير المتصل بالمنفصل، فإذا حذفت الواو حصل اللبس ، وكذلك يحصل اللبس بصرف مالا ينصرف فإنه يوقع لبسا بين المنصرف وغيره ، ومع هذا وقع الإجماع على جوازه . فإن قالوا : الكلام هو الذى يتحصل القانون به دون الشعر ، وصرف مالا ينصرف لايوقع لبساً بين ماينصرف وبين مالا ينصرف لأنه لا يلتبس ذلك فى اختيار الكلام ، قلنا : وهذا هو جوابنا عما ذكرتموه ، فإنه إذا كان الكلام هو الذى يتحصل به القانون فترك صرف مالا ينصرف فى الضرورة لايوجب لبساً بينهما ، إذ لا يلتبس ما ينصرف وما لاينصرف فى اختيار الكلام » .

وأطال الكلام فى الرد على البصريين .

وقد أورد الفارسى فى تذكرته على أصل البصريين سؤالا لم يجب عنه فقال : أفيجوز فى الضرورة أن لا يعرب الفعل المضارع ، لأن الأصل كان فيه

---

(١) الإنصاف ص ٢٩٦ . وقد تصرف البغدادى فى النص كثيراً .

أن لا يعرب كما كان الأصل فى الاسم أن يصرف[1] فإذا لم تعربه رددته إلى الأصل فى الضرورة كما رددت الاسم إلى الصرف فى الضرورة . واستشهد على ذلك بقوله « فاليوم أشرب[2] » ونحو ذلك . قيل : أما الأبيات فليست بدليل قاطع ، لأنه يجوز أن يكون أجريت فى الوصل مجرى الوقف ، وبقى النظر فى هل يجوز أن لا يعرب .

هذا ما قاله ولم يجب عنه . قال الشاطبى : وكأنه إشكال على مذهب البصريين ، لكن الجواب يظهر عنه بأدنى نظر . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من أبيات سبعة للعباس بن مرداس الصحابى رضى الله عنه ابن أبى عامر بن حارثة بن عبد بن عبس[3] بن رفاعة بن الحرث بن بُهثة ابن سُليم . أسلم قبل فتح مكة بيسير ، وأمه الخنساء الصحابية الشاعرة كما يأتى بيانه فى ترجمتها . وكان عباسٌ هذا من المؤلفة قلوبهم . ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ردّ سبايا حنين إلى أهلها أعطى المؤلَّفة قلوبهم ، وكانوا أشرافاً يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن الحارث بن كَلَدة ، والحارث بن هشام ، وسُهيل بن عمرو ، وحُويطب بن عبد العُزّى ، وصفوان بن أمية ـ وكل هؤلاء من أشراف قريش ـ والأقرعَ بن حابس بن عقال[4] بن محمد بن سفيان المجاشعى ، وعُيينة بن حِصن الفَزارى ، ومالك بن عوف النصرى ؛ أعطى كلَّ واحد من هؤلاء مائة بعير ،

(١) فى النسختين : « أن لا يصرف » ، والوجه ما أثبت .

(٢) من قول امرئ القيس فى ديوانه ٢٥٨ :

فاليوم أشرب غير مستحقب إثما من الله ولا واغل

(٣) هذا هو الصواب كما فى جمهرة ابن حزم ٢٦٣ بتحقيقنا ، والإصابة ٤٠٢ ومختلف القبائل ٤٩ . وفى بعض نسخ الجمهرة والأغانى ١٣ : ٦٢ : « عبد قيس » تحريف .

(٤) ط : « عنان » ـ ش : « عفان » ، صوابه من الإصابة ٢٢٩ .

وأعطى دون المائة رجالا من قريش ، وأعطى عباس بن مرداس أباعرَ ، فسَخِطها وقال يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم :

أتجعلُ نهبِى ونهب العُبَيْـ ـد بين عُيينة والأقرعِ[1]

وما كان حصنٌ ولا حابس يفوقان مِرداسَ فى مجمع

وما كنت دون امرئٍ منهما ومَن تضع اليوم لا يُرفعِ

وقد كنتُ فى الحرب ذا تُدرَإ فلم أُعطَ شيئا ولم أُمنع

إلاّ أفائل من حربة[2] عديدَ قوائمهِ الأربع

وكانت نهاباً تلافيتها بِكَرّى على المهر فى الأجرَع

وإيقاظىَ القومَ أن يرقدوا إذا هجعَ الناسُ لم أهجع

٧٤ النهب : الغنيمة . والعُبيد، بالتصغير : اسم فرس العباس ـ وكان يدعى فارس العبيد ـ وتدرأ ، تفعل بضم التاء وفتح العين مهموز ، من الدرء وهو الدفع ؛ قال فى الصحاح : « وقولهم السلطان ذو تدرإ : أى ذو عدة وقوة على دفع أعدائه عن نفسه وهذا اسم موضوع للدفع » . وقوله : « فلم أعط شيئاً » إلخ ، أى لم أعط شيئاً طائلا ، أولم أعط شيئا أستحقه وهو المائة، ولم أمنع من الإعطاء لأنى أعطيت بعضاً ، قيل كان أُعطىَ خمسين . واستشهد به النحاة على حذف الصفة لئلا يلزم التناقض. والأفائل : جمع أفيل بالفاء ، كالفصيل وزنا ومعنى ، وقال الأصمعى : هو ابن سبعة أشهر أو ثمانية . ويجمع على إفال أيضاً بكسر الهمزة . وهذه رواية سفيان ابن عيينة ، وروى ابن عقبة وابن إسحاق « إلاّ أفائل أعطيتُها » كذا فى الاستيعاب لابن عبد البر . فلما أنشد هذه الأبيات بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم قال : اقطعوا عنى لسانه ، فأعطى حتّى رضى . وقال سفيان بن عيينة :

(١) السيرة ٨٨١ واللآلئ ٣٢ ـ ٣٣ والشعراء ٢٥٩ ، ٧٢٤ .

(٢) ش : « جربة » .

أتمّها له مائة . وقال ابن أبى الإصبع ، فى تحرير التحبير : قال لعلى « ياعلىّ اقطع لسانه عنى » . فقبَض عَلَى يده وخرج به فقال : أقاطع أنت لسانى يا أبا الحسن ؟ فقال إنى لمِمضٍ فيك ما أُمرت ؟ ثم مضى به إلى إبل الصدقة فقال : خُذْ ما أحببت . قال : « وقول على رضى الله عنه أحسن مواربة سمعتها فى كلام العرب » . وفيه روايات أخر حكاها السيوطى فى [شرح] شواهد المغنى[1] . والمرداس : الحصاة التى يُرمى بها فى البئر لينظر هل فيها ماء أم لا . وأخطأ شارح اللبّ حيث قال : إن مرداساً هنا هو رأس الخوارج وكنيته أبو بلال[2] ، وحكى رواية الأبيات للصحابى بقِيلَ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر :

١٨ (أرّقنى الليلة برقٌ بالتَّهمْ يالك برقاً من يشُقْه لا يُنَم[3])

قال الشارح : وكذا (تهام) بفتح التاء فى المنسوب إلى التهم بمعنى تهامة . يريد أن الألف فى تهام بالفتح عوض من إحدى ياءَىْ النسب ، كما فى يمان إذ هو منسوب إلى يمن ، وإنّما قيد بفتح التاء لأنك إذا كسرتها قلت تِهامىّ بتشديد الياء لأنه منسوب إلى تِهامة بالكسر ، فالألف من لفظها وليست بدلا .

قال المرزوقى فى شرح فصيح ثعلب : رجل تهامٍ أى من أهل تهامة ، والأصل تهمىّ لأن تهما قد وضع موضع تهامة ، لكنهم حذفوا إحدى ياءى النسبة وأبدلوا منها ألفاً ؟ وأنشد هذا البيت عن أبى على الفارسى .

---

(١) لم أجد هذا النص فيه .

(٢) رأس الخوارج إنما هو مرداس بن حدير بن بلال ، أحد بنى ربيعة بن حنظلة . انظر الكامل ٥٨٤ ـ ٥٩٢ ليبسك .

(٣) فى معجم ما استعجم ٣٢٢ : « لم ينم » .

وقال ابن جنى فى الخصائص : « فإن قلت : فإن فى تهامة ألفا ، فلم ذهبت إلى أنّ هذه الألف فى تهام عوض من إحدى الياءين للإضافة ، قيل : قال الخليل فى هذا : كأنهم نسبوه إلى تَهْم أو تَهَم ، وكأنهم كفّوا صيغة تهامة وأصاروها إلى تهْم أوتهَم ، ثم أضافوا إليه فقالوا : تهام . وإنما مثّلَ الخليل بين فعْل وفعَل ولم يقطع بأحدهما لأنه قدجاء هذا العمل فى هذين المثالين جميعا ، وهو الشّأم واليمن ، وهذا الترخيم الذى أشرف عليه الخليل ظنا قد جاء به السماع نصا ، أنشدنا أبو على قال : أنشد أحمد بن يحيى :

أرقنى الليلة برق بالتهم * البيت

وقال أبو عبيد البكرى ، فى معجم ما استعجم : التَّهم بفتح أوله وثانيه ، قاله ابن الأعرابى . وأنشد :

أرّقنى الليلة برق بالتهم * . . البيت

ثم قال : « تِهامة بكسر أوله : أرض طرفها من قبل الحجاز مدارج العرج ، وأولها من قبل نجد مدارج ذات عرق ، وسميت تهامة لتغير هوائها ، من قولهم : تهم الدهن وتَمِهَ ، إذا تغيّرت رائحته » اه .

وقال ابن حجَر فى شرح البخارى : « وتهامة اسمٌ لكل مانزل من بلاد الحجاز ، سميت بذلك من التَّهم بفتح المثناة والهاء ، وهو شدة الحر وركود الريح وقيل تغير الهواء » . لكن صاحب الصحاح والقاموس قالا : إن التهم مصدر من تِهامة . وبيّنه صاحب القاموس فقال : وتهامة بالكسر مكة شرفها الله تعالى وأرض لا بلد ، ووهم الجوهرى . ثم قال : والتَّهْمة بالفتح : البلدة ، ولغة فى تِهامة ، وبالتحريك : الأرض المتصوِّبة إلى البحر كالتَّهَم ، كأنهما مصدران من تهامة لأنَّ التهائم متصوِّبة إلى البحر ، اه .

و (أرَّقنى) : أسهرنى ، من الأرق بالتحريك وهو السَّهر بالليل ، وفعله من باب فرح ، وتعدينه بالتضعيف . و (يالك برقًا) تعجب من البرق واستعظامٌ له ، وقد شرح الشارح فى باب الاستغاثة نحو هذا التركيب ، وبرقا تمييز ، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب . والشوق إلى الشىء : نزاع النفس إليه ، يقال : شاقنى الشىء أى جعلنى مشتاقًا ، وإنما جعله البرق مشتاقًا لأنَّ حبيبته فى تلك الأرض تذكّر بالبرق وميض ثناياها فلم تأخذه سِنة ، كما قال الشاعر :

جاريةٌ فى رمضان الماضى[1] تقطّع الحديث بالإيماض

وقال المتنبى :

أذا الغصنُ أم ذا الدِّعصُ أم أنت فتنةٌ

وذيًّا الذى قبّلته البرقُ أم ثغر

وأستحسنُ قول ابن نباتة المصرى :

تذكرتُ لمّا أن رأيتُ جبينها هلالَ الدجى ، والشىء بالشىء يذكر

وفاعل يشقْه ضمير البرق ، والهاء مفعول وهو ضمير من الشرطية . (ولا يلم) بالبناء لمفعول ، من اللوم وهو العذل جواب من ، ووجود لا النافية لا يمنع الجزم فإن المضارع المنفى بلا إذا وقع جزاء يجوز جزمه كقوله تعالى : « إن تدْعُوهُمْ لا يسْمَعُوا دُعاءكم » . ويجوز رفعه ، لكن يجب اقترانه حينئذ بالفاء نحو قوله تعالى : « فمنْ يُؤْمنْ بربّه فلا يخافُ بَخْساً » .

وأورد ابن الأعرابى فى نوادره بعد هذين البيتين ثلاثة أبيات أخر ولم يعزُ الشعر لأحد ، وهى :

---

(١) فى الإنصاف ٩٦ :

* جارية فى درعها الفضفاض *

(مازال يسرى مُنجداً حتَّى عتمْ كأن فى ريّقه إذا ابتسمْ)

(بلقاء تنفى الخيل عن طفل مُتَمّ)

ومنجد : من أنجد إذا ذهب إلى النَّجد ، والنجد : كل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد . وعتم : دخل فى العَتمة ، والمشهور أعتم بالألف ، والعتمة بالتحريك : الثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الشفق . والرَّيِّق بالتشديد ، وريِّق كل شيء : أوَّله . والبلقاء : الفرس التى فيها البَلَق ، وهو بياض وسواد . وتنفى : تطرد . والخيل : مفعوله . وعن : متعلق بتنفى . والمُتَمّ بفتح التاء : الولد الذى يولد لتمام مدته . وهذا البيت مثل بيت أوس بن حجر فى وصف البرق وهو :

كأن ريِّقه لما علا شَطِبا أقرابُ أبلَق ينفى الخيلَ رماحِ

قال شارحه ابن السكيت : ريّقه : مسترقّه ليس بمعظمه . والأقراب : جمع القُرْب وهو الكَشح . يقول : ينكشف البرق كما يرمح الأباق فيبدو بياضه . اه

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر ، وهو من شواهد س(١) :

١٩ (يحدو ثمانىَ مولعاً بلقَاحها)

على أن (ثمانى) لم يصرف فى الشعر شذوذاً ، لما توهم الشاعر أنَّ فيه معنى الجمع ولفظه يشبه لفظ الجمع ، وكان القياس أن يقول : ثمانياً .

قال ابن السيد : فى ثمانى لغتان : الصرف لأنه اسم عدد وليس بجمع ، ومنع الصرف لأنه جمع من جهة معناه ، لأنه عدد للجمع ، بخلاف يمان وشآم ،

---

(١) سيبويه ٢ : ١٧ .

لأنه غير جمع وفيه جمع ، فإن س وغيره قالوا : إنه شاذ ، توهم الشاعر فيه معنى الجمع فلم يصرفه . ولم يقل أحد إنّه لغة .

وفى شرح شواهد الكتاب للنحاس : قال سيبويه : « وقد جعل بعض الشعراء ثمانى بمنزلة حذارى : حدثنى أبو الخطاب ، أنه سمع العرب ينشدون هذا البيت غير منوَّن . وسمعت أبا الحسن يقول : إنّ هذا الأعرابىّ غلط وتوهم أن ثمانى جمع على الواحد وتوهم أنه من الثمن » اه أى توهم أنه الجزء الذى صير السبعة ثمانية فهو ثمنها . وقال الأعلم الشنتمرى : كأنه توهم أن واحده ثمنية كحذرية ثم جمع فقال ثمانى كما يقال حذارى فى جمع حِذرية ، والمعروف صرفها على أنها اسم واحد أى بلفظ المنسوب ، نحو يمان . والحذرية ، بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة وتخفيف المثناة التحتية : قطعة غليظة من الأرض .

وهذا المصراع صدر ، وعجزه :

(حتى همَمنَ بزيغة الإرتاجِ)

وقبل هذا البيت :

(وكأنّ أصل رحالها وحبالها   علِّقن فوق قُوَيرحٍ شحَّاجِ)

صاحب الشاهد

وهذان البيتان من قصيدة لابن ميّادة ، كما قال السيرافى . شبه ناقته بسرعتها بحمار وحش قارح ، يحدو ثمانى أتن : أى يسوقها مولعاً بلقاحها حتى تحمل ، وهى لا تمكنه فتهرب منه ؛ لأن الأنثى من الحيوان غير الإنسان ، لا تمكّن الفحل إذا حملت . والرحال : جمع رحل ، وهو كل شىء يعدّ للرحيل من وعاء للمتاع ، ومركب للبعير ، وحلس ورَسَن . وضمير رحالها للناقة وعلقن بالبناءِ للمفعول ، والنون ضمير الرحال والحبال ، واكتسب المضاف

الجمية من المضاف إليه لأنه يصح سقوطه . والقويرح : مصغر قارح ، وهو من ذى الحافر الذى انتهت أسنانه ، وإنما ينتهى أسنانه فى خمس سنين ، والتصغير للتعظيم. والشحَّاج بفتح الشين المعجمة وتشديد الحاء المهملة ، قال فى الصحاح :هو الحمار الوحشى،وهو بدل من قويرح أو عطف بيان . ويحدو بمعنى يسوق،وفاعله ضمير الشحاج ، والجملة صفة له . وأراد بالثمانى أتُنه ولهذا حذف التاء منه ، أو لأن المعدود محذوف . والمولع من أُولع بالشىء بالبناء للمفعول ، فهو مُولع به بفتح اللام ، أى أغرى به وعلِق به . واللَّقاح كسحاب : ماء الفحل فى رحم الناقة . وفى المصباح : اللّقاح بفتح اللام وبكسرها : اسم من ألقح الذكر الأنثى، ٧٧ أى أحبلها . وحتى غاية لقوله يحدو . وهمَّ بالشىء من باب قتل ، إذا أراده ولم يفعله . والزّيغة ، بفتح الزاى المعجمة وسكون المثناة التحتية وبالغين المعجمة ، مصدر زاغ يزيغ ، أى مال . والإرتاج بالكسر : مصدر أرتجت الناقة إذا أغلقت رحمها على ماء الفحل . . يريد أن هذا الحمار عدا خلف أتنه ليلحقها ويركبها حتى تحبل ، فهربت منه ، فكأنه ساقها سوقاً عنيفاً حتّى همت بإسقاط ما أرتجت عليه أرحامَها من الأجنّة وإزلاقه ، وكأن زمام هذه الناقة مرتبط بهذا الحمار الشديد الحرص على اللقاح بأتُنه ، فهى تعدو بعدْوه ، وهذا غاية فى سرعة الناقة . وروى : « برِبْقه الإرتاج » والربقة بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة وبالقاف أراد به العَقْد ، لأنها إذا أغلقت فم الرحم على ماء الفحل فكأنها عقدته ، ومنه الحديث : « فقد خلع ربقة الإسلام من عُنقه » أى عَقد الإسلام . وأصل الربقة واحد الربق بالكسر ، وهو حبل فيه عدة عُرًى تشدّ به البَهْمُ ، الواحدة من العرى ربقة . ولا بد من تقدير مضاف على هذه الرواية ، أى حتى همن بحل ربقة الإنتاج ، يعنى أرتجت هذه الأتن وانحلّت من شدة الجرى حتى لم تقدر أن تضبط مافى أرحامها .

ولم يقف الأعلم الشنتمرى على البيت الأول . فظن أنّه فى وصف راع فقال : وصف إبلاً أولع راعيها بلقاحها حتى لقحت ، ثم حداها أشدَّ الحداء حتى همّتْ بإسقاط ما فى بطونها من الأجنَّة .

ترجمة ابن ميادة

وابن ميادة هو أبو شَراحيل وقيل أبو شُرَحبيل. واسمه الرَّماح ، كشدَّاد ابن يزيد . وهو من بنى مُرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان، رهط الحارث بن ظالم، كذا فى كتاب الشعراء لابن قتيبة[1]. وميادة أمّه ، وهى أم ولد بربرية ، وقيل صَقْلبية كان هو يزعم أنها فارسية . وفى ذلك يقول :

أنا ابن أبى سلمى وجدّىَ ظالم ... وأمّى حصانٌ حصَّنتها الأعاجمُ
أليس غلام بين كسرى وظالم ... بأكرمِ مَن نيطت عليه التمائم

وسبب تسميتها أنّه لما أقبلوا بها من الشام نظر إليها رجل وهى ناعسة تمايل على بعيرها فقال : إنها لميادة ، فسمِّيت به وغلب عليها .

وابن ميادة شاعر مقدَّم فصيح ، لكنه كان متعرضاً للشر طالبا لمهاجاة الناس ومُسابَّة الشعراء ، وله مع الحكم الخُضرى[2] مهاجاة ومناقضات كثيرة وأراجيز طويلة ، وقد أدرك الدولتين . كان فى أيام هشام بن عبدالملك، وبقى إلى زمن المنصور ، ومدح من بنى أمية الوليدَ بن يزيد وعبد الواحد ابن سليمان ، ومن بنى هاشم أبا جعفر المنصور وجعفر بن سليمان . ولما قال من قصيدة :

فَضَلْنا قريشاً غيرَ رهط محمد ... وغيرَ بنى مروانَ أهل القبائل

---

(١) الشعر والشعراء ٧٤٧ — ٧٤٩ والأغانى ٢ : ٨٥ — ١١٦ واللآلىء ٣٠٦ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٦٠ والعينى : ٢١٩ .

(٢) فى النسختين « الحضرى » مع تصحيحها فى سن « الخضرى » وهذا هو الصواب . نسبة إلى خضر بن محارب ، بضم الخاء . وترجمته فى معجم الأدباء ١٠ : ٢٤٠ — ٢٤٥ والأغانى ٢ : ٩٤ .

قال له إبراهيم بن هشام : أأنت فضلت قريشاً ؟! وجرّده وضربه أسواطاً .
ولما سمع البيت الوليد بن يزيد قال له : قدّمتَ آل محمد علينا ؟ قال : ما كنت يأمير المؤمنين أظنه يكون غير ذلك . فلما أفضت الخلافة إلى بنى العباس قدِم على المنصور فمدحه ، فقال له لما دخل عليه : كيف قال لك الوليد ؟ فأخبره ، فجعل يتعجب ، ولم يعد إلى المنصور بعدها لما رأى قلة رغبته فى مدائح الشعراء ، ونزارة ثوابه لهم . وتوفى فى صدر خلافته فى حدود الست والثلاثين بعد المائة .

وبنو ذبيان تزعم أن ابن ميادة آخر الشعراء الذين يستشهد بأشعارهم .

روى أبو داود الفَزاري أن ابن ميّادة وقف يوماً فى الموسم ينشد :

لو أنَّ جميعَ الناس كانوا بتَلعة ... وجئتُ بجدَّى ظالمٍ وابن ظالمِ
لظلَّتْ رقابُ الناس خاضعةً لنا ... سجوداً على أقدامنا بالجماجم

والفرزدق واقف عليه متلثم ، فقال له : يا ابن يزيد ، أنت صاحب هذه الصفة ؟ ! كذبتَ والله ، وكذب سامع ذلك منك فلم يكذّبك . قال : فمن يا أبا فراس ؟ قال : أنا أولى به منك . وقال :

لو أن جميع الناس كانوا بتلعة ... وجئت بجدى دارمٍ وابن دارم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا ... سجوداً على أقدامنا بالجماجم

فأطرق ابن ميادة ولم يجبه ، ومضى الفرزدق وانتحلها .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون :

٢٠ ﴿ بَلَغتُها واجتمعتْ أشُدِّى ﴾

على أن (أشُدّ) جمع شدّة على غير قياس ، أو جمع لا واحد له بدليل تأنيث الفعل له .

وفى الصحاح . « كان س يقول : واحده شِدّة ، وهو حسن فى المعنى لأنه يقال بلغ الغلام شِدّته ، ولـكن لا يجمع فِعلة على أفْعُل ، وأمّا أنْعُم فإنما هو جمع نُعم بالضم : ضد البؤس . وقيل هو جمع شَدّ بالفتح نحو كلب وأكلب وقيل جمع شِدّ بالـكسر مثل ذئب وأذؤب . وكلا هذين القولين قياس وليسا بمسموعين ، وقيل هو جمع لا واحد له من لفظه مثل محاسن ومشابه ، وقيل هو ليس بجمع وإنمـا هو مفرد جاء على صيغة الجمع مثل آنُك ، وهو الأسرُبّ ولا نظير لهما » .

وهذا قول أبي زيد[1] . وحكى فى همزته الضمة : لغة فى فتحها ، ومعنى الأشدّ القوة وهو ما بين ثمانى عشرة سنة إلى ثلاثين . وقيل : إلى أربعين ، أو إلى خمسين . قال سُحَيم بن وَثيل :

أخو خمسين مُجتمعٌ أشُدّى ونجّذنى مداورة الشؤون

وفى عمدة الحفّاظ للسّمين : هو جمع شِدّة بمعنى القوة والجلادة فى البدن والعقل ، وقد شدّ يَشِد شدّة إذا كان قوياً ، وأصل الشدّة العقد القوىّ ، وشددت الشيء : قوّيت عقـده ، وأشُدّ يستعمل فى العقل وفى البـدن وفى قوى النفس .

هذا واستدلال الشارح المحقق — تبعاً لابن الحاجب فى شرح المفصل — بتأنيث الفعل لـكون أشد جمعاً محلُّ بحث ؛ فإنّ أهل التفسير واللغة أجمعوا على تفسيره بالقوة ، فيحتمل أن يكون تأنيث الفعل له باعتبار معناه لا لـكونه جمعاً ، وكان ينبغى أن يستدل بمـادّة الفعل وصيغته ، فإن الجمع معناه تاليف

---

(١) يعنى القول بان (أشد) جمع شدة . انظر النوادر له ٥٤ .

المتفرّق ، والاجتماع مطاوعهُ وهو تألف المتفرق ، فلا يتصور معناه إلاّ بين متعدد ، ولا يكون الاجتماع من شيء واحد . على أن الرواية :

بلغتها مجتمعَ الأشُدّ

بالخطاب لا بالتكلم .

صاحب الشاهد

وهو من أرجوزة لأبى نُخيلة مدح بها هشام بن عبد الملك ، منها :

٧٩

(وقلت للعِيس اعتلى وجُدّى فهى تَخَدَّى أحسنَ التخدِّى
قدِ ادّرعنَ فى مَسيرٍ سَمْدِ ليلاً كلون الطيلَسان الجَرد
إلى أمير المؤمنين المُجْدِى ربّ معدّ وسوى معدّ
ممن دعا من أصيدٍ وعبد ذى المجد والتشريف بعد المجد
فى وجهه بدرٌ بدا بالسعد أنت الهمام القَرم عند الجِد
بلغتَها مجتمعَ الأشُدّ فانهلَّ لما قمتَ صوبُ الرعد)

والعيس : الإبل البِيض يخالط بياضَها شقرة ، مفرده المذكر أعيس والمؤنث عيساء . واعتلى : ارتفعى . والجدّ بالكسر : الاجتهاد فى الأمور ، تقول جدّ فى الأمر يجُدّ بالضم . وتَخدّى ، بالخاء المعجمة وفتح الدال المهملة ، أصله تتخدى ، أى تسرع ، حذفت منه التاء : من خدَى البعيرُ يخدِى خدياً : أسرع وزجّ بقوائمه . والسَّمد ، بفتح السين المهملة وسكون الميم ، فى الصحاح : وسمدت الإبل فى سيرها : جدّت . وفى القاموس : هو السَّرمد أى الطويل الدائم ، يقال هو لك سمداً أى سرمداً . والادّراع : افتعال لبس الدِرع وهو قميص المرأة . والطيلسان : من لباس العجم ، لونه أسود للمهابة . والجَرد الخَلَق ، يقال ثوب جرد . والمجدى : اسم فاعل من أجدى عليه بمعنى أعطاه عطاء كثيراً ، من الجَداء والجَدوى بفتح الجيم فيهما ، وهو المطر الذى لا يعرف

أقصاه ، وقيل المطر العام . وربُّ كل شيء : مالكه ومستحقه . ومعدٌّ : أبو العرب وهو معدّ بن عدنان . وقوله (ممن دعا) بيان لقوله (سوى معد) . وقوله (من أصيد الخ) بيان لمن دعا ، أى هو سيد من دعا لنفسه من ملك وسُوقة . والأصيد : الملك . وقوله (أنت الهمام) التفات من الغيبة إلى الخطاب . والهُمام : الملك العظيم الهمة والسيِّد الشجاع . والقَرم بالفتح : السيد ، وأصله الفحل المكرّم لا يُركب ولا يُرحل . والجِد بالكسر ضد الهزل ، تقول جدّ يجِدّ بالكسر . وقوله (بَلغتها) بالبناء للفاعل ، وروى « بُلِّغتها » بالبناء للمفعول والتشديد أيضاً ، وروى أيضاً « طُوِّقتها » بالبناء للمفعول والتشديد أيضاً ، والطوق : حَلْى العنق[1] وكل ما استدار بشيء ، وتطوقه : لبسه . وضمير بلغتها للخلافة المعهودة ذهناً . ومجتمع اسم فاعل حال من ضمير المخاطب ، ولا تضر الإضافة لأنها لفظية . وظهر بهذا أن بيت الشاهد على غير وجهه ، ويحتمل أن يكون من أرجوزة أخرى ، والله أعلم . وانهلّ بمعنى سال إن كان الصَّوْبَ بالباء الموحدة ، وبمعنى ارتفع ، إن كان الصوتَ بالمثناة الفوقية . . يريد إنك لما قمت بأمر الخلافة انفتح أبواب الخير .

وفى الأغانى أن أبا نخيلة قال : قرأتها حتى أتيت إلى آخرها وهممت أن أسأله فيها ، ثم تذكرت أنّ الناس نصحونى على أن لا أسأله شيئاً فإنه يحرم من يسأله ، فلما فرغت أقبل على جلسائه فقال : الغلام السعدى أشعر من الشيخ أبى النجم العجلى . وخرجت فلما كان بعد أيام أتتنى جائزته . . ولما أفضت الخلافة إلى السفاح نقل هذه الأرجوزة الدالية إليه ، فهى إلى الآن فى ديوانه منصوبة إلى السفاح[2] .

---

(١) فى النسختين : « على العنق » ، صوابه من اللسان والقاموس .

(٢) القصة على هذا الوجه مقتضبة اقتضابا . وهى على تفصيل واضح فى الأغانى ١ : ١٤٠ .

ترجمة أبي نخيلة

وأبو نُخيلة بضم النون وفتح الخاء المعجمة ، اسم الشاعر لا كنيته . كذا فى الأغانى . وقال ابن قتيبة : اسمه يعمر ، وكنى أبا نخيلة لأنّ أمه ولدته إلى جنب نخلة . ويكنى أبا الجنيدوأبا العرماس ، وهو من بنى حِمّان بن كعب[1] ابن سعد ، بكسر المهملة وتشديد الميم . وكان عاقاً لأبيه فنفاه أبوه عن نفسه ، فخرج إلى الشأم فأقام هناك إلى أن مات أبوه ، ثم عاد وبقى مشكوكاً فى نسبه ، مطعوناً عليه . وكان الأغلبَ على شعره الرجزُ ، وله قصيدٌ ليس بالكثير . ومن شعره :

٨٠

وإنَّ بقوم سودوك لَحاجةً إلى سيّد لو يظفَرون بسيّد[2]

ولما خرج إلى الشأم اتصل بمسلمة بن عبد الملك فاصطنعه وأحسنَ إليه ، وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد ، واستماحهم له فأغنَوه . وكان بعد ذلك قليل الوفاء : انقطع إلى بنى العبّاس ، ولقَّب نفسه بشاعر بنى هاشم ، فمدح الخلفاء من بنى العباس وهجا بنى أمية . وكان طامعاً ، فحمله طمعُه على أن قال فى المنصور أرجوزة يُغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهدىّ ، فوصله أبو جعفر بألفى درهم ، وأمره أن يُنشدها بحضرة عيسى ، ففعل فطلبه عيسى فهرب منه ، وبعث فى طلبه مولًى له فأدركه فى طريق خراسان ، فذبحه وسلخ وجهه[3] .

* * *

(١) ط فقط : « حمار بن كعب » ، صوابه فى ~ والشعراء لابن قتيبة ٥٨٣ . وانظر الاشتقاق ١٥٤ والأغانى ١٨ : ١٣٩ — ١٥٢ .

(٢) فى الشعراء : « لفاقة » .

(٣) فى الأغانى : « وسلخ جلده » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون :

٢١ (جَذْبَ الصَّرارِيِّينَ بالكُرورِ)

على أن (الصَّرارىّ) جمع (صُرّاء) وهو جمع صارٍ بمعنى الملاح ، وهو السَّفَّان الذى يُجرى السفينة . والصارى بالصاد والراء المهملتين على وزن القاضى معتل اللام بالياء ، وجمعه على صَوارٍ قياسٌ مطّرد لأنه جمع فاعل ، اسماً لا وصفاً ، بخلاف جمعه على صُرّاء ؛ إذ جمع (فاعل) المعتل اللام على (فُعَّال) نادر ، نحو جان وجُنّاء ، وغازٍ وغُزّاء ، وقارٍ وقُرّاء ، ولما شابهَ صُرّاء وزن المفرد نحو زُنّار وكُلاّب جاز جمعه على فعاعيل نحو صَرارىّ ، كما تقول زنانير وكلاليب ، ثم جُمع الصرارىّ جمع تصحيح فقيل الصَّراريّون . هذا تقرير كلام الشارح .

وقال أبو على الفارسىّ فى الإيضاح الشعرى : « الأشبه أن يكون صُرّاء مفرداً جمعه صرارىّ ، ألا ترى أن فُعَّالا جمعاً كشُهّاد ولم نعلمه جاء مكسراً كما جاء تكسير فِعال نحو جمال وجمائل . وعلى هذا يكون الصُّرّاء كالصارى » .

وكلا هذين القولين خلاف المنقول والمسموع .

أما الأوّل فقد نقل الثقات — كابن السيرافى فى شرح شواهد إصلاح المنطق ، والجواليقى ، وابن السِّيد فى شرح شواهد أدب الكاتب ، وصاحب الصحاح والعباب والقاموس — أن الصرارى مفرد مثل الصارى ، وأن جمعه الصَّراريّون ، وأنشدوا له هذا البيت ، وأن جمع الصارى الصُّرّاء كقوله :

* إشراف مُرْدِىّ على صُرّائه *

فيكون (الصَّرارى) من مادة الثلاثى المضعف ، و (الصارى) من مادة الثلاثى المعتل . إلاّ أنّ صاحب القاموس أساء حيث أورد الصرارىّ فى المعتل

أيضاً جمعاً للصارى ، مع أن فاعلا لا يجمع على فعاعيل ، وإنما الذى يجمع عليه (فعَّال) بالضم والتشديد كما مر ، أو (فعّال) بالفتح والتشديد نحو : جَبَّار وجبابير .

وزنة فعالىّ غير موجودة فى أوزان المفردات من أبنية سيبويه وغيرها ، فيكون فى الأصل منسوباً إلى (صرارة) وهو اسم نهر ، والذى لم يحج ، والذى لم يتزوج ؛ أو إلى (صَرار) بدون هاء وهو كسحاب وكتاب : اسم وادٍ بالحجاز . ٨١

وأما الثانى فقد قال الفرزدق :

ترى الصَّرارىّ والأمواجَ تضربه لو يستطيع إلى بَرِّيّة عَبرا[1]

وقال خليفة بن حَمَل الطُّهَوىّ[2] أيضاً :

ترى الصرارىّ فى غبراء مظلمةٍ تعلوه طوراً ويعلو فوقَها تِيَرا[3]

فقد رجع الضمير إليه فى البيت الأول مفردا ثلاث مرات ، وفى البيت الثانى رجع إليه مفردا مرتين .

وقال القطامى ، فى وصف غواصٍ دُرَّةٍ شبه حبيبته بها ، من قصيدة :

حتى إذا السُّفْن كانت فوقَ معتلِجٍ ألقى المعاوزَ عنه ثُمت انكتما

(١) ديوان الفرزدق ٢٨٨ برواية : « والأمواج تلطمه » .

(٢) فى اللسان : « خلف بن جميل » ، تحريف . ولخليفة بن حمل أشعار فى نوادر أبى زيد ١٢٣ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٦ .

(٣) ط : « فوقه » صوابه فى سه ونوادر أبى زيد ١٤٦ . وتير ، بكسر ففتح : جمع تارة ، كما فى اللسان . وأنشد :

* يقوم تارات ويمشى تيرا *

وصواب رواية البيت : « عوم الصرارى » لأن قبله فى النوادر :

شبهت قلتهم فى الآل إذ عسفوا حزم الشريف تبارى فوقه زمرا

فى ذى جُلول يقضى الموتَ صاحبُهُ إذَا الصَّرارىُّ من أهواله ارتسما[1]

فلو كان جمعاً كما زعما لقال : ارتسموا . قال شارح ديوانه أبو سعيد السكرى : « والصرارىّ الملاح ، والصُّرّاء الملاحون ، والواحد صارّ » .

وأورد الحريرىّ فى درّة الغواص البيت الثانى وزعم أنه يصف فُلكا .

والمعتلِج : اسم فاعل من اعتلجت الأمواج : التطمت واضطربت . والمعاوز بالفتح : جمع مِعوَز بالكسر ، وهو الثوب الخلَق الذى لايتبدَّل ؛ لأنّه لباس المعوزين . والمعاوز مفعول ألقى ، وفاعله ضمير الغواص فى بيت قبله. وانكتم معطوف على ألقى ، وضميره كضميره ، وقوله فى ذى جُلول متعلق بانكتم ، أى توارى فى ماء كثير عظيم . والجُلول : جمع جُلّ ، وهو معظم الشىء ، وقيل الجلول جمع جَلّ بفتح الجيم ، بمعنى الشراع ، يعنى ماء فيه سفنٌ لها شُرُع . والارتسام بالسين المهملة : التكبير والتعوُّذ والدعاء . يقول : إن الملاح دعا وعوّذ حين شاهد عِظم الأهوال بتلاطم الأمواج .

صاحب الشاهد

وبيت الشاهد من أرجوزة للعجاج يصف فيها سفينة . وقبله :

(لَأياً ينائيها من الجُئور جَذبُ الصَّرَاريِّين بالكرور

إذْ نَفَحتْ فى جَلّها المسجور[2] حَدواء جاءت من جِبال الطور)

اللأى بفتح اللام وسكون الهمزة : البطء والشدة ، وهو منصوب على نزع الخافض أى بلأى . وينائيها : يباعدها من النأى ، وروى « يثانيها » بالمثلثة والنون من ثناه ، إذا عطفه : والجئور . مصدر جار ، إذا عدل عن

(١) فى ط : « إذ الصرارى » ، صوابه فى ش وديوان القطامى ٧٠ واللسان (صرر ، جلل ، رسم) .

(٢) ط : « لفحت » باللام ، وانبت ما فى ش . قال الأصمعى : ما كان من الرياح لفح فهو حر ، وما كان نفح فهو برد .

القصد ، وهو مصدر سماعى جاء على فعول بالضم ، لـكن همز عينه على مقتضى القاعدة . ولم أر من نبه على هذا المصدر غير ابن السيرافى فى شرح شواهد إصلاح المنطق وابن السيد البَطَلْيَوسى فى شرح شواهد أدب الـكاتب ، وكلاهما نبها عليه فى هذا البيت ، وكذلك الجواليقى فى شرح أدب الـكاتب أيضاً . والـكرور : الحبالُ ، واحدها كر بالفتح ، قال أبو حنيفة فى كتاب النبات : قال أبو خَيْرة [١] : الـكر الغليظ من الحبال . وقال الطوسى : هو حبلٌ يكون من جلود وغيرها . وأنشد هذا البيت. وجذبُ فاعل يُنائيها . يقول : إذا عدلت هذه السفينة وجارت عن القصد لم يصرفها الملاحون عن ذلك الاَّ بعد بطء ومشقة . ونَفَحت [٢] بالحاء المهملة : هبّت . والَجلّ بفتح الجيم : الشراع ، كما تقدم . والمسجوربالسين المهملة والجيم : الذى شدّ بالحبال . ٨٢ قال فى العباب : اللؤلؤ المسجور : المنظوم المسترسل ، قاله أبو عبيد . وأنشد للمخبَّل السعدى :

وإذا ألّم خيالُها طُرفت عينى فماء شئونها سَجْمُ
كاللؤلؤ المسجور أغفِل فى سِلك النِظام فخانه النظم [٣]

والَحدْواء فاعل نَفَحت [٤] بالحاء والدال المهملتين ، وهى الريح تحدو السَّحاب ، أى تسوقها ، وهى ريح الشَّمال . والطُّور : جبل ، والريح التى تجىء من قبله هى الشَّمال . وحِيال الطور : ناحيته وإزاؤه ، وهى بكسر الحاء المهملة ، وبالمثناة التحتية ، يقال قعد حياله أى بإزائه . وروى : «من بلاد الطور [٥]» .

(١) ط : « أبو حبره » صوابه فى ش . وأبو خيرة : أحد رواة الأعراب . ترجم له ابن النديم فى الفهرست ٦٨ . واسمه نهشل بن زيد .
(٢) ط : « لفحت » باللام ، وأثبت ما فى ش . وانظر ما سبق فى الحواشى .
(٣) ط : « أعقل » ، صوابه فى ش والمفضليات ١١٣ .
(٤) ط : « لفحت »
(٥) وروى أيضاً : « من جبال الطور » ، كما فى الاقتضاب ١٧٦ .

والعجاج اسمه عبد الله وكنيته أبو الشعثاء، وتقدم نسبه فى ترجمة ولده رؤبة فى الشاهد الخامس[١] ، وكان يقال له عبد الله الطويل ، ولقب بالعجاج لقوله :

* حتّى يَعِجَّ عندها من عجعجا *

وهوأول من رفع الرجز وجعَلَ له أوائل وشبَّهه بالقصيد .

* * *

وأنشد بعده للكميت ، وهو الشاهد الثانى والعشرون :

٢٢ * (ولم يَستَرِيثوك حتَّى رميـ ـتَ فوقَ الرِجال خِصالًا عُشارا) *

على أن (عُشار) المعدول عن عشرة قد جاء فى قول الكميت .

والمسألة مفصَّلة فى الشرح .

قال الحريرى فى درة الغوّاص : « روى خلف الأحمر أنهم صاغوا هذا البناء متَّسقا إلى عُشار ، وأنشد عليه ماعزى إلى أنه مصنوع[٢] منه :

قل لعمرٍو يا ابنَ هند لو رأيتَ اليوم شَنّا
لرأتْ عينـاك منهم كلَّ ما كنتَ تَمنّى
إذْ أتتنا فيلقٌ شهـ ـباء من هَنّا وهَنّا
وأتت دَوسرُ والمَلْ حاء سيراً مطمئنا
ومشى القوم إلى القو م أُحادَ وأُثنَى[٣]
وثُلاثاً ورُبـاعا وخُمـاسا فاطّعنّـا

(١) ص ٨٩ .

(٢) ط : « مصوغ » . وفى درة الغواص ٤٠ « موضوع » ، صوابه فى سـ .

(٣) ط : « أحادى » ، وصححت بحذف الياء فى ش . وفى ط : « ومثنى » .

وسُداساً وسُباعا وثماناً فاجتلدنا
وتُساعا وعشارا فأصبنا وأصبنا
لا ترى إلاّ كميّا قاتلا منهم ومنّا

ودلائل الوضع فى هذه الأبيات ظاهرة . وكان خلفٌ الأحمر متَّهماً بالوضع .وشنٌّ : قبيلة . والفيلق: الجيش،وأنثه باعتبار الكتيبة. وهنّا بالفتح اسم إشارة للقريب . ودَوسر : كتيبة للنعمان بن المنذر . والملحاء : كتيبة أيضا لآل المنذر .

وترجمة الكميت قد مضت فى الشاهد السادس عشر(١)

قال ابن السيد فى شرح شواهد أدب الكاتب : « ومعنى يستريثوك يجدونك رائثا ، أى بطيئاً ، من الرّيث وهو البطء . ورميت : زِدت ، يقال رمىَ على الخمسين وأرمى ، أى زاد . يقول: لمَّا نشأتَ نشء الرجال أسرعتَ فى بلوغ الغاية التى يطلبُها طلاب المعالى ، ولم يُقنعك ذلك حتّى زدت عليهم بعشر خصال ، فُقْتَ السابقين(٢) وأيأست الذين راموا أن يكونوا لك لاحقين » . انتهى .

ووقع فى رواية ابن جنى فى الخصائص (علوت) موضع رميت . وروى أبو جعفر النحاس :

حتى أتيت فوق الرجالِ خِلالاً عُشارا

وروى الحريرى فى الدرة : (نصالا) بدل خصالا ، والأوّل هو الصحيح .

وهذا البيت من قصيدة للكميت ، يمدح بها أبان بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وقبله : ٨٣

(١) انظر ما سبق فى ص ١٤٣ .
(٢) كذا بالقاف بعد الفاء فى النسختين والاقتضاب ٤٦٧ .

(رَجوكَ ولم يبلغ العمر مِنْـ ـكَ[١] عشراً ولانبتُ فيك اتّغارا
لأدنى خَساً أو زَكا مِن سِنيك إلى أربع فبقَوْك[٢] انتظارا)

وبعده بيت الشاهد . يقول : تبينوا فيك السُّؤدد لسنة أو سنتين من من مولدك فرجوا أن تكون سعيداً أميراً مطاعا رفيع الذكر ولم تبلغ عشر سنين . وقوله (ولا نبتُ فيك اتغارا) أى أثغرتَ ولم تنبت أسنانك بعد . فى الصحاح : « وإذا سقطت رواضع الصبى قيل : ثُغر فهو مثغور ، فإذا نبتت قيل : اتغر ، وأصله اثتغر فقلبت الثاء تاء ثم أدغمت ، وإن شئت قلت اثغر بجعل الحرف الأصلى هو الظاهر » . وقوله (لأدنى خساً أو زكا) الخسا بفتح الخاء المعجمة: الفَرد ، والزَّكا بفتح الزاى المعجمة : الزوج ، وخسا وزكا ينون ولا ينون ، والمعنى أنهم رجوك أن تكون كذلك لأقلّ ما يعبر عنه بخسا وزكا ، وهو سنة أو سنتان ، إلى أن صار لك أربع سنين ، فظهر للنّاس مادلهمّ على مارَجوه منك وتفرّسوك عند كمال سنك وقوله فبقوك أى انتظروك يقال بقوت الشيء إذا انتظرته ، ومنه يقال للمؤذّنين بُقَاة لأنّهم ينتظرون أوقات الصلاة . وانتظاراً منصوب بقوله بقوكَ لأنه فى معنى انتظروك انتظارا .

* * *

وأنشد بعده ، وهوالشاهد الثالث والعشرون ، وهو من أبيات سيبويه[٣] :

٢٣ « إلاّ عُلالةَ أو بُدا هَةَ سابحٍ نَهْدِ الجُزاره »

على أن المضاف يحذف مع دلالة ما أضيف إليه تابع ذلك المضاف عليه .

---

(١) ط : « العمر سنك » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) ط : « فبقون » ، صوابه من ش .
(٣) فى كتابه ١ : ٩١ ، ٢٩٥ .

ذكر الشارح المحقق فى باب الإضافة أنّ هذا مذهب المبرد ، وأيّده بما ذكره هناك على مذهب سيبويه ، وهو أن علالة مضاف إلى المجرور الظاهر ، وبداهه فى الأصل مضاف إلى ضميره ، والتقدير : إلاّ علالة سابح أو بداهته ، ثم حذف الضمير وجعل بداهة بين المتضايفين ، إلى آخر ما ذكره . وسيأتى الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للأعشى يخاطب بها شيبان بن شهاب ، منها :

(وهناك يكذب ظنُّكم أن لا اجتماعَ ولا زياره
ولا براءة للبَرِى ء ولا عطاء ولا خفاره
إلاّ عُلالة أو بُدا هة سابحٍ نهد الجزاره

إلى أن قال :

ولا نقاتل بالعصىّ ولا نُرامى بالحجاره)

يقول : إذا غَزَونا كم علمتم أنَّ ظنكم بأننا لا نغزوكم كذب، وهو زعمكم أننا لا نجتمع ولا نزوركم بالخيل والسلاح غازينَ لكم ، ومن كان بريئا منكم لم تنفعه براءته ، لأنَّ الحرب إذا عظمت لحق شرها البرىء كما يلحق المسىء ، يريد إنّنا ننال منكم من المسىء والبرىء بما تكرهون ، ولا نقبل منكم عطاء ولا نعطيكم خفارة تفتدون بهما منا .

والخفارة بالضم والكسر : الذمة ، قال فى المصباح : « خَفَر بالعهد من باب ضرب وفى لغة من باب قتل ، إذا وفى به . وخفرت الرجل : حميته وأجرته من طالبه ، والاسم الخفارة بضم الخاء وكسرها » . وقوله (إلاّ علالة) استثناء منقطع من قوله (لا اجتماع[1]) أى لكن نزوركم بالخيل . والعُلالة بضم العين

٨٤

(١) فى النسختين : « لا اجتلى » ، تحريف . والأبيات فى ديوان الأعشى ١١٤ .

المهملة : بقية جرى الفرس وبقية كل شىء أيضا ، وهو من التعلّل بمعنى التلهّى.
والبُداهة بضم الموحدة : أول جرى الفرس ، وأو للاضراب . ووقع فى رواية
ابن جنى فى سر الصناعة والخصائص تقديم (بداهة) فأو على هذا لأحدالشيئين .
والسابح : الفرس الذى يدحُو الأرض بيديه فى العدْو ، ويروى بدله (القارح)
وهو من الخيل : الذى بلغ أقصى أسنانه ، يقال قرَح ذو الحافر يقرَح بفتحهما
قُروحا : انتهت أسنانه ، وذلك عند إكمال خمس سنين. والنَّهد بفتح النون :
المرتفع . والجُزارة بضم الجيم : الرأس واليدان والرجلان ، وهذا فى الأصل فيما
يذبح ، وسميت بذلك لأن الجزّار يأخذها فى مقابلة ذبحها ، كما يقال أخذ العامل
عُمالته بالضم ، فبقى هذا الاسم عليها. يريد أنَّ فى عنقه وقوائمه طولاً وارتفاعا،
فإنَّه يستحب فى عنق الخيل الطول واللين . وقد فرق سليمان بن ربيعة بين
العتاق والهُجن بالأعناق ، فدعا بطَست من ماء فوضعت بالأرض ، ثم قدّمت
الخيل إليها واحداً واحدا ، فما ثنى سنبكه وهو مقدَّم الحافر ثم شرب هَجَّنه ،
وما شرب ولم يثن سنبكه جعله عتيقا ، وذلك لأن فى أعناق الهجن قِصَرا ،
فهى لا تنال الماء على تلك الحالة حتَّى تثنىَ سنابكها — ويستحبُّ أيضا أن
يكون ما فوق الساقين من الفخذين طويلاً فيوصف حينئذ بطول القوائم .
قال الشاعر :

شَرَحبٌ سَلهَب كأن رماحاً حَملته وفى السَّراة دموجُ

والشرحب والسلهب ، كلاهما على وزن جعفر ، بمعنى الطويل . والسراة
بفتح المهملة : أعلى الظهر . والدموج : دخول بعض الشىء فى بعضه من شدته
واكتنازه ، وأمَّا الساقان فيستحب قصرهما . وقال الشاعر :

له متن عَير وساقا ظليم(١)

(١) كتب الميمنى : « المصراع ذكره القالى ونقله البكرى ولم يثبت عليه شيئا » .

العير : الحمار الوحشى . والظليم : ذكر النّعام ، كذا فى أدب الكاتب لابن قتيبة ، وبه يعلم سقوط قول الشنتمرى : « النهد : الغليظ ، والجزارة : الرأس والقوائم ويستحب غلظهما مع قلة لحمهما » . وأوهى منه قول الجوهرى وتبعه صاحب العباب ونقله العينى : « إذا قالوا فرس نهد أو عبل الجزارة فإنما يراد غلظ اليدين والرجلين وكثرة عصبهما ، ولا يدخل الرأس فى هذا ، لأنّ عِظَم الرأس هجنة فى الخيل » . وخَبَط المطرّزى فى شرح المفصل خبط عشواء فقال : « يعنى كنا فى سفر أو حرب انقطع فيها جميع الأفراس عن السّير ، ولم يبق لها جرىٌ إلا علالة أو بداهة فرس سابح » . هذا كلامه ، وكأنه لم يقِف على ما قبله من الأبيات . « وقوله ولا نقاتل بالعصىّ الخ) يصف قومه بأنهم أصحاب حروب يقاتلون على الخيل ، لا أصحاب إبل يرعونها فيقاتل بعضهم بعضا بالعصىّ والحجارة .

ترجمة الأعشى

(والأعشى) كنيته أبو بصير ، واسمه ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب ابن علىّ بن بكر بن وائل . وكان أبوه قيس يدعى قتيل الجوع : وذلك أنه كان فى جبلٍ فدخل غاراً فوقعت صخرة من الجبل فسدّت فم الغار فمات فيه جوعا .

وكان الأعشى من فحول شعراء الجاهلية وممن قدّم على سائرهم ، سلك فى شعره كلَّ مسلك ، وقال فى أكثر أعاريض العرب ، وليس ممن تقدم من الفحول أكثرُ شعراً منه . وسُئل ابن أبى حفصة : من أشعر العرب ؟ قال : شيخا وائل : الأعشى فى الجاهليّة والأخطل فى الإسلام. وسئل يونس النحوى: من أشعر الناس ؟ قال : لا أومىء إلى رجل بعينه ، ولكنى أقول : امرؤ القيس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب .

٨٥

وهو أول من سأل بشعره . وكانوا يسمّونه صنّاجة العرب لجودة شعره . وكان أبو عمرو بن العلاء يفخِّم منه ويعظِّم محله ويقول : شاعر مُجيد ، كثير الأعاريض والافتنان . وإذا سئل عنه وعن لبيد قال : لبيد رجل صالح والأعشى رجل شاعر .

وروى المفضل بسنده عن الشعبي : قال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده : أدِّبْهم برواية شعر الأعشى ، فإنه — قاتله الله — ما كان أعذبَ بحره وأصلب صخره !

قال المفضل : مَنْ زعم أن أحداً أشعر من الأعشى فليس يعرف الشعر .

وكان الأعشى يفد على الملوك لا سيما ملوك فارس ، ولذلك كثرُت الألفاظ الفارسية فى شعره ، قال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء[1] : « وكان الأعشى جاهلياً قديماً وأدرك الإسلام فى آخر عمره ، ورحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فى صلح الحُدَيبية ، فسأله أبو سفيان بن حرب عن وجهه الذى يريد ، فقال : أردت محمداً . قال : إنه يحرّم عليك الخمر والزنى والقمار . قال : أما الزنى فقد تركنى ولم أتركْه ، وأما الخمر فقد قضيتُ منها وطراً ، وأما القمار فلعلّى أصيب منه عوضاً . قال : فهل لك إلى خير من هذا ؟ قال : وما هو ؟ قال : بيننا وبينه (هدنة) فترجع عامك هذا ، وتأخذ مائة ناقة حمراء ، فإن ظفر بعد ذلك أتيته، وإن ظفرنا كنت قد أصبت من رحلتك عوضاً . فقال : لا أبا لى ! فأخذه أبو سفيان إلى منزله وجمع عليه أصحابه وقال : يا معشر قريش ، هذا أعشى قيس ، ولئن وصل إلى محمد ليُضَرِّبَنَّ[2] عليكم العرب قاطبة . فجمعوا له مائة ناقة حمراء ، فانصرف فلما صار بناحية اليمامة ألقاه بعيره فقتله . انتهى .

---

(١) الشعراء ٢١٢ .

(٢) التضريب : الإغراء .

وقال شارح ديوانه محمد بن حبيب : وكان الأعشى فيما روى رحل[١] عند ظهور النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتى مكة ، وكان قد سمع قراءة الكتب ، فنزل عند عُتبة بن ربيعة ، فسمع به أبو جهل فأتاه فى فتية من قريش ، وأهدى له هدية ثم سأله : ما جاء بك ؟ قال : جئت إلى محمد ، إنى كنت سمعت مبعثه فى الكتب لأنظر ماذا يقول ، وماذا يدعو إليه ، فقال أبو جهل : إنه يحرّم الزنى . فقال : لقد كبرت ومالى فى الزنى حاجة . قال : فإنّه يحرّم عليك الخمر . قال : فما أَحلّ ! ! فجعلوا يحدثونه بأسوأ ما يقدرون عليه . فقالوا : أنشدنا ما قلتَ فيه . فأنشد :

ألم تغتمض عيناكَ ليلة أرمدَا   وعادك ما عاد السليمَ المسهَّدا

وهى قصيدة جيّدة عدّتها أربعة وعشرون بيتاً ، فلما أنشدهم قالوا : هذا رجل لا يمدح أحداً إلا رفعه ، ولا يهجو أحداً إلاّ وضعه . فمن لنا يَصرِفه عن هذا الوجه ؟ فقال أبو جهل للأعشى : أما أنت فلو أنشدته هذه لم يقبلها . فلم يزالوا به ، لشقاوته ، حتّى صدُّوه وخرج من فورته حتّى وصل اليمامة[٢] فمكث بها قليلاً ثم مات .

وروى ابن دأب وغيره أنّ الأعشى خرج يريد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال شعراً ، حتى إذا كان ببعض الطريق نفرت به راحلتُه فقتلته ، فلما أنشد شعره الذى يقول فيه :

وآليتُ لا أرثى لها من كَلالةٍ   ولا من حَفًى حتَّى تُلاقى محمدا

متى ما تُناخِى عند باب ابن هاشم   تَراحِي وتلقَى من فواضله ندى

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط ثابتة فى سه .

(٢) الوجه : وصل إلى اليمامة .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كاد ننجو ولمّـا » .

وترد هذه القصيدة إن شاء الله مشروحةً فى شواهد مغنى اللبيب ، فإنه استشهد بغالب أبياتها ، ولم يقع منها شىء فى هذه الشواهد[1] .

وللأعشى أخبار أخر تأتى متفرقة فى شرح شواهد من شعره .

والأعشى فى اللغة : الذى لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار ، والمرأةعشواء ، وعشِىَ الرجل بالكسر عشاً بالقصر إذا ضعف بصره ، وكان هذا الأعشى عمى فى أواخر عمره . وعدة من هو أعشى من الشعراء سبعة عشر شاعراً ، ذكرهم الآمدى فى المؤتلف والمختلف .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون :

٢٤ (حَلائلَ أسودِينَ وأحمرينا)

وأوله :

(فما وَجدتْ بناتُ بنى نِزار)

على أن جمع أسود وأحمر جمع تصحيح شاذٌ ، كما يجىء فى باب الجمع .وقال فى باب الجمع : فكل صفة لا تلحقها التاء فكأنها من قبيل الأسماء ، فلذا لم يُجمع هذا الجمعَ « أفعَل فَعْلاء وفَعْلان فَعلىٰ » . وأجاز ابن كيسان أحمرون وسكرانون ، واستدل بهذا البيت ، وهو عند غيره شاذ . اهـ .

وبناتُ فاعل وجدتْ ، وحلائل مفعوله ، ونِزار بكسر النون : هو والد مُضر بن نزار بن معدّ بن عدنان . والحلائل : جمع حليل بالحاء المهملة ، وهو

---

(١) يعنى شواهد شرح الرضى على الكافية .

الزوج . والحليلة : الزوجة ، سمِّيا بذلك لأن كلاًّ منهما يحلّ للآخر ولا يحرُم ، أو لأن كلا منهما يحُلُّ من صاحبه محلًّا لايحلّه غيره . وأسودين صفة حلائل .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لحكيم الأعور[1] ابن عَيّاش الكلبى[2] ، من شعراء الشام ، هجا بها مضر ورمى فيها امرأة الكميت بن زيد بأهل الحبس[3] ، لما فرَّ منه بثياب امرأته .

وسبب حبس الكميت على وجه الاختصار ، أنّ حكيماً الأعور هذا كان وَلِعاً بهجاء مُضَر ، فكانت شعراء مضر تهجوه وتجيبه ، وكان الكميت يقول : هو والله أشعر منكم ! قالوا : فأجِب الرجل ! قال : إنَّ خالدبن عبدالله القسرىّ محسنٌ إلىّ فلا أقدر أن أردَّ عليه . قالوا : فاسمع بأذنك ما يقول فى بنات عمك وبنات خالك من الهجاء ! فأنشدوه ذلك ، فحَمِيَ الكميتُ لعشيرته فقال المذهّبة التى أولها :

ألا حُيِّيتِ عَنَّا يا مَدينا

وأحسن فيها ، وهى زُهاء ثلاثمائة بيت لم يترك فيها حيًّا من أحياء اليمن إلّا هجاهم . ومنها :

ولا أعنى بذلك أسفليكم ولكنِّى أريد به الذوينا

وتقدم شرحه ، وهو الشاهد السادس عشر ؛ وعرّض الكميت فيها بأخذ الفُرس والحبشة وغيرهما نساء اليمن بقوله :

لنا قمرُ السماء وكلُّ نجم تشير إليه أيدى المهتدينا

(١) الميمنى : « حكم ، مصغر فيما أرى » .
(٢) ترجم له ياقوت فى معجمه ١٠ : ٢٤٧ وورد ذكره فى الحيوان ٢ : ٦ .
(٣) الحبس ، يعنى السجن موضع الحبس .

وما ضَربت بناتِ بنى نزار هوائجُ من فحول الأعجمينا
وما حملوا الحميرَ على عِتاق مطهّمـــة فيلفَوا مُنغِلينا

٨٧ والهوائج : جمع هائج ، وهو الفحل الذى يشتهى الضراب . وبلغ خالداً القسرىَّ خبر هذه القصيدة فقال: والله لأقتلنه . ثم اشترى ثلاثين جارية فى نهاية الحسن فروّاهن القصائد الهاشميات للكميت ، ودسّهن مع نخّاس إلى هشام ابن عبد الملك فاشتراهنّ ، فأنشدنه يوماً القصائدَ المذكورة فكتب إلى خالد ، وكان يومئذ عاملَه بالعراق : أنِ ابعث إلىّ برأس الكميت . فأخذه خالد وحبسه ، فوجّه الكميت إلى امرأته ، ولبس ثيابها وتركها فى موضعه وهرب من الحبس ، فلما علم خالدٌ أراد أن ينكّل بالمرأة ، فاجتمعت بنو أسد إليه وقالوا : ماسبيلُك على امرأةٍ لنا خُدِعت ! فخافهم وخلّى سبيلَها ، ثم إنّ الكميت اتصل بمَسْلمة بن هشام ، فشفع فيه عند والده فشفّعه .

وقيل : إنّ سبب هجاء الكميت أهل اليمن أنّ حكيما الأعور هذا ، كان يهجو علىَّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، وبنى هاشم جميعاً ، وكان منقطعاً إلى بنى أمية ، فانتدبَ له الكميت رحمه الله تعالى ، فهجاه وسبّه وأجابه ، ولجّ الهجاء بينهما ، وكان الكميت يخاف أن يُفصح بشعره عن على رضى الله عنه ، لما وقع بينه وبين هشام ، وكأنْ يُظهر أنّ هجاءه إياه للعصبية التى بين عدنان جدّ مضر وبين قحطان أبى اليمن .

وقال المستهلّ بن الكميت يوماً لوالده ، لما افتخر فى قصيدةٍ بائية موحّدة ببنى أمية هاجياً بها قحطان : كيف فخرت ببنى أمية وأنت تشهد عليها بالكفر ، فهلّا فخرتَ بعلىّ وبنى هاشم الذين تتولّاهم ؟! فقال : يا بنى ، أنتَ تعلم انقطاع الكلبىّ إلى بنى أمية ، وهم أعداء على رضى الله عنه ، فلو ذكرتُ

عليا لترك ذكرى وأقبل على هجائه ، فأكون قد عرّضتُ عليّا له ولا أجد له ناصراً من بنى أمية ، ففخرت عليه ببنى أمية وقلت : إن نقَضها عَلىّ قتلوه ، وإن أمسكَ عن ذكرهم ثنيته عن الذى هو عليه . فكان كما قال ، أمسك الأعورُ الكلبيُّ عن جوابه فغلب عليه ، وأفحم الكلبى .

وقال الأعور الكلبى يوماً :

ماسرّنى أن أمّى من بنى أسد   وأنَّ ربىَ نجّانى من النارِ

وأنّهم زوجونى من بناتهم   وأنّ لى كلَّ يوم ألفَ دينار

فأجابه الكميت :

يا كلبُ مالَكَ أُمٌّ من بنى أسد   معروفةٌ فاحترقْ يا كلبُ بالنارِ

فأجابه الكلبىّ :

لن يبرحَ اللؤمُ هذا الحيَّ من أسدٍ   حتى يُفرَّقَ بين السبت والأحدِ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون :

٢٥ (قد صرَّتِ البَكْرةُ يوماً أجمعا)

على أن الكوفيين جوّزوا تأكيد النكرة المحدودة . وقد أورده الشارح فى باب التوكيد أيضاً ، ويأتى الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى .

وهذا البيت مجهولٌ لا يعرف قائله ، حتَّى قال جماعة من البصريين : إنه مصنوع .

والبكرة بفتح الموحدة وسكون الكاف ، إن كانت البكرة التى يستقى عليها الماء من البئر . فصرَّت بمعنى صوّتت ، من صرّ البابُ يَصِر صريراً

أى صوّت ، فيكون المعنى : ما انقطع استقاء الماء من البئر يوماً كاملاً ؛ وإن كانت الفتيَّةَ من الإبل مؤنث البَكر وهو الفتىُّ منها — قال أبو عبيدة : البَكر من الإبل بمنزلة الفتى من الإنسان . والبَكرة بمنزلة الفتاة ، والقلوص بمنزلة الجارية والبعير بمنزلة الإنسان ، والجمل بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة — فصُرّت بالبناء للمفعول ، يقال صَررتُ الناقة : شددت عليها الصِّرار ، وهو خيطٌ يشدّ فوقَ الخِلف والتَّودِية لئلا يرضَعها ولدها . والفتىُّ بفتح الفاء وكسر المثناة وتشديد الياء ، هو من الدوابّ: خلاف المسنّ ، وهو كالشابّ من الناس ؛ والأنثى فتيّة ؛ والفتى بالقصر : الشابّ ، والأنثى فتاة . والخِلف بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام : هو لذوات الخف كالثدى للإنسان . والتودية ، بفتح المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر الدال وتخفيف المثناة التحتية ، هى خشبة تشدّ على خِلف الناقة إذا صُرَّت ، وجمعها تَوادٍ كمساجد . ٨٨

قال العينى ، بعد أن شرحه على الوجه الأول : صدره :

(إنَّا إذا خُطَّافنا تقعقعا)

وفيه نظر من وجهين : الأول أن بيت الشاهد بيت من الرجز ، وليس مصراعاً من بيت حتى يكون ما ذكره صدره .

والثانى : أنه غير مرتبط ببيت الشاهد فإنّ بيت الشاهد لا يصح أن يكون خبراً لقوله (إنّا) ولا جواباً (لإذا) ، اللهم إلاّ إن قدر الرابط ، أى صرت البكرة فيه ، وتكون حينئذ الجملة الشرطية خبراً لإنّا . فافهم . والخُطّاف بالضم والتشديد : حديدة معوجّة تكون فى جانبى البَكْرة فيها المحور ، وكل حديدة معطوفة خطاف . والقعقعة : تحريك الشىء اليابس الصُّلب مع صوت ، والتقعقع مطاوعه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون ، وهو من شواهد المفصل[١] :

٢٦ (أتانى وعيدُ الُحوص من آل جعفر
فيا عَبد عَمرٍو لو نَهيتَ الأحاوصا !)

على أن الأحوص بالنظر إلى الوصفية جمع على (الحوص) ، وبالنظر إلى نقله إلى الاسمية بالغلبة جمع على الأحاوص .

وهذا البيت أورده الزمخشرى فى المفصل على أنَّ الأحوص يجمع على هذين الجمعين : أحدهما فُعْل ، ولا يجمع على هذا إلا أفعل صفة ، وشرطه أن يكون مؤنثه على فَعلاء كما هو مبيَّن فى جمع التكسير ، والثانى أفاعل ، ولا يجمع على هذا إلاَّ أفعل اسماً أو أفعل التفضيل .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لأعشى قيس ، نفَّر فيها عامرَ بن الطُفيل ، قاتله الله تعالى ، ابن مالك بن جعفر ، على ابن عمه عَلقمة الصحابى ، رضى الله عنه ، ابن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة الكلابىّ العامرىّ . قال فى الاستيعاب : وكان سيِّداً فى قومه حليما عاقلا ، ولم يكن فيه ذاك الكرم .

و (الوعيد) : التهديد والتخويف . وأراد بالحوص والأحاوص : أولاد الأحوص بن جعفر ، وهم عوف بن الأحوص ، وعمرو بن الأحوص ، وشُريح ابن الأحوص . والأحوص اسمه ربيعة ، سمِّى أحوص لضيقٍ كان فى عينه . قال فى الصحاح : والحوص أى بمهملتين : ضيق فى مُؤْخر العين ، والرجل أحوص ، ويقال بل هو الضيِّق فى إحدى العينين ، والمرأة حوصاء . وعبدعمرو :

(١) ابن يعيش ٥ : ٦٢ ، ٦٣ . وهو فى ديوان الأعشى ١٠٩ .

قال ابن السيرافى فى شرحه لشواهد إصلاح المنطق : هو عبد بن عمرو ابن الأحوص ، وقال فى الصحاح : عبد عمرو وهو ابن شريح بن الأحوص . وجواب (لو) محذوف أى لو نهيتهم لكان خيراً لهم ، ويجوز أن تكون للتمنى على سبيل التهكم ، وإنّما وجه الخطاب إليه لأنّه كان رئيسَهم حينئذ . وإنما قال الأعشى هذا الكلام لأنّ علقمة بن عُلاثة كان أوعده بالقتل ، ويدل عليه قوله بعد هذا بأبيات :

(فإن تتعِدْنى أتعدْك بمثلها وسوفَ أزيد الباقياتِ القوارصا)

والقوارص : الكلمات المؤذية ، يريد إنى أزيدك على الإيعاد بقصائد الهجو . ولولا أنها فى صحابىّ لأوردت منها أبياتا .

وكان سبب تهديد علقمة بالقتل للأعشى : هو أنّ علقمة بن علاثة كان نافرَ ابنَ عمه عامر بن الطفيل — وكان علقمةُ كريماً رئيسا ، وكان عامر عاهراً سفيهاً — وساقا إبلا جمّة لينحر لها المنفِّر[1] ، فهاب حكّام العرب أن يحكموا بينهما بشىء ، وأتوا هرِم بن قُطبة بن سنان فقال : أنتما كركبتَىِ البعير تقعان معا وتنهضان معا[2] ، قالا : فأيّنا اليُمنَى ؟ قال : كلا كما يمين . وأقاما سَنة لا يجسر أحد أن يحكم بينهما بشىء ، إلى أن جاء الأعشى علقمة مستجيرًا به ، فقال . أجيرك من الأسود والاحمر . قال : ومن الموت ؟ قال : لا . فأتى عامرا فقال له مثل ذلك ، فقال : ومن الموت ؟ قال : نعم . قال : وكيف ؟ قال إن متّ فى جوارى وَدَيتك . فقال علقمة : لو علمت أن ذلك مرادُه لهان علىّ . ثم إن الأعشى ركب ناقته ووقف فى نادِى القوم وأنشدهم قصيدة نفّر فيها عامرا على علقمة ، منها :

---

(١) نفره على صاحبه تنفيرا : قضى له عليه بالغلبة .

(٢) فى النسختين : « يقعان معا وينهضان معا » . والركبة مؤنثة .

أقول لما جاءنى فخره سبحان من علقمةَ الفاخرِ

ومنها :

ولستَ بالأكثر منهم حصى وإنما العزةُ للكاثر

وهما شاهدان من شواهد هذا الكتاب ، وسيأتى شرحهما إن شاء الله تعالى فى محلّهما . وبعد أن أنشد القصيدةَ نادى الناسُ : نُفِّر عامرٌ على علقمة ؛ ورووا الشعر وأمضوا حكم الأعشى . ودعواه أنّهما حكّماه باطلة كما يعلمه الناس ، وكان رأى هرِم خلاف ذلك . فلما سمع علقمة بهذا هدّده بالقتل ، فقال الأعشى هذه القصيدة الصادية .

ومعنى المنافرة ، كما فى الصحاح : المحاكمة فى الحسب ، يقال نافره فنفره ينفُره بالضم لا غير ، أى غلبه . والمنفور : المغلوب . والنافر : الغالب . ونفّره عليه تنفيرا أى قضى عليه بالغلبة ، وكذلك أنفره . والحسب هو من الحُسبان وهو ما يعدّه الإنسان من مفاخر آبائه ، ويقال حسبه : دينه . ويقال ماله . وقال ابن السكيت : الحسب والكرم يكونان فى الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف ، والمجد لا يكون إلاّ بالآباء .

وترجمة الأعشى مرت فى الشاهد الثالث والعشرين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون :

٢٧ (يأبى الظُّلامةَ منه النَّوفلُ الزُّفَرُ)

وأوله : (أخو رغائبَ يعطيها ويُسألُها)

على أنّ الزفر بمعنى السيد ؛ قال الشارح المحقق فى فُعَل ، بضم الفاء إذا كان علما : « يشترط لمنع صرفه جمع شرطين : ثبوت فاعل وعدم فعل

(١) انظر ما مضى فى ص ١٧٥ .

قبل العلمية . أما عُمر وزفر علمين فكان الواجب صرفهما ، لأنّه لما جاء لهما فاعل قبل العلمية جاء فُعَل أيضا نحو عمر جمع عمرة . والزُّفر : السيِّد . قال الأعشى » . وأنشد الشعر ، ثم قال : « لكنهما لما سمعا غير منصرفين حكمنا بأنهما علمان غير منقولين عن فُعَل الجنسيّ ، بل هما معدولان عن فاعل » انتهى . يفهم منه أنه لم يسمع صرف زفر فى العلمية لكن يجوز صرفه باعتبار كونه معدولا من الزافر[1] ، كما صرح به ابن جنى ، ناقلا عن أبى علىّ ، فى كتابه المبهج[2] وهو شرح أسماء شعراء الحماسة ، وعبارته: « زفر معدول عن زافر ، ولذلك لم يصرف لاجتماع التعريف والعدل فيه ، ويدل على أنَّه معدول أنك لا تجده فى الأجناس كما تجد نحو صُردَ ونُغَر ؛ وأما قوله :

يأبى الظُّلامة منه النوفل الزُّفَر

فقال أبو على : إنك لو سميت بهذا صرفته كما تصرفه إذا سمَّيته صردا وجُرَذا وحُطَما ولبدا » . وقال فى موضع آخر من هذا الكتاب[3] : « الزفر الناهض بحمله ، وليس زفر هذا الاسم منقولا من هذا الوصف ، ولو كان كذلك لوجب صرفه ، ألا تعلم أن فُعَلاً المعدول عن فاعل لا يجوز دخول اللام عليه ، وذلك نحو زحل وقثم . وقد قال :

يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

فدخول اللام عليه يعرِّفك أنّ زفر الذى ليس مصروفا ليس بهذا لداخليَّة اللام ، ولو سمَّيت رجلا بزفر هذا بعد خلعك اللام عنه لوجب صرفه ، لأنّه حينئذ كصرد ونغر[4] . وهذا واضحٌ ، وهو رأى أبى على وتفسيره » . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « الزفر » . (٢) المبهج لابن جنى ص ٢٠ .
(٣) المبهج لابن جنى ص ٤٩ .
(٤) فى المبهج : « لأنه حينئذ كان يكون كصرد ونغر وجعل » .

والأخ هنا بمعنى المُلابس والملازم للشيء ، فإنّ العرب استعملت الأخ على أربعة أوجه : أحدها هذا كقولهم : أخو الحرب ، والثانى : المجانس والمشابه كقولهم : هذا الثوب أخو هذا ، والثالث : الصديق ، والرابع : أخو النسب وهو قسمان : نسب قرابة وهو المشهور ، ونسب قبيلة وقوم ، كقولهم : يا أخا تميم يا أخا فَزارة ، لمن هو منهم ، وبه فسر قوله تعالى: « يا أختَ هَرُون » . والرغائب : جمع رَغيبة وهى العطايا الكثيرة ، كذا فى الصحاح ، وفى شرح شواهد الغريب المصنَّف لابن السيرافى : والرغائب الأشياء التى يرغب فيها . يريد يعطى مايرغب الرجال فى ادّخاره ويحرصون على التمسك به لنفاسته . وأخو خبر مبتدإ محذوف ، أى هو أخو رغائب ، وجملة يعطيها ويسألها مفسّرة لوجه الملابسة فى قوله : أخو رغائب . ويُسألها بالبناء للمجهول : من السؤال ، ويروى موضعه و (يَسلُبها) بالبناء للمعلوم من السلب . والظُّلامة بالضم ، ومثله الظليمة والمظلمة بكسر اللام وضمها ، وهو ماتطلبه عند الظالم ، وهو اسم ما أخذ منك . والنَّوفل : البحر ، والكثير العطاء ، وقال ثعلب : النوفل العزيز الذى ينفل عنه الضيمَ أى يدفعه . والزُّفَر : الكثير الناصرِ والأهلِ والعدةِ . وقال فى الصحاح : هو السيّد ، لأنه يزدفر أى يتحمل بالأموال فى الحَمالات من دين ودية مطيقاً لها ، وأنشد هذا البيت ثم قال : وإنما يريده بعينه[1] ، كقولك لئن لقيتَ فلانا ليلقينك منه الأسد . ومحصل كلامهم أن (من) تجريدية ، والتجريد — كما فى الكشف — هو تجريد المعنى المراد عما قام به ، تصويراً له بصورة المستقل مع إثبات ملابسةٍ بينه وبين القائم به بأداة أو سياق .

وهذا البيت من قصيدة عدة أبياتها أربعة وثلاثون بيتاً لأعشى باهلة ، رثى صاحب الشاهد

(١) انظر الصحاح (زفر) . وعبارته تخالف ما هنا . وانظر ترجمة الصحاح فى كشف الظنون .

بها المنتشِر بن وهبٍ الباهلى ، قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف[١] : «أعشى باهلة يكنى أبا قُحفان ، جاهلى، واسمه عامر بن الحارث ، أحد بنى عامر بن عوف ابن وائل بن معن ؛ ومعن أبو باهلة ، وباهلة امرأة من همْدان . وهو الشاعر المشهور صاحب القصيدة المرثية فى أخيه لأمّه : المنتشر » انتهى .

٩١

ترجمة المنتشر

والمنتشر هو كما قال أبو عبيدة : ابن وهب بن سلَمة بن كَرَاثة[٢] بن هلال بن عمرو بن سلامة بن ثَعلبة بن وائل بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان . وكان المنتشر رئيساً فارساً . وكان رئيس الأبناء[٣] يوم أرمام ، وهو أحد يومى مُضَر فى اليمن ، كان يوماً عظيما قتل فيه مُرّة بن عاهان ، وصَلاءة بن العنبر ، والجوح ، ومعارك .

وقال الأصمعى : المنتشر هو ابن هُبيرة بن وهب بن عوف بن حارث بن ورقة بن مالك .

قال السيد المرتضى فى أماليه المسماة (غرر الفوائد ودرر القلائد)[٤] : « وهذه القصيدة من المراثى المفضلة المشهورة بالبراعة والبلاغة » قال : « وقد رُويت أنّها للدعجاء أخت المنتشر ، وقيل لليلى أخته » قال : « ومن هنا اشتبه الأمر على عبد الملك بن مروان فظنّ أنها لليلى الأخيلية » .

وينبغى أن نورد هذه القصيدة مشروحة لأمور : منها أنها نادرة قلّما توجد ، ومنها أنهـا جيدة فى بابها ، ومنها أن كثيراً من أبياتها شواهد فى كتب العلماء .

---

(١) المؤتلف والمختلف ص ١٤ . والنص هنا أوفى مما هناك .

(٢) من الكراث ، كسحاب ، وهى ضرب من النبات جبلى يستمشون بلبنه . وانظر اللسان (كرث) .

(٣) الأبناء : م أبناء عسكر الفرس الذين أعانوا سيف بن ذى يزن على الحبشة . وفى ط : « الأنباء » صوابه فى سه .

(٤) أمالى المرتضى ٢ : ٢٤ .

ونورد أولا خبر المنتشر ، حتّى يظهر بناء القصيدة عليه . وكان من حديثه على ماروواه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب فى روايته ديوان الأعشى قال : « خرج المنتشر بن وهب الباهلى يريد حجّ ذى الخلَصة ، ومعه غِلمة من قومه ، والأقيصر بن جابر أخو بنى فرّاص — وكان بنو نفيل بن عمرو بن كلاب أعداء له — فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن كعب ، وطريقُه عليهم — وكان من حجّ ذا الخلصة أهدى له هَدياً يتحرّم به ممن لقيه — فلم يكن مع المنتشر هَدىٌ ، فسار حتّى إذا كان بهضب النِّباع انكسر له بعضُ غلمته الذين كانوا معه فصعِدوا فى شعب من النّباع ، فقالوا فى غار فيه ؛ وكان الأقيصر يتكهّن ، وأنذر بنو نفيل بالمنتشر بنى الحارث بن كعب ، فقال الأقيصر : النَّجاء يامنتشر فقد أُتيتَ ! فقال : لا أبرح حتى أبُرد[1] . فمضى الأقيصر وأقام المنتشر وأتاه غِلمته بسلاحه ، وأراد قتالهم فأمّنوه ؛ وكان قد أسر رجلا من بنى الحارث بن كعب يقال له هند بن أسماء ابن زنباع ، فسأله أن يَفدىَ نفسه فأبطأ عليه فقطع أنملة ، ثم أبطأ فقطع منه أخرى ، وقد أمنه القوم ووضع سلاحه ، فقال : أتؤمنون مقطّعاً ؟ وإلٰهى لأؤمّنه ! ثم قتله ، وقتَل غلمته . انتهى .

وذو الخلصة ، بفتحات الخاء المعجمة واللام والصاد المهملة : الكعبة اليمانية التى كانت باليمن ، أنفذ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبدالله فخرّبها . وقيل هو بيت كان فيه صنمٌ لدوس وخَثعم وبجيلة وغيرهم . كذا فى النهاية لابن الأثير . وفى الصحاح : هو بيت لخثعم كان يُدعى الكعبة اليمانية ، وكان فيه صنم يدعى الخلصة فهدم . وفى شرح البخارى لابن حجر : « ذو الخلصة بفتح الخاء المعجمة واللام بعدها مهملة . وحكى ابن دُرَيد فتح

(١) يقال برد يبرد بردا : مات .

أوله وإسكان ثانيه . وحكى ابن هشام ضمهما ، وقيل بفتح أوله وضم ثانيه ، والأول أشهر . والخلصة : نبات له حبٌّ أحمر كخرز العقيق ، وذو الخلصة : اسم البيت الذى كان فيه الصنم ، وقيل اسم البيت الخلصة واسم الصنم ذوالخلصة وحكى المبرد أن موضع ذى الخلصة صار مسجداً جامعاً لبلدة يقال لهاالعبلات[1] من أرض خثعم ، ووهم من قال إنَّه كان فى بلاد فارس ». انتهى .

٩٢٠ ورأيت فى كتاب الأصنام لابن الكلبى : أن ذا الخلصة « كان مروةً بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج ، وكانت بتبالة بين مكة واليمن مسيرةَ سبع ليال من مكة ، وكان سدنتَها بنو أمامة من باهلة بن أعصر ،وكانت تعظّمها وتهدى لها خثعم وبجيلة وأزد السّراة[2] ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن ، وفيها يقول خِداش بن زهير العامرى لعَثعث بن وحشىّ[3] فى عهدٍ كان بينهم فغدر بهم :

وذكّرته بالله بينى وبينه ... وما بيننا من هذه لو تذكّرا

وبالمروة البيضاء يوم تَبالة ... ومحبسة النعمان حيث تنصّرا

فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت العرب ، ووفدت عليه وفودها ، قدم عليه جرير بن عبد الله مسْلماً : فقال له : يا جرير ألا تكفينى ذا الخلصة ؟ فقال : بلى ! فوجّهه إليه ، فخرج حتى أتى أحمس من بَجيلة فسار بهم إليه . فقاتلته خثعم وباهلة دونه ، فقتل من سدنته من باهلة

---

(١) فى معجم البلدان (العبلاء) : « والعبلاء وقيل العبلات : بلد لخثعم كان بها ذو الخلصة ، بيت وصنم لهم ».وفى ط : « العيلات » ، صوابه بالباء الموحدة كما فى سه .

(٢) ط : « بوادى الصراة » ، وأثبت ما فى سه والأصنام ٣٥ .

(٣) ط : « لعقبة بن وحشى » ،صوابه فى سه مع أثر تصحيح ، ومن الأصنام وياقوت .

يومئذ مائة رجل ، وأكثر القتلَ فى خثعم وقتل مائتين من بنى قُحافة بن عامر ابن خثعم ، فظفر بهم وهزمهم ، وهدم بنيان ذى الخلصة ، وأضرم فيه النار فاحترق . وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تَبالة . وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تذهب الدُّنيا حتى تصطكّ ألَيات نساء دَوس على ذى الخَلصة ، يعبدونه كما كانوا يعبدونه[1] » . انتهى .

والقصيدة هذه :

(إنى أتتنى لسانٌ لا أُسَرّ بها   من عَلْو لا عجبٌ منها ولا سَخَرُ)

هذا البيت أورده الشارح المحقق ، فى الظروف ، على أن علو روى بضم الواو وكسرها وفتحها .

واستشهد به صاحب الكشاف على أن اللسان فى قوله تعالى : « وجَعَلْنا لهم لسانَ صِدْق عَلِيًّا[2] » أطلق على ما يوجد بها من العطية . واللسان هنا بمعنى الرسالة ، وأراد بها نعى المنتشر ، ولهذا أنّث له الفعل ، فإنه إذا أريد به الكلمة أو الرسالة يؤنث ويجمع على ألسُن ، وإذا كان بمعنى جارحة الكلام فهو مذكر ويجمع على ألسنة . روى ثعلب :

إنى أُتيت بشىء لا أُسَرّ به   من علوَ لا عجب فيه ولا سَخَرُ

وروى أبو زيد فى نوادره :

إنى أتانىَ شىء لا أُسرُّ به   من عَلُ لا عَجَب فيه ولا سخر

قال : ويروى من عُلو وسخر بضمتين . قال فى الصحاح : « وعلو مثلث الواو ، أى أتانى خبر من أعلى نجد » .وقال أبو عبيدة: أراد العالية .وقال ثعلب

(١) انظر الحديث رقم ٩١٩ من الألف المختارة من صحيح البخارى .

(٢) الآية ٥٠ من سورة مريم .

أى من أعالى البلاد . ويقال من علو بتثليث الواو ومن عل بكسر اللام وضمها ، ومن علا ، ومن أعلى ، ومن مَعال . وقوله (لا عجب) الخ ، أى لا أعجب منها ، وإن كانت عظيمة ، لأن مصائب الدنيا كثيرة ؛ (ولا سخر) : بالموت ، وقيل معناه لا أقول ذلك سخرية ، وهو بفتحتين وبضمتين : مصدر سخر منه كفرح وسخرا بضمتين ومسخرا : استهزأ به .

(فظَلتُ مكتئباً حرّانَ أندُبه ... وكنت أحذره لو ينفع الحذرُ)

٩٢ وروى : وكنت ذا حذر .

(فجاشتِ النفسُ لمّا جاء جمْعُهم ... وراكبٌ جاء من تَثليثَ معتمِرُ)

فى الصحاح : « جاشت نفسه أى غثت ، ويقال دارت للغثيان . فإن أردت أنها ارتفعت من حزن أو فزع قلت جشأت ، بالهمز » . وروى بدل جمعهم أى الذين شهدوا مقتله : (فَلّهم) بفتح الفاء وتشديد اللام ؛ يقال جاء فلّ القوم أى منهزموهم ، يستوى فيه الواحد والجمع ، وربّما قالوا : فلول وفِلال . وتثليث بالمثلثة : اسم موضع[1] . ومعتمر صفة راكب بمعنى زائر ، ويقال من عمرة الحج .

(يأتى على الناس لا يَلوِى على أحدٍ ... حتّى التقينا وكانت دوننا مضرُ)

فاعل يأتى ضمير الراكب . ويلوى : مضارع لوى بمعنى توقف وعَرّج ، أى يمر هذا الراكب على الناس ولم يعرِّج على أحد حتى أتانى ؛ لأنى كنت صديقه . ودون بمعنى قُدّام .

(إنّ الذى جئتَ من تثليثَ تندُبه ... منه السَّماحُ ومنه النَّهى والغِيرُ)

أى فقلت لهذا الراكب : إن الذى جئت الخ ، يقال ندب الميت من باب

---

(١) موضع بالحجاز قرب مكة ، كما فى معجم البلدان .

نصر : بكى عليه وعدّد محاسنه . وجملة « منه السماح » الخ خبر إن . والنهى : خلافُ الأمر . والغِير ، بكسر المعجمة وفتح المثناة التحتية : اسم من غيرت الشيء فتغير ، أقامه مقام الأمر .

(ينعَى امرأً لا تُغِبّ الحيَّ جَفنته ُ إذا الكواكب أخطا نوءها المطر)

النعى : خبر الموت ، يقال نعاه ينعاه . قال الأصمعى : كانت العرب إذا مات ميت له قدرٌ ركب راكب فرسا وجعل يسير فى الناس ويقول : نَعاءِ فلاناً . أى انعه وأظهر خبر وفاته ؛ وهى مبنية على الكسر . ولا يغبّ : هو من قولهم فلانٌ لا يُغِبّنا عطاؤه ، أى لا يأتينا يوما دون يوم ، بل يأتينا كل يوم. والجفنة : القصعة . وأخطاه كتخطاه : تجاوزه . والنوء : سقوط نجم من المنازلْ فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبِه من المشرق يقابله من ساعته فى كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوما ، وهكذا كل نجم إلى انقضاء السنة.وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها . يريد أن جفانه لا تنقطع فى القحط والشدة :

(ورَاحت الشَّولُ مغبرًّا منا كبُها شُعثا تغيّر منها النَّيّ والوبرُ)

معطوف على مدخول (إذا) . فى القاموس : « الشائلة من الإبل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجفّ لبنها ، والجمع شَول على غير قياس » . وفى النهاية : الشول مصدر شال لبن الناقة أى ارتفع ، وتسمى الناقة الشَّول أى ذات شَول ، لأنه لم يبق فى ضرعها إلاّ شَول من لبن أى بقية ، ويكون ذلك بعد سبعة أشهر من حملها[1] .وروى (مباءتُها) أى مَراحُها ، بدل منا كبها . و (مغبرّا) يعنى من الرّياح والعَجاج . والنَّىُّ بفتح النون : الشحم ،

(١) فى النقل من النهاية بعض التصرف .

ومصدر نوت الناقة تنوى نواية ونيّا إذا سمنت ، يريد أن الجدب وقلة المرعى خشّن لحمها وغيّره .

(وألجأ الـكلبَ مبيَضُّ الصقيع به وألجأ الحىَّ من تَنفاحِهِ الحُجَرُ)

معطوف أيضا على مدخول إذا . وألجأ : اضطرّ ، ويروى : (أجحر) يقال أجحرته أى ألجأته إلى أن دخل جحره . والصّقيع : الجليد . وتنفاحه : ضربه ، ٩٤ وهو مصدر نفحت الريح ، إذا هبّت باردة ، والضمير للصقيع ، والباء فى به بمعنى على ، والضمير للـكلب . والحُجَر بضم الحاء وفتح الجيم : جمع حجرة بالضم : الغرفة ، وحظيرة الإبل من شجر . يقول : هو فى مثل هذه الأيام الشديدة يطعم الناس الطعام .

(عليه أوّلُ زادِ القوم قد علموا ثم المطىُّ إذا ما أرملوا جُزُرُ)

يعنى أنه يرتّب على نفسه زاد أصحابه أوّلا ، وإذا فنى الزاد نحرَ لهم . وأرمل الرجلُ : نفد زاده . والمطىّ : جمع مطية ، وهى الناقة . والجزر بضمتين : جمع جَزور ، وهى الناقة التى تنحر ، وروى بفتحتين : جمع جَزرة ، وهى الناقة والشاة تذبح .

(قد تَـكظِم البُزْلُ منه حين تبصره حتّى تقطَّعَ فى أعناقها الجِرَرُ)

ويروى :

* وتفزع الشول منه حين يفجؤها *

يقال : كظم البعير بالفتح يكظم بالـكسر كظوما ، إذا أمسك عن الجرّة . وقيل : الـكظم : أن لايجترّ لشدة الفزع إذا رأت السيف : والبزل : جمع بازل ، وهو الداخل فى السنة التاسعة . والجِرر : جمع جرة بكسر الجيم فيهما ، وهى ما يخرجه البعير للاجترار . يقول : تعوّدت الإبل أنه يَعقِر منها ، فإذا

رأته كظمت على جرّتها فزعا منه . وتَقطع فعل مضارع منصوب بأن[١]

(أخو رغائبَ يعطيها ويُسألها   يأبى الظُّلامةَ منه النوفلُ الزُّفر
لم تر أرضاً ولم تسمع بساكنها   إلاّ بها من نوادِى وقعه أثر)

نوادى كل شيء بالنون : أوائله وما ندر منه ، واحدُه نادية ، ومنه قولهم : لا يندك منى سوء أبدا ، أى لا يندر إليك . والوقع : النزول .

(وليس فيه إذا استنظرته عجلٌ   وليس فيه إذا ياسرته عَسَرُ
وإنْ يُصبْك عدوٌّ فى مناوَأة   يوما فقد كنت تَستعلى وتنتصِر)

ويروى : « فقد كان يستعلى وينتصر » . المناوأة : المعاداة ، يقال ناوأت الرجل مناوأة . وقيل هى المحاربة ، ناوأته أى حاربته . قال الشاعر :

إذا أنت ناوأت القرون فلم تنؤ   بقرنين عَزّتك القرونُ الكوامل[٢]

(من ليس فى خيره مَنٌّ يكدّره   على الصديق ولا فى صفوه كدر
أخو شُرُوب ومكسابٌ إذا عَدِموا   وفى المخافة منه الجدُّ والحذر)

الشُّروب : جمع شَرب وهو جمع شارب ، كصحب جمع صاحب . ويروى (أخو حروب) . والمكساب : مبالغة كاسب . والعُدم : الفقر ، وفعله من باب فرح .

(مِردَى حروبٍ ونورٌ يستضاء به   كما أضاء سوادَ الظلمة القمر)

المردى بكسر الميم ، قال فى الصحاح « هو حجر يُرمى به ، ومنه قيل للشجاع : إنه لمردى حروب » . ومعناه أنّه يقذف فى الحروب ويرجم فيها . وروى :

---

(١) وحذفت إحدى التاءين فى أول الفعل تخفيفا .

(٢) عزتك : غلبتك . وفى ط : « غرتك » صوابه فى سه .

* كما أضاء سواد الطخية القمر *

الطخية بضم المهملة وسكون المعجمة : الظلمة . والطَّخياء بالمد : الليلة المظلمة . يريد أنه كاملٌ شجاعةً وعقلا ، فشجاعتُه كونه يرمى فى الحروب ، وعقله كون رأيه نوراً يستضاء به ، وهما وصفان متضادان غالبا .

٩٥

(مُهفهَف أهضَم الكَشحين منخرقٌ عنه القميصُ لسير الليل محتَقِرُ)

المهفهف : الخميص البطن الدقيق الخصر . والأهضم : المنضمّ الجنبين . والكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ، وهذا مدحٌ عند العرب ، فإنّها تمدح الهزال والضمر وتذمّ السمن . وفى العباب : ورجل منخرق السربال ، إذا طال سفره فشققت ثيابه . ولسير الليل متعلق بما بعده ، وهذا يدلّ على الجلادة وتحمُّل الشدائد .

(طاوى المَصير على العَزّاء مُنجرِدٍ بالقوم ليلةَ لا ماءٌ ولا شجر)

الطوى : الجوع ، وفعله من باب فرح ، وطوى بالفتح يطوى بالكسر طياً إذا تعمّد الجوع . والمصير : المِعَى الرقيق ، وجمعه مُصران ، كرغيف ورغفان ، وجمع هذا مصارين ، أراد طاوى البطن . والعزّاء بفتح العين المهملة وتشديد الزاى المعجمة : الشدّة والجهد . وقال فى الصحاح : هى السنة الشديدة . والمنجرد : المتشمّر . وقوله « ليلة لا ماءٌ ولا شجر » أى يُرعَى .

(لا يُصعِب الأمرَ إلاّ ريث يركبه وكلَّ أمرٍ سوى الفحشاء يأتمر)

أصعب الأمر : وجده صعباً . وكلّ : مفعول مقدم ليأتمر ، أى يفعل كل خير ولا يدنو من الفاحشة[1] .

---

(١) انظر المواهب الفتحية ٢ : ٢١ .

(لا يهتِكُ السِتر عن أُنثى يُطالعها ولا يُشَدّ إلى جاراته النظرُ)

(لا يتأرّى لما في القِدر يرقُبه ولا يعَضّ على شُرْسوفه الصَّفَرُ)

لا يتأرّى : لا يتحبس ويتلبّث ، يقال تأرى بالمكان ، إذا أقام فيه ، أى لا يلبث لإدراك طعام القدر . وجملة يرقبه حال من المستتر فى يتأرّى ، يمدحه بأنّ همته ليست فى المطعم والمشرب ، وإنما همته فى طلب المعالى ، فليس يرقب نُضج ما فى القدر إذا همّ بأمر له شرف ، بل يتركها ويمضى . والشُرسوف : طرف الضلع . والصَّفَر : دُوَيْبّة مثل الحيّة تكون فى البطن تعترى مَن به شدّةُ الجوع ، قال فى النهاية ، فى حديث « لا عَدوى ولا هامةَ ولا صَفَر » : إنّ العرب كانت تزعم أن فى البطن حيّة يقال لها الصَّفَر تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه ، [وأنّها تعدى[1]] ، فأبطل الإسلام ذلك . وقيل أراد به النبىُّ صلى الله عليه وسلم النسىء الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية : وهو تأخير المحرم إلى صفر ويجعلون صفر هو الشهر الحرام ، فأبطله . انتهى . ولم يرد الشاعر أن فى جوفه صفراً لا يعضُّ على شراسيفه ، وإنما أراد أنه لا صَفَر فى جوفه فيعضّ[2] . يصفه بشدة الخلق وصحة البنية .

(لا يَغمِز الساقَ من أينٍ ولا وَصبٍ ولا يزال أمامَ القوم يَقتفِر)

لا يغمز الساق : لا يجُسّها[3] يصف جَلَده وتحمله للمشاق . والأين : الإعياء . والوصب : الوجع والاقتفار بتقديم القاف على الفاء : اتّباع الآثار . فى الصحاح : وقفرت أثره أقفره بالضم ، أى قفوته ، واقتفرت مثله . وأنشد هذا

(١) التكلة من النهاية .

(٢) ومثله فى هذا قول ابن احمر .

* ولا ترى الضب بها ينجحر *

أى ليس بها ضباب تنجحر . وانظر الخزانة ٤ : ٢٧٣ .

(٣) ط : « لا يجبها » ، صوابه فى ش .

٦٩ البيت . ورواه أبو العباس فى شرح نوادر أبى زيد[١] (يُقتفر) بالبناء للمجهول ، ومعناه أنه يفوت الناس فيتبع ولا يُلحق .

(لا يأمنُ الناسُ مُمساه ومُصبَحه فى كل فَجّ وإن لم يَغزُ يُنتظرُ)

أى لا يأمنه الناس على كلّ حال سواء كان غازياً أم لا ، فإن كان غازياً يخافون أن يغير عليهم ، وإن لم يكن غازياً فإنهم فى قلق أيضاً ، لأنهم يترقبون غزوه وينتظرونه .

(تَكفيه حُزّة فِلذانٍ ألمَّ بها من الشِّواءِ ويُروى شُربَهَ الغُمَر)

الحُزّة بضم الحاء المهملة وتشديد الزاى المعجمة : قطعة من اللحم قطعت طولا . والفِلذان : جمع فِلذ. بكسر الفاء فيهما : القطعة من الكبد واللحم. وألمّ بها : أصابها ، يعنى أكلها. والغُمر بضم الغين المعجمة وفتح الميم : قدَح صغير لا يروى .

(لا تأمنُ البازلُ الكَوماء عَدوتَه ولا الأمونُ إذا ما اخرَوَّطَ السّفَر)

البازل : البعير الذى فطر نابُه بدخوله فى السنة التاسعة ، ويقال للناقة بازل أيضاً يستوى فيه الذكر والأنثى . والكوماء بالفتح : الناقة العظيمة السَّنام . والعَدوة : التعدّى ، فإنه ينحرها لمن معه سواء كانت المطية مسنة كالبازل ، أو شابةً كالأمون ، وهى الناقة الموثّقة الخَلق يؤمن عثارها وضعفها . واخروّط: امتدّ وطال .

(كأنَّه بعد صدق القوم أنفسَهم باليأس تلمع من قدّامه البُشُر)

لمع : أضاء . والبُشر بضمتين : جمع بشير ، يقول : إذا فزع القوم وأيقنوا بالهلاك عند الحروب أو الشدائد فكأنه من ثقته بنفسه قدّامَه بشيرٌ يبشّره

---

(١) نوادر أبى زيد ص ٧٦ ، وهى إحدى روايتين فيه .

بالظفر والنجاح ، فهو منطلق الوجه نشيط غير كسلان . قال السيد المرتضى فى أماليه[١] : « قال المبرد لا نعلم بيتا فى يمن النقيبة وبركة الطلعة أبرع من هذا البيت » .

(لا يُعجل القومَ أن تغلى مراجلُهم   ويُدلج الليلَ حتّى يفسحَ البصَرُ)

يريد أنّه رابط الجأش عند الفزع ، لا يستخفه الفزع فيعجل أصحابه عن الاطِّباخ . وقوله : حتى يفسح البصر ، أى يجد متسعاً من الصبح ، وقيل معناه ليس هو شَرِهاً يتعجّل بما يؤكل . والمراجل : القدور ، جمع مرجل .

(عِشنا به حِقبة حيّا ، ففارقَنا   كذلك الرمح ذُو النصلين ينكسر)

وروى :   * عشنا بذلك دهراً ثم ودّعنا *

والنصلان هما : السِّنَانُ وهى الحديدة العليا من الرمح ، والزُّجّ ، وهى الحديدة السفلى ، ويقال لهما الزُّجّان أيضاً . وهذا مثل ، أى كل شىء يهلك ويذهب .

(فإن جَزِعنا فقد هَدّت مُصابَتُنا   وإنْ صبرنا فإنّا مَعشرٌ صُبُر)

المصابة بضم الميم بمعنى المصيبة ، يقال : جبر الله مصابته ، وهو فاعل والمفعول محذوف أى قُوَانا . والصُّبُر بضمتين : جمع صَبور ، مبالغة صابر .

(أصبتَ فى حَرَم منّا أخا ثِقة   هِندَ بنَ أسماء لايَهنِى لك الظفَر)

خاطبَ قاتل المنتشر هندَ بن أسماء ، وأراد بالحرم ذا الخَلَصة ، ثم دعا عليه . والتهنئة : خلاف التعزية .

٩٧

(لو لم تخنه نُفيلٌ وهى خائنةٌ   لصبّح القومَ وِرْداً ماله صَدَرُ)

---

(١) أمالى المرتضى ٢ : ٢٣

صبّحه : سقاه الصبوح ، وهو الشرب بالغداة ، أراد أنه كان يقتلهم .

(وأقبل الخيلَ من تثليثَ مُصغِيةً وضمّ أعيُنَها رَغوان أو حَضَرُ)

أقبل الخيلَ : جعلها مقبلة . ومصغية : مائلة نحوكم . ورَغوان وحَضر : موضعان . أى كانت تأتى خيله عليكم فى هذين الموضعين وما كانت تنام فى منزل إلاّ فيهما .

(إذا سلكتَ سبيلاً أنت سالكه فاذهبْ فلا يبعدَنْكَ الله منتشرُ[1])

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون :

٢٨ (شُمسِ بن مالكِ)

وهو قطعة من بيت وهو :

(إنى لَمُهْدٍ من ثنائى وقاصدٌ به لابن عمّ الصّدق شُمسِ بن مالكِ)

على أنه مصروف مع أنه معدول عن شَمس بالفتح . وعليه اقتصر فى باب العلم . وإنما صرف لكونه لم يلزم الضم فإنّه سمع فيه الفتح أيضاً ، فلما لم يلزم الضم لم يُعتبر عدله ، ولو لزم الضمّ لصُرف أيضاً لأنه يكون حينئذ منقولا من جمع شموس ، لا معدولا من شَمس بالفتح .

وقد تبع الشارحُ المحقق فى رواية الضم والفتح شراحَ الحماسة ، منهم ابن جنّى فى إعرابها فإنه قال : « أما من روى شمس بفتح الشين فأمره واضح كما يسمّى ببدر ونحوه ، ومن رواه شُمس بضم الشين فيحتمل أن يكون جمع شموس ، سُمّى به ، من قول الأخطل :

---

(١) فى الأصمعيات ٩٢ : « إما سلكت سبيلا كنت سالكها » . وفى جمهرة أشعار العرب ١٣٧ : « فإن سلكت سبيلا كنت سالكها » .

شُمسُ العداوة حتّى يُستقاد لهم   وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدَروا[1]

ويجوز أن يكون ضم الشين على وجه تغيير الأعلام ، نحو : مَعديكرِب وثَهلَل ومَوهَبٍ ، ومَوظب ، ومَكوْزة ، وغير ذلك مما غيّر فى حال نظائره لأجل العلمية الحادثة فيه ؛ وليس فى كلام العرب شمس إلاّ هذا الموضع[2] اهـ .

وفيه نظر ، فإنّ شُمساً فى هذا البيت مضموم الشين لاغير ، وإنّ المضموم غير المفتوح ، كما فصّله الحسن العسكرى فى كتاب التصحيف . فإنه قال بعد ما أورد هذا البيت : « شُمس مضموم الشين : بطن من الأزد من مالك بن فَهم . وكل ماجاء فى أنساب اليمن فهو شُمس بالضم ، وكل ماجاء فى قريش فهو شَمس بالفتح » انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت أول أبيات عشرة لتأبّط شراً ، أثبتها أبو تمام فى أول الحماسة ، قال ابن جنى : « ضمير به عندى راجع إلى موصوف محذوف ، أى ثناء من ثنائى . وراجع عند الأخفش إلى نفس ثنائى ، ومن عنده زائدة ، وسيبويه لايرى زيادتها فى الواجب » انتهى . فعلى الأول يكون ما أهدى محذوفاً ، وعلى الثانى مذكوراً ، واللام فى قوله : (لابن عم) متعلقة بقاصد عند البصريين ، يقال قصدته بكذا وقصدت له به ، قال فى العباب : كلُّ ما نسب إلى الصلاح والخير أضيف إلى الصدق فقيل رجل صدقٍ ، وصديقُ صدقٍ .

وتأبّط شراً تقدمت ترجمته فى الشاهد الخامس عشر[3] .

---

(١) ديوان الأخطل ١٠٤ واللسان (شمس) .

(٢) فى القاموس : « الضلال بن ثهلل ممنوعا — كجعفر وقنفذ وجندب : الذى لا يعرف . وكجعفر : موضع قرب سيف كاظمة » . وفيه : « وموظب كمقعد : موضع قرب مكة » . وقال الميدانى : « ثهلل أعجمى فى الأصل ، فلذا منع من الصرف » .

(٣) انظر ما سبق فى ص

ترجمة الحسن العسكرى ٩٨

وأما (مصنف كتاب التصحيف) فهو أبو أحمد الحسن بن عبد الله ابن سعيد بن إسماعيل العسكرى ، ولد يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، ومات يوم الجمعة لسبع خلون من ذى الحجة من سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . قال أبو طاهر السِّلَفى : إنّ أبا أحمد هذا كان من الأئمة المذكورين بالتصرُّف فى أنواع العلوم ، والتبحر فى فنون الفهوم ، ومن المشهورين بجودة التأليف وحسن التصنيف ، ومن جملته : كتاب صناعة الشعر . كتاب الحكم والأمثال . كتاب التصحيف. كتاب راحة الأرواح . كتاب الزواجر والمواعظ . كتاب تصحيح الوجوه والنظائر .

وكان قد سمع ببغداد والبصرة وأصبَهَان[1] وغيرها من شيوخ : منهم أبو القاسم البغوىّ ، وابن أبى داود السجستانى ، وأكثرَ عنهم ، وبالغ فى الكتابة ، وبقى حتى علا به السنّ واشتهر فى الآفاق بالرواية والإتقان ، وانتهت إليه رياسة التحديث والإملاء والتدريس بقُطر خُوزِستان[2] ورحَل الأجلّاء إليه للأخذ عنه والقراءة عليه . نقلته مختصرا من معجم الأدباء[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون :

٢٩ (وهُمُ قُرَيشُ الأكرمون إذا انتَمَوا
طابوا فُروعا فى العُلا وعُروقا)

على أن (الأب) ربَّما جعل مؤوّلا بالقبيلة فمنع الصرف ، كما منع قريش الصرف لتأويله بالقبيلة . والأكرمون صفة قريش .

(١) أصبهان بفتح الهمزة ، وقد تكسر ، وممن كسرها السمعانى وأبو عبيد البكرى. انظر معجم البلدان . وفى القاموس : « وقد تبدل باؤها فاء » .
(٢) ط : «خورستان» ، صوابه بالزاى ، كما فى ش .
(٣) معجم الأدباء ٨ : ٢٣٣ — ٢٦٧ .

ومثله لعديّ بن زيد بن الرِقاع العاملي[1] يمدح الوليد بن عبدالملك :

غَلب المساميحَ الوليدُ سماحةً وكفى قريشَ المعضلاتِ وسادَها

والمساميح : جمع سَمح على خلاف القياس . وقوله إذا انتموا : يقال انتمى إلى أبيه : انتسب ، ونميته إلى أبيه نَميا : نسبته

اشتقاق قريش

فى العباب : قال ابن دريد : كثر الكلام فى قريش ، فقال قوم : سمِّيت قريش بقريش بن مَخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عِيرهم فكانوايقولون: قدِمت عير قريش وخرجت عير قريش ، وقال قوم : سمِّيت قريشا لأن قُصَيّا قرَشها أى جمعها ، فلذلك سمى قصىٌّ مجمّعا . قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب :

أبونا قُصىّ كان يُدعَى مجمِّعا به جمع الله القبائلَ من فِهر

وقال الليث : قريش قبيلة ، أبوهم النّضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر ، فكلٌّ من كان من ولد النضر فهو قرشىّ دونَ ولد كنانة ومن فوقه . وقال صاحب العباب : « وينقض هذين القولين قولُ ابن الكلبىّ، لأنه المرجوع إليه فى هذا الشأن ، وهو أن قريشا اسمه فِهر بن مالك بن النضر . وفى تسميته قريشا سبعة أقوال : أحدها سمّوا قريشا لتجمُّعهم إلى الحَرَم . ثانيها : أنهم كانوا يتقرشون البياعات فيشترونها . ثالثها : أنه جاء النضر بن كنانة فى ثوبٍ له ، يعنى اجتمع فى ثوبه فقالوا : قد تقرّش فى ثوبه . رابعها : قالوا : جاء إلى قومه فقالوا : كأنه جمل قَريش أى شديد . خامسها : قول ابن عباس لما سأله عمرو بن العاص : بم سميت قريش ؟ قال :

---

(١) هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع ، وينسب أحيانا فيقال عدى ابن الرقاع نسبة إلى جده الأعلى . انظر الشعر والشعراء ٦٠٠ .

بدابّةٍ فى البحر تسمَّى قريشا لاتدع دابة إلا أكلتها ، فدوابُّ البحر كلها تخافها ، قال المُشَمرجُ[١] بن عمرو الحميرىّ :

وقريش هى التى تسكن البحـــــر بها سمِّيت قريش قريشا[٢]

سادسها : قال عبدالملك بن مروان : سمعت أن قُصَيّا كان يقال له القرَشىّ ، لم يسمَّ قرشىٌّ قبله . سابعها : أنهم كانوا يفتشون الحاجّ عن خَلَّتهم فيسدُّونها » . ٩٩

ويعلم من هذه الأقوال أن كون قريش أبا إنّما هو على القول الثالث والرابع والسادس .

* * *

وأنشد بعده :

(جَذْبَ الصَّرارِيِّينَ بالكرورِ)

على أنَّ جمع التكسير لايمتنع جمعه جَمعَ سلامة ؛ فإنّ الصرارى جمع صُرّاء وهو جمع تكسير ، وقد جمع على الصراريين جمع سلامة . وتقدم مافيه مشروحا فى الشاهد الحادى والعشرين فراجعه[٣]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون : وهو من شواهد س[٤] :

٣٠ (وإذا الرِّجالُ رأوا يزيدَ رأيتَهم
خُضعَ الرقابَ نواكسى الأبصارِ)

---

(١) ط : « المشمرخ » ، صوابه فى سـ . وانظر القاموس (شمرج) .
(٢) ورد البيت فى النسختين على هيئة المنثور . وانظر اللسان (قرش ٢٢٦) .
(٣) انظر ما مضى فى ص
(٤) سيبويه ٢ : ٢٠٧ .

على أن جمع التكسير نحو نواكس لايمتنع جمعه جمع سلامة كنَنوا كِسِين ، كما ذكره أبو على فى (الحجة) .

أقول : ذكره أبو على فى (إعراب الشعر) أيضاً . واعلم أنّ الكلام على هذه الكلمة من ثلاثة وجوه :

(أحدها) : أن نواكس جمع ناكس وهو المطأطىء رأسه ؛ وفاعلٌ إذا كان اسما نحو كاهل ، أو صفة مؤنث سواء كان ممن يعقل نحو حائض أو ممن لايعقل نحو ناقة حاسر: إذا أعيت،أو صفة مذكر غير عاقل نحو صاهل — يجمع قياسا على فواعل ، تقول : كواهلُ وحوائض وحواسر وصواهل . أما إذا كان صفة لمذكر عاقل لايجمع على فواعل ، وقد شذت ألفاظ خمسة : وهى ناكس ونواكس ، وفارس وفوارس نحو :

* لولا فوارس من نُعم وأسرتهم *

وهالك وهوالك قالوا : « هالك فى الهوالك » ، وغائب وغوائب ، وشاهد وشواهد ، قال عتبة بن الحارث لَجزء بن سعد :

أحامِى عن ديار بنى أبيكم ومثلى فى غوائبكم قليلُ

فقال له جَزء : نعم ، وفى شواهدنا ! فجمع (عتبة) غائبا على غوائب ، وجمع (جَزء) شاهداً على شواهد . وقد وجهت بتوجيهات :

أما الأول فقد حمله سيبويه على اعتبار التأنيث فى الرجال ، قال : لأنك تقول هى الرجال كما تقول هى الجمال . فشبّهه بالجمال . ومنه أخذ أبو الوليد فقال فى شرح كامل المبرّد : هذا مخرج على غير الضرورة ، وهو أن تريد بالرجال جماعات الرجال ، فكأنه جماعات نواكس وواحده جماعة ناكسة ، فيكون مقيساً جاريا على بابه كقائلة وقوائل . ووجهه ابن الصائغ على أنّه صفة للأبصار

من جهة المعنى ، لأن الأصل قبل النقل قبل النقل نواكسَ أبصارُهم ، والجمع فى هذا قبل النقل سائغ لأنه غير عاقل ، فلما نقل تركوا الأمر على ما كان عليه لأن المعنى لم ينتقل .

وأما الثانى فقالوا : إنه من الصفات التى استعملت استعمالَ الأسماء فقرب بذلك منها ، ولأنه لا لَبس فيه ، لما ذكر سيبويه من أن الفارس فى كلامهم لا يقع إلا للرجال .

وأما الثالث فوجهه أنّه جرى عندهم مجرى المثل ، ومن شأن الأمثال أن لا تغير عن أصلها .

وأما الرابع والخامس فوجههما يعلم مما وجه به الشَّلوبين هوالك ونواكس ، ١٠٠ فإنه يجرى فى جميع ما جاء من هذا ؛ وهو قوله : قد عُرف بقولهم أولا « هالك » أنه إنما يريد المذكر ، وكذلك بقوله « وإذا الرجالُ رأوا بزيد » قال : فصار ذلك مما تقدم ذكره من قولهم فارس فى الفوارس وإن لم يكن مثله فى الجملة ، لأن المعنى الذى يتضمنه نواكس يصلح للمذكر والمؤنث ، والمعنى الذى يتضمنه الفوارس لا يصلح إلا للمذكر . هذا قوله ، وهو جارٍ فى الأخيرين ، لأنه إنما يريد فيمن غاب (من رجالكم) ، ولم يرد أنّ مثله فى (نسائهم) قليل ، فعين أنه يريد المذكر من جهة قصده فصار كالفوارس .

قال الشاطبى فى شرح الألفية : « وطريقة المبرد فى جميع ما جاء شاذا من هذا النوع : أنّ فواعل هو الأصل فى الجميع ، وإنما مَنع منه خوف اللبس ، فإذا اضطروا راجعوا الأصل كما يراجعونه فى سائر الضرورات وكذلك حيث أمنوا الإلباس » اهـ . قال المبرد فى الكامل[1] ، بعد ما أورد بيت الشاهد :

(١) الكامل ٢٦٢ برواية : « فإذا الرجال » .

« وفى هذا البيت شىء يستطرفه النحويون ، وهو أنّهم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتاً على فواعل لئلا يلتبس بالمؤنث ، لا يقولون ضارب وضوارب ، لأنهم قالوا ضاربة وضوارب . ولم يأت هذا إلا فى حرفين : أحدهما « فارس » لأن هذا مما لا يستعمل فى النساء فأمنوا الالتباس . ويقولون فى المثل : « هو هالك فى الهوالك » فأجروه على أصله لكثرة الاستعمال ، لأنه مثل ، فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال : « نواكسى الأبصار » ولا يكون مثل هذا أبداً إلا ضرورة » اهـ .

وفيه أنه كان ينبغى أن يقيد النعت بمن يعقل ولكنّه أطلق لشهرته ، وفيه أيضاً أن المسموع خمسة لا ثلاثة كما تقدم[1] .

ثم رأيت فى شرح أدب الكاتب للجواليقى زيادة على هذه الخمسة ، وهى : حارس وحوارس ، وحاجب وحواجب من الحجابة ، نقلهما عن ابن الأعرابى ، ثم قال : ومن ذلك ما جاء فى المثل « مع الخواطىء سهمٌ صائب » . وقولهم : « أمَا وحواجّ بيت الله ودواجّه » جمع حاجّ وداجّ ، والداجّ : الأعوان والمُكَارُون . وحكى المفضل رافد وروافد ، وأنشد :

* إذا قلّ فى الحىّ الجميعِ الروافدُ *

فالجميع إحدى عشرة كلمة .

(الوجه الثانى) أن المشهور فى رواية هذه الكلمة (نواكسَ) بدون جمعها جمعَ سلامة ، وبه استشهد س وصاحب الجمل وقالا : كان القياس أن يجمع ناكس على أنكاس أو نكّس ، وكأنه حمله على تأنيث الجمع . وقد رواها جماعة جمعها بجمع السلامة ، قال ابن السيد فى شرح كامل المبرد : وهذا أطرف

(١) انظر ليس فى كلام العرب ص ٧٥ .

وأغرب من جمع ناكس على نواكس فإنّه غريب جدّا ، لأن الخليل يرى أن هذا البناء نهاية الجمع . وقال فى شرح أبيات الجمل : ولما كان الجمع الذى ثالثه ألف وبعده حرفان أو ثلاثة لا يتهيأ تكسيره لأنه نهاية التكسير وأريد جمعه لم يكن ذلك إلاّ بأن يجمع جمع سلامة ، لأنه لا يغير الاسم عن لفظه .
قال الچاربَردى فى شرح الشافية ، بعد ما قال ابن الحاجب « وقد يجمع الجمع » : أى جمع تكسير وجمع تصحيح بالألف والتاء . وأفاد بقد أنه لا يطَّرد قياسا لكنه كثير فى جمع القلة ، قليل فى جمع الكثرة إلا بالألف والتاء .

(الوجه الثالث) أنَّه يتراءى فى ظاهر الأمر تدافعٌ بين هذا الوزن من جمع التكسير وبين جمع التصحيح ، فإن الأول موضوع للكثرة والثانى للقلة .

١٠١ وقد سأل ابن جنى فى إعراب الحماسة عن هذا فقال « فإن قلت : فقد قالوا :

* فهنّ يعلكن حدائداتها(1) *

وقالوا : * قد جرت الطير أيامنينا(2) *

وقالوا : صَواحبات يوسف ، ومَواليات العرب ، وقال الفرزق :

* خُضَع الرقابِ نواكسى الأبصار *

فيمن رواه بالياء ففى هذا على قولك اجتماع الضدين وهو دلالة المثال علىّ الكثرة مع جمعه بالواو والنون والألف والتاء ، وكل واحد منهما على ما قدَّمت موضوع للقلة ! وأجاب عنه بقوله « قيل : لا يكون مفيد القلة فى القِلة كأن لا يوجد البتة ، ألا ترى أن نفس نواكس وصواحب يفيد بنفسه مفرد الكثرة ! أفتراه إذا جمع جمع القلة يصيره ذلك أن يكون أقلّ

(1) للأحمر ، فى الخصائص ٣ : ٢٣٦ واللسان (حدد ١١٦) .

(2) الخصائص ٣ : ٢٣٦ واللسان (يمن ٣٥١) والعينى ٢ : ٤٢٥ . ط : « أيامينا » صوابه فى ش والمراجع المتقدمة .

من أن لا يجمع أصلاً ؟ قد كفاه موضوعه للكثرة من احتياجه إلى تثنية فضلا عن جمع قلة ، أو تجاوز به إلى مثال كثرة ؛ كما أنّ المضمر المجرور وإنْ ضعف عن عطف المظهر عليه بغير إعادة حرف جرّ معه ، فإنّه لا يضعف عن توكيده كررت به نفسه ، وذلك أنه لا يبلغ به الضعف أن يكون أقلّ من لا شيء . وأنت لو قلت مررت بنفسه لكان قولاً جائزا . فاعرفْ هذا النحو » . انتهى كلامه .

وهذه عبارة قلقة يتعسر فهم المراد منها فينبغى شرحها .

فقوله : « فنى هذا على قولك اجتماع الضدين الخ » أقول : لا يخفى عليك أن هذا ليس على ظاهره ، بل إنّما هو فى الحقيقة اعتراضٌ بالترديد بين المحذورين ، ذكر أحدهما لظهوره وترك الآخر اعتمادا على فهم من له حظٌّ من قانون المناظرة ؛ وإلاّ فلا يتم التقريبُ أصلا كما لا يخفى . وتقريره أن هذا الجمع جمع القلة يلزم أحد المحذورين : إما اجتماع الضدين على تقدير أن يكون القلة والكثرة موجودتين معا ، أو كون مفيد القلة كان لا يوجد على تقدير إعدام القلة ولم يتعرض لكون مفيد الكثرة كان لا يوجد لأنه لا خفاء فى امتناعه ، ضرورة بقاء الكثرة على حالها بعد أن جمع جمع القلة . وقوله: «قيل لا يكون مفيد القلة فى القلة كأنْ لا يوجد البتة الخ » ظاهره جواب باختيار الشق الثانى ، لكن يحصل منه الجواب باختيار الشقّ الأول أيضا . وتقريره : إنّا لا نسلم لزوم كون مفيد القلة كان لا يوجد على تقدير إعدام القلة ، بل إنما يلزم ذلك أنْ لو كانت القلة منتفية بجميع أنواعها وذلك ممنوع ، لأن وضع لفظ التكسير للكثرة يقتضى انتفاء القلة المباينة لها لا القلة الجامعة معها ، ولا يلزم من انتفاء الأول انتفاء الثانى حتى يكون مفيد القلة كأن لا يوجد . ولا نسلم أيضا لزوم اجتماع الضدين على تقدير وجودهما معا ، بل إنّما يلزم ذلك

أن لو كانت القلة الباقية بعد أن جمع جمع القلة هى القلة المباينة للكثرة المذكورة ، وذلك أيضا ممنوع ، بل مقتضاه اجتماع الكثرة مع القلة الجامعة معها ، ضرورةَ أنّ لفظ القلة يفيد تقليل أفراد مدخولها لا غير ، وهما ليسا بضدّين حتّى يلزم من وجودهما معاً اجتماع الضدين . وقوله « ألا ترى الخ » مع قوله « أفتراه الخ » تنوير لعدم كون مفيد القلة كان لا يوجد . وتقريره : أنك تعرف قطعا أن نفس صواحب وأمثالها يفيد الكثرة بنفسه مفردا ، وتعرف أيضا أن جمعه جمع القلة لا يصيّره إلى أقل من أن لا يجمع ذلك الجمع أى لا يغيره إلى حكم المفرد حتى يكون جمع القلة فى المفردات المباينة لتلك الكثرة . كيف لا ! ولو كان كذلك يلزم انتفاء الكثرة ، مع أن وضعه[1] كاف فى ذلك من غير احتياج إلى تثنية أو جمع قلة أو جمع كثرة . فظهر لك أن ذلك الجمع لإفادة أمر آخر زائد عليه ، وهو تعليل تلك الكثرة فقط ، فلما كانت القلة الجامعة مع تلك الكثرة باقيةً على حالها لم يكن مفيد القلة كان لا يوجد البتة . وقوله: « كما أنّ المضمر المجرور الخ » تنظير لعدم تغيير جمع القلة مع الكثرة ، وتقريره : أنّ امتناع اجتماع الضدين نظيرُ ضعف عطف المظهر على المضمر بغير إعادة الجار ، وجمع القلة فيما نحن فيه نظيرُ تأكيد المضمر بغير إعادة الجار ، فكما أن ضعف العطف المذكور لكونه كالعطف على بعضِ حروف الكلمة لا ينافى جوازَ التأكيد بغير إعادة الجار ، لأنه كنفسه بناء على تغاير المادتين ـ كذلك امتناع اجتماع الضدين لا ينافى جواز جمع التكسير جمعَ القلة لتغاير المادتين ؛ وكما أن التأكيد لا يجعل المضمر أقلَّ من أن لا يؤكّد بل يفيد أمراً زائداً عليه وهو التأكيد ، كذلك الجمع فيما نحن فيه لا يجعل

١٠٢

(١) ط : « وصفه » ، صوابه فى س .

لفظ التكسير أقلُّ من أن لا يجمع ، بل يفيد أمرا زائداً عليه ، وهو تقليلُ الكثرة الحاصلة من الجامعة معه.

والحاصل : أن ماهو لازم ليس بمحذور ، وما هو محذورٌ ليس بلازم ؛ هكذا ينبغى أن يُفْهم هذا المقام .

وقوله (خُضُع الرقاب) حال من مفعول رأيتَهم ، والرؤية بصرية فى الموضعين ، ولا تضر الإضافة فإنها لفظية ، وكذلك نواكسى الأبصار ، لأنّ المعنى خُضُعا رقابُهم نواكسَ أبصارُهم . وخُضُع بضمتين : جمع خَضوع مبالغة خاضع من الخضوع وهو التَّطامن والتواضع ، يقال خضع لغريمِهِ يخضع بفتحهما خضوعاً : ذلّ واستكان ، وهو قريب من الخشوع ، إلاّ أن الخشوع أكثر ما يستعمل فى الصوت والخضوع فى الأعناق ، ولهذا أضافه إلى الرقاب . ويحتمل أن يكون خُضْع بضمة فسكون جمع أخضَع ، وهو الذى فى عنقه تطامن من خلقة ؛ وهذا أبلغ من الأوّل : أى ترى أعناقهم إذا رأوه كأنّها خلقت مُتطامِنة من شدّة تذللهم ؛ و (فُعْل) قياس فى جمع أفعَل وفعلاء صفةً غير تفضيل ، نحو أحمر وحمراء وجمعهما حُمر .

وهذا البيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها آل المهلب ، وخص من بينهم صاحب الشاهد ابنه يزيد ، أولها :

(فلأمدحنّ بنى المهلب مِدحةً … غرّاء ظاهرةً على الأشعارِ[1]
مثل النجوم أمامها قمرٌ لها … يجلو الدجى ويضىء ليلَ السارى
ورِثوا الطعان عن المهلّب والقِرى … وخلائقاً كتدفّق الأنهار
أما البنونَ فإنهم لم يورِثوا … كتُراثه لبنيه يوم فخار)

---

(١) ديوان الفرزدق ٣٧٤ — ٣٧٩ .

إلى أن قال :

(أمّا يزيدُ فإنّه تأبى له نفسٌ موطّنةٌ على المقدار

ورّادة شُعَبَ المنيَّةِ بالقنا فتُدِرّ كلّ مُعانِدٍ نعّارِ

وإذا النفوس جشأن طامن جأشها ثقـةٌ به لحمايةِ الأدبارِ

ملكٌ عليه مهابة الملكِ التقىْ قمـرُ التمام به وشمس نهار

١٠٣ وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم . . . . البيت)

إلى أن قال :

(مازالَ مذ عَقدت يداه إزارَه وسما فأدرك خمسةَ الأشبار

يُدنى خوافقَ من خوافق تلتقى فى كلّ مُعتَبَطِ الغبار مُثار)

قوله : (تأبى له نفس) مفعول تأبى محذوف : أى القعود عن الحروب ونحوه ، وقوله : (موطّنة على المقدار) أى تقول نفسه عند اقتحام المهالك : لايصيبنى إلاّ ماقدّر الله ، والمقدار بمعنى القدَر . وورّادة : مبالغةُ واردة ، صفة نفس . وشُعَب : مفعول ورّادة ، بمعنى فروع المنية وأنواعها ، مستعار من الشُّعَب التى هى أغصان الشجرة ، جمع شعبة . والقنا : جمع قناة وهى الرمح . وتُدر : فاعله ضمير القنا ، من أدرّت الريح السحاب واستدرّته أى استحلبته[1] . وكل : مفعوله . والمعاند : العِرق الذى يسيل ولا يرقأ ، ويقال له عاند أيضاً ، وفعله من باب نصر . والنعّار : بالعين المهملة من نعَر العِرق ينعَر بالفتح فيهما ، أى فار منه الدم ، فهو عرق نعّار ونعور . وجشأن : يقال جشأت نفسه ، إذا ارتفعت من حزن أو فزع . والجأش بالهمز : جأش القلب ، وهو رُواعه إذا اضطرب عند الفزع ، يقال فلان رابط الجأش أى يربط نفسه عن الفرار

(١) ط : « استجلبته » بالجيم ، صوابه فى ش .

لشجاعته . وطأمن : مقلوب طمأن بالهمز فيهما بمعنى سكّن. وثقة فاعله . والتَقَى: فعل ماض . وقمر التمـام فاعله ، يقال قمرُ تمام بفتح التاء وكسرها إذا تم ليلة البدر ، وأما ليل التِّمام فمكسور لاغير ، وهو أطول ليلة فى السنة . وقوله : (مازال مذ عقدت يداه . . إلى آخره) هذا البيت استشهد به النحاة فى عدة مواضع ، منهم ابن هشام أورده فى المغنى شاهداً لإيلاء الجملة الفعلية لمذ ، كما يليها الجملة الاسمية . وأورده أيضاً فى شرح الألفية لقوله (خمسة الأشبار) حيث جرد المضاف من أداة التعريف ، وهو حجة على الكوفيين فى جوازهم[1] الجمع بين تعريف المضاف باللام والإضافة إلى المعرفة ، مستدلين بقول عرب غير فصحاء : « الثلاثة الأبواب » ، والمسموع تجريد الأوّل من أداة التعريف ، كما قال ذو الرُّمة أيضاً :

وهل يَرجع التسليمَ أو يكشفُ العمى ثلاثُ الأثافى والديارُ البلاقعُ

وسما : ارتفع وشبّ ، من السموّ وهو العلوّ ؛ وأدرك بمعنى بلغ ووصل ، وفاعلهما ضمير يزيد . وقوله : خمسة الأشبار ، أراد طول خمسة أشبار بشبر الرجال وهى ثلثا قامة الرجل ، وينسب إليها فيقال: غلام خُماسىّ . قال ابن دريد: غلام خماسىّ قد أيفع . فى الصحاح والعباب : وغلام رباعى وخماسىّ أى طوله أربعة أشبار وخمسة أشبار ، ولا يقال سداسىٌّ ولا سباعىٌّ ، لأنه إذا بلغ ستة أشبار أو سبعة أشبار صار رجلًا . والغلام إذا بلغ خمسة أشبار عندهم تخيَّلوا فيه الخير والشر ، ولهذا قال بعض العرب : أيّما غلام بلغ خمسة أشبار فاتهمتَه قتلته . هذا ماعندى ، وأما الناس فقد اختلفوا فى تفسيره على أقوال :

(أحدها) قال ابن السيد فى شرح شواهد الجمل : « ومعنى فأدرك خمسة الأشبار : ارتفع وتجاوزَ حدَّ الصبا ، لأن الفلاسفة زعموا أن المولود إذا ولد

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « إجازتهم » أو « تجويزهم » .

لتمام مدة الحمل ولم تغيِّره آفة في الرحم فإنه يكون في قدِّه ثمانية أشبار من شبر
١٠٤ نفسه، وتكون سُرّته بمنزلة المركز له، فيكون منها إلى نهاية شقه الأعلى أربعة أشبار بشبره، ومنها إلى نهاية شقه الأسفل أربعة أشبار، ومنها إلى أطراف أصابعه من يده معاً أربعة أشبار، حتى أنه لو رقد على صلبه وفتح ذراعيه ووُضع ضابط في سرته وأدير لكان شبه الدائرة. قالوا: فما زاد على هذا أو نقص فلآفة عرضت له في الرحم، فإنك تجد مَن نصفه الأعلى أطول من نصفه الأسفل ومَن نصفه الأسفل أطول من نصفه الأعلى، ومَن يداه قصيرتان، ومَن يده الواحدة أقصر من الثانية. فإذا تجاوز الصبيُّ أربعة أشبار فقد أخذ في الترقي غاية الكمال». اهـ. وقوله أولاً «ارتفع وتجاوز حدَّ الصبا» شرح به المعنى المراد ولا حاجة بعده إلى نقل كلام الفلاسفة، لأنه خارج عن المقام، بل مفسد لأنه رتب بعده قوله «فإذا تجاوز الصبيُّ أربعة أشبار فقد أخذ في الترقي إلى غاية الكمال» وهذا غير متصوَّر، لأن الطفل الذي تجاوز أربعة أشبار بشبر نفسه لايحسن عقد إزاره فضلاً عن الأخذ في الترقي إلى غاية الكمال، وإنما المعنى تجاوز خمسة أشبار بشبر الرجال، وهي ثلثا قامة الرجل كما ذكرنا.

(ثانيها) أنه أراد بخمسة الأشبار السيف، قال ابن هشام اللخمي في شرح شواهد الجمل: هذا هو الصحيح لأنه منتهى طول السيف، في الأكثر، كما أن منتهى طول القوس ثلاث أذرع وإصبع. قال الراجز:

أرمي عليها وهي فَرعٌ أجمعُ وهي ثلاثُ أذرعٍ وإصبع[1]

وإنما زاد إصبعاً لاختلاف أذرع الناس في الطول والقصر. وربما زادوا شبراً كما قال آخر:

(١) لحميد الأرقط في العيني ٤: ٥٠٤ والخصائص ٢: ٣٠٧ وشرح الجواليقي لأدب الكاتب ٣٥٣.

* وهى ثلاث أذرع وشبر *

وكما أن منتهى طول القناة أحد عشر ذرَاعًا[١] . قال عُتبة بن مِرداس[٢] :

وأسمرَ خطّيــا كأن كعوبه نوى القَسْبِ قد أرمى ذراعاً على العَشر

وقال البحترى أيضاً :

كالرمح أذرعه عشرٌ وواحدة فليس يُزرى به طول ولا قِصرُ

(ثالثها) أنه أراد عصا الخطبة . وهذا غير مناسب لما قبله ولما بعده .

(ورابعها) أنه أراد الخيزُرانة التى كان الخلفاء يحبِسونها بأيديهم . وهذا أيضاً غير مناسب كالذى قبله . على أن (يزيد) ليس خليفة ولا من نسل الخلفاء وأراد هذا القائل الخلفاء الأمويين .

(خامسها) أنه أراد خلال المجد الخمسة : العقل ، والعفة، والعدل، والشجاعة والوفاء . وكانت عندهم معروفةً بهذا العدد ، كذا نقلوه . ولا يخفى أنه لو كان المراد هذا لـبَقِى[٣] ذكر الأشبار لغواً .

(سادسها) أنه أراد بخمسة الأشبار القَبر لأن البيت من مرثيَة ، وهذا باطل لا أصل له ، فإنه من قصيدة فى مدح يزيد بن المهلب ، وكان حياً .

واسم زال ضمير يزيد ، وخبرها البيت الذى بعده ، وهو (يدنى خوافق الخ) وأراد بالخوافق الرايات وهو جمع خافقة ، يقال خفقت الراية بالفتح تخفق بالكسر والضم خَفقاً وخَفَقاناً ، إذا تحركت واضطربت . ومعتبط الغبار بالعين والطاء المهملتين ، هو الموضع الذى لم يُقاتَل عليه ولم يُثَر فيه غبار قبل ١٠٥

(١) الذراع أنثى وقد تذكر ، كما هنا . وانظر اللسان (ذرع) .

(٢) كذا والمشهور عتيبة بن مرداس . انظر جمهرة ابن حزم ٢١٣ . وقال ابن قتيبة فى الشعراء ٣٢٩ : « هو عتيبة ويقال : عتبة بن مرداس » .

(٣) ط : « لبقيت » ، صوابه فى ش .

ما أثاره هذا الممدوح ، يقال أعبطت الأرضَ ، إذا حفرت منها موضعاً لم يحفر فيها قبل ذلك . والمثار : المهيَّج والمحرَّك . وروى بدله :

(يُدنى كتائب من كتائب تلتقى   فى ظلّ معترك العَجاج مُثارِ)

والكتائب : جمع كتيبة وهو الجيش . والمعترك : موضع الاعتراك وهو المحاربة ، وأراد بظله الغبار الثائر فى المعركة ، فإنه إذا اشتد لايرى معه ضوء فيصير كالظل الكثيف . ومذ : اسم ، فقيل : إنها ظرف مضاف إلى الجملة ، وقيل : إلى زمن مضاف إلى الجملة ، وقيل : مبتدأ فيجب تقدير زمان للجملة يكون هو الخبر . والإزار : معروف ، وقيل : كنى بعقد الإزار عن شدّه لما يحتوى عليه من كساءى المجد . وهذا يناسب تفسيره خمسة الأشبار بخلال المجد الخمسة . وخمسة الأشبار مفعول أدرك بتقدير مضاف كما تقدم . وقال الأعلم ، على مانقله اللخمى : « فاعل سما مضمر لدلالة المعنى عليه ، والتقدير : وسما جسمه أو طوله . وفاعل أدرك مضمر أيضاً عائدٌ على الجسم الذى دل عليه المعنى . ومعنى أدرك : انتهى . والأفعال يُحمل بعضها على بعض إذا اشتركت فى المعنى ، والتقدير : انتهى طوله أو جسمه خمسة أشبار ، ويكون انتصاب خمسة أشبار على أنه مفعول على إسقاط حرف الجرّ ، أى انتهى إلى خمسة أشبار » اه .

أقول : هذا كلُّه تعسفٌ لا ضرورةَ تدعو إليه ، ومثل هذا قول ابن يسعون فى شرح شواهد الإيضاح : « ويجوز نصبه نصب الظروف بقوله سما ، أى عَلا مقدار خمسة الأشبار » اه فإنّه تعسف أيضاً ، لأنه يكون المدرك غير معلومٍ ما هو ، وبقى قوله أدرك غير مفيد شيئاً . ومن فسر الخمسة بالسيف والعصا والخيزرانة ، فهو على حذف مضاف ، أى فأدرك أخذ خمسة الأشبار للقتال به أو للحبْس باليد أو للخطبة . وقال ابن يسعون ، بعد جعل الخمسة مفعولا

لأدرك على تقدير معناها السيف أو خلال المجد الخمسة ، ما نصه : « ويجوز نصب خمسة نعتا لإزاره ، أو بدلا منه ، أو عطف بيان » . اهـ فتأمل .

وأما يزيد فهو ابن المهلَّب بن أبي صُفرة ، أحدُ شجعان العرب وكرمائهم . وشهرته في الشجاعة والكرم غنيّة عن الوصف . كان في دولة الأمويين والياً على خراسان ، وافتتح جُرجان ودِهِستان وطبرِستان . وبعد الحجاج صار أميرَ العراقَين . وأجمع علماء التاريخ على أنّه لم يكن في دولة بني أمية أكرمُ من بني المهلب كما لم يكن في دولة بني العباس أكرمُ من البرامكة . وولد يزيد سنة ثلاث وخمسين من الهجرة ، وتوفي مقتولا يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة . وقد ترجمه ابن خلّكان وترجم والدَه بما لا مزيد عليه . وستأتي ترجمة والده في (رُبَّ) من حروف الجر في شرح قوله :

* فلقد يكون أخا دَمٍ وذبائح *

ترجمة الفرزدق

والفرزدق هو أبو فِراس ، واسمه همّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية ابن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم البصري . وهمّام بصيغة المبالغة من الهمة . . وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء ، بعد أن قال : اسمه همام[1] : وكان للفرزدق إخوة ، منهم : هُميم بن غالب وبه سُمّي الفرزدق ، والأخطل وكان أسنّ منه[2] ، وأخت يقال لها جِعثِن كانت امرأة صدق » ، وكان جرير في مهاجاته للفرزدق يذكرها بسوء . قال اليربوعي : وكذب عليها جرير وكان يقول : أستغفر الله فيما قلت لجعثن . قال : وكانت إحدى الصالحات .

١٠٦

(١) الشعر والشعراء ٤٤٣

(٢) كذا في النسختين . وفي الأغاني ١٩ : ٢ : « وكان للفرزدق أخ يقال له هميم ويلقب بالأخطل » .

و (الفرزدق) قال صاحب العباب : قال الليث : الفرزدق : الرغيف الذى يسقط فى التنُّور ، ويقولون أيضاً الفرزدقة . قال : وقال بعضهم : هو فتات الخبز . وقال غيره : الفرزدق القطعة من العجين وأصلها بالفارسية بَراذده . وقال ابن فارس : هذه كلمة منحوتة من كلمتين ، من فرز ومن دقّ لأنه دقيق عجن ثم أفرزت منه قطعة ، فهى من الإفراز والدقيق اهـ فلقب بأحد هذه المعانى. ويشهد للأول ما روى أنه كان أصابه جُدَرى وبقى أثره فى وجهه . ويروى أن رجلا قال له : يا أبا فراس ، كأنّ وجهك أحراحٌ مجموعة ! فقال : تأمّلْ هل ترى فيها حِرَ أمِّك ؟ والأحراح : جمع حِر بالكسر وحذف لام الفعل ، هو فرج المرأة — وأخذ الفرزدق هذا الجواب من كلام أبى الأسود الدِّيلى ، فإنه كما فى الأغانى[1] قال : « كان طريق أبى الأسود إلى المسجد والسوق فى بنى تيم الله بن ثعلبة ، وكان فيهم رجل متفحِّش يكثر الاستهزاء بمن يمرّ به ، فمر به أبو الأسود يوماً فلما رآه قال لقومه : كأنّ وجهَ أبى الأسود وجهُ عجوز راحت إلى أهلها بطلاق ! فضحك القوم وأعرض عنه أبو الأسود . ثم مرّ بهم ، فقال لهم : كأنّ غضون قفا أبى الأسود غضون الفِقاح ! فأقبل عليه أبو الأسود فقال : هل تعرف فقحة أبيك فيهن ؟ فأفحمه وضحك القومُ منه ، وقاموا إلى أبى الأسود فاعتذروا إليه ، ولم يعاوده الرجل بعد ذلك » .

ويحتمل أنه لقِّب بالمعنى الثالث ، وبه صرح ابن قتيبة فى أدب الكاتب فقال : « والفرزدق قطع العجين ، واحدها فرزدقة ، ومنه سمى الرجل ، وهو لقبٌ له لأنّه كان جهم الوجه » . ويحتمل أنه لقب بالمعنى الثانى بأنْ شبه غضون وجهه بفتات الخبز . وقال ابن السيد فى شرح شواهد الجُمَل ، وتبعه فيها ابن هشام اللخمىّ وابن خلف وغيرهما : قال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء :

(١) الأغانى ١١ : ١٠٤ .

« إنما سمِّي الفرزدق لغلظه وقصره ، شبّه بالفَتيتة التى تشربها النساء وهو الفرزدقة » اهـ .

أقول : لم أر الفرزدقة بهذا المعنى فى اللغة ، ولا الفتيتة بمعنى ما ذكره . على أنّ ابن قتيبة لم يذكر فى الطبقات شيئاً فى تلقيبه بالفرزدق . ثم رأيت فى الأغانى فى ترجمته[1] أن الفرزدق الرغيف الضخم الذى يجفّفه النساء للفَتوت . ورَوَى أن الجهم بن سُويد بن المنذر الجَرمى قال له : ما وجدَت أمُّك اسمًا لك إلاّ الفرزدق الذى تكسّره النساء فى سَويقها ! — قال : والعرب تسمى خبز الفَتوت الفرزدق — فقال له الفرزدق : أحقُّ الناس بأن لا يتكلم فى هذا أنت ، لأن اسمك اسم متاع المرأة ؛ واسم أبيك اسم الحمار ، واسم جدك اسم الكلب .

وروى بسنده عن أبى عمرو بن العلاء قال : أخبرت عن هشام العَنَزى أنه قال : جمعنى والفرزدقَ مجلس ، فتجاهلت عليه فقلت : من أنت ؟ قال : أما تعرفنى ! قلت : لا . قال : فأنا أبو فراس ؟ قلت : ومن أبو فراس ؟ قال : أنا الفرزدق . قلت : ومن الفرزدق ؟ قال : أو ما تعرف الفرزدق ؟ ! ١٠٧ قلت : أعرف الفرزدق أنّه شىء تتخذه النساء عندنا بالمدينة تتسمّن به ، وهو الفتوت . فضحك وقال : الحمد لله الذى جعلنى فى بطون نسائكم » .

وقال السيد المرتضى فى أماليه : « والفرزدق لقب ، وإنما لقّب به لجهامة وجهه وغلظه ، لأنّ الفرزدقة هى القطعة الضخمة من العجين ، وقيل إنها الخبزة الغليظة التى يتخِذ منها النساء الفَتوت » .

وفى الأغانى بسنده إلى محمد بن وُهيب الشاعر قال : « جلستُ بالبصرة إلى جنب عطّار فإذا أعرابيةٌ سوداء قد جاءت فاشترت من العطار خَلوقا ،

---

(١) الأغانى ١٩ : ٢ .

فقلت له: تجدُها اشترته لابنتها، وما ابنتها إلاّ خنفساء. فالتفتتْ إلىَّ متضاحكة وقالت: لا والله! إلاّ مَهاةٌ جَيداء[1]، إن قامت فقناة، وإن قعدت فحصاة، وإنْ مشت فقطاة؛ أسفلها كثيب، وأعلاها قضيب؛ لا كفتَياتكم اللواتى تسمّنونهنّ بالفنوت. ثم انصرفت وهى تقول:

إنّ الفتــوت للفتــاة مَضرَطه   يَكرُبها فى البطن حتى تثلِطه[2]

فلا أعلمنى ذكرتُها إلاّ أضحكنى ذِكرها».

وبالجملة هو وجرير والأخطل النصرانى فى الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين. واختلف العلماء بالشعر فيه وفى جرير فى المفاضلة. وكان يونس يفضّل الفرزدق ويقول: لولا الفرزدق لذهب شعر العرب. وقال ابن شُبرُمة: الفرزدق أشعر الناس. وقال أبو عمرو بن العلاء: لم أرَ بدوياً أقام فى الحضر إلاّ فَسد لسانه، غير رؤبة والفرزدق.

وفى العمدة لابن رشيق: «كتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر شعراء الجاهلية وأشعر شعراء وقته. فقال: أشعر الجاهلية امرؤ القيس، وأضرَبُهم مثلاً طرفة. وأما شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم، وجرير أهجاهم، والأخطل أوصفهم».

وقد طبَّق المفضِلَ الأصبهانىُّ فى قوله حين سئل عنهما[3]: من كان يميل إلى جودة الشعر وفخامته وشَدة أسره فليقدِّم الفرزدق[4]، ومن كان يميل

(١) فى الأغانى ١٧ : ١٤٥ : «خبنداة».

(٢) فى الأغانى : «يكربها بالليل».

(٣) الواقع أن أبا الفرج الأصبهانى لم يسأل عنهما، وإنما هو يروى آراء غيره. الأغانى ١٩ : ٤٨.

(٤) فى الأغانى : «فيتقدم الفرزدق»، وكذا فى الموضع التالى: «فيتقدم جريرا».

إلى أشعار المطبوعين والكلامِ السمح الجزل فليقدِّم جريراً . قال أبو عبيدة : وكان الفرزدق يشبّه من شعراء الجاهلية بزهير .

وكان صعصعة جدُّ الفرزدق ، كما قال ابن قتيبة فى الطبقات : عظيم القدر فى الجاهلية ؛ وكان اشترى ثلاثين موءودة ثم أسلم وصار صحابياً . وأم صعصعة قُفَيرة — بتقديم القاف على الفاء وبالتصغير — بنتُ مسكين الدارِمىّ ، وكانت أمها أمةً وهبها كسرى لزُرارة ، فوهبها زرارة لهند بنت يثربىّ ، فوثب أخو زوجها ، وهو مِسكين بن حارثة بن زيدبن عبدالله بن دارم ، على الأمة فأحبلها فولدت له قُفيرة ، فكان جرير يعيِّر الفرزدقَ بها . وكان لصعصعة قيون — والقين الحداد — منهم جُبير ، ووَقْبان ، ودَيسم ، فلذلك جعل جرير مجاشعاً قيوناً . وكان جرير ينسب غالب بن صعصعة إلى جبير فقال :

وجدنا جُبيراً أبا غالب بعيدَ القَرابة من مَعبدِ

يعنى معبد بن زُرارة . وكان يعيبهم بالخزيرة ، وذلك أن ركباً من مجاشع مرُّوا بشهاب التغلبى فسألهم أن ينزلوا ، فحمل إليهم خَزيرة ، فجعلوا يأكلون وهى تسيل على لحاهم وهم على رواحلهم . و (الخزيرة) بفتح الخاء وكسر الزاى ١٠٨ المعجمتين وبالراء المهملة : قطعُ لحمٍ صغارٌ توضع فى القدر بماءٍ كثير ، فإذا نضج ذُرّ عليه الدقيق . فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة . ويقال خزير أيضاً بدون تاء تأنيث .

وأما غالب أبو الفرزدق فإنّه كان يكنى أبا الأخطل . واستُجير بقبره بكاظمة ، فاحتملها عنه الفرزدق[1] .

وفى نهج البلاغة : وقال على رضى الله عنه لغالب بن صعصعة أبى الفرزدق ،

---

(١) الميمنى : « أى احتمل الحمالة » . والحمالة كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

فى كلامٍ دار بينهما : ما فعلتْ إبلك الكثيرة ؟ قال : ذَعذعتها الحقوقُ يا أمير المؤمنين . فقال رضى الله عنه : ذاك أحمدُ سبيلها ! قوله ذعذعتها بذالين معجمتين وعينين مهملتين بمعنى فرقتها . يقال ذعذعته فتذعذع ؛ وذعذعةُ السرّ : إذاعته .

قال شارح نهج البلاغة ابن أبى الحديد : « دخل غالب بن صعصعة بن ناجية ابن عِقال المجاشعى على أمير المؤمنين ، رضى الله عنه ، أيام خلافته ــ وغالبٌ شيخ كبير، ومعه ابنه همامٌ الفرزدق وهو غلام يومئذ ــ فقال له على رضى الله عنه : مَن الشيخ ؟ قال: أنا غالب بن صعصعة . قال :ذو الإبل الكثيرة ؟ قال : نعم . قال : ما فعلت إبلك ؟ قال : ذعذعتها الحقوق وأذهبتها الحمالات والنوائب ، قال : ذاك أحمد سبيلها ، مَن هذا الغلام مَعَك ؟ قال : هذا ابنى . قال : ما اسمه ؟ قال : همّام ، وقد روّيته الشعرَ يا أمير المؤمنين وكلامَ العرب ، ويوشك أن يكون شاعراً مُجيداً . فقال : أقرئه القرآن فهو خير له . فكان الفرزدق بعدُ يروى هذا الحديث ويقول : مازالت كلمته فى نفسى . حتّى قيّدَ نفسه بقيدٍ وآلى ألاّ يفكّه حتى يحفظ القرآن . فما فكه حتى حفظه » اهـ .

وقد رَوَى عنه ، عليه السلام ، أحاديثَ وعن غيره من الصحابة . وعاش حتى قارب المائة ، ومات بعلّة الدُّبيلة[1] ، رحمه الله تعالى .

قال النويرى فى تاريخه : مات الفرزدق فى سنة عشر ومائة ، وله إحدى وتسعون سنة ، ومات فيها جرير أيضاً .

وقال السيد المرتضى ، قدّس الله سرّه ، فى أماليه[2] . « الفرزدق مع

(١) الدبيلة ، كجهينة : داء يجتمع فى الجوف ، أو خراج يظهر فيه فيقتل صاحبه .
(٢) الأمالى ١:٦٢ .

تقدّمه فى الشعر وبلوغه فيه إلى الذِّروة العُليا(١) ، والغاية القصوى ، شريف الآباء كريم البيت ، له ولآبائه مآثر لا تُدفع ، ومفاخر لا تُجحد .. وكان مائلاً إلى بنى هاشم ، ونَزَع فى آخر عمره عمّا كان عليه من القذف والفسق ، وراجعَ طريقةَ الدين . على أنه لم يكن فى خلال فسقه منسلخاً من الدين جملةً ، ولا مهملاً لأمره أصلاً . . روى أنه تعلّق بأستار الكعبة ، وعاهد الله على ترك الهجاء والقذف ، وقال(٢) :

ألم تَرنى عاهدتُ ربّى وإننى لَبينَ رِتاجٍ قائمٌ ومَقام(٣)
على حَلفةٍ لا أشتمُ الدهرَ مسلماً ولا خارجاً من فىَّ زورُ كلام
أطعتك يا إبليسُ تسعين حِجّةً فلما انقضى عمرى وتمّ تمامى
فزِعت إلى ربى وأيقنتُ أننى مُلاقٍ لأيام الحتوف حِمامى

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الحادى والثلاثون :

٣١ (وشَقَّ له مِن اسمه ليُجِلّه فذو العرش محمودٌ وهذا محمّدُ)

على أنّه يمكن لمح الوصف مع العلمية ، أى يمكن أن يلاحظ بعد العلمية الوصف الذى كان قبلها وبملاحظته يوضع علما ، فإن (محمدا) وضع علما لنبينا صلى الله عليه وسلم بملاحظة معناه ، فإن معناه فى اللغة ، كما قال صاحب

(١) ط : « العلياء » بالهمزة ، وإنما العلياء بفتح العين مهموزة أو غير مهموزة بمعنى المكان العالى ، أو الفعلة العالية . وأما العليا بضم العين كما أثبت من سه فهى مؤنث الأعلى.

(٢) من قصيدة له يخاطب فيها إبليس ويهجوه ، ويعلن توبته عن هجو الناس . انظر ديوانه ٧٦٩ — ٧٧١ .

(٣) ويروى : « قائماً ومقام » . انظر سيبويه ١ : ١٧٣ والكامل ٦٩ وابن يعيش ٢ : ٥٩/٦ : ٥٠ .

العباب وغيره : الذى كثرت خصاله المحمودة ؛ كما قال الأعشى فى مدح النعمان بن المنذر :

إليك أبيتَ اللعنَ كان كَلالها ... إلى الماجد الفرع الجواد المحمّد

وبعد أن صار علما يجوز أن يلحظ معناه اللغوىّ كما لحظه حسّان فى هذا البيت .

أبيات الشاهد

وهو أول أبيات ثمانية مدح بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم . والصواب فى روايته (شَقّ له من اسمه) بدون واو ، فإنها للعطف ولم يتقدم شىء يعطف عليه ؛ لكن يبقى الشعر مخروما — والخرم جائز عندهم ، وهو بالخاء المعجمة والراء المهملة ، عبارة عن حذف أول الوتد المجموع فى أول البيت ، وذلك نحو فعولن ومفاعيلن ومفاعلتن — كما أن ضمير (له) راجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ومفعوله محذوف أى شق له اسماً من اسمه ، واسم الله تعالى المشقوق منه : محمود ، بمعنى أن الحمد لا يكون إلاّ له ، ولا يقع إلاّ عليه ، فأراد تبارك وتعالى أنْ يشرك نبيه فى اسم مَن هذا الوصف تعظيم له ، صلى الله عليه وسلم ، فسماه محمدا ، كما سيأتى بيانه . وقوله (من اسمه) بهمزة الوصل ، وسمعت بعضهم يقرؤه بهمزة القطع ، وهو لحن . وقوله ليجلّه روى بدلهَ (كى يجله) .

(نبىّ أتانا بعد يأس وفترة ... من الرسل والأوثان فى الأرض تُعبَدُ[1]
فأمسى سراجاً مستنيراً وهاديا ... يلوح كما لاح الصَّقيل المهنّد
وأنذرنا ناراً وبشّرَ جَنّــة ... وعلمنا الإسلامَ فاللهَ نحمد
وأنت إلهَ العرش ربّى وخالقى ... بذلك ما عُمِّرتُ فى الناس أشهد
تعاليتَ ربَّ الناس عن قولِ من دعا ... سواك إلَها ، أنت أعلى وأمجد

(١) ديوان حسان ص ٧٨ .

لك الخلق والنعماء والأمر كله فإياكَ نستهدى وإياك نعبدُ
لأنَّ ثواب الله كلَّ موحِّد جِنانٌ من الفردوس فيها يُخلَّد)

كذا فى ديوانه من رواية أبى سعيد السكرى . ورأيت (فى المواهب اللدنية) قال مؤلفه[1] : ثم إن فى اسمه « محمد » خصائص ، منها أنه تعالى شقه من اسمه المحمود كما قال حسان بن ثابت :

(أغرُّ عليه للنبوة خاتَمٌ من الله من نور يلوح ويُشهَد
وضمَّ الإلهُ اسمَ النبيِّ إلى اسمه إذا قال فى الخمس المؤذِّنُ أشهد
وشقَّ له من اسمه ليُجِلَّه فذو العرش محمود وهذا محمد)

وعلى هذه الرواية فالواو للعطف ، وفاعل شق ضمير الإله ، والضمير فى له راجع للنبي . ثم قال صاحب المواهب : وأخرج البخارى فى تاريخه الصغير من طريق علىّ بن زيد قال : كان أبو طالب يقول :

وشق له من اسمه ليجله * ... البيت

وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل الخلق بألفى ألفِ عام ، كما ورد من حديث أنس بن مالك من طريق أبى نُعيم فى مناجاة موسى . وروى ابن عساكر عن كعب الأحبار قال : إن الله أنزل على آدم عِصِيًّا بعدد الأنبياء والمرسلين ثم أقبل على ابنه شيث فقال : أىْ بنىَّ ، أنت خليفتى من بعدى ، فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى ، وكلما ذكرتَ الله فاذكر إلى جنبه اسمَ محمد ، فإنى رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وأنا بين الرُّوح والطين ، ثم إنى طفت السموات فلم أر فى السموات موضعا إلا رأيت اسم محمد مكتوبا عليه ؛ وإنّ

١١٠

(١) هو شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلانى المصرى المتوفى سنة ٩٢٣ .

ربى أسكننى الجنة فلم أر فى الجنة قصراً ولا غُرفة إلّا اسمُ محمد مكتوبا عليها ؛ ولقد رأيت اسم محمد مكتوبا على نحور الحور العين ، وعلى قَصب آجام الجنة ، وعلى ورق شجرة طُوبَى ، وعلى ورق سِدرة المنتهى ، وعلى أطراف الحُجُب ، وبين أعين الملائكة ، فأكثرْ ذكره فإن الملائكة تذكره فى كلّ ساعاتها .

ولمّا سماه جده عبدالمطلب بمحمد قيل له : كيف سميته باسمٍ ليس لأحد من آبائك وقومك ؟ فقال : لأنى أرجو أن يحمده أهل الأرض كلُّهم ؛ وذلك لرؤيا كان رآها عبدالمطلب كما ذكر حديثها علىُّ القَيروانى العابر (فى كتاب البستان) قال: كان عبدالمطلب قد رأى فى المنام كأنّ سلسلة من فضة خرجت من ظهره ، لها طرفٌ فى السماء وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ، ثم عادت كأنّها شجرةٌ على كلّ ورقة منها نور ، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلّقون بها ؛ فقصها فعُبِّرت له بمولودٍ يكون من صلبه ، يتبعه أهل المشرق وأهل المغرب ، ويحمده أهلُ السماء والأرض ، فلذلك سماه محمدا ، مع ما حدّثته به أمه آمنة حين قيل لها : إنك قد حملتِ بسيّد هذه الأمّة ، فإذا وضعتِه فسمّيه محمدا .

قال السهيلى : محمد منقول من صفة فى معنى محمود ، ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار ، لأن المحمّد الذى حمد مرة بعد مرة ، كما أن المكرَّم من أكرم مرة بعد مرة ، وكذلك الممدّح ونحو ذلك . فاسم محمد مطابق لمعناه ، والله سبحانه سماه به قبل أن يسمى به . علمٌ من أعلام نبوته عليه السلام ، إذْ كان اسمه صادقا عليه ، فهو صلى الله عليه وسلم محمود فى الدنيا بما هَدى إليه ونفع به من العلم والحكمة ، وهو محمود فى الآخرة بالشفاعة . فقد تكرَّر معنى الحمد .

ومحمود أيضاً من أسمائه صلى الله عليه وسلم ، قال صاحب المواهب : اعلم أن من أسماء الله تعالى الحميد ومعناه المحمود ، لأنه تعالى حمد نفسه وحمده عباده ؛

وقد سمى الرسول صلى الله عليه وسلم بمحمود . وكذا وقع اسمه فى زبور داود .

وقال الشامى فى سيرته : « ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم المحمود ، وهو المستحق لأن يحمد لكثرة خصاله الحميدة . قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

فأصبحَ محمودا إلى الله راجعا يبكّيه حقّ المرسَلات ويَحمدُ

وهو من أسمائه تعالى . قال حسان أيضا :

وشق له من اسمه ليجله . . . . البيت اهـ .

وعليه فهو اسم مشترك بين الله وبين نبيه ، ولم أر من صرح به غير الشامى .

وأما أحمد فهو اسمه عليه الصلاة والسلام الذى سمّى به على لسان عيسى وموسى . قال السهيلى : هو منقول من الصفة التى معناها التفضيل ، فمعنى أحمد: أحمد الحامدين لربه ، وكذلك هو فى المعنى لأنه يفتح عليه فى المقام المحمود محامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد بها ربّه ، ولذلك يعقد له لواء الحمد . ١١١

وقال السخاوى فى سفر السعادة : أحمد هو مأخوذ من الحمد كما أخذ من الحمرة أحمر ومن الصفرة أصفر ، وأحمد أبلغ من محمد ، كما أن أحمر وأصفر أبلغ من محمّر ومصفّر ، لأنه فى أحمر وأصفر ألزم ، وليس أحمد بمنقول من الفعل المضارع ، ولا هو أفعل فتقول كأكرم ، ومن هذا « الله أكبر » .

ترجمة حسان

و (حسان) هو أبو الوليد بن ثابت بن المنذر الأنصارى من بنى النجار : وأمه الفُريعة بنت خنس[1] من بنى الخزرج . والفريعة بالفاء والعين المهملة مصغر فرَعة بالتحريك وهى القملة الكبيرة .

---

(١) كذا فى النسختين. وفى الأغانى ٤ : ٢ : « ابنة خالد بن قيس بن لوذان بن عبد ود ابن ثعلبة بن الخزرج » .

قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء[١] : «وهو جاهلى إسلامىٌّ متقدم الإسلام، إلا أنه لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهداً لأنه كان يرمى بالجبن لعلّة أصابته . وكانت له ناصيةٌ يُسدِلها بين عينيه . وكان يَضرب بلسانه رَوثة أنفه[٢] من طوله ، ويقول : والله لو وضعته على شَعرٍ لَحلَقه ، أو على صخرٍ لفَلقَه . وعاش فى الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين سنة ، فهو من المخضرمين ، ومات فى زمن معاوية وكُف بصره فى آخر عمره » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون :

٣٢ (فَتًى فارسىٌّ فى سراويلَ رامحُ)

وصدره : * أتى دُونها ذَبٌّ الرِّياد كأنه *

على أن (سراويل) غير منصرف عند الأكثرين كما هنا :

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لتميم بن أُبَىّ بن مُقبِل[٣] يصف الثَّوْر الوحشىّ . وضمير دونها لأنثاه ، ودُونَ بمعنى قدام . وروى : (يمشّى بها ذبّ الرياد) وروى أيضاً (يرودُ بها) . والذبّ بفتح الذال المعجمة وتشديد الموحدة ، قال فى الصحاح : هو الثور الوحشى ، ويقال له ذَبّ الرِياد لأنّه يرود : أى يذهب ويجىء ولا يثبت فى موضع . قال النابغة الذبيانى يصف ناقته :

كأنّما الرَّحلُ منها فوقَ ذى جُدَدٍ ذَبِّ الرياد إلى الأشباح نظّارِ

---

(١) الشعراء ٢٦٤ .

(٢) روثة الأنف : طرفه من مقدمه .

(٣) فى ديوانه ٤١ والجمهرة ١ : ٢٧ والمقاييس ٢ : ٣٤٩ وأمالى القالى ٢ : ١٦٤ واللسان (ذبب ، رود ، سرل) .

وزاد فى العباب فقال : ورجل ذبٌّ الرياد : إذا كان زَوّاراً للنساء . قال عبدٌ من عبيد بَجيلة :

قد كنت فتّاحَ أبواب مغلّقة ذبّ الرياد إذا ماخُولسَ النظرُ

وقال القالىُّ فى أماليه(١) : « يقال : فلان ذَبّ إذا كان لايستقر فى موضع ، ومنه قيل للثور الوحشى : ذبّ الرّياد » . وأنشد بيت الشاهد .

وقد خالف أبو هلال العسكرى فى ديوان المعانى(٢) فزعم أن ذبّ الرياد اسم للوَعِل . ونسب البيت إلى الراعى فقال : وقد أحسنَ الراعى فى وصف الوعل ؛ ثم قال « وذَبّ الرياد » علم على الوعل . والصواب ماقدمناه فيهما .
شبّه الشاعر ما على قوائم الثور الوحشىّ من الشعر بالسراويل ، وهو من لباس الفرس ، ولهذا شبّهه بفتى فارسىّ ، وشبه قرنه بالرمح ولهذا قال « رامح » أى ذو رمح ؛ فقوله « فتى » خبر كأن ، و « فارسى » صفة فتى ؛ و « فى سراويل » حال من ضمير فارسى ، إذ هو بمعنى منسوب إلى الفُرس ، أو صفة لفارسى ، ورامح صفة ثانية لفتى . و (السراويل) يذكر ويؤنث كما فى العباب ، وجرّ بالفتحة لأنه غير منصرف ، قال الشارح المحقق : « واختلف فى تعليله فعندَ س وتبعه أبو على أنّه اسم أعجمى مفرد أعرب كما أعرب الآجُرّ ، ولـكنه أشبه من كلامهم مالا ينصرف قطعاً نحو قناديل ، فحمل على ماشابهه فمنع الصرف » .

١١٢

أقول : الذى رأيته فى تذكرة أبى على مخالَفةُ س فإنّه بعد أن نقل كلام ن قال : « سراويل وإن كان واحداً فهو على مثال الجمع الذى لايكون واحد على مثاله ، فأنت مالم تسمّ به فهو منصرف كآجُرّ ، الذى ليس

(١) القالى ٢ : ١٦٤ .

فى الواحد ولا غيره على مثاله ، فإذا سمّيت به صار مثل شراحيل اهـ . وكأن أبا علىّ فهِمَ من قول س : أنه أعجمى كما أعرب الآجرّ ، أنه يريد يصرف كما يصرف الآجر ؛ وليس كذلك ، بل مراده أنه معْرب لا مبنىّ كما أن الآجر معْرب ، بدليل قول س بعده : إلاّ أنّ سراويل أشبَهَ من كلامهم مالا ينصرف فى نـكرة ولا معرفة .

ترجمة أبى هلال العسكرى

وأبو هلال العسكرى هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى ابن مِهرانَ اللغوىّ العسكرى . وكان تلميذ أبى أحمد الحسن بن عبـد الله العسكرى ، وافق اسمُه اسمَ شيخه واسمُ أبيه اسمَ أبيه ، وهو عسكرىٌّ أيضاً ، فربما اشتبه ذكره بذكره إذا قيل الحسن بن عبد الله العسكرى . وقد ترجمنا (أبا أحمد العسكرى) فى الشاهد الثامن والعشرين[1] .

قال أبو طاهر السِلَفى « سألت الرئيس أبا المظفّر الأبِيوَرْدىّ بهَمَذان عنه فأثنى عليه ووصفه بالعلم والعفّة معاً ، قال : كان يبرز[2] احترازاً من الطمع والدناءة والتبذّل ، وكان الغالب عليه الأدب والشعر ؛ وله كتاب فى اللغة سمّاه التلخيص، وهو كتاب مفيد ؛ وكتاب صناعتى النظم والنثر، وهو أيضاً كتاب مفيد جداً » . قال ياقوت فى معجم الأدباء :« وذكر غيرُه[3] أن أبا هلال كان ابن أخت أبى أحمد وله من الـكتب بعد ما ذكره السِلَفى : كتاب جمهرة الأمثال . كتاب معانى الأدب . كتاب أعلام المعانى ، فى معانى الشعر . كتاب شرح الحماسة . كتاب الأوائل . كتاب الفرق بين المعانى . كتاب نوادر

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٢٠٢ .

(٢) قال الميمنى : « فى معجم الأدباء يبزز ، وفى بغية الوعاة : يتبزز . والغالب على الظن أن معناه يبيع الثياب ، وهى البز » .

(٣) أى غير أبى طاهر السلفى .

الواحد والجمع . كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة . كتاب التبصِرة ، وهو كتاب مفيد . كتاب الدرهم والدينار . كتاب العُمدة . كتاب فضل الغِنى على العُسر . كتاب ما تلحن فيه الخاصّة . كتابَ المحاسن فى تفسير القرآن ، خمس مجلدات . وكتاب ديوان شعره » .

قال ياقوت : « وأما وفاته فلم يبلغنى فيها شىء ، غير أنى وجدت فى آخر كتاب الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة » .

هذا ما ذكره ياقوت . وله عندى كتاب الفروق فى اللغة . وكتاب ديوان المعانى[1] ؛ وهما دالآن على غزارة علمه . ومن شعره :

إذا كان مالى مالَ من يلقُطُ العجم ... وحالىَ فيكم حالَ مَنْ حاكَ أو حَجَمْ

فأين انتفاعى بالأصالة والحِجا ... وما ربحت كفّى على العلم والحكم !

ومن ذا الذى فى الناس يبصر حالتى ... ولا يلعن القرطاس والحبرَ والقلم

وله أيضاً :

جُلوسىَ فى سوقٍ أبيع وأشترى ... دليلٌ على أنَّ الأنام قُرودُ

ولا خير فى قوم يَذِلّ كرامُهم ... ويعظم فيهم نَذلُهم ويسود

ويهجوهمُ عنّى رثاثة كُسوتى ... هجاءً قبيحاً ما عليه مزيد !

١١٣ ترجمة ابن مقبل

وأما (تميم) صاحب الشاهد فهو ابن أُبىّ بن مُقبل ، وأُبىّ بالتصغير وتشديد الياء ، ابن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العَجلان بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وكان يبكى أهل الجاهلية . وبلغ مائة وعشرين سنة . وكان يهاجى النَّجاشىّ الشاعر ؛

(١) طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٢ .

فهجاه النجاشىُّ فاستعدى عليه عمرَ رضى الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هجانى . فقال عمر : يا نجاشىُّ ما قلت ؟ قال: يا أمير المؤمنين ، قلت ما لا أرى فيه عليه بأساً . وأنشده :

إذا الله جازى أهلَ لُؤم بذلّة(١) فجازى بنى العَجلان رهط ابن مقبلِ

فقال عمر : إن كان مظلوماً استُجيب له ، وإن لم يكن مظلوماً لم يُستجب له .

قالوا : وقد قال أيضاً :

قُبَيِّلة لا يغدِرون بذمّة ولا يظلمون الناس حبَّة خَردلِ(٢)

فقال عمر : ليت آلَ الخطاب كذلك ! قالوا : فإنّه قال :

ولا يَردونَ الماء إلاّ عشيَّة إذا صدَر الوُرّادُ عن كلّ منهلِ

فقال عمر : ذلك أقلُّ للزحام(٣) ! قالوا : فإنّه قال :

تَعاف الكلابُ الضاريات لحومَهم وتأكل من كعب بنِ عَوف ونَهشلِ

فقال عمر : يكفى ضَياعا من تأكل الكلاب لحمه ! قالوا : فإنه قال :

وما سُمّىَ العَجلانَ إلاّ لقولهم(٤) خُذ القَعب واحلُب أيُّها العبدُ واعجل

---

(١) هذا ما فى س مع أثر إصلاح . وفى ط : « بذمة » . وفى العمدة ١ : ٢٧ وزهر الآداب ٢٠ : « ورقة » وفى البيان ٤ : ٣٧ : « ودقة » .

(٢) قبيلة : مصغر قبيلة ، مبالغة فى هجائهم . وفى ط : « قبيلته » صوابه فى س والبيان والعمدة وزهر الآداب .

(٣) فى العمدة : « ذلك أقل للسكاك ، يعنى الزحام » .

(٤) فى النسختين : « لقوله » ، صوابه من العمدة .

فقال عمر : كلُّنا عبد ، وخير القوم خادمهم ! قال تميم : فسله يا أمير المؤمنين عن قوله :

أولئك إخوان اللَّعينِ وأُسوة الـ ـهجينِ ورهطُ الواهن المتذلِّلِ

فقال عمر : أمّا هذا فلا أعذرك عليه ! فحبسه ، وقيل جَلَده .

قال صاحب زهر الآداب[1] : كان بنو العَجلان يفخرون بهذا الاسم ، إذ كان عبد الله بن كعب جدُّهم إنّما سمى العَجلان لتعجيله القِرى للضيفان : وذلك أن حيّا من طيِّء نزلوا به فبعثَ إليهم بقِرامُ عبداً له ، وقال له اعجلْ عليهم . ففعل العبد فأعتقه لعَجلته ؛ فقال القوم : ما ينبغى أن يسمَّى إلاَّ العَجلان . فسمِّى بذلك فكان شرفاً لهم ؛ حتَّى قال النجاشى هذا الشعر فصار الرجل إذا سئل عن نسبه قال : كَعبيّ . ويرغب عن العجلان » .

قال : وزعمت الرواة أنّ بنى العجلان استعْدوا على النجاشى . وذكر هذه الحكاية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون :

٣٣ (عَلَيه من اللُّؤم سِروالةٌ فليس يرِقّ لمستعطِفِ)

على أنّ السراويل عند المبرّد عربىٌّ ، وهو جمع سروالة ، والسروالة : قطعة خرقة .

أقول : هذا البيت قيل مصنوع ، وقيل قائله مجهول ، والذى أثبته قال : إنّ سِروالة واحدة السراويل ، وكيف تكون سروالة بمعنى قطعة خرقة ،

(١) زهر الآداب ٢٠

مع الحكم بأنها واحدة السراويل ، هذا لا يكون ! وقال السيرافى : سروالة لغة فى السراويل ، إذ ليس مراد الشاعر عليه من اللؤم قطعةٌ من جزء السراويل .

١١٤ وسروالة ، فى البيت : مبتدأ مؤخر وعليه خبر مقدم . وقوله : من اللؤم ، كان فى الأصل صفة لسروالة ، فلما قدم عليه صار حالاً منه ، هذا هو المقرر . وقال العينى[1] : ومن اللؤم صفة لسروالة فيكون محلّها الرفع . وهذا خطأ . واللؤم بالهمز : شحّ النفس ودناءة الآباء .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون :

٣٤ (جاء الشتاء وقيصى أخلاقْ شَراذمٌ يَعجبُ منه التوّاقْ)

على أن (شراذم) لفظة جمع بالاتفاق[2] .

أقول : نسب أبو حنيفة الدينَوَرىّ فى كتاب النبات هذا البيتَ إلى بعض الأعراب ، وقال : الأخلاق والأرمام والأرماث لا تكون إلاّ فى الُخلقان ، وقال : إنّما نعت الواحد بالجمع لكثرته فيه : كما قالوا بُرمةٌ أعشار إذا انكسرت ، أريدَ أن كسرها كثير .

وفى العباب : وقد خَلُق الثوب بالضم خُلوقة ، أى بلى ؛ وثوبٌ أخلاق : إذا كانت الخلوقة فيه كلّه ، كما قالوا برمة أعشار وأرضٌ سباسب .

وفى الزاهر لابن الأنبارى : وقال الفراء : من العرب من يقول قميص أخلاق وجبّة أخلاق ، فيصف الواحد بالجمع ، لأن الخلوقة فى الثوب تتّسع فيسمى كلُّ موضع منها خَلَقا ثم يجمع على هذا المعنى ، ومن قال جُبّة خَلَق قالوا

---

(١) العينى ٤ : ٣٥٤ . وانظر ابن يعيش ١ : ٦٤ وهمع الهوامع ١ : ٢٥ .
(٢) انظر اللسان (شرذم).

فى التثنية : جُبَّتان خَلَقان ، وفى الجمع : جباب أخلاق .

والشراذِم بالشين والذال المعجمتين : جمع شِرذمة بكسر الأول والثالث[١] ، قال فى الصحاح : «الشِّرذمة الطائفة من الناس والقطعة من الشىء ، وثوب شَراذمُ أى قطع» . والتوّاق بفتح التاء المثناة الفوقية وتشديد الواو : اسم ابن الشاعر ، قاله الفراء وغيره . وأصله مبالغة تائق ، من تاقت نفسه إلى الشىء بمعنى اشتاقت ، قال الشاعر :

* المرء توّاقٌ إلى مالم ينل[٢] *

وقال صاحب العباب : وروى النواق بالنون ، وقال فى (نوق) : والنواق من الرجال الذى يَرُود الأمور ويصلحها . وعلى هذا فيجوز أن يراد به أيضا الرفّاء ونحوه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون ، وهو من شواهد س[٣] :

٣٥ (ولو كان عبدُالله مولًى هجوتُه ... ولـكنّ عبدَالله مَولى مَواليا)

على أن بعض العرب يجرّ نحو (جَوارٍ) بالفتحة فيقول : مررت بجوارىَ كما قال الفرزدق « مولى مَوالىَ » بإضافة موالىَ إلى مولى والألف للإطلاق ، وجمهور العرب يقول : مررت بجوارٍ ، ومولى موالٍ ، بحذف الياء والتنوين ، فى الجر والرفع ، وأما فى النصب عندهما فلا تحذف الياء بل تظهر الفتحة

(١) فى النسختين : « والثانى » تحريف .

(٢) فى البيان ٣ : ١٩٤ : « والمرء » . وقبله :

* من عاش دهرا فسيأتيه الأجل *

وبعده : * الموت يتلوه ويلهيه الأمـل *

(٣) سيبويه ٢ : ٥٨ ، ٥٩ .

عليها ، نحو رأيت جوارىَ . والمراد بجوار : ما كان جمعا على هذا الوزن معتل اللام .

وهذا خلاف ماقاله س ، قال الأعلم فى شرح أبياته : « الشاهد فى إجرائه موالىَ على الأصل ضرورة[1] ، وكان الوجه موالٍ كجوار ونحوه من الجمع المنقوص ، فاضطر إلى الإتمام والإجراء على الأصل كراهة للزحاف » اهـ .

وكذا قال صاحب الصحاح قال : « وإنما قال مواليا لأنه ردَّه إلى أصله للضرورة ، وإنما لم ينون لأنه جعله بمنزلة غير المعتلّ الذى لاينصرف » .

١١٥ وصاحب اللباب وغيره جعله قولاً للنحويين لا لغةً لبعض العرب ، وقال : ونحو جوارٍ حكمه حكم قاضٍ رفعاً وجراً على الأعرف ، وحكم ضوارب نصبا ، وقيل نصباً وجرا . وبهذا سقط اعتراض ابن أبى إسحاق على الفرزدق فى قوله :

ولو كان عبد الله مولى هجوته . . . . البيت

والمولى : الحليف ، هو الذى يقال له مولى الموالاة ، والحليف : المعاهد ، يقال منه تحالفا ، إذا تعاهدا وتعاقدا على أن يكون أمرهما واحداً فى النُّصرة والحماية ، وبينهما حِلف وحِلْفة بالكسر فيهما أى عهد . والرجل إذا كان ذليلًا يوالى قبيلة وينضم إليهم ليعتزّ بهم ، وإذا والى مَولى كان أذلّ ذليل ، وكذلك القبيلة تُوالِى . وأراد بالموالى الحضرميّين ، وكانوا موالىَ بنى عبد شمس ابن عبد مناف ، يقول : لو كان عبد الله ذليلًا لهجوته ، ولكنه أذلُّ من الذليل لأنه حليفُ الحضرميين ، وهم حلفاء بنى عبد شمس . وهذا مبالغة فى الهجو .

والحضرمىّ : منسوب إلى حَضْرَمَوت ، وحضرموت : بلد وقبيلة . والصواب فى رواية البيت :

---

(١) بقية النقل إنما هو من استنباط البغدادى . وانظر الشنتمرى .

* لو كان عبد الله مولى هجوته *

بحذف الواو وجعلِ البيت مخروما ؛ فإنّه بيتٌ واحد ولم يتقدّمه شيء حتى تكون الواو عاطفة .

ابن أبي إسحاق

وعبد الله هذا هو عبدالله بن أبي إسحاق الزياديّ الحضرمي. قال الواحدي في كتاب الإغراب ، في علم الإعراب : «كان عبدالله من تلامذة عنبسة بن مَعْدان[1] ، وهو[2] من تلامذة أبي الأسود الدؤلي واضع النحو . وليس في أصحاب عنبسة مثل عبدالله ، واسمه ميمون الأقرن ، وهو الذي كان يردُّ على الفرزدق قولَه :

وعضّ زمان يا ابنَ مرْوان لم يدع ... من المال إلاّ مُسحَتاً أو مُجلَّفُ

فهجاه الفرزدق بقوله :

فلو كان عبدالله مولى هجوته . . . . البيت

وكان يقال: عبدالله أعلم أهل البصرة وأعقلهم. وفرّعَ النحو وقاسه . وكان أبو عمرو بن العلاء قد أخذ عنه النحو . ومن أصحاب عبدالله الذين أخذوا عنه النحو عيسى بن عمر الثّقَفي ، ويونس بن حبيب ، وأبو الخطاب الأخفش» اهـ.

وقال أبو بكر محمد بن عبدالملك بن السرّاج المعروف بالتاريخي ، في تاريخ النحاة : وتوفي عبدالله هذا سنة سبع عشرة ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، وصلّى عليه بلال بن أبي بردة .

---

(١) ط : « سعدان » صوابه في ش مع أثر تصحيح . وانظر لترجمة عنبسة إنباه الرواة ٢ : ٣٨١ وما به من مراجع .

(٢) أي عنبسة . وفي نزهة الألباء : « وعن أبي عبيدة أنه قال : اختلف الناس إلى أبي الأسود الدؤلي يتعلمون منه العربية فكان أبرع أصحابه عنبسة بن معدان المهري . واختلف الناس إلى عنبسة فكان أبرع أصحابه ميمون الأقرن » .

واعلم أنَّهم قد ذكروا فى سبب هجو الفرزدق لعبدالله أن عبدالله لَحّنَه فى قوله « إلاّ مسحتا أو مجلفُ » فإنه عطف المرفوع على المنصوب كما نقله الواحدى وغيره . وسيأتى إن شاء الله شرح هذا البيت مستوفًى فى باب العطف ، فلما بلغ الفرزدقَ تلحين عبدالله إياه هجاه بهذا البيت ، فلما بلغ هجوُ الفرزدق لعبد الله[1] قال : قولوا للفرزدق لحنت فى هذا البيت أيضا ، حيث حرّكت موالىَ فى الخفض .

هكذا روَوا هذه الحكاية ؛ والذى رأيته فى تاريخ النحاة للتاريخى ، المذكور آنفا ، قال حدثنى ابن الفهم عن محمد بن سلّام قال : أخبرنا يونس أن ابن أبى إسحاق قال للفرزدق ، فى مديحه يزيد بن عبد الملك بن مروان :

مستقبلين شَمالَ الشام تَضربُنا على زواحفَ تُزْجى مُخُّها رِيرِ

فقال له ابن أبى إسحاق : أسأت ! موضعها رفع ، وإن رفعتَ أقويت !

١١٦ وألحَّ الناسُ على الفرزدق فى ذلك فقلَبها فقال :

* على زواحف نزجيها محاسيرِ *

ثم ترك الرواةُ هذا ورجعوا إلى القول الأوّل . قال يونس : وهذا جيِّد . فلمَّا أكثر ابن أبى إسحاق على الفرزدق هجاه فقال :

لو كان عبد الله مولى هجوته . . . البيت

وقد حكى مثل حكاية التاريخى أبو القاسم على بن حمزة البصرى اللغوى فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة ، قال: « وقد حكى أبو أحمد عبدالعزيز ابن يحيي الجلودى فى إسنادٍ ذكره ، فى أخبار الفرزدق : أن عبد الله بن أبى إسحاق النحوى قال :إنّ الفرزدق لحن فى قوله :

(١) كذا فى النسختين .

* على زواحف تزجى مخُّها ريرِ *

وأنَّ ذلك بلغ الفرزدق فقال : أما وَجد هذا المنتفخُ الُخصيين لبيتى مخرجاً فى العربية ؟ أما إنِّى لو أشاء لقلت :

* على زواحفَ نُزجيها محاسيرِ *

ولـكنَّنى والله لاأقوله ! ثم قال :

فلو كان عبد الله مولى هجوته . . . . البيت

فبلغ ذلك عبدَالله فقال : عُذره شرٌّ من ذنبه ، والخفض فى ريرٍ جيّد وتقديره على زواحفَ ريرٍ مخُّها تزجى » اه كلامه .

وهذا البيت مركب من بيتين وهما :

مُستقبِلينَ شَمال الشَّام تَضربنا   بحاصبٍ كنديف القطن منثورِ
على عمائمنا يُلقَى وأرحلُنا   على زواحف نزجيهـا محاسيرِ

والشمال هى الريح المعروفة وهى مفعولةٌ . وجملة تضربنا : حال منها . والحاصب بمهملتين : الريح التى تثير الحصباء . والزواحف : جمع زاحفة بالزاى المعجمة والحاء المهملة ، وهى الإبل التى أعيت فجرّت فراسنها ، يقال زحف البعير إذا أعيا فجرّ فِرسِنَه أى خفّه . ونزجيها : نسوقها ، والإزجاء : السوق. ومحاسير : جمع محسور ، من حسرت البعير حسراً إذا أتعبته فهو حسير أيضاً ، ويقال أحسرته بالألف أيضاً ، ويكون لازماً أيضاً ، يقال حَسَر البعير يحسُر حسوراً ، إذا أعيا . والرِّير ، على ما فى الرواية الأخرى ، هو بإهمال الراءين ؛ قال الفراء : مخٌّ رير بفتح الراء وكسرها ، ورار أيضاً : أى فاسد ذائب من الهزال .

ومن الأمثال : « أسمح من مخة الرير » قال الزمخشرى فى أمثاله : الرير والزار : المخّ الذى قد ذاب فى العظم حتّى كأنه ماء ؛ وسَماحُه : ذوبه وجريانه .

وترجمة الفرزدق ذكرت فى الشاهد الثلاثين[1] .

تتمـــة

قد تكلم ابن جنّى ، فى شرح تصريف أبى عثمان المازنى المسمى بالتصريف الملوكى[2] ، بتفصيل جيد فى الكلام على تنوين (جوارٍ) أحببت أن أذكره هنا قال :

« فأما جَوار وغَواش ونحوهما ، فللسائل أن يقول : لم صرف هذا الوزن ، وبعد ألفه حرفان[3] ؟ وقد قال أبو إسحاق الزجاج فى هذا ما أذكره لك : وهو أنه ذهب إلى أن التنوين إنّما دخل فى هذا الوزن لأنه عوض من ذهاب حركة الياء ، فلما جاء التنوين وهو ساكن والياء قبله ساكنة التقى ساكنان فحذفت الياء فقيل هؤلاء جوارٍ كما قيل هذا قاض ومررت بقاض ؛ يريد أن أصله هؤلاء جوارىُ ، ثم أسكنت الياء استثقالاً للضمة عليها فبقيتْ جوارىْ ، ثم عوض من الحركة التنوين فالتقى ساكنان فوجب حذف الياء ، ألا ترى أنّ الحركة لما ثبتت فى موضع النصب فى قولك رأيت جوارىَ لم يؤت بالتنوين ؟ لأنّه إنما كان يجىء عوضاً من الحركة ، فإذا كانت الحركة ثابتة لم يلزم أن يعوض منها شىء . وأنكر أبو على هذا القول على أبى إسحاق وقال : ليس

(١) انظر ما سبق فى ص٢١٧.

(٢) المنصف ٢ : ٧٠ — ٧٥ مع بعض التصرف من البغدادى .

(٣) بعده فى المنصف : « الراء والياء والشين والياء » .

التنوين عوضاً من حركة الياء ، وقال : لأنه لو كان كذلك لوجب أن يعوَّض التنوين من حركة الياء فى يرمى ، ألا ترى أن أصله يرمىُ بوزن يضرب ؟ فكما لم نرهم عوَّضوا من حركة هذه الياء ، كذلك لا يجوز أن يكون التنوين فى جوارٍ عوضاً من ذهاب حركة الياء . فإن انتصر منتصرٌ لأبى إسحاق فقال : إلزام أبى على إياه لا يلزمه ، لأن له أن يقول إن « جوارٍ » ونحوه اسم والتنوين بابه الأسماء ، و « يرمى» فعل والتنوين لا مدخل له فيه ، فلذلك لم يلزم أن يعوَّض من حركته . قيل له : ومثال « مَفاعل » أيضاً لا يدخله التنوين[1] ! فإن قال : مفاعل اسم والاسم مما يصحُّ فيه التنوين . قيل له : لو كان الأمر كذلك لوجب أن يعوّض من حركة الألف فى « حبلى » ونحوِها تنويناً . فإن قال : لو عوض لدخل التنوين مالا ينصرف على وجه من الوجوه ! قيل : وكذلك مثال مفاعل لا ينصرف معرفة ولا نكرة . فإن قال : مفاعل قد ينصرف فى بعض المواضع فى ضرورة الشعر ، وحبلى وبابها لم يصرف قطُّ لضرورة . قيل : إنما لم يصرفوا حبلى للضرورة ، لأنّ التنوين كان يُذهب الألف من اللفظ فيُحصَل على ساكن هو التنوين ، وقد كانت الألف قبله ساكنة فلا يزدادون أكثر مما كان قبل الصرف ، فتركوا الصرف فى نحو حُبلى لذلك . ألا ترى أنهم يصرفون نحو « حمراء » فيقولون مررت بحمراءٍ للضرورة ؟ لأنهم قد ازدادوا حرفاً يقوم به وزنُ البيت ، وهمزة حمراء كألف سكرى وحبلى . والقول فى هذا ما ذهب إليه الخليل وسيبويه : من أن الياء حذفت حذفاً لا لالتقاء الساكنين ، فلما حذفت الياء صار فى التقدير جَوار بوزن جَناح ، فلما نقص عن وزن فواعل دخله التنوين كما يدخل جناحاً ؛ فدلَّ على أن التنوين إنّما دخله لما نقص عن وزنِ ضوارب ، ولذا إذا تم الوزن فى النصب وظهرت الياء امتنع التنوين أن يدخل ،

(١) بعده فى المنصف : « لجرى مجرى الفعل » .

لأنه قد تمّ في وزن ضوارب ، فالتنوين على هذا معاقِبٌ للياء لا للحركة ، إذ لو كان معاقباً للحركة لوجب أن يدخل في « يرمى » لأنّ الحركة قد حذفت من الياء في موضع الرفع .

وشيء آخر يدلُّ عندي على أن التنوين ليس بدلاً من الحركة ، وذلك أن الياء في جوار قد عاقبت الحركة في الرفع والجر ، في الغالب ، وإذا كان كذلك فقد صارت الياء لمعاقبتها الحركةَ تجرى مجراها . فكما لا يجوز أن يعوّض من الحركة وهي ثابتة ، كذلك لا يجوز أن يعوض منها وفي الكلمة ما هو معاقبٌ لها وجارٍ مجراها . وقد دلّت في هذا الكتاب على أن الحركة قد تعاقب الحرف وتقوم مقامه في كثير من كلام العرب .

فإن قال قائل : فلم ذهب الخليل وسيبويه إلى أن الياء قد حذفت حذفاً حتّى أنه لما نقص وزن الكلمة عن بناء فواعل دخلها التنوين ؟ قيل : لأنّ الياء قد حذفت في مواضعَ لا تبلغ أن تكون في الثقل ، مثل هذا كقوله تعالى : « الكبيرُ المتعال[1] » ، و « يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ[2] » ، و « يَوْمَ التَّنادِ[3] » وقال الشاعر :

* وأخو الغَوانِ متى يَشَبْ يصرِ منه[4] *

وقال آخر : * دوامى الأيدِ يخبطنَ السَّريحا[5] *

(١) الآية ٩ من سورة الرعد . (٢) الآية ٦ من سورة القمر .

(٣) الآية ٣٢ من سورة غافر .

(٤) للأعشى . وعجزه في ديوانه ٩٨ :

* ويكن أعداء بعيد وداد *

وانظر سيبويه ١ : ١٠ .

(٥) لمضرس بن ربعى الفقعسى . انظر سيبويه ١ : ٩ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٧٢ . وصدره :

* فطرت بمنصلى في يعملات *

فاكتفى فى جميع هذا بالكسرة من الياء، وهو كثيرٌ جداً . فلما كان الاكتفاء بالكسرة جائزاً مستحسناً فى هذه الأسماء الآحاد ، والآحاد أخفُّ ١٨
من الجموع ، كان باب « جوارٍ » جديراً بأن يلزم الحذف لثقله . ألا ترى أنه جمعٌ وهو مع ذلك الجمعُ الأكبرُ الذى تنتهى إليه الجموع ! فلما اجتمع فيه ذلك وكانوا قد حذفوا الياء مما هو أخفُّ منه ألزموه الحذف البتة حتّى لم يجز غيره . وقد حذفت الياء من الفعل أيضاً فى موضع الرفع حذفاً كالمطَّرد كقوله تعالى : « ما كُنّا نَبْغِ[1] » ، « والليلِ إذا يَسْرِ[2] » وهو كثير . فهذا يدلُّك على اطّراد حذف الياء .

فإن قال قائل : الفعل أثقل من الاسم ، فكيف ألزم بابُ جوارٍ الحذفَ ولم يلزموه الفعل ؟ قيل له : لم يلزم فى الفعل ، لأن الياء قد تحذف للجزم حذفاً مطرداً ، فلو ألزموها الحذفَ فى موضع الرفع أيضاً لالتبس الرفع بالجزم ؛ وأجازوا الحذف فى بعض المواضع استخفافاً .

فإن قيل : هلاّ فصلت بين الرفع والجر أيضاً فى جَوارٍ كما فصلت بين الرفع والجزم ! قيل له : الضمة والكسرة وإن اختلفتا فى الصورة فقد اتفقتا فى أنَّ كل واحدةٍ منهما حركة ، وأنهما كلتيهما مستثقلتان فى الياء ، فكذلك لم يفصلوا بينهما فى باب جَوار ، واعتمدوا على ما يصحب الكلام من أوله إلى آخره[3] ، وليس كذلك فى الرفع والجزم ، لأنهما لم يتفَّقا فى حال كما اتفقت الضمة والكسر . فافهم » .

* * *

(١) الآية ٢٤ من سورة الكهف .
(٢) الآية ٤ من سورة الفجر .
(٣) فى المنصف : « او آخره » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون ، وهو من شواهد س[١] :

٣٦ (سماه الإلهِ فوقَ سبعِ سمائيا)

وصدره : (له ما رأت عينُ البَصير وفوقَه)

أنشده لِما تقدَّم فى البيت قبله .

قال أبو جعفر النّحاس فى شرح شواهد س ، نقلا عن الأخفش ، ومثله ابن جنى فى شرح تصريف المازنى واللفظ له قال : « قد خرج هذا الشاعر عما عليه الاستعمال من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه جمع (سماء) على فعائل فشبّهها بشَمال وشمائل ، والجمع المعروف فيها إنما هو (سُمِىّ) على فُعول ، ونظيره عَناق وعُنوق . ألا ترى أن سماء مؤنثة كما أن عَناقاً كذلك ؟

والثانى : أنه أقر الهمزةَ العارضة فى الجمع مع أن اللام معتلة ، وهذا غير معروف ، ألا ترى أن ما تعرِض الهمزةُ فى جمعِه ولامُه واو أو ياء أو همزة فالهمزة العارضة فيه مغيَّرة مبدَلة نحو خطيئة وخطايا ، ومطيّة ومطايا ، ولم يقولوا : خطائى ولا مَطائى ! .

والثالث : أنه أجرى الياء فى (سمائى) مُجرى الباء فى ضوارب ، ففتحها فى موضع الجر ، والمعروف عندهم أن تقول : هؤلاء جَوارٍ ومررت بجوَار ، فتحذف الياء وتدخل التنوين . وللنحويين فى ذلك احتجاجٌ لما يذهبون إليه من أنّ أصل مطايا مطائى ، ألا ترى أن الشاعر لما اضطر جاء به على أصله فقال (سمائيا) كما أنّه لما اضطُرّ إلى إظهار أصل (ضنّ) . قال :

(١) سيبويه ٢ : ٥٩ . وانظر الخصائص ١ : ٢١١ ، ٣٣٣ و ٢ : ٣٤٨ واللسان (سما ١٢٢) .

* أنى أجود لأقوام وإن ضَنِنوا[١] *

وكما قال الآخر :

* صددتِ فأطولْت الصدود[٢] *

يريد (أطلْت) . فهذه الأشياء الشاذة فيها حجج فى أن يقولوا : إن أصل هذا كذا .

وكذلك ماحكى عنهم من أنّهم يقولون : غفر الله له خطائئه — بوزن خطاععه[٣] — فيه دلالة على أن أصل رزايا رزائىْ بوزن رزاعع[٤] .ألا ترى أن رزيئة كخطيئة ! فلا بدّ لهم فى جميع مايدعونه من قياسٍ يرجعون إليه ، أو مسموع يحملون ما غيِّر عليه » . انتهى .

وهذا كلُّه من الأصول لابن السيرافى ، إلاَّ أنَّ ابن جنّى بسط ما أجمله ابن السراج . .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة طويلة لأمية بن أبى الصلت ، مطلعها :

(ألا كلُّ شىء هالكٌ غيرَ ربّنا ... ولله ميراثُ الذى كان فانيا

ولىٌّ : له من دون كل ولاية ... إذا شاء لم يُمسُوا جميعاً مواليا ١١٩

وإن يك شىء خالداً ومعمَّرا ... تأمَّل تجدْ مِن فوقه اللهَ باقيا

له ما رأت عينُ البصير وفوقَه ... سماه الإلهِ فوق سبع سمائيا)

---

(١) لقعنب بن أم صاحب . انظر نوادر أبى زيد ٤٤ وسيبويه ١ : ١١ . وصدره :

* مهلا أعاذل قد جربت من خلقى *

(٢) للمرار الفقعسى ، أو عمر بن أبى ربيعة . الخزانة ٤ : ٣٢٥ بولاق . وهو بتمامه:

صددت فأطولت الصدود وقلما ... وصال على طول الصدود يدوم

(٣) كذا فى ش مع أثر تصحيح ، وهو المألوف فى التنظير . وفى ط : « خطاعفه » تحريف .

(٤) كذا فى ش . وفى ط : «رزافع» .

وهذه قصيدةٌ عظيمة تشتمل على توحيد الله وقصص بعض الأنبياء كنوح ، ويوسف ، وموسى ، وداود ، وسليمان عليهم السلام[1] .

ويعجبنى منها قوله :

(ألا لن يفوتَ المرء رحمةُ ربه ولو كان تحتَ الأرضِ سَبعينَ واديا
يُعالَى وندركه من الله رحمةٌ ويضحى ثَناه فى البرية زاكيا)

وقوله فى آخرها :

(وأنتَ الذى من فضْل سَيب ونعمةٍ بعثتَ إلى موسى رسولاً مُنادِيَا
فقال : أعنِّى يابنَ أمى فإننى كثيرٌ به يارَبِّ صِل لى جناحيا
وقلتَ لهارُونَ : اذهبا فتظاهرَا على المرء فرعونَ الذى كان طاغيا
وقولا له : آأنت سويتَ هذه بلا وتِدٍ حتَّى اطمأنتْ كما هيا
وقولا له : آأنت رفَّعتَ هذه بلا عَمَدٍ أرفِقْ إذًا بكَ بانيا
وقولا له : آأنت سوَّيت وَسْطها منيراً إذا ما جنَّهُ الليلُ ساريا
وقولا له : مَن أخرجَ الشمسَ بُكرةً فأصبح ما مسَّت من الأرضِ ضاحيا
وقولا له : مَنْ أنبتَ الحَبَّ فى الثرى فأصبح منهُ البقلُ يهتزّ رابيا
فأصبحَ منه حبةٌ فى رءوسهِ ففى ذاك آياتٌ لمن كانَ واعيا) .

وقوله : « ولىٌّ له من دون كل ولاية الخ » هو خبر مبتدإ محذوف ، أى ربنا ولىٌّ ؛ وهو فعيل بمعنى فاعل ، من وليه إذا قامَ به ، وكل من ولى أمر أحدٍ فهو وليّه ؛ والضمير فى له راجع لقوله « الذى كان فانيا » . والولاية ، قال أبو عمرو : هى بالكسر فى العمل ، وبالفتح فى الدِّين . وقوله : « إذا شاء الخ» يقول : إذا شاء أماتهم وفرقهم . والموالى : الورثة ، جمع مولى ، قال تعالى

(١) عليهم السلام ، ساقطة من ط .

« ولـكلٍّ جَعلنا مَوالِيَ » ، أي ورثة . وقوله « له ما رأت عينُ البصير الخ » له: خبر مقدم وضميره لربنا ، وما موصولة مبتدأ مؤخر ؛ وتقديم الخبر للحصر ، أي الذي رأته الأعينُ مِلكٌ لربنا ليس لأحدٍ شيء منه[1] ؛ وضمير فوقه عائد لما الموصولةِ . وسماء الإله أراد به العرش ، مبتدأ وخبره الظرف قبله . وقوله « فوق سبع سمائيا » حال من الضمير المستتر في (فوقه) . ومَن رفع سماء الإله بالظرف قبله كان « فوق سبع سمائيا » حالاً من سماء الإله . كذا في إيضاح الشعر لأبي عليّ .

قال ابن جني في الخصائص[2] : « وكان أبو علي ينشدنا : فوق ستّ سمائيا » .

وكذا رأيته أنا قد أثبته في الإيضاح ، وكذلك رأيته أنا أيضاً في ديوان (أميّة) ، فيكون المراد بسماء الإله : السماء السابعة .

أمية بن أبي الصلت ١٢٠

(وأميّة) هو أمية بن أبي الصَّلت ، واسمه : عبدالله بن أبي ربيعة بن عوف الثّقفيّ . قال الأصمعيّ : ذهب أمية في شعره بعامّةِ ذكر الآخرة ، وعنترة بعامّة ذكر الحرب . وقد صدّقه النبي صلى الله عليه وسلم في بعض شعره . وفي صحيح مسلم عن الرشيد بن سويد قال : « رَدِفت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل معك من شعر أُميّة بن أبي الصلت شيء ؟ قلت : نعم . قال : هيهِ ! فأنشدته بيتاً ، فقال : هيهِ ، ثم أنشدته بيتاً ، فقال : هيهِ ، حتى أنشدته مائة بيت ، فقال : « كاد لَيسلم » ، وفي رواية : « لَيُسلم في شعره » . وفي رواية : « آمن شعره وكفر قلبه » .

وفي الإصابة عن ابن عباس « أن النبي صلى الله عليه أُنشدِ قول أمية :

(١) ش : « منها » .
(٢) الخصائص ١ : ٢١١ .

رَجلٌ وثَور تحت رِجل يمينـهِ والنَّسر للأُخرى وليثٌ مُرصِد[١]

فقال : صدق ، وهذه صفة حَمَلة العرش .

وفى شرح ديوانه لمحمد بن حبيب : يقال : إنّ حملة العرش ثمانية : رجل، وثور ، ونسر ، وأسد ، هذه أربعة وأربعة أخرى ؛ فأما اليوم فهم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة أُيدوا بأربعةٍ أخرى فذلك قوله تعالى : « ويَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثمانِيَةٌ » . كذلك بلغنى ، والله أعلم ويقال : إن الذى فى صورة رُجلٍ هو الذى يشفع لبنى آدم فى أرزاقهم ، وأما الذى فى صورة نَسر فهو الذى يشفع للطَّير فى أرزاقهم . وبلغنى أيضاً أن لكلّ ملَكٍ منهم أربعةَ وجوهٍ : وجه رجل ، ووجه ثور ، ووجه أسد ، ووجه نسر . اه

وفى الأغانى[٢] بسنده لما أُنشد النبى صلى الله عليه وسلم قول أمية :

الحمـدُ لله مُمسانا ومُصبَحنا بالخـيرِ صبّحنا ربّى ومَسّانا

ربُّ الحنيفةِ لم تَنفد خزائنها[٣] ممـلوءةً طَبَقَ الآفاقِ أشطانا

ألاَ نبيٌّ لنـا منّا فيخبرنا ما بُعدُ غايتنا من رأس مجرانا[٤]

بينـا يُربّبنا آباؤُنا هَلكوا وبينما نقتنى الأولادَ أبلانا[٥]

وقد علِمنا لوَ آنَّ العلمَ ينفعنـا أنْ سوفَ تلحق أُخرانا بأولانا

---

(١) فى الاصابة ١ : ١٣٣ :

زحل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث يرصد

،وبعده : « فقال: صدق هكذا صفة حملة العرش» .

(٢) الأغانى ٣ : ١٨٣ .

(٣) سه : « لم تفتت خواتمها » ، وأثبت ما فى ط والأغانى .

(٤) الأغانى : « مجانا » .

(٥) الأغانى : « أفنانا » .

وقد عجبتُ وما بالموتِ من عجبٍ ... ما بال أحيائِنا يبكون موتانا!

إلى أن قال:

يا ربِّ لاتجعلَنّي كافراً أبداً ... واجعل سَريرَةَ قلبي الدَّهرَ إيمانا

واخلِطْ به[1] بِنْيِتي واخلِطْ به بَشَرى ... واللحمَ والدَّمَ ما عُمِّرتُ إنسانا

إني أعوذُ بمَنْ حجَّ الحجيجُ لهُ ... والرّافعونَ لدين اللهِ أركانا

مسلّمِينَ إليـــه عند حجّهم ... لم ينتفوا بثوابِ اللهِ أثمـانا

فقال صلى الله عليه وسلم: «آمن شعرُه وكفر قلبه».

وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء[2]: وكان أمية يُخبر أن نبياً يخرُج، قد أظلّ زمانه، وكان يؤمّل أن يكون ذلك النبيَّ؛ فلما بلغه خروج النبي صلى الله عليه وسلم كفر به حسداً. ولما أنشد النبي صلى الله عليه وسلم شعره قال: «آمن لسانه وكفر قلبه». وأتى بألفاظ كثيرة[3] لاتعرفها العرب، وكان يأخذها من الكتب. منها قوله:

بآيةِ قامَ ينطقُ كلُّ شيءٍ ... وخان أمانةَ الديك الغرابُ

وزعم أن الدِّيك كان نديماً للغراب، فرهنه على الخمر وغدَر به وتركه عند الخمّار، فجعله الخمّار حارساً. ١٢١

ومنها قوله:

* قمرٌ وساهورٌ يُسَلُّ ويُغمَدُ *

وزعم أهلُ الكتاب أنّ (الساهور) غلاف القمر يدخل فيه إذا انكسف.

(١) ش: «نيق».
(٢) الشعراء ٣٢٩.
(٣) ش: «بالألفاظ كثيرة».

وقوله فى الشمس :

ليستْ بطالعة لهم فى رسلها إلاّ معذّبةً وإلّا تجلَدُ

وكان يسمّى السماوات صاقورة وحاقورة . وعلماؤنا لايرون شعره حجة على الكتاب .

ولما حضرته الوفاة قال :

كلُّ عيش وإن تطاولَ يوماً صائرٌ مرةً إلى أن يزولا

ليتنى كنتُ قبلَ ماقد بدا لى فى رءوس الجبال أرعىْ الوعولا

قال شارح ديوانه فى شرح بيت الشمس : قال أبو عمرو : قال أبو بكر الهذَلى : قلت لعكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما : أرأيت مابلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأمية بن أبى الصلت : « آمن شعره وكفر قلبه »؟ فقال : هو حقٌّ ، وما أنكرتم من ذلك ؟ قال : قلنا : أنكرنا قوله :

والشمسُ تصبحُ كلَّ آخر ليلةٍ حمراء يُصبح لونها يتورّدُ

ليست بطالعةٍ لهم فى رسلها . . . . (البيت)

فما شأن الشمس تجلد ؟ قال : والذى نفسى بيده ماطلعت الشمسُ قَطْ حتّى ينخَسها سبعون ألف ملك يقال لها : اطلُعى ! فتقول : لا أطلُع على قوم يعبدوننى من دون الله . فيأتيها مَلكان حتى تستقلّ لضياء العباد ، فيأتيها شيطان يريد أن يصدّها عن الطلوع ، فتطلع على قرنيه فيُحرقه الله تحتها . وما غربت قطّ إلاّ خرّت لله ساجدة ، فيأتيها شيطان يريد أن يصدّها عن سجودها فتغرب على قرنيه فيُحرقه الله تحتها . فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « تطلع بين قرنَىْ شيطان ، وتغرب بين قرنى شيطان[1] » .

---

(١) الخبر برواية أخرى فى الأغانى ٣ : ١٨٤ .

وفى الأغانى[١] عن الزبير بن بكار قال : حدثنى عمى قال : كان أمية فى الجاهلية نظر الكتب وقرأها ، ولبس المسوح تعبّدا ، وكان ذكر إبراهيم[٢] وإسماعيل والحنيفية ، وحرّم الخمر ، وتجنّب الأوثان ، وصام ، والتمس الدين طمعاً فى النبوّة ؛ لأنّه كان قد قرأ فى الكتب أن نبياً يبعث فى الحجاز من العرب وكان يرجو أن يكون هو ، فلمّا بُعث النبى صلى الله عليه وسلم حسده . وكان يحرّض قريشاً بعد وقعة بدر ويرثى من قتل فيها ، فمنّ ذلك قصيدته الحائية التى نهى النبىُّ صلى الله عليه وسلم عن روايتها[٣] التى يقول فيها :

ماذا ببَدْرٍ والعَقَنْـ ـقَلِ من مَرازِبةٍ جَحاجحْ

لأن رءوس من قتل بها عتبة وشيبة : ابنا ربيعة بن عبد شمس ، وهما ابنا خالِهِ ، لأنّ أمّه رقية بنت عبد شمس .

وفى الإصابة : ذكر صاحب المرآة[٤] فى ترجمته عن ابن هشام قال : كان أمية آمَن بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فقدِم الحجاز ليأخذ ماله من الطائف ويهاجر ، فلما نزل بدراً قيل له : إلى أين يا أبا عثمان ؟ فقال : أريد أن أتبع محمداً . فقيل له : هل تدرى ما فى هذا القَليب ؟ قال : لا . قال : فيه شيبة وربيعه[٥] وفلان وفلان . فجدع أنف ناقته وشقّ ثوبه وبكى ، وذهب إلى الطائف فمات بها . ذكر ذلك فى حوادث السنة الثامنة . والمعروف أنه مات

(١) الأغانى ٣ : ١٨٠ .

(٢) ط والأغانى : « وكان ممن ذكر إبراهيم » .

(٣) لكن رويت فى السيرة ٥٣١ والعقد ٣ : ٣٠٠

(٤) مرآة الزمان ، لسبط ابن الجوزى .

(٥) فى الاصابة ١ : ١٣٣ : « فيه شيبة وعتبة ابنا خالك » .

١٢٢ فى التاسعة . ولم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافراً ، وصح أنه عاش حتى رثى أهل بدر ، وقيل إنّه الذى نزل فيه قوله تعالى : « الذى آتيناه آياتِنا فانْسلَخَ منها»[1] . وقيل : إنه مات سنة تسع من الهجرة فى الطائف كافرا قبل أن يُسلم الثقفيون .

ورأيت فى ديوانه قصيدة مدح بها النبىّ صلى الله عليه وسلم أولها :

لكَ الحمدُ والمنُّ ربَّ العبا ... دِ أنتَ المليكُ وأنت الحكم

إلى أن قال :

ودِنْ دينَ رَبِّك حتّى التُّقى ... واجتنبنَّ الهوى والضَّجَمْ

محمدٌ أرسَلَه بالهدى ... فعاشَ غنيًّا ولم يهتضم

عطاء منَ الله أعطيَه[2] ... وخصَّ به اللهُ أهلَ الحرم

وقد علموا أنَّه خيرُهم ... وفى بيتهم ذى الندى والكرم

يَعيبون ما قالَ لمّا دعا ... وقد فرّج الله إحدى البهم

به وهو يدعو بصدق الحديـ ... ـثِ إلى الله من قبل زَيغ القَدَم

أطيعوا الرسولَ عبادَ الإله ... تنجون من شرِّ يومٍ ألَمّ

تنجون من ظلمات العذاب ... ومن حرِّ نار على من ظلم

دعانا النبىُّ به خاتم ... فمن لم يُجِبهُ أسرَّ الندم

نبىٌّ هُدًى صادقٌ طيِّبٌ ... رحيمٌ رءوفٌ بوصل الرَّحِم

به خَتَمَ اللهُ مَن قبله ... ومن بعده من نبى ختم

يموتُ كما ماتَ مَن قد مضى ... يُرَدُّ إلى الله بارى النَّسَم

مع الأنبيا فى جِنانِ الخلودِ ... همُ أهلها غير حِل القسم

(١) الآية ١٧٥ من سورة الأعراف.

(٢) ط : « اعطيته » .

وقدّس فينا بحبّ الصلاة جميعاً وعلّم خطّ القلم
كتاباً من الله نقرا به فمن يعتديه[١] فقدْ ما أثمْ

مازائدة ، وأثم فعل ماض .

« تتمة »

من اسمه أمية

تتبعت من اسمه أمية فوجدتهم خمسة : أحدهم هذا ، والثانى : أمية بن كعب المحاربى ، والثالث : أمية بن خلف الخزاعى . والرابع : أمية بن أبى عائذ الهذلى . والخامس: أمية بن الأسكر الكنانى . ولم يذكر واحداً منهم الآمدى فى كتابه (المؤتلف والمختلف) مع أن هذا من شرط كتابه .

ونترجم إن شاء الله من هؤلاء من يأتى له شعر فى هذه الشواهد ، بعون الله تعالى وحسن توفيقه .

* * *

وأنشد بعده : (يَفوقانِ مِرْداسَ فى مَجمعٍ)

تقدم الكلام عليه مستوفى فى الشاهد السابع عشر[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون :

٣٧ (كم دُونَ ميةَ من خرْقٍ ومن عَلَمٍ
كأنّه لامعٌ عُريانُ مسلوبُ)

١٢٣

(١) ـــ : « فمن يقتد به » .

(٢) انظر ماسبق فى ص ١٤٧.

على أن عريان جاء فى ضرورة الشعر ممنوعَ الصرف ، تشبيهاً بباب سكران .

قد تقدم فى الشاهد السابع عشر[1] أنّ الكوفيين يجيزون ترك الصرف للضرورة[2] فى الأعلام وغيرها ، ومن جملة شواهدهم :

* والسيف عريان أحمر[3] *

وتقدم . و (كم) هنا للتكثير . و (دون) بمعنى قدام . و (ميّة) اسم محبوبة ذى الرمة ولقبها الخرقاء كما تقدم بيانه فى الشاهد الثامن . وفى أكثر نسخ هذا الشرح (بيشة) بدل مية ، وهو موضع باليمن وهو مأسدة . وفى كتاب النبات للدينورى : بِيشة : واد عظيم من أودية نجد . وهو تحريف من الكتّاب . و (الخرق) بفتح المعجمة وسكون الراء المهملة وبالقاف ، هو الأرض الواسعة التى تتخرّق فيها الرياح . و (العلم) : الجبل ، والمنار الذى يهتدى به فى الطرق . وجملة كأنه صفة للعلم والرابط ضمير كأنه . شبّه برجل عريان سلب ثوبه فهو يشير إلى القوم . و (اللامع) من لمع الرجل بيده إذا أشار ، والموصوف محذوف أى رجل لامع . وهذا البيت من أبيات عشرة لذى الرمة . وقبل هذا البيت :

(هيهات خرقاء إلاّ أن يقرّبها ذو العرش والشعشعاناتُ المراجيبُ)

يستبعد الوصول إليها لبعد ما بينهما ، إلا أن يقرّبها الله إليه والجمالُ . والشعشعانة : الناقة الخفيفة الطويلة . والمراجيب : جمع مرجاب ، وهى الناقة الطويلة الضخمة .

ثم بعد أن وصف الناقة فى أبيات ثلاثة قال :

---

(١) ص ١٤٧ .

(٢) كلة « ترك » ساقطة من سه .

(٣) انظر ص ١٤٨ فى الشاهد ١٧ والإنصاف ٤٩٧ .

كم دون مية من خرق ومن علم ... (البيت)

وبعده :

(ومن ملمّعة غبراء مظلمة ترابُها بالشّعاف الغُبر معصوبُ)

هذا معطوف على قوله من خرق ومن علم . والملمّعة : اسم فاعل ، وهى الفلاة التى يلمع فيها السّراب ؛ ويقال لها اللّماعة أيضاً . قال ابن أحمر :

كم دونَ ليلى من تَنوفية[1] لمّاعة يُنذَر فيها النذُر

والسراب يقال له يلمع ، ويشبّه به الكذوب . والشّعاف : رءوس الجبال . والمعصوب : الملفوف عليه كالعصابة . وبعده وهو آخر الأبيات :

(كأن حِرباءها فى كلّ هاجرة ذو شَيبة من رجال الهند مصلوب)

الهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحرّ . والحِرباء : دويبة تستقبل الشمس على أغصان الشجر وتدور معها كيف دارت ، ويتلوّن ألوانا بحرّ الشمس يخضرّ كأنه شيخ هندىّ مصلوب على عود .

وترجمة ذى الرمة تقدمت فى الشاهد الثامن[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون ، وهو من شواهد س[3] :

٣٨ (أنا ابنُ جلا وطَلاّعُ الثّنايا متى أضعِ العِمامةَ تعرفونى)

على أن (جلا) غير منصرف عند عيسى بن عمر ، لأنّه منقول من الفعل ، ولم يشترط غَلَبة الوزن بالفعل . وأجاب عنه الشارح المحقّق تبعا لغيره بوجهين :

(١) ش : « تنوفة » ، صوابه فى ط واللسان (لمع ، تنف).

(٢) ص ١٠٦

(٣) كتاب سيبويه ٢ : ٧ . وانظر ايضا العينى ٤ : ٣٥٦ وابن يعيش ١ : ٦١ ، ٣ : ٥٩ ، ٦٢ وهمع الهوامع ١ : ٣ والأصمعيات ص ١٦ .

الأول وهو جواب س : أن العَلَم إنّما هو الفعل مع ضميره المستتر ، فهو جملة محكية وليس العلَم هو الفعل بدون ضميره . ويردُ عليه أنّ جلا ليس اسماً لأبى الشاعر ولا لقباً له كما يعلم من ترجمته الآتية ، وإنما ابنُ جلا فى اللغة المنكشف الأمر ، كما قاله المبرد فى الكامل[1] .

١٢٤

وقال القالى فى أماليه[2] : يقال هو ابن جلا ، أى المنكشف المشهور الأمر ، وأنشد الأصمعىّ :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا . . الخ

قال : وابن أجلَى مثله . وأنشد للعجاج :

لاقوا به الحجّاج والإصحارا به ابن أجلَى وافق الإسفارا[3]

قال : ولم أسمع بابن أجلى إلاّ فى بيت العجّاج . وقوله لاقوا به ، أى بذلك المكان . وقوله : والإصحارا ، أى وجدوا به ابن أجلى ، كما تقول لقيت به الأسد أى كأنى لقيت بلقائى . وقوله وافق الإسفارا ، أى واضحاً مثل الصبح . وقال ابن الأثير فى المرصّع : ابن جلا ، وابن أجلى ، هو الرجل المعروف المشهور والأمر الواضح المكشوف . وزعم بعضهم أنّ ابن جلا اسم رجل كان فاتكاً صاحب غارات مشهوراً بذلك . وأنشد هذا البيت .

وقوله بعد هذا : « وهو فى الأصل فعل ماض سمّى به ، وإنما لم يصرف لأنه أراد به الحكاية » فاسدٌ ؛ لأنه ركب من القولين قولا . وقال الباوَىّ فى كتاب (ألف باء) : ابن جلا وابن أجلى هما بمعنى التجلّى والأمر المنكشف ، وهو أول النهار . وقال صاحب القاموس : وابن جلا الواضح الأمر كابن أجلى .

---

(١) الكامل ١٢٨ ، ٢١٥ .
(٢) أمالى القالى ١ : ٢٤٦ .
(٣) ديوان العجاج ٢٣ .

وقال ابن الأنبارى والقالى فى المقصور والممدود لهما : وقولهم أنا ابن جلا : أنا ابن البارز الأمر ، أنا ابن من لا ينكر .

فهذا كلُّه يدل على عدم اختصاصه بأحدٍ ، بل يجوز لكلِّ أحدٍ أن يقول للتمدُّح : أنا ابنُ جلا ، كما قال اللعين المِنقرى يهجو رؤبة بن العجاج :

إنّى أنا ابنُ جلا إن كنتَ تعرفنى يا رؤبَ والحيةُ الصمّاء والجبلُ

أبا لأراجيز يا ابن اللؤم توعدنى وفى الأراجيز خلتُ اللؤمُ والفشلُ

وهذا البيت ينشده النحويون :

* وفى الأراجيز خلتُ اللؤمُ والخوَرُ *

والصواب ما ذكرناه . فإنّ القصيدة لامية ، إلاّ أن يكونَ من قصيدة أخرى رائية . وقال الآخر[1] :

* أنا القُلاخ بن جَناب بن جلا *

قال العسكرى فى التصحيف : جناب جدُّ القلاخ . انتسب إليه . وابن جلا ليس بجدٍّ ، إنما أراد أنا ابن الأمر المكشوف ، مثل قول سُحَيم :

* أنا ابن جَلا وطلاعُ الثنايا * . . . انتهى

الثانى وهو جواب الزمخشرى فى المفصَّل : أن جلا ليس بعلم ، وإنما هو فعل ماض مع ضميره صفة لموصوف محذوف . وبهذا الوجه أورده الشارح فى باب النعت وفى باب أفعال المدح والذم أيضاً ، وضَعَّفه فى الأبواب الثلاثة بأن الجملة إذا كانت صفة لمحذوف فشرط موصوفها أن يكون بعضاً من متقدّم مجرور بمن أو فى كما بين .

---

(١) هو القلاخ . وانظر التصحيف للعسكرى ٣٨٨ .

ويبقى وجه ثالث ذكره ابن الحاجب فى أماليه وهو أن يكون جلا اسماً لا فعلا ، وأن يكون بتقدير ذى ، أى أنا ابنُ ذى جلا ، والجلا هو انحسار الشعر عن مقدَّم الرأس .

أقول : فى القاموس وغيره : الجلا بالقصر : انحسار مقدَّم الرأس من الشعر أو نصف الرأس ، أو هو دون الصلع ، جَلِيَ كرَضِيَ جلاً . انتهى . وفى المقصور والممدود لابن الانبارى والقالى : الجلا انحسار الشعر من مقدم الرأس من جانبى الجبهة ، مقصور يكتب بالألف لأنه يقال : رجل أجلى وامرأة جلواء . وعلى هذا الوجه لا يحتاج إلى تقدير ذى ، فإنه يقال فلان ابن كذا بمعنى أنه ملازم له كما يقال أخو حروب . والصَّلَع ونحوه أحد مخايل الشجاعة وأماراتها ، وقيل من دلائل الكرم ، لأنّ العرب تقول : الذى ولد أصلع يكون كريماً بحسب الغالب . والمراد من وضع العمامة إزالتها عن الرأس ، إما لأن الذى يعرفه إنما رآه مكشوفَ الرأس فى الحروب لكثرة مباشرته إياها فإذا رأى العمامة جهله ، وإمّا لأن الذى يعرفه إنما رآه لابسا آلات الحرب وعلى رأسه البيضة لكثرة حروبه فينحّى عمامته ويلبس البيضة .

١٢٥

وهذا محصل كلام ابن الحاجب فى أماليه ، وعبارتُه : قوله متى أضع العمامة تعرفونى الخ إما أن يريد كثرة مباشرته الحروب فلا يراه الأكثر إلاّ بغير عمامة فقال : متى أضع العمامة يعرفنى الذى ما رآنى إلاّ غير متعمم ، أو يريد أنّنى بكثرة مباشرتى الحروب ولباسى بيضة الحرب فتى أضع العمامة وألبس آلة الحرب يعرفونى . يعنى إذا حاربت عُرفت بأقدامى وشجاعتى . انتهى .

والوجه هو الأوّل ، وقد لحظه ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب فأخذه وضمنه ببعض تغيير فى الرشيد عُمَر الغوى وكان به داء الثّعلب ، وهو من نوادر ما قيل فى أقرع ، وقال :

عجبت لمعشر غلطوا وغضُّوا ... من الشيخ الرشيد وأنكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى يضع العمامة يعرفوه

وقال أبو العباس أحمد اللخمى المالكى وتوفى فى سنة ٦٠٣ ثلاث وستمائة :

يُسَرُّ بالعيد أقوامٌ لهم سَعة ... من الثراء وأمّا المقترون فلا
هل سرَّنى وثيابى فيه قومُ سَبا ... أو راقنى وعلى رأسى به ابن جلا

يعنى بقوم سبا قوله تعالى : « مزّقناهم كل ممزق » ، وابن جلا ما له عمامة .

وقال ثعلب فى أماليه(١) فى الكلام على هذا البيت : والعمامة تلبس فى الحروب وتوضع فى السلم . وهذا خلافُ الواقع وضد معنى البيت .

وقال الكرمانى شارح شواهد الموشَّح (شرح الكافية الحاجبية للخبيصى) : قوله متى أضع العمامة يحتمل معنيين بحسب اختلاف التقديرين :

الأول أن يقدر « على » ، فيكون التقدير متى أضع العمامة على رأسى تعرفونى أنى أهلٌ للسيادة والإمارة .

والثانى أن يقدر « عن » ، أى متى أضع العمامة عن رأسى تعرفوا شجاعتى بواسطة صَلع رأسى ، لأنّه أحد مخايل الشجاعة .

هذا كلامه . ولم يتعرض لمعنى وضع العمامة العينى ولا السيوطى ولا صاحب المعاهد فى شروح شواهدهم(٢) . وطلاع مبالغة طالع يقال : طلعت الجبل طلوعا أى علوته ، يتعدّى بنفسه . وطلعت فيه : رقِيته .

قال ثعلب فى أماليه : من رفع طلاع الثنايا [جعله مدحا لابن ، ومن خفضه

(١) مجالس ثعلب ٢١٢ . ولفظه : « تلبس فى الحرب » .
(٢) شرح شواهد المغنى ١٥٧ ، ٢٥٤ ومعاهد التنصيص ١ : ١٤ .

جعله مدحاً جلا . يعنى أنه روى فيه الخفض والرفع ، والجيد عندى الرفع .
والثنايا[1]] : جمع ثنية .

قال المبرد فى الكامل : هى الطريق فى الجبل والطريق فى الرمل ، وإنّما أراد أنه جلدٌ يطلع الثنايا فى ارتفاعها وصعوبتها . قال دُريد بن الصِّمَّة يعنى عبد الله أخاه :

كميشُ الإزار خارج نصف ساقه بعيد من السَّوءات طلَّاع أنجدِ

والنجد : ما ارتفع من الأرض . ١٢٦

وقال ابن قتيبة فى أبيات المعانى[2] : قوله طلاع الثَّنايا أى يطلع على الثنايا ، وهى ماعلا من الأرض وغلظ . ومثله قولهم : طلَّاع أنجُد .

وقال العينى : والثنايا : جمع ثنية ، وهى السنّ المشهورة . وهذا غير لائق به .

وهذا البيت مطلع قصيدة لسُحيم بن وَثيل الرِّياحى ، وليس هو العرجى كما توهمه التفتازانى فى المطوّل . وبعده :

(وإنّ مكانَنا من حِمْيَرىّ مكانُ الليث من وسط العرين
وإنّى لن يعود إلىّ قِرنى غداة الغِبّ إلا فى قرين
بذى لِبَدٍ يصُدُّ الركبُ عنه ولا تُؤْتى قرينتُه لحين[3]
عذرت البُزْلِ إذْ هى خاطرتنى فما بالى وبالُ ابنَىْ لَبُون
وماذا يَبتغى الشعراء منّى وقد جاوزتُ حد الأربعين

(١) ما بين المعقفين من س وسقط من ط .
(٢) المعانى الكبير ٥٣٠ .
(٣) فى الأصمعيات ١٩ وكذا فى س مع أثر إصلاح : « فريسته » .

أخو خمسينَ مجتمعٌ أشُدِّى ونَجَّذَنى مُداورة الشئون

فإنّ عُلالتى وجِراءَ حولى لذو شِقٍّ على الضَّرَع الظُّنون

كريم الخال من سَلَفَىْ رِياح كنصل السيف وضّاح الجبين

متى أحلل إلى قطن وزيد وسلمى تَكثرِ الأصوات دونى[١]

وهَمّام متى أحلل إليـه محلَّ الليث فى عِيص أمين

ألفّ الجانبين به أسودٌ منطَّقـة بأصلاب الجفون

وإن قَناتنـا مشظٌ شَظاَها شديدٌ مَدُّها عُنُقَ القرين)

سبب الأبيات

روى صاحب المعاهد وغيره ، أنَّ السبب فى هذه الأبيات : أنّ رجلا أتى الأبيرد الرياحى وابنَ عمه الأخوص[٢] ، وهما من ردُف الملوك من بنى رياح ، يطلب منهما هِناءً لإبله ، أى قطرانا . فقالا له : إذا أنت أبلغت سحيم بنَ وثيل الرياحىَّ هذا الشعرَ أعطيناك . فقال : قُولا . فقالا : اذهب وقل له :

فإنّ بُداهتى وجِراء حولى لذو شِقّ على الحِطِم الحرونِ

فلما أتاه وأنشده الشعر أخذ عصاه[٣] وانحدر فى الوادى يُقبِل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر ، ثم قال : اذهب وقل لهما . وأنشد هذه الأبيات . قال : فأتياه واعتذرا له ، فقال : إنّ أحدكما ليرى أنّه صنع شيئاً حتى يقيس شعره بشعرنا ، وحَسَبه بحسبنا ويستطيف بنا استطافة البعير الأربّ ؟! انتهى .

وفى العمدة لابن رشيق : أنَّ الأخوص والأبيرد ابنى المعذّر ، وهماشاعران مُنْلِقان . وقال عبد الكريم : الأبيرد ابن أخى الأخوص . انتهى .

(١) هذا البيت والبيتان بعده لم يرويا فى الأصمعيات .

(٢) ط : « الأحوص » بالحاء المهملة ، صوابه فى س .

(٣) ط : « حصاة » ، صوابه فى س .

والرُّدُف بضمتين : جمع رِدف بكسر فسكون[1] . والرِّدف هو الذى يجلس على يمين الملك ، فإذا شرب الملك شرب الرِّدف قبل الناس ، وإذا غزا الملك قعد الردف فى موضعه وكان خليفتَه على الناس حتّى ينصرف ، وإذا عادت كتيبة الملك أخذ الردف ربع الغنيمة .

والبُداهة بضم الموحدة : أول جرى الفرس ، والجِراء بكسر الجيم : مصدر جاراه مجاراة وجراء ، أى جرى معه . والحول : العام . والشِّق بالكسر: المشقة . والحَطِم بفتح الحاء وكسر الطاء المهملتين : الفرس الهرِم . قال فى الصحاح : الحطِم المتكسِّر فى نفسه ، ويقال للفرس إذا تهدَّم لطول عمره : حطم . ويقال : حطِمت الدابة بالكسر إذا أسنت ، وحَطَمته السن بالفتح حطما . والحَرون : الفرس الذى لا يقاد ، وإذا اشتدّ به الجرى وقف . ١٢٧

وهذا البيت تعريضٌ لسحيم بأنه لا يبلغ غايتَهما لكبره وعجزه . والأزبُّ بالزاى المعجمة ، والزَّبب هو طول الشعر ، ويقال بعير أزبّ ، ولا يكاد يكون الأزبّ إلاّ نفوراً[2] لأنّه ينبت على حاجبيه شعرات ، فإذا ضربته الريح نفر .

وقول سحيم (وإن مكاننا من حميرىّ) يأتى فى نسبه أنّ حميرياً أحد أجداده . و (اللَّيث) : الأسد . و (العَرين) بفتح المهملة : الأجمة ، والغابة وفيها يكون مأوى الأسد . يريد أنه فى بحبوحة النسب إلى حميرىّ لا فى أطرافه . و (القِرْن) بكسر القاف : الكفء فى الشجاعة ، وقيل عامٌّ . و (الغِبّ) بالكسر : ورود الإبل الماء فى اليوم الثانى ، وغداة الغب : اليوم الذى يسوقون إبلهم فيه . و (القرين) : المقارن والمصاحب . وفى بمعنى مع . وقوله

---

(١) كذا . ومثله جمعهم للردف أيضا على ردافى . والقياس أن يكون جمع رديف .

(٢) ومنه قولهم فى المثل : « كل أزب نفور » . انظر اللسان (زبب) وأمثال الميدانى ٢ : ٧١ . وقائله زهير بن جذيمة لأخيه أسيد ، وكان أزب جبانا

(بذى لبد) ، بدل من قوله فى قرين . وفاعل يصدّ ضمير ذى لبد . وضمير عنه وقرينته[١] للقرن . وذو اللبدَ هو الأسد ، بكسر اللام وفتح الباء : جمع لِبدة كقِرَب جمع قِربة ، واللّبدة هى الشعر المتلبِّد بين كتفى الأسد . والقرينة : النفس ، يقول : إنّ قِرنى لايقدر أن يقابلنى من خوفه إلاّ مع رفيق ، كالأسد يقدر أن يدفع ركباً عنه ، حتّى تسلم نفسه منّى لحينٍ من الأحيان .

وقوله : (عَذَرت البزل) هو جمع بازل ، وهو البعير المسن . (وخاطرتنى) : راهنتنى ، من الخطَر بالتحريك وهو الشىء الذى يُتراهن عليه ، وقد أخطر المالَ : جعله خَطراً بين المتراهنين . وخاطره على كذا : راهنه . وابن اللبون : ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية ودخل فى الثالثة . يقول : إذا راهننى الشيوخ على شىء عذرتهم لأنهم أقرانى ، وأما الشُّبان فلا مناسبةَ بينى وبينهم . وأراد بابنَىْ لبون الأبيرد وابن عمه ، فإنّهما طلبا مجاراته فى الشعر .

وقوله : (وماذا يبتغى الشعراء منى الخ) ، رواه الجوهرى « وماذا يدّرى الشعراء » . قال : ادّراه : افتعله ، بمعنى ختله ، من درى الصيد إذا خَتَله . واستشهد النحاة بهذا البيت على كسر نون الجمع .

وقوله (أخو خمسين) أى أنا أخو خمسين سنة . واجتماع الأشُدّ عبارةٌ عن كمال القوى فى البدن والعقل . وقال صاحب العباب : والرجل المجتمِع : الذى بلغ أشدَّه واستوت لحيته ، ولا يقال ذلك للنّساء ، وأنشد هذا البيت لسحيم . وفيه نظر . وقوله : ونجذّنى بالذال المعجمة ، أى هذّبنى . قال فى الصحاح : « ورجل منجَّذ أى مجرَّب أحكمته الأمور » . وهو من الناجذ وهو آخر الأضراس ، ويسمّى ضرس الحِلم بكسر الحاء ، لأنه ينبت بعد البلوغ

---

(١) ط : « فريسته » ، صوابه فى ش .

وكمالِ العقل. والمداورة : مفاعلة من دار يدور ، بمعنى المعالجة والمزاولة والشئون : الأمور ، والأحوال ، جمع شأن .

وقوله : (فإنّ عُلالتى الخ) العلالة بضم العين المهملة : بقية جرى الفرس . والضَّرَع ، بفتح الضاد المعجمة والراء المهملة : الضعيف . وفى القاموس وضرُع ككرم : ضعف ، فهو ضَرَع محركة ، من قوم ضَرَع محركة أيضاً ، ومهر ضَرَع محركة : لم يقو على العدْو . والظَّنُون بالمعجمة كصبور : الرجل الضعيف والقليل الحيلة . وهذا تعريضٌ بأنَّ فيهما ضعفاً لا يقدران على مجاراته وإن كان شيخاً .

وقوله : (كريم الخال) أى أنا كريم الخال . ورِياح بكسر الراء المهملة وبالمثناة التحتية ، هو ابن يربوع وأبو قبيلة سُحيم . وأحلُل : أنزل . وقَطَن وزيد هما خالاه . وسَلمى خالته . وكثرة أصواتهم للترحيب والتهنئة . وهمَّام هو عمه . والعِيص بكسر العين وبالصاد المهملتين : الشجر الكثير الملتفّ . وبيَّن بهذين البيتين سلفَيْه من رياح . والألفُ : الموضع الملتفّ الكثير الأهل . والمنطقة : المحزّمة بالمِنْطقة ، وهى الحزام . يقال : انتطق الرجل وتنطَّق : شدّ وسطه بالمِنْطَقة كمكنسة ، وهى ما يُنتطق به . والجفون : جمع جَفْن بالفتح ، وهو قراب السيف. وأراد بالجفون السيوف ، وبالأصلاب سيورها .

وقوله : (وإنّ قناتنا مَشِظ الخ) مشظ بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وإعجام الظاء : هو الذى يدخل فى اليد من الشوك إذا مُسّ . يقال مشظ من باب فرح : مسّ الشوكَ أو الجذع فدخل فى يده منه شىء ، والشَّظَى بفتح الشين والظاء المعجمتين ، بمعنى الشظيَّة وهى الفِلقة والقطعة من الشىء . والشَّديد من الشدّة . ومدُّها فاعل شديد . و (عُنقَ القرين) منصوب بمدّها . والقرين : القرن المقاوم . والبيت على طريق التشبيه . يقول : من تعرَّض لنا بسوء ناله

مكروه يتأذّى به ، كالذى يمسُّ جلده قناة مَشِظة فيدخل فى جلده من شظاها وهى مع ذلك صُلبة ، من قُرِن بها مدّت عنقه إليها ولم تنثن إليه . كذا فى شرح أبيات الإصلاح لابن السيرافى .

ترجمة سحيم

و (سُحَيم) : مصغر أسحم ، تصغير ترخيم من السُّحْمة بالضم ، وهى السواد . ابن (وَثيل) بفتح الواو وكسر الثاء المثلثة ، وهو فى اللغة كما فى القاموس : الليف ، والرشاء الضعيف ، والحبل من القِنّب ، والضعيف . وفى الإصابة لابن حجر — وتبعه السيوطى فى شواهد المغنى — أنه بالتصغير ، وهو غير منقول . (ابن أُعَيفر) : مصغر أعفر بالعين المهملة والفاء ، وهو الرمل الأحمر والأبيض وليس بالشديد البياض . وأعيفر (ابنُ أبى عمرو بن إهاب بكسر الهمزة ابن حِمْيَرى) بلفظ النسبة إلى حِمْيَر ، وهو أبو قبيلة من اليمن ، وهو حِمْيَر بن سبأ بن يَشْجب بن يَعْرُب بن قحطان . قال ابن الكلبى فى جمهرة الأنساب : حميرى بن رياح يقال فيه حَمَّرِىّ أيضاً أى بفتح الحاء وتشديد الميم .

وزعم الدمامينى فى الحاشية الهندية أنّ الياء فى حميرىّ زائدة[1] ، أو للنسبة بتقدير من نسب حميرى . وهذا من عدم اطّلاعه على نسب الشاعر . وتقدم فى شرح أول بيت من الشواهد[2] أن حميريًا أحد آباء ذى الخِرَق الطُّهَوى أيضاً . وحميرىّ بن رياح ، وتقدم ضبطه .

ورياح ابنُ يربوع . ويربوع اثنان : أحدهما يربوع أبوحىّ من تميم ، وهو يربوع بن حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر بن أدّ بن طابخة ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . والثانى أبو بطن من مُرَّة ،

---

(١) أى كما فى قولهم : «أحمرى» و «أصفرى» و « دوارى » ، للأحمر والأصفر ، يريدون الياء للمبالغة . انظر شرح الشافية للرضى فى أول باب المنسوب .

(٢) ص ٤٢ .

وهو يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غَطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار .

وسُحيم بن وثيل يتّصل نسبه بيربوع بن حنظلة ، كما قال ابن الكلبى فى الجمهرة . فمن بنى حميرى بن رياح بن يربوع بن حنظلة سُحيمُ بن وثيل بن عمرو بن جُوين بن أهَيب بن حميرىّ الشاعر ، القائل :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا . . . (البيت)

وهو الذى نافر غالباً أبا الفرزدق فى الإسلام . انتهى

وليس فى آباء سحيم من اسمه جلا . وسحيم شاعر معروف فى الجاهلية والإسلام ، عدّه الُجمحى فى الطبقة الثانية من شعراء الإسلام[1] وقال : سحيم ابن وثيل شاعر خنذيذ شريف ، مشهور الذكر فى الجاهلية والإسلام ، جيد الموضع فى قومه . ١٢٩

وقال ابن دريد : عاش سُحيمٌ فى الجاهلية أربعين سنة وفى الإسلام ستين سنة ، فهو من الشعراء المخضرمين ، وله أخبار مع زياد ابن أبيه ، وهو الذى افتخر مع غالب بن صعصعة والد الفرزدق فى نحر الإبل ، فبلغ علياً رضى الله فأفتى بحرمة ما نحره سحيم .

وسنأتى إن شاء الله تعالى هذه القصّة مشروحة فى باب الاشتغال فى قول جرير :

تعُدُّون عَقرَ النِّيب أفضلَ مجدِكم بنى ضَوْطَرَى لولا الـكَمِيَّ المقنَّعا

من اسمه سحيم

وله سَميّان من الشعراء : أحدهما سُحيم بن الأعرف ، وهو من بنى الهجيم ، وكان فى الدولة الأموية ، ولم يذكر ابن قتيبة فى طبقات الشعراء غير هذا[2]

(١) الحق أنه جعله فى الطبقة الثالثة . ابن سلام ٤٨٥ ، ٤٨٩ .

(٢) الحق أن ابن قتيبة ذكر أيضا سحيم بن وثيل الرياحى فى ٦٢٦ كما ذكر أيضا عبد بنى الحسحاس فى ٣٦٩ . ولعل هذا الخلاف راجع إلى نقص فى النسخ .

وأورد طرفا من شعره . والثانى سُحيم عبد بنى الحسحاس ، وكان عبدا حبشيًّا ، وهو صاحب القصيدة التى أولها :

عُميرةَ ودّعْ إنْ تجهّزتَ غاديا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

وهو من شواهد مغنى اللبيب ، وسنذكر إن شاء الله ترجمته بتوفيق الله تعالى فى الشاهد الرابع[1] والتسعين .

ولم يذكر الآمدى فى كتابه المؤتلف والمختلف واحداً من هؤلاء الثلاثة ، مع أنه من شرط كتابه .

وقد حصل اللَّبس للعينى فى باب المعرب والمبنى من اتفاق أسماء هؤلاء ، فزعم أنَّ الأول هو الثالث فقال : سحيم بن وثيل الرياحىّ كان عبدا حبشيا ، وكان عبد بنى الحسحاس . هذا فيما قاله الجوهرى . انتهى . مع أن الجوهرى لم يذكر لفظ سحيم فى صحاحه .

وأغربُ من هذا كله أنه أورد أبياتاً قبل بيت « أنا ابن جلا » ، وأكثرها من قصيدة المثقِّب العبدى التى أولها :

أفاطمَ قبــلَ بَينِكِ متّعينى ومنعُك ما سألتُ كأنْ تَبينى

وفيها بيتٌ لعلى بن بدّال ، من بنى سليم وهو :

فلو أنّا على حجرٍ ذُبحنـا جَرى الدَّميان بالخبر اليقينِ

وهذا ثالث أبيات ثلاثة يأتى شرحها إن شاء الله فى باب المثنى ، وفيها ثلاثة أبيات لسُحيم بن وثيل من الأبيات التى شرحناها ، وهى قوله : أنا ابن جلا البيت . والثانى : وماذا يبتغى الشعراء منّى . . البيت ، والثالث : أخو خمسين مجتمع أشُدّى . . البيت . فما أورده مجموع من شعر شعراء ثلاثة . وقال فى باب

(١) فى النسختين : « الثانى والتسعين » ، والتصحيح للأستاذ الميمنى .

مالا ينصرف عند شرح بيت « أنا ابن جلا » : قائله سحيم بن وَثيل الرياحى ، وقيل المثقّب العبدى ، وقيل أبو زبيد ، وقيل إنّه من قصيدة سُحيم التى أولها :

* أفاطم قبـل بينك مَتِّعينى *

« تتمـة »

المخضرَم بالخاءِ والضاد المعجمتين على صيغة اسم المفعول ، ونقل السيوطى فى شرح تقريب النووى عن بعض أهل اللغة كسر الراء أيضا . قال صاحب القاموس : هو المـاضى نصفُ عمره فى الجاهلية ونصفه فى الإسلام ، وقيل : مَن أدركهما . وهذان القولان يعمّان الشاعر وغيره . وقيل : الشاعر[1] الذى أدركهما ، وهذا هو المشهور . وعليه اقتصر صاحبُ الصحاح . ثم توسّعُ حتّى أُطلق على من أدرك دولتين ، كرؤبة بن العجّاج وحمّاد عجرد ، فإنّهما أدركا دولة بنى أمية ودولة بنى العباس .

١٣٠ وقال السيوطى فى شرح التقريب : المخضرم فى اصطلاح أهل الحديث هو الذى أدرك الجاهلية وزمن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره . وفى اصطلاح أهل اللغة هو الذى عاش نصفَ عمره فى الجاهلية ونصفه فى الإسلام ، سواء أدرك الصُّحبة أم لا ، فبين الاصطلاحين عمومٌ وخصوص من وجه ، فحكيم ابن حزام مخضرم باصطلاح اللغة لا الحديث ، وبشر بن عمرو مخضرم باصطلاح الحديث لا اللغة . انتهى .

وفى تعريفه اصطلاح اللغة نظر وتأمل .

ثم قال : والمراد بإدراك الجاهليَّة ماقبل البعثة ، كما قال النوويّ فى شرح مسلم . قال العراقى : وفيه نظر ، والظاهر إدراك قومه أو غيرهم على الكفر

(١) من « وغيره » إلى هنا ساقط من ط .

قبل فتح مكة ، فإنّ العرب بعده بادروا إلى الإسلام وزال أمر الجاهلية ، وخطب صلى الله عليه وسلم فى الفتح بإبطال أمرها . وقد ذكر مسلم فى المخضرمين بشير ابن عمرو ، وإنّما ولد بعد الهجرة .

قال ابن رشيق فى العمدة[1] : قال أبو الحسن الأخفش : ماء خِضْرِمٌ كزبرج ، إذا تناهى فى الكثرة والسّعة ، فمنه سمّى الرجل الذى شهد الجاهليةَ والإسلام : مخضرماً ، كأنه استوفى الأمرين . قال : ويقال أذن مخضرمة ، إذا كانت مقطوعةً ، فكأنه انقطع عن الجاهلية إلى الإسلام . وحكى ابن قتيبة عن عبدالرحمن عن عمه[2] قال : أسلم قوم فى الجاهلية على إبل قطعوا آذانها ، فسمّى كلُّ من أدرك الجاهلية والإسلام مخضرما . وزعم أنه لايكون مخضرما حتى يكون إسلامه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم[3] . وهذا عندى خطأ ، لأنّ النابغة الجَعْدى ولَبيدا قد وقع عليهما هذا الاسم . وحكى على بن الحسن كراع : يقال شاعر مُحضرم بحاء غير معجمة مأخوذ من الحضرمة ، وهى الخلط ، لأنه خلط الجاهلية والإسلام[4] .

وحكى ابن خلكان مع الحاء المهملة كسر الراء أيضا .

واعلم أنّ الشعراء أربع طبقات : الأولى جاهلىٌّ قديم ، الثانية المخضرم ، الثالثة إسلامى ، الرابعة مُحْدَث . وهم أربعة أقسام : شاعر خِنْذِيذ بالخاء والنون والذالين المعجمات على وزن إبريق ، وهو الذى يجمع إلى جيِّد شعره روايةَ الجيد من شعر غيره . وشاعر مُفْلِق وهو الذى لارواية له إلاّ أنه مجوِّد

(١) العمدة ١ : ٧٢ .

(٢) عمه هو الأصمعى .

(٣) بعده فى العمدة : « وقد أدركه كبيرا ولم يسلم » .

(٤) فى العمدة : « بالإسلام » .

كالخنذيذ فى شعره ، والمفلق معناه الذى يأتى فى شعره بالفِلْق بالكسر وهو العَجَب ، وقيل هو اسم الداهية . وشاعر فقط وهو الذى فوق الردىء بدرجة . وشُعرور وهو لاشىء . وقيل : بل هم شاعر مفلق ، وشاعر مطلق ، وشويعر ، وشعرور .

وسمى الشاعر شاعراً لأنّه يشعر لما لايشعر له غيره ، فإذا لم يكن عندالشاعر توليدُ معنى واختراعه ، واستطراف لفظ وابتداعه ، أو زيادة فيما أجحف به غيره من المعانى ، أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ ، وصَرفُ معنى إلى وجه من وجه آخر ، كان اسم الشاعر عليه مجازاً لاحقيقة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون :

٣٩ (نُبّئتُ أخوالى بنى يزيدُ ظلماً علينا لهمُ فَديدُ)[١]

على أن (يزيد) علم محكىٌّ لكونه سمّى بالفعل مع ضميره المستتر ، من قولك : المال يزيدُ ، ولو كان من قولك يزيد المال لوجب منعه من الصرف ، وكان هنا مجرورا بالفتحة . و (نُبئت) : مجهول نَبّأ بالتشديد ، من النبأ وهو الخبر . وقال الراغب : النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علمٌ أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر فى الأصل نبأٌ حتّى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ، وحقه أن يتعرّى عن الكذب كالتواتر ، وخبرِ الله ، وخبر الرسول . ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال : أنبأته بكذا أخبرته به ، ولتضمنه معنى العلم قيل : أنباته كذا ، كقولك علّمته كذا .

---

(١) العينى ١ : ٣٨٨ / ٤ : ٣٧٠ وابن يعيش ١ : ٢٨ ومجالس ثعلب ٢١٢ واللسان فدد) .

قال السمين : أنبأ ونبّأ ، وأخبر وخبّر ، متى تضمنت معنى أعلم تعدّت لثلاثة مفاعيل ، وهو نهاية التعدى . وأمّا أعلمته بكذا فلتضمنه معنى الإحاطة. قيل ونبأته أبلغ من أنبأته ، ولذلك قال تعالى : « مَن أنبأكَ هذا قالَ نبّأنىَ العليمُ الخبير[(١)] » ، ولم يقل أنبأنى لأنّه من قِبل الله تعالى .

والمفعول الأول هنا ضمير المتكلم فى نُبئت ، والثانى أخوالى ، والثالث جملة لهم فديد . وأصل المفعولين الأخيرين المبتدأ والخبر . والفديد : الصَّوت ، وهو مصدر ، فدّ يفِدّ بالكسر ، أى أن أصواتهم تعلو علينا ولا يوقّروننا فى الخطاب . ورجل فَدّاد بالتشديد : شديد الصوت . وفى الحديث : « إنّ الجفاء والقسوة فى الفدّادين » ، وهم الذين تعلو أصواتهم فى حروثهم ومواشيهم. و (بنى يزيد) هم تجارٌ كانوا بمكة حرسها الله تعالى — وإليهم تنسب « البرود اليزيدية » كما يأتى آنفا — نعت لأخوالى ، أو بيان له ، أو بدل منه .

وقال ابن الحاجب فى الإيضاح : لايحسن أن يكون بدلاً ، لأنّ البدل هو المقصود بالذكر ، ولو جعلته بدلا لاحتاج إلى موصوف مقدّر ، وهم الأخوال أو ما يقوم مقامهم . ولا حاجة إلى هذا التقدير مع الاستغناء عنه ، فيتعين أن يكون صفة . وقد يجوز البدل على قبحه . انتهى .

وفيه نظر ، فإنّه على تقدير كونه بدلاً لايحتاج إلى موصوف مقدر ، فإنه مذكور ، وهو أخوالى . وليس معنى الإبدال أن يكون المبدل منه لغواً ساقطاً عن الاعتبار ، كيف وقد يعود الضمير عليه فى نحو قُطع زيد إصبعُه ، فلو كان فى حكم الساقط بالكلية لجهل مرجع الضمير ، ولم يقل أحدٌ إنه راجع إلى زيد مقدر مع وجوده ، وإنّما المقصود بالذكر فى بدل الكل المبدل منه والبدل جميعا ، كما حققه الشارح المحقق . ويزيده أنّهم جعلوا الجنّ بدلا

---

(١) الآية ٣ من سورة التحريم .

من شركاء فى قوله تعالى : « وَجَعَلُوا للهِ شُرَكاءَ الجِنَّ » . فلولا اعتبارهما ما كان معنًى لقولنا وجعلوا لله الجن .

وقد تبع ابنُ الحاجب الزمخشريَّ فى هذا ، فإنّه منع فى كشّافه أن يكون «أن اعبدوا الله» بدلاً من ضمير به من قوله تعالى :« ماقلتُ لهم إلاّ ما أمرتَنى به أن اعبُدوا الله » ظنًّا منه أن المبدل منه فى قوة الساقط ، فتبقى الصلة بلا عائد . ووهّمه صاحب المغنى بأن العائد موجودٌ حسًّا فلا مانع . وقد نقض ابن الحاجب ماعدَّه قبيحا هنا بقوله فى أماليه : والأحسن أن يكون «بنى يزيد» بدلاً من أخوالى ، لأنَّ البدل إنما يكون بالأسماء الموضوعة للذوات ، بخلاف ابن فإنّه موضوع لذات باعتبار معنى هو المقصود وهو البنوّة .

قال الشارح المحقق : الأغلب فى البدل أن يكون جامدا ، بحيث لو حذف الأول لاستقلَّ الثانى ولم يحتج إلى متبوع قبله فى المعنى . انتهى .

ولا يجوز أن يكون (بنى يزيد) المفعولَ الثالث ، لأنه لم يُرد الإخبار عن أخواله بأنهم بنو يزيد ، ولأن قوله (لهم فديد) يبقى غير مرتبط بما قبله . وقوله (ظلماً) عندى أنه تميز محوَّل عن المفعول ، أى نُبّئت ظلم أخوالى . وقال ابن الحاجب فى الإيضاح ، واختاره ابن هشام فى شواهده : وقد أجيز أن يكون ظالما مفعولا ثالثا ، يعنى ظالمين ، أو ذوى ظلم ، ويكون ما بعده كالتفسير له . ولا يخفى مافى هذا . وقال فى أماليه : لايجوز أن يكون حالا ، أى بالتأويل المذكور ، من أخوالى ، لأن المبتدأ لايتقيَّد ، ولا من ضمير (لهم) لأنها لاتتقدم على عاملها المعنوى . وفيه أنه حال من المفعول لا من المبتدأ ، لأنه انفسخ حكمه . وقوله « لأن المبتدأ لايتقيد » فيه مسامحة ، لأنَّ الحال إنّما هى قيد فى عاملها لا فى صاحبها ، ولما كان العامل فى المبتدإ الابتداء ، وهو ليس معنى فعليا ليصح تقييده ، امتنع مجىء الحال منه لذلك . ومن جوّزه

كسيبويه لم يلتزم اتّحاد العامل فيهما ، فجوّز أن يكون العامل فى المبتدإ الابتداء وفى الحال منه الانتساب . واعتُرض بأن الانتساب عاملٌ ضعيف لا يتحقّق إلا بتقدُّم الطرفين عليه . وأجيب بأن قوّة طلب المبتدإ لخبره جعلتْه فى حكم المتقدم . ولا يجوز أيضا أن يكون مفعولًا لأجله كما اختاره العينى ، سواء كان علة لنُبّئت لأنه لم ينبَّأ لأجل ظلمهم ، أو للاستقرار لأنه تقدَّم على عامله المعنوى ، أو للفديد لأنه يلزم تقدم معمول المصدر عليه . وقيل تمييزٌ من (لهم فديد) أى يصيحون ظلما لا عدلا . وفيه أن التمييز لا يتقدم على عامله . وقيل هو مفعول مطلق عامله من لفظه محذوفاً . وقال العينى : ويجوز أن يكون حالاً بتقدير جملة ، أى فى حال كونهم يظلمون علينا ظلما ، فحذفت الجملة التى وقعت حالا وأقيم المصدر مُقامها . ولا يخفى أن هذه الوجوه كلَّها ظاهرٌ فيها التعسف .. وقوله (علينا) إمّا متعلق بظلما[1] أو بقوله (لهم[2]) ، ولا حاجة حينئذ إلى تضمين الفديد معنى الجور ، خلافا للعينى لأنّه يتعدى بعلى . وقوله لهم خبر مقدم لقوله فديد ، وهو بإشباع ضمة الميم ، وإسكانُها خطأ ، لأنه يؤدى إلى جعل كلِّ مصراع من بحر ؛ وذلك لا يجوز كما بيَّنه الدمامينى فى الحاشية الهنديَّة .

واعلم أن الرواية (يزيد) بالمثناة التحتية ، ورواه ابن يعيش بالمثناة الفوقية . قال ابن الحاجب فى الإيضاح : ومن رواه بالفوقية فقد تنطَّع وتبجَّح بأنه قد علم أن فى العرب « تزيد » بالتاء الفوقية ، وإليه تنسب البرود التزيدية . وهو مردود من وجهين : أحدهما أن الرواية هنا بالتحتية . والثانى أنَّ تزيد بالفوقية فى كلامهم مفرد لا جملة . قال :

(١) كلمة « بظلما » موضعها بياض فى س . وإثباتها من ط .

(٢) ط : « لهم فديد »

يَمْثُرن فى حدّ الظُّباتِ كأنما كُسيت برودَ بنى تَزيدَ الأذرُعُ[1]

فاستعماله كالجملة خطأ . انتهى .

وفيما قاله أمران : الأول قوله وإليه تنسب البرود التزيدية وإيراده البيت ، أعنى « كسيت برود بنى تزيد الأذرع » مأخوذ من الصحاح ، فإنه قال فيه : وتزيد أى بالمثناة الفوقية وهو تزيد بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة ، وإليه تنسب البرود التزيدية . قال علقمة : ٠

رَدَّ القيانُ جِمالَ الحىّ فاحتملوا فكلُّها بالتَّزيديات معكوم

وهى برود فيها خطوط حُمر يشبَّه بها طرائق الدم ، قال أبو ذؤيب :

يعثرن فى حدِّ الظبات كأنما كسيت برود بنى تزيد الأذرعُ[1]

انتهى . وفيه أمور :

من اسمه تزيد

الأول أنه قصر فى تعديد من اسمه تزيد ، وهم على ما ذكره العسكرى فى التصحيف ثلاثة : أحدهم تزيد قضاعة ، وهو ما ذكره . والثانى تزيد الأنصار وهو تَزيد بن جُشَم بن الخَزْرَج بن حارثة ، منهم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم مُعاذ بن جبل رضى الله عنه . والثالث تزيد تنوخ ، كانت الترك أغارت عليهم فأفنتْهم ، فقال عمرو بن مالك التزيدى :

وليلتنا بآمِدَ لم ننمها كليلتنا بميَّافارِقينا

الثانى قوله تزيد بن حُلوان بالضم ، وتبعه صاحب العباب والقاموس وغيرهما ، صوابه تزيد بن حَيْدان ، نبه عليه العسكرى فى التصحيف فيما تلحن فيه الخاصة[2] .

---

(١) المفضليات ٤٢٦ والهذليين ١ : ١٠ .

(٢) التصحيف ١٠٥ . وفى الاشتقاق ٥٣٧ أن تزيد بن عمران ابن الحاف .

الثالث قوله وإليه تنسب البرود التزيدية ، صوابه المهوادج التزيدية ، كما قال السكرى . قال : والبرود البزيدية إنما هو بالمثناة التحتية منسوبة إلى بنى يزيد بالتحتية ، وبنو يزيد تجار كانوا بمكة حرسها الله ، وهى برود حمر .

وأما قول أبى ذؤيب « كسيت برودَ بنى يزيد الأذرع » فليس إلا يزيد بالياء تحتها نقطتان ، ومن قال فى هذا البيت بنى تزيد بالتاء فقد أخطأ . وقد ادّعى الجهمى النسابةُ على الأصمعى أنه صحّف تزيد بالتاء منقوطة فوقها ، ولا أدرى أصدق الجهمىُّ أم كذب ، لأن الأصمعى ينكر فى تفسير أشعار هذيل من يقول تزيد بتاء منقوطة فوقها[1] . انتهى كلام السكرى .

ورأيت فى شرح أشعار هُذَيل للسكرى فى نسخة بخط أبى بكر القناوى[2] ، وقد قرأها ابن فارس على ابن العميد وعليها خطُّهما ، قال فى تفسير هذا البيت : العامة تقول بنى تزيد ، أى بنقطتين من فوق ، ولم أسمعها هكذا . ورأيت فى شرحها أيضاً للإمام المرزوقى فى هذا البيت : روى الأصمعى بنى يزيد أى بالتحتية وقال : هم تجار كانوا بمكة . وروى أبو عمرو بنى تزيد أى بالفوقية ، وقال: هو تزيد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. واحتج ببيت علقمة :

* فكلها بالتزيديات معكوم *

والظبة : حدُّ السهم والسيف . ومعنى البيت أنَّ الحمر تعثرُ والسِّهام فيها ، وأذرعها مما سالت من الدماء عليها كأنها كسيت بروداً حمراً ، شبّه طرائق الدم بطرائق البُرود . انتهى .

---

(١) ط : « فيها » صوابه فى س . والنص منقول عن التصحيف بتصرف .

(٢) كذا ورد هنا ، وفى ٢ : ٤٦٠ — ٤٦٣ : « القارى » ، وهو الصواب ، وهو أحمد بن محمد بن عاصم القارىء . انظر مقدمة شرح أشعار الهذليين للسكرى ص ١٤ .

وفى العباب للصاغانى : قال ابن حبيب : تزيد بالمثناة فوق هو تزيد بن حلوان ، إلى آخر ما ذكره صاحب الصحاح . وقال غير ابن حبيب : يزيد بالمثناة من تحت ، وهم تجار كانوا بمكة . وروى أبو عبيدة : برود أبى يزيد ، وقال : كان يبيع العَصْب بمكة ، وهو ضرب من البرود . وصاحب القاموس قد أخلَّ باختصاره ، حيث لم يقيد بالفوقية أو بالتحتية فإنه قال : تزيد بن حلوان أبو قبيلة ، ومنه البرود التزيدية ، وبها خطوط حمر . فلا يعلم هو بالتاء أم بالياء .

رأيت فى معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى فى الكلام على جزيرة العرب ، عند ما ذكر تفرُّق كلة العرب ووقوع الحروب بينهم وتشتتهم ، أنَّ تزيد تنوخ هى تزيد قضاعة . قال : وخرجت فرقة من بنى حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة ورئيسهم عمرو بن مالك التزيدى ، فنزلوا عبقر من أرض الجزيرة ، فنسج نساؤهم الصوف وعَمِلوا منه الزَّرابىّ ، فهى التى يقال لها « العبقرية » ، وعملوا البرود وهى التى يقال لها « التزيدية » ، وأغارت عليهم الترك فأصابتهم وسبَتْ منهم . فذلك قول عمرو بن مالك بن زهير :

١٣٤ ألاَ لله ليل لم ننمه على ذات الحصاب مجنّبينا

وليلتنا بآمِدَ لم ننمها كليلتنا بميّافارِقينا

وأقبل الحارث بن قُراد البهرانى[1] ومضت بهراء حتّى لحقت بالترك فهزموهم واستنقذوا ما بأيديهم من بنى تزيد . انتهى .

الأمر الثانى فى كلام ابن الحاجب أن قوله تزيد بالفوقية فى كلامهم مفرد

(١) نسبة إلى قبيلة بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . ط : « البهرانى » صوابه فى س ، كما يقال فى المنسوب إلى صنعاء صنعانى .

لا جملة الخ . أقول : لا مانع من استعماله مفرداً وجملة ، باعتبار نقله مع الضمير وبدونه ، كما استعمل يزيد بالوجهين مع الاعتبارين فى قوله :

* ليبْك يزيد ضارِعٌ لخصومة *

فإنّهم قالوا روى ليبك بالبناء للفاعل ويزيد مفعوله وهو منصوب بالفتحة وضارع فاعله ،وروى بالبناء للمفعول ويزيد نائب فاعل،وأى فرق بينهما ؟! تأمل.

« تتمة »

هذا البيت فى غالب كتب النحو ، ولم أظفر بقائله ، ولم يعزُه أحد لقائله غير العينى ، فإنه قال : هو لرؤبة بن العجاج . وقد تصفّحت ديوانه فلم أجده فيه . والله أعلم .

* * *

باب الفـــاعل

أنشد فيه ، وهو الشاهد الأربعون :

٤٠ (جزى ربُّه عنى عدىَّ بن حاتم
جزاء الـكلابِ العاوِيات وقد فَعَلْ[(١)])

على أن الأخفش وابن جنى قد أجازا اتصال ضمير المفعول به بالفاعل مع تقدُّم الفاعل ، لشدة اقتضاء الفعل للمفعول به كاقتضائه للفاعل .

أقول : وممن ذهب مذهبهما أبو عبـد الله الطُّوال من الـكوفيين ، وابن مالك فى التسهيل وشرحه ، وأطال فى الردّ عليه الشاطبىّ فى شرح الألفية ونَصَر الإمام عبد القاهر الجرجانى مذهبَ الأخفش فى المسائل المشكلة .

(١) العينى ٢ : ٤٨٧ وابن يعيش ١ :٧٦ وهمع الهوامع ١ : ٦٦ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٠٢ والخصائص ١ : ٢٩٤ .

قال الفَنارىّ فى حاشية المطول : وذهب بعضهم إلى عدم إخلال الإضمار قبل الذكر بالفصاحة ، مستنداً بأن عبد القاهر قدوةٌ فى فنّ البلاغة ، وهو المرجع فيها ، وكلامه حجةٌ مطلقاً . وقد بين ابنُ جنى مذهبه فى الخصائص فقال : وأجمعوا على أن ليس بجائز ضَرَبَ غلامُه زيداً لتقدم المضمر على مظهره لفظاً ومعنى ، وقالوا فى قول النابغة :

جزى ربُّه عنى عدىّ بن حاتم

إن الهاء عائدة على عدىّ خلافاً على الجماعة . فإنْ قيل : الفاعل رتبته التقدم ، والمفعول رتبته التأخر ، فقد وقع كلٌّ منهما الموقعَ الذى هو أولى به ، فليس لك أن تعتقد فى الفاعل إذا وقع مؤخراً أنَّ موضعه التقديم . فإذا وقع مقدماً فقدْ أخذ مأخذه ، وإذا كان كذلك فقد وقع المضمر قبل مظهره لفظاً ومعنًى ، وهذا مالا يجوّزه القياس . قيل : الأمر وإن كان ظاهره ما تقوله فإن هنا طريقاً آخر يسوِّغك غيرَه ، وذلك أن المفعول قد شاع واطَّرد كثرة تقدمه على الفاعل ، حتى دعا ذاك أبا علىّ إلى أن قال إنّ تقديم المفعول على الفاعل قسمٌ قائم برأسه كما أن تقديم الفاعل قسم أيضاً قائم برأسه ، وإن كان تقديم الفاعل أكثر ، وقد جاء به الاستعمال مجيئاً واسعاً [1] ، فلما كثر وشاع تقديم المفعول صار كأن الموضع له ، حتى إنّه إذا أخر فموضعه التقديم ، فعلى ذلك كأنه قال : جزى عدىَّ بن حاتم ربه ، ثم قدم الفاعل على أنه قد قدره مقدماً عليه مفعوله ، فجاز لذلك . ولا تستنكر هذا الذى صوَّرته لك ، فإنه مما تقبله هذه اللغة ، ألا ترى أن سيبويه أجاز فى جر الوجه من قولك هذا الحسن الوجه أن يكون من موضعين : أحدهما بإضافة الحسن إليه ، والآخر

---

(١) ساق ابن جنى بعد هذا شواهد من القرآن ومن أشعار العرب . والنص منقول من الخصائص بتصرف فى جميع نواحيه .

١٣٥ تشبيهه له بالضارب الرجل ، مع أنا نعلم أن الجر فى الرجل إنما جاءه من تشبيههم إياه بالحسن الوجه ، لكن لما اطرد الجرُّ فى الضارب الرجل صار كأنه أصل فى بابه ، حتّى دعا ذاك سيبويه إلى أن عاد فشبّه الحسنَ الوجه به ، وهذا يدلك على تمكن الفروع عندهم ، حتى أن الأصول التى أعطت فروعها حكما قد حارت[1] فاستعارت من فروعها ذلك الحكم ، فكذلك تصيير تقديم المفعول لما استمرّ وكثر كأنه هو الأصل وتأخير الفاعل كأنه أيضاً هو الأصل . ويؤكد أن الهاء فى ربه لعدى بن حاتم من جهة المعنى ، عادةُ العرب فى الدعاء ، لا تكاد تقول جزى ربُّ زيد عمراً وإنما يقال جزاك ربك خيراً أو شرّاً ، وذلك أوفق لأنه إذا كان مجازيه ربه كان أقدر على جزائه وإيلامه ، ولذلك جرى العرف بذلك فاعرفه . انتهى .

وملخص كلامه أن المفعول فى هذه الصورة متقدم فى الرتبة ، لكن تأخر لضرورة الشعر ، فالضمير المتصل بالفاعل عائد على متقدم حكما . وهذا غير قول الشارح المحقق « لشدّة اقتضاء الفعل للمفعول به » . على أن حفيد السعد قال فى حاشية المطول : فيه أنّ ذلك لا يدفع الاضمار قبل الذكر . نعم لو كان اقتضاء المفعول أشدّ تم الكلام . انتهى .

وتبع التفتازانى فى المطول الشارح فيما ذكرناه وأورد بيت الشاهد وقوله :

لما عصىْ أصحابُه مصعبا أدّى إليه الكيل صاعاً بصاع[2]

ثم قال : وردّ بأن الضمير للمصدر المدلول عليه بالفعل أى ربّ الجزاء وأصحاب العصيان ، كقوله تعالى : « اعدلوا هو أقربُ للتّقوى » أى العدل .

وأما قوله :

(١) وكذا فى الخصائص، أى رجعت . حار يحور : رجع .

(٢) هو الشاهد ٤١ من شواهد الخزانة .

جَزى بنوه أبا الغِيلان عن كِبرٍ وحُسن فعلٍ كما يجزى سِنِمَّارُ

وقوله :

ألا ليتَ شِعْرِى هل يَلومَنَّ قومُه زهيراً على ما جرَّ من كلِّ جانبِ

فشاذ لا يقاس عليه . انتهى .

قال الفنارى : ويمكن أن يقال الضمير فى ربه راجع إلى المتكلّم على طريقة الالتفات عند السكاكى ، على قول امرىء القيس :

* تطاولَ ليلك بالإثمد *

انتهى . ولا يخفى بطلانه لسماجته ، فإن الالتفات إنّما وقع من المتكلم إلى خطاب النفس لا إلى الغيبة . فتأملْ .

والجزاء : المكافأة . و (عن) هنا للبدل كقوله تعالى : « وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً » . وقوله (جزاء الكلاب) مصدر تشبيهى ، أى جزاء كجزاء الكلاب العاويات ، وهو الضرب والإهانة . قيل : هذا ليس بشىء ، وإنما المراد الكلاب التى تتداعى للسفاد . يقال عاوت الكلبة الكلاب فهى معاوية ، أى دعتهم للسفاد . ولا يكاد يستعمل العُواء للكلاب إلاّ عند السفاد ، والمستعمل فى غير ذلك النُّباح ، وإنما العواء للسباع . وقيل إنّه يعنى بالعاويات المسعورة ، ومن شأنها إذا أريد برؤها أن يؤخذ سَفُّود فيُدخل فى أدبارها . والسُّعر بضمة وبضمتين ، والسّعار بضمّ أوّله : الجنون . والسَّعِرُ ككتف : المجنون . وروى : «الكلاب العاديات» ، جمع العادى من العَدْو .

١٣٦ دعا عليه بأحد هذه المعانى ثم حقَّقها عليه فقال : « وقد فعل » أى استجاب الله ما دعوتُ عليه وحقّقَه . ومثله للمتنبى :

وهذا دعاء لو سكتُّ كفيتُهُ لأنى سألت الله فيك وقد فعلْ

وجملة وقد فعل حال من ربه .

وهذا البيت لأبى الأسود الدؤلى يهجو به عدىّ بن حاتم الطائى . وزعم ابن جنى وغيرُه أنه للنابغة الذبيانى . وهو وإن عاصر عديّاً لكن الذى روى له إنما هو :

جَزى الله عبساً عبس آل بغيض جزاء الكلاب العاويات وقد فعلْ

وليس فيه مانحن فيه ، وسيأتى الكلام عليه . وقال العينى : قيل إن قائله لم يُعلم ، حتى قال ابن كيسان : أحسبه مولداً مصنوعاً . قال : والضمير لغير عدى ، فكأنّه وصف رجلاً أحسن إليه ثم قال : جزاه ربه خيراً وجَزى عنى عدىّ بنْ حاتم شراً ، فحينئذ لاشذوذَ فى البيت . ولا يخفى ركاكته .

ترجمة أبى الأسود

أما أبو الأسود الدؤلى فاسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جَندل بن يعمر ابن حُليس[1] بن نُفاثة بن عدىّ بن الدّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار . وهم إخوة قريش ، لأن قريشاً تختلف فى الموضع الذى افترقت فيه مع بنى أبيها . والنسابون يقولون : إنّ من لم يلده فهر بن مالك بن النضر فليس قرشياً .

وهو واضع علم النحو بتعليم علىٍّ رضى الله عنه ، وكان من وجوه شيعته واستعمله على البصرة بعد ابن عباس . وقبل هذا كان استعمله عمرُ بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما . وتوفى فيما ذكره المدائنى فى الطاعون الجارف فى سنة تسع وستين وله خمس وثمانون سنة ، وقيل مات قبل ذلك .

قال الجاحظ[2] : أبو الأسود الدؤلى معدودٌ فى طبقاتٍ من الناس ، وهو

---

(١) ـــه : « حلبس » ، وعند ابن خلكان فى ترجمته : « حلس بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وبعدها سين مهملة . وهكذا ذكره الوزير أبو القاسم المغربى فى كتاب الإيناس ، وهو مما يحرف كثيرا . فقد وجدت فيه اختلافا . وهذا هو الأصح »

(٢) فى غير الحيوان والبيان والتبين .

فيها كلّها مقدمٌ ومأثور عنه الفضلُ فى جميعها ، كان معدوداً فى التابعين والفقهاء والمحدِّثين ، والشعراء ، والأشراف والفرسان والأمراء ، والدهاة ، والنحويين ، والحاضرين الجواب ، والشِّيعة ، والبخلاء ، والصُّلع الأشراف ، والبخلاء الأشراف . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : كان أبو الأسود كاتباً لابن عباسٍ على البصرة ، وهو الذى يقول :

وإذا طلبتَ من الخلائق حاجةً فادعُ الإلهَ وأحسنِ الأعمالا
فليعطينَّك ما أراد بقدرة وهو اللطيفُ إذا أراد فعالا
إنّ العباد وشأنَهم وأمورَهم بيد الإله يقلِّب الأحوالا
فدعِ العباد ولا تكن بطِلابهمْ لهِجاً تَضَعْضَعُ للعبادِ سؤالا

وفى الأغانى بسنده إلى ابن عياش[1] قال : خطب أبو الأسود امرأةً من عبدالقيس يقال لها أسماء بنت زياد ، فأسرّ أمرَها إلى صديقٍ له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد ، فحدّث به ابنَ عم له كان يخطبها ، وكان لها مالٌ عند أهلها ، فمشى ابن عمها الخاطبُ لها إلى أهلها الذين مالُها فى أيديهم فأخبرهم خبر أبى الأسود وسألهم أن يمنعوها من نكاحه ومن مالها الذى فى أيديهم ، ففعلوا ذلك وضارُّوها حتى تزوجت ابنَ عمها ، فقال أبو الأسود فى ذلك :

لعمرى لقد أفشيتُ يوماً فخاننى إلى بعض من لم يخش سرّاً ممنعا
فمزّقه مِزق العمى وهو غافلٌ ونادى بما أخفيت منه فأسمعا[2]
فقلتُ ولم أفحُش لعاً لك عاثراً وقد يعثُر الساعى إذا كان مسرعا[3]
ولستُ بجازيكَ الملامةَ إننى أرى العفو أدنى للرشاد وأوسعا

١٣٧

(١) ط : « ابن عباس » ، صوابه فى ســه والأغانى ١١ : ١٠٤ .
(٢) العمى : مقصور العماء ، وهو السحاب .
(٣) الأغانى : « لعلك عاثر » ، وهو تحريف ناجم عن سوء السمع . انظر تحقيق النصوص من تأليفى ص ٦٢ .

ولكن تعلَّمْ أنه عهدُ بيننا فبِنْ غيرَ مذموم ٍولكنْ مودَّعا
حديثٌ أضعناه كلانا ، فلن أُرى وأنت نجيًا آخرَ الدهر أجمعا
وكنتَ إذا ضيعتَ سِرَّك لم تجدْ سواك له إلاّ أشتَّ وأضيعا

وقال فيه أيضا :

أمنتُ امرأً فى السرِّ لم يكُ حازما ولكنّه فى النصح غير مريبِ
أذاعَ به فى الناس حتّى كأنّه بعلياء نارٌ أُوقدت بثقوب
وكنتَ متى لم ترعَ سِرَّك تنتشرْ قوارعُه من مُخطيءٍ ومصيب
فما كلُّ ذى لُبٍّ بمؤتيكَ نصحَه وما كلُّ مؤتٍ نصحَه بلبيب
ولكن إذا ما استجمعا عند واحد فحقٌ له من طاعة بنصيب

وفى الأغانى أيضا بسنده عن عَوانة(١) ، قال : كان أبو الأسود يجلس إلى فِناء امرأةٍ بالبَصرة فيتحدّث إليها ، وكانت [بَرزةً(٢)] جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسودَ هل لك أن أتزوّجك ، فإنّى صَناعُ الكفِّ حسنةُ التدبير ، قانعةٌ بالميْسور ، قال : نعم . فجمعت أهلَها وتزوّجته ، فوجد عندها خلاف ماقدّره ، وأسرعت فى ماله ، ومدّت يدها إلى خِيانته(٣) ، وأفشت سرّه ؛ فغدا على مَن كان حضر تزويجَه إياها فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا، فقال لهم:

أريتَ امرأً كنتُ لم أبلُه فقال اتّخذنى صديقاً خليلا(٤)
فخالَلتُه ثم أكرمتُه فلم أستفد من لدُنه فَتيلا(٥)
وألفيتُه حين جرّبتُه كذوبَ الحديث سَروقا بخيلا

---

(١) الأغانى ١١ : ١٠٧ .
(٢) التكملة من الأغانى . والبرزة ، بالفتح : التى تبرز للرجال وتحادثهم .
(٣) وكذا فى الأغانى . وفى سه : « جبايته » .
(٤) الأغانى : « أتانى فقال اتخذنى » .
(٥) سه فقط : « من لديه » .

فذكّرته ، ثم عاتبتُــه عتاباً رفيقا وقولا جميــلا
فألفيتــه غـير مستعتِب ولا ذاكرَ اللهَ إلاّ قليــلا
ألستُ حقيقا بتوديعــه وإتباع ذلك صُرما طويلا

فقالوا له : بلى والله يا أبا الأسود ! فقال : تلك صاحِبتكم ، وقد طلقتُها [لكم[1]] ، وأنا لاأحب أن أستر ما أنكرتُه من أمرها . فانصرفتْ معهم .

وفيه أيضا بسنده إلى ابن عيّاش[2] قال : كان المنذر بن الجارود العَبدىّ صديقا لأبى الأسود ، يعجبه مجالستُه وحديثه ؛ وكان كلٌّ منهما يغشى صاحبَه ؛ وكانت لأبى الأسود مُقَطَّعة من برود يكثر لُبسها فقال له المنذر : لقد أدمنتَ لُبس هـذه المقطَّعة ! فقال أبو الأسود : ربَّ مملول لايستطاعُ فراقه ! فعلم المنذر أنه قد احتاج إلى كسوة ، فأهدى له ثيابا ، فقال أبو الأسود يمدحه[3] :

كساك ولم تَستكسِه فحمِدته أخٌ لك يعطيك الجزيل ويَاصِرُ
وإن أحقّ الناس ، إن كنت حامدا بحمدك مَن أعطاك والعرضُ وافر

١٣٨ وروى الحريرى فى درة الغواص[4] ، عن عُبيـد الله بن عبـد الله ابن طاهر قال :

اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم ، وابن الأعرابى ؛ فتجاريا الحديث[5] إلى أن حكى أبو نصر : أنّ أبا الأسود دخل على عبيد الله بن زياد وعليه ثيابٌ

(١) التكملة من الأغانى .
(٢) ط : « ابن عباس » صوابه فى ـــ والأغانى ١١ : ١١٧ .
(٣) انظر الخبر والخلاف فيه فى سمط اللآلىء ١٦٦ : ١٦٧ .
(٤) درة الغواص ٧١ .
(٥) فى الدرة : « فتجاذبا »

رثّة ، فكساه ثيابا جُدُدا من غير أن عرّض له بسؤال ، فخرج وهو يقول . . .
وأنشد البيتين ثم قال : وأنشد أبو نصر : « ويأصر » يريد به : ويعطف ؛
فقال له ابن الأعرابى : بل هو « وناصر » بالنون ؛ فقال له أبو نصر : دعنى
ياهنا ويأصرى ، وعليك بناصرك ! » .

وفى الأغانى أيضاً بسنده إلى أبى عبيدة قال : « كان أبو حرب بن أبى
الأسود قد لزِم منزل أبيه بالبصرة ، ولا ينتجع أرضاً ولا يطلب الرزق فى تجارة
ولا غيرِها ؛ فعاتبه أبوه على ذلك ، فقال أبو حرب : إنْ كان لى رزق
فسيأتينى ! فقال له أبوه :

وما طلبُ المعيشة بالتمنّى ولكن ألقِ دَلوك فى الدلاء
تجىء بملئها يوماً ، ويوماً تجىء بحمأة وقليلِ ماء[1]

وفيه أيضاً بسنده إلى عبد الملك بن عمير[2] قال : كان ابن عباس ،
رضى الله عنهما ، يكرِم أبا الأسود لمّا كان عاملا بالبصرة لعلى ، رضى الله عنه ،
ويقضى حوائجه ، فلما ولى ابنُ عامر جفاه وأبعده ومنعه حوائجَه ، لِما كان
يعلمه من هواه فى على ، رضى الله عنه ، فقال فيه ابو الأسود :

ذكرتُ ابنَ عباسٍ بباب ابن عامر وما مرّ من عيشى ذكرتُ وما فضلْ
أميرين كانا صاحبىَّ كلاهما فكلاًّ جزاه الله عنّىَ بما فعل
فإن كان شرًّا كان شرًّا جزاؤه وإن كان خيراً كان خيراً إذا عدل

وفيه أيضاً بسنده إلى العُتبىّ قال : كان لأبى الأسود جارٌ فى ظهر داره ،
له بابٌ إلى قَبيلة أخرى ، وكان بين داره ودار أبى الأسود بابٌ مفتوح يخرج

---

(١) كذا فى ط وأصل سه ، وغيرها الشنقيطى إلى « تجئك » فى الموضعين ، مساوقة لما فى الأغانى ١١ : ١١٧ .
(٢) الأغانى ١١ : ١١١ .

منه كلٌّ واحد إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها، وكان الرجل ابنَ عمّ أبى الأسود دنيًّا[(١)]، وكان شرساً سيِّئ الخلق، فأراد سدّ ذلك الباب، فقال له قومه: لا تفعل فتضرّ بأبى الأسود وهو شيخٌ، وليس عليك فى هذا الباب ضررٌ ولا مُؤنة! فأبى إلّا سدَّه، ثم ندم على ذلك لأنه أضرّ به، فكان إذا أراد سلوك الطريق التى يسلكها منه بعُدَ عليه، فعزم على فتحه، وبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال فيه:

بُليتُ بصاحب إنْ أدنُ شبرا   يَزِدْنى فى مباعدةٍ ذراعا
وإن أمدُد له فى الوصل ذَرعى   يزدْنى فوق قِيس الذَّرع باعا
أبت نفسى له إلاّ اتباعًا   وتأبى نفسه إلاّ امتناعا
كِلانا جاهدٌ: أدنو وينأى   فذلك ما استطعت وما استطاعا

وقال فيه أيضاً:

أعصَيتَ أمرَ ذَوى النُّهىٰ   وأطعتَ أمر ذوى الجهالَه
أخطأتَ حين صرمتَنى   والمرء يعجز لا محالَه
والعبد يُقرع بالعصا   والحرّ تكفيه المقالَه

وقد أطلنا فى إيرادِ شعره، لكنّا أطبنا[(٢)]: فإن حِكَمه شفاء الصدور، ودرر قلائد النحور.

١٣٩
عدى بن حاتم

وأما عدىٌّ بن حاتم فنسبته: عدى بن حاتم الطائى بن عبد الله بن سعد ابن حشرج بن امرئ القيس بن عدىّ بن [أخزمَ بن أبى أخزم، واسمه هَزومة[(٣)] بن] ربيعة بن جَرول بن ثُعَل بن عمرو بن الغَوث بن طيِّئ، بن أدد

(١) ط والأغانى: «دنية».
(٢) ط: «أطنبنا»، صوابه فى ش.
(٣) التكلة من ط، وليست فى ش.

ابن زيد بن كهلان ؛ إلا أنهم يختلفون فى بعض الأسماء إلى طيِّء . وكنية عدىّ : أبو طريف . قال أبو حاتم السجستانى فى كتاب المعمَّرين : « عاش عدى مائة وثمانين سنة » . اه

قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى شعبان من سنة سبع . وقال الواقدى : من سنة عشر . وخبره فى قدومه خبرٌ عجيب وحديث صحيح . ثم قدم على أبى بكر رضى الله عنه بصدقات قومه فى حين الردّة ، ومنع قومَه وطائفةً معهم من الردّة بثبوته على الإسلام وحسن رأيه ؛ وكان سريّا شريفا فى قومه ، خطيباً حاضر الجواب ، فاضلا كريما . روى عنه أنه قال : مادخل وقتُ صلاة قطّ إلا وأنا أشتاق إليها . وروى عنه أنه قال : مادخلت على النبى صلى الله عليه وسلم قطّ إلاّ وسَّع لى أو تحرَّك ، ودخلت عليه يوماً فى بيته وقد امتلأ من أصحابه ، فوسّع لى حتى جلست إلى جنبه .

وفى حديث الشعبى ، أنّ عدىّ بن حاتم قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه إذْ قدم عليه : « ما أظنك تعرفنى ؟ فقال : وكيف لاأعرفك ، وأول صدقة بيَّضتْ وجهَ رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقةُ طيِّء . أعرفُك آمنتَ إذ كفروا ، وأقبلتَ إذ أدبروا ووَفَيت إذْ غدروا » .

ثم نزل عدىٌّ الكوفة وسكنها ؛ وشهد مع على رضى الله عنه الجمل ، وفقئت عينه يومئذ ، ثم شهد مع علىّ رضى الله عنه صِفّين والنَّهروَان ، ومات بالكوفة وهو ابن مائة وعشرين فى سنة سبع وستين . كذا فى الاستيعاب لابن عبد البر .

وأما شعر النابغة الذبيانى فهو[1] :

جَزى الله عَبساً عبسَ آلِ بغيض ... جزاءَ الكلاب العاويات وقد فَعَلْ

(١) العينى ٢ : ٤٨٧ والفاخر ٢٣٠ والعمدة ١ : ٩٤ والنقائض ٩٩ .

بما انتهكوا من ربِّ عدنانَ جهرةً ... وعوفٌ يناجيهم وذلكمُ جلل
فأصبحتمُ والله يفعلُ ذاكمُ ... يُعِزُّ كم مولى مواليكم شَكَل
وروى : ... يبوك النساء المرضعاتِ بنو شَكل
إذا شاء منهم ناشىء دَربخت له ... لطيفةُ طىِّ الكشح رابية الكفل

قال المفضل بن سلمة ، فى الفاخر : روى هذا الشعر للنابغة الذبيانى ، وقيل إنه لعبدالله بن هُمارق بضم الهاء وآخره قاف ، وهو أحد بنى عبدالله ابن غطفان . وليس فى هذا الشعر شاهدٌ لما نحن فيه . والسبب فيه : أن بنى عبس لحقت ببنى ضَبّة بعد يوم الفَروق ، ثم وقع بينهما دمٌ ففارقتهم عبس فمرّت تريد الشام ، وبلغ بنى عامر ارتفاعُهم فخافوا انقطاعهم من قيس بن زهير رئيس بنى عبس ، فخرجت وفود بنى عامر إليهم فدعتهم إلى أن يرجعوا ويحالفوهم ، فقال قيس بن زهير : حالِفوا قوماً فى صُيّابة بنى عامر ليس لهم عدد فيبغوا عليكم بعددهم ، وإن احتجتم أن يقوموا بنُصرتكم قامت بنو عامر . فحالَفوا معاوية بن شَكَل بن كعب بن عامر بن صعصعة ، فمكثوا فيهم إلى أن قال الشاعر هذه الأبيات يعيِّر بنى عبس ، فلما بلغت قيساً قال : ماله قاتله الله أفسد علينا حِلفنا ! فخرجوا عنهم .

ويبوك : مضارع باك المرأة بمعنى جامعها ، بالباء الموحدة وآخره كاف . ودَربخت بالدال والراء المهملتين وبالباء الموحدة والخاء المعجمة ، يقال دربخت الحمامة لذكرها : طاوعته للسِّفاد . والصُّيّابة بضم الصاد المهملة وتشديد المثناة التحتية : الخالص ، والصميم ، والأصل ، والخيار من كلِّ شىء ، والسيّد . وصُيّابة القوم : لُبابهم .

* * *

(١) المفضليات ٣٢٣ وشرحها ٦٣٠ والموفقيات ٧٧ ـ ٧٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون :

٤١ (لمّـا عَصى أصحابُهُ مُصعَباً أدّى اليه الـكَيلَ صاعاً بصاعْ)

لِما تقدم فى البيت الذى قبله .

قال حفيد السعد فى حاشية المطول : أفرد ضمير (إليـه) مع أنه راجع إلى الأصحاب ، قصداً إلى كلّ واحد منهم .

وقال الفنارى : قيـل الضمير فى (أدّى) راجع إلى شخص مذكور فيا سبق ، وفى (إليه) راجع إلى مصعب . وقيل : الضمير فى أدّى راجع إلى مصعب وفى إليه راجع إلى أصحابه ، قصداً إلى كل واحد منهم ، أو تقول لمشابهة لفظ (أفعال) للمفرد، ولهذا يجىء فى كثير من المواضع وصفُ المفرد به ، نحو : ثوبٌ أسمال ونطفة أمشاج ، ونظيره قوله تعالى : « وَإِنَّ لَـكُمْ فى الأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمّا فى بُطونه » ؛ فإن الضمير فى بطونه راجع للأنعام . اهـ .

وهذا الـكلام برمّته من (شرح اللبّ) فى باب المفعول المطلق .

وقوله (أدّى إليه الـكيل) الخ ، قال الميدانى فى مجمع الأمثال : « جزاه كيل الصاع بالصاع » أى كافأ إحسانه بمثله وإساءته بمثلها .

وقوله (صاعاً) قال الحفيد : هو فى موضع الحال مثل بايعته يداً بيدٍ ، وهو فى الأصل جملة ، أى صاع منه بصاع ، كذا كتب قدّس سرّه بخطّه فى الحاشية . اهـ .

وقال الفنارىّ : وقوله صاعاً بصاع حال من ضمير أدّى ، والأصل مقابلا صاعاً بصاع ، ثم طُرِح مقابلاً وأقيم صاعاً مقامه ، ثم الحال ليست هى صاعاً وحده ، بل هو مع قوله بصاع ، لأن معنى المنوب عنه يحصل بالمجموع ، كذا ذكره صاحب الإقليد فى « كلّمته فاه إلى فىّ » . اهـ .

ومرجع الضميرين على ما تقدم ناشئ عن عدم الاطلاع عليه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للسفَّاح بن بُـكير بن مَعدان اليربوعى ، رثى بها يحيى ابن شدّاد بن ثعلبة بن بشر ، أحد بنى ثعلبة بن يربوع[1] . وقال أبو عبيدة : هى لرجل من بنى قُريع ، رثى بها يحيى بن ميسرة صاحب مُصعَب بن الزبير ، وكان وفَى له حتّى قتل معه .

وهذه أبيات من مطلعها :

أبيات الشاهد

(صلَّى على يحيى وأشياعه ربٌّ رحيمٌ وشفيعٌ مُطاعْ
لما عصَى أصحابُه مُصعباً أدّى إليه الكيلَ صاعاً بصاع
يا سيِّداً ما أنت من سيّدٍ موطّأ البيت رحيبِ الذّراع)

نقلته من المفضّليات وشرحها لابن الأنبارى . فالضمير فى (أدّى) راجع إلى يحيى ، وضمير (إليه) راجعٌ إلى مصعب . ورُوى البيت أيضاً كذا :

(لما جلا الُخلاّن عن مصعبٍ أدّى إليه القرض صاعاً بصاع)

فلا شاهد فى البيت على هذه الرواية[2] ، وهى رواية المفضل الضبى فى المفضليات .

وجلا بالجيم بمعنى تفرّق ، من الَجلاء بالفتح والمد ، وهو الخروج من الوطن ؛ يقال : قد جَلَوا عن أوطانهم وجلوتُهم أنا — لازمٌ ومتعدٍ — ويقال أيضاً أجْلَوا عن البلد وأجليتُهم أنا ، كلاهما بالألف . والُخلاّن : جمع خليل .

(١) الميمنى : « فى مقطعات مراث عن ابن الأعرابى ١١٦ : أبو السفاح التغلبى ، أحد ولد بنى عميرة بن طارق بن حصبة ، يرثى يحيى بن مبشر اليربوعى » . وفى الموفقيات للزبير بن بكار أيضا أنه أبو السفاح ، وهو بكير بن معدان بن عميرة بن طارق اليربوعى .

(٢) الميمنى : « ورواية الموفقيات : لما جفا المصعب خلانه . فلا شاهد أيضا » .

وقوله « يا سيداً ما أنت من سيد » إلخ ، يأتى إن شاء الله تعالى فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد الأربعمائة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون :

٤٢ (ألا ليتَ شِعرى هل يلومَنَّ قومُه
زُهيراً على ما جرَّ مِن كلِّ جانبِ)

لِمـا تقدّم فى البيت الذى قبله .

قال الفنارى : إنما لم يجز ها هنا رجوعُ الضمير إلى المصدر المدلول عليه وهو اللوم ، أو إلى الشاعر على سنن الالتفات ، لأن مقصود الشاعر قومُ زهير ، فإنَّ الذوق السليم يَفهم من هذا البيت تحريضَ أقربائه على لومه ولومَهم على ترك لومه ، ولعل قوم زهير غير قوم الشاعر . والله أعلم . اهـ .

وقوله (على ما جرَّ) فى القاموس : الجريرة : الذنب والجنـاية ، جرّ على نفسه وغيره جريرة يجر بالضم والفتح جرّا . وقال حفيد السعد : قوله على ما جر أى على العار الذى جرّه ومدّه من كلّ جانب وناحية ، بسبب الظلم والعداوة . لـكنه قُدّس سرُّه قد كتب فى الحاشية : يقال جرَّ عليهم جريرة ، أى جنى جناية . وقال الفنارى : وقد يروى بالحاء المهملة والزاى المعجمة ، من الحزّ وهو القطع . اهـ وهذا لا وجهَ له هنا ، والرواية إنمـا هى الأولى كما يأتى ، وبعده :

(بكفّى زهير عُصبةُ العَرْج منهمُ ومَن بِيع فى الرَّكبَين لحمٍ وغالبِ)

والبيتان من شعر أبى جُنْدَب بن مُرَّة القِرْدىّ . قال السكّرى فى شرح أشعار هذيل : زهير من بنى لِحْيان . وجرّ : جنى ، أى جر على نفسه جرائر .

من كل جانب . وروى (قومَه زهيرٌ) اهـ يعني بنصب قومه ورفع زهير ، وعليه لا شاهد فيه . وقوله (بكفّى زهير الخ) عصبة مبتدأ والظرف قبله خبره . (ومَن بيع) معطوف على المبتدأ . والعُصبة : الجماعة . والعَرج ، بفتح العين المهملة وسكون الراء بعدها جيم : قرية جامعة بين مكة والمدينة ، بها قتل قوم زهير وسُبى نساؤهم وذراريهم . وضمير (منهم) لقوم زهير ، والظرف حال من عصبة بتقدير مضاف له وللمعطوف ، أى قُتل العصبة فى العرج وسُبى من بيع فى الرَّكبين ، حال كونهم من قوم زهير ، بسبب جناية كفّى زهير . ولحم وغالب بدل من الركبين . ولحم : حىٌّ من اليمن . وغالب : قبيلة من قريش . ويقدر (منهم) أيضاً بعد قوله : ومن بيع .

سبب الشعر

وسبب هذا الشعر ما رواه السكرى قال : مرِض أبو جندب ، وكان له جارٌ من خزاعة اسمه خاطم[1] ، فقتله زهيرٌ اللِّحيانى وقتلوا امرأته ، فلما برأ أبو جندب من مرضه خرج من أهله حتّى قدم مكة ، فاستلم الركن وكشف عن استه وطاف ، فعرف الناس أنه يريد شرًّا ، فقال :

إنى امرؤٌ أبكى على جارِيَّهْ أبكى على الكعبىِّ والكعبيَّهْ
ولو هلكتُ بكَيا عليَّهْ كانا مكانَ الثوب من حَقويَّهْ

يقال عذت بحقويك . يريد : كانا فى موضع المعاذ ، أى كانا منى بمكانِ مَن أجرْت . فلما فرغ من طوافه وقضى من مكة حاجته ، خرج فى الحُلَفاء من بكر وخزاعة فاستجاشهم على بنى لِحْيان ، فخرجوا معه حتى صبّح بهم بنى لحيان فى العَرج ، فقتل فيهم وسبى من نسائهم وذراريهم ، وباعهم فاشترتهم هاتان القبيلتان ، فقال أبو جندب فى ذلك :

---

(١) كذا فى النسختين . وفى شرح أشعار الهذليين ٣٤٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٨١٠ « حاطم » بالحاء المهملة . واسمه حاطم بن هاجر .

* ألا ليتَ شعرى هل يلومنّ قومُه * . . . (البيتين)

والقِرْدى نسبة إلى قرد بكسر القاف ، على لفظ الحيوان المعروف ، وهو بطن من هُذيل بن مدركة بن الياس بن مضر . ولحيان بكسر اللام وسكون المهملة بعدها مثناة تحتية : بطن من هذيل أيضاً . وأبو جندب شاعر جاهلى .

« تتمة »

تبيب الذى فى المطول وهو قوله : جزى بنوه الخ

رواه الأصبهانى فى الأغانى فى ترجمة عدى بن زيد كذا :

جَزى بنوه أبو الغيلان مِن كبر وحُسن فعل كما يجزى سنّار[1]

وذكر فيه جزاء سنار ، قال : « وأما صاحب الخورنق فهو النعمان بن الشقيقة ، وهو الذى ساح على وجهه فلم يُعرف له خبر ، والشّقيقة — أمّه — بنت أبى ربيعة بن ذُهل بن شيبان . وهو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدىّ بن نصر بن ربيعة اللخمى . فذكر ابن الكلبى أنه كان سببُ بنائه الخورنق : أن يَزدجِرد بن سابور كان لايبقى له ولد ، فسأل عن منزل مرئ صحيح من الأدواء والأسقام ، فدُلّ على ظهر الحيرة ، فدفع ابنَه بِهرام جُور ابن يزدجِرد ، إلى النعمان بن الشقيقة ، وكان عامله على أرض العرب ، وأمره بأن يبنى الخورنق مسكناً له ولابنه ، وينزله إيّاه معه ، وأمره بإخراجه إلى بَوادى العرب ، وكان الذى بنى الخورنقَ رجلاً يقال له سنّار ، فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمت أنكم تُوفّونى أجرتى

(١) الذى فى الأغانى ٢ : ٣٦ فى ترجمة عدى :

جزى بنوه أبا غيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمار

وتصنعون بى ما أستحقه لبنيته بناء يدور مع الشمس حيثما دارت ! فقالوا : وإنك لتبنى ماهو أفضلُ منه ولم تبنه ؟ ! ثم أمر به فطُرِح من رأس الجوسق.

وفى بعض الروايات أنه قال : إنى لأعرف فى هذا القصر موضعَ عيب إذا هدم تَداعَى القصر . فقال : أما والله لاتدلّ عليه أحداً أبداً ! ثم رمى به من أعلى القصر[1] فقالت الشعراء فى ذلك أشعاراً كثيرة ، منها قول أبى الطمحان القينى :

جَزاءَ سِنّمار جَزَوها ، وربِّها وباللات والعزّى ، جزاءَ المكفَّر[2]

ومنها قول سَليط بن سعد :

جزى بنوه أبا الغِيلان من كبر وحُسْن فعل كما يجزى سنمار

وقال عبدالعزّى بن امرئ القيس الكلبى ، وكان أهدى إلى الحارث ابن مارية الغسّانى أفراساً ووفد إليه فأعجب به واختصه ، وكان للملك ابنٌ مسترضَع فى بنى عبد وُدّ — من كلب — فنهشته حيّة فظن الملك أنهم اغتالوه؛ فقال لعبدالعزّى : جئْنى بهؤلاء القوم ! فقال : هم قومٌ أحرار ليس لى عليهم فضل فى نسب ولا فعل ؟ فقال : لتأتّينى بهم أو لأفعلنّ وأفعلنّ ! فقال له : رجونا من جنابك[3] أمراً حال دونه عقابُك ، ودعا ابنيه شراحيل وعبدالحارث فكتب معهما إلى قومه :

جزانى جزاه اللهُ شرَّ جزائه جزاءَ سنمارٍ وما كان ذا ذنب

---

(١) جاء فى القاموس (سنمار) : « غلام لأحيحة بن أطمة ، فلما فرغ منه قال : لقد أحكمته . قال : إنى لأعرف حجراً لو نزع لتقوض من عند آخره . فسأله عن الحجر فأراه موضعه ، فدفعه أحيحة من الأطم فخر ميتا » .

(٢) المكفر ، كمعظم : المحسن المجحود إحسانه .

(٣) الأغانى : « من حبائك » .

سوى رصّة البنيان عِشرين حجّة   يعلّ عليه بالقراميد والسكب[1]

وهى أبيات . قال : فقتله النعمان» .اه .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثالث والأربعون :

٤٣ (كأن لم يَمتْ حىّ سواكَ ولم تقُم
على أحــدٍ إلاّ عليكَ النوائحُ)

على أنه إذا وقع مرفوع بعد المستثنى فى الشعر أضمروا له عاملا من جنس الأول ، أى قامت النوائح . والمسألة مفصَّلة فى الشرح .

وهذا البيت من أبيات مذكورة فى الحماسة لأشجعَ السُّلمى[2] وهى :

(مضى ابنُ سعيد حين لم يبقَ مشرقٌ   ولا مغربٌ إلاّ له فيه مادح
وما كنت أدرى مافواضلُ كفّه   على الناس حتى غيّبته الصفائح
فأصبح فى لحدٍ من الأرض ميتاً   وكانت به حيّا تضيق الصحاصح
سأبكيك مافاضت دموعى فإن تَغِضْ   فحسبُكَ منّى ما تُجِنّ الجوانح
وما أنا من رزءٍ وإن جلّ جازع   ولا لسرورٍ بعد موتك فارح[3]
لئن حسنت فيك المراثى وذكرُها   لقد حُسنت من قبل فيك المدائح)

كأن لم يمت حى سواك . . البيت .

والصفائح : أحجار عراض يسقف بها القبر . والصحاصح : جمع صحصح ، وهى الأرض المستوية الواسعة . وتغيض : تنقص ، يقال غاض الماء وغضتُه .

---

(١) كذا . ويروى : «يعلى» . وانظر الحيوان ١ : ٢٣ والأغانى ٢ : ١٤٥ .

(٢) الحماسة بشرح المرزوقى ٨٥٦ — ٨٦٠ . وانظر أمالى القالى ٢ : ١١٨ وزهر الآداب ٧٩٤ والعقد ٣ : ٢٨٧ .

(٣) ويروى : « ولا بسرور » .

وقوله (كأنْ لم يمت) كأن مخفّفة واسمها ضمير شأن . يقول : أفرطَ الحزن عليك حتى كأنّ الموت لم يُعهَد قبل موتك ، وكأن النياحة لم تقم على مَن سواك .

أشجع السلمى

وأشجع هو ابنُ عمرو السُّلَمىّ ، ويكنى أبا الوليد ، من ولد الشّريد بن مطرود السُّلمى ؛ تزوّج أبوه امرأة من أهل اليمامة فشخَص معها إلى بلدها فولدت له هناك أشجع ونشأ باليمامة ، ثم مات أبوه فقدمت به أمه البصرة فطلبت ميراث أبيه ، وكان له هناك مال ، فماتت بها . وربِيَ أشجع ونشأ بالبصرة فكان من لايعرفه يدفع نسبته ، ثم كبر وقال الشعر فأجاد وعُدّ فى الفحول ، وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس عيلان شاعر ، فلما نجم أشجع افتخرت به قيس وأثبتت نسبه ، ثم خرج أشجع إلى الرَّقّة والرشيدُ بها ، فنزل على بنى سُليم ، ومدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصة ، فوصله الرشيد فأثرى وحُسنت حاله . ولما ولَّى الرشيدُ جعفرَ بن يحيى خراسان ، جلس لتهنئة الناس،وأنشده الشعراء ، ودخل فى آخرهم أشجع ، فقال : لتأذنْ فى إنشاد شعر قضيتُ به حقّ سودُدك وكمالك ، وخفَّفت به ثقل أياديك عندى . فقال : هات يا أبا الوليد ، فأنشده[1] :

أتصبر ياقلب أم تجزعُ فإنّ الديار غـداً بَلقعُ
غـداً يتفرّق أهل الهوى ويكثر باكٍ ومسترجِـع

إلى أن بلغ قوله :

ودوّية بين أقطـارها مقاطع أرضينَ لا تقطع
تجاوزتُها فوق عَـيرانة من الريح فى سيرها أسرع
إلى جعفر نزَعت رغبةً وأىُّ فتى نحوه تنزِع

(١) الميمنى : « هذه العينية طويلة بديعة،سردها الحافظ ابن عساكر فى ترجمة الأشجع ٣ : ٦١ » . وانظر معاهد التنصيص ٢ : ١٣٢ والأوراق للصولى (قسم أخبار الشعراء)

فما دونه لامرئٍ مطمع ولا لامرئٍ غيره مقنع
ولا يرفعُ الناسُ ماحطَّه ولا يَضعون الذى يرفع
يريد الملوكُ مدَى جعفر ولا يصنعون كما يصنع
وليس بأوسعِهم فى الغِنىٰ ولكنَّ معروفَه أوسع ١٤٤
يلوذ الملوكُ بآرائه إذا نالها الحدَث الأفظع
بديهتُه مثلُ تدبيره متى رُمتَه فهو مستجمعُ
وكم قائل ، إذْ رأى ثروتى وما فى فضول الغنى أصنع
غداً فى ظلال ِندٰى جعفر يجرّ ثياب الغنى أشجعُ
فقل لخراسان تحيا فقد أتاها ابن يحيى الفتى الأروع

فأقبل عليه جعفر يخاطبه مخاطبة الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار .

قال الصولىّ فى الورقات : قال لى يوما عبدالله بن المعتز : مِن أين أخذ أشجع قوله :

وليس بأوسعهم فى الغنى . . . . (البيت)

فقلت : من قول موسى شَهَوات لعبدالله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه :

ولم يك أوسعَ الفِتيان مالاً ولكن كان أرحبَهم ذراعا

فقال : أصبت ، هكذا هو ! اهـ

ورأيت فى الحماسة فى باب الأضياف ، وقال أبو رياد الأعرابىّ الكلابى :

له نارٌ تشبّ على يَفاع إذا النيرانُ أُلبِسَتِ القناعا
ولم يك أكثر الفتيان مالا . . . . (البيت)

وإنما لقّب (موسى) بشهوات ، لأنّ عبدالله بن جعفر كان يشتهى عليه موسى شهوات

الشهواتِ فيشتريها له موسى ويتربَّح عليه . وهو مولًى لبنى سهم ؛ وأصله من أذرَبيجان . كذا فى كتاب الشعراء لابن قتيبة .

وقال أبو عبيد البكرى فى شرح أمالى القالى[1] : موسى شهوات هو موسى ابن يَسار مولى قريش ، ويقال مولى بنى سهم ، ويقال مولى بنى تَيم ؛ كان يجلب إلى المدينة القَنْد[2] والسكّر من أذرَبيجان ، فقالت امرأة : ما يزال موسى يجلب إلينا الشهوات ، فغلب عليه . وقال ابن شبّة : كان موسى سئولا مُلحفا ، فإذا رأى مع أحد شيئا يعجبه : من ثوب أو متاع أو دابّة ، تباكى، فإذا قيل له : مالك ! قال : أشتهى هذا ، فسمّىَ موسى شهوات . وقال ابن الكلبي : سمى بذلك لقوله فى يزيد بن معاوية :

لستَ منّا وليس خالك منا ... يا مُضيعَ الصلاة بالشهوات

يقال (موسى شهوات) على الصفة ، وعلى الإضافة وهو أصحُّ ، ويكنى أبا محمد ، وهو أخو إسماعيل بن يسار . اهـ .

وبيت موسى شهوات نسبه السَّعد فى المطول ، وصاحب المعاهد فى شواهد التلخيص ، إلى أبى زياد الأعرابى الكلابى كما فى الحماسة . قال الصولى : بعد أن تصرَّف جعفر بالأمر والنهى والتولية والعزل ، بدا للرشيد عزلُه ، فعزله عن خراسان ، فاغتمَّ لذلك جعفر فدخل عليه أشجع فقال :

أمسَت خُراسان تُعزّى بما ... أخطأها من جعفر المرتجى
كان الرشيدُ المعتلى أمره ... ولّى على مَشرِقها الأبلجا
ثم أراه رأيُه أنه ... أمسى إليه منهم أحوجا

---

(١) سمط اللآلى ٨٠٧ .

(٢) القند ، بالفتح : عسل قصب السكر إذا جمد ، معرب .

كم فرّق الدهرُ بأسبابه من محصَن أهلاً وكم زوّجا
وكم به الرحمنُ من كربة فى مدّة تقصُر قد فرّجا

فقال له جعفر : قمت والله بالعذر لأمير المؤمنين ، وأصبت الحق ، وخفّفت على العزل ! فأمر له بألفِ دينار أخرى .

١٤٥

ولمّا دخل أشجع على الرشيد بالرَّقّة كان قد فرغ من قصره الأبيض ، فأنشده :

قصرٌ عليه تحيّة وسلام فيه لأعلام الهدى أعلام
نشرت عليه الأرض كسوتها التى نسجَ الربيعُ وزَخرفَ الأوهامُ

إلى أن قال :

وعلى عدوّك يا ابنَ عمّ محمد رصدانِ : ضوء الصبح والإظلامُ
فإذا تنبّه رُعتَه ، وإذا غفا سلّت عليه سيوفَك الأحلام

قال الصُّولى فى الورقات ، بسنده إلى أشجع : إن الرشيد قال لى : من أين أخذت قولك (وعلى عدوك . . البيتين) ؟ فقلت : لا أكذب والله ! من قول النابغة :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإنْ خلتُ أنَّ المنتأى عنك واسعُ

فقال صه ! هو عندى من كلام الأخطل لعبد الملك بن مروان — وقد قال له : أنا مجيرك من الجحّاف — فقال : من يجيرنى منه إذا نمْت ؟ !

وترجمة أشجعَ مطولة فى الورقات للصولى ، وفى الأغانى للأصبهانى . وأشجع ليس ممن يستشهد بكلامه ، فكان ينبغى تأخيره عن البيت الذى بعده .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون :

٤٤ (لا أشتهى يا قومِ إلاّ كارها باب الأمير ولا دفاعَ الحاجبِ)

على أنّ (بابَ الأمير) منصوب بلا أشتهى مقدَّرا . والمسألة مفصلة فى الشرح أيضاً .

قال أمين الدين الطّبَرسى ، فى شرح الحماسة : هنا (كارها) حال ؛ يقول : لا أعلِّق شهوتى بورود باب الأمير ومدافعةِ الحاجب إلاّ على كُره ؛ يصف ميله إلى البدوِ وأهله وإلفه إيّاهم.

وقال السيد فى حاشيته على المطول : قصَر فيه الشاعر نفسَه فى زمان اشتهائه بابَ الأمير على صفة الكراهة له ؛ فهو من قصر الموصوف على الصفة . ويمكن أن يقال : قصر فيه اشتهاءه باب الأمير عليه موصوفا بالكراهية له لا يتعداه إليه موصوفا بصفة الإرادة له ، فهو من قصر الصفة على الموصوف . ولك أن تقول قصَر اشتهاءه البابَ على أنه مجتمِع مع كراهيته له دون إرادته إياه ؛ فيكون أيضاً من قصر الموصوف على الصفة . ثم اشتهاء الشيء إن لم يكن مستلزما لإرادته لم ينافِ كراهته ، فجاز أن يكون الشيء مشتهًى مكروها كاللّذّات المحرَّمة عند الزهّاد ، كما جاز أن يكون الشيء مراداً منفورا عنه ، كشرب الأدوية المرّة عند المرضى . فإن قيل : الاشتهاء يستلزم الإرادة ، فالجمع بينه وبين الكراهية باختلاف الجهة ، فيشتهى الدخول على الأمير لما فيه من التقرُّب ، ويكرهه لما فيه من المذلّة ودفاع الحاجب ، فبالحقيقة المشتهى هو التقرب ، والمكروه تلك المذلة . اهـ .

وبهذا يُعرف سقوطُ قول بعض شراح الحماسة هنا ، فإنه قال : ليس قوله (كارها) حالا من أشتهى ، لأنه لا يكون كارها للشيء مشتهيا له فى حالٍ ،

من أجل أنّ الشهوة منافية للكراهة ، ولكنّه حالٌ من فعل مقدّر ، والمعنى : لا أشتهى باب الأمير ولا آتيه إلا كارها ، أو ولكن آتيه كارها .اهـ. ١٤٦

صاحب الشاهد

وهذا البيت أول أبياتٍ ثلاثة مذكورة فى الحماسة ، لموسى بن جابر الحنفى[1] ، والبيتان بعده :

(ومن الرجال أسِنّة مذروبة ومزنَّدون شهودُهم كالغائب
منهم أسودُ لا ترام وبعضُهم مما قَمَشْتَ وضمَّ حبلُ الحاطب)

يشبّه الرجل ، فى مَضائه وصرامته ، وفى دقّته إذا هُزل ، بالسيف والسنان . ومذروبة : محدّدة ، وكذلك مذرَّبة ، وكلُّ شىء حدّدته فقد ذرَبته . يقول : من الرجال رجالٌ كالأسنة المطرورة مَضاء ونفاذا فى الأمور . والمزنَّد وكذلك الزَند : الضيق ؛ وقولهم : فلان زند متين ، أى زَند شديد الضِّيق متين شديد بَخيل . أى إن نالهم خطبٌ ضاقوا عنه ولم يتّجهوا فيه لرشد . وكان من حقه أن يقول : « ومنهم مزندون » ، لكنه اكتفى بالأوّل كقوله تعالى : « منها قائمٌ وحَصِيدٌ » . قال المرزوقى : سمعت أبا على الفارسى يقول : كل صفتين تتنافيان فلا يصح اجتماعهما لموصوف واحد ، فلا بدّ من إضمار (من) معهما إذا فُصّل جملة بهما ، متى لم يجىء ظاهرا ؛ فإن أمكن اجتماع صفتين لموصوفٍ واحد استغنى عن إضمار (من) كقولك : صاحباك منهما ظريف وكريم . وقوله « شهودهم » إلى آخره يروى بدله « حضورهم » ، يريد أنه لاغَناء عندهم فحضورهم كغيبتهم ، كقول الشاعر :

شهدتَ جسيماتِ العُلى وهو غائب ولو كان أيضاً شاهدا كان غائبا

قال الطبرسىّ : يجوز أن يريد بالشهود جمعَ شاهد وهو الحاضر ، وأراد

---

(١) الحماسة ٣٦٣ بشرح المرزوقى .

بالغائب الكثرة فتكون جنسا ، وإن كان الشهود مصدرا فالغائب يجوز أن يكون جنساً كالأول ، أى شهودهم كغيبة الغائب بحذف المضاف ، ويجوز أن يكون مصدرا كالباطل . وقوله « منهم ليوث » الخ . يقول : من الرجال رجال كالأسود فى العزة والمنعة ، لا يُطلَب اهتضامُهم ولا يُطمَع فيهم ، ومنهم متفاوتون كقُماش البيت — وهو ردىء متاعِه يُجمع من ههنا وههنا . وقوله : « وضَمّ حبل الحاطب » هو كقول الآخر :

* وكلهمْ يجمعُهمْ بيتُ الأَدَم[1] *

قال الأصمعى : بيت الأَدَم يجمع الجيِّد والردىء ، ففيه من كل جلد رقعة ؛ وكذلك الحاطب يجمع فى حبله الرطبَ واليابس ، والجزل والشَّخت ، وربما احتطب ليلاً فضم فى حبله أفعى وهو لايدرى . ونحوه قول العامة فى الشىء المتفاوت والقوم المختلطين : « هم خِرق البُرنُس » . استأنف بهذا البيت تلك القسمة على وجه آخر ، فهو من باب البيان : وهو أن يحمل الشاعر معنًى ويفسِّره بما يليه .

وصاحب هذه الأبيات موسى بن جابر الحنفى ، أحد شعراء بنى حنيفة المكثِرين ، يقال له ابن الفُريعَة وهى أمُّه ، كما أنّ حسان بن ثابت رضى الله عنه يقال له ابن الفُريعة ، وتقدّم فى ترجمته[2] . ويقال كان نصرانيًا ، وهو القائل :

وَجدنا أبانا كانَ حلّ ببلدة	سِوًى بين قيسِ قيسِ عيلانَ والفِزرِ
برايته أمّا العدوّ فحولَنا	مُطيفٌ بنا فى مثل دائرة المهر
فلما نأتْ عنّا العشيرة كُلّها	أقمنا وخالفنا السيوفَ على الدهر

(١) صدره كما فى ثمار القلوب ١٩٣ وكنايات الجرجانى ١١٧ والعقد ٣ : ٩٩ :

* الناس أخياف وشتى فى الشيم *

(٢) ص ٢٢٧ من هذا الجزء .

كذا فى المؤتلف والمختلف للآمدى .

وسِوًى صفة بلدة بمعنى متوسطة . والفِزْر : لقبٌ لسعد بن زيد مناة .
والمعنى : وجدنا أبانا حلّ ببلدة متوسطة لديار قيس بن عيلان وسعد بن زيد
مناة . يريد : حلّ بين مضر ونأى عن ربيعة ، لأن قيسا والفزر من مضر .
وقوله « فلما نأت » الخ ، يقول : لما خذلتنا عشيرتُنا وهم ربيعة ؛ اكتفينا
بأنفسنا فأقمنا بدار الحفاظ والصّبر ، واتخذنا سيوفنا حلفاء على الدهر ، وهذا
مثلٌ ضربه لاستقلالهم فيما نهضوا فيه بعَددهم وعُدّتهم ، وبلائهم وصبرهم ،
واستغنائهم عن القاعدين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

٤٥ (لِيُبكَ يَزيدُ ضارعٌ لخصومة ومختبِطٌ مِمّا تطيح الطوائح)

على أن الفعل المسند إلى (ضارعٌ) حذف جوازاً ، أى (يبكيه) ضارع ؛
وهذا على رواية لِيُبك بالبناء للمفعول ويزيد نائب فاعل . وأما على روايته
بالبناء للفاعل ففاعله ضارع ويزيد مفعوله ولا حذف ولا شاهد . وهذه الرواية
هى الثابتة عند العسكرى ، وعَدّ الرواية الأولى غلطاً ، فإنه قال فى كتاب
التصحيف . فيما غلط فيه النحويون[2] : ومما قلبوه وخالفهم الرواة ، قول
الشاعر « لِيَبْكِ يزيد ضارع » .. البيت . وقد رواه خالدٌ والأصمعى وغيرهما
بالبناء للفاعل من البكاء ونصب يزيد .

ومثله فى كتاب فعلت وأفعلت لأبى حاتم السجستانى ، قال : أنشد

(١) سيبويه ١ : ١٤٥ ، ١٨٣ . وانظر العينى ٢ : ٤٥٤ وابن يعيش ١ : ٨٠
والهمع ١ : ١٦٠ والخصائص ٢ : ٣٥٣، ٤٢٤ والشعراء ٤٧ والتصحيف للعسكرى ٢٠٨ .
(٢) سبق ابن قتيبة فى الشعراء العسكرى فى هذا النقد ، كما نبه الميمنى .

الأصمعيّ « ليَبكِ يزيدَ ضارعٌ » أي بالبناء للفاعل ، ولم يعرف لِيُبكَ يزيد أي بالبناء للمفعول ، وقال : هذا من عمل النحويين .

وزعم بعضُهم أنه لاحذف فى البيت على الرواية الأولى أيضاً ، لجواز أن يكون يزيد منادى وضارع نائب الفاعل ، قال ابن هشام فى شرح الشواهد : والتوجيه الأول أولىٰ لأنه قد روى ليبَكِ يزيد بفتح ياء يبك وكسر كافه ونصب يزيد ، فلما ظهر ضارعٌ فاعلا فى هذه الرواية استحقّ أن يقدر فاعلاً فى الأخرى ليستويا . وتوهّم الدماميني فى الحاشية الهندية ، وتبعه الفنارى فى حاشية المطول ، أن القائل بنداء يزيد يزعم أنه منادى فى الروايتين ، واستشكله بأنه لم يثبت رفع يزيد فى رواية البناء للفاعل . وليس كما توهم ، فإن الذى خرجه على النداء إنما هو على رواية لِيُبكَ بالبناء للمفعول كما نقل ابنُ هشام ، والرواية الأولىٰ أبلغ بتكرار الإسناد إجمالا ثم تفصيلًا ، كما بيَّنه السعد فى المطوّل

وقال ابن خلف : لما قال ليبك يزيد عمَّ المأمورين بالتفجع على هذاالميت والبكاء عليه من كثرة الغَناء ، ثم خص هذين الصنفين من جملة الباكين عليه لشدة احتياجهما إليه ، ثم قال نقلًا عن بعضهم : إن الإبهام على المخاطب فى مثل هذا النحو الذى يقصد به العموم ، تعظيمٌ للمقصود ومدح عميم .

و (يزيد) على رواية البناء للفاعل غير منصرف للعلَمية ووزن الفعل لأنه منقول من الفعل دون ضميره المستتر ، وعلى الرواية الأخرى يحتمل أن يكون كالأول وهو الظاهر ، ويحتمل أن يكون منقولا من الفعل مع فاعله المستتر ويكون حينئذ جملة محكية .

واعلم أن هذا البيت لوقوعه فى المتن شرحه الشارح المحقق ، ونحن نذكر

ما يتعلق به . فقوله الضارع : الذليل ، من قولهم ضرَع ضَراعة ، فعله من الباب الثالث ، وورد في لغة أيضاً من باب تعب ، ويقال أيضاً ضرُع ضَرعاً كشرُف شرفاً بمعنى ضعُف ، فهو ضَرِع أيضاً تسمية بالمصدر ، كذا في المصباح . وقوله : (لخصومة) متعلق بضارع وإن لم يعتمد على شيء الخ . أقول : ظاهره أنه لم يعتمد على شيء مما ذكر من شروط عمل اسم الفاعل النصب ، وفيه أنّه معتمد على موصوف مقدر . قال ابن مالك في الخلاصة :

١٤٨

وقد يكون نعتَ محذوف عُرف   فيستحقُّ العملَ الذى وُصف

ويحتمل أن يكون معناه أنه متعلق بضارع وإن فرض أنه لم يعتمد على شيء ، لأنه يكفيه رائحة الفعل ، وكيف لا يتعلق به مع اعتماده على موصوف مقدر ، لكنه بعيد عن السياق .

قال الفناريّ في حاشية المطول : « فإن قلت : بل قد اعتمد على الموصوف المقدّر ، أي شخص ضارع ، فعلى تقدير اشتراط الاعتماد في تعلق الجارّ به لا محذورَ أيضاً ! قلت : إن كفى في عمله الاعتماد على موصوف مقدر لا يتصور الإلغاء ، لعدم الاعتماد حينئذ ، لتصريح الشارح — يعنى السعد — في شرح الكشاف ، بأنّ ذكر الموصوف مع اسم الفاعل ملتزَم لفظاً أو تقديراً تعيينا للذات التي قام بها المعنى . وهو مخالف لتصريحهم ، اللهم إلا أن يقال : الاعتماد على موصوف مقدّر إنما يكفى لعمله إذا قوى المقتضى لتقديره ، كما في يا طالعاً جبلًا ، ويارا كباً فرساً ، لانضمام اقتضاء حرف النداء إلى اقتضاء نفس اسم الفاعل ؛ لكن تأتّي اعتبار مثل هذا المقتضى في كل موضع محلُّ نظر » اهـ. وهذا كلام جيد .

وقوله « لأجل الخصومة » أشار إلى أن اللام في الخصومة لام التعليل ؛ ويحتمل أن يكون بمعنى عند أيضاً . وقوله « فإن يزيد كان ملجأ للأذلاء

والضعفاء » الأولَى ملجأ للأذلاّء والفقراء ، فإنّ المختبط : بمعنى السائل كما فسره الشارح به . وقوله « وتعليقه ببيبك ليس بقوىّ فى المعنى[(١)] » قال الفنارى : لأن مطلق الخصومة ليس سبباً للبكاء ، بل هى بوصف المغلوبية . وقوله « والمختبط الذى يأتيك للمعروف من غير وسيلة » وقع فى بعض النسخ : « الذى يأتى بالليل للمعروف » . والظاهر أن قيد الليل تحريف من النساخ ، وكون الاختباط الإتيانَ للمعروف من غير وسيلة هو قول أبى عبيدة ، فإنّه قال : المختبط : الرجل يسألك من غير معرفة كانت بينكما ، ولا يدٍ سلَفت منه إليك ، وعليه فيكون الاختباط متعدياً لمفعول واحد كما مثّل الشارح المحقق بقوله « يقال اختبطنى فلان» . وقال ابن خلف : الاختباط بمعنى السؤال والطلب ، فهو بمنزلةِ الافتضاء ، تقول اختبطنى معروفى فخَبطته أى أنعمت عليه ، ومثله اقتضيته مالاً أى[(٢)] سألته إياه . وحكى بعضهم اختبط فلان فلاناً ورقاً ، إذا أصاب منه خيراً . فعلى تفسير أبى عبيدة فى البيت حذف مفعولٌ واحد ، أى ومختبط ورقاً أو رزقاً أو نحو ذلك . ويجوز أن يكون هذا المفعول ضمير يزيد أى ومختبط إياه . وعلى التفسير الثانى فيه حذف مفعولين أى ومختبط الناسَ أموالهم . ومثله إذا سألت فاسأل الله ، أى إذا سألت أحداً معروفه فاسأل الله معروفه .

وروى : (ومستمنح) بدلَ ومختبط ، أى من استمنحه أى طلب مِنحته وهى العطيّة والرِّفد ، والأصل فى المنحة هى الشاة أو الناقة يعطيها صاحبُها رجلاً يشرب لبنها ثم يردّها إذا انقطع اللبن ؛ ثم كثر استعماله حتى أُطلق على كلِّ عطاء . ومنحته من باب نفع وضرب ، إذا أعطيته .

١٤٩

(١) انظر شرح الرضى ١ : ٦٨ .
(٢) فى النسختين « أن »

وصف الشاعر يزيدَ بالنصر والكرم للذليل وطالبِ المعروف[١] ، فيقصده الضارع للخصومة ، ويلتجيء إليه المختبط إذا أصابته شدة السنين .
وقوله « وأصله من خبطت الشجرة الخ » الخبْط بسكون الباء : إسقاط الورق من الشجر بالعصا لعلْف الإبل . والخبَط بفتحتين هو الورق الساقط . والمِخبط بكسر الميم هى العصا التى يخبط بها ، والفعل من باب ضرب . وقال ابن مالك : الأصل فيه أن السارى والسائر لابد من أن يختبط الأرضَ ، ثم اختصر الكلام فقيل للآتى طالباً للجدوى : مختبط . وخبطت الرجل إذا أنعمت عليه من غير معرفة ، وخبطته إذا سألته أيضاً ؛ فهو ضد .

وقوله « وهو إما على حذف الزوائد الخ » أشار إلى أن الطوائح جمع على غير قياس ، لأنّ فعله رباعىّ ، يقال أطاحته الطوائح وطوّحته ، فقياس الجمع أن يكون المطيحات والمَطاوح ، فإن تكسير مُفعِل مفاعل بحذف إحدى العينين وإبقاء الميم ، وتخريج الجمع على حذف الزوائد هو لأبى على الفارسى ، وتخريجه على النسب هو لأبى عمرو الشَّيبانى ، فإنّ تقديره عنده مما تطيحه الحادثات ذوات الطوائح .

ونقل ابن خلف عن الأصمعى أن العرب تقول : طاح الشىء فى نفسه وطاحه غيره ، بمعنى طوّحه وأبعده ، فعلى هذا يكون الطوائح جمع طائحة من المتعدى قياسا ، ولا شذوذَ .

ولم أر هذا النقل فى الكتب المدوّنة فى اللغة ولا فى غيرها .

وقوله « يقال طاح يطوح الخ » طاح بمعنى هلك ، وكلُّ شىء ذهب وفنى

---

(١) هذا هو الوجه . وفى النسختين : « وطلب المعروف » .

فقد طاح : وقوله « وطاح يطيح وهو واوى الخ » فيكون أصلهما طوح يطوح بكسر الواو فيهما[1] فأُعِلاّ .

وجعله صاحب العباب مماّ عينُه جاء معتلّا بالواو تارة وبالياء أخرى ولم يعتبر أن الواو صارت ياء بالأعلال . وسبقه ابن جنى فى إعراب الحماسة فإنّه قال : ومن قال طاح يطيح فكان عنده كباع يبيع ، فقياسه أن يقول المَطايح ، فيصحح الياء لأنّها عين مُفعِل .

وقوله « مما تطيح متعلق بمختبط الخ » هذا هو الظاهر المتبادر إليه ، وقال ابن خلف : وقوله مما تطيح ، موضعه رفع على النعت لمختبط ، أوله ولضارع جميعا ، أى كائن أو كائنان ، فتكون (ما) للجنس . ويؤيد هذا التأويل رواية من روى (ممن تُطيح) أى من الذى تطيحه الطوائح فحذف العائد ، وروى أبو على (قد طوّحته الطوائح) وهذا يؤيد كون هذه الجملة نعتا لمختبط لرجوع الضمير إليه مفردا . وقوله « أى يسأل من أجل » أشار إلى أن (مِن) تعليلية . وقال ابن الحاجب في إيضاحه وأماليه : ومن للابتداء أو بمعنى السببية . فالأوّل على أن ابتداء الاختباط من الإطاحة أو سبب الاختباط الإطاحة . فإن قلت : ما الفرق بينهما ؟ قلت : فيه خلاف ، قال أبو حيان : كأن التعليل والسببَ عندهم شيء واحد ، قال السيوطى : هذا هو الحقّ . وفى شرح جمع الجوامع للمحلّى ما يصرّح به ، لأنه قال المعبَّر عنه هنا بالسبب هو المعبرُ عنه فى القياس بالعلة ! وخالفهم ابن السبكى في الأشباه والنظائر فقال : إن الفرق بينهما ثابتٌ لغة ونحواً وشرعا : قال اللغويون :

---

(١) وكذا فى اللسان : « قال سيبويه فى طاح يطيح : إنه فعل يفعل ، لأن فعل يفعل لايكون فى بنات الواو ، كراهية الالتباس ببنات الياء ، كما أن فعل يفعل لا يكون فى بنات الياء ، كراهية الالتباس ببنات الواو أيضا » .

السبب كلُّ شيء يتوصل به إلى غيره ومن ثَمّ سمّوا الحبل سببا ، وذكروا أنّ العلة : المرض وكلمات يدور معناها على أنّ العلة أمر يكون عنه أمر آخر . وذكر النحاة أن اللام للتعليل ولم يقولوا للسببية . وقال أكثرهم : الباء للسببية ولم يقولوا للتعليل ، وذكر ابن مالك السببية والتعليل . وهذا تصريح بأنّهما غَيرانِ . وقال أهل الشرع : السبب : ما يحصل الشيء عنده لابه ، والعلة : ما يحصل به . وأنشد ابن السّمعانى على ذلك :

ألم تر أنّ الشيء للشيء علةٌ تكون به، كالنار تُقدَح بالزَّندِ!

والمعلول يتأثر عن علّته بلا واسطةٍ بينهما ولا شرطٍ يتوقف الحكم على وجوده ، والسبب إنما يُفضى إلى الحكم بواسطة أو وسائط[1] ولذلك يتراخى الحكم عنه حتى توجد الشرائط وتنتفىَ الموانع . وأمّا العلّة فلا يتراخى الحكم عنها ، إذ لاشرط لها ، بل متى وجدت أوجبت معلولها بالاتفاق . . إلى آخر ما فصله .

وقوله : « إذهابُ الوقائع ماله » ، أشار إلى أنّ مفعول تطيح محذوف وهو ماله . وقوله : « أى يبك لأجل إهلاك المنايا يزيد » ، أشار إلى أن مفعول تطيح على هذا التقدير هو يزيد ، وأراد بالمنايا أسباب الموت ، إطلاقا لاسم المسبّب على السبب ، وإلاّ فالشخص الواحد لاتهلكه إلاّ منية واحدة . وقوله : « ويجوز أن تكون ما بمعنى التى » ، زاد بعضهم : ويجوز أن تكون نكرة موصوفة .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من أبيات لنهشَل بن حَرّىّ — على مافى شرح أبيات الكِتاب لابن خلف — فى مرثية يزيد ، وهى :

---

(١) ط : « وسايط » .

أبيات الشاهد (لعمرى لئن أمسى يزيدُ بن نَهشل حَشا جَدَث تسفى عليه الروائح

لقد كان ممّن يبسط الكفَّ بالندى إذا ضنَّ بالخير الأكفُّ الشحائح

فبعدَك أبدى ذو الضغينة ضِغنة وسدّ لى الطَّرفَ العيونُ الكواشح

ذكرتُ الذى مات الندى عند موته بعاقبهِ إذ صالحُ العيش طائح(١)

إذا أرَقٌ أفنى من الليل ما مضَى تملَّى به ثِنْىٌ من الليل راجحُ

ليبك يزيد ضارع .. . . البيت

سقى جدثاً أمسى بدَومة ثاويا من الدَّلو والجوزاء غادٍ ورائحُ

الحشا : ما فى البطن . والجدث بالجيم والثاء المثلثة : القبر . وتسفى : مضارع سفت الريح التراب : ذرته ، ويقال أسفته أيضاً فالمفعول محذوف . والروائح : أى الأيّام الروائح ، من راح اليوم يروح روحا من باب قال ، وفى لغة من باب خاف ، إذا اشتدت ريحه فهو رائح(٢) . وأما كونه جمع ريح لم أقف على من نبّه عليه ، مع أن ريحاً لم تجمع على هذا الوزن . وضنَّ ، يقال ضن بالشىء يضَنّ من باب تعب ، ضَنّا وضِنّة بالكسر وضَنانة بالفتح : بخِل فهو ضنين ، ومن باب ضرب لغة . والشحائح : جمع شَحيح ، من الشُّح وهو البخل ، وفعله من باب قتل ، وفى لغة من بابى ضرب وتعب . أراد : أنه إن فقد بالعدَم فهو حىّ بذكره بالكرم . وما أحسن قول أبى نصر الميكالى :

بانى العلىٰ والمجد والإحسان والفضلِ والمعروفِ أكرمُ بانى

الجودُ رأىُ مسدَّد وموفَّق والبذلُ فعل مؤيّد ومُعان

(١) بعاقبه ، كذا جاء فى سه ، وهو ما يقتضيه تفسير البغدادى فيما بعد . لكن صواب الرواية : « بعاقبة » كما فى ط . والعاقبة : الآخرة . ونحوه فى الأصمعيات ١٠٦ لدريد بن الصمة :

أرث جديد الحبل من أم معبد بعاقبة وأخلفت كل موعد

(٢) ط : « راح » .

١٥١ والبرُّ أكرمُ ما وعته حَقيبة والشكر أفضل ما حوته يدانِ
وإذا الكريم مضى وولّى عمرُه كفَلَ الثناء له بعُمرٍ ثانِ[1]

ولأجل هذا البيت الأخير أنشدت هذه الأبيات .

وعاه يعيه : حفظه وجمعه . والحقيبة : أصله العجزُ ، ثم سمّى ما يحمل من القُماش على الفرس خلف حقيبته مجازاً ، لأنه محمول على العجز .

وقوله (فبعدك أبدى الخ) فيه التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . والضغينة والضغن بالكسر : اسم من ضَغِن صدرُه ضغناً من باب تعب بمعنى حقد . وسد : أغلق . والطرف : مصدر طرف البصر طرفاً من باب ضرب : تحرّك ونظر ، وهو مفعول مقدَّم . والعيون : فاعل مؤخر . والكوَاشح : جمع كاشحة مؤنث الكاشح ، وهو مضمر العداوة ، وكشَح له بالعداوة : عاداه ككاشحه ، وإنما نسبه إلى العيون ، لأن العداوة أول ما تظهر من العين ، أى صرت بعدك ذليلاً لا أقدر أن أرفع بصرى إلى أحد . وفى نسخة (وسدّد لى) من التسديد وهو التقويم ، أى صَوّبت نحوى عيونُ الأعداء نظرَها ، وهذه أحسن . وقوله (ذكرت الذى) الخ ، ضمير موته راجع للذى ، وهو العائد ، والباء متعلقة بمات . والعاقب : الذى يخلُف من كان قبله فى الخير ، وضمير « عاقبِهِ[2] » راجع للندى ، يقول : مات الندى مع من يخلفه عند موت يزيد . ويصح أن يعود الضمير ليزيد . وإذ : متعلقة بذكرت . والصالح من الصلاح ، والطالح من الطلاح وهو ضدُّ الصلاح . والأرق : السَّهر . وتمطّى : امتدّ وطال .

(١) الميمنى : « وتقدم أبو الطيب المتنبي أبا نصر الميكالى بقوله :
كفل الثناء له برد حياته لما انطوى فكأنه منشور
وتقدمهما آخرون » .

(٢) انظر ما سبق فى حواشى ص ٣١٠ .

وضمير (به) راجع إلى ما مضى . والثِّنْى بكسر المثلثة وسكون النون ، يقال ثِنْىٌ من الليـل أى ساعة ، وقيل وقت . وراجح أى زائد ثقيل ، من رجح الميزان رجوحاً : مال . و (إذا) عاملها تمطَّى . يشكو بهذا البيت طول الليل . وقوله (أمسى بدَومة ثاويا) دومة بفتح الدال والميم : اسم موضع بين الشام والموصل ، وهو من منازل جَذيمة الأبرش ، كان وقع فيه الطاعون ، ذكره الأخطل فى شعره ، كذا فى المعجم لأبى عبيد البـكرى . و (غاد) : فاعل سقى ، واحده غادية وهى السحابة تنشأ غُدوة . والرائح : مطر العشى وهو آخر النهار . وقوله (من الدَّلو) كان فى الأصل صفة لما بعده ، فلما قدم صار حالا ، وإنّما خصّ السحاب بكونه من الدلو والجوزاء لـكثرة مائه ، فإن الدلو وسط فصل الشتاء ، فإن الشمس تحُلّ فيه بالجدى والدلوِ والحوتِ ، والجوزاء آخر فصل الربيع ، والشمس تحل فيه بالحمل والثور والجوزاء .

نهشل بن حرى

و (نَهشل بن حَرِّىٍّ) بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين بلفظ المنسوب إلى الحَرّ أو إلى الحَرّة ، وهو ابن ضَمرة بن جابر بن قطَن بن نَهشل بن دارم ابن مالك بن حنظلة [ابن مالك[1]] بن زيد مناة بن تميم . وكان اسم ضَمرة جدّ نَهشل شِقَّة بكسر الشين المعجمة وتشديد القاف . ودخل على النعمان فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا شِقَّة بن ضَمْرة . قال النعمان : « تسمع بالمُعَيْدىّ لا أن تراه ! » فقال : أبيت اللعن ، إنما المرء بأصغريه بقلبه ولسانه ، إن نطقَ نطق ببيان ، وإن قاتل قاتل بجَنان ! قال : أنت ضَمْرة بن ضَمْرة ؛ يريد أنك كأبيك . كذا فى كتاب الشعراء لابن قتيبة[2] .

وكان نَهشل شاعراً حسنَ الشعر ، وهو القائل :

---

(١) التـكملة من تصحيحات أحمد تيمور ، ومن زيادات الشنقيطى فى هامش نسخته
(٢) الشعراء ٦١٩ .

ويومٍ كأنَّ المصطَلِينَ بحرّه وإن لم تكن نارٌ وقوفٌ على جمر
صبَرنا له حتى يبوخَ[1] وإنما تُفرّج أيام الكريهة بالصبر ١٥٢

قال العسكرى فى التصحيف[2] : وابنه حَرِّىّ بن نهشل بن حَرِّىّ شاعر أيضا ، وله يقول الفرزدق :

أحَرِّىّ قد فاتتك أختُ مجاشع فُصيلة فانكِح بعدها أو تأيّم

ونهشل بن حرّىّ من المخضرَمين ، نقل ابن حجر فى الإصابة عن المرزُبانى : أنه شريف مشهور مخضرم ، بقى إلى أيام معاوية ، وكان مع على فى حروبه ، وقُتل أخوه مالك بصفّين وهو يومئذ رئيس بنى حنظلة ، وكانت رايتهم معه ؛ ورثاه نهشل بمراثٍ كثيرة . . قال : وأبوه شاعر شريف مشهور مذكور ، وجده ضَمرة سيدٌ ضخم الشرف ، وكان من خير بيوت بنى دارم .

(تتمة)

نسب النحاس هذه الأبياتَ فى شرح أبيات الكتاب ، وتبعه ابن هشام ، صاحب الشاهد للبيد الصحابى ؛ وحكى الزمخشرى أنها لمزرِّد أخى الشماخ ، وقال ابن السيرافى : هى للحارث بن ضرار النهشلى يرثى يزيد بن نهشل ؛ وقال اللَّبْلى : إنها لضرار النهشلى ، وذكر البعلىّ أنها للحارث بن نُهَيك النهشلى ، وقيل هى للمهلهل .

والصواب : أنَّها لنهشل بن حرّىّ كما فى شرح أبيات الكتاب لابن خلف ، وكذا فى شرح أبيات الإيضاح . والله أعلم .

* * *

(١) ط : « تبوخ » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح .

(٢) ط : «السكرى» صوابه ،فى ش مع أثر تصحيح . وانظر التصحيف ٣٩٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون ، وهو من شواهد سيبويه(١) .

٤٦ (لا تَجزعى إن مُنفِسٌ أهلكتُه)

وتمامه : (وإذا هلكتُ فعند ذلك فاجزعى)

على أن الكوفيين أضمروا فعلا رافعا (لمنفس) ، أى إن هلك منفس أو أهلك منفس . وأورده فى باب الاشتغال أيضاً كذا . وأما البصريون فقد رووه :

* لا تجزعى إن مُنفِسا أهلكته *

وكذا أورده سيبويهِ بنصب منفِس على أنه منصوب بفعل مضمر تقديره إنْ أهلكتُ منفسا أهلكتُه ، فأهلكته المذكور مفسِّر للمحذوف .

وهذه الجملة من باب الاشتغال لا تدخل فى الجملة التفسيرية التى لا محل لها من الإعراب وإن حصلَ بها تفسير . قال أبو على فى البغداديات : الفعل المحذوف والفعل المذكور فى نحو قوله : لا تجزعى إن منفسا أهلكته ، مجزومان فى التقدير ، وإن انجزام الثانى ليس على البدلية إذ لم يثبت حذف المبدل منه ، بل على تكرير (إن) أى إن أهلكت منفسا إن أهلكته ؛ وساغ إضمار إن وإن لم يجزْ إضمار لام الأمر إلاّ ضرورة ، لاتساعهم فيها ، بدليل إيلائهم إياها الاسمَ ، ولأن تقدمها مقوّ للدلالة عليها .

وقوله (وإذا هلكت) الواو عطفت هذه الجملة الشرطية على الشرطية التى قبلها ، ولم أر فى جميع الطرق من روى بالفاء بدل الواو إلاّ العينى ،

---

(١) سيبويه ١ : ٦٧ . وانظر أيضاً العينى ٢ : ٥٣٥ وابن الشجرى ١ : ٣٣٢/٢ : ٣٤٦ وشواهد المغنى للسيوطى ١٦١، ٢٨١ وابن يعيش ١ : ٢/٢٢ : ٨٣ .

فإنه قال : الفاء عاطفة . والمعنى لا يقتضى الفاء فإنها تدل على الترتيب والتعقيب والسببية ، والثلاثة منتفية سواء كان الترتيب معنويا كما فى قام زيد فعمرو ؛ أو ذِكريا وهو عطفُ مفصّلٍ على مجمل نحو : « ونادى نوحٌ ربَّه فقالَ رَبِّ » .

وقوله (فعند ذلك فاجزعى) أورده الشارح فى الفاء العاطفة ، على أن إحدى الفاءين زائدة ، ولم يعيّن أيتهما زائدة . قال أبو على فى المسائل القصرية : الفاء الأولى زائدة والثانية فاء الجزاء ؛ ثم قال : اجعل الزائدة أيَّهما شئت . وعين القاضى فى تفسيره الفاء الأولى ، فإنه أورد البيت نظيراً لقوله تعالى : « فبذلك فليفرَحُوا » ، فقال : الفاء فى « فبذلك » زائدة ، مثلها الفاء[1] الداخلةُ على (عند) فى البيت ، وتقديم عند للتخفيف كتقديم ذلك . وسيبويه لا يثبت زيادة الفاء ، وحكم بزيادتها هنا للضرورة . ومَن تبعه وجّه ما أوهم الزيادة ، فوجّهها صاحب اللباب بأنها إنّما كررت هنا لبعد العهد بالفاء الأولى كما كرر العامل فى قوله :

١٥٣

لقـد علم الحىُّ اليمانون أننى إذا قلتُ أمّا بعد أنى خطيبها

أعيد « أنى » لبعد العهد بأننى ، وأجاز الأخفش زيادتها فى الخبر مطلقاً ، وحكى « زيد فوجد » . وقيّده بعضهم بكون الخبر أمراً أو نهياً نحو :

* وقائلة خولان فانـكح فتاتهمْ *

وقوله : * أنتَ فانظر لأى ذاك تصـيرُ *

وأوّله المانعون بأن التقدير : هذا زيد فوجد ، وهذه خولان ، وبأن الأصل انظر فانظرْ ، ثم حذف انظر فبرز ضميره . والجزَع : قيل هو الحزن ، وقيل أخصُّ منه فإنه حزنٌ يمنع الإنسانَ ويصرفه عما هو بصدَده ويقطعه عنه .

---

(١) كلمة « الفاء » من ســه فقط .

وأصله القطع ، يقال جزعت الحبلَ : قطعته لنصفه . ويقال أيضاً : جزعنا الواديَ ، أى قطعناه عرضاً ؛ وقيل هو قطعه مطلقاً . فالجزع بالفتح المصدر ، والجزع بالكسر منقطع الوادى ، وقيل هو الفزع . ومنه قوله تعالى : « أَجَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا » . والفزع أخصّ من الخوف ، وهو انقباضٌ يعترى الإنسان ونفارٌ من كل شىء مخيف ؛ وهو من جنس الجزع . (والمُنْفِس) قال فى القاموس : وشىء نفيس ومنفوس ومُنفس بالضم يُتنافَس فيه ويرغب ، ونفُس ككرم نفاسة ونفاساً بالكسر ونفَساً بالتحريك ، والنفيس : المال الكثير ، ونفِس به كفرح : ضنَّ ، وعليه بخير : حسد ، وعليه الشىء نفاسة : لم يره له أهلا . انتهى . وفى عمدة الحفاظ : وأصل المنافسة مجاهدة النفس للتشبيه بالأفاضل فى غير إدخال ضرر على غيره ، وشىء نفيس منفوس به أى مضنون[1] . و (الإهلاك) لشىء : إيقاع الهلاك به . والهلاك على أربعة أوجه : أحدها وهو المراد هنا افتقاد الشىء عنك وهو موجود عند غيرك ، ومنه : « هَلَكَ عَنِّى سلطانيهْ » . والثانى : هلاك الشىء باستحالةٍ وفساد ، كقوله تعالى : « ويُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ » . والثالث : الموت نحو : « إن امرؤٌ هلك » . والرابع : الشىء من العالم وعدمه رأساً ، وذلك هو المسمى فناء كقوله تعالى : « كلُّ شىء هالكٌ إلا وجهَه » . وقد يطلق الهلاك على العذاب والخوف والفقر ونحوها ، لأنها أسبابُه يقول : لا تجزعى من إنفاق النفائس ما دمتُ حياً ، فإنى أحصّل أمثالها وأُخلفها عليك ، ولكن اجزعى إذا متّ فإنك لا تجدين خلفاً منى .

صاحب الشاهد وهذا البيت آخر قصيدة للنمرِ بن تَولب ، يصف نفسه فيها بالكرم

---

(١) ط : « مفضول » صوابه فى سه .

ويعاتب زوجتَه على لومها فيه ، وكان أضافَه قوم فى الجاهلية فعقر لهم أربع قلائص واشترى لهم زقَّ خمر ، فلامته على ذلك ، فقال هذه القصيدة وهى :

أبيات الشاهد

(قالت لتعذُلنى من الليل اسمعِ   سفهٌ تبيُّتُكِ الملامةَ فاهجعى)

قوله (اسمع) مقول قولها ، وقوله (سفه الخ) هو خبر مقدم وتبينك مبتدأ مؤخّر . والملامة مفعول تبينك وهو مضاف لفاعله . وروى سفهاً بالنصب فيكون كان مقدرة . وعلى الوجهين الجملة مقولة لقولٍ محذوف ، أى فقلت لها .

١٥٤ يقول : لامت من الليل عجلةً عن الصبح ، وكان ذلك منها سفهاً ، ومثله قول الشاعر[1] :

هبَّتْ تلومُ وبئستْ ساعةُ اللاحى   هلا انتظرتِ بهذا اللوم إصباحى

والسَّفه : خفة العقل ، والأصل فيه خفّة النسج فى الثوب . يقال ثوب سفيه أى خفيف النسج . والسّفه أيضاً : خفّة البدن ، ومنه زمام سفيه : أى كثير الاضطراب . واستعمل فى خفّة النفس كنقصان العقل فى الأمور الدنيوية والأخروية . قال تعالى : « فإنْ كانَ الذى عليه الحقُّ سفيهاً » ، أى ضعيف العقل باعتبار خفّته ، ولذلك قوبل بارزانة فقيل : رزين العقل . والتبيُّت : أراد به التبييت لأنه مصدر بيّتَ الأمر ، أى دبره ليلا . والهجوع : النوم بالليل .

(لا تجزعى لغدٍ وأمرُ غدٍ له   أتَعجَّلينَ الشرَّ ما لم تمنى)

يقول : إننا الآن بخير فلمَ تَعجَّلين الشر ما لم تمنى من الخير . وقوله وأمر غدٍ له ، أى أنّ أمر غد أو رزق غد موكول إلى غد ، فلا ينبغى له التحزُّن منذ اليوم . وقوله أتعجّلين استفهامٌ توبيخى ، وتعجّلين بفتح التاء ، وأصله بتاءين . وأراد بالشر الفقر أو الجزع ، وما مصدرية ظرفية .

(١) هو عبيد بن الأبرص . ديوانه ٧٥ ومختارات ابن الشجرى ١٠٠ .

(قامت تُبكِّى أنْ سَبأتُ لفتية زِقًّا وخابيةً بعَود مُقطَعِ)

تُبكى بضم التاء وكسر الكاف المشددة، يقال بكّاه عليه تبكية أى هيجه للبكاء فمفعوله محذوف. وروى تباكى أى تتباكى. وسبأ الخمر مهموز الآخر كجعل سَبْئاً وسباء واستبأها أيضاً، بمعنى اشتراها للشُّرب لا للتجارة. والزِّق بالكسر: جلد يجزز ولا ينتف صوفه، يكون للشراب وغيره، والزُّق بالضم: الخمر نفسها. والخابية: الجرة العظيمة، ويقال الُحبّ والزير. وأصلها الهمز لكن تركوه. والعَود بفتح المهملة: المسنّ من الإبل. والمقطع بزنة اسم المفعول: البعير الذى أقطع عن الضراب، والبعير قام من الهزال. يخبر أنّها لامته فيما لا خطر له.

(وقريت فى مِقْرَى قَلَائصَ أربعا وقريتَ بعد قِرىْ قلائصَ أربعِ)

قريت الضيف قرى بالكسر والقَصر، وقَراء بالفتح والمد، أى أضفته. والمَقرى بالفتح: موضع القرى، وبالكسر وكذلك المِقراة القَصعة التى يقرى فيها. وقلائص مفعول قريت، وهى جمع قَلوص وهى الناقة الشابة، ولهذا حذف التاء من العدد. وقوله بعد قرى قلائص أربع، كل لفظٍ مضافٌ لما بعده إلى الآخر. يقول: قريت فى موضع قلائصَ أربعاً ولم يمنعنى ذلك أن قريت بعدهن.

(أتبكّياً من كلّ شىء هينٍ سفهٌ بكاء العين ما لم تدمع)

يقول: سفهٌ بكاؤك من كلّ شىء لايحزنك ولا تدمع عينك منه، فلو كنتِ حزينة كان أعذرَ لك عندى.

(فإذا أتانى إخوتى فدعِيهمُ يتعلَّلوا فى العيش أو يَلهوا معى)

تعلَّل بالأمر: تشاغل به. والعيش: الحياة المختصَّة بالحيوان، وهوأخص

من الحياة ، لأن الحياة تقال فى الحيوان وفى المَلَك وفى البارى تعالى . واللهو : الشغل عن مهمّات الأمور بما تميل إليه النفس ، والواو فى يلهوا ضمير الجماعة ، ولام الفعل محذوفة مثل الرجال يعفون . ١٥٥

(لاتطرديهم عَن فراشى إنه لا بدَّ يوما أن سيَخلو مَضجعى)

الفراش : البيت ، كذا قال محمد بن حبيب فى شرحه . وهى هنا لفظة قبيحة . وأنْ مخففة من الثقيلة .

(هلَّا سألتِ بعــاديا٫ وبينه والخلِّ والخمرِ التى لم تُمنَع)

قال شارح الديوان محمد بن حبيب : بعاديا٫ يريد عن عاديا٫ . يقول : لم يبق عاديا٫ ، وكذلك أنا أقلُّ بقاء . وهو عاديا٫ أبو السموءل الأزدى الغسانى . وقال آخرون : يريد عاداً . وكل شىء قديم عند العرب عادىّ . وقوله (والخلّ والخمر التى لم تمنع) يعنى الخير والشر ، كما يقال مافلان بخلٍّ ولا بخمر ، أى ليس عنده خير ولا شر . واذهب فما أنت بخل ولا خمر . قال أبو عبيد فى الأمثال : أراد أنه كان لا يبخل بشىء مما كان عنده .

(وفتاتِهم عَنزٍ عشيةَ أبصرتْ من بُعد مَرأى فى الفضاء ومسمعِ

قالت أرى رجلاً يقلِّب نعــله أُصلا وجوٌّ آمنٌ لم يَفزع)

قوله (وفتاتهم) مجرور ، وعنز عطف بيان عليه ، وهو بفتح العين المهملة وسكون النون وآخره زاى معجمة اسم زرقاء اليمامة ، وكانت من جديس بنت ملكهم ، وكانت تغذّى بالمخ . وفى القاموس : وعنز امرأة من طَسْم سُبيت فحملوها فى هودج ، وألطفوها بالقول والفعل ، فقالت : « هذا شرٌّ يومىٌّ » حين صرت أكرم للسِّباء . ونصب شرّ على معنى ركبت فى شر يوميها [1] .

---

(١) فى القاموس (عنز) .

ثم قال : وزرقاء اليمامة امرأة من جَديس كانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام[1] .
انتهى . فتأمل . قال الشاعر :

شَرٌّ يومَيها وأغواه لهـا ركِبت عنزٌ بحِدْجٍ جملا

وكانت رأت رجلا من طلائع تُبَّع قدامَ الجيش يقلِّب نَعلا من مسيرة ثلاثة أيام ولم يفزع لهم أحد ولم يعلم بمجيئهم . و (الأُصُل) : أصيل،وهو مابعد صلاة العصر إلى الغروب . وقوله (وجو) يريد أهل جوّ ، وجو : اسم بلد ، وهى اليمامة التى تضاف إليها زرقاء اليمامة . وقوله : (وفتاتهم) قال ابن حبيب : نسب عنزاً إلى بيت عادياء وليست منهم ، وإنما كان شيئاً فى أول الدهر فنسبه إلى بعضهم ، كما قال زهير : « كأحمر عاد » وإنّما كان فى ثمرد ، وكما قال آخر:

* مثل النصارى قتلوا المسيحا *

(فـكأنَّ صالحَ أهلِ جوّ غُدوة صُبِحوا بذيفان السّمام المُنقَعِ)

يريد الجميع ، لأنه إذا هلك الوجوه والصالحون منهم فالذين دونهم أحرى أن يَهلـكوا . وقد صُبحوا بالبناء للمفعول من الصَّبوح ، وهو شرب الغداة ، تقول : صبحتُه صَبحا من باب ضربته . والذّيفان بفتح الذال وكسرها وبالمثناة التحتية وتهمز فيهما : السم القاتل ، والسمام بالـكسر : جمع سم . والمنْقَع : كل ماينقع بالماء ونحوه .

(كانوا كأنعَمِ من رأيتِ فأصبحوا يلوون زادَ الراكب المتمتّع)

أى كانوا بنعمة وخِصب ثم أصبحوا يعسر عليهم أن يزوّدوا راكبا ، لأنّهم لايقدرون على ذلك . والمتعة : الزاد يقول : ماله متعة ولا بَتاتٌ . يقول

---

(١) فى القاموس (زرق) .

المسافر متّعنى وبتّتنى[1] وزوّدنى ، كل ذلك بمعنى واحد .

(كانت مقدّمةَ الخميس وخَلفها   رَقصُ الرِكاب إلى الصباح بِتُبَّعٍ)

الرقص بفتحتين : الخبب ، وهو نوع من السَّير ، وأرقص الرجل بعيره : أى حمله على الخبب . ويروى : « ركض الركاب » . والركاب : الإبل ، واحدُه راحلة . وضمير كانت راجع إلى نظرة عنز[2] المرأةِ المذكورة المفهومة من السياق . وخلف تلك النظرة إبلِ تُبّع تسير إلى الصباح حتّى لحقهم . وتُبَّع : أبو حسان بن تبَّع ، الذى غزا جَديس فقتلهم واستباحَ اليمامة .

(لا تجزعى إنْ منفِسٌ أهلكتُه   . . . . .   البيت)

وهذا آخر القصيدة .

ترجمة النمر بن تولب

والنمر بن تولب صحابى يعدُّ من المخضرمين ، ونسبه مذكور فى الاستيعاب وغيره . وهو عُكلىٌّ منسوب إلى عُكل بضم المهملة وسكون الكاف ، وهى أَمَة كان تزوَّجها عوف بن قيس بن وائل بن عوف بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة ، فولدت له ثلاثة بنين ، ثم مات فحضنتهم عُكلُ فنسبوا إليها .

والنمر شاعر جواد ، واسع العطاء كثير القرى ، وهَّاب لماله ، وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيِّس[4] لجودة شعره وكثرة أمثاله . ويشبِّه شعره بشعر حاتم الطائى . وقال أبو عبيدة : كان النمر شاعر الرِّباب فى الجاهلية ، ولم يمدح أحداً ولا هجا . ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم مسلماً وهو كبير .

---

(١) كتب محب الدين الخطيب : « ويقال إلى اليوم فى طرابلس الغرب : بتت العروس ، أى جهزها » .

(٢) ط : « عين » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « الكبش » ، صوابه فى ش والشعراء ٢٦٨ والأغانى ١٩ : ١٠٩

(٤) المعمرين ٦٣ .

قال أبو حاتم السجستانى فى كتاب المعمرين : عاش النمر بن تولب مائتى سنة ، وخرف وألقىَ على لسانه : انحروا للضيف ، أعطوا السائل، اصبَحوا الراكب[١] . أى اسقوه الصَّبوح .

قال ابن قتيبة فى ترجمته من كتاب الشعراء : وألقى بعض البطَّالين على لسانه : نيكوا الراكب ، فكان يقولها . ومن شعره :

لاتغضبنّ على امرئٍ فى ماله وعلى كرائم صُلب مالك فاغضب
وإذا تُصبك خَصاصةٌ فارجُ الغنى وإلى الذى يعطى الرَّغائبَ فارغبِ

باب التنازع

أنشد فيه ، وهو الشاهد السابع والأربعون :

٤٧ (فكنت كالساعى إلى مَثْعَبٍ مُوائلا من سَبَلِ الراعدِ[٢])

على أنّ الكسائى وقع فى أشنع مما فرّ منه من حذف الفاعل مضمراً ، لئلا يلزم الإضمار قبل الذكر فى نحو : ضربانى وضربت الزيدين ، مع أنّ الإضمار قبل الذكر قد ورد ، وحذف الفاعل فى غير المسائل المحصورة لم يرد .

و (الساعى) من سعى الرجل فى مشيه وسَعَى إلى الصلاة : ذهب إليها على أى وجه كان . وأصل السعى التصرف فى كلّ عمل ، ومنه قوله تعالى : « وأنْ ليسَ للإنسان إلاّ ما سعى » . و (المثعب) بفتح الميم وسكون المثلثة وفتح العين المهملة قال فى الصحاح : هو واحد مثاعب الحياض . وانثعب الماء : جرى فى المثعب ، وثعبت الماء فى الحوض بالتخفيف : فجّرته . والثَّعَب

(١) ط : « أصبحوا » بالهمز ، تحريف .
(٢) هو من شواهد شرح الشافية أيضاً . انظر شرحها للبغدادى ص ١١١

بالتحريك : مسيل الماء فى الوادى . و (الموائل) اسم فاعل من واءلَ منه على وزن فاعَلَ أى طلب النجاة وهرب . والموئل : الملجأ ، وقد وأل يئل وألا وَوُءولا على فُعول ، أى لجأ . و (السَّبَل) بالسين المهملة والباء الموحدة المفتوحتين ، هو المطر . و (الراعد) : سحاب ذو رعد ، ويقال رعدت السماء رعداً من باب قتل ، ورعوداً : لاح منها الرعد . كذا فى المصباح . يقول : أنا فى التجائى إليه كالهارب من السحاب ، ملتجئاً إلى الميزاب . ومثله قول الشاعر :

١٥٧

المستجيرُ بعمرو عند كُربته كالمستجير من الرَّمضاء بالنارِ

صاحب الشاهد

والبيت لسعيد بن حسان[1] . وقبله :

(فررتُ من معنٍ وإفلاسه إلى اليزيدىّ أبى واقدِ)

ومعن هو معن بن زائدة، الأمير الجواد ، المضروب مثلا فى الجود والكرم. وإنّما قال (وإفلاسه) لأنْ الإفلاس لازمٌ للكرام فى أكثر الأيام و (اليزيدى) هو أحد أولاد يزيد بن عبد الملك .

وقد أورد العتبى هذين البيتين فى تاريخ يمين الدولة محمود بن سُبُكْتُكين تمثيلاً ، ونسبهما إلى سَعيد بن حسان ، ونقلتهما منه ، لأنى لم أرهما إلاّ فيه ، ونقلت شرح بيته الأول من شرح التاريخ المذكور لأبى عبد الله محمود بن عمر النيسابورى الشهير بالنجاتى .

* * *

(١) فى هامش أصل الطبعة الاولى : « سعيد بن حسان لم يدرك معن بن زائدة . وقد نفى الشارح فيما سيأتى إدراك الفرزدق لمعن وسعيد ، وسعيد قبل الفرزدق » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون :

٤٨ (لا تَخلنا على غَرَاتك إنّا طالما قد وَشى بنا الأعداء[1])

على أن بعضهم جوّز في السعة حذف أحد مفعولى باب علمت للقرينة ، مستدلاً بهذا البيت ، أى لا تَخلْنا أذلاّء ، الأولى هالـكين أو جازعين . والقرينة البيت الذى بعده ، وهو :

(فبقِينا على الشَّناءة تَنمِ ينا جُدودٌ وعِزَّةٌ قَعساء)

أى فبقينا على بغض الأعداء لنا ، ولم يضرِنا بغضهم . والشناءة بالفتح والمد : البغض . وتنمينا : ترفعنا ، يقال نماه كذا أى رفعه . والقعساء : الثابتة . والجدود : جمع جَدّ بالفتح ، وهو الحظّ والبخت . وخال يخال بمعنى ظن وحسب . وعلى بمعنى مع . والغَراة بالفتح والقصر اسم بمعنى الاغراء . ويقال أغريته به إغراء فأغرى به بالبناء للمفعول . وقد روى « على غرائك » أيضاً بالمد ، وهو مضاف لفاعله ، والمفعول محذوف أى الملك . وقال أبو زيد فى نوادره[2] : يقال أغريت فلاناً بصاحبه إغراء ، وآسدت بينهما إيساداً ، إذا حملت كلّ واحد منهما على صاحبه حتى غَرِيَ به أى لزق به غَرًى شديداً ، مقصور . غُريت أنا بفلان فأنا أغرى به غَرى ، إذا أولعت به من غير تحميل . وأنشد هذا البيت وإنّا بالكسر ، لأنّه استئناف بيانى . وطالما أى كثيراً مّا ، وهو فعل مكفوف عن الفاعل لاتصاله بما الكافّة ، وروى أيضاً : « قبلُ ما قد وشى » بضم اللام أى قَبلك ، وما زائدة . ووشى به عند السلطان وشياً : سعى به . وقبل هذا البيت :

(١) ط : « غرائك » ، وهى رواية الأنبارى فى السبع الطوال ٤٥٤ . وأثبت ما فى ســ وهو ما يقتضيه تفسير البغدادى .

(٢) نوادر أبى زيد ١٩٨ .

(أيّها الناطقُ المرقِّشُ عنّا عند عمرو وهل لذاكَ بقاء)

والمرقِّش : المزين ، أراد الذى يزين القول بالباطل . يقول يا أيُّها الناطق عند الملك الذى يبلّغه عَنَّا ما يُريبه فى محبّتنا إياه ، ودخولِنا تحت طاعته ، هل لهذا التبليغ بقاء ! وهو استفهام إنكارى ؛ لأنّ الملك يبحث عنه فيعلم ذلك من الأكاذيب .

١٥٨ وعمرو هو عمرو بن المنذر الأكبر بن ماء السماء ، ويقال له أيضاً عمرو بن هند ، ويلقب بالمحرّق لأنه حرّق بنى تميم فى النار ، وقيل بل حرّق نخل اليمامة . وهو من ملوك الحيرة .

عمرو بن هند

وهذه الأبيات من المعلقة المشهورة لابن حِلِّزة ، وهو الحارث بن حلّزة من بنى يشكر بن بكر بن وائل ، وهو بكسر الحاء المهملة وكسر اللام المشددة وهو فى اللغة كما قال الصاغانى : اسم دُوَيْبَّة ، واسم البومة ، والذكرُ بدون هاء ويقال امرأة حلِّزة للقصيرة والبخيلة . والحلِّز : السّيِّئ الخلق ، انتهى . وقال قطرب : حُكى لنا أنّ الحلِّزة ضربٌ من النبات ، ولم نسمع فيه غير ذلك . قال أبو عبيدة : أجود الشعراء قصيدةً واحدةً جيدةً طويلةً ثلاثةُ نفر : عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلِّزة ، وطرَفة بن العبد . وزعم الأصمعىُّ أنّ الحارث قال قصيدته هذه وهو ابن مائة وخمس وثلاثين سنة . وكان من حديثه أنّ عمرو بن هند لما ملك الحيرة وكان جبّاراً ، جمع بكراً وتغلب فأصلح بينهم ، وأخذ من الحيَّين رُهُناً من كل حىّ مائة غلام ، ليكفَّ بعضهم عن بعض ، وكان أولئك الرُّهن يسيرون ويغزون مع الملك ، فأصابتهم سَموم فى بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون ، فقالت تغلب لبكر بن وائل : أعطونا ديات أبنائنا فإنّ ذلك لازمٌ لكم . فأبت بكر ، فاجتمعت

الحارث ابن حلزة

تغلب إلى عمرو بن كلثوم ، فقال عمرو بن كلثوم لتغلب : بمن ترون بكراً تَعصِب أمرها اليوم ؟ قالوا : بمن عسى ، إلاّ برجل من بنى ثعلبة ؟ قال عمرو : أرى الأمر والله سينجلى عن أحمرَ أصلع أصمّ من بنى يشكر . فجاءت بكر بالنعمان بن هرِم ، أحد بنى ثعلبة بن غنم بن يشكر ، وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم ، فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هرم : يا أصمّ جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم وقد يفخرون عليك . فقال النعمان : وعلَى من أظلَّت السماء يفخرون . قال عمرو بن كلثوم : والله إنى لولطمتك لطمةً ما أخذوا بها . قال : والله أن لوفعلتَ ما أفلتَّ بها قِيسَ أيرأبيك ! فغضب عمرو بن هند ، وكان يؤثر بنى تغلب على بكر ، وجرى بينهما كلام ، فغضب عمرو بن هند غضباً شديداً حتى همَّ بالنعمان ، فقام الحارث بن حلزة وارتجلَ هذه القصيدة ، وتوكّأ على قوسه فزعموا أنه انتظم (بها) كفَّه[1] وهو لا يشعر من الغضب .

وقال ابن السِّيد فى شرح أدب الكاتب[2] . كان متكئاً على عنزَة فارتَزت فى جسده وهو لا يشعر . والعنزة بفتح العين المهملة والنون : رمح صغير فيه زج ، أى حديدة . وكان عمرو بن هند شرِّيراً لا ينظر إلى أحد به سوء ، وكان ابن حلزة إنما ينشده من وراء حجاب لبرصٍ كان به ، فلما أنشده هذه القصيدة أدناه حتّى جلس إليه .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : وكان ينشده من وراء سبعة ستور فأمر برفع الستور عنه استحساناً لها .

* * *

(١) ط : « أنه اقتطم كفه » ، صوابه فى س .

(٢) الاقتضاب ص ٣٨٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

٤٩ (ولو أنَّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ كفانى ولم أطلبْ قليلٌ من المالِ
ولكنَّما أسعى لمجدٍ مؤثَّلٍ وقد يُدرِكُ المجدَ المؤثَّلَ أمثالى)

على أنه ليس من التنازع . وقد بينه الشارح المحقق ، وأصلهُ من إيضاح ابن الحاجب .

وقد تكلم عليه ابنُ هشام أيضاً فى مغنى اللبيب ، فى (لو) وفى الأشياء التى تحتاج إلى رابط من الباب الرابع ، بتحقيقٍ لا مزيد عليه .

١٥٩ بقى أن ابن خلف نقل فى شرح أبيات الكتاب عن أبى عبد الله الحسن ابن موسى الدينوَرىّ أنه قال : والذى يقْوى فى نفسى وما سبقنى إليه أحد أنّ قوله ولم أطلب ، معناه ولم أسعَ ، وهو غير متعدّ فلذلك لم يحفِل به ولا أعملَ الأوّل . ولا أدرى كيف خفى على الأفاضل من أصحابنا ذلك حتى جعلوا البيت شاهداً لجواز إعمال الأوّل . انتهى .

وهذا ليس بشىء ؛ فإن الطلب معناه الفحص عن وجود الشىء ، عيناً كان ذلك الشىء أو معنًى . والسعى : السّير السريع دون العدْو ، ويستعمل للجِدّ فى الأمر ، وهنا غير معنى الطلب وقد يكون لازماً له ، واستعماله فى اللازم لا قرينةَ له ، مع أنّ الأول متعدّ والثانى لازم ، ولم أطلب[2] مسند إلى ضمير المتكلم فكيف يرفع . و (ما) فى أنّ ما مصدرية لا موصولة ، لاحتياجها إلى العائد المقدر ، أى أسعى له .

(١) سيبويه ١ : ٤١ . وانظر العينى ٣ : ٣٥ وابن يعيش ١ : ٧٨ ، ٨٩ والهمع ٢ : ١١٠ والسيوطى ٢١٩ ، ٢٩٧ والإنصاف ٨٤ وديوان امرئ القيس ٣٩ .

(٢) فى النسختين : « ولم أسع » ، تحريف .

قال ابن خلف : المجد : الشرف ، وأصله الكثرة فكأنّ معناه كثرة الأفعال الجميلة التى توجب لصاحبها الشرف، وهو الارتفاع . انتهى .

ومثله فى عمدة الحفاظ قال : وأصل المجد من مَجَدت الإبل : حصلت فى مرعًى كثير واسع ، وقد أمجدها الراعى : جعلها فى ذلك . وتقول العرب : « فى كلِّ شجرٍ نارٌ ، واستَمجدِ المرخ والعَفار » ، ويروى بصيغة الماضى ، والمرخ فاعله ، بمعنى استكثر النار ، وفى القاموس « المجد نيل الشرف والكرم ، أوْلا يكون إلا بالآباء وكرم الآباء خاصة » . والمؤثّل ، قال ابن الأنبارى فى شرح المفضليات: هو المجموع ، ومنه قول امرئ القيس . وقال ابن السكيت : المؤثّل : المستمرّ المثبت ، يقال قد تأثّل فلانٌ بأرض كذا وكذا ، أى ثبتَ فيها . وقال أبو عبيدة : مجد مؤثّل : قديم له أصل ، والتأثّل: اتخاذ أصل مال . والأثْلة بسكون المثلثة : الأصل . قال الأعشى:

* ألستَ منتهياً عن نحت أثْلتنا[1] *

وهذان البيتان من قصيدة لامرئ القيس مطلعها :

قصيدة الشاهد

(ألاَ عِمْ صباحاً أيها الطّللُ البالى)

وقد شرحنا فى الشاهد الثالث من أولها إلى قوله :

نظرْتُ إليها والنجومُ كأنها مصابيح رهبان تشبُّ لقفّالِ

عشرين بيتاً[2] وقد أخذ هذين البيتين وبسط معناهما خُفاف بن غُضَين البُرجى ، كما رأيته فى مختار أشعار القبائل لأبى تمام ، وفى المؤتلف والمختلف للآمدى :

(١) عجزه : * ولست ضائرها ما أطت الإبل *

(٢) انظر ما مضى فى ص ٦٠ — ٦٩ .

ولو أنّ ما أسعى لنفسيَ وحدها   لزادٍ يسير أو ثياب على جلدى
لأنتُ على نفسى و بَلّغَ حاجتى   من المال مالٌ دون بعض الذى عندى
ولكنّما أسعى لمجد مؤثل   وكان أبى نال المكارم عن جدّى

و (خُفاف) بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاء الأولى . و (غُضَين) بضم الغين وفتح الضاد المعجمتين . وأنت بضم الهمزة، فهى ماض، من الأون وهو الدّعة والرفق والمشى الهين . وبعد هذين البيتين وهو آخر القصيدة :

(وما المرء مادامت حُشاشةُ نفسه   بمدركِ أطراف الخطوبِ ولا آلى)

أى ولا بمقصّر ، من ألا يألو بمعنى قصّر . وقبلهما بيتان ، وحكايتهما بين سيف الدولة والمتنبي مشهورة[1] ، وهما :

(كأنّيَ لم أركب جواداً للذّة   ولم أتبطّن كاعباً ذاتَ خلخالِ   ١٦٠
ولم أسبأ الزقّ الروىّ ولم أقلْ   لخيليَ كرّى كرةً بعد إجفال)

أخذهما عبدُ يغوثَ الجاهليُّ وأودعهما فى قصيدة قالها بعد أن أُسر فى يوم الكُلاب الثانى ، ولم يرد عليه ما ورد على امرئ القيس ، وهما :

كأنىَ لم أركب جواداً ولم أقل   لخيليَ كرّى نفّسى عن رجاليا[2]
ولم أسبأ الزقّ الروىّ ولم أقل   لأيسارِ صِدقٍ عظّموا ضوء ناريا

والأيسار : جمع ياسر ، وهو الجازر ، والذى يلى قسمة جزور الميسر .

امرؤ القيس

ونسب (امرئ القيس) على ما فى المؤتلِف والمختلِف[3] : امرؤ القيس

(١) انظر المواهب الفتحية ١ : ١٠٧ . وهى فى شرح الواحدى لديوان الطيب ، ونقلها عنه العكبرى فى شرح قوله :
وقفت وما فى الموت شك لواقف   كأنك فى جفن الردى وهو نائم
(٢) انظر المفضليات ١٥٨ .
(٣) المؤتلف والمختلف ص ٩ .

ابن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرار بن عمرو بن معاوية ابن ثور بن مُرتِع بن معاوية بن ثور الأكبر — وهو كندة — بن عُفَير ابن عدىّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد ، الشاعر المقدم .

ونسبه لابن الأنبارى فى شرح المعلقات : امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن كِندة ابن ثور بن مُرتِع بن عُفير بن الحارث بن مرّة بن عدىّ بن أُدَد بن عمرو ابن هَمَيْسَع بن عَريب بن عمرو بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب ابن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالَخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام .

و (مُرْتِع) بسكون الراء وكسر التاء[1] ، ذكره ابن ما كولا هو وابن الكلبى[2] وقال : سمِّى بذلك لأنه كان يقال له أرتِعْنا فيقول : أرتعتكم أرض كذا . والتشديد ذكره أيضاً لغة ، انتهى . وقال الصّاغانى فى التكملة : إنّ مُرتعاً اسمه عمرو ، وذكر بقية نسبه ، وهو أُدَد بن يشجب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرُب بن قحطان .

قال ابن خلف : ويكنى امرؤ القيس أبا زيد ، وأبا وهب ، وأبا الحارث . وذكر بعض اللغويين أن اسمه حُندُج ؛ وامرؤ القيس لقَب له لقّب به لجماله ، وذلك لأن الناس « قِيسوا » إليه فى زمانه فكان أفضلَهم . والحُندُج بضم الحاء المهملة والدال وسكون النون وآخره جيم ، وهو فى اللغة : الرّملة الطيبة ،

---

(١) ضبط عند ابن الأنبارى بضم الميم وفتح الراء وتشديد التاء المكسورة لأنه قال : « وإنما سمى مرتعا لأنه كان من أتاه من قومه رتعه ، أى جعل له مرتعا لماشيته » . السبع الطوال ٤ .

(٢) ط : « ابن ما كولا وابن الكلبي » ، وكذا فى المؤتلف للآمدى ٩ .

وقيل : كثيب من الرّمل أصغر من النقا . ويقال لامرئ القيس (ذو القروح) أيضاً لقوله :

* وبدّلت قرحاً دامياً بعد صحّة[1] *

ويقال له (الملك الضِّلّيل) . وحُجر فى الموضعين بضم الحاء المهملة وسكون الجيم ، والمُرار بضم الميم وتخفيف الراءين المهملتين : شجرٌ من أفضل العُشب وأضخمه ، إذا أكلته الإبل قَلَصت مشافرُها فبدَت أسنانُها ، ولذلك قيل لجدّ امرئ القيس آكل المُرار ، لكَثَرٍ كان به .

وهذه أحواله على وجه الإجمال . قال ابن قتيبة فى ترجمته : « ولما ملك حُجر على بنى أسد كان يأخذ منهم شيئاً معلوماً ، فامتنعوا منه ، فسار إليهم فأخذ سَرَواتهم فقتلهم بالعِصىّ — فسموا عَبيد العصا — وأسَرَ منهم طائفة فيهم عَبيد بن الأبرص ، فقام بين يدَى الملك وأنشده أبياتاً يرقّقه بها ، منها :

أنت المليكُ عليهمُ وهمُ العبيدُ إلى القيامهْ

فرحمهم الملك وعفا عنهم وردَّهم إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تِهامة تكهّن كاهنهم عوف بن ربيعة الأسدىّ فقال : يا عبادى ، قالوا: لبّيك ربّنا ، فسجَع لهم على قتل حجر وحرَّضهم عليه ، فركبت بنو أسد كلّ صعب وذلول ، فما أشرقَ لهم الضحى حتى انتهوا إلى حجر فوجدوه نائماً فذبحوه ، وشدّوا على هجائنه فاستاقوها . وكان امرؤ القيس طرده أبوه لما صنع فى الشعر بفاطمة ما صنع ، وكان لها عاشقاً ، فطلبها زماناً فلم يصل إليها ، وكان يطلب منها مَوعداً ، حتى كان منها يوم الغَدير بدارة جُلجُل ما كان ، فقال :

١٦١

---

(١) عجزه فى ديوانه ١٠٧ :

* فيالك من نعمى تحولن أبؤسا *

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

فلما بلغ ذلك حُجْراً دعا مولًى له يقال له ربيعة فقال له : اقتل امرَأَالقيس وائتنِي بعينيه ، فذبح جؤذراً فأتاه بعينيه ؛ فندم حجر على ذلك ، فقال : أُبيتَ اللعنَ ، إنى لم أقتله . قال : فائتنى به : فانطلق ، فإذا هو قد قال شعراً فى رأس جبل ، وهو قوله :

فلا تُسلِمَنِّى ياربيعُ لهـذه وكنتُ أرانى قبلَها بك واثقا

فردَّه إلى أبيه فنهاه عن قول الشعر ؛ ثم إنه قال :

* ألاعِم صباحاً أيها الطللُ البالى *

فبلغ ذلك أباه فطرده . كذا قال ابن قتيبة .

وفيه أن امرأ القيس قال هذه القصيدة فى طريق الشام عند مسيره إلى قيصر بعد قتل أبيه ؛ ولعله شعرٌ آخر .

ثم قال ابن قتيبة : فبلغه مقتلُ أبيه وهو بدَمُّون ، فقال :

تطاولَ الليلُ علينا دمُّونْ دمُّونُ إنّا معشر يَمانُونَ
وإننا لأهلنا محبّون(١)

ثم قال « ضيّعنى صغيراً ، وحمّلنى دمَه كبيراً ؛ لا صحوَ اليومَ ولا سُكرَ غداً ، اليومَ خمرٌ وغداً أمرٌ » . ثم آلى : لايأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يثأر بأبيه . فلما كان الليل لاحَ له برق فقال :

أرقتُ لبرقٍ بليلٍ أهلّ يضىء سَناه بأعلى جبل(٢)
بقتل بنى أسدٍ ربَّهم ألا كلّ شىء سواه جَلَلْ

(١) ط : « لأهلها » ، صوابه فى سه والشعراء ٥٤ .
(٢) فى الشعراء : « الجبل » .

ثم استجاش بكر بن وائل فسار إليهم وقد لجئوا إلى كنانة فأوقع بهم، ونجت بنو كاهل من بنى أسد، فقال:

يالهفَ نفسى إذ خَطِئْن كاهلا   القاتلينَ الملكَ الحُلاحلا

تاللهِ لايذهبُ شيخى باطلا

وقد ذكر امرؤ القيس فى شعره أنه ظفر بهم، فيأبَى عليه ذلك الشعراء. قال عَبيد:

يا ذا المخوِّفُنا بقتـ   ـلِ أبيه إذلالاً وحَينا

أزعمتَ أنّك قد قتلـ   ـتَ سَراتنا كذباً ومَينا

ولم يزل يسير فى العرب يطلب النصر حتى خرج إلى قيصر.. ونظرت إليه ابنةُ قيصر فعشقته فكان يأتيها وتأتيه، وفطن الطَّمَّاح بن قيس الأسدى لها — وكان حُجر قتل أباه — فوشَى به إلى الملك. فخرج امرؤ القيس متسرِّعاً، فبعث قيصر فى طلبه رسولا، فأدركه دون أُنقرة بيوم، ومعه حلة مسمومة، فلبسها فى يوم صائف فتناثر لحمه وتفطّر جسده. وكان يحمله جابر بن حُنَىّ التغلبى. فذلك قوله:

فإمّا ترينى فى رِحالة جابر   على حَرَجٍ كالقَرِّ تخفق أكفانى

فيارُبَّ مكروبٍ كررتُ وراءه   وعانٍ فككتُ الغُلَّ منه ففدّانى

إذا المرء لم يخزُنْ عليه لسانهُ   فليس على شىء سواه بخزّان

١٦٢

وقال حين حضرته الوفاة:

وطعنةٍ مُسْحَنْفِرَهْ   وجفنةٍ مُثعنجِرَهْ

تبقى غداً بأنْقِرَهْ

قال ابن السكلبي : هذا آخر شيء تكلّم به ثم مات . وجابر بن حُنَيّ بضم المهملة وفتح النون والياء المشدّدة . والرِّحالة بالكسر : قيل السرج ، وقيل السَّرج من جلودٍ لاخشب فيه يتخذ للركض الشديد . والحَرَج : الضيِّق . والقَرّ بفتح القاف : مركَبٌ للرجال كالهَودج . والمُسْحنفِر : الواسع . والمُثعَنجِر : السائل المنسكب .

ثم قال ابن قتيبة : قال أبو عبد الله الجُمَحى [1] : كان امرؤ القيس ممن يتعهّر فى شعره ، وذلك قوله :

* فمثلكِ حبلى قد طَرَقتُ ومُرضِعٍ [2] *

وقال :

* سَمَوتُ إليها بعد ما نام أهلُها [3] *

وقد سَبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها ، واستحسنها العرب واتبعته عليها الشعراء : من استيقافه صَحبَه فى الديار ، ودقّةِ التشبيه [4] ، وقرب المأخذ . ويستجاد من تشبيهه قوله :

كأنّ عيونَ الوَحش حَولَ خِبائنا وأرحُلِنا الجَزْعُ الذى لم يُثقَّبِ

ومما عيب عليه قوله :

إذا ما الثريّا فى السماء تعرّضت تعرُّضَ أثناءِ الوشاح المفصَّلِ

قالوا : الثريّا لا تعرُّضَ لها ؛ وإنما أُراهُ أراد الجوزاء فذكر الثريّا

(١) ابن سلام ص ٣٤ — ٣٥ .
(٢) تمامه : * فألهيتها عن ذى تمائم محول *
(٣) عجزه : * سمو حباب الماء حالا على حال *
(٤) ط : « ورقة النسيب » .

على الغلط ، كما قال الآخر[١] : « كأحمر عاد » وإنما هو « كأحمر ثمود » وهو عاقر الناقة .

وأقبل قوم من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فضلُّوا الطريق ومكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماء ، إذْ أقبل راكب على بعير ، وأنشد بعضُ القوم :

ولمّا رأتْ أنّ الشريعةَ همُّها   وأن البياضَ من فرائصها دامى
تيمّمتِ العَين التى عند ضارجٍ   يفىء عليها الظلُّ عِرمِضُها طامى

فقال الراكب : من يقول هذا ؟ قالوا : امرؤ القيس ؛ فقال : والله ما كذب ، هذا ضارجٌ عندكم — وأشار إليه — فمشوا على الركب فإذا ماء غَدَقٌ ، وإذا عليه العِرمِض والظلّ يفىء عليه ، فشربوا وحملوا ، ولولا ذلك لهلكوا » . انتهى كلام ابن قتيبة .

(تتمة)

من اسمه امرؤ القيس

ذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف عشرة من الشعراء ممن اسمهم امرؤ القيس واحدٌ منهم صحابى ، وهو امرؤ القيس بن عابِس الكندى[٢] . وزاد صاحب القاموس على ما قال الآمدى اثنين وهما صحابيان : أحدهما امرؤ القيس بن الأصبَغ الكلبى ، وامرؤ القيس بن الفاخر بن الطّمّاح

* * *

(١) هو زهير فى معلقته . والبيت بتمامه :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم   كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

وقد نقل التبريزى فى شرح المعلقات عن المبرد أن هذا ليس بغلط ، لأن ثمود يقال لها عاد الأخيرة ، ويقال لقوم هود : عاد الأولى .

(٢) فى النسختين : «عانس» ، صوابه فى المؤتلف ٩ والإصابة ١ : ٦٤ والقاموس (قيس) والشعراء ٣١٠ ، ٥٦٣

مفعول ما لم يسم فاعله

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخمسون :

١٦٣ ٥٠ (نُبِّئْتُ عمراً غيرَ شاكرِ نِعمتى)

على أن (أعلمَ) وأخواتها ، مما يتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل ، إذا بنيت للمفعول لا ينوب عن الفاعل إلاّ المفعول الأوّل كما فى هذا البيت ، فإنّ ضمير المتكلم كان فى الأصل مفعولاً أوّلا ، والتقدير نبأنى فلان ، فلما بنى فعله للمفعول ناب عن الفاعل . وقد بيّنه الشارح المحقّق . و (عمراً) هو المفعول الثانى ، و (غير) المفعول الثالث ، وأصلهما المبتدأ والخبر .

وهذا المصراع صدر ، وعجزه :

(والكُفرُ مَخبثةٌ لنفس المنعِم)

وهذا البيت من معلقة عنترة بن شدّاد العَبسىّ . والكفر هنا : الجحد ، يقال: كفر النعمة وبالنعمة ، إذا جحدها . ومخبثَة بفتح الميم،من الُخبث، يقال : خبُث الشىء خبثا من باب قرب : خلاف طاب ، والاسم الخباثة ، ومَفعَلة صيغةُ سببِ الفعل والحاملِ عليه والداعى إليه ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « الولد مَجبنة مَبخلة » أى سببٌ يجعلُ والدَه جبانا : لم يشهد الحروب ليربّيه ، ويجعله بَخيلا : يجمع المال ويتركه لولده من بعده . ومثله كثير فى العربيّة . ولم يتكلم علماء التصريف على هذه الصيغة ، قال الخطيب التبريزى فى شرح المعلّقة « يقال طعامٌ مَطيَبةٌ للنفس ومَخبثة لها ، وشراب مَبولة » انتهى . يقول : من أنعمتْ عليه نعمةٌ فلم ينشرُها ولم يشكرها فإن ذلك سببٌ لتغيّر نفس المنعِم من الإنعام على كلّ أحد . وليس المعنى : يتغير نفس المنعم على ذلك الجاحد ، كما قال شراح المعلقة ، فإنه تقصير .

وهذا المصراع من باب إرسال المثل . ولما كان هذا البيت تامّا فى نفسه لم نضف إليه شيئا من هذه القصيدة .

وترجمة عنترة قد تقدمت مع أبيات من هذه المعلقة فى الشاهد الثانى عشر[1]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون[2] :

٥١ (ولَوْ وَلدتْ قُفَيرةُ جَرْوَ كَلْبٍ لَسُبَّ بذلك الجرْوِ الكِلابا)

على أن الكوفيين وبعض المتأخرين أجازوا نيابة الجار والمجرور عن الفاعل مع وجود المفعول الصريح .

قال ابن جنّى فى الخصائص : « هذا من أقبح الضرورة ، ومثله لا يُعتَدّ به أصلا ، بل لا يُثبَت إلاّ محتَراً شاذًّا » .

و « بعض المتأخرين » هو على بن سليمان الأخفش تلميذ المبرّد .

و (قُفَيرة) بتقديم القاف على الفاء وبالراء المهملة مصغّرا . اسم أم الفرزدق. وروى (فُكَيهة) أيضا على وزنه ، وهو تحريف . و (الجرو) مثلث الجيم : ولد السباع ، ومنها الكلب .

ذمّ الشاعر قُفَيرة بأنها لو ولدت جرواً لسُبَّتْ جميعُ الكلاب بسبب

(١) ص ١١٨ .

(١) انظر ابن يعيش ٧ : ٧٥ والخصائص ١ : ٣٩٧ والهمع ١ : ١٦٢ وابن الشجرى ٢ : ٢١٥ . ولم يرد البيت فى ديوانه ولا فى النقائض .

ذلك الجروِ ، لسوء خَلقه وخَلْقه . وقال القالى[1] فى شرح اللباب[2] « وقيل : الكلاب ليست مفعولَهُ ، بل مفعول ولدت . وجرو نصب على النداء ، أو على الذم . وقيل الكلاب نصب على الذمّ ، وجُمع لأن قُفَيرة وجَروا وكلبا ثلاثة » . انتهى .

وهذا التخريج نقله ابن الحاجب فى أماليه عن أبى جعفر النحاس فى كتابه الكافى فى النحو عن أبى إسحاق الزّجاج وقال : « معنى قوله لَسُبَّ : لحصل السبّ بسبب ذلك الجرو » . وهذا مستقيم .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الفرزدق ، مطلعها :

١٦٤ (أقلِّى اللومَ عاذلَ والعِتابا وقولى إن أصبتُ لقد أصابا)

وتقدم شرحه مع ترجمة جرير فى الشاهد الرابع[3] .

وقَبل البيت الشاهد :

(وهل أمٌّ تكون أشدَّ رَعياً وصَرًّا من قُفَيرة واحتِلابا)

وقد نقض هذه القصيدةَ عليه الفرزدقُ بقصيدةٍ ، وكلتاهما مسطورة فى النقائض .

* * *

(١) فى النسختين : « النالى » ، وإنما هذا بالفاء ، وهو محمد بن سعيد السيرافى . ذكره السيوطى فى البغية ٤٦ وقال : « المعروف بالفالى ، بالفاء ، صاحب شرح اللباب ولم أقف له على ترجمة » . ومن هذا الشرح نسخة كتبت سنة ٧٧٥ بحيدرأباد . ويوجد كثير من نسخه بالهند ، كما ذكر الميمنى .

(٢) اللباب فى النحو لتاج الدين محمد بن أحمد بن السيف ، المعروف بالفاضل الاسفرايينى ، كما فى كشف الظنون .

(٣) ص ٦٩ — ٧٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون ، وهو من شواهد س[1] :

٥٢ (أمرتُكَ الخيرَ)

وهو قطعة من بيت وهو :

(أمرتُكَ الخيرَ فافعَلْ ماأُمرتَ به فقدْ تَركتُكَ ذامالٍ وذا نَشَب)

على أن الجُزولىّ منع نيابة المنصوب بسقوط الجار ، مع وجود المفعول به المنصوب من غير حذف الجار ، وأصله أمرتك بالخير ؛ لأنّ أمر يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد ، وهو الكاف هنا ، وبحرف الجر إلى آخرَ ، فالخبر منصوب بنزع الباء بدليل (ماأُمرتَ به) . قال الأعلَم : « وسوّغ الحذف والنصب : أن الخير اسم فعل يَحْسُنُ أنْ وما عملت فيه فى موضعه ، و (أنْ) يحذف معها حرف الجر كثيرا ، تقول أمرتك أن تفعل ، تريد : بأن تفعل ، فإذا وقع موقعَ أن اسمُ فعلٍ شبّه بها فحسن الحذف . فإن قلت أمرتك بزيد لم يجُز أن تقول أمرتك زيدا » . انتهى .

ونقل ابن هشام اللخمى هذا الكلام فى شرح أبيات الجمل ، إلاّ أنه قال: « الخير مصدر » . وهذا ليس بجيّد . قال المرزوقى فى شرح الفصيح ، عند قول الشاعر :

ومن يَلْقَ خيرا يَحمَدِ الناسُ أمرَه ومن يَغوِ لا يَعدَمْ على الغىّ لائما

« يجوز أن يكون جعل (الخير) كناية عن كل مايُحمد من إصابة الحق وتعاطى العدل واتّباع الرشد ، ويكون (ومن يغوِ) على الضدّ منه ، ويجوز أن يكون الخير كناية عن الغنى خاصة ، والغىّ كناية عن الفقر . وقد علم أن

(١) سيبويه ١ : ١٧ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٣٦٥/٢ : ٢٤٠ وابن يعيش ٢ : ٤٤ / ٨ : ٥٠ والهمع ٢ : ٧٢ والسيوطى ٢٤٧ .

الغنى محمود والفقر مذموم ، والعرب تسمى كلّ مرتضى عندهم خيراً وحقّا ، وصوابا وحسنا ، وكلّ مذموم عندهم شرًّا وخطأ ، وسيئة وجهلا وغيّا» . انتهى.

وقد أورد القاضى هذا البيت عند قوله تعالى : « فافعلُوا ما تُؤْمَرُون » على أنه بتقدير تؤمرون به كما فى البيت . ولا يخفى ركاكة قول شارح شواهده الموصلى : « إن الأمر لا يستعمل إلاّ بالباء ، وقد شاع حذفه فى هذا الفعل ، وكثر استعماله أمرته كذا ، حتى لحقت بالأفعال المتعدية إلى مفعولين » . هذا كلامه .

روى أبو علىّ الهَجَرِىُّ فى نوادره[1] : (أمرتك الرشد) بدل الخير ، وهو الصَّلاح وإصابة الصواب ، وفعله من بابى تعب وقتل . و (أُمِرتَ) بالبناء للمفعول ، وضمير (به) لما الموصولة أو الموصوفة . والفاء الأولى جواب شرط مقدّر ، أى إن تمتثل فافعل . وقال اللخمى : جوابٌ لما فى الجملة من من معنى الأمر ، والفاء الثانية جواب الأمر . وقال أيضاً « ذا : حالٌ من الكاف فى تركتك ، والعاملُ فيه تركت ، وهو بمعنى صاحِب ، وهو عند ابن درستويهِ مفعول ثان لتركت لأنها تتعدى إلى مفعولين والثانى هو الأول . وهذا وهم لأن تركت فى معنى خلّيت ، وخليت لا يجىءُ معها إلا الحال ، فكذلك لا يجىء مع تركت إلاّ الحال » . انتهى.

١٦٥ والصواب أن ترك يتضمن معنى جعل فيتعدى تَعديته ، وهذا مستفيض لا يخفى على مثله .

وقال ابن خلف : « وتركتك : إن كان بمعنى صيّرتك كان ذا مال مفعولا

(١) لم يذكر البغدادى هذه النوادر فى مراجعه ، ولم يذكرها إلا فى هذا الباب وباب المفعول فيه . ومن نوادر الهجرى نسخة فى دار الكتب باسم « التعليقات والنوادر » برقم ٢٤٢ لغة . واسم الهجرى هارون بن زكريا .

ثانياً ، كما تقول : تركت زيداً فقيهَ البلد : إذا كنت أنت الذى فقّهته وعلّمته ، ومنه قوله سبحانه : « تَرَكناها آية »(١) أى جعلناها وصيّرناها . وإن كانت بمعنى خلّفتك كان ذا مال حالا ، كما تقول : تركت زيداً وهو فقيه البلد » . انتهى .

و (قد) للتحقيق ، وقال اللخمىّ : يجوز أن تكون للتوقّع أيضاً . و(المال) قال اللخمىّ : فى شرح فصيح ثعلب : هو عند العرب الإبل والبقر والغنم ، ولا يقال للذهب والفضة مال ، وإنما يقال لهما : ناضّ ، وأقلّه ماتجب فيه الزكاة ، وما نقص عن ذلك فليس بمال . وحكى أبو عُمَر صاحب الياقوتة : المال : الصامت والناطق ، فالصامت : الدنانير والدراهم والجواهر ، والناطق : البعير والبقرة والشاة ، قال : ومنه قولهم : مالَه صامتٌ ولا ناطق . ومنهم من أوقع المال على جميع مايملكه الإنسان . وهو الصحيح. انتهى . ويشهد للقول الأخير قوله تعالى : « وَلا تُؤْتُوا السُّفهاء أموالَكم » وهذا لايخصّ شيئاً دون شىء .
و (النشب) بالشين المعجمة ، قيل : بمعنى جميع مايملك بمعنى المال ، وقيل : المال الأصيل الثابت بمعنى العَقار كالدُّور والضِّياع ، مأخوذ من نشب الشىء : إذا ثبت فى موضع لزومه . فعلى الأوّل يكون من عطف المترادفين للتوكيد ، وعلى الثانى يكون من عطف الخاصّ على العام . وإن فسِّر المال بغير القول الأخير كان من عطف المتقابلين . وقال الأعلم : « قد قيل : إنّ النشب هنا جميع المال ، فيكون عطفه على الأول مبالغة وتوكيداً ، وسوّغ ذلك اختلاف اللفظين » . وهذا كلامه فتأمّله ! وهذه رواية سيبويه وخَدَمة كتابه(٢) ، ورواه الهجرى فى نوادره : (ذا نسب) بالسين المهملة . قال اللخمى وأبو الوليد

---

(١) من الآية ١٥ فى سورة القمر .
(٢) ط : « خدمة كلامه » .

الوَقْشيّ فيما كتبه على كامل المبرد : هذا هو الصحيح ، لأنه لامعنى لإعادة ذكر المال ، وإنما يقول : تركتك غنياً حسيباً . يخاطب ابنه . وقد نسب السيوطي في شرح أبيات المغني هذا الكلام لابن السِّيد البَطَلْيَوْسيّ فيما كتبه على الكامل . وهذا لا أصل له ، فإنه لم يكتب عليه هنا شيئاً ، وإنّما كتب ما يقارب هذا في أبيات الجمل .

صاحب الشاهد وقد ورد هذا البيت في شعرين : أحدهما في شعر أعشى طَرُود ، والثاني في شعرٍ اختلف في قائله . أما الأول فقد نقله الآمدي في المؤتلف والمختلف وأبو محمد الأعرابي في فُرحة الأديب ، وهو :

(يادارَ أسماء بين السَّفح فالرُّحَبِ ... أقوَتْ وعفّى عليها ذاهبُ الحُقُب[1]

فما تبيّنُ منها غيرَ منتضد ... وراسياتٍ ثلاثٍ حولَ منتصب

وعرَصة الدار تستنُّ الرياحُ بها ... تحنّ فيها حنينَ الوُلَّهِ السُّلُب

دارٌ لأسماء ، إذْ قلبي بها كلِفٌ ... وإذ أقرِّب منها غيرَ مقترِب

إنّ الحبيبَ الذي أمسيتُ أهجرُه ... من غير مَقليَةٍ مني ولا غضَب

أصدُّ عنه ارتقاباً أنْ أُلمّ به ... ومَنْ يخفْ قالةَ الواشين يَرتقب

إني حَويت على الأقوام مَكرُمةً ... قِدماً ، وحذّرني ما يتقون أبي

وقال لي ، قول ذي علمٍ وتجرِبة ... بسالفاتِ أمورِ الدهرِ والحِقَب :

١٦٦ أمرتك الرشد فافعل ما أمرت به . . (البيت) . انتهى

وقال اللخميّ : من قال إنّ البيت لأعشى طَرُود قال بعده :

(لا تبخلنّ بمال عَنْ مذاهبه ... في غير زَلّة إسراف ولا تَغب

فإن وُرّاثه لن يحمَدوكَ به ... إذا أجَنّوك بين اللِّبْنِ والخشب

(١) الحقب ، بضمتين وبكسر ففتح .

وقد أورد الهجرىّ أيضاً فى نوادرهِ هذين البيتين بعد البيت الشاهد، وأما الثانى فهو هذا :

« فقال لى، قولَ ذى رأىٍ ومقدرة مجرّبٍ عاقلٍ نَزْهٍ عن الرِّيَبِ :
قد نلتُ مجداً، فحاذرْ أن تدنّسه : أبٌ كريمٌ وجدٌّ غيرُ مؤتشب
أمرتكَ الخيرَ فافعلْ ما أُمرتَ به فقد تركتك ذا مال وذا نَشَب
واتْرُكْ خلائقَ قوم لا خَلاقَ لهمُ واعمدْ لأخلاقِ أهلِ الفضلِ والأدب
وإنْ دُعيتَ لغدرٍ أو أُمرتَ به فاهرُبْ بنفسكَ عنه آبِدَ الهرب »(١)

وهذا الشعر قد نسب إلى عمرو بن معد يكرب، وللعبّاس بن مرداس، ولزُرعة بن السائب، ولخُفَاف بن نَدبة .

قال اللخمى : من نسب البيتَ لأحد الثلاثة الأوَل قال قبلَه :

فقالَ لى قولَ ذى رأى ومقدرة . . (البيت)

ونَسبَ قولَه : فاترك خلائق قوم لا خَلاَقَ لهم

وقوله : قد نلتَ مَجداً فحاذرْ أن تدنّسه

البيتين، إلى أعشى طَرود لا غير، وقال : هما بعد البيت الشاهد . وقد نسبَ البيت، فى كتاب سيبويه، لعمرو بن معد يكرب . والله أعلم .

أعشى طرود

وأعشى (طَرود) قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : « لم يُذكر اسمه ولا عُرف نسبُه إلى القبيل . وبنو طَرود، من(٢) فَهْم بن عمرو بن قيس ابن عَيْلان، وهم حلفاء بنى سُليم ثم فى بنى خُفاف . انتهى .

ونقل الصاغانى فى العباب هذا الكلام ولم يزد عليه .

---

(١) كذا فى ط . وفى سـ مع أثر إصلاح : « أبدَ الهرب » .
(٢) ط : « منهم » صوابه فى المؤتلف ١٧ وفى سـ مع أثر إصلاح .

وقال أبو الوليد الوقشىّ نقلاً عن نوادر الهجرىّ ، واللخمى نقلا عن أبى مروان عبد الملك بن سِراج : إن أعشى طَرود اسمه إياس بن موسى ، بكسر الهمزة بعدها مثناة تحتية ؛ ولم يزيدا على هذا .

قال المرزُبانىّ : حضَر هوذة بن الحارث ، المعروف بابن حملة[١] ، فى أيام عمر ، العطاء فدعا قبله إياس بن موسى هذا ، فقال هوذة[٢] :

لقد دار هذا الأمرُ فى غير أهلِه فأبْصِرْ ، أمينَ الله ، كيف تذُودُ
أيُدْعى جُشَيمٌ والسُّوَيدُ أمامَنا ويُدعى إياس قبلنا وطَرود[٣] !
فإن كان هذا فى الكتابِ فَهُمْ إذنْ ملوكٌ سوى حرب ونحن عَبيد[٤]

انتهى . وفُهم من هذا أن أعشى طَرود إسلامىّ ، لكن لم يعلم ما هو : صحابىّ أم تابعىّ[٥] ؟ والله أعلم .

وقوله : يادار أسماء بين السفح الخ ، قال ياقوت فى معجم البلدان « السَّفح بلفظِ سفح الجبل ، وهو أسفله حيث يسفح فيه الماء . وهو موضع كانت به وقعة بين بكر بن وائل وتميم » . ولم يذكر أبو عبيد[٦] هذه الكلمة فى المعجم . والرُّحب بضم الراء وفتح الحاء المهملتين : موضع ، ولم يذكرها أبو عُبيدٍ ولا ياقوت . وأقوتْ : خلت من الأنيس ، كأنه ذهب قوتُها . وعفّى عليها ، ١٦٧ بالتشديد كعفَاها : أى طمسها ومَحا علاماتها . والحقب بضمتين : الدهر ، وبكسر ففتح : جمع حِقبة ، وهى السَنة ؛ أى طمسها الدهرُ الذاهب ، والسنون الماضية . وتبيّن : ظهر . والمنتضد : الحجارة المصفوفة بعضها فوق بعض .

(١) كذا فى النسختين ، وفى الإصابة ٩٠١٢ نقلا عن المرزبانى : « بابن الحامة » .
(٢) فى الإصابة : « أيدعى خثيم والشريد » .
(٣) فى الإصابة : « ملوك بنو حر » .
(٤) اليمنى : « ذكره الطبرى وابن شاهين فى الصحابة » .
(٥) أبو عبيد البكرى . وفى ط : « أبو عبيدة » صوابه فى سه مع أثر تصحيح .

وأراد بقوله : راسيات ثلاث : حِجارةَ القدرِ الثلاثة ؛ وهو معطوف على منتضد ، وكذلك عَرصة . واستنّت الرياحُ : هبّت عليها من هنا ومن هنا . والوُلّه : جمع الواله : المرأة التي فقدت ولدها . والسُّلُب بضمتين : اللابسة الثياب السود . وتحنّ : من الحنين بمعنى الأنين . وقوله : وإذ أقرّب منها . . الخ . أي أمنّي نفسي منها ما لا يكون . والمقليَة بتخفيف الياء : مصدر بمعنى القلى ، وهو البغض والكراهية . والارتقاب : الانتظار . وأن أُلّم : أى لأن أنزل وأحلّ به . والتَّغَب : بمثناة فوقية فغين معجمة ، قال اللخمىّ : هو جمع تَغْبة وهى السقطة ، وما يعاب به ابنُه . والتغب أيضاً : الهلاك ؛ وقال فى الصحاح : « تغب بالكسر تَغَباً : هلك » . ونَزْه بفتح النون وسكون الزاى : البعيد ؛ سكّن الزاىَ ، وهى مكسورة للضرورة . والمؤتشب : المختلط يقال : أشْبت القومَ ، إذا خلطتَ بعضهم ببعض .

المبتدأ والخبر

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثالث والخمسون[1] :

٥٣ (غَيرُ مأسوفٍ عَلىٰ زَمَنٍ يَنْقَضى بالهَمّ والحَزَنِ)

أورده مثالا لإجراء (غير) قائم الزيدان ، مُجرى (ما) قائم الزيدان ، لكونه بمعناه .

وتخريج البيت على هذا أحد أقوال ثلاثة هو أحسنها ؛ وإليه ذهب ملك النحاة الحسن بن أبى نزار[2] ، وابن الشجرىّ أيضا فى أماليه .

(١) انظر العينى ١ : ٥١٣ والهمع ١ : ٩٤ وابن الشجرى ١ : ٣٢ .

(٢) كذا فى النسختين ، وهو أبو نزار الحسن بن أبى الحسن صافى بن عبدالله بن نزار ، صاحب المسائل العشر المتعبات إلى الحشر . ولد سنة ٤٨٩ وتوفى سنة ٥٦٨ . معجم الأدباء ٨ : ١٢٢ وإنباه الرواة ١ : ٣٠٥ والبغية ٢٢٠ .

و (مأسوف) اسم مفعول من الأسف وهو أشد الحزن ، وباب فعله فرح .
و (على زمن) متعلق به على أنه نائب الفاعل . وجملة ينقضى صفة لزمن .
و (بالهمّ) حال من ضميره ، أى مَشوبا بالهمّ .

فلما كانت (غير) للمخالَفة فى الوصف وجرت لذلك مَجرى حرف النفى ، وأضيفت إلى اسم المفعول المسند إلى الجار والمجرور — والمتضايفان بمنزلة الاسم الواحد — سدّ ذلك مسدّ الجملة ؛ كأنه قيل : ما يؤسف على زمن هذه صفته .

قال أبو حيان فى تذكرته : ولم أر لهذا البيت نظيرا فى الإعراب إلاّ بيتاً فى قصيدة المتنبى يمدح بها بدر بن عمّار الطَّبَرستانىّ يقول فيها :

ليس بالمنكَر أن برّزت سَبقا   غيرُ مدفوع عن السَّبق العِرابُ

فالعراب مرفوع بمدفوع ، ومن جعله مبتدأ فقد أخطأ لأنه يصير التقدير : العراب غير مدفوع عن السبق ؛ والعراب جمعٌ فلا أقلّ من أن يقول غير مدفوعة ، لأن خبر المبتدإ لا يتغير تذكيره وتأنيثه بتقديمه وتأخيره .

والقول (الثانى) لابن جنى ، وتبعه ابن الحاجب ، وهو : أن (غير) خبر مقدّم ، والأصل : زمن ينقضى بالهمّ والحزن غير مأسوف عليه ، ثم قدمت عليه وما بعدها ، ثم حذف زمن دون صفته فعاد الضمير المجرور بعلى على غير مذكور ، فأتى بالاسم الظاهر مكانه وحذف الموصوف ، بدون شرطه المعروف ، ضرورة .

و (الثالث) وهو لابن الخشاب : أن غير خبر لأنا محذوفا ، ومأسوف : مصدر كالمعسور والميسور أريد به اسم الفاعل ؛ والتقدير : أنا غير آسف على زمن هذه صفته .

١٦٨

صاحب الشاهد

وهذا البيت لأبى نواس ، وهو ليس ممن يستشهد بكلامه ، وإنما أورده

الشارح مثالا للمسألة، ولهذا لم يقل كقوله . وبعده بيت ثان وهو :

(إنّما يرجو الحياةَ فتًى عاشَ فى أمنٍ من المِحَن)

أبو نواس

و (أبو نواس) هو أبو على الحسن بن هانئ بن عبد الأوّل بن الصباح الحكَمى ، بفتح الحاء والكاف ، نسبة إلى الحكم بن سَعدِ العشيرة ، وهى قبيلة كبيرة منها الجرّاح بن عبد الله الحكمى أمير خراسان ، وكان جدّ أبى نواس من مواليه . وإنّما قيل له : أبو نواس ، لذؤابتين كانتا له تنوسان على عاتقه .

والذؤابة بهمزة بعد الذال المضمومة : الضفيرة من الشعر إذا كانت غير ملويّة ، فإن كانت ملويّة فهى عَقيصة ، والذؤابة أيضاً : طرف العمامة . وناسَ ينوس ، إذا تدلّى وتحرك . والعاتق : مابين المنكِب والعنق ، وهو موضع الرداء .

وقيل : إن خلفا الأحمر كان له وَلاء فى اليمن ، وكان أميلَ الناس إلى أبى نواس فقال له يوما : أنت من اليمن فتَكَنَّ باسم ملكٍ من ملوكهم الأذواء ! فاختار ذا نواس فكناه أبا نُواس ، بحذف صدره ، وغلبت عليه .

ومولده بالبصرة سنة خمس وأربعين ومائة ، وقيل ست وثلاثين ومائة . ومات ببغداد سنة خمس وتسعين ومائة ، وقيل سنة ست وقيل سنة ثمان .

ونشأ بالبصرة ثم خرج إلى الكوفة . وقيل بل ولد بالأهواز ، وقيل بكُورة من كُوَر خُوزِستان سنة إحدى وأربعين ومائة . ونقل منها وعمره سنتان إلى البصرة . وأمّه أهوازية اسمها جُلّبان . وكان [أبوه] من أهل دمشق من جند مَرْوان الحِمار ، انتقل إلى الأهواز للرِّباط فتزوّجها .

وقدم أبو نواس بغداد مع والبة بن الُحباب الشاعر ، وبه تخرّج . وعرض القرآن على يعقوب الحضرمىّ . وأخذ اللغة عن أبى زيد الأنصارىّ وأبى عبيدة ، ومدح الخلفاء والوزراء . وكان فى الشعر من الطبقة الأولى من المولّدين .

قال أبو عبيدة : أبو نواس للمُحدثين مثل امرئ القيس للمتقدّمين ، وشعره عشرة أنواع ، وهو مجيد في الكلّ ؛ وما زال العلماء والأشراف يروُون شعره ويتفكّهون به ، ويفضلّونه على أشعار القدماء .

وقال أبو عمرو الشيباني : لولا أن أبا نواس أفسد بهذه الأقذار — يعني الخمور — لاحتججنا به ؛ لأنه كان محكَم القول لا يخطئ .

وديوان شعره مختلِف لاختلاف جامعيه ، فإنه اعتنى بجمعه جماعة : منهم أبو بكر الصُّولى ، وهو صغير . ومنهم علىّ بن حمزة الأصبَهانى ، وهو كبير جداً . وكلاهما عندى ، ولله الحمد على نعمه . ومنهم إبراهيم بن أحمد الطبرى المعروف بتوزون[1] ولم أره إلى الآن .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون[2] :

٥٤ (عَلَىٰ مثلِها مِنْ أَرْبعٍ ومَلاعِبٍ   تُذالُ مَصُوناتُ الدُّموعِ السَّواكِبِ)

على أنّه لما أنشد المصراع الأول عارضه شخص فقال : لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فانخزل منه وترك الإنشاد ، لأن تقديم الخبر فى مثله يوهم الدعاء باللعنة . وسمى ابن أبى الإصبع هذا النوعَ فى تحرير التحبير التوليدَ

١٦٩ وقال : التوليد على ضربين : من الألفاظ ، ومن المعانى : فالذى من الألفاظ هو أن يزوّج المتكلم كلمةً من لفظِهِ إلى كلمة من غيره فيتولّد بينهما كلام

(١) ط : «بتورون» بالراء المهملة ، صوابه فى سه وابن خلكان وبغية الوعاة وكشف الظنون . قالوا إنه أخذ الأدب عن أبى عمر الزاهد وبرع فيه ، وإنه كان صحيح النقل جيد الخط والضبط ، ولم يصنف شيئا غير جمعه شعر أبى نواس . وكان يسكن بغداد ، وتوفى سنة ٣٥٥ . وجعله البغدادى فى التاريخ ٦ : ١٧ « تيزون » .

(٢) ديوان أبى تمام ص ٤٠ وتحرير التحبير ٤٩٥ .

يناقض غرض صاحب الكلمة الأجنبية ، وذلك فى الألفاظ المفردة دون الجمل المؤتلفة ، ومثاله ما حكى أن مُصعَب بن الزبير وَسَم خيلَه بلفظة « عُدّة » فلما قتل وصارت إلى العراق رآها الحجَّاج فوسم بَعد لفظة عُدَّة لفظة « الفِرار[1] » فتولّد بين اللفظتين غيرُ ما أراده مصعب . ومن توليد الألفاظ توليدُ المعنى من تزويج الجمل المفيدة ، ومن لطيف التوليد قول بعض العجم :

كأنّ عِذارَه فى الخدّ لامٌ ومَبسِمَه الشهىّ العطِرِ صادُ
وطُرّةَ شعرِه ليلٌ بهيمٌ فلا عجَبٌ إذا سُرِق الرقادُ

فإنّ هذا الشاعر ولّد من تشبيه العِذار باللام وتشبيه الفم بالصاد لفظة «لص»،وولد من معناها ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر « سرقة النوم » ، فجعل فى هذا البيت توليدا وإدماجا . وهذا من أغرب ما سمعتُ .

ومثاله ما حكى أن أبا تمّام أنشد أبا دُلَف :

* على مثلها من أربع وملاعب *

فقال بعض من أراد نُكتة[2] : « لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » ، فولّد من الكلامين كلاماً ينافى غرض أبى تمام من وجهين : أحدهما خروج الكلام عن التشبيب إلى الهجاء بسبب ما انضمَّ إليه من الدعاء . والثانى خروج الكلام عن أن يكون بيتاً من شعر إلى أن صار قطعة من نثر . ومن هذا الضرب قول الشاعر :

(١) سه : « الفرار » بالغين المعجمة وتشديد الراء ، تحريف صوابه فى ط وتحرير التحبير .

(٢) كتب إزاءها فى سه : « نكايته » وفى ط ، سه : « نكته » ، وأثبت ما فى تحرير التحبير .

أَلومُ زِياداً في رَكاكَةِ عقله ... وفى قوله « أىُّ الرجالِ المهذّبُ »[١]

وهل يُحسنُ التهذيبُ منكَ خلائقاً ... أرقّ من الماء الزُّلال وأطيبُ !

تَكلّمَ والنُّعمان شمسٌ سمائه ... وكلّ مَليك عند نُعمان كوكبُ

« ولو أبصرتْ عيناه شخصكَ مَرّةً ... لأبصرَ منه شمسَه وهى غَيهبُ »

فإن هذا الشاعر زوّج مدح ممدوحه بتهذيب الأخلاق إلى قول النابغة : « أىّ الرجال المهذب » ، فتولّد بين الكلامين ما ينافى غرض النابغة ، حيث أخرج الشاعر كلامه مُخرج المنكِر على النابغة ذلك الاستفهام ؛ وأوضح مناقضته للنابغة ببيته الثانى وهو قوله : « وهل يحسن التهذيب . . البيت » . وزوّج قوله فى عجز البيت الثالث : « وكلّ مليك عند نُعمان كوكب » إلى قول النابغة : « بأنك شمسٌ والملوكُ كواكبُ » بدليل قول الشاعر عن النابغة[٢] : « تكلّم والنعمان شمس سمائه .. البيت » فتولّد بين الكلامين قوله :

« ولو أبصرت عيناه شخصك مَرّة ... لأبصر منه شمسَه وهى غيهبُ »

وأما الضرب (الثانى) وهو ما تولّد من المعانى ، كقول القطامى :

قد يُدرِكُ المتأنّى بعضَ حاجته ... وقد يكونُ مع المستعجِلِ الزَّلَلُ

فقال مَنْ بَعده[٣] :

عليك بالقصدِ فيما أنت فاعلُه ... إن التخلّقَ يأتى دونه الخُلُقُ

---

(١) زياد ، هو النابغة الذبيانى ، واسمه زياد بن معاوية . وهو إشارة إلى قوله :

ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أى الرجال المهذب

(٢) وكذا فى تحرير التحبير ٤٩٦ ولا بأس به ، وصححت فى ـه : « يعنى النابغة » .

(٣) الميمنى : « هو سالم بن وابصة الأسدى . الكامل ٩ وشرح شواهد المغنى ١٤٣ . ولكنه لم يكن بعد القطامى بمعنى من المعانى . فقد ذكره الطبرى فى الصحابة وخولف ، غير أنه لا شك فى أنه فى الطبقة الأولى من التابعين ، مدح عبد الملك . الإصابة . والقطامى كان ابن أخت الأخطل ، فهما معاصران » .

فمعنى صدر هذا البيت معنى بيت القطامى بكماله ؛ ومعنى عجز البيت مولّد بينهما ، وهو قوله :

* إن التخلّق يأتى دونه الخُلُقُ *

والقطامى أخذ معناه من عَدِىّ بن زيد العِبادى حيث قال .

قد يدرِك المبطىء من حظّه والخيرُ قد يسبق جَهد الحريصْ

وعَدِىّ نظر إلى قول جُمانة الجُعفى :

ومستعجِلٍ والمُـكثُ أدنَى لرشده ولم يَدر فى استعجاله ما يبادرُ

ومن التوليد توليدُ بديع من بديع ، كقول أبى تمّام :

لها منظرٌ قَيد النواظر ، لم يزل يروح ويغدو فى خَفارته الحُبُّ(١)

فإنّه ولّد قوله « قيد النواظر » من قول امرئ القيس : « قيد الأوابد » لأن هذه اللفظة التى هى « قيد » انتقلت بإضافتها من الطرد إلى النسيب ، فـكأن النَّسيب تولّد من الطّرد . وتناولُ اللفظ المفرد لا يعدّ سرقة .

وإنما سقنا هذا الفصل برُمّته لغرابته ، وقلّما يوجد فى موضع آخر .

وقول أبى تمّام (على مثلها من أربع) ضمير مثلها مفسر بالتمييز المجرور بمن ؛ والأكثر أن يكون التمييز مفسِّراً لضمير نعم وبئس وربّ . قال ابن هشام فى المغنى : والزمخشرىّ يفسر الضمير بالتمييز فى غير بابى نعم وربّ ، وذلك أنه قال فى : « فَسوّاهُنّ سَبْعَ سَموات » : الضمير فى فسوّاهن ضمير مبهَم ، وسبع سموات تفسيره ، كقولهم رُبَّه رجُلا ؛ ولولا تشبيهه برُبّه رجلاً لحمل على البدل . و (الأربُع) جمع ربْع بالفتح ، وهو محلّة القوم ومنزلهم

(١) فى تحرير التحبير : « له » تحريف . وانظر ديوانه ٣٠ . وقبله :
كواعب أتراب لغيداء أصبحت وليس لها فى الحسن شكل ولا ترب

و (الملاعب) : جمع مَلعَب وهو موضع اللعب . و (تُذال) : مبنى للمجهول ، مضارع أذاله بمعنى أهانه ، وهو متعدّى ذال الشى ذَيْلا : هان . والثابت فى نسخ ديوانه وشروحه (أُذيلت) . و (المصونات) : من الصَّوْن وهو خلاف الابتذال . و (السواكب) : المنصبّة ، فإنّ سكب يأتى لازماً ، يقال سكب الماء سكباً وسكوباً انصب ؛ ويأتى متعدياً ، يقال سكب زيد الماء . قال الإمام أبو بكر بن يحيي الصولى فى شرحه : قد أنكر بعضهم « مصونات الدموع السواكب » وقال : كيف يكون من السواكب ما هو مصون ! وإنما أراد أبو تمام : أذيلت مصونات الدموع التى هى الآن سواكب . ثم قوله : أذيلت بمعنى صُبّت صبًّا سائلا حتى يصير لها ذيل ، ليس بجيّد ، فإن معنى البيت أهينت الدموع الغزيرة بِسَكبها على مثل هذه المنازل؛ لخلوّها من الحبائب .

وهذا البيت مطلع قصيدةٍ مدح بها أبا دُلَف القاسم بن عيسى العِجلى ، وبعده :

(أقول لقرحانٍ من البين لم يجد رَسيسَ الهوى بين الحشا والترائب
أَعِنّى أفرّقْ شملَ دمعى فإننى أرى الشملَ منهم ليس بالمتقارِب)

إلى أن قال :

(إذا العيسُ لاقتْ بى أبادُلَفٍ فقدْ تقطَّعَ مابينى وبين النوائب
هنالك تلقى الجودَ حيثُ تقطّعت تمائمه والمجدَ مُرخَى الذوائب
تكاد عطاياه يُجَنُّ جنونُها إذا لم يعوِّذها بِنَغْمة طالب[1]

قال الإمام المرزوقى فى شرح ديوانه : « القرحانُ » أصله : الذى لم يصبه

---

(١) فى النسختين : « بنعمة طالب » ، صوابه فى الديوان ٤١ .

الُجدَرِىُّ ، واستعاره هنا لمن لم يمتحن بالنوى ، ولم يدخل فى إسار الهوى . ١٧١
قال فى الصحاح : « رَسُّ الحمّى ورَسيسها : أول مسّها » . وقوله : أعنّى أفرّق .. البيت ، قال الصولى : أى لا أرى شملهم مجتمعاً بالرجوع إليها ، يقول : قد اجتمع دمعى ؛ لأنى لم أبك حتى رأيت منازلهم ، فأعنّى بوقفة ثَمّ[1] معى ، حتى أبكيهم فأستريح . وقوله : إذا العيس لاقت بى .. البيت ، يقول : إذا أقدمتنى الإبلُ إليه انقطعت الأسباب بينى وبين النوائب ، أى لم يبق لها سبيل علىّ . وقوله : هنالك تلقى الجود .. البيت ، قال الصُّولى : يقال : تقطّعت تمائم فلان فى بنى فلان : إذا تربّى ونشأ فيهم ؛ وأراد : أن المجدَ كالآمن فيهم أن يتحول إلى غيرهم ، فيكون قد أحاط به الشرف من كل جانب . ويروى (وافى الذوائب) . وقوله : (تكاد عطاياه) .. البيت ، قال الإمام المرزوقى : يقول : قد تعوّد هذا الرجل تفريقَ مالِه بالصِّلات ، وتبديدَه بالعطيّات ، حتى تقرُب عطاياه — لو أمسك يوما — من أن تجنّ إن لم يعلّق عليها عُوَذها من نَغَم الطلّاب والزوّار[2] . وقوله : يجنّ جنونها ، إنما يريد : يجن صحتها ، أى يصير بدلَ صحّتها جنون ؛ لكنه سماها بما يؤول إليه ، كما يقال خرجت خوارجه ، وكذلك عطاياه أى أمواله التى تصير عطاياه ، فسماه بما يؤول إليه .

وقال الصولى : مما أنكر أبو العباس بن المعتز من ردىء طباقه قوله : تكاد عطاياه .. البيت ، وفيه استعارة فقال : ولم يجنّ جنون عطاياه انتظاراً للطلب ، بل يبدأ بالعطاء ويستريح . وفيه قبحُ « لم يعوِّذها بنغمة طالب » :

---

(١) كلمة « ثم » ساقطة من ط .

(٢) فى النسختين : « من نعم الطلاب والزوار » .

يعطيها لغير طالب . وفى هذا[١] الاعتراض نظر ، فإن مراده : أنه أغنى الناسَ فلم يبق طالبٌ إلا نادراً ، فإذا أبطأ طالب المعروف جُنَّت عطاياه شوقا إليه . فتأمل .

ومنها ، وهو مما يستجاد :

(يرى أقبحَ الأشياءِ أوبةَ آمِلٍ   كَسْته يدُ المأمول حُلةَ خائبِ
وأحسنَ من نَورٍ يفتّحه الندى   بياضَ العطايا فى سواد المطالب
إذا ألجمت يوما لُجَيمٌ وحولَها   بنوالحِصن نجلُ المحصَنات النَجائب
فإنّ المنـايا والصوارمَ والقنا   أقاربُهم فى الروع دون الأقارب
جحافلُ لا يَتركن ذا جَبَرِيّةٍ   سَليماً ولا يحرُبْنَ مَن لم يُحارب
يمدّون من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ   تصولُ بأسياف قَواضٍ قواضبِ)

ولجيم بالتصغير : أبو عجل جدٌّ أبى دُلف . والحِصن هو ثعلَبة بن عُكابة ؛ وبنو الحِصن أعمامه .

(إذا افتخرت يوماً تميمٌ بقَوسها   فخاراً على ما وطّدت من مَناقبِ
فأنتم بذى قارٍ أمالت سُيوفُكم   عروشَ الذين استرهَنوا قوسَ حاجب)

قال الإمام المرزوقى : يعنى بالقوس قوسَ حاجب بن زُرارة ، رهنَها عند كسرى . وكان السبب فى ذلك أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم كان دعا على مُضَر وقال : « اللهم اشدُد وطأتك على مُضر ، وابعثْ عليهم سنين كسِنِى يوسف » . فتوالت الجدوبة عليهم سبعَ سنين . فلما رأى حاجبٌ الجهدَ على قومه جمع بنى زرارة[٢] . وقال : إنى أزمعت على أنى آتِى الملك — يعنى

(١) ط : « هذه » ، صوابه فى س .
(٢) ط : « فزارة » ، صوابه فى س مع أثر تصحيح .

كسرى — فأطلب أن يأذنَ لقومنا فيكونوا تحت هذا البحر حتّى يحيَوا . فقالوا : رشَدت فافعل ! غير أنا نخاف عليك بكرَ بن وائل . فقال : ما منهم وجهٌ إلا ولى عنده يد ، إلا ابن الطويلة التَّيمى ، وسأداويه[1] . ثم ارتحل ، فلم يزل ينتقل فى الإتحاف والبِرّ من الناس حتى انتهى إلى الماء الذى عليه ابنُ الطويلة ، فنزله ليلا ، فلما أضاء الفجرُ دعا بنطع ، ثم أمر فصُبَّ عليه التمر ، ثم نادى : حَىَّ على الغَداء ! فنظر ابن الطويلة فإذا هو بحاجب ؛ فقال لأهل المجلس : أجيبوه . وأهدى إليه جُزُراً ، ثم ارتحل ، فلما بلغ كسرى شكا إليه الجهدَ فى أموالهم وأنفسهم ، وطلب أن يأذن لهم فيكونوا فى حدّ بلاده . فقال : أنتم معشرَ العرب غُدُر[2] ، فإذا أذنتُ لهم عاثوا فى الرعية وأغاروا . قال حاجب : إنى ضامنٌ للملك أن لا يفعلوا . قال : فمن لى بأن تفى أنتَ ؟ قال : أرهنكَ قوسى ! فلما جاء بها ضحِك مَن حوله ، فقال الملك : ما كان ليُسلِمها ، اقبضوها منه . . ثم جاءت مضَر إلى النبى صلى الله عليه وسلم بعد موت حاجب فدعا لهم ، فخرج أصحابه إلى بلادهم ، وارتحل عُطارد بن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه . فقال : ما أنت بالذى وضعتها . قال : أجل إنه هلك وأنا ابنه وفىٌّ للملك . قال : ردُّوا عليه . وكساه حُلَّة . فلما وفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم أهداها إليه فلم يقبلها ؛ فباعها من يهودىّ بأربعة آلاف درهم . فصار ذلك فخراً ومنقبَة لحاجب وعشيرته . فيقول أبو تمّام : إذا افتخرتْ تميم بذلك ، فأنتم قتلتم الذين كسبوهم هذا المجدَ مما ارتهنوه وهدمتم عزَّهم . وإنما يعنى وقعة ذى قارٍ حين قتلت بنو شَيبان العجمَ

١٧٢

(١) فى النقائض ٤٦٢ : « وسنداريه » .

(٢) فى الإصابة ٤ : ٢٤٥ : « أهل غدر » .

ونـكَّلوا فيهم[١] وكان رئيسهم سيّار بن حنظلة العِجلى . وأبو دلف عجلىٌّ ، فلذلك خاطبه بهذا » اهـ .

وقد لمّح بعضهم إلى قوس (حاجب) بقوله فى مليح قَلَندرىّ[٢] قد حلق حاجبه ، فقال :

حَبيبى ، بحقٍّ الله قل لىَ ما الذى دعاك إلى هذا ؟ فقال مجاوبى :
وَعدتُ بوصلى العاشقينَ تعطفاً فلم يثقوا واسترهَنوا قوسَ حاجبى[٣]

ولما أنشد أبو تمام أبا دلف هذه القصيدةَ استحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم وقال : والله ، إنها لَدونَ شعرِك . ثم قال له : والله ما مثلُ هذا القول فى الُحسن إلاّ ما رثيتَ به محمد بن حُميد الطوسىّ . فقال : وأىَّ ذلك أراد الأمير ؟ قال : الرائيّة التى أولها :

كذا فليَجِلَّ الخطبُ وليَفدَحِ الأمرُ وليس لعَينٍ لم يَفضْ ماؤها عُذْرُ

وددت والله أنها لك فىَّ ! قال : بل أفدى الأمير بنفسى وأكون المقدّم قبله . فقال : إنه لم يمتْ من رُثى بهذا الشعر .

أبو تمام الطائى

و(أبو تمام) الطائى هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشجّ ابن يحيى بن مرْوان بن مرّ بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدىّ بن عمرو ابن الغوث[٤] بن طيء .

---

(١) ط : « ونـكوا فيهم » .
(٢) القلندرية : طائفة من الصوفية كانوا يحلقون لحاهم وحواجبهم وشواربهم ويتزيون بزى الأعاجم والمجوس .
انظر رحلة ابن بطوطة ص ٢٠ وتاريخ ابن كثير ١٤ : ٢٧٤ . ويسميهم ابن بطوطة « القرندرية » .
(٣) ط : « بوصل العاشقين » .
(٤) ط : « يغوث » ، صوابه فى سه واضحا .

وُلد فى « جاسم » بالجيم والسين المهملة ، وهى قرية من قرى الجَيْدُور بفتح الجيم وسكون المثناة التحتية ، وهو إقليم من دمشق ، فى آخر خلافة الرشيد سنة تسعين ومائة ، وقيل غير ذلك . ونشأ بمصر واشتغل إلى أن صار أوحدَ عصره . كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد . وله (كتاب الحماسة) الذى دل على غزارة علمه وكمال فضله وإتقان معرفته ، بحسن اختياره . وهو فى جمعه للحماسة أشعر منه فى شعره . وله كتاب (مختار أشعار القبائل) ، وهو دونَ الحماسة ، وكلاهما عندى .

ومات سنة اثنتين وثلاثين بعد المائتين ، وقيل غير هذا .

وكان شعره غير مرتب ، فرتبه الصُّولىّ على الحروف ، ثم رتبه علىّ ابن حمزة الأصفهانى[1] على أنواع الشعر . وترجمته طويلة تركناها لشهرتها . ١٧٣

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون ، وهو من شواهد س[2] :

٥٥ * ولقدْ أمرُّ على اللئيمِ يَسُبُّنِي فمضَيْتُ ثُمتَ قُلتُ لا يَعنِينِى *

على أن التعريف غير مقصود قصده ، فإنّ تعريف (أل) الجنسية لفظى لا يفيد التعيين وإن كان فى اللفظ معرفة .

وقد أورد الشارح هذا البيتَ فى الحال ، والإضافة ، والنعت ، والموصوف ، والمعرف بأل أيضاً . وجملة (يسبّنى) وصف اللئيم فى المعنى ، وحال منه باعتبار اللفظ ، والأوّل أظهر للمقصود ، وهو التمدح بالوقار

(١) الميمنى : « غلط ، صوابه أن على بن حمزة بصرى . وحمزة بن الحسن أصفهانى » .

(٢) سيبويه ١ : ٤١٦ . وانظر العينى ٤ : ٥٨ والهمع ١ : ٩ / ٢ : ١٤٠ وابن الشجرى ٢ : ٢٠٣ والخصائص ٣ : ٣٣٠ ، ٣٣٢ .

والتحمّل[١] ، لأن المعنى : أمرُّ على اللئيم الذى عادتُه سبّى . ولا شك أنه لم يرد كل لئيم ، ولا لئيما معيَّناً . والواو للقسم ، و (لقد أمر) جوابه ، والمقسم به محذوف ، وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية — كما فى الخصائص لابن جنى — أو للاستمرار التجدّدى . و (مضَيت) معطوف على أمرّ ، بمعنى أمضى ؛ وعبر به للدلالة على تحقق إعراضه عنه . وقوله : (ثُمت) هى ثُمّ العاطفة ؛ وإذا كانت مع التاء اختصَّت بعطف الجمل . وقوله (لا يَعنينى) أى لا يهمنى أو بمعنى لايقصدنى . وروى بدل هذا المصراع : « وأعفُّ ثم أقول مايعنينى » يقال : عفَّ عن الشىء من باب ضرب ، عِفَّةً وعفافاً : امتنع .

صاحب الشاهد

وهذا البيت أول بيتين لرجل من بنى سَلول . ثانيهما :

(غَضبانَ ممتلئاً علىَّ إهابُه إنى وحقِّك سُخْطُهُ يُرضينى)

وغضبانَ بالنصب : حال من اللئيم ، أو بالرفع : خبر مبْتدأ محذوف . وممتلئاً : حال سببية من ضمير غضبان . وإهابه : فاعل ممتلئاً ؛ وهو فى الأصل الجلد الذى لم يُدبَغ ، وقد استعير هنا لجلد الإنسان . والسُّخط بالضم : اسم مصدر ، والمصدر بفتحتين بمعنى الغضب ؛ والفعل من باب تعب .

وروى الأصمعى بيتين فى هذا المعنى ، وهما :

لا يَغضبُ الُحرُّ على سِفْلَةٍ والُحرُّ لا يُغضِبه النذلُ

إذا لئيمٌ سبَّنى جَهدَه أقول زِدْنى فَلِىَ الفضلُ

وأنشد سيبويه البيت الشاهد ، على أن (أمرّ) قد وضع موضع مررت ؛ وجاز أمرّ فى معنى مررت ، لأنه لم يرد ماضياً منقطعاً ، وإنما أراد أن هذا

---

(١) كذا فى النسختين بالحاء المهملة .

أمره ودأبه ، فجعله كالفعل الدائم . وقيل : معنى (ولقد أمر) : ربما أمرّ ، فالفعل على هذا فى موضعه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون ، وهو من شواهد س[1] :

٥٦ * قد أصبحَتْ أمُّ الخِيارِ تَدَّعى عَلَيَّ ذَنباً كلُّهُ لم أصنَعِ *

على أنَّ الضمير العائد على المبتدأ من جملة الخبر يجوز حذفه قياساً عند الفَرّاء إذا كان منصوباً مفعولا به . والمبتدأ : لفظ كلّ . نقل الصفّار أنه مذهب الكسائى أيضاً . وقد نقل ابن مالك فى التسهيل الإجماعَ على جواز ذلك ، وزاد على (كلّ) ما أشبهها فى العموم والافتقار : من موصول وغيره ، نحو : أيُّهم يسألنى أُعطى ، ونحو : رجلٌ يدعو إلى الخير أجيبُ ، أى أعطيه وأجيبه . وقال شرّاح كلامه : لم نر هذا الإجماع ، بل منعه البصريون . وأما نقلُه فى شبه (كل) فقد قال أبو حيان : لا أعلم له سلفاً فى ذلك .

أقول : الصحيح جوازه بقلّة ، لوروده فى المتواتر ، قرأ ابن عامر فى سورة الحديد فقط : « وكلٌّ وعَدَ اللهُ الْحُسْنَى » ، وأمّا فى سورة النساء فقد قرأ مثلَ الجماعة بالنصب . ١٧٤

وقال ابنُ جنى فى المحتسب : « لحذف هذا الضمير وجهٌ من القياس ، وهو تشبيه عائد الخبر بعائد الحال أو الصفة ، وهو إلى الحال أقرب ، لأنها ضرب من الخبر ، وهو فى الصفة أمثل بشبه الصفة بالصلة . وفى حذفه من لم أصنع ما يقوم مقامه ويخلفه ، لأنه يعاقبه ولا يجتمع معه ، وهو حرف الإطلاق

---

(١) سيبويه ١ : ٤٤ ، ٦٤ ، ٦٩ . وانظر ابن يعيش ٢ : ٦/٣٠ : ٩٠ والهمع ١ : ٩٧ وابن الشجرى ١ : ٨ ، ٩٣ ، ٣٢٦ والخصائص ١ : ٣/٢٩٢ : ٦١ .

أعنى الياء فى أصنعى ؛ فلما حضر ما يعاقب الهاء صارت لذلك كأنها حاضرة » اهـ .

ومفهوم قول الفراء أن المبتدأ ، إذا لم يكن كلا يمتنع حذف العائد . والصحيح فيه أيضاً الجواز بقلّة فى الكلام والشعر ، أما الأول فقد قرأ يحيى وإبراهيم والسُّلَمى فى الشواذّ : « أَفَحُكْمُ الجاهِلِيَّةِ يَبغون » بالمثناة التحتية . وأما الثانى فكثير ، منه قول الشاعر :

* فخالدُ يحمَدُ ساداتُنا *

أى يحمده ساداتنا .

واعلم أن الشارح المحقق أورد هذا الشاهد فى باب الاشتغال أيضاً وقال : « يروى برفع كل ونصبه » . وكذلك رواهما سيبويه . وقد أنكر عليه المبرّد رواية الرفع وقال : الذى رواه الجرمى وغيره من الرواة النصب فقط ، ومنع هذه المسألة نظما ونثراً .

قال ابن ولاّد : س أيضاً رواه بالنصب ، وقال : إن النصب اكثر وأعرف ، فأغنَى هذا عن الاحتجاج عليه بقول الجَرمىّ ، ألا ترى قوله إن الرفع ضعيف وهو بمنزلته فى غير الشعر لأن النصب لا يكسر ، ولا يخل به ترك إضمار الهاء ، كأنه قال كله غير مصنوع . وقد روى أهل الكوفة والبصرة هذه الشواهد رفعاً كما رواها س . اهـ .

وظاهر كلام س أن الضرورة ما ليس للشاعر عنه فسحة . وتقدم الكلام عليها فى أول شاهد من هذه الشواهد[1] .

وزعم تقىّ الدين السبكىّ فى رسالة (كلّ) وفى تفسيره : أن رواية النصب

(١) انظر ما مضى فى ص ٣١ — ٣٤ .

تساوى رواية الرفع فى المعنى ؛ وذلك أنه قال : « لا فرق بين الرفع والنصب فى قول س : إن المعنى : كلُّه غير مصنوع . وهذا يقتضى أن النصب أيضاً يفيد العموم ، وأنه لم يصنع شيئاً منه ، لِما تقرّر من دلالة العموم . وقد تأمّلتُ ذلك فوجدتُ قول س أصحَّ من قول البيانيين ، وأن المعنى حضره وغاب عنهم ؛ لأنه ابتدأ فى اللفظ بكلّ ومعناها كلّ فردٍ ، فكان عاملها المتأخر فى معنى الخبر ، لأن السامع إذا سمع المفعول تشوّف إلى عامله كما يتشوّف سامع المبتدأ إلى الخبر ، وبه يتم الكلام ؛ فكان كله لم أصنع مرفوعاً ومنصوبا سواء فى المعنى ، وإن اختلفا فى الإعراب . ويبعد كل البعد أن يُحمل كلام سيبويه على أن كله لم أصنع بالرفع والنصب معناه عدم صنع المجموع فيكون قد صنع بعضَه ؛ لأنَّ معنى الحديث على خلافه فى قوله : كل ذلك لم يكن » . إلى آخر ما ذكره .

ونقل الدمامينى بعض هذا الكلام فى الحاشية الهندية وقال : وكأن ابن هشام لم يقف على كلام س فنقل تساوىَ المعنى فى الرفع والنصب عن الشَّلوبين وابن مالك ؛ ولو وقف على كلام سيبويه لم ينقل عنهما .

وقد نقل الشيخ بهاء الدين كلام سيبويه فى عروس الأفراح وبيّنه ، تابعاً لوالده السبكى .

ورواية الرفع عند علماء البيان هى الجيدة ؛ فإنّها تفيد عموم السلب ، ورواية النصب ساقطةُ عن الاعتبار بل لا تصحّ ، فإنها تفيد سلبَ العموم ، وهو خلاف المقصود . وما ذكره السبكىّ لم يعرّجوا عليه ؛ وهو مفصّل فى التلخيص وشروحه .

ورأيت للفاضل اليمنى على هذا البيت كلاماً أحببتُ إيراده ، وهو قوله :

١٧٥

« معنى هذا البيت أنَّ هذه المرأة أصبحتْ تدَّعى علىَّ ذنباً ، وهو الشيب والصلع والعجْز وغير ذلك من موجبات الشيخوخة . ولم يقل ذنوباً بل قال ذنباً ، لأن المراد ِكبر السن المشتمل على كلّ عيب ، ولم أصنع شيئاً من ذلك الذنب . ولم ينصب كلّه ، لأنه لو نصبه مع تقدُّمه على ناصبه لأفاد تخصيصَ النفى بالكلّ ويعود دليلاً على أنّه فعل بعضَ ذلك الذنب ؛ ومراده تنزيه نفسه عن كلٍّ جزء منه ، فلذلك رفعه إيذاناً منه بأنه لم يصنع شيئاً منه قط ، بل كلُّه بجميع أجزائه غير مصنوع » .

ثم قال : « ولقائل أن يقول : لما كان الضمير فى كله عائداً إلى ذنباً وهو نكرة ، والنكرة لواحد غير معيّن ، لابد أن يكون المضمر هو ذلك الذنب الذى ليس بمعيّن فقط لإعادة الضمير به ، فلا يكون نفيه نفياً لجميع الذنوب ، فلا يلزم ما ذكره من تنزيه نفسه من جملة الذنوب . لا يقال إن الضمير لما كان عبارةً عن النكرة المذكورة ، ودخولُ النفى عليها يقتضى العمومَ ، فدخول النفى عليه أيضاً يقتضى ذلك ؛ لأنا نقول : إن الفرق ظاهر بين قولنا : لم أصنع ذنباً ، وبين قولنا : لم أصنع ذلك الذنب المذكور الذى ليس بمعيّن ، فى اقتضاء الأول العمومَ دون الثانى » اه .

وقوله : « ولقائل أن يقول إلخ » فيه أنه قال أولا : إن ذنب الشيخوخة يستلزم ثبوته جميعَ الذنوب . وحينئذ نفيُه يستلزم نفيَ جميع الذنوب . وقوله : « والنكرة لواحد غير معيّن » فيه أنه حمل الذنبَ سابقاً على كبر السن المشتمل على كلّ عيب . فالمراد به معيّن ، وأفاد أن كُلاًّ حينئذ لاستغراق أجزاء هذا الذنب المعيَّن . فإنْ رفع كلّ أفاد استغراق جميع أجزاء ذلك الذنب ، وإن نصب كلّ أفاد سلب العموم لجميع الأجزاء واقتضى ثبوت بعض الأجزاء . فهذا البحث غير وارد . فتأمل .

وبهذا يسقط قوله بعد هذا : « ثم تقول : فتكون القضية حينئذ شخصية ؛ والتقدير : كل ذلك الذنب غير مصنوع لى . وإنما يكون ذلك إذا كان هنالك ذنب ذو أجزاء يمكن الاتصاف ببعضه دون بعض . وعلى هذ إما أن يكون المراد بالكل الكل المجموعى وهو الغالب الظاهر من دخوله فى الشخصيات ، فلا تفاوت فى تقدم السلب عليه وتقديمه على السلب فى عدم اقتضاء شمول النفى جميع الأجزاء ؛ أو يكون المراد كل واحد من الأجزاء كما يستعمل فى الكلىّ باعتبار الجزئيات فقد يظهر الفرق بينهما ؛ فإنك إن رفعت كلاّ لزم عموم النفى لجميع الأجزاء وإن نصبتها لا يلزم ، مع أن الاستعمال على هذا الوجه فى الشخصىّ قليل ، فإنه لا يلزم صدق ما ذكره من تبرئة نفسه من جملة أجزاء ذلك الذنب الواحد » اه .

وقال ابن خلف : قوله (كلّه لم أصنع) يحتمل أمرين : أحدهما أنه أراد أنه لم يصنع جميعها ولا شيئاً منها ، والوجه الآخر : أنه صنع بعضها ولم يصنع جميعها ، كما تقول لِمن يدّعى عليك أشياء لم تفعل جميعها : ما فعلتُ جميعَ ما ذكرتَ ، بل فعلتُ بعضها . اه

أقول : احتماله لوجهين غير صحيح ؛ فإنّ كُلاّ منهما مدلولُ روايةٍ يُعلَم وجهها مما تقدم . وقوله : أراد بقوله ذنباً ذنوباً لكنه استعمل الواحد فى موضع الجمع ؛ ليس كذلك ، كما علم من كلام الفاضل اليمنى .

أرجوزة الشاهد

وهذا البيت مطلع أرْجوزة لأبى النَّجْم العِجْلى . وبعده :

(مِنْ أن رأت رأسى كرأس الأصلَع مُيِّزَ عنه قُنْزُعاً عن قُنْزُعِ
جَذبُ الليالى : أبطئى أو أسرعى قَرناً أُشيبيهِ وقَرناً فانزَعى
أفناه قِيلُ الله للشمس : اطلُعى ! حتّى إذا واراكِ أُفْقٌ فارجعى

حتى بدا بعدَ السُّخامِ الأفرَعِ   يَمشى كمَشى الأهدَإِ المكنَّعِ
يا ابنةَ عمَّا ، لا تلومى واهجعى   لا يخرِق اللَّومُ حجابَ مسمَعى
ألم يكن يبيضُّ إنْ لم يصلعِ   إن لم يصبنى قبل ذاكِ مصْرَعى
أفناه ما أفنى إياداً فاربَعى   وقومَ عادٍ قبلَهم وتُبَّعِ
لا تُسمعينى منك لوماً واسمعى   أيهاتَ أيهاتَ فلا تطَلَّعى
هى المقاديرُ ، فلومى أودَعى   لا تطمَعى فى فرقتى لا تطمعى[1]
ولا تَرُوعِينى[2] لا ترَوَّعى   واستشعرى اليأس ولا تفَجَّعى
فذاكِ خيرٌ لك مِن أن تجزَعى   فتَحبَسى وتُشتَمى وتُوجَعى)

وأمّ الخيار هى زوجة أبى النجم . وقوله : من أن رأت الخ ، مِن تعليلية ؛ وزعم القُونَوىّ فى شرح تلخيص المفتاح أنها بيانية ، ثم قال : « فإن قلتَ : كيف يبين الذنب برؤية أم الخيار ، فإن الرؤية قائمة بها والذنب قائم به ؟ قلت : أراد المرئىّ وأطلق عليه الرؤية للملابسة » . انتهى . والأصلع: هو الذى لم يكن شعر على رأسه ؛ وَصَلِع الرأس صلَعا من باب تعب ؛ والصَّلَع يحدث للمشايخ إذا طعَنوا فى السن ، قال ابن سِينا : « ولا يحدث الصلع للنساء لكثرة رطوبتهنّ ، ولا للخُصيان لقرب أمزجتهم من أمزجة النساء » . والتمييز : العزل ، وفصْل شىء من شىء ، والتشديد للكثرة ، فإنه يقال مازه مَيْزاً ؛ ويكون فى المشتبهات . وضمير عنه للرأس . والقنزع : كقنفذ ، والقُنزعة بضم الزاى وفتحها ؛ وهى الشعر حَوَالَىِ الرأس ، والخصلة من الشعر تترك على رأس الصبى ، أو هى ما ارتفع من الشعر وطال . وأما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن القَنازع فهى أن يُؤخذ الشعر ويترك منه مواضع ، كذا فى القاموس

(١) ط : « لا تطمعى فى فرقع » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .
(٢) ط : « ولا تروعين » ، صوابه فى سه .

وجعل النون أصلية . وعن بمعنى بعد . وجذب الليالى : فاعل ميّز ، قال فى الصحاح : جذبَ الشهر : مضى عامّته . وقوله : أبطئى أو أسرعى : حال من الليالى على تقدير القول أو كون الأمر بمعنى الخبر ، وصحّت من المضاف إليه لأن المضاف عامل فيهما ، وقيل : صفة الليالى . ويجوز أن يكون منقطعاً ، أى اصنعى أيتها الليالى فلا أبالى بعد هذا . وقال القُونَوىّ : « وقد يجوز أن يكون استئنافاً ، أمراً لأم الخيار ، على معنى أنّ حالى ما قررت لك فعند ذلك أبطئى أو أسرعى فى قبول العذر فيه ، فلا محيص لى عن ذلك . وهذا بديع » . انتهى .

وهذه غفلة عما بعده وهو : قَرَناً أَشِيبيه الخ ، فإنه خطاب لليالى . والقَرن بفتح القاف : الخُصلة من الشعر ، ونصبه من باب الاشتغال ، والقرن الثانى مفعول لما بعده . وأشيبيه فعل أمر والياء ضمير الليالى ، يقال : أشاب الحزن رأسه وبرأسه بمعنى شيّبه . وقوله : وانزعى : من النَّزَع بفتحتين وهو انحسار الشعر عن جانبى الجبهة[1] من الرأس ، وهو أنزع ، وذلك الموضع النَّزَعة ١٧٧ محركة . وقوله : أفناه ، قيل الضمير لِجَذْب ، وقيل لشعر رأسه ، وقيل لأبى النجم ، وهو المناسب لما بعده . وقيلُ الله : أمرُه ، وهو فاعل أفناه ، وهذا يدلّ على أن الشاعر لا يريد أن المميِّز هو جذب الليالى الذى هو ظاهر كلامه ، بل يريد أن المميز قول الله وأمره . وقوله : حتّى بدا ، فاعله المستتر ضمير أبى النجم . والسُّخام بضم السين والخاء المعجمة : اللين ، يقال ثوبٌ سُخام : إذا كان ليّن المس مثل الخزّ . وريشٌ سُخام : أى ليّن رقيق . والأفرع بالفاء ، هو التامّ الشعر ، قال فى الصحاح[2] : ولا يقال للرجل إذا كا

(١) ط : « الجهة » ، صوابه فى ش .
(٢) عن ابن دريد .

عظيم اللحية أو الجمة أفرع وإنما يقال رجل أفرع بضدّ الأصلع » . والأهدأ مهموز كجعفر : الأحدب. والتكنّع : التقبض ، كنِع كفرح : يَبِس وتشنج ، وشيخٌ كنع ككتف : شَنِج . وكنَع كنع كُنوعا : انقبض وانضم . يقول : يمشى أبو النجم بعد الشباب كما يمشى الأحدب المتقبض الكزّ من الكبر . وقوله : يا ابنة عمّا الخ ، استشهد به شراح الألفية على أن أصله : يا ابنة عمّى ، فأبدلت الياء ألفاً . وفاعل يبيض ضمير الرأس . وإياد بالكسر : حىّ من مَعدّ . وقوله : فاربعى ، فى الصحاح « ربَع الرجل يربع بفتحهما : إذا وقف وتحبّس ، ومنه قولهم اربَع على نفسك ، أى ارفق بنفسك وكُفّ » . وأيهاتَ أيهاتَ . لغة فى هيهات . وتَطَلّعى بفتح التاء وتشديد اللام وأصله تتطلعى بتاءين : من التطلّع للشىء . وقوله : واستشعرى ، يقال : استشعرَ خوفاً ، أى أضمره . واليأس : ضدُّ الرجاء .

وترجمة أبى النجم تقدمت فى الشاهد السابع[1]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون ، وهو من شواهد س[2] :

٥٧ * ثلاثٌ كلُّهنَّ قَتَلْتُ عَمْداً فَأَخْزَى اللهُ رَابعةً تَعُودُ *

لما تقدم فى البيت قبله : وهو أنه حذف عائد المبتدأ الذى هو (كلّهن) من جملة الخبر حذفاً قياسياً عند الفرّاء . قال الأعلم : « استشهد به س على رفع كلّ مع حذف الضمير من الفعل ، وجعله مثل زيدٌ ضربت ؛ ولو نصب وقال[3] : كلَّه لم أصنع ، وكلَّهن قتلت ، لأجراه على ما ينبغى ولم يحتج

(١) ص ١٠٣ .
(٢) سيبويه ١ : ٤٤ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٢٦ .
(٣) ط : « وقبل » ، صوابه فى س .

إلى الرفع مع حذف الضمير . والقول عندى : أنّ الرفع هنا أقوى من زيد ضربت ، لأن (كُلاّ) لا يحسن حملها على الفعل ؛ لأنّ أصلها أن تأتى تابعة للاسم مؤكِّدة ، كقولك : ضربت القومَ كلهم ، أو مبتدأة بعد كلام نحو : القوم كلهم ذاهب . فإن قلتَ : ضربتُ كلَّ القوم ، وبنيتَها على الفعل لخرجت عن الأصل . فينبغى أن يكون الرفع أقوى من النصب وتكون الضرورة حذف الهاء لا رفعَ كلّ[1] » انتهى .

وتبعه فى هذا ابنُ الحاجب فى شرح المفصّل ونقله عنه السعد فى المطوّل .

ونقل ابن الأنبارى فى الإنصاف[2] أن هذا البيت مما استدل به الكوفيون على جواز تأكيد النكرة ، قال : « ولا حجة لهم فيه ، لأنه محمول على أنه بدل لا تأكيد . ويجوز أن يكون أيضاً ثلاث مبتدأ ، وكلهن مبتدأ ثان ، وقتلت خبر كلهن ، وهما جميعاً خبر ثلاث » انتهى .

وقال أبو جعفر النحاس : « ولا يُنشد ثلاثا بنصبه بقتلت ؛ لأن قوله : كلهن قتلت ، جملة فى موضع نعت لثلاث . ومن رفع قدّره : لى ثلاث ، ويكون كلهن قتلت نعتاً . وإنّما لم يجز أن يُروىٰ ثلاثا لئلا يتقدم النعت على المنعوت » انتهى .

١٧٨ أقول : مَن رفع وجعل الجملة بعده نعتا قدّر لى ونحوَه خبراً للمبتدإ . وقوله « وإنما لم يجز أن يروى ثلاثا .. الخ » مراده : أنه إذا نصب ثلاث بقتلت كان ثلاثاً منعوتاً بجملة (كلّهن قتلت) ، فيكون قتلت من أجزاء

---

(١) لم يذكر الشنتمرى هذا الكلام عند هذا الشاهد ، وإنما ذكر مثله عند تفسير الشاهد السابق .

(٢) لم أجد هذا الشاهد فى كتاب الإنصاف ، على كثرة التنقيب فيه ، فلعل نسخة البغدادى أتم من النسخ المطبوعة .

النعت لثلاثا ، لأنه بعض الجملة المنعوت بها ، ومع كونه من أجزاء النعت هو عامل فى المنعوت المتقدم ؛ فيكون المنعوت متأخراً فى الرتبة ، فيلزم تقديم النعت على المنعوت من حيثُ الرتبة . وهذا كلامٌ مخالف للقواعد لا ينبغى تسطيره من مثله .

ونقل ابن خلف عن أبى علىّ : أن ثلاث مبتدأ ، وكلّهن قتلت خبر ، كأنه فى تقدير : زيد أخاه ضربته . وفيه نظر ؛ فإن الشاهد ليس من باب الاشتغال لعدم الضمير . فتأمّل .

واعلمْ أن الضمير المحذوف من الشاهد تقديره (قتلتها) لأن كُلاًّ المضافة إلى المعرفة يكون عائدها مفرداً ، قال تعالى : « وكُلُّهُمْ آتِيهِ » ، وفى الحديث : « كلُّكم جائعٌ إلاَّ مَن أطعمتُه » ، وقال الشاعر[1] :

وكلّهمُ قد نال شِبْعا لبطنه وشِبْعُ الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبه

وقال آخر[2] :

وكلُّ القوم يَسأل عن نفَيل كأنَّ عَلَيَّ للحُبشان دَينا

قال أبو حيان : ولا يكاد يوجد فى لسان العرب كلهم يقومون ، ولا كلّهن قائمات ؛ وإن كان موجوداً فى تمثيل كثير من النحاة . قال السُّبكى ، فى رسالة كلّ : « وقد طلبته فلم أجدْه . وجوّز ابن مالك وغيرُه أن يُحمل على المعنى فيجمع ، وجعلوا منه : أنتم كلّكم بينكم دِرهم ، قالوا : يجوز كلّكم بينه درهم على اللفظ ، وبينكم على المعنى ، وإنْ جعل كلّكم توكيداً جوّز بعضهم أيضا[3] أن يقول بينه ، والمشهور بينكم » انتهى .

---

(١) هو جعفر بن المنيرة ، كما فى الحماسة ٢٦٥ بشرح المرزوقى .

(٢) هو نفيل بن حبيب ، كما فى السيرة ٣٦ والروض الأنف ١ : ٤٦ .

(٣) كلمة أيضا ساقطة من ط .

وقدّر الضمير هنا بعضهم (قتلتهنّ) ، وكأنه بناه على مذهب ابن مالك . وقدره ابن خلف نقلا عن بعضهم : (قتلته) أو (قتلتهم) . ولا أعرف وجهه .

وقوله : (فأخزى الله) هذه جملة دعائية ، يقال : خزِى الرجل خِزيا ، من باب علم : ذلّ وهان ، وأخزاه الله : أذلّه وأهانه . و (تَعود) من العَود وهو الرجوع ، قال صاحب المصباح : « عاد إلى كذا وعاد له أيضاً عودا وعودة : صار إليه » ، فالصّلة هنا محذوفة أى تعود إلىّ . قال ابن خلف : « يجوز أن يريد بالثلاث ثلاثَ نسوة تزوَّجهنّ ، ويجوز أن يريد ثلاث نسوة هوِينَه فقتلهنّ هواه ؛ أو يعنى غير ذلك مما يحتمله المعنى ؛ وجعل مجىء الرابعة عَوداً — وإن لم تكن جاءت قبل — لأنه جعل فعل صواحبها الماضيات كأنه فِعلُها » . انتهى .

وقال شارح أبيات الموشّح[1] : ويروى : (تقود) من القَوَد ، وهو القصاص .

الكتاب لسيبويه

وهذا البيت — وإن كان من شواهد س — لا يُعرف ما قبله ولا ما بعده ولا قائله ، فإن سيبويه إذا استشهد ببيت لم يذكر ناظمه . وأما الأبيات المنسوبة فى كتابه إلى قائليها فالنسبة حادثة بعده ، اعتنى بنسبتها أبو عُمَر الجَرمى . قال الجرمىّ : « نظرت فى كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتا ؛ فأما ألف فعرفتُ أسماء قائليها فأثبتُّها ؛ وأما خمسون فلم أعرف أسماء قائليها » . وإنما امتنع سيبويه من تسمية الشعراء لأنه كره أن يذكر الشاعر وبعضُ الشعر يروى لشاعرين وبعضه منحول لا يعرف قائله ، لأنه قدُم العهد به ؛ وفى كتابه

(١) الموشح للخبيصى ، وهو شرح له على كافية ابن الحاجب .

شىء مما يروى لشاعرين ، فاعتمد على شيوخه ونسبَ الإنشاد إليهم ، فيقول : أنشدنا ، يعنى الخليل ، ويقول : أنشدنا يونس ، وكذلك يفعل فيما يحكيه عن أبى الخطاب وغيره ممن أخذ عنه . وربما قال : «أنشدنى أعرابى فصيح» . وزعم بعض الذين ينظرون فى الشعر أن فى كتابه أبياتاً لا تعرف ، فيقال له : لسنا ننكر أن تكون أنت لا تعرفها ولا أهل زمانك[1] وقد خرج كتاب سيبويه إلى الناس والعلماء كثير ، والعناية بالعلم وتهذيبه أكيدة ، ونُظر فيه وفتِّش ؛ فما طعن أحد من المتقدمين [عليه[2]] ولا ادَّعى أنه أتى بشعر منكر. ١٧٩ وقد روى فى كتابه قطعة من اللغة غريبه لم يدرك أهل اللغة معرفة جميع ما فيها ولا ردُّوا حرفا منها[3] .

قال أبو إسحاق : إذا تأملت الأمثلة من كتاب سيبويه تبينت أنه أعلم الناس باللغة . قال أبو جعفر النحاس : وحدثنا على بن سليمان قال : حدثنا محمد بن يزيد : أن المفتّشين من أهل العربية ومن له المعرفة باللغة تتبّعوا على سيبويه الأمثلة ، فلم يجدوه ترك من كلام العرب إلا ثلاثة أمثلة : منها الهُنْدلِع وهى بقلة ، والدُّرْداقِس وهو عظم فى القفا ، وشَمَنْصير وهو اسم أرض .

وقد فسّر الأصمعى حروفا من اللغة التى فى كتابه ، وفسر الجرمى الأبنية ، وفسّرها أبو حاتم وأحمد بن يحيى . وكلٌّ واحد منهم يقول ما عنده فيما يعلمه ، ويقف عما لا علم له به ، ولا يطعن على مالا يعرفه ، ويعترف لسيبويه فى اللغة بالثقة وأنه علم ما لم يعلموا ، وروى مالم يرووا .

(١) العبارة التالية ، سبقت للبغدادى فى مقدمته ص ١٦ — ١٧ .

(٢) تكملة ليست فى النسختين .

(٣) ه : « ولا رووا حرفا منها » ، صوابه فى ط وما سبق فى ص ١٧ .

قال أبو جعفر[1] : لم يزل أهل العربية يفضلون كتاب سيبويه ، حتى لقد قال محمد بن يزيد : لم يعمل كتاب فى علم من العلوم مثل كتاب سيبويه ، وذلك : أن الكتب المصنفة فى العلوم مضطرة إلى غيرها ، وكتاب سيبويه لا يحتاج مِنْ فهمه إلى غيره . وقال أبو جعفر : سمعت أبا بكر بن شقير يقول : حدثنى أبو جعفر الطبرى قال : سمعت الجرمى يقول هذا ! وأومأ بيديه إلى أذنيه ، وذلك أن أبا عُمر الجرمى كان صاحب حديث ، فلما علم كتاب سيبويه تفقّه فى الحديث إذْ كان كتاب سيبويه يُتعلّم منه النظر والتفتيش[2] .

قال أبو جعفر : وقد حكى بعض النحويين أن الكسائى قرأ على الأخفش كتابَ سيبويه ودفع إليه مائتى دينار . وحكى أحمد بن جعفر[3] : أنّ كتاب سيبويه وجد بعضُه تحت وسادة الفرّاء التى كان يجلس عليها . وكان المبرّد يقول — إذا أراد مُريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه — : هل ركبتَ البحر؟ تعظيماً لما فيه ، واستصعاباً لألفاظه ومعانيه . وقال المازنى : مَن أراد أن يعملَ كتابا كبيراً فى النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِى مما أقدم عليه . وقال أيضا : ما أخلو فى كلّ زمن من أعجوبة فى كتاب سيبويه ، ولهذا سمّاه الناس قرآن النحو . وقال ابن كيسان : نظرنا فى كتاب سيبويه فوجدناه فى الموضع الذى يستحقّه ، ووجدنا ألفاظه تحتاج إلى عبارة وإيضاح ، لأنه كتاب أُلِّفَ فى زمان كان أهله يألفون مثل هذه الألفاظ ، فاختصر على مذاهبهم

(١) أبو جعفر هذا هو أحمد بن محمد بن إسماعيل ، المعروف بابن النحاس النحوى المصرى . انظر كتاب سيبويه ١ : ٤ بتحقيق.

(٢) وأما أبو جعفر هذا فهو محمد بن رستم الطبرى . يروى عن المازنى والسجستانى والجرمى . له ذكر فى مجالس العلماء للزجاجى ٦٣ ، ٦٥ ، ٣٥٣ وأمالى الزجاجى ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٣٢٨ .

(٢) فى النسختين : « التقيس » ، صوابه من كتاب سيبويه ص٦ بتحقيق .

(٣) انظر حواشى سيبويه ١ : ٦ بتحقيق .

قال أبو جعفر : ورأيت علىّ بن سليمان يذهب إلى غير ما قال ابن كيسان ، قال : عمل سيبويه كتابَه على لغة العرب وخطبها وبلاغتها ؛ فجعل فيه بيّناً مشروحاً ، وجعل فيه مشتبهاً ، ليكون لمن استنبط ونظرَ فضلٌ . وعلى هذا خاطبهم الله عز وجل بالقرآن .

قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله علىّ بن سليمان حسن ، لأن بهذا يشرُف قدر العالم وتفضُل منزلته ، إذ كان يُنال العلم بالفكرة واستنباط المعرفة ؛ ولو كان كلّه بيّناً لاستوى فى علمه جميع من سمعه ، فيبطل التفاضل ؛ ولكن يستخرج منه الشىء بالتدبُّر ، ولذلك لا يملّ ، لأنه يزداد فى تدبره علماً وفهما .

وقال محمد بن يزيد المبرد : قال يونس — وقد ذكر عنده سيبويه — : أظن هذا الغلام يكذب على الخليل . فقيل له : قد روى عنك أشياء فانظر فيها . فنظر وقال : صدق فى جميع ما قال هو قولى .

ومات سيبويه قبل جماعة قد كان أخذ عنهم كيونس وغيره وقد كان يونس مات فى سنة ثلاث وثمانين ومائة . وذكر أبو زيد النحوى اللغوىّ كالمفتخر بذلك بعد موت سيبويه قال : كل ما قال سيبويه «وأخبرنى الثقة[١]» فأنا أخبرته به .

ومات أبو زيد بعد موت سيبويه بنيف وثلاثين سنة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون ، وهو من شواهد سيبويه[٢] :

---

(١) ط : « وأخبر عن الثقة » ، صوابه فى ش .

(٢) سيبويه ١ : ٤٤ . وانظر العينى ١ : ٥٤٥ وابن الشجرى ١ : ٩٣، ٣٢٦ .

٥٨ (فَثَوْبٌ نَسِيتُ وثَوْبٌ أَجُرّْ)

أوّله : (فأقبلتُ زحفاً على الرُّكبتين)

على أن حذف الضمير المنصوب بالفعل من الخبر سماعىّ ، أى فثوبٌ نسيته وثوب أجرّه .

قال ابن عقيل فى شرح الألفية : وجاز الابتداء بثوب وهو نكرة لأنه قصد به التنويع .

قال الأعلم : ويجوز عندى أن يكون نسيت وأجرّ من نعت الثوبين ، فيمتنع أن يعمل فيه ، لأنَّ النعت لا يعمل فى المنعوت ؛ فيكون التقدير فثوباىَ ثوبٌ منسىّ وثوب مجرور .

وقال ابن هشام فى مغنى اللبيب : « ومما ذكروا من المسوّغات : أن تكون النكرة للتفصيل ، نحو : فثوبٌ لسيت وثوب أجر . وفيه نظر ، لاحتمال نسيت وأجرّ للوصفية والخبر محذوف ؛ أى فمن أثوابى ثوبٌ نسيته ، ومنها ثوب أجره . ويحتمل أنهما خبران وثَمَّ صفتان مقدّرتان ، أى فثوبٌ لى نسيته وثوب لى أجرّه . وإنما نسى ثوبه لشغل قلبه ، كما قال :

* لعوبٌ تنسّينى إذا قمتُ سِربالى(١) *

وإنما جرّ الآخَر ليعفِّىَ الأثر على القافة ؛ ولهذا زحف على الركبتين » انتهى .

والقافة : جمع قائف ، وهو من يعرف الآثار ؛ يقال : قفا أثره ، أى تبعه .

وروى : (فلما دنوت تَسَدَّيْتُها فثوبٌ لسيت . . الخ)

---

(١) لامرئ القيس فى ديوانه ٣٠ . وصدره :

* ومثلك بيضاء العوارض طفلة *

قال ابن الأنبارى فى شرح المفضليات[1] : يقال تسديته : إذا تخطيت إليه ، وقيل علوته . وأنشد هذا البيت . وروى :

* فثوباً نسيت وثوبا أجرّْ *

وعليه فهو مفعول لما بعده .

قصيدة الشاهد

وهو من قصيدة لامرىء القيس ، عدّتها اثنان وأربعون بيتا . ومطلعها :

(لا وأبيكِ ابنةَ العامرىّ لا يدَّعى القومُ أنى أفِرّ)

وسيأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى حروف الزيادة فى آخر الكتاب .

وأثبتَ هذه القصيدةَ له أبو عمرو الشيبانى والمفضّل وغيرهما . وزعم الأصمعى فى روايته عن أبى عمرو بن العَلاء أنها لرجل من أولاد النمِر بن قاسط ، يقال له ربيعة بن جُعْشُم ، وأولها عنده :

(أحارِ بنَ عمرٍو كأنى خَمِرْ ويَعدو على المرء ما يأتَمِرْ)

وبه استشهد ابن أمّ قاسم[2] فى شرح الألفية لتنوين الغالى حيث لحق الروىّ المقيّد ، رواه : (ما يأتمِرُنْ) بضم الراء . والهمزة للنداء ، وحارِ مرخّم حارث . قال فى الصحاح : والخُمار : بقية السكر ، تقول منه رجل خَمِرٌ بفتح فكسر ، أى فى عقب خُمار . ويقال : هو الذى خامره الداء ، أى خالطه . وعدا عليه : جارَ . والائتمار : الامتثال ، أى ما تأمر به نفسه فيرى أنه رشَدٌ فربما كان هلاكه فيه . والواو عطفت جملة فعلية على جملة اسمية على قولين من

١٨١

(١) هذا تسمح منه ، وذلك أبا بكر محمد بن القاسم ، ابن الأنبارى ، هو راوى المفضليات عن أبيه . وأما الشرح نفسه فهو لأبيه القاسم بن بشار الأنبارى .

(٢) ط : « ابن قاسم » ، صوابه فى سه مع أثر تصحيح ، واسمه الحسن بن قاسم . توفى سنة ٧٤٩ . البغية ٢٢٩ .

ثلاثة أقوال : الجواز مطلقا ، والمنع مطلقا ، والجواز مع الواو فقط . وليست للاستئناف ، ولا للتعليل ، ولا زائدة ، كما زعمها العينى .

وبعد بيت الشاهد :

(ولم يَرَنا كالئٌ كاشح ولم يُفْشَ مِنّا لدى البيتِ سِرّ
وقـد رابنى قولُها يا هَنا ه ، وَيحَكَ أُلحقتَ شرًّا بِشَرّ)

والـكالئُ بالهمز : الحارس والرقيب . والـكاشح : المبغض . ورابنى : أوقعنى فى الريبة . وهناهُ : كلمة يُـكنى بها عن النّـكرات[1] ، كما يكنى بفلان عن الأعلام ؛ فمعنى يا هناه يا رجل ؛ ولا يستعمل إلاّ فى النداء عند الجفاء والغلظة . وقوله : ألحقت شراً بشر ، أى كنت متّهما فلما صرت إلينا ألحقتَ تُهمةً بعد تهمة . وهذه الضمائر المؤنثة راجعة إلى (هِرّ) بكسر الهاء وتشديد الراء ؛ وكنيتها أم الُحويرِث ، وهى التى كان يشبّب بها فى أشعاره ، وكانت زوجة والده ، فلذلك كان طردَه وهمّ بقتله من أجلها .

وفى هذه القصيدة بيتٌ فى وصف فرسه ، يأتى شرحه إن شاء الله فى أفعال القلوب .

وترجمة امرىء القيس تقدمت فى الشاهد [التاسع و] الأربعين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون ، وهو من شواهد س[3] :

٥٩ (لَعَمرُكَ ما مَعْنٌ بتـاركِ حَقِّه
ولا منسِئٌ مَعْنٌ ولا متيسِّرُ)

(١) ط : « المنكرات » ، صوابه فى سه .
(٢) ص٣٢٩ من هذا الجزء .
(٣) سيبويه ١ : ٣١ . وانظر همع الهوامع ١ : ١٢٨ وديوان الفرزدق ٣٨٤

على أنَّ وضع الظاهر مقام الضمير إن لم يكن فى معرِض التفخيم فعند
س يجوز فى الشعر بشرط أن يكون بلفظ الأول كهذا البيت .

صاحب الشاهد

وهو للفرزدق أول بيتين ثانيهما :

(أتطلبُ ياعَورانُ فَضلَ نَبيذهم   وعندك يا عَورانُ زِقٌ مُوَكَّرُ)

واللام لام الابتداء . و (العَمْر) : الحياة . والمعنى أنه أقسم بحياة مخاطبه لعزّته عليه . والعَمْر فَتحاً وضَمًّا واحد ، غير أنه متى اتصل بلام الابتداء مقسَمًا به وجب فتح عينه ، وإلاّ جاز الأمران . وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره : قسمى ، وسيأتى الكلام عليه ، إن شاء الله ، فى المفعول المطلق . وجملة (ما مَعنٌ ، الخ) جواب القسم ، وما نافية تميميّة[1] زيدت الباء فى خبرها . ومعن قال أبو على القالى فى ذيل أماليه[2] : قال أبو محلِّم : هو رجل كان كلاّء بالبادية : يبيع بالكالئ ، أى بالنسيئة ، وكان يُضرب به المثل فى شدة التقاضى . قال سيّار بن هبيرة يعاتب خالداً وزياداً أخوَيه :

يُؤذّننى هذا ويمنع فضلَه   وهذا كمَعْنٍ أو أشدُّ تقاضيا

يؤذّنى : يحرمنى ، مضارع أذّنه بتشديد الذال المعجمة . قال فى المصباح : « وكلأ الدينُ يكلأُ مهموز بفتحتين كلوءاً : تأخّر ، فهو كالئٌ بالهمز ؛ ويجوز تخفيفه فيصير كالقاضى . وقال الأصمعى : هو مثل القاضى ولا يجوز همزه . ونُهى عن بيع الكالئ بالكالئ ، أى بيع النسيئة بالنسيئة . قال أبو عبيد : صورته أن يسلم الرجل الدراهمَ فى طعام إلى أجل فإذا حل الأجل يقول الذى عليه الطعام : ليس عندى طعام ولكن بِعنى إياه إلى أجل ؛ فهذه نسيئة

١٨٢

(١) وذلك لأن الفرزدق تميمى .
(٢) الأمالى ٣ : ٧٢ — ٧٤

انقلبت إلى نسيئة ، فلو قبض الطعامَ ثم باعه منه أو من غيره لم يكن كالئاً بكالئٍ . ويُعدَّى بالهمزة والتضعيف » انتهى .

وقال شراح أبيات الكتاب : عنى بالبيت معن بن زائدة الشيبانى ، وهو أحدُ أجواد العرب وسمحائهم . فوصفه ظلماً بسوء الاقتضاء وأخذِ الغريم على عُسرة ، وأنه لا ينسئه بدينه . انتهى .

وهذا غير صحيح ، فإن معن بن زائدة متأخر عن الفرزدق ، فإنه قد تُوفِّى الفرزدق فى سنة عشر ومائة ، وتوفى معن بن زائدة فى سنة ثمان وخمسين ومائة .

وقوله : (ولا منسئٌ) هو اسم فاعل من أنسأت الشىء : أخرته ، ويقال أيضاً نسأته ، فعلت وأفعلت بمعنًى ، فالمفعول محذوف أى حقه . قال الشارح : « الرواية بجرّ منسئٍ ، وإذا رفعته فهو خبر مقدم على المبتدأ » . أقول : الجر يكون بالعطف على مدخول الباء الزائدة ، ومعن فاعله أقيم مُقام الضمير ، فيكون من تتمة الجملة الأولى . وإذا رفع كان من جملة أخرى . وبالرفع أنشده سيبويه . قال الأعلم : استشهد به سيبويه على أن تكرير الاسم مظهراً من جملتين أحسن من تكريره فى جملة واحدة ، فلو حمل البيت على أن التكرير من جملة واحدة لقال : ولا منسئٍ معن عطف على قوله : بتارك حقه ، ولكنه كرّره مظهراً ، ولما أمكنه أن يجعل الكلام جملتين استأنف الكلام فرفع الخبر» . وقال : اعلم[1] أن الاسم الظاهر متى احتيج إلى تكرير ذكره فى جملة واحدة كان الاختيار أن يُذكر ضميره ، لأن ذلك أخفُّ وأنفى للشبهة واللَّبس ، كقولك : زيد ضربته ، ولو أعدت لفظه بعينه فى موضع

(١) ش : « وقال الأعلم » ، صوابه ماأثبت من ط . والكلام التالى ليس للأعلم ، بل هو للسيرافى فى شرحه لكتاب سيبويه . انظر السيرافى ١ : ١٧٢ مخطوطة دار الكتب .

كنايته لجاز ولم يكن وجهَ الكلام[1] كقولك : زيد ضربت زيداً — على معنى زيد ضربته — وإذا أعدت ذكره فى غير تلك الجملة جاز إعادة ظاهره وحسُن كقولك : مررت بزيدٍ وزيدٌ رجل صالح ؛ قال تعالى : « وإذا جاءتْهُمْ آيةٌ قالوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتى نُؤْتىٰ مِثْلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أعلمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ[2] » فأعاد الظاهر لأن قوله « الله أعلم » ابتداء وخبر ، وقد مرّت الجملة الأولى . فإذا قلت : ما زيد ذاهباً ولا محْسن زيد ، جاز الرفع والنصب ؛ فإذا نصبت فقلت : ولا محسناً زيد جعلت زيداً هذا الظاهر بمنزلة كنايته ، فكأنك قلت : ما زيد ذاهباً ولا محسناً ، كما تقول ولا محسنا أبوه ، فتعطف محسنا على ذاهبا وترفع زيداً بفعله وهو محسن ، فإذا رفعت جعلت زيداً كالأجنبى ورفعته بالابتداء وجعلت محسنا خبراً مقدّما . واختار سيبويه الرفعَ لأنّ العرب لا تعيد لفظَ الظاهر إلا أن تكون الجملة الأولى غير الجملة الثانية[3] وتكون الثانية مستأنفة كما قلنا فى : « رسلُ اللهِ اللهُ أعلم » . فإذا رفعته فهو مطابق لما ذكرناه وخرج عن باب العيب ، لأنك جعلته جملة مستأنفة . واستشهد سيبويه لجواز النصب وجعل الظاهر بمنزلة المضمر[4] بقوله :

* لا أرى الموتَ يَسْبِقُ الموتَ شىءٌ[5] *

---

(١) فى النسختين : « وجه للكلام » ، صوابه من السيرافى .

(٢) الآية ١٢٤ من سورة الأنعام . وفى السيرافى : « رسالاته » ، وهى القراءة الغالبة ، وقراءة الإفراد هى قراءة ابن كثير وحفص ، ووافقهما ابن محيصن . إتحاف فضلاء البشر ٢١٦ وتفسير أبى حيان ٤ : ٢١٧ .

(٣) ـــ : « خبر الجملة الثانية » ، صوابه فى ط وشرح السيرافى . وكلمة «الأولى» من السيرافى ، ساقطة من النسختين .

(٤) السيرافى : « بقول سوادة بن عدى » .

(٥) انظر الشاهد التالى .

[فأعاد الإظهار ، وذلك أن قوله لا أرى الموتَ يسبق الموتَ شيء ، الموت الأول هو المفعول الأول لأرى ، ويسبق الموت شيء[1]]في موضع المفعول الثانى وهما فى جملة واحدة ، وكان ينبغى أن يقول يسبقه شيء فيضمره .

واستشهد لاختيار الرفع فيما اختاره فيه بقول الفرزدق :

لعمرك ما معنٌ بتارك حقه . . (البيت)

ومعن الثانى هو الأوّل ، فهو بمنزلة قوله ما زيد ذاهباً ولا محسنٌ زيد . وللمعترض أن يقول : الفرزدق تميمىّ وهو يرفع خبر ما على كل حال مكنيّا كان أو ظاهراً ، ألا ترى أنّ الفرزدق من لغته أن يقول : ما معن تارك حقه ولا منسيء هو . فالظاهر والمكنى على لغته سواء » انتهى . ١٨٣

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون ، وهو من شواهد س[2] :

٦٠ (لا أرى الموتَ يَسْبِقُ الموتَ شَيء)

تمامه : (نغص الموتُ ذا الغِنى والفقيرا)

لما تقدم فى البيت قبله ، أى لا أرى الموت يسبقه شيء أى لا يفوته . وأنشده ثانياً فى الإخبار بالذى وجعلَه من قبيل « الحاقّةُ ما الحاقّةُ » مما إظهاره يفيد التفخيم ، فخالف كلامَه هنا . وتبع الشارحُ هنا س .

وخالفه المبرّدُ فى هذا وفرقَ بينه وبين ما ذكر ، لأن الموت جلس . وإنما كره زيد قام زيد ، لئلا يتوهم أن الثانى خلاف الأول ، وهذا لا يتوهم

---

(١) التكملة من السيرافى ، وبدونها لا يستقيم الكلام .

(٢) سيبويه ١ : ٣٠ . وانظر الخزانة ٢ : ٤/٥٣٤ : ٥٥٢ وابن الشجرى ١ : ٣٤٣ ، ٢٨٨ والخصائص ٣ : ٤٣ وشواهد المغنى ٢٩٦ .

فى الأجناس ، قال تعالى : « إذا زُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأخرَجَتِ الأرْضُ أثقالَهَا » . وكذا إذا اقترن بالاسم الثانى حرف الاستفهام بمعنى التعظيم والتعجب كان الباب الإظهارَ ، كقوله تعالى : « القارِعَةُ مَا القَارِعَةُ » و « الحاقةُ ما الحاقّةُ » . والإضمار جائز كما قال تعالى : « فأُمُّهُ هاوِيَةٌ . وَما أدْراكَ ما هِيَهْ » .

وكذلك لم يرتضه شرّاح أبياته . قال الأعلم — وتبعه ابن خلف ، ومثله لأبى جعفر النحّاس — : استشهد بهذا البيت سيبويه على إعادة الظاهر موضع المضمر ، وفيه قبح إذا كان تكريره فى جملة واحدة ، لأنه يستغنى بعضها عن بعض ، فلا يكاد يجوز إلاّ فى ضرورة ، كقولك : زيد ضربت زيداً ، فإن كان إعادته فى جملتين حسُن ، كقولك : زيد شتمته وزيد أهنته ، لأنه قد يمكن أن تسكت عن الجملة الأولى ثم تستأنف الأخرى بعد ذكر رجل غير زيد . فلو قيل زيد ضربته وهو أهنته ، لجاز أن يُتوهّم الضميرُ لغير زيد ، فإذا أعيد مظهَراً زال التوهُّم . ومع إعادته مضمراً[1] فى الجملة الواحدة ، كقولك : زيد ضربته ، لا يُتوهّم الضمير لغيره ، لأنك لا تقول[2] : زيد ضربت عمراً . والإظهار فى مثل هذا أحسن منه فى هذا ونحوه ، لأن الموت اسم جنس ، فإذا أعيد مظهراً لم يتوهم أنه اسم لشىء آخر . فلذلك كان الإظهار فى هذا أمثَل ، لأنه أشكل .

وقوله : (نغّص الموتُ . . الخ) يريد : نغص عيشَ ذى الغِنَى والفقير . يعنى أن خوف الغنىّ من الموت ينغّص عليه الالتذاذ بالغنى والسرورِ به ، وخوفَ الفقير من الموت ينغّص عليه السعى فى التماس الغنى لأنه لا يعلم أنه

(١) ـــ : « مظهرًا » ، صوابه فى ط .
(٢) ـــ : « لأنك تقول » ، صوابه فى ط .

— إذا وصل إليه الغنى — هل يبقى حتّى ينتفع به ، أو يقتطعه الموت عن الانتفاع ؟

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ من قصيدة لعدىّ بن زيد ، وقيل لابنه سَوادة بن عدىّ . والصحيح الأول . وأولها :

قصيدة الشاهد

(طال لَيلى أُراقبُ التنويرا أرقبُ الليلَ بالصباح بَصيرًا
شطّ وصلُ الذى تريدين منّى وصغيرُ الأمورِ يَجنى الكبيرا
إنّ للدهر صولةً ، فاحذرَنْها لا تبيتَنَّ قد أمنتَ الدهورا
قد يبات الفتى صحيحاً فيَرْدَى ولقد بات آمِناً مسرورا
« لا أرى الموت يسبقُ الموتَ شىء نغّص الموتُ ذا الغنى والفقيرا »
لِلمنايا مَع الغُدُوِّ رواحٌ كلَّ يوم ترى لهُنَّ عَقيرا
كم تَرى اليوم من صحيح تمنّى وغدا حَشْوَ رَيطة مقبورا
أينَ أين الفِرار مما سيأتى ! لا أرى طائراً نجا أن يَطيرا
فامشِ قصداً إذا مشَيتَ وأبصرْ إنّ للقصد مَنهجاً وجُسورا
إن فى القصد لابن آدمَ خيراً وسبيلا على الضعيف يَسيرا)

١٨٤

عدى بن زيد

و (عدىّ بن زيد) بن حماد بن زيد بن أيوب ، من بنى امرئ القيس ابن زيد مَناة بن تميم .

قال صاحب الأغانى(١) : « وكان أيوب هذا أوّل من سمى من العرب أيوبَ . وكان عدىّ شاعراً فصيحاً من شعراء الجاهلية ، وكان نصرانياً ، وكذلك أبوه وأمه وأهله . وليس ممن يعدّ فى الفحول . [و(٢)] هو قروىّ

(١) الأغانى ٢ : ١٧ .
(٢) التكملة من الأغانى . وكذلك سائر التكملات فى هذا النص .

قد أخذوا عليه أشياء عِيب فيها . وكان الأصمعى وأبو عبيدة يقولان : عدىّ بن زيد فى الشعراء بمنزلة سُهيل فى النجوم : يُعارضها ولا يجرى معها مَجراها . وكذلك عندهم أمية بن أبى الصلت . ومثلهما من الإسلاميينَ : الكميت ، والطِرِمّاح .

وكان سبب نزول آل عدىّ الحيرة أن جدَّه أيوب كان منزله اليمامة ، فأصاب دماً فى قومه ؛ فهرب إلى أوس بن قُلّام : أحد بنى الحارث بن كعب بالحيرة ، وكان بينهما نسبٌ من قبل النساء ، فأكرمه وابتاع له موضع دار [هِ] بثلاثمائة أوقيّة من ذهب ، وأنفق عليها مائتى أوقيّة ذهباً ، وأعطاه مائتين من الإبل برعاتها [١] ، وفرساً ، وقَينة . واتصل بملوك الحيرة وعرفوا حقّه وحقّ ابنه « زيد » بن أيوب ، فلم يكن منهم ملك يملِك إلاّ ولِوَلَد أيوب منه جوائز [وحُملان] . ثم إن زيداً نكح امرأة من آل قلام فولدت له « حماداً » . فخرج زيد بن أيّوب يوماً للصيد ، فلقيه رجل من بنى امرئ القيس الذين كان لهم الثأر فاغتال زيداً وهرب ، ومكث حمّاد فى أخواله حتى أيفع وعلمته أمّه الكتابة ؛ فكان أوّل من كتب من بنى أيوب ، فخرج من أكتب الناس حتى صار كاتبَ النعمان الأكبر ؛ فلبث كاتباً له حتى وُلد له ولد فسمّاه « زيداً » باسم أبيه . وكان لحمّاد صديق من دهاقين الفرس اسمه فرّوخ [٢] ماهان . فلما حضرت الوفاةُ حمّاداً أوصى بابنه زيد إلى الدِهقان — وكان من المَرازبة — فأخذه إليه .. وكان زيد قد حذق الكتابة [والعربية] ، وعلّمه الدِّهقان الفارسيّة . وكان لبيباً ، فأشار الدهقان إلى كسرى أن يجعله على البريد فى حوائجه ، فولاّه وبقى زماناً . ثم إنّ النعمان هلك ، فاختلفَ أهلُ

---

(١) ط : « برعاها » ، وأثبت ما فى س والأغانى .

(٢) الميمنى : « الأكثر فى الكتابة فرخ بلا واو ، ومعناه المبارك » .

الحيرة فيمن يملّكونه إلى أن يعقِد كسرى الأمر لرجل منهم[١] ؛ فأشار المرزُبان عليهم بزيد بن حمّاد ، فكان على الحيرة إلى أن ملّك كِسرى المنذرَ ابن ماء السماء . ونكح زيد نعمة بنت ثَعلَبة العدَويّة فولدت له « عدياً » . وولد للمرزُبان ابن وسمّاه شاهان مَرْد . فلما أيفع عديٌّ أرسله المرزبان مع ابنه إلى كُتّاب الفارسيّة ، وتعلّم الكتابة والكلامَ بالفارسية ، حتى خرج مِن أفهَم الناس وأفصحِهِم بالعربية ، وقال الشعرَ وتعلّم الرّمىَ بالنُّشّاب [فخرج من الأساورة الرُّماة] ، وتعلّم لَعِب العجم على الخيل بالصَّوالجة وغيرها . ثم إنّ المرزبان لما اجتمع بكسرى قال له : إن عندى غلاماً مِن العرب هو أفصحُ الناس وأكتبُهم بالعربية والفارسية ، والملك يحتاج إلى مثله . فأحضر المرزُبان عديَّ بن زيد ، وكان جميل الوجه فائق الحسن — وكانت الفُرس تتبرّك بالجميل الوجه — فرغب فيه ؛ فكان عديٌّ أوّلَ من كتب بالعربية فى ديوان كسرى . فرغب أهلُ الحيرة إلى عديّ ورهِبوه . ولم يزل بالمدائن فى ديوان كسرى معظماً . وأبوه زيد كان حيًّا ، إلا أن صِيته قد خمل بذكر ابنه عديّ .
ثم لما هلك المنذر اجتهد عديّ عند كسرى حتى ملّك النعمانَ بن المنذر الحيرة . ١٨٥
ثمّ بعد مدّة افترَوا على عديّ وقالوا للنعمان : إنّ عديًّا يزعم أنك عاملُه على الحيرة . فاغتاظ منه النعمان وأرسل إلى عديٍّ بأنه مشتاق إليه يستزيره[٢] . فلما أتى إليه حبسه ، وبقى فى الحبس إلى أن جاء رسول كسرى ليُخرِجه[٣] ؛ فخاف النعمان من خلاصه فغَمّه حتى مات ؛ وندم النعمان على قتله ، وعرف أنّه غُلب على رأيه . ثم إنه خرج يوماً إلى الصيد فلقى ابنا لعدىّ يقال له زيد ؛

(١) الأغانى : « لرجل ينصبه » .
(٢) ط : « ليستزيره » .
(٣) انظر قصة هذا الرسول فى الأغانى ٢ : ٢٦ — ٢٧ .

فلما رآه عرف شبهه فقال له : من أنت ؟ قال : أنا زيد بن عديّ . فكلمه فإذا هو غلامٌ ظريف ، ففرح به فرحا شديداً ، فقرَّبه واعتذر إليه من أمر أبيه ، ثم كتب إلى كسرى يربيه ويشفع له مكان أبيه . فولاّه كسرى . وكان يلي الكتابة عنده إلى ملوك العرب وفي خواصّ أمور الملك . وكانت لملوك العجم صِفَة النساء مكتوبة عندهم ، وكانوا يبعثون في تلك الأرَضينَ تلك الصفة ؛ فإذا وُجدت حُملت إلى الملك ، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب . فلما كتب كسرى في طلب تلك الصفة قال له زيد بن عديّ : أنا عارف بآل المنذر وعند عبدك النعمان — بين بناته وأخواته وبنات عمّه — أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة ، فابعثني مع ثِقة من رجالك يفهم العربية حتّى أبلغ ما تحبُّه . فبعث معه رجلا فطِناً وخرج به زيد ، فجعل يكرم الرجلَ ويُلطِفه حتى بلغ الحِيرة ؛ فلما دخل على النعمان قال له : إنّ كسرى قد احتاج إلى نساء لنفسه ولولده ، وأراد كرامتَك بصِهره فبعث إليك . فقال النعمان لزيد — والرسول يسمع — : أمَا في مَها السّواد وعِينِ فارس ما يبلغ به كسرى حاجتَه ؟ ! فقال الرسول لزيد ، بالفارسية : ما المها ؟ فقال له ، بالفارسية : كاوان ، أي البقر . فأمسك الرسول ، وقال زيد للنعمان : إنّما أراد الملك أن يكرمك ، ولو علم أنّ هذا يشقُّ عليك لم يكتب إليك به . فأنزلهما عنده يومين ، ثم كتب إلى كسرى : إن الذى طلب الملك ليس عندى . وقال لزيد : اعذِرنى عنده . فلما رجع إلى كسرى قال زيد للرسول : اصدُق الملكَ عمّا سمعتَ ، فإنى سأحدثه بمثل حديثك ولا أخالفك فيه ! فلما دخلا على كسرى قال زيد : هذا كتابه . فقرأه عليه ، فقال له كسرى : وأين الذى كنتَ خبَّرتنى به ؟ قال : قد كنت خبّرتك ببخلهم بنسائهم على غيرهم ، وأنَّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعُرىَ على الشِّبَع والرِّياش ، وإيثارهم السّموم

على طِيب أرضك ، حتى إنّهم ليسمُّونها السِّجن ، فسَلْ هذا الرسول الذى كان معى عما قال ، فإنى أكرم الملك عن مشافهته بما قال . فقال للرسول : وما قال النعمان ؟ فقال له الرسول : إنه قال : أمَا كان فى بقر السواد وفارس ما يكفيه ، حتّى يطلب ما عندنا ؟ ! فعرف الغضب فى وجهه . وسكت كسرى أشهرا — وسمع النعمان غضبَه — ثم كتب إليه كسرى : أن أقبل ، فإن لى حاجةً بك . فخافه النعمان وحمل سلاحَه وما قدر عليه ولجأ إلى قبائل العرب فلم يُجِرْهُ أحد ، وقالوا : لا طاقةَ لنا بكسرى . . حتى نزل بذى قار فى بنى شيبان سرًّا ، فلقى هانئ بن قَبيصة ، فأجاره وقال : لزمنى ذِمامُك ، وإنى مانعُك مما أمنع منه نفسى وأهلى ، وإنّ ذلك مهلكى ومهلكك . وعندى رأىٌ لست أشير به لأدفعك عما تريده من مجاورتى ؛ ولكنه الصواب . فقال : هاته ! قال : إنّ كلَّ أمر يجمل بالرجل أن يكون عليه ، إلا أن يكون بعد المُلْك سُوقة ؛ والموت نازلٌ بكلّ أحد ، ولأنْ تموت كريماً خير من أن تتجرّع الذلّ أو تبقى سوقةً بعد المُلك . . امض إلى صاحبك واحمل إليه[1] هدايا ومالا ، وألقِ نفسك بين يديه ، فإما أن يصفح عنك فعدتَ ملكا عزيزا ، وإما أن يصيبك فالموتُ خير من أن تتلعّب بك صعاليكُ العرب ويتخطّفك ذئابها . . قال : فكيف بحُرَمى وأهلى ؟ قال : هنّ فى ذمّتى ، لا يخلص إليهن حتى يخلُص إلى بناتى . فقال : هذا — وأبيك — الرأى ! ثم اختار خيلاً وحللا من عَصْب اليمن ، وجواهر وطُرَفا كانت عنده ، ووجّه بها إلى كسرى ، وكتب إليه يعتذر ويعلمه أنه صائر إليه . فقبلها كسرى وأمره بالقدوم . فعاد إليه الرسول

١٨٦

---

(١) كذا فى النسختين ، وفى الأغانى ٢ : ٢٧ : « ثم كتب إلى كسرى : إن عديا كان ممن أعين به الملك فى نصحه ولبه ... » الخ . فلعل صوابه « يزكيه » .

(٢) ط : « وكان يلى المكاتبة عند آل ملوك العرب » صوابه فى س .

وأخبره بذلك وأنه لم يَرَ له عند كسرى سوءا . فمضى إليه حتى إذا وصل إلى ساباط لقيه زيد بن عدىّ فقال له : انج نُعَيم ، إن استطعتَ النَّجاء ! فقال له النعمان : أفعلتَها يا زيد ! أما والله لئن عشت لأقتلنك قِتلة لم يُقتَلها عربىّ قطّ ! فقال له زيد : قد — والله — أخّيت لك آخيّة لا يقطعها المهر الأرِن[1] فلما بلغ كسرى أنه بالبـاب بعث إليه ، فقيّده وسجنه ؛ فلم يزل فى السجن حتى هلك . وقيل : ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات . وذلك قبيل الإسلام بمدّة ، وغضبت له العرب حينئذ ، فـكان قتله سبب وقعة ذى قار » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون[2] :

٦١ (إذا المرء لَم يَغْشَ الـكَرِيهَةَ أَوشَـكَتْ
حِبالُ الهُوَيْنَى بالفـتَى أنْ تَقَطَّعا)

على أن الاسم إن أعيد ثانيا ولم يكن بلفظ الأول لم يجز عند سيبويه ، ويجوز عند الأخفش سواء كان فى شعرٍ أم فى غيره ، كهذا البيت .

قال ابن جنى فى إعراب الحماسة ، عند قول أبى النَّشناش :

إذا المرء لم يَسرَحْ سَواماً ولم يُرِحْ ... سَواماً ولم تَعطف عليه أقاربُه
فَلَلموت خيرٌ للفتى من حياته ... فقيراً ومن مولًى تدِبّ عقاربُه

كان يجب أن يقول : فللموت خير له ؛ فعدل عن المظهر والمضمر جميعا إلى لفظ آخر ، كقوله :

---

(١) ط : « عليه » ، صوابه فى سه .
(٢) الأرن : النشيط . والآخية : عود كحلقة تشد فيها الدابة .
(٣) أنظر العينى ٢ : ١٣٢ والخصائص ٣ : ٥٣ والهمع ١ : ١٨٠ والنوادر ١٥٣ والمفضليات ٣٢ .

إذا المرء لم يغش الـكريهة . . (البيت)

وسبب ذلك أن هذا المُظهَر المخالف للفظ المظهر قبله ، قد أشبه عندهم المضمر ، من حيث كان مخالفاً للفظ المظهر قبله خلاف المضمر له .

وقال ابن رشيق فى العمدة : « قوله (بالفتى) حشو ؛ وكان الواجب أن يقول (به) لأن ذكر المرء قد تقـدَّم ؛ إلا أن يريد بالفتى معنى الزِّراية والأطنوزة[1] ، فإنه محتمل » اهـ وهذا تخيل دقيق .

و (الغِشيان) : الإتيان ، يقال غِشيته من باب تعب : أتيته . و (الـكريهة) الحرب ؛ وقيل : شدَّتها ، وقيل : النازلة . وهذا هو المراد هنا . و (أوشكت) : قاربت ودنت و (الحبال) : جمع حَبْل بمعنى السَبَب ، استعير لـكل شىء يتوصَّل به إلى أمر من الأمور . و (الهُوَينى) : الرفق والراحة ؛ اوعده ابن دريد فى الجمهرة فى الـكلمات التى وردت مصغَّرة لا غير ، قال : والهوينى السكون والخفْض . قال السَّمين ، فى عمدة الحفاظ : يقال : فلان يمشى الهوينى وهو مصغر الهُونى ، والهُونى تأنيث الأهون كالفضلى تأنيث الأفضـل . و (بالفتى) الباء للمصاحبة فيكون حالا ، أو بمعنى عَن فيتعلق بمـا بعدها ، وجاز لأنه ظرف ، ومثله قوله تعالى : « وتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبابُ » . قال السمين : فى الباء أربعة أوجه : أحدها للحال أى تقطّعت موصولةً بهم الأسباب . الثانى للتعدية أى قطّعتهم الأسبابُ كقولهم : تفرّقت بهم الطرق أى فرقتهم . الثالث للسببية أى تقطّعت بسبب كفرهم الأسباب التى كانوا يرجون بها النجاة . الرابع بمعنى عَن ، أى تقطّعت عنهم الأسباب الموصِلات بينهم » وهى مجاز ؛

١٨٧

(١) يعنى الطنز والسخرية . وهذه الكلمة لم ترد فى المعاجم المتداولة .

(٢) العمدة ٢ : ٥٦ .

والسبب فى الأصل الحبل ، ثم أطلق على كل ما يتوصل به إلى شىء ، عيناً كان أو معنى . و (تَقَطّعا) أصله تتقطع بتاءين ، وفاعله ضمير حِبال .

وهذا البيت آخر أبيات للكَلْحَبَة العرِينى ، وهى :

أبيات الشاهد

(فإن تَنجُ منها يا حَزِيمُ بن طارق فقد تركتْ ما خَلفَ ظهرِكَ بلقعا
ونادى منادى الحى : أنْ قد أُتِيتمُ وقد شَرِبت ماء المزادة أجمَعا
وقلتُ لكأسٍ : ألجيها فإنما نزلْنا الكَثيبَ من زَرودَ لنفْزَعا
فأدرَك إبقاء العَرادة ظلعُها وقد جعلتْنى من حَزيمة إصبَعا
أمرتُكمُ أمرى بمنعرَج اللِوى ولا أمرَ للمَعصىّ إلاّ مضيَّعا
إذا المرء لم يَغشَ الكريهةَ . . . . . البيت)

وسبب هذه الأبيات أنّ « الكَلحبة » كان نازلا بزَرود — وهى أرض بنى مالك بن حَنظلة ، وهو من بنى يربوع — فأغارت بنو تغلب على بنى مالك ، وكان رئيسهم حَزيمة بن طارق ، فاستاق إبلَهم ، فأتى الصريخُ إلى بنى يربوع فركبوا فى إثره فهزموه واستنقذوا ما كان أخذه .

فقوله : إن تنج منها ، الضمير راجع إلى فرس الكلحبة . وحَزيم بفتح الحاء المهملة وكسر الزاى المعجمة : مرخَّم حَزيمة . وهذا البيت يشهد بانفلاته ، وشعر جرير يشهد بأسره ، وهو :

* قُدْنا حَزيمة قد عَلمتم عَنوةً *

ولا مانع منه ، بأن أدركه غيرُ الكلحبة وأسره لمّا ظلَعت فرسه .

قيل : ولما أُسر اختصم فيه اثنان : أحدهما أُنيف بن جبَلة الضبّىّ ، وهو أحد بنى عبد مناة بن سعد بن ضبّة ، وكان أُنيف يومئذ نازلا فى بنى يربوع وليس معه من قومه أحد . وثانيهما : أُسيد بن حِنّاءة السَّليطىّ . فاختصما

إلى الحارث بن قُراد فحكم : أنّ جزّ ناصيته لأنيف ، وأنّ لأسيد عنده مائة من الإبل . فرضيا بذلك .

والحارث بن قُراد من بنى حِميرىّ بن رياح بن يربوع . وأمّه من بنى عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبّة .

وقوله : (فقد تركت الخ) ، العرب كثيراً ما تذكر أنّ الخيل فعلت كذا وكذا ، وإنما يراد به أصحابها ، لأنهم عليها فعلوا وأدركوا . يقول : إنْ تنج يا حزيمة من فرسى لم تُفلت إلاّ بنفسك ، وقد استبيح مالُكَ وما كنتَ حويته وغنمته ، فلم تدع لك هذه الفرس شيئاً .

وقوله : (ونادى منادى الحى . الخ) كأنّ الكلحبة يعتذر من انفلات حزيمة ، يقول : أتى الصريخُ وقد شربت فرسى ملء الحوض ماء . وخيل العرب إذا علمت أنه يُغار عليها — وكانت عطاشاً — فمنها ما يشرب بعض الشرب ولا يَروى ، وبعضها لا يشرب البتة لما قد جرّبت من الشدّة التى تلقى إذا شربت الماء وحُورب عليها . وفاعل شربت ضمير الفرس . وجملة قد شربت حال ، أى أتيتم فى هذه الحال .

١٨٨ وقوله : (وقلت لكأس . البيت) كأس بنت الكلحبة ، وقيل جاريته ؛ والعرب لا تثق فى خيلها إلاّ بأولادها ونسائها . وقوله : لنفزعا ، أى لنغيث ؛ يقول : ما نزلنا فى هذا الموضع إلاّ لنغيث من استغاث بنا . والفزع من الأضداد ، بمعنى الاغاثة والاستغاثة .

وقوله : (فأدركَ إبقاء العَرادة . . الخ) العرادة بفتح العين والراء والدال المهملات : اسم فرس الكلحبة ، كانت أنثى . والإبقاء : ما تبقيه الفرس من العَدْوِ ، إذْ من عتاق الخيل ما لا تعطى ما عندها من العدْو بل تبقى منه شيئاً

إلى وقت الحاجة ؛ يقال : فرس مبقية : إذا كانت تأتى بجري عند انقطاع جريها ، وقتَ الحاجة[1] . يريد أنها شربت الماء فقطعها عن إبقائها ففاته حزيمة .
وروى (أنقاء العَرادة) بفتح الهمزة وبالنون : جمع نِقو بالكسر ، وهو كل عظم ذى مخ ، يعنى ظلعها وصل إلى عظامها . وروى أيضاً : (إرقال العرادة) بكسر الهمزة وبالقاف ، وهو السَّير السريع ، وهو مفعول ، والظلع فاعل .
قال ابن الأنبارى : الظُّلوع فى الإبل بمنزلة الغمْز أى العرج اليسير ، يقال ظلَعَ يظلع بفتحهما ظلعا وظلوعاً ؛ ولا يكون الظلوع فى الحافر إلا استعارة . يقول : فاتنى حزيمة وما بينى وبينه إلاّ قدر إصبع .

وأورد الشارح هذا البيت فى باب الإضافة على أن فيه حذف ثلاثة مضافات ، أى جعلتنى ذا مقدار مسافة إصبع . والأوْلى تقدير مضافين ، أى ذا مسافة إصبع ، كما قدّر ابنُ هشام فى مغنى اللبيب ؛ فإن المسافة معناها البعد ، والمقدارُ لا حاجة إليه . والمسافة وزنها مَفعَلة ، أى محل السّوف وهو الشمّ وكان الدليل إذا سلك الطرق القديمة المهجورة أخذ ترابها فشمَّه ليعلم أعلى قصدٍ هو أم على جَور ؟ وإنما يقصد بشمّ التراب رائحة الأبوال والأبعار ، فيعلم بذلك أنه مسلوك .

وكذلك أورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : « فكانَ قابَ قوْسَين » قال : فيه حذف مضافين ، كما فى هذا البيت . لكن تقديره مقدار مسافة إصبع يحتاج إلى تأويل لصحة الحمل .

وقوله : (أمرتكم أمرى . . الخ) اللّوى بالقصر هو لوى الرمل ، أى

(١) عبارة أبى زيد فى النوادر : «هى التى يظن أنه لا جرى معها ، فإذا طلب منها وجد عندها » . وفى القاموس : « هى التى يبقى جريها بعد انقطاع جرى الخيل » . وفى الأساس : « هى الخيل التى لا يخرجن ما عندهن من الجرى ، فهن أحرى ألا يلغبن » . واللغوب : التعب .

منقطَعه حيث ينقطع ويفضى إلى الجَدَد ؛ ومنعرجه : حيث انثنى منه وانعطف .
وإنما قال بمنعرج اللوى ليعلم أين كان أمرُه أيامَ ، كما قال الآخر[1] :

ولقد أمرتُ أخاك عَمراً أمرَه فأبى وضيّعه بذات العُجرُمِ[2]

وهذا البيت من شواهد سيبويه . أورده الشارح أيضاً فى باب الاستثناء ، على أن نصب المستثنى فى مثله قليل . وقال الخليل : مضيَّعاً : حال ، وجاز تنكير ذى الحال لكونه عاماً كأنه قال : للمعصىّ أمره مضيعاً . وبهذا يسقط قول الأعلم حيث قال « الشاهد فيه نصب مضيَّع على الحال من الأمر ؛ وهو حال من نكرة . وفيه ضعف لأن أصل الحال أن تكون للمعرفة » ا هـ .

أقول : إنْ جعل حالاً من الضمير المستقرّ فى قوله « للمعصىّ » فإنّه خبر لا النافية ، فلا يرد عليه ما ذكر .

وقال النحاس « ويجوز أن يكون حالاً للمضمر ، التقدير إلاّ أمراً فى حال تضييعه ، فهو حال من نكرة » .

أقول : هذا التقدير من باب الاستثناء ، ومضيَّعاً وصف للمضمر لا حال منه .

وقال الأعلم « ويجوز نصبه على الاستثناء ، والتقدير إلاّ أمراً مضيعاً . وفيه قبح لوضع الصفة موضع الموصوف » .

أقول : لا قبح ، فإنّ الموصوف كثيراً ما يحذَف لقرينة .

وقال ابن الأنبارى : « الاستثناء منقطع » . أقول : التفريغ لا يكون ١٨٩

(١) هو عمرو بن الأسود ، كما فى الأصمعيات ٧٩ ، ونسب البيت فى معجم البلدان ٦ : ١٢٣ إلى بشر بن سلوة .
(٢) ويروى : « إمرة » و « آمرا » ، و « وضيعها » .

فى المنقطع . ثم قال : « ولو رفع فى غير هذا الموضع لجاز بجعله خبراً لِلا » .

أقول : يجب حينئذ أن يقال ولا أمراً للمعصىّ بالتنوين ، إلاّ على مذهب البغداديين .

وقد أورد أبو زيد فى نوادره[1] هذه الأبيات على غير هذا الترتيب ، وروى أولها :

أمرتهم أمرى بمنعرَج اللوى . . (البيت)

ترجمة الكلحبة

و (الكَلْحَبَة) لقب الشاعر ، وهو بفتح الكاف وسكون اللام وبعدها حاء مهملة فباء موحدة . ومعناه فى اللغة صَوت النار ولهبها ، كذا فى العباب . وزاد فى القاموس : « وكلحَبهُ بالسيف : ضربه » . و (العَرينى) نسبة إلى عَرين بفتح العين وكسر الراء المهملتين ، والياء فى فَعيل تثبت فى النسب ، وهو جدّه القريب[2] . ويقال له : (اليربوعى) أيضاً نسبة إلى جده البعيد . وقولهم : الكلحبة عُرَنىّ نسبة إلى عُرَينه كجُهَنىّ نسبة إلى جُهينَة ، تحريفٌ ، فإن عُرينة بالتصغير بطن من بَجيلة ، وليس من نسبه .

قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : « الكلحبة اليربوعى اسمه هُبيرة ابن عبد مناف بن عَرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم ، أحد فرسان بنى تميم وساداتها ، وشاعر ، وهو القائل :

فقلتُ لكأس ألجميها . . (البيت)

وكذا قال أبو زيد فى نوادره : اسمه هبيرة بن عبد مناف ، عمّ واقد ابن [عبد الله بن[3]] عبد مناف .

---

(١) نوادر أبى زيد ١٥٣ — ١٥٤ .

(٢) انظر الاشتقاق ٢٢٦ بتحقيقنا .

(٣) التكلة من ســه والنوادر .

ومثله قال ابن الأنبارى : الكلحبة : اسمه هبيرة بن عبد مناف .
وقال الصاغانى فى العباب : قال أبو عبيد : كلحبة : اسمه عبد الله بن كلحبة ، ويقال هبيرة بن كلحبة ، فارس العَرادة ، ويقال اسمه حُرَير . وأثبتُ من ذلك أنّ اسمه هبيرة بن عبد الله بن عبد مناف . . إلى آخر نسبه . وقال صاحب القاموس : الكلحبة شاعر عُرَنىّ ، ولقب هبيرة بن عبد الله بن عبد مناف ابن عَرين العَرنى فارس العَرادة . اهـ فتأمّل ما فيه !

والظاهر أن حُريراً ابنه ، وهو بضم الحاء المهملة وفتح الراء الأولى ، كما يفهم من قوله :

لعلّ حُريراً أخطأته مَنيّةٌ ستأتيك بالعلم العَشيّةُ أوغدُ[1]
تقول له إحدى بَلِىٍّ شَماتةً : مَنِ الحنظلىُّ الفارسُ المتفقَّدُ !

فإنه كان أراد بعض ملوك الشام ، فسار حتى [إذا[2]] صار فى موضع يقال له قَرن ظَبى رجَم ، وقال :

رددتُ ظعائنى من قَرن ظَبى وهن على شمائلهنّ زُورُ

فجاور فى بلىّ بن عمرو بن الحافِ[3] بن قضاعة ، فأغار عليهم بنو جشم ابن بكر من بنى تغلب ، فقاتل مع بلىّ هو وابنه ، وقد أخذ بنو جشم أموالهم ، حتى ردّها ، وجُرح ابنه فمات من جراحته .

ومن شعر الكلحبة يخاطب جاريته كأساً ، رواه أبو زيد فى نوادره[4] :

(١) ط : « سآتيك » صوابه فى سـ . وفى النوادر ١٥٥ : « سيأتيك » .
(٢) التكلة من شرح المفضليات ٢٤ .
(٣) وكذا فى الجمهرة ٤٤١ .
(٤) النوادر ١٥٤ .

يا كأس ويلك إنّى غالنى خلُق على السماحة صُعلوكاً وذا مالِ
تخيَّرى بين راعٍ حافظٍ بَرَمٍ عَبدِ الرِشاء عليك الدهرَ عمال[1]
وبين أروعَ مشمولٍ خلائقُه مستغرقِ المال للذّات مكسال
فأىُّ ذينكِ إن نابتك نائبة ؟ والقوم ليسوا وإن سُوُّوا بأمثال[2]

قال أبو حاتم : فأىّ بالرفع . قال أبو على : أضمر (اختارى) لأن ذكره قد جرى ، فهو منصوب .

وقال أخوه يردّ عليه :

١٩٠ أَلَم تكُ قد جرّبْتَ ما الفقرُ والغِنى وما يَعظ الضِلّيل إلا أُلالِكا[3]
عُقوقاً وإفسادا لكلّ معيشة فكيف ترى أمست أضاعةُ مالكا

قال أبو حاتم : إضاعةَ بالنصب . وقال أبو على : ترى المتعدية لمفعولين ، ألغاها .

« تتمة »

قد أخذ البيتَ الشاهدَ شَبيبُ بن البَرصاء ، وغيّر قافيته وقال :

دعانى حُصَينٌ للفِرار فساءنى مَواطنُ أن يُثنى علىّ فأشتَما
فقلتُ لحِصن : نجِّ نفسَك ، إنما يذود الفتى عن حوضه أن يُهدّما
تأخرتُ أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياةً مثلَ أن أتقدّما
سيكفيكَ أطرافَ الأسنّة فارسٌ إذا رِيع نادى بالجواد وألْجما
إذا المرء لم يَغشَ الكريهة أوشكت حبالُ الهوينى بالفتى أن تجذّما

---

(١) ط : « حافظ بدم » ، صوابه فى سه والنوادر .
(٢) فى النوادر : « فأى ذلك » .
(٣) النوادر ١٠٤ .

فى القاموس : وجذَمه بالجيم والذال المعجمة فانجذم وتجذّم : قطعه .

ومثله كثير بين الشعراء . وسيأتى إن شاء الله تعالى له نظائر كثيرة .

شبيب بن البرصاء

والبرصاء هى أم شَبيب . وأبوه اسمه يزيد . وتنتهى نسبته إلى قيس بن عَيلان . وهو ابن خالة عَقيل بن عُلَّفة . وكلٌ منهما كان شريفا سيدا فى قومه . وكانا من شعراء الدولة الأمويه . وترجمتهما طويلة فى الأغانى ، قال صاحبها : « كان عبد الملك بن مروان يتمثّل بهذه الأبيات لشَبيب بن البرصاء ، فى بذل النفس عند اللقاء ، ويَعجب منه[1] » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون[2] :

٦٢ (فإنّ فؤادى عندَكِ الدهرَ أجمَعُ)

صدره : (فإنْ يكُ جُثمانى بأرضٍ سواكم)

على أن الضمير انتقل من متعلَّق الظرف إلى الظرف وهو (عندك) . ووجه الدلالة أنه ليس قبل (أجمع) ما يصح أن يحمل عليه ، إلا اسم إنّ والضمير الذى فى الظرف والدهر ، فاسم إنّ والدهر منصوبان ، فبقى حمله على المضمر فى عندك . قال ابن هشام : « هذا هو المختار ، بدليلين : أحدهما امتناع تقديم الحال فى نحو : زيد فى الدار جالسا ، ولو كان العامل الفعل لم يمتنع . ولقوله :

* فإن فؤادى عندكِ الدهرَ أجمَعُ *

---

(١) الأغانى ١١ : ٩٤ . وترجمته شبيب فيها ١١ : ٨٩ — ٩٤ . وترجمة عقيل بن علفة فيها ١١ : ٨١ — ٨٩ .

(٢) العينى ١ : ٥٢٥ والهمع ١ : ٩٩ وابن الشجرى ١ : ٥ ، ٣٣٠ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٨٦ وسمط اللآلى ٥٠٥ .

فأكّد الضمير المستتر فى الظرف ، والضمير لا يستتر إلا فى عامله ؛ ولا يصح أن يكون توكيداً لضمير محذوف مع الاستقرار ، لأن التوكيد والحذف متنافيان ؛ ولا لاسم إنّ على محله من الرفع بالابتداء ، لأن الطالب للمحلّ قد زال » .

وقوله (بأرض سواكم) قال أبو عبيد البكرى فى شرح نوادر أبى على القالى : « يروى بأرضِ سواكم على الإضافة ، وهذا بيّن ؛ ويروى بأرضٍ سواكم يريد بأرضٍ سِوى أرضكم لحذف المضاف وأقام المضاف إليه مُقامه » اهـ . وقوله (عندكِ) بكسر الكاف ، فإنه خطابٌ لامرأة . فإن قلت : فكيف قال (سواكم) ؟ قلت : قد تخاطب المرأة بخطاب جماعة الذكور مبالغة فى سترها ، ومنه قوله تعالى : « فقالَ لِأهْلِهِ امكثُوا » .

ابيات الشاهد — وهذا البيت من قصيدة لجميل بن مَعْمَر يتغزّل فيها بمحبوبته بُثينة . وما قبله :

١٩١ (ألا تتّقِين اللهَ فيمن قتلتِهِ فأمسى إليكم خاشعاً يتضرّع[1])

وبعده :

(إذا قلتُ هذا حينُ أسلُو وأجترِى على هجرها ظلّت لها النفسُ تَشفعُ
ألا تتقِينَ الله فى قتلِ عاشق له كَبِدٌ حَرّى عليك تَقطّع
غريبٍ مَشوق مُولَعٍ بادّكاركم وكلُّ غريب الدار بالشوق مولَع
فأصبحتُ مما أحدث الدهرُ موجَعا وكنتُ لريب الدهر لا أتخشّعُ
فيارَبِّ ، حبّبنى إليها وأعطنى الــمودّة منها ، أنت تعطى وتمنع)

(١) ط : « فيما قتلته » ، صوابه ل ـــ .

ورأيت فى تذكرة أبى حيّان أن البيت لكثيِّر عزّة[1] ، وقال : بعده :

(إذا قلت هذا حينُ أسلو ذكرتها   فظلّت لها نفسى تتوق وتنزِع

والصواب ما قدّمناه .

جميل بن معمر العذرى

و (جميل) هو جميل بن عبد الله بن مَعْمَر ، كذا قال ابن الكلبى وفى اسم أبيه فمن فوقَه خلاف ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف[2] . وصاحبته بثينة . وهما من عُذرة . ويكنى أبا عمرو . وهو أحد عشّاق العرب المشهورين . وكانت بثينة تكنى أمّ عبد الملك ؛ ولها يقول جميل :

يا أمّ عبدِ الملك اصرِمينى   وبيِّنى صرمَك أوْ صِلينى

ويقال أيضاً : إنّه جميل بن معمر بن عبد الله . والجمال والعشق فى عُذرة كثير . وعشقِ جميل بثينةَ وهو غلام صغير ، فلما كبر خطبها فرُدّ عنها ، فقال فيها الشعر ؛ وكان يأتيها وتأتيه — ومنزلها[3] وادى القُرى — فجمع له قومُها جمعاً ليأخذوه ، فحذّرته بثينة ، فاستخفى وقال :

ولو أنّ ألفاً دونَ بَثنة كلُّهم   غيارى وكلٌّ مزمِعون على قتلى

لحاوَلتُها ، إمّا نَهاراً مُجاهراً   وإما سُرى ليل ، ولو قطعوا رجلى

وهجا قومَها فاستعدَوا عليه مرْوان بن الحكم — وهو على المدينة من قِبل معاوية — فنذر ليقطعنّ لسانه . فلحق بجُذام فقال :

أتانىَ عن مرْوان بالغيب : أنه   مُقيدٌ دمى أو قاطعٌ من لسانيا

ففى العيس مَنجاةٌ وفى الأرض مَذهبٌ   إذا نحن رفّعنا لهنّ المثانيا

---

(١) انظر ديوان كثير ١ : ٣٣ وديوان جميل ١١٨ .

(٢) المؤتلف والمختلف ٧٢ .

(٣) ط : « ومنزلها » ، صوابه فى ~ .

فأقام هناك إلى أن عُزل مرْوان ، ثم انصرف إلى بلده . ومن شعره فيها :

عَلِقتُ الهوى منها وليداً فلم يزل ... إلى اليوم ينمى حبُّها ويَزيدُ
وأفنيت عُمرى بانتظار نوالها ... فباد بذاك الدهرُ وهو جديدُ
فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ... ولا حبُّها فيما يَبيد يَبيدُ

ويستجاد له قوله :

خليلىّ فيما عِشتما هل رأيتما ... قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلى

وقالت بثينة ، ولا يُعرف لها شعرٌ غيره :

وإنّ سُلوّى عن جميل لَساعةٌ ... من الدهر ما حانت ولا حانَ حينُها
سواء علينا يا جميل بن مَعمَر ... إذا مُتّ بأساء الحياة ولينُها

١٩٢ وترجمة جميل فى الأغانى طويلة جدّاً ، وما ذكرناه ملخّص من طبقات الشعراء لابن قتيبة .

من اسمه جميل وذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف ثلاثةً ممن اسمُه جميل : أحدهم هذا . والثانى : جميل بن المعلّى الفَزارى وهو شاعرٌ فارس ، ومن شعره :

فلا وأبيك ما فى العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

والثالث جميل بن سِيدَان الأسدىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون[1] :

(١) الخصائص ٢ : ٣٨٦ والهمع ١ : ١٧٣ ، ٢/٢٢٠ : ١٣٠ ، ١٤٠ وابن الشجرى ١ : ١٨٠ وشرح شواهد المغنى ٢٦٣ وأمالى الزجاجى ٨١ وتحرير التحبير ١٤٥ . وسيكرر هذا الشاهد فى الرقم ١١٤ ، فهو سهو من البغدادى .

٦٣ (الا يا نخلةً مِنْ ذات عِرْقٍ عليكِ ورَحمةُ اللهِ السلامُ)

لِمـا تقدّم فى البيت قبله ، بدليل العطف عليه . فإنّ قوله (ورحمة الله) عطف على الضمير المستكنّ فى (عليـك) الراجع إلى (السلام) ، لأنه فى التقدير : السّلام حصَل عليكِ ، فحذف حصَل ونقل ضميره إلى عليك واستتر فيه . ولو كان الفعل محذوفاً مع الضمير لزم العطف بدون المعطوف عليه .

وبهذا البيت سقط قول ابن خروف بأنّ الظرف إنما يتحمل الضمير إذا تأخر عن المبتدأ . قال ابن هشام فى المغنى : « قول ابن خروف مخالفٌ لإطلاقهم ولقولِ ابن جنّى فى هذا البيت : إنّ الأولى حملُه على العطف على ضمير الظرف لا على تقـديم المعطوف على المعطوف عليه . وقد اعتُرِض بأنه تخلّص من ضرورة بأخرى ، وهو العطف مع عدم الفصل ، ولم يُعترَض بعدم الضمير . وجوابه : أن عدم الفصل أسهَل لوروده فى النثر ، كمررت برجلٍ سواءٍ والعدمُ ، حتى قيل : إنه قياس » اهـ .

وإنّما نسب الأولوّية إلى ابن جـنّى لأنه ذهب — تبعاً لغيره — فى حرف الواو من المغنى إلى أنه من باب تقدم المعطوف على المعطوف عليه ، وأنه من خصائص الواو .

وما زعمه الدمامينى فى الاختصاص : بأن السعد قال فى شرح المفتاح إنّ تقديم المعطوف جائز بشرط الضرورة ، وعدمِ التقديم على العامل ، وكونِ العاطف أحد حروف خمسةٍ : الواو ، والفاء ، وثمّ ، وأو ، ولا ، صرّح به المحقّقون . وقال ابن السِّيد فى شرح أبيات الجمل : مذهب الأخفش أنّه أراد : عليك السلام ورحمة الله ، فقدّم المعطوف ضرورة ؛ لأن السلام عنده فاعلُ عليك . ولا يلزم هذا سيبويه لأن السّلام عنده مبتدأ ، وعليك خبره ، ورحمة الله معطوف على الضمير المستتر .

وأنشد ثعلب فى أماليه[1] هذا البيت هكذا :

(ألا يا نخلةً من ذاتِ عِرق   بَرُودَ الظلّ شاعَكُمُ السلامُ)

شاعكم : تبعكم ، وعليه لا شاهد فيه . وأنشده صاحب الجمل فى باب النداء . قال اللخمىّ : ونخلة : منادى منكر وهو الشاهد . وحكى الأعلم : أن كل نكرة تؤنث فلا تكون إلاّ منصوبة وإن كانت مقصودة معيّنة . ونخلة عنده منادى مقصود ولكن لما نوّنها نصبها . قال : وذات عرق : موضع بالحجاز . وسلّم على النخلة لأنه مهدُ أحبابه وملعبُه مع أترابه ؛ لأن العرب تقيم المنازلَ مقام سُكّانها فتُسلِّم عليها وتكثر من الحنين إليها . قال الشاعر : ١٩٣

وكمثل الأحباب ، لو يعلم العا   ذلُ ، عندى منازلُ الأحبابِ

ويحتمل أن يكون كنى عن محبوبته بالنخلة لئلا يشهرَها ،وخوفاً من أهلها وأقاربها . وعلى هذا الأخير اقتصر ابن أبى الإصبع فى تحرير التحبير فى باب الكناية ، قال : ومن نخوة العرب وغَيرتهم كنايتهم عن حرائر النساء بالبَيض ؛ وقد جاء القرآن العزيز بذلك فقال سبحانه : « كأنّهُنّ بَيضٌ مَكْنُونٌ » ، وقال امرؤ القيس :

وَبيضةِ خدر لا يُرامُ خِباؤها   تمتّعت من لهوٍ بها غير مُعجَل[2]

ومن مليح الكناية قول بعض العرب :

ألاَ يا نخلةً من ذات عِرقٍ   عليك ورحمة الله السلامُ
سألتُ الناسَ عنكِ فخبّرونى   هَناً مِنْ ذاكِ تكرهه الكرامُ
وليس بما أحلّ اللهُ بأسٌ   إذا هو لم يخالطه الحرام

(١) مجالس ثعلب ٢٣٩ .
(٢) ط :« وبيضة خلد... تمتمت عن لهو » ، صوابه فى س .والبيت معروف فى معلقته .

فإنّ هذا الشاعر كنى عن المرأة بالنخلة ، وبالهَناة عن الرفث . فأمّا الهناة فمن عادة العرب الكناية بها عن مثل ذلك ، وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن ظريف[1] الكناية وغريبها » اهـ .

وقال شرّاح أبيات الجُمَل وغيرهم : بيت الشاهد لا يُعرف قائله ، وقيل هو للأحوص . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون ، وهو من شواهد س[2] :

٦٤ (أَحقًّا بنى أبناءِ سَلمى بن جَندَلٍ
تَهدُّدُكم إيایَ وسْطَ المجالسِ)

على أنّ (تهدّدكم) فاعل الظرف أعنى قوله (حقًّا) لاعتماده على الاستفهام ؛ والتقدير : أفى حقٍ تهددكم إياى ؟ كما قال الآخر :

* أفى الحقّ أنّى مُغرمٌ بك هائم[3] *

وجاز وقوعه ظرفاً وهو مصدر فى الأصل لما بين الفعل والزمان من المضارعة ، وكأنه على حذف الوقت وإقامة المصدر مقامه ، كما قالوا : آتيتك خُفوقَ النجم ، أى وقت خفوق النجم ، فكأنّ تقديره : أفى وقت حق .

وقال ابن الشجرى فى أماليه : قالوا حقًّا إنّك ذاهب ، وأكْبرَ ظنى أنك مقيم ؛ يريدون : فى حق ، وفى أكبر ظنى .

---

(١) فى تحرير التحبير : « طريف » ، بالمهملة .

(٢) سيبويه ١ : ٤٦٨ .

(٣) لعائذ بن المنذر ، كما فى العينى ٣ : ٨١ وشرح شواهد المغنى ٦٣ . وعجزه :
* وأنك لا خل هواك ولا خمر *

ولك فى أنّ مذهبان : فمذهب سيبويه والأخفش والكوفيين رفعُ أنّ بالظرف ؛ وكلّ اسمِ حدَثٍ يتقدّمه ظرف يرتفع عند سيبويه بالظرف ارتفاعَ الفاعل ، وقد مثل ذلك بقوله : غداً الرحيلُ ، وأحقًّا أنّك ذاهب ، قال : حملوه على أفى حقّ أنّك ذاهب [والحق أنّك ذاهب[1]] . والمذهب الآخر مذهب الخليل ، وذلك أنه يرفع اسم الحدث بالابتداء ويخبر عنه بالظرف المتقدم . حكى ذلك عنه سيبويه فى قوله : وزعم الخليل أنَّ التهدد ها هنا بمنزلة الرحيلُ بعد غد وأنّ أنّ بمنزلته ا هـ . وقال ابن هشام فى مغنى اللبيب : أنّ وصلَتها مبتدأ والظرف خبره ؛ وقال المبرد : حقاً : مصدر لحقّ محذوفاً ، وأنّ وصلتها فاعل ا هـ .

وقد استشكل النّحاس قول الخليل أنّ التهدّد هنا بمنزلة الرحيل بعد غد . . الخ ، فقال : وهذا مشكل ، وسألت عنه أبا الحسن فقال : لأنك تقول أحقًّا أن تهدّدوا ، وكذا أحقًّا أنك منطلق ، قال : فحقًّا عنده ظرف كأنه قال : أفى حقٍ انطلاقك ؛ قال : وحقيقته أزَمنَ حقّ أنك منطلق[2] ؟ مثل « واسألِ القَرْيةَ » . ١٩٤

قال محمد بن يزيد : لم يُجز الخليل كسر إنّ هنا ، لأنه يكون التقدير : إنك ذاهبٌ حقاً ، ثم تقدّم ؛ ومحال أن يعمل ما بعد إنّ فيما قبلها . ولو كان العامل فيها جاز فيه التقديم والتأخير نحو حقاً ضربت زيداً ؛ ولا يجوز حقاً زيد فى الدار ، فلذلك اضطر إلى تقدير (فى) . وإن قلت : أحقاً أنك ذاهب ، جاز لأن العامل معنى . ا هـ[3] . قال النحّاس : وسمعت أبا الحسن يقول :

---

(١) التكملة من ش .

(٢) ط : « وحقيقية أن من حق أنك منطلق » ، صوابه فى ش .

(٣) ش : « وإن شئت قلت آحق أنك ذاهب جاز لأن العامل معنى أما » .

نظرت فى (أحقا) فلم أجد يصحّ فيه إلاّ قولُ سيبويه : على حذف فى ا هـ .
أراد بهذا الردَّ على الجرمى فإنه قال فى هذا البيت ونحوه : هو على التقديم والتأخير ، ولا يكون على ما قاله سيبويه : من أنه ظرف ؛ لأن الظرف لم يجىء مصدراً فى غير هذا . وهذا الذى قاله قبيح من جهة أن ما ينتصب لدلالة الجملة عليه متقدم . قال أبو على فى التذكرة هذا ليس بالحسن ، على أن سيبويه قال : غيرَ ذى شكّ أنه خارج . وقولهم : غيرَ ذى شك ، فيه دلالة على جواز نصب حقاً على الظرف ؛ ألا ترى أنه إنما أجاز تقديمه حيث كان غير ذى شك بمنزلة حقاً وفى معناه ؛ فلولا أن حقاً فى معنى الظرف عندهم لم يستعملوا تقديم ما كان فى معناه ، إذ العامل إذا كان معنى لم يتقدّم عليه معموله ؛ فلولا أن حقّا بمنزلة الظرف لَمَا تقدّم على العامل فيه وهو معنى . ويؤكد ذلك أيضاً قولهم : أ كبرَ ظّنى أنك منطلق ، فإجراؤهم إياه مجرى الظرف يدلّ على أن حقاً أيضاً قد أجرىَ مجرى الظرف ، إذْ كانا متقاربَى المعنى . وقد أجرى الجرمىّ هذه الأبيات التى أنشدها سيبويه على أنّها محمولة على المصدر ، وأن ما بعد المصدر محمول على الفعل أو على المصدر ، فإما أن يعمل فيه المصدر وإما أن يعمل فيه الفعل العامل فى المصدر . وهذا الذى أجازه جائز غير ممتنع وهو ظاهر . وقد كنت سألت أبا بكر عنه فقلت : ما تنكر أن يكون محمولا على الفعل ؟ فأجاز ذلك ولم يمتنع منه » ا هـ .

و (بنى) منادى مضاف لما بعده . و (سَلمى) بفتح السين . وروى (وعيدكم) بدل تهددكم . (وسْط) بسكون السين : ظرف بمعنى بيَن .

وهذا البيت للأسوَد بن يَعفُر ، أول أبيات أربعة . وهذا ما بعده : — صاحب الشاهد

(فهلاّ جعلتم نحوَه من وعيدكم على رَهط قَعقاعٍ ورهطا بن حابس ! — أبيات الشاهد

هُمُ منعوا منكم تُراثَ أبيكم فصار التراثُ للكرام الأكايس
وهُمْ أوردوكم ضَفّة البحر طاميا وهم تركوكم بَيْن خازٍ وناكس)

نحوه : أي مثله ، أي مثل ما هدّدتمونى به . والأكايس : جمع أكيَس ، من الكِياسة وهى الظَّرافة . والضَّفّة بالفتح والكسر : جانب البحر والنهر والبئر . وطامياً : من طما الماء يطمو طُموّاً ويَطمى طُميّا فهو طامٍ : إذا ارتفع وملأ النهر ، وهو بالطاء المهملة . وخازٍ : من خزِىَ بالكسر يخزى خِزياً ؛ إذا ذلّ وهان . والناكس : المطأطئ رأسه .

سبب الأبيات

والسبب فى هذه الأبيات كما فى الأغانى[1] : أن أبا جُعَل أخا بنى عمرو ابن حنظلة من البراجم ، جمع من شُذّاذ أسد وتميم وغيرهم ؛ فغزوا بنى الحارث ابن تَيم الله بن ثعلبة ، فنَذِروا بهم وقاتلوهم قتالا شديداً حتى فَضّوا جمعهم ؛ فلحق رجل من بنى الحارث بن تيم الله بن ثعلبة جماعةً من بنى نَهشل فيهم جرّاح بن الأسود بن يعفر ، وحُرير بن شمر بن هِزّان[2] بن زهير بن جَندل ، ورافع بن صُهَيب بن حارثة بن جندل ، وعمرو والحارث ابنا حرير[3] بن سَلمى ابن جَندل ؛ فقال لهم الحارثى : هلمّ إلى يا طلقاء فقد أعجبنى قتالكم ، وأنا خير لكم من العطش . قالوا : نعم . فنزل ليجزّ نواصيهم ، فنظر جرّاح بن الأسود إلى فرسه[4] فإذا هو أجْوَد فرس فى الأرض — يقال لها العَصماء — فوثب فركبها ونجا عليها . فقال الحارثى للذين بقُوا معه : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعم ، نحن لك عليه خفراء . فلمّا أتى جرّاح أباه أمَرَه فهرب بها فى بنى سعد فابتطَنَها

(١) الأغانى ١١ : ١٣١ — ١٣٢ .
(٢) ـــ : « هزال » .
(٣) فى الأغانى : « ابنا حدبى » .
(٤) الأغانى : « إلى فرس من خيلهم » ، أى من خيل رهط الحارثى .

ثلاثةَ أبطُن — وكان يقال لها العصماء — فلما رجع النفر النهشليّون إلى قومهم قالوا : إنا خفراء فارسِ العَصماء ، فوالله لناخذنّها . فأوعدُوه ، وقال حُرير ورافع : نحن الخفيران لها — وكان بنو جرول حلفاء بنى سَلمى بن جندل ، على بنى حارثة بن جندل — فأعان على ذلك التيّحان بن بَلْج بن جَروَل بن نهشل . فقال الأسود بن يعفر يهجوه :

أتانى ولم أخشَ الذى ابتَعثا به خفيرا بنى سَلمى حُريرٌ ورافع
همُ خيّبونى كلَّ يومِ غنيمةٍ وأهلكتُهمْ لو أنّ ذلك نافع

وسيأتى إن شاء الله تعالى شرح هذا مع بقية الأبيات فى آخر الكتاب فى حروف الشرط .

قال : فلمّا رأى الأسود أنهم لا يقلعون عن الفرس أو يردّها أحلَفَهم عليها ، فحلفوا أنهم خفراء لها ، فردّ الفرس عليهم وأمسك أمْهارها ، فردُّوا الفرس إلى صاحبها ؛ ثم أظهر الأمهار بعد ذلك فأوعدوه فيها أن يأخذوها . فقال الأسوَد :

أحقًّا بنى أبناء سلمى بنَ جندل[1] . الأبيات الأربعة

و (الأسود) هو ابن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم . الأسود بن يعفر

قال السيوطى[2] : وجعله محمد بن سلاّم فى الطبقة الثانية مع خداش ابن زهير والمخبّل السعدى والنمر بن تولب[3] . وكنيته أبو الجرّاح . وكان ممن

(١) ط : « أحقا بنى اسماء سلمى بن جندل » ، صوابه فى ش .
(٢) شواهد المغنى للسيوطى ٥٢ ، ١٨٨ .
(٣) هذا خلط ، فإن ابن سلام وضع الأسود مع خداش والمخبل فى الطبقة الخامسة . ابن سلام ١١٩ . وأما النمر بن تولب فهو عنده فى الطبقة الثامنة ص ١٢٣ .

يهجو قومه . وترجمه الآمدى فى المؤتلف والمختلف فيمن لقب بالأعشى ، فقال : ومنهم أعشى بنى نهشل وهو الأسود بن يعفر بن الأسود بن حارثة ابن جندل بن نهشل بن دارم ، الشاعر المشهور اهـ .

وفى الصحاح « الأسود بن يعفر الشاعر إذا قلته بفتح الياء لم تصرفه لأنه مثل يقتل . وقال يونس : سمعت رؤبة يقول أسود بن يُعفر بضم الياء — أى وبضم الفاء أيضاً — وهذا ينصرف لأنه قد زال عنه شبه الفعل » اهـ .

وهو شاعر مقدَّم فصيح من شعراء الجاهلية . ليس بمكثر . وله القصيدة المشهورة التى أولها :

نام الخلىُّ وما أُحِسُّ رقادى ... والهمُّ محتضر لدىَّ وِسادى

وفيها أبياتٌ شواهد فى المغنى لابن هشام تشرح هناك إن شاء الله تعالى ، وهى من مختار أشعار العرب ، وحكمُها مأثورة .

وكان ينادم النعمان بن المنذر . ولما أسنَّ كُفَّ بصره ، فكان يقاد إذا ذهب إلى موضع .

وابنه (الجرّاح) وأخوه حُطائط شاعران . ومن شعر حُطائط ، يقول لأمه وقد عاتبته على جوده :

أَرِينى جواداً مات هُزلاً لعلَّنى ... أرى ما تَرَينَ أو بخيلا مخلّدا

١٩٦ ذرينى أَكنْ للمال ربًّا ولا يكن ... لىَ المالُ ربًّا تَحمَدى غِبَّهُ غدا

ذرينى يكن مالى لعرضى وِقايةً ... يقى المالُ عرضى قبلَ أن تبدّدا[1]

* * *

(١) ط : « فنى المال » ، صوابه فى ش .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون ، وهو من شواهد س[(١)] :

٦٥ (أكلَّ عامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَهْ)

على أنه بتقدير (حِوايةُ نَعَم) ليصح الإخبار عن اسم العين باسم الزمان ، فإن قوله (أكلّ عام) منصوب على الظرف فى موضع خبر لقوله (نَعَمٌ) فوجب تقدير مضاف . وقدّره الشارح المحقّق (حِواية) بدليل تحوونه ؛ وهو مصدر حَوَيت الشيء أحويه : إذا ضممته واستوليت عليه وملكته . وقدّره ابن الناظم فى شرح الخلاصة (إحرازُ نَعم) . وقدّره ابن هشام (نَهْبُ نَعَم) . وقدره ابن خلف (أخذ نعم) أو تحصيل نعم . وقال النحاس : كان المبرّد يذهب إلى أن المعنى : أكلَّ عام حدوث نَعَم ! فيكون كلّ منصوبا بالحدوث كما تقول : الليلة الهلالُ . قال أبو الحسن ردّا عليه : ليس النعم شيئاً يحدُث لم يكن ، كيوم الجمعة وما أشبهه ، ولكن العامل فى كلّ الاستقرارُ والخبرُ محذوف كأنه قال : نَعَمٌ تحوونه لكم اهـ .

أقول : المبرد قدّر هذا المضاف لصحة الإخبار ، لا لأنه عامل فى الظرف . وكيف يكون العامل فى كلّ الاستقرار مع كون الخبر محذوفا مقدّراً بلكم ! فتأمل .

وقدّر صاحب اللبّ المحذوفَ مثلَ المبرّد ، قال شارحه : « يحتمل أن يكون مراده أن المضاف هنا محذوف ، أى أحدوث نعم حصل فى كلّ عام ، أو أحصل فى كلّ عام حدوث نعم ؛ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، فيكون المبتدأ أو العامل فى التقدير حدثاً غير مستمرّ . وأن يكون مراده أنّ

---

(١) سيبويه ١ : ٦٥ . وانظر العينى ١ : ٥٢٨ والإنصاف ٦٢ والمخصص ١٧ : ١٩

للنعم فى نفسه تجدّداً وحدوثاً فى كلّ عام كما أن فى نفس الهلال تجدّداً وحدوثاً فى كل شهر » اهـ .

وفهم من كلامه شيئآن :

الأول الردّ على أبى الحسن فى قوله : « ليس النعم شيئاً يحدث » . والثانى : أنّ نَعَما لا يتعين أن يكون مبتدأ ، بل يجوز أيضاً أن يكون فاعل الظرف . ومثله قال ابن هشام فى شرح الشواهد : « الأحسن أن يكون نَعَمٌ فاعلا بالظرف لاعتماده فلا مبتدأ ولا خبر ، ومع هذا فلا بد من التقدير أيضاً ، لأنه لأجل المعنى لا لأجل المبتدأ ؛ إذ الذى يحكم له[1] بالاستقرار هو الأفعال لا الذوات » اهـ .

وأورد س هذا البيت على أن جملة تحوونه صفة لنعم . واستشهد به أيضاً صاحب الكشاف على تذكير الأنعام فى قوله تعالى : « وإنّ لكم فى الأنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فى بُطونهِ » ، لأنه مذكّر ، كما ذكّر الشاعر الضمير المنصوب فى تحوونه الراجع إلى النعم ، لأن (النَّعَمَ) اسم مفرد بمعنى الجمع ، قال الفراء : هو مفرد لا يؤنث ، يقال هذا نَعَمٌ وارد . وقال الهرَوىّ : والنعم يذكر ويؤنث وكذلك الأنعام تذكر وتؤنث ؛ ولهذا قال : مما فى بطونه ، وفى موضع آخر : مما فى بطونها . قال الراغب فى موضعٍ : النعم مختصّ بالإبل . قال : وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة . ثم قال : لكن الأنعام يقال للإبل والبقر والغنم ، ولا يقال لها أنعام حتى يكون فيها إبل . وقال فى قوله تعالى « مما يأكل الناسُ والأنْعام » : إن الأنعام هاهنا عامٌّ فى الإبل وغيرها . ١٩٧

(١) فى ط : « عليه » .

ورُوى أيضاً : (فى كلِّ عامٍ) بالجارّ بدل الهمزة ، والهمزة للاستفهام الإنكارى . وبعده :

(يُلقِحُــه قومٌ وتَنتِجونَهْ أربابُه نَوْكَىٰ فلا يَحمونَهْ)
(ولا يُلاقون طعانًا دونَهْ أَنَعَمَ الأبنـاء تحسبُونَهْ)
(أَيْهاتَ أَيْهات لِما ترجونَهْ)

يقول : يحملون الفُحولة على النُّوق ، فإذا حملت أغرتم أنتم عليها فأخذتموها وهى حَوامل فتلِد عندكم . يقال : ألقح الفحل الناقة : إذا أحبلها . واللَّقاح كسحاب : ماءُ الفحل . وتَنتِجونه ، بتاء الخطاب ، يقال : نتجَ الناقةَ أهلُها أى استولدوها ، وأنتجتِ الفرَسُ بالهمزة : حان نِتاجها . قال صاحب المصباح : « النتاج بالكسر اسم يشمل وضع البهائم من الغنم وغيرها . وإذا ولىَ الإنسان ناقةً أو شاة ماخِضاً حتّى تضع قيل : نتجها نتْجاً من باب ضرب ، فالإنسان كالقابلة لأنه يتلقّى الولد ويصلح من شأنه ؛ فهو ناتج ، والبهيمة منتوجة ، والولد نتيجة . والأصل فى الفعل أن يتعدى إلى مفعولين فيقال نتجها ولداً ، لأنه بمعنى ولّدها ولداً . ويبنى الفعل للمفعول فيحذف الفاعل ويقام المفعول الأول مُقامه . ويقال : نُتجت الناقةُ ولداً إذا وضعته ويجوز حذف المفعول الثانى اقتصاراً لفهم المعنى ، فيقال : نُتجَتِ الشاةُ . ويجوز إقامة المفعول الثانى مقام الفاعل وحذف المفعول الأول لفهم المعنى فيقال : نُتج الولدُ ونُتجت السخلةُ أى وُلدت[1] . وقد يقال : نَتجت الناقةُ ولداً ، بالبناء للفاعل على معنى ولدت أو حملت . قال السَّرقُسْطىّ : نتج الرجلُ الحاملَ : وضعت عنده ، ونَتَجت هى أيضاً : حملت ، لغة قليلة . وأنتجت الفرسُ وذو الحافر بالألف : استبان حملها فهى نتوج » اهـ .

(١) بعده فى المصباح : « كما يقال أعطى درهم » .

وهذا التفصيل لا يوجد فى غير هذا الكتاب ، ولهذا نقل برمّته .

ونَوكَى بفتح النون : جمع أنْوَك ، وهو الأحمق الضعيف التدبير والعمل ؛ والاسم النُّوك بالضم والفتح ، نوِك كفرح نَوا كة ونَوَكا محرّكة واستنوك ، وهو أنوَك ومستنوِك ، والجمع نوكَى كسكرى ونُوك كهوج ، وامرأة نَوكاء من نُوك أيضاً . وأنوَكه : صادفه أنوَكَ وقوله : فلا يحمونه ، أى لا يمنعون من أراد الإغارة عليه . والأبنـاء : كلّ بنى سعد بن زَيد[1] إلاّ بنى كعب بن سعد[2] . وتحسبونه بالخطاب أيضاً . وأيهات : لغـة فى هيهات . وقوله : لما ترجونه ، بالخطاب أيضاً ، أى رَجوا أن يدوم لهم هذا الفعل فى الناس فمنعناهم منه وحمينا ما ينبغى أن نحميَه .

وهذه الأبيات قيلت فى يوم الـكلاب الثانى ، فإن للعرب فيـه يومين عظيمين . وهو بضم الـكاف وتخفيف اللام ، وهو ماء لبـنى تميم بين الـكوفة والبصرة .

يوم الـكلاب الثانى

وكان من حديث هذا اليوم على ما فى شرح المناقضات وفى الأغانى[3] : أنه لما أوقع كسرى ببنى تميم — وذلك أنهم كانوا أغاروا على لَطيمته فلجئوا إلى الـكُلاب ، وذلك فى القَيظ ، وقد أمنوا أن تُقطَع عليهم تلك الصحارى ، فدلّ عليهم بنو الحارث بن عبـد المَدان فقتلت المقـاتلة وبقى الذرارىّ والأموال — بلغ ذلك مَذحِجاً فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا : اغتنموا بنى تميم ، ثم بعثوا الرسل فى قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة ، فقالت مذحج للمأمور

١٩٨

(١) ط : « كل بنى سعد وبنى يزيد » ، صوابه فى ~~ مع أثر تصحيح ، وجمهرة ابن حزم ٢١٥ .

(٢) وكذا عمرو بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم ، قال ابن حزم : « فإنهما يدعون البطون » .

(٣) النقائض ١٠٧٢ والأغانى ١٥ : ٧٠ .

الحارثى الكاهن : ما ترى ؟ فأشار بالكفّ عن غزوهم . وزعموا أنه اجتمع من مذحج ولفّها اثنا عشر ألفاً — فكان رئيسَ مَذحج عبدُ يغوث بن وقّاص[(١)] ، ورئيس همْدان رجلٌ يقال له ليشْرَح[(٢)] ، ورئيس كندة البَراء ابن قيس بن الحارث الملك — فأقبلوا إلى بنى تميم فبلغ ذلك سعداً والرِّباب ، فانطلق ناسٌ من أشرافهم إلى أكثم بن صيفى فاستشاروه . فقال : « أقلّوا الخلافَ على أمرائكم ، واعلموا أنّ كثرة الصياح من الفشل ، تثبّتوا فإنّ أحزم الفريقين الرَّكين ، وربّما عجلةٍ تهبُ ريثاً ، وابرُزوا للحرب ، وادّرعوا الليل فإنه أخفى للويل » . فلما انصرفوا من عند أكثم تهيئوا للغزو ، واستعدّوا للحرب . وأقبل أهل اليمن فى بنى الحارث من أشرافهم : يزيد بن عبد المَدان ، ويزيد بن المخرَّم ، ويزيد بن اليَكْسُم[(٣)] بن المأمور ، ويزيد بن هَوْبر ، حتى إذا كانوا بتَيمَن — وهى ما بين نجران إلى بلاد بنى تميم — نزلوا قريباً من الكُلاب ، ورجل من بنى زيد بن رياح بن يربوع يقال له مشمّت بن زنباع فى إبل له وهو عند خالٍ له من بنى سعدٍ ، ومعه رجل من بنى سعد[(٤)] يقال له زهير بن بوّ ، فلما أبصرهم المشمّت قال لزهير : دونك الإبل . وتنحّى عن طريقهم[(٥)] حتّى أتى الحىّ فأنذرهم ، فأعدُّوا للقوم وصبّحوهم ، فأغاروا على النعم فأطرَدوه ، وجعل رجلٌ من أهل اليمن يقول :

---

(١) فى الأغانى : « عبد يغوث بن صلاءة ، وكذا فى معجم البلدان (كلاب) . ومنشؤه اختصار النسب ، فهو عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاءة بن المعقل . وانظر سائر نسبه فى الأغانى والمفضليات .

(٢) كذا فى ﺳ مع أثر تصحيح . وفى ط : « مشرح » وفى الأغانى : « مسرح » .

(٣) كذا فى ﺳ واضحا . وفى ط : « الطيسم » .

(٤) هذه الجملة ساقطة من الأغانى .

(٥) الأغانى : « وتنح عن طريقهم » .

فى كلّ عام نَعَم تنتابُهْ على الكُلاب غُيّباً أربابُهْ

فأجابه غلام من بنى سعد كان فى النَّعَم على فرس له ، فقال :

عما قليل يلحقن أربابه

وروى : عما قليل ستُرى أربابه

صلب القناة حازما شبابُهْ على جياد ضُمَّر غيابه

وأقبل بنو سعد والرِّباب — ورئيس الرِّباب النعمان بن جِسَاس ، بكسر الجيم وتخفيف السين ، ورئيس بنى سعد قيس بن عاصم . وأجمع العلماء على أن قيس بن عاصم كان الرئيس يومئذ — فقال رجل من بنى ضَبَّة [1] حين دنا من القوم — وقال شراح أبيات سيبويه : هو قيس بن حصين بن يزيد الحارثى — :

فى كلِّ عام نعم تحوونه . . . الأبيات

وتقدمت سعد والرِّباب فالتقَوا فى أوائل النـاس فلم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا النعم من قبل وجوهه فجعلوا يصرفونه بأرماحهم [2] ، واختلط القوم فاقتتلوا قتالا شديداً يومَهم ، حتَّى إذا كان آخرَ النهار قُتل النعمان بن جِساس ، وظنَّ أهل اليمن أنَّ بنى تميم ليسوا بكثير ، حتى قُتِل النعمان فلم يزدهم ذلك إلا جراءة ؛ فاقتتلوا حتَّى حجز بينهم الليل . فلما أصبحوا غدَوا على القتال [3] . فنادى قيس بن عاصم : يا آل مُقاعس — وهو الحارث بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم — فسمع الصوتَ وعلةُ بن عبد الله بن الجَرمىّ

(١) الأغانى : « فقال صبى » ، صوابه « ضبى » .

(٢) ط : « من قبل وجوهها فجعلوا يضربونها بأرماحهم » .

(٣) فى العقد ٥ : ٣٢٧ والأغانى ١٥ : ٧١ زيادة طريفة ، وهى : « فنادى قيس ابن عاصم يال سعد ، ونادى عبد يغوث يال سعد : قيس يدعو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة . فلما سمع ذلك قيس نادى : يال كعب . فنادى عبد يغوث : يال كعب . قيس يدعو كعب بن سعد ، وعبد يغوث يدعو كعب بن مالك .

وكان صاحب اللواء يومئذ فطرحه ، وكان أوّلَ من انهزم منهم ، وحملت عليهم سعد والرباب فهزموهم وجعل رجل منهم يقول :

يا قوم لا يُفلتْكم اليزيدانْ : يزيد حَزْن ويزيد الرّيانْ

مخرِّم أعنى به والدّيانْ

(مُخرِّم) هو ابن شُريح بن المخرِّم بن حَزن بن زياد بن الحارث بن مالك ابن ربيعة بن كعب بن الحارث . وهو صاحب المخرِّم ببغداد[1] .

١٩٩

وجعل قيس ينادى : يالَ تميم ، لا تقتلوا إلاّ فارساً فإنّ الرجالة لكم ! وجعل يأخذ الأسرى فما زالوا فى آثار القوم يقتلون ويأسِرون حتى أسروا عبد يغوث بن وقّاص . وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى باب المنادى عند شرح قوله :

فيا راكباً إمّا عَرضتَ فبلِّغنْ نَداماىَ من نجران أن لا تلاقِيا

وأما وَعْلة فإنّه لحق رجلاً من بنى نَهد يقال له سَليط بن قَتَب[2] فقال له وعلة : « أردفنى خلفك ! فإنى أتخوّف القتل » . فأبى أن يُردفه ، فطرحه عن قَرَبوسه وركب عليها[3] . وأدركت بنو سعد النهدىَّ فقتلوه ، فقال وَعْلة لما أتى أهله :

لما سمعتُ الخيلَ تدعو مُقاعِساً تطلّع منى ثُغرة النحر جائرُ[4]

يعنى القلب .

---

(١) انظر معجم البلدان (المخرم) ، ففى هذا خلاف .

(٢) هذا ما فى النقائض . وفى ط : « قثب » . وس : « قشب » .

(٣) س : « فأبى أن يردفه فنجا بحضر » .

(٤) ط : « حائر » وفى العقد : « ناحر » ، محرفتان عما فى س . وفى الأغانى : « علمت بأن اليوم أغبر فاجر » . والجائر : حر يؤذى الجوف عند الجوع .

نجوتُ نجاء ليس فيه وَتيرةٌ كأنّى عُقابٌ دون تَيمَنَ كاسرُ[١]
وقد قلت للنّهدىّ هل أنت مُردفى وكيف رداف الفَلِّ أُمُّك عابر ![٢]

من العبْرة ، يقول : عَبرتْ[٣] أُمُّك ، كيف تُردفنى وإنك فَلٌّ منهزم ؟ !

أُناشده والرُّحْمُ بينى وبينه وقد كان فى نَهدٍ وجَرم تدابُرُ[٤]

أى تقاطع وتباغض .

فمن يك يرجو فى تميمٍ هوادةً فليس لجرم فى تميم أواصر

أى قرابات .

فِدىً لكما رجلىّ أُمّى وخالتى غَداةَ الكُلاب إذ تُجَزّ الدوابر[٥]

وذلك أن قيس بن عاصم لما أكثر قومُه القتل فى اليمن أمَرهم بالكفّ عن القتل وأن يجزّوا عراقيبهم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون[٦] :

٦٦ (إلاّ جَبْرَئيلُ أمامُها)

---

(١) العقد : «عند تيماء» ، والأغانى : « دون تيماء »
(٢) عابر ، أى ثاكل ، كما فى الاشتقاق ٤٩٦ عند إنشاد هذا البيت وفى ط : « عاثر » ، صوابه فى ــ والاشتقاق واللسان (عبر) .
(٣) ط : « من العثرة يقول عثرت » ، صوابه فى ــ .
(٤) رواية العقد :

يذكرنى بالآل بينى وبينه وقد كان فى جرم ونهد تدابر

(٥) ط : « رحلى » بالمهملة ، صوابه فى ــ والمفضليات ١٦٥ وشرح المفضليات ٣٢ س ١٦ .
(٦) انظر الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ١ : ٣٠٩ .

وهو قطعة من بيت وهو :

(شَهِدنا فما نلقى لنا من كَتيبةٍ يدَ الدهر إلاَّ جبرئيلُ أمامُها)

على أنَّ الظرف الواقع خبراً إذا كان معرفة يجوز رفعه بمرجوحية ، والراجح نصبه ؛ وهذا لا يختص بالشعر خلافاً للجرمى والكوفييّن .

و (جبرئيل) مبتدأ . و (أمامُها) بالرفع : خبره ، والجملة صفة للكتيبة .

وقد أورد هذا البيت ابن هشام فى شرح بانت سعاد عند قوله :

* غلباء وَجناء عُلكومٌ مذكَّرة (١) *

وروى (نصرنا (٢)) بدل شهدنا . ثم قال : « قوافى هذا الشعر مرفوعة ، وإنّما استشهدتُ على جواز رفع الأمام ، لأنَّ بعض العصريّينَ وهِم فيه فزعم أنه لا يتصرَّف (٣) » اهـ .

وقوله (يدَ الدهر) بمعنى مدى الدهر ، ظرف متعلق بقوله نلقى . و (من) زائدة . و (كتيبة) مفعول لنلقى . و (لنا) كان فى الأصل صفة لكتيبة فلما قدّم صارَ حالاً منه . والكتيبة : طائفة من الجيش مجتمعة ، من الكَتْب وهو الجمع . ونلقى بالنون وبالقاف الفوقية من اللُّقِى ، يقال : لقِيته ألقاه من باب تعب لُقِيًّا ، والأصل على فُعول ، وكل شىء استقبل شيئاً أو صادفه فقد لقيه . و (شهدنا) من شهدت المجلس مثلا : إذا حضرته ، فالمفعول محذوف ، أى شهدنا غزواتِ النبى صلى الله عليه وسلم فما لقينا كتيبة . وعبّر بالمستقبل لحكاية الحال الماضية .

---

(١) عجزه ، كما فى حواشى ديوان كعب ١٠ .

* فى دفها سعة قدامها ميل *

(٢) ط : « نصرنا » .

(٣) ط « ينصرف » ، صوابه فى ش .

وهذا البيت لم أر من ذكره ابتداء إلاّ أبا إسحاق إبراهيم بن السرىّ الزّجاج فى تفسيره، أورده عند قوله تعالى: « قُلْ مَنْ كانَ عدُوًّا لجبريلَ » قال: « جبريل: فى اسمه لغات قد قرىء ببعضها، ومنها مالم يقرأ به؛ فأجود اللغات جَبرَئيل بفتح الجيم والهمز، لأن الذى يُرْوَى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى صاحب الصُّور: « جَبْرَئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ». هذا الذى ضبطه أصحاب الحديث. ويقال جَبْرِيل بفتح الجيم وكسرها؛ ويقال جَبْرَئل بحذف الياء وإثبات الهمزة؛ ويقال جِبرين بالنون، وهذا لايجوز فى القرآن لأنه خلاف المصحف قال الشاعر:

شهدنا فما نلقى لنا من كتيبة . . (البيت)

وهذا على لفظ مافى الحديث وما عليه كثير من القرّاء، وقد جاء فى الشعر جبريل، قال الشاعر:

وجِبريلُ رسولُ الله فينا[1] وروحُ القدس ليس له كِفاء اهـ

ولم يبيّن قائلَ البيتين. وقد بيّنهما الصاغانى فى العباب قال: « وجبرئيل اسم يقال: هو جبر أضيف إلى إيل، وجبر هو العبد وإيل هو الله تعالى وفيه لغات: جَبرَئيل كجبرعيل، وجَبْرَييل بغير همز .. وأنشد الأخفش لكعب بن مالك الأنصارى:

شهدنا فما نلقى من كتيبة . . (البيت)

ويقال جِبْرِيل كحزقيل وأنشد لحسّان بن ثابت.

وجبريل رسولُ الله فينا . . (البيت)

ثم ذكر بقية اللغات.

---

(١) ط: « منا ».

ونسبة ابن هشام فى شرح بانت سعاد ، وابن عادل فى تفسيره هذا البيتَ إلى حسّان غير صحيحة ، لأنه غير موجود فى ديوانه .

كعب بن مالك

و (كعب بن مالك) هو أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يردُّون الأذى عنه . وكان مجوِّداً مطبوعاً قد غلب عليه فى الجاهلية أمر الشعر ، وعُرِف به ، ثم أسلم وشهد العَقَبة — ولم يشهد بدراً — والمشاهدَ كلّها حاشا تَبُوك فإنّه تخلّف عنها . وقد قيل إنه شهد بدراً . وهو أحد الثلاثة الأنصار الذين قال الله فيهم : « وعلى الثلاثةِ الذينَ خُلِّفوا حتّى إذا ضاقَتْ عَلَيهمُ الأرْضُ(١) » الآية . والثانى والثالث : هلال بن أميّة ، ومُرارة ابن الربيع(٢) ، تخلفوا عن غزوة تبوك ، فتاب الله عليهم وعَذَرهم وغفر لهم ، ونزل القرآن المتلوّ فى شأنهم .

وتُوُفى كعب بن مالك فى مدّة معاوية سنة خمسين ، وقيل سنة ثلاث وخمسين وهو ابن سبع وسبعين سنة .

ولبِس كعبٌ يوم أُحد لأمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت صفراء ، ولبس النبي صلى الله عليه وسلم لأمته ؛ فجرح كعب أحد عشر جرحاً . ولما قال كعب :

جاءت سَخينةُ كى تُغالبَ ربَّها فليُغْلبنَّ مُغالِبُ الغَلّاب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا » .

وله أشعار حِسان جدًّا فى المغازى وغيرها ؛ كذا فى الاستيعاب .

(١) الآية ١١٨ من سورة التوبة .

(٢) فى تفسير الآلوسى : « ويقال فيه ابن ربيعة » .

وأورد له ابن هشام فى سيرته مما قاله يوم بدر[1] :

٢٠١ ألا هَل أتى غسّانَ فى نأى دارِها وأخـبرُ شيء بالأمور عليمُها
بأنْ قدْ رمتْنا عن قِسِىّ عداوةٍ مَعدٌّ معاً جُهّالُهـا وحليمُها
لأنّا عبدنا اللهَ لم نرجُ غيرَه رجاء الجنان إذْ أتانا زَعيمُها
نبىٌّ له فى قومه إرثُ عزّةٍ وأعراقُ صِدقٍ هذّبتها أرومُها
فساروا وسرنا فالتقينا كأنّنا أسود لقاء لا يُرَجّى كليمُها
ضربناهمُ حتى هوى فى مَكَرّنا لمنخر سوء من لؤىّ عظيمُها
فولّوا ودُسناهم ببيضٍ صوارمٍ سواء علينا حِلفها وصَميمُها

اهـ . وفى نسخة (نَفينةُ[2]) . وسخينة : لقب قريش ، قال فى الصحاح : والسَّخينة[3] : طعامٌ يُتّخذ من الدقيق دون العصيدة فى الرقّة وفوق الحساء . وإنّما يأكلون السخينة فى شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال ، وكانت قريش تعيَّر بها » اهـ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون ، وهو من شواهد س[4] :

٦٧ (فوَرَدنَ والعَيُّوقُ مقعَدَ رابِئْ الـ
ضُّرَباء خَلفَ النَّجم لا يتَتَلّعُ)

على أن (مقعد) ظرف منصوب وقع خبراً عن اسم عين ، وهو العيّوق .

(١) السيرة ٥٢٧ .
(٢) أى بدل « سخينة » ، والنفيتة : طعام أغلظ من السخينة .
(٣) كذا فى سـ والصحاح . وفى ط : « وسخينة » .
(٤) سيبويه ١ : ٢٠٥ . وانظر ابن يعيش ١ : ٤١ والميسر والقداح ١٣٣ والأزمنة والأمكنة ١ : ٢٠٧/٢:٢٠٩ والمفضليات ٤٢٤ والهذليين ١ : ٦ .

واستشهد به س على نصب المقعد على الظرفية مع اختصاصه به ، تشبيهاً له بالمكان ؛ لأن مقعد الرابئ مكانٌ من الأماكن المخصوصة ؛ وجاز عمل الفعل فى مثله ولم يجز فى « الدار » ونحوه ، لأنهم أرادوا به التشبيه والمَثَل ، فكأنهم قالوا : والعيوق من الثريا مكان قعود الرابئ من الضرباء ، فحذفوا اختصاراً وجعلوا المقعد ظرفاً لذلك ؛ ولا تقع الدار ونحوها هذا الموقع ، فلذلك اختلف حكمهما . كذا قال الأعلم .

وقال الإمام المرزوقى : « ومَقعَد — وإن كان مختصاً فى الأمكنة — جائزٌ أن يكون ظرفًا ؛ لانتقاله عن بابه إلى معنى القرب ، كما أن معقِدَ الإزار ومقعَد القابلة منقولان إليه وجعلا ظرفين ، وكما أن مَناط الثريّا ومَزجرَ الكلب نقلا إلى معنى البعد والإهانة وجعلا ظرفين » .

وقال السيرافى : « اعلم أن هذا الباب ينقسم قسمين : أحدهما يراد به تعيين المنزلة من بُعد أو قرب ، والآخر يراد به تقدير القرب والبعد . فأما ما كان من ذلك يراد به تعيين الموضع وذكر المحلّ من قرب أو بعد فإنه يجوز فيه النصب على الظرف والرفعُ على خبر الأول تشبيهاً ؛ والأكثر فيه النصب. ويدلّك على ذلك أنه تدخل الباء عليه فتقول : هو منّى بمنزلة ، كأنه قال : هو منى استقرَّ بمنزلة — والباء وفى بمعنى واحد — و : هو منّى بمزجر الكلب: إذا أردت هو مُهان مباعَد . فإذا نصبت فالناصب استقر ، وإذا رفعت فقلت : هو منى مقعدُ القابلة جعلته بمنزلة قولك : هو قريب كمقعد القابلة ، فإن قلت : هو منى مَناطُ الثريّا فكأنك قلت : هو بعيد . وجاز أن تكون هذه الأشياء ظروفًا ، لأنهم قد اتسعوا فيما هو من الأماكن أخصُّ من هذه فجعلوه ظرفًا ونصبوه — كقولهم : ذهبت الشامَ ، ودخلت البيتَ — تشبيهًا بالأماكن المحيطة كخلفَ وقدّام . قال سيبويه : إنما يجوز هذا فيما تستعمله

العرب ظرفاً من هذه الأماكن ، ولا يجوز القياس عليها » . اهـ

وهذا البيت من قصيدة مشهورة لأبي ذؤيب الهذلىّ يرثى بها أولاده ، عدتها اثنان وستون بيتاً ، مطلعها :

قصيدة الشاهد

(أمِنَ المنونِ وريبِها تتوجعُ والدهرُ ليس بمُعتِبٍ مَنْ يجزعُ)

ومنها :

(أودى بَنِيَّ وأعقبونى غُصَّةً بعدَ الرُّقاد وعَبرةً لا تُقلِعُ

فغبَرتُ بعدهمُ بعيشٍ ناصبٍ وإخالُ أنى لاحقٌ مستتبعُ

ولقد حَرَصت بأن أدافِعَ عنهم فإذا المنيّة أقبلتْ لا تُدفَعُ

وإذا المنيّة أنشبت أظفارَها ألفيتَ كلَّ تميمة لا تنفعُ

وتجلُّدِى للشامتِينَ أُريهمُ أنى لريب الدهر لا أتضعضعُ

والنفسُ راغبةٌ إذا رغَّبتَها وإذا تُرَدُّ إلى قليل تقنعُ

والدهرُ لا يبقى على حِدْثانه جَوْنُ السَراة له جدائدُ أرْبعُ)

على بمعنى مع . والحِدْثان بمعنى الحادثة . والسَّراة بفتح السين : أعلى الظهر ، وسراة كل شيء : أعلاه . والجون بفتح الجيم : الأسود المائل إلى الحمرة ؛ وأراد بجون السراة الحمارَ الوحشىّ . والجدائد : الأُتُن التى لا ألبان لها واحدها جَدود بفتح الجيم .

أخذ يسلّى نفسه ويقول : إنْ أُصبتُ ببَنِىّ فتكدّر بموتهم عيشى فإنّ الدهر لا يسلم على نوائبه عَيرٌ أسود الظهر له أتن أربع قد خفّت ألبانها . والمعنى : أن الوحش فى تباعدها عن كثير من الآفات التى يقاربها الإنس ، وفى انصرافها بطبعها وحَدْسها عن جُلّ مَراصد الدهر ، وعلى نفارها الشديد وحذارها

الكثير وبُعد مراتعها من الصيّاد — ليست تتخلص بجهدها من حوادث الدهر ، بل لابد من هلاكها .

وبعد هذا البيت وصفها بطيب العيش فى عشرين بيتاً ، إلى أن قال[1] :

فوردن والعيّوق مقعد . . . (البيت)

و (العَيّوق) : كوكب أحمر يطلُع حِيالَ الثريّا وفوقَ الجوزاء . و (المقعد) بفتح الميم : مكان القعود ، ويأتى مصدراً أيضاً . (والرابئ) مهموز الآخر : اسم فاعل من ربأهم ، من باب منع ، بمعنى علا وارتفع ورفع وأشرف ، كارتبأ . و (رابئ الضرباء) هو الذى يقعد خلف ضارب قِداح الميسر ، يرتبئ لهم فيما يخرج من القداح فيخبرهم به ، ويعتمدون على قوله فيه ؛ وهو مأخوذ من ربيئة القوم وهو طليعتهم . والضرباء : جمع ضريب ، ككريم وكرماء،وهو الذى يضرب بالقداح وهو الموكَّل بها ، ويقال له الضارب أيضاً . و (النجم) : الثريا . ويروى (فوق النظم) يعنى نظم الجوزاء[2] . و (يتتلع) يتقدم ويرتفع ، مأخوذ من التلعة . فقوله : والعيوق مقعد ، جملة اسمية حال من نون وردن ، يقول : وردت الأتن الماء والعيوقُ من النجم مقعدَ رابئ الضرباء من الضرباء ، أى خلفه لا يتقدَّم . وهذا إنما يكون فى صميم الحرّ عند الإسحار . وإنما قال : خلف النجم لأنك فى الصيف ترى المجرّة عند الإسحار كأنها ملويّة[3] فترى العيّوق متخلفاً عن الثريا . وهذا الوقت

---

(١) هذا يوهم أن قبل قول أبى ذؤيب « فوردن » عشرين بيتاً يصف بها ذلك ، وليس كذلك فإن قبله عشرة وبعده تسعة فيكون جميعها عشرين خصت بصفة ما ذكره . ففى العبارة تساع .

(٢) النظم : ثلاثة كواكب من الجوزاء .

(٣) جعلت فى ـــ : « كأنها مستوى » .

الذى أشار إليه هو وقت ورود الوحش الماء ، ولذلك يكمُن الصيّادون فيه عند المشارع ونواحيها .

ومقعد وخلف : منصوبان على الظرف ، وقع الأول خبرا لقوله : والعيّوق، والثانى بدلاً منه ؛ كأنه أراد : والعيّوق من خلف النجم مقعدَ رابئ الضَّرَباء من الضُّرباء ؛ فحذف من خلف ، لأن البدل وهو قوله : خلف النجم ، يدل عليه ، كما حذف من الضرباء لأن جملة الكلام يدلّ عليه . ويجوز أن يكون خلف النجم فى موضع الحال ، كأنّه قال : والعيّوق من النجم قريبٌ متخلّفاً عنه . ويجوز العكس فيكون خلف النجم خبر المبتدأ ، ومقعد حالاً ، والعامل فيه الظرف ، كأنه قال : والعيوق مستقرٌ خلف النجم قريبا . وجملة لا يتتلع ، إمّا خبر بعد خبر وإمّا حال بعد حال . قال أبو سعيد الضّرير : إنما اشترط التتلّع لأن العيّوق مادام متقدماً على الثريا ففى الزمان بقية من الأبارد — والأبارد : برد أطراف النهار — فإذا استوى العيّوق معها فقد بقى من الأبارد شىء قليل ، فإذا استأخر عنها استحكم الحرّ .

٢٠٣

ثم ذكر أبو ذؤيب ، فيما بعد هذا من أبيات ، أن الصياد كن لهن فأهلكها جميعا .

أبو ذؤيب الهذلى

و (أبو ذؤيب) اسمه خويلد بن خالدِ بن محرِّث بن زُبَيد بن مخزوم ابن صاهلة بن كاهل ، أخو بنى مازن بن معاوية بن تميم بن سعد بن هُذيل ابن مدركة بن الياس بن مضر . ومحرِّث بتشديد الراء المكسورة. وزبيد تصغير الزّبْد وهو العطية ، وقيل براء مهملة .

وكان هلك لأبى ذؤيب بنونَ خمسة فى عام واحد ، أصابهم الطاعون وكانوا هاجروا إلى مصرَ[1] . وهلك هو فى زمن عثمان رضى الله عنه

(١) للميمنى : « وفى التيجان أنهم كانوا قتلوا بذات الهجال ، وكانوا عشرة ، فى خبر طويل ».

فى طريق مصر ، ودفَنَهُ ابن الزبير . وقال أبو عمرو الشيبانى : مات فى طريق إفريقية .

وهو شاعر فحل مخضرَم أدرك الجاهلية والإسلام . وهو أشعر هذيل من غير مدافَعَة . وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فى مرض موته فمات النبي صلى الله عليه وسلم قبل قدومه بليلة ، أدركه وهو مسجّى ، وصلَّى عليه وشهد دفنه صلى الله عليه وسلم .

وحَكى عن نفسه قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ، وأوجسَ أهل الحى خِيفة واستشعرتُ حربا[1] ، فبتُّ بليلة طويلة حتى إذا كان وقت السحر هتف الهاتف يقول :

خطبٌ أجلُّ أناخ بالإسلام بين النُّخيل ومقعدِ الآطامِ[2]

قُبض النبيُّ محمدٌ فعيونُنا تذرِى الدُّموعَ عليه بالتَّسجام

فوثبتُ من نومى فزعا فنظرت إلى السماء فلم أر إلّا سعد الذابح ، فتفاءلت به ذَبحا يقع فى الإسلام ، وعلمت أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قد قُبض .

وسيأتى له أخبار فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون ، وهو من شواهد س[3] :

---

(١) كذا فى النسختين . وفى الإصابة ٧ : ٦٤ : « حوبا » ، وفى الروض الأنف ٢ : ٢٧٧ : « حزنا » .

(٢) الإصابة : « ومعقل الآكام » . والنخيل ، بهيئة التصغير : عين قرب المدينة ، كما فى معجم البلدان .

(٣) سيبويه ١ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ واللسان (درج ٩٢) .

٦٨ (هُمُ دَرَجَ السُيولِ)

هو قطعة من بيت وهو :

(أنُصْبٌ للمَنيّة يعتَريهم رجالى أم همُ دَرَجَ السُّيولِ)

على أنّ دَرَجا ظرف منصوب وقع خبراً لقوله : هم .

وتقدم الكلام على نظيره قبله .

صاحب الشاهد

وهذا البيت لإبراهيم بن هَرْمة يبكى به قومه لكثرة من فقد منهم .

٢٠٤

و (النُّصب) بالضم : الشىء المنصوب ، والشر والبلاء أيضا ؛ ومنه قوله تعالى : « مَسَّنِيَ الشَّيطانُ بنُصْبٍ وعَذاب » . و (دَرَج) السُّيول : الموضع الذى يمرّ به السيل فينزل من موضع إلى موضع حتّى يستقرّ . والدَّرَج بفتحين : الطريق ، ورجع أدراجه [و[1]] يُكسَر ، أى فى الطريق الذى جاء منه .

يقول : قومى كانوا غرضا للمنيّة فأهلكتهم أم كانوا فى ممرّ السيل فاجترفهم ؟ فرجالى مبتدأ ونُصْبٌ خبره ، وجملة يعتريهم بالياء التحتية : صفة لنُصب ، وبالتاء الفوقية : حال من المنية ، أى تنزل بهم .

إبراهيم ابن هرمة

وإبراهيم ، هو أبو إسحاق إبراهيم بن هَرْمة — بفتح الهاء وسكون الراء المهملة — ابن على بن سَلمة بن عامر بن هرمة .

قال ابن قتيبة فى الطبقات : « هو من الخُلَج ، من قيس عيلان ؛ ويقال : إنّهم من قريش» .

---

(١) تكملة ضرورية . والمراد كسر الهمزة ، كما فى اللسان ففيه : « ويقال رجع فلان على حافرته وإدراجه بكسر الألف » .

وفى الأغانى[١] : أن نسبه ينتهى إلى قيس بن الحارث . وقيس هم الخُلَّج وكانوا فى عَدْوان ثم انتقلوا إلى بنى نصر بن معاوية بن بكر ؛ فلما استُخلِف عمرُ أتَوه ليفرِض لهم فأنكر نسبهم ، فلما تولّى عثمان أثبتهم فى بنى الحارث ابن فهر وجعل لهم ديوانا فسمُّوا الخُلُج ؟ لأنّهم اختلجوا عما كانوا عليه من عدوان ؛ وقيل لأنهم نزلوا بالمدينة خلف بَطِحان[٢] ، يدفع عليهم إذا جاء السيل ثلاثة خُلُج : جمع خليج .

وابن هرمة آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم ، قال ابن قتيبة : « حدثنى عبدالرحمن عن عمه الأصمعى أنه قال : ساقَةُ الشعراء : ابن ميّادة ، وابنُ هَرْمة ، ورؤبة ، وحَكَمٌ الخُضْرِىّ ، حىّ من محارب ، وقد رأيتهم أجمعين » .

وكان من مخضرمى الدولتين ، مدح الوليد بن يزيد، ثم أبا جعفر المنصور . وكان منقطعا إلى الطالبيّين. وكان مولده سنة سبعين ، ووفاته فى خلافة الرشيد بعد الخمسين ومائة تقريباً . وله فى آل البيت أشعار لطيفةٌ منها قوله :

ومهما أُلامُ على حبِّهم فإنى أُحبّ بنى فاطمهْ

بنى بنتِ مَن جاء بالمحكما ت والدِّينِ والسنّةِ القائمهْ

قال ابن قتيبة : «وكان ابنُ هَرْمة مولَعاً بالشراب، وأخذه صاحب شرطة

(٢) الأغانى ٤ : ١٠١ .

(٣) هذا ضبط اللغويين ، ويضبطه المحدثون بضم الباء . ولكل منهما شاهد . فنى اللغة الأولى قول ابن مقبل :

عفا بطحان من سليمى فيثرب فملقى الرجال من منى فالمحصب

وفى اللغة الثانية قوله :

سقيا لسلع ولساحاتها والعيش فى أكناف بطحان

أنشدها ياقوت فى معجم البلدان ،وذكر أن بطحان أحد أودية المدينة الثلاثة : العقيق، وبطحان ، وقناة .

زياد على المدينة بجلده فى الخمر ، وهو زياد بن عبيد الله الحارثى ، وكان والياً عليها فى ولاية أبى العباس . فلما ولى المنصور شخص إليه فامتدحه فاستحسن شعره وقال : سلْ حاجتَك . قال : تكتب إلى عامل المدينة لايحدّنى فى الخمر . قال : هذا حدٌّ من حدود الله ، وما كنتُ لأعطّله . قال : فاحتلْ لى فيه يا أمير المؤمنين. فكتب إلى عامله : من أتاكَ بابن هَرْمة سكرانَ فاجلده مائة جلدة واجلد ابن هرمة ثمانين . فكان الناس يمرُّون به وهو سكران ، فيقولون : من يشترى ثمانين بمائة . وترجمته فى الأغانى طويلة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون[2] :

٦٩ (فَساغَ لىَ الشَّرابُ وكنتُ قبلاً)

على أنَّ أصله « قبل هذا » ، فحذف المضاف إليه ولم ينو لفظه ولا معناه ولهذا نكّر فنوّن . وتتمته :

(أغَصُّ بنُقطة المــاء الحميمِ)

أبيات الشاهد وهذا آخر أبيات خمسة ليزيدَ بن الصَّعِق وهى :

(ألا أبلغْ لَديكَ أبا حُريثٍ وعاقبةُ المــلامةِ للمُليمِ
٢٠٥ فكيف ترىٰ معاقبتى وسعيى[3] بأذواد القُصيبة والقَصيمِ
وما برِحتْ قَلوصى كلَّ يوم تكرُّ على المخالِفِ والمقيمِ
فنمتُ الليلَ إذْ أوقعتُ فيكم قبائلَ عامر وبنى تميم
وساغ لىَ الشرابُ وكنت قبلًا أغصّ بنقطة المــاء الحميم)

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط .
(٢) انظر العينى ٣ : ٤٣٥ وابن يعيش ٤ : ٨٨ .
(٣) ش : « ونسمى » .

أبو حريث : كنية[1] الربيع بن زياد العَبسىّ . والملِيم : من ألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه . والمعاقبة : المناوبة ، من العُقبة بالضم وهى النَّوبة . والذَّود من الإبل : ما بين الثلاث إلى العشر ، لا واحدَ لها من لفظها ، والكثير أذواد . والقُصيبة : على لفظ مصغر القصَبة . والقَصيم بفتح القاف وكسر الصاد : موضعان . والخالف : من الخُلوف ، وهم المقيمون فى الحىّ لمّا تذهب الرجال للغزو[2] . وقوله : وساغ . . إلى آخره ، معطوف على قوله فنمت . وروى (فساغ) بالفاء ، وهو خطأ . والحميم : الماء الحارّ ، وليس بمرادٍ وإنما أورده للقافية ؛ هو من الأضداد يطلق على الماء البارد أيضاً . وساغ من باب قال : إذا سهل مدخلُه فى الحلق ، وأسغته : جعلته سائغاً ، ويتعدّى بنفسه فى لغة ، ومن هنا قيل : ساغ فعلُ الشىء وسوّغته : إذا أبحتَه . والشَّراب : ما يشرب من المائعات . وأغصُّ : مضارع غَصِصت بالطعام غَصَصاً من باب تعب ، ومن باب قتل لغة ؛ والغُصَّة : ما غصّ به الإنسان من طعام أو غَيْظٍ على التشبيه . ويتعدّى بالهمزة ، وهو هنا مستعمل مكانَ الشَّرَق ، لأنه مخصوص بالماء ، يقال : شرق بالماء وبِريقه : إذا لم يبلعهما . والشَّجى بالقَصر يكون فى العَظْم ، يقال شجِىَ بالعظْم من باب فرح ، إذا وقف فى حلقه . والجَرَض بإعجام الطرفين ، يكون من الهمّ والحزن ؛ يقال جرِض بريقه، وهو أن يبتلع ريقه على همّ وحزن بالجهد ، وهو من باب فرح ، والاسم الجرض بفتحتين . وما أحسنَ قول بعضهم :

ذلُّ السُّؤال شجًى فى الحلق معترِضٌ   من دونه شَرَقٌ من بَعده جَرَضُ

سبب الابيات — والسبب فى هذه الأبيات هو ما حكاه أبو عبيدة قال : كانت بلاد

(١) ط : « كنيته » ، صوابه فى ش مع إثر إصلاح .
(٢) كذا فى النسختين ، وهو سهو ، صوابه « حين تذهب الرجال للغزو ».

بنى غَطفان مخصِبة ، فرعَت بنو عامر بن صعصعة ناحيةً منها ، فأغار الربيع ابن زياد العبسى على يزيدَ بن الصعِق وكان فى كرِش الناس — أى فى جماعتهم — فلم يستطعه الربيع ، فاستفاء سُروحَ بنى جعفر والوحيدِابنى كلاب (واستفاء من الفىء وهى الغنيمة ، أى ردّها معه ، والمعنى فاستاقَ سروحهم ، والسَّرح : الإبل التى ترعى) ، فقال فى ذلك الربيع :

فإذْ أخطأتْ قومَك يايزيدا[1] فأنعِى جعفراً لك والوَحيدا

فحرّم على نفسه يزيدُ بن الصَّعِق الطيبَ والنساء حتّى يغير عليه ؛ فجمع قبائل شتّى ثم أغار فاستاق نَعَماً لهم ، وأصاب عَصافير النعمان بن المنذر — وهى إبل معروفةٌ يقال لها العصافير — فقال يزيد فى ذلك هذه الأبيات . وقال لَبيد ابن ربيعة أيضاً يردّ على الربيع بن زياد حين ذكر جعفراً والوحيد :

لستُ بغافرٍ لبنى بَغيضٍ سفاهتَهم ولا خَطَل اللسان

٢٠٦ سآخذُ مِن سَراتِهمُ بعرضى وليسوا بالوفاء ولا المدانى

فإنّ بقية الأحساب مِنّا وأصحاب الحَمالة والطعان

جراثيمٌ مَنعن بياضَ نجد وأنت تُعَدّ فى الزَّمَع الدَّوانى

وأجابه النابغة الذبيانى وقال :

ألا مَن مُبلغ عنى لبيداً أبا الدرْداء جَحفلة الأتان

فقد أزجى[2] مطيّته إلينا بمنطق جاهلٍ خَطِل اللسان[3]

وقول لبيد : خطَل اللسان ، يريد طول اللسان . وسمّى الأخطل لطول

(١) ـــ : « أخطاك قومك ».
(٢) ط : « أرخى » ، صوابه فى ـــ .
(٣) البيتان مما لم يرو فى ديوانه .

لسانه . ويقال شاة خطلاء ، إذا كانت طويلة الأذنين . والسَّراة : الأشراف . وقوله : وليسوا بالوفاء . . الخ ، أى سأنتقم من أشرافهم بسبب عرضى وإن لم يوفوا بعرضى ولا يدانوه . والحَمالة بالفتح : تحمُّل الدية . والجرثومة : التراب المجتمع تجمعه الريح فى أصول الشجر فيتلبّد حتّى يصير كأنه خِلقة . والزَّمع : جمع زَمَعة بالتحريك ، وهى هَنة زائدة فى قوائم الشاة .

وقول النابغة : جحفلة الأتان ، بدل من قوله لبيداً ، وهو بتقديم الجيم على المهملة . والأتان : الحمارة ، وهى كلمة ذمّ . وأزجى[1] : ساق .

(تتمة)

المشهور فى رواية هذا البيت :

فساغ لىَ الشّرابُ وكنت قَبلًا ... أكاد أغصُّ بالماء الحميم

قال العينى : « قائله عبدالله بن يعرب بن معاوية بن عُبادة بن البكّاء ابن عامر ، وكان له ثأر فأدركه فأنشده » . انتهى . ورواه الثعالبىّ والزمخشرىّ:

* أكاد أغص بالماء الفُرات *

ولعله من شعر آخر ، وكذلك مارواه أبو حيّان فى تذكرته عن الكسائى:

* أكاد أغصّ بالماء المعينِ *

لكنه رواه هنه (وكنت قبلٌ) بالرفع والتنوين . ثم قال : قال الفرّاء : هذا التنوين نظير تنوين المنادى المفرد إذا لحقه التنوين فى ضرورة الشعر ، كما قال :

---

(١) ط : « ارخى » ، صوابه فى س .

قدّموا ، إذْ قيلَ قيسُ قدّموا وارفَعوا المجدَ بأطراف الأسلْ[1]

أراد : يا قيسُ ، فنوّنه ضرورة ، والأجود النصب كما قال الآخر :

فطِرْ خالداً إنْ كنتَ تَستطِيعُ طيرةً ولا تقعَنْ إلاّ وقلبُكَ طائرُ[2]

قال أبو حيّان : « وهذا الذى اختاره الفراء من نصب المنادى المفرد فى الضرورة هو مذهب أبى عمرٍو وأصحابه ، والمذهب الأول — وهو رفعه منونا — مذهب الخليل وسيبويه وأصحابهما . ومذهبُ أبى عمرو أقيَس » اهـ .

ووجه كونه أقيس أنّ المنادى مفعول ، والقياس إذا نوّن فى الضرورة أن يرجع إلى أصله وهو النصب ، فإنّ الضرائر تُرجع الأشياء إلى أصولها . وأما رفع قبلٌ مع التنوين فوجهه : أنّ أصله كان مبنياً على ضمة لحذف المضاف إليه وإرادة معناه ، فنوّن ضرورة كتنوين العلَم المنادى .

يزيد بن الصعق

و (يزيد) هو يزيد بن عمرو بن خويلِد بن نُفَيل بن عمرو بن كلاب الكلابى . وخويلد يقال له (الصَّعِق) قال أبو عمرٍو وابن الكلبى: ابن الصّعق إنّما سمى الصعِق لأنه عمل طعاماً لقومه بعُكاظ ، فجاءت ريح بغبار فسبّها ولعنها ، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته . وقال ابن دريد : الصَّعق : أن يسمعَ الإنسان الهدّة الشديدة فيصعق لذلك ويذهب عقله . والصَّعِق الكلابى أحد فرسانهم ، سمى الصَّعِق لأن بنى تميم ضربوه ضربة على رأسه فأمّته[3] فكان إذا سمع الصوت الشديد صَعِقَ فذهب عقله[4] . والله أعلم .

٢٠٧

* * *

(١) للبيد فى ديوانه ١٩٢ برواية : « واحفظوا المجد » .
(٢) فى ط : « ولا تقفن » .
(٣) ط : « فأدمته » . أمه أما : اصاب ام رأسه .
(٤) انظر الاشتقاق ٢٩٧ .

وأنشد بعده وهو الشاهد السبعون ، وهو من شواهد س[1] :

٧٠ (تَرْتَعُ مارَتَعَتْ حتى إذَا ادّكرتْ

فإنّمــا هى إقبالٌ وإدبارُ)

على أن اسم المعنى يصح وقوعه خبراً عن اسم العين إذا لزم ذلك المعنى لتلك العين حتى صار كأنه هى . هذا من قبيل زيد عدْل .

وفيه ثلاثة توجيهات : أحدها : كونه مجازا عقليا بحمله على الظاهر ، وهو جعلُ المعنى نفس العَين مبالغة . والثانى : أنَّ المصدر فى تأويل اسم الفاعل فى نحوه وتأويل اسم المفعول فى نحو زيد خَلْق أى مخلوق . والثالث : أنه على تقدير مضاف محذوف أى ذات إقبال .

وهذا البيت للخنساء . قال سيبويه : « جعلتْها الإقبالَ والإدبار مجازا صاحب الشاهد على سعة الـكلام ، كقولك : نهارك صائم وليلك قائم » .

واستشهد به صاحب الـكشاف عندقوله تعالى : «ولـكِنَّ البرَّ مَنِ اتّقى» على أن الإسناد مجازىٌّ ، بدعوى أن المتَّقى هو عين البرِّ ، بجعل المؤمن كأنه تجسّد من البر . وكان الزجاج يأبى غير هذا .

قال عبد القاهر : [لم] تردْ[2] بالإقبال والإدبار غير معناهما حتى يكون المجاز فى الـكلمة ، وإنما المجاز فى أنْ جعلتها لـكثرة ما تقبل وتدبر ، كأنها تجسّمت من الإقبال والإدبار . وليس أيضا على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه — وإن كانوا يذكرونه منه — إذ لو قلنا : أريدَ إنما هى ذات

(١) سيبويه ١ : ١٦٩ . وانظر ابن يعيش ١ : ١١٤ وابن الشجرى ١ : ٧١ والخصائص ٢ : ٣/٢٠٣ : ١٨٩ والمنصف ١ : ١٩٧ ودلائل الإعجاز ٢١٢ .

(٢) ط : « تريد » سه : « ترد » بدون لم فيهما . وصوابه من دلائل الإعجاز . والنص مقتبس بتصرف .

إقبال وإدبار أفسدْنا الشعر على أنفسنا ، وخرجنا إلى شيء مغسول[1] ، وكلام عامّىّ مرذول ، لامساغ له عند مَن هو صحيح الذوق والمعرفة ، نسّابة للمعانى . ومعنى تقدير المضاف فيه : أنه لو كان الكلام قد جيء به على ظاهره ولم تُقصد لمبالغة لكان حقّه أن يُجاء بلفظ الذات ، لا أنه مراد » اهـ .

وروى الأخفش فى شرح ديوان الخنساء عن ابن الأعرابى أنه روى (فإنما هو) أراد : فإنما فعلُها .

أبيات الشاهد — وهذا البيت من قصيدةٍ لها ترثى بها أخاها صخرا تنيف على ثلاثين بيتاً فى رواية الأخفش ، وقبله :

(فما عَجولٌ علىٰ بَوٍّ تُطيف به — قَدْ ساعدتْها على التَّحنان أظآرُ)

وبعده :

(لا تَسمَن الدهرَ فى أرضٍ وإن رَتعتْ — وإنّما هى تحنانٌ وتَسجارُ[2]

يوماً بأوجدَ منّى يوم فارقنى — صَخرٌ ، وللدهر إحلاءٌ وإمرار)

العَجول : الثَّكول ، أراد به الناقة . وروى : (ماأمُّ سَقْب) وهو الذكر من ولد الناقة ، ولا يقال للأنثى سَقْبة ، ولكن : حائل . والبوّ : جلد ولد الناقة إذا مات حين تلد أمّه ، يُحشى تبناً وهى لا تراه ، ويُدنى منها فتشمّه وتَرأمه فتدرّ عليه اللبن . وساعدتها : وافقتها . والتحنان : الحنين . والأظآر : جمع ظئر ، وهى التى تعطف على ولد غيرها .

٢٠٨ — يقال (رتعت) الإبل إذا رعت ، وأرتعتها : تركتها ترعى . وروى (ترتع ماغفلت) . و (ادَّكرت) أى تذكّرت ولدها ، وأصله اذتكرت .

---

(١) ط : « مفسول » ، ووجهه فى سـ ودلائل الإعجاز .

(٢) ط : « وتجسار » ، صوابه فى سـ .

وزعم ابن خلف عن بعضهم : أنه فى وصف بقرة أخذ ولدُها . وقولها :لا تسمن الدهر الخ ، يقال حنّت الناقة ، إذا طرّبت فى إثر ولدها ، فإذا مدّت الحنين وطرّبت قيل سَجرت بالجيم . وقولها : بأوجدَ منى ، أى بأشدّ منّي وجدا . وللدهر إحلاء وإمرار ، أى سرور وحزن ، يقال ما أحلى ولا أمرّ ، أى ما أتى بحلوة ولا مرّة .

من أبيات القصيدة

ومن هذه القصيدة :

(وإنّ صخراً لَمولانا وسيّدُنا وإنّ صخراً إذا نشتو لنَحّارُ
وإنّ صخراً لتأتمّ الُهداة به كأنه علَمٌ فى رأسه نار)

قيل إذا اجتمع المولى والسيّد قدّم المولى كما هنا . وروى :

* وإن صخراً لَحامينا وسيّدنا *

وإنما قالت : إذا نشتو لنحّار ، لأن النحر فى الشتاء ، لأن الإطعام فيه أشد مؤنة . وقولها : لتأتمُّ الهداة به ، أى تجعله الأدلاء إماما . والعَلم : الجبل ، وكلُّ مُشْرِف ، شبّه بالجبل ، وفى رأسه نارٌ أشدُّ للدلالة والهداية ، وأشهر فى الشرف . وهذا (إيغال) وهو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها فإن قولها : كأنه علم ، يتم المعنى به ، وهو التشبيه بما هو معروف بالهداية ، فإنّها جعلت أخاها جبلا مشهوراً يُتوجَّه إليه ولا يخفى أمره على قاصٍ ودان ، ثم لما أرادت المبالغة لم تقنع بذلك وأردفته بقولها : فى رأسه نار ، فجعلته بعد أن كان علما يشار اليه ، معلَما بعلامة يعرفه كل من يراه .

الخنساء

و (الخنساء) هى بنت عمرو بن الشَّريد بن رِياح بن يَقظة بن عُصَيّة ابن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثة[1] بن سُلَيم .

(١) ط : « بهثة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

واسمها تُماضِر ، بضم التاء المثناة فوق وكسر الضاد المعجمة . قال ابن خلف : قد قالوا للبياض تماضر ، وأكثر ما يكون للنساء ، ومنه قيل اشتقت المضيرة لبياضها . والخنساء : مؤنث الأخنس ، والخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة . ويقال لها خُناس أيضا ، بضم الخاء غير منصرف للعدل والتأنيث .

وهى صحابية ، رضى الله عنها ، قدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بنى سُلَيم وأسلمت معهم . وهى أمُّ العباس بن مِرداس ، وهى أم إخوته الثلاثة ، وكلُّهم شاعر . ولم تلد الخنساء إلا شاعراً ، ومن ولدها أبو شَجَرة السُّلَمى[1] . وقال الكلبى : أم ولد مرداس جميعًا إلاّ العباسَ ، فإنها ليست أمَّه . ولم يذكر مَنْ أمّه . وذكر صاحب الأغانى أن الخنساء أمُّه .

وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يعجبه شِعرُها ويستنشدها ويقول : هِيهِ ياخُناسُ ، ويومىء بيدِه صلى الله عليه وسلم .

ولما قدِم عدىّ بن حاتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحادثه فقال : يارسول الله ، إن فينا أشعرَ الناس وأسخى الناس وأفرَسَ الناس ، قال : سَمِّهِمْ . قال : أمّا أشعر الناس فامرؤ القيس بن حُجر ، وأما أسخى الناس فحاتم بن سعد — يعنى أباه — وأما أفرس الناس فعمرو بن معد يكرِب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس كما قلتَ ياعدىّ ، أما أشعر الناس فالخنساء بنت عمرو ، وأما أسخَى الناس فمحمد — يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم — وأما أفرس الناس فعلىّ بن أبى طالب » .

واتفق أهل العلم بالشعر أنّه لم تكن امرأةٌ قبلها ولا بعدها أشعر منها .

---

(١) جمهرة ابن حزم ٢٦٦ .

وقيل لجرير : من أشعر الناس ؟ قال : أنا لولا الخنساء . قيل: بم فضلتْك ؟ ٢٠٩
قال : بقولها :

إنَّ الزمان ومَا يفنىٰ له عجبُ أبقى لنا ذنَباً واستؤصل الراسُ
إن الجديدَين فى طول اختلافهما لايفسُدان ولـكن يفسُد الناس

وكانت فى أوائل أمرها تقول البيتين والثلاثة حتى قتل أخوها معاوية ، ثم أخوها صخر ، فأ كثرتْ من الشعر وأجادت ، وكان أحبَّهما إليها لأنه كان حليما جواداً محبوباً فى العشيرة ، شريفا فى قومه . وكان أبوها يأخذ بيدى ابنيه صخر ومعاوية ويقول : أنا أبو خيرَى مضر . فتعترف له العرب بذلك .

وما زالت ترثى صخرا وتبكيه حتَّى عميت ، وكانت تقول بعد إسلامها : كنت أبكى لصخر من القتل ، فأنا اليوم أبكى له من النار .

ودخلتْ على عائشة رضى الله عنهما وعليها صِدار من شعر[1] فقالت لها : ما هذا ؟! فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ألبس صداراً عليه! قالت : إن له حديثاً . قالت : وما هو ؟ قالت : زوّجنى أبى سيّداً من سادات قومى مِتلافا مِعطاء ، فأنفد ماله وقال لى : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر . فأتيناه فقاسمَنا مالَه وأعطانا خير النِّصفين ، فأقبل زوجى يعطى ويهَب ويحمِل ، حتَّى أنفده ، ثم قال لى : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر . فأتيناه وقاسمنَا ماله وأعطانا خير النِّصفين ، إلى الثالثة ، فقالت له امرأته : أما ترضى أن تقاسمهم مالَك حتى تعطيَهم خير النِّصفين ؟ . فقال :

والله لا أمنحها شِرارها ولو هلـكتُ قدّدتْ خِمارها
* واتّخذت من شَعَر صِدارها *

---

(١) الصدار ، ككتاب : ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى الصدر . والمقنعة : ماتقنع به المرأة رأسها .

فذاك الذى دعانى إلى لبس الصدار .

وكان من حديث قتله : أنه جمع جمعاً وأغار على بنى أسد بن خُزيمة ؛ فطعنه ابن ربيعة بن ثور الأسدىّ فأدخل فى جوفه حَلَقا من الدرع فاندمل عليه فأضناه وطال مرضهُ وملّه أهله ، فكانوا إذا سألوا امرأته سليمى عنه قالت : لاهو حىّ فيُرجى ولا هو ميْت فيُنْعَى[1] — وصخر يسمع كلامَها فيشقّ ذلك عليه — وإذا سألوا أمّه قالت : أصبَح صالحاً بنعمة الله . فلما أفاق بعض الإفاقة عمَد إلى امرأته فعلّقها بعمود الفُسطاط حتّي ماتت . وقيل : بل قال : ناولونى سيفى لأنظر كيف قوّتى — وأراد قتلها — وناولوه فلم يُطق السيف، ففى ذلك يقول :

أرى أمّ صخر ما تَملّ عيادتى ... وملّت سُلَيمى مضجَعى ومَكانى
وما كنت أخشى أن أكون جنازة ... عليكِ ومن يغترّ بالحدَثانِ
أهُمّ بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حِيلَ بين العَير والنزوَان
لعمرى ، لقد نبّهتُ من كان نائما ... وأسمعتُ مَن كانت له أذنان
ولَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ كأنّها ... مُعَرَّسُ يَعسوب برأس سِنان
وأىُّ امرىءٍ ساوى بأمٍّ حَليلةً ... فلا عاش إلاّ فى شقاً وهوانِ

وقيل : إن التى قالت ذلك بُديلة الأسديّة ، كان قد سباها من أسد واتخذها لنفسه . وأنشدوا مكان البيت الأول :

ألا تلكمُ عرسى بُديلة أوجست ... فراقى وملّت مضجعى ومكانى

قال أبو عبيدة : فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعةٌ مثل اللِّبْدِ[3]

(١) ط : « فيبلى » .
(٢) ط : « أوحشت » ، صوابه فى ــ .
(٣) هذا الصواب من نوادر المخطوطات ٢ : ٢١٧ . وفى النسختين « مثل اليد » . وفى الأغانى ١٣ : ١٣١ : « مثل الكبد » .

فى موضع الطَّعنة واسترخت ؛ قالوا له : لو قطعتَها لرجونا أن تبرأ ، قال : شأنَكم ، الموت أهونُ علىّ مما أنا فيه . فقطعها ، فيئس من نفسه ومات .

وروى أن امرأته هذه كانت ذات كَفَل وأوراك ، وكانت قد ملّته ، وكان يكرمها ويقدّمها على أهله ؛ فمرّ بها رجلٌ وهى قائمة فقال لها : أيباع هذا الكفَل ؟ فقالت : عما قليل — وصخر يسمع — فقال : لئن استطعت لأقدِّمنَّكِ أمامى . ثم قال لها : ناولينى السيفَ أنظر هل تُقلّه يدى ! فدفعته إليه فإذا هو لايقلّه . فعندها أنشد الأبيات المذكورة .

ذكر ياقوت فى معجم الأدباء فى ترجمة أبى أحمد الحسن بن عبدالله العسكرى وقد ترجمناه نحن أيضا فى الشاهد الثامن والعشرين[1] — أن الصاحب ابن عبّاد كان يودّ الاجتماع به ويكاتبه ويستميلُ قلبه ، فيعتلّ عليه بالشيخوخة والكبر ، فلما يئس منه احتال فى جذب السلطان إلى ذلك الصَّوب وكتب إليه حين قرب من عسكر مُكْرَم[2] كتابا يتضمن علومًا نظما ونثراً ، ومنه قوله :

ولمّا أبيتم أن تزوروا وقُلتُم : ضَعُفنا فما نقوى على الوَخَدانِ
أتيناكمُ مِن بُعد أرضٍ نزوركم على منزلٍ بِكر لنا وعَوان
نُسائلكم:هل من قِرى لنزيلِكم بملء جفون لابملء جِفان ؟

فلما قرأ أبو أحمد الكتاب أقعد تلميذاً له فأملى عليه الجواب : عن النثر نثراً ، وعن النظم نظماً ، وهو :

أروم نهوضاً ثم يَثنى عزيمتى تعوُّصُ أعضائى من الرَّجفان[3]

(١) انظر ماسبق فى ص ٢٠٢ .
(٢) عسكر مكرم : بلد مشهور من نواحى خوزستان .
(٣) ط : « تعود أعضائى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وفى معجم الأدباء ٨ : ٢٥٣ : « تعوذ أعضائى » .

فضمّنتُ بيتَ ابنِ الشريد كأنما تعمّدَ تشبيهى به وعَنانِى :

« أهمّ بأمرِ الحزم لو أستطيعه وقد حِيل بين العَير والنزوان »

فلما بلغت الصاحبَ استحسنها ووقعت منه موقعاً عظيماً ، وقال :لوعرفت أن هذا المصراع يقع فى هذه القافية لم أتعرض لها .

وبقية الحكاية هناك مسطورة .

وفى الاستيعاب : أن الخنساء حضرت حرب القادسية ومعها بنُوها : أربعة رجال : فقالت لهم : يابنىّ أنتم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ؛ ووالله الذى لاإلَه غيره إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ،ماخُنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجّنت حسبكم ، ولا غيّرت نَسبكم[1] . وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من الثواب العظيم فى حرب الكافرين . واعلموا أن الدار الباقية ، خير من الدار الفانية ؛ يقول الله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » . فإذا أصبحتم غداً فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين . فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم فتقدّموا واحداً بعد واحد ، ينشدون الأراجيز ؛ فقاتلوا حتى استُشهِدوا جميعا . فلما بلغها الخبر قالت : الحمد لله الذى شرّفنى بقتلهم ، وأرجو من ربّى أن يجمعنى بهم فى مستقرّ رحمته . فكان عمر رضى الله عنه يعطيها أرزاقَ أولادها الأربعة ، لكلٍّ واحد منهم مائة درهم ، حتّى قبض وماتت الخنساء ٢١١

* * *

(١) فى بعض نسخ الاستيعاب ١٨٢٨ : « ولا غبّرت نسبكم » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون[١] .

٧١ (أنَا أبو النَّجم وشِعْرِى شِعْرِى)

على أن عدم مغايرة الخبر للمبتدأ إنّما هو للدلالة على الشهرة ، أى شعرى الآن هو شعرى المشهور المعروف بنفسه لاشىء آخر .

استشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ[٢]» ، على أن المراد السابقون مَنْ عَرفتَ حالَهم وبلَغك وصفُهم ، كما فى شعرى شعرى ، أى شعرى ما بلغك وصفه وسمعتَ ببراعته وفصاحته . وصحَّ إيقاع أبى النجم خبراً لتضمّنه نوع وصفيّة ، واشتهاره بالكمال ، والمعنى : أنا ذلك المعروف الموصوف بالكمال ، وشعرى هو الموصوف بالفصاحة .

وهذا البيت من أرجوزة لأبى النجم العِجْلِىّ ، وبعده :

من ارجوزة الشاهد

(لله دَرّى ما أجنَّ صدرى من كلماتٍ باقيات الحرِّ
تنامُ عينى وفؤادى يَسرى مع العفاريت بأرضٍ قَفر)

الدَّرُّ فى الأصل اللبن ، يقال فى المدح لله دَرّه أى عمله . وقد شرحه الشارح فى باب التمييز بما لا مزيد عليه . وقوله ما أجنّ صدرى ، هو صيغة تعجب من الجنون ، قال فى الصحاح : وقوله ما أجنّه — فى المجنون — شاذّ لايقاس عليه . و (من كلمات) متعلق به ، ومن ابتدائية أو تعليلية .

وأبو النجم تقدمت ترجمته فى الشاهد السابع[٣]

* * *

(١) ابن يعيش ١ : ٩٨/٩ : ٨٣ وابن الشجرى ١ : ٢٤٤ والخصائص ٣ : ٣٣٧ والهمع ١ : ٦٠/٢ : ٥٩ .

(٢) الآية ١٠ من سورة الواقعة .

(٣) ص ؟

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثاني والسبعون[1] :

٧٢ (رَفَوْنى وقالوا ياخُوَيلِدُ لا تُرَعْ
فقلتُ — وأنكرتُ الوجوهَ — : هُمُ هُمُ)

لِما تقدم فى البيت قبله، أى هم الذين يطردوننى ويطلبون دمى.

صاحب الشاهد

وهذا البيت لأبى خِراش الهذَلىّ، مطلع قصيدة، وهى ستة عشر بيتاً، ذكر فيها تفلُّته من أعدائه حين صادفهم فى الطريق كامنين له، وسرعة عدْوه حتّى نجا منهم.

روى السكّرىّ فى شرح أشعار الهذليّين عن الأخفش قال: « خرج أبو خِراش وأمّ خراش يريدان بعضَ أهلهما، فمرّا بخزاعة، فلما رأتهما خزاعة قالوا: هذا أبو خِراش وامرأته فلاتهيجوهما حتّى يدنوا مِنّا[2]. فقال أبو خراش لأم خراش: فإن سألوك فقولى: تخلّف كأنه يقضى حاجة، وهو مارٌّ بكم. فمضت حتى إذا علم أبو خراش أنها قد جاوزت الثَّنيّة وأمِنهم جاء يمشى رُويداً حتى مرّ فى وسطهم، فسلّم فردّوا عليه السلام، فقال: ممن أنتم؟ قالوا: إخوتك وبنو عمك فتباعدَ منهم، فهمّوا به فعدا وعدَوا على إثره، فأعجزهم وجعلوا ينظرون إليه ويرمونه، ونجا منهم » اهـ.

وفى الأغانى بسنده: « أن أبا خراش الهذلى خرج من أهله هذيل[3]، يريد مكة، فقال لزوجته أمّ خراش: ويْحك إنى أريد مكة لبعض الحاجة، وإنّ بنى الدِّيل يطلبوننى بِتِرات، فإياكِ أن تذكرينى؟ فخرج بها وكمن لحاجته،

(١) الخصائص ١ : ٣/٢٤٧ : ٣٣٧ والهذليين ٢ : ١٤٤ وشرح السكرى ١٢١٧.
(٢) ط : « يدنو منها »، صوابه فى سـ مع أثر تصحيح.
(٣) فى الأغانى ٢١ : ٣٨ : « من أرض هذيل »، وفى ط : « من اهل هذيل » صواب هذه من سـ.

وخرجت إلى السوق لتشترىَ عطراً وما تحتاجه النساء[1] فمرّ بها فتَيانِ من بنى الدِّيل فقال أحدهما لصاحبه : أمُّ خِراش وربِّ الكعبة ؟ فسلّما عليها فقالت: ٢١٢ بأبى أنتما مَن أنتما ؟ ! فقالا : رجلان من أهلِك هذيل . قالت : فإن أباخراش معى فلا تذكراه لأحد ، ونحن رائحون العشية . فجمع الرجلان جماعة وكمنوا فى طريقه ، فلما نظر إليهم قال لها : قتلِتنى . قالت : ما ذكرتك وربُّ الكعبة إلاّ لفَتَيين من هذيل . فقال : والله ماهما من هذيل ولكنهما من بنى الدُّيل ، وقد جلسا لى وجمعا جماعة من قومهما ، فإذا جزتِ عليهم فإنّهم لن يعرِضوا لك لئلا أستوحش فأفوتهم ، فاركضى بَعيرَك وضعى عليه العصا . فكانت على قَعودٍ يسابق الريح . فلما دنا منهم وقد تلثّموا ووضعوا تمرا على طريقه على كساء فوقف قليلاً كأنه يصلح شيئًا — وجازتهم أم خراش ووضعت العصا على قعودها — وتواثبوا إليه ، فوثب يعدو ، وسبقهم ولم يلحقوه . وقال أبو خراش فى ذلك هذه القصيدةَ » اهـ .

و (رفَونى) قال المفضل بن سلمة فى الفاخر ، والمرزوقى فى شرح الفصيح : رفَوت الرجل : إذا سكّنته — وأنشد هذا البيت — ثم قالا : ويقال رافيت فلانًا أى وافقته . قال الشاعر :

ولما أنْ رأيتُ أبا رُويم يُرافينى ويَكره أن يُلاما

وأما رفأت الثوب إذا أصلحت خرقه أرفؤه رفئًا فبالهمز، ومنه : بالرِّفاء والبنين ، إذا دعى للمتزوج .

وفى المقصور والممدود للقالى : الرفاء بالمدّ : الاتفاق والالتئام ، ومنه قولهم : بالرِّفاء والبنين — ونهى رسول الله صلّى الله عليه وسلم أن يقال :

(١) الأغانى : « أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهن » .

بالرِّفاه والبنين[1] . وقال أبو عبيد قال الأصمعى : الرفاه يكون على معنيين : يكون من الاتفاق وحسن الاجتماع ، قال : ومنه أُخذ رفء الثوب ، لأنه يُرفأ فيضمّ بعضه إلى بعض ويلأم ، ويكون الرِّفاه من الهدوّ والسكون ، قال :

رفَونى وقالوا يا خويلد . . (البيت)

وحدثنى أبو بكر بن دريد قال : قال الأصمعى فى بيت أبى خراش : أراد رفئونى بالهمز . والدليل على صحّة ما روى أبو بكر قول الأصمعى فى كتاب الهمز : ويقال رفأت الرجل ، إذا سكّنته حتى يسكن . وكذلك : المرافأة مهموز ، والدليل على ذلك قول أبى زيد فى كتاب الهمز : رفأت الثوب أرفؤه رفئًا ، ورفّأت المملّك ترفئة[2] إذا دعوت له ، ورافأنى الرجل فى البيع مرافأة اهـ فجعله مهموزاً لا غير .

وكذلك قال العسكرى فى كتاب التصحيف : « أخبرنا ابن أبى سعيد أخبرنى طابع[3] سمعت قعنب بن مُحرز[4] يسأل الأصمعى عن قول الشاعر : رفونى وقالوا يا خويلد . . البيت ، فقال قعنب : رقونى بالقاف ، فقال الأصمعى : ما معنى رقونى ؟ قال : رقوه بالكلام . قال يصحّف ويفسر التصحيف : إنما هو رفَونى بالفاء ، وأصله رفئونى من رفأت ، فأزال الهمزةَ الشاعرُ » اهـ .

و (خويلد) : اسم الشاعر . و (لا تُرع) نَهىٌ بالبناء للمفعول ،

---

(١) فى اللسان (رفا) : « وإنما نهى عنه كراهية ؛ لأنه كان من عادتهم ، ولهذا سن فيه غيره » .

(٢) ط : « ترفؤه » ، صوابه فى ش والنوادر ١٩٣ .

(٣) فى التصحيف ٣٧ : « طائع » .

(٤) فى النسختين : « محرر » ، وأثبت ما فى التصحيف .

أى لا يحصل لك رَوع وخوف . وجملة أنـكرتُ حال من ضمير قلت ، بتقدير قد وجملة هُم هم مقول القول[١] .

أبو خراش

و (أبو خراش) قال ابن قتيبة فى الطبقات : « هو خويلد بن مرّة ، أحد بنى قِرد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هُذَيل . أحد فرسان العرب وفُتّاكهم . أسلم وهو شيخ كبير وحسن إسلامه » .

وفى تاريخ الذهبى ما يدل على أن إسلامه كان يوم حنين .

٢١٣

وذكره ابن حجر فى القسم الثالث من الإصابة ، وهم المخضرمون الذين لم يرد فى خبرٍ قطّ أنهم اجتمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم .

وفى الأغانى[٢] عن الأصمعى قال : « دخل أبو خِراش مكة في الجاهلية — وكان ممن يعدو على رجليه فيسبق الخيل — فرأى الوليدَ بن المغيرة له فرسانِ يريد أن يوسلهما [فى الحلبة[٣]] فقال : ما تجعل لى إن سبقتُهما عدْوا ؟ قال : إن فعلتَ فهما لك . . فسبقهما » . وقال الـكلبى والأصمعى : « مر على أبى خراش نفر من اليمن حجاجاً فنزلوا عليه فقال : ما أمسى عندى ماء ، ولـكن هذه بُرمة وشاة وقِربة ، فرِدوا الماء فإنه غير بعيد ، ثم اطبخوا الشاة وذَرُوا البرمة والقربة عند الماءِ نأخذهما . فامتنعوا وقالوا : لا نَبرح . فأخذ أبو خراش القربةَ وسعى نحو المـاء تحت الليل فاستقى ، ثم أقبل فنهشتَه حيّة

---

(١) ط « مفعول القول » .

(٢) الميمنى « هذا النقل عن الأغانى يوجد فى ٢١ ، ٣٩ . وهنا دليل على أن الجزء الحادى والعشرين منه الذى كان طبع أولا بليدن مجموع عن عدة نسخ من الأغانى من زياداتها على طبعة بولاق ، وإنما نبهنا على ذلك لأن دار الكتب المصرية أنكرت هذا الجزء (انظر مقدمتها على الجزء الأول من طبعتها) ، وفى حفظى أنى وجدت فى اللآلى أيضا نقلا عن الأغانى وجدته فى هذا الجزء » .

(٣) التـكملة من الأغانى .

فأقبل مسرعاً حتى أعطاهم الماء ولم يُعلمهم بما أصابه . فباتوا يأكلون ؛ فلما أصبحوا وجَدوه فى الموت ؛ فأقاموا حتى دفنوه . فبلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه خبره فقال : والله لولا أن تكون سنّة لأمرت أن لا يُضاف يَمانىّ بعدها ثم كتب إلى عامله أن يأخذ النفر الذين نزلوا به فيغرِّمهم ديته » ..

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون[1] :

٧٣ (بنُونا بنُو أبنائنا ، وبناتُنا   بنوُهُنَّ أبناء الرجالِ الأباعِدِ)

على أن المبتدأ والخبر إذا تساويا تعريفاً وتخصيصاً يجوز تأخير المبتدأ إذا كان هناك قرينة معنوية على تعيين المبتدأ ، فإنه قدم الخبر هنا على المبتدأ لوجود القرينة من حيث المعنى ، فإنك عرفت أن الخبر هو محطّ الفائدة ، فما يكون فيه التشبيه الذى تذكر الجملة لأجله فهو الخبر ، وهو قوله بنونا ، إذ المعنى : أن بنى أبنائنا مثل بنَينا ، لا أن بنينا مثل بنى أبنائنا .

قال ابن هشام فى شرح شواهد ابن الناظم : « وقد يقال : إن البيت لا تقديم فيه ولا تأخير ، وإنه جاء على عكس التشبيه كقول ذى الرمّة :

* ورملٍ كأوراك العذارىٰ قطعتُه[2] *

فكان ينبغى للشارح — يعنى ابن الناظم — أن يستدلّ بما أنشده والده فى شرح التسهيل من قول حسّان بن ثابت رضى الله عنه :

قبيلةُ ألأمُ الأحياء أكرمُها   وأغدرُ الناس بالجيران وافيها

(١) ابن يعيش ١ : ٩٩ / ٩ : ١٣٢ والإنصاف ٦٦ والهمع ١ ، ١٠٢ وشرح شواهد المغنى ٢٨٧ .

(٢) عجزه كما فى حواشى سه والديوان ٣١٨ .

* وقد جللته المظلمات الحنادس *

إذ المراد : الإخبار عن أكرمها بأنه ألأم الأحياء ، وعن وافيها بأنه أغدر الناس ؛ لا العكس » . انتهى المراد منه .

وقد منع الكوفيون تأخير المبتدأ ، قال ابن الأنبارى فى الإنصاف ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه ، مفرداً كان أو جملة ؛ فالأوّل نحو ، قائم زيد ، والثانى نحو : أبوه قائم زيد . وأجازه البصريون لمجيئه فى كلام العرب نظماً ونثراً ، ومن النظم قوله : « بنونا بنو أبنائنا .. البيت » . وأطال الكلام فيه .

صاحب الشاهد

وهذا البيت لا يعرف قائله مع شهرته فى كتب النحاة وغيرهم ؛ قال العينى : « وهذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر ، والفرضيّون على دخول أبناء الأبناء فى الميراث ، وأنّ الانتساب إلى الآباء ، والفقهاء كذلك فى الوصية ، وأهل المعانى والبيان فى التشبيه . ولم أر أحداً منهم عزاه إلى قائله » اهـ .

ورأيت فى شرح الكرمانى فى شواهد شرح الكافية للخبيصى أنه قال : هذا البيت قائله أبو فراس همّام الفرزدق بن غالب ، ثم ترجمه . والله أعلم بحقيقة الحال . ٢١٤

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون ، قولَ أبى تمام[1] :

٧٤ (لُعابُ الأفاعى القاتلاتِ لُعابُهُ
وأرْىُ الجنى اشتارتْهُ أيدٍ عواسلُ)

لِما تقدم فى البيت قبله . أى لعابه مثل لعاب الأفاعى .

(١) ديوانه ٢٥٧ .

أبيات الشاهد

وهذا البيت أحد أبيات عشرة فى وصف القلم ، من قصيدة لأبى تمام ، مدحَ بها محمد بن عبد الملك الزيات .

وأبيات القلم هى، هذه ، وهى أحسن وأفخم من جميع ما قيل فى القلم[1] :

(لك القلم الأعلى الذى بِشَبَاتِهِ ... يُنال من الأمر الكُلَى والمفاصلُ

له الخَلوات اللاءِ لولا نَجِيّها ... لما احتَفلت للمُلْكِ تلك المحافل

لعاب الأفاعى القاتلاتِ لعابه .. . . البيت

له ريقةٌ طَلٌّ ، ولكنّ وقعها ... بآثاره فى الشرق والغرب وابلُ

فصيحٌ ، إذا استنطقته وهو راكب ... وأعجَمُ ، إن ناطقته وهو راجل

إذا ما امتطى الخمس اللِّطافَ وأفرغت ... عليه شِعابُ الفكر وهى حوافل

أطاعتْه أطرافُ الرماح وقوّضتْ ... لنجواه تقويضَ الخيامِ الجحافلُ

إذا استغزر الذهنَ الخلىَّ وأقبلت ... أعاليهِ فى القِرطاس وهى أسافل

وقد رفدتْه الخِنصِرَان وسَدّدت ... ثلاثَ نواحيهِ الثلاثُ الأناملُ

رأيتَ جليلًا شأنُه وهو مُرهَفٌ ... ضَنًى ، وسميناً خطبُه وهو ناحل)

الشَّبا بفتح الشين والقصْر : حدّ كلّ شىء . وقوله : ينال من الأمر ، روى أيضاً « يصاب من الأمر » . والكلى : جمع كُلْيَة وكُلْوة ، جاء بالياء والواو . والمفاصل : جمع مَفصِل ، وهو ملتقى كلّ عظمين ، أراد أن القلم يطبّق المفصل ويصادف المحزّ ، وبه يُنال مقاصد الأمور ، فإنه ينال بالأقلام ، ما يعجز عنه مجالدة الحُسام .

وقوله : له الخلوات الخ ، يعنى أن أصحاب القلم هم أهل المشورة وموضع السرّ يُخلى لهم الملوك المجالسَ للمشورة ، وبهم يحصل نظام الملك . والنجىّ :

(١) الحيوان ١ : ٦٧ وأمالى المرتضى ١ : ٥٣٦ .

المسارُ[1] والتناجي . المسارّة ، وأراد به المشير ، فإنّ المشورة تكون سرّاً غالباً . والاحتفال : حسن القيام بالأمور . والمحافل : جمع محفلٍ كمجلس ومقعد ، وهو المجتمع .

واللُّعاب : ما يسيل من الفم . والقاتلات : صفة كاشفة للأفاعي ، ذكرها تهويلا . والأرْى ، بفتح الهمزة وسكون الراء : مالزق من العسل فى جوف الخليّة . والجنى بفتح الجيم والقصْر : العسل ، والإضافة للتخصيص ؛ فإن الأرى يأتى أيضاً بمعنى مالزق بأسفل القِدر من الطبيخ ، وإنْ جعلتَ الأرى بمعنى العسل والجنى بمعنى كلّ ما يجنى : من ثمرةٍ ونحوها ، يلزم إضافة الموصوف إلى الصفة . واشتارته : استخرجته ، يقال شار فلانٌ العسلَ شَورا وشِيارا وشِيارة : إذا استخرجه ، وكذلك أشاره واشتاره . وأيدٍ جمع يد . والعواسل : جمع عاسلة أى مستخرِجة العسل ، والعاسل : مشتار العسل من موضعه . والمصراع الأوّل بالنسبة إلى الأعداء والثانى بالنسبة إلى الأولياء ، يعنى أن لعاب قلمه بالنسبة إلى الأعداء سمٌّ قاتل ، وبالنسبة إلى الأولياء شفاء عاجل . فقوله : لعابه ، مبتدأ مؤخر ولعاب الأفاعى خبر مقدّم ، وأرى معطوف على الخبر ، وجاز هذا مع تعرّف الطرفين لأن المعنى دالّ عليه ، فإن اللعاب القاتل إنما هو لعاب الأفاعى ، فلعاب القلم مشبَّه به فى التأثير . وعُلِم من هذا أنه ليس من التشبيه المقلوب[2] فإن لعاب القلم قد شبِّه بشيئين وهما[3] السمّ والعسل باعتبارين . وإن جعلته من التشبيه المقلوب كان من عطف الجمل ، والخبر فى المعطوف محذوف . وفيه تكلّف .

---

(١) ط : « المساور » بالفك ، والوجه فى سه مع أثر تصحيح .

(٢) انظر مامضى من كلام ابن هشام قريبا .

(٣) فى النسختين : « وهو » .

وقوله : « له ريقة طلٌّ » ريقة مبتدأ ، وطلٌّ وصفه ، والظرف قبله خبره ، وَالطَّلّ : المطر الضعيف ، والوابل وكذا الوَبل : المطر الشديدُ الضخم القَطْرِ. إنّ مايجرى من القلم حقير تافِه فى ظاهر الأمر ، ولكن له أثر خيرٍ عمّ للمشارق وللمغارب .

وأراد بالخمس اللطاف الأصابع الخمس . والشِّعاب : جمع شِعب بكسرها : الطريق فى الجبل . والحوافل : جمع حافلة ؛ يقال حَفَل اللبن وغيره حَفلا وحُفولاً : اجتمع ، واحتفل الوادى : امتلأ وسال .

وقوله : أطاعته أطراف الخ ، هو جواب (إذا) . وروى : « أطاعته أطراف القنا وتقوّضت » ، يقال تقوضت الصفوف : إذا انتقضت ، وأصله من تقويضِ البناء وهو نقضُه من غير هدم . والنجوى : السرّ . وتقويضَ أى كتقويض الخيام . والجحافل : فاعل تقوّضت ، وهو جمع جحفل بتقديم الجيم على المهملة كجعفر : الجيش .

واستغزر الدهنَ : وجده غزيرا . وفاعله ضمير القلم . والخلىّ : الخالى . وروى بدله (الذكىّ) أى المتوقد . وإنما تكون أعالى القلم أسافلَ حين الكتابة .

ورفدَته : أعانته . ورأيت : جواب إذا . وشأنه : فاعل جليلًا . وجملة « وهو مرهف » حال ، وهو اسم مفعول من أرهفت السيف ونحوَه إذا رقّقت شَفرتيه ، ويقال أيضاً رهَفته رهفا ، فهو رهيف ومرهوف . وضنى تمييز ، وهو مصدر ضنِيَ من باب تعب ، إذا مرض مرضاً ملازماً . وسميناً معطوف على جليلا . وناحل : من نحَل الجسم ينحَل بفتحهما نُحولا : سقِم ، ومن باب تعب لغة .

وأبو تمام الطائى مضت ترجمته فى الشاهد الرابع والخمسين[1] ولم يورد الشارح المحقق بيته هنا شاهداً ، وإنّما أورده نظيراً لمـا قبله .

الوزير ابن الزيات

وأما (ابن الزيات) الذى مدحه أبو تمّام بهذه القصيدة فهو أبو جعفر محمد ابن عبد الملك بن أبان ، المعروف بابن الزيات ، كان جدّه أبان من قرية يقال لها الدَّسكَرَة يَجْلِب الزيت . وكان محمدٌ من أهل الأدب فاضلا عالما بالنحو واللغة . ولما قدِم المازنىُّ بغداد فى أيام المعتصم كان أصحابه وجلساؤه يحضرون بين يديه فى علم النحو ، فإذا اختلفوا فيما يقع فيه الشك يقول لهم المازنى : ابعثوا إلى هذا الفتى الـكاتب — يعنى محمد بن عبد الملك — فاسألوه واعرفوا جوابه . وكان يصوّب جوابه ، فعلَا شأنه بذلك .

وكان فى أول أمره من جملة الـكتاب ، وكان أحمد بن عمّار البصرىّ وزيرَ المعتصم ، فورد على المعتصم كتابٌ من بعض الأعمال فقرأه الوزير عليه فإذا فى الـكتاب ذكر « الـكَلَأ » ، فقال له المعتصم : ما الـكلأُ ؟ فقال : لا أعلم . فقال المعتصم : خليفةٌ أمىّ ووزير عامىّ ؟! ثم قال : أبصروا مَن بالباب من الـكتاب . فوجدوا محمد بن عبدالملك ، فقال له : ما الـكلأُ ؟ فقال : هو العُشب على الإطلاق ، فإن كان رطباً فهو الخلا ، وإذا يبس فهو الحشيش — وشرع فى تقسيم أنواع النبات — فعلم المعتصم فضله ، فاستوزره وحكّمه وبسط يده .

١٦

ومدحه أبو تمام بقصائد . ومدحه البحترى بقصيدته الدالية وأحسن فى وصف خَطّه وبلاغته[2] .

---

(١) انظر ص ٣٥٦ . وفى الأصل « الثانى والخمسين » خطأ .

(٢) وذلك فى أحد عشر بيتا من قصيدته التى مطلعها :

بعض هذا العتاب والتفنيد ليس ذم الوفاء بالمحمود

وكان ابن الزيات هجا القاضيَ ابنَ أبي دُؤاد الإياديّ بتسعين بيتاً ، فعمل القاضي فيه بيتين وقال :

أحسنُ من تسعين بيتاً سدًى جمعُك معناهنّ في بيتِ
ما أحوجَ الملك إلى مَطرة تغسِل عنه وَضر الزيت[1]

وقيل : هما لعليّ بن الجهم .

وبعد المعتصم وزَر لابنه الواثق هارون ، فقال ابن الزيات :

قد قلتُ إذ غيّبوه وانصرفوا من خير قبرٍ لخير مدفون
لن يجبُرَ الله أمةً فقدتْ مثلكَ إلا بمثل « هارون »

وبعد الواثق وزَر للمتوكل . وكان ابن الزيات يدخل عليه المتوكل أيامَ المعتصم والواثق ،فكان يتجّهه ويحتقره ويستهزئ به ، فحقَد عليه المتوكل ، وبعد أربعين يوماً من ولايته قبض عليه واستصفى أمواله .

وكان ابن الزيات قد اتخذ تَنّوراً من حديد ، وأطراف مساميره المحدودة إلى داخله ، وهي قائمة مثل رءوس المسالّ ، وكان يعذّب فيه أيام وزارته فكيفما انقلب المعذَّب أو تحرّك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه ، وإذا قال له أحد ارحمني أيها الوزير ، فيقول له : الرحمة خَور في الطبيعة ! فلما

(١) في الأغاني ٢٠ : ٥١ :

أحسن من خمسين بيتا سدى جمعك إياهن في بيت
ما أحوج الناس إلى مطرة تذهب عنهم وضر الزيت

والقصة في ابن خلكان ١ : ٢٥ تخالف هذه ، فإنه قال : وهجا بعض الشعراء الوزير ابن الزيات بقصيدة عدة أبياتها سبعون بيتا ، فبلغ خبرها القاضي أحمد — يعني ابن أبي دؤاد — فقال :

أحسن من سبعين بيتا هجا ... الخ كرواية البغدادي

اعتقله المتوكل أمر بإدخاله فى التنوّر ، وقيّده بخمسة عشر رطلا من الحديد . فقال له : ياأمير المؤمنين ارحمنى . فقال له : الرحمة خَوَر فى الطبيعة !! كما كان يقول للناس . وكان ذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين . وكانت مدّة تعذيبه فى التنوّر أربعين يوما إلى أن مات فيه . ووجد مكتوبا بالفحم فى جانب التنوّر :

مَن له عهدٌ بنوم   يرشد الصبّ إليهِ
رحم الله رحيماً   دلَّ عينىَّ عليهِ
سهِرتْ عينى ونامت   عينُ من هُنتُ عليهِ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون[1] :

٧٥ (إلى الملك القَرْم وابنِ الهُمامِ
وليثِ الكتيبة فى المزدَحَمْ)

على أنه يجوز عطف أحد الخبرين على الآخر كما يجوز عطف بعض الأوصاف على بعضها كما هنا . قال ابن الهمام : وليث الكتيبة وصفان للملك ، وقد عطفا على الصفة الأولى ، وهى القرم .

واستشهد به الفرّاء فى معانى القرآن وصاحب الكشّاف أيضاً لهذا الأمر. وبعده بيت أورده ابن الأنبارى فى الإنصاف وهو :

(وذا الرأىِ حين تغَمّ الأمورُ   بذات الصّليل وذات اللُّجُمْ)

وقال : « نصب ذا الرأى على المدح » . والقَرْم بفتح القاف : السيّد .

---

(١) انظر أيضا الخزانة ٢ : ٣٣١ ، ٥٣٤ بولاق والإنصاف ٤٦٩ .

والهُمام : الملك العظيم الهمّة ، والسيد الشجاع السخيّ . والكتيبة : الجيش ، وقيل جماعة الخيل إذا [أ] غارتْ ، من المائة إلى الألف . والمزدحم : محلّ الازدحام ، يقال ازدحم القوم وتزاحموا أى تضايقوا ؛ وأراد به المعركة . والغمّ فى الأصل : ستر كلٍّ شىء ، ومنه الغمام لأنه يستر الضوء والشمس ، ومنه أيضا الغم الذى يغم القلبَ أى يستره ويغشّيه . وقوله : بذات الصليل ، متعلق بالرأى ، وهو البيضة . يقال : صلّ البيض يصلّ صليلا : سُمع له طنين عند القراع . وذات اللجم : الخيل ، وهو جمع لجام . أراد أنه يمدهم بالسلاح والرجال.

٢١٧

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون[1] :

٧٦ (فأما القتالُ لاقتالَ لديكمُ)

على أن حذف الفاء الداخلة على خبر المبتدأ الواقع بعد (أما) ضرورة ، فإن القتال مبتدأ وجملة لاقتال لديكم خبره ، والرابط العموم الذى فى اسم لا . قاله ابن إياز فى شرح الفصول . ومثله بيت الكتاب لابن ميّادة :

ألا ليت شعرى هل إلى أم مَعْمَرٍ سبيلٌ فأما الصبرُ عنها فلا صبرا[2]

قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : هو بمنزلة قولهم نعم الرجل زيد ، وذلك أن الصّبر عنها بعض الصبر لا جميعه ؛ وقوله : فلا صبر نفى للجنس أجمع فدخل الصبر عنها وهو البعض ، فى جملة ما نفى من الجنس ، كما أنّ زيدا بعض الرجال . فأما البيت الآخر :

فأمّا الصدورُ لا صدورَ لجعفر[3] ولكنّ أعجازاً شديداً ضريرُها

---

(١) العينى ١ : ٤/٥٧٧ : ٤٧٤ وابن يعيش ٧ : ٩/١٣٤ : ١٢ والمنصف ٣ : ١١٨ والهمع ٢ : ٦٧ .

(٢) فى النسختين : « فلا صبر » ، صوابه من سيبويه ١ : ١٩٣ . والصواب أيضا « إلى أم جحدر » ، وهى صاحبته .

(٣) ط : « فاما الصدود لا صدود » ، صوابه فى ـه .

فالثانى هو الأول سواء ، وكذلك قول الآخر :

فأما القتال لا قتال لديكم . . . . . (البيت)

فالثانى هو الأول ، وكلاهما جنس . انتهى .

وهذا المصراع صدر ، وعجزه :

(ولـكنّ سيراً فى عراض المواكب[1])

(لـكنّ) اسمها محذوف ، و (سيراً) مفعول مطلق عامله محذوف وهو خبر لـكنّ ، أى ولـكنكم تسيرون سيراً . ويجوز أن يكون سيراً اسم لـكنّ والخبر محذوفاً أى ولـكنّ لـكم سيراً . و (فى عراض) متعلق بتسيرون المحذوف ، وهو جمع عُرض بضم العين وسكون الراء وآخره ضاد معجمة ، بمعنى الناحية . و (المواكب) : الجماعة ركباناً أو مشاة ، وقيل ركاب الإبل للزينة ، من وَكَب يكِبُ وكوباً : مشى فى دَرَجان . وقبل هذا البيت بيت ، وهو :

فَضحتم قريشاً بالفِرار وأنتم قُمُدّون سُودانٌ عظامُ المناكب

و (القُمُدّ) بضم القاف والميم وتشديد الدال : الطويل ، وقيل الطويل العنق الضخمُهُ ، من القَمَد بفتحتين وهو الطُّول ، وقيل ضخامة العنق فى طول . والوصف أقمد وقُمُدّ ، والأنثى قمداء وقَمُدّة وقمّدانية . والسُّودان أراد به الأشراف ، جمع سُود وهو جمع أسود ، أفعل تفضيل من السيادة .

صاحب الشاهد

والبيتان للحارث بن خالد المخزومى ، كذا قال ابن خلف . وقال صاحب الأغانى : هما مما هجا بهما قديماً بنى أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس اه .

الحارث المخزو

والحارث هو ابن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم .

---

(١) ط : « المراكب » صوابه فى ش والمراجع المتقدمة .

قال الزُّبير بن بكار فى أنساب قريش : كان الحارث شاعراً كثير الشعر ، وهو الذى يقول :

من كان يسأل عَنَّا أين منزلنا ... فالأقحوانة منا منزل قمِنُ

إذْ نلبَسُ العيشَ غضًّا لا يكدّره ... خوفُ الوشاة ولا ينبو بنا الزّمن

٢١٨ والأقحوانة : ماء بين بئر ميمون إلى بئر ابن هشام[١] وكان يزيد استعمله على مكة وابنُ الزبير يومئذ بها ، فمنعه ابن الزبير ، فلم يزل فى داره معتزلا لابن الزبير حتّى ولى عبد الملك بن مروان فولاّه مكة ثم عزله ، فقدم عليه دمشق فلم ير له عنده ما يحبّ ، فانصرف عنه وقال :

عطفتُ عليك النفسَ حتّى كأنما ... بكفَّيك بؤسى أو لديك نعيمها

فما بىَ إن أقصيتنى من ضَرَاعة ... ولا افتقرت نفسى إلى مَن يضيمها[٢]

انتهى . ومن شعره :

أظلومُ إنّ مُصابَكم رجلًا ... أهدَى السلامَ تحيةً ظلمُ[٣]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون ، وهو من شواهد س[٤] :

(١) انظر (أقحوانة) فى معجم البلدان ، ففيه إلى هذين البيتين بيتان آخران . وهناك خبر طريف .

(٢) ط : « يضيرها » ، صوابه فى ـه مع أثر تصحيح .

(٣) ـه : « أظليم » ، وهما روايتان . انظر العينى ٣ : ٥٠٢ والهمع ٢ : ٩٤ وابن الشجرى ١ : ١٠٧ ومجالس ثعلب ٢٧٠ والاشتقاق ٩٩ ، ١٥١ .

(٤) سيبويه ١ : ٧٠ . وانظر الخزانة أيضا ٣:٣٩٥/٤ : ٤٢١ ، ٥٥٢ وابن يعيش ١ : ٨/١٠٠ : ٩٥ والهمع ١ : ١١٠ وشرح شواهد المغنى ١٥٩ ، ٢٩٥ .

٧٧ ﴿ وقائلةٍ خولانُ فانكِحْ فتاتَهم ﴾

عجزه : (وأكرومةُ الحيَّينِ خِلوٌ كما هيَا)

على أن الفاء فى فانكح زائدة عند الأخفش . وخولان مبتدأ ، وانكح خبره . وعند سيبويه غير زائدة ، والأصل : هذه خولان فانكح فتاتهم .

قال ابن خلف : قال أبو على : من جعل الفاء زائدة أجاز فى خولان الرفع والنصب . كقولك : زيداً فاضربه . فإن قلت زيدا فاضربْ جاز عند الجميع . قال تعالى : « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » .

ونقل أبو جعفر النحاس عن المبرد أنّه قال : لو قلت هذا زيداً فاضربه ، جاز أن تجعل زيدا عطف بيان أو بدلا ، فلو رفعت خولان بالابتداء لم يجز من أجل الفاء، وإنما جاز مع هذا لأن فيها معنى التنبيه والإشارة . وقال أبو الحسن: ويجوز النصب على الذم . انتهى .

والظاهر أن يقول : ويجوز النصب على المدح كما قال غيره . فإن المرغَّب لايذمّ .

وعلى قول س : فالفاء إما لعطف الإنشاء على الخبر وهو جائز فيما له محل من الإعراب ، وإما لربط جواب شرط محذوف ، أى إذا كان كذلك فانكح . قال سيبويه : قد يحسن ويستقيم أن تقول عبدالله فاضربه ، إذا كان الخبر مبنيا على مبتدأ مظهر أو مضمر ، نحو هذا زيد فاضربه والهلال والله فانظر إليه . وقال السيرافى : الجمل كلُّها يجوز أن تكون أجوبتها بالفاء نحو زيد أبوك فقم إليه ، فإنّ كونه أباه سببٌ وعلّة للقيام إليه ، وكذلك الفاء فى فانكح يدلّ على أن وجود هذه القبيلة علة لأن يُتزوّج منهم ويتقرّب إليهم ، لحسن نسائها وشرفها . وفيه إشارة إلى ترتب الحكم على الوصف .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : « رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ

وما بَيْنَهُما فاعْبُدْهُ » ، قال إنّ ربّ خبر مبتدأ ، أى هو رب السماوات كما فى خولان بالرفع ، أى هؤلاء خولان . وخولان : حىّ باليمن . وروى : « فانكح فتاتها » لأنّه أراد القبيلة . وجملة[1] خولان فانكح فتاتهم ، فى محل نصب على أنها مقول القول ، وإنما عمل فيها النصب وهو قائلة لاعتماده على الموصوف المقدر ، أى رب امرأة قائلة . وبه يدفع ما يردُ عليه من أنّ مجرور ربّ غير موصوف بشىء مع أن وصفه واجب ، فإن المجرور هو الوصف ، والموصوف محذوف . أو تقول : الصفة محذوفة ، أى رب قائلة قالت لى . لكن يردُ عليه أنّ ما بعد ربّ يلزمه المضى ، والوصف هنا مستقبل بدليل إعماله . ويدفع أيضاً بأنه أراد حكاية الحال الماضية ، بدليل أن المعنى : قد قيل لى ذلك فيما مضى ، وليس المراد أنه يقال لى هذا فيما يستقبل . أو أنه ماض وعمل على مذهب الكسائى . قال ابن هشام فى المغنى : وسُمع أعرابىٌّ يقول بعد انقضاء رمضان : « رُبَّ صائمه لن يصومه ، ويارب قائمه لن يقومه » : وهو مما تمسَّك به الكسائى على إعمال اسم الفاعل المجرد بمعنى الماضى . وربَّ هنا للتكثير ، وهى حرف جر لا يتعلّق بشىء ، والفعل المعدّى محذوف ، أى رب قائلة هذا القولَ أدركتها ورأيتها ، فمجرور ربّ جاء فى محل رفع على الابتداء ، أو فى محل نصب على المفعولية على شريطة التفسير . وإن قدّرت أدركت فمحلّه نصب لاغير . وقوله « وأكرومة الحيين خِلو » الأكرومة : فعل الكرم ، مصدر بمعنى اسم المفعول أى ومُكرَمة الحيين . وأراد بالحيين حىّ أبيها وحىّ أمها . والخِلو بكسر الخاء المعجمة : التى لا زوج لها . وهذه الجملة الظاهر أنها فى محل نصب على الحال ، والمعنى : ربّ قائلة قالت لى هؤلاء خولان فانكح فتاتها . فقلت : كيف أنكحها وأكرومة الحيين خاليةٌ عن الزوج ؟ قيل :

٢١٩

(١) ش : « وجلتان » ، صوابه فى ط .

ويجوز أن الجملة من تمام قول القائلة . ولا يخفى أنه لو كان كذلك لكان الوجه أن يقال فأ كرومة الحيين ، بالفاء . فتأمل . وقوله « كما هيا » صفة خِلو ، وفيه فعل محذوف أى كما كانت خلوا ، فلما حذفت كان برز الضمير ، وما مصدرية فى الجميع ، ويجوز أيضا أن يكون هى مبتدأ وخبره محذوف وما موصولة ، أى كالحالة التى هى عليها فيما عهدته . والكاف بمعنى على ، ويحتمل أن ما زائدة فيكون ضمير الرفع قد استعير فى موضع الضمير المجرور . والمعنى أنها خلو الآنَ كهى فيما مضى ، والكاف للتشبيه . ويحتمل أيضاً أنها كافّة وهى مبتدأ خبره محذوف ، أى هى عليه . وقد جوّزوا هذه الوجوه إلاّ المصدرية فى قولهم : كن كما أنت ، نقلها ابن هشام فى المغنى فى الكاف وزاد عليها .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف لها ناظم . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون ، وهو من شواهد جمل الزجاجى[1] :

٧٨ (إنّ مَنْ يدخُلِ الكَنيسةَ يوماً يَلقَ فيها جَآذِراً وظِباءِ)

على أن اسم (إنّ) ضمير شأن ، والجملة الشرطية بعدها خبرها ؛ وإنما لم يجعل (مَن) اسمها لأنها شرطية ، بدليل جزمها الفعلين ، والشرط له الصدر فى جملته فلا يعمل فيه ما قبله[2] .

---

(١) انظر أيضا الخزانة ٢ : ٤٦٣/٤ : ١٢ ، ٣٨٠ وابن يعيش ٣ : ١١٥ والهمع ١ : ١٣٦ وابن الشجرى ١ : ٢٩٥ .

(٢) عبارة الرضى ١ : ٩٢ : « وأما كلمات الشرط الجازمة ، الثابتة الأقدام فى الشرطية ، فلا يدخلها شىء من نواسخ الابتداء إلا فى الضرورة ، فيضمر مع ذلك بعدها ضمير الشأن حتى لا تخرج كلمات الشرط فى التقدير عن التصدر فى جملتها ، وذلك نحو قوله : إن من يدخل . . الخ » . فعبارة الرضى أعم وأوضح .

صاحب الشاهد

قال ابن السيد فى شرح أبيات الجمل : « هذا البيت للأخطل وكان نصرانياً ، فلذلك ذكر الكنيسة » .

وقال ابن هشام اللخمىّ فى شرحها : « لم أجده فى دايون الأخطل » .

(أقول) : قد فتّشت ديوان الأخطل من رواية السُّكرىّ[١] فلم أظفر به فيه ؛ ولعله ثابتٌ فى رواية أخرى . ونسبه السيوطى فى شواهد المغنى إلى الأخطل وقال : وبعده :

(مالتِ النفسُ بَعدَها إذْ رأتْها فهى رِيحٌ وصار جسمى هباء
ليتَ كانتْ كنيسةُ الرُّوم إذْ ذا ك علينا قَطيفةً وخِباء)

(الكنيسة) هنا : متعبَّد النصارى ، وأصله متعبَّد اليهود ، معرّب كُنِشْتْ بالفارسية[٢] . و (الجآذر) : جمع جُؤذُر ، وهو ولد البقرة بضم الذال المعجمة ، وحكى الكوفيون فتحها أيضاً ، وسردوا ألفاظاً كثيرة على فُعلَل بضم الأول وفتح الثالث ، منها جُؤذَر وبُرقَع وطُحلَب وجُخدَب وضُفدَع ، والبصريون لايعرفون فيها إلاّ ضم الثالث . و (الظباء) : الغِزلان ، ٢٢٠ الواحد ظَبية . يقول : مَن يدخل الكنيسة يَلقَ فيها أشباه الجآذر من أولاد النصارى ، وأشباهَ الظباء من نسائهم . فكنَى عن الصبيان بالجآذر ، وعن النساء بالظباء .

وقال اللخمىّ : ويحتمل أن يريد الصور التى يصوّرونها فيها ، لأنّ كنائس الروم قلّ أن تخلوَ من الصور شبيهة بالجآذر والغزلان . قال عمر ابن أبى ربيعة :

---

(١) الميمنى : « رواية السكرى هى المطبوعة عن نسخة بطرسبرج » .

(٢) هذا الضبط من معجم استينجاس ١٠٥٥ ، ومعناه فى الفارسية « معبد النار » : A fire - temple . وانظر كلام الخفاجى فى شفاء الغليل (كنيسة) .

دُميةٌ عند راهبٍ ذى اجتهاد   صَوَّروها بجانب المحْرابِ

ويعنى بالدمية الصورة . والهباء : الغبار الرقيق . والقَطيفة : كساءذوخمل .

و(الأخطل) هذا هو التَّغلبيّ الشاعرالمشهور ، من الأراقم ، واسمه غياث ابن غوث[1] بن الصَّلت بن طارقة . وأنهى نسبته الآمدىُّ فى المؤتلف والمختلف إلى تغلب .

ترجمة الأخطل

قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب : « وسمى الأخطل من الخطَل ، وهو استرخاء الأذنين[2] ومنه قيل لكلاب الصيد[3] خُطْل » . قال شارحه ابن السيد : « لا أعلم أحداً ذكر أنّ الأخطل كان طويلَ الأذنين مسترخيَهما ؛ والمعروف أنه لقّب الأخطلَ لبذاءته وسلاطة لسانه ، وذلك أن ابنىْ جعيل[4] احتكما إليه مع أمّهما فقال :

لعمرك إنّنى وابنىْ جُعَيل   وأمَّهما لَإسْتارٌ لئيمُ

فقيل : إنّه لَأخطل ! فلزمه هذا اللقب — والإستار معرب جهار ، وهو أربعة من العدد بالفارسية[5] .

وقال بعض الرواة ، وحكى نحو ذلك أبو الفرج الأصبهانى فى الأغانى :

---

(١) ط : « من غوث » ، صوابه فى ش وتيمور . قال الميمنى : ورأيت فى المخطوطات هذا التصحيف — أى تصحيف بن بمن وبالعكس — كثيرا جدا » .

(٢) أراد ابن قتيبة أن كلامه كان مسترخيا كذلك ، وذلك لتعرضه لسفاسف الأمور . وقال ابن دريد فى الاشتقاق ٣٣٨ : « وإنما سمى الأخطل لسفهه واضطراب شعره . هكذا قال الأصمعى . والخطل : الالتواء فى الكلام ، يقال رمح خطل ، إذا كان شديدا لاهتزاز ، وشاة خطلاء : طويلة الأذنين » . ومثله فى الجمهرة له ٢ : ٢٣١ . وفى اللسان : «وقيل إنما سمى بذلك لطول لسانه». وصرح العينى ١ : ٤٢٥ بطول أذنيه اغترارا بلفظ ابن قتيبة .

(٣) ط : « كلاب الصيد » صوابه ، فى ش وأدب الكاتب والاقتضاب ١٢٤ .

(٤) هما كعب وعميرة ، ذكرهما ابن قتيبة فى الشعراء ٦٣١ .

إنّ السبب فى تلقيبه بالأخطل أن كعب بن جُعَيل كان شاعر تغلب فى وقته ، وكان لايلمّ برهط منهم إلاّ أكرموه وأعطوه ، فنزل على رهط الأخطل فأكرموه ، وجمعوا له غنمًا وحظروا عليها حظيرة ؛ فجاء الأخطل فأخرجها من الحظيرة وفرّقها ، فخرج كعبٌ وشتمه ، واستعان بقومٍ من تغلب فجمعوها له وردّوها إلى الحظيرة ، فارتقب الأخطل غفلته ففرّقها ثانية ، فغضب كعب وقال: كفّوا عنّى هذا الغلام وإلاّ هجوتكم ! فقال له الأخطل : إن هجوتنا هجوناك — وكان الأخطل يومئذ يقرزم . والقرزمة[1] : أن يقول الشعر فى أول أمره قبل أن يستحكم طبعه وتقوىٰ قريحته — فقال كعب : ومن يهجونى ؟ فقال : أنا ! فقال كعب :

* ويل لهذا الوجه غبَّ الحمّه[2] *

فقال الأخطل :

* فنـاك كعبُ بن جُعيل أمّهْ *

فقال كعب : إنّ غلامكم هذا لأخطل . ولجّ الهجاء بينهما فقال الأخطل :

سمّيتَ كعباً بِشرِّ العِظامِ وكان أبوك يسمّى الجُعَلْ

وأنت مكانُك من وائل مكانُ القُراد من آست الجملْ

ففزع كعب وقال : والله لقد هجوتُ نفسى بهذين البيتين ، وعلمتُ أنْ سأهجى بهما . وقيل : بل قال : هجوت نفسى بالبيت الأول من هذين البيتين.

(١) فى النسختين : « يفرزم ، والفرزمة » ، والتصحيح للعلامة أحمد تيمور . وفى القاموس : « القرزام ، بالكسر : الشاعر الدون . وهو يقرزم شعره » ومثله فى اللسان وجاء فى الاقتضاب ١٢٤ : «يفرزم» ،وهو تصحيف كذلك . وانظر ما سيأتى فى ص ٣٥١ من صفحات الأصل .

(٢) الاقتضاب : « الجه » .

وقيل إنّ الأخطل اسمه غويث ، ويكنى أبا مالك ، ويلقب دَوْبلا أيضاً ، والدَّوبل : الحمار القصير الذنَب ، ويقال : إنّ جريرا هو الذى لقبه بذلك بقوله:

بكى دَوبل لا يرقِئُ الله دمعه ألاَ إنما يبكى من الذلّ دَوبلُ[1]

٢٢١ ومات على نصرانيته ، وكان مقدّماً عند خلفاء بنى أمية ، لمدحه لهم وانقطاعه إليهم . ومدح معاويةَ وابنه يزيد ، وهجا الأنصار رضى الله عنهم بسببه ، فلعنه الله وأخزاه وخذله . وعُمِّر عمراً طويلا إلى أن ذهب إلى النار وبئس القرار .

قال ابن رشيق فى العمدة[2] : « ومن الفحول المتأخرين الأخطل . . وبلغت به الحال فى الشعر إلى أن نادم عبدَ الملك بن مروان وأركبه ظهر جرير ابن عطية الشاعر وهو مسلمٌ تقىّ ، أمره بذلك عبدالملك بسبب شعرٍ خايره فيه بين يديه . وطوّل لسانه حتّى قال مجاهراً لعنة الله عليه — لا يستتر فى الطعن على الدين والاستخفاف بالمسلمين — :

ولستُ بصائمٍ رمضانَ طوعاً ولست بآكل لحمَ الأضاحى

ولستُ بزاجرٍ عَنساً بُكوراً إلى بطحاء مكةَ للنجاح

ولستُ منادياً أبداً بليلٍ كمثل العَير : حىَّ على الفلاح

ولكنى سأشربها شَمولا وأسجدُ عند منبلَج الصبَاح

وقد ردّ على جرير أقبحَ ردّ ، وتناول من أعراض المسلمين وقبائل العرب وأشرافهم مالا ينجو من مثله علوىّ فضلاً عن نصرانىّ .

من لقبه الأخطل وعدّ الآمدى فى المؤتلف والمختلف[3] : مَن لقَب الأخطل أربعة : أحدهم

(١) الاقتضاب ١٢٥ : « لا أرقأ الله دمعه » . وانظر اللسان (دبل ٥٠٢) .
(٢) العمدة ١ : ٢١ .
(٣) المؤتلف والمختلف ٢١ .

هذا . والثانى الأخطل الضُّبعى ، كان شاعراً وادّعى النبوة ، وكان يقول : لمضر صدر النبوة ولنا عجزها . فأخذه ابن هبيرة فى دولة الأمويّين فقال : ألستَ القائل :

لنا شطر هذا الأمر قسمةَ عادلٍ متَى جعل الله الرسالة تُرتبا

أى راتبة دائمة فى واحد . قال : وأنا القائل :

ومن عجبِ الأيام أنّك حاكم علىّ وأنى فى يديكَ أسيرُ

قال : أنشدنى شعرك ، قال : اغرُبْ ويلك ! فأمر به فضربت عنقه . والثالث الأخطل المجاشعى وهو الأخطل بن غالب أخو الفرزدق ، وكان شاعراً ، وإنما كسفه الفرزدق فذهب شعره . والرابع الأخطل بن حمّاد بن الأخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب .

* * *

وأنشد بعده : (ولو أنّ ما أسعى لِأدنى مَعيشةٍ)

تقدّم شرحه فى الشاهد التاسع والأربعين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون[2] :

٧٩ (قالتْ أُمامة لمّا جئتُ زائرَها هلّا رَميتَ ببعضِ الأسهُمِ السُّودِ

لادَرّ دَرُّكِ ! إنّى قدْ رَميتهُمُ لولا حُدِدتُ ولا عُذْرَى لمحدُودِ)

على أنه ربما دخلت (لولا) على الفعلية كما هنا ، أى لولا الحدّ وهو

(١) انظر ما سبق فى ص ٣٢٧ .

(٢) انظر ابن يعيش ١ : ٩٥ والإنصاف ٧٣ وابن الشجرى ٢ : ٢١١ واللسان (عذر ٢١٩) .

الحرمان . وهذا البيت يردّ مذهب الفرّاء القائل بأنّ مابعد لولا مرفوع بها ، فلو كانت عاملة للرفع لذكر بعدها هنا مرفوع ، فوجب كونها غير عاملة لعدم مرفوع .

وهذا الذي نسبه الشارح المحقّق إلى الفرّاءِ نسبه ابنُ الأنباري في الإنصاف وابن الشجري في أماليه إلى الكوفيين . وذهب ابن الأنباري إلى صحة مذهبهم وقال : الصحيح ما ذهب إليه الكوفيون من أنّ (لولا) نائبة عن الفعل الذي لو ظهر لرفع الاسم ، فإن التقدير في لولا زيد لأكرمتك : لو لم يمنعني زيد من إكرامك لأكرمتك ، إلاّ أنهم حذفوا الفعل تخفيفا وزادوا (لا) على (لو) فصارا بمنزلة حرف واحد . وأجاب عن البيت بأن لولا هنا هي (لو) الامتناعية و (لا) معها بمعنى (لم) ، لأن لا مع الماضي بمنزلة لم مع المستقبل ، فكأنه قال : قد رميتهم لو لم أحَدّ ، وهذا كقوله تعالى : « فَلَاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ » ، أي لم يقتحمها اه .

وقال يوسف بن السيرافي في شرح شواهد الغريب المصنَّف لأبي عُبيد القاسم بن سلّام : لولا لايقع بعدها إلا الأسماء ، وتكون مبتدأة وتحذف أخبارها وجوبا ، وتقع بعدها أنّ المفتوحة المشدّدة ، وهي واسمها وخبرها في تقدير اسم واحد . فلما اضطرّ الشاعرُ حَذَفَ أنّ واسمَها ، أي لولا أني حُدِدت ، يقول : لولا أني حددت لقتلت القوم . وهذا قبيح لأنه يجرى مجرى حذف الموصول وإبقاء الصلة . ويجوز أن يكون شبّه لولا بِلوْ فأوْلاَهَا الفعل ، أو شبّه أنّ الشديدة بأنْ الخفيفة ، فأنِ الخفيفة قد تحذف كقوله :

* ألا أيُّهذا الزاجرِي أحضُرَ الوغى[1] *

---

(١) لطرفة . وعجزه :

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

فلما استجازُوا حذفَها حذفوا الثقيلة ، لأنهما حرفا مصدر .

صاحب الشاهد

وهذا الشعر للجموح ، أحد بنى ظَفَر من سُلَيم بن منصور . وبعدهما بيتان آخران وهما :

(إذْ همْ كرِجْل الدَّبى لا دَرَّ دَرُّهمُ يغزُون كلَّ طُوال المشى ممدودِ
فما تركت أبا بشرٍ وصاحبَه حتَّى أحاط صريحُ الموت بالجيد)

وروى هذه الأبيات الأربعة أبو تمّام فى كتابه مختار أشعار القبائل لراشد بن عبدالله السُّلَمىّ[1] ، ونسبها ابن السيرافى وابن الشجرىّ للجموح كما ذكرنا .

وقال ابن السيرافي : كان من خبر الجموح الظَفَرىّ أنه بيّت بنى لِحْيان وبنى سَهم بن هذيل ، بوادٍ يقال له ذات البَشام ، وكان الجموح قد جمع جمعاً من بنى سُليم وفيهم رجل يقودهم معه يكنى بأبى بشر ، فتحالف الجموح وأبو بشر على الموت ، وكان فى كنانةِ الجموح نَبْل مُعلَمَة بسواد ، حَلف ليرمينّ بها جُمَعَ قبل رجعته فى عَدوِّه . فقُتل أبو بشر وهزم أصحابه وأصابتهم بنو لحيان تلك الليلة ، وأعجز الجموح . فقالت له امرأته وهى تلومُه : هلّارميتُ تلك النَّبْل التى كنتَ آليت لترمينّ بها !

وأمامة : زوجته . وروى : (لما جئتُ طارقها) . وروى : (هلّا رميتَ بباقى الأسهم السود) .

قال أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات : وتتخذ السهام من القنا ، وقلّما يرغب فيها أهل البوادى ، لأنّها خِفاف وإن كان مداها أبعد ؛ وقداح أهل البوادى غِلاظ ثِقال عِراض الحدائد فهى قويّة ، إذا نَشِبت فى الصَّيد

---

(١) صحابى كان يدعى غويا فسماه صلى الله عليه وسلم راشد بن عبد الله . الإصابة والاستيعاب .

فعضّها لم تنكسر وكانت جراحاتها واسعة ، لأنهم أصحابُ صيد وحروب . وسهام القنا سود الألوان ، وإياها عنى الشاعر بقوله :

* هلّا رميتَ ببعض الأسهم السود * اه

وقوله (لا درّ درّكِ) أي فقلت لها : لا كان فيك خير ولا أتيتِ بخير ، يدعو عليها ؛ والكاف مكسورة . و (حُدِدتُ) بالبناء للمفعول حرمت ومنعت ، قال ابن الأنبارى فى شرح المفضليات : يقال حددته حدّا : إذا منعته .وقد حُدّ الرجل عن الرزق إذا مُنع منه ، وهو محدود . وأنشد هذا البيت . يقول : قد رميتُ واجتهدت فى قتالهم ولكنّى حرمت النصر عليهم ، ولا يقبل عذر المحروم . وروى (لا درّ كسبك) . وروى أبو تمام :(للهدرك) فيكون دعاء لها . و (العُذرى) بضم العين والقصر : اسم بمعنى المعذرة ، قال فى الصحاح : « عذرته فيما صنع أعذِره عُذْرا وعُذُرا ، والاسم المعذِرة والعُذرَى » . وأنشد هذا البيت . والرِّجْل بكسر الراء وسكون الجيم : القطعة العظيمة من الجراد . والدَّبى بفتح الدال وبالموحدة وبالقصر : أصغر الجراد . والطُّوال كغراب : الطويل . ٢٢٣

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

٨٠ (وما لَيلُ المَطِىّ بنائِمِ)

أصله :

(لقد لُمتِنا يا أمّ غَيلان بالسُّرى ونمتِ ، وما ليلُ المطىّ بنائمِ)

(١) سيبويه ١ : ٨٠ وانظر ابن الشجرى ١ : ٣٦ ، ٣٠١ والإنصاف ٢٤٣ وديوان جرير ٥٥٣ والنقائض ٧٥٣ .

على أنّ الزمان يسند إليه كثيراً مايقع فيه ، فإن النوم يقع فى الليل ، وقد أسند إليه مجازاً عقلياً ، كقول رؤبة :

* فنـــامَ ليلِى وتجلّى همّى *

فإن قلت : إنّ الشاعر قد نفى النوم عن الليل ، فكيف ذلك مع قول الشارح بأن النّوم قد أُسند إلى الليل ؟ قلتُ : النفى فرع الإثبات .

وقد أورده سيبويه على أن وصف الليل بأنه غير نائم على طريق الاتساع ، والليل لا ينام ولا يوصف بأنه غير نائم ، لأنه ليس من الحيوان ، وكان حقه بمنوم فيه . وأراد : وما ليل أصحاب المطى ، فحذف . وأراد بأصحاب المطى من يركب ويسافر ، فلا ينبغى أن ينام من أول الليل إلى آخره .

و (أم غيلان) قال ابن خلف : هى بنت جرير . يقول : لمْتِنا فى تركنا النوم واشتغالنا بالسرى . و (المطىّ) : جمع مطيّة ، وهى الراحلة التى يُمتطى ظهرها أى يُركب . و (السُّرى) : سير الليل .

أبيات الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لجرير يردُّ بها على الفرزدق . مطلعها :

(لاخيرَ فى مستعجِلات المَلاوم	ولا فى حبيبٍ وصلُه غيرُ دائمِ
تركت الصِّبا مِن رهبةٍ أن يَهيجنى	بتُوضِحَ[1] رسمُ المنزل المتقادم
وقال صِحابى : ماله ؟ قلت : حاجةٌ	تُهيج صُدوعَ القلب بين الحيازم
تقول لنا سلمى : مَن القومُ أن رأتْ	وُجوهاً عِتاقاً لُوِّحت بالسمائم
لقد لمتِنا يا أمَّ غيلان بالسُّرى	. . . . . . البيت)

والمَلاوم : جمع مَلامة . والمستعجِلات بكسر الجيم . والحيازم : جمع حَيزوم وهو وسط الصدر . وقوله : مَن القوم ، بالاستفهام . وأن رأت ، بفتح همزة

(١) ط : « بتوضيح » ، صوابه فى سه والديوان ٥٥٤ .

أن . ولُوِّحت ، بالبناء للمفعول : مبالغة لاحهُ السفرُ أى غيّره . والسمائم : جمع سَموم ، وهى الريح الحارّة ، مؤنثة . وقوله (لقد لمتنا . . الخ) أى قلتِ لنا[1] .

وترجمة جرير قد تقدمت فى الشاهد الرابع[2] .

* * *

اسم ما ولا المشبهين بليس

أنشد فيه ، وهو الشاهد الحادى والثمانون ، وهو من شواهد سيبويه[3] :

٨١ (مَن صَدَّ عن نيرانها فأنا ابنُ قيسٍ لا بَراحُ)

على أنّ (لا) تعمل عمل ليس شذوذا .

وأنشده سيبويه أيضاً على إجراء (لا) مُجرى ليس فى بعض اللغات .

فبراح اسمها والخبر محذوف أى لى . قال ابن خلف : ويجوز رفع براح ٢٢٤ بالابتداء ، على أن الأحسن حينئذ تكرير (لا) كقوله تعالى : « لا خَوفٌ عَلَيْهِمْ ولاَ هُمْ يحزَنُون » . وقال المبرد ، كما نقله النحاس : لا أرى بأساً أن تقول لا رجلٌ فى الدار فى غير ضرورة ، وكذا لا زيد فى الدار ، فى جواب هل زيد فى الدار ؟

وقوله (فأنا ابن قيس) ، أى أنا المشهور فى النّجدة كما سمعتَ . وأضاف نفسه إلى جده الأعلى لشهرته به . وجملة (لا براح لى) حال مؤكدة لقوله :

---

(١) ط : « قلت لها » ، صوابه فى سه .

(٢) فى ص ٧٥ .

(٣) سيبويه ١ : ٢٨ ، ٣٥٤ . وانظر ابن يعيش ١ : ١٠٨ والإنصاف ٣٦٧ وابن الشجرى ١ : ٢٣٩ ، ٢٧٢ ، ٢/٣٢٣ : ٢٢٤ وشرح شواهد المغنى ٢٠٨ .

أنا ابن قيس ، كأنه قال : أنا ابن قيس ثابتاً فى الحرب . وإتيان الحال بعد أنا ابن فلان كثير ، كقوله :

* أنا ابنُ دارةَ مشهوراً بها نسبى[1] *

وقيل : الجملة فى محل رفع خبر بعد خبر . وقيل تقرير للجملة التى قبلها . ويجوز نصب ابن قيس على الاختصاص فيتعيّن جملة لابراح لى كونها خبراً لأنا وهو أفخر وأمدح . قال الإمام المرزوقى فى قوله :

* إنّا بنى نهشل لا ندّعى لأبٍ[2] *

« الفرق بين أن تنصبَ بنى نهشل على الاختصاص وبين أن ترفع على الخبرية ، هو أنه لو جعله خبراً لكان قصدهُ إلى تعريف نفسه عند المخاطب ، وكان فعله لذلك لا يخلو عن خمول فيهم وجهل من المخاطب بشأنهم ؛ وإذا نصبَ أمِن من ذلك . فقال مفتخرا : أنا أذكُر مَن لايخفى شأنه ، لأنه يفعل كذا وكذا ! » اهـ .

و (البراح) بفتح الموحّدة : مصدر برِح الشيء براحا من باب تعب : إذا زال من مكانه .

صاحب الشاهد — وهذا البيت من قصيدة مذكورة فى الحماسة هى خمسة عشر بيتاً لسعد ابن مالك ، وأولها :

(يا بؤسَ للحرب التى وضعتْ أراهِطَ فاستراحوا)

---

(١) لسالم بن دارة . وعجزه كما سيأتى فى ١ : ٥٥٣ بولاق :

* وهل بذلك يا للناس من عار *

(٢) لبشامة بن حزن . وعجزه كما فى الحماسة ١٠٢ بشرح المرزوقى :

* عنه ولا هو بالأبناء يشرينا *

وهو من أبيات مُغنى اللبيب ، أو رده على أن الأصل : يا بؤسَ الحربِ ، فأقحمت اللام بين المتضايفين تقوية للاختصاص ؛ ثم قال : « وهل انجرار ما بعدها بها أو بالمضاف ؟ قولان : أرجحهما الأول ، لأن الجارّ أقرب ولأنه لايعلّق » .

وفى أمالى ابن الشجرى:قال المبرد : من قال يا بؤساً لزيد جعل النداء بمعنى الدعاء على المذكور ، ومثله : يا بؤس للحرب . . البيت ، كأنه دعاء على الحرب ، وأراد يا بؤس الحرب فزاد اللام . ويجوز عندى أن يكون من قبيل الشبيه بالمضاف نحو : لا مانعَ لما أعطيت ؛ ولم أر مَن جوّزه فيه . ويجوز أن يكون المنادى محذوفا وبؤسَ منصوبا على الذم واللام مقحمة ، أو حذف التنوين للضرورة ، أى ياقوم أذمّ شدّة الحرب .

ومعنى وضعت أراهط : حطّتهم وأسقطتهم ، فلم يكن لهم ذكر شرف فى هذه الحرب ، فاستراحوا من مكابدتها كالنساء ؛ وفيه حذف مضاف أى وضعت ذِكر أراهط ، وهو جمع أرهُط جمع رَهط : وهو النفر من ثلاثة إلى عشرة ، وقد جاء أرهُط مستعملًا ، قال رؤبة :

* وهو الذليلُ نفراً فى أرهُطِهْ *

وزعم أكثر النحويين أن أراهط جمع رَهط على خلاف القياس . وروى برفع أراهط فالمفعول محذوف ، أى وضعتها أراهطُ ؛ والأول أنسب ، فإن هذا الشعر قاله (سعد) فى حرب البسوس حين هاجت الحرب بين بكر وتغلب لقتل كليب ، واعتزل الحارث بن عُباد وقال : هذا أمر لاناقة لى فيه ولا جمل[1] ! فعرّض سعد فى هذا الشعر بقُعود الحارث بن عُباد عن الحرب ،

(١) ط : « لا ناقتى فيها ولا جملى » ؛ وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح .

كما يأتى بيانه . وزعم الدمامينى فى الحاشية الهندية : أن الوضع هنا معناه الإهلاك ، وذلك لعدم وقوفه على منشأ هذا الشعر .

أبيات الشاهد

وبعد هذا البيت :

٢٢٥

(والحربُ لايبقى لجا ... حِمها التخيّلُ والمِراحُ
إلا الفتى الصبّارُ فى النَّجدات والفرسُ الوَقاحُ .)

وهما من أبيات سيبويه ، أوردهما على أن الفتى وما بعده بدلٌ من التخيّل والمراح على الاتساع والمجاز . ولذلك أوردهما الشارح أيضا فى باب المستثنى ، وذلك أنه استثناء منقطع كقولك : ما فيها أحد إلاّ حمارٌ ، فرفع على لغة بنى تميم. ولا يخفى أن هذا البدل ليس بدل بعض كما هو شأنه ، ولهذا قال سيبويه : على الاتساع والمجاز .

ثم أقول : هذا بناء على الظاهر ، وإن اعتُبر حذفُ مُضاف أى ذو التخيّل فالاستثناء متصل ، ويختار فيه الإبدال .

والجاحم بتقديم الجيم على الحاء المهملة : المكان الشديد الحرّ ، مِن جَحمت النار فهى جاحمة : إذا اضطرمت ، ومنه الجحيم . والتخيّل: التكبّر ، من الُخيلاء . يقول: إنها تزيل نَخوة المنخوّ ، وذلك أن أولى الغَناء[1] يتكرّمون عن الخَيلاء ، ويختال المتشبّع فإذا جرب فلم يحمد افتضح وسقط . والمراح بكسر الميم : النشاط ، أى إنها تكفُّ حِدّةَ البِطر النشيطِ . وهذا تعريض بالحارث بن عُبادَ بأنه صاحب خيلاء ومراح . والصبّار : مبالغة صابر . والنجدة : الشدة والبأس فى الحرب . والوقاح بفتح الواو : الفرس الذى حافرُه صُلب شديد ، ومنه الوقاحة .

---

(١) ط : « أولى الغنى »

وقال بعدها بأبيات :

(بِئس الخلائفُ بعدَنا أولادُ يَشكُرَ واللَّقاحُ
مِن صَدَّ عَنْ نيرانها . . . . البيت
الموتُ غايتُنـــا فلا قَصْرٌ ولا عنهُ جِماحُ
وكأنّمــا وِرد المنيـ ـة عندنا ماءٌ وَراحُ)

وهذا آخر القصيدة . أى إذا ذهبنا وبقيتْ يشكر وحنيفة فبئس الخلائف هم منّا : لا يحمون حريما ، ولا يأبَوْن ضيما . وكانت حنيفة تلقب : اللَّقاح ، لأنهم لم يدينوا الملكٍ ، يقال حىٌّ لَقاح بفتح اللام ، إذا لم يكن فى طاعة ملك . وقال بعض شراح الحماسة : إنه بكسر اللام ، جمع لَقْحة ، أى إذا خلفنا من لادفاع به من الرجال والأموال فبئس الخلائف بعدنا — جعلَ أولاد يشكر كاللِّقاح ، وهى الإبل التى بها لبن ، فى احتياجها إلى من يذبّ عنها — وهذا ليس بالوجه ، وإنما مراده ذمّ الحيّين لقعودهما عن بكر فى حربهم . والقَصْر بسكون الصاد : الحبس . والجماح بكسر الجيم : مصدر جمح إذا انفلت وهرب يريد : لا يمكن حبس نفس عن الموت ، ولا مهربَ عنه . والورد[1] : الورود ، وهو دخول الماء ، وقيل حضوره وإن لم تدخله .

سبب حرب البسوس

وهذه القصيدة قالها (سعد) يعرِّض بالحارث بن عُباد لقعوده عن الحرب ، وذلك : أن جسّاسا البكرىّ لما قتل كُليبا التغلبىّ هاجت الحرب بين بكر وتغلب ابنىْ وائل . وهى حرب البسوس : واعتزلها الحارث بن عُبَاد عن هذه الحرب فعرّض به سعد كما قلنا .

قال أبو رياش فى شرح الحماسة : كان الحارث بن عُباد بن ضُبيعة بن قيس

(١) ط : « والمورد » ، صوابه فى سه .

ابن ثعلبة من حكام ربيعة وفرسانها المعدودين . وكان اعتزل حرب ابنى وائل وتنحَّى بأهله وولده وولد إخوته وأقاربه ؛ وحلَّ وتر قوسه ونزع سنان رمحه ، ولم يزل معتزلا حتى إذا كان فى آخر وقائعهم خرج ابن أخيه بُجير بن عمرو ابن عُباد فى أثر إبل له ندّت يطلبها ، فعرض له مهلهِل فى جماعةٍ يطلبون غِرّةَ بكر بن وائل ؛ فقال لمهلهِل امرؤُ القيس بنُ أبانَ بنِ كعب بن زهير بن جُشَم ، ٢٢٦ وكان من أشراف بنى تغلب وكان على مقدّمتهم زمانا طويلا : لاتفعل ! فوالله لئن قتلته ليقتلنّ به منكم كبشٌ لا يُسأل عن خاله : مَن هو ؟ وإياك أن تحقِر البغى فإنّ عاقبته وخيمة ؛ وقد اعتزلَنا عمّه وأبوه وأهلُ بيته وقومه . فأبى مهلهل إلاّ قتله ، فطعنه بالرمح وقتله وقال : « بُؤْ بشِسْعِ نعل كليب » ! — يقال : أبأت فلانا بفلان فباء به : إذا قتلتَه به ، ولا يكاد يستعمل هذا إلا والثانى كفء للأوّل — فبلغ فعلُ مهلهل عمَّ بجير وكان من أحلم أهل زمانه وأشدّهم بأسا ، فقال الحارث : نِعمَ القتيل قتيل أصلح بين ابنى وائل ! فقيل له : إنما قتل بِشِسْع نعل كليب . فلم يقبل ذلك ، وأرسل الحارث إلى مهلهل : إن كنت قتلت بجيرا بكليب وانقطعت الحرب بينكم وبين إخوانكم فقد طابت نفسى بذلك . فأرسل إليه مهلهل : إنما قتلته بشسع نعل كليب ! فغضب الحارث ودعا بفرسه — وكانت تسمّى النَعامة — فجزّ ناصيتَها وهلَب ذَنَبها[1] ، وهو أول من فعل ذلك بالخيل ، وقال :

قرِّبا مَربِطَ النعامة منّى لقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ

لا بجيرٌ أغنى قتيلا[2] ولا ره طُ كليب تزاجَروا عن ضلالِ

---

(١) يقال قد هلب ذنبه ، أى استأصله جزا .

(٢) الميمنى : « وكذا فى كتاب بكر ٦١ حيث القصيدة فى مائة بيت ، ولكنى أرى الصواب : قتيلا » .

لم أكنْ من جُناتها ، علِمَ اللهُ وإنّى لحرها اليوم صالى[1]

قرِّبا مَربِطَ النعــامة منّي إنّ قتلَ الغلام بالشِسْعِ غالى

ولقحت : حملت . والحِيال : أن يضرب الفحل الناقة فلا تحمل . وهذا مثلٌ ضربه ؛ لأن الناقة إذا حالت وضربها الفحل كان أسرع للقاحها ، وإنما يعظّم أمر الحرب لمـا تولّد منها من الأمور التى لم تـكن تُحتَسب .

ثم ارتحل الحارث مع قومه حتى نزل مع جماعة بكر بن وائل ، وعليهم يومئذ الحارث بن همّام بن مرّة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، فقال الحارث ابن عباد له : إن القوم مستقلّون قومك ، وذلك زادهم جراءة عليكم ، فقاتِلْهم بالنساء ! قال له الحارث بن همّام : وكيف قتال النساء ؟ قال : قلِّدْ كلّ امرأة إداوة من ماء ، وأعطِها هِراوة ؛ واجعلْ جمعهنّ مِن ورائكم فإن ذلكم يزيدكم اجتهادا ؛ وعلّموا بعلامات يعرفْنها : فإذا مرّت امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته فسقته من الماء ونَعَشته ، وإذا مرّت على رجل من غيركم ضربته بالهراوة فقتلته وأتت عليه . فأطاعوه ؛ وحلقت بنو بكر يومئذ رءوسها استبسالاً للموت ، وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نسائهم ؛ واقتتل الفُرسان قتالا شديدا ، وانهزمت بنو تغلب ولحقت بالظُعُن بقيّة يومها وليلتها ، واتّبعهم سَرَعانُ بكر بن وائل[2] ، وتخلّف الحارث بن عباد ، فقال لسعد بن مالك (القائل :

يا بؤسَ للحرب التى وضعت أراهطَ فاستراحوا) :

---

(١) الميمنى : « الصواب : بجمرها . وفى كتاب بكر : بحرها » .

(٢) سرعان الناس محركة : أوائلهم المستبقون إلى الأمر ، ويسكن . ومن الخيل : أوائلها ، وقد يسكن .

أتُراني ممن وَضَعَته ؟ قال : لا ، ولكن لاَمخبأ لِعطر بعد عَروس .
ومعناه : إن لم تنصر قومك الآن فلمن تدّخر نصرك ؟ !

سعد بن مالك

و (سعد) هو سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة ابن صعب بن على بن بكر بن وائل . قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : كان سعد هذا أحدَ سادات بكر بن وائل وفرسانِها فى الجاهلية . وكان شاعرا . وله أشعار جياد فى كتاب بنى قيس بن ثعلبة .
قال : وشاعر آخر اسمه سعد بن مالك بن الأقيصر القُريعى أحد بنى قُريع بن سَلامان بن مُفْرِج . وكان فارساً شاعراً .

آخر الجزء الأول
والحمد لله وحده

الفهارس



فهارس الجزء الأول

١ — فهرس التقديم

٢ — فهرس التراجم

٣ — فهرس الشواهد

(خواص الاسم)

(أقسام التنوين)

(المعرب والمبنى)

(الفاعل)

(التنازع)

الشاهد			ص
٤٧	فكنت كالساعى إلى مثعب	موائلا من سبل الراعد	٣٢٢
٤٨	لا تخلنا على غراتك إنا	طالما قد وشى بنا الأعداء	٣٢٤
٤٩	ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة	كفانى ولم أطلب قليل من المال	٣٢٧

(مفعول ما لم يسم فاعله)

الشاهد			ص
٥٠	نبئت عمرا غير شاكر نعمتى	والكفر مخبثة لنفس المنعم	٣٣٦
٥١	ولو ولدت قفيرة جرو كلب	لسب بذلك الجرو الكلابا	٣٣٧
٥٢	أمرتك الخير فافعل ما أمرت به	فقد تركتك ذا مال وذا نشب	٣٣٩

(المبتدأ والخبر)

الشاهد			ص
٥٣	غير مأسوف على زمن	ينقضى بالهم والحزن	٣٤٥
٥٤	على مثلها من أربع وملاعب	تذال مصونات الدموع السواكب	٣٤٨
٥٥	ولقد أمر على اللئيم يسبنى	فمضيت ثمت قلت لا يعنينى	٣٥٧
٥٦	قد أصبحت أم الخيار تدعى	علىّ ذنبا كله لم أصنع	٣٥٩
٥٧	ثلاث كلهن قتلت عمدا	فأخزى الله رابعة تعود	٣٦٦
٥٨	فأقبلت زحفا على الركبتين	فثوب نسيت وثوب أجر	٣٧٣
٥٩	لعمرك ما معن بتارك حقه	ولا منسئ معن ولا متيسر	٣٧٥
٦٠	لا أرى الموت يسبق الموت شيء	نغص الموت ذا الغنى والفقيرا	٣٧٩
٦١	إذا المرء لم يغش الكريهة أوشكت	حبال الهوى بالفتى أن تقطعا	٣٨٦
٦٢	فإن يك جثمانى بأرض سواكم	فإن فؤادى عندك الدهر أجمع	٣٩٥
٦٣	ألا يا نخلة من ذات عرق	عليك ورحمة الله السلام	٣٩٩
٦٤	أحقا بنى أسماء سلمى بن جندل	تهددكم إياى وسط المجالس	٤٠١
٦٥	أكل عام نعم تحوونه		٤٠٧
٦٦	شهدنا فما نلقى لنا من كتيبة	يد الدهر إلا جبرئيل أمامها	٤١٥
٦٧	فوردن والعيوق مقعد رابئ الـ	ـضرباء خلف النجم لا يتتلع	٤١٨
٦٨	أنصب للمنية تعتريهم	رجالى أم هم درج السيول	٤٢٤
٦٩	فساغ لى الشراب وكنت قبلا	أغص بنقطة الماء الحميم	٤٢٩
٧٠	ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت	فإنما هى إقبال وإدبار	٤٣١
٧١	أنا أبو النجم وشعرى شعرى		٤٣٩

(اسم ما ولا المشبهين بليس)

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٩/٤٧٢٨

ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ٧٧٨ ٤

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ — ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الثاني

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الرابعة
١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت: ٤٨٢٧٨٥١

المنصوبات

أنشد فى :

المفعول المطلق

وهو الشاهد الثانى والثمانون ، وهو من شواهد س[1] :

٨٢ ﴿ هذا سُراقةُ للقرآنِ يدرُسهُ والمرء عندالرُّشا إنْ يَلْقَها ذِيبُ ﴾

على أنَّ الضمير فى (يدرسه) راجع إلى مضمون يدرس ، أى يدرس الدرس ، فيكون راجعاً للمصدر المدلول عليه بالفعل ؛ وإنما لم يجز عوده للقرآن لئلّا يلزم تعدّى العامل إلى الضمير وظاهره معاً .

واستشهد به أبو حيّان فى شرح التسهيل على أن ضمير المصدر قد يجىء مراداً به التأكيد ، وأن ذلك لايختص بالمصدر الظاهر على الصحيح .

وأورده سيبويه على أن تقديره عنده : والمرء عند الرُّشا ذئبٌ إن يَلقَها .

وتقديره عند المبرد : إن يلقها فهو ذئب .

وهذا من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يقف على قائلها أحد . قال الأعلم : « هجا هذا الشاعر رجلاً من القرّاء نسب إليه الرياء وقبول الرُّشا والحرص عليها » وكذلك أورده ابن السرّاج فى الأصول .

---

(١) سيبويه ١ : ٤٣٧ . وانظر أيضا الخزانة ٢ : ٣/٢٨٣ : ٥٧٢ ، ٤/٦٤٩ : ١٧٠ والهمع ٢ : ٣٣ وشرح شواهد المغنى ٢٠٠ وابن الشجرى ١ : ٣٣٩ .

وزعم الدماميني فى الحاشية الهندية : أن هذا البيت من المدح لا من الهجاء ، وظنّ أن (سُراقة) هو سُراقة بن جُعشُم الصحابى ـ مع أنه فى البيت غير معلوم مَن هو ـ وحرّف فيه تحريفات ثلاثة :

الأول أن الرُّشا بضم الراء والقصر : جمع رشوة ؛ فقال : هو بكسر الراء مع المدّ : الحبل ، وقصَره للضرورة وأنّثه على معنى الآلة . وكلامه هذا على حدّ : « زنّاه وحدّه[1] » .

والثانى : أن قوله يَلقَها بفتح الياء من أُلقِىَ ، وهو ضبطه بضم الياء من الإلقاء .

والثالث : أن قوله ذيب بكسر الذال وبالهمزة المبدلة ياء وهو الحيوان المعروف ؛ وهو صحّفه ذَنَباً بفتح الذال والنون ، وقال : قوله عند الرشا متعلق بذنَب لما فيه من معنى التأخّر ، والمعنى : إن يُلقِ إنسان الرشا فهو متأخّر عند إلقائها ، يريد أن سراقة درس القرآن فتقدّم والمرء متأخر عند اشتغاله بما لا يهم كمن امتهن نفسه فى السقى وإلقاء الأرشِيَة فى الآبار .

هذا كلامه ؛ وتبعه فيه الشُّمُنّي[2] . فاعتبروا يا أُولى الأبصار !

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون ، وهو من شواهد[3] س :

---

(١) أى اتهمه بالزنى ثم أقام عليه الحد .

(٢) فى هامش أصل الطبعة الأولى : « لم يتابعه الشمنى فيما رأيت ، وانما ذكر عبارته ثم ذكر بعدها الصواب » .

(٣) سيبويه ١ : ٩ . وسيعـاد فى ٢ : ٣/٣٣٩ : ٤٤٣ . وانظر الهمع ١: ٦١ وابن الشجرى ٢: ٢٠٨ والخصائص ١ : ٨٩ والانصاف ٦٨٠ وشرح شواهد الشافية ٢٩٠ .

٨٣ * دارٌ لسُعدىٰ إذْهِ مِنْ هَوا كا *

على أن المصدر بمعنى اسم المفعول أى من مَهويِّك .

وبهذا المعنى أورده أيضاً فى باب المصدر ، فإن الهوىٰ بالقصر مصدر هوِيته من باب تعب : إذا أحببته وعلِقت به .

وأنشده أيضاً فى باب الضمير على أن الياء قد تحذف ضرورة من (هى) إذ أصله إذ هِى من هوا كا . ولهذا الوجه أورده سيبويه ؛ قال الأعلم : سكن الياء أوّلا ضرورةً ثم حذفها ضرورة أخرى بعدالإسكان تشبيهاً لها بعد سكونها بالياء اللاحقة فى ضمير الغائب إذا سكَن ما قبله ، والواوِ اللاحقة له فى هذه الحال نحو عليه ولديه ، ومنه وعنه[1] .

٢٢٨

ومثله للنحاس قال : « والذى أحفظه عن ابن كيسان : أنّ هذا على مذهب من قال : هىْ جالسة . بإسكان الياء . وهذا قول حسن » اه .

وهذه الياء من سِنْخ الكلمة[2] ، وحذفها أقبح من حذف الياء فى قوله :

* سأجعل عينيه لنفسهِ مقنعا[3] *

لأن الياء التى تتبع الهاء فى (نفسه) ليست من بنية الضمير . قال المبرّد : حذَف الياء من قوله : لنفسه ، لأنها زائدة زيدت لخفاء الهاء ، وكذلك الواو ، وأنك تقف بغير ياء ولا واو ؛ فلما اضطُرّ حذَفهما فى الوصل كما يحذفان فى الوقف ؛ ودلّ عليهما ما بقى من حركة كلّ واحد منهما .

---

(١) ط : « وعليه » ، صوابه فى ش .
(٢) السنخ : الأصل . وفى ط « نسيج الكلمة » صوابه فى ش .
(٣) صدره كما فى سيبويه ١ : ٢٩٧ والانصاف ٥١٧ :
* فان يك غثا أو سمينا فاننى *

وقال أبو الحسن الأخفش : حذَف الياء لأن الاسم إنّما هو الهاء ، فردّه إلى أصله ، وحرف اللين اللاحق لها زائد .

وقوله (دار لسعدى) خبر لمبتدإ محذوف أى هذه ، وقدّره ابن خلف : فى دار ، أو هو دار . و (إذ) عامله الظرف قبله . قال الأعلم : وصف داراً خلت من سُعدى : هذه المرأة ، وبعُد عهدها بها فتغيَّرت بعدها ، وذكر أنها كانت لها داراً ومستقراً إذْ كانت مقيمة بها ، فكان يهواها بإقامتها فيها .

وهذا البيت أيضاً من الأبيات الخمسين التى لم يعلم قائلها ولا يعرف له ضميمة ، ورأيت فى حاشية اللباب أن ما قبله :

(هل تعرفُ الدارَ علىٰ تِبرا كا)

بكسر التاء المثناة ، وهو موضع . قال أبو عبيد[1] فى معجم ما استعجم : « تِبراك بكسر التاء : موضع فى ديار بنى فَقْعَس » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون[2] :

٨٤ ❊ إذا الداعى المثوِّبُ قالَ يالاَ ❊

وصدره (فخيرٌ نحنُ عند البأس مِنكُمْ)

على أن (اللام) خلطت بـ(يا) أراد أنه خلطت لام الاستغاثة الجارّة بيا حرفِ النداء وجعلتا كالكلمة الواحدة ، وحُكيتا كما تحكىٰ الأصوات ، وصار المجموع شعاراً للاستغاثة .

---

(١) ط : « أبو عبيدة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) أنظر العينى ١ : ٥٢٠ والهمع ١ : ١٨١ والخصائص ١:٢٧٦/٢: ٣/٣٧٥ : ٢٢٨ وشرح شواهد المغنى ٢٠٣ ، ٢٨٦ ونوادر أبى زيد ٢١ .

قال أبو زيد فى نوادره : أراد يا لَبنى فلان ، يريد حكاية الصارخ المستغيث . وهذا مذهب أبى علىّ أيضاً وأتباعه ، والأصل عندهم يا لَبنى فلان أو يا لَفلان ، فحذف ما بعد لام الاستغاثة كما يقال : « ألا تا » فيقال « ألا فا » يريدون : ألا تفعلوا وألا فافعلوا . وهذا أحد مذاهب ثلاثة فيه .

ثانيها : أن المنادى والمنفىّ بلا محذوفان ، أى يا قوم لا تغدوا . ذكره ابن مالك فى شرح التسهيل وابن هشام فى المغنى .

ثالثها : أنه بقية يا آل فلان ، وهو مذهب الكوفيين ، قالوا فى يا لَزيد : أصله يا آل زيد فحذفت همزة أل للتخفيف وإحدى الألفين لالتقاء الساكنين ، واستدلوا بهذا البيت وقالوا : لو كانت اللام جارّة لما جاز الاقتصار عليها . قال الشارح المحقق : وهو ضعيف ، لأنه يقال ذلك فيما لا آل له ، نحو : يا لله ويا للدواهى ، ونحوهما .

وأجاب ابن جنى فى الخصائص عن دليلهم بقوله : « فإن قلتَ : كيف جاز تعليق حرف الجر ؟ قلتُ لمّا خُلِط بيا(١) صار كالجزء منها ، ولذلك شبّه أبو علىّ ألِفه التى قبل اللام بألِف باب ودارٍ ، فحكم عليها بالانقلاب . وحَسَّن الحالَ أيضاً شىء آخر : وهو تشبُّث(٢) اللام الجارة بألف الاطلاق ، فصارت كأنها معاقِبة للمجرور ، ألا ترى أنك لو أظهرت ذلك المضاف إليه وقلت : يا لبنى فلان ، لم يجز إلحاق الألف هنا ، [وجرتْ ألف الإطلاق](٣) فى منابها عما كان ينبغى أن يكون بمكانها ، مجرىٰ ألف الإطلاق ، فى منابها عن(٤) تاء التأنيث فى نحو قوله :

---

(١) ش : « بلا » صوابه فى ط والخصائص ٢ : ٣٧٥ .
(٢) فى النسختين : « تثبت » ، والوجه من الخصائص .
(٣) التكملة من الخصائص .
(٤) ش : « على » ، صوابه فى ط والخصائص .

٢٢٩ ولاعَبَ بالعَشِيِّ بنى بَنيـهِ كفِعلِ الهِرِّ يحترش العظايا[1]

وكذلك نابت واو الإطلاق فى قوله :

* وما كلٌّ من وافىٰ منىً أنا عارفُ *

فيمن رفع كلاًّ عن الضمير الذى يراد فى عارف . وكما نابَ[2] التنوين فى نحو يومئذٍ[3] » .

وقال فى موضع آخر من الخصائص : « وسألنى أبو علىّ عن ألفِ (يا) من قوله يالا ، فى هذا البيت فقال : أمنقلبة هى ؟ قلت لا ، لأنها فى حرف فقال : بل هى منقلبة . فاستدللته على ذلك ، فاعتصم بأنها قد خُلطت باللام بعدها ووقف عليها[4] فصارت اللام كأنها جزء منها فصارت يالَ بمنزلة قال ، والألف فى موضع العين ، وهى مجهولة فينبغى أن يحكم بالانقلاب عن الواو . وهذا أجمل ما قاله[5] ، ولله هو ، وعليه رحمته ، فما كان أقوى قياسه ! وأشدَّ بهذا العلم اللطيف الشريف أنسَهُ[6] ! وكأنه إنّمـا كان مخلوقاً له ! وكيف لا يكون كذلك وقد أقام على هذه الطريقة مع جِلّة أصحابها وأعيان شيوخها سبعين سنة زائحةً عِلَلُه ، ساقطةً منه كُلَفُه ، لا يعتاقه عنه ولد ، ولا يعارضه فيه مَتجر ، ولا يسوم به مطلباً ، ولا يخدمُ به رئيساً إلا بأخَرَة[7] ! — وقد حطّ

(١) ط : « القطايا » صوابه فى ش والخصائص ٢ : ٣٧٦ .

(٢) فى النسختين : « ناسب » ، صوابه من الخصائص .

(٣) فى الخصائص : « فى نحو حينئذ ويومئذ عن المضاف اليه اذ » .

(٤) ط : « ووقعت عليها » ، صوابه فى ش والخصائص ١ : ٢٧٦

(٥) فى الخصائص : « هذا جُـل ما قاله » .

(٦) ط فقط : « ايناسه » .

(٧) بأخرة ، أى أخيرا . وفى ط : « ولا يخدم به النساء الا بآخرة » ، صوابه فى ش . والرئيس يعنى به عضد الدولة بن بويه ، وقد صنف له الايضاح ، والتكملة .

من أثقاله(١) ، وألقى عصا تَرحاله — : ثم إنى لا أقول إلاّ حقاً ، إنى لأعجب من نفسى فى وقتى هذا كيف تَطُوع لى بمسألة ، أم كيف تطمح بى إلى انتزاع علّة ! مع ما الحال عليه من عُلَق الوقت وأشجانه ، وتذاؤبِهِ(٢) وخَلْج أشطانِهِ ؛ ولولا مساورة الفكر واكتداده(٣) لكنت عن هذا الشأن بمعزِل ، وبأمرٍ سواه على شغل » اهـ .

ولله درّه ! فكأنما رمىَ عن قوسى ، وتكلّم عن نفسى . والله المشكور فى كل حال ، وهو غنيٌّ بعلمه عن السؤال .

وقوله : (فخيرٌ نحن عند البأس منكم) قد تكلّم الناس على إعرابه قديماً وحديثاً لا سيّما أبو على الفارسى ، فإنه تكلّم عليه فى أكثر كتبه . قال فى التذكرة القصرية : « سألت عن هذا البيت ابنَ الخياط والمعمرىّ فلم يجيبا إلاّ بعد مدّة ، قالا : لا يخلو من أن يكون نحنُ ارتفع بخيرٌ أو بالابتداء ويكون خيرٌ الخبر ، أو يكون تأكيداً للضمير الذى فى خيْر والمبتدأ محذوفٍ أى نحن خير ، لا جائز أن يرتفع بخير لأنّ خيراً لا يرفع المظهر البتّة ، ولا مبتدأً للزوم الفصل بالأجنبيّ بين أفعلَ وبين من ، وهو غير جائز ، فثبت أن نحن تأكيد للضمير فى خير » .

وقد أجمل كلامه هنا ، وفصّله فى المسائل المشكِلة ، المعروفة بالبغداديات . وبعد أن منع كونَ نحنُ مبتدأ وخير خبراً قال : « عندى فيه قولان : أحدهما أن يكون قوله خيْر خبَر مبتدأ محذوف تقديره : نحن خير عند البأس منكم ،

(١) ط : « وقال وقد حط من أثقاله » ، وكلمة « وقال » مقحمة لم ترد فى ش ولا الخصائص .
(٢) التذاؤب : الاضطراب . وفى النسختين : « وتداويه » صوابه فى الخصائص .
(٣) ط : « واكتداره » ، صوابه فى ش والخصائص .

فنحن على هذا فى البيت ليس بمبتدأ ، لكنه تأكيد لما فى خيْر من ضمير المبتدإ المحذوف ؛ وحسنُ هذا التأكيد لأنه حذف المبتدأ من اللفظ ولم يقع الفصل بشىء أجنبىّ بل بما هو منه ، وقد وقع الفصل بالفاعل بين الصلة وموصولها فى نحو قولهم : ما من أيام أحبَّ إلى الله فيها الصومُ منه فى عشر ذى الحجة وكان ذلك حسناً سائغاً . فإذا ساغ كان التأكيد أسوغ ، لأنه قد يحسن حيث لا يحسن غيره من الأسماء » .

وقال فى الإيضاح الشعرى فى هذا الوجه — بعد أن قال : ونحن الظاهرُ تأكيد للضمير الذى فى خيْر على المعنى : « كان ينبغى أن يكون على لفظ الغيبة، ولكن جاء به على الأصل نحو نحن فعلنا ؛ ويدلّك على أنه كان ينبغى أن يجىء على لفظ الغيبة : أن أبا عثمان قال — فى الإخبار عن الضمير الذى فى منطلق من قوله : أنت منطلق — إذا أخبرت عن الضمير الذى فى منطلق مِن قولك أنت منطلق لم يجُز ، لأنك تجعل مكانه ضميراً يرجع إلى الذى ولا يرجع إلى المخاطب ، فيصير المخاطب مبتدأ ليس فى خبره ما يرجع إليه . فهذا — من قوله — يدلّ على أن الضمير وإن كان للمخاطب فى أنت منطلق فهو على لفظ الغيبة ؛ ولولا ذلك لم يصلح أن يرجع إلى الذى . على أن هذا من كلامهم مثلُ أنتم تذهبون ؛ واسم الفاعل أشبهُ بالمضارع منه بالماضى ، فلذلك جعله مثلَه ولم يجعله مثلَ الماضى فى أنتم فعلتم » اهـ .

٢٣٠

ثم قال فى البغداديات : « القول الثانى : أن يجعل خيْر صفة مقدّمة ، يقدّر ارتفاع نحنُ به ، كما يجيز أبو الحسن فى : قائم الزيدان ، أن ارتفاع الزيدان بقائم . فلا يقع على هذا أيضاً فصلٌ بشىء يكره ولا يجوز ، لأن نحن على هذا مرتفع بخير . إلاّ أن ذا قبيح ، لأن خيراً وبابَه لا يعمل عمل الفعل إذا جرى

على موصوفه ، وإعماله فى الظاهر مبتدأً غير جارٍ على شىء أقبحُ وأشدُّ امتناعاً . والوجه الأوّل حسن سائغ » .

قال فى الإيضاح « فإذا جاز ذلك فيما ذكرناه — أى الوجه الأول — لم يكن فيما حمل أبو الحسن عليه البيتَ من الظاهر دلالةٌ على إجازةِ نحو : الخليفة أحبُّ إليه يحيىٰ من جعفر حتّى يقول : الخليفة يحيىٰ أحبُّ إليه من جعفر ، أو أحب إليه من جعفر يحيىٰ ، على ما أجازه سيبويه فى : ما رأيت رجلا أحسنَ فى عينه الكحلُ منه فى عين زَيد ، فلا يفصل بينهما بما هو أجنبىّ منهما » اهـ .

ثم قال فى البغداديّات : « فإن قال قائل : أيجوز أن يكون لخيرٌ خبراً مقدَّماً لما بعده وهو نحن ، ويكون منكم غيرَ صلة ولكنها ظرف كقوله :

* ولستَ بالأكثر منهم حَصًى *(١)

وتقديره : ولست بالأكثر فيهم ، لا على حدّ : هو أفضل من زيد ، ألا ترى أن الألف واللام تعاقِب مِنْ هنا ؟ ! فالجواب : أنه بعيد ؛ وليس المعنى عليه ، إنما يريد : نحن خير منكم ، وأن الفزع إلينا والاستغاثة بنا ؛ نسدُّ مالا تسدُّون ونمنع من الثغور مالا تمنعون . ألا ترى أن ما بعد هذا البيت :

(ولم تثقِ العَواتقُ من غَيور بغَيرته وخَلَّينَ الحجالا)

وقوله : (عند البأس) العامل فيه خير ، ولا يجوز أن يكون متعلّقاً بالمبتدإ المحذوف على أنْ يكون التقدير : فنحن خير عند البأس منكم ، يريد : نحن

---

(١) للأعشى فى ديوانه ١٠٦ وعجزه :
* وانما العزة للكاثر *

عند البأس خير منكم ، لأنك إن نزّلته هذا التنزيل فصلت بين الصلة والموصول بما هو أجنبيٌّ منهما ومتعلقٌ بغيرهما ، وإذا قدّرت اتصاله بخير لم يكن فصْل كما لم يكن فصْل بفيها من قولك : أحبُّ إلى الله عزّ وجل فيها الصّوم » اهـ

و (البأس) بالموحدة لا بالنون ، وهو الشدة والقوة . و (الداعى) من دعوت زيداً : إذا ناديته وطلبت إقباله . و (المثوِّب) اسم فاعل من ثوّب ، قال أبو زيد : « هو الذى يدعو الناس يستنصرهم » ، والأصل فيه : أن المستغيث إذا كان بعيداً يتعرّىٰ ويلوّح بثوبه رافعاً صوته ، ليُرىٰ فيُغاث .

ووثق منه وبه : اطمأنَّ إليه وقوى قلبه . وجملة لم تثق معطوفة على مدخول إذا ؛ وكذلك جملة خلّين الحجالا . والعواتق : جمع عاتق ، وهى التى خرجت عن خدمة أبويها وعن أن يملكها الزّوج . والغيور من غار الرجل على حريمه يَغار من باب تعب ، غَيرة بالفتح ، فهو غَيورٌ وغَيْرانُ ، وهى غيور أيضاً وغيرىٰ . وخلّين ، متعدّى خلا المنزل من أهله يخلو خلُوًّا وخَلاء فهو خالٍ . وصحّفه بعضهم بالحاء المهملة وبالبناء للمجهول على أنه من التحلية وهو التزيين والحِجال بكسر الحاء المهملة : جمع حَجَلَة بالتحريك ، وهو بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار ، كذا فى النهاية . وزاد فى القاموس أنه للعروس . وأخطأ بعضهم حيث قال : هو جمع حِجْل بمعنى الخلخال ، وهذا لا يناسب المقام ، مع أنه لا يجمع على حجال وإنما يجمع على حُجول وأحجال . يريد أنهن فى يوم فزع أو غارة لا يثقن بأن يَحميَهنّ الأزواج والآباء والإخوة ، فنحن عندهنّ أوثق منكم .

وهذان البيتان نسبهما أبو زيد فى نوادره لزهير بن مَسعود الضَّبيّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون ، وهو من أبيات س[١] .

٨٥ ‏* عمّرتُكِ اللهَ إلاّ ماذَكرتِ لنا هل كنتِ جارتَنا أيامَ ذِي سَلَمِ *

على أن قولهم (عَمْرَكَ الله) له فعل كما فى هذا البيت وعمّرتكِ بتشديد الميم وضم التاء وكسر الكاف .

وكذلك استدلّ به سيبويه على أنّ عَمرَكَ وضع بدلاً من اللفظ بالفعل ، فلزمه النصب بذكر الفعل مجرداً فى البيت .

قال الأعلم ــ وتبعه ابن خلف ــ : معنى عمّرتك الله ذكّرتك الله وأصله من عمارة الموضع ، فكأنه جعل تذكيره عمارةً لقلبه ، فعمْرك الله مصدر عند سيبويه ، وتقديره أنّ معنى عمْرك عمّرتك الله : أى سألت الله عَمْرك ، وإذا وضح أن عمْرك بمعنى عمّرتك وجب أن يكون مصدراً . وقد ثبت أنهم يقولون: عمرك اللهَ وعمرتك اللهَ بمعنًى ، فيكون اسم الله منصوبا بعمْرك على قولٍ ، وبالفعل المقدر على قول . وفيه معنى السؤال . وقيل منصوب بفعل مقدّر أى سألت الله عمْرك أى بقاءك .

والفرق بينه وبين قول سيبويه وإن كان بمعنىٰ سألت الله تعالى بقاءك : أن عمرك على مذهب سيبويه بمعنى عمّرتك الملتزم حذفه وهو الناصب له ، واسم الله المفعول الثانى ، وعلى القول الآخر أنّ عمرك واسم الله مفعولان لسألت المقدّر .

---

(١) سيبويه ١ : ١٦٣ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٤٩ والهمع ٢ : ٤٥

وروى الشارح عن الأخفش إجازة رفع الجلالة على أنه فاعل . ونسبه أبو حيّان فى الارتشاف إلى ابن الأعرابى . وروى عن الأخفش : أن أصله عنده بتعميرك الله ، حذف زوائد المصدر والفعل والباء فانتصب ما كان مجروراً بها . ويدلّ لما قاله الأخفش وأنه ليس منصوباً على إضمار فعلٍ إدخالُ باء الجرّ عليه ، قال :

* بعَمْرِكَ هل رأيتَ لها سَمِيًّا *

قال أبو حيّان : والذى يكون بعد نشدتك الله وعمّرتك الله أحدُ ستّة أشياء : استفهام ، وأمر ، ونهى ، وأنْ ، وإلا ، ولمَّا بمعنى إلاّ كقوله :

* عمّرتكِ اللهَ إلاّ ما ذكرتِ لنـا *

وإذا كان إلاّ أو ما فى معناها فالفعل قبلها فى صورة الموجَب وهو منفىّ فى المعنى ، والمعنى ما أسألك إلاّ كذا ، فالمثبت لفظاً منفىّ معنىً ليتأتّى التفريغ .

قال الدمامينى فى شرح التسهيل : فإن قلتَ : تأويل الفعل بالمصدر بدون سابكٍ ليس قياسا فيلزم الشذوذ ، كتسمع بالمُعَيدِىّ أى سماعك ، وادعاء الشذوذ هنا غير متأتٍّ لاطّراد مثل هذا التركيب وفصاحته ! قلتُ : لا نسلّم أن التأويل بدون حرف مصدر شاذّ مطلقاً ، وإنما يكون شاذّا إذا لم يطّرد فى بابٍ ، أما إذا اطّرد فى باب واستمرّ فيه فإنه لا يكون شاذا ، كالجملة التى يضاف إليها اسم الزمان مثلا نحو : جئتك حين ركبَ الأمير ، أى حين ركوبه .

٢٣٢ وضبط أبو علىّ الفارسى كما نقل ابن خلف عنه أن (ألاّ) فى هذا البيت بفتح الهمزة ، فيكون أصله هلاّ . نقل صاحب التلخيص عن الكسائى :

أن هَلَاّ وألاّ بقلب الهاء همزة ولولا ولوما للتنديم فى الماضى ، وللتحضيض فى المستقبل ؛ فالأول نحو : هلا أكرمت زيداً — على معنى ليتك أكرمته ، قصداً إلى جعله نادماً على ترك الإكرام ؛ والثانى نحو : هلا تقوم — على معنى ليتك تقوم ، قصداً إلى حثه على القيام . ومع هذا فلا يخلو من ضرب من التوبيخ واللوم على ما كان يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب منه .

و (ما) زائدة . وهذه الجملة جواب عَمّرتك الله . وهو قَسم سؤالىّ . وجملة (هل كنت جارتنا . . الخ) فى موضع المفعول لذكرت معلَّق عنه بالاستفهام ، والأصل هلاّ ذكرت لنا جواب هذا السؤال ؛ وجملة (عمرتك الله) إلى آخر البيت فى محل نصب على أنها مقولة لقوله فى البيت السابق ، وهو :

(إذ كدتُ أُنكِر من سلمى فقلت لها لمّا التقينا وما بالعهد من قِدَم)

و (ذو سَلَم) : موضع عند جبلٍ قريب من المدينة المنورة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

والبيتان من قصيدة للأحْوَص الأنصارى . وأنشد سيبويه بيتاً آخر مثل هذا البيت لعمرو بن أحمر الباهلىّ وهو(١):

« عَمّرتكَ اللهَ الجليلَ فإننى أَلوِى عليكَ لوَ اَنّ لُبَّكَ يهتدى »

ألوِى عليك : أعطف عليك . وقوله : لو اَنّ لبّك يهتدى ، أى لو أن قلبك يقبل النصيحة ؛ عبّر عنه باللبّ لأنه محله . وجواب القسم السؤالىّ فى بيت بعده وهو :

« هل لامنى مِن صاحبٍ صاحبتُه مِن حاسر أو دارع أو مرتدى »

---

(١) سيبويه ١ : ١٦٣ ابن الشجرى ١ : ٣٤٩ والمنصف ٣ : ١٣٢

واعلم أن (عمّرتك الله) فى البيتين بتشديد الميم ؛ كما يدل عليه كلام سيبويه المنقول فى كلام الشارح ، وهو قوله : « والأصل عند سيبويه : عمّرتك الله تعميراً الخ[١] » . ومثله فى العباب للصاغانى : وقولهم عمّرتك الله أى سألت الله تعميرك . وأنشدَ البيتَ الأول ، ثم قال : وقال جل ذكره : ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم ما يَتَذَكَّرُ فيه مَن تَذَكَّرَ[٢] ﴾ . ويجوز عندى أن يكون قولهم عمْرَكَ الله مصدراً لفعل ثلاثىّ ، وهو : فلان يعمُره من باب نصر ، أى يعبده بالصلاة والصوم ونحوهما ، وفلان عمّار أى كثير الصلاة والصوم ؛ فيكون منصوباً على نزع الباء القسَمية ومضافاً إلى فاعله ، أى بعبادتك الله . ولم أرَ من شرحه على هذا الوجه .

الأحوص ابن محمد

و (الأحوص) من الحوص بمهملتين ، وهو ضيق فى مؤخر العين ، وقيل : فى أحد العينين . وهو الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم ابن ثابت ، يسمّى « حَمِيَّ الدَّبْرْ[٣] » أى محميّها ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه فى بَعْث فقتله المشركون وأرادوا أن يصلبوه ويمثّلوا به فحمته الدَّبْرُ[٤] — وهى النحل — فلم يقدروا عليه .

والأحوص مقدَّم عند أهل الحجاز وأكثر الرواة ، لولا أفعاله الدنيئة ؛ لأنّه أسمحهم طبعاً ، وأسلَسهُم كلاما ، وأصحّهم معنى ؛ ولشعره رونق وحلاوة وعذوبة ألفاظ ليست لأحد . وهو محسِّن فى الغزل والفخر والمدح . وكان يشبّب بنساء أشراف المدينة ، ويُشيع ذلك فى الناس ؛ فنُهى فلم ينته .

---

(١) الرضى ١ : ١٠٧

(٢) من الآية ٣٧ فى سورة فاطر .

(٣) أى كان عاصم بن ثابت ، كما فى الاصابة ٤ : ٢ والسيرة ٦٣٩ ،

(٤) الدبر ، بالفتح : جماعة النحل والزنابير . ط : « الدبرة » صوابه فى ش .

فشُكى إلى عامل سليمان بن عبد الملك ، وسُئل الكتابة فيه إليه ، ففعل فكتب سليمان يأمره أن يضرب به مائة ، ويقيمه على البُلُس للناس ، ثم يسيّره ٢٣٣ إلى دَهْلَك(١)، ففعل به ذلك. والبُلُس بضمتين : جمع بلاس بكسر الموحدة(٢)، وهى غرائر كبار من مُسوح يجعل فيها التبن يشهّر عليها من يُنكّل به ، وينادى عليه . ومن دعائهم « أرانيك الله على البُلُس » وكان الأحوص يقول ، وهو يطاف به :

ما مِن مصيبة نَكبةٍ أُمنى بها ... إلاّ تُعظّمنى وتَرفع شانى

إنى إذا خفِىَ اللئامُ رأيتَنى ... كالشَّمس لا تخفى بكل مكان

إنى على ما قد ترون مُحسَّد ... أنمى على البغضاء والشنآن

أصبحت للأنصار فيما نابهمْ ... خلَفاً وفى الشعراء من حسّان

وأقام الأحوص منفيًّا بدَهلَك إلى أن ولى عمر بن عبد العزيز ، فكتب إليه الأحوص يستأذنه فى القدوم ، وسأله الأنصارُ أيضاً أن يُقدِمه إلى المدينة ، فقال لهم : من القائل :

فما هُو إلاّ أنْ أراها فُجاءةً ... فأُبهَتَ حتّي لا أكاد أُجيبُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

أدُورُ ولولا أنْ أرى أُمّ جَعفرٍ ... بأبياتِكمْ ما دُرتُ حيثُ أدورُ

---

(١) دهلك : جزيرة بين بلاد اليمن والحبشة ، ضيقة حرجة حارة ، كان بنو أمية اذا سخطوا على أحد نفوه اليها . وعينها الأستاذ أمين واصف فى الفهرست بأنها تجاه مصوع الآن .

(٢) كتب الميمنى: « أظن البلاس معرب بلاس بالفارسية بمعنى الحصير. ثم وجدته والحمد لله فى خروم معرب الجواليقى التى سدها وليم سبيتا فى المجلة الألمانية ٣٣ : ٢٠٨ — ٢٢٤ ولفظه : من كلام فارس للمسح بلاس وجمعه بلس هكذا تقول العرب .. الخ » .

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

سَيبقى لها فى مضمر القلب والحشَا سَرِيرةُ حُبٍّ يومَ تُبلَى السَّرائرُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

اللهُ بينى وبين قيِّمها يفِرُّ منّي بها وأتَّبع(١)

قالوا : الأحوص . قال : لا جرَم ما رددتُه ما كان لى سلطان !

قال أبو عبيدة : كان سبب نفى الأحوص أنّ شهوداً شهدوا عليه أنه قال : لا أبالى أىَّ الثلاثة أكون ناكحاً أو منكوحاً أو زانياً(٢). وكان مشهوراً بالأبنة وانضاف إلى ذلك أنه دخل يوماً على سُكينة بنت الحسين رضى الله عنهما ، فأذّن المؤذن فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فخرَت سكينة برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأحوص :

فخرَتْ وانتمتْ فقلت : ذرينى ليس جهلٌ أتيتِه ببديعِ

فأنا ابن الذى حمَت لحمَهُ الدَّبْـــر قتيلاً للحِيانَ يوم رَجيعِ(٣)

غسلتْ خالىَ الملائكة الأبـــرار مَيْتاً ، طوبَي له من صريع

وكان وفد الأحوص على الوليد بن عبدالملك ممتدحا له فأنزله منزلا وأمر

---

(١) ط : « وأتبعه » ، تحريف . فانه ثانى بيتين فى الأغانى ٤ : ٤٨ أولهما :

كـأن لبنى صـبير غـادية أو دميـة زينت بهـا البيع

(٢) فى الأغانى ٤ : ٤٣ عن أبى عبيدة « شهدوا عليه أنه قال : اذا أخذت صريرى « دراهمى » لم أبال أى الثلاث لقيت » .

(٣) كذا فى ش مع أثر تصحيح . وفى ط والأغانى : « قتيـل اللحيان » . وفى الأغانى أيضا : « يوم الرجيع » . والرجيع : ماء لهذيل بناحية الحجاز .

بمطبخة تمال عليه[١] . وكان قد نزل على الوليد شعيبُ بن عبدالله بن عَمرو بن العاص ، وكان الأحوص يراود وُصَفاء للوليد خبَّازين[٢] ، يريدهم أن يفعلوا به الفاحشة ، وكان شعيب قد غضب على مولىً له ونحّاه ، فلما خاف الأحوص أن يفتضح بمراودته الغلمان اندسّ لمولى شعيب بذلك فقال : ادخل على أمير المؤمنين فاذكر له أنّ شعيباً راودك عن نفسك . ففعل المولى ، فالتفت الوليد إلى شعيب فقال : ما يقول هذا ؟ فقال : لكلامه نبأٌ يا أمير المؤمنين ، فاشددْ به يدك يصدُقْك . فشدّ عليه فقال : أمرني الأحوص بذلك . فقال قيّمُ الخبازين : إنَّ الأحوص يراود غلمانك عن أنفسهم . فأرسل به الوليد إلى ابن حزم والى المدينة وأمره أن يجلده مائة ، ويصبّ على رأسه زيتاً ، [ويقيمه على البُلُس][٣] ففعل به كما ذكرنا .

ولم يزل الأحوص بدَهلك حتّى مات عمر بن عبد العزيز وتولّى يزيد بن عبد الملك . فبينا يزيدُ وجارية ذات يوم تغنيه بعضَ شعر الأحوص فقال لها : من يقول هذا الشعر ؟ قالت : لا أدرى ! فأرسل إلى ابن شهاب الزهريّ وسأله ، فأخبره أن قائله الأحوص . قال : وما فَعَل ؟ قال : طال حبسهُ بدَهلَك . فأمر بتخلية سبيله ووهب له أربعمائة دينار .

وعن ابن الأعرابى : أنّ الأحوص كانت له جارية تسمى « بِشْرة » وكانت تحبُّه ويحبُّها . فقدِم بها دمشق، فحضرته الموت وبكت[٤] فقال الأحوص:

٢٣٤

---

(١) ش : « بمطبخه تمال عليه » . وفى الأغانى : « بمطبخه أن يمال عليه » .

(٢) انظر حواشى الحيوان ٥ : ٤٥٧

(٣) تكملة من الأغانى ٤ : ٤٤ كما يقتضيه السياق

(٤) فى الأغانى : « فحضره الموت وبكت » .

ما لجديدِ الموتِ يا بشرَ لذة ... وكلُّ جديد تستلذّ طرائفُه

ثم مات ، فجزعت عليه جزعاً شديداً ، ولم تزل تبكى عليه وتندُبه حتّى شَهِقت شهقةً وماتت . ودُفنت إلى جنبه .

(تتمة)

لم يذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف من اسمه (أحوص) غير هذا . وذكر (الأخوص) بالخاء المعجمة وقال : هو زَيد[1] بن عمرو بن قيس اليربوعى التميمىّ ، وهو شاعرٌ فارس . وأورد له شعراً جيّداً يَفتخِر به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون[2] :

٨٦ (قَعيدَكِ أن لا تُسمِعينى مَلامةً ... ولا تَنْكَئِي قَرْحَ الفؤادِ فَيِيجعاَ)

على أن (قعيدَك الله) وعمرك الله « أكثر ما يستعملان فى القسَم السؤالى فيكون جوابهما ما فيه الطلب كالأمر والنهى . وأنْ هنا زائدة » .

قال أبو حيّان فى الارتشاف : ويجىء بعد — قَعْد وقعيدك الاستفهامُ وأنْ . ولم يقيّدها بكونها زائدة أو مصدرية أو غيرَها . ومثال الاستفهام ، قال الأزهرى : قالتْ قُرِيبة الأعرابية :

قَعيدَكِ عَمْرَ الله يا ابنة مالك ... ألم تعلمينا نِعْم ماوى المحصّب

ولم أسمع بيتاً جُمع فيه بين العَمْر والقعيد إلاّ هذا . انتهى .

---

(١) ط : « يزيد » صوابه فى ش والمؤتلف ٤٩

(٢) انظر أيضاً الخزانة ٢ : ٢١٤ وهمع الهوامع ٢ : ٤٥ والمنصف ١ : ٢٠٦ والمفضليات ٢٦٩ .

وبقى على أبى حيّان أن يقول : و « اللام » . روى أبو عبيد قعيدك لتفعلن ، و « لا النافية » كما يأتى فى كلام الجوهرىّ .

قال ابن الحاجب فى الإيضاح : وقَعدَك اللهَ عند سيبويه مثل عمرَك اللهَ يجعله بمعنى فعل مقدّر معناه : سألته أن يكون حفيظك ، وإن لم يُتكلّم به . كأنه قيل حفَّظتك الله ، من قوله تعالى : « عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ »(١) أى حافظ . ووضَح ذلك فى عَمرَك اللهَ لاستعمال فعله . وإذا تحقّق أن معنى قعدَك الله معنى الفعل المقدّر المذكور ، وضَح أيضاً [أن] قعيدَك الله بمعناه وفيه أيضا معنى السؤال ، كعمرك الله .

وقال ابن خلف : يريد سيبويه بقوله : « فقعْدك الله يجرى هذا المجرى ، أن فعل المصادر قد يترك ويكون بمنزلة ما استُعمل الفعل فيه ، فقعْدك بمنزلة قولك : وصْفَك اللهَ بالثّبات وأنه لا يزول (٢) . يريد سألتك بوصفك الله بالثبات ثم حذف الفعل والباء . ولا يستعمل فيه الفعل ولا الباء ، وهو مصدر لا يتصرّف ، أى لا يستعمل فى غير هذا الموضع من الكلام ، ولا يستعمل إلاّ مضافاً . انتهى ٢٣٥

وقال أبو اسحاق إبراهيم النَّجيرَمِىّ(٣) فى كتاب أَيمان العرب : معنى قعدَك الله وقعيدَك الله : أخصبَ الله بلادَك حتى تكون مقيما فيها قاعداً غير منتجِع.

وقال الجوهرىّ « وقولهم : قعيدَك لا آتيك ، وقعيدَك اللهَ لا آتيك وقَعْدَك اللهَ وقِعْدك اللهَ بالفتح والكسر : يمينٌ للعرب . وهى مصادر استعملت منصوبة بفعل مضمَر ، والمعنى : بصاحبك الذى هو صاحب كلّ

(١) الآية ١٧ فى سورة « ق »
(٢) ط : « وان لاتزول » ، صوابه فى ش
(٣) ط : « البحيرى » ، صوابه فى ش . وقد طبع كتابه فى المطبعة السلفية سنة ١٣٤٣ بتحقيق محب الدين الخطيب

نجوى ، كما يقال : نشدتك الله » . زاد عليه صاحب العباب : وقال أبو عبيد : عُليا مضر تقول : قعيدَك لتفعلنّ كذا ، يعنى أنهم يحلفونه بأبيه ، قال : القعيد : الأب .

وأنكر صاحب القاموس كونَهما للقسم فقال : « قعيدَك الله وقِعْدَك بالكسر استعطاف لا قَسَمٌ ، بدليل أنه لم يجئ جوابُ القسم » . وهذا مخالف للجمهور ؛ فإنّ قوله (لا تسمعينى) جواب لقوله (قعيدَك) ، وكذا : لا آتيك ، فيما نقله الجوْهرىّ . قال صاحب البسيط : ويدلُّ على القسم قولهم : قعدك الله لأفعلنّ . وروى فَقَعْدَكِ[1] بفتح القاف وكسرها . والمفعول الثانى محذوف أى قعدكِ[2] الله . والكاف مكسورة لأنه خطاب مع امرأة كما يأتى بيانه . وجملة (لا تنكئى) لا محل لها من الإعراب ، كجملة المعطوف عليها ؛ يقال نكأت القَرحة ، بالهمز : إذا قشرتها ؛ ونكيت فى العدوّ بلا همز . والقرح كالجرح وزناً ومعنًى . وقوله (فييجعا) منصوب بأن مضمرة بعد الفاء ، فى جواب النهى الثانى . قال ابن الأنبارى : أهل الحجاز يقولون : وجِعَ يَوْجَعُ ووجِل يوَجَل ، يُقرّون الواو على حالها إذا سكنت وانفتح ما قبلها ، وهى أجود اللغات ؛ وبعض قيس يقول : وجِل ياجَل ووجع ياجع ؛ وبنو تميم تقول : وَجِع يِيجَع ، وهى شرّ اللغات ؛ لأن الكسر من الياءِ والياء يقوم مقام كسرتين ، فكرهوا أن يكسروا لِثِقَل الكسر فيها . وقال الفراء : إنما كسر ليتفّق اللفظ فيها واللفظ بأخواتها ؛ وذلك أن بعض العرب يقول : أنا إيجَل وأنت تِيجل ونحن نيجل ؛ فلو قالوا هو يَوَجل كانت الياء قد خالفت أخواتها .

وهذا البيت من قصيدة مشهورةٍ مشروحة فى المفضّليّات وغيرها ، لمتمم

(١) ط : « قعدك » ، صوابه فى ش

(٢) ط : « قعيدك » .

ابن نُويرة الصحابيّ رضى الله عنه ، يرثى بها أخاه مالك بن نُويرة . وقبل هذا البيت ثمانية أبيات متصلة به وهى :

قصيدة الشاهد

(تقول ابنةُ العَمرىّ مالَك بَعْدَما أراك حديثاً ناعمَ البال أفرَعا)

ابنة العمرىّ : زوجته . والحديث : القريب . والأفرَع : الكثير شعر الرأس — تقول له : مالك اليوم متغيّراً بعد أن كنت منذ قريب ناعمَ البال أفرع .

(فقلتُ لها : طولُ الأسَى ، إذ سألِتنى ولَوعة حزن تترك الوجهَ أسفَعا)

الأسى : الحزن . والتاء من سألِتنى مكسورة . واللَّوعة : الُحرقة . والسُّفعة بالضم : سواد يضرب إلى الحمرة .

(وفَقدُ بنى أمٍّ تداعَوا فلم أكنْ خِلافَهمُ أن أستكين وأضرَعا)

فَقْدُ : معطوف على طول الأسى . وتداعَوا : تفرقوا ودعا بعضهم بعضاً . وخِلافَهم : بَعدهم وخَلفهم . يقول : لست وإن أصابنى حزنٌ بمُستكينٍ ولا خاضع فيشمت به الأعداء .

٢٣٦

(ولكنّنى أمضى على ذاك مُقْدِماً إذا بعضُ مَن يَلقى الُحروب تكعكعا[1])

التكعكُع : التأخر عن الحروب من الجبن والتهيّب .

(وغيّرنى ما غال قَيساً ومالكا وعَمْراً وجَزْءاً بالمُشقَّر أَلْمعا)

غال : أهلك . وقيس وعمرو : رجلان من بنى يربوع ؛ وجَزء هو ابن سعد الرياحىّ ؛ وهؤلاء قتلهم الأسود بن المنذر يومَ المشقَّر . ويعنى بمالك أخاه . و « المُشقَّر » بالشين المعجمة والقاف على زنة اسم المفعول : قصر

(١) ط : « من يلق » صوابه فى ش والمفضليات

بالبَحْرَين ، وقيل : مدينة هَجَر . وقوله : ألمعا ، أى ألمع بهم الموت ، ومعناه ذهب بهم ؛ وقال الكسائى : أراد معاً فزاد أل .

(وما غال نَدمانَىْ يزيدَ ، وليتنى   تملّيتُه بالأهلِ والمالِ أجمعا)

النَّدمان بالفتح هو النديم ، وكان يزيد ابن عمه ونديمه .

(وإنى وإن هازَلتنى قد أصابنى   من البثّ ما يُبكى الحزينَ المفجَّعا)

يقول : نزل بى ما يغلب الصبر والتجلّد حتّى يحمل صاحبه على البكاء ، وأنا مع ذلك أتجلّد .

(ولستُ إذا ماأحدث الدهرُ نكبةً   ورُزءاً بزوّارِ القرائب أخضَعا)

يقول : إذا أصابتنى مصيبة لم آت قرائبى خاضعاً لهم لحاجة منّي إليهم ، ولكنّنى أصبر وأعِفّ مع الفقر .

وبعده : قعيدَك أن لا تسمعينى ملامة . . البيت

متمم بن نويرة

و (متمّم) هو ابن نُويرة بن جَمرة « بالجيم » ابن شدّاد بن عبيد بن ثعلبة ابن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

وكان متمّم من الصحابة رضى الله عنهم . وأخوه مالك يقال له « فارس ذى الخِمار » بكسر الخاء المعجمة وذو الخمار فرسُه .

قال ابن السِّيد فى شرح كامل المبرد : قولهم فتًى ولا كمالك ! هو مالك ابن نويرة سيّدُ بنى يربوع قتله خالد بن الوليد .

ورأيت رسالة لأبى رياش أحمد بن أبى هاشم القيسى تتضمن قصة قتل خالد بن الوليد لمالك بن نويرة ؛ قال :

كان مالك بن نويرة قدأسلم قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وتصدّق ،

وكان عَريفَ ثعلبة بن يربوع ؛ فقُبض النبى صلى الله عليه وسلم وإبِل الصدقة برَحْرَحان ، وهو ماء دُوَين بطن نخل ، فجمع مالكٌ جمعاً نحواً من ثلاثين فأغار عليها فاقتطع منها ثلاثمائة ؛ فلما قدم بلادَ بنى تميم لامَه الأقرع بن حابس ابن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع بن دارم ؛ وضِرار بن القَعقاع بن مَعبد ابن زُرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم ؛ وبلغ مالكا أنّهما يمشيان به فى بنى تميم ، فقال مالك ـ يعتبهما ويدعو على ما بقى من إبل الصدقة ـ :

أرانى اللهُ بالنَّعَم المندَّى ببُرقة رَحرحانَ وقد أرانى
أإن قرَّت عيونٌ فاستُفيئت غنائم قد يجود بها بنانى
حوَيتُ جميعَها بالسيف صَلتاً ولم تُرْعَدْ يداىَ ولا جَنانى
تَمَشَّى يا ابنَ عَوذة فى تميمٍ وصاحبُك الأُقيرع تلحَيانى !!
ألم أكُ نارَ رابئةٍ تَلظَّى فتتّقيا أذاىَ وترهَبانى[1] ؟!
فقل لابن المَذبَّ يغضَّ طرفاً على قطع المذلّة والهوان

وعَوذة : أم ضرار بن القعقاع وهى مُعاذة بنت ضرار بن عمرو الضبيّ .
والمَذَبَّة : أم الأقرع بن حابس .

فلما قام أبو بكر وبلغه قول مالك بعثَ إليه خالد بن الوليد ، وأمره أن لا يأتىَ الناس إلاّ عند صلاة الغداة ؛ فمن سمع فيهم مؤذّناً كفّ عنهم ، ومن لم يسمع فيهم مؤذّناً استحلّهم ؛ وعزم عليه ليقتلنّ مالكا إنْ أخذه . فأقبل خالد بن الوليد حتّى هبط جَوّ البَعوضة ، وبه بنو يربوع ، فبات ٢٣٧

(١) ط : « رائبة » ش : « رأيته » ، صوابه ما أثبت . وفى الحيوان ٤ : ٤٧٤ « ونار أخرى وهى النار التى كانوا اذا أرادوا حربا وتوقعوا جيشا عظيما ، وأرادوا الاجتماع ، أوقدوا ليــــلا على جبلهم نار ليبلغ الخبر أصحابهم » . وقد سماها الثعالبى فى ثمار القلوب ٤٦١ « نار الانذار » .

عندهم ولا يخافونه ؛ فمرّ على بني رِياح فوجد شيخاً منهم يقال له مسعود ابن وضام ، يقول :

وحَجَّةٍ أتبعتُها بحَجَّةٍ وهَدْيةٍ أهدَيتها للأبطحِ

فمضى عن رياح حتّي مرّ ببني غُدانة وبني ثعلبة فلم يسمع فيهم مؤذّناً فحمل عليهم ؛ فثار الناس ولا يدرون ما بيتّهم ، فلما رأوا الفُرسانَ والجيش قالوا : من أنتم ؟ قالوا : نحن المسلمون. قال مالك: ونحن المسلمون ! فلم ينته المسلمون لذلك ووضعوا فيهم السيف وقُتلت غُدانة أشدَّ القتل وقُتلت ثعلبة ، وأُعجل مالك عن لبس السلاح ، وإنّ امرأته ليلى بنت سِنان بن ربيعة بن حنظلة قامت دونه عُريانة ودخل القبُّة وقامت دونه ؛ ولبس مالك أداته ثم خرج فنادى : يا آل عبيد . فلم يجبه أحد غير بني بَهانَ(١) فإنهم صدَقوا معه يومئذ وطلَعوا من جوّ البعوضة وبلغوا ذات المذاق — وهي أكمة بينها وبين الجوِّ ميلانِ أو قدرُ ميل ونصف — ففزعوا من القوم ، غير مالك وغير بقية من ولد حُبشيّ بن عبيد بن ثعلبة ، وكان عدّة من أصيب مع مالك خمسة وأربعين رجلا من بني بَهان . ثم إن خالد بن الوليد قال : يا ابن نويرة هلمّ إلى الإسلام قال مالكٌ : وتعطيني ماذا ؟ قال : ذِمّةَ الله وذمّة رسوله ، وذمّة أبي بكر ، وذمّةَ خالد بن الوليد فأقبل مالك وأعطاه بيديه ، وعلى خالد تلك العَزْمة من أبي بكر . قال : يامالك ، إني قاتلك . قال : لا تقتلني ، قال: لا أستطيع غير ذلك ؛ قال : فأت مالا تستطيع إلا إياه . فقدّمه إلى الناس فتهيّبوا قتله، وقال المهاجرون: أنقتل رجلاً مسلماً ؟! غيرَ ضرار بن الأزوَر الأسدي(٢) من بني كُوز ، فإنه قام فقتله . فقال متممٌ ابن نويرة يذكر غدره بمالك :

(١) من قبائلهم . وفي القاموس : « وبهان كقطام : امرأة » .
(٢) وكذا في الكامل ٧٦١ والاصابة ٧٦٩٠ والأغاني ١٤ : ٦٦ . وفي شرح المفضليات ٥٢٦ « ضرار بن الأسود الأزدي » .

نعم القتيلُ إذا الرِّياح تحدّبت فوق الكنيف قتيلكَ ابنَ الازورِ (١)
أدعوتَه بالله ثُمَّ قتلته ؟ ! لَو هُو دعاك بذِمّة لم يغدِرِ
ولَنِعم حَشو الدِّرع يوم لِقائه ولَنِعم مأوى الطارق المتنوِّرِ
لا يلبَس الفحشاء تحت ثيابه صعبٌ مقادته عفيفُ المِئْزرِ

فلما فرغ خالد منهم أقبل المِنهال بن عصمة الرياحى فى ناس من بنى رياح يدفنون قتلى بنى ثعلبة وبنى غدانة ، ومع المنهال بُردانِ من يَمْنة . فكانوا إذا مرُّوا على رجل يعرفونه قالوا : كفِّنْ هذا يامنهالُ فيهما ، فيقول : لا ، حتى أكفن فيهما الجفولَ مالكاً (وهو الكثير الشعَر ، وكان يلقَّب بذلك لكثرة شعَره) وذلك فى يومٍ شديد الريح فجعلوا لايقدرون على ذلك . ثم رفعت الريحُ شعَره مِن أقصى القوم فعرفه فجاءه فكفَّنه . فذلك قول متمِّم فى أول القصيدة :

لَعمرى وما دهرى بتأبين مالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا
لقد كفَّنَ المِنهال تحت ردائه فتىً غيرَ مِبطانِ العشيات أروَعا
ألم يأت أخبارُ المُحِلّ سَراتنا فيغضبَ منها كلُّ من كان موجَعا)

المُحِلّ : رجل من بنى ثعلبة ، مرّ بمالك مقتولا فنعاه كأنه شامت ، فذمَّه متمِّم وأخذ خالد بن الوليد ليلى بنت سنان امرأةَ مالك ، وابنَها جراد بن مالك ، فأقدمهما المدينة ، ودخلها وقد غرز سهمين فى عمامته ، فكأنّ عمر غضب حين رأى السهمين فقام فأتى علياً فقال : إنَّ فى حق الله أن يقاد هذا بمالك ، قتلَ رجلا مسلماً ثم نَزَا على امرأته كما ينزو الحمار . ثم قاما فأتيا طلحة ، فتتابعوا على ذلك . فقال أبو بكر : سيف سلّه الله لا أكون أولَ مَن أغمده ، أكِلُ أمره إلى الله .

(١) فى الكامل والأغانى ١٤ : ٦٧ . « اذا الرياح تناوحت »

فلما قام عُمر بالأمر وفد عليه متمِّم فاستعداه على خالد . فقال : لا أردّ شيئاً صنعه أبو بكر . فقال متمٌّ : قد كنتَ تزعم أنْ لو كنتَ مكان أبى بكر أقدْته به ! فقال عمر : لو كنتُ ذلك اليومَ بمكانى اليومَ لفعلتُ ، ولـكنّي لا أردّ شيئاً أمضاه أبو بكر ، ورد عليه ليلى وابنها جرادا .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون(١) :

٨٧ ﴿ أيُّها المنكِحُ الثريّا سُهَيلا عَمْرَكَ اللهَ كيفَ يلتقيان !
هى شاميّة إذا ما استقلّتْ وسهيلٌ إذا استقلّ يَمانى ﴾

على أن (عمرَكَ الله) يستعمل فى القسم السؤالى ، ويكون جوابه ما فيه الطلب ، وهو هنا جملة (كيف يلتقيان) فإن الاستفهام طلب الفهم ، وهو هنا تعجُّبيٌّ . خلافاً للجوهرى فى هذا فانه زعم أن (عمرك الله) هنا فى غير القسم .

وهذان البيتان من قصيدة لعمر بن أبى ربيعة .

و (المنـكح) : اسم فاعل من أنـكحه أى زوّجه . و (استقلّ) ارتفع .

الثريا

و (الثريّا) هى بنت [على بن(٢)] عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر وهم العبَلات .

وكانت الثريا وأختها عائشة اعتقتا الغَريض المغنّي ، واسمه عبد الملك ، ويكنى أبا يزيد ، كذا قال المبرّد فى الـكامل . قال ابن السِّيد فى شرحه : والعَبلات هم بنو أميّة الأصغر بن عبد شمس ــ وبنو عبد شمس : أميّة ، [وعَبد أميّة(٣)] ، ونوفل أبناء عبد شمس ــ نسبوا إلى أمّهم عبْلة بنت

---

(١) انظر ابن يعيش ٩ : ٩١ وابن الشجرى ١ : ٣٤٩ والوفيات ١ : ٣٧٨ وملحقات ديوان عمر ٤٩٥ وجمهرة ابن حزم ٧٦ .
(٢) التكملة من ش .
(٣) التكملة من ط وجمهرة ابن حزم ٧٤

عبيد بن جادِل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناَة بن تميم . وهى من البراجم .

ورأيت فى كتب اللهو لابن جردابة [١] أن كنيته أبو زيد ، وقال : هو من مولَّدى البربر يضرب العود ، أخذ الغناء عن ابن سُريج ثم حَسده فطرده ، وكان جميلا ، وربّته الثريا وعلمته النوح بالمراثى على من قتله يزيد ابن معاوية يوم الحرة .

وقيل إن الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أميّة الأصغر .

وذكر الزبير بن بكّار أنها الثريا بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أميّة الأصغر ، وأنها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبى جراب العَبْلىّ [٢] الذى قتله داود بن على ؛ كذا فى الغرر والدرر للشريف [٣] .

سهيل

وأما « سهيل » فهو سهيل بن عبد الرحمن بن عَوف الزُهْرى . وكنيته أبو الأبيض . وأمه بنت يزيد بن سلامة ذى فائش الحميرىّ . تزوّج الثريا ونقلها إلى مصر . فقال عمر بن أبى ربيعة يضرب لها المثل بالكوكبين . فكان يشبِّب بها ، وقال فيها أشعاراً . وكانت تَصيف فى الطائف ، فكان عمر يغدو بفرسه كلَّ غَداةٍ فيسائل الذين يحملون الفاكهة عن أخبارها ، فسأل بعضَهم يوماً ؛ فقال : لا أعلم خبراً غيرَ أنى سمعت عند رحيلنا صوتاً وصِياحا على امرأة من قريش اسمها اسم نجم ذهَب عنى اسمه . قال عمر : الثريا ؟ قال : نعم . ٢٣٩ وكان قد بلغه أنها عليلة ، فركَض فرسَه من أقرب الطريق حتى انتهى إليها

(١) لم يرد ذكره الا فى هذا الموضع .

(٢) النسبة الى العبلات عبلى بالفتح ، وبالتحريك عن ابن ماكولا ؛ كما فى القاموس .

(٣) امالى المرتضى ١ : ٣٤٦ ــ ٣٤٧ .

وهى تُشرف من ثَنية ، فوجدها سليمةً ومعها أختها ، فأخبرها الخبر فضحكت وقالت : أنا والله امرتهم لأخبُر ما عندك !

ولما تزوّج عمر هجرته الثريّا وغضبت عليه فقال :

قال لى صاحبي ليَعلَمَ ما بى : أتُحبّ القتول أخت الرَباب[1]
قلتُ : وجدى بها كوجدك بالما ء إذا ما مُنعتَ بردَ الشراب
مَنْ رسولى إلى الثريّا فإنى ضِقت ذرعا بهجرها والكتاب

ثم تزوّجها سُهيل المذكور وحملها إلى مصر ، وكان عمر غائبا ، فلما بلغه قال :

(أيُّها الطارقُ الذى قد عنانى بعد ما نام سامرُ الرُكبان
زارَ مِن نازحٍ بغير دليل يتخطّى إلىّ حتى أتانى[2])

إلى أن قال : أيها المنكح الثريا سهيلا . . البيتين

وزعم بعضهم أن سهيلا هو ابن عبد العزيز بن مروان . والصحيح الأول . ثم سار إلى المدينة وكتب إليها :

كتبتُ إليكِ من بَلَدى كتاب مُوَلَّه كمِدِ
كئيبٍ واكفِ العينين بالحَسَرات مُنفردِ[3]
يُؤرّقه لَهيب الشو ق بين السَّحْر والكبد
فيُمسك قلبَه بيد ويمسح عينه بيدِ[4]

فلما قرأته بكت بكاء شديداً ثم تمثّلت :

---

(١) ط : « أتحب البتول » .
(٢) ط : « راد من نازح » صوابه فى ش
(٣) ط : « بالحسرة » صوابه فى ش والديوان والأغانى ١ : ٩٠
(٤) فى النسختين : « ويمسح عينه » ، صوابه من الديوان والأغانى

بنفسىَ مَن لا يستقلّ بنفسه ... ومَنْ هو، إن لم يرحم الله، ضائع

وكتبتْ إليه تقول:

أتانى كتابٌ لم ير الناسُ مثلَه ... أُبِينَ بكافور ومِسكٍ وعنبرِ[1]

فقِرطاسه قُوهيَّة ورِباطه ... بعِقدٍ من الياقوت صافٍ وجوهرِ[2]

وفى صدره: منّي إليكِ تحيةٌ ... لقد طال تَهيامى بكم وتَذكرى

وعنوانه: مِن مستهامٍ فؤادُه ... إلى هائم صَبٍّ من الحزن مُسعَرِ

روى أن الثريّا وعدَته ليلةً أن تزوره ، فجاءت فى الوقت الذى وعدته فيه ، فصادفت أخاه الحارث بن ربيعة قد طرَقه وأقام عنده ووجّه به فى حاجة ونام مكانه وغطّى وجهه بثوبه ، فلم يشعر إلاّ وقد ألقت نفسها عليه تقبّله ! فانتبه وجعل يقول : اغرُبى عنّي فلست بالفاسق ، أخزاكما الله ! فانصرفت . ورجع عمر فأخبره الحارث بذلك ، فاغتمّ على ما فاته منها وقال : والله لا تَمَسُّك النارُ أبدا وقد ألقت نَفْسها عليك ! فقال : عليك وعليها لعنة الله .

وحَكم له[3] بين « الثريّا » و « سهيل » تورية لطيفة ، فإن الثريا يحتمل المرأة المذكورة وهو المعنى البعيد المورّىٰ عنه وهو المراد ، ويحتمل ثريّا السماء وهو المعنى القريب المورّىٰ به . وسهيل يحتمل الرجل المذكور وهو المعنى البعيد المورّىٰ عنه وهو المراد ، ويحتمل النجم المعروف بسُهيل . فتمكّن للشاعر أن ورّىٰ بالنجمين عن الشخصين ليبلغ من الإنكار على من جمع بينهما ما أراد . وهذه أحسن تورية وقعت فى شعر المتقدمين .

٢٤٠

(١) الأغانى ١ : ٩١ : « أمد بكافور »

(٢) فى النسختين : « خاف وجوهر » ، صوابه من الأغانى ثم قال أبو الفرج : « وهذا الخبر عندى مصنوع ، وشعره مضعف يدل على ذلك ، ولكنى ذكرته كما وقع الى »

(٣) كذا . ولعل معناه اتفق له تورية محكمة لطيفة .

وفى شرح بديعية العُميان لابن جابر : لا يقال إن التورية فى الثريا مرشَّحة بقوله شاميَّة ، إذ ليست من لوازم المورَّىٰ به ، ولا مبيَّنة ، إذ ليست من لوازم المورّى ، إذ المرأة شاميّة الدار والنجم أيضاً شامىّ فاشتركا فى ذلك ، ولا يكون الترشيح والتبيين إلاّ بلازم خاصّ . وكذلك التورية فى سهيل ؛ لا يقال إنّها مرشحة ولا مبيَّنة بيَمانٍ ، إذْ هو صفة مشتركة بينهما ، لأن سهيلاً الذى هو رجلٌ يمان كسهيل الذى هو النجم . وسبب هذين : أن سهيلاً المذكور تزوّج الثرّيا المذكورة وكان بينهما بَون بعيد فى الخَلق : كانت الثريا مشهورة فى زمانها بالحسن والجمال ، وكان سهيل قبيح المنظر ، وهذا مراده بقوله : عمرَك الله كيف يلتقيان ، أى كيف يلتقيان مع تفاوتٍ ما بينهما فى الحسن والقبح ، انتهى .

عمر بن أبى ربيعة

و (عمر) هو عمر بن عبد الله — سمّاه به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى الجاهلية يسمَّى بَحيرا بفتح الموحدة وكسر المهملة — ابن أبى ربيعة ، واسمه حُذيفة ، وكان يلقّب بذى الرمحين ، ابن المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ ابن مخزوم[١] المخزومىّ .

ويكنى عمرُ أبا الخطاب . وأبو جهل بن هشام بن المغيرة [ابن[٢]] عمّ أبيه . وأُمُّ عمر بن الخطاب حَنتمة بنت هاشم بن المغيرة[٣] بنتُ عمّ أبيه . وإخوته عبد الله وعبد الرحمن والحارث بنو عبد الله .

---

(١) فى النسختين : « عمرو بن مخزوم » ، وهو تحريف يقع فى كثير من الكتب والمخطوطات . وانما هو « عمر » ، كما فى جمهرة ابن حزم ١٤١ — ١٤٢ ونسب قريش ٢٩٩ والاشتقاق ٩٩ ، ١٠١ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « بنت هشام بن المغيرة » وكذا فى المعارف ٧٨ صوابه فى ش مع أثر تصحيح وجمهرة ابن حزم ١٤٤ وابن أبى الحديد ٤ : ٢٩٦

وكان عبد الرحمن أخوه تزوّج أمّ كلثوم بنت أبى بكر الصديق بعد طلحة وولدت له . وأعقب الحارثُ . ولا عقب لعُمَر ، وكانت أمُّه نصرانية ، وهى أم إخوته .

ولم يكن فى قريش أشعرُ مِن عمر . وهو كثير الغزل والنوادر والمجون يقال : من أراد رِقّة الغزَل فعليه بشعر عمر بن أبى ربيعة .

ولد ليلة الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وهى الليلة التى مات فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فسمّى باسمه .

قال ابن قتيبة : « كان عمر فاسقاً يتعرّض لنساء الحاجّ ويشبّب بهنّ . فنفاه عمر بن عبد العزيز إلى دَهلَك . ثم غزا فى البحر فأُحرقت السفينة التى كان فيها [فاحترق[1]] هو ومن كان معه » .

وفى الأغانى بسنده أنّه نظر فى الطواف امرأةً شريفة ، فكلّمها فلم تجبه ، فقال :

الريحُ تَسْحَبُ أذيالاً وتنشرُها يا ليتنى كنتُ ممن تسحب الريحُ

فى أبيات . فلما بلَغتْها جزعت جزعاً شديداً . فقيل لها : اذكريه لزوجك واشكيه . قالت : والله ما أشكوه إلا لله ، اللهمَّ إن كان نوّه باسمى ظالماً فاجعله طعاماً للريح . فغدا يوماً على فرس فهبّت ريح ، فنزل فاستتر بشجرة فعصفت الريح فخدشه غصن منها ، فمات من ذلك .

وكان ذلك سنة ثلاث وتسعين ، وقد قارب السبعين أو جاوزها . وقيل عاش ثمانين سنة . وترجمته فى الأغانى طويلة .

* * *

(١) التكملة من ش والشعراء ٥٣٦

وأنشد بعده : ﴿ فإنَّما هى إقبالٌ وإدبارُ ﴾

تقدم شرحه فى الشاهد السبعين[١] فى باب المبتدأ[٢]

* * *

٢٤١ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون ، وهو من شواهد سيبويه[٣] :

٨٨ (عَجَبٌ لِتلْكَ قَضِيَّةً ، وإقامتى فيكم على تلك القضيّة أعجَبُ)

على أنهم يرفعون بعض المصادر المنصوبة بعد حذف عاملها لزيادة المبالغة فى الدوام . بيّن الشارح وجه رفعه على الخبريّة .

وكذلك أورده سيبويه بأنه على إضمار مبتدإ أى أمرى عجب . وقال الأعلم وتبعه ابن خلف : يجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء وإن كان نكرة لوقوعه موقعَ المنصوب ، ويتضمّن من الوقوع موقعَ الفعل ما يتضمّن المنصوبُ فيستغنى عن الخبر ، لأنه كالفعل والفاعل ، فكأنه قال : أعجب لتلك القضية . أو خبرُه لِتلك . وهذا هو المعهود فى المصادر المنصوبة : إذا رُفعتْ جعلتْ مبتدأ وجُعل متعلّقها خبراً مثل الحمد لله والسلام عليك لتكون فى معنى الأصل ، أعنى الجملة الفعليّة لا تزيد عليها إلاّ بالدلالة على الثبات ، وقد يجعل غير متعلّقها خبراً كقوله تعالى : « فصبرٌ جميل » أى أحسنُ من غيره . وقضيةً منصوب على التميز للنوع الذى أشار إليه بتلك ، ويجوز أن يكون منصوباً على الحال ، قال أبو على : كأنه قال : اعجبوا لتلك الفَعْلة

---

(١) فى النسختين : « الثامن والستين » ، وهو سهو .

(٢) أنظر ص ٤٣١ من الجزء الأول

(٣) وهو من شواهد سيبويه ، ساقط من ش . وانظر سيبويه ١ : ١٦١ وابن يعيش ١ : ١١٤ والهمع ١ : ١٩١ والعينى ٢ : ٣٤٠ عرضا .

قضيّة . وقضيّة هنا بمعنى مقضيّة . وروى : (عجباً) بالنصب على أنه مصدر نائب عن أعجَبُ .

واعلم أن الشارح المحقّق حقّق هنا أن المصدر المنصوب بعد حذف عامله يفيد الدوام ، وإذا رفع وجعل خبراً أفاد زيادة وهى المبالغة فى الدوام . وهذا مناقضٌ لكلامه فى باب المبتدإ فى « سلامٌ عليك » من أن النصب بعد حذف الفعل يدلّ على الحدوث ، فعدلَ إلى الرفع للدلالة على الدوام !

قال الدمامينى فى شرح التسهيل : « الحقّ ما قاله الرضى فى باب المفعول المطلق ، بخلاف ما قاله فى المبتدأ فإنّه غير مرضى » .

أقول : لو عكس القضيّة لكان أظهر ، فإنه مع النصب الصريح كيف يفيد الدوام ، مع أن الجملة فعليّة ، والتزام الحذف لا ينافيه ، كما فى الظرفية الواقعة خبراً إذا قدّر المتعلّق فعلًا مع أن الجملة اسمية ، ومع هذا فلم يجعلوها للدوام الثبوتى ! فإن ادّعى أنّ العامل مضارع أو اسم فاعل ، وأن كلاًّ منهما محمول على الاستمرار التجدّدىّ لا الدوامى ؛ وردَ عليه أن هذا يحصل مع الذكر ، فتخصيص الحذف به مما لا داعية إليه ، مع أن هذا ليس مراداً له ، بل مراده حصول الاستمرار الثبوتى مع النصب .

وكلام الشارح هنا مخالف لكلام علماء المعانى ، قال السيّد فى شرح المفتاح : إن الاسم كعالم مثلا يدلّ على ثبوت العلم لمن حُكم به عليه ، وليس فيه تعرّض لاقترانه بزمانٍ وحدوثه فيه ولا لدوامه . نعم لما كان اسم الفاعل جارياً على الفعل جاز أن يُقصد به الحدوث بمعونة القرائن كما فى ضائق ، ويجوز أن يقصد به الدوام أيضاً فى مقام المدح والمبالغة ، وكذا حكم اسم المفعول ، وأما الصفة المشبّهة فلا يقصد بها إلاّ مجرّد الثبوت وضعاً ، أو الدوام

باقتضاء المقام . والجملة الاسمية إذا كان خبرها اسماً فقد يقصد بها الدوام والاستمرار الثبوتى بمعونة القرائن ؛ وإذا كان خبرها مضارعاً فقد يفيد استمراراً تجددياً ، وهذه الإفادة أيضاً بمعونة القرائن كما فى : « اللهُ يَسْتَهْزِئُ بهم »(١) لكن هذا الاستمرار التجددى مستفاد من المضارع فى الحقيقة ، وفائدة الجملة الاسمية ها هنا تقوى الحكم ، فليس كل جملة اسمية مفيدة للدوام ، فإنّ قولك : زيد قام ، يفيد تجدد القيام » اﻫ .

٢٤٢

فقول الشارح هنا « إنما وجب حذف الفعل لأن المقصود من مثل هذا الحصرِ أو التكريرِ وصفُ الشيء بدوام حصول الفعل منه ولزومه له ، ووضع الفعل على الحدوث والتجدد الخ » مشكلٌ ؛ لأنه هنا جملة اسمية خبرها فعل مضارع أو اسم فاعل دالٌ على الحدوث لعمله ، فهى للاستمرار التجددى لا الدوامى ؛ وحينئذ لا فرق بين ذكر العامل وحذفه ؛ لأن التقدير : ما زيد إلا يسير سيراً ، وزيد يسير سيراً ، فكيف جعل الغرض من هذا الحصر أو التكرير وصف الشيء بدوام حصول الفعل منه ولزومه له مع أن الجملة اسمية خبرها مضارع ؟

فإن أجيب : بأن الجملة إنما أفادت مع الحصر أو التكرير الدوام الثبوتى للزوم حذف العامل ، ورَد عليه الجملة الاسميّة التى خبرها ظرفيّة إذا قدّر المتعلّق فيها فعلا ، فإنها لا تفيد الدوام الثبوتى مع لزوم حذف العامل .

فإن أجيب : بأن الدالّ على الدوام الثبوتى إنما هو الحصر أو التكرير لا الجملة الإسمية التى قدّر خبرها فعلا ، كما يدل عليه قوله بعد ذلك « لم يكن

---

(١) الآية ١٥ من سورة البقرة .

فيه معنى الحصر المفيد للدوام » ، وردّ عليه أن كلامهم مطلق لم يقيَّد بهذا القيد .

وقول الشارح : « وإن كان يستعمل المضارع فى بعض المواضع للدوام » لا يخلو عن بحث ، فإن ظاهره أن الدوام الذى يفيده المضارع ثبوتىّ لاتجددىّ، إلاّ أن يقال : مراده مطلق الدوام ، وإن كان مختلفاً ، وهذا لا يناسب أول كلامه . وقوله : « وذلك لمشابهته لاسم الفاعل » إنْ حمل اسم الفاعل على العامل فدوامه تجددىّ لاثبوتىّ ، وإن حمل على غير العامل فهو يفيد الاستمرار الدوامىّ لا التجددىّ بالقرينة ، والحمل عليه لا يناسب ، لأن المضارع لايفيد ذلك بل يفيد الاستمرار التجددى . وقوله « فلما كان المراد التنصيصَ على الدوام واللزوم لم يستعمل العامل أصلا » ، يريد أنه قد عُلم أن الدالّ للدوام عنده هو الحصر أو التكريرُ ، فالتزم حذف ما دلالته تنافى ذلك وهو العامل ، لأنه : إما فعل وهو موضوع للتجدّد ، واستعماله فى الدوام إذا كان مضارعاً ليس وضعياً بل بالقرائن ، فنظرنا إلى أصل الوضع والتزمنا حذفه — وفيه أن المحذوف كالثابت ، كما يدل عليه كلامهم فى متعلّق الظرف الواقع خبراً إذا قدر بالفعل . وقوله « أو اسم فاعل وهو مع العمل كالفعل » أى للتجدّد فلا يفيد الاستمرار وضعاً وإن استعمل فيه بمعونة القرائن ؛ وفيه أيضاً أن المحذوف كالثابت ، وعمله إنما ينافى حمله على الاستمرار الثبوتى إذا كان عاملاً فى المفعول ، أما عمله فى الظرف أو فى المفعول المطلق كما هنا فلا ينافى إفادته للدوام الثبوتى ، وأما إذا عمل فى المفعول به فإنه يفيد الاستمرار التجددى .

أبيات الشاهد

وبيت الشاهد من أبيات سبعة أولها :

(ياجُندَب أخبرنى ولستَ بمخبرى وأخوك ناصحُك الذى لا يَكذبُ

هل فى القضيّة أنْ إذا استغنيتمُ وأمِنتمُ فأنا البعيدُ الأجنبُ
وإذا الشدائدُ بالشدائد مَرّةً أشجتكمُ فأنا المحبُّ الأقربُ
وإذا تكونُ كريهةٌ أُدعى لها وإذا يُحاسُ الحيسُ يُدعى جُندبُ
ولِجُندبٍ سَهلُ البلادِ وعذبُها ولى المِلاحُ وخَبتهُنَّ المجدبُ
عجب لتلك قضية وإقامتى . . . . البيت
هذا وجَدُّكمُ الصَّغارُ بعينه لا أُمَّ لى إن كان ذاك ولا أبُ !)

٢٤٣

وهذا الشعر لضَمْرَةَ [بن ضمرة](١) بن جابر بن قَطَن بن نهشل بن دارم شاعر جاهلى . ويقال : إن ضَمرة كان اسمه شقّة فسماه النعمان ضَمرة بن ضمْرة . وكان يَبَرّ أمه ويخدمُها ، وكانت مع ذلك تؤثر أخاً له يقال له « جُندب » ، فقال هذا الشعر . هكذا رواه ابن هشام [اللخمى] فى شرح أبيات الجمل . ورواه بعضهم : (يا ضَمْر أخبرْنى) وقال : إن قائله ضمْرة . وهو خطأ . و نسبه أبو رياش لهمّام بن مرّة أخى جسّاس بن مرّة قاتلِ كليب . وزعم ابن الأعرابى : أنه قيل قبل الإسلام بخمسمائة سنة . وفى شرح أبيات سيبويه : أنه لبعض مذحج ؛ وقال السيرافى : لزُرافة الباهلى(٢) . وقال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : هو لهُنَيّ بن أحمر ، من بنى الحارث بن مرّة بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ، جاهلى . وأنشدوا له : (يا ضَمْر أخبرنى) — وهُنَيّ : مصغّر هَن ، وأصله هُنَيْو فأبدلت الواو ياء وأدغمت فى الياء لسبقها بالسكون .

ورواهُ أبو محمد الأعرابى عن أبى الندىٰ : أنه لعمرو بن الغوث بن طيء ، وأنشدوا له : (ياطَيُّ أخبرنى ولستَ بكاذب)

---

(١) الزيادة عن : ش .
(٢) فى النسختين : « لزراقة » بالقاف ، والتصحيح للميمنى .

قال : أكتبنا(١) أبو الندى قال : « بينا طيّئ جالس ذاتَ يوم مع ولده بالجبلين : أجا وسلمى إذ أقبل رجلٌ من بقايا جَديس ممتدّ الخَلْق كاد يسدّ الأفق طولا ويَفْرعهم باعاً ، وإذا هو الأسود بن عَفَار(٢) الجديسيّ ، وكان نجا من حسّان تُبَّع يوم اليمامة(٣) فلحق بالجبلين ، فقال لطيء : مَن أدخلكم بلادى وأورثكم عن آبائى ؟ اخرجوا عنها ، وإلاّ اضربوا(٤) بيننا وبينكم وقتاً نقتتل فيه ، فأينا غلب استحقّ البلد ، فاتّعدا لوقت ، فقال طيء لجندب ابن خارجة بن سعد بن فُطرة بن طيء — وأمُّه جَديلة بنت سُبيع بن عمرو من حمير وبها يعرفون وهم جَديلة [طيء(٥)] وكان طيء لها مؤثرا — فقال لجندب : قاتلْ عن مكرمُتك . فقالت أمه آللهِ(٦) لتتركنّ بنيّك ولتعرّضنّ ابنى للقتل ! فقال طيّ : ويْحَكِ ، إنما خصصتُه بذلك . فأبتْ . فقال طيء لعمرو بن الغوث ابن طيء : عليك يا عمْرو الرجلَ فقاتلْه . قال عمْرو : لا أفعل . وقال هذه الأبيات ، وهو أوّل من قال الشعر فى طيء بعد طيء فقال طيء : يابنيّ إنها أكرم دارٍ فى العرب . فقال عمرو : لن أفعل إلاّ على شرط أن لا يكون لبنى جديلة فى الجبلين نصيب . فقال له طيء : لك شرطُك . فأقبل الأسود بن عَفَار(٧)

---

(١) ش : « أنبأنا » مع أثر تصحيح ظاهر .

(٢) ط : « غفار » بالغين المعجمة ، صوابه فى ش ونوادر المخطوطات ٢ : ١١٨

(٣) الذى فى ياقوت : « وكان نجا من حسان تبع اليمامة » . والقصة وردت بمعجمه فى رسم (أجأ)

(٤) كذا . والوجه « فاضربوا »

(٥) التكملة من ياقوت . وفى العرب جديلة آخر أبو قبيلة ، وهو جديلة بن أسد بن ربيعة . تلك امرأة وهذا رجل

(٦) أى والله . وهذه هى الهمزة النائبة عن واو القسم ، كما فى حديث : آلله الذى لا اله غيره » ، وكقول الحجاج فى الحسن البصرى : « آلله ليقومن عبد من العبيد فيقولن كذا وكذا » . انظر الأساليب الانشائية لعبد السلام هارون ص ١٤٧ والهمع ٢ : ٣٩ . وفى ياقوت : « والله » .

(٧) كذا فى ش . وفى ط : « غفار » .

ومعه قوسٌ من حديد ونُشّاب من حديد ، فقال : يا عمرو إن شئتَ صارعتك ، وإن شئتَ ناضلتك . وإلاّ سايفتك . فقال عمرو : الصِّراع أحبُّ إلىّ فاكسِر قوسَك لأكسِرها أيضا ونَصْطَرِع . وكانت مع عمرو بن الغوث قوسٌ موصولة بزَرَافِينَ[1] إذا شاء شدّها وإذا شاء خلعها ؛ فأهوى بها عمرو فانفتحت الزرافينُ ، واعترض الأسودُ بقوسه ونُشّابه فكسرها فلما رأى عمرو ذلك أخذ قوسَه فركّبها وأوترها وناداه : يا أسود ، استعن بقوسك فالرمى أحبُّ إلىّ . فقال الأسود : خدعتَنى . فقال عمرو : « الحرب خدْعة » ، فصارت مثلا . فرماه عمرو ففلق قلبه ، وخلَص الجبلان لطيِّىء ، فنزلها بنو الغوث[2] ، ونزلت جديلة السَّهل منهما[3] » اه .

٢٤٤ وروى (أمن السَّويّة) أى من العدل . والأجنَب بالجيم والنون : الغريب ، والبعيد ؛ وروى (الأخيَب) أى الخائب وأشجتكم : أحزنتكم ، من الشجى وهو الحزن ، وفعله من باب تعب ، وأشجاه : أحزنه . والحيس بفتح المهملة : لَبَن وأقِط وسمن وتمر ، يصنع منه طعام . والمِلاح بكسر الميم : جمع مَليح ، يقال قَليب مليح أى ماؤه ملح . والخَبت بفتح المعجمة وسكون الموحدة : المطمئنّ من الأرض فيه رمل . والمجدِب اسم فاعل من الجدب بفتح الجيم وسكون المهملة : نقيض الخِصب بكسر المعجمة . وقوله :

(هذا وجَدِّكم الصغارُ بعينه . . . البيت)

---

(١) جمع زرفين ، بكسر الزاى وضمها ، وهى الحلقة . وفى الحديث : « كانت درع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات زرافين ، إذا علقت بزرافينها سترت ، وإذا أرسلت مست الأرض » .

(٢) فى النسختين : « فنزلها » والوجه ما أثبت من ياقوت

(٣) فى النسختين : « منها » ، والتصحيح من ياقوت . وقد نقد ياقوت القصة فى أربعة أمور ، فانظره فى رسم (أجا) .

هو من شواهد س وغيره . والشاهد فية رفع الاسم الثانى مع فتح الأول . وذلك إما على إلغاء الثانية ورفع تاليها بالعطف على محل الأولىٰ مع اسمها ، وعلى هذا فخبرهما واحد ؛ وإما على تقدير لا الثانية معتدًّا بها عاملةً عمل ليس ، فيكون لكلٍّ من الأولىٰ والثانية خبر يخصّها ، لأن خبر الأولىٰ مرفوع وخبرَ الثانية منصوب .

وهذا مبتدأ ، وخبره الصَّغَار بفتح الصاد بمعنى الذلّ . وقوله : وجدٍّكم ، جملة قسَمية معترِضة بين المبتدأ والخبر . قال اللخمىّ : والجد هُنا : أبو الأب ، والجدّ أيضاً : البخت والسعد والعظمة . ويروى : (هذا لعمركم) . وقوله : بعينه ، تأكيد للصّغار ، وزيدت الباء كما يقال جاء زيد بعينه ؛ وقيل : حال مؤكَّدة أى هذا الصغارُ حقًّا . وقال اللخمى : وبعينه حالٌ من الصَّغار والعاملُ فيه ما فى (ها) من معنى التنبيه ، أو ما فى (ذا) من معنى الإشارة . وذاكَ : فاعلُ كان إذ هى تامة ؛ ويجوز أن تكون ناقصة وخبرها محذوف ؛ أى إن كان ذاك مرضيا ، ولابدّ على الوجه الأول من حذف مضاف ، أى إن كان رضاء ذاك ، ليصحّ المعنى ، لأنه إنما اشترط أنه لا يرضىٰ بذلك الخسف الذى يُطلب منه ؛ وجملة الشرط معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وسدّ ما قبل الشرط مسدّ الجواب ، أى إن كان ذلك انتفيت من أمىّ وأبى . والمشار إليه باسم الإشارة فى الموضعين الفعلُ الذى فعلوه به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون ، وهو من أبيات س[1]:

٨٩ (فيها ازدِهافٌ أيَّما ازدِهافِ)

---

(١) سيبويه ١ : ١٨٢ . وانظر اللسان (زهف) وديوان رؤبة ١٠٠

على أنّه نصب (أيَّما) على المصدر أو الحال ، مع أنه لم يذكر صاحبَ الاسم ولا الموصوف ؛ وهو فى غاية الضعف ، والوجه الإتباع فى مثله ، وهو رفعه صفةً لازدهاف ، لكنّه حمله على المعنى ، لأنه إذا قال فيها ازدهاف فكأنه قال : تزدهف أيَّما ازدهاف .

قال سيبويه : « فإن قلت : له صوتٌ أيّما صوت ، أو مثلَ صوت الحمار ، أوله صوتٌ صوتاً حسناجاز ؛ زعم ذلك الخليلُ . ويقوّى ذلك أن يونس وعيسىٰ زعما أن رؤبة كان ينشد هذا البيت نصبا » اﻫ .

وزعم الجرمى أن نصبه على إضمار تَزدهِف ، قال : ولا يجوز نصبه بازدهاف ، لأن المصدر لا يعمل فى المصدر .

أرجوزة الشاهد

وهذا البيت من أُرْجوزة طويلة تزيد على ثمانين بيتاً لرؤبة بن العجاج ، يعاتب بها أباه ، منها :

(إنّك لم تُنصفْ أبا الجَحّافِ وكان يَرضىٰ منك بالإنصافِ
وهو عليك واسع العِطافِ غاديك بالنفع وأنتَ جافى
عنه ، ولا يخفى الذى تجافى كيف تلومُهُ على الإلطافِ
وأنت لو مُلّكتَ بالإتلافِ شُبْتَ له شَوبا من الذُّعافِ
وهو لأعدائك ذو قِرافِ لا تُعجلَنِّي الحَتْفَ ذا الإتلافِ
والدهر إنّ الدهر ذو ازدلافِ بالمرء ذو عطفٍ وذو انصرافِ)

٢٤٥

إلى أن قال :

(وإن تشكّيت من الإسخافِ لم أرَ عطفاً من أبٍ عَطّافِ
فليتَ حظّى من جَداك الضافى والنفع أن تتركَنى كفافِ
ليست قُوىٰ حبلىَ بالضِعافِ لولا تَوَقٍّ على الإشرافِ

أقحمني فى النفنف النفنافِ   فى مثل مهوى هوّة الوصّافِ
قولك أقوالاً مع التحلافِ   فيه ازدهاف أيّما ازدهافِ
والله بين القلب والأضعافِ

أبو الجحّاف بفتح الجيم وتشديد الحاء المهملة : كنية رؤبة . والعِطاف بكسر العين : الرداء ، مأخوذ من العطف وهو الميل والمحبة . وغاديك : من الغُدْوة وهو من أوّل النهار إلى الزوال ؛ يقال غدا عليه غَدْواً وغُدُوّا بالضم : إذا بكَر ؛ وغاداه : باكره . والجفو : الارتفاع ، والتباعد ، ونقيض الوصل . والإلطاف بكسر الهمزة : البرّ ، يقال ألطفه بكذا أى برّه . ومُلِّكت بالبناء للمفعول وتشديد اللام . والشّوب : الخلط . والذُّعاف بضم الذال المعجمة : السمّ ، وقيل سمّ ساعةٍ . والقِراف ، بكسر القاف : المقاربة . وضمير هو للإتلاف أى إتلافى مقرِّب للاعداء إليك . والازدلاف : الاقتراب ، فى الحديث « ازدلِفوا إلى الله بركعتين » أى تقرّبوا ، وأصل الزُّلفة المنزلة والحُظوة . وقوله بالمرء ، متعلق بالازدلاف والعطف : الإقبال . والانصراف : الإدبار . والإسخاف بكسر الهمزة وبعد السين المهملة خاء معجمة : رقّة العيش . وسَخْفة الجوع بالفتح : رقّته وهزاله والعطف : الشّفقة والعطّاف مبالغة عاطف ، والجَدَى بفتح الجيم والقصر : الجدوى ، وهما العطية والضّافى بالمعجمة : الكثير ، من ضفا المال : إذا كثر ؛ أو بمعنى السابغ ، يقال ثوب ضاف من ضفا الشىء يضفو ضَفْواً . وقوله : والنفع ، بالجرّ عطفا على جداك ، وروى بدله (والفضل). وقوله : أن تتركنى كفاف ، خبر ليت وأورده ابن هشام فى المغنى على أن فَعالِ بناؤه على الكسر مشهورٌ فى المعارف كحذام لشبَهه بنزال ، وقد جاء فى غير المعارف ومنه هذا ، والأصل كافًّا فهو حال أو ترك كفاف فمصدر اهـ . وقول الصاغانى فى العباب : كفافِ فى هذا البيت هو من قولهم دعنى كفاف أى كُفَّ

عنى وأكفُّ عنك ، أى ننجو رأساً برأس اهـ ، وعليه فهو اسم فعل قد جاء على بابه . والقُوىٰ : جمع قُوّة ، وهى إحدى طاقات الحبل . والضِّعاف : جمع ضعيف. والتوقِّى : التخوّف ، وأصله جعل النفس فى وقاية مما يُخاف . والوقاية : فَرط الصيانة ، وقيل حفظ الشىء مما يؤذيه ويضرّه . والإشراف بكسر الهمزة : النفقة ، كذا فى العباب ، أى أنى جَلْد غيرعاجزعن الاكتساب

٢٤٦ لولا أنى ملازم على خدمتك وحالفٌ على تعظيمك . وأقحمنى : أدخلنى ، يقال قَحَمَ فلان بنفسه فى كذا : إذا دخل فيه من روِيّة ؛ وفاعله هو « قولك » الآتى . والنفنف بنونين كجعفر : المهوىٰ بين جبلين ، وصقعُ الجبل الذى كأنه جدارٌ مبنىّ مستوٍ والنفناف بمعناه ، جعل وصفاً له بمعنى الصعب والشديد . وقوله فى مثل مهوىٰ الخ ، بدل من قوله فى النفنف . والمهوىٰ ومثله المهواة بمعنى المسقط : اسم مكان من هوىٰ بالفتح يهوِى بالكسر هُوِيًّا بضم الهاء وكسر الواو وتشديد الياء ، ويقال لما بين الجبلين ونحوه أيضاً مهوىٌّ ، والهوّة بضم بضم الهاء وتشديد الواو : الوَهدة العميقة . و « الوصّاف » بفتح الواو وتشديد الصاد المهملة : رجل من سادات العرب اسمه مالك بن عامر بن كعب بن سعد ابن ضبيعة بن عجل بن لُجيم ، وسمِّى الوصّافَ لحديث له(١) ، قال أبو محمد الأعرابى : هوّة الوصّاف فى شعر رؤبة . دَحلْ بالحزن لبنى الوصّاف من بنى عجل ؛ وهُوّة الوصّاف مَثَلٌ فى العرب يستعملونه فى الدعاء على الإنسان ، يقال كبّه الله فى هوّة ابن الوصاف : وقولك : فاعل أقحَمنى . وأقوالا : جمع قول بمعنى المقُول. والتَّحلاف بفتح التاء: مصدر بمعنى الحلف ؛ يقول : إن أقوالك الكاذبة المؤكدة بالأيمان الباطلة غرّتنى حتّي أوقعتنى فى الشدائد والمهالك . وقوله : فيه ، أى فى قولك ، أو فى التحلاف ، وروى (فيها) أى فى الأقوال .

(١) انظر تعليل تسميته بذلك فى الاشتقاق ٣٤٥

فى العباب : وازدهفه : استخفَّه ، وفيه ازدِهاف أى استعجال وتقحّم ، زاد فى القاموس : « وتزيَّد فى الكلام » ؛ يريد أنَّ كلامه يستخفّ العقول . وأىّ هذه الدالةُ على معنى الكمال ، وإذا وقعت بعد النكرة كانت صفةً لها ، وبعد المعرفة كانت حالاً منها ؛ لكنها نُصبت هنا على المصدرية ، ويجوز رفعها على الوصفية ، وما زائدة . والله مبتدأ والظرف خبره . والأضعافُ : أعضاء الجسد جمع ضِعف بالكسر . أى إن الله عالم بما فى الضمائر ولا يخفى عليه ما تضمره لى .

قصة الشعر

والسبب فى عتاب رؤبة أباه : مارواه الأصمعى قال : قال رؤبة : خرجتُ مع أبى نُريد[١] سليمانَ بن عبد الملك ، فلما سرنا بعضَ الطريق[٢] قال لى . أبوك راجز[٣]وأنت مفحَم . قلت . أفأقول ؟ قال : نعم . فقلت أرجوزة[٤]. فلما سمعها قال لى . اسكتْ فضّ الله فاك . فلما وصلنا إلى سليمان أنشدَه أرجوزتى ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فلما خرجْنا من عنده قلت له : أتسكتنى وتنشده أرجوزتى ؟ ! فقال : اسكت ويلك ! فإنّك أرجز الناس . فالتمستُ منه أن يعطينى نصيباً مما أخذه بشعرى ، فأبَى فنابذته[٥] فقال .

لطالما أجرىٰ أبو الجحّافِ لهيثة بعيدة الأطرافِ
يأتى على الأهلِينَ والألّاف سَرهفته ماشئتَ من سِرهافِ
حتى إذا ما آض ذا أعرافِ كالكودن المشدود بالإكافِ

---

(١) فى النسختين : « يريد » . وفى شرح شواهد المغنى ٣٢٣ : « أريد » .
(٢) عند السيوطى : « فلما صرنا ببعض الطريق »
(٣) بعده فى السيوطى : « وجدك راجز ».
(٤) هى أرجوزة :
كم قد حسرنا من علاة عنس
كما فى السيوطى .
(٥) ط : « فتنابذته » ، صوابه فى ش والسيوطى

قال : الذى عندك لى صَرافِ مِن غير ما كسب ولا احترافِ

فأجبته بهذه الأرجوزة .

وفى كتاب (مناقب الشبّان وتقديمهم على ذوى الأسنان(١)) كان رؤبة يرعى إبل أبيه حتى بلغ ، وهو لا يقرض الشعر ، فتزوّج أبوه امرأة تسمى عَقرَب ، فعادت رؤبة ، وكانت تقسم إبله على أولادها الصغار ، فقال رؤبة : ما هم بأحقّ منّي لها ! إنى لأقاتل عنها السنينَ وأنتجع [بها(٢)] الغيث . فقالت عقرب للعجّاج أسمعُ هذا وأنت حىّ ! فكيف بنا بعدك ؟ فخرج فزبره وصاح به وقال له : اتبع إبلك ، ثم قال :

٢٤٧

لطالما أجرىٰ أبو الجحّاف فى فُرقة طويلة التجافى

لما رآنى أُرعِشتْ أطرافى استعجلَ الدَّهرَ وفيه كافى

يخترم الإلفَ مع الأُلاّف

فى أبيات . فأنشده رؤبة يجيبه :

إنك لم تنصفْ أبا الجحّافِ وكان يرضى منك بالإنصافِ

وهو عليك دائم التَعطافِ

هكذا روى هذين الوجهين السيوطىّ فى شرح شواهد المغنى .

وقوله « لطالما أجرى أبو الجحّاف » أجرى : أرسل جَرِيّا بفتح الجيم

---

(١) لم يرد فى غير هذا الموضع من الخزانة ، وذكره السيوطى مرة أخرى فى شرح شواهد المغنى ٢٧٢ ولم يذكر مؤلفه كذلك وقال : « وهو كتاب ذكر مؤلفه فى خطبته انه ألفه للخليفة جعفر المقتدر ، لأنه تولى الخلافة وسنه ثلاث عشرة سنة ، ولم يل الخلافة قبله أصغر سنا منه » . وقد ولى المقتدر الخلافة سنة ٢٩٥ وخلع سنة ٢٩٦ ثم عاد الى الخلافة وظل بها الى أن خلع ثانية سنة ٣١٧ . فالكتاب قديم كما رأيت ، وهو مجهول مؤلفه .

(٢) التكملة من شرح شواهد المغنى للسيوطى ٣٢٤ . وقد نقل البغدادى منه هذا النص وسابقه كما سيصرح بذلك

وتشديد الياء ـ وهو الرسول ، والأجير ، والوكيل ـ ومفعوله محذوف أى أجرانى ، يقول طالما استخدمنى فى صغره . والهيئة : التهيّؤ ، يقال هاء للأمر يهاء ويَهىء : إذا أخذ له هيئتَه كتهيّأ له ، وهيّأه تهيئة : أصلحه . والآلّاف بضم الهمزة وتشديد اللام : جمع آلف كعُمّال جمع عامل والسَّرهَفَة : نَعْمة الغذاء بفتح النون ، يقال سرهفت الصبي وسرعفته : إذا أحسنتَ غِذاءه ، والسِّرهاف بالكسر . وروى : سرعافته ما شئت من سرعاف .

وآض بمعنى صار . والأعراف : جمع عُرف الفرس . والكَودن : الفرس الهجين ، والبِرذَون ، والبغل . والإكاف : البَرْذعة . وهذه صفات ذمّ له ، يريد أنه حتى صار رجلا ذا لحية وصَرافِ : اسم فعل أمر بمعنى اصرفْ

وقوله فى الوجه الثانى :

استعجلَ الدهرَ وفيه كافى

كقول الآخر :

* تعينُ علىَّ الدهرَ والدهرُ مُكْتَفٍ *

وقولِ كسرىٰ : « إذا أدبر الدهرُ عن قوم كفىٰ عدوّهم[1] » .

وترجمة رؤبة تقدمت فى الشاهد الخامس أوّل الكتاب[2].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون ، وهو من شواهد سيبويه[3]:

---

(١) هذه المقارنة لصاحب كتاب « مناقب الشبان » ولم يعزها اليه البغدادى .

(٢) انظر ص ٨٩ من الجزء الأول فى أقسام التنوين .

(٣) سيبويه ١ : ١٩٠ . وانظر أيضا الخزانة ٤ : ١٥ وابن يعيش ١ : ١١٦ والأغانى ١٨ : ١٩٥ ، ١٩٦ والعقد ٤ : ٣٦٣

٩٠ (إنّى لأمنَحُكَ الصُدودَ وإنّنى قسماً إليكَ مع الصُدودِ لأمْيَل)

على أن (قسَماً) تأكيد للحاصل من الكلام السابق بسبب إنّ واللام ، يعنى أنّ قسماً تأكيدٌ لما فى قوله : وإننى مع الصدود لأميل إليك : من معنى القسم ، لما فيه من التحقيق والتأكيد من إنّ ولام التأكيد ؛ فلما كان فى الجملة منهما تحقيقٌ والقسمُ أيضاً تحقيقٌ صار كأنه قال : أقسم قسما .

وقال ابن خلف : الشاهد فيه أنه جعل قسما تأكيداً لقوله : وإننى إليك لأميل ، وقوله وإننى إليك لأميَلُ جوابُ قسم ، فجعل قسما تأكيداً لما هو قسم . وروى أبو الحسن : (أصبحت أمنحك) كأنه قال : أصبحت أمنحك الصدود ووالله إنى إليك لأميَل . وهم يحذفون اليمين وهم يريدونها ويبقون جوابها اه .

وفيه نظر من وجهين : الأوّل أن الجملة ليست جواب قسم محذوف . والثانى : أن المؤكَّد لا يحذف .

٢٤٨ وجعل ابن السّراج فى الأصول التوكيد من جهة الاعتراض فقال : « قوله قسماً اعتراض ، وجملة هذا الذى يجىء معترضاً إنما يكون تأكيداً للشىء أو لدفعه ، لأنه بمنزلة الصفة فى الفائدة يوضّح عن الشىء ويؤكده » .

وقال ابن جنى فى إعراب الحماسة : « انتصاب قسمٍ ، لا يخلو أن يكون بما تقدّم من قوله إنى لأمنحك الصُّدود ، أو من جملة إننى إليك لأميَل . ولا يجوز الأوّل من حيث كان فى ذلك الحكمُ ، لجواز الفصل بين اسم إن وخبرِها بمعمول جملة أخرىٰ أجنبيّ عنهما ؛ فثبت بذلك أنه من الجملة الثانية وأنه منصوب بفعل محذوف دلّ عليه قوله : وإننى إليك لأميَل ، أى أقسم

قسماً ، وأضمر هذا الفعل ، وإنما سبق الجزء الأولَ من الجملة الثانية وهو اسم إن ؛ وهذا واضح » اه .

وهذا البيت من قصيدة للأحْوص الأنصارى ، يمدح بها عمر بن عبد العزيز الأمويّ . وأولها : قصيدة الشاهد

(يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ   حَذَرَ العِدَا وبه الفؤادُ موكَّلُ
إنى لأمنحكَ الصدودَ وإننى   . . . . البيت
ولقد نزلتَ من الفؤاد بمنزلٍ   ما كان غيرُك والأمانةِ ينزلُ
ولقد شكوتُ إليك بعض صبابتى   ولَمَا كتمتُ من الصبابة أطولُ(١)
هل عيشُنا بك فى زمانك راجعٌ   فلقد تَفَحَّشَ بعدك المتعلَّلُ
فصددتُ عنك وما صَددتُ لبغضةٍ   أخشىْ مَقالة كاشحٍ لا يغفلُ(٢)
ولوَ أن ما عالجتُ لِينَ فؤادِه   فقسا استُلِينَ به للان الجندلُ
ولئن صددتُ لأنتِ ، لولا رِقبتى   أشهى من اللائى أزورُ وأدخلُ
وتجنُّبي بيتَ الحبيب أحبُّه   أُرضى البغيض به حديثٌ مُعضِلُ

وقال فى آخرها يخاطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

(وأراكَ تفعل ما تقول ، وبعضهم   مَذِقُ الحديثِ يقول مالا يَفعلُ
وأرى المدينةَ حين كنت أميرَها   أمِنَ البرىء بها ونام الأعزل)

وهذا آخر القصيدة .

---

(١) فى النسختين : « ولقد كتمت » ، والتصحيح للأستاذ الميمنى ، ولم يرد البيت فى قصيدته بالأغانى ١٨ : ١٩٦

(٢) فى الأغانى : « لايعقل » .

وعاتكة هى بنت يزيد بن معاوية(١) وكانت ممن يشبّب بها من النساء. وقوله: أتعزَّل، بالعين المهملة أى أتجنبه وأكون عنه بمعزِل. وقوله: وبه الفؤاد موكّلُ من وكّلته بأمرِ كذا: فوّضته إليه. وقوله: إنى لأمنحك الصدود.. إلخ، يريد أنه يُظهر هجر هذا البيت ومَن فيه وهو محبٌّ لهم خوفا من أعدائه. والواو فى قوله: والأمانة، واو القسم. وتفحَّش: مِنْ فَحُش الشيء فُحشا مثل قبح قبحاً وزناً ومعنى. والمتعلَّل اسم مفعول من تعلَّل بالشيء: إذا تلهَّى به، وعلَّله بالشيء إذا ألهاه به كما يعلَّل الصبىّ بشيء من الطعام عن اللبن، يقال فلان يعلّل نفسه بتَعِلَّة. وجملة قوله: أخشى مقالة كاشح، استئناف بيانى. ويغفل من باب نصر ينصر.

وقوله: ولو آن ما عالجت.. الخ، ضمير فؤاده عائد للكاشح ـ وهذا البيت من أبيات مغنى اللبيب(٢) ـ وهو بنقل فتحة الألف إلى واو لوْ، وما: موصولة اسم أنّ، وعالجت صلة والعائد محذوف أى به، وجملة استُلين بالبناء للمفعول خبر لأن، والجندل نائب الفاعل، وللان جواب لو وفاعله ضمير الجندل، وقسا: عطفٌ على الصلة بالفاء وهو خالٍ عن الربط لأن ضميره عائد إلى الفؤاد، ولما كان فى الفاء معنى السببية اكتفى من الجملتين بضمير واحد وهو المجرور المحذوف، وحذفت به الأولى من الصلة اكتفاء ببِهِ الثانية، وهو محل الشاهد فى المُغْنى.

٢٤٩

(١) وفى الأغانى أنها عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية. وفى الوفيات فى ترجمة الربيع بن يونس أنها عاتكة بنت عبد الله[بن يزيد ابن معاوية بن]أبى سفيان الأموى. وكذا فى الأغانى ١٨ : ١٩٨ وفيه أيضا أن عاتكة التى ينسب بها ليست عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية، وانما هو رجل كان ينزل قرى بين الأشراف، كنى عنها بعاتكة.
(٢) انظر شرح شواهد المغنى ٢٨١

وقوله لولا رِقبتى ، هو بكسر الراء اسم من المراقبة بمعنى الخوف .

والبيت الأول قد عرّض به بعض المدنيّينَ لأبى جعفر المنصور ، قال المدائنّى (١) : لما حجّ المنصور قال للربيع : أبغِني فتًى من أهل المدينة أديباً ظريفاً عالما بقديم ديارها ورسوم آثارها ، فقد بعد عهدى بديار قومى وأريدُ الوقوفَ عليها . فالتمس له الربيع فتًى أعلمَ الناس بالمدينة ، وأفهَمهم بظريف الأخبار وشريف الأشعار ، فعجب به المنصور ، وكان يسايره أحسن مسايرة ، ويحاضره أزْيَن محاضرة ، ولا يبتدئه بخطاب ، إلاّ على وجه الجواب . فإذا سأله أتى بأوضح دَلالة ، وأفصح مقالة . فأعجب به المنصور غاية الإعجاب وقال للربيع : ادفع إليه عشرة آلاف درهم ـ وكان الفتى مُملِقاً مضطرًّا ـ فتشاغل الربيع عن القضاء ، واضطرته الحاجة إلى الاقتضاء ، وقيل قال له الربيع : لابدّ من معاودته وإن أحببتَ دفعتُ إليك سلَفاً من عندى حتَّى أعاودَه فيما أمرَ لك . فأبقى ذلك حتى إذا كان فى بعض الليالى قال عند منصرَفه مبتدِئاً : وهذه الدارُ يا أمير المؤمنين دارُ عاتكة التى يقول فيها الأحوص :

* يا بيت عاتكةَ الذى أتعزّل *

ثم سكت فأنكر المنصور هذا من حاله ، وفكّر فى أمره فعرض الشعر على نفسه فإذا فيه :

وأراكَ تفعل ماتقول ، وبعضُهم مَذِقُ الحديث يقول مالا يَفعلُ

فقال للربيع : أدفعتَ للرجل ما أمرنا له به ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين . قال : فليُدفعْ إليه مضاعفا .

(١) انظر الأغانى ١٨ : ٢٠٠ وجمع الجواهر ٧٠ والسمط ٢٥٩

وهذا أحسن إفهام من الفتى وأحسن فهمٍ من المنصور . ولم يسمع في التعريض بألطف منه .

ولقول الأحوص سببٌ ذكره عبد الله بن عبيدة بن عمّار بن ياسر (١) قال : خرجتُ أنا والأحوَص بن محمد ، مع عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الحج ؛ فلما كنا بقُدَيد (٢) قلنا لعبد الله ابن الحسن : لو أرسلت إلى سليمان بن أبي دُباكِل الخزاعي فأنشدَنا من رقيق شعره فأرسل إليه . فأنشدنا قصيدة له يقول فيها :

(يا بيتَ خنساء الذى أتجنّب ذهبَ الزمانُ وحبُّها لا يذهبُ)
أصبحتُ أمنحكَ الصُّدود وإننى قسمًا إليك مع الصدود لأجنبُ
مالى أحنّ إلى جمالك قرّبت (٣) وأصدّعنك وأنت منّي أقربُ
لله درُّك ! هل لديك معُوّل لمتيّم أم هل لودِّك مَطلب !
فلقد رأيتك قبل ذاك وإننى لموَكّل بهواك لو يُتجنَّب (٤)
إذ نحن فى الزمن الرخيّ (٥) وأنتم متجاورُون كلامكم لا يرقب (٦)
تبكى الحمامة شجوهَا فيَهيجنى ويروح عازبُ همِّيَ المتأوّبُ (٧)
وتهبُّ سارية الرياح من أرضكم فأرى البلاد بها تطلّ وتُجنَب (٨)

(١) انظر جمع الجواهر للحصرى ٧١ ـ ٧٢ والأغانى ١٨ : ١٩٥ .
(٢) قديد ، بهيئة التصغير : موضع قرب مكة
(٣) ط : « قربه » ، صوابه فى ش والأغانى وجمع الجواهر .
(٤) فى النسختين : « لو متجنب » ، وأثبت ما فى جمع الجواهر . وفى الأغانى : « أو يتقرب » .
(٥) فى الأغانى : « الزمن الرخاء » . وفى الجمع « الرجى » .
(٦) فى النسختين : « متجاوزون » صوابه فى الأغانى وجمع الجواهر . وفى الأغانى : « طلاكم لايرقب » وفى جمع الجواهر : « كلاكما » .
(٧) أى فيهيجنى بكاؤها ، وفى الأغانى والجمع : « فتهيجنى »
(٨) فى النسختين : « يطل » صوابه فى الجمع والأغانى وتجنب : تصيبها الجنوب ، وهى رياح معها مطر كما فى الأزمنة ٢ : ٨٣ . وفى النسختين « يجنب » تحريف . وفى الأغانى والجمع : « وتخصب » .

٢٥٠

وأرى السميَّة باسمكم فيزيدنى شوقاً إليك سَمِيُّكِ المتغرِّب
وأرى الصَّديقَ يودُّ كم فأودُّه إن كان ينسب منكِ أو يَتَنسَّب[١]
وأخالقُ الواشين فيك تجملا وهمُ علىَّ ذوو ضغائن دُوَّب[٢]
ثم اتخذتِهِمُ علىَّ وليجةً حتَّى غضبتُ ومثل ذلك يُغضِبُ

فلما كان مِن قابلٍ حجَّ أبو بكر بن عبد العزيز ؛ فلما مرَّ بالمدينة دخل عليه الأحوص بن محمد فاستصحبه ، ففعلَ . فلما خرج الأحوص قال له بعض مَن عنده : ما تريد بنفسك ؟ تقدَم الشام بالأحوص وفيها من يَنفَسُك من بنى أبيك ، وهو من السَّفَه على ما علمت ! فلما رجع أبو بكر من الحجّ دخل عليه الأحوص متنجِّزا ما وعده من الصُّحبة . فدعا له بمائة دينار وأثواب ، وقال : يا خال إنى نظرت فيما ضمِنت لك من الصَّحابة ، فكرهت أن أهجُم بك على أمير المؤمنين . فقال الأحوص : لا حاجة لى بعطيّتك ، ولكنّي سُبِعت عندك[٣] . ثم خرج فأرسل عمر بن عبد العزيز إلى الأحوص وهو أمير المدينة ، فلما دخل عليه أعطاه مائة دينار وكساه ثياباً ، ثم قال : يا خال هبْ لى عِرض أخى[٤] . قال : هُو لك . ثم خرج الأحوص وهو يقول فى عَروض قصيدة سليمان المذكورة ، يمدح عمر بن عبد العزيز :

يا بيتَ عاتكة الذى أتعزّل حذر العِدا وبه الفؤاد موكّلُ

---

(١) وكذا فى جمع الجواهر . وفى الأغانى : « أولا ينسب » .
(٢) فى الأغانى وجمع الجواهر : « وأحالف الواشين »
(٣) سَبَعه : انتقصه وعابه . وفى ط : « شبعت » صوابه فى ش . وفى جمع الجواهر : « سعيت عندك » وضبطت فيه بضم السين . وفى الأغانى : « لا ولكن قد سبقت عندك » .
(٤) وكذا فى جمع الجواهر . وفى الأغانى ١٨ : ١٩٦ : « يا أخى هب لى عرض أبى بكر » .

حتى انتهى إلى قوله :

فسموتَ عن أخلاقهم فتركتُهم … لنَداك ، إنّ الحازمَ المتوكّلُ

ووعدتَني فى حاجتِي فصدقتنى … ووفَيت إذ كذبوا الحديثَ وبدّلوا

ولقد بدأت أريد ودَّ مَعاشر … وَعدوا مواعدَ أُخلفت إذ حُصِّلوا

حتّى إذا رجع اليقينُ مَطامعى … يأساً ، وأخلفنى الذين أؤمّلُ

زايلتُ ماصنَعوا إليك برحلة … عَجْلَى ، وعندكَ منهم المتحوَّلُ(١)

وأراك تفعلُ ما تقولُ ، وبعضهم … مذِق الحديث يقول مالا يفعل

فقال له عمر بن عبد العزيز : ما أراك أعفيتنى مما استعفيتك !

والأحوص(٢) وإنْ أغار على قصيدة سليمان ، فقد أربَى عليه فى الإحسان ، وكان كما قال ابن المرزُبان وقد أنشد لابن المعتز قصيدته فى مناقضة ابن طَباطَبا العَلوىّ التى أولها :

دَعُوا الأُسْدَ تكنُس غاباتِها … ولا تَدخُلوا بين أنيابها

وقال : أخذه من قول بعض العباسيّين المتقدمين :

دعوا الأُسْد تكنس أغيالَها … ولا تقرَبوها وأشبالَها

ولكنه أخذه ساجاً ، وردّه عاجاً . وغلّ قطيفة ، وردّ ديباجا .

والمذِق بكسر الذال المعجمة : من يخلِط بكلامه كذبًا ، من مذَقت اللبن والشراب من باب قتل : إذا مزجتَه وخلطته .

عاتكة بنت يزيد

و (عاتكة بنت يزيد) المذكورة هى زوجة عبد الملك بن مروان ، وكان

---

(١) الأغانى : « عنهم متحول » . وفى الجمع : « عنهم المتحول »

(٢) هذا الكلام التالى من جمع الجواهر أيضا ولم يرد فى الأغانى . وأورده الحصرى أيضا فى زهر الآداب ٧٧٩

شديد المحبّة لها ، فغاضبته فى بعض الأمور وسدّت الباب الذى بينها وبينه ، فساءه ذلك وتعاظَمه وشكاه إلى من يأنس به من خاصّته ؛ فقال له عمر بن بلال الأسدى : إنْ أنا أرضيتها لك حتى تَرضىٰ فما الثواب ؟ قال : حُكمُك . فأتى إلى بابها وقد مزّق ثوبه وسوَّده ، فاستأذن عليها وقال : الأمر الذى أتيتُ فيه[1] عظيم ؛ فأُدخِل لوقته فرمى بنفسه وبكىٰ . فقالت : مالك يا عمّ ؟ قال : لى ولدان هما من المبرّة والإحسان إلىّ فى غاية ، وقد عدا أحدُهما على أخيه فقتله وفجعنى به ، فاحتسبته وقلت : يبقى لى ولد أتسلّىٰ به ؛ فأخذه أمير المؤمنين وقال : لا بد من القوَد ، وإلّا فالناس يجترئون على القتل ! وهو قاتِله إلا أنْ يغيثنى الله بكِ ، ففتحتِ البابَ ودخلت على عبد الملك وأكبّت على البساط تقبّله وتقول : يا أمير المؤمنين ، قد تعلم فضلَ عمر بن بلال ، وقد عزمتَ على قتل ابنه فشفِّعنى فيه . قال عبد الملك : ما كنت بالذى أفعل : فأقبلتْ فى الضراعة والخضوع حتى وعدها العفوَ عنه — وصلَح ما بينهما ووفىٰ لعمر بما وعده به .

٢٥١

كلُّ هذا من (كتاب الجواهر فى الملح والنوادر) تأليف أبى إسحاق إبراهيم بن علىّ المعروف بالُحصرىّ صاحب زهر الآداب .

وترجمة الأحوص تقدمت فى الشاهد الخامس والثمانين[2]

* * *

وأنشد بعده — وهو الشاهد الحادى والتسعون — قولَ أبى طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم[3] :

---

(١) فى جمع الجواهر : « الذى جئت فيه »

(٢) أنظر ما سبق فى ص ١٥ وما بعدها من هذا الجزء .

(٣) ديوانه ورقة ٤ نسخة الشنقيطى .

٩١ (إذنْ لا تّبعناه على كلّ حالةٍ من الدّهرِ جدًّا غيرَ قَولِ التهازل)

على أنَّ المصدر المؤكد لغيره يكون فى الحقيقة مؤكداً لنفسه ، لأنه إما مع صريح القول كقوله تعالى : (ذَلِكَ عِيسى بنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحقِّ) ، أو ما هو فى معنى القول كما فى هذا البيت ، فإن قوله (جِدًّا) مصدر مؤكد لما يحتمل غيره ، فإنَّ قوله (اتبعناه) يحتمل أن يكون قاله على سبيل الجِدّ وهو المفهوم من اللفظ ، وأن يكون قاله على طريق الهزل وهو احتمال عقلىّ . فأكّد المعنى الأول بما هو فى معنى القول ، لأنه أراد به : قولاً جدًّا ، والقرينة عليه ما بعده ، فإنَّ قول التهازل يقابل قول الجِدّ ، فكان الأولى أن يقول : قول جِدٍّ بالإضافة ليناسب ما بعده ، فيكون لمّا حذف المضاف أعرب المضاف إليه بإعرابه .

و (غير) بالنصب صفة لقوله جِدًّا ، ولا تضر الإضافة إلى المعرفة فإنها متمكنة فى الإبهام لا تتعرّف . وزعم ابن السراج أنَّ غيرا إذا وقعت بين ضدين كما هنا اكتسبت التعريف من الإضافة . ويردّه قوله تعالى (نَعْمَلْ صالحاً غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ) وإنْ زعم أنها فى مثل هذا بدل ، يردّه أن غيراً وضعت للوصف ، والبدل بالوصف ضعيف . و (التهازل) بمعنى الهزل ، فإنَّ تفاعلَ قد يأتى بمعنى فعَلَ ، كتوانيت بمعنى وَنَيت ، لكنّه أبلغ من المجرد . وقوله : (إذن لا تّبعناه) جواب قسم فى بيت قبله وهو :

(فواللهِ لولا أن أجىء بسُبَّةٍ تجر على أشياخنا فى القبائل)

والضمير المنصوب فى اتبعناه راجعٌ للنبي صلى الله عليه وسلم . وروى (لكنّا اتبعناه) . والسُّبّة بضم السين ، يقال صار عليه هذا الأمر سُبّة

أى عاراً يُسَبّ به . وتُجَرّ : بفتح الجيم [مضارع جُرّ[١]] ، من جَرّ عليهم جريرة أى جنى عليهم جناية . وفى بمعنى بين .

٢٥٢

والبيتان من قصيدة طويلة تزيد على مائة بيت لأبى طالب عاذ فيها بحَرَم مكّة وبمكانه منها ، وتودّد فيها إلى اشراف قومه ، وأخبر قريشاً أنه غير مُسلِم محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحدٍ أبداً حتّي يهلك دونه ؛ ومدَحه فيها أيضاً . وقالها فى الشِّـعْب لمـا اعتزل مع بنى هاشم وبنى عبد المطلب[٢] قريشاً .

وسبب دخوله الشِّعب : أن كفار قريش اتفق رأيهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : قد أفسدَ أبناءنا و نساءنا . فقالوا لقومه : خذوا مِنّا دِيةً مضاعفَة ،ويقتلُه رجل من غيرقريش ، وتريحونا وتريحون أنفسَـكم ! فأبَىٰ بنو هاشم من ذلك ، وظاهرَهم بنو عبد المطلب . فاجتمع المشركون من قريش على منابذتهم وإخراجهم من مكّة إلى الشِعب . فلما دخلوا الشعب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة ، وكانت متجراً لقريش ؛ وكان يُثنى على النجاشىّ بأنه لا يُظلَم عنده أحد . فانطلق عامّة من آمن بالله ورسوله إلى الحبشة ، ودخل بنو هاشم وبنو عبدالمطلب الشِّعب مؤمنُهم وكافرهم : فالمؤمن ديناً ، والـكافرُ حَمِيّة . فلما عرفت قريش أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد منعه قومُه ، أجمعوا على أن لا يبايعوهم ولا يدخلوا إليهم شيئاً من الرِّفق[٣] ، وقطعوا عنهم الأسواق ، ولم يتركوا

(١) التكملة من ط

(٢) فى حواشى ش بخط ناسخها : « قوله بنو عبد المطلب كذا فى جميع النسخ التى وقفنا عليها ، والصواب بنو المطلب بدون عبد ، لأن بنى عبد المطلب من بنى هاشم وأما بنو المطلب فليسوا من بنى هاشم لأن المطلب أخو هاشم »

(٣) الرفق ، بالكسر ، والمرفق كمنبر ومجلس ومقعد : مايستعان به .

طعاماً ولا إداماً إلاّ بادروا إليه واشتروه ، ولا يناكحوهم ولا يقبلوا منهم صُلحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتّى يُسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل ، وكتبوا بذلك صحيفةً وعلّقوها فى الكعبة ، وتمادَوا على العمل بما فيها من ذلك ثلاثَ سنين . فاشتدّ البلاء على بنى هاشم ومن معهم ، فأجمعوا على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبَراءة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى طالب : ياعمّ ، إنّ ربى قد سلّط الأرضة على صحيفة قريش فلحستْها ، إلاّ ما كان اسماً لله فأبقتْه . قال: أربُّكَ أخبرك بهذا ؟ قال: نعم قال: فوالله ما يدخل عليك أحد! ثم خرج إلى قريش فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أخى أخبرنى ولم يكذبْنى أن هذه الصحيفة التى فى أيديكم قد بعث الله عليها دابّة فلحست ما فيها فإنْ كان كما يقول فأفيقوا ، فلا والله لا نُسلمه حتى نموت ، وإن كان يقول باطلاً دفعناه إليكم . فقالوا : قد رضينا . ففتحوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر به ﷺ ، وَقالوا :هذا سحْر ابن أخيك! وزادهم ذلك بغياً وعُدواناً. فقال أبو طالب :يامعشر قريش ، عَلامَ نُحصَر ونُحبَس ؟ وقد بان الأمر وتبيّن أنكم أهل الظلم والقطيعة! ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة وقال : اللهمَّ انصرنا على من ظلمَنا وقطَع أرحامنا واستحلّ مايحرُم عليه منّا . ثم انصرف إلى الشِّعب وقال هذه القصيدة.قال ابن كثير(١): هى قصيدة بليغة جداً ، لايستطيع أن يقولها إلامن نسبت إليه ، وهى أفحل من المعلقات السبع وأبلغ فى تأدية المعنى .

وقد أحببتُ أن أوردها هنا منتخَبة مشروحةً بشرح يوفّى المعنى ، محبّة فى النبي ﷺ ، وهى هذه(٢) :

---

(١) البداية والنهاية ٣ : ٥٧ .

(٢) القصيدة فى أول ديوانه نسخة الشنقيطى والسيرة ١٧٢ والروض الأنف ١ : ١٧٣ وابن كثير فى البداية والنهاية ٣ : ٥٣ . وفيها يقول ابن سلام فى الطبقات ٢٠٤ : « وكان أبو طالب شاعرا جيد الكلام ، وأبرع ما قال قصيدته التى مدح فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى =

(خليليَّ ما أُذنى لأوّل عاذلٍ بصغْواء فى حقٍّ ولا عِندَ باطل)

بصغواء : خبر ما النافية وهى حجازية ولذا زيدت الباء . والصَّغْو : الميل. وأصغيت إلى فلان : إذا مِلت بسمعك نحوه . ولأوّل عاذل : متعلِّق بصغواء وفى حقّ متعلق بعاذل ، أى لا أميل بأذنى لأوّل عاذل فى الحق ، وإنّما قيّد العاذلَ بالأوّل لأنه إذا لم يَقبل عذل العاذل الأوّل فمِن باب أولى أن لا يقبل عذل العاذل الثانى ، فإنّ النفس إذا كانت خالية الذهن ففى الغالب أنْ يستقرّ فيها أولُ ما يرِد عليها .

٢٥٣

(خليليَّ إن الرأيَ ليس بشِركةٍ ولا نَهْنَهٍ عند الأمورِ البَلابل)

أراد أنّ الرأى الجيد يكون بمشاركة العقلاء ، فإن لم يتشاركوا : بأن كانوا متباغضين لم يُنتج شيئا ــ والرأى مالم يتخمَّر فى العقول كان فَطيرا . والنهنه بنونين وهاءين كجعفر : المضىء والنيِّرُ الشفَّاف الذى يُظهر الأشياء على جليتّها ؟ وأصله الثوب الرقيق النسج ، ومن شأنه أن لا يمنع النظر إلى ما وراءه ، وهو معطوف على شركة . والبلابل إمّا جمع بَلبلَة بفتح الباءين ، أو جمع بَلبال بفتحهما ، وهما بمعنى الهمّ ووساوسِ الصدر ، كزلازل جمع زَلزَلة وزَلزال بالفتح ، وهو إما على حذف مضاف أى ذات البلابل ، أو إنها بدل من الأمور .

(ولمّا رأيتُ القومَ لاوُدَّ عندهم وقد قطَّعوا كل العُرى والوسائلِ

= وأَبيضُ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوَجْهِهِ رَبيعُ اليَتامَى عِصْـمَةٌ للأرَامِلِ

وقد زيد فيها وطولت . رأيت فى كتاب كتبه يوسف بن سعد صاحبنا ، منذ أكثر من مائة سنة ؛ وقد علمت أن قد زاد الناس فيها فلا أدرى أين منتهاها . وسألنى الأصمعى عنها فقلت : صحيحة جيدة . قال : أتدرى أين منتهاها ؟ قلت : لا أدرى .

ونص ابن سلام محرف غير معقول ، أن يصاحب من ألف كتابا منذ أكثر من مائة سنة ، ولعل صوابه « وهى أكثر من مائة بيت » .

أراد بالقوم كفارَ قريش . والعرا : جمع عُروة ، وهى معروفة ، وأراد بها هنا ما يُتمسّك به من العهود مجازاً مرسَلا . والوسائل : جمع وسيلة وهي ما يتقرّب به .

(وقد صارحُونا بالعداوة والأذى وقدْ طاوَعوا أمر العدوِّ المُزايلِ)

صارحونا : كاشفونا بالعَداوة صَريحا ـ والصَّراحة وإنْ كانت لازمة لـكنها لمَّا نقلت إلى باب المفاعلة تعدَّت . والمزايل : اسم فاعل من زايله مُزايلَة وزِيالا : فارقَه وباينَه ـ وإنما يكون العدوُّ مفارقا إذا صرَّح بالعداوة فلا تمـكِن العشرة . ومن قال : المزايل : المعالج ، وظنَّه من المزاولة لم يُصِب .

(وقد حالفُوا قوماً علينا أظِنَّةً يعَضُّون غيظاً خَلفَنا بالأناملِ)

حالفوا قوما : مثلُ صارحونا فى أنه كان لازما وتعدَّى إلى المفعول بنقله إلى باب المفاعلة . والتحالف : التعاهد والتعاقد على أن يكون الأمر واحداً فى النُّصْرة والحماية ، وبينهما حِلف أى عهد ، والحليف : المعاهد . وعلينا متعلق بحالفوا . والأظِنَّة جمع ظَنِين ، وهو الرجل المتَّهَم ، والظِنَّة بالـكسر . التُّهمة ، والجمع الظِّنَن ـ يقال منه أطنَّه وأظنَّه : بالطاء والظاء إذا اتَّهمه . قال الشاطبى فى شرح الألفيَّة : « أفعِلة قياسٌ فى كل اسم مذكر رباعى فيه مدة ثالثة ، فهذه أربعة أوصاف معتبرة ، فإن كان صفة لم يجمع قياساً على أفعِلة ، فإن جاء عليه فمحفوظ لا يقاس عليه ، قالوا فى شحيح . أشِحَّة ، وفى ظنين : أظنَّة . قال تعالى : (أشِحَّةً عليـكُم) وقال أبو طالب . . » (وأنشد هذا البيت) .

(صَبرت لهم نفسى بسمْراء سَمْحةٍ وأبيض عَضْبٍ من تُراثِ المقاولِ)

الصَّبر : الحبس . والسَّمراء : القناة . والسَّمحة : اللَّدْنة اللينة التى تسمح بالهزّ والانعطاف . والأبيض : السيف . والعضْب : القاطع . والمقاول : جمع

مِقول بكسر الميم : الرئيس ، وهو دون الملك ؛ كذا فى المصباح عن ابن الأنبارى . وقال السُّهيلى فى الروض الأنف : أراد بالمقاول آباءه ، شبّههم بالملوك ولم يكونوا ملوكاً ولا كان فيهم ملك ، بدليل حديث أبى سفيان حين قال له هِرقْلْ : هل كان فى آبائه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا السيف من هِبات الملوك لأبيه ؛ فقد وهب ابنُ ذى يَزَن لعبد المطَّلب هِباتٍ جزيلةً حين وفد عليه مع قريش يهنِّئونه بظفره بالحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين .

(وأحضرتُ عندالبيت رَهطى وإخوتى وأمسكت من أثوابه بالوصائل)

الوصائل : ثياب مخطَّطة يمانية كان البيت يكسى بها .

(قياماً معاً مستقبِلينَ رِتاجَه لدى حيثُ يقضى حِلْفَه كلُّ نافل[1])

الرتاج : الباب العظيم ، وهو مفعول مستقبلين . والنافل : فاعل من النافلة وهو التطوّع .

(أعوذ بربِّ الناس مِن كلِّ طاعنٍ علينا بسوءٍ أو مُلحٍّ بباطلِ

ومِن كاشح يسعى لنا بمَعِيبةٍ ومِن مُلحق فى الدينِ مالم نحاولِ)

ملحّ : اسم فاعل من ألحّ على الشىء : إذا أقبل عليه مواظبا . والمعيبة : العيب والنقيصة . ونحاول : نريد .

(وثَورٍ ومَن أرسى ثَبيراً مكانَه وراقٍ لبِرٍّ فى حِراء ونازلِ)

ثور : معطوف على ربِّ الناس . وهو وثَبير وحِراء ، جبال بمكة . والبِرُّ : خلاف الإثم . وهو رواية ابن إسحاق وغيره ، وروى ابن هشام :

---

(١) فى النسختين : «خلفه» ، صوابه فى الديوان والسيرة

(ليرقى)[١] وهو خطأ ، لأن الراقى لا يرقى . وإنما هو لبرٍّ أى فى طلب برٍّ . أقسم بطالب البرّ بصعوده فى حِراء للتعبّد فيه وبالنازل منه .

(وبالبيتِ حقِّ البيت من بطن مكّة   وبالله ، إنّ الله ليس بغافلِ
وبالحجر الأسوَد إذ يمَسحونه   إذا اكتنفوه بالضُّحى والأصائلِ)

قال السهيلى : « وقوله بالحجر الأسود فيه زحاف يسمى الكفّ ، وهو حذف النون من مفاعيلن ، وهو بعد الواو من الأسود . والأصائل : جمع أصيلة ، والأُصُل : جمع أصيل ، وذلك لأن فعائل جمع فعيلة . والأصيلة : لغة معروفة فى الأصيل » انتهى . وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب .

(وموطىء إبراهيم فى الصَّخر رطبةً   على قدميه حافياً غير ناعِلِ)

مَوطىء إبراهيم عليه السلام : هو موضع قدمِه حين غسلت كَنَّتُه رأسَه وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسَه ليغسل — وكانت سارَة قد أخذت عليه عهداً حين استأذنها فى أن يطالع ما تركه بمكّة ، فخاف لها أنه لا ينزل عن دابّته ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال غَيرةً من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة ألقى الله فيها أثر قدمه آية . قال تعالى : (فيه آياتٌ بَيِّنَاتٌ مَقامُ إبراهيم) . أى منها مقام إبراهيم . ومن جعل مقام إبراهيم بدلا من آيات قال : المقام ، جمع مَقامة . وقيل بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه .

(وأشواطِ بينَ المروتين إلى الصفا   وما فيهما من صُورة وتماثِل)

هو جمع تِمثال ، وأصله تماثيل ، فحذف الياء .

---

(١) يعنى : « وراق ليرقى فى » بدل « وراق لبر فى » . وانظر السيرة ١٧٣ .

٢٥٥

(ومَن حجّ بيتَ الله من كلِّ راكبٍ ، ومن كلِّ ذى نذر ، ومن كل راجل

فهل بَعد هذا من مَعاذٍ لعائذ وهل من مُعيذٍ يتّقى الله عادلِ)

المعاذ بالفتح : اسم مكان من عاذ فلان بكذا ، إذا لجأ إليه واعتصم به . والمعيذ : اسم فاعل من أعاذه بالله أى عصمه به . وعادل : صفة معيذ ، بمعنى غير جائر .

(يُطاع بنا العِدَا ، وودُّوا لوَ أنّنا تُسَدّ بنا أبوابُ تُركٍ وكابُلِ)

العدا بضم العين وكسرها: اسم جمع للعدوّ ضد الصديق ، وروى (الأعدا) وهو جمع عدوّ . وتُسَدّ بنا أى علينا . والترك وكابُل بضم الباء : صِنفان من العجم .

(كذبتم وبيتِ الله نترك مكّةً ونَظعَنَ إلاّ أمرُكم فى بلابِلِ)

أى والله لا نترك مكة ولا نظعن منها ، لكن أمركم فى هموم ووساوس صدر . وروى : (فى تلاتل) بالمثناة الفوقية ، جمع تَلتَلة ، وهو الاضطراب والحركة .

(كذبتم وبيتِ الله نُبزَى محمداً ولمّا نطاعنْ دونه ونُناضلِ)

الواو للقسم ، ونبزى جواب القسم على تقدير لا النافية ، فإنها يجوز حذفها فى الجواب كقوله تعالى : « تَاللهِ تَفْتَؤ » أى لا تفتؤ . ونُبزَى بالبناء للمفعول ، أى نُغلب ونُقهَرَ عليه ، يقال أبزى فلان بفلان إذا غلبه وقهره ، كذا فى الصحاح . فهو بالباء والزاى المنقوطة . ومحمّداً منصوب بنزع الباء . ولمّا : نافية جازمة ، والجملة المنفية حال من نائب فاعل نُبزَى . والطعن يكون بالرمح ، والنضال يكون بالسهم .

(ونُسلمُه حتّى نصرَّع حولَه ونذهَلَ عن أبنائنا والحلائلِ)

ونسلمه بالرفع معطوف على نُبزى ، أى لا نسلمه ، من أسلمه بمعنى سَلّمه لفلان ، أو من أسلمه بمعنى خذله . ونصرَّع ونُذهَل بالبناء للمفعول . والحلائل : جمع حَليلة وهى الزوجة .

قال ابن هشام فى السيرة : قال عُبَيدة بن الحارث بن المطَّلب(١) لمَّا أصيب فى قطع رجله يوم بدر : أمَا والله لو أدرك أبا طالب هذا اليومُ لعلم أنى أحقُّ بما قال منه حيث يقول :

كذبتم وبيت الله نُبزَى محمداً . . . . البيت وما بعده

(وينهَضَ قوم فى الحديد إليكم نهوضَ الروايا تحت ذات الصَّلاصلِ)

وينهض بفتح الياء وهو منصوب معطوفا على نصرَّعَ ، والنهوض فى الحديد عبارة عن لُبسه واستعماله فى الحرب . والروايا : جمع راوية ، وهو البعير أو البغل أو الحمار الذى يستقى عليه . وذات الصلاصل هى المزادة التى ينقل فيها الماء، وتسميها العامة الراوية، والصَّلاصل : جمع صُلصُلة بضم الصادين وهى بقيّة الماء فى الإداوة . يريد : أن الرجال — مثقلين بالحديد — كالجمال التى تحمل المياه مثقلة ، شبَّه قعقعة الحديد بصلصلة الماء فى المزادات .

(وحتَّى نرىٰ ذا الضِغن يركب رَدعَه من الطَّعن فِعلَ الأنكَب المتحاملِ)

نرىٰ بالنون من رؤية العين . والضِّغن بالكسر الحقد . وجملة يركب حال من مفعول نرى ، يقال للقتيل . رَكِب رَدْعَه : إذ خرَّ لوجهه على دمه . والرَّدع بفتح الراء وسكون الدال : اللَّطْخ والأثر من الدم والزعفران . ومن

٢٥٦

(١) ط : « ابن الحارث بن عبد المطلب » ، صوابه فى ش . وانظر السيرة ٥٢٦ — ٥٢٧ . وقد ضبطه ابن دريد فى الاشتقاق ٨٣ بأنه تصغير عبدة ، أى هو بضم العين

الطعن متعلّق بيركب . والأنكب : المائل إلى جهة ، وأراد كفعل الأنكب ، فى الصحاح : « والنَّكَب أى بفتحتين : داء يأخذ الإبل فى مناكبها فتظلَع منه وتمشى منحرفة ، يقال نكِب البعير بالكسر ينكَب نَكَبا فهو أنكبُ . وهو من صفة المتطاول الجائر . والمتحامل بالمهملة : الجائر والظالم .

(وإنّا لعمرُ الله إنْ جدَّ ما أرى لتلتبِسَنْ أسيافنا بالأماثلِ)

عمر الله مبتدأ والخبر محذوف أى قسمى ، وجملة لتلتبسنْ جواب القسم ، والجملة القسمية خبر إن . وقوله إن جدّ إن شرطيّة ، وجدّ بمعنى لجَّ ودام وعظم ، وما موصلة ، وأرى من رؤية البصر ، والمفعول محذوف وهو العائد ، وجواب الشرط محذوف وجوباً لسدّ جواب القسم محلّه . والالتباس : الاختلاط والملابسة ، والنون الخفيفة للتوكيد ، وأسيافنا فاعل تلتبس . والأماثل : الأشراف ، جمع أمثَل . والمعنى إنْ دام هذا العناد الذى أراه تنلْ سيوفُنا أشرافكم .

(بكفَّىْ فتيً مثلِ الشِهاب سَمَيدَع أخى ثقةٍ حامِى الحقيقة باسلِ)

بكفَّىْ : تثنية كفّ ، والباء متعلقة بقوله تلتبس — وقد حقّق الله ما تفرّسه أبو طالب يوم بدر . وقوله : مثل الشهاب ، يريد أنه شجيع لا يقاومه أحدٌ فى الحرب ، كأنه شعلة نار يُحرق من يقرب منه . والسَّمَيدع بفتح السين ، وضمُّها خطأ ، وبفتح الدال المهملة وإعجامُها لا أصل له ، خلافاً لصاحب القاموس ، ومعناه السيّد الموطّأ الأكناف .

قال المبرّد فى أول الكامل[1] : « معنى موطّأ الأكناف : أن ناحيته

---

(١) الكامل ص ٣ ليسبك .

يتمكّن فيها صاحبُها[1] غير مؤذًى ولا ناب به موضعُهُ . والتوطئة : التذليل والتمهيد ، يقال دابّة وطىء افتى ، وهو الذى لا يحرّك راكبه فى مسيره ؛ وفراش وطىء ، إذا كان وثيراً لا يؤذى جنبَ النائم عليه .

قال أبو العباس : حدّثنى العباس بن الفرج الرياشىّ قال : حدّثنى الأصمعى قال : قيل لأعرابىّ ، وهو المنتجع بن نبهان : ما السَّميدع ؟ فقال : السيّد الموطأ الأكناف . وتأويل الأكناف : الجوانب ، يقال فى المثل : فلان فى كَنَف فلان كما يُقال فلان فى ظلّ فلان وفى ذَرَا فلان[2] وفى حيّز فلان » . انتهى .

والثقة : مصدر وثقت به أثق بكسرهما : إذا ائتمنته . والأخ يستعمل بمعنى الملازم والمداوم . والحقيقة : ما يحقُّ على الرجل أن يحميه . والباسل : الشجيع الشديد الذى يمتنع أن يأخذه أحدٌ فى الحرب ؛ والمصدر البسالة ، وفعله بسل بالضم . وأراد بصاحب هذه الصفات الفاضلة محمّداً صلى الله عليه وسلم .

(وما تَرْكُ قوم لا أبا لَكَ سيِّداً يحوطُ الذِّمارَ غير ذَرْب مُوا كِل)

ما استفهاميّة تعجبيّة مبتدأ عندسيبويه وتركُ خبر المبتدأ ، وعندالأخفش بالعكس . وقوله : لا أبا لك ، يستعمل كناية عن المدح والذم ، ووجه الأوّل : أن يرادنفى نظير الممدوح بنفى أبيه ، ووجهالثانى : أن يراد أنَّه مجهول النسب ، والمعنيان محتملان هنا . والسيِّد من السيادة وهو المجد والشرف . وحاطه يحوطه حَوطا . رعاه وفى الصحاح : « وقولهم فلان حامى الذمار ، أى إذا ذَمِرَ وغضب حمى ، وفلان أمنع ذماراً من فلان . ويقال الذِّمار : ما وراء الرجل مما يحقّ عليه أن يحميه ، لأنهم قالوا : حامى الذمار كما قالوا حامى الحقيقة .

---

(١) فى النسختين : « صاحبه » ، والصواب من الكامل .
(٢) بين هذا وتاليه فى الكامل : « وفى ناحية فلان » .

وسمى ذماراً لأنه يجب على أهله التذمر له ، وحميت حقيقة لأنه يحق على أهلها الدفع عنها . وظل يتذمر على فلان : إذا تنكر له وأوعده » . والذرب بفتح الذال المعجمة وكسر الراء ، لكنه سكنه هنا ، وهو الفاحش البذى اللسان . والمواكل : اسم فاعل من واكلت فلاناً مواكلة : إذا اتكلت عليه واتكل هو عليك ، ورجل وكل بفتحتين ، ووُكلة كهمزة ، وتكلة ، أى عاجز يكلُ أمره إلى غيره ويتكل عليه .

(وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهه ثِمالَ اليتامى عصمةً للأراملِ)

أبيض : معطوف على سيد المنصوب بالمصدر قبله ، وهو من عطف الصفات التى موصوفها واحد ؛ هكذا أعربه الزركشى فى نكته على البخارى المسمى بالتنقيح لألفاظ الجامع الصحيح ، وقال : لا يجوز غير هذا . وتبعه ابن حجر فى فتح البارى ؛ وكذلك الدمامينى فى تعليق المصابيح على الجامع الصحيح ، وفى حاشيته على مغنى اللبيب أيضاً . وزعم ابن هشام فى المغنى : أن أبيض مجرور برب مقدرة وأنها للتقليل . والصواب الأول ؛ فإن المعنى ليس على التنكير ، بل الموصوف بهذا الوصف واحد معلوم . والأبيض هنا بمعنى الكريم . قال السمين فى عمدة الحفاظ : عبر عن الكرم بالبياض ، فيقال : له عندى يد بيضاء أى معروف ؛ وأورد هذا البيت . والبياض أشرف الألوان ، وهو أصلها إذ هو قابل لجميعها ، وقد كنى به عن السرور والبشر ، وبالسواد عن الغم . ولما كان البياض أفضلَ الألوان قالوا : البياض أفضل ، والسواد أهول ، والحمرة أجمل ، والصفرة أشكل .

ويستسقى بالبناء للمفعول ؛ والجملة صفة أبيض . والثمال : العماد والملجأ والمُطعِم والمغنى والكافى . والعصمة : ما يعتصم به ويتمسك ، قال الزركشى : يجوز فيهما النصب والرفع . والأرامل جمع أرملة وهى التى لا زوج لها ،

لافتقارها إلى من ينفق عليها ؛ وأصله من أرملَ الرجل : إذا نفِد زاده وافتقر ، فهو مرمل ، وجاء أرملُ على غير قياس . قال الأزهرىّ : لا يقال للمرأة أرملة إلاّ إذا كانت فقيرة ، فإن كانت موسرة فليست بأرملة ؛ والجمع أرامل ، حتى قيل رجل أرمل إذا لم يكن له زوج . قال ابن الأنبارىّ : وهو قليل ؛ لأنه لا يذهب[1] بفقد امرأته ، لأنها لم تكن قيِّمة عليه . وقال ابن السكيت : الأرامل : المساكين ، رجالاً كانوا أو نساء .

قال السهيلى فى الروض الأنف[2]: « فإن قيل : كيف قال أبو طالب : وأبيضَ يستسقى الغمام بوجهه ، ولم يَره قطّ استُسقى به ، إنّما كانت استسقاءاته عليه الصلاة والسلام بالمدينة فى سفَر وحضر ، وفيها شوهد ما كان من سرعة إجابة الله له ؟ فالجواب : أن أبا طالب قد شاهد من ذلك فى حياة عبد المطّلب مادلّه على ما قال » انتهى .

وردّه بعضهم[3] بأن قضيّة الاستسقاء متكرّرة ؛ إذ واقعة أبى طالب كان الاستسقاء به عند الكعبة ، وواقعة عبد المطّلب كان أوّلها أنهم أُمروا باستلام الركن ثم بصعودهم جبل أبى قُبيس ليدعوَ عبد المطلب ومعه النبى صلى الله عليه وسلم ويؤمِّنَ القومُ ؛ فسقُوا به .

قال ابن هشام فى السيرة : « حدثنى من أثق به قال : أقحط أهل المدينة فأتَوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا ذلك إليه ، فصعد رسول الله

(١) ش : « لأنه يذهب » ، صوابه فى ط واللسان (رمل ٣١٧) حيث نقل نص ابن الأنبارى . وفيه : « لأن الرجل لايذهب زاده بموت امرأته اذا لم تكن قيمة عليه » .

(٢) الروض ١ : ١٧٩

(٣) هو ابن حجر الهيتمى المتوفى سنة ٩٧٣ . أنظر شرحه للهمزية بعد فراغه من تفسير قول البوصيرى :

واذا حلت الهداية قلبا .. نشطت فى العبادة الأعضاء

٢٥٨

صلى الله عليه وسلم المنبر فاستسقى ، فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحى يشكون منه الغرق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حوالَينا ولا علينا ! فانجاب السحابُ عن المدينة فصار حوالَيها كالإكليل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسرّه . فقال له بعض أصحابه (وهو على رضى الله عنه) : كأنك أردت يارسول الله قوله :

وأبيضَ يُستسقىٰ الغمامُ بوجهه . . البيت

قال أجل ! » انتهى .

وبتصديق النبى صلى الله عليه وسلم كونَ هذا البيت لأبى طالب — وعليه اتفق أهل السِّيَر — سقَط ما أورده الدَّميرىّ فى شرح المنهاج فى باب الاستسقاء عن الطَبَرانىّ وابن سعْدٍ : أن عبد المطّلب استسقى بالنبى صلى الله عليه وسلم فسقُوا ، ولذلك يقول عبد المطلب فيه يمدحه .

وأبيض يستسقىٰ الغمام بوجهه . . البيت

قال ابن حجر الهيتمى فى شرح الهمزّية : « وسبب غلط الدَّميرىّ فى نسبة هذا البيت لعبد المطلب : ان رُقيقة (براء مضمومة وقافين) بنت أبى صيفىّ بن هاشم[1] ، وهى التى سمعت الهاتف فى النوم أو فى اليقظة — لما تتابعت على قريش سنونَ أهلكتْهم — يصرخ : يا معشر قريش ، إن هذا النبىّ المبعوث قد أظلَّتكم أيامُه ، فحيَّهلا بالحَيا والخصب . ثم أمرَهم بأن يستسقوا به ، وذكر كيفيّة يطول ذكرها . فلما ذكرت الرواية فى القصّة أنشأت تمدح النبىّ صلى الله عليه وسلم بأبيات آخرُها :

(١) فى النسختين : « هشام » تحريف ، صوابه فى شرح الهمزية وجمهرة ابن حزم ١٤ وسيرة ابن سيد الناس ١ : ٣٩ .

مباركَ الأمرِ يُستسقى الغمامُ به   مافى الأنام له عِدلٌ ولا خطَرُ [١]

فإنّ الدّميرى لما رأى هذا البيت فى رواية قصّة عبد المطلب التى رواها الطبرانى — وهو يشبه بيتَ أبى طالب إذ فى كلّ استسقاء الغمام به — توهّمَ أن بيت أبى طالب لعبد المطلب . وإنما هو لرُقيقة المذكورة . والحكم عليه بأنه عين البيت المنسوب لأبى طالب ليس كذلك ، بل شتّان ما بينهما . فتأمّلْ هذا المحلّ فإنه مهمّ . وقد اغترّ بكلام الدميرىّ مَن لاخِبرة له بالسير» انتهى .

(يلوذ به الهُلّاكُ مِن آل هاشمٍ   فهُم عنده فى رَحمة وفواضل)

يلوذ صفة أخرى لموصوفِ سيد . والهُلّاك : الفقراء والصعاليك الذين ينتابون الناس طلباً لمعروفهم من سوء الحال ؛ وهو جمع هالك ، قال جميل :

أبيتُ مع الهُلّاك ضيفاً لأهلها   وأهلى قريبٌ موسِعون ذَوو فضلِ

وقال زياد بن حَمل :

ترى الأرامل والهُلّاك تتبعُه   يَستنّ منه عليهم وابِلٌ رذمُ

(جَزى الله عنا عبدَ شمس ونوفَلا   عقوبةَ شَرٍّ عاجلا غير آجل)

نوفل هو ابن خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قَصىّ ، وهو ابن العدويّة ؛ وكان من شياطين قريش ، قتله على بن أبى طالب يوم بدر .

---

(١) قبله ، كما فى سيرة ابن سيد الناس :

بشـــيبة الحمد أســـقى الله بلدتنا   وقد فقـــدنا الحيـــا واجلوذ المطر

فجـــاد بالماء جـــونى له ســـبل   دان فعاشـــت به الأنعام والشجر

منـــا من الله بالميـــمون طـــائره   وخـــير من بشرت يومـــا به مضر

وكان عبد المطلب قد خرج للاستقاء ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام .

(بميزان قسط لايخِسُّ شعيرة[1] له شاهدٌ من نفسه غير عائل)

بميزان متعلّق بجزىَ اللهُ . والقِسط بالكسر : العدل . وخسَّ يخِسُّ من باب ضرب : إذا نقص وخفَّ وزنه فلم يعادل ما يقابله . وله أى للميزان ، شاهد أى لسان من نفسه[2] ، أى من نفس القسط ، غير عائل صفة شاهد أى غير مائل ، يقال عال الميزان يعول : إذا مال ؛ كذا فى العباب وأنشد هذا البيت كذا :

٢٥٩

بميزان صِدقٍ لايغلّ شعيرة له شاهد . . . . . البيت[3]

(ونحن الصَّميمُ من ذؤابة هاشمٍ وآل قُصَىّ فى الخطوب اوائلِ)

الصميم : الخالص من كل شىء . والذؤابة : الجماعة العالية ، وأصله الخصلة من شعر الرأس .

(وكلّ صديق وابن أختٍ نعدّه لَعمرى ، وجدنا غِبَّة غيرَ طائلِ)

الغِبّ بالكسر : العاقبة . ويقال هذا الأمر لاطائل فيه ، إذا لم يكن فيه غَناء ومزيّة ؛ مأخوذ من الطَّول بمعنى الفضل .

(سِوى أن رهطامن كِلاب بن مرّةٍ بَرَاء إلينا مِن مَعقّة خاذلِ)

قال السهيلى : « يقال قوم بُراء بالضم وبَراء بالفتح وبِراء بالكسر : فأما بِراء بالكسر فجمع برىء مثل كريم وكرام ، وأما بَراء فمصدر مثل سَلام ، والهمزة فيه وفى الذى قبله لام الفعل ، ويقال رجل بَراء ورجُلان بَراء ، وإذا كسرتها أو ضممت لم يجز إلّا فى الجمع ، وأما بُراء بضمّ الباء فالأصل فيه برآء

(١) فى الديوان : « لا يغيض شعيرة » . وفى حواشيه : أنها فى رواية « يحص » وفى الروض الأنف ١ : ١٧٨ : « يخس شعيرة » ، أى ينقص . والخسيس : الناقص من كل شىء . ويروى فى غير السيرة : « يحص بالصاد المهملة ، من حص الشعر ، اذا أذهبه » .

(٢) ط : « أى ميزان من نفسه » ، صوابه فى ش

(٣) يغل ، من الغلول ، وهو الاختلاس . وفى ط : « يقل » محرف .

مثل كرماء واستثقلوا اجتماع الهمزتين فحذفوا الأولى، وكان وزنه فُعَلاء فلما حذفوا التي هي لام الفعل صار وزنه فُعاء وانصرف لأنه أشبه فعالا ». والمَعَقَّة بفتح الميم: مصدر بمعنى العقوق.

(ونِعم ابنُ أختِ القوم غير مكذَّب   زهيرٌ حساماً مفرداً من حمائلِ)

قال ابن هشام في السيرة: « زهير هو ابن أبي أميّة بن المغيرة بن عبد الله ابن عُمر بن مخزوم[1]، وأمّه: عاتكة بنت عبد المطلب » انتهى.

وزهير هو المخصوص بالمدح مبتدأ، وجملة نعم ابن أخت القوم هو الخبر، وغير مكذَّب بالنصب حال من فاعل نعم وهو ابن. ومكذَّب: على صيغة اسم المفعول، يقال كذّبته بالتشديد: إذا نسبته إلى الكذب ووجدته كاذبا؛ أي هو صادق في مودّته لم يُلفَ كاذبا فيها. والحُسام: السيف القاطع، وهو منصوب على المدح بفعل محذوف أي يشبه الحسام المسلول في المَضاء. ورواه العيني في شرح شواهد الألفية: (حسامٌ مفردٌ) برفعهما وقال: «حسام صفة لزهير، وقوله مفرد من حمائل صفة للحسام» وهذا على تقدير صحّة الرواية خبْطُ عشواء؛ فإن زهيرا علَم وحساماً نكرة! والمفرد: المجرّد. والحمائل: جمع حِمالة وهي عِلاقة السيف، مثل المِحمَل بكسر الميم، هذا قول الخليل، وقال الأصمعي: حمائل السيف لا واحد لها من لفظها، وإنما واحدها مِحمل كذا في العباب.

وهذا البيت استشهد به شرّاح الألفية على أنّ فاعل « نِعْمَ » مظهر مضاف إلى ما أضيف إلى المعرّف باللام.

(أشمَّ، من الشُّمِّ البهاليل يَنتمى   إلى حسبٍ في حَومة المجد فاضل)

(١) في النسختين: « عمرو بن مخزوم »، وانظر ما أسلفت من التحقيق في ص ٢٧٢ طبعة أولى.

الشمم : ارتفاع فى قصبة الأنف مع استواء أعلاه ، وهذا مما يُمدح به ، وهو أشمّ من قَومٍ شُمّ والبهاليل : جمع بُهلول بالضم ، قال الصاغانى : والبهلول من الرجال : الضحّاك ، وقال ابن عبّاد : هو الحيّ الكريم . ويَنتمى : ينتسب . وفاضل بالضاد المعجمة صفة حَسَب .

(لَعمرى ، لقد كُلِّفتُ وجداً بأحمدٍ وإخوته دأبَ المحِبِّ المواصلِ)

٢٦٠ كُلِّفت بالبناء للمفعول والتشديد : مبالغة كلِفت به كلَفا من باب تعب : إذا أحببته وأُولِعت به ؛ ووجداً أى كلفَ وجد ، يقال وجَدت به وَجداً : إذا حزِنت عليه . وبأحمد متعلّق بكلّفت ؛ وهو اسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم — ويجوز أن يكون من كلّفته الأمرَ فتكلّفه ، مثل حمّلته فتحمّله وزنا ومعنى مع مشقّة ، فوجداً مفعوله الثانى ؛ وبدون التضعيف متعدّ لواحد ، يقال كلِفت الأمرَ من باب تعب : حملته على مشقّة . وأراد بإخوته أولادَه جعفراً وعقيلاً وعليّاً رضى الله عنهم ؛ فإن أبا طالب كان عمّ النبى صلى الله عليه وسلم ، والعمّ أب فأولاده إخوة النبى صلى الله عليه وسلم . ودأبَ مصدر منصوب بفعله المحذوف أى ودأبت دأب المحبّ ، يقال فلان دأب فى عمله : إذا جدّ وتعب .

(فلا زالَ فى الدنيا جَمالاً لأهلها وزَيناً لمن ولاّه ذَبٌّ المشاكلِ)

الذَّبّ : الدفع ؛ والمشاكل : جمع مُشكِلة .

(فمن مثلُه فى الناس ! أىُّ مؤمَّل إذا قاسَه الحكّام عند التفاضلِ !)

« أىّ » هى الدالة على الكمال ، خبر مبتدإ محذوف أى هو ؛ والمؤمّل الذى يُرجىٰ لكلّ خير : والتفاضل بالضاد المعجمة ، وهو التغالب بالفضل .

(حليمٌ رشيدٌ عادل غيرُ طائش يُوالى إلَهاً ليس عنه بغافلِ)

أى هو حليم . والطَّيش : النزق والخفّة : ويوالى إلّها أى يتخذه وليّا ، وهو فعيل بمعنى فاعل . من وليه : إذا قام به . ومنه : (اللهُ وَلِىُّ الذينَ آمَنُوا) .

(فأيَّده ربُّ العبـاد بنَصرِه وأظهرَ ديناً حقُّه غير ناصلِ)

الحقّ : خلاف الباطل ، وهو مصدر حقّ الشىء من باب ضرب وقتل : إذا وجب وثبت . والناصل : الزائل المضمحلّ ، يقال نصل السهم : إذا خرج منه النصل ؛ ونَصل الشعر ينصُل نصولا : زال عنه الخضاب .

(فو اللهِ ، لولا أن أجىء بسُبَّةٍ تُجرُّ على أشياخنا فى القبائل
لكُنّا اتّبعناه على كلّ حالة من الدهر جِدًّا غير قول التهازل)
تقدّم شرحهما أولا(١)

(لقدْ علموا أنّ ابنَنا لا مكذَّب لدينا ولا يُعنىْ بقول الأباطلِ)

فى النهاية : « يقال عُنيت بحاجتك أُعنيْ بها فأنا بها مَعنىّ ، وعَنيت بها فأنا عانٍ ، والأول أكثر ، أى اهتممت بها واشتغلت » انتهى . وهو من باب تعب .

(فأصبح فينا أحمدٌ فى أرومَة يقصِّر عنها سَورةُ المتطاولِ)

تنوين أحمد للضرورة . والأُرومة بفتح الهمزة وضم الراء المهملة : الأصل . والسّورة بالضم : المنزلة ، وبفتح السين السطوة والاعتداء . والمتطاول من الطّول بالفتح ، وهو الفضل ، وهذا بالنسبة إلى المنزلة ؛ أو من تطاول عليه : إذا قهره وغلبه ، وهذا بالنسبة إلى السَّطوة .

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٥٦ من هذا الجزء

(حَدِبتُ بنفسى دونه وحَميته ودافعت عنه بالذُّرا والكلاكل)

٢٦١

حدِب عليه كفرح وتحدب عليه أيضاً بمعنى تعطّف عليه ، وحقيقته جعل نفسه كالأحدب بالانحناء أمامه ليتلقّى عنه ما يؤذيه . ودونه أمامه . والذُّرا بالضم : أعالى الشىء ، جمع ذروة بكسر الذال وضمها . والكلاكل : جمع كَلْكَل كجعفر ، بمعنى الصدر .

(تنبيـــه)

رواية هذه القصيدة كما سطرت نقلتُها من سيرة الشامى[1] ، ورواها ابن هشام فى السيرة أزيد من ثمانين بيتا[2] ، ومطلعها عنده :

ولمّا رأيت القوم لاودّ فيهم وقد قطعوا كُل العُرَى والوسائل

ولم يَذكر البيتين الأوّلين مطلعَ القصيدة فى رواية الشامى ، ولا تعرّض لهما السُّهيلى بشىء .

أبو طالب

و (أبو طالب) هو عم النبي صلى الله عليه وسلم وناصره . ولد قبل النبي صلى الله عليه وسلم بخمس وثلاثين سنة . ولما مات عبد المطلب وصّى بالنبي صلى الله عليه وسلم إليه ، فكفَله وأحسن تربيته ؛ وسافر به إلى الشام وهو شابّ ؛ ولما بُعث صلى الله عليه وسلم قام بنصرته وذبّ عنه من عاداه ، ومدحه عدة مدائح .

واسمه عبد مناف على المشهور ، واشتهر بكنيته ؛ وقيل : اسمه عمران ،

---

(١) هو محمد بن على بن يوسف الشافعى الشامى المتوفى سنة ٩٤٢ ٠ انظر كشف الظنون ٢ : ٣٩

(٢) وفى رواية أبى هفان لديوانه ١٠٩ بيتا ٠

وقيل : شَيبة . قال الواقدى : وتوفِّى أبو طالبٍ فى النصف من شوال فى السنة العاشرة من النبوّة ، وهو ابن بضع وثمانين سنة .

واختلف فى إسلامه ، قال ابن حجر : رأيتُ لعلىّ بن حمزة البصرى جزءاً جمع فيه شعر أبى طالب ، وزعم أنه كان مسلماً ومات على الإسلام ، وأن الحشويَّة تزعم أنَّه مات كافراً ، واستدلّ لدعواه بما لا دلالة فيه . انتهى .

ومن شعره قوله :

ودعوتَني وزعمتَ أنك صادقٌ ولقد صدقتَ وكنتَ قبلُ أمينا
ولقد علمتُ بأنَّ دين محمّد مِن خير أديان البريَّة دينا

ومن شعره الذى قاله وهو فى الشّعِب :

ألا أبلغا عنّي علَى ذاتِ بيننا لؤيًّا وخُصّا من لؤىّ بنى كعبِ
ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّدا نبيّا كموسىٰ خُطّ فى أوّل الكتْبِ
وأنَّ عليه فى العِباد مودّةً وخيّر فيمن خصّه الله بالحُبِّ[1]

وهى قصيدة جيِّدة على هذا الأسلوب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون[2] :

---

(١) كذا فى النسختين . وفى السيرة والروض الأنف ١ : ٢٢١ : « ولا خير ممن خصه الله بالحب » . وقد أفاض السهيلى فى تخريج البيت على هذه الرواية

(٢) ابن يعيش ١ : ١١٦ والأغانى ١٤ : ٤٠ ، ٤١ والحماسة ٨٧٥ بشرح المرزوقى ، ومعجم البلدان (راوند) ومعجم ما استعجم (خزاق) وشرح الشريشى للمقامات ٢ : ١٨٧ وسيرة ابن سيد الناس ١ : ٧٢ وفتوح البلدان للبلاذرى ٤٥٤

٩٢ ﴿ أجِدَّ كُما لا تَقضِيانِ كَرا كُما ﴾

على أن (جِدَّ كما) ليس مصدراً مؤكِّداً لقوله : (لا تقضيان) بل هو إمّا منصوب بنزع الخافض ، وإمّا حال، وإمّا مصدر حُذف عامله وجوبا .

أما كونه ليس مؤكِّداً لمضمون الجملة بعده فلشيئين : الأوّل : أن قوله أجِدَّكُما لَو جعل مؤكّداً لمضمون ما بعده لـكان مؤكِّداً لمضمون المفرد وهو الفعل فقط ، لا لمضمون الجملة ، كما بيَّنه الشارح . والثانى : أنه إنما يكون المصدر مؤكِّداً لغيره إذا أكّد معنيٰ القول الذى هو مضمون الجملة ، ولا يجوز أن يقدَّر أجدّكما أقول لا تقضيان ، لفساد المعنى ؛ لأن القول من المتـكلم ، وعدم القضاء من المخاطب .

وأما كونه منصوبا بنزع الخافض فلأنه فى معنيٰ « حقّا » ، وهو على تقدير فى ، وجدَّك وحقّا متقاربان معنًى ، فالأنسب تقاربهما فى الإعراب أيضا . ٢٦٢

وأما كونه حالاً فمعناه : لا تقضيان كراكما جادَّين ، فعامل الحال الفعلُ الذى بعدها ، وصاحبها ضمير التثنية .

وأما الثالث فهو مؤكّد لنفسه ؛ لأنه أكّد مضمون المفرد لا مضمون الجملة ، لأنه أكّد الفعل بدون الفاعل ، والفعل يدلّ وحده على الحدث والزمان .

هذا محصل كلامه . والحاليّة لا تطّرد فى كل موضع ، ولهذا ذهب الإمام المرزوقىّ فى شرح فصيح ثعلب ، إلى أن انتصاب أجِدَّكما إمّا بنزع الخافض وإمّا بفعله المحذوف .

والمفهوم من كلام ابن جنى على هذا البيت فى إعراب الحماسة : أن أجدَّكُما منصوب بفعله المحذوف. لـكنَّ جعله جملة لا تقضيان حالا غيرُ جيِّد ، لأنها مقيَّدة وجِدَّكما قيدٌ لها ، والمقيَّد هو أصل الـكلام . ثم جوابه عن إيراده

على جعله الجملة حالا أنها مصدّرة بعلَم الاستقبال ، بأن الشاعر أراد امتداد الحال فلما لاحظ حال الاستمرار والاستقبال أتى بلا ، غير صحيح ؛ فإن لا ليست للاستقبال على الصحيح ، والمضارع المنفىُّ بها يقع حالاً نحو : (ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلّهِ وَقارا) . وقد تعسّف أيضاً فى نحو « أجِدَّك لا تفعلُ » بأنه على إرادة استمرار حكاية الحال الممتدّة فيما مضىٰ .

قال أبو حيّان فى الارتشاف : ولا تفعلُ عند أبى علىّ حالٌ أو على إضمار أن فحذف أن وارتفع الفعل .

واعلم أن صنيع الشارح المحقّق ، فيه ردٌّ لمن جعل — كابن الحاجب — أجدَّك لا تفعل كذا ، من قبيل المصدر المؤكِّد لغيره ، قال ابن الحاجب فى الإيضاح : « أصله لا تفعل كذا جدًّا ، لأن الذى ينبغى الفعل عنه يجوز أن يكون بجدّ منه ويجوز أن يكون من غير جدّ فإذا قال : جِدًّا فقد ذكر أحد المحتملين ؛ ثم أدخلوا همزة الاستفهام إيذاناً بأن الأمر ينبغى أن يكون كذلك ، على سبيل التقرير ؛ فقُدِّم المصدر من أجل همزة الاستفهام فصار : أجِدَّك لا تفعل ، ثم لمَّا كان معناه تقرير أن يكون الأمر على وَفق ما أخبر صار فى معنى تأكيدِ كلام المتكلّم ، فيتكلّم به من يقصد إلى التأكيد وإن كان ما تقدم هو الأصل الجارى على قياس لغتهم . ويجوز أن يكون معنىٰ أجدّك فى مثله : أتفعله جدًّا منك ، على سبيل الإنكار لفعله جدًّا ، ثم نهاه عنه أو أخبر عنه بأنه لا يفعل ، فيكون أجدَّك توكيداً لجملة مقدرة دلّ سياق الكلام عليها . ومما يدلّ على أنهم يقولون أفعلُه جدًّا قولُ أبى طالب :

إذن لاتبعناه على كل حالة . . البيت »

هذا كلامه . وقوله « ثم نهاه عنه » يفهم منه أنّ أجدّك يقع بعدها النهى ،

وكذا قول بعضهم ، أجدَّك هل تفعل كذا ، يفهم منه أن الاستفهام يقع بعده .

وقد قال الشارح المحقق : إن أجدك لا يستعمل إلاّ مع النفى . ولم أرَ هذا التقييد لغيره ، وظاهره : سواء كان النافى لا أو ما أو لن ؛ كقوله :

أجدَّك لن ترى بثُعيلِباتٍ   ولا بَيْدانَ ناجيةً ذَمولا[1]

أو لم ، كقول الأعشى :

أجِدَّك لَم تغتمضْ ليلةً   فترقدَهـا مع رُقّادها

٢٦٣

فإن قلتَ : قد وقع بعدها الاستفهام فى هذا البيت الذى أورده ثعلب فى فصيحه وهو :

أَجِدّكَ ما لعينِك لا تنـامُ   كأنّ جفونها فيهـا كِلامُ

قلتُ : النفى الذى يقع بعد أَجدّك موجود وهو قوله لا تنام ؛ والاستفهام الثانى سؤال عن علّة عدم نوم عينه ، ومثله قول كعب بن مالك الصحابى رضى الله عنه فى غزوة الطائف :

أَجِدَّهمُ أليس لهم نصيحٌ   من الأقوام كان لنا عريفا[2]

يخبِّرهمْ بأنا قد جَمعنـا   عِتاقَ الخيل والبُختَ الطروفا[3]

وفى الارتشاف : ولا يستعمل أَجدَّك إلاّ مضافا ، وغالباً بعده لا أو لم أو لن . وفى النهاية لابن الخبّاز قال الأعشى :

---

(١) للمرار بن سعيد الفقعى كما يفهم من اللسان (نشغ ٣٣٩) . وانشدة ثعلب فى مجالسه ١٥٩ وياقوت فى (ثعيلبات) بدون نسبة . وثعيلبات وبيدان : موضعان .

(٢) ش : « من الا ... » وتكملة « الأقوام » من ط والسيرة ٨٧٠ وفيها أيضا : « بنا عريفا » .

(٣) فى السيرة : « والنجب الطروفا »

* أَجِدَّكِ ودَّعتَ الدُّمَى والولائدا[1] *

ودَّعتَ موجبٌ ، وجاء مع لا كثيراً . اه

وقد ذكر صاحب الصحاح وغيره : أن أجدّك يجوز فى جيمه الكسر والفتح ، لكن الكسر هو الفصيح ، ولهذا قال ثعلب فى فصيحه : وما أتاك أجِدَّك فمكسور وما أتاك وجَدِّك فمفتوح[2] . وهو من الجِدّ ضد الهزل ، وأصله من الجِدّ فى الأمر بمعنى الاجتهاد فيه ، لأنّ الهازل لا يبذل الاجتهاد فى شىء .

وأغربَ صاحب القاموس حيث جعله مِن جادّهُ بمعنى حاقَقه ، ثم قال « وأجدّك لا تفعل ، لا يقال إلا مضافاً ، وإذا كسر استحلفه بحقيقته ، وإذا فتح استحلفه ببخته » انتهى . وهذا شىء انفرد به ، وكأنه جنح لما ذهب إليه الشَّلَوبين حيث زعم أنّ فيه معنى القسم ، ولذلك قدِّم .

وهذا المصراع من شعر لقُسّ بن ساعِدة . وهو :

(خليلىّ هُبَّا طالما قدْ رَقدتما « أَجِدَّكما لا تقضيان كرا كُما »
ألم تعلما أنّى بسَمعان مفرَداً ومالىَ فيه مِن خليلٍ سوا كما !
مقيمٌ على قبريكما لستُ بارحاً طَوالَ الليالى أو يجيبَ صدا كما !
أُبَكّيكما طولَ الحياة ، وما الذى يردّ على ذى لوعة أن بكا كما !
كأنّكما ،والموت أقربُ غائب[3] بروحىَ فى قبريكما قد أتا كما !

(١) ط : « والولائد » ، صوابه فى ش والديوان ٤٨ . وعجزه :
وأصبحت بعد الجور فيهن قاصدا *

(٢) نص الجوهرى : « قال ثعلب : ما أتاك فى الشعر من قولك أجدك فهو بالكسر ، فاذا أتاك بالواو وجدك فهو مفتوح » .

(٣) فى الأغانى وشرح المقامات : « أقرب غاية » .

أَمِنْ طول نوم لا تجيبان داعيا   كأن الذى يسقى العُقار سقا كما !

فلو جُعِلتْ نفسٌ لنفسٍ وِقايةً   لجُدتُ بنفسى أن تكون فدا كما !)

فى سيرة ابن سيِّد الناس بسنده إلى ابن عبّاس فى حديث الجارود ابن عبد الله لما قدم مؤمناً بالنبى صلى الله عليه وسلم وسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن قسّ بن ساعدة ، والحديث طويل ، إلى أن قال ابن عبّاس : وقام رجل أشدقُ أجشُّ الصوت فقال : لقد رأيت من قسّ عجَبا : خرجت أطلب بعيراً لى حتّى إذا عَسعس الليلُ وكاد الصبح أن يتنفّس ، هتف بى هاتف يقول :

يا أيها الراقد فى الليل الأحَمّ   قد بعث الله نبيًّا فى الحرمْ

مِن هاشم أهل الوفار والكرمْ   يجلو دُجُنّات الليالى والبُهَمْ

قال : فأدرتُ طرْفى فما رأيت [له[1]] شخصا ! فأنشأت أقول :

٢٦٤

يا أيها الهاتف فى دُجَى الظُّلَمْ[2]   أهلاً وسَهلا بك مِن طيف ألَمْ

بَيِّنْ هَداك اللهُ ، فى لحن الكلِمْ   مَن الذى تدعو إليه تغتنمْ

فإِذا أنا بنحنحة وقائلٍ يقول : ظهر النور ، وبطل الزُّور ، وبَعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالحبور ؛ صاحب النجيب الأحمر ، والتاج والمِغفر ، والوجه الأزْهر ، والحاجب الأقْمر ، والطرْف الأحور ؛ صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله ؛ فذاك محمّد المبعوث إلى الأسود والأحمر ، أهل المدر والوبر . ثم أنشأ يقول :

الحمـــد لله الذى لم يخلق الخلقَ عبَثْ

(١) التكملة من مخطوطة عيون الأثر لابن سيد الناس رقم ١٧٦ تاريخ بدار الكتب وفى المطبوعة من عيون الأثر كما هنا .

(٢) الذى فى سيرة ابن سيد الناس : « داجى الظلم »

ولم يُخَلِّنا سُدًى من بعد عيسى وا كترثْ
أرسل فينا أحمدا خيرَ نبيٍّ قد بُعثْ
صلّى عليه اللهُ ما حجَّ له ركبٌ وحَثّ

قال : ولاح الصباحُ فإذا أنا بالفَنيق ، يشقشق إلى النُوق ؛ فملكت خِطامه وعلوت سَنامه ؛ حتّى إذا لِغِب فنزلتُ فى روضة خِضرة ؛ فإذا أنا بقُسّ ابن ساعدة فى ظل شجرة ، وبيده قضيبٌ من أراكٍ ينكُت به الأرض وهو يقول :

يا ناعيَ الموت والأمواتُ فى جدَث عليهم من بقايا بَزّهِمْ خِرَقُ
دعهمْ ، فإن لهم يوماً يُصاحُ بهم فهم إذا انتبهوا من نومهم فَرِقوا
حتّي يعودُوا لحالٍ غيرِ حالهم[1] خلْقاً جديداً كما مِن قبلِه خُلقوا
منهمْ عراةٌ ، ومنهمْ فى ثيابهم : منها الجديدُ ومنها المُنهَجُ الخلَق

قال : فدنوتُ منه فسلّمت عليه فردّ علىّ السلام ؛ وإذا [أنا[2]] بعين خرّارة فى أرض خوّارة ؛ ومسجد بين قبرين ، وأسدْين عظيمين يلوذان به ؛ وإذا بأحدهما قد سبق الآخر إلى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء . فضربه بالقضيب الذى فى يده وقال : ارجعْ ثَكِلتك أمك ! حتّي يشربَ الذى ورد قبلَك ؛ فرجع ثم ورد بعده . فقلت له : ما هذان القبران ؟ قال : هذان قبرا أخوين كانا لى ، يعبدان الله عزّ وجل معى فى هذا المكان لا يشركان بالله عز وجل شيئاً ، فأدركهما الموت فقبرتهما ، وها أنا بين قبريهما حتى ألحقَ بهما ! ثم نظر إليهما وجعل يقول :

(١) فى عيون الأثر : « بحال غير حالهم »
(٢) من عيون الأثر .

خليلىّ هُبّا طالما قد رقدتما　　أجِدَّكما لا تقضيان كراكما

. . . الأبيات السابقة : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله قسّا ! إنى أرجو أن يبعثه الله أمّةً وحدَه . انتهى .

الأمّة : الشخص المنفرد بدين ، أى يُبعث واحداً يقوم مقام جماعة . والأجشُّ : الغليظ الصوت . وعَسعس الليل : أدبر ؛ ويأتى بمعنى أقبل ، فهو ضدّ . والأحمّ : الأسود . والدُّجُنّة بضمتين وتشديد النون : الظُّلمة ، وكذلك البُهمة وجمعها بُهَم . ولحن القول ، قال الأزهرىّ : هو كالعنوان والعلامة تشير بها فيفطِن المخاطَب لغرضك . والنجيب : الكريم من الإبل . والحاجب الأقرن : أراد أنه مفروق ما بين الحاجبين فيكون أبلج نيِّرا . والفنيق : الفحل المكرم من الإبل الذى لا يُركب ولا يُهان لكرامته . ويشقشق : يهدر بشِقشِقته . ولغِبَ : تعب . والعين الخرّارة : الغزيرة النَّبع ، من الخرير وهو صوت الماء . والأرض الخوارة : الليّنة السهلة ، من خار يخور : إذا ضعف .

٢٦٥

وهُبّا : أمر مسند إلى ضمير الخليلين ، من الهبّ ، يقال هبّ من نومه من باب قتل : إذا استيقظ . وطالما : قال التبريزى فى شرح الحماسة : « إن جُعلت ما مصدرية كُتبتْ منفصلة ، وإن جعلت كافّة فمتصلة » . والرقود : النوم فى ليل أو نهار ، وخصّه بعضهم بنوم الليل ؛ والأوّل هو الحقّ ، ويشهد له المطابقة فى قوله تعالى : (وتَحْسَبُهُمْ أيقاظاً وهُمْ رُقودٌ) قال المفسِّرون : إذا رأيتهم حسبتَهم أيقاظاً لأن أعينهم مفتّحة وهم نيام . وتقضيان : من قضيت وطرى : إذا بلغته ونِلته . والكرى : النوم ؛ قالوا : أوّل النوم النُّعاس ، والوسَن ثقل النعاس ، ثم الترنيق وهو مخالطة النعاس للعين ،

ثم السَّكَرىٰ والغَمْض وهو أن يكون الإنسان بين النائم واليقظان ، ثم الهجود والهجوع ، وهو النوم الغرِق .

وسَمعان بفتح السين . موضع . وبارحاً بالموحدة والمهملة : فاعل من برح الشيء يبرح من باب تعب براحاً : إذا زال من مكانه . وطَوال الليالى بفتح الطاء بمعنى الطُول بضمها ، وهو منصوب على الظرفية ؛ يقال : لا أكلّمه طَوال الدهر وطُول الدهر ، وهما بمعنًى ؛ يريد إننى مقيم أبداً . وأو بمعنى إلى ، أو بمعنى إلاّ ، ويجيب منصوب بأن بعدها . والصَّدى هنا بمعنى ما يبقىٰ من الميت فى قبره ، ومنه قول النَّمر بن تولب الصحابى رضى الله عنه :

أعاذِلُ ، إنْ يُصبح صَدايَ بقفرة بعيداً نآنى صاحبى وقريبى
ترَىْ أنّ ما أبقيتُ لم أكُ ربَّهُ وأنّ الذى أنفقتُ كان نصيبى

وله معانٍ أخر : أحدها ذَكر البوم ؛ ثانيها : حُشوة الرأس ، يقال لذلك الهامَة والصّدىٰ ، وتأويل ذلك عند العرب فى الجاهلية : أنَّ الرجل كان عندهم إذا قُتل فلم يدرَك به الثأر ، أنه يخرج من رأسه طائر كالبومة وهى الهامة والذكر الصدَىٰ — فيصيح على قبره : اسقُونى اسقونى ! فإن قُتل قاتله كفّ ذلك الطائرُ . قال :

يا عَمرو إن لا تدع شتْمى ومنقَصَتِى أضرِبْك حتّى تقولَ الهامةُ اسقونى[1]

ثالثها : ما يرجع عليك من الصوت إذا كنت بمتَّسِع من الأرض أو بقرب جبل . رابعها : بمعنى العطَش ، مصدر صدِى يَصدَىٰ — والصدأ بالهمزة : صدأ الحديد وما أشبهه ، كذا فى الكامل للمبرد .

---

(١) لذى الاصبع العدوانى فى المفضليات ١٦٠ . ويروى : « حيث تقول الهامة »

وأبكيكما ، قال الأصمعى : بكَيت الرجل وبكّيته بالتشديد ، كلاهما إذا بكيت عليه . وما اسم استفهام مبتدأ ، والذى خبره ، أو بالعكس ؛ والمعنى : أى شىء الذى يردّه البكاء على ذى اللوعة ؟ وهى الُحرقة . وروى (ذى عَولة) وهى رفع الصوت بالبكاء بمعنى العويل . أنْ بكا كما : بفتح الهمزة مصدرية ومؤوّلها فاعل يردّ ؛ وروى بكسر الهمزة ، فهى شرطية والجواب مدلول عليه بأبكيكما ، وفاعل يردّ ضمير مفهوم من أبكيكما وهو البكاء ، ويجوز أن يكون دلّ عليه قوله أن بكا كُما . وقوله كأنكما الخ . كأنّ هنا للتقريب ، وجملة قد أتاكما خبر كأنّ ، وفاعل أتى ضمير الموت ، والظرفان متعلقان به ، وجملة والموت أقرب غائب ، اعتراضية . والعُقار بالضم : الخمر .

٢٦٦

والفَدَى بكسر الفاء وفتحها وبالقصر : مصدر فداه من الأسر يفديه : إذا استنقذه بمال ، واسم ذلك المال الفِدية وهو عِوَض الأسير ؛ وأما الفِداء بالكسر والمدّ فمصدر فاديته مفاداة وفِداء : أخذت فِديته وأطلقته ؛ وقال المبرد : المفاداة : أن تدفع رجُلا وتأخذ رجُلا ، والفِدى : أن تشتريه ، وقيل هما واحد .

(تنبيـه)

أورد أبو تمّام فى الحماسة هذه الأبيات على غير هذا النمط وقال : ذكروا ان رجليْن من بنى أسد خرجا إلى أصبهان ، فآخيا بِها دِهقانا فى موضع يقال له راوند ، فمات أحدهما وبقىَ الآخر والدهقان ينادمان قبره ويشربان كأسيْن ويصبان على قبره كأساً ؛ فمات الدِّهقان فكان الأسدىُّ ينادم قبريْهما ويشرب قدَحاً ويصبُّ على قبريْهما قدحيْن ، ويترنّم بهذا الشعر :

خليليّ هبّا طالما قد رقدتما . . . . البيت

ألم تعلما ما لى براوند كلها ولا بخُزاق من صديق سوا كما ؟

أصبُّ على قبريكما من مُدامة فإلّا تنالاها تُرَوِّ جُثاكما

أقيم على قبريكما . . . . البيت

وأبكيكما حتى الممات وما الذى . . . . البيت

جرى النومُ بين الجلد واللحم منكما كأنكما ساقى عُقار سقاكما

وروى الأصبهانى فى الأغانى بسنده إلى يعقوب بن السكّيت ، أنّ هذا الشعر لعيسى بن قُدامة الأسدىّ ، قدِم قاشانَ وله نديمان ، فماتا فكان يجلس عند قبريْهما وهما براوَند بموضع يقال له خُزاق ، فيشرب ويصبّ على القبريْن حتى يقضىَ وطره ثم ينصرف ، وينشد وهو يشرب ـ وروىٰ ما رواه أبو تمام(١) ، وزاد عليه .

«تحمَّل من يبغى القُفول وغادروا(٢) أخا لكما أشجاه ما قد شجا كُما

وأىُّ أخ يجفو أخاً بعد موته فلستُ الذى من بعد موتٍ جفاكما

أناديكما كيما تجيبا وتنطِقا وليس مُجاباً صوتُه من دعاكما

قضيتُ بأنى لا مَحالة هالكٌ وأنى سيعرونى الذى قد عراكما»

وروى الأصبهانى أيضاً بسنده إلى عبد الله بن صالح البجلىّ(٣) أنه قال :

---

(١) فيه نظر ، فان هناك تخالفا فى الرواية وعدد الأبيات . انظر الأغانى ١٤ : ٤١

(٢) ط : «العقول» ، صوابه فى ش . وفى الأغانى : «من يهوى العقول» .

(٣) وكذا فى ش . وفى الأغانى عن البلاذرى : «عبد الله بن صالح ابن مسلم العجلى» . ونحوه فى فتوح البلدان للبلاذرى ٤٥٤

بلغنى أن ثلاثة نفرٍ من أهل الكوفة كانوا فى الجيش الذى وجّهه الحجّاج إلى الدَّيلم ، وكانوا يتنادمون ولا يخالطون غيرهم ، وإنّهم لَعَلَى ذلك إذ مات أحدهم ، فدفنه صاحباه ، فكانا يشربان عند قبره فإذا بلغه الكأسُ هراقاها[1] على قبره وبكيا . ثم إنّ الثانى مات فدفنه الباقى إلى جنْب صاحبه ؛ وكان يجلس عند قبريْهما فيشرب ويصبّ كأسيْن عليهما ويبكى ويقول .... ثم ذكر الأبيات التى تقدم ذكرها ، وقال مكانَ (براوند) : (بقزوين[2]) . قال : وقبورهم هناك تعرف بقبور الندماء .

قال الأصبهانى : وذكر العتبى عن أبيه أنّ الشعر للحزين بن الحارث أحد بنى عامر بن صعصعة ، وكان أحدُ نديميْه من بنى أسد ، والآخرُ من بنى حنيفة فلما مات أحدهما كان يشرب ويصبُّ على قبره ويقول :

لا تُصرِّدْ هامةً من كأسِها وأسقِه الخمرَ وإن كان قُبِرْ
كان حُرًّا ، فهوىٰ فيمن هوىٰ كلُّ عودٍ ذى شُعوب ينكسِرْ

٢٦٧

ثم مات الآخر فكان يشرب على قبريْهما ويقول :

خليلى هبّا طالما قد رقدتما . . الأبيات

وأما أبو عبيد فى معجم ما استعجم ، وياقوت فى معجم البلدان ، فقد نسبا هذه الأبيات للأسدىّ وذكرا حكايته كأبى تمّام ؛ ثم قال ياقوت : وقال بعضهم : إن هذا الشعر لقسّ بن ساعدة فى خليليْن له كانا وماتا . وقال آخرون

---

(١) ط : « هرق » ش « هرقا » ، صوابهما فى الأغانى وفتوح البلدان

(٢) فى النسختين : « وقال : خزاق مكان براوند بقزوين » صوابه من الأغانى ومن صنيع البلاذرى

هذا الشعر لنصر بن غالب يرثى به أوس بن خالد [وأُنَسا(١)] ، وزاد فى الأبيات ونقص ، وهذه روايته بعد البيت الأول :

أجِدَّكما ما ترثيان لموجَع حزين على قبريكما قد رثاكما
جَرى النوم بين العظم والجلد منكما . . . . البيت
ألم تعلما مالى براوند كلّها . . . . البيت
أصبُّ على قبريكما من مُدامة فإلاّ تذوقاها تُرَوِّ ثراكما
ألم ترحمانى أننى صرت مفرَدا وأنّىَ مشتاق إلىٰ أن أراكما
فإن كنتما لا تسمعان فما الذى خليلىّ ، عن سَمْع الدعاء نهاكما
أقيم على قبريكما لست بارحا . . . . البيت
وأبكيكما طول الحياة وما الذى . . . . البيت

قال ياقوت « راوند : بُليدة قرب قاشان وأصفهان ، قال حمزة : أصلها راهاوند ، ومعناها الخير المضاعف . قال بعضهم : وراوند مدينة بالموصل قديمة بناها راوند الأكبر بن بيوراسف(٢) الضحاك » . انتهى .

وخُزاق بضم الخاء وبالزاى(٣) المعجمتين وآخره قاف : موضع فى سواد أصفَهان . كذا فى المعجم لأبى عبيد ، وأنشد هذا البيت . ورأيت فى هامشه بخط من يوثق به : خزاق اسم قرية من قرى راوَند من أعمال أصفهان . والجُثا بضم الجيم وبالثاء المثلثة : جمع جثوة مثلثة الجيم ، وهى الحجارة المجموعة ،

---

(١) التكملة من ياقوت

(٢) ط : « هراسف » ش : « شراسف » ، قال الميمنى : « والصواب كما فى معجم البلدان : « بيوراسف ، وأصله بالفارسية بِيوَرْأَسْب »

(٣) فى النسختين : « والزاى » ، والتصحيح لأحمد تيمور .

والجسد . والدِّهقان معرّب دِهجان(١) ومعناه رئيس القرية ؛ وفى القاموس : الدهقان بالكسر والضم زعيم فلاّحى العجم ، ورئيس الإقليم ، معرّب . وقوله « ألم تعلما مالى . . الخ » ما : نافية ، قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : « استعملها بعد العِلم وهى مقتضية لمفعولَيها لِما دخلها من معنى القسم ، فكأنه قال : والله مالى براوند من صديق غيركما وجاز استعمال العِلم فى موضع القَسَم من حيث كانا مثبِتين مؤكِّدين » انتهى .

قس ابن ساعدة

و(قس بن ساعدة) إيادىّ بكسر الهمزة ، وإياد : حىٌّ من معدّ بن عدنان . قال الذهبيّ : قس بن ساعدة أورده ابن شاهين وعبدان فى الصحابة . وكذلك قال ابن حجر فى الإصابة : ذكره أبو على بن السكن وابن شاهين وعبدان المروَزىّ وأبو موسى فى الصحابة ، وصرح ابن السكن بأنه مات قبل البعثة .

وفى سيرة ابن سيِّد الناس(٢) بسنده إلى ابن عباس قال : قدم الجارود ابن عبد الله ، وكان سيِّدا فى قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذى بعثكَ بالحقّ لقد وجدتُ صفتَك فى الإنجيل ، ولقد بشَّر بك ابنُ البَتول ، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّك محمد رسول الله . قال : فآمن الجارود وآمن من قومه كلُّ سيِّد . فسُرّ النبى صلى الله عليه وسلم بهم ، وقال : يا جارود ، هل فى جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسًّا ؟ قالوا : كلنا نعرفه يا رسول الله ، وأنا من بين [يدى(٣)] القوم كنت أقفو أثره ،

---

(١) أصله بالفارسية « دِهكان » بالكاف الفارسية كما فى معجم استبنجاس ٥٤٩

(٢) سيرة ابن سيد الناس ١ : ٦٩

(٣) التكملة من سيرة ابن سيد الناس

٢٦٨ كان من أسباط العرب[1] فصيحا ، عمّر سبعمائة سنة ، أدرك من الحواريِّين سِمعان ، فهو أوّل من تألّه من العرب ـ أى تعبَّد ـ كأنى أنظر إليه يقسم بالربّ الذى هو له لَيبلُغَنَّ الكتابُ أجلَه وليوَفَّيَنّ كلّ عامل عمله ؛ ثم أنشأ يقول :

هاج للقلب من جواه ادّكارُ ولیالٍ خلالَهنّ نهارُ

فى أبيات آخرها :

والذى قد ذكرتُ دلّ على الله نفوساً لها هدىً واعتبار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على رِسلك يا جارود ، فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أوْرق ، وهو يتكلم بكلام ما أظن أنى أحفظه . فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله ، فإنى أحفظه : كنت حاضراً ذلك اليومَ بسوق عكاظ فقال فى خطبته : يا أيها الناس اسمعوا وعوا ، فإذا وعيتم فانتفعوا ، إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكلُّ ما هو آت آت . . إلى آخر ما أورده من الوعظ . انتهى .

والذى فى كتاب المعمّرين لأبى حاتم السجستانى : عاش قس بن ساعدة ثلثمائة وثمانين سنة وقد أدرك نبيَّنا صلى الله عليه وسلم ، وسمع النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية ، وأول من توكأ على عصا ، وأول من قال أمّا بعد . وكان من حكماء العرب وهو أول من كتب [من فلان[2]] إلى فلان ابن فلان .

وقال المرزبانى : « ذكر كثير من أهل العلم أنه عاش ستمائة سنة » .

---

(١) جمع سبط ، وهو الحسن القد .

(٢) التكملة من ش والمعمرين ٦٩.

وذكر الجاحظ فى البيان والتبيين[١] قساً وقومه وقال : إن له ولقومه فضيلة ليست لأحد من العرب ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى كلامه وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته . . وعجب من حسن كلامه وأظهر تصويبه . وهذا شرف تعجز عنه الأمانى ، وتنقطع دونه الآمال . وإنما وفّق الله ذلك لقسّ لاحتجاجه للتوحيد ، ولإظهاره الإخلاص ، وإيمانه بالبعث ومن ثَمّ كان قسّ خطيبَ العرب قاطبة .

وفى نسبه خلاف . فقيل : قس بن ساعدة بن حُذافة بن زفر[٢] (وقيل : حُذافة بن زُهر) بن إياد بن نزار . وقيل : هو قس بن ساعدة بن عمرو ابن عدى بن مالك بن ايدعان بن النمر بن واثلة بن الطشان[٣] بن عوذ بن مناة ابن يَقدُم بن أفصىٰ بن دُعمىّ بن إياد . وقيل : هو ابن ساعدة بن عمرو بن شمر ابن عدىّ بن مالك والله أعلم[٤] .

* * *

وأنشد بعده :

(أحَقّا بنى أبناءِ سَلمىٰ بن جَندل تَهدُّدُكم إياىَ وسْط المجالسِ)

---

(١) هذا النقل تبع فيه البغدادى ما ذكره ابن حجر فى الاصابة فى ترجمة (قس) حرفا بحرف . وهو متصرف فيه كثيرا . انظر البيان ١ : ٥٢

(٢) هذا النسب من المعمرين . وفى الاصابة : « بن جذامة بن زفر » .

(٣) وهذا النسب من الأغانى ، وفيها : « واثله بن الطمثان بن زيد مناة بن تهدم » . الخ

(٤) فى الاشتقاق ١٦٩ : « واياد قدم خروجهم من اليمن فصاروا الى السواد ، فألحت عليهم الفرس فى الغارة فدخلوا الروم فتنصروا وجهل الناس أنسابهم » .

على أن (حقًّا) ظرف منصوب بتقدير (فى)

وتقدم شرحه فى الشاهد الرابع والستين من باب المبتدإ[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه[٢] :

٩٣ (دعوتُ لِما نابنى مِسوَراً فلَبَّىْ ؛ فلبَّيْ يدَىْ مِسوَرِ)

على أن (لبّيك) مثنًى عند سيبويه لا مفرد كلدىٰ قلبت ألفها ياء لمّا أضيفت إلى المضمر ، خلافاً ليونس ، بدليل بقاء يائها مضافة إلى الظاهر كما فى هذا البيت .

٢٦٩ أما الأوّل فقد قال أبو حيان فى الارتشاف : ذهب الخليل وسيبويه والجمهور إلى أن لبّيك تثنية لبّ . وحكى سيبويه عن بعض العرب لبٍّ على أنه مفرد لبّيك غير أنه مبنيّ على الكسر كأمس ، وعلّق لقلّة تمكّنه ، ونصبه نصب المصدر كأنه قال : إجابةً . وزعم ابنُ مالك أنه اسم فعل . وهو فاسد لإضافته ، ويضاف إلى الظاهر تقول : لَبَّيْ زيد ، وإلى ضمير الغائب قالوا : لَبَّيه . ودعوى الشذوذ فيهما باطلة . انتهى .

وهذا مخالف لما قاله ابن هشام فى المغنى : أن شرط مجرور لَبَّيْ وسعدَيْ وحنانَيْ[٣] ضمير الخطاب ، وشذّ :

(١) أنظر ما مضى ص ٤٠١ من الجزء الأول

(٢) سيبويه ١ : ٧٦ . وانظر العينى ٣ : ٣٨١ وابن الشجرى ١ : ١١٩ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٣٠٧ واللسان (لبب ٢٢٧)

(٣) ش مع أثر تصحيح : « وحنانا » ، وليس بشىء .

دعونى فيالَبَّىْ إذا هدرتْ لهم شقاشقُ أقوامٍفأسكتها بَدْرِى(١)

لعدم الإضافة(٢) ، ونحو :

* لقلتُ لَبَّيه لِمن يدعونى *

لإضافته إلى ضمير الغيبة ، كما شذّ إضافته إلى الظاهر فى قوله :

* فلبّىْ فلبَّىْ يدَى مِسوَر *

وأمّا (الثانى) فهو اسم مفرد مقصور عند يونس . قال ابن جنّي فى سرّ الصناعة : « أصله عنده لَبَّبُ ووزنه فَعْللُ ، ولا يجوز أن تحمله على فَعَّل لقلّة فَعّل فى الكلام وكثرة فعْلل ، فقُلبت الباء التى هى اللام الثانية من لَبَّب ياء هرباً من التضعيف ، فصار لَبَّىْ ، ثم أبدل الياء ألفاً لتحرّكها وانفتاح ما قبلها فصارت لبّا ثم إنّها لما وصلت بالكاف فى لبّيك وبالهاء فى لبّيه قلبت الألف ياء ، كما قلبت فى علىْ ولدَى إذا وصلتها بالضمير ، ووجه الشبه بينهما : انه اسم ليس له تصرُّفُ غيرِه من الأسماء ، لأنه لا يكون إلاّ منصوباً

(١) جعلت فى ش مع أثر تصحيح « هدرى » ، وهما روايتان . ومن عجب أن الشنقيطى فى نسخته من شرح شواهد المغنى للبغدادى ٢ : ٨٨١ نسخة دار الكتب رقم ٢ نحو ش يصححها أيضا بهذا الرسم مع أن البغدادى يقول فى تفسيرها هناك : « وبدرى : مبادرى ومسارعتى لأدفع عنهم » .

(٢) أقول : فيه نظر ، فان الذى يفهم من سياق كلام ابن هشام أن ذلك شاذ لاضافته الى ضمير المتكلم ، كما أن البيت الآتى شاذ لاضافته الى ضمير الغيبة ، وهما خلاف ضمير الخطاب . وقد صرح الأمير وكذا الدسوقى فى حاشيتيهما على المغنى بأنه مضاف الى ياء المتكلم . وقال الدسوقى : الذال ساكنة ، ووقعت فى النسخ « اذا » بفتح الذال . فصدر البيت عندهما هكذا :

* دَعونى فيالَبَّىَّ إذْ هدرتْ لهم *

ولا يكون إلا مضافاً ، كما أنّ إليك وعليك ولديك لا تكون إلاّ منصوبة المواضع ملازمة للإضافة ، فقلبوا ألفه ياء فقالوا : لبَّيك[1] كما قالوا : عليك. ونظير هذا كلا وكلتا فى قلب ألفهما ياء متى اتصلت بضمير وكانت فى موضع نصب أو جر ، ولم يقلبوا الألف فى موضع الرفع ياء لأنَّهما بعُدَا برفعهما عن شبه عليك ولديك ، إذْ كان لا حظّ لهنّ فى الرفع . واحتجّ سيبويه على يونس فقال : لو كانت ياء إليك بمنزلة ياء عليك ولديك لوجب متى أضفتها إلى المظهر أن تقرّها ألفاً ، فلبّيْ فى هذا البيت بالياء مع إضافته إلى المظهر دلالةٌ على أنه اسم مثنّي » .

وأجاب ابن جنّي فى المحتسب : بأن من العرب من يبدل ألف المقصور فى الوقف ياء فيقول : هذه عَصَىْ ورأيت حُبلَىْ ؛ ومنهم من يبدلها واواً فيه أيضا فيقول : هذه عصَوْ وحُبلَوْ ، وفى الوصل أيضا نحو هذه حُبلَوْ يا فتيْ ، ومنه قراءة الحسن : (يومَ يُدْعَوْ كُلُّ أُناسٍ) بضم الياء وفتح العين . وعلى هذا التخريج يسقط قول سيبويه عن يونس . قال أبو عليّ : يمكن يونسَ أن يقول : إنه أجرى الوصل مُجرىٰ الوقف ، فكما يقول فى الوقف : عَصَىْ وفتَيْ ، كذلك قال : فلبَّيْ ، ثم وصل على ذلك . هذا ما قاله أبو عليّ . وعليه يقال : كيف يحسن تقدير الوقف على المضاف دون المضاف إليه ؟ وجوابه أن ذلك قد جاء ، أنشد أبو زيد :

* ضَخمُ نِجارى طيِّبُ عُنصُرِّى *

أراد عنصرى ، فثقّل الراء لنيّة الوقف ثم أطلق ياء الإضافة من بعد .

---

(١) فى النسختين : « اليك » ، صوابه من سر الصناعة مخطوطة دار الكتب ١٢٠ لغة

وإذا جاز هذا التوهُّم مع أن المضاف إليه مضمر ، والمضمر المجرور لا يجوز تصوّر انفصاله ، فجوازه مع المظهر أولىٰ ، من حيث كان المظهر أقوىٰ من المضمر . ومثله قوله :

* ياليتها قد خرجتْ مِن فمهٍ *

أراد : من فمِهِ ، ثم نوى الوقف علَى الميم فثقّلها على حدّ قولهم فى الوقف: هذا خالدّ وهو يجعلّ ، ثم أضاف على ذلك . ويروىٰ : من فَمُ بضم الميم أيضا ، وفيه أكثر من هذا . انتهى .

٢٧٠

فوزن لبّيك عندهما[١] فعلَيك ، وعند يونس فَعْلَلَكَ .

واعلم أنَّ الشارح جوّز أن يكون أصل لبيك إمّا « إلبابَيْنِ » [حذف[٢] منه] الزوائد وإمّا مِن لبّ بالمكان بمعنى أقام ، فلا حذف . وينبغى أن يكون المأخوذ منه هذا ، فإنه لا تكلّف فيه ، وفعله ووصفه ثابت ، أما الفعل فقد روىٰ المفضّل بن سلمة فى الفاخر : أنه يقال : لبّ بالمكان : إذا أقام فيه . وأنشد قول الراجز :

* لبَّ بأرض ماتخطّاها الغنم[٣] *

وأما الوصف فقد قال صاحب الصحاح : ورجل لَبٌّ أى لازم للأمر ، وأنشد :

* لَبًّا بأعجاز المطىّ لاحقا *

---

(١) يعنى الخليل وسيبويه .
(٢) هاتان من ط ، وقد سقطتا من ش دون تبييض.
(٣) الشطر فى اللسان (لبب ٢٢٧ س ٥) والفاخر ٤ بدون نسبة فيهما .

ورجل لبيب مثل لَبٍّ قال :

فقلت لها فِيئى إليكِ فإنَّني حرامٌ وإنى بعد ذاك لبيب[١]

وقيل : هو بمعنى مُلَبٍّ بالحج ، من التلبية و : حرام بمعنى مُحرِم ، و : بعد ذاك أى مع ذاك . وقيل : إنه مأخوذ من قولهم : دارى تلبُّ دارك أى تقابلها ؛ فيكون معناه : اتجاهى إليك وإقبالى عليك . حكاهما المفضّل فى الفاخر ، وأسند أوّلها إلى الخليل عن أبى عبيد . وقيل : معناه إخلاصى لك، من قولهم : حسبٌ لُباب .

واختلف فى « كاف » لبّيك ، فقال أبو حيّان فى الارتشاف : وهى فى لبيك وسعديك وحنانيك الواقع موقعَ الذى هو خبر ، فى موضع المفعول ؛ وفى دواليك وهذاذيك وحنانيك إذا وقعت موقعَ الطلب ، فى موضع الفاعل . وذهب الأعلم إلى أن الكاف حرف خطاب فلا موضع لها من الإعراب. وحذفت النون لشبه الإضافة . ويجوز استعمال لبّيك وحده ، وأما سعديك فلا يستعمل إلاّ تابعا للبّيك . انتهى .

وقوله فى البيت (فلبّيْ) هو فعل ماض ، من التلبية ، وفاعله الضمير العائد إلى (مِسوَر) قال الشارح المحقق « وأما قولهم : لبّيْ يلبِّي فهو مشتقّ من لبّيك ، لأن معنى لبّيْ : قال لبيك ، كما أن معنى سبّح وسلّم وبسمل : قال سبحان الله ، وسلام عليك ، وبسم الله » .

وهذا مأخوذ من سر الصناعة لابن جنّي فإنه قال : « فأما حقيقة لبّيت عند أهل الصنعة فليس أصلُ يائه باء ؛ وإنما الياء فى لبّيت هى الياء فى قولهم :

(١) للمضرب بن كعب ، أو المخبل السعدى . اللسان (لبب ٢٢٦) وأمالى القالى ٢ : ١٧١ وشروح سقط الزند ١١٤٣

لبّيك وسعديك ، اشتقّوا من الصّوت فعلا مجمّعا من حروفه ؛ كما قالوا من سبحان الله : سبّحت ، أى قلت سبحان الله ؛ ومن لا إله إلا الله : هلّلت ، ومن لا حول ولا قوّة إلا بالله : [حوقلت و(١)] حولقت ؛ ومن بسم الله : بسملت ؛ ومن هلم ـ وهو مركب من ها ولمّ عندنا وهلْ وأمَّ عند البغداديين ـ فقالوا : هلمْت . وكتب إلى أبو علىّ فى شىء سألته عنه قال : قال بعضهم: سألتك حاجة فلالَيْتَ لى،أى قلت لى:لا،وسألتك حاجة فلولَيتَ لى ، أى قلت لى : لولا ، وقالوا : بأبأ الصبيَّ أباه أى قال له بابا . وكذلك اشتقّوا أيضا لبّيت من لفظ لبّيك فجاؤا فى لبّيت بالياء التى للتثنية » .

ثم قال ابن جنى : « وقولُ من قال : إن لبّيت بالحج إنما هو من قولنا ألبّ بالمكان ، إلى قول يونس أقربُ منه إلى قول سيبويه . ألا ترى أن الياء فى لبّيك عند يونس(٢) إنما هى بدل من الألف المبدلةِ من الياء المبدلة من الباء الثالثة فى لبّب » . انتهى .

وعندى أن التلبية من مادّة معتلّة غير مادّة المضاعف ؛ ونظائره كثيرة مثل صرّ وصرّى ؛ فإن لبّي غير منحصر معناه فى قال لبّيك ، بل يأتى بمعنى أقام ، ولازمَ مثل ألبّ بالمكان ، قال طُفيل الغَنَوىّ ، أنشده المفضّل فى الفاخر :

٢٧١

رددنَ حصيناً من عدىٍّ ورهطِهِ وتيم تلبِّي فى العروج وتَحلُب(٣)

أى تلازمها وتقيم بها .

(١) التكملة من سر الصناعة
(٢) ط : « عند سيبويه » ، وأثبت ما فى ش
(٣) الفاخر ص ٤٠ والعروج : جمع عرج بالفتح ، للقطيع من الابل

وقوله (لما نابنى) اللام للتعليل . واستشهد به صاحب الكشّاف على أن اللام فى قوله تعالى : (يدعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم[1]) تعليليّة كما فى هذا البيت . و (مِسوَر) بكسر الميم : اسم رجل . والفاء الأولى عطفت جملة لبّى على جملة دعوت ، والثانية سببية ومدخولها جملة دعائيّة ، يقول : دعوتُ مِسوراً لدفع ما نابنى فأجابنى ، أجاب الله دعاءه !

قال الشاطبيّ فى شرح الألفيّة : روى فى بعض الأحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا دعا أحدُكم أخاه فقال لبّيك فلا يقولَنّ لَبَّيْ يديك ، وليقلْ أجابك الله بما تحبّ » . وهذا يشعِر بأنّ عادة العرب إذا دعت فأجيبت بلبّيك أن تقول : لبّيْ يديك ؛ فنهى عليه الصلاة والسلام عن هذا القول وعوّض منه كلاماً حَسَناً .

وقال الأعلم : « يقول : دعوت مِسوراً لدفع نائبة نابتنى فأجابنى بالعطاء فيها وكفانى مُؤنتها . وكأنه سأله فى دِية . وإنما لبّي يديه لأنهما الدافعتان إليه ما سأله منه ، فخصهما بالتلبية لذلك » .

وهذا البيت من الأبيات الخمسين التى لا يُعرف لها قائل . وقريبٌ منه هذا البيت وهو :

دعوت فتًى أجاب فتًى دعاه   بلبّيه أشمُّ شَمَرْدَلىّ[2]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون ، وهو من أبيات س[3] :

---

(١) الآية ١٠ من سورة ابراهيم .

(٢) ط : « سمرذلى » صوابه فى ش والحماسة ١٨١٧ بشرح المرزوقى . والشمردل : الطويل .

(٣) سيبويه ١ : ١٧٥ . وانظر العينى ٣ : ٤٠١ والخصائص ٣ : ٤٥ والهمع ١ : ١٨٩ والمخصص ١٣ : ٢٣٢ وابن يعيش ١ : ١١٩ ومجالس ثعلب ١٥٧ .

٩٤ (إذا شُقَّ بُرْدٌ شُقَّ بالبُرْدِ مثلُه دَوالَيكَ حتّى كُلُّنا غيرُ لابسِ[١])

على أن (دوالَيك) منصوب بعامل محذوف .

قال : يقال دواليك أى تداوَلِ الأمر[٢] دوَالَين ؛ ظاهره أنّ دواليك بدل من فعل الأمر . وليس كذلك كما يعلم مما سيأتى .

اعلم أنّ دوالين مثنى دوال ؛ والدِوال بالكسر : مصدر داولت الشيء مداولة ودوالاً ، وبالفتح : اسم مصدر . ورُوى بالوجهين ما أنشده أبو زيد فى نوادره[٣] لضباب بن سُبيع بن عوف الحنظلىّ :

جزَونى بما ربّيتهم وحملتهم كذلك ما أنّ الخطوبَ دِوالُ

والتداول : حصول الشيء فى يدِ هذا تارة وفى يد ذاك أخرى ؛ والاسم الدولة بفتح الدال وضمّها ، ومنهم من يقول : الدولة بالضم فى المال وبالفتح فى الحرب ؛ ودالت الأيام مثل دارت وزناً ومعنى . و (دواليك) معناه مداوَلة بعد مداوَلة ؛ وثنّي لأنه فعل اثنين . قال الشاطبيّ : ولا تجوز إضافته إلى الظاهر ،لا تقول : دوالَى زيد . وقال الأعلم : الكاف للخطاب ولذلك لم يتعرّف بها ما قبلها .

وأنشد سيبويه هذا البيت على أن دواليك مصدر وضع موضع الحال .

---

(١) اغفل هذا الشاهد فى طبعة شرح الرضى للكافية سنة ١٢٧٥ . انظر ١ : ١١٤ س ٦ وتختلف الرواية فى قافيته ، فيروى أيضا : « ليس للبرد لابس » كما عند سيبويه وغيره فيكون رويه مرفوعا .

(٢) ط : «تدوّل» مع تشديد الواو ، وفى ش : « تدول » من غير شد ، وأثبت ما فى شرح الرضى ١ : ١١٤

(٣) النوادر ص ١١٥

ودلّ قوله : إذا شُقّ برد ، على الفعل الذى نصَب دواليك ، أى نشقّهما متداوِلَين ، بإضمار فعل له ولها يعمل فى دواليك . ورُوى :

(إذا شقّ بردٌ شقّ بالبرد بُرقُع)

يعنى أنه يشقّ برقعها وهى تشقّ برده . ومعناه : أن العرب يزعمون أنّ المتحابين إذا شقّ كلٌّ واحد منهما ثوبَ صاحبه دامت مودّتهما ولم تفسد[1] . وقال أبو عبيدة : كان من شأن العرب إذا تجالسوا مع الفتَيات للتغزّل أن يتعابثوا بشقّ الثياب لشدّة المعالجة عن إبداء المحاسن . وقيل : إنما يفعلون ذلك ليذكر كلٌّ واحد منهما صاحبه به . وقال العينىّ : كانت عادة العرب فى الجاهلية أن يلبس كلٌّ واحد من الزوجين بُرد الآخَر ، ثم يتداولان على تخريقه حتى لايبقىٰ فيه لبس ، طلباً لتأكيد المودّة . وقال الجوهرىّ : يزعم النساء إذا شقّ أحدُ الزوجين عند البِضاع شيئاً من ثوب صاحبه دام الودُّ بينهما ، وإلاّ تهاجَرا .

٢٧٢

و (شُقّ) فى الموضعين بالبناء للمفعول ، وبردٌ ومثلُه : نائبا الفاعل ، والباء للمقابلة . والبُرد : الثوب من أىّ شىء كان ، وقال أبو حاتم : لايقال له برد حتّى يكون فيه وَشى ، ، فإن كان من صوف فهو بُردة . وحتّى ابتدائية وكلّنا مبتدأ ، وغيرلابس خبره . وروىٰ العينيّ : (ليس للبرد لابِسُ) كصاحب الصحاح . وهو غير صحيح ، فإن القوافى مجرورة . وأثبت صاحب الصحاح (هذاذَيك) موضع (دواليك)[2] والصواب ماذكرنا . وأنشده سيبويه أيضاً كصاحب الصحاح ، فيكون فيه إقواء .

---

(١) انظر لشق الثياب ما ورد فى صبح الأعشى ١ : ٤٠٧ ونهاية الأرب ٣ : ١٢٦ وابن أبى الحديد ٤ : ٤٤١ .

(٢) وذلك فى مادة (هذذ) . ورواه أخرى فى (دول) برواية سيبويه .

وهذا البيت من قصيدة لسُحَيم عبدِ بنى الحسحاس . وأولها :

أبيات الشاهد

(كأنّ الصُّبيريّاتِ يوم لقِينَنا ظِباءٌ حَنَتْ أعناقَها للمَكانِسِ

وهُنّ بنات القوم إن يشعروا بنا

يكنْ فى ثياب القوم إحدى الدَّهارس)[1]

وقبل البيت الشاهد :

(فكم قد شَقَقْنا من رداء منيَّرٍ على طفلةٍ ممكورة غير عانس)

قال ابن السيد : أراد بالصبيريّات نساء بنى صُبيرة بن يربوع[2]. وحَنت: أمالت . والمكانس : جمع مَكنِس بمعنى الكناس ، وهو موضع الظباء فى الشجر يكتنّ فيه ويستتر ؛ وكنَس الظبى يكنِس بالكسر . والدَّهارس بفتح الدال : الدواهى ، جمع دَهْرَس كجعفر ، والدهاريس جمع الجمع . والرداء المنيَّر : الذى له نِير بالكسر ، وهو علَم الثوب . وجارية طَفْلة بفتح الطاء أى ناعمة . والمناسب لقوله غيرعانس أن يكون طِفلة بكسر الطاء . والممكورة : المطويّة الخلْق من النساء ، يقال : امرأة ممكورة الساقين أى جدلاء مفتولة . وقال ابن السيد : الممكورة : الطويلة الخلْق . والعانس بالنون ، فى الصحاح : « عنَست الجارية تعنُس عنوسا وعِناسا فهى عانس ، وذلك إذا طال مكثها فى منازل أهلها[3] بعد إدراكها حتى خرجت من عداد الأبكار ، وهذا مالم تتزوّج فإن تزوّجت مرة فلا يقال عنست » . يقول : إذا شقّ هؤلاء

(١) ط : « ثبات » ، صوابه فى ش . وفى الديوان ١٥ والعينى : « يكن فى بنات القوم » وفى أمالى الزجاجى ١٣١ : « يكن بنات القوم »

(٢) فى النسختين : « صبيرة » ، صوابه فى الاشتقاق ٢٢١ وجمهرة انساب العرب ٢٢٤ والعينى .

(٣) فى الصحاح : « منزل أهلها »

النساء اللاتى يلعبن معى بُردى شققت أنا أيضا أرديتَهن وبراقعَهُنّ حتى نَعرى جميعا . ومثل هذا قول رجل من بنى أسد :

كأنّ ثيابى نازعتْ شَوكَ عُرفُط

ترى الثوبَ لم يَخلُق وقد شُقَّ جانبُهْ

ترجمة سحيم

و (سُحيمُ عبدُ بنى الحسحاس) من المخضرِمين : قد أدرك الجاهلية والإسلام . ولايعرف له صُحبة . وكان أسودَ شديدَ السواد . وبنو الحسحاس ، قال ابن هشام فى السيرة : هم من بنى أسد بن خزيمة ؛ والحسحاس بمهملات هو ابن نفاثة بن سعد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس . ومن شعر سحيم :

إن كنتُ عبداً فنفسى حُرّة كرماً أو أسودَ اللون إنّى أبيضُ الخُلُقِ

٢٧٣

وله القصيدة المشهورة التى مطلعها (وهو من شواهد مغنى اللبيب) :

عُميرَةَ ودِّعْ إن تجهَّزْتَ غاديا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

قال المبرِّد فى الكامل : « وكان عبد بنى الحسحاس يرتضخ لُكنةً حبشيَّة ، فلما أنشد عمرَ بنَ الخطاب رضى الله عنه هذا المطلع قال له عمر : لو كنتَ قدَّمت الإسلامَ على الشيب لأجزتُك . فقال سُحيم :ما سَعرت — يريد ما شَعرت » .

وفى الأغانى للأصبهانىّ من طريق أبى عبيدة قال : كان سحيم أسود أعجمياً أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد تمثّل النبى صلى الله عليه وسلم من شعره[1] روى المرزُبانىّ فى ترجمته ، والدينَوَرىّ فى المجالسة ، من طريق

(١) النص فى الأغانى ٢٠ : ٢ : « ويقال انه تمثل بكلمات من شعره غير موزونة » . لكن البغدادى تابع ابن حجر فى الاصابة .

على بن زيد عن الحسن رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كفىْ بالإسلام والشيب للمرء ناهيا ؛ فقال له أبو بكر رضى الله عنه إنما قال الشاعر :

* كفىٰ الشيب والإسلام للمرء ناهيا *

فأعادها النبي صلى الله عليه وسلم كالأوَّل فقال أبو بكر : أشهد إنك لَرَسولُ الله ، (وما عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وما يَنْبَغِى له) . وقال عمر بن شَبَّة : قدم سُحيم بعد ذلك على عمر بن الخطاب فأنشده هذه القصيدة ، فقال له عمر : لو قدَّمْت الإسلام لأجزتك .

وقتل سُحيم فى خلافة عثمان : قال ابن حجر فى الإصابة : يُقال: إن سبب قتله أن امرأةً من بنى الحسحاس أسرها بعضُ اليهود واستخصَّها لنفسه وجعلها فى حِصن له ، فبلغ ذلك سحيا فأخذتْه الغَيْرة فما زال يتحيَّل له حتَّى تسوَّر على اليهودىّ حصنَه فقتله ، وخلَّص المرأة فأوصلها إلى قومها ؛ فلقيتْه يوماً فقالت له : يا سُحيم ، والله لودِدت أنِّى قدرت على مكافأتك على تخليصى من اليهودىّ ! فقال لها : والله إنكِ لقادرة على ذلك ـ عرَّض لها بنفسها ـ فاستحيتْ وذهبتْ ، ثم لقيتْه مرة أخرى فعرَّض لها بذلك فأطاعته ؛ فهوِيَها وطفِق يتغزَّل فيها ، ففطِنوا له فقتلوه خشيةَ العار .

وقال ابن حبيب : أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قولَ سحيم عبد بنى الحسحاس :

الحمـدُ لله حمداً لا انقطاعَ له   فليس إحسانه عنَّا بمقطوعِ

فقال : أحسنَ وصدق ، وإن الله يشكر مثل هذا ، ولَئنْ سَدَّد وقارب إنه لمن أهل الجنة . انتهى .

وقال اللخمىّ فى شرح شواهد الجمل : « اسم عبد بنى الحسحاس سُحيم ، وقيل اسمه حيّة ، ومولاه جندل بن معبد من بنى الحسحاس . وكان سحيم حبشيًّا أعجمىّ اللسان ، ينشد الشعر ثم يقول : أهْشَنْدُ[1] والله ، يريد أحسنت والله وكان عبد الله بن أبى ربيعة قد اشتراه وكتب إلى عثمان بن عفّان رضى الله عنه: إنى قد ابتعت لك غلاماً شاعراً حبشياً . فكتب إليه عثمان: لا حاجةَ لى به فارددْه ، فإنما قُصارىْ أهلِ العبد الشاعر إنْ شبع أن يشبِّب بنسائهم وإن جاع أن يهجوَهم . فردّه عبد الله ، فاشتراه أبو معبد فكان كما قال عثمان ، رضى الله تعالى عنه : شبّب ببنته عميرة وأفحش وشَهرها . فحرقه بالنار . فمن ذلك قوله فيها :

ألِكْني إليها عَمرَك اللهَ يافتيْ … بآيةِ ماجاءت إلينا تَهاديا

وبِتنا ، وسادانا إلى علَجانة … وحِقف تَهاداه الرياحُ تهاديا

وهبّتْ شمَالٌ آخرَ الليلِ قُرّةٌ … ولا ثوبَ إلاّ بُردُها ورِدائيا

تُوسِّدُنى كفًّا وتَثنى بمِعصَم … علىّ وتَحوى رجلَها من ورائيا[2]

فما زال بردى طيّباً من ثيابها … إلى الحول حتى أنهج البرد باليا »

٢٧٤

انتهى . ألِكْني إليها : معناه أبلغْ رسالتى إليها . والألوك : الرسالة . وعلَجانة : شجرة معروفة . والحِقف : ما تراكم من الرمل . والقُرة بالضم : البَرْد . وأنهج : أخلق .

وذكر محمد بن حبيب فى كتاب مَن قُتل من الشعراء[3] : أن سحيما كان

---

(١) هذا ما فى ش واضحا . وفى ط : « اهسنت » .

(٢) وكذا فى ديوانه ٢٠ وحماسة ابن الشجرى ١٦٠ . وفى السمط ٧٢١ : « وتحنو رجلها » .

(٣) انظره فى نوادر المخطوطات ٢ : ٢٧٢

صاحِب تغزّل ، فاتّهمه مولاه بابنته ، فجلس له فى مكانٍ إذا رعىٰ سحيم قالَ فيه[١] . فلما اضطجع تنفّسَ الصُعَداء ثم قال :

يا ذِكرةً مالكَ فى الحاضر   تَذكُرها وأنت فى السادر
مِن كلِّ بيضاء لها كعثبٌ   مثل سَنام الرُّبَع المائرِ[٢]

فقال له سيّده — وظهر من موضعه الذى كان كمن فيه — : مالَك ؟ فلجلج فى منطقه . فلما رجع وهمّ على قتله خرجتْ إليه صاحبته فحدّثَتْه وأخبرتْه بما يرادُ به ؛ فقام ينفضُ بُرده ويعفّى أثره . فلما انطُلقَ به ليُقتل ضحكت امرأة كان بينه وبينها شىء[٣] فقال :

إنْ تضحكى منى فيارُبَّ ليلةٍ   تركتُكِ فيها كالقَباء المفرَّجِ

فلما قُدّم ليقتل قال :

شُدّوا وَثاقَ العبد لايغلبْكمُ   إنّ الحياة من الممات قريبُ[٤]
فلقدْ تحدَّر من جَبين فتاتكم   عَرَقٌ على ظهر الفراش وطِيبُ[٥]

فقتل . انتهى .

(تتمة)

قال ابن السيد فى شرح شواهد الجُمل ، وتبعه ابن خلف : إن سحيما مصغر أسحم وهو الأسود تصغير ترخيم ، ويجوز أن يكون مصغر سحم وهو ضرب

(١) من القيلولة ، وهو نوم القائلة .

(٢) ط : «لها كفل» ، صوابه فى ش ونوادر المخطوطات . والربع : الفصيل ينتج فى الربيع . والمائر : المضطرب من كثرة شحمه .

(٣) فى نوادر المخطوطات : « كان بينه وبينها هوى شماته »

(٤) فى نوادر المخطوطات : « لا يفلتكم » ، وهو الوجه .

(٥) فى النوادر وفوات الوفيات ١ : ٢١٣ : « رطيب »

من النبات ، والأول أجود ، لأنه كان عبداً أسود . وأما الحسحاس فالأشبه أن يكون اسماً مرتجلاً مشتقاً من قولهم : حسحستُ الشِّواء : إذا أزلتَ عنه الجمر والرماد ، وقد يمكن أن يكون منقولا ، لأنهم قالوا : ذو الحسحاس ، لموضعٍ بعينه انتهى . قال فى الصحاح : والحسحاس : الرجل الجواد ، قال الراجز :

* مَحَبَّة الأَبْرَام للحَسْحَاس *

فهو قطعاً منقول منه . وقوله : من حسحست الشواء .. الخ قال فى الصحاح « وحسَّت اللحم وحسحسته بمعنًى : إذا جعلته على الجمر . . وحسَّت النار : إذا رددْتها بالعصا على خُبزة المَلَّة أو الشواء من نواحيه لينضَج . ومن كلامهم : قالت الُخبزة : « لولا الَحسّ ما باليَت بالدَسّ » . فكلامه لا يوافق شيئاً من هذا ، فتأمَّلْ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون وهو من أبيات سيبويه (١) :

٩٥ (ضرباً هَذاذيك وطَعناً وَخْضا)

على أن (هذاذيك) بمعنى أسرِعْ إسراعين ، أى ضرباً يقال فيه هذاذيك .

أراد أن هذاذيك بمعنى أسرعْ ، وأنه بدلٌ من فعل الأمر . ولا يخفى أنه بدل من الهذّ ، وهو فى جميع تصرفاته معناه السُّرعة فى القطع لا السرعة مطلقاً ، بل حكم اللِّحيانىّ فى نوادره أن الهذّ : القطع نفسُه . وأنشد هذا البيت . وكذلك صاحب القاموس ، قال : هذاذيك : قطعا بعد قطع .

---

(١) سيبويه ١ : ١٧٥ . وانظر العينى ٣ : ٣٩٩ وابن يعيش ١ : ١١٩ والهمع ١ : ١٨٩ ومجالس ثعلب ١٥٧ وأمالى الزجاجى ١٣٢ واللسان (هذذ ٥٤) والمخصص ٦ : ٨٨ ، ١٣/١٠٣ : ٢٣٣ وديوان العجاج ٥٤

٢٧٥

وهذاذيك ليس بدلاً من فعل الأمر حتى يُحتاج إلى تقدير القول ليصحّ وقوعه وصفاً لما قبله ، بل معناه ضربا يهُذّ هذًّا بعد هذّ ، أى قطعاً سريعاً بعد قطعٍ سريع ؛ فهو صفة بدون إضمار القول ؛ والأنسب تَهُذّ به هذًّا ، بالخطاب ليظهر كونه مضافاً لفاعله .

وجوّز شُرّاح أبيات سيبويه وأبيات الجمل أن يكون بدلا من قوله ضرباً ، وأن يكون حالا منه على ضعف .

وقال ابن هشام اللخميّ : وقيل : إن هذاذيك منصوب بإضمار فعل من لفظه ، وذلك الفعلُ فى موضع نصب على الصفة للضرب ، وذلك الضربُ منصوب بإضمار فعل من لفظه ؛ كأنه قال : تضربهم ضرباً يهُذّ اللحم هَذًّا بعد هذّ ، أو تطعنهم طعناً وخضاً يردّدُ دماءهم فى أجوافهم . وقال ابن السِّيد : معنى ضربا هذاذيك : ضربا يَهُذّك هذًّا بعد هذّ . وهذا عكس المعنى المراد ، كأنه ظن أن المصدر مضاف لمفعوله ؛ وليس كذلك .

وهذا البيت من أرجوزة للعجّاج مدح بها الحجّاج بن يوسف الثقفىّ ، عامَله الله بما يستحقّه ، وذكر فيها ابن الأشعث وأصحابَه . وقبله :

ارجوزة الشاهد

(تجزيهمُ بالطعن فرضاً فرضا وتارة يلقَون قرضاً قرضا
حتى تُقَضّى الأجلَ المنْقضّا ضرباً هذاذيك وطعنا وخضاً
يُمضى إلى عاصى العُروق النُّحْضاَ)

وفيها يقول :

(جاءوا مُخِلّينَ فلاقَوْا حَمضا طاغِينَ لا يزجر بعضٌ بعضا)

قوله : تجزيهم ، الخطاب للحجّاج ، والضمير المنصوب لابن الأشعث

وأصحابه ، متعدّ لمفعولين[١] ، يقال : جَزَاه الله خيراً . والطعن يكون بالرمح ، وفعله من باب قتل . والفرض بالفاء : الحزّ فى الشىء ، والثانى تأكيد للأول . والقرض بالقاف : القطع . وتُقَضِّى بالبناء للفاعل والخطاب أيضا ، يقال قضّى حاجته بالتشديد كقضى بالتخفيف : أى أتمها . والمنقضّ : الساقط ، يقال انقضّ الجدار أى سقط ، وانقضّ الطائر : هوى فى طيرانه . أى يجازيهم إلى أن يتم أجلهم المنقضّ عليهم انقضاضَ الطير على صيده .

وقوله : (ضرباً هذاذيك) ، ضرباً إما منصوب بفعل محذوف أى تضربهم ضربا والجملة حال من فاعل تُقَضِّى ، ويجوز أن يكون منصوباً بنزع الخافض أى بضرب . و (الوَخْض) بفتح الواو وسكون الخاء المعجمة : مصدر وخضه بمعنى طعنه من غير أن ينفذ من جوفه . يريد : إنك تضرب أعناقهم وتطعن فى أجوافهم . ويُمضى من الإمضاء ، يقال أمضيت الأمر : إذا أنفذته ، ومفعوله النحضَ ، وهو بفتح النون وسكون المهملة ، وهو اللحم . وعاصى العروق أى العروق العاصية . فى الصحاح : العاصى : العِرق الذى لا يرقأ . ومُخِلِّين : اسم فاعل مِن أخل إذا طلب الْخُلّة بضم الخاء ، وهى من النبت ما هو حلو . والحَمْض بفتح المهملة وسكون الميم : ما ملح وأمرّ من النبات كالأثل والطّرفاء .

وترجمة العجّاج قد تقدّمت فى الشاهد الحادى والعشرين[٢] .

* * *

---

(١) ش : « والجزاء الا أنه متعد لمفعولين » .

(٢) كذا . والصواب أنها فى الشاهد الخامس مع ترجمة ابنه رؤبة . انظر ص ٨٩ من الجزء الأول .

وأنشد بعده، وهو الشاهد السادس والتسعون[١] :

٩٦ (جاءوا بمَذْقٍ هلْ رأيتَ الذئبَ قطّْ)

على أن قولهم : (هل رأيت . . الخ) وقعت صفة مَذق بتقدير القول، يعنى أنّ الجملة التى تقع صفةً شرطها أن تكون خبرية ؛ لأنها فى المعنى كالخبر عن الموصوف ؛ فجملة هل رأيت . . الخ ظاهرها أنَّها وقعت صفة لمذق مع أنها استفهامية، والاستفهام قِسم من الإنشاء . فأجاب بأن التحقيق أنَّها معمولة للصفة المحذوفة، أى بمذق مقولٍ فيه : هل رأيت ، أو يقول فيه من رآه هذا القول ونحوَه .

وهذا البيت قد كرّر الشارح إنشاده فى هذا الكتاب ؛ فقد أورده فى النعت ، وفى الموصول مرتين ، وفى أفعال القلوب ، وفى الحروف المشبَّهة بالفعل . ورواه الدينَوَرىّ فى النبات ، وابن قتيبة فى أبيات المعانى ، والزجّاجىّ وابن الشجرىّ فى أماليهما :

* جاءوا بضَيح هل رأيتَ الذئب قط *

وقال الدينورىّ : نزل هذا الشاعر بقوم فقَرَوه ضَياحاً ، وهو اللبن الذى قد أُكثر عليه من الماء .

وقال ابن جنى فى المحتسب : « قوله هل رأيت الخ : جملة استفهاميّة إلا أنها فى موضع وصف الضَّيح حملاً على معناها دون لفظها ؛ لأن الصفة ضرب

(١) العينى ٤ : ٦١ والانصاف ١١٥ والهمع ٢ : ١١٧ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢١٤ والمعانى الكبير ٢٠٤ ، ٣٩٩ والكامل ٥١٨ وأمالى الزجاجى ٢٣٧ وابن الشجرى ٢ : ١٤٩

من الخبر ، فكأنه قال : بضيح يشبه لون الذئب : والضيح هو اللبن المخلوط بالماء ، فهو يضرب إلى الخضرة والطُّلْسة » انتهى .

وأورده صاحب الكشَّاف عند قوله تعالى : (واتَّقُوا فِتنةً لا تُصِيبَنَّ الذينَ ظَلَمُوا[(١)]) ، على أنّ لا تصيبَنَّ صفةٌ لفتنة على إرادة القول كهذا البيت .

و (المَذْق) : اللبن الممزوج بالماء ، وهو يشبه لون الذئب لأن فيه غُبرة وكُدورة ؛ وأصله مصدر مذقت اللبن : إذا مزجتَه بالماء . و (قط) استعملت هنا مع الاستفهام مع أنها لا تستعمل إلاّ مع الماضى المنفى ، لأن الاستفهام أخو النفى فى أكثر الأحكام . لكن قال ابن مالك : قد تَرِد قطُّ فى الإثبات . واستشهَدَ له بما وقع فى حديث البخارىّ فى قوله : « قصَرْنا الصلاةَ فى السفر مع النبى صلى الله عليه وسلم أكثرَ ما كنا قطّ » . وأما قوله : جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قطُّ ، فلا شاهد فيه ، لأن الاستفهام أخو النفى . وهذا مما خفىَ على كثير من النُّحاة . انتهى .

وتبعه الكَرْمانىّ عليه فى شرح هذا الحديث .

قال المبرِّد فى الكامل : « العرب تختصر التشبيه ، وربما أومأتْ به إيماء ، قال أحد الرُّجّاز :

(بتنا بحسّانٍ ومِعزاهُ يَئِطّْ[(٢)] مازلتُ أسعىٰ بينهم وألتبطْ
حتّى إذا كاد الظلامُ يختلِطْ جاؤا بمذقٍ هلْ رأيتَ الذئبَ قطّْ)

يقول : فى لون الذئب . واللبنُ إذا اختلط بالماء ضرب إلى الغُبرة » انتهى .

---

(١) الآية ٢٥ من سورة الأنفال .

(٢) كذا فى النسختين : « يئط » وهى صحيحة على القول بأن ألف « معزى » للالحاق . وفى اللسان : « وقال الفراء : المعزى مؤنثـــة ، وبعضهم ذكرها » . والرواية الغالبة : « تئط » .

وبتنا : ماضٍ من المبيت ؛ في المصباح : بات بموضع كذا أى صار بِهِ سواء كان في ليل أو نهار ، وبات يفعل كذا : إذا فعله ليلاً ، ولا يقال بمعنى نام . وحسّان : اسم رجل ، ينصرف إن أخذ من الحسن ، ولا ينصرف إنْ كان من الحسّ بالتشديد . والمِعزىٰ من الغنم خلاف الضأن ، وهو اسم جنس ، وكذلك المَعْز ، والواحد ماعِز ، والأنثيٰ ماعزة وهى العنْز. قال سيبويه: « ألف مِعزىٰ للإلحاق بدرهم لا للتأنيث ، فهو منوّن مصروف بدليل تصغيره على مُعيْز ، فلو كانت للتأنيث لم يقلبوها ياء كما لم يقلبوها في حبيلىٰ » ، وهو مضاف إلى ضمير حسّان . ويئطّ : مضارع أطّ أى صوّت جوفُه من الجوع ، والمصدر الأطيط ، كذا في الصحاح ، ويأتى بمعنى تصويت الرَّحل والإبل من ثِقَل أحمالها ؛ وعليه اقتصر العينى ، ولا مناسبة له هنا . ورُوى بعده بيتان زيادة في بعض الروايات وهما :

٢٧٧

* يلمس أُذنَه وحيناً يَمتخط[1] *

يقال : امتخط وتمخَّط أى استنثر ، وربما قالوا : امتخطَ ما في يده : نزعه واختلسه ، كذا في الصحاح .

* في سَمَنٍ منه كثيرٍ وأقِط *

متعلق بقوله يمتخط . والسَّمْن بسكون الميم ، وفتحها هنا للضرورة . والأَقِط : قال الأزهرى : اللبن المخيض يُطبخ ثم يترك حتى يَمْصُل ؛ وهذا يدلّ على خسّته ودنسه .

(مازلت أسعىٰ بينهم وألتبِط)

---

(١) في شرح شواهد المغنى : « تلحس أذنيه وحينا تمتخط » .

أعاد الضمير من بينهم إلى حسّان باعتبار حيِّه وقبيلته ؛ وأسعىٰ بينهم أى أتردّد إليهم ؛ وألتبط : أعدو ، يقال التبط البعير : إذا عدًا وضرب بقوائمه الأرض ؛ وتلبّط : اضطجع وتمرّغ . وروى بدله : و (أختبطْ) أى أسأل معروفهم من غير وسيلة ؛ وهذا يدل على كمال شحِّهم حيث كان ضيفاً عندهم لم يُشبعوه مع أنه يعرض لمعروفهم .

(حتَّى إذا كاد الظلامُ يختلط)

غاية لقوله أسعىٰ وألتبط . وكاد : قرب . وروى :

* حتى إذا جَنَّ الظلامُ واختلط *

يريد ستر الظلامُ كلَّ شىء . وصفَهم بالشحِّ وعدم إكرامهم الضيف ؛ وبالَغ فى أنهم لم يأتوا بما أتَوا به إلاّ بعد سعى ومُضىِّ جانب من الليل ، ثم لم يأتوا إلا بلبنٍ أكثرُه ماء .

وهذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة إلى قائله . وقيل : قائله العجّاج والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه(١):

٩٧ (فقالتْ : حَنانٌ ، ما أتىٰ بك هٰهنا

أذو نسبٍ أمْ أنتَ بالحىِّ عارفُ)

---

(١) سيبويه ١ : ١٧١ وعجزه فى ١ : ١٧٥ . وانظر العينى ١ : ٣٥٩ وابن يعيش ١ : ١١٨ والهمع ١ : ١٨٩

على أن (لبّيك ودواليك) ونحوهما ، مصادرُلم تستعمل إلاّ للتكرير ، بخلاف (حنانيك) فإنه يستعمل حنان : يريد أن حنانيك لا يلزم أن يكون للتكرير ، بل قد يكون له وقد لايكون ، بل قد استعمل مفرداً كما فى هذا البيت . ويزاد عليه (دواليك) أيضاً فإنه لايلزم ، وقد استُعمل مفرده كما تقدّم قريباً[١] .

و (الحنان) الرحمة ، وهو مصدر حنّ يحِنّ بالكسر حناناً وتحنّن عليه : ترحّمَ ؛ والعرب تقول : حنانك ياربّ ، وحنانيك بمعنًى واحد أى رحْمتَك ، كذا فى الصحاح . وقال ابن هشام فى شرح الشواهد تبعاً للفارسىّ فى التذكرة القصْريّة : والأصل أتحنّنَ عليك تحنُّناً ، ثم حُذف الفعل وزائدُ المصدر فصار حناناً . انتهى . وهذا تكلّف مع وجود حنّ يحِنّ .

وأنشده سيبويه على أن حناناً خبر مبتدأ محذوف ، أى شأنى حنان . والأصل أحنّ حناناً فحذف الفعل ورفع المصدر على الخبرية لِتُفيد الجملةُ الاسمية الدوامَ : و (ما) استفهامية مبتدأ ، وجملة (أتى بك) خبره : ثم سألَتْه عن علّة مجيئه : هل هو نَسب بينه وبين قومها ، أو لمعرفة بينه وبينهم ؟ والمعنى : لأى شىء جئتَ إلى هنا ، ألك قرابة جئتَ إليهم ، أم لك معرفة بالحىّ ؟ والصواب (تقول) موضع (فقالت) .

أبيات الشاهد

وهذا البيت من جملة أبيات للمنذر بن دِرهمَ الكلبىّ ، ذكرها أبو محمد الأعرابى فى فرحة الأديب ، وياقوت فى معجم البلدان عن أبى الندىٰ ، وهى :

(سقى روضة المِثْرِىّ عنّا وأهلَها رُكامٌ سرىٰ من آخر الليل رادفَ
أمِنْ حبِّ أمِّ الأشيَمين وذكرها فؤادُك معمودٌ له أو مقارف[٢]

(١) انظر الشاهد ٩٤ ص ٩٩ من هذا الجزء

(٢) فى معجم البلدان (روضة المثرى) : « وحبها » مكان «وذكرها» ولعل صواب هذه : « وحيها » .

تمنيتُها حتى تمنيتُ أن أرى ... مِن الوجد كلباً للوكيعَين آلف[١]

٢٧٨ أقول ومالى حاجةٌ فى تردّدى ... سواها بأهل الروض هل أنتَ عاطف[٢]

وأحدثُ عهدٍ من أمية نظرةٌ ... على جانب العلياء إذْ أنا واقف[٣]

تقول : حنان ما أتى بك هٰهنا ... أذو نَسَبٍ أم أنتَ بالحىّ عارفُ !

فقلت لهـا : ذو حاجة ومسلِّمٌ ... فضُمَّ علينا المأزقُ المتضايفُ[٤])

قال ياقوت : روضة المثرِىّ بالثاء المثلّثة ويروى بالمثنّاة . وأراد بالوكيعين: الوكيعَ بن الطُّفيل الكلبيّ وابنهَ . انتهى .

والظاهر أن المثرىّ اسم رجل أضيفت الروضة إليه لكونه كان صاحبَها ؛ وهو اسم مفعول من قولهم : ثرى الله القومَ أى كثّرهم ، فالأصل مَثْرُوىٌ قلبت الواو ياء وأدغمت عملاً بالقاعدة . وأهلَها : معطوف على روضةَ . وركامُ : فاعل سقىٰ ، وهو بضم الراء السحاب المتراكم بعضه على بعض . والرادف نعته ، ومعناه الراكب خلف الشىء ؛ يريد : سحائب مترادفة بعضها خلف بعض . وجملة سرى . . الخ نعتٌ لركام وصف بها قبل الوصف بالمفرد وقوله أمن حبّ ، الهمزة للاستفهام . والأشيمين : مثنّى أشيَم ، وهو الذى به شامة . والمعمود : السقيم ، يقال عمده المرضُ أى فدَحه ، ورجل معمود وعميد أى هدَّه العشق . ولَه : أى للحبّ والمقارف : المقارب ،

(١) فى معجم البلدان بعده : « وكيع بن أبى طفيل الكلبى وابنه » وهذا تفسير للوكيعين ، على سبيل التغليب .

(٢) فى النسختين : « بأهل الارض » ، صوابه فى معجم البلدان وفرحة الأديب ، مخطوطة دار الكتب رقم ٤٤٢١ وهى بخط البغدادى وفى المعجم : « حاجة هى تردنى » ، وكذلك هى فى احدى روايتى فرحة الأديب .

(٣) البيت محرف تحريفا شديدا فى معجم البلدان .

(٤) فى فرحة الأديب ومعجم البلدان : « فقلت أنا ذو حاجة ومسلم فضم » .

يقال: قارفه أى قاربه. وآلف: اسم فاعل من أَلِف يأْلِف أُلفة، مبتدأ، للوكيعين خبره، والجملة صفة كلب. وقوله هل أنت عاطف مقول أقول، وهو خطاب لصاحبه يطلب منه العطف فى الذهاب إلى حيها معه. وأحدث عهد أى أقرب ما أعهده وأحفظه، وهو مبتدأ ونظرة خبره. والعَلياء بفتح العين: موضع، وكل مكان عال مشرف. والمسلِّم، من التسليم بمعنى التحيّة. وصُمّ بالبناء للمفعول أى سُدّ علينا، من الصَّمم وهو انسداد الأذن، وصَمّ القارورة أى سدّها وأصمَّها: جعل لها صِماما بالكسر وهو مايسدّ به فمها. والمأزِق بالهمز كمجلس: المضيق، من أزِق بالزاى المعجمة والقاف كفرح وضرب أزَقا وأزْقا[1]: ضاق. والمتضايِف: المجتمع الذى أضيف بعضه على بعض.

وممن نسب البيت الشاهد للمنذر بن درهم الكلبي، ابنُ خلف والزمخشرىّ فى شرح أبيات سيبويه وفى الكشاف، استَشهد به على أن حنانا فى قوله تعالى (وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا[2]) بمعنى الرحمة. وذكر معه البيت الذى قبله.

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثامن والتسعون:

٩٨ (أرِضاً وذُؤْبانُ الخطوبُ تَنوشُنى[3])

على أن (رِضاً) مصدر حذف فعله وجوباً للتوبيخ، والأصل: أترضىٰ رضا فالهمزة للإنكار التوبيخى، وهو يقتضى أنّ ما بعدها واقع وفاعلَه ملوم، والواو واو الحال. و (الذؤبان): جمع ذئب جمع كثرة؛ و (الخطوب)

(١) فى النسختين: «وأزوقا»، صوابه من القاموس.
(٢) الآية ١٣ من سورة مريم.
(٣) لم أجد له مرجعا.

جمع خَطب بالفتح ، وهو الأمر الشديد ينزل على الإنسان ، والإضافة من قبيل لجين المـاء ، أى المصائب التى كالذئاب . و (تنوشنى) مضارع ناشه نَوشا ، أى تناله وتصيبه . وجملة تنوشنى خبر المبتدأ الذى هو ذؤبان . والجملة الاسمية حال من فاعل الفعل المحذوف .

* * *

٢٧٩ وأنشد بعده وهو الشاهد التاسع والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه[١] .

٩٩ (فاها لِفيكَ)

وهو قطعة من بيت وهو :

(فقلت له : فاها لِفيكَ ، فإنها قَلوصُ امرئٍ قارِيكَ ما أنت حاذِرُهْ)

على أن (فاها لفيك) وضع موضع المصدر ، والأصل فوها لفيك ؛ فلما صارت الجملة بمعنى المصدر أى أصابته داهية ، أعرب الجزء الأول بإعراب المصدر فصار فاها لفيك . وقيل فاها منصوب بفعل محذوف أى جعل الله فا الداهية إلى فيك . ولهذا الوجه أنشدهُ سيبويه . قال الأعلم : « الشاهد فيه وله فاها لِفيك أى فم الداهية ، ونصبُه على إضمار فعل ، والتقدير : ألصق الله فاها لفيك وجعل فاها لفيك . ووضع موضع دهاك الله فلذلك لزم النصب لأنه بدل من اللفظ بالفعل فجرىٰ فى النصب مَجرى المصدر . وخصّ الفم فى هذا دون سائر الأعضاء ، لأن أكثر المتالف يكون منه بما يؤكل أو يشرب من السُّموم . ويقال : معناه فمُ الخيبة لفيك ، فمعناه على هذا خيّبك الله » .

---

(١) سيبويه ١ : ١٥٩ . وانظر نوادر أبى زيد ١٨٩ ، ١٩٠ وابن يعيش ١ : ١٢٢ والقالى ١ : ٢٣٦ والسمط ٥٣٩

ومثله لأبي زيد في نوادره ، قال : « وإذا أراد الرجل أن يدعو على رجل قال : فاها لفيك [أي لك الخيبة(١)] » . قال الأخفش فيما كتبه على نوادره : « والذى أختاره ما فسّره الأصمعى وأبو عبيدة فإنهما قالا : معنىٰ قولهم فاها لفيك : ألصق الله فاهاً لفيك ، يعنون الداهيةَ والهَلَكة » .

والأول تقدير سيبويه ، وكلاهما صحيح .

وقوله : (فقلت له) أي لهوَّاس ، وهو الأسد . وقوله (فإنها) أي راحلتى و (القَلوص) : الناقة الشابة . وعنىٰ بامرئٍ نفسَه . وقوله (قاريك . . الخ) أى يجعل موضعَ قِراك وما يقوم لك مقام القِرىٰ ما أنت حاذرُه من الموت ، أى ليس لك قِرىً عندى غير القتل ، مثل قوله تعالى : (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ) .

وقيل : يفسِّر فاها لفيك : أنَّ الشاعر لما غشِي الأسدَ ضربه ضربة واحدة فعضّ التراب فقال له : فاها لفيك يعنى فمَ الأرض .

قال سيبويه : والدليل على أنه يريد بقوله فاها فمَ الداهية قولُ عامر ابن جُوين الطائىّ :

وداهيةٍ من دَواهى المَنون يحسبَها الناسُ لاَ فَا لهَا
دفعت سَنَا برقها إذْ بدت(٢) وكنت على الجهد حمّالهَا

ومعنى لا فا لها : لا مدخل إلى معاناتها(٣) والتداوى منها ، أى هى داهية مشكلة والمنون : الموت . وفا : منصوب بلا ، واللامُ مقحمة والخبر محذوف

---

(١) التكملة من النوادر ١٨٩ . وبدونها لا يتضح معنى المثلية
(٢) ط : « رفعت » ، صوابه فى ش
(٣) ط : « معاياتها » ، صوابه فى ش

أى فى الدنيا أو فيما يعلمه الناس . والسّنا هو الضوء ، يريد : أنه دفع شرّها والتهابَ نارها حين أقبلت ، وكان هو حمّال ثقلها .

أبيات الشاهد

والبيت الشاهد من أبيات أولها :

(تحسَّبَ هوّاسٌ وأيقنَ أنّنى بها مفتدٍ من واحدٍ لا أُغامرُه
ظَلِلْنا معاً جارَينِ نحترسُ الثأىٰ يسائرنى ، مِن خَتله ، وأسائره)
فقلت له فاها لفيك .... البيت

تحسَّب بمعنى حسِب بالتخفيف ، وقيل : هو بمعنى تحسّس ، يقال : فلان يتحسّس الأخبار أى يتجسّس ، وقيل : تحسّب فى معنى حسِبته فتحسّب مثل كفَيته فاكتفى ؛ قال النحّاس : معنى تحسّب اكتفى . وكذلك قال الأخفش فيما كتبه على نوادر أبى زيد عن المبرد أنه قال : معنى تحسّب اكتفىٰ ، من قولك حَسْبك ، كقوله تعالى : (عَطاء حِسابا) أى كافياً .

٢٨٠ وتقول العرب : ما أحسَبَكَ فهو لى مُحسِب ، أى ما كفاك فهو لى كاف . والهوّاس : الأسد . سمّى هوّاسا لأنه يهوِّس الفريسة أى يدقّها ، والهَوْس : الدقّ الخفىّ ؛ وقيل : الهوّاس : الذى يَطأ وطْئاً خفيّاً حتّى لا يشعر به .

قال السِّيرافى : معناه : أنه عرَض الأسدُ لناقة هذا الشاعر ؛ فحكىٰ عن الأسد أنّه توهم أننى أدع الناقة وأفتدى بها من لقاء الأسد ولا أغامره ولا أقاتله ولا أرِد معه غَمرات الحرب . والرواية : (تحسَّب هوّاس وأقبل) ، وروى أيضا (من صاحب لا أغاوِرُه) أى أغور عليه ويغُور علىّ . وروى : (لا أناظره) . والثأىٰ بالمثلثة والهمز على وزن الفتىٰ : الخرم والفتق . والختل : المكر والخداع .

وهذه الأبيات، قال الجرميّ: هى لأبى سِدرَة الأعرابىّ. وقال أبو زيد فى نوادره: إنها لرجل من بنى الهُجيم. وهما شىء واحد، قال أبو محمد الأعرابى فى فُرحة الأديب: «أبو سدرة هو سحيم بن الأعرف من بنى الهُجَيم ابن عمرو بن تميم. وله مقطّعات مليحة[1] منها قوله (فى حسّان بن سعيد عامل الحجّاج على البَحْرَين):

إلى حسّانَ مِن أكناف نجد ... رَحَلْنا العِيسَ تَنفُخ فى بُراها

نعُدُّ قرابة ونعدُّ صِهراً ... ويَسعد بالقرابة مَن رعاها[2]

فما جئناك من عُدم ولكنْ ... يَهشّ إلى الإمارة مَن رجاها

وأيًّا ما أتيتَ فإنَّ نفسى ... تَعدُّ صلاح نفسك من غِناها»

قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء. وفيه وفى قبيلته يقول جرير:

وبنو الهُجيم قبيلة مذمومة ... صُفرُ اللِحىٰ متشابهو الألوانِ[3]

لو يسمعون بأكلة أو شَربة ... بعُمان أصبح جمعُهم بعُمان

يريد: أنهم يوقدون البعر فتصفرُّ لحاهم بدخانه.

وهو شاعر إسلامىٌّ من معاصرى جرير والفرزدق.

---

(١) فى فرحة الأديب: «وله مقطعات مليحة فى كتاب بنى الهجيم».

(٢) ورد بعده فى النسختين:

وايا ما فعلت فان نفسى ... تعد صلاح نفسك من غناها

وهو تكرار للبيت الرابع مع شىء من التغيير، وأثبت مافى فرحة الأديب والشعراء ٦٢٥

(٣) فى الشعراء: «حصى اللحى». والأحص: المنجرد الشعر

المفعول به

أنشد فيه وهو الشاهد الموفى المائة ، وهو من أبيات سيبويه[١] :

١٠٠ (فواعِديه سَرْحَتى مالكٍ أو الرُّبا بينهما أسهَلا)

على أن (أسهلَ) مفعول لفعل محذوف ، وهو صفة وموصوفه محذوف أيضا ، أى قُولى : ائت مكانا أسهل .

هذا البيت لعمر بن أبى ربيعة . ويفهم من تقدير الشارح : أن عشيقته أرسلت إليه امرأة تعيِّن له موضع الملاقاة ، وأمرتْها أن تواعدَه أحدَ هذينِ الموضعين . وكذلك قال ابن خلف : المعنى أنها قالت لأمَتِها : واعدِيه الليلة أن يقصِد السَّرْحتين ويلتمس مكانا سهلاً يقرب من ذلك الموضع ، لأنهما إذا علوا الرُّبا عُرف مكانُهما وشَنع أمرهما . لكن المفهوم من كلام الأعلم : أنه هو الذى أرسل إليها امرأة ، فإنه قال : نصب أسهلَ بإضمار فعل دل عليه ما قبله ، لأنه لما قال فواعديه سَرحتى مالك أو الربا بينهما ، علم أنه مزعج لها داعٍ إلى إتيان أحدهما . فكأنه قال : ائتى أسهلَ الأمرين عليك .

٢٨١

وكذلك نقل النحّاس عن المبرد أن التقدير : وأْتى أسهل المواضع ؛ لأنه لما قال : فواعديه ، أزعجها ، فكأنه قال : اقصدى به أسهل المواضع .

والصواب الأول كما يعلم من البيت الذى بعده ـ ويأتى قريبا ـ وقدّر المحذوفَ بعضُهم من لفظ المذكور ، أى واعديه مكانا أسهل . والمعنىُ قريب .

(١) سيبويه ١ : ١٤٣ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٣٤٤ وديوان عمر بن أبى ربيعة ٣٤١

و (أسهل) : أفعل تفضيل من السهولة ضد الحُزونة ؛ وقد سهل بالضم . وتقدير الشارح كابن خلف أسهل من باب حذف المفضَّل عليه أى أسهل منهما ، أصوَب من تقدير غيره المضافَ إليه أى أسهل الأمرين أو أسهل المواضع . قال ابن خلف : ويجوز أسهل أن يُعنيٰ به سَهِلا كما يقال : رجل أوجلُ ووَجِل ، وأحمق وحَمِق ، إن أراد أنه يكون وصفاً من السهولة ؛ فمجىء أفعل بمعنى فَعِل وصفاً بابُه السماع ولم يسمع ؛ وإن أراد أنه من السهل نقيض الجبل فلم يُسمع إلاَّ مكان سهل وأرض سهلة . ثم قال : « وقد قيل إنه يجوز أن يكون أسهل اسماً لموضع بعينه » .

أقول : قد فتّشت كتب اللغة وكتب أسماء الأماكن كمعجم ما استعجم ، ومعجم البلدان ، فلم أجد له ذكراً فيها .

والمواعدة : مفاعلة من الطرفين ؛ ووعد يتعدّىٰ بنفسه إلى واحد ، وإلى ثان بالباء ، وقد تحذف فينصب بنزع الخافض ؛ والفعل إذا كان متعدّيا إلى واحد فبنقله إلى باب المفاعلة يتعدّى إلى اثنين ، فالضمير فى واعديه مفعول أول و (سرحتَى مالك) المفعول الثانى بتقدير مضاف ، أى مكانَ سرحتى مالك . وليس سرحتَي مالك اسمَ مكان بل هما شجرتان لمالك . والسَّرحة : واحد السرح ، وهو كل شجر عظيم لا شوك له . والرُّبا : جمع ربوة بتثليث الراء ، وهو المكان المرتفع عما حوله ؛ وكانت الربا بين السرحتين .

وروى الأصبهانيّ فى الأغانى[1] البيتَ هكذا :

« سَلمىٰ عدِيه سَرحتَيْ مالك أو الرُّبا دونهما مَنزلا »

---

(١) الأغانى ٨: ١٤٤

فعليه فلا شاهد فيه ، ومنزلا إما بدل من الرُّبا أوحال منه ، وسلمىٰ منادى .

وبعد هذا البيت :

(إن جاء فليأتِ على بغلةٍ إنّى أخاف المُهرَ أن يَصهَلا)

وترجمة عمر بن أبى ربيعة تقدمت فى الشاهد السابع والثمانين(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد المائة :

١٠١ (كِلا طَرَفَىْ قَصْدِ الأُمورِ ذَميمُ)

على أن (القصد) فى الأمر خلاف القصور والإفراط ، فإنه يقال : قصَد فى الأمر قصدا : توسّط ، وطلب الأشدّ ولم يجاوز الحدّ . فالقصد فى الأمور له طرفان : أحدهما : القَصْر والتقصير ، وهما بمعنى التوانى فيه حتى يضيع ويفوت ؛ وكذلك الفرْط والتفريط ، فإنه يقال : فرَط فى الأمر فرْطا من باب نصر ، وفرّط تفريطاً ؛ وأما القصور فهو مصدر قصَرت عن الشىء من باب قعد : إذا عجزَت عنه ، وليس هذا من التفريط فى شىء . والطرف الآخر : الإفراط وهو مصدر أفرط فى الأمر : إذا أسرَف وجاوز فيه الحدّ . فكان ينبغى للشارح أن يقول : خلاف القصر أو التقصير والإفراط ، أو يقول : خلاف الفرْط أو التفريط والإفراط . والذميم بالمعجمة : المذموم . ٢٨٢

وهذا المصراع عجز بيت ، وقبله :

أبيات الشاهد (عليك بأوساط الأمور فإنّها طريقٌ إلى نَهْج الصواب قويمُ

(١) انظر ما مضى فى ص ٣٢ من هذا الجزء

ولا تكُ فيها مفْرِطا أو مفرِّطا　　كلا طرفى قصدِ الأمور ذميمُ)

وهذا نظم للحديث ، وهو : « الجاهلُ إمّا مُفْرِطٌ أوْ مفرِّط » .

ولا أعلم قائل هذين البيتين ولا رأيتُهما إلاّ فى كتاب العباب فى شرح أبيات الآداب (وكتاب الآداب : تأليف ابن سناء الملك بن شمس الخلافة ، وهو من كتب الأدب ، وقد اشتمل على أبيات ومصاريع كثيرة لغالب الشعراء المتقدِّمين والمتأخِّرين تنيف على ألفَىْ بيت. وقد نسَب كل بيت ومصراع فيه إلى قائله ، مع تتمّة الشعرِ حسنُ بن صالح العدوىّ اليمنىّ ، وسمّى تأليفه : العباب فى شرح أبيات الآداب) وكان المصراع الشاهدُ فى الأصل ، وكمّله بالمصاريع الثلاثة صاحب العباب . وقد ضمّنه أيضاً الإمام الخطابىّ فى نُتفة له وهى :

فسامحْ ولا تستوفِ حقَّك كلَّه　　وأبقِ فلم يستقصِ قطُّ كريمُ
ولا تَغلُ فى شىء من الأمر واقتصدْ　　« كلا طرفى قصد الأمور ذميم »

ترجمة الخطابى

و(الخطابى) هو الإمام أبو سليمان حَمْد(١) بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، من ولد زيد بن الخطّاب أخى عمر بن الخطاب ، صاحبُ كتاب معالم السنن وشرح البخارى وغير ذلك . وكان صديق أبى منصور الثعالبى ؛ وأورده فى كتاب يتيمة الدهر وأنشد له نُتَفا جيِّدة . وولد فى سنة تسع عشرة وثلثمائة ومات فى مدينة بُست فى رباط على شاطىء هِند مَنْد(٢) يوم السبت السادس

(١) فى النسختين : « احمد » . قال الميمنى : « وقد كثر هذا الغلط عند كل من ترجم له كالسمعانى ٢٠٣ واليتيمة ٤ : ٢٣١ . والصواب فى اسمه حمد بسكون الميم . راجع معجم الأدباء . وكان فى ذلك العصر من اسمه حمد . وترى فى أبى العلاء وما اليه ص ١٦٢ ترجمة ابن فورجه ، وهو محمد بن حمد » .

(٢) ط : « هيرمند » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، ومن معجم البلدان والقاموس . وهندمند نهر تقع عليه مدينة بست .

عشر من ربيع الآخر سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وأنشد له الثعالبى فى اليتيمة :

وما غربة الإنسان فى شُقّة النوىٰ ولكنّها والله فى عدَم الشَّكلِ !

وإنى غريبٌ بين بُست وأهلِها وإن كان فيها أسرتى وبها أهلى !

وأنشد له أيضا[١] :

وليس اغترابى فى سِجِستان أننى عَدِمتُ بها الإخوانَ والدارَ والأهلا ![٢]

ولكنّنى مالى بها مُشاكِل ، وإنّ الغريبَ الفردُ مَن يعدمِ الشَّكلا !

وأنشد أيضا :

شرُّ السباع العوادى دونه وَزَرٌ ، والناسُ شرُّهمُ ما دونه وَزَرُ

كم معشر سلموا لم يؤذهم سبُعٌ وما نرى بشراً لم يُؤذِه بشرُ

وأنشد أيضا :

ما دمتَ حيًّا فدارِ الناسَ كلَّهمُ فإنّما أنت فى دار المداراة

من يدرِ دارىٰ : ومن لم يدرِ سوفَ يُرىٰ
عمّا قليل نديماً للنَّدامات

وللثعالبىّ فيه :

أبا سليمان ، سِرْ فى الأرض أو فأقِمْ فأنت عندى دنا مثواك أو شطَنا

ما أنتَ غيرى فأخشىٰ أن يفارقنى قرّبت روحك بل روحى فأنت أنا

(١) هذا سهو من البغدادى ، فان الذى فى اليتيمة : « وقد أخذ هذا المعنى عمر بن أبى عمر السجزى فقال » . وأنشد البيتين التاليين

(٢) فى النسختين . « غربت » ، صوابه من اليتيمة .

قال السِّلَفى : أنشدنى أبو منصور الثعالبى بنيسابور للخطابى[1] ، بقوله فى الثعالبى :

قلبي رهينٌ بنيسابورَ عند أخ   ما مثله حين تُستَقرى البلادُ أخُ
له صحائفُ أخلاقٍ مهذبةٍ :   منها التقى والنُّهى والحلم تنتسخ[2]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد المائة ، وهو من شواهد س[3] :

١٠٢ (جارِىَ ، لا تَستنكِرِى عذيرى)
(سَيرى وإشفاقى على بَعيرِى)

على أن (العذير) هنا بمعنى الحال التى يُحاوِلها المرء يُعذَر عليها ، وقد بيّن بقوله : سَيرى وإشفاقى ، الحالَ التى ينبغى أن يُعذَر فيها ولا يُلامَ عليها .

ومثله لابن الشجرىّ فى أماليه فإنه قال : « العذير : الأمر الذى يحاوله الإنسان فيُعذر فيه . أى لاتستنكرى ما أحاوله معذوراً فيه . وقد فسّره بالبيت الثانى » اهـ ، وعليه فعذيرى مفعول تستنــكرى ، وسَيرى : عطف بيان له أو بدل منه أو خبر مبتدإ محذوف أى هو سيرى . . الخ . ويجوز أن يكون عذيرى مبتدأ خبره سَيْرى الخ ـ كما قال ابن الحاجب فى الإيضاح ـ وعلى هذا فمفعول تستنــكرى محذوف .

---

(١) الحق أن البيتين التاليين لأبى الفتح البستى يقولهما فى الثعالبى، كما فى اليتيمة ٤ : ٢١٩ فى ترجمة أبى الفتح . والذى أحدث هـذا الخلط أن كلا من أبى الفتح والخطابى بستى .

(٢) اليتيمة : منها الحجا والعلى والظرف تنتسخ .

(٣) سيبويه ١ : ٣٢٥ ، ٣٣٠ والعينى ٤ : ٢٧٧ وابن الشجرى ٢ : ٨٨ وابن يعيش ٢ : ١٦ ، ٢٠ واللســـان (شقر أو عذر ٢٢٢) وديوان العجاج ٢٦

قال الزجاج : العذير : الحال . وذلك أنّ العجّاج كان يصلح حِلْسا لجَمله ، فأنكرته وهزئت منه ، فقال لها هذا . قال على بن سليمان الأخفش : العذير : الصَّوت . كأنه كان يرجُز فى عمله بحِلسه فأنكرت عليه ذلك، أى لا تستنكرى صوتى ورفعَه بالحديث ، لأنّى قد كبِرت . والحِلْس للبعير ، وهو كساء رقيق يكون تحت البَرذَعة ، وهو بكسر المهملة وسكون اللام .

وأنشد سيبويه البيت الأول على أنّ (جارى) منادى مرخّم. قال الأعلم : الشاهد فيه حذف حرف النداء ضرورة من قوله جارىَ ، وهو اسم منكور قبل النداء لايتعرّف إلا بحرف النداء[1] . وإنّما يطّرد الحذف فى المعارف . وردّ المبرّدُ على سيبويه جعلَه الجارِية نكرة ، وهو يشير إلى جارية بعينها فقد صارت معرفة بالإشارة . ولم يذهب سيبويه إلى ما تأوّله المبرّد عليه : من أنه نكرة بعد النداء ، وإنما أراد أنه اسم شائع فى الجنس قبل النداء وهو نكرة وكيف يتأول عليه الغلط فى مثل هذا ، وسيبويه قد فرق بين ما كان مقصودا بالنداء من أسماء الأجناس وبين مالم يقُصد قصدَه ! وهذا من التعسّف الشديد والاعتراض القبيح » اه .

وقوله (سَيرى) هو مصدر سار يسير ، يكون بالليل وبالنهار ، ويستعمل لازماً ومتعدّياً ، يقال سار البعير وسِرتُه[2] ويفهم من كلام أبى عبيد القاسم بن سلام فى أمثاله ومن كلام الأعلم ، أنه فعل أمر وصرح به غيره فإنّهما قالا : ومعنى الشعر : ياجارية سِيرى ولا تستنكرى عذيرى وإشفاقى . ويردّه الرواية الأخرى وهى (سَعيى وإشفاقى) كما نقلها الصاغانى وغيره . و (الإشفاق) :

(١) فى النسختين : « لايتعرف الا عرف النداء » ، صوابه من الشنتمرى .

(٢) فى النسختين : « وسيرته » ، والوجه ما أثبت . وفى اللسان : « وسار دابته سيرًا وسيرة ومسارا ومسيرًا »

مصدر أشفقت عليه : إذا حنوتَ وعطفت عليه ، وأشفقت من كذا : حذِرت منه . وقوله (على بعيرى) متعلّق بأحد المصدرين على التنازع . .

وهذان البيتان[١] من رجز للعجّاج وبعده :

(وكثرةَ الحديث عن شُقُورى)

(مع الجلا ولائحِ القتيرِ)

٢٨٤ فى الصحاح : « الشُّقور الحاجة ، وعن الأصمعى بفتح الشين ، قال أبو عبيد : الأول أصح لأن الشُّقور بالضم بمعنى الأمور اللاصقة بالقلب المهمّة له ، الواحدةُ شُقْر » اهـ . وفى أمثال أبى عبيد أفضيت إليه بُشقورى[٢] أى أخبرته بأمرى وأطلعته على ما أُسرُّه من غيره : وقال الزُّبيدى فى لحن العامّة : الشّقور : مذهب الرجل وباطن أمره . والجلا بفتح الجيم والقصر : انحسار الشعر من مقدّم الرأس يكون خِلقةً ويكون من كبر . والقتير ، بفتح القاف : الشّيب .

قال أبو عبيدة : معناه : لاتستنكرى حالى من الهَرم ياجارية ، ولا كثرةَ ما أحدِّث به من الأسرار . وذلك من أحوال الشيوخ المسانّ وتهاتُرِ الهرمىٰ .

وترجمة العجّاج تقدّمت فى الشاهد الحادى والعشرين[٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد المائة[٤] :

(١) يعنى الشطرين ، وكثيرا ما يطلق البيت على الشطر من مشطور الرجز والسريع والمنسرح .

(٢) ط : « أنصيت اليه » ، صوابه فى ش .

(٣) الصواب أنه الشاهد الخامس . انظر ص ٨٩ من الجزء الأول

(٤) أيضا الخزانة ٤ : ٢٩٠ وابن يعيش ٢ : ٣٩ وديوان ذى الرمة

١٠٣ (وإنْ تعتذرْ بالمحْلِ مِن ذى ضُروعِها
إلى الضَّيفِ ، يَجْرَحْ فى عَراقيبها نَصْلى)

على أنه حذف مفعول (يَجرح) لتضمّنه معنى يؤثّر بالجرح .

وكذلك جعله ابن هشام فى مغنى اللبيب من باب التضمين ، قال : فإنه ضُمِّنَ معنى يَعِثْ أو يُفسِد ، فإنّ العَيث لازم يتعدّىٰ بفى ، يقال عاث الذئب فى الغنم أى أفسد ، وكذلك الإفساد ؛ قال الله تعالى : (لا تُفْسِدُوا فى الأرض[1]) .

وأنشده صاحب الكشّاف عند قوله تعالى : (لَأُزَيِّنَنَّ لهم[2]) على أن أُزيّنَنّ متعدٍّ نزّل منزلة اللازم لإرادة الحقيقة . قال الطِّيبيّ : أى يَعِثِ الجرح فى عراقيبها نَصلى ، جُعل لازما ثم عدّى كما يعدّىٰ اللازم مبالغة .

أبيات الشاهد

وهذا البيت من أواخر قصيدة لذى الرُّمّة عدّة أبياتها ستة وثلاثون بيتاً ، شبّب فيها بميّ ووصَف فيها القفار وناقته . إلى أن قال :

(أعاذلُ عُوجى مِن لسانكِ عن عَذْلى فما كلُّ من يَهوىٰ رَشَادى على شَكلى
فما لام يوماً مِن أخٍ ، وهو صادقٌ ، إخاىَ ولا اعتلّت على ضيفها إبْلى
إذا كان فيها الرِّسْلُ لم تأتِ دونه فِصالى ، ولو كانت عِجافاً ، ولا أهْلى
وإن تعتذر بالمحل من ذى ضروعها . . . . البيت)

وبعده أربعة أبيات وهى آخر القصيدة .

فقوله : أعاذل ، الهمزة للنداء وعاذل منادى مرخّم عاذلة . قال الأصمعىُّ

(١) الآية ١١ من سورة البقرة .
(٢) الآية ٣٩ من سورة الحجر .

فى شرح ديوانه : « عوجى من لسانك » أى كفِّى ، ولفظ عوجى على الحقيقة اعطفى . والشَّكل : الضَّرب ؛ يقول ما كلّ من يهوىٰ ذلك منّى على طريقتى وعلى مذهبي .

وقوله : فما لام يوماً من أخ ، مِن زائدة وأخ فاعل لامَ ؛ والإخاء بكسر الهمزة : الأخوّة . قال الأصمعى : اعتلّت ، أطلق اللفظ على الإبل ، والمعنىٰ على أصحابها ؛ يقول : لم أبخل فأعتذرَ إلى الضيف .

وقوله : إذا كان فيها الرِّسْل ، ضمير فيها للإبل ، وضمير دونه للرِّسْل ؛ قال الأصمعى : الرِّسْل : اللبن حلوه وحامضُه ، وخاثره ورقيقه ؛ يقول : لا أسقى فِصالى وأدع ضيفى ، ولو كانت عجافاً مهازيل . يقال : عجف الدابّةُ وأعجفه صاحبه ، وعجفت نفسى عن كذا : إذا صرفتها . وقوله : وإن تعتذر بالمحل ، قال الأصمعى : اعتذارها للضيف : أن لا يرى فيها مُحتَلَباً من شدّة الجدْب والزمان ، فإذا كانت كذلك عقرتُها . اهـ

و (المحْل) : انقطاع المطر ويُبْس الأرض من الكلأ ، وهو مصدر محِل البلدُ من باب تعب . والمراد بذى ضرعها : اللبن ، كما يقال ذو بطونها ، والمراد : الولد . قال الطّيبيّ : « المعنى إن اعتذرتْ بقلّة اللبن ، بسبب القحط ، إلى الضيف أعقِرها لتكون هى عوضَ اللبن » اهـ . والعقر : ضرب البعير بالسيف على قوائمه ، لا يطلق العقْر فى غير القوائم ؛ وربما قيل عقَره : إذا نحره . و (العراقيب) : جمع عُرقوب ، فى الصحاح : « عُرقوب الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها ، قال الأصمعىّ : كل ذى أربع عرقوباه فى رجليه وركبتاه فى يديه . وعرقبت الدابة قطعت عرقوبها . والعرقوب من الإنسان : العصب الغليظ الموتّر فوق العقب » . و (النُّصل) : حديدة السيف والسكين ، والمنصُلُ كقنفذ : نفسُه .

٢٨٥

وترجمة ذى الرمة تقدمت فى الشاهد الثامن(١).

* * *

المنادى

أنشد فيه ، وهو الشاهد الرابع بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه(٢) :

١٠٤ (يا بُؤْسَ لِلجهْل ضَرّاراً لِأقوامِ)

على أن المبرد أجاز أن ينصب عاملُ المنادىٰ الحالَ ، نحو : يا زيدُ قائماً ، إذا ناديته فى حال قيامه . قال : ومنه يا بؤس للجهل . . الخ . والظاهر أنّ عامله بؤسَ الذى هو بمعنى الشدّة ، وهو مضاف إلى صاحب الحال ، أعنى الجهل تقديراً لزيادة اللام » .

أقول : مَن جعل عامل الحال النداء جعل الحال من المضاف ، وفيه مناسبة جيِّدة ، فإنّ الجهل ضارّ وبؤسَه ضرّار ، ومَن جعل ضرّاراً حالا من المضاف إليه جعل العامل المضاف . وممّن جعله من المضاف إليه الأعلم ، قال : «ونصب ضرّاراً على الحال من الجهل » . وإنما كان يرد هذا الاستظهار على المبرّد لو جعل ضرّاراً حالاً من المضاف إليه .

وقد أجاز ابن جنى فى قوله « بقُرّى » من قول الحماسى :

* ألهَفىٰ بقُرّىٰ سَحْبَلٍ حينَ أجلبت(٣) *

---

(١) انظر ما سبق فى الجزء الأول ص ١٠٦

(٢) سيبويه ١ : ٣٤٦ . وانظر ابن الشجرى ٢ : ٨٠ ، ٨٣ والانصاف ٣٣٠ وابن يعيش ٣ : ٦٨/٥ : ١٠٤ والهمع ١ : ٧٣ وديوان النابغة ٧١

(٣) لجعفر بن علبة الحارثى فى الحماسة ٤٤ بشرح المرزوقى . وعجزه :

* علينا الولايا والعدو المباسل *

الوجهين ، قال : « يجوز أن تجعل بقرّى حالاً من لهفى(١) ، وأن يكون من الألف فى لهفىٰ ، وذلك أنها ياء ضمير المتكلم فأبدلت ألفاً تخفيفاً فيكون معنى هذا : تلهّفت وأنا بقرّىٰ أى كائناً هناك ، كما أن معنى الأول لو أتته : يا لهفتى كائنة فى ذلك الموضع . فيكون بقرّىٰ فى هذا الأخير حالاً من المنادى المضاف كقوله :

* يا بؤسَ للجهل ضرّاراً لأقوام *

أى يا بؤس الجهل ، أى أدعوه ضرّاراً . وإذا جعلته حالا من الياء المنقلبة ألفاً كان العامل نفس اللهف ، كقولك يا قيامى ضاحكاً ، تدعو القيام ، أى هذا من أوقاتك » اهـ .

وقد قرّر ابنُ الأنبارىّ مذهبَ المبرّد فى الإنصاف فقال : « حكى ابن السرّاج عن المبرّد أنه قال : قلت للمازنى : ما أنكرت من الحال للمدعوّ ؟ قال : لم أنكر منه شيئاً ، إلاّ أن العرب لم تدْعُ على شريطة ، فإنّهم لا يقولون يا زيد راكباً ، أى ندعوك فى هذه الحالة ونمسك عن دعائك ماشياً ، لأنه(٢) إذا قال يا زيد فقد وقع الدعاء على كلّ حال . قلتُ : فإن احتاج إليه راكباً ولم يحتجْ إليه فى غير هذه الحالة ؟ فقال : ألستَ تقول يا زيد دعاء حقاً ؟ فقلت : بلى ! فقال : علام تحمل المصدر ؟ قلت : لأن قولى يا زيد كقولى أدعو زيداً ، فكأنى قلت : أدعو دعاء حقاً . فقال : لا أرى بأساً بأن تقول على هذا يا زيد راكباً فالزم القياسَ . قال المبرّد : ووجدت أنا تصديقاً لهذا قول النابغة :

٢٨٦

(١) ش : « أن تجعل الياء حالا من لهفى » صوابه فى ط .

(٢) ط : ونمسك عن دعائك ماشيئنا الا أنه » ش : « ماشيا الا أنه » . صوابه من الانصاف .

يا بؤس للجهل ضرّاراً لأقوام . » اه

وقال اللخميّ فى شرح أبيات الجمل : و (يا بؤس) منادى مضاف معناه التعجّب ، أى ما أبأس الجهل وما أضرّه للناس ؟ و (ضرّاراً) حال من الجهل أو نصب على القطع على مذهب الكوفيين ، ونظيره عندهم : (والهدْىَ مَعْكوفاً(١)) واللام فى لأقوام زائدة ؛ قال المبرّد : هذه اللام تزاد فى المفعول على معنى زيادتها فى الإضافة ، يقولون : هذا ضاربٌ زيداً ، وهذا ضارب لزيد، لأنّها لا تغير معنى الإضافة .

وأورد سيبويه هذا المصراع لكون اللام مقحمة بين المتضايفين وتقدّم الكلام عليها فى الشاهد التاسع والسبعين(٢) .

وهو عجز وصدره :

(قالت بنو عامرٍ خالُوا بنى أَسدٍ)

خالُوا : تارِكوا ، يقال خالىٰ يُخالى مخالاة وخِلاء ، كما يقال تارك يتارك ، ويقال للمرأة المطلقة « خليّة » من هذا ، وخلَيت النبت : إذا قطعته .

وهذا البيت مطلع أبيات عدّتها ثلاثة عشر بيتاً للنابغة الذبيانى ، قالها لزُرعة بن عمرو العامرى : حين بعث بنو عامر إلى حِصن بن حذيفة بن بدر وإلى عُيَينة بن حصن الذبيانيَّين : أن اقطعوا ما بينكم وبين بنى أسد من الحِلف ، وأَلحِقوهم بكنانة بن خزيمة بنى عمّهم ونحالفكم ، فنحن بنو أبيكم .

---

(١) الآية ٢٥ من سورة الفتح .

(٢) صوابه « فى الشاهد الحادى والثمانين . وانظر ص ٤٧٣ من الجزء الأول

فلما همّ عيينة بذلك قالت لهم بنو ذبيان: أخرِجوا مَن فيكم من الحلفاء ونُخرجَ مَن فينا! فأبوا من ذلك.

فحكى النابغةُ قولَ بنى عامر. يقول: إن الجهل يضرّ الأقوام ويدعوهم إلى سفاهة الأحلام؛ أى إن بنى عامر جهّال، يأمروننا بترك هؤلاء الذين قد أحسنوا عنّا الدفاعَ، وكثر بهم الانتفاع.

وبعد هذا البيت:

أبيات الشاهد

(يأبىٰ البَلاءُ فلا نبغى بهم بَدَلاً ولا نُريد خِلاءً بعد إحكامِ
فَصَالِحُونا جميعاً إنْ بَدَا لكمُ ولا تقولوا: لنا أمثالُها عامِ
إنّى لأَخشى عليكمْ أن يكون لكمْ من أجلِ بُغْضائهم يومٌ كأيّامِ
تَبْدو كواكبُه والشمسُ طالعةٌ لاالنُّورُ نورٌ ولا الإظلامُ إظلامُ)

وعامِ: منادى مرخّم عامر. وقافية البيت الخامس مرفوعة وما عداها مجرور، وهو عيب يسمّىٰ إقواء. روى المرزُبانىّ فى الموشّح[1] بسنده عن محمد بن سلام قال: «لم يُقوِ أحدٌ من الطبقة الأولىٰ ولا من أشباههم إلاّ النابغةُ فى بيتين: قوله:

أمِنَ آلِ مَيّة رائحٌ أو مُغتدِى عَجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزوَّدِ
زعم البوارحُ أنّ رِحلتَنا غداً وبذاك خبّرنا الغدافُ الأسودُ

وقوله:

سقَطَ النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه فتناولتْه واتَّقتْنا باليدِ
بمخضَّبٍ رَخْصٍ كأنّ بنانَه عَنَمٌ، يكاد من اللطافة يُعقَدُ

(١) الموشح ٣٨

ـ العِنم : نبت أحمر يُصبغ به ـ فقدِم المدينةَ فِعيبَ ذلك عليه فلم يأْبَه له ، حتى أسمعوه إيّاه فى غناء ـ وأهل القُرَى ألطفُ نظراً من أهل البدو ، وكانوا يكتِّبون جواريَهم عند أهل الكِتاب ـ فقيل للجارية : إذا صرتِ إلى قوله : يعقد ، والأسودِ ، فرتِّلى . فلما قالت : الغدافُ الأسودُ ويعقدُ وباليدِ ، علم فانتبه ولم يعُد فيه . وقال : قدمتُ الحجازَ وفى شعرى ضَيعة ، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس . وفى رواية أخرى أنّه أصلح الأول بقوله : وبذاك تنعابُ الغداف الأسودِ » اهـ .

٢٨٧

ويزاد عليه ما ذكرناه هنا فيكون قد أقوىٰ فى ثلاثة مواضع .

وقوله : يأبىٰ البلاء فما نبغى الخ ، يقول : يأبىٰ علينا أن نخالبهم[١] ما بلَونا من نصْحهم ، ولا نريد خِلاءه أى متاركة ، بهم : ببنى أسد ، بعد إحكام الأمر بينهم .

وقوله : تبدو كواكبه والشمس طالعة الخ ، رأيت فى ديوانه المصراع الثانى كذا :

* نوراً بنور وإظلاماً بإظلام *

قال شارحه : روى الأصمعىّ :

* لا النورُ نورٌ ولا الإظلامُ إظلام[٢] *

يقول : هو يوم شديد تظلم الشمس من شدّته فتبدو كواكبه . وقوله : لا النور نور : لا كنوره نورٌ إنْ ظفِر ولا كظلمته إن ظُفر به . وقوله : نوراً بنور كأنه قال : نور مع نور ، يريد بريق البَيض والسيوف ، ونورُ الشمس

---

(١) ط : « نخالفهم » ، صوابه فى ش

(٢) ط : « لانور نور ولاظلام اظلام » صوابه فى ش مع أثر تصحيح.

إذا أصاب البَيض صار نوراً مع نور . وقال ابن نصر : قوله : لا النور نور ، يريدُ أن نور هذا اليوم ليس من نور الشمس ، إنّما هو من نور السلاح وبريقه ؛ ولا إظلام هذا اليوم من ظلمة الليل ، إنما ظلمته من كثرة الغبار . وقال : أراد بقوله : تبدو كواكبه ، شَبَّهَ بريقِ البيض وما ظهر من السلاح بالكواكب . وعلى هذا فلا إقواء .

النابغة الذبيانى

و (النابغة) اسمه زياد بن معاوية . وينتهى نسبه إلى سعد بن ذبيان ابن بَغيض ، وكنيته أبو أمامة وأبو عقرب ، بابنتين كانتا له .

وهو أحد شعراء الجاهلية وأحد فحولهم ، عدّه الجمحىّ فى الطبقة الأولى بعد امرئ القيس . وسُمّى النابغة لقوله :

* فقد نَبغتْ لنا منهم شئونُ *

وقيل : لأنّه لم يقل الشعر حتّى صار رجلاً . وقيل : هو مشتق من نبغَت الحمامة : إذا تغنّت . وحكى ابن ولّاد أنه يقال : نبغ الماء ونبغ بالشعر . فكأنه أراد أن له مادّة من الشعر لا تنقطع كمادّة الماء النابغ . قال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء : ونبغ بالشعر بعد ما احتنك ، وهلك قبل أن يُهتَر[1] . وهو أحد الأشراف الذين تمحَّض الشِّعر منهم[2]، وهو أحسنهم ديباجةَ شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتا . كأنَّ شعره كلامٌ ليس فيه تكلّف. قال الأصمعى : سألت بشاراً عن أشعر الناس ، فقال : أجمع أهل البصرة على امرئ القيس وطرَفة ، وأهل الكوفة على بِشر بن أبى خازم والأعشى ، وأهل الحجاز

(١) احتنك : أحكمته التجارب لتقدم سنه . وأهتر : ذهب عقله . أراد أن مدة قوله الشعر كانت قصيرة .

(٢) هذه العبارة لم ترد فى الشعر والشعراء .

على النابغة وزهير ، وأهل الشام على جرير والفرزدق والأخطل . ومات النابغة فى الجاهلية فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث .

والأبيات الدالية من قصيدة وصف بها المتجردةَ امرأةَ النعمان بن المنذر ، وكان النابغة من خواصّه وندمائه وأهل أنسه ، فرأى زوجته المتجرِّدة يوماً وغشيها أمرٌ سقط نصيفها(١) واستترت بيدها وذراعها . وذكر فى هذه القصيدة أموراً عجيبة منها فى صفة فرجها . ثم أنشدها النابغةُ مُرّةَ بنَ سعيد القُريعىّ فأنشدها مُرَّة النعمانَ ، فامتلأ غضباً وأوعد النابغة وتهدَّده. فهرب منه إلى ملوك غسّان بالشام .

وقيل : إن الذى من أجله هرب النابغة : انه كان هو والمنخَّل اليشكرىّ نديمين للنُّعمان ، وكان النعمان دميماً قبيح المنظر ، وكان المنخّل من أجمل العرب ، وكان يرمىٰ بالمتجرِّدة ، وتكلّمت العرب أن ابنىْ النعمان منها كانا منه . فقال النعمان للنابغة : يا أبا أمامة ، صِف المتجرِّدة فى شعرك . فقال تلك القصيدةَ ، ووصفها فيها ووصف بطنها وفرْجها وأردافها . فلحقت المنخّلَ من ذلك غَيرة ، فقال للنعمان : ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلاَّ من جرّب ! فوقَر ذلك فى نفس النعمان . فبلغ النابغةَ فخافه فهرب إلى ملوك غسّان ، ونزل بعمرو ابن الحارث الأصغر فمدحه ومدح أخاه ، ولم يزل مقيماً مع عمرو حتى مات وملك أخوه النعمان ، فصار معه إلى أن استعطف النعمانَ بن المنذر فعاد إليه .

٢٨٨

ومما قاله فى ملوك غسان ما أنشده ابن قتيبة فى كتاب الشعراء عن الشَّعبى أنه قال : دخلتُ على عبد الملك ، وعنده رجل لا أعرفه ، فالتفتَ إليه عبد الملك فقال : من أشعر الناس ؟ قال : أنا ! فأظلمَ ما بينى وبينه ، فقلتُ :

---

(١) كذا فى النسختين ، بدون عائد على الموصوف .

من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فتعجّب عبدُ الملك من عَجَلتى فقال : هذا الأخطل!
قلت : أشعر منه الذى يقول :

هذا غلامٌ حَسَنٌ وجهُه مُسْتَقْبِلُ الخيْرِ سَريعُ التمامْ
للحارِثِ الأكبر والحارث الأصغر والأعرج خيرِ الأنامْ
ثم لهنـدٍ ولهندٍ ، وقـدْ يَنجع فى الرَوْضات ماء الغمامْ
ستّة آبـاءٍ هُمُ مـا هُمُ[1] هم خير مَن يشرب صَفو المدامْ

فقال الأخطل : صدَق يا أمير المؤمنين ، النابغة أشعر منى . فقال لى عبد الملك : ما تقول فى النابغة ؟ قلت : قد فضّله عمر بن الخطاب على الشعراء غير مرّة ، خرج وببابه وفد غَطَفان ، فقال : أىُّ شعرائكم الذى يقول :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك رِيبة وليس وراء الله للمرء مطلبُ ؟

قالوا : النابغة . قال : فأىُّ شعرائكم الذى يقول :

فإنكَ كالليل الذى هو مدركى وإنْ خلتُ أن المنتأى عنك واسع ؟

قالوا : النابغة . قال : هذا أشعر شعرائكم !

وله القصائد « الاعتذاريّات » المشهورة إلى النعمان بن المنذر ، لم يقل أحد مثلَها . منها قوله :

نُبّئتُ أن أبا قابوسَ أوعدَنى ولا قرارَ على زارٍ من الأسَدِ

---

(١) ط : « ستة آباؤهم ماهم » وأثبت ما فى ش . قال الميمنى : « وكذا فى مقدمة جمهرة الأشعار : ستة ، ولكننى أرى الصواب : خمسة ، كما فى ديوانه نسخة شيفر وملحق أشعار الستة والأغانى ٩ : ١٦٢ . وأرى أن تقرأ :

* خمسةُ آبائهم ماهمُ *

ولو نونت خمسة اختل الوزن . وفى الشعراء ١٠٩ : « ستة آبائهم ماهم » .

وتمثّل به الحجّاج بن يوسف حين سَخِط عليه عبد الملك بن مروان .

ومما يُتمثَّل به من شعره :

فلو كفّى اليمينُ بغتك خَوْنا لأفردتُ اليمينُ من الشمالِ

أخذه المثقب العبْدىّ فقال :

« فلو أنى تخالفنى شمالى خلافَكَ ما وصلتُ بها يمينى »

وقولُه :

لحمّلتنى ذنبَ امرئٍ وتركتَهُ كذى العُرِّ يكوىٰ غيره وهو راتع[1]

أخذه الكميت فقال :

« ولا أكوى الصحاحَ براتعاتٍ بهن العُرُّ قبلى ما كُوِينا »

(تتمة)

٢٨٩ من اسمه النابغة

ذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف من يقال له النابغة ثمانيةً : أولهم هذا والثانى : النابغة الجَعْدىّ الصحابى . والثالث : نابغة بنى الديّان الحارثىّ . والرابع : النابغة الشيبانى . والخامس : النابغة الغنوىّ . والسادس : النابغة العَدْوانىّ . والسابع « النابغة الذبيانى » أيضا وهو نابغة بنى قِتَال بن يربوع . والثامن : النابغة التغلَبىّ ، واسمه الحارث[2].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد المائة[3] :

---

(١) ط : « فحملتنا » وأثبت ما فى ش . والرواية : « لحملتنى » وفى شرح الوزير أبى بكر : « لكلفتنى » .

(٢) فى المؤتلف ١٩٣ : « واسمه الحارث بن عدوان ، أحد بنى زيد ابن عمرو بن غنم بن تغلب » .

(٣) العينى ٤ : ٢٣٢ وابن يعيش ١ : ١٢٧ ، ١٣٠ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٧٩ ونوادر أبى زيد ١٦٣ والانصاف ٣٢٥ ، ٦٨٢ والهمع ١ : ١٧٤

١٠٥ (يا أَبْجَرَ بن أبجرٍ يا أنتا أنتَ الذى طلّقتَ عامَ جُعْتا)

على أن المضمر لو وقع منادى جاز نظراً إلى المظهر[١]، فإن المظهر بصورة الرفع، والضمير ضمير رفع.

قال ابن الأنبارى فى مسائل الخلاف نقلا عن البصريين «بأن[٢] المفرد المعرفة إنّما بنى لأنه أشبه كاف الخطاب، وكاف الخطاب مبنيّة، فكذلك ما أشبهها ووجه الشبه بينهما من ثلاثة أوجه: الخطاب، والتعريف، والإفراد. ومنهم من قال: إنّما بنى لأنه وقع موقع اسم الخطاب، لأن الأصل فى قولك يا زيد: أن تقول: يا إياك، أو يا أنت، لأنّ المنادىٰ لمّا كان مخاطَبا كان ينبغى أن يُستغنىٰ عن اسمه ويُؤتى باسم الخطاب، فيقال: يا إياك أو يا أنت، كما قال:

(يا مُرَّ يا ابن واقع يا أنتا)

فلما وقع الاسم المنادى موقعَ اسم الخطاب وجب أن يكون مبنيّا كما أنّ اسم الخطاب مبنىّ».

وظاهر كلام الشارح المحقّق أن نداء الضمير مطّرد، وأنه لافرق بين نداء الضمير المرفوع والضمير المنصوب.

قال ابن الحاجب فى الإيضاح: نداء المضمر شاذّ. وقد قيل إنّه على تقدير: يا هذا أنت، ويا هذا إياك أعنى.

---

(١) نص الرضى ١ : ١٢٠ : «وان وقع المضمر منادى جاز: يا أنت (يريد أن يأتى ضمير رفع) نظرا الى المظهر، قال: يا أبجر ... » الخ. ثم قال: «وجاز: يا اياك (يريد أن يأتى ضمير نصب) نظرا الى كونه مفعولا». فتأمل عبارة البغدادى وما سيأتى من كلامه.

(٢) كذا فى النسختين. وفى الانصاف: «وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: انما قلنا انه مبنى وان كان يجب فى الأصل أن يكون معربا لأنه أشبه كاف الخطاب».

وقال أبو حيّان فى تذكرته : « وأما يا أنتا فشاذّ ، لأن الموضع موضع نصب وأنت ضمير رفع ، فحقّه أن لايجوز كما لايجوز فى إياك ؛ لكن بعض العرب قد جعل بعض الضمائر نائباً عن غيره ، كقولهم : رأيتك أنت ، بمعنى رأيتك إياك ، فناب ضمير الرفع عن ضمير النصب ، وكذلك قالوا : يا أنتا ، والأصل يا إياك . وقد يقال : إن « يا » فى يا أنت حرف تنبيه ، وأنت مبتدأ وأنت الثانية تأكيد لفظىّ ، والخبر هو الموصول ؛ وهذا أولى من ادّعاء نداء المضمر بصورة المرفوع وجعله شاذّا . وقال ابن عصفور : ولا ينادىُ المضمر إلاّ نادراً ، والأسماء كلها تنادىُ إلاّ المضمَرات ؛ أما ضمير الغيبة وضمير المتكلم فهما مناقضان لحرف النداء ، لأنّ حرف النداء يقتضى الخطاب ؛ ولم يجمع بين حرف النداء والضمير المخاطب لأنّ أحدهما يغنى عن الآخر ، فلم يجمع بينهما إلاّ فى الشعر مثل قوله :

يا أقرعَ بنَ حابس يا أنتا أنت الذى . . . . . الخ

فمنهم من جعل ياتنبيها ، وجعل أنت مبتدأ ، وأنت الثانى إما تأكيداً أو مبتدأً أو فصلاً أو بدلاً اهـ . ودل كلامُه على أنّ العرب لاتنادى ضمير المتكلم فلا تقول : يا أنا ، ولا ضمير الغائب فلا تقول : يا إياه ولا يا هو ، فكلام جهلة الصوفيّة فى نداء الله تعالى : يا هُو ، ليس جارياً على كلام العرب » اهـ كلام أبى حيان .

وهذان البيتان من أرجوزة لسالم بن دارة ، وقد حُرِّف البيت الأول على أوجهٍ كما رأيت . وصوابه :

(يا مُرّ يا ابنَ واقعٍ يا أنتا) ٢٩٠

ورواه العينى كرواية الشارح ، وزعم أنّ قائله الأحوص . وهو وهم ، إنما

قوله نثر لا نظم : وهو أنه لمَّا وفد مع أبيه على معاوية خطَب ، فوثب أبوه ليخطُب فكفَّه وقال : يا إياك قد كفيتك .

ومنشأ الوهم : أن النحويين قد ذكروا هذا البيت عقب قول الأحوص مع قولهم (وكقوله) ، فظُنّ أنّ الضمير للأحوص .

وقد صحّفه أبو عبد الله بن الأعرابى أيضا فى نوادره ، ورواه :

* يا قُرّ يا ابنَ واقع يا أنتا *

نبّه على تصحيفه أبو محمد الأسود الأعرابى فيما كتبه على نوادره وسماه « ضالة الأديب » فقال : صحّف أبو عبد الله فى اسم مَن قيل فيه هذا الرّجز فقال : ياقر ، وإنما هو يامرّ ، وهو مرة بن واقع أحد بنى عبد مناف بن فَزارة .

وقوله : (أنت الذى طَلّقت) ، كان القياس طلَّق ، ليعود إلى الموصول ضمير الغائب . قال ابن جنى : هذا كلام العرب الفصيح ؛ وقد جاء أيضا الحمل على المعنى دون اللفظ كهذا البيت .

وكان من قصة سالم بن دارة ومُرّة بن واقع الفزارى : أن قِرفة[1] أحد بنى عبد مناف نَثَلَ حِسياً بزُهمان ، فاستعان بسالم وبمرّة ـ واسم الحسى معلّق ـ فرجز سالم وهو يخرج عن مرة المِسْناة[2] :

أنزلنى قِرفة فى معلّق أترك حبلى مرة وأرتقى
عن مرّة بن واقع واستقى[3]

(١) ط : « قرقة » ، صوابه فى ش وانظر الأغانى ٢١ : ٥١ وقولهم فى المثل : « أمنع من أم قرفة » .

(٢) ط : « المياه » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، يقال سنا الدلو ونحوها : جرها من البئر وانتزعها .

(٣) الأبيات فى معجم البلدان (معلق) محرفة تحريفا شديدا .

ثم قال :

ولا يزال قائلٌ : أبِنْ أبِنْ دَلوكَ عن حدِّ الضُّروس واللَّبِنْ[١]

فغضب مُرَّةُ من ذلك ، وكان عند مرّة امرأةٌ من بنى بدر بن عمرو ، فأسَنَت مُرّةُ فطلّقها (وأهل البادية أفعلُ شيء لذلك) ، فلما أحيا أراد رَجعتها فأبت ، وكان مرّة يحسب أنّ له عليها رجعة ، وأنه إنّما فاكهها ، فاحتملت إلى أهلها ، ثم إنّ مرّة حجّ فى أُرْكُوب من بنى فَزارة حجّاج ، وخرج سالم فى أُرْكوب من بنى عبد الله بن غطفان حجاج ، فاصطحبوا ، فنزل مُرّة يسوق بالقوم فقال يرتجز :

لو أنّ بنت الأكرم البدرىِّ رأتْ شحوبى ورأت بَذرِيِّ
وهنّ خُوصٌ شَبَه القِسىِّ يلفُّها لفَّ حَصىَ الأتىِّ[٢]
أروَعُ سقّاء على الطوىِّ

ثم نزل سالمٌ يسوقُ بالقوم ، وقد كانا تضاغَنا ، فرجز :

(يا مرَّ يا ابنَ واقع يا أُنتا أنتَ الذى طلّقتَ عامَ جُعتا
فضمّها البدرىّ إذْ طلّقتا حتى إذا اصطبحتَ واغتبقتا
أصبحتَ مرتدًّا لمّا تركتا أردت أن تَرجعها ، كذبتا
أودىْ بنو بدرٍ بها ، وأُنتا[٣] تقُسِمُ وسط القوم : ما فارقتا

(١) الرجز منسوب فى اللسان (ضرس ٤٢٥) الى ابن ميادة برواية : « أما يزال » . وكذا رواه فى (لبن ٢٥٩) لكن بنسبته الى سالم بن دارة ، ثم قال : « وقيل لابن ميادة » . وهو فى اصلاح المنطق ١٩٠ بدون نسبة برواية اللسان .

(٢) ط : « يلفهما لفى » ، صوابه فى ش .

(٣) من الأون ، وهو البطء ، كما فى التبريزى ١ : ٣٦٧ عند انشاد الرجز .

قد أحسن اللهُ وقد أسأتا فأدٌّ رزقَها الذى أكلتا)

انتهى ما أورده الأسود الأعرابى .

وقوله : نَثَل حِسيا بزُهمان ، يقال نثلت البئر نثْلاً وانتثلتها : إذا استخرجت ترابها ، وهو النثيلة بالنون والثاء المثلثة . والحِسى بكسر الحاء وسكون السين المهملتين : ما تَنْشَفُه الأرضُ من الرمل[١] فإذا صار إلى صلابة أمسكتْه ، فتحفر عنه الرمل فتستخرجه ؛ وجمعه الأحساء . وزُهمان بضم الزاء المعجمة[٢] وسكون الهاء : وادٍ لبنى فزارة متّصل بالرَّقم ـ بفتح الراء والقاف ـ وهو موضع بالحجاز قريب من وادى القُرىٰ ، كانت فيه وقْعة لغطَفان على عامر . كذا فى معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى .

٢٩١

وقوله : أبنْ أبنْ ، هو فعل أمر من الإبانة وهو الإبعاد . والضُّروس ، قال فى الصحاح : بضم الضاد : الحجارة التى طويت بها البئر . وأنشد هذا الشعر ؛ وبئر مضروسة وضريس أى مطويّة بالحجارة .

وقوله : فأسنَتَ مُرة ، أى أصابه السنة ، وهى القحط والجدب . وقوله : فلما أحيا ، فى الصحاح : قال أبو عمرو : أحيا القوم : إذا حسنت حال مواشيهم . فإن أردت أنفسهم قلت : حيُوا . ثم قال : وأحيا القوم أى صاروا فى الحيا ، وهو الخِصب ، والحيا مقصور : المطر والخصب اهـ . وهو بالحاء المهملة وبعدها ياء آخر الحروف . وقوله فاكهها أى مازحها ، والمفاكهة : الممازحة .

وقوله : البدرىّ ، منسوب إلى بنى بدر بن عمرو . ولو للتمنى لا جواب لها . والشُّحوب : مصدر شحَب جسمه بالفتح يشحُب بالضم : إذا تغيّر . وقوله :

(١) ط : « ما تشتفه » ، صوابه فى ش والصحاح واللسان . والمراد ما تشربه الأرض الرملية من الماء .

(٢) ضبطه ياقوت بالضم وبالفتح أيضا .

بذرِّى أى إبلى المفرّقة ؛ ويقال تفرقت إبله شِذَرَ بِذَرَ ، بفتح الشين والباء وكسرها وما بعدها مفتوح : إذا تفرّقت فى كل وجه . وقوله : وهُنّ خُوصٌ : أى غائرات العيون ، جمع أخوَص وخَوصاء ، والفعل خوِص بالكسر أى غارت عينه . ويلفّها : يضمّها ويجمعها . والأتىّ بفتح الهمزة وكسر المثناة الفوقية ، قال فى الصحاح « وأتّيت للماء تأتية وتأتّيا أى سهلت سبيله ليخرج إلى موضع ؛ والأتىّ : الجدول يؤتّيه الرجل إلى أرضه ، وهو فعيل ؛ يقال : جاءنا سيل أتىّ وأتاوىّ : إذا جاءك ولم يصبْك مطره » . وقوله أروع ، هو فاعل يلفّها ؛ ومعناه : السيد الذى يروعك بجماله وجلاله . وسقّاء : مبالغة ساقٍ . والطوىّ : البئر المطويّة ، أى المبنية بالحجارة .

وقوله : أصبحت مرتدّا . أى راجعا ، والارتداد : الرجوع . وأودىٰ بها : ذهب بها : وقوله : فأدِّ رزقها ، أى أعط صداقها الذى تغلّبْت عليه وأكلته .

سالم بن دارة

و (سالم بن دارة) هو سالم بن مُسافع بن عقبة بن يربوع بن كعب ابن عدىّ بن جُشَم بن عوف بن بُهثَة بن عبد الله بن غَطَفان .

ودارة : لقب أمه ، واسمها سَِقاء[1] ، كانت أخيذة : أصابها زيد الخيل من بعض غطفان وهى حُبلىٰ (وهى من بنى أسد) فوهبها زيدُ الخيل لزهير ابن أبى سُلمى . فربّما نسب سالم بن دارة إلى زيد الخيل . كذا فى كتاب أسماء الشعراء المنسوبين إلى أمهاتهم تأليف أحمد بن أبى سهل بن عاصم الحلوانىّ ، ومن خطّه نقلت .

وقال التبريزى فى شرح الحماسة : ودارة هو يربوع ، وإنما سمّى دارة

(١) كذا بالقاف فى النسختين .

لأنَّ رجلا من بنى الصارد بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، يقال له: كعب ، قتل ابن عمٍّ ليربوع بن كعب يقال له : دِرْص ، فقتل يربوع كعباً بابن عمه وأخذ ابنة كعب ، ثم أرسلها فأتت قومها فنعتْ أباها كعباً ؛ فقالوا : مَن قتله ؟ قالت : غلام كأنَّ وجهه دارةُ القمر ، من بنى جُشَم بن عوف بن بهثة . فسمِّى بذلك و نسب إليه سالم . ا هـ .

ومثله فى الأغانى . والصحيح الأول ، ويدل له قول سالم :

أنا ابنُ دارة معروفاً بها نسبى وهلْ بدارة ، يا لَلناس ، مِن عار !

وسالم : شاعر مخضرم : قد أدرك الجاهلية والإسلام . وكان رجلا هجّاء وبسببه قتل .

٢٩٢

قال التبريزى نقلا عن أبى رياش . وكان الذى هاج قتله : أنه كان مُرّة بن واقع من وجوه بنى فَزارة ، وكانت عنده امرأة من أشراف بنى فزارة ، ففاكهته امرأته ذاتَ ليلة فطلّقها البتةَ واحتملتْ إلى أهلها ـ ومُرّة يظن أنه قادر على ردِّها إذا شاء ـ حتى أتى لذلك عامٌ وهما كذلك . ثم خطبها حمل بن القليب الفزارىّ ، ورجل آخر من بنى فزارة يقال له علىّ ، وخطبها ابن دارة . فبلغ ذلك مرّة ، فأراد أن يراجعها فأبت عليه واختارت عليًّا . فركب مرّة بن واقع إلى معاوية ـ وقيل إلى عثمان ـ فقال : إن الأعراب أهل جفاء ، وإنى قد قلتُ كلمة بينىَ وبين امرأتى لم أردْ ما تبلغ ، فتزوّجتْ رجلا ؛ وإنما أتيتك مبادراً قبل أن يبنىَ بها ؛ فامنعْ لى امرأتى . فقال معاوية : لقد ذكرتَ أمراً صغيراً فى أمر عظيم[1] لا سبيل لك عليها .

(١) أغفل البغدادى جملة يكون الكلام بها واضحا ، وهى كما فى ١ : ٣٦٧ : « أمر الله عظيم ، وامراتك أمرها صغير » .

ففرّق بينهما معاوية ، وهو يومئذ على الشام عاملاً لعثمان ، فقال سالم فى ذلك قبل أن يقدمَ مُرّة عند معاوية والقوم ينتظرونه :

يا ليت مُرّة يأتيها فيجعلَها خيرَ البناء ويجزى منهما الجازى

فجاء مرّةُ وقد ابتنى بها علىّ : فغضب على سالم وجعل يشتمه حتى قال : أيُّها العبد مِن محوّلة، ما أنتَ وذكر نسائنا ؟ ! (ومحوّلة بنو عبد الله بن غطفان ، وكان يقال لهم بنو عبد العُزَّىٰ ، فوفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : من أنتم ؟ فقالوا : نحن بنو عبد العزَّىٰ فقال صلى الله عليه وسلم : بل أنتم بنو عبد الله ! فسمَّتهم العرب محوَّلة) فقال سالم بن دارة : مهلاً يامُرَّة ، فإنى لم أفعل تأبيداً (كأنه أراد لم آت بآبدة) وما بى بأس ، ولا ذنبَ لى ؛ وإنما مزحت . فأبىٰ مُرّة إلاّ شتمه . فقال سالم ، وقد غضب :

* يا مُرّ يا ابن واقع يا أنتا *

أوقع « يا » على المنادى المحذوف كأنه قال : يامرّة أنت . وقد ادعىٰ قوم أن أنت يجوز نداؤها . ولا ينبغى أن يُعدَل عن الوجه الأول . . . ثم ذكر الأبيات السابقة وقال :

ثم تواعدا أن يلتقيا ، وعظُم فى صدور بنى فزارة قولُ سالم ، فأغمضوا على ذلك . ثم تواقفَ[1] ابن واقع وسالم علىٰ رِهان ، وفيهم يومئذ ابن بيشة[2] . أحدُ بنى عبد مناف بن عقيل ؛ فقال سالم لجميع بنى فزارة : إنى أحمد الله كعهدكم وبعدكم ، واستعهدكم من مُرَّة . فقال مرّة : والله لا أزال أهجوك مابلّ ريقى لسانى . وجاءت بنو فزارة بامرأةٍ من بنى غراب ترجُز يقال لها : غاضرة . فلما رآها سالم نَهق كما ينهِق الحمار ثم قال :

(١) وكذا فى التبريزى ١ : ٣٦٨ . وفى ش : « توافق » .
(٢) وكذا فى التبريزى . وجعلها الشنقيطى فى نسخته : « بثينة ».

قد سبَّنى بنو الغراب الأحمرِ[١] جُبْناً وجهلاً ، وتمنَّوا منكَرى
كلُّ عجوز منهم ومُعصِرِ غاضرَ ، أدِّى رِشوتى لا تغدرى
وأبشِرى بعَزَب مصدَّر شرَّابِ ألبان الخلايا ، مقفرِ
يحمل عَرْداً كالوظيف الأعجَرِ وفَيشةً متىٰ ترَيها تشفرى[٢]
حمراء كالنُّورج فوقَ الأندَر تقلِب أحياناً حماليقَ الحِرِ
معقَّدٍ مشعَّر مسيَّرِ[٣] كأنَّما أحسَّ جيش المنذرِ
إن تمنعى قَعوكِ أمنع محورى لقعوِ أخرى كعْبٍ مدوَّر

٢٩٣

(النورج : شيء يدقّ به أهل الشام حَبّهم) : فلما قالها سالم ألهاها الاستماعُ الردَّ عليه ، ثم لوىٰ دِرعها فكشفَ عنها ، فحجز الناس بينهما وافترقوا ، ولابن دارة الظفر . وعمَّ بنى فزارة بالهجاء لما أعانت عليه بنو غراب[٤] ، وقال يهجو مُرَّة بن واقع الفزارى[٥] :

حَدَبْدَبا بَدْبَدبا منكَ الآن استمعوا أنشدكُمْ ياولدانْ
إنّ بنى فَزارة بن ذبيان قد طرّقت ناقتُهم بإِنسانْ
مُشَيَّإٍ أعجِبْ بخلق الرحمٰن[٦] غلبتم الناسَ بأكل الجُردانْ
كلّ مِتَلّ كالعمود جوْفانْ وسَرق الجارِ ونيك البُعرانْ

(١) التبريزى : « يقول الغربان تكون بقعا وسودا وأنتم بنو غراب أحمر ، ينسبهم الى الأعاجم ، لأن الحمرة فيهم أكثر » .

(٢) فى حواشى ش بخط ناسخها : « شفرت المرأة تشفر اذا قربت شهوتها » . وعند التبريزى : « تسفرى » .

(٣) ش : « مقعر مسعر مسير » .

(٤) ط : « بنوغراب » ، صوابه فى ش والتبريزى .

(٥) ط : « المرنى » ، صوابه فى ش .

(٦) التبريزى : « المشيأ : المقبح الوجه . ط : « مشيا » ، صوابه فى ش .

(حدبدبا : كلمة جاء بها فى معنى التعجب مما هو فيه . وأصلها لُعبة يلعب بها الصبيان ـ ويختلف فى لفظها ، فبعضهم يقول حدبدبا بباءين ، وبعضهم يقول : حدندبا ، ومنهم من يقول حديدبا ـ يقول : اجتمعوا ياصبية لتلعبوا هذه اللعبة . وإنما غرضُه أن يعجّب الناس مما هو فيه ، ويعْلمهم أنه فى أمر كلعب الصبيان) .

وقال قصيدةً طويلة فى هجوهم ، منها :

بلّغ فزارة أنّى لن أسالمها حتّي ينيك زميلٌ أمَّ دينارِ

(هى أم زميل وكانت تكنى أمّ دينار) فحلف زُميل بن أُبَير ، أحدبنى عبد الله بن عبد مناف : أن لا يأكل لحماً ولا يغسل رأسه ولا يأتى امرأة حتى يقتله . فالتقىْ زُميل وابن دارة منحدرٌ إلى الكوفة ، وزميل يريد البادية : فقال له سالم : لاأبالَك؟ ألم يأنِ لكأن تحُلّ يمينك[1]؟ فقال له زميل : إنى أعتذر إليك ، والله مافى القوم حديدة إلاّ أن يكون مِخْيطا . فافترقا . وسار سالم حتى قدم على أخيه بالكوفة فمكث غيرَ بعيد ، ثم لحق بقومه بالبادية ، ثم ورد المدينة ، ثم خرج منها فلقى زُميلاً عِشاء ، وزميل داخل المدينة ، فكلّمه وناداه وقال . . ألا تحُلّ يمينك ؟ ثم انطلق واتبعه زميل وغشِيه بالسيف ، فدفع الراحلة ، وأدركه زميل فضربه فأصاب مُؤخِرة الرحْل وحذا عضدَه ذباب السيف حَذيةً أوضحت ، ورجع إلى المدينة يتداوى بها . فزعموا أن بُسرة بنت عيينة بن أسماء ـ ويقال إنها بنت منظور بن زبّان ، وكانت تحت عثمان بن عفّان ـ دسّتْ إلى الطبيب سمّا فى دوائه فمات ، وقال قبل موته :

أبلغ أبا سالم عنّي مغَلْغَلَة فلا تكونَنّ أدنى القوم للعارِ
لاتأخذَنْ مائةً منهم مجلَّلة ، واضربْ بسيفك منظورَبن سَيَّارِ

(١) ط : « يمينى » صوابه فى ش . والذى حلف هو زميل .

وقال الناس لما قُتل : قد محَوا عن أنفسهم . وفى ذلك يقول الكميت ابن معروف :

فلا تُكثروا فيها الضَّجاج فإنه محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعا

انتهى ما أورده التبريزى .

وقال محمد بن حبيب ، فى كتاب المغتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام(١) : إن سالم بن دارة هجا زميل بن أُبير ، وهو ابن أمّ دينار ، فقال فى قصيدة له طويلة :

آلىٰ ابنُ دارة جَهداً لايصالحكمْ حتَّي ينيك زميل أمَّ دينار

٢٩٤

وحكى الحكاية كما ذكرتُ . إلى أن قال : ثم إن زميلا قدم المدينة فقضىٰ حوائجه ، حتّي إذا صدَر عن الشُّقْرة(٢) سمع رجلا يتغنّي بشعر ، فعَرف زُميل صوت سالم ، فأقبل إليه فضربه ضربتين وعقَر بعيره . فحُمل سالم إلى عثمان بن عفّان ، فدفعه إلى طبيب نصرانى ، حتى إذا برأ والتأمت كلومُه دخل النصرانىّ ، وإذا سالم يُشامع امرأتَه(٣) فاحتنقها عليه(٤) فقال له النصرانى: إنى لأرى عظما ناتئا ، فهل لك أن أجعل عليه دواء حتى يسقط ؟ قال : نعم ، فافعلْ . فسمَّه فمات . ويقال : إن أمّ البنين بنتَ عيينة بن حصن الفَزارىّ ، وكانت عند عثمان بن عفّان ، جعلت للطبيب جُعلاً حتَّي سمه فمات . اهـ .

(١) نشرته محققا فى نوادر المخطوطات ٢ : ١٠١ — ٢٧٨ . وهذا النص فى ص ١٥٦ — ١٥٧ .

(٢) الشقرة ، بالضم : قرية على طريق المدينة . معجم ما استعجم ٧٤٩ .

(٣) فى النسختين : « واذا سالم مع امرأته » ، صوابه فى كتاب ابن حبيب . شامعها : لاعبها وضاحكها .

(٤) فى كتاب ابن حبيب : « فاحتقنها عليه » .

وافتخر زميل بقتله وقال :

أنا زُميل قاتل ابن دارَهْ وغاسل المخْزاة عن فَزارهْ[١]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد المائة ، وهو من شواهد س[٢] :

١٠٦ (سَلامُ اللهِ يا مطرٌ عليها وليس عليكَ يا مطرُ السلامُ)

على أنه إذا اُضطرّ إلى تنوين المنادى المضموم اقتصر على القدر المضطرّ إليه من التنوين . والقدرُ المضطَر إليه هو النون الساكنة ؛ فألحقت وأبقيتْ حركةَ ما قبلها على حالها ، إذ لا ضرورة إلى تغييرها ، فإنها تندفع بزيادة النون .

وهذا مذهب سيبويه والخليل والمازنى . قال النحّاس والأخفش المجاشعى فى المعاياة : وحجتهم أنّه بمنزلة مرفوع ما لا ينصرف ، فلحقه التنوين على لفظه .

واختار الزجّاجى فى أماليه هذا المذهب ، لكنّه ردّ الحجّة فقال : الاسم العلم المنادىٰ المفرد مبنىّ على الضم ، لمضارعته عند الخليل وأصحابه للأصوات ، وعند غيره لوقوعه موقع الضمير ، فإذا لحقه [التنوينُ[٣]] فى ضرورة الشعر فالعلّةُ التى من أجلها بُنى قائمةٌ بعدُ فيه ؛ فينوّن على لفظه ، لأنا قد رأينا من المبنيّات ما هو منوّن نحو إيهٍ وغاقٍ وما أشبه ذلك . وليس بمنزلة ما لا ينصرف لأن ما لا ينصرف أصله الصرف ، وكثير من العرب لا يمتنع من صرف شىء فى ضرورة [شعرٍ[٣]] ولا غيرِه إلاّ « أفعَل منك » فإذا

---

(١) ط : « أيا زميل » ، صوابه فى ش والتبريزى ١ : ٣٧٢ . ولزميل ترجمة فى الاصابة ٢٩٧٣

(٢) سيبويه ١ : ٣١٣ . والعينى ١ : ١٠٨ /٤ : ٢١١ والانصاف ٣١١ وابن الشجرى ١ : ٣٤١ ومجالس ثعلب ٩٢ ، ٢٣٩ ، ٥٤٢ والهمع ٢ : ٨٠ وأمالى الزجاجى ٨١ وشرح شواهد المغنى ١٦٠ والأغانى ١٤: ٦١ ،٦٢

(٣) التكملة من أمالى الزجاجى

نوّن فإنما يردّ إلى أصله ، والمفرد المنادى العلم لم ينطق به منصوبا منوّنا قط في غير ضرورة شعر . فهذا بيّن واضح . اه

وتبعه اللخميّ في أبيات الجمل ، ونقل هذا الكلام بعينه .

قال النحّاس : وحكى سيبويه عن عيسى بن عمر (يا مطراً) بالنصب ؛ وكذلك رواه الأخفش في المعاياة وقال : نصب مطراً لأنه نكرة . وهذا ليس بشيء . قال المبرد : أما أبو عمرو وعيسى ويونس والجرميّ فيختارون النصب ، وحجّتهم أنهم ردّوه إلى الأصل ؛ لأنّ أصل النداء النصب كما ترده الإضافة إلى النصب ، قال : وهو عندى أحسن لردّه التنوين إلى أصله كما في النكرة .

وهذا البيت من قصيدة للأحوص الأنصارى ، وبعده :

أبيات الشاهد

(فلا غفرَ الإلهُ لمنكحيها ذنوبَهمُ وإنْ صلُّوا وصاموا
كأنَّ المالكين نكاحَ سلمى غداةَ نكاحِها مطرٌ ، نيامُ
فلو لم ينكحوا إلاَّ كَفيئاً لكان كفيئَها الملكُ الهُمامُ
فإنْ يكن النكاحُ أحلَّ شيءٍ فإن نكاحَها مطراً حرامُ
فطلِّقها فلستَ لها بكفءٍ وإلاَّ يعلُ مفرِقَك الحسامُ !)

٢٩٥

في الأغاني بسنده إلى محمد بن ثابت بن إبراهيم بن خلاَّد الأنصارى قال :

قَدِم الأحوص البَصرة ؛ فخطب إلى رجل من بنى تميم ابنته ، وذكر له نسبه ، فقال : هاتِ لى شاهداً يشهد أنك ابن حَمِيِّ الدَّبْر وأزوِّجك . فجاءه بمن شهد له على ذلك . فزوّجه إياها ، وشرطت عليه أن لا يمنعها من أحد من أهلها . فخرج بها إلى المدينة ، وكانت أختها عند رجل من بنى تميم قريباً من طريقهم ، فقالت له : اعدِلْ بى إلى أختى . ففعل ، فذبحت لهم وأكرمتهم ،

وكانت من أحسن الناس ، وكان زوجها فى إبلِه فقالت زوجة الأحوص له : أقمْ حتى يأتى . فلما أمسَوا راحَ مع إبله ورعائه(١) وراحت غنمُه فراح من ذلك شىء كثير(٢) ، وكان يسمّىٰ مطراً . فلما رآه الأحوص ازدراه واقتحمته عينه ، وكان شيخاً دميماً ، فقالت له زوجته : قم إلى سلفك فسلِّم عليه . فقال الأحوص وأشار إلى أخت زوجته بإصبعه :

سلام الله يا مطر عليها . . . . . الأبيات

وأشار إلى مطر باصبعه ، فوثب إليه مطرٌ وبنوه ، وكاد الأمر يتفاقم حتى حُجز بينهم . انتهى

وقال الزجاجى فى أماليه الوسطىٰ ، وتبعه اللخمىّ : كان الأحوص يهوىٰ أخت امرأته ويكتم ذلك ويَنسِب فيها ولا يفصح ؛ فتزوّجها مطر فغلبه الأمر وقال هذا الشعر(٣) . وبعضهم لما لم يقف على منشأ الشعر قال : مطر اسم رجل وكان دميماً أقبح الناس ، وكانت امرأته من أجمل النساء وأحسنهن وكانت تريد فراقه ولا يرضى مطر بذلك فأنشد الأحوص هذه القصيدة يصف فيها أحوالهما . هذا كلامه .

قوله : غداة نكاحها الخ ، الغَداة : الضَّحوة ، وأراد مطلق الوقت . ونكاحها : مصدر مضاف لمفعوله ؛ ومطر : فاعل المصدر ، وهو هنا بمعنى التزوّج والعَقد فى الموضعين ؛ ونيام : خبر كأن ، وروى بدله :

---

(١) فى النسختين : « راجع ابله ورعاه » ، صوابه من الأغانى . والتصحيف هنا جد قريب .

(٢) الأغانى : « فراح من ذلك أمر كثير » .

(٣) فى الأمالى : « فبلغه الأمر وقال هذا الشعر . والكلام بعد هذا ليس فى الأمالى

* غداة يَعُرُّهم مطرُ نيام *

مضارعُ عرّهم من باب قتل عُرّة بالضم ، وهو الفضيحة والقذر والجرب[1] ، يقال: فلان عُرّة كما يقال قذر للمبالغة .

وقوله : فلو لم ينكحوا . . الخ هو مضارع أنكحت الرجلَ المرأة ؛ فهو متعدّ لمفعولين بالهمزة ، والمفعول الأول ضمير سلمىٰ محذوف ؛ والكفيء على وزن فعيل بمعنى الكفء والمماثل ، ويقال الكَفوء أيضاً على وزن فَعول .

وقوله : أحلّ شيء ، هو منصوب خبر يكن ، وهو أفعل تفضيل من الحلال ضدّ الحرام ؛ وروى الزجاجي (أحلَّ شيئاً) ، بنصب شيء ، فيكون أحلّ فعلاً ماضياً ؛ وقوله : فإن نكاحها مطراً ، يروى برفع مطر ونصبه وجرّه : فالرفع على أنه فاعل المصدر وهو نكاحها فيكون مضافاً إلى مفعوله ، والنصب على أنه مفعول المصدر فيكون مضافاً إلى فاعله ، والجر على أنه مضاف إليه ووقع الفصل بين المتضايفَين بضمير الفاعل أو المفعول . وقد أورد ابن هشام هذا البيت فى شرح الألفية شاهداً لهذا .

وقوله : وإلاّ يعلُ مفرِقك . . الخ أى وإنْ لم تطلّقها . وهذا البيت شاهد للنُّحاة فى اطّراد حذف الشرط فى مثله . والمفرق بفتح الميم وكسر الراء : الموضع الذى ينفرق فيه الشعر من الرأس ، وأراد به هنا الرأس .

وترجمة الأحوص تقدمت فى الشاهد الخامس والثمانين[2] .

* * *

(١) ط : « والحرب » ، صوابه فى ش

(٢) انظر ص ١٦ من هذا الجزء .

٢٩٦

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد المائة:[١] .

١٠٧ (يا لَلكهول ولِلشُّبانِ للعجبِ)

على أنَّ لام المستغاث إنْ عطفت بغير يا كُسِرت ، فلام للشبّان مكسورة ، والقياس فتحها ، وجاز الكسر لعدم اللبس . وهذا عجز وصدره :

(يَبكيك ناءٍ بعيدُ الدارِ مغتربُ)

يقال بكيته : بمعنى بكيت عليه . والنائى : أراد به بعيد النسب . وبعيدُ الدار وصف ناءٍ ، ولا تضرُّ الإضافة إلى المعرفة لأنّها فى نية الانفصال لأن الدار فاعلة فى المعنى .

يقول: يبكى عليك الغريب ، ويسرّ بموتك القريب ، وهو أحد الأعاجيب .

والكهول : جمع كهل . والشُّبّان : جمع شابّ ؛ قال ابن حبيب . زمان الغلوميّة سبعَ عشرة سنة ، منذ يولد إلى أن يستكملها ، ثم زمان الشبابيّة سبع عشرة سنة إلى أن يستكمل أربعاً وثلاثين ؛ ثم هو كهل سبع عشرة سنة إلى أن يستكمل إحدىٰ وخمسين سنة ؛ ثم هو شيخ إلى أن يموت .

وهذا البيت من شواهد جمل الزجاجى وغيره . ولم ينسبه أحد إلى قائله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه[٢]:

١٠٨ (يا لَعَطّافنا ويا لَرِياحِ)

على أن اللام فى المعطوف فُتحت كلامِ المعطوف عليه ، لإعادة يا . وبعده :

(١) العينى ٤ : ٢٥٧ والهمع ١ : ١٨٠ والأشمونى ٣ : ١٦٥

(٢) سيبويه ١ : ٣١٩ . وانظر العينى ٤ : ٢٦٨ وابن يعيش ١: ١٢٨، ١٣١ والهمع ١ : ١٨٠ والأشمونى ٣ : ١٦٥

(وأبِي الحشْرَج الفتىٰ النفّاحِ)

فأبِي الحشرج معطوف على يا لَعطافنا . وعطّاف ورِياح وأبو الحشرج : أعلامُ رجال . والنفّاح : الكثير النفح أى العطية : وقبله :

يا لَقومى ، مَن للعلا والمساعى يا لقومى ، مَن للندىٰ والسماح)

المساعى : جمع مَسعاة فى الكرم والجود .

رثىٰ هذا الشاعر رجالا من قومه وقال : لم يبق للعُلا والمساعى مَن يقوم بها بعدهم .

وهذا من الشواهد الخمسين التى لم يُعرف لها قائل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد المائة :

١٠٩ (فيا للهِ من ألمِ الفِراقِ)

على أنَّ المستغاث له قد يجر بمن كما يجر باللام .

قال الدمامينى فى شرح التسهيل : واعلم أنَّ قولنا المستغاث من أجله أعمُّ من أن يراد المستنصَر له والمستنصَر عليه ؛ إذ كلٌّ منهما وقعت الاستغاثة به لأجله أى بسببه ؛ فإذا كان المستغاث من أجله من النوع الأول لايجوز جرّه بِمِن ألبتة بل يجر باللام ؛ وإذا كان من النوع الثانى جاز الوجهان ، فإن جرّ بمن وجب تعليقها بفعل التخليص أو الإنصاف ، وإن جرّ باللام فهى للتعليل ، وتتعلق بالفعل أو الاسم . اهـ

وهذا المصراع من شعر لعُبيد الله بن الحُرّ الجُعْفىّ ، رثى به الحسينَ بن علىّ رضى الله عنهما . وأوله :

أبيات الشاهد

(يالكِ حسرةً ، ما دمتُ حيًّا تردَّدُ بين حلقى والتراقى
حسيناً، حين يطلبُ بذلَ نصرى[1] على أهل العداوة والشقاقِ

٢٩٧ ولو أنِّى أواسيه بنفسى لنِلت كرامةً يومَ التلاقى
مع ابن المصطفى ، نفسى فِداه ! فيا لله مِن ألم الفراقِ
غداةَ يقولُ لى بالقَصْر قولا : أتتركنا وتزمِع بانطلاق
فلو فلَق التلهّفُ قلبَ حىٍّ لهمّ اليومَ قلبي بانفلاق !
فقد فاز الأُلى نصروا حُسيناً وخاب الآخرون أولو النفاق)

قوله : يالك حسرة ، هذا مخروم ؛ والخرم : إسقاط أوّل الوتِد . لكِ بكسر الكاف : ضمير مفسر لقوله حسرةً . وتَردّدُ : مضارع محذوف من أوله التاء . وحسيناً منصوب باذكرْ محذوفا .

وقوله : * فيالله من ألم الفراق *
روى بدلَه: * فولّى ثم ودّع بالفراق *

وعليه فلا شاهد فيه .

قال أبو سعيد السكّرى فى كتاب اللصوص بسنده إلى أبى مِخْنَف لوط ابن يحيىٰ بن سعيد الأزدى[2] قال :

كان مِن حديثُ عبيد الله بن الحُرّ : أنّه كان شهد القادسية مع خالَيْه : زهير ومرثد : ابنى قيس بن مَشجَعة . وكان شجاعاً لايعطى الأمراء طاعةً ؛ ثم صار مع معاوية فكان يكرمه ، وكان ينتاب عبيدَ الله أصحابٌ له ، فبلغ ذلك معاويةَ فبعث إليه فدعاه ؛ فلما دخل عليه قال : يا ابن الحرِّ ، ما هذه

(١) فى مقتل أبى مخنف لوط ص ٢٩ : « نصر مثلى » .
(٢) أبو مخنف لوط بن يحيى أخبارى تالف لا يوثق به ، قال ابن عدى : شيعى محترق ، روى عن جابر الجعفى ومجالد ، وروى عنه المدائنى وعبد الرحمن بن مغراء . مات قبل السبعين ومائة . لسان الميزان ٤ : ٤٩٢ والفهرست ١٣٦

الجماعةُ التى بلغنى أنّها ببابك ؟ قال: أولئك بِطانتى ، أقيهم وأتقى بهم، إن نابَ جَور أمير. فقال معاوية : لعلّك يا ابن الحرّ قد تطلّعتْ نفسُك نحو بلادك، ونحوَ علىّ بن أبى طالب ! قال عبيد الله : إنْ زعمتَ أنَّ نفسى تطلّعُ إلى بلادى وإلى علىّ إنى لجدير بذاك ، وإنه لقبيح بى الإقامةُ معك وتركى بلادى . فأما ما ذكرتَ من علىّ فإنك تعلم أنك على الباطل . فقال له عمرو بن العاص: كذبتَ يا ابن الحرّ وأثِمتَ ! فقال عبيد الله : بل أنت أكذبُ منى !! ثم خرج عبيد الله مغضبًا وارتحلَ إلى الكوفة فى خمسين فارساً ، وسار يومَه ذلك ، حتّى إذا أمسى بلغ مَسالح معاوية فمُنع من السير ، فشدّ عليهم وقتَل منهم نفراً وهرب الباقون ، وأخذ دوابّهم وما احتاج إليه ؛ ومضىٰ لا يمرّ بقرية من قرى الشام إلا أغارَ عليها ، حتى قدم الكوفة — وكانت له امرأة بالكوفة وكان أخذها أهلُها فزوّجوها من عِكرِمة فولدت له جارية[1] — فقدم عبيد الله فخاصمهم إلى علىّ بن أبى طالب ؛ فقال له : يا ابن الحرّ ، أنت المالئُ علينا عدوَّنا . فقال ابن الحر : أمَا إنّ ذلك لو كان لكان أثرِى معه بيِّنا ، وما كان ذلك ممَّا يُخاف من عدلك . وقاضىٰ الرجلَ إلى علىّ فقضى له بالمرأة . فأقام عبيد الله معها منقبضاً عن كلّ أمر فى يدَىْ علىّ ، حتّى قُتل علىّ رضى الله عنه ، وحتّى ولى عُبيد الله بن زياد وهلك معاوية وولى يزيد ، وكان من أمر الحسين ما كان .

قال أبو مِخنَف : لما أقبل الحسين بن علىّ — رضوان الله عليهما — فأتىٰ قصر بنى مُقاتل ، فلمَّا قتَل عبيدالله بن زياد مسلم بن عَقيل بن أبى طالب وتحدّث أهل الكوفة : أن الحسين يريد الكوفة ؛ خرج عبيد الله بن الحرّ منها متحرِّجاً من دم الحسين ومَن معه من أهل بيته ، حتى نزل قصر بنى مقاتل ، ومعه خيل مضمَّرة ومعه ناسٌ من أصحابه . فلما قدِم الحسين رضى الله

(١) كذا فى ش . وفى المطبوعة (حارثه)

تعالى عنه قصرَ بني مقاتل ونزل ، رأى فسطاطاً مضروباً فقال : لمن هذا الفسطاط ؟ فقيل : لعبيد الله بن الحرّ الجُعْفيّ — ومع الحسين يومئذ الحجاج ابن مسروق ، وزيد بن مَعقل الجعفيّان . فبعث إليه الحسينُ الحجاجَ بنَ مسروق ، فلما أتاه قال له : يا ابن الحرّ ، أجب الحسينَ بن عليّ . فقال له ابن الحرّ : أبلغ الحسينَ : أنه إنما دعانى إلى الخروج من الكوفة حين بلغنى أنك تريدها ، فِرارٌ من دمك ودماء أهل بيتك ، ولئلا أعينَ عليك ، وقلتُ إن قاتلتُه كان علىَّ كبيراً وعند الله عظيما ، وإن قاتلتُ معه ولم أُقتل بين يديه كنت قد ضيّعت قتله ، وأنا رجل أحمَى أنفاً من أن أمكّن عدوّى فيقتلنى ضَيعة ، والحسين ليس له ناصر بالكوفة ولا شيعة يُقاتل بهم . فأبلَغ الحجّاجُ الحسينَ قولَ عبيدالله فعظُم عليه ، فدعا بنعليه ثم أقبل يمشى حتّى دخل على عبيدالله بن الحرّ الفسطاطَ ، فأوسع له عن صدر مجلسه وقام إليه حتّى أجلسه . فلما جلس (قال يزيد بن مرة : فحدّثنى عبيد الله بن الحرّ قال : دخل علىَّ الحسينُ رضى الله عنه ولحيتُه كأنّها جَناح غراب ! وما رأيت أحداً قطّ أحسنَ ولا أملأ للعين من الحسين ! ولا رققت على أحد قطّ رِقّتى عليه حين رأيتُه يمشى والصّبيان حولَه) فقال له الحسين : ما يمنعك يا ابن الحرّ أن تخرج معى ؟ قال ابن الحرّ : لو كنتُ كائناً من أحد الفريقين لكنتُ معك ، ثم كنت من أشدّ أصحابك على عدوّك ، فأنا أحِبُّ أن تعفيَنى من الخروج معك ، ولكنْ هذه خيل لى مُعَدّة وأدِلّاء من أصحابى ، وهذه فرسى «المحلّقة[1]» فاركبْها ، فوالله ما طلبتُ عليها شيئاً قطّ إلّا أدركتُه ، ولا طلبنى أحدٌ إلا فُتُّه ! فاركبْها حتّى تلحقَ بمأمَنك ، وأنا لك بالعِيالات حتّى أؤدّيَهم إليك أو أموتَ وأصحابى عن آخرهم ، وأنا كما تعلم إذا دخلت فى أمر لم يضمنى فيه أحد . قال الحسين : أفهذه نصيحة لنا منك يا ابن الحر ؟ قال : نعم واللهِ الذى لا فوقه

٢٩٨

(١) فى القاموس (حلق) : « وكمعظمة » : فرس عبيد الله بن الحر » .

شىء ! فقال له الحسين : إنى سأنصح لك كما نصحتَ لى ، إن استطعتَ أن لا تسمع صُراخنا ولا تشهدَ وقعْتنا فافعلْ ؛ فوالله لا يسمعُ داعيَتنا أحدٌ لا ينصرُنا إلا أكبّه الله فى نار جهنم ! ثم خرج الحسين من عنده ، وعليه جبّةُ خزّ وكساء وقلنسوة موردّة (قال : ثم أعدت النظر إلى لحيته فقلت : أسوادٌ ما أرى أم خضاب ؟ قال : يا ابن الحرّ عجّل على الشيب . فعرفت أنه خِضاب) وخرج عبيدالله بن الحرّ حتى أتى منزله على شاطىء الفرات فنزله . وخرج الحسين رضى الله عنه فأصيب بكرْبَلاء ومَن معه ، وأقبل ابن الحرّ بعدَ ذلك فمرّ بهم، فلما وقف عليهم بكىٰ . ثم أقبل حتى دخل الكوفة ، فدخل على عبيدالله بن زياد بعدَ ثالثةٍ ، وكان أشراف الناس يدخلون عليه ويتفقّدهم — فلمّا رأى ابنَ الحرّ قال له : أين كنت ! قال : كنتُ مريضا . قال : مريض القلب أم مريض الجسد(١) ؟ قال : أمّا قلبى فلم يمرضْ قطّ ، وأما جسدى فقد مَنّ الله تعالى علىَّ بالعافية . قال : قد أبطلْت ! ولكنّك كنتَ مع عدوّنا . قال : لو كنت مع عدوّك لم يخفَ مكانى . قال : أمّا مَعنا فلم تكن ! قال : لقد كان ذاك . ثم استغفل ابنَ زياد والناسُ عنده فانسلَّ منه ثم خرج فنزل المدائن، وقال : لئن استطعت أن لا أرى له وجهاً لأفعلنّ ؛ ورثى الحسينَ وأصحابَه الذين قُتلوا معه بالشعر المتقدّم(٢) ، وبقوله :

يقول أميرٌ غادرٌ حقُّ غادرٍ : ألا كنتَ قاتلتَ الشهيدَ ابنَ فاطمه

---

(١) فى الطبرى ٦ : ٢٧٠ عن أبى مخنف : « مريض القلب أو مريض البدن » .

(٢) ذكر الميمنى أن الشعر المتقدم ليس فى الرثاء ، وانما أنشده على قعوده عن نصرة الحسين بعد أن سار الى كربلاء وفارقه . وقال : « غير أن الأبيات الميمية ليست له البتة ، وانما هى للحر بن يزيد الرياحى ، كما هو عند أبى مخنف ٤٥ . فلا أدرى هل هذا الوهم من أبى سعيد ، أو من نساخ كتابه ، أو من البغدادى » . هذا ماذكره ، لكن الطبرى يعزو الشعر التالى الميمى الى عبيد الله بن الحر . انظر ٦ : ٢٧٠ — ٢٧١ .

٢٩٩

ونفسى على خِذلانه واعتزاله وبيعةِ هذا الناكثِ العهد لائمهْ (١)
فواندمى أن لا أكونَ نصرتُه ! ألا كلُّ نفس لا تسددٌ ، نادِمَهْ ! (٢)
وإنّى ، لأنّىَ لم أكن من حُماته ، لذو حسرةٍ ما إن تفارقُ ، لازمه !
سقىٰ الله أرواحَ الذين تآزروا على نصرهِ سُقياً ، من الغيث، دائمه !
وقفتُ على أجداثهم ومَجالِهمْ فكاد الحشا ينقضّ والعين سَاجمه (٣)
لَعمرى لقد كانوا مصاليتَ فى الوغىٰ سِراعاً إلى الهيجا حُماةً ضَبارمَهْ (٤)
تآسَوا على نَصْر ابن بنت نبيِّهم بأسيافهمْ آسادَ غِيلٍ ضراغمَهْ (٥)
فإن يُقتلوا فكلُّ نفسٍ زكيّةٍ، على الأرض قد أضحت لذلك واجمه (٦)
وما إن رأى الراءون أصبرَ منهمُ لدى الموت سادات وزُهراً قَماقمه (٧)
أتقتلُهمْ ظُلماً وترجو وِدادَنا فدَعْ خطّةً ليست لنا بملائمه
لعمرى لقد راغمتمونا بقتلهمْ فكمْ ناقمٍ منّا عليكم وناقمه
أهمُّ مراراً أن أسير بجحفلٍ إلى فئةٍ زاغتْ عن الحقّ ، ظالمَه
فكُفّوا ! وإلاّ زرتكم فى كتائب أشدَّ عليكم مِن زُحوف الديالمَه ! (٨)

ثم إن ابن الحرّ لم يزل يشغَب بابن زياد وبالمختار وبمصعَب بن الزبير . وجرت بينه وبين مصعَب محارَبات عديدة . ثم سار إلى عبدالملك بن مرْوان

---

(١) لم يروه الطبرى
(٢) أبو مخنف : « لا تؤاسيه نادمه »
(٣) الطبرى : « ينفض » أبو مخنف : « ينفت » ط : « ومحالهم» صوابه فى ش وعند ابى مخنف : « على أجسادهم وقبورهم »
(٤) ط : « ضيارمة » صوابه بالباء كما فى ش ، ولعلها جمع ضبارم، وهو الشديد الخلق من الأسد . وعند أبى مخنف : « ليوثا ضراغمه » ، وفى الطبرى : « حماة خضارمه » .
(٥) أبو مخنف : « قشاعمه » .
(٦) الطبرى : « فكل نفس تقية »
(٧) الطبرى : « أفضل منهم »
(٨) الطبرى : « والا ذرتكم » ، وما هنا صوابه

وقال له : إنّما أتيتك لتوجِّه معى جنداً لقتال مصعَب بن الزبير . فأكرمه عبدالملك وأعطاه أموالاً وقال له : سرْ فإنى أقطع البعوث وأُمدّك بمائة ألف . فسار ابن الحرّ حتّى نزل بجانب الأنْبار ، واستأذنه أصحابه فى دخول الكوفة . وبلغ ذلك عبيدَالله بن العباس السُّلَمىّ فاغتنم الفرصة فسأل الحارثَ بن عبدالله، وكان خليفة مصعَب على الكوفة ، وأخبره بتفرّق أصحابه عنه . فبعثه فى مائة فارس من قيس ، واستمدّ خمسَمائة فارس منهم أيضا وسار حتّى لَقُوه ، وهو فى عشرة من أصحابه . فأشاروا عليه بالذّهاب فأبىٰ ، وقاتلهم حتّى فشتْ فى أصحابه الجراحاتُ فأذن لهم فى الذّهاب ، وقاتلهم على الجسر فقتل منهم رجالا كثيرة ، حتّي انتهى إلى المِعبر فدخله . فقالوا : لنبَطىٍّ : هذا الرجلُ بُغيةُ أمير المؤمنين ، فإن فاتكم قتلنا كم . فوثب إليه نبطىٌّ قوىٌّ فقبض على عضدَى ابنِ الحرّ ، وجراحاته تشخَب، وضربه الآخرون بالمجاديف . فلما رأى ابن الحر أن المِعبَر قد قرُب إلى القيسيّة قبض على الذى قبض عليه ، فعالجه حتّي سقطا فى الماء لا يفارقه ، حتى غرقا جميعا (وُسمع شيخ ينُادى وينتِف لحيته ويقول : يا بَخْتيار ؟ يا بختيار ؟ فقيل له : مالَكَ ياشيخ ؟ قال : كان ابنى بختيار يقتل الأسد ، وكان يُخرج هذا المِعبَر من الماء فيقرّه ثم يعيده وحدَه ، حتى ابتُلى بهذا الشيطان الذى دخل السفينةَ فلم يُملكه من أمره شيئاً حتّي قذف به فى الماء فغرقا جميعا ! فجعلوا يسكّنونه وهو يقول : ما كان لِيُغرق ابنى إلا شيطان !) فلما انتهى الخبر إلى عبد الملك جزع عليه جزعاً شديداً وندم على بعثِه إيَّاه ، وتمنى أن يكون بعث معه الجيوش .

وقد فصَّل السكرىٌّ وقائعه وحروبه ، وجمعَ أشعاره فى كتاب اللصوص[1] بما لا مزيد عليه .

---

(١) الميمنى : « هو الذى طبع منه المستشرق رايت الانكليزى بليدن فى مجموعة جرزة الحاطب ديوان طهمان الكلابى اللص من غير أن يشعر بذلك . فانظر رسوم أمكنته فى معجم البلدان تجزم بما قلنا » .

٣٠٠ وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد المائة وهو من شواهد س[1]:

١١٠ (يالَبَكرٍ أنشِرُوا لى كليباً يالَبكرٍ أين أينَ الفِرارُ)

على أن هذه اللام داخلة على المنادى المهدَّد[2].

وهذا المعنى هو الجيِّد ، ومأخذه من هذا البيت واضحٌ لاخفاء به ، ولا معنى للاستغاثة فيه كما حققه الشارح .

وفيه مخالفة لسيبويه فى جعلها للاستغاثة .

وحملها النحّاس على الاستهزاء فقال : إنما يدعوهم ليهزأ بهم ، ألا تراه قال : أنشروا لى كليبا .

وقال الأعلم : والمستغاث من أجله فى البيت هو المستغاث به ، والمعنى : يا لَبكر أدعوكم لأنفسكم مطالباً لكم فى إنشار كليب وإحيائه ، وهذا منه استطالة ووعيد ، وكانو قد قتلوا كليبا أخاه فى أمر البسوس اهـ .

وكأنّ الشارحَ انتزع ما قاله من هنا . والله أعلم .

أبيات الشاهد وهذا البيت لمهلهل : أخى كليب ، أول أبيات ثلاثة[3] قالها بعد أن أخذ بثار أخيه كليب ، ثانيها :

---

(١) سيبويه ١ : ٣١٨ . والخصائص ٣ : ٢٢٩ والعقد ٥ : ٤٧٨

(٢) بعده فى الرضى ١ : ١٢١ : « نحو يالزيد لأقتلنك » .

(٣) الميمنى : « الأبيات فى حديث البسوس ٥٢ ثمانية مصحفة ، هاكها بعد تصحيحها وتصحيح ما فى الخزانة بقدر الطاقة :

يا لَبكرٍ أنشروا لى كليباً يا لبكر أين أين الفرار

يا لبكرٍ اظْعنوا ثم حُلّوا صَرَّحَ الشرُّ وباحَ السرار =

(تلك شيبانُ تقول لبكرٍ : صرّح الشرّ وباح الشَرار[١]
وبنو عِجْلٍ تقول لقيس ولتَيم الله : سيروا . فساروا)

وقوله (أنشروا) بفتح الهمزة وكسر الشين ، يقال أنشر الله الميت : إذا أحياه ، ويتعدّى بدون الهمزة أيضاً ، فإنّ نشر من باب قعد جاء لازماً نحو : نَشر الموتى : أى حَيُوا ، ومتعدّياً نحو نشرهم الله .

وصرُح الشيء بالضمّ صَراحة وصُروحة : خلَص من تعلُّقات غيره . وباح الشيء يبوح من باب قال : ظهر . والشرار : ما تطاير من النار ، الواحدة شرارة .

= سفهت شيبانُ لما التقينا إنّ عود التغلبي نُضار
يا كليبَ الخيرلستُ براضٍ دون روح تراح منه الديار
أو أغادر قتلى تقرُّ بعينى ويؤدّى ما عنده المستعار
اسألوا جهرة إياداً ولخماً والحليفين حين سرنا وساروا
إذ دلفناهم وبكراً جميعاً فأسرنا سَراتَهم حين ساروا
وقتلنا قيس بن عَيلان حتى أمعنوا فى الفرار حيث الفرار

والأبيات كما ترى من وزنين مختلفين ، الأولى من الرمل ، والآخرة من الخفيف ، فضلا عن الأغلاط . وهى أكثر فى الأصل مما بقى منها هنا . وأرى بعض الأشعار لا سيما الطوال منها مفتعلة ، وان رواها ابن اسحاق والكلبى » .

(١) الميمنى : «وهن على وهن ، والصواب : السرار ، أى ظهر السر . نعم لو كان : باخ الشرار ، بالخاء والشين بمعنى خمدت النار لكـــان شيئا » .

ترجمة المهلهل

و (مهلهل) قال الآمدى : اسمه امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث[١] بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب[٢] وهو الشاعر المشهور . ويقال اسمه عدىّ . اهـ .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : مهلهل بن ربيعة هو عدىّ بن ربيعة . وسُمّىَ مهلهِلا لأنه هَلهل الشعر أى أرقّه ، ويقال : إنه أوّل من قصّد القصيد ، قال الفرزدق :

* ومهلهلُ الشعراء ذاك الأولُ *

وهو خال امرىء القيس بن حُجْر صاحب المعلّقة . انتهى .

والصحيح هذا . ويدلّ له أنه ذكر اسمه فى شعره فقال :

---

(١) وكذا فى سمط اللآلىء ١١١ ثم قال : « وقيل : اسمه عدى ، والشاهد لذلك قوله :

ضربت صدرها إلىّ وقالت ... ياعديا لقد وقتك الأواقى

ومن قال : ان اسمه امرؤ القيس يروى هذا البيت :

ضربت صدرها إلىّ وقالت ... يا امرأ القيس حان وقت الفراق

أو يقول :ان هذا انما هو أخوه» . قال الميمنى : «والبيت من قصيدةفى خبر البسوس ص ١١٤ فى خمسة عشر بيتا والأغانى ٤ : ١٤٧ وعند العينى ٤ : ٢١١ . وهذا لفظه : « ضربت صدرها الى وقالت ياعديا ... البيت . أقول قائله هو مهلهل ، واسمه امرؤ القيس .. الخ . فكأنه يرى أن عديا هو أخو امرىء القيس مهلهل . ولكن فى خبر البسوس ٢٩ : « كان لكليب أربعة اخوة : عدى وهو مهلهل ، والسجاد الشاعر ، وامرؤ القيس ، وعبد الله ، بنو ربيعة » . قلت : وفى جمهرة ابن حزم ٣٠٥ : « ومن بنى الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب : كليب ، ومهلهل ، وعدى ، وسلمة ، بنو ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم » .

(٢) فى النسختين : « غانم بن تغلب » ، صوابه فى الجمهرة ٣٠٣ والأغانى ٤ : ١٤٨

ضربتْ صدرها إلىّ وقالتْ : يا عدىّ لقدْ وقَتْكَ الأواقى !

ولم يقل أحدٌ قبله عشرَة أبيات . وقال الغزل وعنى بالنسيب فى شعره . ويقال سُمِّىَ مهلهلا بقوله :

* هلهلتُ أثأر مالـكا أو صِنْبِلا [١] *

قال ابن سلاّم : زعمت العربُ أنه كان يتـكثّر ويدّعى فى قوله بأكثر من فِعله . وكان شعراء الجاهلية فى ربيعة أولهم المهلهل ، والمرقِّشان ، وسعد ابن مالك[٢] .

و (المهلهل) : أخو كليب الذى هاج بمقتله « حرب البسوس » ، وهى حرب بكر وتغلب ابنى وائل . وكان من خبرها ما حكاه ابن عبد ربه فى العقد الفريد والأصبهانى فى الأغانى . وقد تداخل كلام كلّ منهما فى كلام الآخر .

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب : ما اجتمعت معدٌّ كلُّها إلا على ثلاثةِ رهط من رؤساء العرب ، وهم عامر ، وربيعة ، وكليب . فالأول[٣] عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث . وهو قائد معدّ يوم

---

(١) ط : « ضنبلا » بالضاد المعجمة ، صوابه فى ش واللسان (هلل) والمزهر ٢ : ٤٣٤ . وفى القاموس (صنبل) : « وكخندف : علم رجل من تغلب » . وهلهلت : قاربت . وصدره :

لما توغل فى الكراع هجينهم

(٢) النص فى ابن سلام ٣٣ ـ ٣٤ مع بعض خلاف . وبعده فى ابن سلام : « وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قميئة ، والحارث بن حلزة ، والمتلمس ، والأعشى ، والمسيب بن علس » . ط : « سعيد بن مالك » صوابه فى ش وابن سلام

(٣) فى النسختين : « فهو » ، وما أثبته من العقد ٥ : ٢١٣

٣٠١ البيداء[١] حين تمذحجت مذحج وسارت إلى تهامة وهى أول وَقْعة كانت بين تهامة واليمن[٢] .

والثانى : ربيعة بن الحارث بن مرّة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ابن كعب وهو قائد معدّ يوم السُّلّان[٣] ، وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن .

والثالث : كليب بن ربيعة وهو الذى يقال فيه « أعزُّ من كليب وائل » وقاد معدًّا كلها [يوم خُزاز[٤]] ففضّ جموع اليمن وهزمهم ، فاجتمعت عليه معدّ كلها وجعلوا له قَسْم الملك وتاجَه ، وتحيّته وطاعته ، فغبر بذلك حيناً من دهره ، ثم دخله زهوٌ شديدٌ وبغىٌ على قومه ؛ حتّى بلغ من بغيه أنه كان يحمى مواقعَ السحاب فلا يُرعىٰ حِماه ؛ وكان يحمى من المرعىٰ مدى صوت كلب فيختصّ به ، ويشاركهم فى غيره ؛ ويجيرُ على الدهر فلا تخفر ذمّته ، ويقول : وحش أرضٍ كذا فى جوارى فلا يُهاجُ ، ولا يورِد مع إبله أحد ، ولا توقَدُ نار مع ناره ؛ حتى قالت العَرب : « أعزُّ من كليبِ وائل » .

وكانت بنو جشم وبنو شيبان فى دارٍ واحدة بتهامة ، وكان كليب قد تزوّج [جليلة[٥]] بنت مرّة بن ذهل بن شيبان ، وأخوها جسّاس بن مرّة ؛ وكانت لجسّاس خالة تسمى « البَسوس بنت منقذ التميميّة » ، جاورت ابن أختها

---

(١) البيداء : اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة ، وهى الى مكة اقرب . معجم البلدان .

(٢) فى النسختين : « وهى أول وقيعة كانت بين تهامة واليمن » ، صوابه فى العقد

(٣) فى النسختين : « الميلان » صوابه من العقد . وانظر معجم البلدان .

(٤) التكملة من العقد . وهو جبل بطخفة بين البصرة الى مكة .

(٥) التكملة من العقد

جسّاساً ، وكان لها ناقة يقال لها «سَراب» ، ولها[1] تقول العرب : « أشأمُ من سَراب » ، و «أشأمُ من البَسوس» ، فمرّ إبل كليب بسَراب وهى معقولة بفِناء البسوس ؛ فلما رأت سرابُ الإبلَ خلخلت عقالها[2] وتبعت إبلَ كليب فاختلطتْ بها ، حتى انتهت إلى كليب وهو على الحوض معه قوسٌ وكِنانة ؛ فلما رآها أنكرها فرماها بسهم فى ضرعها ، فنفرت سرابُ وولّت حتى بركت بفِناء صاحبتها ، وضرعُها يشخَب دماً ولبناً ، فبرزت البسوس صارخةً ، يدها على رأسها ، تصيح : واذُلّاه ؟ وأنشأت تقول :

لعمرىَ ، لو أصبحتُ فى دار منقذ　　لما ضِيم سعدٌ وهو جارٌ لأبياتى[3]

ولكنّنى أصبحتُ فى دارِ غُرْبةٍ　　متى يَعْدُ فيها الذئبُ يعدُ على شاتى

فيا سعدُ لا تُغرَرْ بنفسك وارتحلْ　　فإنك فى قوم عن الجار أموات

فلما سمع جسّاسُ صوتَها سكّنها وقال : والله ليُقتلنّ غداً جملٌ عظيمٌ أعظمُ عَقراً من ناقتك . فبلغ كليباً فظن أنه أراد قتلَ (عُلَيّان) ، وهو فحل كريم له ، فقال : هيهات ، « دون عُلَيَّان خَرطُ القتاد » ثم انتجع الحىُّ فمروا على نهر يقال له «شُبَيْث»[4] فنهاهم كليب عنه ، ثم على آخر يقال له « الأحصّ » فنهاهم عنه ، حتى نزلوا على الذنائب[5] فمر جساسٌ بكليب وهو على غدير

---

(١) فى النسختين وكذا فى العقد : « ولها » ، والوجه ما أثبت .

(٢) فى العقد : « نازعت عقالها حتى قطعته » .

(٣) فى حرب البسوس ص ٣٥ : « فى آل منقر » . وبعد هذه الأبيات الثلاثة فيها أربعة أخرى .

(٤) ط : « شبيب » صوابه فى ش والأغانى ٤ : ١٠٤ . وانظر معجم البلدان (الأحص ، وشبيث) وفى رسم الأحص : « فمروا على نهى يقال له شبيث » . ونحوه فى الأغانى .

(٥) ط : « السائب » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح والأغانى

الذنائب منفردا فقال : أطردْت أهلنا[١] عن المياه حتّى كدتَ تقتلهُمْ عطشاً ؟ ! فقال كليب: ما منعناهم من ماء إلاّ ونحن له شاغلون . فقال جسّاس : هذا كفعلك بناقة خالتى قال : أوقد ذكرتها ، [أما إنى[٢]] لو وجدتها فى غير إبل مرّة لاستحللت تلك الإبل . فعطف عليه جسّاس فطعنه فأذراه[٣] ووجد الموتَ فقال : يا جسّاسُ أسقنى ؟ فقال : هيهات ، تجاوزتَ شُبيثاً والأحصّ ؟

ورُوى أن البسوس لمّا صرخت وأحمت جسّاساً ركب فرساً له ، وتبعه عمرو بن الحارث بن ذُهل بن شيبان ، ومعه رمحه ، حتى دخلا على كليبٍ الحمىْ ، فضربه جسّاس فقصم صُلبه ، وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع قَطَنه ، فوقع كليب يفحص برجلِه ، فلما فرغ من قتله جاء إلى أهله وأخبرهم بأنه قتل كليباً ثم هرب . وكان همّام بن مرة أخا جسّاس ، وكان ينادم المهلهل أخا كليب ، وكان قد صادقه وواخاه وعاهده أن لا يكتم عنه شيئاً . فجاءت أَمَةٌ إليه فأسرّت إليه قتلَ جساس كليباً ، فقال له مهلهل : ما قالت لك ؟ فلم يخبره . فذكّره العهد ، فقال: أخبرتْ أن أخى قَتل أخاك . فقال: اَستُ أخيك أضيق من ذلك ! فسكت ، وأقبلا على شرابهما ، فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن وهمّام يشرب شرب الخائف ، فلم تلبث الخمر أن صرعت مهلِهلا ، فانسلّ همام فأتىٰ قومه بنى شيبان وقد قوّضوا الخيام وجمعوا الخيل والنَعم ورحلوا حتى نزلوا بماء يقال له النهى .

٣٠٢

---

(١) ط : « ابلنا » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، ومعجم البلدان (الأحص) والأغانى ٤ : ١٤٠ .

(٢) التكملة من معجم البلدان والأغانى .

(٣) أذراه : ألقاه . وهكذا وردت فى النسختين .

ولما ظهر قتل كليب وأفاق مهلهل اجتمعت إليه وجوه قومه ؛ فاستعدّ لحرب بكر ، وترك النساء والغزل ، وحرّم القِمار والشراب ، وأرسل إلى بني شيبان وهو فى نادى قومه . فقالت الرسل : إنكم أتيتم عظيما بقتلكم كليباً بناب من الإبل ؛ فقطعتم الرحم ، وانتهكتم الحرمة ، وإنّا كرهنا العجلة عليكم دون الإعذار إليكم ؛ ونحن نعرِض عليكم إحدى خلال أربع ، لكم فيها مخرَج ولنا مَقنَع. فقال مرّة : ما هى؟ قالوا : تحيي لنا كليباً ؛ أو تدفع إلينا جسّاساً قاتلَه نقتله به ؛ أو همّاماً فإنه كفء له ؛ أو تمكّننا من نفسك فإن فيكَ وفاءً من دمه . فقال : أما إحيائى كليباً فهذا ما لا يكون ؛ وأما جسّاس فإنه غلام طَعن طعنةً على عجَل ثم ركب فرسه فلا أدرى أىُّ البلاد احتوت عليه ؛ وأما همّام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلُّهم فرسان قومه ، فلن يسلموه إلىّ فأدفعَه إليكم ليُقتل بجريرة غيره ؛ وأمّا أنا فهل هو إلا أن تجول الخيل جَولة فأكون أوّل قتيل فيها[١] فما أتعجّل من الموت ؛ ولكن لكم عندى إحدى خَصلتين : أما إحداهما فهؤلاء بَنىَّ الباقون فعلِّقوا فى عنق من شئتم نِسعة وانطلقوا به إلى رحالكم فاذبحوه ذبحَ الخروف[٢] وإلاّ فألفُ ناقةٍ سوداء المُقَل[٣] ، أقومُ[٤] لكم بها كفيلاً من بكر بن وائل . فغضب القوم وقالوا : لقد أسأتَ فى الجواب وسُمتَنا اللبنَ مِن دم كليب . ووقعت الحرب بينهم ، ولحقت زوجة كليب بأبيها وقومها . ودعت تغلبُ النمر بن قاسط فانضمّت إليها[٥] وصاروا يداً معهم على بكر ، ولحقت بهم غُفَيلة بن

---

(١) فى العقد ٥ : ٢١٦ : « بينها » .
(٢) فى العقد : « ذبح الجزور » .
(٣) فى النسختين : « المقلة » ، صوابه فى ش .
(٤) العقد : « أقيم » . وفى الأغانى : « وان شئتم فلكم ألف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل » .
(٥) العقد : « فانضمت الى بنى كليب » .

قاسط[1] ، واعتزلت قبائل بكر بن وائل وكرهوا مجامعة بنى شيبان ومساعدتهم على قتال إخوتهم ، وأعظموا قتلَ جساس كليباً بناب من الإبل ، فظعنت لُجيم عنهم وكفّت يشكُر عن نُصرتهم ، وانقبض الحارث بن عُباد فى أهل بيته (وهو أبو بجير[2] وفارس النعامة) .

قال أبو المنذر : أخبرنى خِراش : أن أول وقعة على ماء كانت بنو شيبان نازلة عليه[3] ، ورئيس تغلب المهلهل ، ورئيس شيبان الحارث بن مُرّة ، فكانت الدائرة لتغلب ، وكانت الشوكة فى شيبان ؛ واستحرّ القتلُ فيهم ، إلّا أنه لم يقتل فى ذلك اليوم أحد من بنى مُرة .

يوم الذنائب

ثم التقوا بالذنائب وهو أعظم وقعة كانت لهم ، فظفرت بنو تغلب وقُتلت بكرٌ مقتلة عظيمة ، وفيها قتل شَراحيل بن مرّة بن همّام بن مرّة بن ذُهْل بن شيبان (وهو جد الحَوْفَزان ، وهو جدّ معْن بن زائدة . والحوفزان هو الحارث بن شَريك بن عمرو بن قيس بن شَراحيل) قتله عتّاب بن قيس بن زهير بن جُشَم ؛ وقُتِل الحارث بن مرّة بن ذُهْل بن شيبان ، قتله كعب بن زهير بن جشم وقُتل من بنى ذهل بن ثعلبة عمرُو بن مندوس بن شيبان بن ذُهْل بن ثعلبة ؛ وقتل من بنى تيم الله جَميل بن مالك بن تيم الله ، وعبدالله بن مالك بن تيم الله وقُتل من بنى قيس بن ثعلبة [سعد بن ضُبيعة بن قيس ، وتميم ابن قيس بن ثعلبة ، وهو أحد الخرِفين[4]] ، وكان شيخاً كبيراً . فهؤلاء من أصيب من رؤساء بكر يوم الذنائب .

٣٠٣

(١) غفيلة بن قاسط بن هنب كما فى جمهرة ابن حزم ٣٠٠ ومختلف القبائل ١٣ ونهاية الأرب ٢ : ٣٣٠ والقاموس (غفل) وفى النسختين : « عقيلة » تحريف .
(٢) وفى رواية أنه ابن أخيه ، كما سيأتى فى ص ١٧٢
(٣) هو « النهى » كما فى العقد ٥ : ٢١٨
(٤) التكملة من العقد .

يوم واردات

ثم التقوا بواردات ، وعلى الناس رؤساؤهم الذين سمّينا ، فظفرت بنو تغلب واستَحَرَّ القتل فى بنى بكر ، فيومئذ قتل شَعْثَم وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر ابن ذُهل بن ثعلبة ، وسيّار بن حارث بن سيّار ، وفيه قُتل همّام بن مرّة أخو جساس ، فمر به مهلهلٌ مقتولا فقال له : والله ما قُتل بعد كليب قتيل أعزُّ علىَّ فقداً منك ؟ وقتلَه ناشرة ، وكان همّام ربّاه وكفَلَه ، كما كان ربّى حذيفةُ ابن بدر قِرْواشاً فقتله يوم الهَباءة .

يوم عنيزة

ثم التقوا بعُنيزة ، فظفرت بنو تغلب ، ثم كانت بينهم معاودة ووقائعُ كثيرة ، كلُّ ذلك [كانت(١)] الدائرة فيها لبنى تغلب على بنى بكر .

وقال مهلهل يصف الأيام وينعاها على بكر ، فى قصيدة طويلة أوّلها :

أليلَتنا بذى حُسُمٍ أنيرى إذا أنتِ انقضيتِ فلا تَحُورى

وقال مهلهل لما أسرف فى القتل :

أكثرتُ قتلَى بنى بكر بربّهم حتّى بكيتُ وما يَبكى لهم أحدُ

آليتُ بالله لا أرضى بقتلهم حتى أُبهرِج بكراً أينما وُجدوا

(قال أبو حاتم : أبهرج : أدعُهم بَهرَجا لا يقتل فيهم قتيل ولا يؤخذ لهم دية ويقال : المبهرَج من الدَّراهم من هذا) . وقال أيضاً :

يا لَبكر أنشروا لى كليباً . . الأبيات الثلاثة

وله أشعار كثيرة فى رثاء أخيه كليب .

ثم إن المهلهل أسرفَ فى القتل ، ولم يبال بأى قبيلة من قبائل بكر أوقَع ، وكانت أكثرُ بكر قعدت عن نُصرة بنى شيبان لقتلهم كليباً ، وكان الحارث

(١) التكملة من العقد . وفيه بعده : « الدائرة فيه » .

ابن عُباد قد اعتزل تلك الحروب وقال : « لا ناقةٌ لىَ فى هذا ولا جَمَل »

بجير

فذهبت مثلا . فاجتمع قبائل بكر إليه فقالت : قد فَنى قومك ! فأرسل بجيراً ابنَ أخيه إلى مهلهل وقال له : قل له : إنى قد اعتزلتُ قومى لأنهم ظلموك ، وخلّيتك وإياهم . وقد أدركتَ ثأرك وقتلت قومك . فأتى بجير إليه فقتله مهلهل (كما تقدّم شرحه عند الكلام على قوله :

مَنْ صدّ عن نيرانها فأنا ابنُ قيس لا بَرَاحُ

وهو الشاهد التاسع والسبعون[1]) فبعد ذلك نهض الحارثُ للحرب فقاتَلَ تغلبَ حتّي هرب المهلهلُ ،وتفرّقت قبائل تغلب وكان أوَّلَ يوم شهده الحارث ابن عُباد يومُ قِضة (وهو يوم تَحلاق اللِمَ) وفيه أسر الحارث بن عُباد مهلهلا وهو لا يعرفه (واسمه عدىّ بن ربيعة) فقال له : دُلَّنى على عَدىّ وأخلّى عنك فقال له : عليك العهد بذلك إن دللتك عليه ؟ قال : نعم ؛ قال : فأنا عدىّ ! فجزّ ناصيته وتركه . وقال فيه :

لهفَ نفسى على عدى ولم أعـ ـرِفْ عديًا إذْ أمكنتنى اليدانِ

وفيه قتل عمرو وعامر التغلبيان ، قتلهما جَحدر بن ضُبيعة[2].

ثم إن مهلهلا فارقَ قومه ولم يزل مقيما فى أخواله بنى يشكر ضجراً من الحرب وأرسل الحارث بن عمرو بن معاوية الكندى وهو جد امرىء القيس

٣٠٤

ابن حجر فى الصُّلح بينهم والتمليك عليهم ؛ وقد كانوا قالوا : إنّ سُفهاءنا غلبوا علينا وأكل القوىّ منا الضعيف ، فالرأى أن نملّك علينا ملكا نعطيه البعير والشاة فيأخذ من القوىّ ويردّ الظالم ، ولا يكون من بعض قبائلنا فيأباه

(١) صوابه « الحادى والثمانون » . انظر ص ٤٦٧ من الجزء الأول.

(٢) فى النسختين « حجر بن ضبيعة » صوابه من الأغانى والعقد .

الآخرون فلا تنقطع الحروب فأصلح بينهم وشغلهم بحرب اللخميين من بنى غسان ملوك الشام ، وبقى مهلهل وحيداً عند أخواله إلى أن مات . قيل : وُجد ميّتاً بين رجلَىْ جمل هاج عليه . وقيل بل مات أسيراً ، وذلك أنه لما نزل اليمن نزل فى بنى جَنْب (وجَنْب من مَذحِج) فخطبوا إليه ابنته فقال لهم : إنى طريدٌ بينكم فمتى أنكحتكم ؟ قالوا : اقتسروه . فأجبَروه على تزويجها وساقوا إليه فى صَدَاقها أدَماً فقال :

أنكحها فقدُها الأراقمَ فى جَنْب وكان الحِباء من أدمِ

فى أبيات .. ثم انحدر فلقيه عوف بن مالك ، أبو أسماء صاحبةِ المرقّش الأكبر ، فأسره فمات فى أسره .

قال السكّرىّ فى أشعار تغلب :أسر مهلهلا عوفُبن مالك أحدبنى قيس بن ثعلبة ، وإن شبّاناً من شبّان بنى قيس بن ثعلبة أتوا عوفَ بنَ مالك ، أحد بنى قيس فقالوا : أرسل معنا مهلهلاً ، فأرسلَه معهم ، فشرب فلما رجع جعل يتغنّى بهجاء بكر بن وائل ، فسمعه عوف بن مالك فغاظه فقال : لاجرم إن لله علىّ نذراً إنْ شرب عندى قطرةَ ماء ولاخمر حتى يُورَدَ الخُضَير[1] (بمعجمتين مصغرا ، وهو بعير لعوف لايرد الماء إلا سِبْعاً[2]) فقال له أناسٌ من قومه : بئسَ ما حلفتَ! فبعثوا الخيولَ فى طلب البعير فأتوا به بعد ثلاثة أيام ، ومات مهلهل عطشا . وقيل بل قتل[3] . وكان السبب فى قتله : أنه أسنَّ وخرفِ ، وكان له عبدانِ يخدُمانه فملاَّه ، وخرج بهما إلى سفر ، فبينما هو فى بعض

(١) ش : « حتى يؤوب الخضير » .
(٢) السبع بالكسر : ظمء من أظماء الابل ، وهو أن ترد الماء فى اليوم السابع لشربها الأول .
(٣) انظر كتاب البسوس ١١٦ والعمدة ١ : ٢١١

الفلوات عزما على قتله ، فلما عرف ذلك كتب على قَتَب رَحْلِه ، وقيل أوصاهما :

مَن مُبْلِغُ الحيَّين أنّ مهلهِلا لله درُّ كما ودَرُّ أبيكما

ثم قتلاه ورجعا إلى قومه فقالا : مات : وأنشداهم قوله . فقال بعض ولده قيلَ هى ابنته - إنّ مهلهلا لايقول مثل هذا الشعر ! وإنما أراد :

مَن مبلغ الحيَّين أنّ مهلهلا أمسىٰ قتيلاً فى الفَلاة مجدَّلا

لله درُّ كما ودرّ أبيكما لايبرحُ العَبدانِ حتى يُقتَلا

فضربوا العبدَين حتّى أقرّا بقتله[1].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

١١١ (أيا شاعراً لاشاعرَ اليومَ مثلُه جريرٌ ولكنْ فى كليب تواضعُ)

على أنَّ المنادىٰ من قبيل الشبيه بالمضاف إذا كان موصوفا بجملة ؛ فإن جملة (لاشاعر اليوم مثله) من اسم لا وخبرها وهو مِثْله ، صفةٌ للمنادى ، والوصف متقدم على النداء . وبه يسقط ما ذهب إليه سيبويه من أن الوصف بعد النداء ، وتكلّف حتى جعل المنادى فى مثله محذوفا ، وجعل شاعراً منصوبا بفعل محذوف .

٣٠٥

قال الأعلم : الشاهد فيه على مذهب الخليل وسيبويه نصب شاعراً بإضمار

(١) انظر خبرا مماثلا لهذا فى طبقات الشافعية للسبكى ١ : ٢٧٩ - ٢٨٠

(٢) سيبويه ١ : ٣٢٨ والكامل ٦٥٩ والشعراء ٤٧٧ وأمالى القالى ٢: ١٤٢ والمؤتلف ١٤٥

فعل على معنى الاختصاص والتعجب ، والمنادىٰ محذوف ، والمعنى : ياهؤلاء أو ياقوم ، عليكم شاعراً أو حسبكم به شاعراً .

وقال النحاس : كأنه قال : ياقائلَ الشعر عليك شاعراً ، وإنما امتنع عنده أن يكون منادى لأنه نكرة يدخل فيه كل شاعرٍ بالحضرة وهو إنما قصد شاعرا بعينه وهو جرير ، وكان ينبغى أن يبنيه على الضمّ على ما يجرى عليه المخصوص بالنداء . وقال أحمد بن يحيى : ياشاعراً نصب بالنداء ، وفيه معنى التعجب ، والعرب تنادى بالمدح والذمّ وتنصب بالنداء : فيقولون : يارجلاً لم أرَ مثله ! وكذا ، ياطيبَكِ من ليلة ؟ وكذا ياشاعرا . اه

ومثله قول التبريزى أيضا عند قول الحماسى [1] :

أيا طعنةَ ماشيخ كبيرٍ يَفَنٍ بالى

المنادى محذوف .

وشاعراً ليس بمنادى لأنه مقصود إلى واحدٍ بعينه ، والمحذوف يجوز أن يكون هو الشاعر ، ويجوز أن يكون غيره ، فكأنه قال لمن بحضرته : يا هذا حسبُك به شاعراً ، على المدح والتعجّب منه ، ثم بيّن أنه جرير ، ويشبّه هذا الإضمار بقولهم : نعم رجلا زيد . ويجوز أن يكون حسبُك به على شريطة التفسير وبه فى موضع اسم مرفوع لابدّ منه . ويجوز أن تكون الهاء للشاعر الذى جرىٰ ذكره ثم وكّده بقوله جرير ، أى هو جرير . وتقديرُ الخليل ويونس ياقائل الشعر : على أن قائل الشعر غير الشاعر المذكور ، كأنه قال يا شعراء عليكم شاعراً لا شاعر اليومَ مثلُه : أى حسبكم به شاعراً ، فهذا ظاهر كلام سيبويه . ويجوز أن يكون يا قائل الشعر المحذوف هو الشاعر

---

(١) هو الفند الزمانى . الحماسة ٥٣٧ بشرح المرزوقى .

المذكور ، وينتصب شاعراً على الحال ولا شاعر اليوم فى موضع النعت ، واحتاج إلى إضمار قائل الشعر ونحوه حتى يكون المنادىٰ معرفة ، كأنه قال : يا قائل الشعر فى حال . ما هو شاعرٌ لا شاعر مثله ا هـ .

وهذا البيت من قصيدة للصَّلَتانِ العبدىّ عدة أبياتها ثلاثة وعشرون بيتاً أوردها المبرّد فى كتاب الاعتنان ، والقالى فى أماليه ، وابن قتيبة فى كتاب الشعراء إلا أنه حذف منها أبياتا (والاعتنان معناه المعارضة والمناظرة فى الخصومة ، يقال عنّ له : إذا جادَله وعارَضه . والمِعَنّ بكسر الميم وفتح العين : المعارِض : ومضمون كتاب الاعتنان : بيان الأسباب التى اقتضت التهاجى بين جرير والفرزدق) فادَّعى أنّهما حكّماه بينهما فقضى بشرف الفرزدق على جرير وبنى مجاشع على بنى كليب ، وقضى لجرير بأنه أشعرهما . وكليب رهط جرير ومجاشع رهط الفرزدق . والقصيدة هذه :

قصيدة الشاهد

(أنا الصَّلتانُ والذى قد علمتم ... متى مايُحَكَّمْ فهوبالحُكْمِ صَادعُ[(١)]

أتتنى تميمٌ حين هابتْ قُضَاتُها ... وإنى لبالفَصْل المبيّن قاطعُ[(٢)]

كما أنفذَ الأعشىٰ قضيّةَ عامرٍ ... وما لتميم مِن قَضَائى رَوَاجع

ولم يَرْجِع الأعشى قضيّةَ جعفرٍ ... وليس لحُكْمِى آخرَ الدهر راجع

سأقضى قضاءً بينهم غيرَ جائرٍ ... فهل أنتَ للحُكْمِ المبيَّن سامِع

٣٠٦ قضاء امرئٍ لا يتّقى الشتمَ منهم ... وليس له فى الحمد منهم مَنافع[(٣)]

قضاء امرئٍ لا يرتشى فى حُكومةٍ ... إذا مال بالقاضى الرُّشا والمطامعُ

(١) فى الشعراء والأمالى : « أنا الصلتانى »
(٢) ش : « بالفصل المبين لقاطع »
(٣) فى الأمالى والشعراء « فى المدح » .

فإنْ كنتما حَكَّمتمانىَ فاصمُتا ولا تجزعا وليرضَ بالحكم قانع
فإن تجزعا أو ترضَيا لا أُقِلْكما ، وللحقّ بين الناس راضٍ وجازع
فأقسِم ، لا آلو عن الحقّ بينهمْ فإنْ أنا لم أعدِلْ فقُلْ أنت ضالع
فإن يك بحرُ الحنظلِيِّين واحداً فما يستوى حيتانُه والضفادع !
وما يستوى صَدر القناة وزُجُّها وما يستوى شُمّ الذُّرا والأجارِعُ !
وليس الذُّنَابَى كالقُدَامَى وريشِهِ وما تستوى فى الكفّ منك الأصابع
ألاَ إنّما تَحظَى كُليبٌ بِشعرها وبالمجد تحظى دارمٌ والأقارع
ومنهم رءوسٌ يُهتدَى بصدورها والاذنابُ قِدماً للرءوس توابع
أرى الخطَفى بَذَّ الفرزدقَ شعرُه ولكنّ خيراً من كُليب مُجاشِع
« فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مثلُه جريرٌ ولكن فى كُليب تَوَاضع »
جريرٌ أشدّ الشاعرَيْنِ شكيمةً ولكنْ علَتْه الباذخاتُ الفوارع[(١)]
ويرفعُ من شعر الفِرزْدقِ أنه له باذخ لِذِى الخَسِيسة رافعُ
وقد يُحمَدُ السيفُ الدَّدَانُ بجفنِه وتَلْقاه رَثًّا غِمْدُه وهو قاطع
يناشدنى النّصرَ الفرزدقُ بعْدَما ألحَّتْ عليه من جريرٍ صَواقِعُ
فقلت له : إنى وَنصرَك كالذى يُثَبِّت أنفاً كَشَمَّتْه الجوادِع
وقالت كُليبٌ : قد شرُفنا عليهم فقلت لها : سُدّت عليك المطامع[(٢)]

قال المبرِّد : قال أبو عبيدة : فأمّا الفرزدق فرضى حين شرَّفه عليه وقومَه

(١) ط : « عليه » ، صوابه فى ش والأمالى والشعراء
(٢) ط : « شدت » صوابه فى ش والأمالى والشعراء . وفى الأمالى والشعراء : « المطالع » باللام .

على قومه وقال : إنّما الشعر مُروءةُ من لا مُروءةَ له ، وهو أخسّ حظّ الشريف ، وأما جريرٌ فغضب من المنزلة التي أنزله إيّاها فقال يهجوه (وهو أحد بني هِجْرِس) :

أقولُ ولم أملكْ سوابقَ عَبرةٍ : متى كان حُكْمٌ في بيوت الهجارِسِ ؟
فلو كنتَ من رهط المعلّى وطارقٍ قضيتَ قضاءً واضحاً غيرَ لابس

قال : والمعلّى أبو الجارود أو جَدّه ، وطارق : ابنُ النعمان من بني الحارث ابن جَذيمة ، وأم المنذر بن الجارود بنت النعمان . وقال جرير أيضاً :

أقول لعيني قد تحدّر ماؤها متى كان حكم الله في كَرَبِ النخل[1]

فلم يجبه الصّلتان فسقط . اهـ .

أقول : قد أجابه الصلتان بقوله :

تعيِّرنا بالنخلِ والنخلُ مالُنا وودَّ أبوكَ الكلبُ لو كان ذا نَخْلِ !
وأيُّ نبيٍّ كان من غير قريةٍ ! وهل كان حُكْمُ الله إلا مع الرسْلِ

وقيل : هما لُخلَيد عيْنَين . أحد بني عبدالله بن دارم ، وكان ينزل في قرية بالبحرين يقال لها عَيْنَين ، كذا في شرح أمالي القالي لأبي عُبيد البكري[2]

٣٠٧ وقوله « أنا الصلتان والذي » ، روى ابن قتيبة :

* أنا الصَلَتانيّ الذي قد علمتمُ *

بالنسبة إلى الصَّلَتان ، ومعناه في اللغة : النشيط الحديد من الخيل ، والحمار الشديد .

---

(١) في الشعراء والسمط ٧٦٦ : « أقول ولم أملك سوابق عبرة وفي المؤتلف : « أقول وعيني » .

(٢) السمط ٧٦٦ والروض الأنف ٢ : ١٣٥

وقوله « كما أنفذَ الأعشى قضيّة عامر » ، أشار إلى ما حكم به أعشى قيس بينَ عامر بن الطفيل لعنة الله عليه ، وبين ابن عمّه عَلقَمة بن عُلاثة الصحابىّ رضى الله عنه ، وغلّب الأعشى عامراً على علقمة بالباطل وزعم أنهما حكّماه ، وهو كذب ، وقد تقدّم بيانه فى الشاهد السادس والعشرين[1] .

والرواجع : جمع راجعة من رَجعَه بمعنى ردّه ، وأراد بتميم القبيلة .

وقوله : فاصمُتا : أمر من صمَت من باب دخل : إذا سكت وروى المبرّد « فأنِصتا » من أنصت بمعنى سكت واستمع الحديث فالياء من حكمّانى مفتوحة على الرواية الأولى ، ساكنةٌ على الرواية الثانية .

وقوله : لا أُقلْكما : من الإقالة وهى رفع العقد ؛ فإنه عُقد له فى الحكم عليهما كما زعَم ؛ وهو مجزوم فى جواب الشرط .

وقوله : فأقسم لا آلو : أى لا أقصّر ، من الألْو وهو التقصير وروى المبرّد « لا أُلوى » بمعنى لا أُعرض ولا أَحيد . وقوله : فقل أنت ضالع : هو من ضلع من باب نفع : مال عن الحقّ ، يقال ضَلْعك مع فلان أى ميْلك وروى المبرّد « ظالع » بالظاء المشالة ، من ظلع البعير والرجل من باب نفع أيضاً : إذا غمز فى مشيه ، وهو شبيه بالعرَج .

و « الحنظليّين » بالتثنية ، لأن كليب بن يربوع بن حَنظلة قومُ جرير ، ومالكَ بن حنظلة قومُ الفرزدق . والزُّج بضم الزاى المعجمة : الحديدة التى فى أسفل الرمح ، وصدر القناة من السنان إلى ثلثها . وشُمُّ الذُرا : أى جبال شُم الذُرا ، يقال جبل أشم أى طويل ، والذُّرا : جمع ذِرُوة وهو أعلى الشىء . والأجارع : جمع أجرَع ، وهو رملة مستوية لا تنبت شيئاً ؛ ومؤنثه الجرعاء .

(١) انظر الجزء الأول ص ١٨٤

وروى ابن قتيبة والمبرّد : « والأكارع » جمع أكرُع جمع كُراع ، وهو فى الغنم والبقر ، بمنزلة الوظيف فى الفرس والبعير ، وهو مُستدَقّ الساق . فالمراد : بالذرا : جمع ذِرُوة ، بمعنى أعلى السنام .

وقوله : « وليس الذُنابىٰ كالقُدامى » الذنابى بضم الذال والقصْر : ذنَب الطائر وهو أكثر من الذنب ، والقدامى بضم القاف والقصْر : إحدى قوادم الطائر ، وهى مقاديم ريشه ، وهى عشرٌ فى كلّ جَناح ، ويقال قادمة أيضاً وجمعها قَوادِم .

وتحظى : من الحظوة بالظاء المعجمة بمعنى الصَّلف والافتخار . و «دارِم» هو دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . واسم دارم «بحر» وذلك أن أباهُ أتاه قوم فى حَمالة أى فى طلب دِيَة ، فقال له : يا بحرُ آئتنى بخريطة ، وكان فيها مال، فجاء يحملها وهو يدرِم تحتها من ثِقَلها ، فسمىّ دارما ، يقال درَم فلان : إذا قارب الخُطا . و « الأقارع » أراد به الأقرعَين ، وهما الأقرع بن حابس وأخوه مرْثَد التميميّان .

وقوله : أرى الخَطَفَى ، بفتح الخاء المعجمة والطاء والفاء والقصر : اسم والد جرير ؛ سمّاه باسم أبيه . وبذّه : غلبه . وشعرُه : فاعله . والتواضع : الانحطاط من الذل ، والوضيع : الدنىء من الناس . والشكيمة : الشِّدّة ، يقال فلان ذو شكيمة : إذا كان لا ينقاد ، وفلان شديد الشكيمة : إذا كان شديد النفْس أبيّا .

الباذخات : أى المراتب العاليات ، يقال شرف باذخ أى عال ، وكذلك الفوارع : يقال فرَعْت قومى : أى علوتهم بالشرف أو بالجمال :

وقوله « ويرفع من شعر الفرزدق . . الخ » ، يقال : رفعت من خسيسته :

إذا فعلتَ به فعلا تكونُ فيه رفعتُه . يريد أن الفرزدق له شرف باذخ ، ولكن شِعره دنِىء . فالقول يرتفع برفعة القائل . وروى المبرّد :

٣٠٨

* ينوء ببَيتٍ للخسيسة رافِع *

أى ينهض ويقوم بالبيت الردىء من الشعر فيرفعه .

والسيف الدَّدان : الذى لا يقطع . وهذا المصراع ناظرٌ لقوله :

* جرير أشد الشاعرَيْن شكيمةً *

والرثُّ : البالى . والجَفن : قِراب السيف ، وهو الغِمد أيضاً . وهذا المصراع ناظر إلى قوله :

ويرفع من شعر الفرزدق أنه .. البيت

والصواقِع : جمع صاقِعة لغة فى الصاعقة . وقوله « كشّمته الجوادع » قال القالى فى أماليه : « كشَم أنفه . إذا قطعه» . والجوادع : جمع جادعة وهى التى تقطع الأنف . وروى المبرد : « هشَمته الجوادع » .

الصلتان العبدى

و (الصَّلَتان) اسمه قُثَم (بضم القاف وفتح المثلثة) ابن خَبِيّة (بفتح الخاء المعجمة وكسر الموحدة وتشديد المثناة التحتية ، وأصلها الهمز) وهو أحد بنى محارب بن عمرو بن وَديعة [بن لُكيز بن أفصى[1]] بن عَبْدِ القَيس ، وينسب إليه فيقال (العبدىّ) .

قال الآمدى فى المؤتلف : هو شاعر مشهور خبيث . وشاعران آخران يقال لهما : الصَّلَتان :

أحدهما الصلتان الضبّيّ — قال الآمدى — ولستُ أعرفه فى شعراء بنى

(١) التكملة من المؤتلف ١٤٥

ضبّة وأظنّه متأخراً . قال أبو عمرو بُندار[١] فى كتاب معانى الشعراء[٢] قال أبو زيد — أحسبه أنشدنيه — فى صفة ناقته .

كأن يدَىْ عنسى إذا هىَ هَجّرت ... هِراوةُ حُبّى تنفض الغصنَ الّدْنا[٣]

حبًّ : امرأته .

والثانى : الصلَتان الفهمىّ ، قال الآمدى : لستُ أعرفه فى شعرائهم وأظنّه متأخّراً . أنشد له الجاحظ فى البيان والتبيين[٤] :

العبدُ يُقرعَ بالعصا ... والحُرّ تكفيه الإشاره

وذكره ابن المعتز فى سرِقات الشعراء ، وحكاه أيضاً عن الجاحظ .

ومن مشهور شعر الصلَتان العبْدىّ ما أنشده ابن قتيبة فى كتاب الشعراء[٥] قوله :

أشابَ الصغيرَ وأفنى الكبـ ... ـيرَ كرُّ الغداة ومرُّ العشِى

إذا هرِمَت ليـلةٌ يومها ... أتَى بعـد ذلك يومٌ فتِي

نروحُ ونغدُو لحاجاتِنا ... وحاجةُ مَن عاش لا تنقضى

تموتُ مع المرء حاجاته ... وتبقىْ له حاجةٌ ما بقى

---

(١) بندار بن لُرّة الكرجى كما ذكر الميمنى انباه الرواة ١ : ٢٥٧ ومعجم الأدباء ٧ : ١٢٨ . ويصحف بابن لزة ، وابن لدة . والكرخى . وفى المؤتلف : « بندار بن لرّة الكرخى » .

(٢) فى المؤتلف : « معانى الشعر » .

(٣) ش : « هراوة عيسى » ط : « هراوة حتى » ، صوابهما فى المؤتلف .

(٤) البيان ٣ : ٣٧ . وفيه أن اسم الشاعر « الفلتان الفهمى »

(٥) الشعراء ٤٧٨ . وانظر الحماسة ١٢٠٩ بشرح المرزوقى ومعاهد التنصيص ١ : ٢٧ والسمط ٧٦٦والحيوان ٣ : ٤٧٧ وذكر الجاحظ أن هذه الأبيات للصلتان السعدى ، وهو غير العبدى ، فهو صلتان رابع .

إذا قلتَ يوماً لمن قد ترى : أرونى السرىّ ، أرَوْكَ الغني
ألم ترَ لُقمانَ أوصى بَنيه وأوصيتُ عَمْراً ونعم الوَصِى
بُنىَّ ، بداخِبٌّ نجوى الرجالِ فكنْ عند سرِّك خَبَّ النجى(١)
وسرُّك ما كان عند امرئٍ وسرُّ الثلاثة غيرُ الخفى
وزاد عليه أبو تمّام فى الحماسة :
كما الصَّمتُ أدنىٰ لبعض الرشاد فبعضُ التكلُّم أدنى لغى(٢)
ودع النفس اتباع الهوى فما للفتى كل ما يشتهى(٣)
ومطلع هذه الأبيات من شواهد تلخيص المفتاح للقزوينى .

* * *

وأنشد بعده . وهو الشاهد الثانى عشر بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه(٤) :

١١٢ (أعَبداً حلَّ فى شُعَبي غريباً ألؤُماً لا أبالكَ واغترابا)(٥)

على أنّ (جملة حلّ) صفة للمنادى قبل النداء ؛ وهو من قبيل الشبيه ٣٠٩

(١) قال المرزوقى : « فالخب المكر بكسر الخاء ، والخب بفتحها : المكار . والنجوى مصدر ، وهو يستعمل فيما يتحدث فيه اثنان على طريق الستر والكتمان فيقول : اذا ناجيت صاحباً لك فكن خبا فيما تودعه من سرك، فان نجوى الرجال اذا بدأ خبها ومكر اربابها فيها عادت وبالاً وفضيحة » . ش: « بنى اذا خب نجوى » ط : « بنى بدا خبء نجوى » ، صوابهما من الحماسة .
(٢) هذا البيت من رواية التبريزى فقط .
(٣) وهذا البيت لم يرد فى الحماسة ، وليس له مرجع . وفى ط : ودع التقى ... فما للتقى » وأثبت ما فى ش
(٤) سيبويه ١ : ١٧٠ ، ١٧٣ . وانظر العينى ٣ : ٤/٤٩ : ٢١٥ . ٥٠٦ ومعجم البلدان (شعبى) وديوان جرير ٦٢
(٥) ضبط فى ش : « اعبدٌ » بالرفع ، وهو خطأ .

بالمضاف وعند سيبويه ما تقدّم ذكره قبل هذا .

قال ابن خلف — تبعاً للنحّاس — : « وقوله أعبداً ، أجاز س أن يكون منادى منكوراً ، وأن يكون منصوباً على الحال كأنه قال : أتفخر فى حال عبوديّة ولا يليق الفخر بالعبوديّة ! » اهـ .

وعلى هذا فالهمزة للاستفهام ، [وعبداً[١]] وجملة حلّ وغريباً أحوال من ضمير تفخر ، وعلى الأوّل فجملة حلّ صفة للمنادىٰ ، وغريباً حال من ضمير حلّ ، وقيل صفة أخرى للمنادى :

وقد نقل ابن السِّيد فى شرح أبيات الجمل الوجهين : النداء والاستفهام عن سيبويه .

وأنشد سيبويه هذا البيتَ على أن لؤماً واغتراباً منصوبان بفعل محذوف على طريق الانكار التوبيخى ؛ كأنه قال : أتلؤم لؤماً وتغترب اغتراباً ، ويجوز أن يكون التقدير : أتجمع لؤماً واغتراباً فتنصبهما بفعل واحد مضمر . وهذا أحسن لأنّ المنكَر إنما هو جمعُ اللؤم والغربة ؛

(و (اللؤم) بالهمز : ضدّ الكرم ، وهو فعل الأمور الخسيسة الدنيئة ، وفعله من باب كرم .

وقوله (لا أبالك) جملة معترِضة ، وهذا يكون للمدح : بأن يراد نفى نظير الممدوح بنفى أبيه ، ويكون للذم : بأن يراد أنه مجهول النسب وهذا هو المراد هنا . وقال السيوطى فى شرح شواهد[٢] المغنى . « هى كلمة تستعمل عند

(١) التكملة من ش ، وهى تدل على السهو الذى نبهت عليه فى الحاشية السابقة .

(٢) انظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٩٠ . وليس الكلام فيه خاصا بهذا الشاهد ، بل لقول جرير :

يا تيم تيم عدى لا أبالكم لا يلقينكم فى سوءة عمر

الغلظة فى الخطاب ، وأصله أن ينسب المخاطب إلى غير أبٍ معلوم ، شتماً له واحتقاراً ، ثم كثر فى الاستعمال حتى صار يقال فى كل خطاب يُغلَّظ فيه على المخاطب . وحكى أبو الحسن(١) [ابن] الأخضر : كان العرب تستحسن لا أبالك ، وتستقبح لا أمَّ لك ، لأنَّ الأمَّ مشفقة حنينة(٢) » اهـ .

وقال العينى : وقد يُذكر فى معرض التعجّب دفعاً للعين ، كقولهم : لله درّك ! وقد يستعمل بمعنى جِدّ فى أمرك وشمِّرْ ، لأن من له أب يتّكل عليه فى بعض شأنه .

قال اللخمىّ فى شرح أبيات الجمل : اللام فى لك مقحَمَة والكاف فى محل خفض بها ، لأنه لو كان الخفض بالإضافة أدّى إلى تعليق حرف الجرّ ، فالجرُّ باللام وإن كانت مقحمة كالجرّ بالباء وهى زائدة ؛ وانما أقحمت مراعاة لعملِ لا ، لأنها لا تعمل إلاّ فى النكرات ، وثبتت الألف مراعاة للإضافة ؛ فاجتمع فى هذه المسألة شيئان متضادّان : اتصال وانفصال : فثبات الألف دليل على الاتصال من جهة الإضافة فى المعنى ، وثباتُ اللام دليل على الانفصال فى اللفظ مراعاة لعمل لا . فهذه مسألة قد روعيت لفظاً ومعنى . وخبر « لا » التبرئةِ محذوف ، أى لا أبالك بالحضرة .

---

(١) فى النسختين : «أبو الحسن الأخفش» ، صوابه من شرح شواهد المغنى للسيوطى ، ومما سيأتى من نقل البغدادى عنها فى الشاهد ١٣٢ ص ٣٦٠ بولاق . وأبو الحسن بن الأخضر ، هو على بن عبد الرحمن بن مهدى الاشبيلى ، تلميذ الأعلم وأستاذ القاضى عياض . توفى باشبيلية سنة ٥١٤ . انظر بغية الوعاة .

(٢) فى النسختين : «وتستقبح لا أم لك أى مشفقة حنينة» والصواب من السيوطى ، ومما سيأتى فى الشاهد ١٣٢

و (شُعَبَيْ) بضم الشين والقصر والألف للتأنيث . قال السكرى فى أشعار تغلب : هى جبال منيعة متدانية بين أيسر الشِّمال وبين مغيب الشمس من ضَرِيّة ، على قريب من ثمانية أميال . وقيل جبل أسود وله شعاب فيها أوشال تحبس الماء من سنة إلى سنة . وفى معجم ما استعجم للبكرى : « قال يعقوب : شعبي : جبيلات متشعّبة ، ولذلك قيل شعبي ، وقال عمارة : هى هضبة بحمى ضرية . ومن أصحاب شعبي العباسُ بن يزيد الكندى ، وكان هناك نازلاً فى غير قومه ، قال جرير يعنى العباسَ :

أعَبداً حلّ فى شعَبَيْ غريباً . . . البيت » انتهى .

ومثله لابن السيد فى شرح أبيات الجمل .

قال أبو محمد الأعرابى فى فُرحة الأديب : وإنما عيّر جريرٌ العباسَ بن يَزيد بحلوله فى شعبي ، لأنه كان حليفاً لبنى فَزارة ، وشعبي من بلادهم ، وهو كندىّ والحِلْف عندهم عار .

٣١٠ قال : وكان السبب فى قول جرير هذا الشعر : أنه لما هجا الراعىَ النميرىّ بقوله من قصيدة :

إذا غضبتْ عليك بنو تميمٍ حسبتَ الناسَ كلَّهم غضابا

عارضَه العباسُ بن يزيد الكندىّ ، وكان مقيما بشَعَبي ، فقال :

ألا رغِمتْ أنوف بنى تميم فُساة التمر إن كانوا غضابا
لقد غضبتْ علىّ بنو تميم فما نكأت بغضبتها ذُبابا
لو اطلع الغرابُ على تميم وما فيها من السوءات شابا

فقال جرير يهجوه :

إذا جَهل الشقىُّ ولم يقدِّرْ لبعض الأمر أوشكَ أن يُصابا

ستطلعُ من ذُرا شُعَبي قوافٍ على الكندىِّ تَلتهبُ التهابا

أعَبداً حلَّ فى شُعَبَيْ غريباً . . . . البيت

فما تخفَى هُضيبةُ حين تمشِى ولا إطعام سَخلتِها الكلابا[1]

تُخرِّقُ بالمشاقص حالبيها وقد حَلَّت مشيمتها الثيابا[2]

انتهى . ومثله فى الأغانى حكاية عن جرير مع الحجّاج بن يوسف الثقفى قال : هجانى العباس بن يزيد الكندى بقوله :

ألا رغمت أنوف بنى تميم . . . الأبيات

فتركته خمس سنين لا أهجوه ، ثم قدِمت الكوفة فأتيت مجلس كِندة ، فطلبت إليهم أن يكفّوه عنى [فقالوا : ما نكُفُّه[3]] وإنه لشاعر ، وأوعدونى به فمكثتُ قليلاثم بعثوا إلىّ راكباً فأخبرونى بمثالبه وجواره فى طيء حيث جاور غِفاراً[4] وأحبل أخته هضيبة[5] . فقلت :

إذا جهل الشقى ولم يقدِّر . . . . البيت

---

(١) هضيبة : أخت العباس بن يزيد الكندى .

(٢) الخطاب فيه للعباس، وكانت هضيبة فجرت،فقتل العباس ولدها فرمى به وقتلها هى أيضا فرمي بها كما سيأتى وكما فى شرح الديوان . وفى الديوان : « يقطع بالمعابل » . وفى الأغانى ٧ : ٤٣ :
« وقد بلت مشيمتها الترابا » .

(٣) التكملة من الأغانى .

(٤) فى الأغانى « عتابا » . وفى ديوان جرير ٦٣ :

أعنابا تجاور حين أجنت نخيل أجا وأعنزه الربابا

وعناب هذا . رجل من بنى نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيىء ، وهو أبو حريث بن عناب
انظر المؤتلف ١٦١ وشرح الحماسة للمرزوقى ٢٥٥ .

(٥) كذا . والصواب : « وحبلَ أخته هضيبة » ، لأن الذى احبلها فيما يبدو هم بنو عناب ، قال جرير بعدَ البيت السالف :

أصابوا الجار ليلة غاب عنهم فبئس القوم اذ شهدوا وغابا

أعَبداً حلّ فى شُعَبي غريباً . . . . البيت

فما تخفى هُضيبة حيث تمشى[١] . . . . البيت

تخرّق بالمشاقص حالبيها . . . . البيت

فقد حملت ثمانيةً وأوفتْ بتاسِعها وتحسَبُها كَعَابا

انتهى . أراد بَسخلتها : ولدها الذى ولدته لزِنْية ورَمَتْه للكلاب فأكلته . والمشاقص : جمع مِشْقَص ، وهو النَّصل العريض يكون فى السهم . والحالبان : عِرْقان مكتنفان بالسرّة . ومَشِيمتها : مايخرج بعد الولد . . يعنى أنها لما حبلت[٢] شقّت حالبيها بمِشْقص لترمى الولد[٣] . والكَعاب بالفتح ، وهى الكاعب ، وهى الجارية التى نَهَد ثديُها .

وقال اللخمىّ : هذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها البَعيث ، واسمه خِداش بن بشر المجاشعى . ثم أنشد هذه الأبيات . وقال : أراد بالعبد البعيث .

وقال العينى : هو من قصيدة لجرير يهجو بها خالد بن يزيد الكندىّ[٤] وأولها :

أخالدُ ، عادَ وعدكمُ خِلابا ومنّيت المواعدَ والكِذابا

أخالدُ ، كان أهلك لى صديقاً فقد أمسوا بحُبّكم حِرابا[٥]

---

(١) فى الأغانى ٧ : ٤٣ : « حين تمسى » .

(٢) ط : « حلبت » ، صوابه فى ش

(٣) الوجه : « شققت » بالخطاب لعباس ، لأن الذى فعل ذلك تخلصا من عارها هو أخوها العباس .

(٤) الظاهر أن هذا وهم من العينى ، فان خالد هنا مرخم خالدة لامرأة يشبب بها ، على عادة الشعراء فى الغزل ، ومطلع قصيدته غزل وفى الديوان ٦٠ بعد البيت الأول من الأبيات التالية :

الم تتبينى كلفى ووجدى غداة يرد أهلكم الركابا

(٥) ط فقط : « بحيكم » بالياء المثناة ، وأثبت ما فى ش والعينى ، وفى الديوان : « لحبكم » . والحراب : المحاربة ، أو جمع حربة .

بنفسى مَن أزور فلا أراه ويَضرب دونه الخدمُ الحجابا !
أخالد ، لو سألتَ علمتَ أنى لقيتُ بحبكَ العجب العُجابا
ستطلعُ من ذُرا شُعَبي قواف .... البيت ٣١١
أعَبداً حلّ فى شُعَبىٰ غريبـاً .... البيت
ويوماً فى فزارة مستجـيراً ويوماً ناشداً حِلفاً كِلابا
إذا جَهِـل اللئـيم ولم يقـدِّر .... البيت . اهـ

والظاهر أن هذه الأبيات ليست منتظمة فى نسق واحد . والله أعلم .

(فائدة)

قد جاء على (فُعَلىٰ) تسع كلمات : إحداها : شُعَبىٰ ، وقد شرحت . وثانيها : أُدَمىٰ بالدال والميم ، وهو موضع ، وقيل حجارة حمر فى أرض قُشَير . ثالثها : أُرَبىٰ بالراء المهملة والموحدة ، وهى الداهية . رابعها : أُرَنىٰ بالراء والنون : حَبٌّ يجعل فى اللبن فيثخنه (١) . خامسها : حُلَكىٰ بالحاء المهملة واللام والكاف لضرب من العَظاء ، وقيل دابّة تغوص فى الرمل . سادسها : جُنَفىٰ بالجيم والنون والفاء ، وهو اسم موضع . سابعها : حُنَفىٰ بالحاء المهملة والنون والفاء ، وهو اسم جبل . ثامنها : جُعَبىٰ بالجيم والعين والموحدة للعِظام من النمل . تاسعها : جُمَدىٰ بالجيم والميم والدال وهو اسم موضع .

وترجمة جرير قد تقدّمت فى أوائل الكتاب فى الشاهد الرابع (٢) .

* * *

(١) ط : « يسخنه » صوابه فى ش . وانظر اللسان والقاموس (أرن) .

(٢) انظر ما مضى فى الجزء الأول ص ٧٥

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه (١) :

١١٣ (أداراً بحُزْوَىٰ هِجْتِ للعين عَبرةً فماء الهوى يَرْفَضُّ أو يترقرقُ)

على أن المنادىٰ من قبيل الشبيه بالمضاف ، والجارّ والمجرور صفته قبل النداء .

ولهذا أنشده سيبويه . قال الأعلم : الشاهد فيه نصبُ داراً لأنه منادى منكور فى اللفظ لاتصاله بالمجرور بعده ، ووقوعه موقع صفته ، كأنه قال : أداراً مستقرّة بحُزْوى ، فجرى لفظه على التنكير وإن كان مقصودا بالنداء معرفةً فى التحصيل . ونظيره مما ينتصب ، وهو معرفة ، لأن ما بعده من صلته ، فضارعَ المضافَ (٢) قولُهم : يا خيراً من زيد ، وكذلك ما نقل إلى النداء موصوفاً بما توصف به النكرة جرى عليه لفظ المنادىٰ المنكور ، وإن كان فى المعنى معرفة اهـ .

و (حُزْوىٰ) بضم المهملة وسكون الزاى المعجمة ، قال البكرىّ فى معجم ما استعجم : هو موضع فى ديار بنى تَميم ، وقال الأحول : حُزوىٰ وخَفّان : موضعان قريبان من السَّواد والخورنق (٣) من الكوفة » .

(وهِجتِ) جواب النداء ، ويقال له : المقصود بالنداء . وقال ابن السِّيد: « جملة هجتِ صفة ثانية للمنادى ، أو خبر مبتدإ محذوف أى أنت هجت » .

(١) سيبويه ١ : ٣١١ وانظر العينى ٤ : ٢٣٦ ، ٥٧٩ وديوان ذى الرمة ٣٨٩ .

(٢) فى النسختين : « مضارع المضاف » ، صوابه من الشنتمرى ١ : ٣١١ .

(٣) فى النسختين : « والخوارق » صوابه من معجم ما استعجم .

وفيه نظر . وهاج هنا متعدٍّ ، يقال هجت الشىء وهيّجته : إذا أثرتَه ، ويأتى لازما ، يقال هاج الشىء : إذا ثار . و (عَبْرةً) مفعوله بفتح العين بمعنى الدمعة و (للعين) كان فى الأصل صفة لعبرة ، فلما قدّم صار حالا منها . والعَبْرة تكون جارية ومتحيّرة وساكنة وقاطرة . و (ماء الهوى) هو الدَّمع ، وأضافه إلى الهوى أى العشق ، لأنه هو الباعث لجريانه . و (يرفضّ) بالفاء والضاد : يسيل بعضه فى إثر بعض ؛ وكلُّ متناثِرٍ مرفضّ . و (يترقرق) : يبقى فى العين متحيِّرا يجىء ويذهب ؛ ورقراق السراب من ذلك . وحكى بعضهم أن يترقرق هنا بمعنى يترقّق .

وهذا البيت مطلع قصيدةٍ طويلة لذى الرُّمّة ، عدة أبياتها سبعة وخمسون بيتاً ، كلّها غزل وتشبيب بمىّ . وقد أخذهُ من « زُهير بن جنَاب » ، وهو شاعرٌ جاهلى من قصيدة فيها :

٣١٢

وذِى دارُسلمى قد عرَفت رسومهَا فعُجتُ إليها والدموع ترَقْرَقُ

وكادتْ تُبين القولَ لمّا سألتُها وتُخبرُنى لو كانت الدار تنطق

فيا دار سلمىٰ هجتِ للعين عبَرة فماء الهوىٰ يرفضّ أو يتدفّق

و « أو » فى البيتين بمعنى الواو . وقد أخذ منه بيتا آخر وهو :

وَقفْنا فسلّمنا فكادت بمُسرِف لِعرفانِ صوتى ، دِمنةُ الدارتَنطقُ

و « مُسرِف » بضم الميم وسكون السين وكسر الراء المهملتين[١] اسم موضع .

ومن قصيدة ذى الرُّمّة :

---

(١) هكذا نص البغدادى ، وصوابه « مشرف » بالشين المعجمة ، وبذلك صححها الشنقيطى فى نسخته . وانظر معجم البلدان .

(وإنسانُ عينى يَحسِرُ الماءُ تارةً فيبدو ، وتاراتٍ يَجُمّ فيغرَقُ)

وهو من شواهد مغنى اللبيب . وحسر المـاء من باب ضرب : نضَب عن موضعه وغار . ويَجُمُّ بضم الجيم وكسرها : مضارع جمَّ المـاء جموما أى كَثُر وارتفع . ويغرَق ، بفتح الراء : مضارع غرِق بكسرها . وفى إفراد تارةً أوّلاً وجمعِها ثانياً إشارةٌ إلى أن غلَبة البكاءِ عليه هى غالب أحواله .

وجملة يحسِر الماء وقعت خبرًا عن قوله إنسان عينى ، وهى خالية عن رابط محذوف ، أى يحسر المـاء عنه ؛ وقيل : هو ألْ فى الماء ، لنيابتها عن الضمير والأصل ماؤه ؛ وقيل هو على تقدير أداة الشرط ، وقدّره شارح ديوان ذى الرمّة محمدُ بن حَبيب : (إذا) ، وقدره غيره : (إنْ) ، وهو الصحيح لأنَّها أمّ الباب ، فلما حذفت ارتفع الفعل ، والجملة الشرطية إذا وقعت خبراً لمْ يُشترط كون الروابط فى الشرط بل فى أيِّهما من الشرط والجزاء وُجد كفَى . وقال ابن هشام فى المغنى ، تبعا لأبى حيان : الفاء السببية نزّلتْ الجملتين منزلةَ جملةٍ واحدة فا كتُفى منهما بضمير واحد ، فالخبر مجموعهما .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد المائة[1] :

١١٤ (ألا يا نخلةً مِنْ ذات عِرْقٍ عليكِ ورحمةُ اللهِ السلامُ)

على أن الجار والمجرور صفة لنخلة قبل النداء ، والمنادىٰ من قبيل الشبيه بالمضاف . وقوله (عليك ورحمة الله السلام) مذهب أبى الحسن الأخفش :

(١) انظر الهمع ١ : ١٧٣ ، ٢/٢٢٠ : ١٣٠ ، ١٤٠ وشرح شـواهد المغنى ٢٦٣ وابن الشجرى ١ : ١٨٠ والخصائص ٢ : ٣٨٦ ومجالس ثعلب ٢٣٩ وأمالى الزجاجى ٨١ وتحرير التحبير ١٤٥ . وهو تكرار للشاهد ٦٣ .

أنه أراد عليك السلام ورحمة الله ، فقدّم المعطوف ضرورةً ؛ لأن السَّلام عنده مرفوع بالاستقرار المقدّر فى الظرف . ولا يلزم هذا على مذهب سيبويه ، لأن السلام عنده مرفوع بالابتداء ، وعليك خبر مقدّم ، ورحمة الله معطوف على الضمير المرفوع فى عليك . غير أنه من عطف ظاهر على مضمر من غير تأكيد ، وذلك جائز فى الشعر ، وقد أجازه قوم فى سعة الكلام ، كذا فى شرح أبيات الجمل لابن السِّيد واللَّخمىّ .

وروى ثعلب فى أماليه المصراع الثانى هكذا :

* بَرُودَ الظلِّ شاعَكُمُ السلامُ *

شاعكم : تبعكم . انتهى . و (ذات عرق) : موضع بالحجاز ، وفى المرصَّع لابن الأثير : ذات عِرْق : ميقات أهل العراق للاحرام بالحجّ .

وهذا البيت أوّل أبيات ثلاثة نُسبت للأحوص ، أوردها الدَّميرى وابن أبى الإصبعَ فى تحرير التحبير . والبيتان الآخران هما :

٣١٣

سألتُ الناسَ عنكِ فخبَّرونى ... هَناً من ذاكِ تَكرهه الكرامُ
وليس بما أحلَّ اللهُ بأسٌ ... إذا هو لم يخالطْه الحرامُ

قال ابن أبى الإصبع : « ومن مليح الكناية : النخلة ، فإن هذا الشاعر كنّى عن المرأة بالنخلة ، وبالهناة عن الرَّفث ؛ فأما الهناة فمن عادة العرب الكناية بها عن مثل ذلك ، وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن ظريف الكناية وغريبها » انتهى .

وأصل ذلك : أن عمر بن الخطاب كان نهى الشعراء عن ذكر النساء فى أشعارهم ، لما فى ذلك من الفضيحة ؛ وكان الشعراء يكنُون عن النساء بالشجر وغيره ، ولذلك قال حُميد بن ثور الهلالىّ :

وهلْ أنا إن علّلت نفسي بسَرحة من السَرحِ مسدودٌ عليَّ طريقُ

أبى اللهُ إلاّ أنّ سَرْحةَ مالك على كلِّ أفنانِ العضاهِ تروقُ

وعُلم بهذا سقوط قول اللخمىّ : سلّمَ على النخلة لأنّها معهَدُ أحبابه ، أو ملعبُه مع أترابه ؛ لأن العرب تقيم المنازل مُقام سكّانها ، فتسلّم عليها وتُكثر من الحنين إليها ؛ قال الشاعر :

هو البحترى

ديوانه ٨٢ المعارف

وكمثلِ الأحبابِ ، لو يعلَم العا ذل عندى منازلُ الأحبابِ

ويحتمل أن يكون كنى عن محبوبته بالنخلة لئلا يشهرَها ، وخوفاً من أهلها وقرابتها . انتهى .

وترجمة الأحوص تقدمت فى الشاهد الثامن والثمانين[١]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد المائة ، وهو من شواهد س[٢]:

١١٥ (فيا راكباً،إما عرَضْتَ فبلِّغنْ نَداماىَ من نَجْرانَ أن لاتلاقِيا)

على أن المنادى هنا عند الكسائى والفرّاء إمّا معرفة بالقصد ، وإمّا أصله يا رجلا راكباً ، لأنّهما لا يجيزان نداء النكرة مفردَة ، بل يوجبان الصفة . والصحيح جواز نداء النكرة غير المقصودة .

وأنشده سيبويه لِما قلنا . قال الأعلم : الشاهد فيه نصب راكب ، لأنه

(١) صوابه الشاهد ٨٥ . وانظر أيضا الشاهد ٩٠

(٢) سيبويه ١ : ٣١٢ . وانظر العينى ٣ : ٤٢ / ٤ : ٤٠٦ وابن يعيش ١ : ١٢٧ ـ ١٢٩ والخصائص ٢ : ٤٤٨ وأمالى القالى ٣ : ١٣٢ والمفضليات ١٥٦ والأغانى ١٥ : ٧٢ وشرح شواهد المغنى ٢٣١

منادى منكور، إذْ لم يقصد به قصد راكب بعينه، إنما التمس راكباً من الركْبان يُبلِغ قومَهَ خبرَه وتحيّته، ولو أراد راكباً بعينه لبناه على الضمّ ولم يَجزْ له تنوينه ونصبه. انتهى.

وأغربَ أبو عبيدة حيث قال: أراد ياراكِباه للندبة، فحذف الهاء كقوله تعالى: (يا أسَفَا علَى يُوسُفَ)، مع أنّ الثقاتِ رَوَوْه بالنصب والتنوين، إلاّ الأصمعيَّ فإنه كان ينشده بلا تنوين. كذا نقله ابن الأنباريّ فى شرح المفضليّات.

وهذا البيت من قصيدة عدّتها عشرون بيتاً لعَبد يَغُوثَ الحارثىّ اليمنىّ. قالها بعد أن أسِر فى يوم الكُلاب الثانى: كُلاب تَيم واليمن[1] وقتل أسيراً[2].

ولمالك بن الرَيْب قصيدةٌ على هذا الوزن والروىّ، فيها بيت يشبه البيتَ الشاهد، وهو:

« فيا صاحبي إمّا عرضتَ فبلِّغنْ بنى مازنٍ والرَيْبِ أن لاتلاقِياَ »

وهذا غير ذاك قطعاً. فقول شرّاح أبيات سيبويه فى البيت الشاهد: إنه لعبديغوث، ويروى لمالك بن الريب، غير جيّد.

و . . . . . .[3] بن جَهم، أحد بنى الحارث بن سعد من بنى أسد وهو:

أياراكباً إمّا عرَضْتَ فبلغن بنى عمّنا من عبد شَمس وهاشِم

(١) ش: « تميم واليمن »، صوابه فى ط. وانظر (كلاب) فى معجم البلدان وما سيأتى فى ٣١٦ بولاق.
(٢) ش: « أسر »، وبعدها بياض، مع اسقاط كلمة « وقتل » « قبلها ».
(٣) بياض فى الأصل بمقدار ست كلمات.

٣١٤ أمن عمل الجَرَّافِ أمس وظلمِهِ وعُدْوانِهِ أعتبتمونا براسِمِ [١]

عرَضت هنا بمعنى تعرّضت والجَرّاف: اسم رجل، وراسم كذلك: وكان الجرّاف ولى صدقاتِ هؤلاء القوم فظلمهم، فشكوا فعُزِل وولى راسمٌ مكانه، فظلَم أكثرَ من الجرّاف. والإعتاب: الإرضاء [٢] وإزالة الشكوى، وروى: (أعنَتُّمونا): من الإعنات، وهو الإيقاع في العَنَت والمشقّة.

و(قصيدة عبد يغوث) مسطورة فى المفضليات، وفى ذيل أمالى القالى [٣].

وقد شرحنا يوم الكُلاب الثانى فى الشاهد الخامس والستين [٤].

وكان الذى أسر عبدَ يغوث فتًى من بنى عبد شمس أهوجُ، فقالت أمُّه: مَن هذا؟ فقال عبد يغوث: أنا سيّد القوم، فضحكت وقالت: قبّحك الله من سيّدِ قوم، حين أسرَك هذا الأهوج. (وإلى هذا أشار بقوله:

وتضحكُ منى شيخة عبشميّة.. البيت)

فقال: أيتها الحرّة، هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: أعطى ابنَكِ مائةً من الإبل وينطلق بى إلى «الأهتم»؛ فإنى أخاف أن تنتزعنى سعدٌ والرِّباب منه فضمن لها مائةً من الإبل وأرسل إلى بنى الحارث فوجّهوا بها إليه، فقبضها العبشمىّ وانطلق به إلى الأهتَم؛ فقال عبد يغوث:

---

(١) أنشده سيبويه ١ : ٢٨٨ مع بيت تال له وهو :
أميرى عداء ان حسبنا عليهما بهائم مال أوديا بالبهائم
وكذا أنشدا فى اللسان (جرف).

(٢) ط : «الارخاء»، صوابه فى ش مع أثر تصحيح.

(٣) وكذا فى البيان ٢ : ٢٩٧/٤ : ٤٥ والنقائض ١٥٢ والأغانى ١٥ : ٧٢ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٣١.

(٤) الجزء الأول ص ٤١٠.

أأهتمَ ، ياخيرَ البريّة والداً ورهطاً إذا ما الناسُ عَدُّوا المساعيا
تَدارَكْ أسيراً عانياً فى حبالِكم ولا تَثْقَفَنّي التيمُ أَلقَ الدواهيا

فمشتْ سعد والرِّباب إلى الأهتم فيه ، فقالت الرِّباب : يابنى سعد ، قُتل فارسُنا (وهو النعمان بن جساس) ولم يقتل لكم فارس ، فدفعه إليهم ، فأخذه عصمة بن أُبَيْر التيمىّ فانطلق به إلى منزله ، فقال عبد يغوث : يابنى تيم ، اقتلونى قِتلةً كريمة ، فقال عصمة : وما تلك القتلة ؟ قال : اسقونى الخمر ، ودَعونى أنوحُ على نفسى ، فجاءه عصمة بالشراب فسقاه ، ثم قطع عرقه الأكحَل وتركه ينزف ومضى ، وجعل معه رجلَيْن فقالا لعبد يغوث : جمعتَ أهلَ اليمن ثم جئت لتصطلمَنَا ! كيف رأيت صُنعَ الله بك! فقال هذه القصيدة .

قصيدة الشاهد

(ألا لا تلومانى كفىٰ اللومَ ما بيا ، فما لكُما فى اللوم خيرٌ ولا لِيا)

فالخطاب لاثنين حقيقة . واللوم مفعول مقدم ، وما فاعل مؤخر . أى كفىٰ اللومَ ما أنا فيه ، فلا تحتاجون إلى لومى مع ماترون من إسارى وجَهدى .

(ألم تَعلما أنّ الملامَةَ نفعُها قليلٌ ، وما لومى أخى من شِماليا)

شِمال بالكسر بمعنى الخلق ؛ ويروى (أخاً) .

وهذا البيت من أبيات شرح الشافية للشارح ، نقل فيه عن أبى الخطاب : أن شِمالا يأتى مفرداً وجمعا ، وفى هذا البيت جمع ، أى من شمائلى .

(فيا راكباً إما عرَضْتَ فبلِّغنْ نداماىَ مِن نَجْرانَ أن لا تلاقيا)

الراكب : راكب الإبل ، ولا تسمِّى العرب راكباً على الإطلاق إلاّ راكبَ البعير والناقة والجمع رُكبان ، والرَّكْب : اسم للجمع عند سيبويه ، وعند غيره جمع راكب كتاجر وتجْر . ويقال لعابر الماء فى زورق ونحوه راكب ، ويجمع على رُكّاب بالضم وبالتشديد ، ولا يقال رُكّاب إلا لركّاب البحر ، ولم يقولوا فيه رَكب .

٣١٥ و (إمّا) مركبة من إن الشرطية وما المزيدة ، وعرضْتَ : قال فى الصحاح « عرَضَ الرجلُ : إذا أتى العَروض ، وهى مكة والمدينة وما حولها » ، وأنشد هذا البيت . وقال شرّاح أبيات سيبويه والجمل : عرّضْتَ بمعنى تعرّضْت وظهرْت . وقيل معناه بلغت العِرْض وهى جبال نجد ، تعرف بذلك .

والنَّدامىٰ : جمع نَدمان بالفتح بمعنى نديم ، وهو المُشارب ، وإنّما قيل له نَدمان من النَّدامة لأنه إذا سكر تكلّم بما يندم عليه ؛ وقيل : المنادمة مقلوبة من المدامنة ، وذلك إدمان الشراب ؛ ويكون النَّدمان والنديم أيضاً المُجالسَ والمُصاحبَ على غير الشراب . ونَجْران ، بفتح النون وسكون الجيم ، قال أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم : « مدينة بالحجاز من شِقّ اليمن ، سمِّيت بنَجْران بن زيد بن يشجب بن يعرُب ، وهو أول من نزلها . وأطيب البلاد نجْران من الحجاز ، وصَنعاء من اليمن ، ودِمشق من الشام ، والرَّىّ من خُراسان » انتهى .

وبهذا عُرِف حُسنُ تفسير الصحاح لعرَضْت .

وأنْ مخففّة من الثقيلة ؛ لأن التبليغ فيه معنى العلم ، واسمها ضمير شأن محذوف ، والجملة من اسم لا التبرئةِ وخبرها المحذوف أى لنا خبرها ، وجملة أن لا تلاقيا فى موضع المفعول الثانى للتبليغ ، وجوز اللخمىّ أن تكون تفسيريّة . وقوله «مِنْ نجران» حال من نداماىَ ، لا وصف له ، خلافاً للخمى.

(أبا كَرِب والأيْهَمَيْنِ كِلَيهما وقيساً بأعلىٰ حضْرَمَوتَ اليمانيا)

هؤلاء كانوا نداماه هناك ، فذكرهم عند موته وحنّ إليهم ؛ وهو بدل من نداماى . وأبو كرب والأيهمانِ من اليمن ، وقيس هو ابن معد يكرب ، أبو الاشعث بن قيس الكندىّ ؛ قال صاحب الأغانى ، وكذا اللخمىّ :

يروى أن قيساً هذا لما بلغه هذا البيت قال: لبَّيْكَ ، وإن كنت قد أخرّتنى »

(جزَىٰ الله قومى بالكُلاب مَلامةً صَريحَهُمُ والآخرينَ المواليا)

الصريح :الخالص والمحض . والموالیا : الحلفاء المنضمين إليهم، والكُلاب بضم الكاف : اسم موضع الوقعة .

(ولو شئتُ نجّتنى من الخيل نَهْدَةٌ ترَىٰ خلفَها الحُوَّ الجيادُ تواليا)

النَّهدة : المرتفعة ، وكل ما ارتفع يقال له نهد . والحُوّ من الخيل : التى تضرب إلى خضرة ، والحوّة . الخضرة ، قال الأصمعى : وإنما خصَّ الحوَّ لأنه يقال : إنها أصبرُ الخيل وأخفُّها عِظاماً[1] إذا عرقت لكثرة الجرى . وتواليا : جمع تالية أى تابعة ، أى إن فرسى لخفّتها تسبق الحوّ فهى تتلو فرسى .

(ولكنّنى أحمى ذِمارَ أبيكُمُ وكان الرِّماحُ يَختطِفنَ المُحاميا)

الذِّمار : مايجب على الرجل حفظه : مِنْ منعِهِ جاراً أو طلبه ثأراً . وقوله : وكان الرماح الخ ، قال القالى : هذا مثل .

(أقول ، وقد شدُّوا لسانى بِنِسْعة : أمعشرَ تَيْمٍ أطلِقوا عَنْ لِسانيا[2])

النِّسعة بكسر النون : سَيْر منسوج . وفيه قولان : الأول أن هذا مثل ، وذهب إليه شرّاح أبيات الشعراء والقالى فى أماليه ، وحكاه ابن الأنباريّ فى شرح المفضّليّات وقال : لأنَّ اللسان لا يُشدّ بنِسعة ، وإنما أراد : افعلوا بى خيراً لينطلقَ لسانى بشكركم ، وإنكم ما لم تفعلوا فلسانى مشدود ، لا أقدر على مدحكم . والثانى أنهم شدّوه بنِسْعة حقيقةً ، وإليه ذهب الجاحظ فى البيان

٣١٦

(١) شرح شواهد شرح الشافية للبغدادى ١٣٥ — ١٣٨
وكذا فى أمالى القالى ٣ : ١٣٣ ، وهو كناية عن خفة الحركة

(٢) ويروى : « اطلقوا لى لسانيا » .

والتبيين[١] ، والأصفهانيّ في الأغاني ، وحكاه أيضاً ابن الأنباري : بأنّهم ربطوه بنِسعة مخافةَ أن يهجوَهم ، وكانوا سمعوه ينشِد شعراً ، فقال : أطلقوا لى عن لسانى أذمّ أصحابى وأنوح على نفسى ؛ فقالوا : إنك شاعر ، ونحذر أن تهجوَنا . فعاهدَهم أن لا يهجوَهم ، فاطلقوا له عن لسانه . قال الجاحظ : وبلغ من خوفهم من الهجاء أن يبقى ذكره فى الأعقاب[٢] ، ويُسبّ به الأحياء والأموات ، أنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق ، وربّما شدّوا لسانه بنِسْعة ، كما صنعوا بعبد يغوث بن وقّاص الحارثى ، حين أسرته تيمُ يوم الكُلاب .

(أمَعشرَ تيم قدْ ملكْتُمْ فأسجِحوا فإنّ أخاكم لم يكنْ من بَوَائيا)

أسجحوا ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة ، بمعنى سهلوا ويسّروا . والبَواء : السَّواء ، أى لم يكن أخوكم[٣] نظيراً لى فأكون بَواءً له .

(فإنْ تقتلُونى تقتلوا بىَ سيِّداً وإنْ تُطلقونى تَحْرُبونى بماليا)

وتَحْرُبونى : تسلبونى وتغلبونى .

(أحقًّا عبادَ اللهِ أنْ لستُ سامعاً نَشيدَ الرِّعاءِ المُعْزِبينَ المتاليا)

الرِّعاء : جمع راع . والمعزِب : المتنحِّى بإبله ، وهو اسم فاعل من أعزب بالعين المهملة والزاى المعجمة . والمتَالى : التى نُتج بعضُها وبقى بعض ، جمعُ مُتلِيَة وهو اسم فاعل .

---

(١) انظر البيان ٤ : ٤٥

(٢) ط : « ذكرهم فى الأعقاب » . صوابه فى ش . والذى فى البيان : « أن يبقى ذكر ذلك فى الأعقاب » .

(٣) فى النسختين : « أخواكم » تحريف . وفى الامالى : « ان أخاكم لم يكن نظيرا لى »

(وتضحكُ منّي شيخةٌ عَبْشَمِيَّةٌ كأنْ لم ترَىْ قبلى أسيراً يمانيا)

هذا البيت من أبيات مغنى اللبيب[١]، قال القالى فى ذيل الأمالى: «قال الأخفش: رواية أهل الكوفة (كأن لم ترى) بالألف، وهذا عندنا خطأ، والصواب ترىْ بحذف النون علامة للجزم». وقال ابن السيد: قوله: كأن لم ترىْ، رجوع من الإخبار إلى الخطاب، ويروىْ على الإخبار: وفى إثبات الألف وجهان: أحدهما أن يكون ضرورة، والثانى أن يكون على لغة من قال راء. مقلوب رأى، فجزم فصار ترَأْ ثم خفّف الهمزة فقلبها ألفاً لانفتاح ما قبلها، وهذه لغة مشهورة وكأنْ مخفّفة، واسمها مضمر فيها، تقديره على الوجه الأول: كأنكِ لم ترىْ وعلى الوجه الثانى كأنّها لم ترأ.

(وظَلّ نساء الحيّ حَوْلىَ رُكّداً يُراوِدْنَ منّي ما تريدُ نسائيا)

(وقد علِمَتْ عِرسى مُلَيكةُ أنّني أنا الليثُ مَعْدُوًّا علىّ وعاديا)

هذا من شواهد س، وأورده الشارح فى شرح الشافية[٢]، وقد وقع فى روايتهما «معدّياعليه وعادِياً» فقال: هذا شاذّ والقياس معدُوًّا عليه، لأنه من العُدوان، لكنه بناه على عُدِىَ عليه.

(وقد كُنتُ نحّار الجزورِ ومُعمِل الـ مَطِيّ وأمضِى حيثُ لا حىَّ ماضيا)

(وأنحَرُ للشَّرْب الكِرامِ مطيّتى وأصدَعُ بين القَيْنَتَيْنِ ردائيا) ٣١٧

الشَّرب: جمع شارب، كصَحْب جمع صاحب. وأصدع: أشقّ. والقَينة: الأمَةُ مغنّيةً كانت كما هنا أم لا.

(وكنتُ إذا ما الخيلُ شَمَّصها القنا لَبيقاً بتصريف القَناةِ بنانيا)

(١) شرح شواهد المغنى ٢٣١ فى الكلام على شواهد (لم).
(٢) سيبويه ٢: ٨٣٢ وشرح شواهد الشافية ٤٠٠.

ويروى . « شَمّسها » ، بالسين ، وهى أجود . ويروى : « نفّرها » .
واللبيق : فعيل من اللَّباقة .

(وعاديةٍ سَوْمَ الجرادِ وزَعتُها بكفى وقد أنحَوا إلىّ العواليا)

العادية : القوم يعدُون ، من العدْو وهو الركض وسَوْمَ الجراد أى كسَوْمه ، وهو انتشاره . وزَعتُها : كففتها ، والوازع : الكافُّ والمانع . وأنحَوا الرماح : أمالوها وقصدوا بها ، من النَّحو وهو القصد . والعالية من الرمح : أعلاه ، ويقال مادون السِّنان بذراع .

(كأنِّى لم أركَبْ جواداً ولم أقُلْ لخيلىَ كُرّى نفِّسى عن رجاليا
ولم أسبأ الزِّقّ الروىّ ولم أقل لأيْسارِ صِدقٍ أعظِمُوا ضوء ناريا)

نفّسى : وسِّعى ، وروى « قاتلى » ، والسِّباء ، بالكسر والمد : اشتراء الخمر للشرب لا للبيع . والأيسار : الذين يضربون القداح ، جمع ياسر ، وفعله من باب ضرب وهذان البيتان مأخوذان من قول امرىء القيس :

كأنِّىَ لم أركبْ جواداً للذّة ولم أتبطّن كاعباً ذاتَ خلخالِ
ولم أسبأ الزِّقّ الروىَّ ولم أقلْ لخيلىَ كُرّى كرّةً بعد إجفال

ولم يَرِدْ على عبد يغوث ما ورد على امرىء القيس .

عبد يغوث الحارثى

و (عبد يغوث) هو ابن الحارث بن وقّاص الحارثّى القحطانى .

كان شاعراً من شعراء الجاهلية ، فارسا سيّد قومه من بنى الحارث ابن كعب ، وهو الذى كان قائدَهم يوم الكُلاب الثانى فأسرته تيم وقتلته ، كما ذكرنا . وهو من أهل بيت شعر معرق فى الجاهلية والإسلام ، منهم اللَّجلاج الحارثىّ ، وهو طفيل بن زيد بن عبد يغوث وأخوه مُسْهر فارس

شاعر ، وهو الذى طعن عامر بن الطفيل فى عينه يوم فَيف الريح . ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن عُلْبَةَ بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث ، وكان شاعراً صعلوكاً أُخِذ فى دم فحبس بالمدينة ثم قتل صبراً (وستأتى ترجمته فى باب إن المشدّدة فى أواخر الكتاب) .

قال الجاحظ فى البيان والتبيين(١) : ليس فى الأرض أعجب من طرَفة ابن العبد وعبد يغوث ، فإن قسنا جودة أشعارهما فى وقت إحاطة الموت بهما فلم تكن دون سائر أشعارهما فى حال الأمن والرفاهِيَة .

* * *

وأما قصيدة مالك بن الرَيْب فهى ثمانية وخمسون بيتاً ، وهى هذه(٢) :

ألا ليت شِعرى هل أبيتَنَّ ليلةً	بجنب الغضَى أُزجِي القلاصَ النواجيا
فليتَ الغضَى لم يقطع الرَّكب عَرضَه	وليتَ الغضَى ماشَى الركابَ لياليا
لقد كان فى أهل الغضى لودنا الغضى	مَزارٌ ولكنّ الغضَى ليس دانيا
ألم ترنى بعتُ الضلالةَ بالهدى	وأصبحتُ فى جيش ابنِ عفّان غازيا !
وأصبحت فى أرض الأعادى بُعيد ما	أرانىَ عن أرض الأعادىّ قاصيا
دعانى الهوىٰ من أهل أُودَ وصحبتى	بذى الطَّبَسيْنِ فالتفتُّ ورائيا
أجبتُ الهوىٰ لمّا دعانى بزَفرةٍ	تقنّعت منها ، أنْ أُلامَ ، ردائيا
أقول وقد حالت قُرى الكُرْدِ دوننا:	جزَى الله عَمراً خير ما كان جازيا
إنِ الله يرجعْنى مِن الغزو لا أُرىٰ	وإنْ قلّ مالى طالباً ما ورائيا
تقول ابنتى ، لما رأتْ طولَ رحلتى :	سِفارُكَ هذا تاركى لا أبالِيا

(١) البيان والتبيين ٢ : ٢٦٨
(٢) انظر الأمالى ٣ : ١٣٥ والعقد ٣ : ٢٤٥ والعينى ٣ : ١٦٥ والسيوطى ٢١٥ وجمهرة أشعار العرب ١٤٣ ومعجم البلدان عند ذكر أسماء المواضع التى وردت فيها

لعمرى ، لئن غالتْ خُراسانُ هامتى لقد كنتُ عن بابَىْ خراسانَ نائيا
فإن أنجُ من بابَى خراسان لا أعُدْ إليها ، وإن منَّيتمونى الأمانيا
فلله درِّى ، يوم أترُكُ طائعا بنىَّ بأعلى الرَّقمتين ، وماليا
ودرُّ الظباء السانحاتِ عشيَّةً يخبِّرنَ ، أنى هالكٌ ، مَنْ ورائيا
ودَرُّ كبيرَىَّ اللذينِ كلاهما علىَّ شفيقٌ ناصحٌ لو نهانيا
ودَرُّ الرجال الشاهدين تفتُّكى بأمرىَ ألاّ يقصُروا مِن وَثاقيا
ودرّ الهوى من حيث يدعو صحابه ودرّ لَجاجاتى ودرّ انتهائيا(١)
تذكَّرتَ من يبكى علىَّ فلم أجدْ سِوى السيفِ والرمح الردينىّ باكيا
وأشقرَ محبوكٍ(٢) يجُرّ لجامَهُ إلى الماءِ لم يترك له الموتُ ساقيا
ولكن بأكناف السُّمينة نِسْوةٌ عزيزٌ عليهنّ العشيّةَ ما بيا
صريعٌ على أيدى الرجال بقَفْرة يُسَوُّون لحدى حيثُ حُمَّ قضائيا
ولمَّا تراءتْ عند مَرْوَ منيّتى وخَلّ بها جسمى وحانتْ وفاتيا
أقول لأصحابى : ارفعونى فإنه يقَرُّ بعينى أنْ سهيلٌ بدا لِيا
فياصاحبَيْ رحلى ، دنا الموتُ فانزلا برابيةٍ ، إنِّى مقيمٌ لياليا
أقيما علىَّ اليومَ أو بعْضَ ليلةٍ ولا تُعْجِلانى ، قد تبيّنَ شانيا
وقوما ، إذا ماآستُلّ رُوحى ، فهيِّئا لىَ السِّدْرَ والأكفانَ عِند فَنائيا
وخُطّا بأطراف الأسِنَّةِ مَضْجَعى ورُدّا على عَينىَّ فضلَ ردائيا

---

(١) الأمالى : « يدعو صحابتى » .

(٢) الأمالى : « محبوكا » ، وكلاهما جائز فى العربية : أن تعطف على لفظ المجرور بسوى ، أو على معناه . وفى الجمهرة : « وأشقر خنذيذ »

ولا تحسُدانى ، باركَ الله فيكما ، من الأرض ذات العَرْض أن تُوسعاليا

خُذانى فجُرّانى ببُرْدى إليكما فقد كان قبلَ اليوم صعباً قِياديا

وقد كنتُ عطّافاً إذا الخيلُ أدْبرتْ سريعاً إلى الهَيْجا[1] إلى مَنْ دعانيا

وقد كنتُ صبّاراً على القِرْنِ فى الوغى

وعن شتمىَ ابنَ العمِّ والجارَ وانيا

فطوراً ترانى فى ظِلالٍ[2] ونَعْمَةٍ ويوماً ترانى والعِتاقُ رِكابيا

ويوماً ترانى فى رَحًى مستديرة تخرِّقُ أطرافُ الرِماح ثِيابيا

وقوماً على بئر السُّمينة[3] أسمِعا بها الغُرَّ والبيضَ والحسانَ الروانيا :

بأنّكما خلّفتُمانى بقفرةٍ تَهيلُ علىَّ الريحُ فيها السوافيا

ولا تَنسيا عهدى خليلىَّ بعدما تقطّعُ أوصالى وتَبلىٰ عِظاميا

ولنْ يَعْدَمَ الوالُونَ بثًّا يصيبهم ولن يَعدَمَ الميراثَ مِنّي المواليا

يقولون : لاتَبْعَد ، وهم يدفِنُوننى ، وأينَ مكانُ البعد إلاّ مكانيا !

غداة غدٍ يالهفَ نفْسى على غدٍ إذا أدْلجوا عنّي وأصبحتُ ثاويا

وأصبَح مالى مِنْ طَريفٍ وتالد لغيرى ، وكان المالُ بالأمس ماليا

فياليتَ شِعْرى هل تغيّرَت الرَحىٰ رحى المُثْلِ[4] أو أمْستْ بفَلْج كماهيا

٣١٩

(١) فى الأمالى : « لدى الهيجا » ، وهو أوفق ٠

(٢) الأمالى : « فى ظلال » ٠ وفى الجمهرة : « فى ظلال ومجمع »

(٣) ط : « السنينة » ، صوابه فى ش والأمالى ٠ وفى الجمهرة : « بئر الشبيك »

(٤) المثل بضم الميم كما نبه عليه البغدادى فيما يأتى ، وكما فى القاموس ٠ وضبطت فى الأمالى بكسرها كما فى ياقوت (رحى المثل) ولم يصرح بنص فى ضبطها ، وكذا ضبطت فى اللسان (مثل) بالكسر ٠

إذِ الحيّ حلّوها جميعاً ، وأنزلوا بها بقراً حُمَّ العيون سَواجيا(١)
وعِينٍ وقد كان الظلام يُجنُّها يسُفْنَ الخُزامى مَرَّة والأقاحِيا(٢)
وهل أترك العِيسَ العَبالىَ بالضحىٰ بِرُكبانِها تعلو المِتانَ الديافيا(٣)
إذا عُصَبُ الرُكْبانِ بين عُنيزة وبَولانَ عاجُوا المبقِيات النواجيا(٤)
فيا ليتَ شِعْري، هل بكت أمُّ مالكٍ كما كنتُ لو عالَوْا بنَعيكِ(٥) باكيا!
إذا مُتُّ فاعتادِي القبورَ فسلِّمي على الرَّمْس، أُسقيتِ السَّحابَ الغواديا
على جدَثٍ قد جرَّتِ الريحُ فوقَهُ تراباً كسَحْقِ المَرْنَبانيِّ هابِيا
رهينة أحجارٍ وتُرْبٍ تضمَّنَتْ قراراتُها منّي العظامَ البواليا
فيا صاحبي ، إمَّا عرَضتَ فبلِّغَنْ بني مازن والرَّيْب أن لا تلاقيا(٦)
وعَطِّلْ قلوصى فى الرِّكابِ فإنَّها ستَفلِقُ أكباداً وتُبكى بواكيا(٧)

(١) الأمالى : « اذا الحى » . وفى الجمهرة : « اذا القوم » .

(٢) وعين ، كذا فى النسختين . وفى الأمالى وياقوت والجمهرة ، « رعين » ، من الرعى . وفى الأمالى وياقوت : « كاد الظلام » . يسفن ، من السوف ، وهو الشم . وفى الجمهرة : « نورها والأقاحيا

(٣) فى الأمالى : « العيس العــوالى » . والديافيا ، لم يفسرها البغدادى . وفى الأمالى : « الفيافيا » وياقوت : « القواقيا » ، وفى الجمهرة :

وهل ترك العيس المراقيل بالضحى تعاليهــا تعلو المتــون القيــاقا

(٤) الجمهرة : « المنقيات المهاريا » . وفى شرحها : « المنقيات : السمان . والمهارى : جمع مهرية » .

(٥) ياقوت فى (بولان) والأمالى : « نعيك » .

(٦) الأمالى : « فيا صاحبا » ، والجمهرة : « فياراكبا » ، و « بنى مالك » .

(٧) الأمالى : « وعر قلوصى » . وفى الأغانى ١١ : ١٤٢ : « ستبرد أكبادا » ، ونسبه الى جعفر بن علبة الحارثى ثم قال : « وهذا البيت بعينه يروى لمالك بن الريب فى قصيدته المشهورة التى يرثى بها نفسه » . وقد روى فى الجمهرة برواية الأغانى .

وأبصرت نارَ المازنياتِ مَوهِناً بعَلياء يُثنى دونَها الطرفُ وانيا(١)

بِعودَى ألَنْجُوجٍ أضاء وقودُها مهاً فى ظلال السِدْرِ حُوراً جَوازِيا(٢)

بَعيدٌ غريبُ الدار ثاوٍ بقَفْرة يدَ الدهرِ ، معروفاً بأن لا تدانيا

أقلِّبُ طرفى حولَ رحلى فلا أرى بهِ من عيون المؤنِسات مُراعيا

وبالرمل منّا نسوةٌ لو شهِدْنَني بكَينَ وفدَّين الطبيبَ المداوِيا

وما كان عهدُ الرملِ عندى وأهلِهِ ذميماً ، ولا ودّعتُ بالرمل قاليا(٣)

فمنهنّ أمّى وابنتاها وخالتى وباكيةٌ أخرى تَهيج البواكيا(٤)

وهذا تفسير ما فيها على الإجمال :

الغضىَ : شجر ينبت فى الرمل ، ولا يكون غضىً إلاّ فى رمل . وأُزجى : أسُوق ، يقال أزجاه إزجاء ، وزجّاه تزجية . والنواجى : السِّراع . وقوله : فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه : أى ليته طال عليهم الاسترواح إليه والشوق . والركاب : الإبل ، جمع راحلة من غير لفظه . وقوله . وليت الغضى ماشَى الركاب أى ليت الغضى طاولَهم . وقوله : لقد كان فى أهل الغضى . . الخ يعنى بعتُ ما كنت فيه من الفتك فى الضلالة ، بأن صرت فى جيش سعيد بن

---

(١) البيت ساقط من الجمهرة . وفى الأمالى : « رانيا » ، وهو الصواب

(٢) وكذا لم يرو هذا فى الجمهرة . ط : « بعود » مفردا ، وأثبت ما فى ش . وفى ط : « حواريا » ، وش : « جواريا » صوابه من الأمالى

(٣) الجمهرة : « ولا بالرمل ودعت » . وهذا البيت فى الجمهرة مؤخر عن تاليه هنا

(٤) وكذا فى الجمهرة وياقوت . وفى الأمالى : « أمى وابنتاى » وقد ذكر ياقوت هذه القصيدة فى مواضع شتى من معجمه ، ومبدؤها (خراسان) وهو ينبه فى كل موضع على الذى يليه حتى أتمها فى (بولان) . وفى الأغانى ١٩ : ١٦٩ : « قال أبو عبيدة : الذى قاله ثلاثة عشر بيتا ، والباقى منحول ولده الناس عليه » .

عثمان بن عفان . وقوله : دعانى الهوى .. الخ ، أُود بضم الهمزة قال البكرى : موضع ببلاد مازن . . وأنشد هذا البيت ، وقال : الطَّبَسانِ : كُورتان بخراسان . يقول : دعانى هوایَ وتشوُّق من ذلك الموضع ، وأصحابى بالموضع الآخر .

٣٢٠ وقوله : أجبت الهوى .. الخ ، يقول : لما ذكرت ذلك الموضعَ استعبرت فاستحييتُ فتقنّعتُ بردائى ، لكى لا يُرىٰ ذلك منّي . . قال الشاعر :

فكائنْ ترىٰ فى القوم من متقنِّعٍ على عَبْرة كادت بها العينُ تسفحُ

وقوله : لا أباليا ، قال القالى : روى « أباً » بالتنوين وبغير تنوين . وقوله : لئن غالت خراسان هامتى ، يريد . أهلكتْ هامتى . وقوله : فلله درّى ، تعجب من نفسه كيف تغرّب عن ولده وماله . قال ابن أحمر :

بان الشبابُ وأفنيٰ ضعفَه العمرُ للهِ درّى ، فأىَّ العيش أنتظرُ !

تعجّب من نفسه ، أى عيش ينتظر . ويريد بالسانحات : الظباء سنحت له فتطيّر منها . ووراء بمعنى قدام . وقوله : تفنُّكى ، يروى تفنكى بالنون ؛ يقال فنّك فى الشيء : إذا تمادى فيه ، قال الشاعر[1] :

ودِّعْ لَميسَ وَداعَ الصارمِ اللاحى إذْ فنَّكتْ فى فسادٍ بَعد إصلاحِ

وقوله : تذكرت من يبكى علىّ . . الخ ، يقول : كنت أستعمل السيف والرمح فهما لى خليلان ، وأنا هنا غريب فليس أحد يبكى علىّ غيرهما .

والمحبوك : الفرس القوىّ . وقوله : ولكن بأكناف السُّمينة ، بلفظ مصغر السُّمنة ؛ وهو موضع قريب من أُود المذكور . ومَرْو : مدينة بخراسان .

---

(١) نسب فى اللسان (فنك) الى عبيد بن الأبرص . والحق أنه لأوس بن حجر مطلع قصيدة فى ديوانه ١٣ . وكثيرا ماتلتبس نسبة أبيات قصيدتيهما الى بيتين .

وقوله : وخلَّ بها جسمى : أى اختلَّ واضطربَ . وقوله : يقرّ بعينى أنْ سهيل بدا ليا ، يريد أن سهيلاً لا يُرىٰ بناحية خراسان ، فيقول : ارفعونى لعلّى أراه فتقرّ عينى ؛ لأنه يُرىٰ فى بلده .

وقوله : خُطَّا : أى احفِرا بالرماح . وقوله : فى رحًى مستديرة ، الرحىٰ : موضع الحرب ، ومستديرة : حيث يستدير القوم للقتال . وقوله : البيض الحسان الروانيا : أى النواظر ، جمع رانية ، والرُّنوّ : النظر الدائم . والغُرّ : البيض . والوالون : جمع والٍ . والموالى : بنو العم والأقربون . والبثّ : أشد الحزن . وقوله : رحىٰ المُثل ، هو بضم الميم وسكون للثلثة : موضع بفلج يقال له : رحى المثل ؛ وفلج : موضع فى بلاد بنى مازن وهو فى طريق البصرة إلى مكة . وقوله : حَلُّوها : نزلوا بها . وأراد بالبقر النساء ، ويروى : « جُمّ القرون » ، أى ليست لها قرون ، شبّهها بالبقر . وسواجى : سواكن . والعِين : بقر الوحش ، والأعيَن : ثوره . والخُزامىٰ ، بالقصر خِيرِىّ البرّ ، زهره أطيب الأزهار نفحة . والأقاحىّ : جمع أقحاء ، وهو جمع . والعِيس : الإبل التى تضرب إلى البياض . والعبالى : جمع عبلى(١) وهى الضّخمة . والمِتان : جمع مَتن ، وهو ما صلب من الأرض . وعُنيزة : قارَة سوداء فى وادى بطن فلْج . والمبقِيات : التى تُبقِى سيرَها . والنواجى : التى تنجو سيرها أى تسرع . والمَرْنَبانىّ : كساء من خزّ ، ويقال : مِطْرَف من وبَر الإبل . وهابياً : من هبا هَبْواً(٢) .

وقوله : رهينة أحجار . . الخ ؛ أى فى القبر علىَّ الترب والحجارة . والقرارة : بطن الوادى حيث يستقرّ الماء ؛ وصيَّره مثلا للقبر وبطنِه . وقوله :

---

(١) كذا . ولعل صوابها « عبلاء » مؤنث الأعبل

(٢) ش : « هبا يهبو » .

يدَ الدهر ، يقال : يدَ الدهر ، ومدَى الدهر ، وأبدَ الدهر ؛ وكلُّه واحد .

مالك ابن الريب

و (مالك بن الرَّيْب) بفتح الراء وسكون المثناة التحتيّة ؛ هو من مازن تميم ، وكان لصاً يقطع الطريق مع شِظاظ الضبِّيّ الذى يُضرب به المثلُ فيقال : « ألصُّ مِن شِظاظ » .

قال القالى فى ذيل أماليه(١) . « قال أبو عُبيدة : لما ولّى معاويةُ سعيدَ

٣٢١

ابن عثمان بن عفّان خراسانَ ، سار فيمن معه فأخذ طريقَ فارس ؛ فلقيه بها مالك بن الرَّيْب بن حَوط بن قُرط بن حِسْل بن ربيعة بن كابية (٢) بن حُرقوص ابن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم — وأمّه شهلة بنت سَنيح بن الُحرّ ابن ربيعة بن كابية (٢) بن حرقوص بن مازن — قال : وكان مالك بن الرَّيْب ، فيما ذُكر ، من أجمل العَرب جمالاً وأبينهم بيانا . فلما رآه سعيد(٣) أعجبه (وقال أبو الحسن المدائنى : بل كان مرّ به سعيد بن عثمان بالبادية وهو منحدر من المدينة يريد البصرة حين ولاّه معاويةُ خراسان) ومالكٌ فى نَفَر من أصحابه . فقال له : ويْحك يا مالك ؟ ما الذى يدعوك إلى ما يبلغنى عنك من العَـدَاء(٤) وقطْع الطريق ! قال : أصلح الله الأمير ! العجز عن مكافأة الإخوان . قال : فإن أغنيتُك واستصحبتُك ، أتـكفّ عما تفعلُ وتتّبعنى ؟ قال : نعم ، أصلح الله الأمير ! أكفّ كفًا ما كفّ أحدٌ أحسنَ منـه . فاستصحبه وأجرىٰ عليـه خَمسمائة دينار فى كلّ شهر ، وكان معه حتى قتل

(١) ط : « قاله القالى فى ذيل أماليه » فيكون الكلام مرتبطا بسابقه ، وليس كذلك ، فان شظاظا لم يرد له فى الأمالى ولا فى ذيلها ذكر . وانما المذكور هو الخبر التالى . انظر الأمالى ٣ : ١٣٥ . والكلام المتقـدم لابن قتيبة فى الشعراء ٣١٢ .

(٢) فى النسختين : « كايبة » صوابه بتقديم الباء ، كما فى الأمالى والاشتقاق ٢٠٤ ومختلف القبائل ٣٦ .

(٣) ط : « سعد » ، صوابه فى ش والأمالى .

(٤) العَداء ، بالفتح : تجاوز الحد فى الظلم .

بخراسان . قال : ومكث مالك بخراسان فمات هناك فقال يذكر مرضه وغربته .
وقال بعضهم ، بل مات فى غزو سعيد ، طعن فسقط وهو بآخر رَمَق وقال
آخرون : بل مات فى خان ، فرثته الجنّ(١) لِما رأت مِن غُربته ووَحْدته ،
ووضعت الجنّ الصحيفةَ التى فيها القصيدة تحت رأسه . والله أعلم أىّ ذلك
[كان(٢)] » اهـ .

قال ابن قتيبة : ومن شعره يهجو الحَجّاج(٣) :

فإن تُنصفوا يا آل مَرْوانَ نقتربْ إليكُمْ وإلاّ فأْذَنوا ببِعادِ
فإنّ لَنا عنكمْ مَزاحا ومزحة(٤) بِعيس إلى رِيح الفَلاة صوادى
فماذا عسىٰ الحجّاجُ يَبلُغ جَهْدُه إذا نحن جاوزْنا حَفيرَ زيادِ
فلولا بنو مرْوانَ كان ابن يُوسفٍ ـ كما كان ـ عبداً مِن عَبيد إياد
زَمانَ هو العبدُ المقِرُّ بذلّة يراوحُ صِبيان القُرىٰ ويُغادى(٥)

وليس له عقب . ومما سَبق إليه فأخذ عنه قوله :

العبد يُقرَعُ بالعصا والُحرّ يَكفيه الوعيدُ(٦)

(١) فى الأمالى : « الجان » .
(٢) التكملة من ش والأمالى .
(٣) الشعراء ٣١٤ والكامل ٢٩٠ مع النسبة لمالك ، وفى الحماسة ٦٧٦ بشرح المرزوقى مع نسبتها الى الفرزدق . ومعجم البلدان بزيادة ونقص فى (حفير زياد) ونسبها الى البرج بن خنزير التميمى ، وقال : « وكان الحجاج قد ألزمه البعث الى المهلب لقتال الأزارقة فهرب منه الى الشام » .
(٤) الشعراء : « ومزحلا » وفى الحماسة : « مزاحا ومذهبا »
(٥) يقال ان الحجاج كان فى صدر حياته معلما .
(٦) البيان ٣ : ٣٧

وقال آخر[١] :

العبدُ يقرَع بالعصا والُحرّ تكفيه المَلامة[١]

وقال آخر[٢] :

العبدُ يقرعُ بالعصا والحرّ تكفيه الإشاره

* * *

تــوابــع المنــادى

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس عشر بعد المائة ، وهو من شواهد س[٣]:

١١٦ (ياذا المخوِّفنا بمَقتلِ شَيخِهِ حُجرٍ تَمَنِّيَ صاحِبِ الأحْلامِ)

على أن (المخوِّفنا) نعت لاسم الإشارة الواقع المبنيّ على ضمة ؛ وهو مضاف إلى ضمير المتكلم مع الغير إضافةً لفظيّة .. قال ابن الشجَرىّ : «هذا سهو، فإن الضمير فى المخوِّفنا منصوب لا مجرور » . ويأتى بيانه فى الشاهد السابع عشر[٤] .

و (أل) موصولة بمعنى الذى . و (بمقتل) متعلق بالمخوِّف ، وهو مصدر

(١) هو يزيد بن مفرغ . البيان ٣ : ٣٧ وأمالى الزجاجى ٤٣ والأغانى ١٧ : ٥٤ .

(٢) هو الصلتان الفهمى . الحيوان ٥ : ٦٢ والبيان ٣ : ٣٧ .

(٣) سيبويه ١ : ٣٠٧ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٢٠ وديوان عبيد بن الأبرص ٢٠ .

(٤) صوابه « العشرين » أى بعد المائة ، وبذلك صححها الشنقيطى فى هامش نسخته ، كما نبه عليه أحمد تيمور .

مضاف إلى مفعوله ، والفاعل محذوف . أى يامن يخوّفنا بسبب قتلنا شيخَه ؛ وأراد بشيخه : أباه . و (حُجْر) . بدل من شيخه أو عطف بيان له ، وهو بضم الحاء وسكون الجيم : اسم والد امرئ القيس . وقوله (تَمَنِّيَ صاحبِ الأحلامِ) منصوب على أنه مصدرٌ عاملُه محذوف ، أى تمنّيتَ تمنِّيَ صاحبِ الأحلام ، فإنك لا تقدِر على الانتقام . والأحلام : جمع حُلُم بضمتين ، وهو الرؤيا .

وهذ البيت لعَبيد بن الأبرَص الأسَدىّ ، يخاطب به امرأ القيس صاحبَ المعلقة المشهورة . وبعده :

لا تبكِنا سفَهاً ولا ساداتِنا واجعلْ بكاءكَ لابن أمِّ قَطامِ

وسبب قول عَبيدٍ هذا الشعر : أنّ قوم عبيد بنى أسد قتلوا أبا امرىء القيس حجراً ، وهو ابن أمّ قَطام (كما تقدّم بيانه فى الشاهد التاسع والأربعين[1]) فتوعّدهم امرؤ القيس بقوله :

واللهِ لايذهبُ شيخى باطلا حتى أُبيدَ مالـكا وكاهلا !

(وهما حيّانِ من بنى أسد) . فقال له عَبيد ذلك ؛ وجعل وعيدَه كاذبا وما تمنّاه فيهم غيرَ واقع ، كأضْغاث أحلام ، وقال عَبيد أيضا :

ياذا المخـوّفنا بقـتـ ـل أبيه إذلالا وَحينا
أزعمتَ أنّكَ قد قَتلـ ـتَ سَرَاتَنا كذِباً ومَينا
هلاَّ على حجرِ بن أمِّ قطامِ تبـكى لا علينا
إنا إذا عضَّ الثِّقا ف برأس صَعْدَتنا لوَينا
نَحمى حقيقَتنا وبعـ ـضُ القوم يَسقط بينَ بَينا

(١) الجزء الأول ص ٣٢٣ .

هلاّ سألتَ جُموعَ كنـ ـدةَ يوم ولّوا : أينَ أينا
أيام نضربُ هامهم ببواتر حتّى انحنينا
وجموعَ غسّانَ المـلو كِ أتينَهُمْ وقد انطوينا(١)
نحن الألىٰ ، فاجمعْ جمو عَك ثمّ وجِّهُم إلينا
واعـلم بأنّ جيـادَنا آلَيْنَ لا يقَضِين دينا
ولقد أبحنا ما حميـ تَ ، ولا مُبيحَ لما حَمينْا

وهذا نصف القصيدة .

وقوله : إذلالاً ، مفعول ثان للتخويف ، وهو مصدر أذَلّه الله ، متعدٍّ ذلّ الرجل: إذا ضعف وهان. والحَيْن بالفتح : الهلاك ، مصدر حان.والسَّراة ؛ بفتح السين : الأشراف ، جمع سريّ ، وأصله سَرُوىٌ على وزن فَعول من السَّرْوِ ، وهو كرمٌ فى مروءة . والمَين: مرادف للكذب . والثِّقاف ، بكسر المثلّثة : ما يسوّىٰ به الرماح . والصَّعْدة بالفتح ، قال فى الصحاح : « هى القناة المستوية تنبت كذلك ، لا تحتاج إلى تثقيف » ، وقيل : الرمح القصير، ولوىٰ الرجل رأسه وألوىٰ برأسه : أماله وأعرض . والحقيقة مايحقّ على الرجل أن يحميه كالأهل والولد والجار .

وقال فى الصحاح: « هذا الشيء بينَ بينَ أى بين الجيد والرديء » . ثم أنشد هذا البيت وقال : « أى يتساقط ضعيفاً غير مُعتَدٍّ به . وألف بينَ

(١) أتينهم ، يعنى الخيل وان لم يجر لها ذكر . انطوين : ضمرن . وفى النسختين : « أتيتهم » صوابه فى ديوان عبيد ٢٨ والأغانى ١٩ : ٨٥ ومختارات ابن الشجرى ٩٠ وفى حواشى المختارات : « يعنى الخيل انطوين من الضمرة » . وبعده فى الأغانى والمختارات :
لحقـا أياطلهن قد عالجن أسفارا وأينا

٣٢٣ الثانى إشباع وبُنِيا لتضمُّنهما لواو العطف[1] ». والبواتر : جمع باتر ، وهو السيف القاطع ، وكأنه لحظ فى السيف معَنى الحديدة أو آلة القطع فجمعه هذا الجمع ، يدلُّك عليه « أنجنين » بضمير الإناث العائد إلى البواتر ، وأنه غلب عليه الاسمية .

والألى بمعنى الذين اسم موصول ، وحذفت الصلة لادّعاء شهرتها ؛ أى نحن الذين عُرفوا بالشجاعة . والجياد : جمع جَواد ، وصفٌ مِن جاد الفرس : أى صار رائعا ، يجود جُودة بالضم فهو جَواد ، للذكر والأنثى . وآلين : أى حلفن ، من الألِيَّة بمعنى اليمين .

عبيد بن الأبرص (وعَبيد) هو ، بفتح العين وكسر الموحدة ، ابن الأبرص بن عوف ابن جُشَم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثَعلَبة ابن دُودان بن أسد بن خزيمة بن مدرِكة بن إلياس بن مضر ، الأسديّ الشاعر ، من فحول شعراء الجاهلية . جعله ابن سلاّم الجُمَحيّ فى الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وقَرن به طرَفة وعَلقمة بن عبدَة .

قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : عاش عَبيدٌ هذا أكثرَ مِن ثلثمائة سنة.

وقال أبو حاتم السجستانى فى كتاب المعمَّرين : « عاش عبيد مائتى سنة وعشرين سنة . ويقال بل ثلثمائة سنة ، وقال فى ذلك :

ولَتأْتيَنْ بَعْدى قُرونٌ جَمّةٌ ... ترعىٰ مخارم أيكة ولدودا[2]

فالشمسُ طالعة ، وليلٌ كاسف ، ... والنجمُ يَجرى أنحُساً وسُعودا

---

(١) فى الصحاح : « وهما اسمان جعلا اسما واحدا وبنيا على الفتح » .

(٢) ط : « محارم » صوابه بالخاء المعجمة كما فى ش والمعمرين ٦٠ والديوان ٨١ .

حتى يقــال لمن تَعَرّقَ دهره : ياذا الزمانةِ ، هلْ رأيتَ عبيدا
مائتى زمانٍ كامل ونَصِيَّةً[١] عشرين عِشتُ معمّرا محمودا
أدركتُ أوّل مُلكِ نصرٍ ناشئا وبنــاء شَدّادٍ وكان أبيدَا
وطلبت ذا القَرْنينِ حتّي فاتنى رَكضاً ، وكدت بأن أرى داوُدا
ما تبتغى من بعد هذا عِيشةً إلاّ الخلودَ ! ولن تَنال خُلودا
وليَفنيَنْ هــذا وذاك كلاهُما إلاَّ الإلهَ ووجهَه المعبــودا

وقال أيضاً :

فنِيتُ وأفنانى الزمان وأصبحتْ لِداتى بنو نَعْش وزهْرُ الفراقد » اهـ

ومِن شِعره :

تذكّرتُ أهلَ الخير والباعِ والندىٰ وأهلَ عِتاقِ الخيل والخمرِ والطِّيبِ
فأصبح منّي كلُّ ذلك قدْ خلا وأىُّ فتى فى الناس ليس بمكذوب !
ترى المرء يَصبو للحيــاة وطيبهــا وفى طولِ عيش المرء برحٌ بتعذيب

ومضمون البيت الأخير مما تداوله الناس قديماً وحديثاً ، قال بعض شعراء الجاهليّة :

كانت قناتى لاتَلين لغامزٍ فألانَها الإصْباحُ والإمساء[٢]

---

(١) النصية : البقية . قال كعب بن مالك :
ثلاثة آلاف ونحن نصــية ثلاث مئين ان كثرنا وأربع
ط : « وبضعة » ش والمعمرين : « ونصيته » والوجه ما أثبت مطابقا للديوان ٨٢ .

(٢) هو عمرو بن قميئة كما فى زهر الآداب ٢٢٣ وليس فى ديوانه والبيت مع قرينه التالى بدون نسبة فى الكامل ١٢٥ وعيون الأخبار ٢ : ٣٢٢ والعقد ٣ : ٥٨

وقال النمِر بن تولب الصحابىّ رضى الله عنه :

يودّ الفتىٰ طولَ السلامة والبقا فكيف ترىٰ طولَ السلامة يفعلُ[١]!

وتبعه حُميد بن ثَور الهلالىّ ، الصحابىّ أيضاً ، رضى الله عنه :

أرىٰ بصرى قد رابنى بعد صحّة وحسبُك داء أنْ تصحّ وتسلما[٢]

وقال آخر :

ودعوتُ ربّى بالسلامة جاهداً ليُصحّنى ، فإذا السلامةُ داء[٣]

٣٢٤

وفى معناه قول الخيمىّ من المتأخّرين :

إذا كان موتُ المرء إفناء عُمرهِ ففى موته من يوم يولَدُ يُشْرَعُ

وأحسن من هذا كلّه قوله ﷺ : « كفىٰ بالسّلامة داء » ، فإنه أبلغ وأوجز وأسلس وأرشق مما ذكر .

قال محمد بن حَبيب ، فى كتاب من قتل من الشعراء[٤] : ومنهم عَبيد ابن الأبرص الأسدىّ ، وكان المنذر بن امرئ القيس اللخمىّ بن ماء السماء (وهو الذى يسمّىٰ ذا القرنين ، وهو جدّ النعمان بن المنذر) له يوم بؤس ويوم نعيم ،

---

(١) البيان ١ : ١٥٤ والحيوان ٦ : ٥٠٣ والمعمرين ٦٣ والأغانى ١٩ : ١٥٩ .

(٢) البيان ١ : ١٥٤ والحيوان ٦ : ٥٠٣ وزهر الآداب ٢٢٣ والعقد ٣ : ٥٧ وديوان حميد ٧ .

(٣) هذا البيت قرين البيت الهمزى السابق ، كما فى الكامل وعيون الأخبار وزهر الآداب .

(٤) أسماء المغتالين فى نوادر المخطوطات ٢ : ٢١١ . والنص هنا أضفى مما فى أسماء المغتالين .

وكان يقتل أولَ من رأى فى يوم بؤسه ؛ فخرج المنذر فى يوم بؤسه فلقى عبيدَ ابنَ الأبرَص فقال له : هلاّ كان المذبوح غيرك ياعَبيد ! فقال « أتتكَ بحائنٍ رِجْلاه ! » وأرسلَه مثلا ، فقال له : أنشِدْنا ياعَبيد ، فقال : «حالَ الجريضُ دون القَريض ، وبلغ الحِزامُ الطُّبْيَين» وأرسلَهما مثلا ، فقال له أنشدنى ، فقال: «المنايا على الحوايا ! » وأرسله مثلا ، فقال بعض القوم : أنشِدِ الملكَ ، هبِلَتْك أمُّك ! فقال : « وما قولُ قائل مقتول ؟ وأرسلَه مثلا ، وقال آخر : ما أشدَّ جزَعك بالموت ! فقال « لا يرحلنْ رحلكَ مَن ليس معك ! » وأرسلَه مثلا ، فقال الملك: قد أملَلْتنى فأرِحْني قبل أن آمُرَ بك ! فقال عبيد : « منْ عزّ بزّ » ، وأرسلَه مثلا ، فقال الملك : أنشِدْنا قولَك :

* أقفرَ من أهلِه مَلحوبُ *

فأنشدَه :

أقفر من أهلِه عبيــدُ فاليومَ لايُبدى ولا يُعيدُ

(وأنشد هذا البيتَ صاحبُ الكشّاف عند قوله تعالى : « قُلْ جاء الحقُّ وما يُبدىْ الباطلُ وما يُعيد(1) » على أن هذه الكلمة قد صارت مثلاً فى الهلاك ، من غير نظر إلى مفرداتها ، وهو فى الأصل كناية ، لأن الهالك لم يبق له إبداء ولا إعادة ، كما يقال : لا يأكل ولا يشرب ، أى مات) .
فقال له الملك : ويْحك يا عَبيد ! أنشِدنى قبلَ أن أذبحك ! فقال عبيد : واللهِ إنْ مُتّ ما ضرَّنى ! فقال له : لابد من الموت ، فاختر : إن شئت من الأكحَل ، وإن شئت من الأبجَل ، وإن شئت من الوريد : فقال عبيد :

---

(1) الآية ٤٩ من سورة سبأ .

ثلاثُ خصالٍ كسَحَابات عاد ، واردُها شرٌّ ورَّاد[1] وحاديها شرٌّ حاد ، ومعادُها شرُّ معاد ، ولا خير فيها لمرتاد ، فإن كنتَ لا بدَّ قاتلى فاسقنى الخمر ، حتّى إذا ذهلَتْ منها ذواهِلى ، وماتت لها مفاصلى فشأنَك وما تريد . ففعل به ما أراد ، فلما طابت نفسُه ودعا به ليقتله أنشأ يقول :

وخيَّرنى ذو البؤسِ فى يوم بؤسِهِ   خِصالاً أرى فى كلِّها الموتَ قد برَقْ

كما خُيِّرتْ عادٌ من الدهر مرّةً   سحائبَ ما فيها لذى خِيرة أنَقْ[2]

سحائبَ ريحٍ لم توكَّل ببلدة   فتتركها إلاّ كما ليلةِ الطلَقْ

* * *

وأنشد بعده لرؤبة ، وهو الشاهد السابع عشر بعد المائة ، وهو من شواهد س[3] :

٣٢٥

١١٧ (إنِّى وأسْطَارٍ سُطِرْنَ سَطْرَا   لَقَائلٌ : يانصرُ نصرٌ نصرًا)

على أن التوكيد اللفظىّ فى النداءِ حكمُه فى الأغلب حكمُ الأوّل ، وقد يجوز إعرابه رفعاً ونصباً ، فنصر الثانى رفع إتباعاً للفظ الأوّل ، والثالثُ نصبٌ إتباعا لمحلّ الأوّل .

---

(١) فى النسختين : « وارد » ، صوابه « وراد » كما يقتضيه السجع ، مطابقا لما فى الأغانى ١٩ : ٨٧ ومعجم البلدان (الغريان) . وفى سمط اللآلىء ٨٤٥ :

خيرتنى بين سحابات عاد   أردت من ذلك شر المراد

والشطر الأول من هذا الذى يوهم أنه شعر ، فى طراز المجالس ١٢٠ .

(٢) هذا ما فى ط والأغانى ١٩ : ٨٧ . وفى ش : « لذى الموت قد برق » ، وهو سهو من الناسخ .

(٣) سيبويه ١ : ٣٠٤ والعينى ٤ : ١١٦ وابن يعيش ٢ : ٣/٣ : ٧٢ والخصائص ١ : ٣٤٠ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٧٤ وهمع الهوامع ١ : ٢/٢٤٧ : ١٢١ وملحقات ديوان رؤبة ١٧٤ .

وضعّف الشارح المحقّق البدلَ والبيانَ فى مثله وقال : « لأنهما يفيدان مالا يفيده الأوّلُ من غير معنى التأكيد ، والثانى فيما نحن فيه لايفيدُ إلاّ التأكيد » .

ومَنع أبو حيّان كونَه من التأكيد اللفظىّ أو البدل ، وحَصره فى البيان فقال : « لايجوز أن يكون نصر الثانى توكيداً لفظياً . قيل : لتنوينه والأوّل ليس كذلك ، ورُدّ بأن هذا القدر من الاختلاف مغتفَر فى التأكيد اللفظىّ . وقيل : للاختلاف فى التعريف : فيا نصرُ عُرِّف بالإقبال عليه لا بالعلميّة ، والثانى معرَّف بالعلميّة ، فكما لايجوز جعلُ الثانى فى : جاء الغلامُ غلامُ زيد ، تأكيداً لفظيًّا لاختلافهما فى التعريف ، فكذلك هذا . ولا يجوز أن يكون بدلاً لأنه منوَّن ، ولا نعتا لأنّه علم » اهـ .

وفيه نظر . فإن اتحاد جهة التعريف فى التأكيد غير مسلّمة ، بل يكفى اختلافها .

ثم قال أبو حيّان : « ولا يجوز أن يكون مرفوعاً على أنه خبر مبتدإ مضمر ، ولا نصبُه على إضمار فعل ؛ لأن هذا النوعَ من القطع إنما تكلّمت به العرب إذا قصدَتِ البيانَ أو المدحَ أو الذمَّ أو الترحّم ، ونصر لايُفهَم منه شىء من ذلك » اهـ .

وفيه أنه يصحّ نصبه على المدح بدليل ما بعده ، وهو :

(بلّغك اللهُ ، فبلِّغْ نصرا نصرَ بنَ سيّارٍ يُثِبْنِي وَفْرَا)

فإنه رُوى أن نصراً فى البيت الأوّل ، وهو صاحبُ نصرِ بن سيّار ، منعه من الدخول إلى نصر بن سيّار وهو أمير خُراسان فى الدولة الأمويّة ، فتلطّف به وأقسم له بأنّه يدعو له ، وطلب منه المعونة .

وقول خضر الموصِلى ، شارح شواهد التفسيرَين : بأنه يجوز نصبه

على الذمّ ، لأنّ الحاجب منعه من الدخول إلى الأمير ، غفلةٌ عن البيت الثانى.

ورُوى نصبه أيضاً : إمّا لما ذكرنا ، وإما للإتباع على محلّ الأوّل ، وإما لأنّه مصدرٌ بدلٌ من فعل الأمر أى انصرنى — وقال بدرُ الدين فى شرح الخلاصة : يجوز كونه مصدراً دعائيّا كَسَقياً ورَعياً — فيكون نصر الثالث تأكيداً على الوجوه الثلاثة .

وروى الجَرمىّ عن أبى عبيدة أن النصر : العطية ، يريد : يا نصر عطيّةً عطيّةً . ويردّه رواية الرفع . وزعم أبو عبيدة أيضاً : أن نصراً الثانى هو حاجبُ نصر بن سيّار ، والأوّلَ هو ابن سيّار ، فنصبه على الإغراء ، أى يا نصر عليك نصراً . ويردّه شيئان : رواية الرفع ، والدعاء ؛ وفيه أيضاً غفلة عن البيت الثانى .

وروى فى (نصر) الثانى أيضاً ضمُّه بلا تنوين كالأول ، على أنه توكيد لفظىّ له تبِعَهُ فى البناء . وروىٰ صاحب اللباب فيه وجهاً رابعاً : وهو جرّه مع نصب الأول ؛ قال شارحه الفالى[1] : « فيكون المضاف إليه على هذا جنساً ، كما تقول : طلحة الخيرِ ، وحاتِم الجودِ . والتنكير للتفخيم » .

وملخّص ما ذكرنا : أن نصراً الأوّل روى فيه وجهان : ضمُّه ونصبُه ؛ والثانى رُوى فيه أربعة أوجه : ضمُّه ورفعُه ونصبُه وجرُّه ؛ والثالث روى فيه وجه واحد وهو النصب .

(١) الفالى ، بالفاء : نسبة الى فالة ، بلدة قريبة من أيذج من بلاد خوزستان وهو محمد بن سعيد بن محمد بن أبى الفتح السيرافى ، قال السيوطى فى البغية : « صاحب شرح اللباب ، لم أعثر له على ترجمة » وسمى فى اقليد الخزانة « اسماعيل الفالى » قال الميمنى : « منه نسخة كتبت سنة ٧٧٥ هـ بحيدر أباد . ويوجد كثير من نسخه بالهند » .

٣٢٦ واعلم أن الصاغانىّ قال فى العباب ، وتبعه صاحب القاموس : أن اسم الحاجب إنّما هو « نضْر » بالضاد المعجمة ، وأنّ الثلاثة فى البيت الأول بالإعجام ، وإهمال الصاد تصحيف ؛ وأما نصر فى البيت الثانى فهو بالإهمال لا غير . وكذا قال ابن يَسعون : رأيت فى عُرْض كتاب أبى إسحاق الزجّاج بخطّ يده وهو أصله الذى قرأ فيه على أبى العبّاس : نضر الذى هو الحاجب بالضاد معجمة .

وأنشده سيبويه بنصب نصر الثانى ، قال الأعلَم : الشاهد فيه نصبه نصراً نصراً ، حملاً على موضع الأوّل ، ولو رفع حملاً على لفظ الأوّل لجاز .

قال النحّاس : وقد خُولف فى هذا : فقال الأصمعىّ : النصر : المعونة ؛ فهو على هذا منصوب على المصدر كأنه قال : عوناً عونا .

وقوله :(لقائلٌ) خبر إنّ . وجملة القَسم أعنى قوله : (وأسطار . . الخ) اعتراضٌ بين اسم إنّ وخبرها ، والواو للقسم ، أى وحقٌّ أسطارِ المصحَف ، وهو جمع سطْر جمع قلّة كأسطر ، وفى الكثرة : سِطار وسُطور ، ويجمع أسطار على أساطير .

واستشهد صاحب الكشّاف بهذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ إنْ هذا إلاّ أساطيرُ الأوّلين[1] ﴾ على أن أساطير جمع أَسطار بفتح الهمزة جمع سطر .. وجملة (سُطِرْن) بالبناء للمفعول صفة لأسطار . و (سطراً) مفعول مطلق . وقوله (يا نصر) إلى قوله (بلّغك الله) مقول القول . وبلّغ بالتشديد متعدّ إلى مفعولين ثانيهما محذوف أى مرادَك ؛ وثلاثيُّه متعدّ إلى واحد ، يقال

---

(١) من الآية ٢٥ من الأنعام و ٣١ من الأنفال .

بلغت المنزل : إذا وَصلته . وبلِّغْ : فعـل أمر ومفعوله الأول محذوف : أى أرْجوزتى ومديحى ونحوهما . و (نصر) الثانى عطف بيـان للأوّل . و (يثِبْنى) مجزوم فى جواب بلِّغْ ، يقـال : أثابه الله أى جزاه وأعطاه . و (الوفر) المال الـكثير .

وترجمة رؤبة تقدمت فى الشاهد الخامس[1] . والعجب من الصاغانى حيث ردّ على سيبويه فى أن هذا الشاهد ليس لرؤبة ولم يبين قائله .

نصر بن سيار

وأما (نصر بن سيّار) فقد كان أمير خُراسان فى الدولة الأمويّة ؛ وكان أوّل مَن ولاّه هشام بن عبد الملك . وكانت إقامتـه فى مرو ، إلى أن جاء أبو مسلم الخراسانى إلى مروَ وأرسل إلى نصر يدعوه إلى كتاب الله وسنة رسوله و « الرِضا » من آل محمّد صلى الله عليه وسلم . فلما رأى نصرٌ ما مع أبى مسلم من اليمانية والربَعيّة والعجَم ، وأنّه لا طاقة له بهم ، أظهر قَبول ما أتاه به وأنه يأتيه ويبايعه ، واستمهلهم ؛ ثم هرب نصر إلى سَرخْس ، واجتمع عليه ثلاثة آلاف رجل ، ثم سار نصر فنزل جِوارَ الرَىّ وكاتَبَ ابنَ هُبَـيرة يستمدُّه ، وهو بواسط ، وقال له : أمِدَّنى بعشرة آلاف قبل أن تمِدَّنى بمائة ألف ثم لا تغنى شيئا . فحبس ابنُ هبيرة رُسلَه وتباطأ ، فأرسل نصر إلى مرْوان ابن محمد يُعْلمه ما فعل ابن هُبيرة . فـكتب مرْوان إلى ابن هبيرة يأمره أن يمدّه . فجهّز ابن هبيرة جيشا كثيفاً أمّر عليهم « ابن عُطيف » إلى نصر . ولما قدِم نصرٌ إلى الرَّىّ أقام بها يومين ثم مرض ، فحمل إلى ساوةَ فمات بهـا لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول من سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وعمره خمس وثمانون سنة .

---

(١) الجزء الأول ص ٨٩ .

وهذه نسبته من الجمهرة : نصر بن سيّار بن رافع بن حَرِّى (بفتح الحاء وكسر الراء المشددة المهملتين) ابن ربيعة بن عامر بن هلال بن عوف بن جُندُع بن ليث ؛ وينتهى نسبه إلى مدركة بن إلياس بن مضر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد المائة(١) :

١١٨ (علا زيدُنا يومَ النَّقا رَأسَ زيدِكُمْ
بأبيَضَ ماضى الشَّفْرَتَينِ يَمانِ)

٣٢٧

على أن العلَم إذا وقع فيه اشتراك لفظى جاز إضافته للتعيين .

والعلمية قد ذهبت بالإضافة كما يأتى بيانه بعد هذا .

وأورده ابن عقيل فى شرح الألفية على أن(٢) الإضافة من قبيل إضافة الموصوف إلى القائم مقام الوصف ، أى علا زيد صاحبُنا رأس زيد صاحبِكم ، فحذف الصفتان وجعل الموصوف خلفا عنهما فى الإضافة .

و (النَّقا) بالقصر : الكثيب من الرمل ؛ والتعريف للعهد . وأراد باليوم الوقعةَ والحربَ التى كانت عند النقا ، وهذا معنى قولهم : « أيام العرب » . و (الأبيض) السيف ، والماضى : النافذ بالقطع . و (الشَّفرة) بفتح الشين : حدّ السيف ؛ وثنّاه باعتبار وجهيه .

ورواه المبرِّد فى الكامل بتغيير بعض ألفاظه مع بيت آخر وأورده فى أول الثلث الثالث منه فى باب هذه ترجمته : « بابٌ يجمع فيه طرائفُ من

(١) سيأتى أيضا فى ٢ : ٣/١٦١ : ٢٥٢ . وانظر العينى ٣ : ٣٧١ وابن يعيش ١ : ٤٤ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٦٠ والكامل ٥٢٤ وزهر الآداب .

(٢) ط : « من أن » ، صوابه فى ش .

حسَن الـكلام وجيِّد الشعر وسائر الأمثال ومأثور الأخبار » ثم قال :
« وقال رجل من طيء — وكان رجل منهم يقال له زيدٌ ، مِن ولد عُروة بن زيدِ الخيلِ ، قتلَ رجلا من بنى أسد يقال له زيد ، ثم أُقيدَ به بعدُ — :

علا زيدُنا يوم الحمى رأسَ زيدِكمْ بأبيضَ مشحوذِ الغِرار يمانِ
فإن تَقتُلوا زيداً بزيد فإنما أقادكُم السلطانُ بعد زمان . اهـ

ومثله فى أواخر زهر الآداب للحصْرىّ قال : « قال[1] رجل من طيّء — وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عروة بن زيد الخيل قتل رجلاً [اسمه زيد[2]] فأقاد منه[3] السلطان — فقال يفتخر على الأسديين . . » وأنشد البيتين كرواية المبرِّد . . ولم أر مَن رواه : « يوم النقا[4] » وظهر بهذا أنه شعر إسلامىّ . فإنّ زيد الخيلِ من الصَّحابة رضى الله عنهم .

والمشحوذ : مفعول من شحذت السيف أشحَذه شحذاً من باب منع أى حددته ، والمِشْحَذة بالـكسر : المِسَنّ ، والتّشحيذ : جعل الشىء حاداً . والغِرار بكسر الغين المعجمة ، قال فى الصحاح « والغِراران . شَفْرَتَا السيف ؛ وكلّ شىء له حدّ فحدُّه غِرارُه » . وقوله : أقادكم السلطان ، أى مكّنكم من قتله قوَداً [5] ويقال أقاد السلطانُ القاتلَ بالقتيل : قتله به قَوداً .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد المائة[6] :

---

(١) ط : « كان » ، صوابه فى ش وزهر الآداب
(٢) التكملة من زهر الآداب
(٣) ط : « عنه » صوابه فى ش وزهر الآداب
(٤) سيأتى قريبا ان ابن جنى روى : « يوم النقا » ، فى الشاهد التالى . وكذا فى روايات الكامل وابن يعيش .
(٥) ط : « أى كفكم عن قتله قودا » ، وهو عكس المعنى المراد ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح فى « مكنكم » فقط .
(٦) انظر أيضا الخزانة ٣ : ٢٥٢ والعينى ١ : ٢١٨ ، ٥٠٩ وابن يعيش ١ : ٤٤ والانصاف ١٩٨ وشرح شواهد الشافية للبغدادى ١٢

١١٩ (رأيتُ الوليدَ بنَ اليزيد مباركاً
شديداً بأحناءِ الخلافةِ كاهِلُه)

على أن العلَم إذا وقع فيه اشتراكٌ اتفاقى جاز تعريفه باللام . يعنى : ويزول تعريف العلمية بأن ينكّر ثم يعرف باللام .

قال ابن جنّى فى سرّ الصناعة — ومن خطه نقلت — : واعلم أن قولك : جاءنى الزيدان ، ليس تثنية زيدٍ هذا العلم المعروف ؛ وذلك أن المعرفة لايصحّ تثنيتها فلا تصحّ إلاّ فى النكرات ؛ فلم تثنّ زيداً حتّي سلبتَه تعريفَه فجرى مجرى رجل وفرس ، وحينئذ لم يُستنكر دخولُ لام المعرفة . وقد جاء فى الشعر منه ، قال ابن ميّادة : (وجدنا الوليد بن اليزيد) يريد : يزيدَ . ومما يؤكّد جوازَ خلع التعريف قوله :

* علا زيدُنا يوم النَّقا رأسَ زيدِكم *

٣٢٨ فإضافة الإسم تدلّ على أنه قد كان خَلَع عنه ما كان فيه من تعرفه ، وكساه التعريفَ بإضافته إياه إلى الضمير ، فجرى فى تعريفه مجرى أخيك وصاحبك ؛ وليس بمنزلة زَيد ، إذا أردتَ العلَم ، وعلى هذا : لو سألت عن زيد عمرو فى قول من قال : رأيت زيدَ عمرٍو ، لما جازت الحكاية ولكان بالرفع لا غير اهـ ملخصاً .

و (اللام) فى الوليد للمح الأصل ؛ قال بعضهم : نكتة إدخالها فى اليزيد الإتباع للوليد . واستشهد به ابن هشام فى شرح الألفيّة على أن ما لا ينصرف إذا دخلته ألْ ، ولوكانت زائدة ، صُرِفَ كما فى اليزيد . فجعلَها زائدة لامعرفة . و (رأيت) هنا عِلْمّية . و (مباركا) هو المفعول الثانى . و (شديداً) من تعدّد المفعول الثانى ، لأن جزأى باب علم أصلهما المبتدأ والخبر ، والخبر قد

يتعدد . . وإن كانت بَصَرِيّة فمباركاً حال من مفعولها — وشديداً تعدّد من تعدُّد الحال أو من ضمير مباركا ، فهي حال متداخلة ؛ والوجهُ الأولُ ، ويؤيده : أنه روى : (وجَدْت) بدل رأيت . و (الوليد) هو ابن يزيد بن عبد الملك بن مرْوان الأمويّ . وشديداً صفة مشبَّهة يعمل عمل فعله : و(كاهله) فاعله . وزعم السيوطى أن فعيلا أُعمل لاعتماده على ذى خبر ، وفيه الفصل بينه وبين مرفوعه بالجار والمجرور . انتهى فتأمل . و (الأحناء) : جمع حِنْو بالكسر ، وهو الجانب والجهة ، وقيل : هو هنا بمعنى السَّرج والقتَب ؛ كُنِيَ به عن أمور الخلافة الشاقّة . و (الكاهل) ما بين الكتفين . ورُوى (بأعباء الخلافة) جمع عبء ، وهو كالحمل لفظاً ومعنى . وقال العينيّ : شبّهه بالجمل المحمَّل ، وشبّه الخلافة بالقتَب : وأراد كأنه يحمل شدائدَ أمورِ الخلافة .

أبيات الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لاميّة ، لابن ميّادة يمدح بها الوليد المذكور ، وليسَ هو أوّلَ القصيدة كما زعم العينيّ ؛ بل هو أوّل المديح ؛ وقبله :

(همتُ بقولٍ صادقٍ أن أقولَه　　　وإنّى على رَغْم العَدُوّ لقائِلُهْ)

وبعده :

(أضاء سِراجُ المُلْكِ فوقَ جَبينه　　　غداةَ تَناجى بالنجاحِ قوابِلُهْ)

وهذا كقول الشاعر :

فى المهد يَنطقُ عنْ سَمادة جَدِّه　　　أثرُ السيِّادةِ ساطِعَ البُرْهانِ

وأول القصيدة :

(ألا تسألُ الرَبْعَ الذى ليسَ ناطقاً　　　وإنى على أن لا يُبِينَ لَسائِلُه)

أى إنى مع عدم إبانته لَسائِله .

وترجمة ابن ميّادة تقدّمت فى الشاهد التاسع عشر[١] .

الوليد بن يزيد

و (الوليد بن يزيد) بويع سنة خمسٍ وعشرين ومائة بعد موت عمّه هشام ابن عبد الملك . وقُتل الوليد فى سنة ستٍ وعشرين ، لأنه رمى بالكُفر وغِشْيان أمّهات أولاد أبيه . وكان منهمكا فى اللهو وشرب الخمر وسَماع الغِناء . ومما اشتهر عنه : أنه استفتَح المصحفَ الكريمَ فخرج له قوله تعالى : (واسْتَفتَحُوا وَخابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنيد[٢]) ، فألقاه ونَصبَه غَرَضاً ورماه بالسِّهام ، وقال :

تُهَدِّدُنى بجبَّارٍ عنيد فها أنا ذاك جبارٌ عنيد
إذا ماجئتَ ربَّكَ يومَ حشْرٍ فقلْ يا ربِّ مزّقَني الوليد

فلم يلبثْ بعدذلك إلاّ يسيراً حتى قُتل[٣] كذا فى تاريخ النُّوَيرِىّ وغيره .

٣٢٩

وقُطع رأسُ الوليد ونصب على رمحٍ وطِيفَ به دِمَشْق ، ثم دُفع إلى أخيه سليمان بن يزيد ، فلما نظر إليه سليمان قال : بُعداً له ! أشهد أنه كان شَرُوباً للخمر ماجناً فاسقاً ، ولقد أرادنى على نفسى — وكان سليمان هذا ممن سعى فى خلعه — وكان عمرُ الوليد حينئذ اثنتين وأربعين سنة،وقيل ثمانى وثلاثين ، وقيل غير هذا . وكانت مدة « سلطنته » سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً .

* * *

(١) الجزء الأول ص ١٦٠ وما بعدها .
(٢) الآية ١٥ من سورة ابراهيم .
(٣) انظر أمالى المرتضى ١ : ١٣٠ حيث أورد القصة والشعر . وأيضا رسالة الغفران ٣٧٨ — ٣٨٠ وترجمته فى الأغانى ٦ : ٩٨ حيث أوردا طرفا من شعره الخبيث

وأنشد بعده، وهو الشاهد العشرون بعدالمائة، وهو من شواهد س[1] :

١٢٠ (يا صاحِ ياذَا الضامرُ العَنْس)

على أن (الضامر العنْس) و (المخوِّفنا) تركيبان إضافيّان قد وقعا صفتين للمنادىٰ الذى هو اسم إشارة، وصفة المنادىٰ إذا كانت مضافةً وجب نصبُها فكيف رُفِعتْ إتْباعا للمنادىٰ المفرد ؟

وهذا إشكاله ظاهر .. ونقل الشارح حلّه جوابين، من الإيضاح لابن الحاجب :

أحدهما : أن أل فى الضامر وفى المخوفنا موصولة، وهو الواقع صفة : أى الذى ضَمَرتْ عنْسُه والذى خوَّفنا، والإعراب فى الحقيقة للموصول، لكنْ لما كان على صورة الحرف نُقل إعرابه إلى صلته عاريّة .

ثانيهما : أنّ الضامرُ العنْسِ والمخوِّفُنا صفتان لصفةِ اسمِ الإشارة، أى ياذا الرجل الضامرُ العنْس وياذا الرجل المخوِّفُنا ؛ وإنما قُدِّر هذا : لأن صفة اسمِ الإشارة لا تكون إلاّ مفردة، وإعراب الرجل رَفْع، فيجب رفع وصفِه بالتبعيّة له ..

وهذا محصّل كلامه ؛ ويُفهم من هذين الجوابين : أنه لم يُجزْ نصبه، وهو مخالف لما نقله الفالى[2] فى شرح اللباب قال : « جوّزوا فى نحو :

---

(١) سيبويه ١ : ٣٠٦ . وانظر مجالس ثعلب ٣٣٣، ٥١٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٢، ٣٢٢ والخصائص ٣ : ٣٠٢ ومجالس العلماء ١١١ والأغانى ١٥ : ١٣

(٢) فى النسختين : « القالى »، وقد نبهت على صوابه فى حواشى ص ٢٢١ وسيتكرر هذا الخطأ فى الأصل، فاكتفيت بتكرار التنبيه عليه هنا .

* يا صاحِ ياذا الضامرِ العنسِ *

نصبَ الضامر ورفعَه ، كما لو قلت : ياذا الضامر ، رفعاً ونصبًا . وكون الوصف فى المخوّفنا مضافاً إلى الضمير كإضافة الضامر إلى العنس وَقع مثله للسيرافى ، قال ابن الشجرىّ فى أماليه : الثانى صحيح لأن الضامر غير متعدّ والاسم الذى بعده فيه أل . وكون المخوِّف مثلَه سهوٌ ، لأنه متعدّ وليس بعده اسم فيه أل ، وأنت لا تقول المخوِّف زيدٍ ؛ فالضمير فى المخوّفنا منصوب لا مجرور . اهـ

وهذه المسألة غير متَّفَق عليها فإنَّ الرمّانىّ ، والمبرِّد فى أحد قوليه ، والزمخشرىّ قد ذهبوا لما قاله السيرافىّ . كما نقله الشارح المحقِّق فى باب الإضافة ؛ فلا ينبغى الحكم بالسهو على مثل الإمام السيرافىّ .

وأنشد سيبويه هذا المصراعَ برفع الضامر على أن ذا اسم إشارة .. وأُورِدَ عليه أنه لا يستقيم ، لأن ما بعده :

(والرَّحْلِ والأقتاب والِحلْسِ)

فإن الثلاثة معطوفة على العنْس ، وهى لا توصَف بالضمور(١) . فالصواب إنشاده بالجرّ على أن « ذا » بمعنى صاحب كما أنشده الكوفيّون .

قال أبو جعفر النحّاس : أنشده س وشبّهه بقولك : ياذا الحسنُ الوجهِ . قال أبو إسحاق : وهذا غلَط عند جميع النحويّين : وذلك أن الرواية بالجرّ ، يدلّك أنّ بعده :

(والرَّحْلِ والأقتاب والِحلس)

(١) وهى ، أى الرحل والأقتاب والحلس

وبه يتبيّن أن ذا بمعنى صاحب ، وكأنه لم يبلغه ما بعده . قال أبو جعفر : سمعت أبا الحسن الأخفش يقول : بلغنى أنّ رجلا صاحَ بسيبوَيهِ من منزله وقال : كيف تنشد هذا البيت ؟ فأنشده إياه مرفوعاً ، فقال الرجل : وإنّ بَعدَه : والرحل والأقتاب والحِلس ! فتركه سيبويه وصعِد إلى منزله . فقال له : أبِنْ لى علامَ عُطِف ؟ فقال سيبويه : فلِمَ صعِدْتُ الغُرفة ! إنّى فررت من ذلك . اه .

٣٣٠

وكذا حكىٰ ثعلبٌ هذه الحكايةَ فى أماليه فى موضعين(١) وقال : « الصواب جَرّ الضامر » . وكذا حكىٰ أبو علىّ فى المسائل البصريّة وابن جنّي فى الخصائص . وقد صحّحوا كلام سيبويه بأوجه :

أحدها : قال السيرافى : هذا من باب :

* عَلفتُها تِبْناً وماءً بارداً(٢) *

وقوله :

يا ليتَ زوجَكِ قد غدا متقلّداً سَيفاً ورُمحا(٣)

على أن يجعل الثانى على ما يليق به ، ولا يخرج عن مقصد الأوّل : فيكون معنى الضامر : المتغيّر ، والرحل محمول عليه ، كأنه قال : المتغير العنْس والرحل . اه وتبعه على هذا شُرّاح أبيات الكتاب ، وأبو علىّ الفارسىُّ فى المسائل القَصْرية ، بالقاف .

ثانيها : قال أبو علىّ فى إيضاح الشعر — وتبعه ابن جنّي فى الخصائص — :

(١) الحق أنه فى الموضع الأول فقط ص ٣٣٣

(٢) سيأتى الكلام عليه فى ص ٤٩٩ بولاق .

(٣) نسب لعبد الله بن الزبعرى فى الكامل ١٨٩ .

القولَ فى جرّ الرحل : أنه معطوف على مادلّ عليه ما تقـدّم ؛ لأن قوله : ياذا الضامر العنس ، يدلّ على أنه صاحب ضامر ، فحمل الرَّحل على مادلّ عليه هذا الـكلامُ من الصاحب .

ثالثها : قال بعض النحويّين : إن أصله وياصاحب الرحل ، فحذف صاحب لدلالة قوله : يا صاح ، عليه وبقى الجرّ على حاله . قال أبو على : يرِدُ عليه أن كونه صاحبًا للمنـادىٰ لايدل على أنه صاحب رحل كما يدل قوله : ياذا الضامر العنس ، على أن له عنسًا .

رابعها : قال ابن الحاجب فى الإيضاح : إن سيبويه استدلّ بانشاد هذا المصراع بانفراده على مارواه الثقات ممن لم يعـلم تتمّته اهـ . وهذا مُصادِمٌ لما نقله ثعلبٌ والنحّاس وغيرهما من تلك الحـكاية .

و (صاح) : مرخّم صاحب . و (الضامر) من ضمَر الحيوانُ وغيرُه من باب قعد : دقّ وقلّ لحمه . و (العَنْس) بفتح العين وسكون النون : الناقة الصُّلبة الشديدة . و (الرحل) قال فى المصباح : « كل شىء يعدّ للرحيل من وِعاء للمتاع ومَرْكَب للبعير وحِلسٍ ورَسَن . وجمعه أرْحُل ورِحال » . و (الأقتاب) : جمع قتَب بالتحريك ، قال فى الصحاح : هو رَحْل صغير على قدر السَّنام . وروى ابن الشَجرىّ فى أماليه بدلَه : (والأقتادِ) وقال : هو جمع قتَد وهو خشب الرَّحل . و (الحِلس) بكسر المهملة : كساء يجعل على ظهر البعير تحت رَحْله والجمع أحلاس .

وهذا البيت نسبَه بعضُ شُرّاح أبيات الـكتاب، والزمخشرى فى مفصّله ، لخُزَزِ بنِ لَوذانَ السَدوسىّ . قال الأصبَهانىّ فى الأغانى فى ترجمة عُليّة بنت المهدىّ العباسىّ : « خُزَز : شاعرٌ يقال إنه قبْلَ امرئْ القيس » .

وخزز ، بضم الخاء المعجمة وفتح الزاى الأولى ، وهو فى الأصل ذَكَر الأرنب . ولَوْذان ، بفتح اللام وسكون الواو بعدها ذال معجمة .

و نسبه الأصبهانى فى الأغانى لخالد بن المهاجر ، وزاد بعده بيتا ورواه هكذا:

(ياصاح ياذا الضامر العنْس والرَّحْل ذى الأنساع والحِلْسِ
تسِرى النهارَ ولستَ تاركه[1] وتَجِدُّ سيراً كلَّما تمسى)

فعلى هذا فالرحل هنا بمعنى برذعة البعير ، والأنساع : جمع نِسعة بكسر النون[2] . قال فى الصحاح : « وهى التى تُنسَج عريضًا للتصدير » . والسير يكون بالنهار وبالليل ، ويكون لازماً كما هنا ومتعديًا ، يقال سرت البعيرَ ؛ وهو منصوب على الظرفية ، وكذا النهارَ . وتجدّ . من الجدّ فى الأمر بمعنى الاجتهاد فيه ، يقال جدّ يَجِدّ من باب ضرَب وقتل ، والاسم الجِدّ بالكسر . وتُمسى : مضارع أمسى الرجل : إذا دخل فى المساء ، والمساء : خلاف الصباح، قال ابن القُوطيّة : هو ما بين الظُّهر إلى المغرب .

٢٣١

وروى صاحب الأغانى أيضا[3] :

أمَّا النهار فلا تقصّره دَرَكا يزيدك كلَّما تمسى

وروى أيضا[4] :

---

(١) كذا فى النسختين ، ولا يكون السرى بالنهار ، انما يكون بالليل ، فالصواب رواية أبى الفرج ١٥ : ١٣ : « سير النهار فلست تاركه » .

(٢) الحق أنه جمع نسع ، بطرح التاء . أما النسعة فواحدة النسع بالكسر .

(٣) الأغانى ٩ : ٤٩ — ٥٠

(٤) الأغانى ٩ : ٦٣ .

أمَّا النهـار فأنت تقطعه رَتَكا ، وتصبحُ مثلَ ما تُمسى

والدَّرَك بالتحريك : التَبِعة ، يقال ما لحقك من دَرَك فعلىَّ خلاصُه ، قال رؤبة :

* ما بعدنا من طلب ولا درك *

وتسكّن راؤه أيضا . والرَّتك بفتح الراء ، والتاء تفتح وتسكّن : ضَرب من سير الإبل فيه اهتزاز ومقارَبة الخطو فى رَفَلان ، يقال رتَك يرتِك كضرب يضرب .

خالد بن المهاجر

و(خالد) قال الأصفَهانى : هو ابن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم[1] . وكان المهاجر والد خالد مع على عليه السلام بصِفِّين ، وكان خالد على رأى أبيه هاشمىَّ المذهب ، ودخل مع بنى هاشم الشِّعب ، فاضطغن ذلك ابنُ الزبير عليه ، فألقىْ عليه زقَّ خمر وصبّ بعضه على رأسه ، وشنّع عليه بأنه وجده ثمِلاً من الخمر فضربه الحدّ . وكان عمُّه عبدُ الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية فى صِفِّين ، ولهذا كان خالد بن المهاجر أسوأَ الناسِ رأيا فى عمِّه . ثم إنَّ معاوية لما أراد أن يُظهر العهدَ ليزيد قال لأهل الشام : إنّى قد كبِرَتْ سِنّى ، ورقَّ جلدى ودقَّ عظمى ، واقتربَ أجلى ، وأريد أن استخلفَ عليكم ، فمنْ تَرون ؟ فقالوا : عبدَ الرحمن بنَ خالد . فسكت وأضمرها ، ودسَّ إلى ابن أُثال الطبيب ، فسقاه سمًّا فمات ، وبلغ ابنَ أخيه خالدَ بنَ المهاجر خبرُه ، وهو بمكة ، فقال له عروة بن الزبير : أتدع ابن أثال يُفنى[2] أوصال

(١) ط فى النسختين : « عمرو بن مخزوم » ، وهو خطأ يكثر وروده ، والصواب « عمر بن مخزوم » . انظر الجمهرة ١٤٢ ونسب قريش ٤٩٩

(٢) فى النسختين : « أبقى » وفى طبقات الأطباء ١ : ١١٧ ، ١١٨ « نقى » ، صوابهما من الأغانى ١٥ : ١٣

عمك بالشام وأنت بمكة مسبلٌ إزارك . تجرّه وتخطر فيه متخايلا ؟ ! فحمِيَ خالد ، ودعا مولًى له يدعىٰ نافعاً ، فأعلمه الخبر وقال له . لابدّ من قتل ابن أثال ! فخرجا حتى قَدِما دمشق ، وكان ابن أثال يُمسى عند معاوية ، فجلس له في مسجد دمشق إلى أسطُوَانة ، وجلس غلامه إلى أخرىٰ . . فلما حاذاه وثب إليه خالد فقتله ، وثار إليه مَن كان معه ، فحملا عليهم فتفرّقوا حتى دخل خالد و نافع زُقاقاً ضيِّقا ففاتا القوم . وبلغ معاويةَ الخبرُ فقال . هذا خالد بن المهاجر ! اقلبوا الزُّقاق الذى دخل فيه . . فأُتِيَ به . فقال له معاويه : لا جزاك الله مِنْ زائرٍ خيراً ! قتلتَ طبيبي ! فقال خالد : قتلتُ المأمورَ ، وبقى الآمر فقال : عليك لعنة الله ! واللهِ لو كان تشهَّدَ مرَّةً واحدة لقتلتك به ! أمعَكَ نافع ؟ قال . لا. قال : بلىٰ ، واللهِ ما اجترأتَ إلاّ به . ثم أمر بطلَبه فأُتى به فضربه مائة سوط ، وحبَس خالداً ، وألزم بنى مخزوم دِيةَ ابن أثال اثنى عشرَ ألف درهمٍ[1] .وقال خالد فى الحبس :

إنّما خُطـاىَ تقارَبت[2] مشىَ المقيَّد فى الحصـارِ

فَبمــا أُمَشّىَ فى الأبا طحِ يقتفى أثَرى إزارى

دعْ ذا ، ولـكن هلْ ترىٰ ناراً تُشَبُّ بذى مرارِ[3]

ما إن تُشَبُّ لِقِـرَّةٍ للمصطلين ولا قُتـارِ[4]

(١) بعده فى الأغانى : « أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم ، وأخذ ستة آلاف درهم ، ولم يزل ذلك يجرى فى دية المعاهد حتى ولى عمر بن عبد العزيز ،فأبطل الذى كان يأخذه السلطان لنفسه ، وأثبت الذى يدخل بيت المال » .

(٢) فى الأصل : « اما خطاى فقاربت » ، والوجه ما أثبت من الأغانى . وجواب « ان » فى البيت بعده : « فبما أمشى » .

(٣) ط والأغانى : « بذى مزار » ، وأثبت ما فى ش وطبقات الأطباء .

(٤) الأغانى : « بالمصطلين » .

ما بالُ ليلك ليس يَنـقُص طولَه طولُ النهـارِ
لتقـاصر الأزمانِ أم غَرِضَ الأسيرِ من الإسارِ(١)

ولما بلغت معاويةَ هذه الأبياتُ رقّ له وأطلقه . فرجع إلى مكة ؛ ولمّا لَقِى عُروةَ بن الزُبير قال : أمّا ابن أثال فقد قتلتَه ، وذاك ابن جُرْمُوز يُفنِى(٢) أوصال الزُّبير بالبَصرة فاقتله إن كنت ثائرا !(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد المائة ، وهو من شواهد س(٤) :

١٢١ (جاريةٌ مِنْ قَيسٍ ابنِ ثَعْلَبَهْ)

على أن تنوين (قيسٍ) شاذّ ، لأن « ابن » وقع بين علمين مستجمِعَ الشروط ، فكان القياس حذفَ تنوين قيْس ، إلاّ أنّه نوّنه لضرورة الشعر .

قال ابن جنّي فى سرّ الصناعة : «من نوّنه لزِمهُ إثباتُ الألف فى ابن خطاً» .

وقال ابن الحاجب فى الإيضاح : « وزعم قوم أن ابن ثعلبة بدلٌ ، وقصده أن يخرجه عن الشذوذ ؛ وهو بعيد ، لأن المعنى على الوصف ، وأيضا : فإن خرج عن الشذوذ باعتبار التنوين لم يخرج باعتبار استعمال ابن بدلا » اهـ

(١) غرض : مل . وفى الأغانى :
أتقـاصر الأيـام أم عرض الأسير من الإسار

(٢) فى النسختين : « أبقى » ، صوابه من الأغانى

(٣) تمام الخبر فى الأغانى : « فشكاه عروة الى بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، فاقسم عليه أن يمسك عنه ، ففعل » .

(٤) سيبويه ٢ : ١٤٨ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٣٨٢ والخصائص ٢ : ٤٩١ والهمع ١ : ١٧٦ وابن يعيش ٢ : ٦ .

ومن أولئك القوم ابنُ جنّي ، قال فى سرّ الصناعة : إلى هذا رأيتُ جميعَ أصحابنا يذهبون . والذى أرى أنّ الشاعر لم يُرد أن يُجرىَ ابناً وصفاً على ما قبله ، ولو أراد لحذفَ التنوين ، ولكنْ أراد أن يَجرى ابناً بدلاً ممّا قبله ، وحينئذ لم يُجعَل معه كالشىء الواحد ، فوجب أن يُنوىٰ انفصالُ ابنٍ مما قبله ، ووجب أن يُبتدأ ، فاحتاج إذاً إلى الألف لئلاّ يلزم الابتداء بالساكن . وعلى ذلك تقول : كلمت زيداً ابنَ بكر ، كأنك قلت : كلمت ابنَ بكر ، فكأنك قلت : كلمت زيداً كلمْت ابن بكر ، لأن ذلك شرط البدل ، إذِ المبدَل فى التقدير من جملة ثانية .

وهذا البيت مطلع أرْجوزة للأغلَب العِجْلىّ . وبعده :

(كريمةٌ أخوالها والعَصَبَهْ   قَبّاء ذاتُ سُرة مقَعَّبَهْ

كأنّها حُقَّةُ مِسكٍ مُذْهَبَهْ   ممكورةُ الأعلىٰ رَدَاح الجَجَبَهْ

كأنّها حِلْيَة سَيفٍ مُذْهَبَهْ   أهوىٰ لها شيخٌ شديدُ العصبَهْ

خاظى البَضيعِ أيره كالخشَبَهْ   فضَرَبتْ بالوَدِّ فوق الأرْنَبَهْ

ثم انثنتْ به فُويقَ الرقبهْ   فأعلنتْ بصوتها : أنْ يا أبهْ)

(كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعْجَبَهْ)

وأراد بجارية : امرأةً من العرب اسمُها كلبة ، كان بينهما مهاجاة ؛ ومن قولها فيه :

ناكَ أبو كلْبة أمّ الأغلبْ   فهى على جُرذانه توثّبْ

توثُّبَ الكلْب لِحسِّ الأرنبْ

و (جارية) خبر مبتدإ محذوف أى هذه جارية . و (من قيس) صفة لها . وقيس بن ثعلبة : قبيلة .

وهذا البيت من شواهد مغنى اللبيب أيضا ، ولم يورده السيوطى فى شرحها .

٣٣٣ والقَبّاء : الضامرة البطن ، مؤنث الأقبّ . من القَبَب وهو دقة الخصر . والمقعَّبة : السُّرَّة التى دخلت فى البطن وعلاَ ما حولها حتى صار كالقعب ، وهو القدَح المقعَّر من الخشب . وضمير كأنها للسرّة . والممكورة : المطويّة الخلْق . وأراد بالأعلىْ : البطنَ والخَصر . والرَّداح بفتح الراء : المرأة الثقيلة الأوراك . والحَجَبة بفتح الحاء المهملة والجيم : رأس الوَرِك .وضمير كأنها للجارية. وحِلية السَّيف : زينته . ومُذهَبة صفة حلية ؛ وروى الزمخشرىّ فى مستقصى الأمثال :

(كأنها خِلّة سيفٍ مُذهَبَه)

بكسر الخاء المعجمة وتشديد اللام ، قال فى الصحاح : « الخِلَّة بالكسر : واحدة خِلَل السيوف ، وهى بطائنُ كانت تغشَّى بها أجفان السيوف منقوشةٌ بالذهب وغيره » . وأهوىْ بالشىء : إذا أومأ إليه ، وأهوىْ إلى الشىء بيده : مدّها ليأخذه إذا كان عن قرب ، فإن كان عن بعد قيل : هوىْ إليه ، بلا ألفٍ . والخاظى بمعجمتين : المكتنز والمتداخل . والبَضيع : اللحم . والأير : آلة الرجل ؛ وروى الزمخشرى فى المستقصى (عَرْدُهُ كالخَشَبه) ، والعَرد بفتح العين وسكون الراء المهملتين : الشىء الصلْب ، وأراد به الأير . والوَدّ : الوتِد . والأرنبة : طرف الأنف . وأن مفسرة ؛ وروى الزمخشرى :

(وَصرَخَتْ منهُ وقالتْ يا أبَهْ)

وقوله : كل فتاة . . الخ ، هو من إرسال المثل ، وليس من كلامها ؛ قال الزمخشرىّ : هو مثل يُضرب فى إعجاب الرجل برهطه وإن كان غير أهل لذلك[1] .

(١) المثل للعجماء بنت علقمة السعدية ، كما فى الميدانى ٢ : ٧٢ والفاخر ٢٥٣ .

الأغلب العجلى

و (الأَغلَبُ العِجْلىّ) قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : هو الأغلب ابن عمرو[1] بن عُبيدة (بالتصغير) ابن حارثة بن دُلَف بن جُشَم بن قيْس ابن سعْد بن عِجْل بن لجُيم (بالتصغير) بن الصَّعْب بن علىّ بن بكر بن وائل . وهو أرجز الرُجّاز . وأرصنهُم كلاما وأصحُّهم معانىَ . وهو القائل :

الحِلْمُ بَعْدَ الجهلِ قد يثوبُ[2] وفى الزمانِ عجبٌ عجيبُ
وعِبرةٌ ، لو ينفع التجريبُ واللبُّ لا يَشقىٰ به اللبيبُ
والمرء مُحصًى سَعيُه مرقوبُ يَهرَمُ أو تعتاقه شَعُوبُ

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : كان الأغلبُ جاهليًا إسلاميًا ، وقُتل بنَهاوَنْد . وهو أوّل من أطال الرجزَ ، وكان الرجلُ قبلَه يقول البيت والبيتين إذا فاخر أو شاتَم . وقد ذكره العجاج بقوله :

إنّى أنا الأغلبُ أضحىٰ قد نُشِرْ . . اه

وعدّه ابن الأثير فى « أسْد الغابة » من الصحابة .

قال ابن حجر فى الإصابة : « قال ابن قتيبة : أدرك الإسلامَ فأسلم وهاجر ، ثم كان ممن سار إلى العراق مع سعْد ، فنزل الكوفة واستُشهِد فى وقْعةِ نَهاوَند . وقد استدركه ابن الأثير . قلتُ : ليس فى قوله : وهاجر ، ما يدلّ على أنه هاجر إلى النبي ﷺ : فيحتمل أنه أراد : هاجر إلى المدينة بعد مَوتِه ﷺ . ولهذا لم يذكره أحد من الصحابة[3] .

---

(١) وكذا فى المؤتلف ٢٢ . وفى الاصابة وأسد الغابة والشعراء ٥٩٥ والسمط ٨٠١ والأغانى ١٨ : ١٦٤ : « الأغلب بن جشم بن عمرو» .
(٢) فى المؤتلف : « قد ينوب » ، بالنون
(٣) اى من جملة الصحابة . وفى الاصابة : « من الصحابة » .

وقد قال المرزُبانيّ في معجمه : هو مخضرَم » اه . ولم يذكر ابنُ قتيبة هجرته كما نقلنا ، ولعلّه نقله من كتابٍ آخر . والله أعلم .

وقال أبو عُبيد البكريّ في شرح نوادر القالي : الأغلب العجليّ آخرُ من عمّر في الجاهلية عُمراً طويلا ، وأدرك الإسلام فحسُن إسلامُه ، وهاجر ، واستُشهد في وقعة نهاوَند .

الأغالبة

قال الآمديّ : مَن يُقال له (الأغلَبُ) من الشعراء ثلاثة : أحدهم هذا .

٣٣٤

والثاني : الأغلب الكلبيّ ؟ ولم أجدْ له في أشعار كلب شعراً ، وأظنّ شعرَه دَرس فلم يُدرَك .

والثالث : الأغلب بن نباتة الأزديّ ثم الدّوسيّ ، أنشد له بُندار شعراً في معاني الشعر ؛ ولم أرَ له ذكراً في أشعار الأزْد ، وأظنّه إسلاميا متأخراً اه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والعشرون بعد المائة(١) :

١٢٢ (طَلَبَ المعَقِّبِ حَقَّهُ المظلومُ)

على أن فاعل المصدر ــ وإن كان مجروراً بإضافة المصدر إليه ــ محله الرفع فالمعقّب فاعل المصدر ، وقد جُرّ بإضافته إليه ، ومحله الرفع بدليل رفع وصْفِه وهو المظلوم .

وهذا عجز ؛ وصدره :

(حتّى تهجَّرَ في الرواح وهاجَها)

---

(١) العينى ٣ : ٣١٥ والانصاف ٣٣٢ ، ٣٣١ وابن يعيش ٢ : ٢٤ ، ٦/٤٦ : ٦٦ والهمع ٢ : ١٤٥ وديوان لبيد ١٢٨ .

وهو من قصيدة للبيد بن رَبيعة الصحابيّ . وصفَ به مع أبيات حماراً ، وأتانهُ ، شبّه به ناقته . وقبله :

قصيدة الشاهد

(لَوْلا تُسَلِّيكَ اللُّبانةَ حُرَّةٌ حَرَجٌ كأحناءِ الغَبيطِ عَقيمُ)

لولا هنا تحضيضية. والتسلية : إزالة الهم ؛ وضمّنه معنى النسيان . واللُّبانة: الحاجة . والحرَج ، بفتح الحاء والراء المهملتين والثالثُ جيم : الناقة الضامرة . والغَبيط ، بفتح الغين المعجمة : الرَّحل ؛ وهو للنساء يُشدّ عليه الهَودَج . وأحناؤه : عِيدانه ، فى الصحاح : « الحِنو بالكسر : واحد أحناءِ السَّرْج والقَتَب . وحِنو كل شىء أيضا : اعوجاجه » . والعقيم : التى لا تلد ؛ يريد : أنها قويّة صُلبة لم يصبْها ما يوهنُها من فقد أولادها وغير ذلك .

(حَرْفٌ أضرَّ بِها السِّفار ، كأنّها بعد الكلال مُسَدَّم محجومُ)

الحَرف : الناقة الشديدة . وأضرّ ، بالضاد المعجمة ، بمعنى لصق ودنا دنوًّا شديداً ؛ يقال أضرّ بفلان كذا : أى لصق به ودنا منه . والسِّفَار : فاعل أضرّ ؛ وهو مصدر سافر يسافر مسافرة وسفاراً . والكَلال : مصدر كَلّ من المشى : إذا أعيا . والمسدَّم : اسم مفعول ، يقال فحل مسدَّم . إذا جعل على فمه الكِمام بالكسر ، وهو شىء يجعل فى فم البعير ، يقال كَمَتُ البعيرَ : إذا شددت به فمه فى هياجه ، فهو مكموم . والسَّدِم ، بكسر الدال : الفحل المائج المشتهى الضِراب . والمحجوم : مِن حجمت البعير أحجُمه : إذا جعلتَ على فمه حِجَاما ، وذلك إذا هاج للضراب ؛ والحِجام بتقديم المهملة المكسورة على الجيم : شىء يجعل فى مقدَّم أنف البعير كى لا يعضّ عند هيجانه .

(أو مِسْحَلٌ شَنَجٌ عِضادةَ سَمْحَجٍ بِسَراته نَدَبٌ لها و كُلومُ)

المِسحل ، بكسر الميم وسكون السين وفتح الحاء المهملتين : الحمار الوحشىّ ؛

وصف ناقته بأبلغ ما يمكن من النشاط والقوّة على السير ، وذلك أنه شبهها بعد أن كَلّت وأعيت بالفحل الهائج أو بالحمار الوحشى ، وهما ما هما فى القوّة والجَلَد ! فما ظنّك بهذه الناقة قبل الإعياء ؟ ! وشَنْج بفتح المعجمة وسكون النون من الشنج ، وهو فى الأصل التقبّض ، وأراد به هنا المُلازم . والعِضادة بالكسر : الجنب . والسَّمْحج ، بفتح السين وسكون الميم وآخره جيم قبلها مهملة : الأتان الطويلة على الأرض . والسَّراة ، بفتح المهملة : الظَّهر . والنَّدَب ، بفتح النون والدال أثر الجرح . والكُلُوم : الجراحات ، جمع كلم بالفتح (وهذا البيت من شواهد سيبويه[1] : أورده على أن عضادة ، منصوب بشَنْج نصْبَ المفعولِ به) يقول : إنه ملازم لأتانه ، ولشدّته وصلابته قد لازمَها وقبضَ الناحيةَ التى بينها وبينه ، ولم يحجزه عن ذلك رَمحُها وعضُّها ، اللذان بظهره منها نَدَب وكُلوم .

٣٣٥

ثم أخذ يصفه مع أتانه : بأنهما كانا فى خِصب زمانا ، حتّى إذا هاج النبات ونضَب الماء أسرع معها إلى كُلّ نجدٍ ، يريدانِ أطيب الكلأْ وأهنأ المرعىٰ . . إلى أن قال :

(يُوفى ويَرتقِبُ النِّجادَ كأنّه	ذو إربةٍ كلَّ المَرَام يَرومُ
حتّي تهجَّر فى الرواح وهاجَها	« طلبَ المعقِّب حقَّه المظلومُ »
قَرَباً يشُجُّ بها الحُزونَ عشيّةً[2]	رَبِذٌ كمِقلاءِ الوليدِ شَتيمُ)

يُوفى : يشرف ، وفاعله ضمير مِسحل . والنِّجاد : جمع نَجد ، وهو المرتفع من الأرض ، أى يشرف على الأماكن المرتفعة كالرقيب ، وهو الرجل الذى

---

(١) سيبويه ١ : ٥٨ وابن يعيش ٦ : ٧٢ . ولم يرد فى شواهد الرضى .

(٢) ط : « يشج به » ، صوابه فى ش والديوان .

يكون رَبيئة القوم يرتفع على مكان عالٍ[1] متجسِّساً . والإِربة ، بالكسر : الحاجة . وكلٌّ : مفعول مقدم ليروم .

والتهجّر : السير فى الهاجرة ، وهى نصف النهار ، عند اشتداد الحر . وحتى بمعنى إلى . والرَّواح : اسمٌ للوقت من زوال الشمس إلى الليل ، وهو نقيض الغدوّ لا الصباح ، خلافاً للجوهرى . وهاجها : أزعجها . وطلبَ : مصدرٌ تشبيهىّ أى هاج هذا المِسحل أتناه لطلب الماء طلباً حثيثا كطلب المعقّب ، وهو اسم فاعل من التعقيب ، وهو الذى يطلب حقّه مرّةً بعد مرّة . واستشهد به صاحب الكشّاف عند قوله تعالى : ﴿لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ[2]﴾ على أن المعقّب : المقتضِى الذى يطلب الدَّين من الغريم ؛ يقال عقّبَ فى الأمر : إذا تردّد فى طلبه مجِدّاً .

والقَرَب ، محرّكة : سير الليل لورد الغد ، وهو منصوب بيشجّ : أى يقطع ، يقال شجَجْتُ المفازة : إذا قطعتَها ، والباء بمعنى مع . والحُزون : جمع حَزن بالفتح ، وهو ما غلُظ من الأرض . ورَبِذ : أى هو ربذ بفتح الراء وكسر الموحدة وبالذال المعجمة، وهو السريع الخفيف القوائم فى المشى . والمِقلاء ، بالكسر والمد كمِفْعال ، والقُلَة بالضم والتخفيف : هما عودان يلعب بهما الصبيان ، والأوّل يضرَب به والثانى ينصب ليضرب ؛ يقال قلوت القُلَة بالمِقلاء أقلو قَلْواً . أى أنه يسوقها كما أن المِقلاء يسوق القُلَة . والشَّتيم : الكريه الوجه يُشتَم لعنفه وغِلْظته ، وهو صفة رَبذ .

وقوله : (طلبَ المعقّب حقّه) يجوز أن يكون حقّه مفعولَ المصدر ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط

(٢) الآية ٤١ من سورة الرعد .

وهو الطلب ، ويكونَ مفعولُ المعقِّب محذوفاً ، وأن يكونَ مفعولَ المعقِّب ، لأنّه بمعنى الطالب والمقتضِي ، ويكونَ مفعولُ المصدر محذوفاً : على التنازع . وإلى هذا جنح الفارسيّ وقال : فلو قدّم المظلوم على حقّه لم يجزْ ، لأنّك لا تصف الموصول ، وهو أل هنا ، حتّى يتمّ بصِلته ، وصلتُه لم تتمّ بعد ، لأن حقَّه من صلة المعقِّب ومن تمامه .

وتوجيه هذا الشاهد على ما ذكره الشارح المحقّق هو المشهور والمتداوَل بين الناس ، وهو ليعقوب بن السِكِّيت . وقال أبو حيّان فى تذكِرته : أنشده الفرّاء وهشام . (وهاجَه) بتذكير الضمير ، على أنه عائد على الحمار ؛ وقال : الطلب عندهما فى هذه الرواية مرفوع . وفى البيت تخاريج أخر .

(ثانيها) لأبى حاتم السجِستانىّ قال : المظلوم جارٍ على الضمير الذى فى المعقِّب : يريد أنه بدلُ كلٍّ من الضمير لتساويهما فى المعنى . وقال العينىّ : « هو بدل اشتمال من الضمير » . وفيه أنّ بدل الاشتمال لا بدّ له من ضمير .

٣٣٦

(ثالثها) لأبى على الفارسىّ فى المسائل البَصْرية والقصْرية : وهو أن يكون المظلوم فاعلَ المصدر ويكونَ المصدرُ مضافاً لمفعوله ؛ والمعقِّب حينئذ معناه الماطل ، يقال عقّبنى حقّى أى مطلَني . وعلى هذا فحقّه مفعول المعقِّب لاغير ، وحينئذ لا يجوز تقديم المظلوم عليه لما تقدّم . وكأنه قال : طلبَ المظلومِ الماطلَ حقَّه ، فتكون الهاء راجعة إلى المظلوم على نحو : ضرب غلامَه زيدٌ ، لأنها متّصلة بالمفعول ؛ أى طلبَ المدينِ للماطلَ حقَّه أى حقّ المدين فإن الحقّ له لا للمستدين . وقد يجوز أن تكون راجعة للمستدين ، يريد حقَّه أى الذي يجب عليه الخروج منه ، وكذلك قوله تعالى (ولِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ

دِينَهُمْ[1]) فأضاف الدِّين إليهم لِما كان واجباً عليهم الأخذُ به وإن لم يكونوا متدينين به . وكذلك قولُه تعالى : (زَيَّنا لِكلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُم[2]) أى العملَ الذى أُمروا به ونُدِبوا إليه وشُرِع لهم . . قال : وعلى هذا يحتمل أن تكون راجعة إلى المعقِّب بأسره ، وأن تكون راجعة إلى أل ، على قول أبى بكر ، وأن تكون راجعة إلى الذى دلّت عليه أل على قول أبى عثمان . . ونسب أبو حيّان فى تذكِرته قولَ الفارسىِّ إلى جماعة من قدماء اللغويِّين ، وقال : تلخيصه : وهاج الحمار الأتان هيجاناً مِثلَ طلبِ المعقِّب حقَّه . وقالوا : موضعُ المعقِّب نصبٌ بالطلب ، وناصبُ الحقِّ المعقِّبُ ، وفاعلُ الطلب المظلومُ . وتفسير يعقِّب حقَّه يطلبه مرّة بعد أخرى اﻫ . ولا يخفى أنَّ هذا تخليط بين القولين .

(رابعها) لابن جنّى فى المحتسب : أنّ المظلومُ فاعل حقَّه . قال فى سورة النحل فى توجيه قراءة ابن سِيرينَ : (وإن عَقَّبْتُمْ فعقِّبوا[3]) . أى إن تتبّعتم فتتبَّعُوا بقدر الحقِّ الذى لكم ، ولا تزيدوا عليه ، قال لَبيد :

حتى تهجّرَ فى الرواح وهاجَهُ طلبَ المعقب . . . . . . إلخ

أى هاجه طلباً مثلَ طلبِ المعقِّب حقَّه المظلوم ، أى عازَّه[4] ومنعه المظلوم ، فحقَّه على هذا فعل حقَّه يحقُّه أى لواه حقَّه . ويجوز طلبَ المعقب حقَّه ، فتنصب حقَّه بنفس الطلب مع نصب طلب ، كما تنصبه مع رفعه ، والمظلوم صفة المعقب على معناه دون لفظه ، أى أن طلب المعقب المظلوم حقه فى الموضعين جميعاً .

(١) الآية ١٣٧ من سورة الأنعام .
(٢) الآية ١٠٨ من سورة الأنعام .
(٣) الآية ١٢٦ من سورة النحل .
(٤) عازه معازة : غالبه . ط : « عاذه » صوابه فى ش.

هذا كلامه . وعليه فينظر : ما فاعل حقّه مع نصب طلب ؟ وأما مع رفعه فهو فاعل هاجه . وينظر أيضاً : ما موضع جملة حقّه المظلومُ من الاعراب . على أنّ حقّه بمعنى لواه حقّه لم أجده فى كتب اللغة . وقوله : « كما تنصبه » أى تنصب الحقّ . وقوله : « مع رفعه » أى مع رفع الطلب . وقوله « فى الموضعين جميعاً » أى فى نصب الطلب ورفعه . وبالجملة كلامه هنا خلافُ كلامِ الناس ، وفيه تعقيد لا يظهر معه المراد . فليُتأمّل .

وقال ابن برّىّ فى شرح أبيات الإيضاح لأبى علىّ . قوله : وهاجه ، أى أثاره يعنى العَير ، والفاعل التهجُّر أو الطلب ، والتقدير : هاجه مثل طلب المعقِّب فحذف المضاف ؛ ويروى « هاجَها » أى هاج العيرُ الأتان ، وطلبَ منصوب على المصدر بما دلّ عليه المعنى ، أى طلبَ الماء كطلب المعقِّب ؛ وإن شئتَ جعلته مفعولا من أجله ، أى هاجها للطلب ، وحقّه مفعول بالمصدر ، والمعقِّب فاعلُ أضيف إليه المصدر ، وهو الذى يتبع عقب الإنسان فى طلب حقّ أو نحوه ، والمظلومُ نعت للمعقِّب على الموضع . وقال يعقوب : المعقِّب : الماطل ، عقّبنى حقى أى مطَلنى . فعلى هذا يكون المعقِّب مفعولا والمظلوم فاعلا . وقيل : المظلوم بدل من الضمير فى المعقب اه كلامه .

٣٣٧

لبيد بن ربيعة

و (لَبيد) هو ابن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كِلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعْصعَة الصحابىّ رضى الله عنه . قَدِم على النبي صلى الله عليه وسلم ، سنةَ وفدَ قومُه بنو جعفر بن كلاب ، فأسلم وحسُن إسلامه . وكان لبيد وعَلقمة ابن عُلاثة العامريَّانِ من المؤلَّفة قلوبهم ؛ وهو معدود فى فحول الشعراء المجوِّدين ، كذا فى الاستيعاب .

وقال ابنُ قتيبة فى كتاب الشعراء : كنيته أبو عقيل . وكان من شعراء

الجاهليّة وفُرسانهم . وكان الحارث الغسّانىّ ، وهو الأعرج ، وجّه إلى المنذر ابن ماء السماء مائة فارسٍ وأمَّره عليهم ؛ فساروا إلى عسكر المنذِر وأظهروا أنهم أتوه داخلين عليه فى طاعته ، فلما تمكّنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم فقُتِل أكثرهم ونجا لَبيد ، فأتى ملكَ غسّان فأخبره ، فحملَ الغسّانيون على عسكر المنذِر فهزموهم — فهو يوم حَليمة . وحليمة : بنْتُ ملك غسّان ؛ وكانت طيَّبتْ هؤلاء الفِتيان وألبستهم الأكفان . ولما أسلم مع قومه رجع قومه إلى بلادهم ، وقَدِم هو الكوفةَ ؛ فأقام بها إلى أن مات ؛ فدفن فى صحراء بنى جعفر بن كلاب . ويقال : إن وفاته كانت فى أوّل مدّة معاوية رضى الله عنه ومات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة . انتهى .

وقال فى الاستيعاب : قد قيل : إنه مات بالكوفة أيام الوليد بن عُقبة فى خلافة عثمان وهو أصحُّ . فبعث الوليد إلى منزله عشرين جَزُوراً فنُحِرَتْ عنه .

ثم قال ابن قتيبة : ولم يقل شعراً فى الإسلام إلاّ بيتاً واحداً ، قال أبو اليقظان وهو قوله :

الحمدُ لله ، إذ لم يأتنى أجَلى حتّى كسانى من الإسلام سِرْبالا !

وقال غيره : بل هو قوله :

ما عاتَبَ المرءَ الكريمَ كنفسِهِ والمرء يُصْلِحُهُ الجليسُ الصالحُ

وكتب عمر بنُ الخطاب إلى عامله المغيرة بن شعبة بالكوفة : أن استنشِدْ مَنْ عندك مِن شعراء مِصْرك ما قالوه فى الإسلام . فأرسل إلى الأغلب العِجْلىّ أن أنشدنى ، فقال :

لقدْ طَلبتَ هيِّناً موجودا أرجَزاً تريدُ أم قَصيدا

ثم أرسل إلى لبيد : أن أنشِدْنى ؛ فقال : إن شئت ما عُفى عنه (يعنى الجاهلية) قال : لا ، ما قلتَ فى الإسلام . فانطلق إلى بيته فكتب سُورةَ البقرة فى صحيفة ثم أتىٰ بها فقال : أبدلنى اللهُ هذه فى الإسلام مكانَ الشعر . فكتب بذلك المغيرة إلى عمر ، فنقصَ من عطاء الأغلب خمسمائة ، وزادها فى عطاء لبيد ، فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة . فكتب الأغلب إلى عمر : يا أمير المؤمنين تنقُصُ عطائى أنْ أطَعْتُك ! فردَّ عليه خَمسمائة وأقرَّ لبيداً على الألفين والخمسمائة فلما كان زمَنُ معاويةَ رضى الله عنه وأراد أن يجعل عطايا الناس ألفين قال له : هذان الفَوْدان فما هذه العِلاوة[1] ! فقال له لَبيد : أموتُ ويبقىٰ لك الفَوْدانِ والعِلاوة ، وإنما أنا هامةُ اليوم أو غد ! فرقّ له وتَرك عطاءه على حاله . فمات بعد ذلك بيسير ولم يقبِضها .

وفى الاستيعاب : ذكر المبرِّدُ وغيره : أن لبيداً كان شريفاً فى الجاهلية والإسلام ؛ وكان نذر أن لا تهُبّ الصبَا إلاّ نحَرَ وأطعم ؛ وأنّ الصبَا هبّتْ يوماً ، وهو بالكوفة مُقتِر مُمِلق ، فعلم بذلك الوليدُ بن عقبة بن أبى مُعَيْط — وكان أميراً عليها لعثمان — فخطب الناسَ فقال : إنكم قد عرفتم نذر أبى عَقيل ، وما وكّد على نفسه ؛ فأعينوا أخاكم . ثم نزل ، فبعث إليه بمائة ناقة وبعث الناسُ إليه ، فقضىٰ نذره — وفى خبرِ غيرِ المبرّد : فاجتمعتْ عنده ألفُ راحلة — وكتب إليه الوليدُ :

أرَىٰ الجزّارَ يَشحَذ شَفرتَيه إذا هبّتْ رياحُ أبى عَقيلِ
أغرُّ الوجه أبيضُ عامرىٌّ طويلُ الباع كالسَّيف الصَّقيلِ

٣٣٨

---

(١) فى الشعراء ٢٣٣ : « فما بال العلاوة ؟ » وبعده : « يعنى بالفودين الألفين ، وبالعلاوة الخمسمائة ، وأراد أن يحطه اياها » . وأصل الفود : العدل من أعدال البعير . أما العلاوة فما يكون بين العدلين من خشبته ونحوها .

وَفى ابنُ الجعفرىِّ بحلفَتَيهِ[١] على العِلاّتِ والمالِ القليل
بِنَحْرِ الكُومِ إذ سُحبت عليه ذيول صَباً تجاوَبُ بالأصيلِ

فقال لَبيد لابنته[٢] : أجيبيه ، فقد رأيتنى وما أعيا بجواب شاعر ! فأنشأتْ تقول :

إذا هبّتْ رياحُ أبى عقيلِ دعَونا عند هَبّتها الوَليدا
أشمَّ الأنف أصيدَ عَبشَمِيا أعان على مُروءته لَبيدا
بأمثال الهِضاب ، كأنّ رَكبا عليها من بَنى حامٍ قُعودا
أبا وهبٍ ، جزاك الله خيراً نَحرْناها وأطعَمْنا الثريدا[٣]
فعُدْ ، إنّ الكريم له مَعاد وظَنّي بابنِ أروىْ أن يَعُودا[٤]

فقال لها لبيد : قد أحسنتِ لولا أنك استزدْتِهِ ! فقالت : والله ما استزدْته إلاّ لأنّه مَلِك ، ولو كان سُوقة لم أفعل .

وقالت عائشة رضى الله عنها : رحم الله لبيداً حيث يقول :

ذهبَ الذين يُعاشُ فى أكنافهمْ وَبقِيتُ فى خَلْفٍ كجلد الأجرَبِ
لا ينفَعونَ ولا يُرَجّىٰ خيرُهم ويُعابُ قائلُهم وإن لم يشغَبِ

قلت : فكيف لو أدرك زماننا ! انتهى .. والخلف بسكون اللام :

(١) كذا فى الاستيعاب ١٣٣٦ والشعراء . وفى أمالى ابن الشجرى: « بما عليه » وفى الكامل ٤٦٦ : « بما لديه » .

(٢) فى الاستيعاب : « فلما أتاه الشعر وكان قد ترك قول الشعر قال لابنته » .

(٣) ط : « الوليدا » صوابه فى ش والمراجع السابقة وفى الكامل .

(٤) الكامل ٤٦٧ : «فعِدانُ الكريم له معاد» والاستيعاب والشعراء . « يا ابنى أروى » لكن فى الشعراء « أن تعودا » ، وأثبت ما فى ش والكامل . وأروى أم الوليد ، وهى أروى بنت كريز

النسل الطالح ؛ وبفتح اللام : النسل الصالح . والشَّغْب : تحريك الشرّ والفِتنة[١] .

ثم قال ابن قتيبة : و (مُلاعِبُ الأسِنّة) عمُّ لَبيد . وهو عامر بن مالك . وسُمِّى مُلاعِب الأسنّة بقول أوس بن حَجَر :

ولاعبَ أطرافَ الأسِنَّةِ عامرٌ فراحَ له حظُّ الكتيبةِ أجمعُ

وكان مُلاعِبُ الأسِنّة أخذ أربعينَ مِرْباعاً فى الجاهلية .

و (أرْبَد بن قيس) الذى أتى رسول الله ﷺ غادراً مع عامر بن الطفيل هو أخو لبيد لأمّه ، فدعا اللهَ عليهما ، فمات عامر بالطاعون ونزلتْ صاعقة على أرْبَدَ فأحرقته . ويقال : فيه نزلت : (ويُرسِلُ الصواعِقَ فيُصيبُ بها مَن يشاء[٢]) . ورثاه لبيد بأشعار كثيرة . انتهى

وروى أبو حاتم السجستانىّ فى كتاب المعمَّرين[٣] ، بسنَده إلى الشعبىّ قال : أرسل إلىَّ عبدُ الملك بنُ مروان ، وهو شاكٍ ، فدخلتُ عليه فقلت : كيف أصبحتَ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحت كما قال ابن قَمِيئة الشاعر :

كأنّى وقد جاوزتُ تِسعينَ حِجَّة خلعتُ بها عنّي عِذار لجامِى

رَمَتْنى بناتُ الدهر من حيثُ لا أرى فكيفَ بمن يُرمى وليس برامِ

فلو أنها نَبْلٌ ، إذاً لاتقيْتُها ولكنّني أُرمىٰ بغير سِهامِ

إذا ما رآنى الناسُ قالوا: ألم تكنْ جليداً شديدَ البطْش غير كَهامِ

فَنيتُ ولم يفنَ من الدهر ليلة ولم يُغنِ ما أفنيت سلك نظامِ[٤]

(١) ط : « والشغب ، بالتحريك : تهييج الشر » وفى ش : والشغب تحريك الفتنة » ، وقد جمعت الصواب منهما . وفى اللسان : « الشغب ، بسكون الغين : تهييج الشر والفتنة »

(٢) الآية ١٣ من سورة الرعد

(٣) المعمرين ٦١ ، ٨٩

(٤) وكذا فى المعمرين ٦١ لكن فى المعمرين ٨٩ : « فأفنى وما أفنى

على الراحتين مرّةً ، وعلى العصا   أنوء ثلاثاً بعدهنّ قيامى

فقلت : لا يا أمير المؤمنين ، ولكنّك كما قال لبيد بن ربيعة :

نفسى تَشكى إلىّ الموتَ مُجهِشةً   وقد حملتُك سَبعاً بعد سَبعينا

فإن تزادى ثلاثا تُحدثى أملا   وفى الثلاثِ وفاء للثمانينا

فعاش والله حتّي بلغ تسعينَ حِجّة ، فقال :

كأنى وقد جاوزتُ تسعين حِجّةً   خلعتُ بها عن مَنكِبَيّ ردائيا

فعاش حتى بلغ عَشراً ومائة سنة ، فقال فى ذلك :

أليسَ فى مائةٍ قد عاشها رجلٌ   وفى تكاملِ عَشر بَعدَها عمرُ

فعاش والله حتى بلغ عشرين سنةً ومائة ، فقال فى ذلك :

وغَنيتُ سَبتاً بعد مجرىٰ داحسٍ   لو كان للنفس اللَّجوج خُلودُ[1]

فعاش والله حتى بلغ أربعين ومائة سنة ، فقال فى ذلك :

ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولِها   وسؤالِ هذا الناسِ : كيف لبيدُ ؟

فقال عبدُ الملك : والله ما بىَ بأس ، اقعدْ حدّثْني ما بينك وبينَ الليل . فقعدْتُ فحدَّثْتُهُ حتّي أمسيتُ ، ثم فارقتُه فمات فى ليلته .

* * *

= من الدهر » ، وكذا فى الديوان ٢٣ : « وافنى وما افنى » . ط : « ولم يفن ما أفنيت » صوابه فى ش والمعمرين والديوان . وسلك النظام : الخيوط ينظم بها الدر ونحوه .

(١) ط : « وغنيت ستا » ، وهو تحريف ظاهر . والسبت ، كفلس : الدهر

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[(١)] :

١٢٣ (فإنْ لمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عدنانَ والداً ... ودونَ مَعدٍّ ، فلْتَزَعْكَ العَواذِلُ[(٢)])

على أن (دون) بالنصب معطوف على محلّ الجار والمجرور ، أعنى (مِنْ دون) . وكذلك أورده سيبويه قال : وكأنّه قال : فإن لم تجد دونَ عدنانَ والداً ودونَ معدّ .

قال ابن هشام فى المغْنى : شرط العطف على المحل إمكان ظهور ذلك المحل فى الفصيح نحو : ليس زيد بقائم ولا قاعداً ، فإنه يجوز أن تسقط الباء وتنصب ، ولا يختص مراعاة الموضع بأن يكون العامل فى اللفظ زائداً كما مثل ، بدليل :

فإن لم تجد من دون عدنان والداً ... . البيت

وهذا البيت من قصيدة أزْيَد من خمسين بيتاً للبيد بن ربيعة الصحابىّ ، رضى الله عنه ، رثى بها النعمانَ بن المنذرِ ملِكَ الحِيرة . . وأولها :

قصيدة الشاهد

(ألا تَسألانِ المرء ماذا يُحاولُ ... أنَحبٌ فيُقضىٰ أمْ ضلال وباطلُ

حبـائلُه مبثُوثةٌ فى سبيلهِ ... ويَفنيٰ إذا ما أخطأته الحبائلُ

إذا المرء أسرىٰ ليـلةً خال أنَّه ... قضىٰ عملا ، والمرء ماعاش عامل

فقولا له ، إن كان يُقسِم أمرَه : ... ألمّا يعِظْك الدهرُ ، أمُّك هابل

فتعلَمَ أن لا أنتَ مُدرك مامضىٰ ... ولا أنت مما تَحذرُ النفسُ وائلُ

فإن أنتَ لم تصدُقْكَ نفسك فانتسب ... لعلَّك تَهديك القرونُ الأوائلُ

(١) الخزانة أيضا ٣ : ٦٦٩ والإنصاف ٢٠٨ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٩٣ وديوان لبيد ٢٥٥

(٢) ش : « اذا لم تجد » ، صوابه فى ط والمراجع السابقة

«فإنْ لم تجِدْ من دُون عدنانَ باقياً ودونَ معدٍّ فلتزَعْكَ العواذلُ»

أرىٰ الناسَ لا يدرُون ما قدرُ أمرِهِمْ بلىٰ كلُّ ذي رأيٍ إلى اللهِ واسلُ

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائل!

وكلُّ أناسٍ سوفَ تدخلُ بينهم دُوَيْهِيَةٌ تَصفرُّ منها الأناملُ!

وكلُّ امرئٍ يوماً سيَعلَمُ سعيَهُ إذا كُشِفَتْ عندالإلٰه الحصائل)

قوله : ألا تسألان المرء . . البيت ، يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى (ماذا)[1] . وقوله : حبائلُه مبثوثة . . البيت ، الحبائل : جمع حِبالة وهى الشَّرَك ، والضمير للموت ، وأراد بحبائله : الأحداثَ التى هى سبب الموت ومبثُوثةٌ : منصوبةٌ على طُرُقهِ . والهاء فى سبيله عائدة على المرء . ويفني : يهرَم .

وسرى وأسرى بمعنىً . يقول : إذا سهر المرء ليلةً فى عمل ظن أنه قد فرغ منه ، وهو ماعاش يعرضُ له مثلُ ذلك ، وهو أبداً مادام حيًّا لا ينقطع عملُه ولا حوائجه . وقوله : فقولا له إن كان . . إلخ ، أقسَمَ بمعنى قدّر ؛ يعنى : قولا له ، إن كان يدبّر أمرَه وينظر فيه : ألم يعظك مَن مضي قبلك فى سالف الدهر ، هل رأيته بقى عليه أحد . ثم دعا عليه فقال : أمُّك هابل ! يقال هبلتْه أى ثَكلتْه .

وقوله : فتعلم ، بالنصب جواب لمّا . وأنْ مخفّفة من الثقيلة . ووائل : من وألَت النفسُ بمعنى نجت ، والمَوئِل : المنجى .

وقوله : فإن أنت لم تصدُقْك . . إلخ ، يقول: إن لم تصدُقك نفسُك عن هذه الأخبار ، بل كذَبتك ، فانتسِب : أى قلْ أين فلان ابن فلان ، فإنك

(١) انظر الشاهد ٤٤٥ .

لاترى أحداً بقى ؛ لعلّك تهديك هذه القرونُ وتُرشِدك . ورُوى : فإن أنت لم ينفعك علمك فانتسِب .

قال أبو علىّ فى إيضاح الشعر : « أنت مرتفع بفعل فى معنى هذا الظاهر ، أى فإن لم تنتفع . ولو حُمل أنت على هذا الفعل الظاهر ، الذى هو ينفعك ، لوجب أن يكون موضعَ أنت إيّاك ، لأنّ الكاف الذى سببه مفعولةمنصوبة » . وهذا أولىٰ من تقدير ابن قاسم فى شرح الألفيّة : أن أصله فإن ضلات لم ينفعك . وزاد الفارسىّ على الوجه الثانى : أن فيه إنابة الضمير المرفوع عن المنصوب . والقرون : جمع قَرن ، وهو أهل زمان واحد .

وقوله (فإن لم تجد . . إلخ) تَزَعْكَ : تكفّك ، قال أبو الحسن الطوسىّ فى شرح ديوان لَبيد : وزعه يزَعه ، بالفتح ، ويزِعهُ ، بالكسر ، وزْعا ووزُوعا : إذا كفّه . وعدنان جدّه الأعلىٰ ، لأن مضر بنُ نزار بن معدّ بن عدنان . يقول : لم يبق لك أبٌ حىّ إلى عدنان ، فكُفَّ عن الطمع فى الحياه . . ومعنى البيتين : أن غاية الإنسان الموت ، فينبغى له أن يتّعظ : بأن ينسب نفسه إلى عدنان ، فإن لم يجد مَن بينَه وبينه من الآباء باقيا ، فليعلم أنه يصير إلى مصيرهم ، فينبغى له أن ينزِع عما هو عليه . و (العواذل) هنا حوادث الدهر وزواجرُه ، وإسناد العذْل إليها مجاز . وقال الطوسىّ : العواذل : النساء .

وقوله : أرى الناس . . الخ ، الواسل : الطالب الذى يطلُب ، من قولك . أنت وسيلتى إلى فلان . واستشهد به صاحب الكشاف على أن الوسيلة فى قوله تعالىٰ : (وابتغُوا إليْهِ الوَسِيلةَ[1]) ما يُتوسل به إلى الله تعالى ، من فِعل الخيرات واجتناب المعاصى . والواسل : هو الراغب إلى الله ؛ يعنيْ ذو

(١) الآية ٣٥ من سورة المائدة .

وسيلة أو هو كتامرٍ ولابنٍ . ورُوى (لُبّ) وهو العقل ، بدل (رأى) .
والمعنى : أرى الناسَ لايعرفون ماهم فيه من خطَر الدنيا وسرعة زوالها ،
فالعاقل اللبيب مَن يتوسل إلى الله تعالى بالطاعة والعمل الصالح .

٣٤١

وقوله : ألا كل شيء . . إلخ ، قد وقع فى بعض الروايات هذا البيت
أولَ القصيدة فى صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنّ النبىَّ
صلى الله عليه وسلم قال . أصدقُ كلمةٍ قالها شاعرٌ كلمةُ لبيد :

ألا كلُّ شىء ماخلا اللهَ باطلُ

وفى روايةٍ لهما : « أشعرُ كلمةٍ تكلَّمت بها العربُ كلمةُ لبيد . . الخ » .
وقد رُوى أيضاً بألفاظ مختلفة ، منها . « إن أصدق كلمة . . » ومنها .
« إن أصدق بيت قاله الشاعر . . » ومنها . « أصدق بيت قالته الشعراء . . »
وكلّها فى الصحيح ومنها . « أشعر كلمة قالتها العرب . . » .

قال ابن مالك فى شرح التسهيل : وكلها من وصف المعانى بما يوَصف به
الأعيان ، كقولهم . شِعْرٌ شاعر ، ويصاغ منه أفعل باعتبار ذلك المعنى فيقال :
شعرك أشعَرُ مِن شِعْره .

وروىٰ ابن إسحاق فى مغازيه . أن عثمان بن مَظعُون رضى الله عنه مرّ
بمجلس من قريش فى صدر الإسلام ، ولبيد بن ربيعة رضى الله عنه ينشدهم :

* ألا كلُّ شىء ما خلا اللهَ باطلُ *

فقال عثمان رضى الله عنه : صدقْتَ . فقال لبيد :

* وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ *

فقال عثمان : كذبتَ ، نعيمُ الجنة لايزول أبداً ! فقال لبيد : يا معشرَ
قريش واللهِ ما كان يُؤذىٰ جليسُكم فتىٰ حدَث هذا فيكم ؟ فقال رجل :

ان هذا سفيه من سفهائنا قد فارقَ ديننا ، فلا تجِدَنّ فى نفسك من قوله . فردّ عليه عثمان ، فقام إليه ذلك الرجلُ فلطم عينَه فخضَرها[١] ، فقال الوليد ابن المغيرة لعثمان : إنْ كانت عينك لغَنيّةً عما أصابها ، لم رَددْتَ جوارى ! فقال عثمان : بلْ واللهِ إنّ عينيَ الصحيحةَ لفقيرةٌ لمثلِ ما أصابَ أختَها فى الله ، لا حاجة لى فى جوارك ! .

وروى أحمد بن حنبل فى زوائد الزهد[٢] : أن لبيداً قَدِم على أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه فقال :

* ألا كلُّ شىءٍ ماخلا اللهَ باطل *

فقال : صدقت . قال :

* وكلّ نعيم لا محالة زائل *

فقال : كذبتَ ، عند الله نعيمٌ لا يزول ! فلما ولّىٰ قال أبو بكر رضى الله عنه ربمّا قال الشاعرُ الكلمةَ من الحكمة !

وأخرج السِّلَفىّ فى المشيخة البَغدادية من طريق هاشم ، عن يعلى عن ابن جراد ، قال : أنشدَ لَبيدُ النبيّ ﷺ قولَه :

* ألاَ كلُّ شىءٍ ما خلا الله باطلُ *

فقال له : صدقتَ ! فقال :

(١) فى النسختين . « فحضرها » مع تشديد الضاد فى ش . وفى شرح شواهد المغنى ٥٦ : « فخصرها » ، وقد جمعت بين الرسمين ، يقال خضر النخل يخضره خضرا : قطعه . واختضر الجارية ، اذا افتضها قبل بلوغها .

(٢) كذا . وانما الزوائد لولده عبد الله بن أحمد . وكتاب الزهد لأحمد بن حنبل . انظر كشف الظنون ٢ : ٢٧٩ .

* وكلّ نعيمٍ لا محالة زائلُ *

فقال له : كذبتَ ، نعيمُ الآخرة لا يزول !

وأجاب العينيُّ عن ذلك من وجهين : الأوّل : أن لبيداً إنما قال ذلك قبل أن يسلم ، فيمكن أن يكون فى اعتقاده فى ذلك الوقت أنَّ الجنة لا وجود لها ، أو كان يعتقد وجودَها ولكن لا يعتقدُ دوامَها ، كما ذهبت إليه طائفةٌ من أهل الأهواء والضلال . والثانى : أنه يمكن أن يكون أراد به ما سوى الجنةِ من نعيم الدنيا لأنه كان فى صدَد ذمِّ الدنيا وبيانِ سُرعة زوالها . وأمَّا تكذيب عثمان إياه فلكونه حمل الكلام على العموم . انتهى .

وقال ابن حجر فى شرح البخارى ، فى باب الشعر : التعبير بوصف كلّ شىء بالبطلان تندرج فيه العبادات والطاعات ، وهى حقٌّ لا مَحالة ؛ وأجيب : بأن المراد ماعدا اللهَ وما عدا صفاتِه الذاتيةَ والفعليّة من رحمة وعذاب ؛ أو المراد بالبطلان الفناء لا الفساد ، وكلُّ شىء سوى الله تعالى جائزٌ عليه الفناء لذاته ، حتّى الجنة والنار ، وإنما يبقيان بابقاء الله تعالى لهما وخلقِ الدوام لأهلهما . والحقُّ على الحقيقة مَن لا يجوز عليه الزوال لذاته . انتهى .

ومثله للسُّيوطى ، فى البدور السافرة ، عند ذكر قوله تعالى : (كلُّ شَىءٍ هالكٌ إلاّ وجهَهُ[1]) . أى قابل للهلاك ؛ وكلّ محدَث قابل لذلك وإنْ لم يَهلِك ، بخلاف القديم الأزلىّ . ويؤيِّد ذلك أنّ العرش لم يَرِدْ خبرٌ أنه يَهلِك . فلتكن الجنّة مثلَه . وقال فى موضع آخر من ذلك الكتاب وفى بحر الكلام : قال أهل السنّة : سبعةٌ لا تفْنَى : العرش والكرسىّ واللّوح والقلم والجنّة والنار بأهلهما والأرواح . وقال صاحب المفهِم شرحِ مسلم ، وكذا البَيْهقى وغيره من

٣٤٢

(١) الآية ٨٨ من سورة القصص

المحدّثين : إن هذه السبعة يقع لها هلاك نسبيٌّ ، وهو غِشيان يمنع الإحساس ، وفناء ما مِن الأوقات . قلت : والظاهر وقوع ذلك ، على تقدير صحته ، بين النفختين ، عند قوله عز وجل : (لمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ(١)) فلا يجيبه أحدٌ كما وردت به الروايات . انتهى

والباطل هنا الذاهب الزائل ، ومعناه الهالك الفانى : أى القابل للهلاك والفناء . وقال بعضهم : الباطل فى الأصل ضدّ الحقّ ، والمراد به هنا الهالك . وقال العَيْنيّ : « الباطل : ضدّ الحق ؛ وفى عرف المتكلّمين : الباطل ، الخارج عن الانتفاع ؛ والفاسد يقرب منه ، والصحيح : ضدّه ومقابله . وفى عرف الشرع : الباطل من الأعيان : مافات معناه المقصودُ المخلوق له من كلّ وجه ، بحيث لم يبق إلا صورته ، ولهذا يذكر فى مقابلة الحقّ الذى هو عبارة عن الكائن الثابت ؛ وفى الشرع يراد به ما هو المفهوم منه لغة ، وهو ما كان فائت المعنيْ من كل وجه مع وجود الصورة ، إما لانعدام محلّية التصرّف كبيع الميتة والدم ، أو لانعدام أهلية المتصرّف كبيع المجنون والصبيّ الذى لايعقل . فإن قلتَ : مامعناه هنا ؟ قلت: المعنى كل شىء سوى الله تعالى زائلٌ فائت مضمحلٌ ليس له دوام . انتهى

والمحالة بفتح الميم : الحِيلة ، قال الجوهرىّ : قولهم لا محالة أى لابدّ . وقوله: وكل أناس سوف تدخل بينهم . . الخ يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى (ماذا(٢)) .

وقوله : وكل امرئٌ يوما . . الخ ، سعيه : عمله . والحصائل : الحسنات والسيئات التى بقيت له عند الله تعالى ؛ وهو بالحاء والصاد المهملتين .

---

(١) الآية ١٦ من سورة غافر

(٢) وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الأربعمائة .

ثم شرع بعد هذا فى تقلّب الدهر بأهله ، وبدأ بذكر النعمان وما كان فيه من سَعَةِ الملك ونعيم الدنيا ، ثم ذكر ملوكَ الشام آلَ غسانَ وما فعل الدهر بهم فبادوا كأن لم يكونوا ، فقال :

(ليَبْكِ على النُّعمانِ شَرْبٌ وقَيْنَةٌ وَمُخْتَبِطاتٌ كالسَّعالى أَرامِلُ)

الشَّرْب : جمع شارب ، يريد أصحابه الذين كان يشاربهم . والقَينة : الخادم[1] . والمختبطات الفِرَق السائلات المعروف . والسعالى : الغيلانُ ، شبّه السائلاتِ بها ، فى سوء حالهنّ وقبحهنّ . والأرامل : المحاويج الجياع من أرملَ القوم : إذا نفد زادهم وجاعوا . وقال فى آخر القصيدة :

(فأمسىٰ كأحلامِ النِيامِ نعيمُهُمْ وأىّ نعيم خِلْتَه لايزايلُ)

فظهر بهذا أن هذه القصيدة ليستْ فى مدح النعمان كما زعم من تكلّم على هذه الأبيات ، بل هى بالرثاء أشبه ، لاسيما أوائل القصيدة فإنها تناسب ماقلنا. والله أعلم .

وترجمة لبيد تقدمت فى البيت الذى قبل هذا البيت .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

---

(١) الخادم يقال للمذكر والمؤنث أيضا .

(٢) سيبويه ١ : ٣٤ . وانظر أيضا الخزانة ٢ : ١٤٣ والانصاف ٣٣٢ وابن يعيش ٢ : ٤/١٠٩ : ٩ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٩٤ والشعراء ٤٥ وتصحيف العسكرى ٢٠٧ والقالى ١ : ٣٦ والسمط ١٤٨ – ١٤٩

٣٤٣ ١٢٤ (فَلَسْنا بالجبالِ ولا الحديدَا)

على أن قوله (الحديدا) معطوف على محلّ الجارّ والمجرور وهو قوله : (بالجبال) ، وهو خبر ليس والباء زائدة . وكذلك أورده سيبويه . وهو عجزٌ وصدرُه :

(مُعَاوِيَ ، إنّنا بَشرٌ فأسجِحْ)

و (معاويَ) منادىً مرخّم معاوية بن أبى سفيان . و (أسجِحْ) بقطع الهمزة وتقديم الجيم على المهملة ؛ ومعناه ارفق وسهِّلْ . وخدٌّ أسجَح أى طويل سهْل .

وقد ردّ المبرد على سيبويه روايته لهذا البيت بالنصب ؛ وتبعه جماعةٌ منهم العسكرىّ صاحب التصحيف قال : ومما غلِط فيه النحويّون من الشعر ورووه موافقاً لما أرادوه ، ما رُوى عن سيبويه عندما احتجّ به فى نسَق الاسمِ المنصوب على المخفوض . وقد غلِط على الشاعر ، لأنّ هذه القصيدة مشهورةٌ ، وهى مخفوضةٌ كلّها . وهذا البيت أولها . وبعده :

أبيات الشاهد

(فَهَبْنا أُمَّةً ذهبتْ ضِياعاً يزيدُ أميرُها وأبو يزيدِ
أكلْتم أرضَنا فجرَدْتُموها فهلْ مِن قائم أو مِن حَصيدِ
أتَطمعُ فى الخلود إذا هلَكنا وليس لنا ولا لك مِن خلودِ
ذرُوا خَونَ الخلافةِ ، واستقيموا ، وتأميرَ الأراذلِ والعبيدِ
وأعطونا السّوِيّةَ لا تَزرْكُمْ جنودٌ مردَفاتٌ بالجنودِ)

صاحب الشاهد

وهذا الشعر لعُقَيبة بن هُبيرة الأسدىّ ؛ شاعرٌ جاهلىٌّ إسلامىّ . وفد على معاوية بن أبى سفيان فدَفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات ، فدعاه معاوية

فقال له : ما جرّأك عليّ ؟ قال : نصحْتُكَ إذ غشُّوك ، وصدَقتك إذْ كذَبوك !
فقال : ما أظنّك إلاّ صادقاً ! فقضىٰ حوائجَه .

ويروىٰ أن أبا بُردة بن أبى موسىٰ الأشعرىّ جاء إلى معاوية فقال له :
يا أمير المؤمنين ، إن عُقيبةَ أخا بنى أسد هجانى ؟ فقال : وما قال لك ؟ قال :
قال لى :

* فما أنا من حُدَّاث أمِّكَ بالضحىٰ[1] *

فقال له معاوية : ليس من حُدَّاثها ! قال : وقال لى :

* ولا مَنْ يُزَكِّيها بظَهْرِ مَغيبِ *

فقال معاوية : لكنّ اللهَ ورسولَه والمهاجرين والأنصارَ يُزكّونها ؛ وكانت
تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وقال لى :

* وأنتَ امرؤٌ فى الأشعرينَ مقابل *

فقال : صدق . قال : وقال لى :

* وفى البيتِ والبَطْحاء حَقٌّ غريبِ *

فقال : صدق ، ليس لك فى البيت ولا فى البَطْحاء حقٌّ ! قال : يا أمير المؤمنين
فندَعُه على هذا ؟ قال : ما قال لى أشدُّ مما قال لك . . وقرأ له الأبيات ؛
فقال : يا أمير المؤمنين ، ما تصنع به ؟ قال : تعالَ ندعُ اللهَ عليه .

و (عقيبة) بالقاف يحتمل أن يكون مصغّر عُقْبة (كظلمة) وهى بقيّة

---

(١) فى النسختين : « حراث » وكذا « حراثها » فى الشرح التالى .
وقد كتب الشنقيطى الحرف (د) فوق كل من « حراث » و « حراثها » فى
الشرح بعده ، اشارة الى صوابها

المرَق ونحوِ ذلك تردّ في القدر المستعارة؛ أو مصغّر العُقْبة بمعنى النَّوْبة ، يقال تمّتْ عُقْبتك . وهما يتعاقبان أي يتناوبان .

وقوله : فجرّدتموها ، أي قشرتموها كما يُجرَّد اللحمُ من العظْم وقوله : فهل من قائم ، يعني : القرىٰ التي أُهلكت ، منها قائم قد بقيت حيطانه ، ومنها حصيد قد امّحى أثره(١) والخَوْن ، بفتح الخاء وسكون الواو : مصدر كالخيانة . والتأمير : تفعيل من الإمارة . والسوِيّة : المساواة : والنَّصَفة .

٣٤٤ ولم أرَ لعُقيبةَ هذا ذكراً في كتب الصحابة ، ولم يذكره ابن حجر أيضاً في الإصابة من المخضرمين . والظاهر أنه من المخضرمين .

وأجاب الزمخشريّ ، تبعاً لما قاله ابن الأنباري في الانصاف ، بأن هذا البيتَ روي مع أبيات منصوبة ومع أبيات مجرورة ، فمن رواه بالجرّ روىٰ معه الأبيات المتقدمة ، ومن رواه بالنصب رَوى معه :

(أديروها بني حَرْب عليكمْ ولا تَرمُوا بها الغرضَ البعيدا)

يقول : ضمُّوا الخلافةَ والوِلاية إليكم ، ولا ترموا بها أقصى المرامى : أي لا تطرحوا النظر في أمرنا وتتركونا مع الولاة الذين من قِبَلكم يجورون علينا . .

وهذا الشعر لعبد الله بن الزَّبِير الأسديّ . قالوا : وليس يُنكَر أن يكونَ بيتٌ من شعرين معاً(٢) ، لأن الشعراء قد يستعير بعضُهم من كلام بعض ، وربما أخذَ البيتَ بعينه ولم يُغيِّره كقول الفرزدق :

---

(١) الحق أن القائم والحصيد ، انما هو صفة للزروع . ولكنه تبع في ذلك السيوطي في شرح الشواهد ٢٩٥ . وقال السيوطي : « كقوله تعالى : منها قائم وحصيد » . لكن شتان ما بين معنى البيت ومعنى الآية .

(٢) في النسختين : « بيتا » ، وان كان الشنقيطي قد صححها .

تَرى الناسَ ما سِرْنا يسيرُون خَلفَنا   وإنْ نحنُ أومأنا إلى الناس وقّفوا

فإن هذا البيت لجميل بن عبد الله[1] ، انتحله الفرزدق .

وأورد ابن خلف نظيرَ هذا فى شرح أبيات الكتاب ما يزيد على مائة بيت . ومثلُ ما نحن فيه قولُ الأخنَس بن شهاب اليشكرىّ :

إذا قصُرت أسيافُنا كان وصلُها   خطانا إلى أعدائنا فنضارِبُ

والقصيدة مرفوعة القوافى ، وأخذه قيس بن الخطيم ، وجعله فى قصيدة مجرورة القوافى ، وسيأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى الظروف .

وزعم السيرافىّ : أن شعر عُقيبة الأسَدىّ يجوز فى إنشاد قَوافيه الجرُّ والنصب . قال اللخمىّ فى شرح أبيات الجمل : وهذا وهمٌ لأن فيها ما يجوز فيه الوجهان عند البصريين ، ومنها ما لا يجوز فيه عندهم إلاّ وجهٌ واحد ؛ ولايجوز أن يُنشَد بعضُ القصيدة منصوباً وبعضُها مرفوعاً على طريق الإقواء ، لأن الإقواء فى الغالب إنما يكون بين المرفوع والمجرور لما بينهما من المناسبة ؛ فأما مايصحّ فيه الوجهان فالبيت الأوّل والثالث والخامس ، والنصب فيه عطفٌ على خَون الخلافة ، ويجوز أن يكون معطوفاً على تأمير الأراذل ، على حذف مضاف ؛ فأما البيتان الباقيان فلا يصحّ فيهما النصب على مذهب البصريّين ، ويجوز على مذهب الكوفيّين ، لأنهم يجيزون ترك صرف ما ينصرف[2] فى الشعر ضرورة اهـ . ولا يخفى أن الكوفيين إنما يجيزون ترك صرف المنصرف إذا كان علماً ، يكتفون بشَطر العلّة كما هو المشهور ، وقدّمنا فى أول باب مالا ينصرف ما يغنى عن إعادته هنا[3] .

(١) لم أجده فى ديوانه ، ولم يسجله فى الزيادات جامعه .
(٢) فى النسختين : « مالا ينصرف » ، والوجه ما أثبت .
(٣) أنظر الجزء الأول ص ٣١ وما بعدها

وقيل : إنه من شعر آخر لعبد الله بن الزَّبِير وهو :

رمى الحَدَثانُ نسوةَ آلِ حربٍ بِمقدارٍ سَمَدْنَ له سُمودَا
فردَّ شعورَهُنَّ السُودَ بِيضاً وردَّ وُجوهَهُنَّ البيضَ سودَا
فإنَّكَ لو سَمِعتَ بكاءَ هندٍ ورملةَ إذْ تَصُكَّانِ الخُدودا
سَمِعتَ بكاءَ باكيةٍ حزينٍ أبانَ الدهرُ واحِدَها الفقيدا !
معاويَ ، إنّنا بشرٌ فاسجحْ . . . . البيت

ولا يخفى أن هذا البيت أجنبيٌّ من هذه الأبيات، ويدلّ عليه : أن أبا تمام أنشدَ هذه الأبياتَ لمن ذكرنا ، في باب المراثى من الحماسة [1] ، بدون البيت الأخير ولم يذكره أحدٌ من شراحه .

والحدَثانُ بالتحريك : الحادثة ، ونائبة الدهر . والمِقدار : ما قدّره الله تعالى . وفيه قلبٌ أى رمى تقديرُ اللهِ نسوةَ آل حرب بحدَثان . والسُّمود : تغيُّر الوجهْ من الحزن .

عبد الله ابن الزبير

و (ابن الزَّبير) هو عبد الله بن الزَّبير بن الأشيَم بن الأعشىٰ بن بَجرة (بفتح الموحدة والجيم) وينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمة . والزَّبِيرُ بفتح الزاى وكسر الموحدة .

وعبد الله شاعرٌ كوفىّ المنشأ والمنزِل . وهو من شعراء الدولة الأمويّة ومن شيعتهم والمتعصّب لهم ؛ فلما غلَب مُصعَب بن الزُبير على الكوفة أُتىَ به أسيراً ، فمنّ عليه ووصلَه وأحسن إليه ؛ فمدَحه وأكثرَ من مدْحه وانقطع إليه

٣٤٥

(١) انظر الحماسة ٩٤١ بشرح المرزوقى . وقد نسبت الأبيات فى زهر الآداب ٤٠٥ الى ابن الزبير أيضا . وفى عيون الأخبار ٣ : ٦٧ الى فضالة بن شريك . وفى القالى ٣ : ١١٥ الى الكميت بن معروف .

فلم يزل معه حتى قُتِلَ وعمى بعد ذلك ، ومات فى خلافة عبد الملك بن مرْوان . وكان الحجاج أرسله فى بَعْثٍ إلى الرَّىّ فمات بها . وكان أحَدَ الهجّائين[1] ، يخافُ الناس شرَّه وله حكايات مسطورة فى الأغانى .

ومن شعره يمدح عمرو بن عثمان بن عفّان — وكان رآه عمرو فى ثياب رثّة فاقترضَ ثمانية آلاف درهم باثنيْ عشرَ ألفاً وأرسلها إليه مع رِزْمَة ثياب[2] فقال (وهو من أبيات تلخيص المفتاح) :

سأشكرُ عَمراً إن تراخت مَنيّتى ... أيادىَ لم تُمْنَنْ وإنْ هىَ جَلّتِ[3]

فتى غيرَ محجوب الغنيْ عن صديقه ... ولا مظهرِ الشكوىْ إذا النّعلُ زلّت

رأى خلّتي من حيثُ يَخفىْ مكانُها ... فكانتْ قذىْ عينيه حتى تجلّتِ

ومدحَ أسماء بن خارجة الفَزارىَّ بقصيدة منها :

تراه إذا ما جئتَـه متهلّـلا ... كأنّك تعطيه الذى أنت سائله[4]

ولو لم يكنْ فى كفّه غيرُ روحه ... لجادَ بها ، فليَتّقِ اللهَ سائلُه[5]

فأثابه أسماء ثواباً لم يرْضه ، فغضب وقال يهجوه :

بنتْ لـكمُ هندٌ بتلذيع بَظْرها ... دَكاكينَ مِن جَصٍّ عليها المجالسُ

فواللهِ لولا رهْزُ هنـدٍ ببظرها ... لُعـدّ أبوها فى اللئامِ العوابس

فبلغ ذلكَ أسماء فركب إليه واعتذر إليه من ضيق يده وأرضاه ، وجعل له على نفسه وظيفةً فى كل سنة . فـكان بعد ذلك يمدحه ويفضّله . وكان أسماء

---

(١) ط : « واحد الهجائين » ، صوابه فى ش والأغانى ١٣ : ٣١

(٢) كذا . وانظر الأغانى ١٣ : ٣٣ .

(٣) انظر تحقيق نسبة هذا الشعر فى حواشى السمط ١٦٦ ورسائل الجاحظ ١ : ٣٨ بتحقيق عبد السلام هارون

(٤) هذا البيت ليس له ، انما هو لزهير فى ديوانه ١٤٢

(٥) ينسب هذا البيت الى أبى تمام فى ديوانه ٢٣٢

يقول لبنيه : والله مارأيت قطُّ جصًّا فى بنـاء إلاّ ذكرتُ بَظر أُمكم هندٍ فخجلتْ »(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد المائة (٢) :

١٢٥ * يَسمَعُها لاهُهُ الكُبارُ *

على أنه قيل إنَّما جاز يا الله للزوم اللام للكلمة ، فلا يقال لاهُ إلاّ نادراً كما فى هذا الشعر .

وإنما عبّر بقيل ، لأن أبا علىّ الفارسى قال : « أل عوضٌ من الهمزة ، إذ أصله إلَه ، ويدلُّ على ذلك : استجازتهم لقطع الهمزة فى القسَم والنداء ؛ فلو كانت غير عوض لم تثبُت كما لم تثبُت فى غير هذا الاسم . ولا يجوز أن يكون للزوم الحرف ، لأن ذلك يُوجب أن تُقطَع همزةُ الذى والتى . ولا يجوز أيضاً أن يكون لأنها همزة مفتوحة وإنْ كانت موصولة ، كما لم يجزْ فى ايم الله وايمن الله . ولا يجوز أيضاً أن يكون ذلك لكثرة الاستعمال ، لأن ذلك يوجب أن تقطع الهمزة أيضاً فى غير هذا مما يكثر استعمالهم له . فعلمنا أنّ ذلك لمعنًى اختُصّت به ، ليس فى غيرها . ولا شىء أولىٰ بذلك المعنى ، من أن يكون للعوض من الحرف المحذوف ، الذى هو الفاء . اهـ .

٣٤٦

وكون لفظ الجلالة أصله (لاهٌ) هو أحد قولى سيبويه فيه . واختاره المبرّد ، قال : أصله لاه على فعل مثل ضرب(٣) ، ثم دخلت أل عليه تعظيما لله

(١) انظر الأغانى ١٣ : ٣٣

(٢) انظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٥ وتصحيف العسكرى ٣١٠ واللسان (أله ٣٦٢) وديوان الأعشى ١٩٥

(٣) وقال ابن الشجرى : « أصله ليه ، فعل مثل جبل ، فصارت ياؤه ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها » .

عزّ وجل وإبانة له عن كلّ مخلوق ، فهو اسمٌ وإن كان فيه معنى فعل . وأصل لاه : لوَه أوليَه . قال : « ولو كان كما ذكر سيبويه : أنّ أصله إلاه ، لكان قد حذف فاء الفعل وعينه ، لأنه يحذف همزة إلَه وهى فاء الفعل ثم تذهب العين إذا دخل الألف واللام ، ولم نر شيئا يحذف فاؤه وعينه .

قال السَّخاوىّ فى سِفْر السعادة : « وليس كما قال ، فإن عينه باقية لم تحذف » .

والعجَبُ من السخاوىّ حيث نقل عن المبرّد بأن قول ابن عبّاس : الله هو الله ذو الألوهية يألَهَ الخلق ، وقرأ ابن عباس : ﴿ ويَذَرَكَ وإلَهتَكَ[1] ﴾ أى وعبادتك ، لأنهم كانوا يعبدون فرعون ا هـ . يؤيّد القولَ بكون أصله (لاه) ولم يتعقبه بشىء ! مع أنَّه إنما يؤيّد من قال : إن أصله إلَه . فتأملْ .

وقال ابن الشجرىّ فى أماليه : « والذى ذهب إليه س : من أن أصل هذا الاسم إله ، قولُ يونس والأخفش والكسائىّ والفرّاء وقطرُب . وقال بعد وفاقه لهؤلاء : وجائزٌ أن يكون أصله لاه وأصل لاه ليَه على وزن فَعَل ثمّ أدخل عليه أل . واستدلّ بقول بعض العرب : لَهْىَ أبوك ، يريدون لاه أبوك . قال : فتقديره على هذا القول فَعَل ، والوزن وزن باب ودار . وأنشد . . لاهه الكبار ، وقوله : لاه ابن عمك . . البيت . ا هـ كلام سيبويه . وأقول : لاه على هذا تامّ ، على وزن جبَل ، ومن قال لَهْىَ أبوك فهو مقلوب من لاه ، قدّمت لامه التى هى الهاء على عينه التى هى الياء فوزنه فلْع ، وكان أصله بعد تقديم لامه على عينه لِلَّهْى ، فحذفوا لام الجرّ ثم لامَ التعريف ،

(١) الآية ١٢٧ من سورة الأعراف .

وضمّنوه معنى لام التعريف فبنوه ؛ كما ضمّنوا معناها أمسِ فوجب بناؤه . وحرّكوا اليـاء لسكون الهـاء قبلها وكانت فتحة لخفّتها » . اهـ كلام ابن الشجَرىّ .

أقول : البيتان اللذان أوردهُما لَيْساَ فى كتاب س ، وليس فى الشعر دليلٌ على أنّ الله أصله لاه ، لجواز أن يكون لاه مخفّف إلَه حُذفت الهمزة لضرورة الشعر ، بدليل الجمع على آلهة دون ألْوِهَة أو ألْيِهَـة .

وقال خضر الموصِلىّ : استشهد به على أن أصل الله لاه ، لأن الضرورة تردّ الأشياء إلى أصولها . وفيه نظر ، لجواز أن يكون لاه لفظا مستقلاً برأسه بمعنى إلَه اهـ . قال أبو علىّ ، فى نقض الهاذور : فإن قيل : قَد قال الشاعر : « لاهُهُ الـكُبار » لقد أخرج الألف واللام من الاسم وأضافَه . قيـل : إنّ الشاعر لمـا رأى الألف واللام فيه على حدّ ما يكون فى الصفات التى تَغلب ، ورأى أن هذه الصفات إذا غلبت صارتْ كالأعلام ، فلا تحتاج إلى حرف التعريف فيها ، كما لم يُحتَجْ إليها فى الأعلام . أخرجه على ذلك كما قال الآخر :

* ونابغة الجَعْدِىّ بالرَّمل بيته[1] *

حيث غلب الوصف فصار يعرف به كما يعرف بالعلَم ؛ فـكذلك الاسم . ومع هذا فـكأنه ردّ الاسم ، للضرورة ، إلى الأصل المرفوض الاستعمال . وهذا لا يجوز استعماله سائغا مطردا .

والأزهرىّ أورد هذا الشعر على غير هذه الرواية ، قال فى التهذيب : وقد كثر اللهمّ فى الكلام حتى خفّفت ميمها فى بعض اللغات ؛ وأنشدنى بعضهم :

٣٤٧

(١) عجزه كما فى اللسان (نبغ ٣٣٦) وسيبويه ٢ : ٢٤
عليه صفيح من تراب موضع *
وفى أمالى ابن الشجرى : « منضد » : وحكى الشنتمرى قافية : « وجبذل » .

(كحَلْفةٍ من أبى رياح   يَسمعُها اللهُمُ الكُبار)

وإنشاد العامّة : يسمعها لاهُه الكبار . اه

وأورده جماعة من النحويِّين ، منهم المرادى فى شرح الألفيّة :

(يسمعها لاهمُ الكبار)

على أن فيه شذوذين : أحدها استعماله فى غير النداء لأنه فاعل يسمعها ، والثانى تخفيف ميمه ، وأصلها التشديد .

وقال العسكرىّ فى كتاب التصحيف : روى الأصمعىّ (يسمعها الواحد الكُبار) ، ورواية غيره (لاهه) اه .

قال أبو علىّ ، فى نقض الهاذور : وأما قول من قال لاهُمُ الكبار ، فالقول فيه : أنه بنى من الاسم والصوت اسماً ، كما بنى التهليل من هلّل ، وبأبأ من بأبى ، ثم صار اسماً كما صارت هذه الأشياء اسما ، وأصله الصوت اه .

والكبار وصفُه . قال ابن عقيل فى شرح التسهيل : ومذهب سيبويه والخليل أن اللهم فى النداء لا يوصف ، لكونه مع الميم كالصوت . وأما « لاهم الكبار » فقيل فيه : لما كان غير منادى وُصِف ؛ وقيل رفع على القطع .

أبو رياح

و (أبو رياح) : رجل من بنى ضُبيعة . وهو حصن[1] بن عمرو بن بدر . وكان قَتل رجلا من بنى سعد بن ثعلبة فسألوه أن يحلف أو يُعطىَ الدية ، فحَلَف ثم قُتِل بعد حَلْفتِه . فضربته العرب مثلاً لما لا يغنى من الحِلِف ؛ قاله ابن دُرَيد فى شرح ديوان الأعشى . وهو بمثناة تحتيّة ، لا بموحّدة كما زعم شرّاح الشواهد .

(١) فى شرح ثعلب لديوان الأعشى : « حصين » .

قال العسكرىّ فى كتاب التصحيف : « زعم بعض المصحِّفين : أن الإنسان إذا صحّف فى مثل هذا لم يكن ملُوماً . وليس كما قال ؛ وهل العيب واللوم إلاّ على تصحيف الأسماء ! وليس يُعرف فى أسماء العرب فى الجاهلية رباح بباء تحتها نقطة واحدة إلا فى أسماء عَبيدها ، إلا فى اسم رجُلين : أحدهما رباح ابن المغترف بغين معجمة ، وآخر [١] . وأما قول الأعشى : كحَلْفةمن أبى رياح ، فهو بياء تحتها نقطتان ؛ من بنى تيم بن ضُبيعة » اهـ .

و (الكُبار) بضم الكاف وتخفيف الموحدة : صيغة مبالغة الكبير بمعنى العظيم ، وهو صفة (لاهُه) . و (الحَلْفة) بالفتح : المرَّة من الحَلِف بمعنى القسم . وقوله : (من أبى رياح) صفةٌ لحلفة : أى كحَلْفةٍ صادرةٍ منه . وروى بدل يسمعها : (يشهدها) ، والضمير للحلفة ، والجملة صفة ثانية لحلفة . وقبله :

(أقسمْتُم حُلَفًا جِهاراً : إنْ نحنُ ما عندنا عِرارُ)

وحُلفاً : جمع حالف . وإنْ : مخففة من الثقيلة . وعِرار بكسر المهملة : اسم رجل .

والبيتان من قصيدة للأعشى ميمون ذكر فيها مَن أهلكه الدهر من الجبابرة . ومطلعها :

(ألم ترَوا إرَماً وعاداً أفناهمُ الليلُ والنّهارُ !
وقبلَهمْ غالتِ المنايا طَسْماً فلمْ ينجِها الحِذارُ
وحَلّ بالحىّ من جَديسٍ يومٌ من الشرِّ مُستَطارُ

(١) كذا . ولم يعينه . انظر التصحيف ٣١١

وأهلُ جَوٍّ أتتْ عليهمْ فأفسدتْ عَيْشَهُمْ فبارُوا
فصَبَّحتهم من الدَّواهي جائحةٌ عُقْبُها الدَّمارُ[1]
ومرَّ دهرٌ على وَبارٍ فهلكتْ جهرةً وبارُ)

٣٤٨

الرؤية عِلْميّة ، وجملة أفناهم هو المفعول الثانى ؛ لا أنّها بَصريّة ؛ خلافا للعينيّ . وروى « أودىٰ بها الليلُ والنهار » ، وهو بمعنى أفناهم . وإرم بكسر الهمزة ، قال البكريّ ، فى معجم ما استعجم : هو أبو عَوْص ، بالصاد وفتح العين ، وعاد : ابن عوص ؛ وإرَم هو ابن سام بن نوح عليه السلام ؛ قال الهمْدانى : نزل جَيرونُ بن سعد بن عادٍ دمشق ، وبنى مدينتها ، فسمِّيت باسمه جَيرون . . قال : وهى إرمُ ذاتُ العماد ، يقال : إن بها أربَعمائة ألف عمود من حجارة . . قال : وإرم ذات العماد المعروفة بتيه أبْيَن ، وبجانب هذا التيه منهل أهل عدَن ، وبتيه أبْيَن مسكن إرَم بن سام بن نوح ؛ فلذلك يقال : إن إرم ذات العماد فيه .

واختلف أهل التأويل فى معنى إرم فقال بعضهم : إرم : بلدة ؛ وقيل : إنها دِمَشق ؛ وقيل هى الإسكَنْدريّة ؛ وقال مجاهد رحمه الله : إرم : أمّة ، وقال غيره : من عاد . ومعنى ذات العماد على هذا ذات الطول .

وطَسْم وجَديس : قبيلتان من عاد كانوا فى الدهر الأوّل فانقرضوا . . وبيان انقراضهم ، كما قال محمد بن حبيب فى كتاب المغتالين[2] : أنّ ملك

---

(١) ط : « نائحة » ، وكذا فى ش لكن دون اعجام ، صوابه من الديوان ١٩٤ .

(٢) انظره فى نوادر المخطوطات ٢ : ١١٧ — ١١٨

طَسْمَ - عِمْليقَ بنَ لاوَذَ(١) بن إرمَ بن سامٍ(٢) بن نوح - تعدّى فى الظلم والتجبّر . وأتته يوماً امرأة من جَديس اسمها هزيلة ، وكان زوجها طلّقها وأراد أخذ ولدها منها ، فقالت: أيُّها الملك ، إنّى حملته تِسعاً ، ووضعتُه دَفعاً ، وأرضعتُه شَفعاً ، حتى إذا تمّت أوصاله أراد أن يأخذه كَرْها ، وأن يتركنى من بعده وَرْهاً ! فقال لزوجها : ما حجّتكَ ؟ قال : أيها الملك ، إنّها قد أُعطِيت المهرَ كاملا(٣) ، ولم أُصِبْ منها طائلا ، إلاّ وليداً خاملا ؛ فافعلْ ما كنت فاعلا . فأمر بالغلام أن ينزع منهما جميعاً ويُجعَل فى غلمانه ؛ وقال لِهُزيلة : أبغِيه ولدا ، ولا تنكحى أحداً ؛ أو اجزيه صَفَدا . فقالت هُزيلة : أمّا النكاح فإنما يكون بالمهر ، وأمّا السِّفاح فإنما يكون بالقهر ؛ وما لى فيهما من أمر ! فلما سمع عِمليقُ كلامها أمر أن تباع مع زوجها ، فيُعطى زوجها خُمس ثمنها ، وتعطى هُزيلة عُشر ثمن زوجها ، ويُستَرَقّا . فأنشأتْ تقول :

أتينا أخا طَسْمٍ لِيَحكُمَ بيننا ... فأنفَذ حكما فى هُزَيلةَ ظالما

لعمرى ، لقد حُكمت لا متورِّعا ... ولا كنتَ فيما يُبرَم الحكمُ عالما(٤)

فلما سمع عمليقُ كلامها أمر أن لا تُزَوّج بِكرٌ من جَديسَ فتهدى إلى زوجها إلاّ يفْتَرِعْها(٥) هو قبل زوْجها ، فلقُوا من ذلك جهداً وذلا . فلم يزل على

(١) فى النسختين : « لوز » وفى أصل نوادر المخطوطات وابن الأثير ١ : ٢٠٣ : « لوذ » ، صوابهما ما أثبت من الأغانى ١٠ : ٤٥ والاشتقاق ٨٣ ونهاية الأرب ١ : ٢٩٢ فهو المطابق للترجمة العربية ، وان كان أصله فى العبرية « لُود » بضم اللام وآخره دال مهملة . انظر التكوين ١٠ : ٢٢ .

(٢) الصواب أن لاوذ أخو ارم لا ابنه ، كما فى سفر التكوين .

(٣) الذى فى الأغانى عن ابن حبيب عن ابن الاعرابى ١٠ : ٤٦ : « انى قد أعطيتها المهر كاملا » .

(٤) وكذا فى الأغانى . وفى كتاب ابن حبيب : « فيما تبرم الحكم » .

(٥) كذا فى النسختين . وفى كتاب ابن حبيب : « الا يؤتى بها عمليق فيفترعها » .

هذا أربعين سنة حتى زُوجت الشموس عميرة بنت غفار الجديسيّة[١] أخت الأسود (الذى وقع إلى جبلى طيء وسكنوا الجبلين بعده[٢]) فلما أرادوا أن يُهدوها إلى زوجها ، انطلقوا بها إلى عمليقٍ لينالَها قبله ، ومعها القينات يغنين ويقلن :

ابْدى بعِمْليقٍ ، وقُومى واركَبي ! وبادرى الصبْحَ لأمرٍ مُعجِبِ[٣]

فسوفَ تَلْقَيْنَ الذى لم تطلُبي ! وما لِبِكر عنده مِنَ مَهْرَبِ !

فلما أدخلت عليه افترعَها ، وخلّىٰ سبيلها . فخرجت إلى قومها فى دمائها شاقّةً دِرعَها عن قُبُلها ودُبرها ! وهى تقول :

٣٤٩

لا أحدٌ أذلَّ من جَديسِ أهكذا يُفعَل بالعروس !

يرضىٰ بهذا ، يالقومى . حرٌّ ! أهدى وقدأعطى وسِيقَ المَهْرُ[٤]

لأخذُه الموتَ كذا لنفسِهِ[٥] خيرٌ مِنَ أن يُفعَل ذا بعِرسِهِ

وقالتْ تحرّض قومَها :

أيصلُحُ ما يُؤتىٰ إلى فتَياتِكم وأنتمْ رجالٌ فيكم عددُ النمل ؟[٦]

وتُصبح تَمشى فى الدّماء صبيحة شميسة زُفّتْ فى النساء إلى البعْل[٧]

(١) فى كتاب ابن حبيب : « عفيرة بنت عفار » . وفى الأغانى : « عفيرة بنت عباد » .

(٢) فى الأغانى ١٠ : ٤٦ : « الذى دفع الى جبل طيء فقتله طيء وسكنوا الجبلين من بعده » .

(٣) فى كتاب ابن حبيب : «بأمر معجب» وكذا فى المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ ٢١٤

(٤) فى محاسن الجاحظ : « من بعد ماأهدى وسيق المهر

(٥) فى المحاسن : « لأن يلاقى المرء موت نفسه »

(٦) المحاسن : « وأنتم رجال كثرة عدد الرمل

(٧) فى كتاب ابن حبيب : « عشية زفت » . وفى الأغانى :

وتصبح تمشى فى الرعاء عفيرة عفيرة زفت فى النساء الى بعـل

فإن أنتمُ لم تَغضَبوا بعد هـذه
فكُونوا نساء لا تَغِبُّ عن الكحل(١)

ودونكمُ طيبَ العَروسِ ، فإنّما
خُلِقتُمْ لأثواب العَروس وللغَسْل(٢)

فلو أنّنا كنّا رجالاً وأنتم نساء ، لكنّا لا نقيم على الذلّ(٣)
فبُعداً وسُحقاً للذى ليس دافعاً ويختالُ : يمشى بيننا مِشْيَةَ الفحْل(٤)
فموتوا كراما أو أميتوا عدوّكم ودبوا لنارالحرب بالحَطب الجَزْل(٥)

فلما سمع قولَها أخوها الأسود — وكان سيّداً مطواعاً — قال لقومه : يا معشر جَديس ، إنّ هؤلاء القومَ ليسوا بأعزّ منكم فى داركم إلا بما كان من ملك صاحبهم علينا [وعليهم(٦)] وأنتم أذلُّ من النيبِ ، فأطيعونى يكنْ لكم عزُّ الدهر ، وذهابُ ذلِّ العمر . فقالوا : نطيعك ، ولكنّ القومَ أكثر منّا وأقوى . قال : فإنى أصنعُ للملِك طعاماً ثم أدعوهم إليه ، فإذا جاءوا يرفُلون فى حللهم مشَينا إليهم بالسيوف فقتلناهم ، وأنا أنفرد بعمليق ، وينفردُ كلُّ واحد منكم بجليسه ! فاتخذ الأسوَد طعاماً كثيراً ، وأمر القوم فاخترطوا سيوفَهم ودفنوها فى الرمل،ودعا القوم فجاءوا ، حتّى إذا أخذوا مجالسهم ومدّوا أيديَهم إلى الطعام ، أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم ، فشدّ الأسود على

(١) كذا (ش) وفى ط : « من الحل » ، وفى كتاب ابن حبيب :«من الكحل » ، وفى الأغانى : « لا تعاب من الكحل ٠

(٢) وكذا فى كتاب ابن حبيب ، وفى الأغانى : « وللنسل » ٠

(٣) فى الأغانى : « وأنتم نساء »

(٤) ط : « ليس رافعا » ، صوابه للشنقيطى فى نسخته والأغانى

(٥) وابن حبيب والأغانى : « ودبوا » بالباء ٠

(٦) التكملة من ابن حبيب والأغانى ٠

عِمليق ، وكلّ رجل على جليسه . فلما فرغوا من قتل الأشراف شدّوا على السِفْلَة فأفنَوهم ، ونجا بعضُ طسم ، فاستغاث بحسّان بن تبّع ، فغزا حسّان جديساً فقتلها وأخرب ديارهم وتفانى الحيان فلم يبق منهم أحد .

وَجَوّ بفتح الجيم وتشديد الواو ، وهى منازل طسْم وجديس ، وكان هذا الاسم فى الجاهليّة حتّي سمّاها الحِميَرىّ لما قتَلَ المرأةَ التى تسمّى اليمامة باسمها وقال الملك الحميرىّ :

وقُلْنا وسمّوها اليمـامةَ باسمها   وسرنا وقلنـا لا نريد إقامة

والعُقْب ، بضم العين وسكون القاف : العاقبة . والدمار : الهلاك . وقوله : ومرَّ دهر على وبار . . الخ ، هذا البيت من شواهد النحويِّين(١) ، وأوّل من استشهد به سيبوَيه : على أن وبار رفع ، والمطرد فيما كان آخره راء من وزن فَعالِ أن يبنى على الكسر فى لغة الحجاز . وأورده شُرّاح الألفيّة شاهداً على ورود وَبار على اللغتين : إحداهما البناء على الكسر ، والثانية إعرابها إعرابَ مالا ينصرف .وزعم أبو حيّان : أنه يحتمل أن يكون وبارُ الثانى فعلاً ماضياً مسنداً إلى الواو . قال الأعلم : « وبار : اسم أمّة قديمة من العرب العاربة هلكت وانقطعت كهلاك عاد وثمود » .

وقال البكرىّ فى معجم ما استعجم : « قال أبو عمرو : وبار بالدهناء ، بلاد بها إبل حُوشيّة ، وبها نخلٌ كثيرٌ لا يأبرُه أحدٌ ولا يجدُّه ؛ وزعم أنّ رجلاً وقع إلى تلك الأرض ، فإذا تلك الإبل تَرِدُ عَيناً وتأكل من ذلك التمر ، فركب فحلاً منها ووجّهه قِبَلَ أهله ، فاتبعته تلك الأبل الحُوشِيّة فذهب إلى أهله . وقال الخليل : وبار كانت مَحَلّةَ عاد ، وهى بين اليمن ورمال يَبرِين ؛

٣٥٠

(١) انظر ابن يعيش ٤ : ٦٤ والعينى ٤ : ٣٥٨ والهمع ١ : ٢٦ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١١٥ .

فلما أهلك الله عاداً ورِثَ محلّتهم الجن ، فلا يتقارُّبها أحدٌ من الناس[١] ؛ وهي الأرض التي ذكرها الله تعالى في قوله : (واتّقُوا الذي أمَدَّكُمْ بما تَعلَمُونَ . أمَدَّكُمْ بأنعامٍ وبَنِينَ ، وجَنّاتٍ وعُيُون[٢]) . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصِلّي : كان من شأن دُعَيمِيص الرمل العبديّ ، الذي يضرب به المثل فيقال : أهدى من دُعَيمِيص الرمل[٣] ، إنه لم يك أحدٌ دخل أرض وَبار غيره ، فوقف بالموسم بعد انصرافه من وَبار ، وجعل يُنشِد :

مَنْ يُعْطِنِي تسعاً وتسعين نعجةً ... هِجاناً وأُدْماً أهدِه لوَبارِ[٤]

فلم يجبْه أحدٌ من أهل الموسم إلاّ رجل من مَهَرة[٥] ، فإنه أعطاه ماسأل ، وتحمّلَ معه في جماعة من قومه بأهلهم وأموالهم ، فلما توسّطوا الرملَ طَمست الجنّ بصرَ دُعيمِيص ، واعترته الصَّرْفة فهلَك هو ومَن معه جميعا .

وترجمة الأعشى تقدمت في الشاهد الثالث والعشرين[٦] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد المائة[٧] :

(١) يقال ما يتقار في مكانه ، أي ما يستقر .
(٢) الآية ١٣٢ ، ١٣٣ من سورة الشعراء .
(٣) الميداني ٢ : ٣٣٠ والعسكري ٢١٢ وثمار القلوب ٨١ والأزمنة والأمكنة ٢/٢١٥
(٤) وكذا في معجم ما استعجم ١٣٦٦ . وجعلها الشنقيطي « وتسعين لقحة » . وفي ط : « أهدها » صوابه في ش والمعجم .
(٥) قال ياقوت : « بالفتح ثم السكون . هكذا يرويه عامة الناس . والصحيح مهرة بالتحريك . وجدته بخطوط جماعة من أئمة العلم القدماء لايختلفون فيه » . وانظر بقية كلامه
(٦) الجزء الأول ص ١٧٥ .
(٧) الحماسة ٣٧٨ بشرح المرزوقي

١٢٦ (مَعاذَ الإلَهِ أنْ تكونَ كظَبْيَةٍ ولا دُميةٍ ولاعَقيلةِ رَبْرَبِ)

على أن (أل) فى (الله) بدل من همزة إلَه ، فلا يجمع بينهما إلا قليلا : كما فى هذا البيت .

وهذا البيت من أبيات عشرة للبَعيث بن حريث ، أوردها أبو تمّام فى الحماسة . وأوّلها :

أبيات الشاهد

(خَيالٌ لأمّ السلسبيل ، ودُونَها مسيرة شهرٍ للبَريد المذَبِّب

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحبا ، فرَدَّ بتأهيلٍ وسهل ومرحبِ

مَعاذَ الإلَه أن تكونَ كظبيةٍ . . . . البيت

ولكنّها زادتْ على الُحسْنِ كلّه كمالاً ، ومِن طيبٍ على كلّ طيِّبِ)

خَيال : مبتدأ خبرُه محذوف ؛ أى خيالها أتانى وبينى وبينها مسيرة شهر للبريد المسرِع ، والخيال يذكّر ويؤنّث ، ونكّره لأنه رآه على هيئات مختلفة ، فاعتقدأنه عِدّةُ خيالات قصدإلى واحدٍ منها . وأمُّ السلسبيل : امرأة ، ولو كان فى شعر مولَّدلجاز أن يعنى بالسّلسبيل الريقَ ، على وجه التشبيه . والبريد : الدابة المركوبة ، معرَّب دُمْ بُرِيدَه[1] ، أى محذوفة الذنَب ، فإن الرسُل كانت تركب البغالَ المحذوفة الذنَب ، ويطلق على الرّسول أيضا ، لركوبه إياها . والمذبِّب : اسم فاعل ، مِن ذبّب فى سيره ، أى جدّ وأسرع ، بذال معجمة والباء الأولى مشدّدة . ورُوى (المدئِّب) مِن دأّب يدأّب بالهمزة : إذا جدّ وتعب . وهاتان الروايتان للآمدى فى المؤتلف والمختلف . وروىٰ شُرّاح الحماسة : (المذبذَب) قال التبريزىّ : هو الذى لا يستقرّ ، وقال الطبرسىّ : المذبذب والمذبب ، الأصل فيهما يرجع إلى الطرد والاستعجال ، والمسرع المستعجل يتذبذب أى يضطرب .

(١) معجم استينجاس ٥٣٥ ، ومعناه المبتور المقطوع .

وقوله : فقلت له ـ وروى « لها » ـ أى للخيال فيهما . وأهلا منصوب بفعل مضمر ، أى أتيتَ أهلا لا غرباء . والتأهيل : مصدر أهّلته : إذا قلتَ له أهلا . وقوله « معاذ الإله » منصوب على المصدر أى أعوذ بالله معاذاً . وكأنّه أنِف وتبرّأ من أن تكون هذه المرأة فى الحسن بحيث تشبَّه بالظبية ، أو الصورة المنقوشة ، أو بكريمة من بقر الوحش . والدُّمْية بالضم : الصورة من العاج ونحوه ؛ قال أبو العلاء : سمِّيتْ دُمية لأنها كانت أولا تُصوَّر بالحمرة ، فكأنها أُخِذت من الدمْ . والعطف من قَبيل : « أبى اللهُ أن أسمُو بأمّ ولا أبِ » ، لما اشتمل المتقدِّم على معنى النفى ، كأنه قال : لا أشبِّهها بظبية ولا دُمية ؛ تعوَّذَ بالله من تشبيه خليلته بأحد هذه الثلاثة كما يشبِّه الشعراء بها . وعقيلة كلِّ شىء : أكرمه . والرَّبْرَب : القطيع من بقر الوحش .

351

وقوله : ولكنها زادت . . الخ ، بيّن به لِمَ أنكر تشبيهها بغيرها . وكمالاً : تمييز ؛ أى يزيد حسنها على كلّ حسن كمالاً ؛ لأنه لا حُسْنَ إلاّ وفيه نقص ، سوى حُسْنها ؛ وكذلك كلّ طِيب يتخلّله حطيطة إلاّ طِيبها[1]. وقوله : من طِيب قال التبريزىّ : أى وزادت من طِيبها على كل طيّب طِيباً . وقال الطبرسى : ولما كان كمالاً تمييزاً ، دخله معنى مِن ، فحسُن أن يقول : ومن طِيب . ورأيت فى بعض شروح الحماسة : أراد : زادت بحسنها كمالاً على كلّ حسَن ؛ فحذف للعلم به ، لأنك لا تقول للحسْن : هو أكمل من الحسَن ، لاختلاف الجنس ، لأن الحسْن عرَض والحسَن جسم .

البعيث

و (البَعيث) قال الآمدىّ : « هو البَعيث بن حُريث بن جابر بن سُرَىّ

---

(١) الحطيطة : النقص ، وأصله مايحط من جملة الحساب فينقص منه المعجم الوسيط .

ابن مسلمة بن عُبيد بن ثعلبة(١) بن يربوع بن ثعلبه بن الدُّول بن حنيفة ابن لُجيم . . شاعر محسنٌ. وهو القائل :

خيالٌ لأم السلسبيل ودونها . . البيت

وهى أبيات جياد مختارَة . اهـ

و (البَعيث) بفتح الموحدة وكسر العين المهملة ، قال ابن جنّي : « هو اسم مرتجل للعلميّة ، ويمكن أن يكون صفة منقولة فيكون فعيل فى معنى مفعول » . وقال أبو رياش : « ابن حُريث هذا ، ليس بصاحب القبّة بصفّين » . وحُريث بالتصغير وسُرَىّ وعُبيد كذلك . والدُّول ، بضم الدال وسكون الواو . ولُجيم ، قال أبو العلاء : يجوز أن يكون تصغير ترخيم للجم أو لجام ، أو تصغير لُجَم ، بضم ففتح ، واللُّجَم : دوَيْبة يُتشاءم بها ، وتوصف بالعُطاس ، قال الراجز :

أغدُو فلا أحاذرُ الشَّكيسا ولا أخاف اللُّجَمَ العطُوسا(٢)

وذكر الآمدىّ شاعرَين آخَرين يقال لهما (البَعيث) أحدهما المجاشعىّ ؛ واسمه خِداش ، وهذا شاعر مشهور دخل بين جرير وغسّان السَليطىّ وأعان غسّان ، فنشِبَ الهجاء بينه وبين جرير والفرزدق وسقط البَعيث . والثانى : البَعيث التَّغلَبيّ ، بمثنّاة فمعجمة ، وهو بَعيث بن رِزام ، وكان يهاجى زُرعة ابن عبد الرحمن . وقال القَطامىّ :

إنَّ رِزاماً غرَّها قِرْزامُها(٣) قُلْفٌ على أزبابها كِمامُها

(١) التبريزى فى شرح الحماسة « بن سلمه بن عبد بن ثعلبه » .

(٢) ط واللسان (لجم) : « العاطوسا » مع نسبته فى اللسان الى رؤبة برواية « ولا أحب » بدل « ولا أخاف » .

(٣) فى النسختين : « فرزامها » صوابه فى المؤتلف ٥٧ ومما سبق فى ١: ٢٢٠ بولاق والقاموس (قرزم)

القِرْزام : الشاعر الدُّون ، يقال هو يُقرزِم الشِعر[1] . وإنما يعنى بَعيث بنى رِزام . ومنه يُعلم أنَّ بَعيث بنى رزام إسلاميّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد المائة[2] :

١٢٧ (إنَّ المنايا يطَّلِعْنَ على الأُناسِ الآمنينـا)

على أن اجتماع أل والهمزة فى (الأُناس) لا يكون إلاّ فى الشعر ، والقياس الناس ، فإنّ أصلَه أُناس ، فحذفت الهمزة وعوِّض عنها أل ، إلاّ أنها ليست لازمة ، إذ يقال فى السَّعةَ ناس .

أقول : هذا يدلّ على أن أل فى البيت ليست عوضاً من الهمزة ، إذ لو كانت عوضاً لم يجزْ أن يقال ناس : من غير همزة ولا أل ، إذ لا يجوز الخلوّ عن العوض والمعوَّض عنه . وما ذكره ــ مِن كونه عوضاً مِن الهمزة ــ هو مذهب سيبويه ، وتبعه الزمخشريّ والقاضِى[3] وغيرُهما .

٣٥٢

وذهب أبو علىّ الفارسىّ فى الأغفال (وهو كتاب ذكر فيه ما أغفله شيخه أبو إسحاق الزّجاج) . أنّ أل ليست عوضاً من همزة أناس .

وقد عزا إليه السيِّد فى حاشية الكشاف خلافَ هذا فقال : « وتوهَّم أبو علىّ فى الأغفال أنّ اللام فى الناس أيضاً عوض ، إذ لا يجتمعان فى الأُناس إلاّ ضرورة . ورُدّ بكثرة استعمال ناس منكَّراً دونَ إله ، وبامتناع يا الناس دون يا الله » . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « الفرزام ... » ، و « يفرزم الشعر » صوابه فى المؤتلف وما سبق

(٢) انظر أيضا أمالى ابن الشجرى ١ : ١٢٤ /٢ : ١٢ والخصائص ٣ : ١٥١ وابن يعيش ٢ : ٩ /٥ : ١٢١ وشرح شواهد الشافية ٢٩٦ ومجالس العلماء ٧٠

(٣) يعنى القاضى البيضاوى صاحب التفسير

فقد انعكس النقل عليه من هذا الكتاب ! مع أنّه قد ردّ عليه ابن خالويه فيما كتبه على الأغفال ، وتعقّبه أبو على فيما كتبه ثانياً (وهو ردّ على ابن خالويه ، وسمّاه نقض الهاذور) ، وبسط الكلام فيه كل البسط . وأنا أورده مختصراً لتقف على حقيقة الحال . وهذه عبارته :

« ثم ذكر هذَراً ليس من حُكمه أن نتشاغل به ، وإن كان جميعُ ما هذَر به غيرَ خارج من هذا الحكم . . ثم حكىٰ قولَنا وهو : فإن قال قائل : أوَ ليس قد حُذفت الهمزة من الناس كما حذفت من هذا الاسم حذفاً ! فهل تقول : إنها عوض منها كما أن اللام عوض من الهمزة المحذوفة فى اسم الله . . إلى آخر الفصل فقال المعتَرِض : أمّا ادّعاؤه أنّ أل ليست عوضاً من الهمزة فى أناس كما كانت فى هذا الاسم فليس على ما ذكر . . فلم يزد على الإنكار والادّعاء ؛ لتركنا طريقةَ سيبويه وحَمْلَ كلامِهِ المطلَقِ على المقيَّد المخصوص ؛ وتَظَنّي المعترِض أن الهمزة سقطت منهما على حدٍّ واحد ، وأنّ أل فى الناس عوض من حذف الهمزة كما كان ذلك فى اسم الله ، تَظَنٍّ على عكسِ ما الأمرُ عليه : وذلك أن قول سيبويه : « ومثل ذلك أناس ، فإذا أدخلتَ الألف واللام عليه قلتَ الناس » ليس يدلّ قولُه : ومثل [ذلك] أناس ، أنّ التماثل بينهما يقع على جميعِ ما الاسمانِ عليه ؛ إنما يدلّ على أن المماثلة تقع على شىء واحد . ألا ترىٰ أنّ مِثْلا إذا أضيف إلى معرفة جاز أن يوصف به النكرة ؟ لأنّ ما يتشابهان به كثير ، وإنما يتشابهان فى شىء من أشياء . ومن ثَمّ كان نكرة ، وكان هذا الأغلب . ولو كان التشابه يقع بينهما فى كلٍّ ما يمكن أن يتشابها به لكان مخصوصاً غيرَ مبهَم ، ومحصوراً غير شائع . وفى أنّ الأمر بخلاف هذا ، دلالةٌ على أنّ الظاهر [من] كلام سيبويه ليس على ما قدّره هذا المعترض ، يدلّ على ذلك ما ذهب إليه أهل العلم فى قوله تعالى : ﴿ فَجَزَاءٌ

مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَم[1] ﴾ فقال قائلون : جزاء مثلُ ما قتل فى القيمة ، وقال قائلون : جزاء مثله فى الصورة ، ولم يذهب أحد — فيما علمناه — إلى أن المعنى جزاء مثلُ ما قتل فى القيمة والصورة جميعاً . فكذلك قول سيبويه : « ومثل ذلك أناس » ، إنما يريد مثلَه فى حذف الفاء فى ظاهر الأمر لو لم تدلَّ دلالةٌ على أن قولهم الناس ، ليس كاسم الله : فى كون الألف واللام عوضاً من الهمزة المحذوفة . فكيف وقد قامت الأدلّة على أن قولهم الناس : قد فارق ما عليه هذا الاسم فى باب العوض — على ما سنذكره إنْ شاء الله — وإذا كان الأمر فى إضافة مثلٍ ما قلنا ، تبيّن أن هذا المعترِض لم يعرف قولَ سيبويه . وليس فى لفظ سيبويه شىء يدلّ على أن الهمزة فى أناس مثلَ الهمزة فى الاسم الآخر : فى أنّه عُوِّض منها شىء كما عُوِّض هناك . ويبيِّن ذلك : أنه حيث أراد أن يُرِىَ النظائرَ فى العوض أفرَد ذكر الاسم فقال : وهى فى إله بمنزلة شىء غير منفصل من الكلمة ، كما كانت الميم فى اللهم غير منفصلة ، وكما كانت التاء فى الجحاجحةِ والألفُ فى يمان وأختيها بدلا من الياء . فأما الدلالة على أنّ حرف التعريف ليس بعوض ، فهى أن الألف واللام تدخل مع الهمزة فى نحو ما أنشده أبو عثمان عن أبى عمرو :

٣٥٣

إنّ المنـايا يطّلعْـ ـنَ على الأُناس الآمنينا

وأنّ الأناس وأناس فى المعنى واحد ، إلاّ فيما أحدثَ حرفُ التعريف من التعريف . وقد جاء فى كلامهم ناسٌ وأناس . فمن يقول أناس يقول الأناس ، ومن يقول ناس يقول الناس . وأنشد محمّد بن يزيد :

وناس من سَراة بنى سُليم وناس من بنى سعد بن بكر

---

(١) الآية ٩٥ من سورة المائدة

ومما يغلّب أنّ هذه الهمزةَ لا يلزم أن يكون منها عوض ، أنّ من يردّ الأصولَ المحذوفة فى التحقير ومَن لا يردّ ، اتفقوا عندنا جميعا على أنْ حقّروا أناساً : نُويسا . فدلّ ترك ردِّ الأصل فى التحقير ممن يردّ ، على أنّ هذا الحذف[1] قد صار عندهم كالحذف اللازم فى أكثر الأمر ، نحو : حاشَ لله ، ونحو لا أدْرِ . وما كان من الحذف عندهم هكذا ، يبعد أن يعوّض منه ، وقد كان أولىٰ من التعويض ردُّ ما هو منه إليه ، فلما لم يقولوا أُنيّس عند سيبويه ، فى تحقير ناس ، ولا عند يونس وأبى عثمان ، كان أن لا يعوَّض منه أولىٰ .

ومما يبيّن حسْنَ الحذف منه وسهولتَه : أنه جمع ، والجموع قد تخفَّف بما لا يخفَّف الآحاد به ، ألا ترى أنّهم قالوا : عِصِىّ ودُلِىّ ، فأجمعوا على القلب فى هذا النحو ! وكذلك نحو بِيض ، فكما خفّفوا هذا النحو من الجمع ، كذلك قولهم أناس — بالحذف — منه . . ويدلّك على أنه جمع : أنّهم قالوا فى الإضافة إلى أناس : إنسانىّ ، كما قالوا فى الإضافة إلى الجميع[2] : جمعىّ . فعلمتَ أنّ أُناساً فى جمع إنسان ، كتُؤام فى جمع توأم ، وبُراء فى جمع برىء ، ورُخَال وظُؤار وثُناء ، ونحوِ ذلك . فكما أجرَوه مُجرىٰ الجمع فى هذا ، كذلك أجروه مجراه فى الحذف منه ، كما خفّفوا ما ذكرنا بالقلب فيه .

ومما يغلّب أن قولنا الناس على الحذاء الذى ذكرنا من التخفيف بالحذف ، أنّ ما فى التنزيل من هذا النحوِ عليه ، نحو : (الذينَ قالَ لهمُ الناسُ إنّ الناسَ قدْ جَمعُوا لَكمُ[3]) ونحو : (أعوذُ بِرَبِّ الناسِ . مَلِكِ الناس)

---

(١) ط : « الحرف » صوابه فى ش

(٢) ش : « الى الجمع » ، تحريف

(٣) الآية ١٧٣ من سورة آل عمران

فهذا إنّما أدغم لام المعنى فى النون على حدّ ما أدغم فى : النشر ، والنشز ، والنمان ؛ لا على حدّ تقدير الهمزة فيه وتخفيفها . ألا ترى أنّه لو كان على تقدير أناس لم يدغم ؛ لأن الحرفين ليسا مثلين كما كانا مثلين فى الاسم الآخر ، إنّما هما متقاربان ، والأكثر فى المتقاربين إذا تحرّك الأوّل منهما فالأقيَس أن لا يدغم الأوّل فى الثانى كما يدغم المِثْلان . وذلك : أنّ مباينة الحرفين فى المخرج إذا انضم إليها الحركة قويا على منع الإدغام ، فامتنع كما يمتنع لحجز الحرف بينهما ؛ وليس كذلك المِثْلانِ إذا حَجزت بينهما الحركة ، لأن الحركة أقلّ وأيسر فى الصوت من الحرف ، فلم يبلغ من قوّتها أن تحجُز بين المثلين ؛ ويمنع الإدغام كما يمنع منه فى أكثر الأمر إذا انضم إلى الحركة الاختلاف فى مَخرجى الحرف .

٣٥٤

وأما قول صاحب المأذُور : والدليل على صحّة ذلك ، وأن هذا هو الذى ذهب إليه سيبويه وإن كان عنده عوضاً فى هذا الموضع أيضا : أنّه تعاطَى الفرق بينهما . . فتعاطيه الفرقَ بينهما لا يدلّ أنْ كان تعاطَى على اتفاقهما عنده ، وليس لنَسخِه كلامَ سيبويه فى جملة الهذَر فائدة ، ولا معنى لاحتجاج مَن احتجّ بشىء لا يعرِفه ولا يفهَمه ، وإنما وكْده فى غالب رأينا بتسويد الورَق وإفساده .

وأما تفسير المعترض لقولنا انهما لو كانتا ههنا عوضاً كما[1] هما فى هذا الاسم لفُعل بهما ما فُعل بالهمزة فى اسم الله . فإنْ عنيَ به[2] أنّهما كانتا تلزمان ثم كانت الألف تنقطع فى النداء ، فليس على ما قدّر ، ولكن المراد به :

---

(١) فى النسختين : « عما » ، والوجه ما أثبت

(٢) ش : « فانى أعنى به » .

أن الألف واللام فى الاسمين لو كانا على حدٍّ واحد ، لـكان الناس إذا سقط منه حرف التعريف — لا يدلّ على ما كان يدلّ عليه والحرفُ لاحقٌ به ، كما أنه فى اسم الله إذا خرج منه لا يدلّ على ما يدلّ عليه وهو فيه .

وأما قوله حاكياً لـكلامنا : فأما استدلاله على أنهما فى الناس غيرعوض بقول الشاعر : « على الأُناسِ الآمنينا » وأنه لو كان عوضا لم يكنْ لِيجتمع مع المعوَّض منه ، فهذا يلزمه بعينه فيما ذهب إليه فى اسم الله . وذلك أنه يقال له : ألستَ تقول الإِلَه ، فتُدخلَ الألفَ واللام على إلَه ولا تحذفَ الهمزة مع دخولها . . إلى آخر الهذَر . أقول : ليس الأمر كما تظنّناه هذا العامىّ المريض ، لِماَ ذكر سعيد عن قَتادة فى قوله تعالى : (هلْ تَعلَمُ لهُ سَمِيًّا(١)) : لا سمىّ لله ولا عدْل له ، كلُّ خلْقِه مقرٌّ له ومعترف له أنّه خالقه . ثم يقرأ : (ولئِنْ سألتَهُمْ مَنْ خلَقَهُمْ ليَقولُنّ اللهُ(٢)) فالاسم الذى لا سَمِىّ للقديم سبحانه وتعالى فيه ، لا يخلو من أن يكون اللهَ أو الرحمنَ ، فلا يجوز أن يكون الرحمنَ ، لأنّه وإن كان اسماً من أسماء الله فقد تُسُمِّىَ به ، وقد قالوا لمسيلمة : رَحمان ، وقالوا أيضاً فيه : رحمان اليمامة ، وذكر بعض الرواة : أنهم لمـا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن قالت قريش : أتدرون ما الرحمن ؟ هو كاهن اليمامة ! فهذا يدلّ على أنّهم كانوا لا يحظُرُون التسمية به . فإذا كان قد سمِّى به ، ثبت أن الاسم الذى لا سمىًّ له فيه هو « الله » وهذا الاسم إنما يكون بهذا الوصف إذا لزمه الألف واللام ، فأما إذا أُخرجا منه وأُلحقَ الهمزةَ فقيل : إلَه والإِلَه ، فليس على حدِّ قولهم « الله » فى الاستعمال

(١) الآية ٦٥ من سورة مريم

(٢) الآية ٨٧ من سورة الزخرف

ولا فى المعنى ، ألا ترى أنه إذا قال إله صار مشتركا غير مخصوص وجاز فيه الجمع؛ وأما فى المعنى: فإنه يعمل عملَ الفعل كقوله تعالى : (وهُوَ الذى فى السماءِ[١] إلَه) الظرف يتعلق بما فى إلَه من معنى الفعل ، وإذا دخلته الألف واللام لم يعمل هذا الحد لخروجه عن حد المصادر . فإن قلتَ : (وهُوَ اللهُ فى السماواتِ وفى الأرض يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وجَهْرَكُمْ[٢]) فإنّ الظرف لا يتعلّق بالاسم على حدّ ما تعلق بإلَه إلا على حد ما أذكره لك : وهو أن الاسم لما عرف منه معنى التدبير للأشياء والحفظ لها وتصوّرها[٣] فى نحو : (إنّ اللهَ يُمسِكُ السَّمٰوَاتِ والأرضَ أنْ تَزُولا[٤]) صار إذا ذُكِر كأنه قد ذُكِر المدبِّرُ والحافظ المثبِّت ، فيجوز أن يتعلّق الظرف بهذا المعنى الذى دلّ عليه الاسمُ بعد أن صار مخصوصاً ، وفى أحكام الأسماءِ الأعلام التى لا معنى فعلٍ فيها ، فبهذا يتعلّق الظرف . وعلى هذا تقول : هو حاتمٌ جواداً ، وزهيرٌ شاعرًا ، فتعلّق الحال بما دخل فى هذه الأسماء من معنى الفعل ، لاشتهارها بهذه المعانى ، ولولا ذلك لم يجز . فإذا كان كذلك ، علمتَ أن هذا الاسم إذا أخرجتَ منه الألف واللام فقلتَ إلَه لم يكن على حدِّ قولنا الله، وليس كذلك الناس والأُناس، لأنّ المعنى فى كلا الحالين فيه واحد ، ألا ترى أنه اسم العين لا مناسبة بينه وبين الفعل ! وهذا الذى عناه سيبويه عندنا بقوله : وذلك أنّه من قِبَل أنه اسمٌ يلزمه الألف واللام لا يفارقانه ، فصار كأنّ الألف واللام فيه بمنزلة الألف واللام اللتين من نفس الحرف . وليس فى الناس والأُناس كذلك ، ألا ترى أنك إذا أخرجتهما من الاسم دلّ على أنّ الأعيان التى يدُلّ عليها حسبما يدلّ

٣٥٥

(١) الآية ٨٤ من سورة الزخرف
(٢) الآية ٣ من سورة الأنعام
(٣) كذا فى النسختين .
(٤) الآية ٤١ من سورة فاطر

عليها وهما فيه ، وليس فى اسم الله كذلك ؛ فإذا كان الأمر فيه على ما ذكرنا ، وضحَ الفصلُ بين الاسمين إذا أخرج منهما الألف واللام . مما وصفنا لم يكن إخراج الألف واللام من اسم الله سبحانه كإخراجه من الناس حذوَ القُذّةِ بالقُذّة . انتهى كلام أبى علىّ . وقد حذفنا منه مقدار ما أثبتنا ، وسقنا هذا الكلامَ بطوله لكثرة فوائده .

واعلم أنهم اختلفوا فى (ناس) فقال الجمهور : أصله أناس ، فقيل : جمع إنسان ، وقيل : اسم جمع له . وقال الكسائىّ : هو اسم تامّ وعينه واو ، من ناس ينوس إذا تحرّك . وعلى هذا فإطلاقه على الجن واضح ، قال فى القاموس: « والناس يكون من الإنس والجن » إلاّ أن قوله أصلُه أناس ، مع جعلِه من مادة (نوس) غير صحيح ، وصرّح به جماعة من أهل اللغة ، فإن العرب تقول : ناسٌ من الجنّ ، وفى الحديث « جاء قومٌ فوقفوا . فقيل : مَن أنتم ؟ قالوا : ناس من الجن » ولذا جوّز بعضهم فى قوله تعالى : (منَ الجِنّة والنّاسِ) أن يكون بياناً للناس . وقيل : أصله (نَسِيٌ) من النّسيان، فقدمت اللام على العين وقلبت ألفا ، فصار ناساً .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من أبيات لذى جدَن الحِميرىّ الملك ، كما فى كتاب المعمّرين لأبى حاتم السجستانى(١) ، قال : عاش ثلثمائة سنة ، وقال فى ذلك :

لكلِّ جنبٍ اجتني مُضطجَعْ(٢) والموتُ لا ينفعُ منه الجزعْ

اليوم تُجزَوْنَ بأعمالكمْ كلُّ امرئ يحصُدُ مما زَرَعْ(٣)

---

(١) المعمرين ٣٣ ـ ٣٤ . والأبيات ٢٦ بيتا فى الجمهرة ١٣٧ ـ ١٣٨

(٢) فى النسختين : « مضجع » صوابه من المعمرين وجمهرة أشعار العرب ١٣٧ . وقد طبعت نسخة ليدن من المعمرين ـ وهى أصل طبعة مصر ـ من نسخة البغدادى

(٣) فى النسختين : « مما يزرع » صوابه من المعمرين والجمهرة . وفى الجمهرة : « ماقد زرع » .

لو كان شىء مفلِتاً حتفَه أفلت منه فى الجبال الصَّدَع

وقال أيضاً :

أبيات الشاهد

(يا اِجتَنيْ مهلاً ذَرِينا أفى سِفاءٍ تعذُلينا[١]

يا اِجتَنيْ تَستَعْتِبينا فلا وربِّك تُعتَبينا

يومٌ يغيِّر ذا النَّعيـمِ وتارةً يشفى الحزينا

إنّ المنايا يطّلعـن على الأُناس الآمنينا

فيدَعْنَهم شتّى ، وقد كانوا جَميعاً وافِرينا)

٣٥٦ فقوله : اجتنى ، اسم امرأة ، منقول من الفعل الماضى من اجتنى الثمرة ، وهو منادَى بحرف النداء المحذوف . ومُفلِتا:اسم فاعل من أفلتَه : إذا أطلقه . والصَّدَع بفتح الصاد والدال : الوعِل . والسِّفاء ، بكسر السين المهملة : مصدر سافاه مسافاة وسِفاء : إذا سافهه . واستعتب : طلبَ الإعتاب ، والإعتاب : مصدر أعتبه : إذا أزال عتابه وشكواه ، فالهمزة للسلب. وعتَب عليه من باب ضرب وقتل : إذا لامه فى تسخّط . والعتاب : مصدر عاتبه . وقوله : تُعتَبينا هو جواب القسَم[٢] بتقدير لا النافية ، كقوله تعالى : (تاللهِ تفتَؤُ تذكرُ يوسفَ[٣]) وهذا بالبناء للمجهول . وقوله : يومٌ ، أى للدهر يومٌ يغيِّر صاحبَ النعيم نعيمَه . ويشفى بالفاء . والمنايا : جمع مَنيَّة ، وهى الموت . ويطَّلعن : يُشرِفْن ويقربن . والآمنين : جمع آمن بمعنى مطمئن ، يقال أَمِن البلدُ : إذا

---

(١) السفاء ، كسحاب : الطيش والخفة ، ومثلها « السفاه »

(٢) ط : « تعتبينا مصدر هو جواب القسم » ، وكلمة « مصدر » مقحمة ، خط عليها الشنقيطى فى نسخته

(٣) الآية ٨٥ من سورة يوسف

اطمأنَّ . وقوله : فيدعنهم ، رُوى بدله : (فيذرْنهم) . وشتّي : متفرقين ، وهو جمع شتيت . ووافرين : جمع وافر ، من وفَر الشيء من باب وعد وفوراً : تمّ وكمَل .

وزعم بعضُهم ، فيما كتبه على تفسير البيضاوى : أن بيت الشاهد من قصيدة لعَبيد بن الأبرص ، قال : وأولها كما فى الحماسة البصْريّة :

نحنُ الألىٰ فاجمعْ جمو عَك ثمّ وَجِّهْهم إلينـا

وفيه نظر من وجهين(١): الأول أن هذا البيت لم يذكره صاحب الحماسة فى تلك القصيدة ، والثانى : أن أوَّل القصيدة إنما هو :

ياذا المخوِّفنا بقتل أبيه إذلالاً وحَينا

والبيت الذى أورده من أواخرها كما تقدم .

وذوجَدَن ، بفتح الجيم والدال : اسم مرتجَل ، وهو من أذواء اليمن(٢) . والأذواء بعضهم ملوك وبعضهم أقيال ، والقَيل دون الملك ، قال فى الصحاح : « والقَيل : ملك من ملوك حميردون الملك الأعظم ، والمرأة قيلة . وأصله قيِّل بالتشديد ، كأنه الذى له قول ، أى ينفذ قوله ، والجمع أقوال وأقيال أيضاً ، ومن جمعه على أقيال لم يجعل الواحد منه مشدَّداً . والمِقوَل بالكسر : القَيل أيضاً بلغة أهل اليمن ، والجمع المقاول » .

---

(١) الميمنى : « بل من ثلاثة أوجه . والثالث : اختلاف القافية مابين الآمينا والينا » .

(٢) ذكر الميمنى أن أذواء اليمن مستقصاة فى المجلة الألمانية Z. D. M. G ٢٩ : ٦٢٠ . قلت : وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ١٧٠ ـ ١٧٢ والاشتقاق ٥٢٥ ـ ٥٣٣

ومن الأذواء الأوائل (أبرَهَة ذو المنار) ، والمنار مَفعَل من النور[١] . .
وابنه (عمرو ذو الأذْعار) بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة ، زعموا أنّه حمل معه إلى اليمن نَسْناساً فذُعر الناس منه . وصحفه ابن الشجريّ فى أماليه بالدال المهملة فقال : والأدعار جمع دَعِرٍ ــ أى بفتح فكسر ــ وهو العُود الكثير الدخان[٢] . وأُنكِر عليه فى بغداد فأصرّ عليه . . وبعد ذى الأذعار بِدهر (ذو مُعاهِرٍ) واسمه حسّان . ومعاهر من العَهْر وهو الفجور . وبعده (ذو رُعين الأكبر) واسمه يَريم ــ ورُعين : اسم حصن كان له ؛ وهو فى الأصل تصغير رَعْن ، وهو أنف الجبل . ويَريم : من قولك رام من مكانه ، أى برح وانفصل منه . و (ذو رعين الأصغر) واسمه عبد كُلال بضم الكاف وتخفيف اللامين. وبعده بدهر (ذو شَنَاتر) واسمه ينوف ؛ من ناف الشىء ينوف : إذا طال وارتفع . والشَّناتر بفتح الشين المعجمة والنون : الأصابع فى لغة اليمن . ومنهم (ذو القَرنين) واسمه الصَّعْب . (وذو غَيمان) وهو من الغَيْم الذى هو العطش وحرارة الجوف ؛ بالغين المعجمة . و (ذو أصْبَح) بفتح الهمزة ، وإليه نسبت السِّياط الأصبَحيّة . و (ذو سَحَر) بفتح المهملتين و (ذو شَعْبان) . . و (ذو فائش) واسمه سلامة : وفائش : من الفِيَاش وهو المفاخرة و (ذو حُمَام) والحُمام بضم المهملة : حُمَّى الإبل[٣] .

٣٥٧

(١) أما أبرهة فاسم حبشى ، كما ذكر ابن دريد فى الاشتقاق ٥٣٢ . وقال : « وذو المنار : أول من بنى الأميال على الطرق فسمى ذا المنار » .

(٢) فى أمالى ابن الشجرى بعده : « وقيل هو الأذعار بالذال المعجمة، جمع ذعر

(٣) كذا فى الأصل والأمالى . وفى القاموس (حمم) : « وكغراب : حمى جميع الدواب » .

و (ذو تُرْخُم) بضم المثناة والخاء المعجمة ، وفتحها وسكون الراء[١] : من قولهم : ما أدرى أى تَرْخُمٍ هو : أى أىّ الناس . وتُرَخَم قبيلة باليمن أيضاً .

و (ذو يَحصِب) من قولهم حَصَبه يحصِبه : إذا رماه بالحصباء ، وهى الحصَى الصغار .

و (ذو عَسِيم) بفتح العين وكسر السين المهملتين ، من العَسَم بفتحتين وهو يُبْس فى المرْفق ، أو من العَسْم بالسكون وهو الطمع . .

و (ذو قُثَاث) بضم القاف وتخفيف المثلثتين من قولهم قثّ يقُثّ : إذا جمع . .

و (ذو حُوال) بالضم واسمه عامر . وحُوال من المحاولة وهى الطلب .

و (ذو مِهدَم) وهو مِفعل بالكسر ، من هدمت البيت .

[وذو الجناح[٢]] واسمه شمر . . و (ذو أَنَس) والأنَس بفتحتين : الجماعة من الناس .

و (ذو سُحَيم) وهو تصغير أسحم وهو الشديد السواد .

و (ذو الكُبَاس) بضم الكاف وآخره مهملة ، وهو الرجل العظيم الرأس.

و (ذو حُفار) بالضم من قولك حفَر البئر .

و (ذو نُواس) ، واسمه زُرعة[٣] . ونُواس بالضم من النَّوْس ،

---

(١) ترخم ، كجندَب وجندُب ، ومثل طحلب وطحلب وعنصَر وعنصر ، كما فى القاموس

(٢) التكملة من أمالى ابن الشجرى ١٧١ ، ساقطة من النسختين

(٣) زرعة ، بضم الزاى وفى ط : « ذرعة » صوابه فى ش وأمالى ابن الشجرى والروض الأنف ١ : ٢٩

وهو تذبذب الشيء وشدّة حركته . وسمّي بذلك لضفيرتين كانتا تنوسان على عاتقه[1] ، وكان غلاماً حسناً من أبناء الملوك ، أراده على نفسه ذو الشناتر ، فوجأه بخنجر كان قد أعدّه له فقتله ، ورضيته حمير لنفسها لما أراحها من ذي الشناتر . وذو نواس هو صاحب الأخدود الذي ذكره الله عزّ وجل ، وكان يهودياً فخدّ الأخدود لقوم من أهل نجران تنصّروا على يد رجل من قبل آل جفنة دعاهم إلى اليهودية فأبوا فحرقهم ، ثم ظهرت الحبشة على اليمن فحاربوا ذا نواس أشدّ حرب ، فلما أيقن بالهلاك اعترض [البحر[2]] بفرسه فكان آخرُ العهد به .

صاحب الأخدود

ومنهم (ذو الكُلاع الأكبر) و (ذو الكلاع الأصغر) وأدرك الأصغر الإسلامَ ، كتب إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم مع جرير بن عبد الله البَجلي فأسلم ، وأعتق يوم أسلم أربعة آلاف عبد ؛ وهاجر بقومه في أيام أبي بكر رضي الله عنه إلى المدينة . ثم سكنوا حمص .

واشتقاق الكُلاع ، بضم الكاف وفتحها ، من الكلَع بالتحريك ، وهو شُقاقٌ ووَسَخ يكون في القدم ؛ يقال منه كلِعت رجلُه .

ومنهم (ذو عَثْكلاَن) بفتح العين وسكون المثلثة ، وهو اسم مرتجل .

و (ذو ثُعْلُبان) بالضم وهو ذكر الثعالب .

و (ذو زَهْران) ، و (ذو مَكارِب) أي ذو مفاصلَ شِداد ، جمع مُكرَب كمكرم .

و (ذو مُنَاخ) بالضم وكان نزل ببعْلَبك .

---

(١) مابعده الى « وذونواس » لم يرد فى أمالى ابن الشجرى

(٢) التكملة من أمالى ابن الشجرى .

و (ذو ظَلِيم) واسمه حَوشَب ، وهو العظيم البطن . والظَّلِيم : ذَكَرُ النعام . وشهد ذو ظَلِيم صِفِّينَ مع معاوية رضى الله عنه .

ومنهم (ذو يَزَن) ملك اليمنَ بعد ذى نُواس فهزمته الحبشة ، واقتحم البحر فهلك . ويَزَن : اسم مرتجل ، وهو غير منصرف ، لأن أصله يزأن على وزن يسأل ، فخفّفوا همزته فصار وزنه يَفَل ؛ ومنهم من ردّ عينه فى النسب فقال رمح يَزأنىّ : وقيل إن أصله من وزَن يزِن ، فحذفت الواو ثم أبدلت الكسرة فتحة . واسم ذى يزن : عامر بن أسلم بن زيد بن غوث الحميرى والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه[1] :

١٢٨ (مِنَ اَجلك يا التى تيَمّتِ قَلبى وأنتِ بَخِيلةٌ بالوَصْل عنّي)

على أنّه شاذ : لأن فى لام (التى) اللزوم فقط وليس فيها العوضية أيضاً .

٣٥٨

قال بعض شرّاح المفصَّل : ولو قلتَ : تقديره : من أجلك يا حبيبتى التى تيمْتِ قلبى ، لم يبق إشكال ؛ لأن (التى) لم تكن منادى على هذا التقدير . انتهى

وروى (فَدَيتُك يا التى الخ) . ومعنى تيّمت : ذلّت واستعبدت ؛ ومنه تَيْم اللاتِ أى عبْد اللات . وروى : (وأنتِ بخيلة بالودّ عنّي) ، أى علىّ

و (منَ اَجلك) يقرأ بنقل فتحة ألف أجلك إلى نون مِن . وقوله : من اَجلك علّة معلولُها محذوف ، أى من أجلك قاسيت ما قاسيت ؛ أو خبر

(١) سيبويه ١ : ٣١٠ . وانظر الانصاف ٢٠٩ وابن يعيش ٢ : ٨ والهمع ١ : ١٧٤

مبتدأ محذوف ، أى من أجلك مقاساتى . وكان القياس أن يقول تيمّمَتْ بتاء التأنيث على الغيبة ، لـكنْ جاء على نحو قوله :

* أنا الذى سَمَّتْنِ أمّى حيدَرهْ[1] *

والقياس سَمَّتهُ . وجملة أنت بخيلة [حال[2]] عاملها تيمّمتِ .

وهذا من الأبيات الخمسين التى لم يعرف لها قائل ولا ضَميمة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد المائة [3] :

١٢٩ (فيا الغُـلامانِ اللّذانِ فرّا إيّاكُماَ أن تَـكْسِبانا شَرًّا)

على أنه أشذُّ مما قبله : إذ ليس فى أل التى فى الغلامين لزوم ولا عوض .

وخرّجه ابن الأنبارىّ فى الإنصاف على حذف المنادىٰ وإقامة صفته مقامه قال : « التقدير فيه وفى الذى قبله ، فيا أيها الغلامان ، وياحبيبتى التى ؛ وهذا قليل بابُه الشعر » . وإيّاكما : تحذير . وأن تَـكسِبانا : أى مِن أن تـكسبانا ؛ وماضيه كسَبَ يتعـدّى إلى مفعولين ، يقـال : « كسبتُ زيداً مالاً وعلماً أى أنلتهُ » .

قال ثعلب : كلّهم يقول : كَسَبكَ فلانٌ خيراً ، إلاّ ابن الأعرابىّ فإنه يقول : « أكسبك بالألف » كذا فى المصباح .

وهذا البيت شائعٌ فى كتب النحو ، ولم يُعرف له قائل ولا ضميمة .

* * *

(١) من شواهد الخزانة ٢ : ٥٢٣ ، ٥٣٤ بولاق وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٥٢ والهمع ١ : ٨٦ مع نسبته الى على بن أبى طالب .
(٢) التكملة من ش .
(٣) العينى ٣ : ٢١٥ وابن يعيش ٢ : ٩ وأمالى ابن الشـجرى ٢ : ١٨٢ والانصاف ٣٣٦ والهمع ١ : ١٧٤ والأشمونى ٣ : ١٤٥

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد المائة [١] :

١٣٠ * إنّى اذا ما حَدَثٌ أَلَمَّا أقولُ : يا اَللّهُمَّ يا اَللّهُمَّا *

على أن اجتماع يا والميم المشدّدة شاذٌ .

والحدث محرّكة : ما يحدث من أمور الدهر . وروى أبو زيد فى نوادره :

(إنّى إذا ما لَمَمٌ أَلَمّا)

هو بفتحتين مقارفة الذنب [٢] ، وقيل هو الصغائر . وألّم الشىء : قرُب . وأقول : خبرُ إنّ ، وإذا : ظرف له .

وهذا البيت أيضاً من الأبيات المتداولة فى كتب العربيّة ، ولا يعرف قائله ولا بقيّته . وزعم العينيّ أنه لأبى خِراش الهذلىّ . قال : وقبله :

إنْ تغفِرِ اللّهُمّ تغفرْ جمّا وأىُّ عبدٍ لك لا أَلَمّا

وهذا خطأ ؛ فإن هذا البيت الذى زعم أنه قبله ، بيتٌ مفرد لا قرين له ، وليس هو لأبى خِراش ، وإنّما هو لأميّة بن أبى الصّلت ، قاله عند موتِه ، وقد أخذه أبو خِراش وضمّه إلى بيت آخر وكان يقولها ، وهو يسعى بين الصفا والمروة ، وهما :

لا هُمّ هذا خامسٌ إنْ تمّا أتمه اللهُ وقد أتمّا ٣٥٩

إن تغفر اللّهم تغفر جمّا . . . . الخ

وقد تمثّل به النبى ﷺ وصار من جملة الأحاديث ؛ أورده السيوطىّ

---

(١) العينى ٤ : ٢١٦ ونوادر أبى زيد ١٦٥ والانصاف ٣٤١ وابن يعيش ٢ : ١٦٠ والهمع ١ : ١٧٨ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢١٣ واللسان (أله ٣٦٢) والمخصص ١ : ١٣٧١

(٢) ط : « مقاربة الذنب » صوابه فى ش

فى جامعه الصغير ، ورواه عن الترمذىّ فى تفسيره ، وعن الحاكم فى الإيمان والتوبة عن ابن عباس رضى الله عنهما .

قال المناوىّ فى شرحه الكبير : يجوز إنشاد الشعر للنبي : ﷺ وإنما المحرَّم إنشاؤه . ومعناه إن تغفرْ ذنوبَ عبادك فقد غفرتَ ذنوباً كثيرة ؛ فإنّ جميع عبادك خطّاءون . وقوله : لا ألمّا أى لم يلم بمعصية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد المائة ، وهو من أبيات جمل الزجّاجىّ[1] :

١٣١ (وماعليكِ أنْ تقُولى[2] كُلّما سبّحتِ أو صلّيتِ : يااللهُمَّ ماَ)
(أردُدْ علينا شيخَنا مُسلَّما)

على أنَّ (ما) تزاد قليلا بعد (يا اللهم) .

هذا الرجز أيضاً مما لا يُعرف قائله . وزاد بعد هذا الكوفيّون :

(مِنْ حَيثُما وكيفَما وأينَما فإنّنا من خَيرِه لن نُعدَما)

فقوله (وما عليكِ . . الخ) ما استفهامية ، والمعنى على الأمر . والتسبيح : تنزيه الله وتعظيمه وتقديسه . و (صلَّيتِ) بمعنى دعوت ، أو الصلاةِ الشرعية . وروى بدله : (هلّلت) ، أى قلتِ : لا إله إلا الله ؛ كما أن سبحت : قلت سبحان الله . و (الشيخ) هُنا : الأب أو الزوجُ . و (مسلَّماً) : اسم مفعول من السلامة . وقوله : من حيثُما ، أى من حيثما يوجد . . الخ . وقوله : فإننا من خيره ، الخير هنا : الرزق والنفع . ولن نُعدَما بالبناء للمفعول .

(١) الانصاف ٣٤٢ والهمع ٢ : ١٥٧ واللسان (أله ٣٦٢)
(٢) ط : « تقول » صوابه فى ش والمراجع السالفة

أمرَ بُنيَّته أو زوجته بالدعاء له ، إذا سافرَ وغاب ، فى أوقات الدعوات وفى مظانّ القَبول : كما فعلتْ بنت الأعشى ميمون[(١)] :

تقولُ بنتى وقدْ قُرِّبتُ مُرْتحَلا يا ربِّ جنِّبْ أبى الأوصابَ والوجَعا

عليكِ مثلُ الذى صلَّيتِ فاغتمِضى نوماً فإنَّ لجنبِ المرء مُضطَجَعا

وقال أيضاً :

تقول ابنتى حين جدّ الرحيلُ أُرانا سواءً ومَنْ قد يَتِمْ

أبانا ، فلا رِمْتَ مِن عِنْدِنا فإنّا بخيْر إذا لم تَرِم

ويا أبَتا ، لا تزُلْ عندَنا فإنَّا نخافُ بأن نُخْتَرَم

أُرانا إذا أضمرتك البلا دُ نُجفَى ويُقطَع مِنَّا الرحِم

فقوله : قُرِّبتُ ، بالبناء للمفعول[(٢)] ، والمرتحَل : الجمل الذى وضع عليه الرحل ؛ وهذا كناية عن الرحيل . والأوصاب : جمع وصَب ، وهو المرض . وصلَّيتِ : دعوت . ويَتِمَ يَيتَم من باب تعب وقرب : إذا صار يتيما . ورام يريم بمعنى برِح يبرح . ولا تزُلْ من زال يزول ، والأفعال الثلاثة بعده بالبناء للمفعول .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[(٣)] :

---

(١) ط : « أعشى ميمون » ، صوابه فى ش . يعنى بنته التى قال فيها هذا الشعر .

(٢) كذا فى النسختين ، وقد غيرها بكلمة « للفاعل »

(٣) سيبويه ١ : ٢٦ ، ٣١٤ . وانظر الخزانة ٢ : ١١٦/٤ : ٢٧٣ بولاق ابن يعيش ٢ : ١٠ ، ١٠٥ / ٣ : ٢١ والعينى ٤ : ٢٤٠ والخصائص ١ : ٣٤٥ وابن الشجرى ٢ : ٨٣ وشرح شواهد المغنى ٢٨٩ وديوان جرير ٢٨٥

١٣٢ (يا تيمُ تيمَ عَدِيٍّ لا أبالَكُمُ
لا يُلْقِيَنَّكُمُ فى سَوْءةٍ عُمَرُ)

٣٦٠

على أن (تيماً) الأوّل يجوز فيه الضم والنصب ؛ وفى الثانى النصب لا غير ؛ وبيَّنه الشارح المحقق .

قال اللخمىّ فى شرح أبيات الجمل : وأضاف تيما إلى عدىّ للتخصيص . واحترز به عن تيم مرَّة فى قريش ، وهم بنو الأدرم ؛ وعن تيم غالب بن فهر، فى قريش أيضاً ؛ وعن تيم قيس بن ثعلبة ؛ وعن تيم شيبان ؛ وعن تيم ضَبَّة . وعدىّ المذكور هو أخو تيم ، فإنهما ابنا عبد مَناة بن أُدّ بن طابخة ابن الياس بن مضر .

ومعنى (لا أبالكم) ، الغلظة فى الخطاب ، وأصله أن يُنسَب المخاطبُ إلى غير أب معلوم شتماً له واحتقاراً ، ثم كثرت فى الاستعمال حتى جعلت فى كل خطاب يُغلَظ فيه على المخاطب . وحكىٰ أبو الحسن بن الأخضر : أن العرب كانت تستحسن لا أبالك ، و تستقبح لا أمَّ لك ؛ لأن الأم مشفقة حنينة، والأب جائرٌ مالك[1] . وتقدّم الكلام عليه مفصلاً فى الشاهد الثانى عشر بعد المائة[2] .

وقوله : (لا يُلقينّكم) بالقاف من الإلقاء وهو الرمى ؛ قال ابن سِيدَه : من رواه بالفاء فقد صحّف وحرّف . ورُوى : (لا يوقِعَنّكم) ، والنهى واقع فى اللفظ على عمر ، وهو فى المعنى واقعٌ عليهم . و (السَّوءة) بالفتح : الفَعلة

(١) وكذا فى شرح شواهد المغنى حيث ورد هذا النص ، وقد جعلها الشنقيطى : « حائز مالك » .

(٢) انظر ص ١٨٣ من هذا الجزء .

القبيحة ، أى لا يوقعنّكم عمر فى بليّة ومكروه لأجل تعرّضه لى ، أى امنعوه من هجائى حتّي تأمنوا أن ألقيكم فى بليّة ، فإنكم قادرون على كفّه ؛ فإذا تركتم نهيه فكأنكم رضيتم بهجوه إياىَ .

وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها عُمَر بن لَجَأ التيمى (ولجأ بفتح اللام والجيم وآخره همزة) ومنها :

أبيات الشاهد

(تعَرَّضت تَيْمٌ لى عمداً لأهجُوَها(١) كما تعرّضَ لِاَستَ الخارئ الحجرُ
أنتَ ابن بَرْزَةَ ، منسوبٌ إلى لجإٍ عند العُصارَة والعيدان تُعتَصرُ
خلِّ الطريقَ لمن يبنى المنـارَ به وابرُز ببرزَة حيثُ اضطرّك القدرُ
أحينَ صرتُ سِماماً يابنى لَجَـأ وخاطرَتْ بيَ عَنْ أحسابها مُضَرُ)

وهى قصيدة طويلة أفحشَ فيها . فلما توعدّهم فيها أتوه به مُوثَقا وحكّموه فيه ، فأعرض عن هجوهم .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء(٢) : لمـا بلغ ذلك تيما أتوا عمرَ وقالوا: عرّضتنا لجرير ، وسألوه الـكفّ ، فأبى وقال : أكفُّ بعد ذكره أمى ؟!

وبَرزة هى أم عُمر بن لجأ . يقال فلان عصارة فلان أى ولده . وهو سبّ. وقوله : خلِّ الطريق . . الخ ، هذا من أبيات سيبويه ، أورده على أنّ فيه إظهارَ الفعـل قبل الطريق والتصريحَ به ؛ ولو أضمره لـكان حسناً ، على ما بيّنه(٣) .

---

(١) ط : « تعرض التيم » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته . وهذا من تصحيف السمع بفعل الادغام .
(٢) الشعراء ٦٦٣
(٣) انظر سيبويه والأعلم ١ : ١٢٨

يقول : خلِّ طريقَ المعالى والشرف والمفاخرة ، واتركه لمن يفعل أفعالاً مشهورة كأنَّها الأعلام التى تنصب على الطريق وتبنىٰ من حجارة ليُهتدىٰ بها ؛ وعيَّرَه بأنه يقول : ابرزْ بها عن الناس وصِرْ إلى موضع يمكنك أن تكون فيه لما قضى عليك . وقيل : معناه : دعْ سبيلَ الرشاد لطالبيه ، وأبرزْ إلى سبيل الغىّ إذا اضطرّك قضاء الله وقدره ؛ يعرّض بأن أمّه كانت فاجرة .

والسِّمام بالكسر : جمع سمّ وهو الشىء القاتل . وخاطره على كذا أى راهنه ، من الخطَر ، وهو السَّبَق ، بتحريكهما ، وهو الشىء الذى يُتراهن عليه . ورُوى بدله : (وحاضَرَت) ، بالحاء المهملة والضاد المعجمة ، يقال حاضرْته عند السلطان ، وهو كالمغالبة و المكابرة .

٣٦١ وأجابه عمر بن لجأ بقصيدة منها :

لقدْ كذَبتَ ، وشرُّ القولِ أكذَبُه(١) ما خاطرتْ بكَ عَن أحسابها مُضَرُ

بلْ أنتَ نَزْوةُ خوَّارٍ على أمَةٍ لنْ يسبِقَ الحلَبات اللؤمُ والخوَرُ

ما قلتَ منْ هذه إنِّى سأنقضُها يا ابنَ الأتان ، بمثلى تُنقَض المِرَرُ

والنزوة : مصدر نزا الذَّكَرُ على الأنثى ؛ وهذا يقال فى الحافر والظِّلف والسباع . والخوّار : من الخوَر ، وهو ضعف القلب والعقل . والحلَبات بالحاء المهملة .

وكان سببَ التهاجى بين جرير وعُمر بن لجأ ، هو ما حكاه المبرِّد فى (كتاب الاعتنان) عن أبى عبيدة(٢) : أنّ الحجّاج بن يوسف الثقفىّ

---

(١) ط : « وسوء القول » ، صوابه فى ش وابن سلام ٣٦٥ والنقائض ٤٨٨

(٢) انظر أيضا النقائض ٤٨٧

سأل جريراً عن سبب التهاجي بينه وبين شعراء عصره ، فبيّن له جريرٌ سببَ كلّ واحد . إلى أن قال الحجاج : ثم مَن ؟ قال : ثم التيميّ عُمر بن لجأ . قال : وما لكَ وله ؟ قال : حسدني فعابَ عليّ بيتاً كنتُ قلته ، فحرّفه :

لقَومِيَ أحمَى للحقيقةِ منكُمُ ... وأضربُ للجبّار والنَّقْعُ ساطعُ
وأوثقُ عند المرهفات عَشِيَّةً ... لَحَاقاً إذا ما جَرَّد السيفَ لامِعُ

فقال لي : إنما قلتَ :

* وأوثقُ عند المردَفات عشِيَّة *

فصيّرتَ نساءك قد أُردفن غدوة ولحقتَهنَّ عشيَّة وقد فُضحن ، ولم أقُلْه كما حكى . قال الحجّاج : فما قلت له ؟ قال : قلت له أحذِّره وأحذِّر قومَه :

يا تيمَ تيمَ عديٍّ لا أبالَكُم ... البيت

قال : فنقضَ عليَّ بأشدَّ مما قلتُ له فقال :

لقد كذبتَ وشرُّ القول أكذبُه ... البيت

قال أبو عبيدة : وأما كِرْدِينُ المِسمَعيُّ(١) فأخبرني قال : كان بدء الشرِّ بين ابن لجأ وجرير : أن لقمان الخزاعيّ قدِم على صدَقات الرِّباب ، فحضرتْه وجوه الرِباب وفيهم عُمر بن لجأ ، فأنشده :

تأوَّبني ذِكْرٌ لزَوْلَة كالخبَل ... وماحيثُ تلقَى بالكثيب ولا السَّهلْ
تُريدِينَ أن أرضَى وأنتِ بخيلةٌ ... ومَن ذا الذي يُرضِي الأخِلاَّءَ بالبَخلْ

---

(١) هو مسمع بن عبد الملك بن مسمع بن مالك بن مسمع ، الملقب بكردين جمهرة ابن حزم ٣٢٠

حتى فرَغ منها . فقال له لقمان : مازلنا نسمع بالشام أنّ هذه لجرير ! فقال عمر بن لجأ : إنى لأكذبُ شيخٍ فى الأرض إن ادَّعيت شعر جرير . ثمّ أنشدته على رءوس الناس وجماعات الرِّباب !! فأبلغ لقمان جريراً مقالة عُمر ، قال : فزعم عُمر أنك سرقتها منه ! فقال جرير : وأنا أحتاج إلى أن أسرق شعر عمر وهو القائل فى إبله ووصفها حتّي جعلها كالجبال ثم جعلَ فحلَها كالظَّرِب (وهو الجبل الصغير فى الغلظ من الأرض) فقال :

* كالظَّرِب الأسوَدِ من وَرائها *

ثم قال : * جَرَّ العَروسِ الثِّنْيَ مِنْ رِدائها *

والله ما شعرُه من نمَط واحد ، وإنّه لمختلِف العُيون ! فأبلغ لقمانُ عمرَ قول جرير وما عابَ مِن قوله ، فقال عمر : أيعيبُ جرير قولى :

* جرَّ العروس الثِني مِنْ ردائها *

وإنّما أردت لِينَه ولم أردْ أثره ، وقد قال هو أقبَح مِنْ هذا ، حين يقول :

* وأوثقُ عند المردَفات عشِيَّة *

فلحقَهنّ بعد ما نُسكِحْنَ وفُضحن ! فقال جرير : حرَّفَ قولى ، إنما قلت « عند المرهَفات عشية » . فوقع الشرُّ بينهما . انتهى

وترجمة جرير تقدمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب(١) .

* * *

٣٦٢ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد س(٢) :

(١) انظر الجزء الأول ص ٧٥

(٢) سيبويه ١ : ٣١٥ والعينى ٤ : ٢٢١ وابن يعيش ٢ : ١٠ والهمع ٢ : ١٢٢ وشرح شواهد المغنى ٢٧٩ والمنصف ٣ : ١٦ والسيرة ٧٩٤ والروض الأنف ٧ : ٢٥٨

١٣٣ *(يا زَيْدَ زَيْدَ اليَعْمَلاتِ الذُبَّلِ تَطاولَ الليلُ عليكَ فانزِلِ)*

لما ذكر فى البيت قبله . وهو ظاهر .

و (اليَعْمَلات) . بفتح الياء والميم : الإبل القويّة على العمل . و (الذُبّل) : جمع ذابل ، أى ضامرة من طول السفر . وأضاف زيداً إليها لحسْن قيامه عليها ومعرفته بحُدائها . وقوله (تطاول الليل عليك . . الخ) رُوى : (هُدِيتَ) بدل عليك ، وهو المناسب. أى انزل عن راحلتك واحْدُ الإبل ، فإن الليل قد طال ، وحدث للإبل الكَلال ، فنشّطْها بالحُداء ، وأزلْ عنها الإعياء .

صاحب الشاهد

وهذا البيت لعبد الله بن رَوَاحة الصحابىّ رضى الله عنه ، لا لبعض ولد جرير ، خلافاً لشرّاح أبيات سيبويه . وهو بيتان لا ثالث لهما ، قالها فى غزوة مُؤْتَة (وهى بأدنى البَلْقاء من أرض الشام) وكانت فى جمادى الأولى من سنة ثمان من الهجرة .

قال ابن عبد البرّ فى الاستيعاب[1] : « ذكر ابن إسحاق عن عبد الله ابن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : كان زيدُ بن أرقَم يتيماً فى حِجر عبد الله بن رَوَاحة ، فخرج به معه إلى مُؤْتة يحمله على حَقيبةِ رَحْلِه ، فسمعه زيد بن أرقم من الليل وهو يتمثَّل أبياتَه التى يقول فيها :

إذا أدَّيتِنى وحَملْتِ رَحْلى مَسِيرةَ أربعٍ بعد الحِساءِ

فشأنَكِ فانعَمى وخَلاكِ ذمٌّ ولا أرجِعْ إلى أهلى ورائى

وجاء المؤمنون وغادرُونى بأرض الشامِ مُنتهِىَ الثَّواء

فبكىٰ زيد بن أرقم ، فخفَقه عبدُ الله بن رَواحة بالدِّرّة وقال : ما عليك

(١) فى ترجمة زيد بن أرقم

يا لُكَعَ أنْ يرزقَني اللهُ الشهادةَ وترجعَ بين شُعْبَتَي الرَّحل ؟ ! . . ولزيد ابن أرقم يقول عبدُ الله بن رَوَاحة :

يا زيد زيدَ اليعمَلات الذُّبَّل تطاولَ الليل ـ هُديتَ ـ فانزل

وقيل : بل قال ذلك فى غزوة مُؤْتة لزيد بن حارثة » انتهى .

وهذا الثانى بعيد فإنّه يُستبعَد أن يقال لأمير الجيش : انزل عن راحلتك واحْدُ الإبل ؛ فإن زيد بن حارثة كان أمير الجيش فى غزوة مؤتة كما سيأتى .

ومُؤْتة بضم الميم والهمز . وقوله : إذا أدّيتِنى ، خطاب لراحلته . وقوله : الحِساء ، بكسر الحاء المهملة وبعدها سين مهملة ، قال المبرد فى الكامل : « هو جمع حِسْى (بكسر فسكون) وهو موضعُ رملٍ تحته صلابة ، فإذا مَطَرت السماء على ذلك الرمل نزل المـاء فمنعتْه الصلابة أن يغيض ومنع الرملُ السمائمَ أن ينشفه[1] فإذا بُحث ذلك الرمل أصيب الماء . ويقال حسى وأحساء وحِساء . وقوله : وخلاكِ ذمّ أى تجاوزك الذمّ ، دعاء لها . وقوله : ولا أرجع ، مجزوم بالدعاء ؛ ومعناه اللهم لا أرجع » انتهى .

وقوله مُنتهِيَ الثَّواء هو اسم فاعل منصوب على الحال .

عبد الله ابن رواحة

و (عبد الله بن رَوَاحة) أنصارى خزْرَجىّ . وهو أحد النقباء . شهد العَقَبة ، وبَدراً ، وأُحُداً ، والخندقَ ، والحديْبِيَة ، وعُمرةَ القَضاء ، والمشاهِد كلَّها إلاّ الفتح ، ومات بعدَه ، لأنه قُتل يوم مُؤْتة شهيداً . وهو أحد الأمراء فى غزوة مؤتة ، وأحدُ الشعراء المحسنين الذين كانوا يردّون الأذىٰ عن رسول الله ﷺ . وفيه وفى صاحبيه حسّان وكعْب بن مالك نزلت : (إلاّ الذينَ آمنوا وعَمِلوا الصالحاتِ وذكَرُوا اللهَ كثيرا[2]) الآية .

٣٦٣

(١) السمائم : جمع سموم ، وهى الريح الحارة ليلاً أو نهاراً . وفى النسختين : « ومنع الرمل السماء أن ينشفه » صوابه من الكامل ٧٦

(٢) الآية ٢٢٧ من الشعراء

وسبب غزوة مُؤتة : أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عُمير الأزْديّ بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم ، وقيل إلى ملك بُصرىٰ ، فعرَض له شُرَحْبيل ابن عمرو الغسّانى ، فأوثقَه رِباطا ، وضرَب عنقَه صَبْرا (ولم يُقتل لرسولِ الله ﷺ رسولٌ غيره) فاشتدَّ ذلك عليه حين بلغه الخبر ، فبعث بَعثه ﷺ إلى مُؤتة واستعمَل عليهم زَيد بن حارثة وقال : إنْ أُصيبَ زيدٌ فجعفر بن أبى طالب ، فإن أصيبَ فعبد الله بن رَواحة . فتجهَّز ثلاثة آلاف رجل ، ثم مضَوا حتى إذا كانوا بتُخوم البَلْقاء لقيتهم جموعُ هِرَقْلَ والعرب فى مَشارفَ من قرى البَلْقاء ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤتة (وكان الرومُ مائة ألف . وانضمَّ إليهم من لَخم وجُذام والقَين وبَهراء[1] وبَلِيّ مائةُ ألف أخرى) ثم التقَوا فاقتتلوا . فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى قُتِل شهيداً ، فأخذها جعفر ثم قتِل ، ثم أخذها عبد الله بن رَواحة فقُتِل ، فأخذ الرايةَ خالدُ بن الوليد ودافع الناسُ ، ثم انحازَ وانْحِيزَ عنه حتّى انصرف بالناس إلى رسول الله ﷺ

زيد بن أرقم

وأما (زيد بن أرقم) فهو أنصارى خزرجيّ من بنى الحارث بن الخزْرَج . وزيد بن أرقم هو الذى رفع إلى رسول الله ﷺ عن عبد الله بن أبيّ ، ابن سَلولَ[2] قولَه : لئنْ رجَعنا إلى المدينةِ ليُخرجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ ، فأكذَبه عبدُ الله بن أبيَّ وحلف ، فأنزل الله تصديقَ زيد بن أرقم ، فبشّره أبو بكر بتصديق الله إيَّاه . وجاء إلى النبي ﷺ ، فأخذ بأذن زيد وقال : « وَفَتْ أذنك يا غلام » . وشهد مع عليّ وقعة صِفين ، وهو معدود فى خاصَّة أصحابه .

(١) فى النسختين : « والقيس » صوابه فى ش والسيرة وسيرة ابن سيد الناس ٢ : ١٥٣ . وفى ط : « وبهرام » صوابه فى ش والسيرة وسيرة ابن سيد الناس .

(٢) سلول : جدة عبد الله ، نسب اليها . جمهرة ابن حزم ٣٥٥ . لكن فى الاشتقاق ٤٥٩ أن سلول أمه .

ونزل الكوفة وسكنها وابتنى بها داراً ، وبها كانت وفاته فى سنة ثمان وستين.

و (أما زَيد بن حارثة) فهو مولى رسول الله ﷺ ، كان أصابه سِباء فى الجاهليَّة فاشتراه حكيم بن حِزام لعمَّته خديجة بنت خُويلد ، فوهبته خديجة لرسول الله ﷺ ، فتبنَّاه رسولُ الله ﷺ بمكة قبل النبوَّة ، وهو ابن ثمان سنين . ثم إن ناساً من كلْب حجُّوا فرأَوا زيداً فعرَفهم وعرَفوه ؛ فقال لهم : أبلِغوا أهلى هذه الأبيات ، فإنِّى أعلم أنَّهم قد جزِعوا علىَّ ، فقال :

أحِنّ إلى قومى وإنْ كنتُ نائياً ... فإنِّى قَعيدُ البيتِ عند المشاعرِ[1]

فَكُفُّوا مِنَ الوجْدِ الذى قدْشجاكمُ ... ولا تُعمِلوافىالأرضِ نَصَّ الأباعرِ

فإنِّى ، بحمدِ اللهِ ، فىخير أُسرَةٍ ... كرام مَعَدٍّ كابراً بَعْدَ كابر

فانطلق الكلبيّون فاعلَموا أباه فقال : ابنى وربِّ الكَعْبة ! ووصفوا له موضعَه وعند مَنْ هو . فخرج حارثةُ وكعبٌ أخوه[2] لفِدائه وقَدِما مكة ، فدخلا على النبي ﷺ فى المسجد فقالا : يا ابنَ عبدِ المطَّلِب ، يا ابن هاشم ، يا ابن سيِّد قومه ؛ أنتمْ أهلُ حرم الله وجيرانهُ ، تفُكُّون العانىَ وتُطلقون الأسير ،جئناكَ فى ابنِنا عبدِك ؛ فامننْ علينا ، وأحسِن إلينا فى فدائه . قال : مَن هو ؟ قالا . زَيد بن حارثة . فقال ﷺ . أدْعُوه فأخيِّره ، فإن اختاركم فهو لكم ، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختارُ على منْ اختارنى أحداً . قالا . قد زدتنا على النِّصْف وأحسَنت . فدعاه فقال . هل تعرف هؤلاء ؟ قال : نعم ، هذا أبى وهذا عمى ! قال : فأنا مَن قدْ علمتَ ورأيتَ صحبتى لك ، فاخترْنى أو اخترْهما . قال زَيد : ما أنا بالذى أختارُ عليك أحداً ، أنت منّي

٣٦٤

(١) ط : « نابيا » ، صوابه فى ش والاستيعاب والروض الأنف ١ : ١٦٤ . وفى الروض أيضا : « بأنى قعيد البيت »

(٢) فى الاستيعاب : « حارثة وكعب ابنا شراحيل » .

مكان الأبِ والعمّ ! فقالا : ويحَكَ يازيد ، أتختار العُبوديّة على الُحرّية ؟! قال : نعم ، قد رأيت مِن هذا الرجل شيئاً ، ما أنا بالذى أختار عليه أحداً ! فلما رأى رسولُ الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحِجْر فقال : يامَن حَضر ، اشهدُوا أنّ زيداً إبنى يرثنى وأرِثُه . فلما رأى ذلك أبوه وعمُّه طابتْ نفوسهما ، فانصرَفا . ودُعِىَ زيدَ بنَ محمد ؛ حتى جاء الله بالإسلام فنزلت . (ادْعُوهُمْ لآبائهم[1]) ، فدُعىَ يومئذٍ زيدَ بن حارثة ؛ وكان يقال له زيد بن حارثة حِبّ رسول الله ﷺ وشهد بدراً وزوَّجه مولاته أُم أَيمن ، فولدت له أسامة . وقُتِل زيد بمؤْتة سنة ثمان من الهجرة ، وهو كان الأميرَ على تلك الغزوة . رُوى عنه ﷺ أنه قال : « أحبُّ الناس إلىَّ مَنْ أنعمَ اللهُ عليه وأنعمتُ عليه » يعنى زيدَ بنَ حارثة . أنعمَ الله عليه بالإسلام ، وأنعمَ عليه ﷺ بالعِتق .

ولّخصتُ التراجم من الاستيعاب ، والغزوة من سيرة ابن سيِّد الناس .

واعلم أنّى رأيتُ فى نوادر ابن الأعرابى أرجوزة عدّتها اثنان وعشرون بيتاً مطلعها :

* يا زيدُ زيدَ اليعْمَلات الذُبّل *

قال : « أنشدنى بُكير بن عبيد الرَّبعىّ . ولا أعلم مَنْ هو : أهو سابق على عبد الله بن رَوَاحة أم لاحقٌ له ؟ » . والظاهر أنه بعده ، فإنّ الرجز فى الجاهلية كان لا يتجاوز الأبيات الثلاثةَ والأربعة ، وإنما قصّده وأطاله الأغلب العجلىّ كما تقدم بيانه فى ترجمته[2] . والله أعلم

* * *

(١) الآية ٥ من الأحزاب

(٢) انظر ص ٢٣٩ من هذا الجزء .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد المائة[1] :

١٣٤ (فلاَ وَاللهِ لا يُلْفىٰ لِمـا بى ولا لِلِما بهـمْ أبدًا دَواء)

على أن اللام الثانية فى قوله (لِلِما) مؤكِّدة للّام الأولىٰ .

ويأتى إن شاء الله تعالى ما يتعلّق به فى باب التوكيد، وفى الباء والكاف أيضاً من حروف الجر[2] .

وهذا البيت من قصيدة لمسلْم بن مَعْبَد الوالِبيّ . قال أبو محمد الأسود الأعرابىّ فى ضالّة الأديب : كان السبب فى هذه القصيدة : أنّ مُسْلماً كان غائباً فكتب إبله للمصدّقِ (أى لعامل الزكاة) وكان رُقَيْع وهو عُمارة ابن عبيد الوالبيّ عَرِيفاً، فظنّ مُسلْمٌ أنَّ رُقيعاً أغراه (وكان مسلم ابنَ أخت رقيع وابنَ عمِّه)، فقال :

قصيدة الشاهد

(بكتْ إبلى، وحُقّ لها البكاء، وفرَّقها المظالمُ والعَداء
إذا ذَكرت عَرافةَ آلِ بشْر وعيشاً ما لأوّله انثناء
ودهراً قد مضىٰ ورجالَ صِدْقٍ سَعَوا، قد كان بعدَهم الشقاء
إذا ذُكر العَريف لها اقشعرَّت ومسّ جلودَها منه انزواء
فظلَّتْ وهىَ ضامِزَةٌ تَفادىٰ من الجرّات جاهدها البلاء[3]
وكِدْنَ بذى الرُّبا يدعُون باسمى ولا أرْضٌ لدَىَّ ولا سَماء

(١) انظر الخصائص ٢ : ٢٨٢ ومعانى الفراء ١ : ٦٨ وابن يعيش ٧ : ٨/١٨ : ٩/٤٣ : ١٥ والهمع ٢ : ٧٨ ، ١٢٥ ، ١٥٨ وشرح شواهد المغنى ١٧٢

(٢) الخزانة ٢ : ٤/٣٥٢ : ٢٧٣ بولاق

(٣) الضامزة : التى تمسك جرتها فى فيها . وبعير ضامز : لايرغو . ط : « ضامره » ، صوابه فى ش

تؤمِّل رَجْعةً منّي ، وفيها كتابٌ مثل ما لزِق الغِراء
عَذرتُ الناسَ غيرَك فى أمور خلوتَ بها فما نفَع الخَلاء
فليس على ملامتِناكَ لومٌ وليس على الذى نلقىٰ بقاء
ألمّا أنْ رأيتَ الناس آبتْ كلابُهُمُ علَيَّ لها عُواء
ثنيتَ رِكاب رَحْلك مَعْ عدوٍّ لمختتِل ، وقد بَرِحَ الخفاء[1]
ولا خيتَ الرجالَ بذاتِ بيني وبينِك ، حين أمكنك اللِّخاء
وأىّ أخ لسِلْمكَ بعْدَ حربى إذا قومُ العدوّ دُعُوا فجاءوا
فقام الشرُّ منكَ وقمتَ منه على رِجْلٍ وشالَ بكَ الجزاء
هنالِك لا يقوم مقامَ مثلى مِن القوم الظَّنونُ ولا النساء
وقد عيَّرتَني وجفَوْتَ عنّي فما أنا وَيْبَ غيرِك والجَفاء
وقد يَغنىٰ الحبيبُ ولا تُراخِى مودّتَه المغانمُ والحِباء[2]
ويُوصَل ذو القرابة وهو ناءٍ ويبقىٰ الدِّينُ ما بقى الحياء
جَزىٰ اللهُ الصَحابةَ عنكَ شرًّا وكلُّ صَحابة لهمُ جزاء
بِفِعْلِهم ، فإنْ خيراً فخيراً وإنْ شرًّا : كما مُثِل الحِذاء
وإيّاهم جزى عنّي ، وأدّىٰ إلى كلٍّ بما بلغَ الأَدَاء[3]
وقد أنصفتُهم والنِّصف يَرضىٰ به الإسلامُ والرحِمُ البَواء
لدَدْتهمُ النصيحةَ كلَّ لدٍّ فمجُّوا النصحَ ثم ثنَوْا فقاءوا

---

(١) ش : « ركاب رجلك » .
(٢) ط : « ولا ترخى »
(٣) فى النسختين : « الأذاء »

وكنتُ لهم كداء البطن يُوذِى وراءَ صحيحه مرضٌ عَياء
جَوِينَ من العداوة ، قد وَرَاهم نَشيشُ الغيظِ والمرض الضَّناَء
إذا مولًى رهِبتُ اللهَ فيه وأرحاماً لها قَبْلى رِعاء
رأى ما قد فعلتُ به مَوالٍ فقد غمِرتْ صدورُهُم وداءوا
فكيفَ بهم ! فإن أحسنتُ قالوا أسأتَ ، وإن غفرتُ لهمْ أساءوا
فلا وأبيكَ لا يُلفَى لما بى ولا للِما بهمْ أبداً شِفاء)

وبقى من القصيدة اثنا عشر بيتاً وَصف إبلَه فيها .

قوله : المظالم والعَداء ، هو جمع مَظْلِمة بكسر اللام وهو ما أخذه الظالم ، وكذلك الظُّلامة والظليمة . والعَداء بالفتح : الظلم وتجاوز الحدّ ، وهو مصدر عدا عليه . وقوله : إذا ذَكرت ، ظرف لقوله بكت إبلى ؛ وفاعل ذكرتْ ضمير الإبل . وانثناء : انكفاف ؛ يقال ثناه : إذا كفّه . وقوله : ورجالَ صدق سَعَوا ، بالنصب معطوف على عَرافةَ ؛ وسعوا أى تعاطَوا أخْذَ الزكاة ؛ والساعى : من وَلى شيئاً على قوم ، وأكثر ما يقال ذلك فى وُلاة الصدَقة . والانزواء : التقبّض . وتفادى من كذا : إذا تحاماه وانزوى عنه . وقوله : عذرتُ الناس غيرك ، خطاب لرُقَيع ابن عمّه ؛ وخلوتَ بها بالخطاب أى سخرتَ بها ، يقال خلَوت به : إذا سخرتَ منه . وقوله : ملامتناك ، أى لومتنا إياك . وقوله : ألّما ، الهمزة استفهام توبيخى ؛ ولمّا بمعنى حين ، متعلِّقة بقوله ثنيتَ . وآبت : رجعت . وبرح : زال . ولاخيتَ ، بالخاء المعجمة : مالأت وساعدت . ٣٦٦ والظَّنون بالفتح : الرجل السيىء الظن ، وهو فاعل يقوم . وويبَ بمعنى ويل . وقوله : يَغنىٰ الحبيبُ ، أى يصير غنيًا ولا تراخى[١] المغانمُ والعطاء مودّتَه .

(١) ط : « ترخى » ، واثبت ما فى ش

والصَّحابة : الأصحاب . والحِذاء بالكسر : النعل ؛ واحتذى : انتعل ؛ أراد : كما صُنِع مثلُ الحِذاء مطابقاً له . وأنصفت الرجل إنصافاً : عاملته بالعدل ؛ والاسم النصفَة بالتحريك ؛ والنَّصْف بفتح فسكون(١) . والبَواء ، بفتح الموحدة والمد : السَّواء . وقوله لدَدْتُهم النصيحة ، اللّدود بالفتح : ما يُصَبُّ من الأدوِية فى أحد شقِ الفم ؛ ولددته لَدًّا : صببت فى فيه صبًا . ومجَّه : رماه . وثنوا : عطفوا ومالوا . وقوله : وقاءوا ، بالقاف من القىء ؛ وصحّفه العينيّ تحريفاً فاحشاً فقال : « قوله : وفاءوا ، خبر مبتدإ محذوف ، أى وهم فاءوا ؛ والجملة حالية » اه وهذا مما لا يُقضىٰ منه العجب . وقوله : وكنت لهم كداء البطن . . الخ ، داء البطن : الإسهال ؛ ويوُذِى من الأذِيَّة ، والواو مسهَّلة من همزة ، والجملة حال من الداء ؛ ووراء بمعنى خلْف وبعد ؛ وضمير صحيحه لداء البطن ؛ والمرض العَياء بالفتح هو المرض الذى تعيا عنه الأطبّاء ؛ والجملة الاسمية حال أيضا من البطن . يريد أن ما أضمروه من بغضى قاتِلُهم لا محالة ، لأنى كنت عندهم بمنزلة داء البطن المؤذى ، نشأ من أهونه ماعجَز عنه الأطبّاء كالزَّحير والسِلّ . وقوله : جوين من العداوة الخ ، هذا بيان لما قبله ؛ وجَوِينَ منصوب بفعل محذوف أى أراهم جوين ، وهو جمع جَوٍ : صفة مشبهة من الجوَىٰ كعَمٍ من العمىٰ ، جمع على طريقة جمع المذكر السالم ، والجوى : الُحرْقة وشدَّة الوجد مِنْ عِشْقٍ أو حزن ؛ ووراهم ، من ورَىٰ القيحُ جوفَه وَرْيا : إذا أكله ؛ ونشيش : فاعل وراهم ، والنشيش : صوت الماء ونحوه إذا غُلى على النار . والضَّناء بالفتح والمد : اسم مصدر ضنِيَ ضَنًي من باب تعب : مرض مرضاً ملازما حتَّي أشرف على الموت . كذا فى المصباح . وقوله : إذا مولًى رهبت

---

(١) وكذا بكسر فسكون ، وضم فسكون . وفى القاموس : « وبالكسر ويثلث : النصعة » .

الله فيه [الخ . المولى هنا ابن العم ، ورهبتُ الله فيه[١]] أى خفت الله فى جانبه . وقوله : قَبْلى ، بفتح القاف وسكون الموحدة . والرِّعاء : جمع راع من الرعاية ، وهى تفقّد الشىء وتحفّظه . وقوله : رأى ما قد فعلت به . . الخ ، ما : موصولة أو نكرة موصوفة مفعول أوّل لرأى ، والمفعول الثانى محذوف أى سوأ ونحوه ؛ ومَوالٍ : فاعل رأى ، وهو جمع مولى ؛ وغَمِرتْ : من الغِمْر بالكسر ، وهو الحقدُ والغلُّ ، يقال غَمِرَ صدرُه علىّ بالكسر ، يَغْمَرُ بالفتح ، غَمْرًا بسكون الميم وفتحها مع فتح الأوّل فيهما . وداءوا أى مرضوا ، وهو فعل ماض من الداء ، يقال داء الرجل يَداء داء إذا أصابه المرض . وقوله : فكيف بهم ، أى فكيف أصنع بهم .

وقوله : (فلا وأبيك . . الخ) ، جملة لا يلفىٰ جواب القسم ، أى لا يوجد شفاء لما بى من الكدر ولا لما بهم : من داء الحسد ؛ واللام الثانية مؤكّدة للأولىٰ . وروى صاحب منتهىٰ الطلب من أشعار العرب[٢] .

فلا واللهِ لا يلفىٰ لما بى وما بهم من البلوىٰ[٣] .. الخ

وعليه فلا شاهد فيه .

مسلم الوالبي

و (مسلم) شاعر إسلامى فى الدولة الأموية . وهو ابن مَعْبَد بن طوّاف (بتشديد الواو) ابن وَحْوَح (بحاءين مهملتين) ابن عُوَيمر (مصغّر عامر) الوالبيّ (نسبة إلى والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة بن مدرِكة)

* * *

(١) التكملة من ش

(٢) ط : « منتهى أشعار العرب » ش : « منتهى الارب من أشعار العرب » ، والوجه ما أثبت . وانظر مقدمة الخزانة

(٣) فى النسختين : « وشأنهم من البلوى » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

٣٦٧ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد المائة ، وهو من أبيات س[١] :

١٣٥ (وصالياتٍ كَكَما يُؤَثْفَيْنْ)

على أنه يمكن أن تكون (الكاف) الثانية مؤكِّدة للأولى ؛ قياساً على اللامين فى البيت الذى قبله ، فلا يكون فى البيت دليل على اسميّة الكاف الثانية .

وهو من قصيدة لخِطام المجاشعىّ[٢] . وهى من بحر السريع ؛ وربما حسب من لا يحسن العَروض أنّه من الرجَز كما توهّمه بعضهم ؛ لأن الرجز لا يكون فيه معولات فيردّ إلى فعولات . ومثله :

* قد عرَّضت أرْوىٰ بقولٍ إفنادْ[٣] *

وهو مستفعلن مستفعلن فعولات . وأوّلها :

(حَىِّ ديارَ الحىِّ بينَ السَّهبينْ[٤] وطَلْحةِ الدَّوم وقد تعفَّيْنْ)

(لم يَبْقَ مِنْ آيٍ بها يُحَلَّيْنْ[٥] غيرَ حُطامٍ ورَمادٍ كِنْفَيْنْ)

(وغيرَ نؤْيٍ وحِجاَجَىْ نؤيَيْن وغيرَ وَدٍّ جاذلٍ أو وَدَّين)

(وصالِيَاتٍ كَكَما يُؤَثْفَيْنْ)

---

(١) سيبويه ١ : ١٣ ، ٢/٢٠٣ : ٣٣١ . وانظر ما سيأتى فى ٢ : ٣٥٣ و ٤ : ٢٧٣ بولاق وشرح شواهد الشافية ٥٩ والعينى ٤ : ٩٥٢ وابن يعيش ٨ : ٤٢ ومجالس ثعلب ٤٨ وشرح شواهد المغنى ١٧٢ والخصائص ٢ : ٣٦٨

(٢) وفى شرح شواهد الشافية : « ونسبه الصقلى شارح أبيات الايضاح للفارسى ، والجوهرى فى الصحاح الى هميان بن قحافة » .

(٣) ط : « ابعاد » ، صوابه فى ش واللسان (فند ٣٣٥) وفسره بقوله : « انما أراد : بقول ذى افناد »

(٤) ط: «دار الحى» ، ولا يستقيم به الوزن ، وصوابه فى ش واضح

(٥) فى النسختين : « تحلين » ، والوجه ما أثبت من شرح شواهد الشافية .

ومنها :

(وَمَهْمَهَين قَذَفين مَرْتَين ظَهْراهُما مِثْلُ ظُهور التُرْسَيْنْ)

(جُبْتُهما بالنَعْت لا بالنَّعتَيْن على مُطارِ القَلْبِ سامى العَينَيْنْ)

فقوله : حيٍّ ، فعلُ أمرٍ من التحيّة . والحيُّ : القبيلة . والسَّهبان : موضع، وكذا طَلحة الدَّوم ؛ ولم يذكرها البكرى فى معجم ما استعجم[1] . والنون فى تعفّين : ضمير ديار الحىّ ، وتعفى بمعنى عفا اللازم ، يقال عفا المنزل يعفو عَفْواً وعُفُوّا وعَفاء بالفتح والمدّ : درس . ويتعدى أيضاً ؛ فإنه يقال عفَته الريح . والآى : جمع آية بمعنى العلامة . وضمير تحلّين لديار الحىّ ، والتحلية : الوصف ، يقال حلّيت الرجل تحلية : إذا وصفته . يقول : لم يبق من علامات حلولهم فى ديارهم تحلّيها وتصفها[2] غير ما ذكر . ومن زائدة . وآى : فاعل لم يبق . وغير منصوب على الاستثناء . وجملة يُحلّين[3] صفة لآى . وبها متعلّق به . والحُطام بضم المهملة : ما تكسَّر من الحطب ، والمراد به : دِقّ الشجر الذى قطعوه فظلّلوا به الخيام . ورَماد مضاف إلى كنفين ، أى رماد من جانبي الموضع ؛ ولو روى بالتنوين لم يكن خطأً . فكَنْف بفتح الكاف وسكون النون : الناحية والجانب ، وأصله بفتح النون ، وقيل هو هنا بكسر الكاف وسكون النون ، بمعنى وعاءٍ يَجعَل الراعى فيه أداتَه . والنُّؤىُ بضم النون وسكون الهمزة : حَفِيرة حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر ، ويؤخذ ترابها ويُجعل حاجزاً للبيت ؛ فجعلَ ذلك الحاجزَ كحِجاج العين ، وهو بكسر المهملة وفتحها وبعدها جيمان : العَظْم الذى ينبت عليه الحاجب . والجاذل ، بالجيم والذال المعجمة : المنتصب ، جَذَل جذُولا : انتصب وثَبت . والوَدّ : الوتِد .

(١) وكذا لم يذكرهما ياقوت .
(٢) ط : « ووصفها » ، صوابه فى ش وشرح شواهد الشافية
(٣) فى النسختين : « تحلين » ، صوابه من شرح شواهد الشافية

و (صاليات) : أراد بها الأثافىّ ، لأنها صَلِيت بالنار أى أُحرقت حتى اسودّت ، وهى معطوفة على حُطام ، أى وغير أثافىَّ صاليات ؛ وليست الواو واوَ رُبَّ ، خلافاً لابن يسعون ؛ بدليل أنه رُوى بدلها (وغيرُ سُفْعٍ) : جمع أسفَع ، أراد بها الأثافىّ أيضاً ، لأنها قد سفَعتْها أى سوّدتْها وغيّرتْ لونها . ورُوى أيضاً : (وماثلاتٍ) أى منتصبات . و (الأثافىّ) : جمع أُثفِيّة وهى الأحجار التى ينصب عليها القِدْر . و « ما » فى قوله : (ككما) قال الفارسىُّ فى التذكرة القَصْريّة ، « يجوز أن تكون مصدريّة ، كأنه قال : مثل الإثْفاء ، ويجوز أن تكون موصولة بمنزلة الذى كقوله :

* فإنّ الذى حانت بفَلْج دماؤُهم[1] * » اهـ

والكاف الأولى جارّة والثانية مؤكِّدة لها ، كما قال الشارح . وهذا مأخوذ من الكشّاف ، قال فى تفسير قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[2]) : لك أن تزعم أن كلمة التشبيه كرِّرت للتأكيد كما كرّرها مَن قال :

* وصالياتٍ ككما يُؤْثفَيْنْ *

وإذا كان من باب التوكيد جاز أن يكون الكافان اسمَيْن أو حرفَيْن فلا يكون دليل على اسميّة الثانية فقط .

وقال ابن السيد فى شرح أدب الكاتب[3] : « أجرى الكاف الجارّة مُجرىٰ مِثل ، فأدخل عليها كافاً ثانية ؛ فكأنه قال : كمثل ما يؤثفين . وما ، مع الفعل ، بتقدير المصدر كأنه قال : كمثل إثفائها أى إنها على حالها حين أُثفيتْ . والكافان لا يتعلقان بشىء ، فإنَّ الأولى زائدة والثانيةَ قد

٣٦٨

(١) أى الذين . والبيت لأشهب بن رميلة سيأتى فى ٢ : ٥٠٧ بولاق وعجزه :

* هم القوم كل القوم يا أم خالد *

(٢) الآية ١١ من سورة الشورى

(٣) الاقتصاب ٤٣٠

أجريت مجرى الأسماء لدخول الجارّ عليها ؛ ولو سقطت الأولى وجب أن تكون الثانية متعلّقة بمحذوف صفة لمصدر مقدَّر محمول على معنى الصاليات، لأنها نابت مناب مُثْفيات ؛ فكأنه قال : ومثفيات إثفاء مثلَ إثفائها حين نُصِبَتْ للقِدْرِ . ولا بدَّ من هذا التقدير ليصحّ اللفظ والمعنى . وأما قوله : يؤثفين ، فقد اختلف النحويون فى وزنه : فقال قوم : وزنه يُؤفْعَلن ، والهمزة زائدة فكان يجب أن يقول يُثْفين ، لكنّه جاء على الأصل ضرورة كما قال الآخر :

* فإنه أهلٌ لأن يُؤكْرَما[١] *

وعلى هذا فأثفيّة أُفعُولة . فأصلها أُثفُوِيَة ؛ قلبت الواو ياء وأُدغمت وكسرت الفاء لتبقى الياء على حالها ، واستدلّوا على زيادة الهمزة بقول العرب: ثَفَيْتُ القِدْرَ إذا جعلتَها على الأثافيّ . .وقال قوم : وزنه يُفَعْلَين ، فالهمزة أصل، ووزن أُثفيّة على هذا فُعْلِيّة ، واستدلّوا بقول النابغة :

لا تقذِفَنّي بِرُكن لا كِفاء له وإنْ تأثَّفكَ الأعداء بالرِّفَدِ

فقوله تأثَّفك وزنه تفَعَّلك ، لا يصح فيه غيره ؛ ولو كان من ثفَّيت القدر لقال تَثَفّاك[٢] . ومعناه صار أعدائى حولك كالأثافيّ تظافراً[٣] .

قال ابن جنّي فى شرح تصريف المازنى : « ويُفَعْلَين أولىٰ من يُؤفعَلن ، لأنه لا ضروة فيه » .

وقوله : ومهمهين قَذَفَين . . الخ هذا البيت من شواهد النُّحاة ، أنشده الزّجاج[٤] فى باب ماجاء من المثنى بلفظ الجمع » . وسيأتى إن شاء الله تعالى

(١) لأبى حيان الفقسى ، العينى ٤ : ٥٧٨ ، ٩٥٣ وشرح شواهد الشافية ٥٨

(٢) الى هنا ينتهى نقل البغدادى عن الاقتضاب ٤٣٠

(٣) التظافر : التضافر .

(٤) ش : « الزجاجى » .

فى الشاهد الثالث والسبعين بعد الخمسمائة فى باب المثنّي. والمهمه: القفر المَخُوف، قال ابن السيد فى شرح شواهد الجمل: واشتقاقه من قولك مَهْمَهْتُ بالرجل: إذا زجرتَه فقلتَ له: مَهْ مَهْ. أراد: أنّ سالكه يُخفى صوته وحركته من خوفه، فإن رفعَ صاحبُه صوتَه قال له: مَهْ مَهْ. ونظير هذا ما ذكره اللغويّون فى قول أبى ذؤيب(١):

* على أطرِقاَ باليات الخيامِ *

فإنهم ذكروا: أن أطرِقاَ موضع، وأنّه سمّى بذلك لأن ثلاثة أنفُس مرّوا به، فتكلّم أحدهم مع صاحبه، فقال لهما الثالث. أطرِقا.

والقذَف، بفتح القاف والذال المعجمة: البعيد من الأرض. والمَرْت، بفتح الميم وسكون المهملة: الأرض التى لا ماء بها ولا نبات. والظّهر: ما ارتفع من الأرض، شبّهه بظهر تُرْس: فى ارتفاعه وتعرّيه من النبت، كما قال الأعشى:

وفلاةٍ كأنّها ظَهرُ تُرْسٍ ليسَ إلاّ الرجيعَ فيها علاقُ

٣٦٩

وقوله: جبتهما بالنعت.. الخ، أى نُعِتا لى مرّة واحدة فلم أحتج إلى أن ينعتا لى مرّةً ثانية، وصفَ نفسَه بالحِذق والمهارة: وهذا يشبه ما أنشده الفارسىّ فى التذكرة:

ومهمهٍ أعورِ إحدى العَينينْ بصيرِ الآخرى وأصمِّ الأُذْنينْ
قطعتُه بالسَّمْت لا بالسمْتينْ

قوله: أعور الخ، قال أبو على: كانت فى هذا الموضع بئران فعورتْ

(١) ط: «أبى ذئب» صوابه فى ش. والبيت بتمامه فى الهذليين ١: ٦٤

على أطرقا باليات الخيا * م الا الثمام والا العصى

إحداها وبقيت الأخرى ، فلذلك قال : أعورِ إحدى العينين . وقوله : وأصمّ الأُذنين ، يعنى . أنه ليس به جبَلٌ فيسمعَ صوت الصدى منه . وقوله : بالسَّمت . .الخ ، أى قيل لى مرّة واحدة فا كتفيت . وواو « ومهمهين » واو رُبّ وجوابها جُبتُهما .

خطام المجاشعى

(خِطام المجاشِعى) بكسر الخاء المعجمة ، ومعناه الزمام . قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : هو خِطامُ الرِّيح المجاشعىّ الراجز ، وهو خِطام بن نصر ابن عياض بن يربوع ، من بنى الأبيض بن مُجاشِع بن دارِم . وهو القائل :

* وماثلاتٍ ككما يُؤثفَينْ * اه

وذكر الصاغانى فى العباب : أن اسمه بِشْر (بكسر الموحَّدة وسكون الشين المعجمة) .

وقال الآمدى : ومنهم من يقال له : « خِطام الكلب » واسمه بُجير (بضم الموحَّدة وفتح الجيم) ابن رِزام[1] ، ذكره ابن الأعرابى ولم ينسبْه ، وأنشد له :

والله ما أشبَهَنى عِصامُ   لا خُلُقٌ منهُ ولا قَوامُ
نمتُ وعرقُ الخال لا ينامُ[2]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه[3] :

(١) ط : « دارم » ، صوابه فى ش والمؤتلف ١١٢
(٢) السمط ٧٩٥ والكامل ٧٩ وطراز المجالس ١٤٨
(٣) سيبويه ١ : ٩٢ . وانظر العينى ٤ : ٤٥١ وابن يعيش ٣ : ٢١ والخصائص ٢ : ٤٠٧ وشرح شواهد المغنى ٢٧٠

١٣٦ (بينَ ذِراعىْ وَجبْهَةِ الأسَدِ)

هذا عجزٌ وصدره :

(يا مَنْ رأى عارِضاً أُسَرُّ بهِ)

على أنّ المضاف إليه محذوف ، بقرينة المضاف إليه الثانى ، أى بين ذراعَىْ الأسد وجبهتِه .

تقدَّم الكلام على مثل هذا فى الشاهد الثالث والعشرين[١] ومَن : منادى وقيل : محذوف المنادى ، أى يا قوم ، ومَن استفهامية . والرؤية بصرية . والعارض . السَحاب الذى يعترض الأفق . وجملة . أُسَرُّ به ، صفةٌ لعارض . والذِراعان والجبهة : من منازل القمر الثمانية والعشرين ، فالذراعان أربعة كواكب ، كل كوكبين منها ذراع .

قال أبو إسحاق الزجّاج فى (كتاب الأنواء) . ذراع الأسد المقبوضة[٢] ، وهما كوكبان نيِّران بينهما كواكبُ صغار يقال لها « الأظفار » كأنها فى مواضع مخالب الأسد ، فلذلك قيل لها الأظفار . وإنّما قيل لها الذراع المقبوضة لأنها ليست على سَمْت الذراع الأخرى ، وهى مقبوضة عنها ، ونوءها يكون لليلتين تمضيان من كانونَ الثانى ، يَسقط الذراع فى المغرِب غُدوة وتطلُع البلْدة والنَّسر الطائر فى المشرِق غُدوة . وفيه يجمد الماء ويشتد البرد . والجبهة : أربعة كواكب فيها عِوَج ، أحدها برّاق وهو اليمانى منها ، وإنّما سمِّيت الجبهةَ لأنها كجبهة الأسد . ونوءها يكون لعشرٍ تمضى من شُبَاط ، تسقط الجبْهة فى المغرب غدوة ، ويطلع سَعْدُ السعُود من المشرق غُدوة . وفيه تقع الجمرة الثالثة ويتحرَّك أوَّل

٣٧٠

(١) الجزء الأول ص ١٧٢ وما بعدها .

(٢) فى الأزمنة ١ : ١٨٩ ، ٣١٧ أنهما ذراعان : مقبوضة ومبسوطة

العُشب ، ويصوِّت الطير ويُورق الشجر ، ويكون مطرٌ جَوْد . ويسمى نوءَ الأسَد ، لأنه يتصلَّ بها كواكب فى جبهة الأسد . . وخَصَّ هاتين المنزلتين لأنَّ السحاب الذى ينشأ بنَوءٍ من منازل الأسد يكون مطره غزيراً ، فلذلك يُسرُّ به. والنوء : غيبوبة الكوكب فى المغرب غُدوة وطلوع رقيبه فى المشرق غدوة ، وسمِّى النوء لأنه ناءَ أى نهض للغيوب . قال الزّجّاج : والذى أختار مذهبُ الخليل : وهو أن النوء اسم المطر الذى يكون مع سقوط النجم ، فاسم مطر الكوكب الساقط النوء اهـ .

وكانت العرب تزعم أنه يحدث عند نوءِ كلِّ منزلٍ مطرٌ أو ريح ، أو حَرّ أو برد ، وهذا الذى روى فى الحديث . أن النبي ﷺ قال . « ثلاثٌ مِنْ أمر الجاهليَّة : الطعن فى الأنساب ، والنِّياحة ، والاستسقاء بالأنواء » ، وهو أن تضيف المطرَ إلى الكوكب الذى ينوء .

قال الأعلم : « وصف عارضَ سحابٍ اعترض بين نَوء الذراع ونوء الجبهة ؛ وهما من أنواء الأسد ؛ وأنواؤه أحمَدُ الأنواء . وذكر الذراعين ، والنوء إنما هو للذراع المقبوضة منهما[1] لاشتراكهما فى أعضاء الأسد[2] . ونظير هذا قوله تعالى (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللؤْلُؤُ والمَرْجان) يريد من البحرين المِلح والعذب ، وإنّما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح ، لا منهما .

وهذا البيت للفرزدق . وتقدمت ترجمته فى الشاهد الثلاثين[3] .

* * *

---

(١) ما هنا يصحح ما فى الشنتمرى ١ : ٩٢

(٢) ط : « أعصاب الأسد » صوابه فى ش والشنتمرى

(٣) الخزانة ١ : ص ٢١٧

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد س[(١)] .

١٣٧ (كِلِيني لِهَمٍّ يا أُمَيمةَ ناصِبِ)

هذا صدر ، وعجزه قد أنشده فى باب النعت[(٢)] .

(وليلٍ أُقاسيهِ بَطِىءِ الكواكبِ)

على أن (أُميمةَ) جاء بفتح التاء ، والقياسُ ضمُّها .

واختلفوا فى التوجيه . فقال الجمهور . إنّه مرخّم ، والأصل يا أُميم ؛ ثم أدخلت الهاء غيرَ معتدٍّ بها ، وفتحت لأنها وقعت موقع ما يستحقّ الفتح وهو ما قبل هاء التأنيث .

ولأبى علىّ الفارسىّ فيه قولان : أحدهما أن الهاء زائدة ، وفتحت إتباعاً لحركة الميم . والثانى أنها أدخلت بين الميم وفتحتها ، فالفتحة التى فى أولها هى فتحة الميم ثم فتحت الميم إتباعاً لحركة الهاء . . وقيل : جاء هذا على أصل المنادى ولم ينوَّن لأنه غير منصرف . وقيل : هو مبنيٌّ على الفتح ؛ لأن منهم من يبنى المنادى المفرد على الفتح ، لأنها حركة تشابه حركة إعرابه ، فهو نظير : لا رجلَ فى الدار .

وقوله (كلينى) أمرٌ من وَكَلْت الأمر إليه وَكْلا من باب وعد ، ووُكولا : إذا فوّضته إليه واكتفيت به . و (أميمة) تصغير ترخيم أمامة ، وهى بنته . و (ناصب) بمعنى مُنصب : من النصَب وهو التعب ، فجاء به

---

(١) سيبويه ١ : ٣١٥ ، ٢/٣٤٦ : ٩٠ والعينى ٤ : ٣٠٣ وابن يعيش ٢ : ١٢ : ١٠٧ وابن الشجرى ٢ : ٨٣ والهمع ١ : ١٨٥

(٢) الخزانة ٢ : ٣١٦ بولاق .

على طرح الزائد وحمله سيبويه على النسيب ، أى ذى نصب ، كما يقال طريق خائف أى ذو خوف . و (أقاسيه) : أكابده . يقول : دعينى لهذا الهمِّ المتعِب ومقاساةِ الليل البطيء الكواكب بالسهر ، ولا تزيدينى لوماً وعذلاً ، وجعلَ بُطء الكواكب دليلاً على طول الليل كأنها لا تغرُب فينقضىَ الليل .
وما أحسنَ قولَ بعضِهم[1] :

لا أظلِمُ الليلَ ولا أدّعى أنّ نجوم الليل ليستْ تَغُورْ
ليلى كما شاءت فإن لم تجِيء طال وإن جاءتْ فليلى قصير

٣٧١

وهذا البيت مطلعُ قصيدةٍ للنابغة الذبيانىّ ، مدح بها عمرو بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبى شَمِر (بفتح وكسر ؛ ويقال شِمْر بكسر فسكون) حين هرب إلى الشام لمّا بلغه سعْى مُرّة بن ربيعة بن قُرَيع به إلى النعمان بن المنذر ، وخافه . وهذا عن أبى عبيدة . وقال غيره : هو ابن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبى شمر . وبعده :

أبيات الشاهد

(تطاوَلَ حتّى قلتُ ليسَ بمنقَضٍ وليس الذى يَرعى النجومَ بآيب
وصدرٍ أراحَ الليلُ عازبَ همِّه تضاعفَ فيه الحزنُ من كلِّ جانب

---

(١) هو ابن بسام ، كما فى نهاية الأرب ١ : ١٣٥ وحماسة ابن الشجرى ٢١٤ ونثار الأزهار لابن منظور ٢٣ وزهر الآداب ٧٤٩ وديوان المعانى ١ : ٣٤٨ والمختار من شعر بشار ٢٠ . وذكروا أنه أخذه من على ابن الخليل حيث يقول :

لا أظلم الليل ولا أدعى ان نجوم الليل ليست تزول
ليلى اذا شاءت قصير اذا جادت فان ضنت فليلى طويل

أو : ليلى كما شاءت قصير اذا جادت وان زارت فليلى قصير

وفى السمط ٣١٠ وشرح الشريشى للمقامات ٢ : ١٥٣ نسب بيتا الخزانة الى بشار .

عليَّ لعمرٍو نعمةٌ ، بعد نِعمةٍ لوالده ليستْ بذات عَقارب)

ومنها :

(ولا عيبَ فيهم غير أنّ سيوفهمْ بهنّ فُلولٌ من قِراع الكتائب)

وسيأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى (المستثني) .

قوله : وصدر ، معطوف على قوله « لهم » فى أوّل البيت . وأراح ، بمهملتين : متعدٍّى راحت الإبل بالعشيّ على أهلها : أى رجعت من المرعى إليهم . والعازب ، بالعين المهملة والزاى المعجمة : الغائب ، من عزَب الشىء عُزوبا من باب قعد : بعُد ، وعزَب من بابى قتل وضرب : غاب وخفى . وقوله : لوالده ، أى لوالد عمرو ، صفة لنعمة ، أى بعد نعمة كائنة لوالده وقوله : ليست . . الخ ، الجملة صفة إما لنعمةٌ المرفوعة أو لنعمةٍ المجرورة ، أى نعمة غير مَشُوبة بنقمة كنعمة النعمان بن المنذر . (وعمرو) هذا هو الغسّانى من ملوك الشام .

قال ابن رَشيق فى العمدة[1] : « أوّل من ولى الشامَ من غسّان الحارث ابن عمرو محرِّق[2] . سمِّى بذلك لأنه أوّل من حرَّق العربَ فى ديارها ، وهو الحارث الأكبر ، يكنى أبا شمر . . ثم ابنه الحارث بن أبى شَمِر ، وهو الحارث الأعرج ، وأمُّه مارية ذات القُرطين ، وهى مارية بنت ظالم بن وهب ابن الحارث بن معاوية الكندىّ ، وأختها هند الهنود امرأة حُجر آكل المرار الكنْدى . وإلى الحارث الأعرج زحف المنذِر الأكبر فانهزم جيشه

(١) العمدة ٢ : ١٧٨

(٢) فى النسختين : « عمرو ومحرق » ، صوابه فى العمدة . وجعلها الشنقيطى بقلمه : « بن عمرو وهو محرق »

وقُتل هو . . ثم الحارث الأصغر بن[1] الحارث الأعرج بن الحارث . . ومن ولد الأعرج عَمرُو بن الحارث ، وكان يقال له أبو شمر الأصغر . وله يقول نابغة بني ذبيان :

عليَّ لعمرٍ نعمةٌ ، بعد نعمةٍ لوالده ليست بِذات عقارِب

(والنُعمان بن الحارث) هو أخو الحارث الأصغر . وله يقول النابغة :

هذا غلامٌ حَسَنٌ وجهُه مستقبلُ الخير سريعُ التمام[2]

وللنُّعمان ثلاثة بنين : عمرو ، وحجر ، والنعمان .

ومن ولد الأعرج أيضاً : المنذر ، والأيهَم أبو جَبَلة . وجبَلَةُ آخر ملوك غسّان ، وكان طوله اثنيْ عشر شِبرا وهو الذى تنصَّر فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه[3] » .

« وكان أصل هؤلاء من اليمن ؛ وكانوا من غسّان ، وقيل من قضاعة . وأوّل ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك . ثم من بعده ابنه مالك . ثم من بعد مالك ابنه عمرو . . إلى خروج مزَيقِيا — وهو عمرو بن عامر — من اليمن فى قومه من الأزد ؛ وسُمّى مُزيقِيا لأنه كان يمزِّق كل يومٍ حُلَّة ، لا يعود إلى لُبسها ، ثم يهبُها . وسُمّى عامرٌ ماءَ السماء لأنه كان يُحيي[4] فى المحْل فينوب عن الغيث بالعطاء . ومزيقيا : ابن حارثة الغِطريف بن ثعلبة البُهلول بن امرئ ٣٧٢

---

(١) فى النسختين : « ثم الحارث الأعرج » ، صوابه فى العمدة .

(٢) انظر ما مضى فى الشاهد ١٠٤ وكذا جمهرة القرشى ٢٦ والأغانى ٩ : ١٦١

(٣) المنقول التالى متقدم فى الترتيب عند ابن رشيق على هذا المنقول

(٤) ط : « يجتنبى » . وأثبت ما فى ش . وفى العمدة : « يجىء » وفى بلوغ الأرب ٢ : ١٧٣ : يحتبى » .

القيس البِطْريق بن مازن قاتل الجوع ابن الأزد[١] . لما خرج مزيقيا من اليمن كان معه رجل اسمه جِذْع بن سِنان فنزلوا بلادعَكّ ، فقتل جِذعُ ملكَ بلادِ عَكّ ، وافترقت الأزد ، والملكُ فيهم حينئذ ثعلبة بن عمرو بن عامر ، فانصرف عامله فحارب جُرهُم فأجلاهم عن مكّة واستولوا عليها زماناً ثم أحدثوا الأحداث . وجاء قصيّ بن كِلاب ، فجمّع معدّا — وبذلك سمى مجمِّعاً — واستعان ملكَ الروم فأعانه ، وحارب الأزدَ فغلبهم واستولى على مكة . فلما رأت الأزدُ ضيقَ العَيش بمكّة ارتحلت ، وانخزعتْ خُزاعة لوِلاية البيت — وبذلك سُمِّيت — فصار بعض الأزْد إلى السواد فملّكوا عليهم مالكَ بنَ فَهْم أبا جَذِيمة الأبرش ، وصار قوم إلى يثرب — فهُمُ الأَوس والخزرَج — وصار قوم إلى عُمان ، وصار قوم إلى الشام ، وفيهم جذع بن سنان ، وأتاه عامل الملك فى خَرْج وجب عليه ، فدفع إليه سيفَه رهنا ، فقال له الرومىّ : أدخِلْه فى حِرِ أمِّك ! فغضب جِذْع وقنَّعه به فقيل : «خذ من جذع ما أعطاك ، وصارت مثلا . ثم استولوا على الشام » كما تقدم ذكره . والله أعلم .

(تتمة)

روى المرزُبانى فى الموشّح[٢] عن الصُّولىّ بسنده : أن الوليد بن عبد الملك تشاجر مع أخيه مَسْلَمة فى شعر امرئ القيس والنابغة الذبيانى فى وصف طول الليل أيّهما أجود ، فرضيا بالشَّعبيّ فأُحضِر ، فأنشده الوليد :

كِلينى لهمٍّ يا أميمةَ ناصبِ . . الأبيات الثلاثة

وأنشده مَسْلَمة قولَ امرئ القيس :

---

(١) كذا . وانظر العمدة وبلوغ الأرب .

(٢) الموشح ٣١

وليلٍ كَموجِ البحر ، أرْخَى سُدُولَه   علىّ بأنواع الهموم ، ليَبْتَلِي

السُّدول : الستور . ويبتلى : [ينظر[1]] ما عندى من صبر أو جزع

فقلتُ له ، لمّا تمطّى بِصُلبِه   وأردفَ أعجازاً وناء بكَلْكَلِ

تمطّى : امتد . وصُلبُه : وسطه . وأردف : أتبع . وأعجازه : مآخيره . وناء : نهض . والكلكل : الصدر .

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ، ألا انْجَلي   بصُبْحٍ ، وما الإصباحُ منكَ بأمثَلِ

أى : ما الإصباح بخير لى منك . [والياء فى انجلى أثبتها فى الجزم على لغة طيّء[1]] .

فيالكَ من ليلٍ كأنّ نجومَه ،   بكلّ مُغارِ الفَتْل ، شُدّت بيَذْبُلِ

المغار : الحبْل المحكَم الفتل . ويَذْبُل : جبل .

كأنّ الثُرَيّا عُلّقَت فى مَصَامِها   بأمراسِ كَتّانٍ إلى صُمّ جَنْدَلِ

فى مصامِها : فى مقامها . والأمراس : الحبال . والجندل : الحجارة . والصمّ : الصلاب .

قال : فضرب الوليدُ برجله طربا ! فقال الشّعبيّ : بانت القضيّة !

قال الصُّوليّ : فأما قول النابغة :

* وصدرٍ أراحَ الليلُ عازبَ همّه *

فإنّه جعَلَ صدَره مألفاً للهموم ، وجعلها كالنَّعَم العازبة بالنّهار عنه ، الرائحةِ مع الليل إليه ، كما تُريح الرُّعاةُ السائمةَ بالليل إلى مكانها[2] . وهو أوّل مَنْ وصف أن الهموم متزايدة بالليل ، وتبعه الناس ، فقال المجنون :

---

(١) التكملة من الموشح .
(٢) الموشح : « الى أماكنها » .

يَضُمُّ إلىَّ الليلُ أطفالَ حبِّها[١] كما ضمَّ أزرارَ القَميصِ البَنائقُ

وهذا من المقلوب ، أراد : كما ضمَّ أزرارُ القميص البنائقَ — ومثلُ هذا كثير — فجعل المجنون ما يأتيه فى ليلِه ، ممّا عَزَبَ عنه فى نهاره ، كالأطفال الناشئة . وقال ابن الدُّمَيْنة :

٣٧٣

أظلُّ نهارى فيكم مُتعلّلا ويَجمعنى والهمَّ بالليل جامعُ[٢]

(ويُروى صدره : أقضّى نهارى بالحديث وبالمنى[٣])

فالشعراء على هذا متّفقون ، ولم يشذَّ عنه منهم إلا أحذقُهم بالشعر وهو امرؤ القيس : فإنّه بِحذقه وحُسن طبْعه وجودة قريحته ، كرِه أن يقول : إنّ الهمَّ فى حُبِّه يخفّ عنه فى نهاره ، ويزيد فى ليله ؛ فجعل الليلَ والنهار سواءً عليه فى قلقه وهمّه وجزعِه وغمه ؛ فقال :

ألا أيها الليل الطويل . . البيت

وقد أحسن فى هذا المعنى الذى ذهب إليه ، وإن كانت العادة غيرَه ، والصورةُ لا توجبه . وقد صبَّ الله على امرئ القيس بعده شاعراً أراهُ استحالةَ معناه فى المعقول ، وأن الصورةَ تدفعه ، والقياسَ لا يوجبه والعادةَ غيرُ جارية به ؛ حتى لو كان الرادّ عليه من حُذّاق المتكلمين ، ما بلغ فى كثير نثرِه ، ما أتى به فى قليل نظمه ؛ وهو الطِّرِمّاح بن حكيم الطائى : فإنه ابتدأ قصيدةً فقال :

ألا أيُّها الليل الطويل ، ألا اصبحِ ببَمّ ، وما الإصباح فيكَ بأروَحِ[٤]

فأتى بلفظ امرئ القيس ومعناه ، ثم عطف محتجًّا مستدرِكاً فقال :

---

(١) فى الموشح : « أطفال حبكم »
(٢) ط : « بالهم والليل جامع » . وانظر ديوانه ٨٨ .
(٣) هذا الكلام للبغدادى ، وما بعده للمرزبانى
(٤) بم : أرض من كرمان . وفى النسختين : « بيم » صوابه فى الديوان ٦٨ ومعجم البلدان والأغانى ١٠ : ١٤٨ واللآلىء ٢٢٠ وديوان المعانى ١ : ٢٤٦ وفى زهر الآداب ٧٤٨ : « بيوم » تحريف .

بَلَى ، إنّ للعينين فى الصُّبْح راحةً لطرحهما طرْفَيهما كلَّ مَطْرَح

فأحسنَ فى قوله وأجمل ، وأتى بحقّ لا يُدْفع ، وبيّن عن الفَرْق بين ليله ونهاره . وإنّما أجمع الشعراء على ذلك ، مِن تضاعُف بلائهم بالليل وشدّة كلَفهم ، لقلّة المساعِد وفَقْدِ الحبيب ، وتقييدِ اللّحْظِ عن أقصىٰ مرامى النظر [١] ، الذى لا بدّ أن يؤدِّىَ إلى القلب بتأمّله شيئاً يخفِّف عنه [٢] ، أو يغلب عليه فينسى ما سواه . وأبيات امرئ القيس فى وصف الليل ، اشتمل الإحسان عليها ، ولاح الحذقُ فيها ، وبانَ الطبع بها ؛ فما فيها مَعابٌ إلاّ من جهة واحدة عند الحذّاق بنقد الشعر ، وهو قوله : (فقلت له لما تمطّى . . البيت) لم يَشرح (فقلت له) إلا فى بيت بعده . وهذا عَيب ؛ لأن خير الشعر مالم يحتَجْ بيتٌ منه إلى بيت آخر . وقد تبع الناس امرأ القيس وصدّقوا قوله ، وجعلوا نهارهم كليلهم ، فقال البحترى فى غضب الفَتْح عليه :

وألبستَني سُخطَ امرئ بتُّ مَوهِنا أرىٰ سُخْطَه ليلاً مَعَ الليل مظلِما

وكأنّه من قول أبى عُيينة فى التذكُّر لوطنه :

طال من ذِكرِه بجُرْجان لَيلِى ، ونهارى علىَّ كالليل داجى »

وترجمة النابغة الذبيانى قد تقدمت فى الشاهد الرابع بعد المائة [٣] .

الترخيم

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد س [٤] :

---

(١) فى النسختين : « مرام النظر » ، صوابه من الموشح ٣٣ .
(٢) فى النسختين : « يخف عنه » ، ووجهه من الموشح .
(٣) أنظر ص ١٣٥ من هذا الجزء .
(٤) سيبويه ١ : ٣٤٣ والعينى ٤ : ٢٩٠ وابن يعيش ٢ : ٢٠ وابن الشجرى ١ : ١٢٦/٢ : ٨٨ والانصاف ٤٣٧ وديوان زهير ٢١٤

١٣٨ (خُذُوا حَظَّكمْ يا آلَ عِكْرِمَ واذكرُوا أواصِرَنا، والرَّحْمُ بالغَيبِ تُذْكَرُ)

على أن الكوفيين أجازوا ترخيم المضاف، ويقع الحذف فى آخر الاسم الثانى، كما فى البيت وفى أبيات، أخر كثيرة؛ والأصل: يا آل عكرمة. وقالوا: المضاف والمضاف إليه بمنزلة الشىء الواحد، فجاز ترخيمه كالمفرد. ومنع البَصريّون هذا الترخيمَ وقالوا: لا حجة فى هذا البيت وأمثاله، لأنه محمول على الضرورة.

٣٧٤

والترخيم ضرورةً جائز فى غير النداء أيضا كقوله:

أودى ابن جُلهُم عبّاد بصِرْمته إنّ ابنَ جُلْهُم أمسى حيّة الوادى[1]

أراد جُلهُمة.

وهذا البيت من أبيات تسعة لزهير بن أبى سُلمى. قالها لبنى سُلَيم، وبلغه أنهم يريدون الإغارة على غَطفَان. وهى هذه:

قصيدة الشاهد

(رأيتُ بنى آلِ امرئ القيس أصْفَقوا علينا، وقالوا: إنّنا نحنُ أكثرُ
سُلَيمُ بنُ منصور، وأفناء عامر، وسعدُ بن بكر، والنُّصور، وأعصُرُ)

بنو آل امرئ القيس: هوازن وسُلَيم بالتصغير. وقوله: أصفقوا علينا، أى اجتمعوا، يقال أصفق القومُ على كذا: إذا اجتمعوا عليه. وقوله: سُلَيم ابن منصور، أى منهم سليم. وأفناء عامر: قبائلها. وسعد بن بكر، من هوازن، وهم الذين كان النبي ﷺ مسترضَعاً فيهم. والنُّصور: بنو نصر، وهم من هوازن أيضا، سمِّى كل واحد منهم باسم أبيه ثم جُمع. وأعصُر أبو غَنيّ وباهلة. وكل هؤلاء من ولد عكْرِمة بن خَصَفة بن قيس عَيلان ابن مضر.

(١) أنظر الشاهد ١٤١ فيما سيأتى. ط: «بصدمته» تحريف

(خذوا حظَّكم يا آل عكرِمَ واذكروا أواصرَنا والرَّحْم بالغيب تُذكر
خُذوا حظَّكم من وُدِّنا، إنّ قُرْبنا إذا ضرَّستنا الحرب نارٌ تسعَّرُ)

(الحظّ) النصيب. يقول: صونوا حظّكم من صلة القرابة، ولاتُفسدوا ما بيننا وبينكم، فإنَّ ذلك مما يعود مكروههُ عليكم. و(آل عكرِمة) هم بنو عكرمة بن خَصفَة بن قيس بن عيلان بن مضر، ورخَّم عكرمة ضرورة. و(الأواصر): جمع آصرة، وهى ما عطفك على رجلٍ. من رحمٍ أو قَرابة أو صهرأو معروف. والرِّحم: موضع تكوين الولد — وتخفَّف بسكون الحاء مع فتح الراء، ومع كسرها أيضا فى لغة بنى كلاب — ثم سمِّيت القرابة والوُصلة من جهة الوَلاء رحما، فالرحم خلاف الأجنبيّ، وهو مؤنث فى المعنيَين. والرحم التى بين قوم زهير وبينهم: أن مُزينة من ولد أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر، وهؤلاء من ولد قيس بن عيلان بن مضر.

وقوله: إذا ضرَّسْتنا الحرب، أى عضّتنا بأضراسها، وهذا مثلٌ للشدة. يقول: إذا اشتدّت الحربُ فالقربُ منا مكروه، وجانِبنا شديد. وضربَ النار مثلا لذلك. ومعني تسعَّرُ — وأصله تتسعر — تتقّد

(وإنَّا وإياكم إلى ما نسومُكمْ لَمِثلانِ، أو أنتم إلى الصُّلح أفقرُ)

يقول: نحن وأنتم مثلان فى الاحتياج إلى الصلح وترك الغزو، بل أنتم إلى ذلك أحوج وأشدُّ افتقاراً إليه. ومعني نسومكم: نعرض عليكم وندعوكم، يقال سمته الخسفَ، أى طلبت منه غير الحقّ وحملتهُ على الذلّ والهوان.

(إذا ما سمعنا صارخاً مَعجتْ بنا إلى صوته وُرْقُ المَراكِل ضُمَّرُ)

الصارخ هنا المستغيث. ومعّجت بنا، أى مرت مرَّا سريعاً فى سهولة. وقوله: ورق المراكل ضمَّر، هو جمع أورق وهو الأسود فى غبرة، والمركل

كجعفر : موضعُ عقِب الفارس من جنب الفرس . أى قد تحاتّ الشعَرُ وتساقط عن مَرَاكلها فاسودّ موضعه ، لكثرة الركوب فى الحرب.

(وإن شُلَّ رَيعانُ الجميع مَخافةً   تقول جهاراً: ويلكم لا تُنفِّروا[1]!
على رِسْلِكم، إنا سنُعدِى وراءكم   فتَمنعكم أرماحُنا أو سنُعذِرُ
وإلاَّ ، فانّا بالشَّرَبَّة فاللوى   نُعقِّرُ أُمّات الرِباعِ ونَيْسِرُ)

يقول : إن أحسّ القوم بالعدوّ فطردوا أوائل إبلهم وصرفوها عن المرعى ، أمرناهم بأن لا يفعلوا ، وقلنا لهم مجاهرة : ويلكم ! لا تنفّروا ولا تطردوها ، فنحن نمنعها من العدوّ ونقاتل دونها .

وشلّ بالبناء للمفعول : طُرِد[2] . ورَيْعان كل شىء : أوّله . وقوله : على رِسلكم ، بالكسر ، أى على مهلكم ورفقكم ؛ والمعنى : أمهلوا قليلا . وقوله : سنعدِى وراءكم ، أى سنعدى الخيلَ وراءكم ؛ يقال عدا الفرسُ وأعداه فارسه . وقوله : سنُعذِر ، أى سنأتى بالعذر فى الذبّ عنكم ؛ يقال أعذر الرجل فى الأمر : إذا اجتهد وبلغ العذر . وقوله : وإلاّ فإنا . . الخ ، يقول : وإن لم يكن قتال فانّا بالشَّرَبَّة ، أى بمنازلها التى تعلمون ، نحن فيها آمنون ، نضرب بقِداح الميسر وننحر النُّوق الكريمة .

والرِّباع : جمع رُبَع ، وهو ما نُتِج فى الربيع . وقداح الميسر تعدّ عندهم من المكارم ، يتفاخرون بلعبها فى القحط . ويقال فيما لا يعقل : أمّ وأُمّات ، وفيما يعقل : أُمّهات ؛ وربما استُعمل كلّ واحد منهما مكانَ صاحبه . ونَيسِر : نقامر : وفعله من باب وعد .

---

(١) ش : « يُشْلَ » فى المتن والشرح بعده ، تحريف فقد فسره البغدادى بأنه بمعنى طرد . والشل : الطرد . وما أثبته أيضا هو رواية الديوان ٢١٦ .

(٢) ش : « يطرد »

ورُوِى :

* وإن شَدّ رُعْيان الجميع مخافة *

وشدّ بمعنى فرّ . ورُعيان : جمع راع . . ووراءكم : أمامكم . وسنعذر رُوى بالمثناة الفوقية ، والضمير للرماح . والشَّرَبَّة بفتح الشين والراء وتشديد الموحدة : موضع ببلاد غطفان . وكذلك اللِّوىٰ .

زهير — و (زهير) هو زهير بن أبى سُلمى . واسم أبى سُلمى ربيعة بن رِياح المزَنىّ من مزينة بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر ؛ وكانت مَحلّتهم فى بلاد غطفان . فيظنّ الناس أنه من غطفان ، أعنى زهيراً ، وهو غلط . كذا فى الاستيعاب لابن عبد البرّ . وكأن هذا ردٌّ لما قاله ابن قتيبة فى كتاب الشعراء[1] فإنه قال : « زهير هو ابن ربيعة بن قُرط . والناس ينسبُونه إلى مزينة ؛ وإنما نسبهُ إلى غطفان » اهـ .

وسُلمى بضم السين قال فى الصحاح : « ليس فى العرب سُلمى بالضم غيره » ورِياح بكسر الراء وبعدها مثناة تحتية .

وزهير أحد الشعراء الثلاثة الفحول ، المتقدّمين على سائر الشعراء بالاتفاق ، وإنّما الخلاف فى تقديم أحدهم على الآخر وهم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة الذبيانى . قال ابن قتيبة[2] : « يقال : إنّه لم يتصل الشعر فى ولدِ أحد من الفحول فى الجاهليّة ما اتصل فى ولد زهير ، وفى الإسلام ما اتصل فى ولد جرير . وكان زهيرُ راويةَ أوس بن حجَر . وعن عكرمة بن جرير قال : قلت لأبى : مَنْ أشعَرُ الناس ؟ قال : أجاهليّة أم إسلاميّة ؟ قلت : جاهليةً . قال : زهير .

(١) الشعراء ٨٦ .
(٢) الشعراء ٨٦ ، ٨٧

قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يجيد نعت الملوك ، ويصيب صفة الخمر . قلت له : فأنت ؟ قال : أنا نحرت الشِّعْرَ نحراً » .

وقال ثعلب ، وهو ممن قدّم زهيراً : كان أحسنَهم شعراً ، وأبعدهم من سُخْف ، وأجمعَهم لكثير من المعنى فى قليل من المنطق ، وأشدَّهم مبالغة فى المدح ، وأكثَرَهم أمثالاً فى شعره . وقال ابن الأعرابى : لزهير فى الشعر ما لم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً ، وخاله شاعراً ، وأخته سُلمى شاعرة ، وأخته الخنساء شاعرة ، وابناه كعب وبُجير شاعرين ، وابنُ ابنه المضرَّب بن كعب[1] شاعراً ، وهو الذى يقول :

٣٧٦

إنّى لأحبِسُ نفسى وهى صابرة[2] عن مُصعَب ولقد بانت لى الطرق

رُعْوى عليه كما أرعىْ على هَرِمٍ[3] جدِّى زهيرٌ وفينا ذلك الخُلق

مدْحُ الملوك وسَعىٌ فى مَسرّتهم ثم الغِنيُ ، ويد الممدوح تَنطلق

وكعب هو ناظم :

* بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ *

وستأتى ترجمته إن شاء الله تعالى فى أفعال القلوب[4] .

قال ابن قتيبة : وكان زهيرٌ يتألّه ويتعفّف فى شعره ، ويدلُّ [شعرُه[5]] على إيمانه بالبعث ، وذلك قوله :

يُؤَخَّرْ فيودَعْ فى كتابٍ فيُدَّخَرْ ليومِ الحسابِ أو يُعَجَّلْ فينقم

(١) انظر سبب تنقيبه بالمضرب فى الشعراء ٩٢

(٢) الأغانى ٩ : ١٥١ : « وهى صادية » .

(٣) الأغانى : « رعوا عليه » .

(٤) فى الشاهد ٧١٤ .

(٥) التكملة من ش وابن قتيبة ٨٨ .

وشبه هير امرأةً بثلاثة أوصاف فى بيت واحد فقال :

تنازعها المها شَبَهاً ودُرُّ الْ بحُور وشاكهت فيها الظباء[1]

ففسّر ثم قال :

فأمّا ما فُويقَ العِقْدِ منها فمن أدْماء مَرتعُها الخَلاء

وأما المقلتانِ فمن مَهاةٍ وللدُّرُّ الملاحة والصفَاء

وقال بعض الرواة : لو أنّ زهيراً نظر إلى رسالة عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرىّ[2] ما زاد على ما قال :

فإنّ الحقَّ مقطعُه ثلاثٌ : يَمينٌ أو نِفار ، أو جلاء

يعنى يميناً ، أو منافرة إلى حاكم يقطع بالبينات ، أو جلاء وهو بيان وبرهان يجلو به الحقّ وتتّضح الدعوى » .

وديوان شعر زهير كبير ، وعليه شرحان ، وهما عندى والحمد لله والمنّة ، أحدهما بخطّ مهلهل الشهير الخطّاط صاحب الخطّ المنسوب .

وغالب شعره مدْحٌ فى هرِم بن سِنان أحد الأجواد المشهورين ، ومن شعره فيه قوله :

صحا القلبُ عن سلْمَىٰ وقد كاد لا يسلو

قال صاحب الأغانى[3] . هذه القصيدة أوّلُ قصيدة مدح بها زهير هَرِماً ، ثم تتابع بعده . وكان هرمٌ حلَفَ أن لا يمدَحهُ زهيرٌ إلا أعطاه، ولا يسألهُ إلاّ أعطاه،

---

(١) ط والشعراء : « تنازعت المها » ، وفى ط : « وشابهت » .

(٢) انظرها فى البيان ٢ : ٤٨ .

(٣) الأغانى ٩ : ١٤٦ .

ولا يسلمٌ عليه إلاّ أعطاه : عبداً أو وليدةً أو فرساً. فاستحيا زهير منه ، فكان زهير إذا رآه فى ملأ قال . أنعِموا صباحاً غير هَرِم ، وخيرَ كم استثنيتُ . .
وقال عمر بن الخطاب لبعض ولد هرم : أنشدْنى بعضَ مدح زهيرٍ أباك ؛ فأنشده فقال عمر : إن[1] كان ليحسن فيكم المدح . قال : ونحن والله [إن[2]] كنا لنُحسِنُ له العطيَّة . قال : قد ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم .
وفى رواية عمر بن شبَّة : قال عمر لابن زهير : ما فعلَتِ الحللُ التى كساها هرِمُ أباك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال: لكن الحُللَ التى كساها أبوك هرماً لم يُبلِها الدهر !

ويستجاد قوله فى هرِم :

قد جعلَ المبتغُون الخير فى هرِم والسائلون ، إلى أبوابه طرُقا
من يَلْقَ يوماً عَلَى عِلاَّته هَرِماً يَلْقَ السماحةَ فيه والندىٰ خُلُقا

ورُوى أن زهيراً كان ينَظِم القصيدة فى شهر ، وينقِّحها ويهذّبها فى سنة ، وكانت تسمَّىٰ قصائده (حَوليّات زهير) . وقد أشار إلى هذا البهاء زهير فى قوله من قصيدة :

٣٧٧

هذا زُهيرُكَ لا زُهير مُزَينة وافاك لا هَرِما على عِلاّتِهِ
دَعْهُ وحَولياته ثم استمعْ لزهيرِ عَصرِكَ حُسْنَ لَيْليَّاتِهِ

وكان رأىٰ زهيرٌ فى منامه فى أواخر عمره : أنّ آتياً أتاه فحمله إلى السماء حتى كاد يمسُّها بيده ، ثم تركه فهوىٰ إلى الأرض . فلما احتُضِر قصَّ رؤياه على ولده كعب ثم قال : إنّى لا أشك أنه كائنٌ من خبر السماء بعدِى ؛ فإن كان

(١) فى النسختين : « انه » ، والوجه من الأغانى .
(٢) التكملة من الأغانى

فتمسَّكوا به وسارعوا إليه . ثم تُوفىِّ قبل المبعث بسنة . فلما بُعثَ ﷺ ، خرج إليه ولدُه كعبٌ بقصيدته (بانت سعاد) وأسْلَمَ ، كما يأتى بيانها فى أفعال القلوب إن شاء الله تعالى .

وروى أيضاً : أنَّ زهيراً رأىٰ فى منامه أنَّ سبباً تدلَّىٰ من السماء إلى الأرض وكان الناس يمسكونه[1] ، وكلما أراد أن يُمسكه تقلّص عنه . فأوَّله بنبيٍّ آخرِ الزمانِ ، فإنه واسطة بين الله وبين الناسِ ، وأنّ مدّته لا تصل إلى زمن مبعثه ، وأوصى بنيه أن يؤمنوا به عند ظهوره .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد المائة[2] :

١٣٩ (أبا عُرْوَ لاتبعُدْ ، فكلُّ ابنِ حُرَّةٍ
سيَدعُوه داعى مَوْتَةٍ فيُجيبُ)

لما تقدّم فى البيت قبله : فانّ (أبا عُرْوَ) منادى بحرف النداء المحذوف ؛ وأبا منادى مضاف لما بعده ، وعُرو : مرخّم عروة : والكلام عليه كما تقدم فى البيت قبله

قال ابن الشجرىّ فى أماليه : « ومما يدلّ على مذهب سيبويه — ولم يكن فيه ما تأوّله أبو العباس المبرِّد فى بيت زهير ، فزعم أنه أراد : يا آل عكرمٍ ، بالجرّ والتنوين — قولُ الشاعر :

أبا عُرْوَ لا تبْعَد . . . البيت

---

(١) ط : « كأن الناس يمسكونه » ، صوابه من ش

(٢) أنظر أيضا العينى ٤ : ٢٨٧ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٢٩ والانصاف ٣٤٨ وابن يعيش ٢ : ٢٠

ألا ترى أنه لا يمكنُ أبا العبّاس أن يقول : إن عروة قبيلة ، كما قال ذلك في عكرمة ! ولا يمكنه أن يقول : أراد أبا عُرو ، بالجرّ والتنوين . فمنعه من ذلك أن عُروة لا ينصرف للتأنيث في التعريف[1] » انتهى

وروى ابنُ الشجريّ هذا البيتَ كرواية الشارح المحقّق ؛ وأنشده ابن الأنباريّ في مسائل الخلاف ، وكذا ابن هشام في شرح الألفية :

* سيَدْعُوه داعي مِيتةٍ *

بكسر الميم . والميتة : الحالة التي يموت عليها الإنسان . وزاد ابن السكّيت (في كتاب المذكر والمؤنث) رواية : (ستدعوه) بمثنّاة فوقية لا تحتيّة على أن قوله (داعي) اكتسب التأنيث من إضافته إلى المؤنث . وكذلك أورده الفرّاء عند تفسير قوله تعالى : (إنَّها إنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَل[2]) . قال : فإن قلتَ : إنّ المثقال ذَكَر ، فكيف قال تكُ ؟ قلتُ : لأن المثقال أضيف إلى الحبّة ، وفيها المعنى ، كأنه قال : إن تكُ حبّة . ثم أنشدَ البيت فقال : أنّث فعلَ الداعي ، وهو ذكَر ، لأنه ذهب إلى الموتة .

وقوله : (لا تبعَد) أي لا تهلك ، وهو دعاء خرج بلفظ النهي ، كما يخرج الدعاء بلفظ الأمر وإن كان ليس بأمر ، نحو : اللهم اغفر لنا . يقال بعِد الرجلُ يبعَد بعَداً من باب فرح ، إذا هلك ؛ وإذا أردت ضدّ القرب قلت : بعُد يبعُد بضم العين فيهما ، والمصدرُ على وزن ضدّه وهو القرب ؛ وربّما استعملوا هذا في معنى الهلاك لتداخل معنييهما . فإن قيل : كيف قال لا تبعدَ وهو قد هلك ؟ أُجيب بأنّ العَرب قد جرت عادتُهم باستعمال هذه اللفظة في الدعاء للميت ، ٣٧٨

(١) ش : « لا ينصرف في التعريف » .
(٢) الآية ١٦ من سورة لقمان .

ولهم فى ذلك غرضان : أحدهما أنهم يريدون بذلك استعظام موت الرجل الجليل ، وكأنَّهم لا يصدِّقون بموته . وقد بيّن هذا المعنىٰ النابغةُ الذبيانىّ بقوله :

يقولون « حِصْنٌ » ثم تأبىٰ نفوسُهم وكيفَ بحِصْنٍ والجبالُ جُنُوحُ ؟
ولم تَلفِظ الموتىٰ القبورُ ، ولم تَزُلْ نجومُ السماءِ ، والأديمُ صحيح

أراد : أنهم يقولون : مات حصن ؛ ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك ، ويقولون : كيف يجوز أن يموت ، والجبال لم تنسف ، والنُّجوم لم تنكدر ، والقبور لم تُخرِج موتاها ، وجِرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادث .

وهكذا تستعمله العرب فيمن هلك فساء هلاكُه وشقّ على من يفقِده . قال الفرَّار السُّلَمىّ :

ما كان ينفعنى مقالُ نسائهم ، وقتلتُ دون رجالهم : لا تبعَدِ[(1)]

ومثله قول مالك بن الرَّيب من قصيدة تقدَّمت[(2)] :

يقولون : لا تَبعَد ، وهم يدفِنوننى وأينَ مكانُ البعد إلاّ مكانيا !

والغرض الثانى : أنهم يريدون الدعاء له بأن يبقىٰ ذكره ولا يُنسَى ؛ لأن بقاء ذكرِ الإنسان بعد موته بمنزلة حياته ؛ كما قال الشاعر :

فأثنُوا علينا ، لا أبا لأبيكمُ ! بأفعالنا ، إن الثناء هو الخُلْدُ[(3)]

وقال آخر :

فإنْ تكُ أفنتهُ الليالى فأوشكتْ فإنّ له ذكراً سيُفنى اللياليا

---

(1) فى الحماسة ١٩٢ بشرح المرزوقى : « خلف رجالهم » .
(2) انظر ص ٢٠٥ من هذا الجزء
(3) البيت للحادرة الذبيانى فى البيان ٣ : ٣٢٠ والحيوان ٣ : ٤٧٥ ويروى . « بأحسابنا » و « بإحساننا » .

وقال المتنبي ، وأحسن :

ذِكرُ الفتى عمرُه الثانى ، وحاجته ما قاتَهُ ، وفضولُ العيش أشغالُ[1]

وقد بيَّن الفرار السُّلَمىّ ومالك بن الريب ما فى هذا من المحال فى البيتين المذكورين .

وقوله : (فكلّ ابن حُرّة) الفاء للتعليل . يقول : لا أنسى اللهُ ذكرك بالثناء الجميل فى الدنيا ، فإن الإنسانَ لا بدّ له من الموت ، فانْ ذُكِر بالجميل فكأنّه لم يمُتْ . وذكَرَ الحُرّة وأراد المرأة ؛ أو تقول : أبناء الحرائر إذا كان لا بدّ لهم من الموت ، فموتُ أبناء الإماء من بابِ أولىٰ . . والسين فى قوله : (ستدعوه) للتأكيد لا للتسويف . وقوله . (فيجيب) معطوف على ستدعوه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

١٤٠ (دِيارُ ميّةَ إذْ مَىٌّ تُساعِفُنا ولا يَرىٰ مِثْلَها عُجْمٌ ولا عَرَبُ)

على أن الترخيم فى غير النداء ضرورة ، إذ (مىّ) مرخّم مية وهو غير منادى .

وأنشد سيبويه هذا البيت فى كتابه فى موضمين : أحدهما هذا ؛ قال : وأما قول ذى الرُّمّة :

---

(١) كذا « قاتة » بالقاف فى النسختين ، ويؤيده ما قال العكبرى : « قال ابن القطاع : صحف الرواة هذا البيت فرووه : فاته ، بالفاء ، والصواب بالقاف » .

(٢) سيبويه ١ : ١٤١ ، ٣٣٣ . وانظر نوادر أبى زيد ٣٢ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٩٠ والهمع ١ : ١٦٨ وديوان ذى الرمة ٣ .

ديار ميَّة إذ مىٌّ تساعِفنا . . البيت

فزعم يونس أنه كان يسمِّيها مرّةً ميًّا ومرّة ميّة . انتهى . وكذا فى الصحاح قال : « مية اسم امرأة ، ومىّ أيضاً » . وعلى هذا فيكون ما فى البيت على أحد الوجهين ، فلا ترخيم ولا ضرورة ، فيكون مىٌّ مصروفاً كما يصرف دعْد ، لأنه ثلاثىّ ساكن الوسط .

قال ابن الشجرىّ فى أماليه : « ومنع المبرّد من الترخيم فى غير النداء على لغة من قال يا حارِ بالكسر » ، إلى أن قال : وكذلك يقولون فى قول ذى الرمة :

٣٧٩

ديار ميّة إذ مىٌّ تساعفنا[1] . . . البيت

أنه كان مرّة يسميها ميًّا ومرّة يسميها ميّة . قال : ويجوز أن يكون أجراه فى غير النداء على يا حارُ بالضم ، ثمّ صرفه لما احتاج إلى صرفه . قال : وهذا الوجه عندى ، لأن الرواة كلهم ينشدون :

فيا مىُّ ما يدريكِ أينَ مُناخنا . . البيت[2] انتهى

والموضع الثانى من كتاب سيبويه أورده على أن ديارَ ميّة منصوب بإضمار فعل كأنه قال : أذكرُ ديارَ ميّة ، ولا يذكر هذا العامل لكثرته فى كلامهم ، ولِما كان فيه من ذكر الديار قبل ذلك . ونص كتابه : «ومما التزِم فيه الإضمار قولُ الشعراء : ديار فلانة ، قال :

ديارَ ميَّة إذ مىٌّ تساعفنا . . البيت

---

(١) فى النسختين « يا دار مية » وان كان الشنقيطى حورها الى « ديار » ، وصوابه من أمالى ابن الشجرى .

(٢) البيت لذى الرمة فى ديوانه ١٧٢ . وعجزه فيه وفى الامالى : « معرقة الألحى يمانية سجرا »

كأنه قال: أذكُرُ[١]. ولكنه حذف لكثرة الاستعمال » ثم قال : « ومن العرب من يرفع الديار ، كأنه يقول تلك ديار فلانة » . انتهى

ويجوز أن يكون مجروراً على أنه بدلٌ من دارٍ في بيت قبله بثلاثة أبيات ، وهو :

(لا ، بلْ هو الشوقُ من دارٍ تخوَّنَها مَرًّا سَحابٌ ومرًّا بارحٌ تَرِبُ[٢])

وهما من قصيدة طويلة جدًّا في النسيب بميَّة ووصْفِها ، وهي أحسن شعره ، حتى قال جرير : ما أحببت أن يُنْسَب إليّ من شعر ذى الرمّة إلاّ هذه القصيدة ، فإن شيطانه كان فيها ناصحاً[٣] ولو خرس بعدها لكان أشعر الناس.

وروى الأصمعيّ في شرح ديوانه عن أبي جَهمة العدويّ قال : سمعت ذا الرمّة يقول : مِن شعرى ما ساعدنى فيه القول ، ومنِه ما أجهدت فيه نفسى ، ومنه ما جُننت فيه جنوناً . فأما الذى جننت فيه فقولى :

* ما بالُ عينكَ منها الماء ينسكبُ[٤] *

وأما ما طاوعنى فيه القول ، فقَولى :

* خليليّ عوجا من صدور الرواحل[٥] *

وأما ما أجهدت فيه نفسى فقولى :

* أأَن ترسَّمتَ من خَرقاء منزلةً * اهـ

(١) الشنتمرى : « أذكر ديار مية واعنيها » .

(٢) ط : « مر السحاب ومر بارح ترب » ، صوابه في ش والديوان والسان (خون)

(٣) ط : « ناضحا » ، صوابه في ش

(٤) ط : « عنيك » ، صوابه في ش والديوان

(٥) في النسختين : « عن صدور » ، وصححها الشنقيطى في نسخته

أبيات الشاهد

ومن أوّل القصيدة إلى بيت الشاهد عشرة أبيات لا بأس بإيرادها وهى هذه :

(ما بالُ عَيْنكَ منها الماء يَنسكِبُ كأنّه من كُلى مَفرِيَّةٍ سَرَبُ)

الــكُلى : جمع كُلية ، وهى الرُّقعة تـكون فى أصل عرَقة المزادة . والمفريَّة: المقطوعة المخروزَة ؛ يقال فريت الأديم : إذا شققته وخرزته ، وأفريته : إذا شققته . ففرىٰ بلا ألف : شقٌ معه إصلاح ، وأفرى مع ألف : شقّ فى فساد . وسَرِب،رواه أبو عمرو بكسر الراء،بمعنى السائل، ورواه الأصمعى وابن الأعرابى بفتحها ؛ قال : السرب الماء نفسه الذى يُصبُّ فى المزادة الجديدة لـكى تبتلّ مواضع الخرْز والسُّيور ؛ سرِّبْ قِرْبتك : أى صُبَّ فيها الماء حتى تستحكم مواضع الخرْز .

(وَفْرَاء غَرْفِيَّةٍ أثأىٰ خوارزُها مُشلشَل ضيَّعتهُ بينها الكُتَبُ)

وفراء أى ضخمة ، صفة مفريَّة ، أى مزادة وفراء . وغَرفية : منسوبة إلى الغَرف وهو دباغٌ بالبحرْين ، وقيل : شجر يدبغ به ؛ وقال أبو عمرو : هو الأرطىٰ مع التمر والمِلح ، يدبغ به . وأثأى : أفسد ، ومفعوله محذوف أى الخرز ؛ يقال أثأيت الخرز : إذا خرمته . والخوارز فاعل أثأى ، وهو جمع خارزة ، وهى التى تَخيط المزادة المشلشل : نعت سَرِب وهو الماء الذى يتصل تقاطره ولا ينقطع . والكُتَب ، بالمثناة الفوقية : الخُرَز ، جمع كُتْبة ؛ وكل شىء ضممته فقد كتبته .

٣٨٠

(أستحدَثَ الركْبُ عن أشياعهم خبراً أم راجع القلبَ من أطرابه طَرَبُ[1])

---

(١) ويروى : « أم عاود القلب » . وانظر الديوان ص ١ .

الرَّكْبُ : أصحاب الإبل ، جمع راكب كصحب جمع صاحب . والأشياع : الأصحاب . وأستحدَثَ بفتح الهمزة : استفهام . يقول : بكاؤك وحزنك ألخبرٍ حدَث ، أم راجعَ قلبك طرب ؟ والطرب : استخفاف القلب فى فرح كان أو حزن .

وهذا البيت من شواهد شرح الشافية للشارح المحقِّق[1] :

(مِن دِمنةٍ نَسفَت عنها الصَّبا سُفَعاً كما تُنَشَّر بعد الطَّيَّة الكُتُبُ
سَيلا من الدِّعْصِ أَغْشَتْهُ معالمَها[2] نَكباءُ تَسحَبُ أعلاهُ فَينسَحِبُ)

كأنّه قال : راجع القلبَ طربٌ من دمنة ، أى من أجل دمنة . ورُوى : (أم دمنة) كأنّه قال : أم دمنة هاجت حزنك ! والدِّمْنة : آثار الناس وما لطّخوا وسوّدوا . والسفع : قال الأصمعىّ : هى طرائق الرمل ، سُود وحمر . ونصب سُفعاً بنسفَت وأتبع السيل سُفَعاً ، وذلك السفع سيل من الدعص . يريد رملا سال من دعص ، جعله كالنعت للسيل ، فكأنه قال : كشفت الصَّبا عن الدمنة سفعا ، وردَّ سيلاً على السفع . يقول : فظهرت الأرض كما تنشَّر الكتب بعد أن كانت مطوية . وقال ابن الأعرابى : السُّفَع جمع سُفْعة ، وهو سواد تدخله حمرة ، تكون فى الأثافى . ونصب سفعاً على الحال ، ونصب سيلاً بنسفت : وخفض أبو عمرو سُفَع ، اتبعه الدِّمنة . والطِّية بالكسر : الحالة التى يكون عليها الانسان ، والمفتوح منه فعلة واحدة وقوله : سَيلاً من الدعص الخ ، يقول : سيلاً أغشته إياها النكباء . والدِّعص : رمل منفرد متلبِّد ليس بعظيم . والنَّكباء : كل ريح انحرفت بين ريحين . وقوله : أعلاه ، يعنى أعلى هذا

(١) انظر شرح شواهد الشافية ١٨٩ .

(٢) ويروى : « معارفها » .

السيل الذى سال من الدِّعص ، وليس سيلَ مطر ، إنّما هو رملٌ انهال إلى هذه الدمنة فغشّىٰ آثارها ، والنكباء التى أغشت المعالم سيلاً من الدعص فغطّته فجاءت بعده فنسفته . وتسحبه : تجره وتذهب به ، وينسحب أى فينجرّ هو أيضاً .

(لا بَلْ هو الشَّوقُ من دارٍ تَخوَّنَها مَرًّا سحابٌ ومَرًّا بارحٌ تَرِبُ[1])

يقول : ليس هذا الحزن من أثر دمنة ، ولا من خبر الركب ، إنما هو شوقٌ هيَّج الحزنَ ، من أجل دارٍ ذكرت مَن كان يحلّها . وتخوّنها : تعهّدها وتنقّصها ، يقال : فلان تَخوّنه الحمى ، أى تعهَّده . والبارح : الريح الشديدة الهُبوب فى الصيف . والتَّرِب : التى تأتى بالتراب .

(يبدُو لعينَيكَ منها وهى مُزمِنةٌ نُؤىٌ ومُستَوقَدٌ بالٍ ومُحتطَبُ)

يبدو : يظهر . ومُزمنة : التى أتى عليها زمان . والنؤى : حاجز يحفر حول البناء ليردّ السيل . والمستوقَد : موضع الوقود . والبالى : الدارس . والمحتطَب : موضع الحطب .

(إلى لَوائحَ من أطلالِ أحْوِيةٍ كأنها خِلَلٌ مَوشيَّةٌ قُشُبُ)

أى مع لوائح . يقول : يبدو لك هذا مع ذاك . واللوائح : ما لاح لك من الأطلال . والأحوية : جماعة بيوت الحىّ ، الواحد حواء . والخِلل : أغماد السيف ، جمع خِلّة بالكسر . والقُشُب تكون الجُدُد والأخلاقَ . شبه آثار الدار بأغماد السيوف الموشّاة المخلقة . والقشب هنا الجدُد[2] . ومَوشيّة : موشّاة

(بجانب الزُّرقِ لم تطمِسْ معالِمَها دوارجُ المُور والأمطارُ والحِقَبُ)

---

(١) المر : المرة ، أو هو جمع للمرة ، كما فى اللسان .

(٢) كذا ، والوجه أن تكون الأخلاق لا الجدد .

يقول : هذا النؤىُ مع هذه الأطلالَ ، بهذا المكان . والزُّرْق ، بضم الزاى وسكون المهملة : أنقاء بأسفل الدَّهناء لبنى تميم . والدوارج : الرياح التى تدرُج : تذهب وتجىء . والمُور بالضم : التراب الدقيق . والأمطار بالرفع . والحِقَب ، بكسر ففتح : السنون ، الواحد حِقبة . لم تطمس : لم تمح . ويقال دوارج الرياح : أذيالها ومآخيرها .

(ديار ميَّة إذ مىٌّ تساعفنا . . . البيت)

تساعفنا : تدانينا وتواتينا . وعُجم بالضم : لغة فى العجم بفتحتين ، وهو فاعل يَرَىٰ البَصَريّة . ثم أخذ بعد هذا فى وصفها .

وترجمة ذى الرمَّة تقدمت فى الشاهد الثامن[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد المائة[2] :

١٤١ (للهِ ما فَعَلَ الصوارمُ والقنا   فى عَمرِو حابٍ وَضَبَّةَ الأغنْام)

لما تقدم فى البيت قبله ، فإن قوله : (حاب) مرخَّم حابس فى غير النداء ، وهو ضرورة ، وهو فى المضاف إليه أبعَد . وأبقىٰ كسرةَ الباء من حابس بعد الترخيم على حالها . وأصله (عمرو بن حابس) فحذف ابنا وأضاف عمراً إلى حابس .

وقال ابن سيدهْ صاحبُ المحكم (فى شرح ديوان المتنبى) : أراد عمرو حابسٍ فرخَّم المضاف إليه اضطراراً كقوله ـ أنشده سيبويه :

أودى ابنُ جُلهُمَ عَبّادٌ بصِرْمته   إنّ ابنَ جُلْهُمَ أمسىٰ حَية الوادى

(١) انظر ص ١٠٦ من الجزء الأول

(٢) ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٢ : ٢٨٥

قال : أراد ابنَ جلهمة[١] . والعرب يسمُّون الرجل جُلهمة والمرأة جُلْهُمْ[٢] .
كل هذا حكاه سيبويه .

وهذا البيت من قصيدة لأبى الطيِّب المتنبى . قالها فى صباه ، عند ما اجتاز برأس عيَن فى سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وقد أوقع سيف الدولة بعمرو ابن حابس من بنى أسد ، وبنى ضبَّة ، ورياح من بنى تميم ؛ ولم ينشدْه إيَّاها . فلما لقيه دخلت فى جملة المديح . ومطلع القصيدة :

(ذِكَرُ الصِبا ومَرَاتعُ الآرامِ   جلَبتْ حِمامى قبلَ وقتِ حِمامى)

إلى أن قال فى مدح سيف الدولة :

(وإذا امتَحَنْتَ تكشّفتْ عزماتُه   عن أوْحَدِىِّ النقض والإبرام
وإذا سألتَ بَنانَهُ عن نَيـله   لم يرضَ بالدُّنيا قضاء ذِمام
مَهلاً ، ألاَ للهِ ما صنع القَنا   فى عمرِو حابِ وضبّةَ الأغنامِ)

جعل هؤلاء أغناما ، لأنهم كانوا جاهلين حين عَصوه ؛ حتّي فعل بهم ما فعل . وهو بالنون لا بالمثناة الفوقية ، إذ هو غير مناسب ، إذ الأغتَم : الأعجمُ الذى لا يفصح شيئاً ، والجمع الغُتم . وزعم ابن سيدهْ فى شرحه : أن هذا هو المراد هنا ، قال : والأغتام : جمع أغتم ، كسّر أفعَل على أفعال ، وهو قليل ، ونظيره أعزَل وأعزال بإهمال الأوّل ، وهو الذى لا سلاح معـه ، وأغرَل وأغرال بإهمال الثانى ، وهو الذى لم يختن .   ٣٨٢

وبعده :

(لمّـا تحـكَّمَتِ الأسِنَّةُ فيهم   جارتْ ، وهُنَّ يجُرنَ فى الأحكام .

(١) الذى فى كتاب سيبويه ١ : ٣٤٤ : « أراد أمه جلهم »
(٢) فى النسختين : « جلهمة » ، صوابه من سيبويه وممانقله عنه ابن منظور فى اللسان (جلهم) . والبيت للاسود بن يعفر .

فتركتهم خَلَل البيوت كأنَّما غَضِبتْ رءوسهم على الأجسامِ)

أى غزوتَهم فى عُقر دارهم حتى[1] تركتهم خلال بيوتهم أجساما بلا رءوس

المتنبى

وهذه ترجمة المتنبي نقلتها من كتاب (إيضاح المشكل لشعر المتنبى ، من تصانيف أبى القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهانى) وهذا الإيضاح قاصرٌ[2] على شرح ابن جنّي لديوان المتنبى ، يوضّح ما أخطأ فيه من شرحه . وهو ممن عاصر ابنَ جنّى ، وألَّف الايضاح لبهاء الدولة بن بويه . قال : « وقد بدأت بذكر المتنبّي ومَنشئه ومُغتَرَبه ، وما دلّ عليه شعره من معتقده إلى مختتم أمره ، ومَقْدمه على الملك — نضّر الله وجهه — بشيراز وانصرافه عنه . إلى أن وقعتْ مقتلتُه بين دَيرقُنَّة[3] والنُّعمانية واقتسام عقائله وصفاياه . . حدثنى ابن النجّار ببغداد : أن مولد المتنبي كان بالكوفة فى مَحلَّةٍ تعرف بكِندة ، بها ثلاثة آلاف بيت ، من بين رَوَّاء ونَسَّاج . واختلف إلى كتّاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً ، فنشأ فى خير حاضرة . وقال الشعر صبيّاً . ثم وقع إلى خير بادية باديةوما بلاد قبة حصلَ فى بيوت العرب[4] ، فادَّعى الفضولَ الذى نُبِز به ، فنمى خبره إلى أميرِ بعض أطرافها — فأشخص إليه من قيدّه وسار به إلى محبسِهِ ، فبقى يعتذر إليه ويتبرأ مما وُسم به ، فى كلمته التى يقول فيها :

فمالكَ تقبلُ زورَ الكلام وقدرُ الشهادةِ قدر الشهودِ
وفى جُود كفِّك ما جُدْتَ لى بنفسى ولو كنتُ أشقىَ ثمودِ

(١) ط : « التى » ، صوابه فى ش

(٢) الوجه « مقصور » .

(٣) المعروف « ديرقنى » بضم القاف وتشديد النون مع القصر كما فى ياقوت .

(٤) كذا فى ط . وفى ش : « وما بلاد قنة . ولعله الى خير بادية ، بادية اللاذقية ، وحصل فى بيوت العرب » . أنظر الصبح المنبى ١ : ٢٥

وقد هجاه شعراء وقته فقال الضّبّي :

الزمْ مقالَ الشعرِ تحظَ بقُربةٍ   وعن النبُوَّة، لا أباكَ، فانتزِحْ
تربحْ دماً قد كنتَ توجبُ سفكه   إن المتمَّع بالحياة لَمَن ربحْ

فأجابه المتنبى[1] :

أمرى إلىّ فإنْ سمحتُ بمهجةٍ   كرُمتَ علىّ فإنّ مثلى مَن سمحْ

وهجاه غيره[2] فقال :

أطَلْلتَ يا أيها الشقىُّ دَمكْ   بالهذَيان الذى ملأْتَ فَمَكْ
أقسمتُ لو أقسمَ الأميرُ على   قتلِكَ قبل العشاء ما ظلَمكْ

فأجابه المتنبى :

همُّك فى أمردٍ تُقلِّب فى   عَين دواةٍ من صُلْبه قلمكْ[3]
وهمّتى فى انتضاء ذى شُطَب   أقُدُّ يوماً بحدِّه أدَمَكْ
فاخسَ كُليباً واقعدْ على ذنَب   واطْلِ بما بين أليتَيك فَمَكْ

وهو فى الجملة خبيث الاعتقاد . وكان فى صغره وقع إلى واحدٍ يكنى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة ، فهوّسه وأضلّه كما ضلّ . وأمّا ما يدلُّ عليه شعره فمتلوّن . وقوله :

٣٨ هوّنْ على بصرٍ ما شقّ مَنظَرُه   فإنّما يقَظات العين كالحُلُمِ[4]

(١) أنظر زيادات شعر المتنبى للميمنى ص ١٥ .
(٢) قال الميمنى : « ليس هو غير الضبى كما زعم ، بل هو هو . راجع زيادات شعره ٣٦ على اختلاف فى تسمية الضبى والضب » .
(٣) قبله فى الزيادات ٣٦ :
ايها أتاك الحمام فاخترمك   غير سفيه عليك من شتمك
(٤) ديوان المتنبى ٢ : ٣٨٥ . منظره ، بالرفع ، يعنى ما صعبت رؤيته ، من المكاره ونحوها . وروى بالنصب أيضا ، فالمراد شق البصر وفتحه ، باقتضائه النظر اليه .

مذهب السوفسطائية . وقوله :

تمتعْ من سهادٍ أو رُقادٍ ولا تأملْ كرًى تحت الرِّجامِ
فإنّ لثالث الحالين معنىً سوى معنى انتباهِك والمنامِ

مذهب التناسخ . وقوله :

نحن بنو الدنيا فما بالُنا نعافُ ما لا بدَّ من شُربِهِ
فهذه الأرواحُ من جَوِّه وهذه الأجسامُ من تُربه

مذهب الفضائيّة . وقوله فى أبى الفضل بن العَميد :

فان يكنِ المهدىُّ قد بان هَديُه فهذا ، وإلا فالهدىٰ ذا فما المهدِى(١)

مذهب الشيعة . وقوله :

تَخالفَ الناسُ حتَّى لا اتفاق لهم إلاّ على شَجَبٍ، والخُلفُ فى الشَّجَبِ
فقيل : تخلُدُ نفسُ المرءِ باقيةً وقيل: تَشرَكُ جِسمَ المرءِ فى العطَبِ

فهذا من يقول بالنفس الناطقة ، ويتشعّب بعضه إلى قول الحشيشيّة . والإنسان إذا خلع رِبقة الإسلام من عنقُه ، وأسلمه اللهُ عزّ وجل إلى حوله وقوّته ، وجدَ فى الضلالات مجالاً . واسعا ، وفى البدع والجهالات مناديحَ وفُسَحا .

ثم جئنا إلى حديثه وانتجاعه ، ومفارقته الكوفةَ أصلا ، وتَطوافه فى أطراف الشام ، واستقرائِه بلادَ العرب ومقاساته للضرّ وسوء الحال ، ونزارة كسبه ، وحَقارة ما يوصل به ؛ حتى أنّه أخبرنى أبو الحسن الطرائفىّ

(١) فى الديوان : « من بان هديه » .

بغداد — وكان لقى المتنبِّي دفعات فى حال عسره ويسره — : أنَّ المتنبِّي قد مَدَح بدون العشرة والخمسة من الدراهم . وأنشد فى قوله مصداقاً لحكايته :

انصُرْ بجودِكَ ألفاظاً تركتُ بها ، فى الشرق والغرب ، مَنْ عاداكَ مكبوتا
فقد نظرتُكَ حتّى حانَ مُرتَحَلٌ وذا الوَداعُ ، فكن أهلاً لما شِيتا

وأخبرنى أبو الحسن الطرائفى قال : سمعت المتنبِّي يقول : أوّل شعر قلتُه وابيضّت أيامى بعده ، قولى :

أيا لائمى ، إنْ كنتُ وقتَ اللوائم علمتُ بما بى بين تلك المعالم[1]

فانى أعطِيتُ بها بدمشق مائةَ دينار . . ثم اتصلَ بأبى العشائر فأقام ما أقام ، ثم أهداه إلى سيف الدولة ، فاشترط أنَّه لا ينشد إلاّ قاعداً وعلى الوحدة ، فاستحملوه وأجابوه إليه . فلمّا سمع سيف الدولة شعرَه حكم له بالفضل، وعدَّ ما طلبه استحقاقاً .

وأخبرنى أبو الفتح عثمان بن جنّي : أن المتنبي أسقَط من شعرِه الكثيرَ ، وبقى ما تداوله الناس . . وأخبرنى الحلبي ، أنه قيل للمتنبِّي: معنى بيتكِ هذا أخذتَه من قول الطائى . فأجاب المتنبِّي : الشعر جادّة ، وربّما وقَع حافرٌ على حافر !

وكان المتنبي يحفظ ديوانَى الطائيَّين، ويستصحبُهما فى أسفاره ويجحدهما ، فلما قُتِل توزّعت دفاتره ، فوقع ديوان البحترى إلى بعض من درَس عليّ ، وذكر أنه رأى خطّ المتنبّي وتصحيحَه فيه .

وسمعت من قال : إنَّ كافوراً لما سمع قوله :

---

(١) كذا ، وصوابه « أنا لائمى » ، أى أنا مثل لائمى ، كما فسره بذلك الواحدى والعكبرى وابن جنى .

٣٨٤ إذا لم تنُطْ بى ضيعةً أو وِلاية فجودُك يكسونى وشُغْلُك يَسْلُبُ

يلتمس ولاية صَيدَاء . فأجابه : لستُ أجسُر على توليتك صيدَاء ، لأنك على ما أنت عليه : تحدِّث نفسك بما تحدّث ؛ فإن ولَّيتك صيداء ، فمن يطيقك ؟!

وسمعتُ أنه قيل للمتنبي : قولك لـكافور :

فارمِ بى حيثما أردْتَ فإنّى أسَدُ القلبِ آدَمِىُّ الرُّواء

وفؤادى من الملوكِ ، وإن كا نَ لسانى يُرىٰ من الشعراءِ

ليس قولَ ممتدح ولا منتجع ، إنّما هو قول مضادٍّ ! فأجاب المتنبي إلى أن قال : هذه القلوب ، كما سمعت أحدها يقول :

يقَرُّ بعينى أن أرىٰ قِصَدَ القنا وصرعىٰ رجالٍ فى وغًى أنا حاضرُه

وأحدها يقول :

يقرُّ بعينى أن أرى مَن مكانَها ذُرَا عقِدات الأجرَع المتقاودِ(١)

ثم أقام المتنبي عند سيف الدوله على التكرمة البليغة : فى إسناء الجائزة، ورفع المنزلة . ودخل مع سيف الدولة بلادَ الروم ؛ وتأصّل حالاً(٢) فى جنبته بعد أن كان حَوِيلة . وكان سيفُ الدولة يستحبّ الاستكثار من شعره والمتنبي يستقلّه ؛ وكان ملقيٌّ من هذه الحال ، يشكوها أبدا ، وبها فارقَه حيث أنشده :

وما انتفاعُ أخى الدنيا بناظرِهِ إذا استوتْ عنده الأنوارُ والظُّلَم

وآخرها :

(١) البيت من ابيات ثلاثة لنبهان بن عكى العبشمى ، كما فى الكامل ٣١ نسبها القالى فى أماليه ١ : ٦٣ الى أعرابى .

(٢) كذا فى ط . وفى ش : « وتأثل حالا » .

بأىِّ لفظ يقول الشِّعرَ زِعنِفَةٌ يجوزُ عندك لا عُرْبٌ ولا عَجَمُ[1]

وقال فى أخرى :

إذا شاء أن يهزَا بلحية أحمقٍ أراه غُبارى ثم قال له الحق[2] !

فلما انتهتْ مدّته عند سيف الدولة استأذنه فى المسير إلى إقطاعه[3] فأذن له ، وامتدّ باسطاً عنانه إلى دمشق ، إلى أن قصد مِصر فألمَّ بكافور ، فأنزله وأقام ما أقام . إلاّ أن أوّلَ شعره فيه دليلٌ على ندمه لفراق سيف الدولة ، وهو :

كفى بكَ داءً أن ترى الموتَ شافيا وحسبُ المنايا أنْ يكُنَّ أمانيا

حتى انتهىٰ إلى قوله :

قواصدَ كافورٍ توارِكَ غيرِهِ ومَنْ قصدَ البحرَ استقَلَّ السواقيا

وأخبرنى بعض المولَّدين ببغداد ، وخالُه أبو الفتح يتوزَّر لسيف الدولة : أنّ سيف الدولة رسم لى التوقيع[4] إلى ديوان البِرّ[5] بإخراج الحال فيما وُصِل به المتنبّي ، فخرجتْ بخمسة وثلاثين ألف دينار فى مدّة أربع سنين .

ثم لما أنشد الثانيَةَ كافوراً خرجتْ موجّهة يشتاق سيف الدولة . وأولها :

فراقٌ ، ومَنْ فارقت غيرُ مُذَمَّمِ وأَمٌّ ، ومن يَمَّمت خيرُ مُيَمَّمِ[6]

وأقام على كُرْه بمصر إلى أن ورد فاتكُ غلام الإخشيدىّ من الفيّوم

---

(١) فى ديوانه بشرح العكبرى : « تقول الشعر » ، و « تجوز عندك » .
(٢) ويروى : « أن يلهو » .
(٣) كان هذا الاقطاع يسمى صفا ، كما فى معجم البلدان (صف) ورسالة الغفران ٣٥٤ . وفى ش : « الى الطاعة » ، تحريف .
(٤) ط : « وسم الى التوقيع » .
(٥) ش : « ديوان أكبر » .
(٦) ط : « غير ميمم » .

— وهى وبيئةٌ ، فنبتْ به واجتواها — وقادوا بين يديه فى مدخله إلى مصر أربعةَ آلاف جَنِيبة منعلَة بالذّهب ، فسمّاه أهلُ مصر بفاتك المجنون . فلقيه المتنبّي فى الميدان على رِقْبَةٍ من كافور فقال :

لا خيلَ عندكَ تُهديها ولا مالُ فليُسعدِ النطقُ إنْ لم يُسعدِ الحالُ

فوصل إليه من أنواع صلاته وأصناف جوائزه ، ما تبلغ قيمته عشرين ألف دينار . ثمّ مضىٰ فاتك لسبيله ؛ فرثاه المتنبّي وذمّ كافورا :

أيموتُ مثلُ أبى شجاعٍ فاتكٍ ويَعيشُ حاسدُهُ الخصِىُّ الأوْكَمُ !

فاحتال بعده فى الخلاص من كافور ؛ فانتهز الفرصة فى العيد — وكان رسم السلطان أن يُستَقْبَل العيدُ بيوم ، وتُعدَّ فيه الخِلَع والحملانات وأنواعُ المبارّ ، لرابطة جنده وراتبة جيشه ، وصبيحة العِيد تفرَّق ، وثانى اليوم يذكر له مَن قبِل ومن ردّ واستزاد — فاهتبل المتنبّي غفلةَ كافور ، ودفن رماحه برا ، وسار ليلته وحمل بغاله وجماله وهو لا يألو سيراً وسُرًى هذه الليلة ، مسافة أيام[١] ؛ حتى وقع فى تِيه بنى إسرائيل ؛ إلى أن جازه على الحِلَل[٢] والأحياء والمفاوز المجاهيل ، والمناهل الأواجن . ونزل الكوفة وقال يقصّ حاله .

ألا ، كلُّ ماشيةِ الخيزَلىْ فِدَا كلّ ماشيةِ الهَيذَبىْ

وفيها يقول :

ضربتُ بها التِّيهَ ضربَ القِما رِ : إمّا لهـذا ، وإما لذا

(١) مفهوم العبارة أنه قطع فى اليوم والليلة مسيرة أيام والذى فى ش : « هذه الثلاثة أيام » اى ايام رسم كافور المشار اليها .

(٢) جمع حلة ، بالكسر ، وهى جماعة بيوت الناس ، أو مائة بيت » . وفى ط : « على الحال » صوابه فى ش

ثم مدح بالكوفة دبير بن يشكرو[١] ، وأنشده فى الميدان ؛ فحمله على فرس بمركب ذهب .

وكان السببَ فى قصده أبا الفضل بن العميد ، على ما أخبرنى أبو على ابن شبيب القاشانى — وكان أحد تلامذتى ، ودرس عليَّ بقاشان سنة ثلثمائة وسبعين، وتوزر للأصبهبد بالجبل، وأبوه أبو القاسم توزّر لوشمكير بجرجان— عن العلوىّ العباسىّ نديمِ أبى الفضل بن العميد (الذى يقول فيه :

أبلغْ رسالاتى الشريفَ ، وقلْ له : قدْكَ اتّئدْ أربيتَ فى الغُلَواءِ[٢])

أن المعروف المطوّق الشاشى كان بمصر وقتَ المتنبي فعمَد إلى قصيدته فى كافور :

* أُغالبُ فيكَ الشَوقَ والشوقُ أغلبُ *

وجعل مكان أبا المسك أبا الفضل ؛ وسار إلى خراسان وحمل القصيدة ، أعنى قصيدة المتنبى إلى أبى الفضل وزعم أنّه رسوله . فوصله أبو الفضل بألفى درهم ؛ واتصل هذا الخبر بالمتنّبي ببغداد ؛ فقال : رجلٌ يعطى لحامل شعرى هذا، فما تكون صلته لى ؟ وكان ابن العميد يَخرج فى السنة من الرىّ خَرجتين إلى أرَّجان ، يَجبي بها أربع عشرة مرة ألفَ ألفِ درهم فنمَى حديثُه إلى المتنبي

(١) كذا فى ط . وفى ش مع تصحيح للشنقيطى : « ديسم بن شادكويه » . وضبط فى ديوان المتنبى بشرح الواحدى ٣٢٥ بمباى وأوربا ٧٢٨ : «دِلَّيْرَ بن لَشكَرَوَزَّ» كما ذكر الميمنى . لكن ورد فى ديوانه بشرح العكبرى ٢ : ٢٠٧ :

فلست غبيناً لو شريت منيتى باكرام دلَّيرَ بن لَشكَرَوَزّىٌّ

والبيت من قصيدته التى مطلعها :

كدعواك كل يدعى صحة العقل
ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل

(٢) اقتبسه من قول أبى تمام فى ديوانه .

قدك اتئد أربيت فى الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائى

بحصوله بأرَّجان، فلما حصلَ المتنبّي ببغداد نزل ربَض حُميد، فركب إلى المهلّبي، فأذن له فدخل وجلس إلى جنبه، وصاعدُ خليفتُهُ دونه، وأبوالفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني. فأنشدوا هذا البيت:

سقى اللهُ أمواهاً عرفتُ مكانَها ... جُراما وملكوماً وبَذَّرَ فالغمرا[1]

وقال المتنبّي: هو جُرابا، وهذه أمكنةٌ قتلتُها علما، وإنما الخطأ وقع من النقَلة! فأنكره أبو الفرج. قال الشيخ: هذا البيت أنشده أبو الحسن الأخفش صاحب سيبويه فى كتابه جراما بالميم، وهو الصحيح وعليه علماء اللغة[2] وتفرق المجلس عن هذه الجملة. ثم عاوده اليومَ الثانى وانتظر المهلبيّ إنشاده فلم يفعلْ، وإنما صدّه ما سمعه من تماديه فى السُّخف، واستهتاره بالهزل، واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه، وكان المتنبّي مُرَّ النفس صعْبَ الشكيمة حادًّا مجِدًّا، فخرج، فلما كان اليوم الثالث أغرَوا به ابنَ الحجّاج حتى علّق لجامَ دابّته فى صينية الكرخ[3]، وقد تكابسَ الناسُ عليه من الجوانب، وابتدأ ينشد:

٣٨٦

يا شيخَ أهلِ العلم فينا ومَن ... يَلزم أهلَ العلم توقيرُه

فصبر عليه المتنبّي ساكتًا ساكتًا، إلى أن نجزَّها، ثم خلَّى عنان دابته،

---

(١) لكثير عزة عند سيبويه ٢ : ٧ وابن يعيش ١ : ٦١ والمنصف ٢ : ١٥٠/٣ : ١٢١ والسيرة ٦٥

(٢) الذى فى سيبويه « جرابا » بالباء . قال الميمنى : « اتفق الرواة على أنها جراب بالباء . قال السهيلى ١ : ١٠١ : يحتمل أن يكون بمعنى جريب ، نحو كبار وكبير . والجريب : الوادى . ومثله فى معجم ياقوت من غير حوالة عليه . والجراب ذكرها البكرى أيضا . ولم أجد الجرام فى شىء من المعاجم مما يحضرنى » .

(٣) كتب الميمنى : « يمكن أن تكون الصينية ، محلة بكر فى بغداد نسبت اليه ، فرقا بينها وبين الصينية : بليدة تحت واسط ، التى ذكرها ياقوت » . وقد وردت فى النسختين : « صينبة » بالباء الموحدة بعد النون

وانصرف المتنبيّ إلى منزله وقد تيقّن استقرارَ أبى الفضل بن العميد بأرَّجان وانتظارَه له فاستعدَّ للمسير .

وحدثنا أبو الفتح عثمان بن جنّي عن عليّ بن حمزة البَصريّ[1] قال : كنتُ مع المتنبيّ لمّا ورد أرَّجان ؛ فلما أشرف عليها وجدها ضيِّقة البُقعة والدُّورِ والمساكن ، فضرب بيده على صدره وقال : تركتُ ملوك الأرض وهم يتعبَّدون بى، وقصدتُ ربَّ هذه المدَرَة ، فما يكون منه ! ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته إلى ابن العميد ، فدخل عليه وقال : مولاى أبو الطيِّب المتنبيّ خارجَ البلد ـ وكان وقتَ القيلولة ، وهو مضطجعٌ فى دَسته ـ فثار من مضجعه واستثبته ، ثم أمر حاجبه باستقباله ؛ فركب واستركبَ من لقيه فى الطريق ، ففصَل عن البلد بجمعٍ كثير . فتلقّوه وقضَوا حقّه وأدخلوه البلد . فدخل على أبى الفضل ، فقام له من الدَّست قياماً مستوياً ، وطُرِح له كرسيٌّ عليه مِخَدَّةُ ديباج ؛ وقال أبو الفضل : كنتُ مشتاقاً إليك يا أبا الطيِّب . ثم أفاض المتنبيّ فى حديث سفره ، وأنّ غلاماً له احتمل سيفاً وشذَّ عنه . وأخرج من كمِّه عُقَيب هذه المفاوضة دَرْجاً فيه قصيدته :

* بادٍ هواكَ صبَرتَ أو لم تصبِرا *

فوحى أبو الفضل إلى حاجبه بقرطاسٍ فيه مائتا دينار ، وسيفٍ غشاؤه فضّة ، وقال : هذا عوضٌ عن السيف المأخوذ ؛ وأفرد له داراً نزلها . فلما استراح من تعَب السفر كان يغْشىٰ أبا الفضل كلّ يوم ويقول : ما أزورك إكباباً إلا لشهوة النظر إليك ! ويؤا كله . وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوانَ

---

(١) ترجم له ياقوت فى معجمه ١٣ : ٢٠٨ كما ترجم فى البغية ٢٢٧ قال ياقوت : « ولما ورد المتنبى الى بغداد كان بها ،وفى داره نزل » . وقال السيوطى : توفى سنة ٣٧٥ .

اللغة الذى جمعَه ويتعجَّب من حفظه وغزارة علمه . فأظلَّهم النيروز ، فأرسل أبو الفضل بعضَ ندمائه إلى المتنبي : كان يبلُغنى شعرُك بالشام والمغرب ، وما سمعتُه دونه ! فلم يُحِرْ جوابا ، إلى أن حضره النَّيروز وأنشدْ مهنئًا ومعتذِراً فقال :

هل لعُذرى إلى الهمام أبى الفضـ ـل قبولٌ ، سواد عينى مدادُهْ
ما كفانى تقصيرُ ما قلتُ فيه عن علاه حتَّى ثناه انتقادُه
إنّني أصيد البُزاة ، ولكـ ـنَّ أجلَّ النُجوم لا أصطادُه
ما تعوّدتُ أن أرىٰ كأبىالفضـ ـل وهذا الذى أتاه اعتيادُه[1]

فأخبرنى البديهىّ ، سنة ثلثمائة وسبعين : أن المتنبى قال بأرَّجان : الملوك قُروديشبه بعضُهم بعضا ، على الجَودة يعطون . وكان حمل إليه أبوالفضل خمسين ألف دينار ، سوى توابعها ؛ وهو من أجاود زمانِ الديلم .

٣٨٧

وكذلك أبو المطرف وزير مرداويج ، قصده شاعر من قَزوين فأنشده وأمَّله مادَّة نفقةٍ يرجع بها إلى بلده ، فكتب إليه أبياتاً أولها :

أأقلامٌ بكفِّك أم رماحُ وعزمٌ ذاك ، أم أجلٌ مُتاحُ

فقال أبو المطرِّف : أعطوه ألف دينار .

وكذلك أبو الفضل البَلعَمِيّ وزير بُخارىٰ ، أعطى المطرانىّ الشاعر على قصيدته التى أولها :

* لا شربَ إلاَّ بسَير الناى والعُودِ *

---

(١) فى الأصل : « كأبى الفتح » ، صوابه من الديوان ومما يقتضيه المقام .

خمسةَ عشر ألف دينار .

وكذلك خلفٌ صاحب سجستان ، أعطى أبا بكر الحنبليّ خمسة آلاف دينار على كلمةٍ فيه .

وكان سيف الدولة لا يملك نفسه ؛ وكان يأتيه علويّ من بعض جبال خراسان كلّ سنة فيعطيه رسماً له جاريا على التأبيد ؛ فأتاه وهو فى بعض الثغور ، فقال للخازن : أطلقْ له مافى الخزانة ؛ فبلغ أربعين ألف دينار . فشاطر الخازنَ وقبض عشرين ألف دينار ، إشفاقاً من خلل يقع على عسكره فى الحرب .

وأخبرنى بعض أهل الأدب أنّه تعرَّضَ سائلٌ لسيف الدولة وهو راكب، فأنشده فى طريقه :

أنتَ عليٌّ وهـذه حلبُ قدْ فنِيَ الزادُ وانتهى الطلبُ

فأطلق له ألفَ دينار .

وتعرّض سائل لأبى عليّ بن الياس وهو فى موكبه ، فأمر له بخمسمائة دينار فجاءه الخازن بالدواة والبياض . فوقّع بألفى دينار . فلما أبصره الخازنُ راجَعه فيها . فقال أبو عليّ : الكلام ريح ، والخطُّ شهادة ، ولا يجوز أن يشهد عليَّ بدون هذا .

ثم إن أبا الطيِّب المتنبّي لما ودّع أبا الفضل بن العَميد ، ورد كتابُ عضدِ الدولة يستدعيه ، فعرّفه ابنُ العميد ، فقال المتنبى : مالى وللدَّيلم ؟ فقال أبو الفضل : عضد الدولة أفضل منّي ، ويصلك بأضعاف ما وصلتك به . فأجاب بأنى ملقًّى من هؤلاء الملوك : أقصِد الواحدَ بعد الواحد ، وأملّكهم شيئا يبقى ببقاء النَّيِّرين ، ويُعطوننى عرَضاً فانياً ؛ ولى ضجَرات واختيارات ؛

فيعوقوننى عن مرادى ، فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه ! فكاتب ابنُ العميد عضدَ الدولة بهذا الحديث . فورد الجواب بأنه مملَّك مُرادَه فى المقام والظَعْن . فسار المتنبّي من أرَّجان ، فلمّا كان على أربعة فراسخَ من شيراز ، استقبله عضد الدولة بأبى عمر الصبّاغ أخى أبى محمد الأبهريّ صاحب كتاب حدائق الآداب . فلما تلاقيا وتسايرا ، استنشدَه . فقال المتنبِّي : الناس يتناشدون فاسمعهْ . فأخبر أبو عمر أنه رُسم له ذلك عن المجلس العالى . فبدأ بقصيدته التى فارق مصر بها :

ألا كلُّ ماشيةِ الخيزَلَىٰ فِدَى كلُّ ماشيةِ الهَيذَبَىٰ

ثم دخل البلدَ فأُنزل داراً مفروشة ؛ ورجع أبو عُمر الصبّاغ إلى عضد الدولة فأخبره بما جرى ، وأنشده أبياتاً من كلمته وهى :

فلما أنخنا ركزْنا الرما حَ حولَ مكارِمنا والعُلا
وبتْنا نقبلُ أسيافنـا ونمسحُها من دماءِ العِدا
لِتعلَمَ مِصرُ ومَن بالعراقِ ومَن بالعَواصِم أنِّى الفتيْ
وأنّى وفيتُ وأنّى أبَيت وأنى عتَوت على مَن عتا

فقال عضد الدولة : هُوذا[1] ، يتهدّدنا المتنبي !

ثم لما نفضَ غبارَ السفَر واستراح ، ركب إلى عضد الدولة ، فلما توسَّط الدار انتهى إلى قرب السرير مصادمة ، فقبّل الأرض واستوىٰ قائماً وقال : شكرتُ مطيَّةً حملتنى إليك ، وأملاً وقف بى عليك . ثم سأله عضد الدولة عن مسيره من مصر ، وعن على بن حمدان ؛ فذكره وانصرف وما أنشده فبعد أيامٍ حضر السِّماطَ وقام بيده دَرْج ، فأجلسه عضد الدولة وأنشد :

٣٨٨

(١) ش : « هونا » ، واثبت مافى ط

* مَغانى الشِّعبِ طيباً فى المغانى[1] *

فلما أنشدها وفرغوا من السماط ، حمل إليه عضُد الدولة من أنواع الطِّيب فى الأردية الأمنانَ من بين الكافور والعنبر والمسك والعود ، وقاد فرسه الملقب بالمجروح وكان اشتُرِى له بخمسين ألف شاة ، وبَدْرةً دراهمُها عدليَّة ، ورداءً حشوُه ديباجٌ رومىٌّ مفصَّل ، وعمامةً قوِّمت بخمسمائة دينار ، ونصلاً هندياً مرصَّع النِّجاد والجفن بالذّهب . وبعد ذلك كان ينشده فى كل حدَث يحدُث قصيدة ، إلى أن حدثَ يوم نثرِ الورد ، فدخل عليه والملك على السرير فى قبَّة يَحسِر البصَرُ فى ملاحظتها والأتراك ينثرون الورد ، فمثَل المتنبيّ بين يديه وقال : ما خدمَتْ عينى قلبي كاليوم ؟ وأنشأ يقول :

قد صدَق الوردُ فى الذى زعما أنّك صيّرتَ نثره دِيَمـا
كأنمـا مائجُ الهواءِ به بحرٌ حوىٰ مثلَ مائِه عَنَما[2]

فحُمل على فرس بمركب ، وأُلبِس خِلعة مَلَكيّة ، وَبدرةٌ بين يديه محموله .

وكان أبو جعفر وزيرُ بهاء الدولة مأموراً بالاختلاف إليه ، وحِفظ المنازلَ والمناهلَ من مصر إلى الكوفة وتعرُّفها منه ؛ فقال : كنت حاضرَه ؛ وقام ابنُه يلتمس أجرةَ الغسّال ، فأحدَّ المتنبّي إليه النظرَ بتحديق فقال : ما للصعلوك والغسّال ! يحتاج الصعلوكُ إلى أن يعمل بيده ثلاثة أشياء : يطبخ قِدْرَه ، ويُنْعِل فرسه ، ويَغسِل ثيابه ! ثم ملأ يده قُطيعات بلغت درهمين أو ثلاثة .

وورد كتابُ أبى الفتح ذى الكفايتين بن أبى الفضل — وكان من أجاود

(١) ط : « مغانى الشيب » صوابه فى ش والديوان . والبيت مطلع قصيدة يذكر فيها شعب بوان . وعجزه كما فى الديوان ٢ : ٤٤٣

* بمنزلة الربيع من الزمان *

(٢) ط : « مانج الهواء » ، صوابه فى ش والديوان ٢ : ٣٨٦

زمانِ الديلم ، فرّق فى يوم واحد بشِبْدِيز قرْمِيسِينَ ، ألفين وخَمسمائة قطعة إبرِيَسم — ومضمونُه كتاب الشوق إلى لقاء المتنّبي وتشوّفه إلى نظرته[1] فأجابه المتنبى[2] :

بِكُتْبِ الأنامِ كتابٌ وَرَدْ   فدتْ يدَ كاتبِهِ كلُّ يدْ
إذا سمعَ الناسُ ألفاظَه   خَلَقْنَ له فى القلوب الحسَدْ
فقلت ، وقد فرسَ الناظرين   كذا يفعلُ الأسدُ ابنُ الأسد[3]

فلما عاد الجواب إلى أبى الفتح ، جعل الأبياتَ سُورةً يدرسُها ، ويحكم للمتنبى بالفضل على أهل زمانه . . فقال أبو محمد بن أبى الثبات البغدادىّ :

لَواردُ شِعر كذَوْبِ البَرَد   أتانا به خاطرٌ قد جَمَدْ
فأقبل يمضَغُه بعضُنا   وهمَّ السنانير أكلُ الغُدَدْ
وقالوا : جوادٌ يفوق الجيادَ   ويسبق من عفوه المقتصدْ
ولو ولىَ النقدَ أمثالُه   لظلّتْ خفافِيشُنا تنْتقد

٣٨٩

فاستخفّ أبو الفتح به وجرّه برجله . ففارقهم وهاجر إلى أذرَبيجان ، والأميرُ أبو سالم ديسم بن شادكويه[4] على الإمْرة ، فاتّصل به وحظىَ عنده على غاية الإكرام .

---

(١) ش : « الى تطرفه »

(٢) ومثله عند البديعى ١ : ١٩٦ لكن عند العكبرى ١ : ٢٧٣ أنه أجاب بها ابن العميد

(٣) عند العكبرى : « وقد فرس الناطقين » .

(٤) ط : « شاركويه » .

وقال عضد الدولة : إن المتنبّي كان جيّدُ شعره بالعرب[١] . فأخبر المتنبّي به فقال : الشعر على قدر البقاع .

وكان عضد الدولة جالساً فى البستان الزّاهر يوم زينته ، وأكابرُ حواشيه وقوفٌ ؛ فقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكارىّ : ما يُعوِز مجلسَ مولانا سوى أحد الطائيَّين . فقال عضد الدولة : لو حضر المتنبي لناب عنهما . فلما أقام مدّة مُقامه وسمع ديوان شعره ، ارتحل وسار بمراكبه وظهوره وأثقاله وأحماله إلى أن نزل الجسر بالأهواز .

وأخبرنا أبو الحسن السوسىّ ، فى دار الوقف بين السُّورَين ، قال : كنت أتولّى الأهوازَ من قبل المهلَّبيّ ، وورد علينا المتنبي ونزل عن فرسه ومِقودُه بيده ، وفتح عِيابَه وصناديقَه لبللٍ مسّها فى الطّريق ، وصارت الأرضُ كأنها مَطارفُ منشورة[٢] ؛ فحضرْته أنا وقلت : قد أقمتُ للشيخ نُزُلا . فقال المتنبي : إن كان ثمَّ فآتيه[٣] . ثم جاءه فاتك الأسدىّ بجَمْع وقال : قدم الشيخُ فى هذه الديار وشرّفها بشعره ، والطريق بينه وبين دَيرقُنّة خَشِنٌ قد احتوشَتْهُ الصعالكة ؛ وبنو أسدٍ يسيرون فى خدمته إلى أن يقطع هذه المسافةَ ويبر كلٌّ واحد منهم بثوب بياض . فقال المتنبّي : ما أبقى الله بيدى هذا الأدهم وذُبابَ الجُراز الذى أنا متقلّدُه ، فإنّى لا أفكّر فى مخلوق ! فقام فاتك ونفضَ ثوبَه وجمع من رُتوت الأعاريب الذين يشربون دماء الحجيج حَسْواً ، سبعين رجلاً ورصَد له ؛ فلما توسّط المتنبّي الطريقَ خرجوا عليه فقتلوا كلَّ من كان فى صُحبته ، وحمل فاتكٌ على المتنبي وطعنه فى يساره ،

(١) ش : « بالغرب »
(٢) ش : « مطارد منشورة » صوابه فى ط .
(٣) ط : « فهاته » ، ش : « فآته » .

ونكّسه عن فرسه . وكان ابنه أفلت ، إلا أنَّه رجع يطلب دفاتر أبيه فقنَع خلفه الفرسَ أحدُهم وجزّ رأسه ، وصبّوا أمواله يتقاسمونها بطُرطُورة .

وقال بعضُ من شاهده : إنه لم تكن فيه فروسيّة ، وإنما كان سيفُ الدولة سلّمه إلى النخّاسين والرُّوّاضِ بحلب ، فاستجرأ على الركض والحُضْر ؛ فأما استعمال السلاح فلم يكن من عمله .

وجملة القول فيه : أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر ، وكل ما فى كلامه من (الغريب المصنّف) سوى حرف واحد هو فى (كتاب الجمهرة) وهو قوله :

* يطوى المجلِّحةُ العُقَدْ[1] *

وأما الحكمُ عليه وعلى شعره : فهو سريع الهجوم على المعانى ، ونعتُ الخيل والحرب من خصائصه ، وما كان يرادّ طبعَه فى شىء مما يسمح به ، يقبل الساقط الردىء كما يقبل النادر البدْع . وفى متن شعره وَهْى ، وفى ألفاظه تعقيد وتمويص » اهـ كلامه مع بعض اختصار .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[2] :

١٤٢ (ألاَ أضْحَتْ حِبالُكُمُ رِمامًا   وأضحتْ منك شاسعةً أُمامًا)

على أن ترخيم غير المنادى فى الضرورة جائز ، سواء كان على تقدير

---

(١) الذى فى ديوانه ١ : ٢٣٣ :

وأمضى كما يمضى السنان لطيتى   أو ى كما تطوى المجلحة العُقد

(٢) سيبويه ١ : ٣٤٣ ونوادر أبى زيد ٣١ والعينى ٤ : ٢٨٢ ، ٣٠٢ وابن الشجرى ١ : ١٢٦/٢ : ٧٩ ، ٩١ والانصاف ٣٥٣ وديوان جرير ٥٠٢

الاستقلال — وهو لغة من لا ينتظر — أو على نية المحذوف — وهو لغة من ينتظر ، كما فى هذا البيت .

٣٩٠ فإنَّ (أُماما) أصله أُمامة ؛ فلما حذف الهاء أبقى الميم على حالها ، والألف للإطلاق ؛ فلو كان على تقدير الاستقلال بجعل ما قبل الآخر فى حكم الآخر ، لضمَّ الميمَ رفعاً ، لأنه اسمُ (أضحى) . و (شاسعة) أى بعيدة خبرها .

قال الأعلم الشنتمرى : « وكان المبرد يردّ هذا ، ويزعم أنّ الرواية فيه :

* وما عهدى كعهدِكِ يا أُماما[1] *

وأن عُمارة بن عَقيل بن بلال بن جرير أنشده هكذا . وسيبويهِ أوثقُ من أن يتّهم فيما رواه » انتهى .

وقال أبو الحسن الأخفش فى شرح نوادر أبى زيد الأنصارى : « العرب فى الترخيم على لغتين : فمنهم من يقول إذا رخّم حارثاً ونحوَه : ياحارِ بكسر الراء وهو الأكثر ؛ فالثاء على هذه اللغة فى النيَّة ، فمن فعل هذا لم يُجِزْ مثلَه فى غير النداء إلاّ فى الضرورة ؛ وأنشد سيبويه لجرير :

ألا أضحتْ حبالُـكُمُ رِماما . . البيت

فأجراه فى غير النداء لِمَا اضطُرّ ، كما أجراه فى النداء ؛ وهذا من أقبح الضرورات . . وأنشد [نا] المبرِّد هذا البيت عن عُمارة :

* وما عهدى كعهدك يا أُماما[2] *

على غير ضرورة . وأنشد سيبويه لعبد الرحمن بن حسّان :

---

(١) الذى فى شرح الأعلم : « وما عهد كعهدك يا أماما » . وان كانت رواية سيبويه تطابق رواية الرضى .

(٢) الذى فى النوادر : « وما عهد كعهدك »

* من يفعلِ الحسناتِ اللهُ يشكرُها *

فحذف الفاء لِمـا اضطُرّ .

وأخبرنا المبرِّد عن المازنى عن الأصمعَى : أنه أنشدهم :

* من يفعل الخيرَ فالرحمنُ يشكرُه *

قال : فسألته عن الرواية الأولى ، فذكر أنّ النحويين صنعوها . ولهذا نظائر ليس هذا موضع شرحها .

ومنهم من يقول يا حارُ بضم الراء ، فلا يعتدّ بما حذف ويجريه مجرى زيد ؛ فحكم هذا فى غير النداء كحكمه فى النداء ؛ وعلى هذا أجرى قول ذى الرمّة :

* ديار ميّة إذ « مىّ » تساعِفنا[1] *

وهذا كثير . وكلُّ ما جاءك ، مما حُذف ، فقِسْه على ما ذكرت لك » اهـ وفيه نظر فتأمل .

و (الرمام) قال الأعلم : جمع رميم ، وهو الخلَق البالى ؛ يريد : أن حبال الوصل بينه وبين أمامة قد تقطّعت للفراق الحادث بينهما . والصوابُ ما قاله النحاس : أن الرمام جمع رُمّة بالضم وهى القطعة البالية من الحبل .

أبيات الشاهد

وهذا البيت مطلع قصيدة لجرير بن الخطَفَى ؛ وبعده :

(يشقُّ بها العساقلَ مُوجَداتٌ ·وكلُّ عرَنْدسٍ ينفى اللُّغاما)

والعساقل : جمع عَسقلة أو عُسقول ، وهو السراب واضطرابه . يريد سيرها فى الفلوات راجعةً إلى محضَرها ، بعد انقضاء زمن الانتجاع . ووهم العينيّ فقال : « العساقل : ضربٌ من الـكمأة » . وروى النحاس عن أبى

---

(١) ط : « يادارمية » ، صوابه في ش . وانظر النوادر ٣٢ .

الحسن الأخفش (يشقّ بها الأماعز) قال : يشقّ : يعلو ، وضمير بها لأمامة .
والأماعز : جمع أمعز ومَعزاء ، بالعين المهملة والزاى المعجمة ، وهو الموضع
الصلب يخلطه طين وحصًى صغار ؛ قال زهير :

يَشُجُّ بها الأماعز وهى تهوِى هُوِىَّ الدَّلوِ أسلمَها الرِشاء

والمُوجَدَة ، بضم الميم وفتح الجيم : الناقة القوية المحكمَة ، قال فى الصحاح :
« ناقة أُجُد بضمتين : إذا كانت قويّة مُوثقة الخَلْق ؛ ولا يقال للبعير أُجُد
وآجدها الله ، فهى موجَدة القِرى أى موثَّقة الظهر ؛ وبناء موجد ؛ والحمد لله
الذى آجدَنى بعد ضعف ؛ أى قوّانى » . والعرندس ، كسفرجَل : الجمل
الشديد . واللُّغام ، بضم اللام وبعدها غين معجمة : ما يطرحه البعير من
الزَّبَد لنشاطه .

وترجمة جرير تقدمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده :

٣٩١ (كِلِينى لهمّ يا أُميمةَ ناصب وليل أُقاسيه بطىء الكواكب)

تقدم شرحه قبل هذا بأربعة شواهد[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد المائة ، وهو من
شواهد س[٣] .

---

(١) انظر ص ٧٥ من الجزء الأول
(٢) انظر ص ٣٢١ من هذا الجزء
(٣) سيبويه ١ : ٣٣١ . وانظر الخزانة ٤ : ٦٤ والعينى ٤ : ٢٩٥
وابن يعيش ٧ : ٩١ والهمع ١ : ١١٩ ، ١٨٥ وشرح شواهد المغنى ٢٨٧
وديوان القطامى ٣٧

١٤٣ (قِفِي قبلَ التفرُّقِ يا ضُبَاعا   ولايكُ مَوقفٌ منكِ الوَدَاعا)

على أنه مرخَّم (ضُباعة) فحذفت الهاء للترخيم، وألف الترخيم تغنى عنها.

قال الأعلم وغيره: الوقف عليها عوضًا من الهاء، لأنهم إنما رخّموا ما فيه الهاء، ثم لما وقفوا عليه ردّوا الهاء للوقف، فلما لم يمكنهم ردُّ الهاء ههنا، جعل الألف عوضا منها على ما بيَّنه سيبويه.

قال الدَّمامينى فى شرح التسهيل: «قد يقال: لا نسلِّم أن هذه الألف عوض عن التاء المحذوفة، بل هى ألف الاطلاق. وهذه المسألة لا يستدلّ عليها بالشعر، فإن ثَبتَ فى النثر مثلُ ذلك تمّت الدعوى، وإلاّ فلا».

قوله (ولا يك موقف.. الخ) يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون على الطلب والرغبة، كأنه قال: لا تجعلى هذا الموقف آخر وَداعى منك. والوجه الآخر أن يكون على الدعاء، كأنه قال: لا جعل الله موقفَكِ هذا آخر الوداع. كذا فى شرح أبيات الجمل للخمىّ. ففيه حذف مضاف من الوداع، وقدَّره بعضهم: مَوقفَ وَداع، وهذا أحسن. وروى أبوالحسن الأخفش، وهو سَعيد ابن مَسْعَدة المجاشِعىّ (فى كتاب المعاياة):

* ولا يك موقفاً منك الوَداعا *

وقال: «نصب موقفا لأنه أراد: قفى موقفاً، ولا يكن الوداعا. هذا إنشاد بعضهم فيما ذكروا، ورفع بعضهم موقفاً، وهو أبينها» اه. وعليه فاسم يكُ ضمير المصدر المفهوم من قفى، كأنه قال: ولا يكنْ موقفُك موقفَ الوداع. وقوله: «ورفع بعضهم موقفاً.. الخ» هو المشهور فى الرواية، لكن فيه الإخبار بالمعرفة عن النكرة. وسيأتى الكلام عليه، إن شاء الله تعالى، فى باب الأفعال الناقصة.

و (ضُبَاعة) بنت زُفَر بن الحارث الآتى ذِكره .

قال اللخمى : وفيه عطف المعرب على المبنى ، لأنَّه عطَف ولا يك ، وهو معرب ، على قفى وهو مبنى ، وإنما سوّغ ذلك وجودُ العامل وهى لا ، كقوله تعالى : (وقالَ الذين كفَروا للذينَ آمَنوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا ولْنَحْمِلْ خَطاياكم[1]) ولو قلت : اقصدْنى وأُكرِمْك ، بالجزم على اللفظ ، لم يجزْ على مذهب البصريين ؛ لأن اقصدْنى فعل مبنىّ لا جازم له ، فلا يعطف على لفظه ؛ كما لا يجوز : هذهِ حَذامِ وأُختِها — بالجرّ على لفظ حذامِ — فإن قلت : اقصدْنى فَلأُحدِّثْك، فأدخلت لام الأمر، جازت المسألة كما تقدَّم فى الآية ..

أقول : هذا مايتعجَّب منه ؛ فإن العطف فيه إنما هو من عطف جملة على جملة ، لا من عطف معرب على مبنىّ ؛ ولا حاجة إلى التطويل من غير طائل .. قال : وفيه حذف النون من يكن تخفيفاً ، وسوَّغ ذلك كثرةُ الاستعمال ، أو للجزم على مذهب أبى على .

قصيدة الشاهد

وهذا البيت مطلع قصيدة للقَطامىّ ، مدح بها زُفَر بن الحارث الكلابى . وكان بنو أسد أحاطوا به فى نواحى الجزيرة وأسروه يوم الخابور وأرادوا قتله ، فحال زُفر بينه وبينهم ، وحماه ومنعه ، وحمله وكساه ، وأعطاه مائة ناقة . فمدحه بهذه القصيدة وغيرِها ، وحضّ قيساً وتغلب على السِّلم . وبعد هذا البيت :

٣٩٢

(قِفى فادِى أسيرَكِ، إنّ قومى وقومَك لا أرىٰ لهمُ اجتماعا

وكيف تجامُعٌ مع ما استَحَلّا من الحُرَم الكِبارِ وما أضاعا

ألمْ يحزُنْكِ أنّ حِبالَ قيس وتغلبَ قد تباينتِ انقطاعا

(١) الآية ١٢ من سورة العنكبوت .

يُطيعون الغُواةَ ، وكان شرًّا لمؤتمِرِ الغَواية أنْ يُطاعا
ألم يحزُنْكِ أنَّ ابنَيْ نزارٍ أسالاَ من دمائهما التِلاعا)

إلى أن قال :

(أمورٌ لو تلافاها حليمٌ إذاً لَنهىٰ وهبَّبَ ما استطاعا
ولكنّ الأديمَ إذا تفرّىٰ بِلًى وتَعَيُّناً غَلَبَ الصَّناعا[1]
ومَعصيةُ الشفيق عليك ممَّا يَزيدكَ مرَّةً منه استماعا
وخيرُ الأمرِ ما استقبلت منه وليسَ بأن تتبَّعه اتّباعا
كذاك ، وما رأيتُ الناس إلاّ إلى ما ضرَّ غاويَهمْ سِراعا
تراهم يَغمِزون مَن استركّوا ويجتنبون مَنْ صدَق المِصاعا)

وقوله : فَفِي فادى أسيرك ، خطاب لضُباعة بنت زُفَر ، لأنه كان عند والدها أسيراً . والمُفاداة : أخذ الفدية من الأسير وإطلاقه . والحبال : المواصلة والعهود التى كانت بين قيس وتغلب . وتباينت : تفرقت . روى أن ضُباعة لمَّا سمعت قوله ألم يحزنك إلخ قالت : « بلى والله لقد حزَنني » . وأحزنني وحزَنني لغتان . والمؤتمِر : الذى يرى الغواية رأيا ، ويأمر بها نفسه . يقول هو : شرٌّ للغاوى أن يُطاع فى غيِّه . وابنا نزار . ربيعة ومضر . والتَّلعة : مسِيل من الارتفاع إلى بطن الوادى . وتلافاها : تدارَكها . وهبَّب بالقتل ، بموحّدتين ، أى أمَر به . وتفرّىٰ : تشقّق . [وتعيّن[2]] السِقاء والمزادة : إذا رقّت منهما مواضعُ وتهيّأت للخرق . والصَّناع ، بالفتح : الحاذقة بعمل اليدين . وقوله :

(١) ط : « وتعيبا » ، صوابه فى ش والديوان ٣٦ .
(٢) هذه التكملة من ش

ومعصية الشفيق . . الخ ، يقول : إذا عصيتَ الشفيقَ عليك ، الحريصَ على رشدك ، تبينتَ فى عواقب أمرك الزلل ، فزادك ذلك حرصاً على أن تقبل نصحه . وقوله : وخير الأمر ما استقبلت ، أى خير الأمر ماقد تدبَّرت أوّله فعرَفت إلامَ تئول عاقبته ، وشرّه ماتُرِك النظر فى أوله ، وتُتبِّعت أواخره بالنظر . واستشهد به الزمخشرى عند قوله تعالى : (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ[1]) ، على أن تقبَّل بمعنى استقبل ، كتعجَّله وتقصَّاه بمعنى استعجله واستقصاه ، من استقبل الأمرَ : إذا أخذه بأوائله ، كما فى البيت . وقوله : كذاك وما رأيت الناس . . الخ ، ورُوى :

* إلى ما ضرَّ جاهلَهم سِراعا *

أى يسارع الجاهلُ إلى ما يضره . وقوله : تراهم يغمزون . . الخ ، استركّوا : استضعفوا ، والركيك : الضعيف . والمِصاع ، بالكسر : المجالَدة بالسيف . يقول : يستضعفون الضعيفَ فيطعنون فيه . والغمزُ هنا : الإشارة بالعين والرأس .

ترجمة القطامى

و (القطامىّ) اسمه عُمير بن شُيَيم التغلَبىّ : تغلب بن وائل . وعُمير مصغر عمرو ، وكذلك شيَيم مصغّر أشيم ، وهو الذى به شامة . ويقال شِيَيم بكسر الشين أيضاً . وضبطه عيسى بن إبراهيم شارح أبيات الجمل : سُدَيم ، بسين مهملة مضمومة . وله لقبان أحدهما القَطامى ، منقول من الصَّقر ، لأنَّ الصقر يقال له قَطامىّ ، بفتح القاف وضمِّها ، وهو مشتقّ من القطَم بالتحريك ، وهو شهوة اللَّحم وشهوة النِّكاح ، يقال فحل قَطِمٌ : إذا هاج للضِراب .

٣٩٣

---

(١) الآية ٣٧ من آل عمران

وهو لقبٌ غلب عليه، لقوله:

يَصُكُّهنّ جانباً فجانبا صكّ القَطامىّ القَطا القواربا

واللقب الآخر «صريع الغوانى». قال النطّاح: أوّل من سمِّى صريع الغوانى، القطامىُّ بقوله:

صريع غوانٍ راقَهنّ ورُقنَه لدنْ شَبَّ حتى شابَ سودُ الذوائب

أى صرعَه حبّهن حتى لا حَراكَ به. والغوانى: الشوابّ. وقال أبو عبيدة: ذوات الأزواج غَنِينَ بأزواجهنّ.

وصريع الغوانى لقب «مسلم بن الوليد» أيضاً، لقّبه هارون الرشيد، بقوله:

هل العيش إلاّ أنْ تروحَ مع الصِّبا
وتغدُو صريعَ الكأسِ والأعيُن النُّجلِ!

والقطامى كان نصرانياً فأسلم. وهو ابن أخت الأخطل النصرانى المشهور. وعدّه الجمحى فى الطبقة الثانية من شعراء الإسلام. قال بعضُ علماء الشعر: أحسنُ الناس ابتداءً فى الجاهليّة، امرؤ القيس، حيث يقول:

ألا عِمْ صباحاً أيّها الطللُ البالى وهل يعِمَنْ مَن كان فى العُصُر الخالى

وفى الإسلام، القطامىّ، حيث يقول:

* إنّا مُحَيُّوكَ فاسلَم أيُّها الطللُ *

ومن المولَّدين، بشّار، حيث يقول:

أبى طللٌ بالجزْعِ أنْ يتكلما وماذا عليه لو أجاب مُتيَّما

وذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف مَن يقال له القطامى ثلاثة: أولهم هذا؛ والثانى: القطامىّ الضُّبَعىّ، ضُبيعة بن ربيعة بن نزار: أحد ولد

القطاميون

كان الساهرىّ [١] و صاحبَ شراب ؛ ومن شعره :

أفِرُّ إذا أصبحتُ من كلِّ عاذلٍ فأُمسِى وقَدْ هانتْ علىَّ العواذلُ

وكان أبوه من أصحاب خالد القسرىّ . والثالث القطامىّ الكلبى ، واسمه الحصين [٢] ؛ وهو أبو الشرْقىّ بن القطامىّ . شاعر محسن ؛ وهو القائل لما بلغه خبر يزيد بن المهلَّب :

لعلَّ عينى أن ترى يزيدَا يقودُ جيشاً جحفلا رشيدَا
ترىٰ ذَوِى التاج له سُجودا [٣]

زفر بن الحارث

وأمّا (زُفَر بن الحارث) فهو أبو الهذيل زُفر بن الحارث بن عبد عمرو ابن مُعاذ [٤] بن يزيد بن عمرو بن الصَّعِق بن خُليد بن نُفيل بن عمرو بن كِلاب الكلابىّ .

كان كبيرَ قيس فى زمانه ، وفى الطبقة الأولى من التابعين ، من أهل الجزيرة . وكان من الأمراء . سمع عائشة ومعاوية . وشهد وقْعة صِفّين مع معاوية أميراً على أهل قِنّسرين ؛ وشهد وقعة مَرْج راهِط مع الضحّاك بن قيس ، فلما قُتل الضحّاك هرب إلى قِرقِيسا [٥] ، ولم يزل متحصّناً فيها حتّى مات فى خلافة عبد الملك بن مروان ، فى بضع وسبعين .

---

(١) ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ٣١٦ وقال : « ومنهم الساهرى ، وقد باد نسله . والساهرى منسوب الى الساهرة ، وهى أرض بيضاء » . وفى المؤتلف ١٦٦ أنه الساهرى بن وهب بن جلى بن أحمس »

(٢) فى المؤتلف : « الحصين بن حمال بن حبيب ، أحد بنى عبدود ابن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف » .

(٣) بين هذا الشطر وسابقه فى المؤتلف :

تسمع للأرض به وئيدا لا برما هذا ولا حسودا

(٤) فى المؤتلف ١٢٩ : « زفر بن الحارث بن معاذ » . معان تصحيف

(٥) قرقيسا ، بالكسر ويقصر : بلد على الفرات ، كما فى القاموس وقال : سمى بقرقيسا بن طهمورث . وجعله ياقوت : « قرقيسياء » بياء ثانية وبفتح القاف الأولى مع المد ، ثم قال : « ويقال بياء واحدة » .

وكان الضحّاك بن قيس ومعه النُّعمان بن بَشير الأنصاريّ يدعو فى الشام لعبد الله بن الزُّبير ، ومرْوانَ بن الحكم مع بنى أميّة يدعو لنفسه ؛ فالتقى الفريقان فى مَرْج راهِط ، وكان مع الضحّاك ستّون ألفَ فارس ، ومع مروان ثلاثة عشر ألفاً . فقال عُبيد الله بن زياد لمرْوان : إن فُرسان قيس مع الضحّاك ، فلا تَنالُ منه إلاّ بكيد ! فأرسل مرْوانُ إلى الضحّاك ، يسأله الموادَعة حتّى ننظر فى المبايعة لابن الزبير ، فأجابه الضحّاك ، ووضع أصحابه سلاحَهم ؛ فقال ابن زياد : دونَك ! فشدّ مرْوان على الضحّاك ، فقُتِل الضحّاك والنعمان ورجالُ قيس . ولما هرب زُفَر ، جاءته خيلُ مرْوان ففاتها وتحصّن ، وقال فى ذلك :

أَرِيـنى سلاحى لا أبالَكِ ، إنّنى ... أرى الحربَ لا تزدادُ إلاّ تماديا [1]

أتانىَ عن مرْوانَ بالغيبِ أنّه ... مُقِيدٌ دَمى أو قاطعٌ من لسانيا

وفى العِيس مَنجاةٌ وفى الأرض مَهربٌ ... إذا نحن رفّعنا لهنّ المثانيا [2]

فلا تحسَبونى ، ان تغيّبتُ غافلاً ... ولا تفرحوا ، إن جئتكم ، بلقائيا

فقد ينبُت المرعىٰ على دِمَن الثرىٰ ... له ورَقٌ مِن تحته الشرُّ باديا

ويَمضى ولا يبقىٰ على الأرض دِمنةٌ ... وتَبقى حَزّازاتُ النفوس كما هِيَا ؟ [3]

ويذهَبُ يومٌ واحدٌ إن أسأتُه ... بصالح أيّامى وحُسْنِ بَلائيا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد المائة [4] :

---

(١) الأبيات فى الطبرى ٧ : ٤١ ـ ٤٢ فى حوادث سنة ٦٥

(٢) سبق هذا البيت والذى قبله فى ١ : ١٩١ بولاق منسوبين الى جميل . ط : « لهن المباينا » ، صوابه فى ش والمرجعين السابقين

(٣) هذا البيت والذى قبله ركب صدر أولهما على عجــز الثانى فصارا بيتا واحدا عند الطبرى هكذا :

فقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

(٤) انظر المخصص ١٥ : ١٢٢ واللسان (طرق ٨٨ كرا ٨٤) وأمثال الميدانى ١ : ٣٩٥ والكامل ٢٦١

١٤٤ (أطْرِقْ كَرَا)

وهو صدر بيت وهو :

(أطرِقْ كَرَا أطرِقْ كَرَا إنّ النَعام فى القُرىٰ)

على أن (الكرا) ذَكَر الكَرَوان وليس مرَخَّماً منه .

وهذا بيت من الرجز ؛ وهو مثَل . وقد اختُلف فى قدره ، وفى معنى الكرا والكروان ، وفى معنى البيت :

أما (الأوّل) فقد أورده ابن الأنبارىّ ، وابن ولاّد ، وأبو علىّ القالى ، والجوهرىّ فى الصحاح ، والصاغانى فى العباب ؛ كما ذكرنا ؛ وأورده المبرّد فى الكامل ، والزمخشرى فى مستقصى الأمثال ، والشارح أيضاً فى آخر بحث الترخيم هكذا : « أطرق كرا إنَّ النعامَ فى القُرىٰ » بناء على أنه نثر لا نظم ، وصوابه أطرقْ كرا مرّتين ، كما نبّه عليه ابن السِّيد البطَلْيَوسىّ فيما كتبه على الكامل . وزاد الشارح هناك[1] ، « ما إنْ أرىٰ هُنا كَرَا » ولم أر هذه الزيادة لغيره .

وأما (الثانى) : فالمشهور أن الكَروان طائر طويل العنق والرجلين ، أغبر ، له صوت حَسن ، وهو أكبر من الحمامة . وقال أبو حاتم فى كتاب الطير : الكَروان القبَج[2] أى الحجَل . وقيل : هو الُحبارىٰ . وقال الزمخشرىّ : هو ذكر الُحبارىٰ . وقيل : هو الكُرْكىّ . والكرا يكتب بالألف . قال المبرِّد : وهو مرخم الكَروان وتبعه من جاء بعده . قال القالىُّ :

(١) الرضى ١ : ١٤٦

(٢) ط : « الصيح » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وهو معرب « كبك » الفارسية .

الكرا : الكَرَوان . وهو عند أهل النظر والتحقيق من أهل العربية ترخيم كروان . وإنّما أراد الراجز : أطرق يا كروان ، فرخّم .

وما قاله الشارح من أنّ الكرا ذكر الكَرَوان ذكره صاحب القاموس أيضاً ، ونسبه ابن عَقيل فى شرح التسهيل إلى المبرّد . والظاهر من كلام ابن الأنبارى وابن ولّاد الترادفُ ، فإنهما قالا : الكرا : الكَرَوان . لا أنَّه مرخّم منه . وكذلك قال الأعلم فى شرح ديوان طرَفة : إن الكروان طائر يقال له الكرا أيضاً ، ومنه المثل أطرق كرا . . الخ . وكذلك قال فى أمثاله أبو فَيد مؤرِّج بن عمرو السَدوسىّ : « إن كرا اسم ، وكَروان اسم ، فإنهم قالوا : هو مثل مُضَبَّر وضُبارم ، وعَيطاء وعَيطَمُوس ، وأهوج وهَيْجَمُوس . وهو أشبه الأمرين ، لأنَّهم جمعوه فقالوا : كراً وِكرْوان مثل فتى وفِتْيان ، قال طرفة :

٣٩٥

لنا يوم وللكِرْوانِ يومٌ تَطيرُ البائساتُ ولا نَطيرُ[1]

فجعله جماعة الكرا ، ألا ترى [أنّه[2]] قال : البائسات ؟ وكذلك تنشده العرب ولم ترهم رخّموا ثم جمعوا على الترخيم . وجمعوه على الكِرْوان بالكسر ولم يقولوا : الكَراوين والكِروانات » . انتهى

وعلى هذا يسقط منه شذوذانِ : الترخيم ، وتغييره ويبقى شذوذ واحد ، وهو حذف حرف النداء [مع اسم الجنس . ويدلُّ على الترادف وعلى أنه ذَكَرُه ورودُ الكَرا فى غير النداء[3]] .

أنشد ابن ولّاد والزمخشرى للفرزدق قولَه :

(١) هذا البيت هو الشاهد ١٥٢ .
(٢) تكملة يقتضيها الكلام .
(٣) هذه التكملة من ش

أَأَلآنَ لمّا عضّ نابى بمسحلى وأطرق إطراق الكرا من أحاربُه

وقال آخر :

إذا رآنى كلُّ بَكْرىّ بكىْ أطرَقَ فى البيت كإطراق الكرا

وأما معناه فقد قال ابن الأنبارى والقالىّ : معنى البيت : أغضِ فإن الأعزّاء فى القُرىٰ ، والكروان طائر ذليل يقول : ما دام عزيزٌ موجوداً ، فإياك أيّها الذليل أن تنطق . ضرب به مَثلاً .

وقال الشارح المحقق فى آخر بحث النداء : « هو رُقية يصيدون بها الكرا فيسكُن ويُطرق حتّى يصاد » . وهو فى هذا تابع للزمخشرى فإنه قال : « يقال للكروان ذلك إذا أريد اصطياده . أى تطأطأ واخفِض عنقَك للصَّيد ، فإنّ أكبر منك وأطولَ أعناقاً ، وهى النعام ، قد صِيدَت وحملت من الدَّوِّ إلى القُرىٰ . يُضرَب لمن تكبّر وقد تواضع مَن هو أشرفُ منه . ومثله لصاحب القاموس ، فإنه قال : « وأطرِقْ كرا ، يضرب لمن يخدَع بكلام يُلطَّفُ له ويراد به الغائلة » .

وقال ابن الحاجب فى الإيضاح : وأطرِق كرا مثلٌ لمن يتكلّم وبحضرته أولىٰ منه بذلك : كأنّ أصله خطابٌ للكروان بالإطراق لوجود النَّعام ؛ ولذلك يقال إنّ تمامه :

. . . أطرِقْ كرا إنّ النَّعام فى القُرىٰ

ويقال إنّ الكَروان يخاف من النعام .

ومثله فى العباب للصاغانى فإنه قال : وأطرقَ : أرخىٰ عينه ينظر إلى الأرض ؛ وفى المثل : أطرق كرا . . البيت . يضرب للمُعجَب بنفسه ، وللذى ليس عنده غَناء ويتكلّم ، فيقال : اسكت وتوقَّ انتشارَ ما تلفظ به ؛ كراهيةَ ما يتعقّبه .

وقولهم : إن النعام فى القرىٰ أى تأتيك فتدوسك بمناسمها . ويقال أيضاً : أطرق كرا يجْلب لك[1] يضرَب للأحمق فى تمنّيهِ الباطل فيصدّق .

وقال الأعلم الشنتمرىّ فى شرح الأشعار الستة : يضرب للرجل يَظُنّ أنّك محتاج إليه ، فتقول له : اسكنْ فقد أمكننى مَن هو أنبلُ منك وأرفع . والنعام إنّما يكون فى القِفَار ، فاذا كان بالقُرى فقد أمكَن . انتهى

(تتمة)

كرَاون يجمع على كراوين كوَرَشان يجمع على ورَاشين ، وقالوا يجمع أيضاً على غير قياس على كِرْوان بكسر الكاف وسكون الراء كما يجمع وَرَشان على ورْشان ؛ وهو جمع بحذف الزوائد . كأنّهم جمعوا كراً مثل أخٍ وإخوان .

٣٩٦

قال ابن جنّي فى الخصائص : وذلك أنّك لمّا حذفت ألفَه ونُونه بقى معك كرَوَ ، فقلبت واوه ألفاً لتحرّكها وانفتاح ما قبلها طرَفاً ، فصارت كرا ، ثم كسّرت كرا على كرْوان كشبَث وشِبْثان ، وخرَب وخِرْبان . وعليه قولهم فى المثل : أطرقْ كرا ، إنّما هو عندنا ترخيم كرَوان على قولهم يا حارُ ، بالضم . قالوا : والألف فى كِرْوان إنما هى بدل من الألف المبدلة من واو كرَوان . انتهى

وزعم الرياشى أنّ الكرَوان والكِرْوان للواحد ، وكذلك وَرَشان وورْشان . ويردّه قول ذى الرُمّة :

مِنَ آل أبى موسى ، ترى الناسَ حولَه كأنّهمُ الكِرْوانُ أبصَرْنَ بازيا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والاربعون بعد المائة ، وهو من شواهدس[2]:

---

(١) الذى فى الميدانى : « يحلب » بالحاء المهملة

(٢) سيبويه ١ : ٣٣٥ ، ٣٣٦ وابن الشجرى ٢ : ٨١

١٤٥ (فقالوا تعالَ يا يزِى بنَ مُخَرَّمٍ فقلتُ لهم : إنّى حَليفُ صُداءِ[1])

على أنّ المرخم يجوز وصفه إلاّ عند الفرّاء وابن السرّاج ، أراد الشاعر : يا يزيد بن مخرّم .

وعند سيبويه حذفت الدال للترخيم ، والياء لالتقاء الساكنين . وقال الفرّاء : كلاهما حذف للترخيم . فإنّ مذهبه حذف الساكن مع الآخر فى الترخيم ، فيقول فيمن اسمه قِمَطْرياقِم ، كذا فى الإيضاح لابن الحاجب .

قال الشاطبّى فى شرح الألفيّة : شرط المؤنث بالتاء المرخّم أن لا يكون موصوفاً ؛ لأن الترخيم حذف آخر الاسم للعِلْم به ، والصفة بيان للموصوف لعدم العِلْم به ، فهما متدافعان . ولذلك قال سيبويه فى قوله :

* إنّك يا مُعاوِ ، يا ابنَ الأفضَل[2] *

إنه ترخيم بعد ترخيم . وقد نصّ على هذا الرمّانى ، وتبعه ابن خروف ، وقال فى البيت : لا يصلح فيه النعت ، لأنه منادى مرخّم ، فهو فى نهاية التعريف ، فنعْته بعيد . فعلى هذا يكون قول يزيد بن مخرِّم ــ وأنشده سيبويه ــ :

فقلتم تعالَ يا يزى بنَ مخرّمٍ . . البيت

شاذًا . ويجرى مجرى النعت على هذا التقدير التوابعُ كلّها : من العطف البيانّى والتوكيد ، إلاّ البدلَ ففيه بحث ، وإلاّ العطفَ النسَقىَّ فإن كل واحد منهما ، أعنى من المعطوف والمعطوف عليه ، مستقلّ بالعامل من جهة المعنى . وفيه نظر أيضاً . انتهى

(١) وكذا عند ابن الشجرى . وفى سيبويه : « مُخرِّم »

(٢) سيبويه ١ : ٣٣٤ والخصائص ٣ : ٢١٦ والهمع ١ : ١٨٤ وديوان العجاج ٤٨ . ورواية الديوان :

* انك يايزيد يابن الأفحل *

ثم قال : وهذا الشرط منازَعٌ فيه . وأجاب الشَّلَوبين بأنه قد يتوجّه العِلْم المشتَرَط فى الترخيم على الاسم ، وعدمُ العلْم على المسَّمى ، فلا يتدافعان . وأما بيت سيبويه فلعلّه إغرابٌ من سيبويه ، إذْ كان الوجه الآخر لا غرابة فيه ، أو لعلّه اختيار منه لذلك الوجه ؛ لأنّه موضع مدح ، فتكرير النداء فيه أفخم من الإتيان به وصفاً . هذا ما قال ؛ ويقوِّيه أن سيبويه أنشد :

* فقلتم تعالَ يا يزى بنَ مخرِّم *

على أنّه ليس من الشاذّ ، بل على أنه من الجائز بإطلاق ، وهو مع ترخيم الهاء أجود ، ومثله قول امرئ القيس :

* أحارِ بنَ عمرٍو كأنّى خَمِرْ *

وهذا الشاهد دالّ على جواز ترخيم الموصوف من باب الأوْلى ، لأنّه من الموصوف بابن ؛ وتقرّر فى الكلام صيرورة ابن مع الموصوف فى حكم المركب ، بدليل حذف التنوين . فإن كان هذا يجوز ترخيمه ، فمن باب أولىٰ جواز ترخيم نحو : يا طلحة الفاضل ، ويا حارث الفاضل ؛ فتقول : يا طلح الفاضل ويا حار الفاضل . وكذلك المعطوف والمؤكد والمبدل منه . انتهى

و (مخرّم) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وكسر الراء المشدّدة[1] .

و (يزيد بن المخرِّم) من أشراف بنى الحارث من أهل اليمن . والمخرِّم هو ابن شُريح بن المخرِّم بن حَزْن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب ابن الحارث .

٣٩٧

وكان يزيد بن المخرّم ممن جاء مع عبد يغوث الحارثى فى يوم الكُلاب

(١) أنظر ما سبق فى ص ٣٧٨ حاشية : ١ من هذا الجزء .

الثانى (وقد مضى شرحه فى الشاهد الخامس والستين[1]) ، وقُتِل يزيد ابن المخرِّم فى ذلك اليوم مع يزيد بن عبد المَدَان ويزيد بن الهَوْبَر[2] . وأُسِر عبد يغوث (كما تقدّم شرحه) . ولما وقعت الهزيمة عليهم ، جعلَ رجلٌ من بنى تميم يقول :

يا قَوم لا يُفلِتكمُ اليزيدانْ يزيد حَزْن ويزيد الديان

ويروى : مخرِّماً أُعنى به والدّيّان[3]

وصُداء بضم الصاد وفتح الدال المهملتين وبالمدّ : حىٌّ من اليمن ، منهم زياد بن الحارث الصُّدَائىّ الصحابىّ رضى الله عنه .

والحليف : المحالف والمعاهد . وروى البيت هكذا :

(فقلتم تعالَ يا يزَى بنَ مخرِّم فقلت لكم : إنّى حليف صُداء)

وهو من أبيات ليزيد بن المخرِّم المذكور آنفا .

* * *

وأنشد بعده : كلينى لهمٍّ يا أميمة ناصب[4]

وتقدّم شرحه قبل هذا بثمانية شواهد[5]

* * *

(١) الجزء الأول ص ٤١٠/٤١١ وما بعدها

(٢) ش : « ويزيد هو ابن الهوبر » ، صوابه فى ط

(٣) انظر رواية الرجز فيما سبق ، وكذا فى الأغانى ١٥ : ٧٠

(٤) ط : « يا أمية » ، صوابه فى ش

(٥) ص ٣٢١ من هذا الجزء .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[1] :

١٤٦ (عَجِبْتُ لمولُودٍ وليسَ له أبٌ وَذِى وَلَدٍ لم يَلْدَهُ أبَوَانِ)

على أن سيبويه استشهد به فى ترخيم أسحارّ[2] فى أنك تحرّكه بأقرب الحركات إليه ، وكذا تقول : اِنطَلْقَ إليه ، فى الأمر ؛ تسكّن اللام فتبقى ساكنة والقاف ساكنة،فتحرِّك القاف بأقرب الحركات إليها وهى حركة الطاء .

قال أبو جعفر النحاس : « فإن قيل : فقد جئتَ بحركة موضعَ حركة ، فما الفائدة فى ذلك ؟ فالجواب: أنّ الحركة المحذوفة كسرة » انتهى . أى فالفتحة أخفّ منها . فأصل (يَلْدَه) يلِدْه بكسر اللام وسكون الدال للجزم ، فسكّن المكسور تخفيفا ، فحرّكت الدال دفعاً لالتقاء الساكنين بحركة ، وهى أقرب الحركات إليها ، وهى الفتحة ؛ لأن السّاكن غير حاجز حصين[3] . قال المبرّد فى الكامل : كل مكسور أو مضموم ، إذا لم يكن من حركات الإعراب، يجوز فيه التسكين . وأنشدَ هذا البيتَ وقال : لا يجوز ذلك فى المفتوح لخفّة الفتحة . انتهى

ووقع هذا البيت فى رواية سيبويه :

(ألا ربَّ مولودٍ وليس له أب)

وكذا أوردَه ابن هشام فى مغنى اللبيب شاهداً على أن ربّ تأتى بقلة لإنشاء

---

(١) سيبويه ١ : ٣٤١ و ٢ : ٢٥٨ . وانظر العينى ٣٠ : ٣٥٤ والخصائص ٢ : ٣٣٣ وابن يعيش ٤ : ٩/٤٨ : ١٢٣ ، ١٢٦ والهمع ١ : ٢/٥٤ : ٢٦ وشرح شواهد المغنى ١٣٦

(٢) ط : « استحار » ، صوابه فى ش وسيبويه وشرح الرضى ١ : ١٤٠ . وفى القاموس . الإسحارّة ، والإسحارّ ، ويفتح والسِّحار : بقلة تسمِّن المال

(٣) الوجه « حاجز غير حصين » .

التقليل ، كهذا البيت ، وفى الأكثر أنها لإنشاء التكثير . وكذا أورده غيره .
ولا تلتفتْ إلى قول ابن هشام اللخمىّ مع رواية سيبويه : « الصوابُ عجبت لمولود » . لأنّ الروايتين صحيحتان ثابتتان .

ونسبه شرّاح أبيات سيبويه لرجل من أزْد السَّراة . وبعده :

(وذى شامَةٍ سَوداء فى حُرِّ وجهِهِ مخلَّدَةٍ لا تنقضى لأوانِ
ويكمُلُ فى خَمسٍ وتسعٍ شبابُهُ ويَهرَم فى سَبعٍ معا وثمانِ)

وعلى هذه الرواية لا وصفَ لمجرور ربّ ، لأنه لا يلزم وصفه عند سيبويه ومن تبعه . فجملة (وليس له أب) حال من مولود ؛ والعامل محذوف ، وهو جواب ربّ ، تقديره : يُوجَد ونحوه . والتزم المبرِّد وتابِعوه وصفَ مجرورها ؛ فتكون الجملة صفة له ، والواو هى الواو التى سمَّاها الزمخشرىّ واو اللُّصوق ، أى لصوق الصفة بالموصوف ، وجعل من ذلك قوله تعالى : (وما أهلَكْنا مِنْ قَرْيةٍ إلاّ وَلَها كتابٌ مَعْلُوم[1]) . و (ذى ولد) معطوف على (مولود) . وأراد بالأوّل عيسىَ بنَ مريم ، وبالثانى آدمَ أباالبشر عليهما السلام ، قال أبو على الفارسىّ : إن عَمراً الجَنْبِيَّ سأل امرأ القيس عن مُرادِ الشاعر ، فأجابه بهذا الجواب — وجَنْب بفتح الجيم وسكون النون : قبيلة فى اليمن ؛ وعمرُو هذا منسوب إليها — وقيل : أراد بذى الولد البيضة ، وقيل : أراد به القوس وولدها السهم لم يلده أبوان ، لأنه لا تتَّخذ القوسُ إلاّ من شجرة واحدة مخصوصة . وهذان القولان من الخرافات ؛ فإنّ البيضةَ متولّدة من أنثى وذكر ، والقوسَ لا تتَّصف بالولادة حقيقة ؛ وإن أراد بها التولّد وهو حصول شىء من شىء فليست مما ينسب إليه الوالدان .

٣٩٨

(١) الآية ٤ من سورة الحجر .

وأراد بذى شامة: القمر ، فإنّه ذو شامة ، وهى المَسْحة التى فيه، يقال : إنها من أثر جَناح جبريل عليه السلام لما مَسحه ؛ والشامة : علامة مخالفة لسائر البدن ؛ والخال هى النكتة السوداء فيه . وأراد بكمال شبابه فى خمس وتسع ، صيرورتَه بدراً فى الليلة الرابعة عشرة ، لأنّه حينئذ فى غاية البهاء والضياء ، كما أن الشابّ فى غاية قوّته وحسن منظره فى عنفوان شبابه . وأراد بهَرَمه ذهابَ نوره ونقصانَ ذاته فى الليلة التاسعة والعشرين ، فإن السبعة والثمانية ، وهى خمسة عشر ، إذا انضمّت مع الخمسة والتسعة ، المتقدّمة ، وهى أربعة عشر ، صارت تسعة وعشرين . وهذا الضمّ استفيد من قوله : معا . ورُوى : (مضَتْ) بدلَ معاً . وروىٰ بعضهم : (وذى شامةٍ غرّاء) أى بيضاء ؛ وهذا غير مناسب . وحُرّ الشىء : خالصه ؛ وحُرّ الوجه : ما بدا من الوجنة ، أو ما أقبل عليكَ منه ، أو أعتَقُ موضعٍ فيه . ومخلّدة بالخاء المعجمة والدال ، أى باقية ؛ وهو بالجرّ صفة لشامة ، وبالنصب حال منها للمسوّغ . وروىٰ بعضهم : (مجلّلة) اسم فاعل من التجليل ، بجيم ولامين وهو التغطية . وهذا أيضاً غير مناسب . وفسّرها بعضُهم بذات العز والجلال . وروى أيضاً : (مجلّحة) بتقديم الجيم على الحاء المهملة ؛ وفسّره بمنكسفة وهذا كلُّه من ضِيق العطَن : لا الروايةُ لها أصل ، ولا هذا التفسيرِ ثابتٌ فى اللغة . واللام فى قوله : لأوَان ، بمعنى فى ، كقوله تعالىٰ : (وَنَضَعُ المَوازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القيامَةِ[1]) ، وقولهم : مضىٰ لِسبيله ؛ أو بمعنى عند ، كقولهم : كتبته لخمسٍ خلَون ؛ أو بمعنى ، بعد كقوله تعالى : (أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ[2]) . قال البيضاوىّ ، فى قوله تعالى : (لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إلاّ هُوَ[3]) : لا يظهر أمرها فى وقتها . والمعنى :

(١) الآية ٤٧ من سورة الأنبياء .
(٢) الآية ٧٨ من سورة الاسراء .
(٣) الآية ١٨٧ من سورة الأعراف .

أن الخفاء بها استمرّ على غيره إلى وقت وقوعها . واللام للتأقيت كاللام فى قوله تعالى : (لدُلوكِ الشَّمس) . وقال العينيّ : « هى للوقت . ولا يقال : هذا إضافه الشىء إلى نفسه ؛ لأنّ المعنى لوقتٍ وُقّت ، لأن التغاير فى اللفظ كافٍ فى دفع ذلك » . انتهى . فتأمل . وروى : (لا تنجلى لزمان) . وذكّر العدد فى الجميع ، لأنه باعتبار الليالى . وجملة يَكمُل ، من الفعل وضميره المستتر ، معطوف على جملة لا تنقضى . ولا يضرُّ تخالفهما نفياً وإثباتاً .

٣٩٩

و (أزْد السَراة) : حىٌّ من اليمن . والأزْد اسمه دِرْءٌ[1] ، بكسر الدال وسكون الراء المهملتين وبالهمز . والأسْد لغة فى الأزْد ؛ بل قيل : السين أفصح من الزاى[2] . والأزْد : ابنُ الغَوث بن نَبْت بن مالك بن أُدَد بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يعرُب بن قَحْطان . . والغَوثُ بفتح الغين المعجمة والثاء المثلثة[3] ونَبْت : بفتح النون وسكون الموحدة وبالتاء المثنّاة . وأُدَد : بضم الهمزة وفتح الدال الأولى . وسبأ : بفتح السين المهملة وفتح الموحّدة والهمزة[4] . ويشجب : بفتح المثنّاة التحتيّة وسكون الشين المعجمة وضم الجيم وبالباء الموحَّدة . ويعرب بفتح المثناة التحتيّة وسكون العين المهملة وضم الراء المهملة وبالباء الموحَّدة . كذا فى جامع الأصول لابن الأثير ، وغيرِه من كتب الأنساب .

(والسَّراة) بفتح السين المهملة هو أعظم جبال العرب . روى أبو عبيد

(١) فى نهاية الأرب ٢ : ٣١١ : « وأما الأزد بن الغوث ، واسمه دراء مثل رداء ، وقيل : درء مثل درع . . » . وهذا نص نادر

(٢) انظر الصحاح (أزد) والاشتقاق ٤٣٥

(٣) أى وبالثاء المثلثة .

(٤) أى وبالهمزة . معجم البكرى ٩ :

البكرى فى معجم ما استعجم بسنده إلى سعيد بن المسيَّب : أنَّه قال : لما خلق الله عزَّ وجلَّ الأرضَ ، مادتْ بأهلها ؛ فضربها بهذا الجبل يعنى السراة فاطمأنَّت . قال أبو عبيد : وطولُ السَّراة : ما بين ذات عِرْق إلى حدّ نَجْرانِ اليمن . وبيت المقدس فى غربىّ طولها . وعرضُها ما بين البحر إلى الشَّرَف . فصار ما خلف هذا الجبل فى غربيّه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريِّين(١) وعكّ وكنانة(٢) إلى ذات عرق والجُحْفة ، وما والاها وصاقبها وغار من أرضها الغَور : غَور تِهامة ، وتِهامة تجمع ذلك كلَّه . وغَور الشَّام لا يدخل فى ذلك . وصار ما دون ذلك فى شرقيّه من الصحارى إلى أطراف العراق والسَّماوة وما يليها نجداً ؛ ونجد يجمع ذلك كلَّه . وصار الجبل نفسه سراتَه وهو الحجاز . وما احتجز به فى شرقيّه من الجبال وانحاز إلى ناحية فَيْد [والجبلين إلى المدينة ومن بلاد مذحج تثليثَ . وما دونها إلى ناحية فيد(٣)] فذلك كلّه حجاز . وصارت بلاد اليمامة والبحْرين وما والاها(٤) : العَروض ، وفيها نجدٌ وغَور ، لقربها من البحر وانخفاضِ مواضعَ منها ومسايلِ أوديةٍ فيها ، والعَروض يجمع ذلك كلَّه . وصار ما خلف تَثْليث وما قاربها ، إلى صنْعاء وما والاها من البلاد ، إلى حَضْرَموت والشِّحْر وعُمان ، وما بينهما اليمنَ ؛ وفيها التهائم والنجود ؛ واليمن يجمع ذلك كلّه . وذات عِرْق فصلٌ ما بين تهامة ونجد والحجاز . وقيل لأهل ذات عرق : أمُتْهِمُون أنتم أمْ مُنْجِدون ؟ قالوا لا متْهمون ولا منْجدون . انتهى كلام أبى عُبيد .

وقال ابن مكرّم فى لسان العرب: « السراة جبل بناحية الطائف . قال

(١) فى النسختين ، وكذا أصل معجم البكرى ٩ : « الى أسياف الحرمين بلاد الاشعريين ، صوابه فى معجم ياقوت .
(٢) فى النسختين : « عك وكنانة » ، صوابه من معجم البكرى٩ ..
(٣) التكملة من معجم البكرى .
(٤) فى معجم البكرى : « وما والاهما » .

ابن السكيت : الطَّود : الجبل المشرف على عرَفة ينقاد إلى صنعاء يقال لها السراة فأوّله سراة ثقيف ، ثم سراة فهْم وعَدْوان ثم الأزْد » . انتهى

قال ابن عبد البرّ فى مقدّمة الاستيعاب[1] : الأزْد جرثومة من جرائم قحطان وافترقت فيما ذكر أبو عبيدة[2] وغيره من علماء النسب على نحو سبع وعشرين قبيلة . . ثم ذكرَها . . ويقال لبعض منهم : أزْد السراة ، وهو من أقام منهم عند جبل السراة . ولبعض آخر : أزْد عُمان ، بضم العين المهملة وتخفيف الميم ، وهو بلد على شاطىء البحر ، بين البصرة وعَدن ، أُضيفوا إليه لسكناهم فيه . ولبعضٍ آخر : أزد غَسّان بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة ، وهو اسم ماء بين زَبيد ورِمَع — وهما واديان للأشعريين — فمن شرب منه منهم سُمِّى أزد غسّان — وهم أربع قبائل — ومن لم يشرب منه لا يقال له ذلك ، قال حسّان بن ثابت رضى الله عنه :

إمّا سألتَ فإنا معشرٌ نُجُبٌ الأزد نِسبتُنا ، والماء غَسّانُ[3]

٤٠٠ ومنهم من يقال له أزد شَنُوءة — على وزن فَعولة — وهو اسم أبيهم ، سُمِّى به لشَنَآن وقع بينهم . واسمه الحارث — وقيل : عبد الله — بن كعب ابن مالك بن نصر[4] بن الأزد . قال فى الصحاح « أزد أبوحىّ من اليمن . يقال أزد شَنوءة وأزد عُمان وأزد السَراة . قال النجاشىّ :

وكنت كذى رِجْلين : رِجلٌ صحيحة ورجلٍ بها رَيْبٌ من الحدَثانِ

(١) كذا . ولم أجد للأزد ذكرا فى مقدمة الاستيعاب . وانظر تاج العروس (أزد)

(٢) فى ط : « ابن عبدة » . صوابه فى ش وتاج العروس

(٣) ديوان حسان ٤١٣ والسيرة ٦ .

(٤) ط : « النصر » ، صوابه فى ش وجمهرة ابن حزم ٣٧٦ ونهاية الأرب ٢ : ٣١٢

فأمّا التى صحّت فأزْدُ شَنُوءة وأمّا التى شُلّتْ[1] فأزد عُمانِ

ورأيت فى (الملحقات) التى ألحقها صاحب المختصر ، الذى اختصره من جمهرة الأنساب لابن الكلبى ، بعد أن نقل كلام الصحاح ما نصُّه : « لم أجد فى الجمهرة . لابن دريد لذلك ذكراً ؛ بل رأيت فى العجالة فى النَّسب أن شنوءة اسمه الحارث وقيل عبد الله . فقوله : إنه الحارث ، أقرب إلى الصواب . فالحارث هو الذى ولَد هذه البطونَ والقبائلَ ، من دَوس و نصر وغامد وماسخة وغيرهم . وأهل عُمان الآن يقولون : إنهم شَنوءة ؛ وهم من دوس ثم من مالك ابن فَهم بن غَنْم بن دَوس . وهذا الذى ظهر من صحّة ذلك ، يبطل تقسيمَ الشاعر فى هذا البيت ، وقولَه إنَّ أزد عُمان غير أزد شَنوءة ، وقولُ الجوهرى : يقال أزد شَنُوءة وأزد عُمان وأزد السَراة ، إنْ أراد به التقسيم على ثلاث قبائل ففاسد ، وذلك : أن أزد السراة أيضا من أزد شَنوءة فيهم من يذكر ؛ وهم ثُمالة ، تحلّ بلداً بالسَّراة اسمه قَوسى ؛ ودوس ، منهم مُنْهِب بن دَوس بالسراة . والأقرب أن يقال : إن هذا كقولهم غسّان والأنصار وخزاعة ؛ وكلّهم غسّان ؛ وإنّما تجدَّد للأنصار وخُزاعة هذان الوصفان ، فبقيت تسمية غسَّان للشاميّين . ا هـ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد المائة[2] :

١٤٧ (يا مَرْحَبَاهَ بِحِمَارِ ناجِيَهْ)

---

(١) ش : « خلت » ، تحريف ، صوابه فى ط ونوادر أبى زيد ١٠ وحماسة ابن الشجرى ٣٣

(٢) الخصائص ٢ : ٣٥٨ والمنصف ٣ : ١٤٢ وابن يعيش ٩ : ٤٦ ، ٤٧ والهمع ٢ : ١٥٧

على أن هاء السكت الواقعةَ بعد الألف ، يضمُّها بعضُ العرب ويفتحها في حالة الوصل ، في الشعر .

قال ابن جنّي في باب الحكم يقف بين الحكمين من الخصائص : « ومن ذلك بيت الكتاب :

* له زجلٌ كأنّهُ صوتُ حادٍ[1] *

فحذف الواو من كأنّه ، لا على حدّ الوقف ، ولا على حدّ الوصل ؛ أما الوقف فيقتضي بالسكون : كأنّهْ ، وأما الوصل فيقتضي بالمطل وتمكين الواو : كأنّهُو[2] فقوله إذن : كأنّهُ ، منزلة بين الوصل والوقف . وكذلك أيضا قوله :

يا مرحباهَ بحمار ناجيهْ إذا أتى قرّبته للسانيهْ

فثبات الهاء في مرحباه ليس على حدّ الوقف ولا على حدّ الوصل ، أما الوقفُ فيؤذِن بأنّها ساكنة ، وأما الوصل فيؤذن بحذفها أصلا ، فثباتها في الوصل متحرّكةً منزلةٌ بين المنزلتين » اهـ

وقوله : (يا مرحباه) المنادى محذوف ؛ ومرحبا مصدر منصوب بعامل محذوف ، أي صادف رُحباً وسَعة . حذف تنوينه لنيّة الوقف ، ثم بعد أن وصل به هاء السكت عنّ له الوصلُ فوَصل . و (الحمار) مذكر ؛ والأنثى أتان ؛ وحِمارة بالهاء نادر ؛ وهو مضاف إلى ناجية . و (ناجية) بالنون والجيم : اسم

(١) في النسختين : « صوت حمار » صوابه من سيبويه ١ : ١١ والخصائص ١ : ٢/١٢٧ : ١٧ ، ٣٥٨ والانصاف ٥١٦ وديوان الشماخ ٣٦ .

(٢) في النسختين : « كأنه » ، والأوفق في الرسم ما أثبت عن الخصائص .

شخص ؛ وبنو ناجية قوم من العرب ؛ وناجية : ماء لبنى أسد ، وموضع بالبَصرة ؛ والناجية : الناقة السريعة ، وليست بمرادٍ هنا . والباء متعلِّقة بقوله مرحبا . والسانية : الدَّلو العظيمة وأداتها ، والناقة التى يُسنَىٰ عليها ، أى يستقى عليها من البئر . وفى المثل : « سَيْرُ السَّوانى سفرٌ لا ينقطع » . يقال : سنَتِ الناقة تسنو سُناوة وسناية : إذا سقت الأرض ؛ والسَّحابة تسنو الأرضَ والقومُ يسنون لأنفسهم : إذا استقوا ، والأرض مَسنُوّة ومسنِيّة بالواو والياء . وأراد بتقريب الحمار للسانية : أن يُستقىٰ عليه من البئر بالدلو العظيمة .

٤٠١

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[1] :

١٤٨ (فى لَجَّةٍ أَمْسِكْ فلاناً عنْ فُلِ)

على أن (فُلا) ممّا يختصّ بالنداء ، وقد استعمله الشاعر فى الضرورة غير منادى .

قال صاحب اللباب : ووزنه فُعَل تقديراً ، والذاهب منه الواو ، فيكون أصله فُلَو كصُرَد فذهبت الواو تخفيفاً . وذلك لأنّ الاسم المتمكّن لا يكون على حرفين ، فلا بدّ من تقدير حرف ثالث ، وحرفُ العِلّة أولى لكثرة دوره ، والواو أولى لأنّ بناتِ الواو أكثر .

---

(١) سيبويه ١ : ٣٣٣/٢ : ١٢٢ والعينى ٤ : ٢٢٨ وابن الشجرى ٢ : ١٠١ وشرح شواهد المغنى ١٥٤ والسمط ٢٥٧ واللسان (لجج ١٧٩ فلن ٢٠٢)

أرجوزة الشاهد

وهذا البيت من أرجوزة طويلة لأبى النَّجم العِجْلى[(١)]، وصف فيها أشياء كثيرة. أوّلها:

(الحمد لله العلىِّ الأجلَلِ الواسع الفضْلِ الوَهُوبِ المجزل
أعطى فلم يَبخَل ولم يُبخَّلِ كُومَ الذُّرى من خَوَل المخوِّلِ
تبقَّلتْ مِن أول التبقُّلِ بين رِماحَىْ مالكٍ ونَهشَلِ
يدفعُ عنها العزُّ جهلَ الجُهَّلِ)

إلى أن قال:

(وقد جعلْنا فى وَضِينِ الأحبُلِ جوزَ خُفافٍ قلبُه، مُثْقلِ
أخْزَمَ، لا قُوقٍ ولا حَزَنْبَلِ مُوَثَّقِ الأعلىْ أمينِ الأسفل
أقبَّ من تَحتُ عريضٍ مِن عَلى معاوِدٍ كَرَّةَ أدبِرْ أقبل)

إلى أن قال:

(وصَدَرتْ بعدَ أصيل الموصل تَمشى من الرِدَّةِ مشىَ الحُفَّلِ
مشىَ الروايا بالمَزاد الأثقَل)

إلى أن قال:

(تثِيرُ أيديها عَجاج القَسْطَلِ إذْ عصَبتْ بالعَطن المغَرْبَل
تَدافُعَ الشِّيبِ ولم تِقِتَّلِ فى لَجَّةٍ أمسِكْ فلاناً عن فُلِ)

(١) نشرها بهجة الأثرى فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ٨ : ٤٧٢ ـ ٤٧٩ سنة ١٩٢٨ فى ١٩١ شطرا وسماها أم الرجز، ثم نشرها الميمنى فى الطرائف الأدبية ٥٥ ـ ٧١ فى ١٩١ شطرا زاد بعدها شطرين من جمهرة ابن دريد واعترض على تسميتها أم الرجز مع أنها فى نص الأغانى ٩ : ٧٤ « فلما فرغ منها قال رؤبة : هذه أم الرجز » ، فرؤبة هو الذى سماها بذلك .

ومنها فى صفة الراعى :

(تَفْلى له الريحُ ولمّا يَفْتَلِ لِمَّةَ قفرٍ كشعاع السُّنْبُلِ
يأتى لها من أيمُنٍ وأشْمُلٍ وبُدِّلتْ والدهرُ ذو تَبَدُّلِ
هَيفاً دَبوراً ، بالصَّبا والشمألِ)

وهى طويلة جدّا .

قال الأصبهانىّ فى الأغانى[1] : ورد أبو النَجم على هشام بن عبد الملك فى الشعراء ؛ فقال لهم هشام : صفوا لى إبلاً فقطِّروها وأوردوها وأصدِرُوها ، حتّى كأنّى أنظر إليها . فأنشدوه . . وأنشده أبو النجم هذه الأرْجوزة بديهة[2] .

٤٠٢

وكان أسرع الناس بديهة . قال الأصمعى : أخبرنى عمى قال أخبرنى ابن بنت أبى النجم قال : قال جدِّى أبو النجم : نظمت هذه الأرجوزة فى قدر ما يمشى الإنسان من مسجد الأشياخ إلى مسجد حاتمٍ الجزار ومقدار ما بينهما غَلوة سهم[3] (أى مقدار رمية) .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء[4] : « أنشد أبو النجم هذه الأرجوزةَ هشامَ بنَ عبدِ الملك — وهى أجودُ أرجوزة للعرب — وهشامُ يصفِّق بيديه[5] استحساناً لها ؛ حتى إذا بلغ قولَه فى صفة الشمس :

---

(١) الأغانى ٩ : ٧٥

(٢) انظر الأغانى . ولم يكمل البغدادى هنا خبر أبى النجم مع هشام كما ساقه أبو الفرج ، لكنه سيتمه بعد شرحه

* صغواء قد كادت ولما تفعل *

(٣) فى الأغانى ٩ : ٧٦ : « غلوة أو نحوها »

(٤) الشعراء ٥٨٦

(٥) فى النسختين : « بيده » ، والوجه من الشعراء ، ويد وحدها لاتصفق .

(حتّى إذا الشّمسُ جلاها المجتلىْ بين سِماطَىْ شفَقٍ مُرَعْبلِ
صَغْواء، قد كادتْ ولمّا تفعَل فهى على الأفقِ كعَين الأحوَل)

أمر بوجْءِ رقبته وإخراجه[1] . وكان هشام أحول » اهـ

وقوله : الحمد لله العلىّ الأجلَل ، أورده علماء البلاغة على أن الأجلل ، بفكّ الإدغام ،مما يخلُّ بالفصاحة[2] ، والفصيح الأجلّ ، وهو القياس . وأورده ابن هشام أيضاً فى آخر (الأوضَح) على أن فكّ الإدغام فيه للضرورة ، مع أنّ الإدغام واجب فى مثله . ورواه سيبويه : « الحمدُ لله الوَهوبِ المجزِل » ، وأنشده على أنّ حذف الياء المتّصلة بحرف الروىّ جائز على ضعف ؛ تشبيهاً لها فى الحذف بياء الوصل الزائدة للترنم ، كما فى قوله المجزل ونحوه . . وكأنّ هذه الرواية مركبة من بيتين . والمجزل : مِن أجزل له فى العطاء : إذا أوسعه . والبخل عند العرب : منع السائل مما يفضُل عنده ، وفعله من باب تعب وقَرب . وبخّله بالتشديد : إذا نسبه إلى البخل ، وأما أبخله بالهمز فمعناه وجده بخيلاً . وكُومَ الذُرى : مفعول أعطى ، وهو جمع كَوماء بالفتح والمد ، وهى الناقة العظيمة السَّنام . وذُرى الشىء بالضم أعاليه ، جمع ذُروة بالكسر والضم أيضاً ، وهى أعلى السنام أيضا. والخوَل بفتحتين : العطيّة . والمخوِّل ، اسم فاعل : المعطى. فى العباب : الخول: العطيّة ،وقوله تعالى : (وتَرَكْتُمْ ماخَوَّلْناكُمْ[3]) أى أعطيناكم وملّكناكم . وأنشدَ هذا البيت . وقوله : تبقّلت . . الخ ، البقل : كلّ نباتٍ اخضّرت له الأرض . وتبقّلتِ الناقةُ مثلا وابتقلت : رعت

---

(١) يقال وجأه باليد وبالسكين وجئا : ضربه .

(٢) انظر معاهد التنصيص ١ : ٧

(٣) الآية ٩٤ من سورة الأنعام

البقلى. ومالك ، هو ابن ضُبيعة بن قيس من هَوازن . ونهشل ، هو أبو دارم قبيلة من ربيعة .

قال الأصفهانيّ فى الأغانى : « وكان سببَ ذكرِ هاتين القبيلتين أعنى بنى مالك ونهشل[1] : أن دماء كانت بين بنى دارم وبنى نهشل ، وحروباً فى بلادهم ، فتجافىٰ جميعُهم الرعىَ فيما بين فَلْج والصَّمّان ، مخافة الشر ، حتّى عفا كلؤه وطال . فذكر : أن بنى عجل جاءت لعِزِّها[2] إلى ذلك الموضع فرعَتْه ، ولم تخف رماحَ هذين الحيَّين . ففخَر به أبو النجم » اه .

وفَلْج ، بفتح الفاء وسكون اللام وآخره جيم . والصَّمّان ، بفتح الصاد المهملة وتشديد الميم ، قال البكريّ فى معجم ما استعجم : فَلْج : موضع فى بلاد مازن ، وهو فى طريق البَصرة إلى مكة ، وفيه منازل للحاجّ . وقال الزجّاج : فَلْج بين الرُّحَيل إلى المجازة ، وهو ماء لهم . وقال أبو عبيدة : لما قَتل عِمْرانُ ابن خُنيس[3] السَّعدى ، رجلَيْن من بنى نهشل بن دارم ، اتهاماً بأخيه المقتول فى بِغاء إبله ، نشأت بين بنى سعد بن مالك وبين بنى نهشل حربٌ تحامىٰ الناسُ من أجلها ما بين فَلْج والصَّمّان ، وهو على وزن فَعْلان : جبل يخرج من البَصْرة على طريق المنكدِر ، لمن أراد مكة .

٤٠٣

وقال ابن الأعرابيّ فى نوادره : « كان رجل من عَنَزَة دعا رؤبةَ ابنَ العجّاج فأطعمه وسقاه ؛ فأنشده فخرَه على ربيعة ؛ فساء ذلك العنَزِىَّ

(١) الذى فى الأغانى ٩ : ٧٤ : « قال أبو عمرو : وكان سبب ذكر هاتين القبيلتين — يعني بني مالك .. الخ » . فالكلام ليس للأصفهانى ، وانما هو لأبى عمرو الشيبانى .

(٢) الأغانى : « لغزوها » . وما هنا أشبه بالقصة وبالرجز : « يدفع عنها العز جهل الجهل » .

(٣) ط : « خشيش » ش : « خشيس » ، صوابهما من معجم البكرى (فلج) .

فقال لغلامه سِرًّا : اركب فرسي وجئني بأبي النجم . فجاء به وعليه جُبّةُ خزٍّ وبتٌّ[1] ، في غير سراويل . فدخل وأكل وشرب . ثم قال العَنَزِيّ : أَنْشِدْنا يا أبا النجم — ورؤبةُ لا يعرفه — فانتحى في قوله :

* الحمدُ لله الوهوب المجزل *

يُنشِدها ، حتّى بلغ :

تبقّلتْ من أوّل التبقّل بين رماحيْ مالك ونهشل

فقال له رؤبة : إنَّ نهشلاً من مالك ، يرحمك الله ! فقال : يا ابن أخي ، الكَمَرُ أشباهُ الكَمَر ، إنّه ليس مالك بن حنظلة ، إنّه مالك بن ضُبيعة ! فخزِيَ رؤبة وَحيَ من غلبة أبي النجم له . . ثم أنشد أبو النجم فخره على تميم ؛ فاغتمّ رؤبة وقال لِصاحب البيت : لا يحبُّك قلبي أبدا ! » اهـ

واستشهد صاحب الكشّاف بقوله :

* بين رماحيْ مالك ونهشل *

عند قوله تعالى (اثنتيْ عشْرَةَ أسْبَاطا[2]) على جمع الأسباط ، مع أنّ مميز ما عدا العشرة لا يكون إلاّ مفردًا . لأنّ المراد بالأسباط القبيلة ؛ ولو قيل: سبطا ، لأوهم أن المجموع قبيلةٌ واحدة ؛ فوضع أسباطاً موضع قبيلة ، كما وضع أبو النَّجم رماحاً ، وهو جمع ، موضعَ جماعتين من الرماح ، وثنّى على تأويل : رماح هذه القبيلة ورماح هذه القبيلة. فالمراد : لكلٍّ فرد من أفراد هذه التثنية جماعة ، كما أنّ لكلِّ فردٍ من أفراد هذا الجمع ، وهو أسباط ، قبيلةً .. وفاعل تبقّلت ، ضمير كُوم الذُرى زعم بعض شرّاح شواهد التفسير : أنّ هذا البيت

(١) البت : كساء غليظ من وبر أو صوف .

(٢) الآية ١٦٠ من سورة الأعراف .

فى وصف رَمَكة مرتاضة اعتادت ممارسة الحروب ، حتى تحسب أرضَ الحرب روضةً تتبقّل فيها . ولا يخفى أن هذا كلامُ من لم يقف على سِياق هذا البيت ولا سِباقه . مع أنَّ هذا الزاعمَ أورد غالبَ الأرْجوزة ولم يتفهَّم المعنىٰ .

وقوله : يدفع عنها العزّ . . الخ ، العزّ : فاعل يدفع ، وهو بمعنى القوّة والمَنعة ؛ وجهل الجُهَّل : مفعولُه ، أى سفاهة السفهاء ؛ وضمير عنها راجع إلى كوم الذرى وقوله : وقد جعلنا فى وَضِين .. الخ ، هذا فى وصف بَعير السانية؛ والوَضين : نِسعٌ عريض كالحِزام يُعمَل من أدَم ، قال الجوهرىّ : « الوضين للهودج بمنزلة البِطان للقتَب، والتصديرِ للرحْل، والحِزام للسَرْج ؛ وهما كالنسع إلا أنهما من السيور إذا نسج بعضُه على بعض . . [١] تقول : وضَنتُ النِّسع أضِنُه وَضْنا : إذا نسجتَه » . والأحبُل : جمع حبْل . والجَوْز ، بفتح الجيم وآخره زاى معجمة . مفعول جعلْنا ؛ وجوز كلِّ شىء : وسطه . والخُفاف بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاءين ، بمعنى خفيف ؛ وهو منوّن ؛ وقلبُه فاعل خفاف ، وهو صفة لموصوف محذوف أى بعير خفاف . والمثقّل : الثقيل ، صفة ثانية . يريد : شدَدنا الوضينَ فى وسط بعير خفيفِ القلب ذكىّ من ثقل بدنه وضخامته. والأحزَم : خلاف الأهضَم ؛ وهو أن يكون موضع حزامه عظيماً ؛ وهو صفة ثالثة . والقُوق ، بضم القاف الأولى : الفاحش الطُّول ؛ وهو صفة رابعة . والحَزَنْبَل ، بفتح الحاء المهملة والزاى المعجمة وسكون النون وفتح الموحدة : القصير . وقوله : موثَّق الأعلىٰ . . الخ ، بالجرّ صفة خامسة ، وأراد بالأعلى ظهرَه ، وبالأسفل بطنَه[٢] ؛ وأمين بمعنى مأمون ، صفة سادسة.وقوله:أقبٌ..الخ

٤٠٤

(١) انظر الصحاح (وضن) .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض فى ش ، كتب ازاءه فيها فى الهامش « قوائمه » .

مجرور بالفتحة ، صفة سابعة ؛ وعريض صفة ثامنة ؛ والقَبَب : الضُمْر ؛ يعنى أنّ خصرَه ضامر — والخصر تحت المتن — وأنّ متنه عريض . وتحتُ مبنىّ على الضم[1] .

ومِن عَلي ، يكتب بالياء ؛ وليست الكسرة فى اللام كسرة إعراب ألا ترى أنه معرفة وليس بنكرة . ألا ترى أنّ معناه وكونه فوق نواظره أو النواظرِ منه ! فهو إذن معرفة ، لأنه يريد به شيئاً مخصوصاً ، فهو إذن كقول أوس :

فملّك باللّيط الذى تحت قشره كغِرقىء بيض كنّه القيضُ مِن عَلُ

أى من أعلاه ، وقال الشنفَرَى :

إذا وردتْ أصدرتُها ، ثمَّ إنّها تثوبُ فتأتى من تُحيتُ ومن عَلُ

وإنما تُعرب عَلُ إذا كانت نكرة ، كقولهم فى النكرة : من فوقٍ ومن علٍ ، إذا لم تردْ أمراً معلوماً . فقوله : فوق النواظر من علٍ ، عَلٍ منه ، كشج وعَمٍ ووزنه فَعِل ، والياء فيه لام الفعل ، والكسرة فى اللام قبلها ككسرة الضاد من قاض . فاعرفْ ذلك . وفيه عشر لغات : أتيته من علٍ ومن عَلُ ومن عَلِي ومن علَا ومن عَلْوُ ومن عَلْوَ ومن عَلْوِ ومن علو ومن عالٍ ومن معالٍ . ومثله سواء قولُ العجلىّ :

---

(١) النص التالى من كلام ابن جنى ، وقد سقط من النسختين التنبيه على ذلك فى أوله ، وان كانت نهاية النص تشعر بانه لابن جنى . وقد فحصت الخصائص ، وكذا سر الصناعة ، وكلاهما لابن جنى فلم أعثر على هذا النص ، وأخيرا وجدته فى اعراب الحماسة لابن جنى عند قول ربيعة بن مقروم الضبى :

أوجيته عنى فأبصر قصده وكويته فوق النواظر من على

انظر كتاب التنبيه الورقة ١٥ من نسخة دار الكتب المصرية ٤٤ أدب .

* أقبُّ من تحتُ عريضٍ من علَى *

أراد من أعلاه . ألا تراه قرنه بالمعرفة المبنيّة وهى تحتُ ! فعَلى إذن معرفة ، فهو كشج ، وكسرةُ لامه ككسرة زاى غاز ، والكلمة مبنيّة على الضم ، وفى الياء تقدير ضمة البناء . فبيت ربيعة وبيت العجلى هذان جميعاً سواء ، ولكنّ بيت امرئ القيس الذى هو قوله :

* كجلمود صخر حَطّه السيلُ من عَلِ *

عل فيه نكرة ؛ ألا ترى أنه لايريد من أعلى شىء مخصوص ! فالكسرةُ إذن فى لام عل كسرةُ إعراب ، ككسرة دال يدٍ و[ميم[1]] دم اهـ كلام ابن جنّي مختصراً .

وقد قرّر ابن هشام أيضا فى المغنى : أن على ، متى أريد به المعرفة كان مبنيا على الضم تشبيها بالغايات كما فى قوله :

* أُرمَضُ من تحتُ وأُضحى مِن علُه[2] *

والهاء للسكت ؛ قال : إذِ المراد فوقيّة معيّنة لا فوقيّة مطلقَة . والمعنى : أنه تصيبه الرمْضاء من تحتِه وحَرُّ الشمس من فوقه . ومثله قول الآخر يصف فرسا :

* أقبّ من تحتُ عريض من علِ * اهـ

وقد أشار بقوله : « ومثله يصف فرساً » إلى أن ضمّة البناء فى عل إمّا ملفوظة كما فى قوله : وأضحى من علُه ، وإما مقدّرة كما فى قول أبى النجم :

---

(١) التكملة من كتاب اعراب الحماسة المسمى بالتنبيه .

(٢) الرجز لأبى ثروان . انظر شرح شواهد المغنى ١٥٣ وابن يعيش ٤ : ٨٧ والهمع ٢ : ٢١٠ . وقبله :

* يارب يوم لى لا أظلله *

« عريض من عل » فلا يرِدُ الاعتراضُ عليه بأنه أنشده بالبناء على الضم ، والقوافى كلّها مجرورة . لـكن يبقى عليه أنّ البيت فى وصف بعير السانية ، لافى وصف فرس . فتأمَّلْ وأنصِفْ .

قوله : معاوَدٍ كرّةُ . . الخ ، معاوَد : اسم مفعول ، وهو بالجرّ صفة تاسعة ؛ أى يعاد عليه مراراً قولُ أقبلْ على البئر إذا تفرَّغت الدلو ، أدبر عنها إذا امتلأت . وكرّةُ بالرفع نائب فاعل معاوَد وهو مضاف لما بعده . وقوله : تمشى من الردة ، فى الصحاح : « والرِّدّة بالـكسر : امتلاء الضَرع من اللبن قبل النَتاج ، عن الأصمعى . وأنشد لأبى النجم تمشى من الردة . . البيت » اهـ ، ويجوز أن تـكون مصدَر قولك ردّه يردّه رَدّا ورِدّة ؛ والردّة الاسم من الارتداد . وقال ابن السيرافى فى (شرح أبيات إصلاح المنطق) : يصف إبلاً قد أكثرت من شُرب الماء فأثقلها الرىّ والردّة ترادّ فى أجوافها ، يقال أردَّت فهى مُرِدّ . إذا انتفخت من الماء ، أو انتفخ ضرعها من غير لبن . يقول : تمشى من كثرة شرب الماء كمشى التى أثقلها كثرةُ ما فى ضرعها . والحافل : التى اجتمع فى ضرعها اللبن اهـ . ومشىَ : مصدر منصوب ، أى مشياً كمشى الحُفَّل ، وهو جمع حافل ، من حفَل اللبنُ فى الضرع : إذا اجتمع . والرَّوايا : جمع راوية ، من روىْ البعير الماء : حَمله ، فهو راويةٌ ، الهاء فيه للمبالغة ، ثم أطلقت الراوية على كلٍّ دابّة يُستقىْ الماء عليها . والمزاد : جمع مَزادة ، وهى الراوية التى تعمل من جلود . وقوله : تثير أيديها . . الخ ، الضمير إلى كُوم الذُّرى . والقَسطل ، بالقاف : الغبار ، والعجاج : ما ارتفع منه . وعصَبت بالعين والصاد المهملتين ، قال فى الصحاح: « وعصبت الإبلُ بالماء : إذا دارتْ به . قال الفرّاء : عصَبت الإبل وعصِبت بالـكسر : إذا اجتمعت » . والعطَن ، بفتحتين : مبرك الإبل عند الماء لتشرب عَللًا بعد نَهَل ، فإذا

٤٠٥

استوفت رُدّت إلى المرعى . والمغربَل : المنخول ، أى أن تراب العَطَن كأنّه منخول ، لكثرة ما انسحق منه ، لشدّة الحركة . وقوله : تدافُعَ الشِيب ، مصدرٌ تشبيهىّ ، وعامله محذوف ، وهو معطوف على عصبت ، أى اجتمعت وتدافعت تدافعاً كتدافع الشيوخ ، والشِّيب بالكسر جمع أشيَب ، وهو الشيخ . وقوله : ولم تِقِتِّلِ أصله تَقْتَتِل ، فأسكن التاء الأولى للإدغام ، وحرّك القاف لالتقاء الساكنين بالكسر ، فصار تَقِتِّل ثم أتبع أوّل الحرف ثانيه فصار تِقِتِّلِ بثلاث كسرات . واللَّجة ، بفتح اللام وتشديد الجيم : اختلاط الأصوات فى الحرب ، فى الصحاح : « وسمعت لَجّة الناس بالفتح ، أى أصواتهم وضجّتهم » . وأنشدَ هذا البيتَ . وفى متعلقة بتدافُعَ . وقوله : أمسِكْ فلانا . الخ هو على إضمار القول ، أى فى لَجّة يُقال فيها : أمسك .. الخ . قال اللخمىّ فى شرح أبيات الجُمل ، تبعاً لابن السِّيد : شبّه تزاحمها ومدافعةَ بعضها بعضاً بقومٍ شيوخٍ فى لَجة وشَرٍّ ، يدفع بعضهم بعضًا ، فيقال . أمسكْ فلانًا عن فلان أى احجُز بينهم . وخصّ الشيوخَ لأنّ الشبابَ فيهم التسرُّع إلى القتال . فلذلك قال : تدافُعَ الشِيب . . الخ . أى هى فى تزاحم ولاتقاتُل ، كالشيوخ . وقد غفل عن هذا المعنى الأعلمُ الشنتمرىّ فى شرح أبيات س فقال: «إن معناه خذ هذا بدم هذا وأيسر[1] هذا بهذا» هذا كلامه ! وكأنه لم ينظر إلى ما قبله من الأبيات . وأعجبُ منه قولُ ابن السَّيِّد[2] ، فيما كتبه على هذا الكتاب ، فى شرح بيت الشاهد : إن معناه : قد كثر أصوات الرُعاة يقول بعضهم لبعض : أمسِك البعير الفلانىّ عن البعير الفلانى لئلا يضرّه .

(١) الذى فى الأعلم ١ : ٣٣٤ : « وأسر » فعل أسر من الأسر ، وهو الصواب

(٢) الميمنى : « هو ابن السيد مشددا ، الشريف الجرجانى . وله كابنه حاشية على شرح الرضى . ويأتى قريبا فى الشاهد ١٥٢ » .

هذا كلامُه ! مع أنّه سطّر ما قبلَه من الأبيات وشرحَها من شرح اللباب للفالى.

وقوله : تَفلى له الريحُ . . الخ، الفَلْى : مصدر فَليت رأسه من باب رمى . إذا نقّيته من القمْل ؛ وافتلىٰ هو : إذا نقّاه ؛ ويَفتَلِ : مجزوم بلمّا محذوف الياء من آخره يريد : أن الريح تهبّ على رأسه فتفرّق شعره كأنها تفْليه وهو لم يَفْتلِ شعره لشعَثه وقلة تعهُّده نفسَه . واللِّمَّة ، بكسر اللام : الشعر الذى يُلمّ بالمنكِب أى يقرب منه ؛ وهو مفعول تَفلى على التنازع . والقفْر ، بفتح القاف وسكون الفاء ، وأصله بالكسر : وصفٌ من قفِر زيدٌ ، من باب فرح : إذا قلّ لحمه . وشَعاع السُّنبُل بفتح الشين المعجمة : سَفَاهُ ؛ وقد أشعّ الزرع : أخرج شَعاعه ؛ وأسفى الزرعُ : إذا خشُن أطراف سنبله . والسُّنبل هنا سنبُل الحنطة والشعير ونحوهما شبّه شعره المنتفشَ بشوكِ سنبل الزرع . وقوله : يأتى لها . . الخ ، فاعل يأتى ضميرُ الراعى ؛ وضميرُ لها ، لكوم الذرى ؛ قال صاحب الصحاح : « أى يعرض لها من ناحية اليمين وناحية الشمال . وذهبَ إلى معنى أيمُن الإبل وأشمُلها فجمع لذلك » اهـ .

وأورده سيبويه على أنّ الشاعر لما جرّ أيمُناً وأشملاً بمن ، أخرجهما عن الظرفية . وزعم الأعلم الشنتمرىّ أنّ هذا البيت فى وصف ظليم ونعامة ، قال : « يعنى : كلّما أسرعتْ إلى أُدْحِيِّها وهو مَبيضُها[1] عرض لها يميناً وشمالاً مزعجاً لها » وهذا كما ترى لا أصل له . وقوله : وبدِّلت والدهرُ ذو تبدُّل . . الخ ، نائب الفاعل ضمير الريح ؛ والهَيف بفتح الهاء مثل الهُوف بضمها : ريح حارّة تأتى من اليمن ، وهى النَّكباء التى تجرى بين الجَنوب والدَّبور من تحت مجرى سهيل . والصَّبا : ريح ؛ ومهبُّها المستوى أن تهبَّ من موضع مطلَع

(١) ط : « الى ادحتيها وهو بيضتها » ش : « الى أدحيها وهو بيضها » ، صوابه من الأعلم ١ : ١١٢

الشمس إذا استوى الليل والنهار . والدَّبور : الريح التى تقابل الصَّبا . والشمْأَل بسكون الميم وفتح الهمزة بعدها : الريح التى تقابل الجنوب . فكان الواجب أن يقابل الشمأل بالجنوب . لكنَّه لضرورة النظم أقام الهَيفَ مقام الجنوب لقربها من الجنوب . وفيه لفّ ونشر غير مرتّب ؛ أى بدَّلت الريح فجاءت الدبور بدلَ الصَبا وجاءت الهَيف ، أى الجنوب ، بدلَ الشمال . ففيه دخول الباء على المتروك ، وهو المشهور وسُمع خلافه أيضاً . وأورده ابن هشام فى المغنى على أن جملة : والدهر ذو تبدّل ، معترِضة بين الفعل ومفعوله ، للتأكيد والتسديد .

وقوله : بين سماطَىْ شفَق مُرعَبل ، السِّماط بالكسر : الصفّ والجانب ، والسماطان من الناس والنخل : الجانبان ، يقال مشى بين السماطين وأنشدَ القصيدةَ بين السِماطين . والمرعَبل . المقطَّع . وروى بدله (مهوَّل) . وصغواء بالغين المعجمة ، من صَغَت النّجومُ ، إذا مالت للغروب . وقوله : قد كادت ، أى قاربت الشمس أن تغيب ولم تغِب بالفعل .

روى صاحبُ الأغانى[1] : أن أبا النجم لما بلغ ذكر الشمس فقال : وهى على الافق كعين . . وأراد أن يقول : الأحول ، فذكر حوَل هشام فلم يتمّ البيت وأُرتِجَ عليه . فقال هشام : أجزْ : فقال : كعين الأحول . فأمر هشام بإخراجه من الرُّصافة[2] (ويقال لها رُصافة هشام[3] ، وهى مدينة فى غربىّ

(١) الأغانى ٩ : ٧٥

(٢) فى الأغانى : « فأمر هشام بوجء عنقه وأخرجه من الرصافة »

(٣) فى الأصلين : « رصافة الشام » ولكن الشنقيطى غيرها بقلمه برسم (رصافة هشام) . والرصافة : علم مشترك بين أماكن شتى ، ذكر منها ياقوت رصافة أبى العباس بالأنبار ، ورصافة البصرة ، وبغداد ، والحجاز ، والشام ، وقرطبة ، والكوفة ، ونيسابور ، وواسط . والمعروف أن رصافة الشام أقدمهن . وما بين القوسين من الكلام هنا من تعليق البغدادى ، ولم يذكر فى الأغانى . وجاء فى معجم البكرى ٦٥٤ : « الرصافة بضم أوله : رصافة هشام بن عبد الملك بالشام »

الرَقّة ، بينهما أربعة فراسخ على طرف البرّيّة ، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام ، وكان يسكنها فى الصيف ، وكانت قبلُ من بناء الملوك الغسانيّين)
ثم قال لصاحب شرطته : إياك وأن أرى هذا ! فكلّم وجوهُ الناس صاحبَ الشُرْطة أن يقرّه . ففعل . فكان يصيب من فُضول أطعمة الناس ويأوى بالليل إلى المساجد . . قال أبو النجم : ولم يكن فى الرُّصافة أحدٌ يُضيف إلاّ سليمُ بنُ كَيسان الكلبىّ ، وعمرو بن بسطام التعلبىّ[1] فكنت أتغدّى عند سليم ، وأتعشّى عند عمرو ، وآتى المسجد فأبِيت فيه . فاغتمّ هشامٌ ليلةً ، وأراد محدِّثاً يحدّثه ، فقال لخادمٍ له : أبغِني محدِّثا أعرابيًّا أهوجَ شاعراً يَرْوى الشعر . فخرج الحاجب[2] إلى المسجد فإذا هو بأبى النجم ، فضرَبه برجله وقال له : قمْ أجبْ أميرَ المؤمنين . فقال : أنا أعرابىٌّ غريب . قال : إيَّاك أبغى فهلْ تروى الشعر[3] ؟ قال : نعم ، وأقوله[4] . فأقبلَ به حتى أدخله القصرَ وأغلق الباب — فأيقنَ بالشرَّ — ثم مضى فأدخله على هشام فى بيت صغير ، بينه وبين أهله ستر رقيق ، والشَّمَعُ بين يديه [يَزْهر[5]] . قال : فلما دخلت قال لى : أبو النجم ؟ قلت : نعم ، يا أمير المؤمنين ، طريدك . قال : اجلسْ . فسألنى وقال : أين كنت تأوى ؟ فأخبرته الخبر . قال : ومالك من الولد والمال ؟ قلتُ : أمَّا المال فلا مال لى ، وأما الولد فلى ثلاث بنات وبُنىٌّ يقال له شَيَّان[6] (بفتح الشين وتشديد الياء المثناة التحتيّة) قال : هل أخرجت من بناتك ؟ قلت : نَعم ، زوَّجت اثنتين وبقيت واحدة تجمِز

٤٠٧

---

(١) فى الأغانى ٩ : ٧٥ : « التغلبى » .
(٢) فى الأغانى : « الخادم » .
(٣) فى النسختين : « أبغى قال تروى الشعر » . وما أثبته من الأغانى ٩ : ٧٦ أصح وأولى
(٤) ط : « وأقول » صوابه من ش والأغانى
(٥) يزهر : يتلألأ . وهذه التكملة من الأغانى .
(٦) كذا . وفى الأغانى : « شيبان »

فى أبياتنا، كأنها نعامة! قال: وما وصّيت به الأولى؟ — وكانت تسمى بَرَّة — قال:

أوصيت من برّة قلباً حرَّا ... بالكلبِ خيراً، والحماةِ شرَّا
لا تسأمى ضرباً لها، وجرَّا ... حتَّى ترىْ حلوَ الحياة مُرَّا
وإن كستْكِ ذهباً ودُرَّا ... والحىَّ عُمّيهم بشرٍّ طُرَّا

فضحك هشام وقال: فما قلت فى الأخرى؟ قال: قلتُ:

سُبّي الحماةَ وابهتي عليها ... وإن دنتْ فازّلفى إليها[(1)]
وأوجعى بالفِهر ركبتَيها ... ومرفقَيها، واضربى جنبَيها
وقعِّدى كفّيكِ فى صُدغيها ... لا تخبرى الدهر بذاك ابنيها[(2)]

فضحك هشام حتّى بدت نواجذه، وسقط على قفاه. وقال: ويحك! ما هذه وصيّة يعقوب لولده! قال: ولا أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين! قال: فما قلت فى الثالثة؟ قال: قلتُ:

أوصيكِ يا بنتى فإنّى ذاهبُ ... أوصيكِ أن يحمَدك الأقاربُ
والجارُ والضيفُ الكريمُ الساغبُ[(3)] ... ويرجع المِسكينُ وهو خائبُ
ولا تنى أظفارُك السّلاهبُ ... لهنَّ فى وجه الحماة كاتبُ[(4)]
والزوجِ، إنَّ الزوجَ بئس الصاحبُ

قال: فأى شىء قلتَ فى تأخير تزويجها؟ قال: قلتُ:

---

(١) كذا. وفى الأغانى: «فازدلفى»، وكلاهما صحيح

(٢) بدله فى الأغانى:

وظاهرى النـــذر لهـــا عليها ... لا تخبر الدهر به ابنتيهـــا

(٣) ط: «الشاغب»، صوابه فى ش والأغانى

(٤) الأغانى «منهن» موضع «لهن»

كأنَّ ظلاَّمَةَ أخت شَيَّان يتيمة ووالدها حَيَّان

الجيدُ منها عُطُلٌ والآذان وليس للرجلين إلاَّ خَيطان[1]

وقُصّةٌ[2] قد شيَّطتها النِّيران تلك التي يضحك منها الشيطان[3]

فضحك هشام وضحكت النساء لضحكه ، وقال للخَصيّ : كم بقي من نفقتك ؟ قال : ثلثمائة دينار . قال أعطِه إيَّاها يجعلها فى رجلى ظلاَّمة مكان الخيطين[4] .

٤٠٨ وتقدمت ترجمة أبى النجم فى الشاهد السابع من أوائل الكتاب[5] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد المائة[6] :

١٤٩ (أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثم آوى إلى بيتٍ قَعِيدتُه لَكاعِ)

على أن (لَكاعِ) مما يختصّ بالنداء ، وقد استعمل فى غير النداء ضرورة . قال المبرّد فى الكامل : يقال فى النداء للَّئيم يالُكَع ، وللأنثى يالَكاعِ ؛ لأنه موضع معرفة.. فإن لم ترد أن تعدله عن جهته[7] قلت للرجل : يا ألكَع ، وللأنثى يا لَكْعاء . وهذا موضع لا تقع فيه النكرة . وقد جاء فى الحديث :

(١) جعلها الشنقيطى : « وليس فى الرجلين » . وفى الأغانى : « وليس فى الساقين » .

(٢) ط : « وقضة » ، صوابها فى ش . والشطر ساقط من الأغانى

(٣) الأغانى : « يفزع منها » .

(٤) فى النسختين : « الخيطان » وقد تصح على الحكاية ، لكن فى الأغانى وتصحيح الشنقيطى : « الخيطين » .

(٥) الجزء الأول ص ١٠٣

(٦) العينى ١ : ٤/٤٧٣ : ٢٢٩ وابن الشجرى ٢ : ١٠٧ وابن يعيش ٤ : ٥٧ والكامل ١٤٧ والهمع ١ : ٨٢ ، ١٧٨ وديوان الحطيئة ١٢٠

(٧) فى النسختين : « جهة » ، صوابه فى الكامل

«لاتقوم الساعةُ حتَّي يليَ أمورَ الناسِ لُكَعُ ابنُ لكع» . فهذا كناية عن اللئيم ابن اللئيم . وهذا بمنزلة عُمر ينصرف في النكرة ولا ينصرف فى المعرفة . ولكاع مبنيّ على الكسر . وقد اضطر الحطيئة فذكر لَكاع فى غير النداء ، فقال يهجو امرأته :

أطوِّف ما أطوِّفُ . ثم آوى . . البيت

وقعيدة البيت : ربّة البيت وصاحبته . وإنما قيل : قعيدة ، لقعودها وملازمتها .

قال المدائنيّ فى كتاب (النساء الفوارك) إنّ امرأة الحطيئة نشزت عليه وسألته الفُرقة ، فقال :

أُجوِّل ما أُجوِّل ثم آوى . . البيت

قال المرزوقى فى (شرح فصيح ثعلب) : هذا البناء يراد به المبالغة . ومعنى لكاع : المتناهية فى اللؤم . والفعل منه لكِعت لكَعا ولَكاعة ، وهى لكعاء وملكعانة . والأصل فى اللكع : الوسخ . و « ما » مع ما بعدها فى تأويل المصدر الذى يراد به الزمان ؛ والتقدير : أطوف مدّة تطويفى .

وأورد ابن عقيل فى شرح الألفيّة[1] هذا البيتَ شاهداً على وصل ما المصدرية بالمضارع المثبَت ؛ وهو قليل ؛ والكثير وصلها بالمضارع المنفىّ أو الماضى .

ومعنى البيت : أطوِّف نهارى كلّه فى طلب الرزق ؛ فإذا أويتُ عند الليل فإنّما آوى إلى بيتٍ قيِّمتُه القاعدة فيه لئيمة .

والمصراع الأوّل مأخوذ من قول قيس بن زهير بن جَذيمة :

(١) عند الكلام على الموصول ١ : ١٢٥

أطوِّف ما أطوِّف ثم آوى   إلى جارٍ كجارِ أبى دُواد

جار أبى دواد

وأبو دُواد هو أبو دُواد الإيادىّ الشاعر المشهور . وجاره : كعب بن مامة الإيادى الجواد المشهور . وقيل بل هو الحارث بن همّام بن مرّة ، وكان أسَرَ أبا دُواد وناساً من قومه ، فأطلقَهم وأكرم أبا دواد وأجاره — فمدحه أبو دواد — وأعطاه وحلَف أن لا يذهب له شىء إلاّ أخلفه له .

ويقال : إن ولدَ أبى دواد لعب مع صبيانٍ فى غدير فغمسوه فمات ؛ فقال الحارث : لا يبقى صبيٌ فى الحى إلاّ غُرّق ، فودى ابنه بديات كثيرة

و (آوِى) : مضارع أوىٰ إلى منزله من باب ضرب أُوِيًا : إذا أقام به وانضمّ ولجأ إليه . ومعنى (أطوّف) : أكثر الطواف أى الدَّوَران . ومثله أجوِّل ، وزناً ومعنى .

٤٠٩

وهذا بيت مفردٌ هجا به امرأته كما ذكرنا .

الحطيئة

و (الحطيئة) اسمه : جَرْوَل بن أوس [بن مالك[1]] بن جُؤيّة بن مخزوم ابن مالك بن غالب بن قُطيعة (بالتصغير) ابن عَبْس بن بَغيض بن رَيْث ابن غطَفان بن سعد بن قيس بن عيْلان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان

وكنيته أبو مُليكة (بالتصغير) . واختُلف فى تلقيبه بالحُطَيْئة (بضمّ الحاء وفتح الطاء المهملتين وسكون المثنّاة التحتيّة وبعدها همزة) فقيل : لقِّب بذلك لقصره وقربه من الأرض ؛ فى الصحاح : « والحطيئة : الرجل القصير ؛ قال ثعلب : وسمِّى الحطيئةَ لدمامته » . وقيل : لأنّه ضرَط بين قوم ، فقيل له : ما هذا ؟ ! فقال حُطيئة ؛ يقال حطأ : إذا ضرط . وقيل : لأنه كان محطوء الرِجْل ؛ والرِجل المحطوءة : التى لا أخْمَص لها .

(١) التكملة من الأغانى ٢ : ٤١ والاصابة (الحطيئة) رقم ١٩٨٧ وابن سلام ٨١

وهو أحد فحول الشعراء، متصرف فى فنون الشعر : من المديح، والهجاء، والفخر ، والنسيب . وكان سفيها شرِّيرا . ينتسب إلى القبائل ، وكان إذا غضب على قبيلة[١] انتمى إلى أخرى . قال ابن السكيت : كان الحطيئة مغموز النسب ، وكان من أولاد الزنى الذين شرُفوا . قال : وكان أوس بن مالك العبْسى تزوّج بنت رباح[٢] بن عوف الشَيبانيّة، وكانت لها أمَة يقال لها الصّراء[٣] ، فأعلقَها أوسُ . وكان لبنت رباح أخٌ يقال له الأفقمَ ؛ فلما ولدت الصّراء جاءت به شبيهاً بالأفقمَ . فقالت مولاتها : من أين لك هذا الصبيّ ؟ قالت : من أخيك — وهابت أن تقول : من زوجك — ثم مات الأفقم وترك ابنين من حرة[٤] وتزوّج الصراء رجلٌ من عبس ؛ فولدت له ابنين ، فكانا أخَوى الحطيئة من أمّه . وأعتقت بنتُ رباح الحطيئةَ وربّته فكان كأنه أحدُهم[٥] ، ثم اعترفت أمُّه بأنه من أوس . وترك الأفقمُ نخيلاً باليمامة ؛ فأتى الحطيئة أخَويه من أوس فقال لهم : أفرِدوا لى من مالكم قِطعة . فقالا : لا ، ولكن أقمْ معنا نُواسِك[٦] . فهجاهما . وسأل أمه : مَن أبوه ؟ فخلطت عليه ، فغضب عليها وهجاها ، ولحق بإخوَته . من بنى الأفقمَ ونزل عليهم فى القُرَيّة وقال يمدحهم :

إنّ القريّةَ خيرُ ساكِنِها أهلُ القُرَيّة من بَنِى ذُهْلِ[٧]

(١) فى النسختين : « قبيلته » ، صوابه من الاصابة

(٢) فى الأغانى : « رياح » بالياء المثناة ، وكذا فى الموضعين التاليين

(٣) فى الأغانى : « وكان لها أمة يقال لها الضراء » ، وقد تكررت « الضراء » فى الأغانى بهذا الرسم

(٤) الأغانى : « ثم مات أوس وترك ابنين من الحرة » .

(٥) ط : « فكان أحدهم » ، الأغانى : « فكان كأنه أحدهما » .

(٦) ط : « نواسيك » ، وكلاهما صحيح .

(٧) كذا فى النسختين . وفى الأغانى والديوان ٩٠ : « ان اليمامة»

الضامنونَ لِمَالِ جَارِهم حتّى يتمّ نَوَاهِضُ البَقْلِ(١)
قومٌ إذا انتسبوا ففرعُهُم فَرعِى وأثبتُ أصلِهم أصْلى

وسألهم ميراثَه من الأفقَم، فأعطوه نُخيلات، فلم تقنعه. فسألهم ميراثه كاملاً(٢) فلم يعطوه شيئا. فغضب عليهم وهجاهم ثم عاد إلى بنى عَبْس وانتسب إلى أوس بن مالك.

قال ابن قتيبة: «وكان الحطيئة راويةَ زهير. وكان جاهليّاً إسلامياً. ولا أراه أسلم إلاّ بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ لأنّى لم أجد له ذكراً فيمن وفد عليه من وفود العرب؛ غير أنّي وجدته فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه يقول:

أطعنا رَسُولَ الله إذْ كان حاضِرًا فيا لهفتى، ما بالُ دينِ أبى بكْر!
أيورثها بكراً إذا مَاتَ بَعدَه فتلكَ، وبيتِ اللهِ، قَاصمةُ الظَهْر

وقال ابن حجر فى الإصابة: كان أسلم فى عهد النبى ﷺ ثم ارتدّ ثم أسر، وعاد إلى الإسلام.

٤١٠ وروى [ابن أخى(٣)] الأصمعىّ عن عمّه قال: كان الحطيئة جشعاً سَئولا ملحفاً دنِىء النفس كثير الشرّ بخيلاً، قبيح المنظر رثّ الهيئة، مغموزَ النسب فاسدَ الدين؛ وما تشاء أن تقول فى شعر شاعر عيباً إلاّ وجدته، وقلّما تجد ذلك فى شعره.

(١) ط: «المال جارهم» صوابه فى ش والديوان. وفى الأغانى: «لمال غيرهم».

(٢) ط: «كملا». والكمل: الكامل، لايثنى ولا يجمع

(٣) التكملة من الأغانى. وهو عبد الرحمن بن عبد الله، ابن أخى الأصمعى. البغية ٢٩٩

وقال أبو عبيدة : التمس الحطيئةُ ذاتَ يوم إنساناً يهجوه ، فلم يجده ، وضاق ذلك عليه ، فجعل يقول :

أبَتْ شفتَايَ اليومَ إلاّ تكلُّما بسوءٍ ، فما أدرى ، لمن أنا قائله

وجعل يهدِرُ بِذا البيتِ فى أشداقه ، ولا يرى إنساناً ، إذ اطّلع فى حوض فرأى وجهَه فقال :

أرىٰ لىَ وجهاً شوّه الله وجهَه فقُبِّحَ مِن وجهٍ وقبِّحَ حاملُه[1]

وكان الكلب بن كنيس تزوَّج الصراء أمَّ الحطيئة ، فهجاه وهجا أمَّه فقال :

ولقد رأيتُكِ فى النساءِ فسؤتِني وأبا بَنيكِ فساءنى فى المجلس

فى أبيات[2] .

وقال يهجو أمّه :

جَزاكِ اللهُ شرًّا مِن عجوزٍ ولقّاكِ العقوقَ من البَنِينِ

فقد ملّكت أمرَ بنيك حتى تَركْتِهِم أدقَّ من الطَحين

لسانُكِ مِبردٌ لا عيبَ فيه ودَرُّكِ دَرُّ جاذبةٍ دَهِين[3]

وقال يهجوها أيضاً :

تنحَّىْ فاجْلِسِي مِنّي بعيداً أراحَ اللهُ منك العالَمِينا

أَغِرْبالاً إذا استُودِعْتِ سرًّا وكانُوناً على المتحدِّثينا

حَياتُكِ ما عَلِمتُ حياةُ سَوءٍ وموتُكِ قد يَسُرُّ الصَّالحينا

(١) فى الأغانى والشعراء : « شوه الله خلقه » .
(٢) انظر الأغانى ٢ : ٤٣ حيث الأبيات وقصتها
(٣) فى النسختين : « درجارية » صوابه فى الأغانى ٢ : ١٦٣ دار الكتب ، واللسان (دهن) . والجاذبة : الناقة جذبت لبنها من ضرعها فذهب صاعدا . والدهين : البكيئة القليلة اللبن.

وقال فى هجاء أبيه وعمّه وخاله :

لَحَاكَ اللهُ ثمّ لَحَاكَ حقّا أبًا ، ولَحَاكَ مِن عمٍّ وَخالِ
فَنِعْمَ الشيخُ أنتَ لدى المَخَازِى(١) وبِئْسَ الشّيخُ أنتَ لَدَى المَعَالى
جَمعتَ اللُّؤْمَ ، لا حَيَّاكَ رَبّى ! وأَبْوابَ(٢) السَّفَاهَةِ والضَّلال

قال ابن قتيبة : ودخل الحطيئة على عُتيبة بن النهّاس العِجْلىّ ، فسأله فقال: ما أنا فى عمل فأعطيك من غدده(٣) وما فى مالى فضلٌ عن قومى . فلما خرج ، قال له رجل مِن قومه : أتعرفه ؟ قال : لا . قال : هذا الحطيئة ! فأمر بردّه ؛ فلما رجع قال : إنك لم تسلّم تسليمَ الإسلام ، ولا استأنست استئناسَ الجارِ ، ولا رحَّبتَ ترحيب ابنِ العمّ . قال : هو ذلك . قال : اجلس ، فلك عندنا ما تحبّ . فجلس فقال له : من أشعر الناس ؟ قال الذى يقول :

ومن يَجعل المعروفَ من دونِ عِرضِهِ يَفِرْهُ ، ومَنْ لا يتّقِ الشتمَ يُشتَمِ

قال : ثم من ؟ قال : أنا ؟ فقال عتيبة لغلامه : اذهبْ به إلى السوق ، فلا يُشيرَنّ إلى شىء إلاّ اشتريتَه له . فانطلقَ به الغلام ، فجعل يعرِض عليه الحِبَرة واليَمْنَةَ وبياض مصر ، وهو يشير إلى الكرابيس والأكسيةِ الغِلاظ . فاشترى له بمائتى درهم ، وأوقر راحلتَه بُرًّا وتمراً ؛ فقال له الغلام : هل من حاجةٍ غير هذا ؟ قال : لا ، حسْبي ؟ قال : إنّه قد أمرنى أن لا أجعل لك علّة

(١) فى النسختين : « على المخازى » صوابه من الشعراء . ومنه ومن الأغانى نقل البغدادى جميع الأهاجى المتقدمة .

(٢) عند ابن قتيبة : « وأسباب » .

(٣) وكذا فى الشعراء ٢٨٣ . وفى القاموس : « الغدة : القطعة من المال ج غدائد » . وفى شرح ديوان الحطيئة ٩٠ « ما أنا فى عدد فأعطيك من عدده » وكذا فى الأغانى : « من عدده »

فيما تريد . قال : حسبك لا حاجة بى أن يكون لهذا يدٌ على قومى أكثر من هذه . . ثم ذهب فقال :

٤١١

سُئِلتَ فلم تَبْخَلْ ولم تُعْطِ طائلاً فسِيَّانِ لا ذَمٌّ عليكَ ولا حَمْدُ

وأنتَ امرؤٌ لا الجودُ منك سَجِيّةٌ فتُعطِى،وقد يُعدى على النائل الوُجْدُ

وأتى الحطيئةُ كعبَ بن زهير ، فقال له : قد علمتَ روايتى لكم وانقطاعى إليكم ، وقد ذهب الفحولُ غيرى وغيرَك ، فلو قلتَ شعراً تبدأ فيه بنفسك ، ثم تثنى بى ، فإنَّ الناسَ لأشعاركم أروى . فقال كعب :

فمن للقوافى ، شانها مَنْ يحوكُها إذا ماثوى كعبٌ وفوَّزَ جرْوَلُ ؟

نقول ولا نَعيا بشىءٍ نقوله[1] ومِن قائليها من يُسىء ويعمل

نُقَفِّها حتَّى تلينَ متونُها فيقصُر عنها كلُّ ما يُتمثَّلُ

وفى الأغانى عن جماعة : أن الحطيئة لما حضرته الوفاة ، اجتمع إليه قومه فقالوا : أوصِ ، يا أبا مُليكة . قال : ويلٌ للشعر من راوية السوء ! قالوا : أوصِ يرحمك الله ! قال : مَن الذى يقول :

إذا نبضَ الرامُون عنها ترنَّمتْ ترنُّمَ ثَكلى أوْجَعَتْهَا الجنائزُ

قالوا : الشّماخ . قال : أبلغوا غطَفان أنّه أشعرُ العرب ؟ قالوا : ويحك ، أهذه وصيّة ؟ ! أوصِ بما ينفعُك ! قال : أبلغوا أهل ضابى‏ء[2] أنّه شاعر ، حيث يقول :

لِكلِّ جديدٍ لذةٌ غير أنّني وجدتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذِ !

(١) فى النسختين : « ولا نعنى » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته ومن الأغانى ٢ : ٤٤

(٢) هو ضابىء بن الحارث كما فى أمثال الميدانى ٢ : ١٥٥

قالوا : أوص ، ويحك ، بغير ذا . قال : أبلغوا أهلَ امرئ القيس[١] أنه أشعر العرب ، حيث يقول :

فيالَكَ مِنْ ليلٍ كأنَّ نجومَهُ بكلِّ مُغارِ الفَتْل شُدَّت بِيَذْبُل !

قالوا : اتق الله ، ودعْ عنك هذا ! قال : أبلِغوا الأنصارَ أنّ صاحبَهم[٢] أشعرُ العرب ، حيث يقول :

يُغشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابُهُمْ لا يَسألونَ عن السَّوادِ المُقْبِلِ

قالوا : إنَّ هذا لا يغنى عنك شيئاً ، فقل غير ما أنت فيه . فقال :

الشِّعرُ صعبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ إذَا ارتقى فيه الذى لا يَعلَمُهْ
زَلَّتْ به إلى الحضيض قَدَمُهْ يريد أن يُعرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ

قالوا : هذا مثل الذى أنتَ فيه[٣] . فقال :

قَدْ كُنْتُ أحياناً شديدَ المعتَمَدْ وكنتُ ذا غَرْبٍ على خَصْمٍ أَلَدّ[٤]
فَوَرَدَتْ نَفْسِى وما كادَت تَرِدْ

قالوا : يا أبا مليكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا ، واللهِ ، ولكنْ أجزعُ على المديحِ الجيِّد يُمدحُ به مَنْ ليس له أهلاً . قالوا : فمن أشعر الناس ؟ فأومأ بيده إلى فيه ، وقال : هذا اللسان إذا طمع فى خير . واستعبرَ باكياً . قالوا له : قلْ : لا إله إلاّ الله . فقال :

---

(١) فى النسختين : « أبلغوا امرأ القيس » ، صوابه من الأغانى ٢ : ٥٧

(٢) يعنى حسان بن ثابت .

(٣) فى الأغانى : « الذى كنت فيه » .

(٤) الأغانى : « الخصم الد »

قالتْ وفيها حَيْدَةٌ وذُعْرُ عَوْذٌ بربِّى منكم وحُجْرُ(١)

فقيل له : ما تقول فى عبيدك ؟ فقال : هم عبيدٌ قِنٌّ ما عاقبَ الليلُ النّهار . قالوا : فأوصِ للفقراء بشىء . قال : أوصيهم بالإلحاح فى المسألة ، فإنها تجارةٌ لن تَبور ، واستُ المسئولِ أضيَق ! قالوا : فما تقول فى مالكَ ؟ قال : للأنثى من ولدى مِثلاَ حظٌّ الذكر(٢) . قالوا : ليس هكذا قضى الله . قال : لكنّى هكذا قضيتُ . قالوا : فما توصى لليتامى ؟ قال : كُلوا أموالهم ، وَنيكوا أمّهاتِهم . قالوا : فهل شىء تعهَد فيه غير هذا ؟ قال : نعم ، تحملونى على أتانٍ ، وتتركونى راكبَها حتى أموتَ ؛ فإنّ الكريمَ لا يموت على فراشه ، والأتان مركَبٌ لم يمتْ عليه كريمٌ قطّ . فحملوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون عليها ، حتى مات .

وفى الإصابة لابن حجر : أنه عاش إلى زمن معاوية رضى الله عنه .

* * *

الاختصاص

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخمسون بعد المائة ، وهو من شواهدس(٣) :

١٥٠ (بِنا ، تميما ، يُكشَفُ الضَّبابْ(٤))

على أن المنصوب على الاختصاص ربما كان علَماً .

أقول : تميم ، هو تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر . وهذا ليس مرادَ الشاعر ؛ وإنما مراده القبيلة . و (الضَّباب) جمع ضَبابة ، وهو

٤١٢

(١) حجر ، بالضم ، أى رفع ، كما فى اللسان (حجر ٢٣٩) عند انشاد هذا الرجز .

(٢) كذا فى ط والأغانى . وفى ش : « مثل حظ الذكر »

(٣) سيبويه ١ : ٢٥٥ ، ٣٢٧ وانظر العينى ٤ : ٣٠٢ وابن يعيش ٤ : ٣٠٢ وملحقات ديوان رؤبة ١٦٩

(٤) قبله فى الديوان :

* راحت وراح كعصا السيساب *

ندىً كالغبار يغشىٰ الأرضَ بالغَدَوات ، وأضَبَّ يومُنا بالهمزة : إذا صار ذا ضباب . فضرب الضَّبابَ مثلا لغمّة الأمر وشدّته ، أى بنا تُكشَفُ الشدائدُ فى الحروب وغيرها .

وأنشده س على أنَّ تميما منصوبٌ بإضمار فعل ، على معنى الاختصاص والفخر .

و (بنا) متعلق بقوله : (يكشف) . وقدّم للحصر .

وهذا البيت من أرجوزة لرؤبة بن العجّاج وقد تقدّمت ترجمته فى الشاهد الخامس من أوائل هذا الكتاب(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد المائة(٢) :

١٥١ (إنَّا بَنِي ضَبَّةَ ، لا نَفِرُّ)

على أنّ بَنِى ضبّة منصوب على الاختصاص ، تقديره : أخصّ بنى ضبّة الجملة معترضة بين اسم إنّ وخبرها ، وهو جملة لا نفرّ ، جىء بها لبيان الافتخار .

و (ضبّة) هو ابن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر . وأبناء ضبّة ثلاثة : سعد ، وسُعيد (بالتصغير) ، وباسل وهو أبو الدَّيلم .

قال أبو عُبيد القاسم بن سَلاّم : خرج باسل بن ضبّة مغاضباً لأبيه ، فوقع بأرض الديلم ، فتزوّج امرأة من العجم ، فولدت له دَيلماً . فهو أبو الديلم .

* * *

(١) ص ٨٩ من الجزء الأول

(٢) لم أجده فى غير الخزانة

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد المائة(١) :

١٥٢ (لنا يومٌ وللكِرْوانِ يومٌ تَطِيرُ البائِساتِ ولا نَطِيرُ)

على أنَّ (البائساتِ) منصوب على الترحّم .

وهذا البيت من قصيدة لطرفة بن العبْد، هجا بها عَمرو بن المنذر بن صاحب الشاهد امرئْ القيس، وأخاه قابوسَ بن المنذر — وأمُّهما بنت الحارث بن عمرو الكندىّ آكل المُرار — وهذه أبياتُ ثمانية منها :

أبيات الشاهد

(فليتَ لنا مكانَ المَلْكِ عَمرٍو رَغُوثًا حولَ قُبّتِنا تَخورُ
من الزَّمِراتِ أسبَلَ قادِماها، وضرَّتُها مُرَكَّنةٌ دَرورُ
يُشارِكنا لنا رَخِلانِ فيها وتعلوها الكِباش وما تنورُ
لعمركَ، إنَّ قابوسَ بنَ هندٍ ليَخلِط مُلكَه نَوكٌ كثيرُ
قسمتَ الدهرَ فى زمنٍ رخىّ كذاك الحكمُ يقصِدُ أو يجور
لنا يومٌ وللكروان يومٌ . . . . . . البيت
فأمّا يوْمُهُنّ فيوم سوءٍ تُطارِدُهنّ بالحَدَبِ الصُّقورُ
وأمّا يومُنا فنظلّ رَكبًا وُقوفًا ما نَحُلُّ ولا نَسيرُ)

٤١٣

وكان السبب فى هذه القصيدة — على ما حكَى المفضّلُ بن سلمة فى كتابه (الفاخر) — أن عمرو بن المنذر، كان يرشّح أخاه قابوس بن المنذر ليملك بعده، فقدِم عليه المتلمِّس وطرَفة، فجعلهما فى صَحابة قابوس، وأمرهما بلزومه . . وكان قابوسُ شابًّا يعجبه اللهوُ، وكان يركب يومًا فى الصيد فيركض يتصيّد وهما معه يركضان، حتى يرجعا عشيّة وقد تعبا، فيكون قابوسُ من الغد

(١) الشعراء ١٤٠ والفاخر ٧٤ وديوان طرفة ٧

فى الشراب ،فيقفان بباب سُرادقه إلى العشىّ. فكان قابوس يوماً على الشراب ؛ فوقفا ببابه النهارَ كلَّه ، ولم يصلا إليه ؛ فضجر طرَفة فقال هذه القصيدة .

وقال يعقوب بن السِّكِّيت ، والأعلم الشَّنتمرىّ (فى شرحهما لديوان طرفة) : إن عَمرو بن هند المذكور ، كان شِرِّيراً ؛ وكان له يوم بؤس ويوم نعمة ؛ فيومٌ يركبُ فى صيده يقتُل [أوَّل[1]] مَن يَلقىٰ ، ويومٌ يقف الناسُ ببابه ، فإن اشتهىٰ حديثَ رجل أذِنَ له ، فكان هذا دهره كلَّه . فهجاه طرفة وذكر ذلك بقوله : فليت لنا مكان . . الخ ، المَلْك ، بفتح الميم وسكون اللام وأصلُها الكسر : وصفٌ مِن ملك على الناس أمْرَهم : إذا تولّى السلطنة . ولنا : خبر ليتَ مقدَّم ، ورَغوثاً : اسمها مؤخّر ؛ ومكانَ الملك : ظرف ، وكان فى الأصل صفة لرَغوث فلمّا قدم صار حالاً . والرَّغُوث ، بفتح الراء وضم الغين المعجمة وآخره ثاء مثلثة : النعجة المرضِع ؛ يقال رغَث الغلامُ أمَّه : إذا رضِعها . وتخور : تصوِّت ؛ وأصل الخوار للبقر . فجعلَه طَرَفةُ للنعجة .

وقوله : من الزَّمِرات . . الخ ، بفتح الزاى المعجمة وكسر الميم أى القليلات الصُّوف ،وخصَّها لأنَّها أغزر ألباناً ؛ يقال رجل زَمِر المروءة : إذا كان قليلَها . والقادمان : الخِلْفان ؛ وأصل القادمين للناقة ، لأنّ لها أربعة أخلاف : قادمين ، وآخرين ؛ فاستعار القادمين للشاة . وأسبَل : طال وكمُل والضَّرَّة ، بفتح الضاد المعجمة . لحم الضَّرع . والمركَّنة : التى لها أركان ، أى جوانب وأصل ؛ وقيل : هى المجتمعة . والدَّرُور ، بفتح الدال : الكثيرة الدَّرّ .

وقوله : يشاركنا . . الخ ؛ الرَّخِل ، بفتح الراء وكسر الخاء المعجمة : الأنثى من أولاد الضأنِ . ولنا : حال من رَخِلان ؛ وكان قبل التقديم صفة ،

---

(١) التكملة من ديوان طرفة

أى يشاركنا فى لبنها رخلان لنا . وتَنور ، بالنون : تنفِر ، والنَّوَّار : النَّفور . يصف غزارة دَرِّها وكثرةَ أولادها ، وأنَّها قد أَلِفت الذكورَ فما تنفر منها .

وَقوله : نَوك كثير ، النوك بالنون : الحماقة ، وكثير : يروىٰ بالمثلّثة وبالموحَّدة . وكان قابوسُ يحمَّق ويُزَنُّ فى نفسه .

وقوله : قسمتَ الدهر . . الخ ، هو بالخطاب ، على طريقة الالتفات : إمَّا من قابوسَ على قول المفضَّل بن سلمة ، وإما من عمرو على القول الآخر ، يخاطبه ويذكر ما كان من يوم صيده ويوم وقوف الناس ببابه . وقد بيّنه فى الأبيات التى بعده . والرخِيّ : السهل اللّين . وكذاك الحكم ، جملة اسميّة على حذف مضاف ، أى ذو الحكم . أرسلها مثلا . وقوله : يقصد . . الخ ، بيان لجهة التشبيه . ويقصِد : مِن قصَد فى الأمر قصْداً ، من باب ضرب : إذا توسّط وطلب الأسدّ ولم يجاوز الحدّ . وقوله : لنا يوم . . الخ ، مبتدأ وخبر وروى فى أكثر الروايات : ٤١٤

* لنا يوماً وللكِرْوان يوماً *

بنصب يوماً فى الموضعين على أنّه بدل كلٍّ من الدهر . والكِرْوان بكسر الكاف وسكون الراء ، قال الأعلم[1]: « هو جمع كَرَوان ، وهو طائر ، ونظيره شَقَذان وشِقْذان ، ووَرَشان ووِرْشان ، وحمار فَلَتان والجمع فِلْتان . وقد يكون كِرْوان جمعَ كَراً مثل فتًى وفِتْيان وخَرَب وخِرْبان » انتهى .

ولم يذكر فى أمثاله أبو فيد مؤرِّج بن عمرو السَّدوسىّ إلاّ الوجه الثانى كما تقدّم فى الشاهد الرابع والأربعين بعد المائة[2]، قال : قالوا : كَراً وكِرْوان مثل فتًى وفتيان . وأنشد هذا البيت .

(١) أى فى شرح ديوان طرفة
(٢) انظر ص ٣٧٤ من هذا الجزء

وزعم ابن السيِّد، فيما كتبه على هذا الكتاب[١]: أنّ الكروان هنا مفرد بفتح الكاف والراء، وأن التأنيث باعتبار قصد الأفراد من الجنس. انتهى.

والبائساتِ، منصوب على الترحُّم كما يقال: مررت به المسكينَ. وفاعل تطير، ضمير الكروان. ورُوى بالرفع أيضاً، قال ابن السكّيت: وهو الأكثر وقال الأعلم: والرفع على القطع، وقد يكون على البدل من المضمر في تطير. وهو جمع بائسة، من البُؤس بالضم وسكون الهمزة، وهو الضرّ؛ يقال: بئِسَ، بالكسر: إذا نزل به الضرّ، فهو بائس: وقوله: لا نطير، بنون المتكلّم مع الغير.

وقوله: فأمّا يومهنّ.. الخ السَّوء بفتح السين؛ قال الأزهريّ في تهذيبه: «وتقول في النكرة: هذا رجلُ سَوء، وإذا عرَّفتَ قلتَ: هذا الرجل السَّوء، ولم تُضِفْ. وتقول: هذا عملُ سَوء، ولا تقل عمل السَّوء، لأن السَّوء يكون نعتاً للرجل، ولا يكون السَّوء نعتاً للعمل، لأن الفعل من الرجال؛ وليس الفعل من السوء. كما تقول: قوْل صِدقٍ وقول الصدقِ ورجل صدقٍ، ولا تقول رجل الصدق لأن الرجل ليس من الصدق» انتهى. ورُوى بدله (نحْسٍ) وهو بمعناه. والحدَب بفتح المهملتين: ما ارتفع من الأرض وغلظ. يقول: يوم الكِرْوان يومُ نحسٍ، لمطاردة الصقور لهن. وقوله: ما نحُلُّ ولا نَسير، أي نحن قيام على بابه، ننتظر الإذن، فلا هو يأذن فنحلّ عنده، ولا هو يأمرنا بالرجوع فنسير عنه. ونحُلُّ مضارع حلَّ يحُل حُلولاً؛ من باب قعد: إذا نزل.

---

(١) ش: «وزعم السيد».

طرفة

و (طرَفة) ، هو طرفة بن العبْد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل. الشاعر المشهور .

وطرَفة بالتحريك ، فى الأصل : واحد الطَرْفاء وهو الأثْل(١) ، قال فى القاموس : الطرَفة محركة : واحدة الطَّرْفاء ، وبها لقِّب طرَفة بن العبد ، واسمه عمرو ، ولقب ببيتٍ قاله(٢) .

وهو أشعر الشعراء بعد امرئ القيس . ومَرتَبته ثانى مرتبة ؛ ولهذا ثُنِّى بمعلّقته . وقال الشعرَ صغيراً . قال ابن قتيبة : هو أجود الشعراء قصيدةً . وله بعد المعلقة شعرٌ حسن . وليس عند الرواة من شعره وشعر عَبيدٍ إلاّ القليل . وقُتل وهو ابن ست وعشرين سنة .

وكان السبب فى قتله : أنه وفد مع خاله المتلمِّس على عمرو بن هند، فأكرمهما وبقيا عنده مدّة (قال المفضّلُ بن سلمة) : وكان لطرفة ابنُ عمٍّ عند عمرو ابن هند واسمه عبدُ عَمْرٍو بن بشر بن عمرو بن مَرثَد بن سعد بن مالك ابن ضُبيعة — وكان طرفة عدوًّا لابن عمّه عبد عمرو — وكان سميناً بادناً ، فدخل على عمرو بن هند الحمَّام ، فلما تجرّد قال عمرو بن هند : لقد كان ابن عمّك طرفةُ رآك حين ما قال — وكان طرَفة هجا عبدَ عمرو ، فقال فيه من جملة أبيات :

٤١٥

ولا خَيْرَ فيه ، غير أنّ له غنًى　　　وأنّ له كشحاً ، إذا قام ، أهضَما

---

(١) فى القاموس : « الطرفاء : شجر ، وهى أربعة أصناف ، منها الأثل، الواحدة طرفاءة وطرفة محركة » .

(٢) هو كما فى القاموس والمزهر ٢ : ٤٤١ :

لا تُعجِلا بالبكاء اليوم مطَرِفاً　　　ولا أميريكما بالدار إذ وقفا

فلما أنشد الأبياتَ لعبد عمرو قال له عبد عمرو : ما قال لك شرٌّ مما قال لى ؛ ثم أنشده :

فليتَ لنا مكانَ الملكِ عمرٍو . . (الأبيات المتقدّمة)

فصدّقه عمرو بن هند وقال له : ما أصدّقك عليم — مخافةَ أن تدركه الرحمُ ويُنذرَه — فمكث غير كثير ، ثم دعا المتلمِّس وطرَفة ، وقال : لعلكما قد اشتقتما إلى أهلكما ، وسَرَّكما أن تنصرفا ! قالا : نعم ! فكتب لهما إلى عامله على هجَر أن يقتلهما . وأخبرَهما أنه قد كتَب لهُما بحِباء ، وأعطى كلّ واحد منهما شيئاً فخرجا — وكان المتلمس قد أسنّ — فمرّا بنهر الحِيرة على غِلمانٍ يلعبون ؛ فقال المتلمس : هل لك أن ننظر فى كتابينا ، فإن كان فيهما خيرٌ مضينا له ، وإن كان شراً ألقيناهما ؟ فأبى عليه طرفة . فأعطى المتلمسُ كتابَه بعضَ الغلمان ؛ فقرأه عليه ، فإذا فيه السوء . فألقى كتابه فى الماء ، وقال لطرفة : أطِعْنى وألقِ كتابَك ! فأبى طرفةُ ومضى بكتابه إلى العامل ، فقتله . ومضى المتلمّس حتى لحق بملوك بنى جَفنة بالشام اه .

وروى يعقوبُ بن السكِّيت (فى شرح ديوانه) القصّةَ بأبسط من هذا ، قال : إنّ طرفة لمّا هجا عمرَو بنَ هند بالأبيات المتقدِّمة ، لم يَسمعها عمرو ابن هند . حتّى خرج يوماً إلى الصيد فأمعنَ فى الطلب ، فانقطع فى نفرٍ من أصحابه ؛ حتى أصاب طَريدتَه فنزل ، وقال لأصحابه : اجمعوا حطباً — وفيهم ابن عمٍّ طرفة — فقال لهم : أوقدوا . فأوقدوا ناراً وشَوَى . فبينما عمرٌو يأكل من شوائه وعبدُ عمرٍو يُقدّم إليه ، إذْ نظر إلى خَصْر قميصه منخرقاً ، فأبصر كشحه ، وكان من أحسن أهل زمانه جِسْما — وقد كان بينه وبين طرفة أمرٌ وقع بينهما منه شرّ ، فهجاه طرفة بأبيات — فقال له عمرو بن هند — وكان

سمع تلك الأبيات — : يا عبد عمرو ، لقد أبصر طرَفةُ حُسنَ كشحك ، ثم تمثّل فقال :

ولا خير فيه غيرَ أنّ له غنًى   وأنّ له كشحاً ، إذا قامَ ، أهضَما

فغضب عبدُ عمرو مما قاله وأَنِف ، فقال : لقد قال للملك أقبحَ من هذا ! قال عمرو . وما الذى قال ؟ فندِم عبدُ عمرو ، وأبى أن يُسمعه. فقال . أسمِعْنيه ، وطرَفة آمِن. فأسمعَه القصيدةَ التى هجاه بها (وشرحنا منها ثمانية أبيات تقدّمت) فسكت عمرو بن هند على ما وقَر فى نفسه ، وكره أن يعجّل عليه ، لمكان قومه ؛ فأضرب عنه — وبلغ ذلك طرَفةَ — وطلب غِرَّته والاستمكانَ منه ؛ حتى أمن طرفة ولم يخَفْه على نفسه ، فظنَّ أنه قد رضى عنه . وقد كان المتلمِّس — وهو جرير بن عبد المسيح — هجا عمرَو بنَ هند . وكان قد غضب عليه ؛ فقدم المتلمّسُ وطرَفة على عمرو بن هند ، يتعرَّضان لفضله . فكتب لهما إلى عامله على البحرين وهجَر . وكان عاملَه فيهما فيما يزعمون ربيعةُ بنُ الحارث العبدىّ ، وهو الذى كتب إليه فى شأن طرَفة والمتلمّس — وقال لهما : انطلِقا إليه فاقبِضا جوائزَ كما . فخرجا . فزعموا أنّهما لمّا هبطا النّجف قال المتلمِّس : يا طرَفة ، إنّك غلامٌ غِرٌّ حديثُ السنّ ، والملكُ مَن قد عرَفتَ حِقدَه وغَدْره ، وكلانا قد هجاه ؛ فلست آمنا أن يكون قد أمر فينا بشرّ ؛ فهلمَّ ننظرْ فى كتابينا ، فإن يكن أمَر لنا بخيرٍ مضينا فيه ، وإن يكن قد أمر فينا بغير ذلك لم نُهلِك أنفسنا ! فأبى طرَفةُ أن يفكّ خاتَم الملِك ، وحرص(١) المتلمّس على طرَفة فأبى . وعدَل المتلمّس إلى غلام من غِلمان الحِيرة عِبادىّ فأعطاه الصحيفة ، فقرأها ، فلم يصل إلى ما أُمِر به فى المتلمس حتّى جاء غلامٌ بعده فأشرف فى الصحيفة

(١) الأغانى ٢١ : ١٢٥ : « وحرض » بالضاد المعجمة

لايدرى لمن هى[١] فقرأها فقال : ثَكِلَت المتلمسَ أُمُّه ! فانتزع المتلمّسُ الصحيفةَ من يد الغلام ، واكتفى بذلك من قوله ، واتّبع طرفة فلم يدركه ، وألقى الصحيفةَ فى نهر الحيرة ، ثمَّ خرج هاربا .

وقد كان المتلمّس فيما يقال قال لطرفة حين قرأ كتابه : تعلّم ، أنّ فى صحيفتك لَمِثل الذى فى صحيفتى ! فقال طرفة : إن كان اجترأ عليك فما كان ليجترئْ علىّ ، ولا لِيغرّنى ، ولا لِيقدم علىّ ! فلما غلبه سار المتلمّس إلى الشام ، وسار طرفة حتىّ قَدِم على عامل البحرَين وهو بهجَر . فدفع إليه كتابَ عمرو بن هند ، فقرأه فقال : هل تعلم ما أُمرتُ به فيك ؟ قال : نعم ، أُمرتَ أن تجيزنى وتحسنَ إلىّ . فقال لطرفة : إن بينى وبينك لخئولةً أنا لها راعٍ ، فاهرُبْ من ليلتك هذه ، فإنى قد أُمِرتُ بقتلك ؛ فاخرجْ قبل أن تصبح ويَعلم بك الناس ! فقال له طرفة : اشتدَّتْ عليك جائزتى وأحببتَ أن أهرُبَ وأجعلَ لعمرو بن هند على سبيلا ، كأنّى أذنبت ذنبًا ؟! والله لا أفعلُ ذلك أبدا ! فلما أصبح أمرَ بحبسه . وجاءت بكرُ بن وائل فقالت : قدِمْ طرَفة ! فدعا به صاحبُ البحرَين ، فقرأ عليهم كتابَ الملك ، ثمّ أمر بطرفة وحُبِس ، وتكرَّم عن قتله ، وكتب إلى عمرو بن هند : أن ابعثْ إلى عَمَلك[٢] ، فإنّى غير قاتل الرجل . فبعث إليه رجلاً من بنى تغلب ، يقال له عبد هند ابن جرذ[٣] ، واستعمله على البحرين وكان رجلاً شجاعًا ، وأمره بقتل طرفة

---

(١) ط : « من هو » صوابه فى ش . وفى الأغانى : « لايدرى ممن هى » وانظر القصة هناك مروية عن ابن السكيت

(٢) كناية عن استقالته . وانظر شرح القصائد السبع ١٢٧

(٣) فى نوادر المخطوطات ٢ : ٢١٤ وشرح القصائد السبع الطوال ١٢٧ : « عبد هند بن جرَد » . وفى احدى نسخ القصائد السبع : « بن خُرَّد » ط : « عبد بن هند » تحريف ، صوابه فى ش وشرح القصائد السبع

وقتل ربيعةَ بنَ الحارث العبدىّ فقدِمها عبدهند، فقرأ عهدَه على أهل البحرَين، ولبث أيّاماً. واجتمعت بكر بن وائل فهمّت به، وكان طرفة يحضّضهم. وانتدَب له رجلٌ من عبد القيس ثم من الحوَاثر يقال له «أبوريشة» فقتلَه. فقبْرُه اليوم معروف بهجَر.

وزعموا أنّ الحواثر ودَته إلى أبيه وقومه(١).

وقالت أخت طرفة تهجو عبد عمرو، لِما كان من إنشاده الشعر للملك:

ألا ثكلتْكَ أمكَ عبدَ عمرو أبِالخَرباتِ آخيتَ الملوكا

همُ دحوْك للورِكين دحًّا ولو سألوا لأعطيت البُروكا

ورثتْ طرفةَ أخته بقولها(٢):

عَدَدنا له ستًّا وعشرين حِجَّةً فلما توَفَّاها استوىٰ سيِّداً ضَخْما

فُجِعْنا به لمّا رجَونا إيابَهُ على خيرِ حالٍ: لاوَليداً ولا قَحْما

اهـ. ومثله فى (كتاب الشعراء لابن قتيبة) قال: وكان طرَفة فى حسبٍ من قومه جريئاً على هجائهم وهجاءِ غيرهم. وكانت أخته عند عبد عمرو بن بشر بن مرْثد، وكان عبدُ عمرو سيِّد أهلِ زمانه، فشكت أخت طرَفة شيئاً من أمر زوجها إليه، فقال:

ولا عيب فيه غير إن له غنًى . . . . . البيت

وإنّ نساء الحىّ يعكُفن حولَه يقُلن عَسب من سَرارةِ مَلْهَما

(وأهضم: منقبض. وسَرارة بالفتح: خيار. ومَلْهَم، بالفتح: موضع

---

(١) وكذا فى شرح القصائد السبع والأغانى ٢١ : ١٣٢ وفى ط فقط: «ردته الى أبيه وقومه»، تحريف

(٢) ش: «ورثت طرفة بقولها».

كثير النخل) فخرج عمرو بن هند يتصيَّد ، ومعه عبدُ عمرو ، فأصاب حماراً فعقَره ، فقال لعبدعمرو : انزلْ إليه ! فنزل إليه فأعياه ، فضحك عمرو بن هند وقال : لقد أبصرَك طرَفةُ حين قال :

٤١٧ ولاعيبَ فيه غير أنّ له غنًي . . . . البيت

وقال فى آخرها : ويقال : إنّ الذى قتله المعلّى بن حنش[1] العبدى والذى تولى قتله بيده معاوية بن مرة الأيفلّى[2] حيٌّ من طَسْم وجَديس .

ثم قال : وكان أبو طرفة مات ، وطرَفةُ صغير ، فأبى أعمامه أن يقسِموا ماله ، فقال :

ما تَنظُرونَ بمالِ وَرْدةَ فيكمُ صَغُرَ البنونَ ورهط وَردةَ غُيَّبُ[3]

قد يَبعثُ الأمرَ العظيمَ صغيرُه حتّي تظلّ له الدماء تَصببُ

والظُّلم فرّقَ بين حيَّي وائلٍ بكرٌ تساقيها المنايا تغلِب

والصِّدقُ يألفه الكريم المرتجىْ والكِذْب يألفه الدنِىء الأخيَب

ويقال : إنّ أول شعرٍ قاله طرفة ، أنه خرج مع عمِّه فى سفر ، فنصَب فخًا فلما أراد الرحيل قال :

يالكِ من قُبَّرةٍ بمَعْمَر خلا لكِ الجوّ فبيضى واصفِرى

ونقِّرى إن شئت أن تُنقِّرى قد رُفِعَ الفخّ ، فماذا تحذَرى

لا بدَّ يوما أن تُصادى فاصبرى . ا هـ

---

(١) ط : « خشن » ، صوابه فى ش والشعراء ١٣٨

(٢) وردت هذه الكلمة مهملة الاعجام فى النسختين ، واعجامها من الشعراء ١٣٨

(٣) ط : « صفر البنون » ، صوابه فى ش والشعراء . ووردة أم طرفة كما فى الشعراء

وعمرو بن هند المذكور هو من ملوك الحيرة. كان عاتياً جبّاراً ، ويسمى محرِّقا أيضاً ، لأنه حرّق بنى تميم ، وقيل : بل حرّق نخل اليمامة . والنعمانُ ابن المنذر صاحبُ النابغة أخو عمرو بن هند[1] . وسيأتى إن شاء الله تعالى ، نسبةُ عمرو بن المنذر فى نسبة أخيه النعمان بن المنذر[2] فى الشاهد الثالث بعد هذا .

(تتمة)

ذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف مَن اسمُه طرفة من الشعراء أربعة ، أوّلهم هذا .

من اسمه طرفة

و (الثانى) طرفة بن ألاءة بن نَضْلَة بن المنذر بن سَلمىٰ بن جَنْدَل بن نهشَل بن دارم .

و (الثالث) طرفة الجَذَمىّ أحد بنى جَذيمة العبسى[3] . و (الرابع) طرفة أخو بنى عامر بن ربيعة .

* * *

---

(١) صاحب النابغة هذا هو النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرىء القيس بن عدى . وأما عمرو فهو عمرو بن هند نسب الى أمه ، واسمه عمرو بن المنذر بن امرىء القيس . انظر العمدة ٢ : ١٧٩ فعمروبن هند عمه لا أخوه . وسيأتى ذلك فى الشاهد ١٥٥ نقلا عن العمدة . فيبدو أن صواب العبارة « ابن أخى عمرو بن هند »

(٢) كذا . والوجه « فى ترجمة ابن أخيه النعمان بن المنذر » حسب ما يفهم من نص العمدة الذى اعتمد عليه البغدادى

(٣) فى المؤتلف ١٤٦ : أحد بنى جذيمة بن رواحة بن قطيعة بن عبس بن بغيض » . وفى القاموس : « طرفة الحزيمى من بنى خزيمة بن رواحة » تحريف . وانظر جمهرة ابن حزم ٢٥١

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

١٥٣ (ويَأوِى إلى نِسْوَةٍ عُطلٍ   وشُعْثاً مَراضيعَ مثلَ السعالى)

على أن قوله : (شُعْثاً) منصوبٌ على الترحّم كالذى قبله .

قال سيبويه : وشعثاً منصوب باضمار فعل . قال الأعلم : « لأنه لما قال : نسوةٍ عُطّل ، عُلِم أنهنّ شُعْثٌ . فكأنه قال : وأذكرهُنّ شعثاً . إلاّ أنه فعل لا يظهر ، لأن ما قبله دلّ عليه فأغنى عن ذكره » .

وقال ابن خلف : الشاهدُ أنّه نصَب شُعثاً ، كأنه حيث قال : إلى نسوة عُطّل ، صرن عنده ممّن عُلم أنهنّ شُعث ولكنه ذكر ذلك تشنيعاً لهنّ وتشويهاً . قال الخليل: كأنه قال : أذكرهنّ شعثاً ، إلا أنّ هذا فعلٌ لا يستعمل إظهاره ، لأن ما قبله قد دلّ عليه فأغنيٰ عن ذكره ، على ما يجرى الباب عليه فى المدح والذمّ[2] .

٤١٨ وأنشده سيبويه فى موضع آخر[3] أيضاً قبل هذا بجرّ شعثٍ عطفاً على عطّل . وقال[4] : « وإن شئت جررت على الصفة . وزعم يونس أن ذلك أكثر ، كقولك مررت بزيد أخيك وصاحبِك » . ثم قال[5] : « ولو قال : فشُعْث، بالفاء لقَبُح » .

---

(١) سيبويه ١ : ١٩٩ ، ٢٥٠ وانظر العينى ٤ : ٦٣ وابن يعيش ٢ : ١٨ والهذليين ٢ : ١٨٤ ومعانى الفراء ١ : ١٠٨

(٢) انظر سيبويه ١ : ٢٥٠ وقارن ما نقل هنا عن الخليل بما هو مسطور هناك

(٣) يعنى ١ : ١٩٩ وفى ط : « فى مواضع أخر » ، صوابه فى ش

(٤) يعنى فى ص ٢٥٠ لا ص ١٩٩ .

(٥) أى فى ص ١٩٩ لا ص ٢٥٠ .

قال النحّاس : ومعنى قوله : لقبُح : لايجوز . لأنّ عطّلاً وشعْثاً صفتان ثابتتان معاً فى الموصوف ، فعطفت إحداهما على الأخرى بالواو ، لأن معناها الاجتماع ؛ ولوعطفت بالفاء لم يجزْ لأنّه لم يُردْ أنّ الشعَثَ حصل لهنّ بعد العطَل .

وأورد هذا البيتَ صاحبُ الكشّاف عند قوله تعالى : (وَأُولُو العِلْمِ قائِماً بالقِسْطِ[1]) على أن المنتصِب على المدح كما يجىء معرفة يجىء نكرة ، كما فى شعثاً فإنه منصوبٌ على الترحّم .

وأورده أيضاً ابنُ الناظم وابنُ هشام فى شرح الألفيّة ، على أن قوله : شُعثاً ، منصوب بفعل مضمر على الاختصاص ، ليبيّن أنّ هذا الضربَ من النساء أسوأ حالاً من الضرب الأوّل الذى هو العُطّل منهنّ . ومثل هذا يسمّى نصباً على الترحّم .

قال ابن الحاجب (فى أماليه) : لايجوز أن يكون شُعثاً منصوباً مفعولا معه ، لأن شرطه التشريك مع المرفوع فى نسبة الفعل . وقد توهّم مَن لاعِبرة به جوازَ : سرت والجبلَ ؛ وهو غير جائز ، إذ الجبل لا يسير ؛ ولو سُلّم جوازُه فلا بدّ من تأويله ، وهو أن يجعل كأنّ كلّ جزءٍ من الجبل سائر ، لأنه إذا سار من موضعٍ [من[2]] نواحى الجبل فذاك مفارقٌ له .

والبيتُ مطلق الروىّ ، فهو بكسر اللام من السعالى ، كما أنشده سيبويه . قال النحّاس : هكذا أخذناه عن أبى إسحاق ، وأبى الحسن ، وهو الصواب . وأنشد هذا البيت العَروضيّون ، منهم الأخفش سعيد : « مثلَ السعَالْ » بإسكان اللام . ولا يجوز إلاّ ذلك على ما رووه ؛ لأنهم جعلوه من المتقارِب من الضرب الثانى من العروض الأولى .

---

(١) الآية ١٨ من آل عمران
(٢) التكملة من أمالى ابن الحاجب مخطوطة دار الكتب رقم ٢٦ نحو

وقوله : (ويأوى . الخ) فاعل يأوى ، ضميرُ الصيّاد : أى يأتى مأواه ومنزله إلى نسوة . وعُطّل : جمع عاطل،قال فى الصحاح : « والعطَل بالتحريك : مصدر عطِلت المرأة : إذا خلا جِيدُها من القلائد ، فهى عُطْل بالضم وعاطل ومِعطال . وقد يُستعمل العطَل فى الخلوّ من الشىء ، وإن كان أصله فى الحلى ، يقال عطِل الرجل من المال والأدب فهو عُطل ، بضمّة وبضمّتين » . وهذا هو المراد هنا ؛ لأن المعنى : أنّ هذا الصيّاد يَغيب عن نسائه للصيد ، ثم يأتى اليهنّ فيجدُهُنّ فى أسوأ الحال .

و (الشُّعْث) جمع شَعثاء ، من شعِث الشعر شَعَثاً فهو شعِث ، من باب تعب : تغيّر وتلبّد لقلّة تعهُّده بالدهن ؛ ورجل أشعث وامرأة شعثاء . و (المراضيع) : جمع مِرضاع ، بالكسر وهى التى تُرضِع كثيراً .

و (السَّعالى) بفتح السين ، قال أبو علىّ القالىّ ، فى كتاب المقصور والممدود : السِّعْلى ، بالكسر وبالقصر : ذَكَر الغيلان ، والأنثى سِعلاة : وقال الأصمعىّ : يقال : السِّعلاة : ساحرة الجنّ . حدّثنا أبو بكر بن دريد قال : ذكر أبو عبيدة ، وأحسب الأصمعىّ قد ذكره أيضاً ، قال لقِيَت السِعلاةُ حسَّانَ بنَ ثابت فى بعض طرُقات المدينة — وهو غلام ، قبل أن يقول الشعر — فبركت على صدره ، وقالت : أنتَ الذى يرجو قومُكَ أن تكون شاعرَهم ؟ ! قال : نعم ؟ قالت : فأنشدْنى ثلاثة أبيات على روىّ واحد ، وإلاّ قتلتُك ؟ فقال :

٤١٩
إذا ما ترَعرعَ فينا الغلامُ فما إنْ يُقال له : مَنْ هُوَهْ
إذا لم يَسُد قبلَ شدّ الإزارِ فذلك فينـا الذى لا هُوَه
ولى صاحبٌ من بنى الشَّيْصَبانِ فحيناً أقولُ وحينـاً هوه

فخلّتْ سبيله . اهـ .

والشَّيصبان، بفتح الشين المعجمة وبعدها ياء مثنّاة تحتيّة وبعدها صاد مهملة مفتوحة وبعدها باء موحدة، قال ابن دريد فى الجمهرة : هو ابن جنّىّ من الجن . . وأنشد هذا البيت .

وروى أبو سعيد السكّرىّ هذا البيت فى أشعار هذيل كذا :

له نسوةٌ عاطلاتُ الصدو ... رِ عُوجٌ مراضيعُ مثلُ السَّعالى[1]

وقال : عُوج : مهازيل مثل الغِيلان فى سوء الحال ؛ هو جمع عَوجاء . قال فى الصحاح : « والعوجاء : الضامرة من الإبل » . وعلى هذه الرواية فلا شاهد فى البيت .

وهذا البيت لأميّة بن أبى عائذ الهذلىّ من قصيدة طويلة عدتها ستة وسبعون بيتاً[2]، على رواية أبى سعيد السكّرىّ (فى أشعار الهذليّين) وهذا مطلعها :

(إلا يا لَقومِ لِطَيف الخيالِ ... يؤرِّقُ من نازحٍ ذى دَلال[3])

الطَّيف هنا مصدر طاف الخيال يَطيف طَيفاً . ويؤرِّق : يسهِّد . وقوله : من نازح، أى من حبيب بعيد .

وهذا من أبيات سيبويه ؛ أورده شاهداً على فتح اللام الأولى وكسر

---

(١) ط : « مراضع » صوابه من الهذليين وتصحيح الشنقيطى فى نسخته

(٢) الحق أن عدتها ٨٣ بيتا كما فى شرح أشعار الهذليين للسكرى ٤٩٤ ــ ٥١٤ بتحقيق عبد الستار فراج

(٣) يالقوم، بكسر الميم، وكما قال الصبان فى حاشيته ٣ : ١٦٦ : « بحذف ياء المتكلم والدلالة بالكسر عليها »

الثانية فرقا بين المستغاث به والمستغاث من أجله . قال سيبويه[١]: معناه : مَن لطيف الخيال من نازحٍ ذى دلال يؤرّقنى . وذكّر النازح لأنَّه أراد الشخص . والدلال : الدلالة بحسنٍ ومحبَّةٍ ونحوها .

(أجاز إلينـا على بُعدِه ، مَهاوىَ خَرْقٍ مَهابٍ مَهَالِ)

أجاز الخيالُ : أى قطع إلينا على بعده . مَهاوى : مواضع يُهوَى ويسقَط فيها وهو مفعول أجاز . والخرق ، بالفتح : الفلاة الواسعة تنخرق فيها الرياح . ومَهَاب ، بالفتح : موضع هَيبة[٢]. ومَهال : موضع هَوْل .

(صحَارٍ تَغَوَّلُ جِنَّانُها وأحدابَ طَودٍ رفيع الجبالِ)

صحارٍ : جمعُ صحراء . وتغوّلُ : تتلوَّن كالغول . والجِنّان بالكسر : جمع جانّ ، وهو أبو الجنّ . وأحداب ، منصوب بالعطف على مهاوىَ ، وهو جمع حدَب بالتحريك ، وهو ما ارتفع من الأرض .

(خيالُ لجعْدَةَ قد هاج لى نُكاساً من الحُبِّ بعد اندِمالِ)

أى ذلك الخيالُ خيالُ جعدةَ . يقال : عرض لى نُكْس ونُكاس بضمهما. واندمل : أفاق بعضَ الإفاقة .

(تَسَدَّى مع النوم تِمثـالها دُنُوَّ الضَّباب بطَلٍّ زُلالِ)

---

(١) انظر كتاب سيبويه ١ : ٣١٩ ولعل الكلام : « قال شراح أبيات سيبويه » . ورواية البيت فى سيبويه والأعلم :

ألا يالقوم لطيف الخيال أرق من نازح ذى دلال

ففيه الخرم فى أول الشطر الثانى كقول امرىء القيس :

* وابن جريج كان فى حمص أنكرا *

أو تكون لام « الخيال » فى أول الشطر الثانى فتكون العروض محذوفة .

(٢) ط : « هبة » ، صوابه فى ش .

أى غشِينا خيالُها كما تغشّى الضبابُ الأرضَ . الأصمعى : الضَّباب : الغيم . والطَّلّ : الندىٰ . والزُّلال : الصافى .

(فباتتْ تسائِلنا فى المنـامِ وأحبِبْ إلىَّ بذاك السؤالِ[1])

(تُثْنِي التحيةَ بعـد السلَامِ ثُمَّ تَفَدَّى بعمٍّ وخالِ)

(فقدْ هاجنِي ذكرُ أمِّ الصبيِّ مِن بعد سُقْم طويلِ المِطال) ٤٢٠

أى المطاولة .

(ومَرٍّ المنونِ بأمرٍ يَغو لُ من رُزْء نفسٍ ومن نَقص مالِ)

مرٍّ بالجر عطف على قوله من بعد سُقم .

(إلى الله أشكو الذى قدْ أرىٰ من النائبـات بعاف وعالِ)

أى تأخذ بالعفو والسهولة أو تقهر[2] فتعلو وتعظم ؛ يقال عاله الأمر : إذا تفاقم به ، شكا إلى الله ما أصابه من دهره .

(وإظلالَ هـذا الزَّمانِ الذى يُقلِّبُ بالنـاس حالاً لحالِ[3])

معطوف على الذى وهو مصدر أظلَّ على الشىء بمعنى أشرف عليه .

(وجَهدَ بلاءٍ إذا ما أتىٰ تَطاوَلُ أيّامُه والليـالى)

عطف على الذى أيضاً .

(فسَلِّ الهُموم بعَيرانةٍ مُواشكةِ الرَّجْعِ بعدالنِّقَالِ[4])

أى سريعٌ رجعُ يديها . والمناقلة : ضرب من السير .

(١) ويروى : « فبات يسائلنا »
(٢) ط : « أى تقهر » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته
(٣) ويروى : « تقلب بالناس »
(٤) ط : « انتقال » ، وهى رواية صحيحة أيضا ، لكن التفسير بعده يقتضى ما اثبت من ش

ثم أخذ فى وصف ناقته . . إلى أن شبهها بحمار الوحش ، ووصفه بشىء كثير إلى أن ذكر أنه أورد أُتُنَه المـاء . . فقال :

(فلما وردنَ صَدرن النَّقيلَ أوبَ مَرَامى غوىٍّ مُغالى)

النقيل : المناقلة فى السير ، وأصله إذا وقع فى حجارةٍ ناقَل، وهو أن ينقل قوائمه يضعها بين كلِّ حجرَين . والمُغالى : المُرامى الذى يغالى فى الرمى غيرَه ، ينظران أيُّهما[١] أبعدُ سهماً . يقول : آبت كأوب السهام . وأوبها إذا نزع النازع فى القوس ، فإذا أُرسل السهم فقد آب من حيث نزع .

(فأسلـكها مَرْصَداً حافظاً به ابنُ الدُجىْ لاصقاً كالطِّحَالِ)

أى فأسلَـكَها الفحل ، وهو حمار الوحش ، مَرصداً ، أى مكانا يرصُد به الرامى الوحش . وقوله : به ، أى بالمرصد . وابن الدُّجىْ : الصيّاد ، وهو جمع دُجْيَة ، وهى بيتَ الصائد ، تكون حَفيرةً يسترفيها لئلّا يراه الوحش . وقوله : لاصقاً . . الخ ، يقول : قد لصِق الصيّاد بأرضِ حَفيرته ليخفىْ عن الصيد كما لصِق الطِّحالُ بالجنب .

(مُقِيتاً مُعيداً لأكل القَنيصِ ذا فاقةٍ ملحماً للعيـالِ)

المُقيت : المقتدر ، من أقات على الشىء بمعنى اقتدر عليه . والمعيد : الذى قد اعتاد صيدَ القنيص . والملحِم : اسم فاعل من ألحم[٢]: إذا أطعم اللحم.

(ويأوى إلى نسوةٍ عُطّل . . . البيت)

---

(١) فى النسختين : « الذى يغالى فى الرمى أيهم » وتكملة العبارة وتصحيحها من السكرى ٥٠٧ والترقيم هناك موهم فصححه كما هنا . وفى السكرى : « أبعد غلوا » .

(٢) ط : « لحم » صوابه فى ش

فاعله ضمير ابن الدُّجى وهو الصيّاد .

(تَراحُ يداه بمحشُورةٍ[1] خَواظِى القِداحِ عِجَافِ النِصالِ)

فى الصحاح : « راحت يدُه بكذا : خفَّت له » . والمحشورة : نَبْل قد أُلطِف قُذَذُها ، وهو أسرع لها وأبعد. وخواظى القداح : جمع خاظية ، أى متينة مكتنزة . والقداح : جمع قِدْح بالكسر ، وهو عُود السهم . وعجاف النصال : أى قد أُرهِفت حتى دقّت[2] .

ثم وصف قوسَه ونبالَه وصدقَ رميه . . إلى أن قال :

٤٢١

(فعَمَّا قليلٍ سَقاها معاً بمُزْعِفٍ ذَيْفانٍ قِشْبٍ ثُمالِ)

المزعِف[3] : الموت السريع . والذَّيفان : السم . والقِشب ، بالكسر : أن يُخلط بشىء ليَقتُل . وثُمال ، بالضم : مُنْقَع . شبّه السهام به .

(سِوى العِلْج أخطأه رائغاً بنَجراء ذات غِرارٍ مُسَالِ)

يقول : سقاها بمزعف[4] سوى العِلج ، أخطأه فلم يصبه . والعِلج ، بالكسر : الحمار الغليظ . ونَجْراء : صقيلة عريضة . وغرارها : حدّها . ومُسَال : ممطول ، ومنه خد أسيل وأُسال[5] .

(فَجالَ عليهنَّ فى نَفْرِه ليَفتْنَهُنَّ لزَول الزَّوال)

---

(١) فى النسختين : « تروح » ، صوابه مما يقتضيه التفسير التالى ، من شرح الهذليين .

(٢) ط : « رقت » بالراء . وفى شرح السكرى : « وعجاف : مرهفة رقاق » .

(٣) حورها الشنقيطى هنا وفى متن البيت الى « المذعف » بالذال ، وكلاهما صحيح وان كانت رواية السكرى بالزاى

(٤) جعلها الشنقيطى : « بمذعف » .

(٥) كذا فى النسختين ، ولم أجده

جال عليهن : أقبلَ واعتمد عليهن فى نفْره حتى نفر . ليفْتَنَّهنّ : أى ليشْتَق بهن[1] ، أى ليزول بهن عن الرامى[2] .

(فلمّا رآهُنَّ بالجلْهَتَينِ يَكبُون فى مُطْحَراتِ الإلَالِ)

الجلْهة : ما استقبلت من الوادى . يكبُون فى مُطحَرات ، يعنى سهاما . والمطحَر : الملزق . والإِلال بالكسر : جمع ألّة ، بالفتح والتشديد ، وهى الحرْبة .

(رمىٰ بالجراميز عرْض الوَجين وأرمَدَّ فى الجرى بعدَ انفتالِ[3])

رمى : أى الحمار ، يقال : رمى بالجراميز أى بنفسه . والوَجين : ما اعترض لك من غلظ . وارمدّ : أسرع فى العدْو بعد أن كان انفتل انفتالةً فجال .

ثمّ وصَفَ الحمارَ بشدّة عدْوه حينما نفر من الصيّاد ورأىٰ اتُنَهُ مصرعَة .. إلى أن قال :

(أُشبِّه راحلتى ما ترىٰ جَواداً ، ليُسمَع فيها مقالى
وأنْجُو بها عن ديار الهوا نِ غيرَ انتحالِ الذليل المُوالى)

بها : أى براحلتى . والمُوالى : الذى يقول أنا مولاك . يقول : ليس كما ينتحلُ الذليلُ للموالى . أى لا أقول ذلك ولا أفعله أى انتحالا .

(وأطَّلبُ الحبَّ بعدَ السُلُوِّ حتَّي يقالَ : امرؤٌ غيرُ سالِ)

---

(١) فى النسختين : « ليشنق بهن » ، صوابه فى شرح السكرى واللسان « فنن » وفيه : « افتن الحمار بأتنه واشتق بها : اذا أخذ فى طردها وسوقها يمينا وشمالا ، وعلى استقامة وعلى غير استقامة ، فهو يفتن فى طردها أفانين الطرد » .

(٢) ط : « عن الرى » ، صوابه فى ش والسكرى .

(٣) ط : « بالحراميز » و « أرمد » ، صوابه فى ش والسكرى

اشتهى أن يعاود الحبَّ والهوى ، بعد ما رأى الناسُ أنه قد أقلع

(أسلِّى الهُمومَ بأمثالها وأطوى البلادَ وأقضى الكَوالى)

أى وأقضى ما تأخر علىَّ من الحقوق . يقالَ دَيْن كالىءٌ : إذا تأخر . أى أقضى الدَّين بوِفادةٍ على هذه الراحلة ، إلى ملك ؛ أو أضرب فى الأرض لمكسب

(وأجعلُ فُقْرَتَها عُدَّةً إذا خِفتُ بَيُّوتَ أمرٍ عُضالِ)

وهذا آخر القصيدة[1] يقال : بعير ذو فُقْرة : إذا كان قويًّا على الركوب . وبيُّوت : هو أمرٌ جاء بَياتاً . وعُضال : شديد . يقول : أجعلُها عُدَّة ، إذا نزل بى أمرٌ معضل هربت عليها .

أمية ابن أبى عائذ

و (أمّية) هذا ، هو أمية بن أبى عائذ . (بالذال المعجمة) العمْرى . أحد بنى عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل[2] . . شاعر إسلامىّ مخضرم ، على ما فى الإصابة عن المرزبانىّ .

وفى الأغانى : أنه من شعراء الدولة الأموية وأحدُ مدَّاحهم . له فى عبد الملك ابن مروان وعبد العزيز قصائد[3]. وقد وفد إلى عبد العزيز بن مرْوانَ بمصر ، وأنشد قصيدته التى أولها[4] :

٤٢٢

(١) آخرها فى رواية الأصمعى فقط . والا فان بعدها بيتين آخرين ، من رواية الجمحى كما فى شرح السكرى ٥١٤

(٢) فى النسختين : « تيم بن سعد بن هذيل » ، صوابه من الأغانى ٢٠ : ١١٥ وجمهرة ابن حزم ١٩٧ والمعارف ٣٠ قال ابن قتيبة : « والعدد فى سعد بن هذيل ، تميم بن سعد ، وحريث بن سعد ، ومنعة بن سعد ، وخزاعة بن سعد ، وجهامة بن سعد ، وغنم بن سعد » .

(٣) فى الأغانى : « قصائد مشهورة » .

(٤) الأبيات فى الأغانى ٢٠ : ١١٥ ـ ١١٦ أحد عشر بيتا . والثالث هنا ليس فيها ، وانما هو فى شرح السكرى لأشعار الهذليين حيث أخذ المصنف الأبيات .

ألاَ إنّ قلبي مع الظاعنينا حَزين ، فمن ذا يُعزِّى الحزينا
وسار بمدحة عبدِ العزيـ ـزِ ركبانُ مكّةَ والمنجدُونا
وقد ذهَبوا كلَّ أوبٍ بها فكلٌّ أناس بها معْجَبونا
محبَّرة ، من صحيح الكلا م ، ليستْ كما لفَّق المحدثونا

وطال مُقامه بمصر عنده ، وكان يأنس به ، ووصله بصلات سَنيّة ، فتشوّق إلى البادية وإلى أهله ، فأذِنَ له ووصَله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد المائة [1] :

١٥٤ (لحا اللهُ جرْماً كُلَّما ذرَّ شارقٌ
وُجُوهَ كِلاب هارَشَتْ فازْبأرَّتِ)

على أن قوله : (وجوهَ كلاب) منصوبٌ على الذمّ .

وهذا البيت من أبيات لعمرو بن مَعْدِ يكرِبَ . وهي :

(ولمّا رأيتُ الخيلَ زُوراً ، كأنَّها جَداولُ زرْعٍ أُرسِلَتْ فاسبَطَرَّتِ
فجاشتْ إليَّ النفسُ أوّلَ مرةٍ فرُدَّتْ على مكروهها فاستقرَّت
عَلامَ تقول الرمحَ يثقِلُ عاتقى إذا أنا لم أطعُنْ إذا الخيلُ كَرَّتِ
لحا اللهُ جَرْماً كلّما ذرّ شارقٌ وجوهَ كلاب هارشت فازبأرَّت
فلم تُغنِ جرْمٌ نَهْدَها أنْ تلاقيا [2] ولكنَّ جَرْماً فى اللِّقاء ابذَعَرَّت

(١) الحماسة بشرح المرزوقى ١٦٠ والحيوان ١ : ٣١٨ والسمط ٣٦٦

(٢) وكذا فى الحماسة ١٦١ برواية : « اذ تلاقيا » . وروى : « أن تلاقتا » .

ظلِلْتُ كأنِّى للرماحِ دَرِيَّةٌ (١) أقاتِلُ عن أبناءِ جَرْمٍ ، وفَرَّتِ
فلو أنَّ قومى انطقتْنِي رماحُهُمْ نطَقْتُ ، ولكنَّ الرماحَ أجَرَّتِ)

هذا المقدار أورده أبو تمّام فى الحماسة . وفى ديوانه أكثر من هذا .

وقصة هذه الأبيات(٢) : هو ما حكاه المفضّل الطبرسىّ فى شرح الحماسة : أنّ جَرْما ونَهداً ، وهما قبيلتان من قضاعة ، كانتا من بنى الحارث بن كعب ؛ فقتلت جَرْمٌ رجلاً من أشراف بنى الحارث ، فارتحلتْ عنهم وتحوّلت فى بنى زُبَيد . فخرجت بنو الحارث يطلُبون بدم أخيهم ، فالتقوا ؛ فعبّأ عمرٌو جرماً لنهد ، وتعبّأ هو وقومه لبنى الحارث . ففرّت جرْم ، واعتلّت بأنها كرهت دماء نهد ؛ فهزمت يومئذ بنو زُبيد . فقال عمرٌو هذه الأبياتَ يلومُها . ثم غزاهم بَعدُ ، فانتصفَ منهم .

فقوله : زُوراً ، هو جمع أزْوَر ، وهو المعوجّ الزَّوْر ، بالفتح ، أى الصَّدر . يقول : لما رأيتُ الفُرسانَ منحرفين للطعن ، وقد خلَّوا أعنَّةَ دوابِّهم وأرسلوها علينا ، كأنّها أنهارُ زَرْعٍ أُرسِلَتْ مياهُها فاسبطرّت ، أى امتدّت . والتشبيه وقَع على جرى الماء فى الأنهار ، لا على الأنهار ؛ فكأنّه شبّه امتداد الخيل فى انحرافها عند الطعن ، بامتداد الماء فى الأنهار وهو يطّرد ملتوياً ومضطربا . وهذا تشبيه بديع .

وقوله : فجاشت .. الخ ، جاشت : ارتفعت من فزع . وهذا ليس لكونه جبانًا ، بل هذا بيان حالِ النفس . ونفسُ الجبان والشجاعِ سواء فيما يدهَمُهما عند الوهْلة الأولىٰ ، ثم يختلفان : فالجبان يركب نَفْرته ، والشُّجاع يدفعها

(١) ط : « دريئة » ، وهى مع صحتها لاتلائم تفسير البغدادى التالى . وفى شرح المرزوقى : « ذكر أبو زيد أنها تسمى دريئة الصيد بالهمز » .
(٢) القصة بتفصيل واضح فى معجم البكرى ٤١ ـ ٤٢

٤٢٣ فينبُت . قال أبو عبيدة : قال عبد الملك بن مرْوان : وجدت فُرْسانَ العرب ستّة نفر : ثلاثة منهم جزعوا من الموت عند اللقاء ، ثم صبَروا ؛ وثلاثة لم يجزعوا : قال عمرو :

فجاشت إليّ النفس أول مرة . . . . . . البيت

وقال ابن الإطْنابة :

وقولى كلّما جشأتْ وجاشت : مكانَكِ ، تُحمَدى أو تَستَريحى

وقال عنترة :

إذْ يتّقون بى الأسنّةَ لم أخِمْ عنها ، ولكنّى تضايقَ مُقْدَمى[1]

فأخبر هؤلاء الثلاثةُ أنّهم هابوا ثم أقدموا[2] . وقال عامر بن الطفيل :

أقول لنفسٍ ما أريدُ بقاءها أقِلّى المِراح آنّني غيرُ مدبر[3]

وقال قيس بن الخطيم :

وإنّىَ فى الحربِ الضَروسِ مُوكَّلٌ بإقدام نفسٍ ما أريدُ بقاءها[4]

وقال العبّاس بن مرْداس :

أشُدُّ على الكتيبةِ لا أُبالى أحتفى كان فيها أم سِواها

فأخبَر هؤلاء أنّهم لم يجزعوا .

---

(١) فى النسختين : « ان يتقون » ، وحورها الشنقيطى الى الصواب : « اذ يتقون »

(٢) ط : « قدّموا » ، وهى صحيحة ، اذ تاتى قدم بمعنى تقدم ، ومنه قول لبيد :

قدموا اذ قيل قيس قدموا وارفعوا المجد بأطراف الأسل

(٣) ط : « أقلى المراحم » ، صوابه فى ش مع اثر تصحيح والمفضليات ٣٦٢ وديوان طفيل ١٢٠ · ويروى « المراء » كما فى حماسة ابن الشجرى ٧ · « والشكوك » كما فى السمط ٣٤٤

(٤) ديوان قيس ١٠ · وشرح شواهد المغنى ١٨٦

الفاء زائدة ، وجاشت : جواب لمّا عند الكوفيين والأخفش . وعند البصريين للعطف ، والجواب محذوف يقدّر بعد قوله : فاستقرّت ، أى طاعنت أو أبليت . والقرينة عليه قوله : علام تقول الرمح .. البيت ، كذا قال شراح الحماسة وهذا تعسّف نشأ من أبى تمام ، فإنه حذف بيت الجواب اختصاراً كعادته . لكنْ كان على الشارح مراجعة الأصل . والجواب هو البيت الثالث المحذوف ، وهو :

(هتفتُ فجاءتْ من زُبَيدَ عصابةٌ إذا طردت فاءتْ قريباً فكَرَّتِ)

و « فاءت بمعنى رجعت » . وأوّل مرّة : ظرف . وقوله : علام تقول الرمح .. الخ ، أورده ابن هشام فى المغنى ، على أن (على) فيه تعليليّة . وأورده فى شرح الألفيّة أيضاً شاهداً على إعمال (تقول) عمل ظنّ . وما استفهامية ، ولهذا حذف ألفها . وأثقله الشيء : أجهده . والعاتق : ما بين المنكب والعنق وهو موضع الرداء .

قال ابن جنّي (فى إعراب الحماسة) : يروى الرمح بالنصب والرفع : فأما الرفع فعلى ظاهر الأمر ، وأما النصب فعلى استعمال القول بمعنى الظنّ ، وذلك مع استفهام المخاطب ، كقوله :

* أجُهّالا تقولُ بنى لؤىٍّ[1] *

وعلى قوله :

* فمتى تقولُ الدّارَ تجمعُنا[2] *

(١) تمامه كما فى مخطوطة اعراب الحماسة ٤٤ ادب بدار الكتب :
لعمر ابيك ام متجاهلينا
وسياتى فى ٤ : ٢٣ بولاق . وانظر العينى ٢ : ٤٢٩
(٢) صدره كما فى العينى ٢ : ٤٣٤ وديوان عمر ٣٩٤ :
أما الرحيل فدون بعد غد

ورَوىٰ لنا أبو عليٍّ بيت الحطيئة :

إذا قلتُ أَنِى آيبٌ أهلَ بلدةٍ حطَطتُ بها عنهُ الوَلِيّة بالهَجْرِ

بفتح الهمزة من أنّى قال : ومعناها إذا قدّرتُ وظننتُ أنّى آيب .

فإن قيل : فليس هنا استفهام ، فكيف جاز استعمال القول استعمال الظن ؟ قيل : لم يجز هذا للاستفهام وحدَه ، بل لأنّ الموضع من مواضع الظنّ . ولو كان للاستفهام مجرَّد من تقاضى للموضع له وتلقّيه إياه فيه ، لجاز أيضا أأقول زيدا منطلقا ، وأيقول زيد عمرًا جالسًا[1] . ولما لم يجز ذلك — لأنه لا يكاد يستفهم عن ظنٍّ غيره — علمتَ به أن جوازَه إنما هو لأنّ الموضعَ مقتضٍ له . وإذا كان الأمر كذلك ، جاز أيضا : « إذا قلتُ أنِّى آيبٌ » بفتح همزة أنّى ، من حيث كان الموضع متقاضياً للظنّ . وهذه رواية غريبة لطيفة . ولو كسرتَ هنا همزةَ إنَّ ، لكان كالرفع فى قولك : أتقول زيدٌ منطلق ، إذا حكيت ولم تُعمِل .

٤٢٤

وأما (إذا) و (إذا) فى البيت ، ففيهما نظر : وذلك أنَّ كل واحدةٍ منهما محتاجة إلى ناصب هو جوابها ، وكل واحدةٍ منهما جوابها محذوف يدل عليه ما قبلها . وشرح ذلك أن تقول : إنَّ إذا الأولىٰ جوابها محذوف ، حتّى كأنه قال : إذا أنا لم أطعُنْ وجب طرحى الرمحَ عن عاتقى . فدلَّ قوله : « علامَ تقولُ الرمحَ يثقِلُ عاتقى » على ما أراده من وجوب طرح الرمح إذا لم يطعن به ، كقولك : أنت ظالم إن فعلت ، أى إن فعلتَ ظلمت ودلّك « أنت ظالم » على ظلمت . وهذا بابٌ واضح . . وإذا الأولىٰ وما ناب عن

(١) ط : « لجاز أيضا أقول زيدا منطلقا ويقول » دون همزة الاستفهام وفى ش مثله لكن بزيادة همزة الاستفهام « وأيقول » واعتمدت فى تصحيح العبارة واكمالها على مخطوطة ابن جنى ليتسق الكلام ويصلح.

جوابها فى موضع جواب إذا الثانية ، أى نائبٌ عنه ودالٌّ عليه وتلخيصه : أنه كأنَّه قال : إذا الخيل كرّت وجب إلقائى الرمحَ مع تركى الطعن به . ومثله من التركيب : أزورك إذا أكرمتنى ، إذا لم يمنعنى من ذلك مانع[1] ! فاعرفْ صحّة الغرض فى هذا الموضع ، فإنه طريقٌ ضيِّق ، وكلُّ مُجتازٍ[2] فيه قليل التأمُّل لحصول حديثه ، فإنما يأنس بظاهر اللفظ ، ولا يوليه طرفاً من البحث . انتهى باختصار .

والتِّبريزىّ جعلَ إذا الأولى ظرفا لقوله : يُثْقِل ، وإذا الثانية ظرفا لقوله : لم أطعُن ، بضم العين ، لأنه يقال طعنه بالرمح من باب قتل .

وقوله : (لحا الله جَرْما . . الخ) أصل اللحْو نزع قشر العُود . يدعو عليهم بالهلاك : أى قشرهم الله غداةُ كلِّ يوم . والذُّرور فى الشمس ، بالذال المعجمة : أصله الانتشار والتفريق ، ويقال ذرّت الشمس : طلعت . و (شارق) : الشمس . و (كلّما) : منصوب على الظرف . ووجوه : منصوب على الذمّ والشتم ، ويجوز أن يكون بدلاً من جَرْما . و (هارشتْ) ، فى الصحاح : « الهراش : المهارَشة بالـكلاب ، وهو تحريشُ بعضها على بعض » . وقوله : (فازبأرّت) أى انتفشت حتى ظهر أصولُ شعرها ، وتجمّعت للوثب . وهذه الحالة أشنع حالات الـكلاب . وهذا تحقيرٌ[3] للمشبَّه ، وتصويرٌ لقباحة منظره . شبّه وجوهَهم بوجوه الـكلاب فى هذه الحالة .

---

(١) فى النسختين : « اذا أكرمتنى ، أى اذا لم يمنعنى » . وكلمة « أى » تحيل المقصود وتفسده ، واعتمدت فى حذفها على مخطوطة اعراب الحماسة لابن جنى

(٢) فى النسختين : « وكل محتار » . صوابه من ابن جنى

(٣) فى النسختين : « تحقيق » .

وقوله : فلم تغْنِ جَرْمٌ . . الخ أى لم تقاومْ جَرْم نهداً بل فرّت منها . وقال الطبرسىّ : لم تغن أى لم تكفّ جرمٌ نهداً ، ولكنها فرّت ، قال الشاعر :

* وأغْنِ نفسَكَ عنّا أيُّها الرجُلُ *

وابذعرّت : تفرّقت : وقال الإمام المرزوقى(١) : والمعنى : لم تنصر جرم نهداً وقت الالتقاء ، ولكنّ جرماً انهزمتْ وهامت على وجهها فمضت ، واصطلت نهدٌ بنار الحرب ، ومسّت حاجتها إلى من ينصرها ويذبُّ عنها الأعداء . وأضاف نهدها إلى ضمير جرم ، لأن اعتمادهم كان عليها ، واعتقادَهم الاكتفاء بها اهـ .

وهذا غفلة عن سبب الأبيات . وإضافة نهد إلى ضمير جَرْم للملابسة ، فإن جرماً أعدّت لمقاتلة نهد ، كما أن زبيداً أعِدَّت لمقاتلة بنى الحارث .

وقوله : ظلِلت كأنّى . . الخ أى بقيتُ نهارى منتصباً فى وجوه الأعداء ، والطَّعنُ يأتى من جوانبي ، أذبُّ عن جَرْم وقد هربتْ . فالدرِيَّة هى الحلْقة التى يُتعلَّم عليها الطعن ؛ وأما الدرأة بالهمز ، فهى الدابّة التى يستتر بها من الصيد ؛ يقال : درأتُها نحوَ الصيد وإلى الصيد وللصيد : إذا سُقتَها ، من الدرْء وهو الدفع . وجملة كأنّى خبر ظللت . وجملة أقاتل حال ؛ ويجوز العكس . قال يوسف بن السِيرافى (فى شرح شواهد إصلاح المنطق) : يقول : صرت لكثرة الطعن فىَّ ، ودخولِ الرماح فى جسدى ، كالحلْقة التى يُتعَلَّم عليها الطعن . وحكايته : أن جرماً كانت مع زُبيد ، ونَهداً مع بنى الحارث بن كعب ؛ فالتقوا ، فانهزمت جرم وبنو زُبيد وكاد عمرٌو يؤخذ ، وقاتلَ يومئذ قتالا شديداً .

٤٢٥

(١) شرح الحماسة ١٦١ . وفى الاقتباس من نص المرزوقى تقديم وتأخير .

وقوله : فلو أنّ قومى ، يقول : لو صبروا وطعنوا برماحهم أعداءهم ، لأمكننى مدحُهم ، ولـكنّ فِرارَهم صيّرنى كالمشقوق اللسان ؛ لأنّى إن مدحتهم بما لم يفعلوا كذبت ورُدَّ علىّ يقال أجررت لسانَ الفصيل : إذا شققتَ لسانه لئلا يرضعَ أمّه .

قال أبو القاسم الزجّاجىّ (فى أماليه الوسطى) أخبرنا ابن شقير قال : حضَرتُ المبّرد وقد سأله رجلٌ عن معنى قول الشاعر :

فلو أنّ قومى أنطقَتْنى رماحُهم . . البيت

فقال : هذا كقول الآخر :

وقافيةٍ قِيلَتْ فلم أستطِعْ لها دِفاعاً إذا لم تضْربوا بالمناصلِ
فأدفعَ عن حقّ بحقّ ، ولم يكن لِيَدفع عنـكُمْ قالةَ الحقّ باطلى

قال أبو القاسم : معنى هذا : أنّ الفصيل إذا لهِج بالرضاع جعلوا فى أنفه خِلالة محدّدة ، فإذا جاء يرضع أمّه نخستها تلك الخِلالة ، فمنعته من الرضاع ؛ فإن كفّ . . وإلا أجرُّوه . والإجرار : أن يشقّ لسانُ الفصيل أو يُقطع طرفه ، فيمتنع حينئذ من الرضاع ضرورة . فقال قائلُ البيتِ الأوّل : إنّ قومى لم يقاتلوا ، فأنا مُجَرٌّ عن مدحهم ، لأنّى ممنوع ؛ كأنّ رماحهم حِين قصّروا عن القتال بها أجرّتنى عن مدحهم ، كما يُجَرّ الفصِيلُ . عن الرضاع . ففسّره أبو العباس بالبيتين اللذين مضيا . وللإجرار موضع آخر ، وهو أن يطعن الفارس الفارسَ فيمكن الرمح فيه ، ثم يتركه منهزماً يجرُّ الرمحَ ، فذلك قاتل لا محالة . ومنه قول الشاعر(١) .

(١) هو عنترة . ديوانه ١٥٩ وتصحيف العسكرى ٣٣ ، ٩٦

وآخَرَ منهمُ أجزرتُ رُمحى وفى البَجْلىّ مِعبَلةٌ وقيعُ[١]

وقول الآخر[٢].

ونَقِى بأفضل مالِنا أحسابَنا ونُجِرُّ فى الهيجا الرماحَ وندعى ا هـ

قوله . وندّعى أى ننتسب فى الحرب كما ينتسب الشجاع فى الحرب فيقول: أنا فلانُ ابن فلان .

عمرو بن معديكرب

و (عمرو) هو الصحابىّ ابن معْدِيكَرِب بن عبد الله بن عمرو ابن عُصْم بن عمرو بن زُبيد الأصغر — وهو منبه — بن ربيعة بن سَلَمة بن مازن بن ربيعة بن منبهٍ بن زُبيد الأكبر بن الحارث بن صَعْب بن سعد العشيرة بن مَذحِج بن أُدَد بن زيد بن كَهْلان بن سبأ[٣] .

ومعدى اشتقاقه مثل اشتقاق مَعْدان ، ويزيد عليه بأنه يجوز أن يكون من العُدْوان ، فقلبت الواو ياء لما بنى على مَفْعِل أو يكونَ بنى على مفعول ، فقلبت الواو ياء ، ثم خففت الياء لطول الاسم ، لأنه جعل مع كَرِب كالاسم الواحد .

و (كرب) يجوز أن يكون من الكَرْب الذى هو أشدّ الغَمّ ، أو من كرب فى معنى قارَب ، أو من أكربْتُ الدلو : إذا شددتَها بالكَرَب ، وهو الحبْل الذى يُشَدّ على العَراقى ، قال ابن جنى : فسّره ثعلب: أنه عدَاه الكَرْبُ ، أى تجاوزه وانصرف عنه .

---

(١) البجلى ، بسكون الجيم لافتحها ، نسبة الى بجلة ، من بنى سليم . وأخطأ الأصمعى فرواه بفتح الجيم منسوبا الى بجيلة . وانظر اللسان (بجل ، عبل ، وقع) والاشتقاق ٥١٦

(٢) هو الحادرة الذبيانى . المفضليات ٤٥ . قال الميمنى : « وقد وقفت على نسخة ديوانه ملوكية بخط ياقوت الخطاط ، وقابلت طبعة ليدن عليها ، وأخذت فى تصحيحها لغرض الطبع ، الا أن حادثة عظيمة أصبت بها حالت دون ذلك » .

(٣) الميمنى : « فى نسب عمرو بن معديكرب خلاف وارتباك . راجع السمعانى ٢٧١ والأغانى ١٤ : ٢٤ والاصابة ٥٩٧٠ والاستيعاب» .

و (عُضْم) بضم العين وسكون الصاد المهملتين . و (زُبيد) مصغر زُبدة أو زَبْد ، والزَّبْد . العطاء ، يقال : زبده زَبْداً : إذا أعطاه . وقال شارح ديوانه : وسمى زُبيداً ، لأنه قال : من يَزْبُدُنى نصره ، أى يرفِدُنى . والزَّبْد فى كلام العرب : الرِفْد والمعونة . اه وكذا رأيت فى جمهرة الانساب . إنما سمّى زُبيداً ، لأنه قال : من يَزبُدُنى نصره ، لما كثر عمومته وبنو عمّة فأجابوه كلّهم . فسمُّوا كلُّهم زبيداً مابين زبيد الأصغر إلى منبّة بن صعب ، وهو زبيد الأكبر . وأخوه زبيد الأصغر كلهم يدعى زبيداً اه :

وكنية عمرو أبو ثور . وهو الفارس المشهور ، صاحبُ الغارات والوقائع فى الجاهلية والإسلام . قال فى الاستيعاب : وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فى سنة تسع. وقال الواقدىّ : فى سنة عشر ، فى وفد زُبيد فأسلم اه .وأقام مُدّة فى المدينة ، ثم رجع إلى قومه وأقام فيهم سامعاً[1] مطيعاً ، وعليهم فَرْوة بن مُسَيك ، فلما تُوفِّىَ النبيّ صلى الله عليه وسلم ارتدّ .

قال النوَوىّ (فى تهذيب الأسماء واللغات) : ارتدّ مع الأسود العنسىّ ، فسار إليه خالد بن سعيد فقاتله ، فضربه خالد على عاتقه فانهزم ، وأخذ خالدٌ سيفَه . فلما رأى عمرٌو الأمداد من أبى بكر ، رضى الله عنه ، أسلَم ، ودخل على المهاجر بن أبى أميّة بغير أمان ، فأوثقه وبَعث به إلى أبى بكر ، فقال له أبو بكر: أما تستحى كل يوم مهزوماً أو مأسوراً ؟ لو عزّزتَ هذا الدين لرفعك الله ؟ قال: لا جرم ، لأقبلنّ[2] ولا أعود . فأطْلَقَه وعاد إلى قومه . ثم عاد إلى المدينة ، فبعثه أبو بكر رضى الله عنه إلى الشام ، فشهد اليرمُوك . اه .

وله فى يوم اليرْموك بلاء حسن ، وقد ذهبت فيه إحدى عينيه . ثم بعثه

---

(١) فى الاصابة : « مسلما »
(٢) ش : « لأقتلن » وفى التهذيب للنووى : « لأقيلن » .

عمر رضى الله عنه إلى العراق ؛ وله فى القادسية أيضاً بلاء حسن ، وهو الذى ضرب خَطم الفيل بالسيف ، فانهزمت الأعاجم ، وكان سببَ الفتح . ومات فى سنة إحدى وعشرين من الهجرة .

وفى كيفية موته خلاف . قيل : مات عطشاً يوم القادسيّة ، وقيل : قُتِل فيه ، وقيل : بل مات فى وقعة نَهاوَند بعد الفتح ، وقيل : غير ذلك . وعمره يومئذ مائة وعشرون ، وقيل : مائة وخمسون . ولم يذكره السِجستانىّ فى المعمَّرين .

روى أنّ رجلا رآه وهو على فرسه ، فقال : لأَنظرُ ما بقى من قوة أبى ثور . فأدخل يده بين ساقِه وجنْبِ الفرس ، ففطن لها عمرو ، فضمّ رجلَهَ وحرَّكَ الفرس فجعل الرجلُ يعدو مع الفرس ولا يقدِر أن ينزِع يدَه ، حتى إذا بلغَ منه صاح به ، فقال له . يا ابن أخى : مالكَ ؟ قال : يدى تحت ساقك ؟ فخلّى عنه . وقال له : إنّ فى عمِّك بقيّة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد المائة وهو من شواهد سيبويه[1] .

١٥٥ (أقارِعُ عوْفٍ ، لاأُحاوِلُ غيرَها   وجوهَ قُرُودٍ تبتغى مَنْ تجادِعُ)

لِما تقدَّم فى البيت قبله ، أعنى أن نصب (وجوهَ) على الشتم .

قال النّحاس : ويجوز رفعه على إضمار مبتدأ ، أو على أن تجعله بدلاً من أقارِع عوف: تبدل النكرةَ من المعرفة ، مثل: (لنَسفَعًا بالناصِيَةِ. نَاصِيَةٍ كاذبةٍ[2])

ونقل ابن السِّيد البَطَلْيوسىّ عن يونس بن حَبيب ؛ فى أبيات المعانى ؛ أنه

(١) سيبويه ١ : ٢٥٢ وابن الشجرى ١ : ٣٤٤ وديوان النابغة٥٣
(٢) الآية ١٥ ، ١٦ من سورة العلق

قال : لو شئتَ رفعتَ ما نصبته على الابتداء وتُضمِر فى نفسك شيئاً لو أظهرته لم يكن ما بعده إلا رفعًا ، كأنك قلت : لهم وجوهُ قرودٍ اهـ

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ للنابغة الذبيانى ، من قصيدةٍ يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر ، مما وشَتْ به بنو قُرَيع . وقبلَه :

٤٢٧ (لعَمْرى ، وما عَمْرى عَلَىَّ بهيِّن   لقد نطقَتْ بُطْلاً علىَّ الأقارعُ)

واستشهد به ابن هشام فى المغنى[1] على أنّ جملةَ « وما عَمْرى عَلَى بهين » معترضةٌ بين القَسَم وجوابه . . العَمْر بفتح العين ، هو العُمْر بضمها ، لكن خُصَّ استعمالُ المفتوح فى القَسَم . أى ما قَسمى بعَمْرى هيْنٌ علىَّ ، حتى يَتّهمَ متّهمٌ بأنّى أحلفُ به كاذباً . والبُطل ، بالضم ، هو الباطل ؛ ونصب على المصدر ، أى نطقت نطقاً باطلاً .

وقوله : (أقارعُ عوف) بدلٌ من الأقارِع . و (لا أحاول) لا أريد . والمجادعة ، بالجيم والدال المهملة ، هو أن يقول كلٌّ من شخصين : جَدعاً لك ! أى قطَع اللهُ أنفَك . وهى كلمة سبٍّ ، من الجدْع وهو قطع الأذن والأنف . يقول : هم سفهاء يطلبون مَن يشاتمهم . و (الأقارع) هم بنو قُرَيع بن عوف ابن كعب بن زيد مناة بن تميم ، الذين كانوا سعَوا به إلى النعمان حتى تغيَّر له . وسمّاهم أقارعَ ، لأنَّ قُريعا أباهم سُمّى بهذا الاسم . وهو تصغير أقرع ، ولهذا جمعه على الأصل . والعرب إذا نسبتِ الأبناء إلى الآباء فربّما سمّتْهم باسم الأب ، كما قالوا : المَهالبة والمَسامعة فى بنى المهلب وبنى مِسْمَع[2] . وزعم

(١) انظر شرح شواهد المغنى ٢٧٦ وسيبويه ١ : ٢٥٢

(٢) المهالبة : بنو المهلب بن أبى صفرة . وذكر ابن حزم أن له ثلثمائة ولد . الجمهرة ٣٦٧ ـ ٣٧٠ . وأما المسامعة فهم بنو مسمع بن شيبان بن شهاب . الاشتقاق ٣٥٥ ـ ٣٥٦

الدماميني (فى الحاشية الهندية) أنّ الأقارع جمع أقرع . ثم نقل من الصحاح أنّ الأقرَعين : الأقرعُ بن حابس وأخوه مَرْثد . وهذا ، كما ترى ، لا مناسبةَ له هنا .

والسبب فى غضب النعمان على النابغة ، هو ما حكاه شارح ديوانه وغيرُه ، عن أبى عمرو وابنِ الأعرابى ، أنهما قالا : كان النابغةُ ممن يجالس النعمانَ ويسمرَ عنده ورجلٌ آخر من بنى يشكُر يقال له : المنخَّل ، وكان جميلاً يتّهم بالمتجرّدة امرأةِ النعمان . وكان النعمان قصيراً دميا ، قبيحَ الوجه أبرش . وكانت المتجرّدة ولدت للنعمان غلامين . وكان الناس يزعمون أنهما ابنا المنخّل . وكان النابغة رجلاً حليماً عفيفاً ، وله منزلة يُحسَد عليها . فقال له النعمان يوماً — وعنده المتجردة والمنخل[1] — صِفْها يا نابغة ، فى شعرك . فقال قصيدتَه الداليَّة التى أولُهــا :

* أمن آل ميّةَ رائحٌ أو مغتَدى *

— وستأتى إن شاء الله تعالى فى هذا الكتاب — فوصف النابغة فيها بطنَها ورَوَادفَها وفرْجها و لذّة مُجامعتها . فلما سمع المنخَّل هذه القصيدة لحِقته غَيرة . فقال للنعمان : ما يستطيع أنْ يقول هذا الشعرَ إلاّ مَن قد جرَّب ! فوقَر ذلك فى نفس النعمان. ثم أتىٰ النعمانَ بعد ذلك رهطٌ من بنى سعد بن زيد مَناة بن تميم ، وهم بنو قُريع ، فبلّغوه أن النابغةَ يصف المتجرّدة ويذكر فيها ، وأن ذلك قد شاع بين الناس . فتغيّر النعمان عليه . وكان للنعمان بوّابٌ يقال له عِصام بن شَهْبر الجَرمىّ . فأتىٰ النابغةُ ، فقال له عِصام : إنّ النعمان واقعٌ بك فانطلِقْ . فهرَب النابغة إلى غسّانَ ملوكِ الشام ، وهم آل جَفْنة ، ومكث

---

(١) فى ش : « والنابغة » ، والأوفق ما فى ط

عندهم ، ومدحهم بقصائد (كما تقدّم فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة[1]) .

وكان سببَ وقوع بنى قريع فى النابغة عند النعمان : هو ما حكاه أبو عبيد والأصمعىّ قالا : كان لمرّة بن رَبيعة بن قُريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم ، سيفٌ جيِّد . فحسده النابغة فدلّ على السيفِ النعمانَ بنَ المنذر ؛ فأخذه من مُرّة ، فحقد مرّةُ ، على النابغة وأرصد له بِشرّ ، حتّى تمكن منه ، فوقع فيه عند النعمان ؛ فبعد أن هرب النابغةُ ومكث عند آل جفنة أرسل إلى النعمان قصائدَ يعتذرُ إليه بها ، ويحلف له : أنه ما فرّط منه ذنْب . واشتدّ ذلك على النعمان ، وعرفَ أنّ الذى بلغَه كذِب . فبعث النعمان إلى النابغة : « انّك لم تعتذر من سَخْطةٍ إن كانت بلغتك ، ولكنّا تغيَّرنا لك من شىء مما كنّا لك عليه ؛ ولقد كان فى قومك ممَنع وتحصين ، فتركتَه ؛ ثم انطلقت إلى قوم قتلوا جَدِّى ؛ وبينى وبينهم ما قد علمت » . وكان النعمان وأبوه وجدُّه قد أكرموا النابغةَ وشرّفوه وأعطَوه مالاً عظيماً ، حتى كان لا يأكل ولا يشرب إلا فى أوانى الذهب والفضة . ثم بلغ النابغةَ أنّ النعمان ثقيل ، من مرض أصابه حتّى أُشفِق عليه منه ، فأتاه النابغةُ ، فرضىَ عنه النعمان ، ووهب له مائةَ بعير من عصافيره وهى إبل كانت للنعمان تسمّى بها .

والنابغة قد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى بعد المائة[2] .

والنعمان هذا ، آخر ملوك الحِيرة . ثم ولى بعده إياس بن قَبيصة الطائىّ ثمانية

(١) صوابه « السابع والثلاثين بعد المائة » . انظر ص ٣٢١ من هذا الجزء ، وأما الخامس والثلاثون فليس فيه ذكر للنابغة

(٢) الصواب أنه الشاهد ١٠٤ انظر ص ١٣٥ من هذا الجزء

٤٢٨

أشهر ، واضطرب مُلك فارس ، وضعفوا — وكانت ملوك الحيرة من تحت أيديهم — وأتى الله عز وجل بالإسلام فغزا أهلَه النبي ﷺ[١] .

وأول مَن ملك الحيرة مالك بن فَهْم بن عمرو بن دَوس بن الأَزْد . ملك العربَ بالعراق عشرين سنة . والحيرة هى أرض فى العراق ، بلدة قريبة من الكوفة . قال الهمْدانىّ فى جزيرة العرب[٢] : سار تُبَّع أبو كرب فى غزوته الثانية . فلما أتى موضعَ الحِيرة خلّف هناك مالكَ بن فهم بن غَنْم بن دَوْس ، على أثقاله . وتخلّف معه من ثقل من أصحابه ، فى نحو اثنى عشر ألفاً . وقال : تحيَّروا هذا الموضعَ[٣] فسُمِّى الموضعُ الحيرة (وهو من قولهم : تحيّر الماء . إذا اجتمع وزاد[٤] ، وتحيّر المكان بالماء : إذا امتلأ[٥]) فمالكٌ أول ملوك الحيرة وأبوهم . وكانوا يملكون ما بين الحِيرة والأنبار وهِيتَ ونواحيها ، وعينَ التمر وأطرافَ البَرارى : الغُمَير والقُطْقُطانة وخِفْيَّةَ[٦] . وكان مكان الحِيرة [من[٧]] أطيبِ البلاد ، وأرقّه هواء ، وأخفّه ماء ، وأعذاه تُربة[٨] ، وأصفاه جوًّا ، قد تعالىٰ عن عَمْق الأرياف ، واتّضع عن حُزونة

(١) الذى فى العمدة ٢ : ١٧٩ : « بالنبى »

(٢) الحق أن النقل التالى انما هو للهمدانى فى كتاب آخر غير صفة جزيرة العرب . والنص فى معجم البكرى ٤٧٩ مسبوقا بجملة « قال الهمدانى » ، دون تقييد بكتاب خاص . فلعل البغدادى توهم أنه من صفة جزيرة العرب حين وجد هذا النص فيه

(٣) وكذا فى معجم ما استعجم ، مع أن تحير الماء فعل لازم

(٤) ش : « ودار »

(٥) هذا التفسير من زيادات البغدادى ، وليس فى معجم البكرى

(٦) كذا فى ط ومعجم ما استعجم وجعلها الشنقيطى بقلمه « وخَفِيَّة » وبوضع حاء معجمة تحت الحرف الأول توكيدا للضبط ، ولم أجده فى كتاب مما لدىّ

(٧) التكملة من معجم البكرى

(٨) يقال عذا البلد : طاب هواؤه . والعذاة : الأرض الطيبة . ط : « وأعذبه تربه » ، صوابه فى ش ومعجم البكرى . وفى بعض مخطوطات البكرى : « وأعدله » تحريف كذلك .

الغائط ، واتصل بالمزارع والجنان والمتاجر العظام ، لأنها كانت من ظهر البرّيّة على مرفأ سفن البحر ، من الهند والصين وغيرهما ا ﻫ

قال ابن رشيق فى العمدة(١) : وملك بعد مالك بن فَهْم ابنُه جَذيمة ابن مالك ، وهو الأبرش والوضّاح ، وكان ملكه ستّين سنة . ثم عمرو بن عدىّ ابن نصر بن ربيعة اللخمىّ — وعمرو هذا هو ابن أخت جَذيمة الأبرش وفيه قيل : « شبَّ عمرٌو عن الطَّوق » ثم امرؤ القيس بن عمرو بن عدىّ ، ويقال : بل الحارث بن عمرو ، وأنه هو الذى كان يدعى محرِّقا . ثم النعمان بن امرئ القيس ، وهو النعمان الأكبر ، الذى بنى الخورنق . ثم المنذر بن امرئ القيس وهو المنذر الأكبر ابن ماء السماء ، أخو النعمان الأكبر(٢) . ثم المنذر ابن المنذر وهو الأصغر . ثم أخوه عمرو بن المنذر ، وهو عمرو بن هند ، وسمّى محرقاً أيضا ، لأنه حرّق بنى تميم ، وقيل بل حرّق نخل اليمامة . ثم النعمان بن المنذر بن المنذر صاحب النابغة وهو آخر ملوك لخم كما ذكرنا(٣) .

قصيدة الشاهد

واعلم أنَّ هذه القصيدة غالبُ أبياتها شواهدُ فى كتب العربية ، وهى خمسة وثلاثون بيتا . فلا بأس بإيرادها مختصرةً تتميماً للفائدة . وهى على هذا الترتيب :

(عفَا ذو حُسًى من فَرْتَنَى فالفوارعُ　　فجَنْبَا أرِيكٍ فالتِّلاعُ الدوافِعُ) ٤٢٩

عفا : درس وامّحى . وذو حُسى : بلد فى بلاد بنى مُرّة ، وهو بضم الحاء

---

(١) العمدة ٢ : ١٧٩

(٢) فى النسختين : « أبو النعمان الأكبر » ، وانما هو أخوه ، كما فى العمدة . وأبوهما هو امرؤ القيس بن عمرو بن عدى .

(٣) انظر ماسبق فى ص ١٣٥ من هذا الجزء وما بعدها

والسين[١] المهملتين والقصر . وفَرْتَنيٰ : أي من منازل فَرْتَنيٰ ، وهو بفتح الفاء وسكون الراء وبعدها تاء مفتوحة يليها نون ، قال فى الصحاح : « هو مقصور وهو اسم امرأة . والعرب تسمى الأَمة فرتنى[٢] » . والفوارع : جمع فارعة ، قال فى الصحاح : « وفارعة الجبل : أعلاه . وتلاع فوارع : مشرفات المسايل » . وأَريك بفتح الهمزة وكسر الراء ، قال البكرى فى معجم ما استعجم : « هو موضع فى ديار غَنىّ بن يعصر » . وأنشد هذا البيت ، ثم قال : « وقال أبو عبيدة : أَريك فى بلاد ذبيان قال : وهما أريكان : أريكٌ الأَسْوَدُ ، وأريكٌ الأبيض . والأريك : الجبل الصغير . وقال الأخفش : إنما سُمّى أريكا ، لأنه جبلٌ كثيرُ الأراك » . والتِّلاع بالكسر : مجارى الماء إلى الأودية ، وهى مَسايل عِظام . والدوافع : تدفع الماء إلى المَيْثِ ، والمَيْث يدفع إلى الوادى الأعظم . كذا فى الشرح .

(فمجتَمع الأشراج ، عفّىٰ رسومَها مَصايفُ مرّتْ بعدَنا ومَرابعُ)

قال أبو عبيدة : مجتمع الأشراج : مسايل فى الأرض تصب إلى الأودية ؛ والواحد شَرْج ، بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وآخره جيم . والرسوم : الآثار . وعفّى : درَس ومحا[٣] . والمصايف : جمع مصيف . ومرابع : جمع مربع[٤] .

---

(١) كذا . يعنى « وبالسين » لابضم السين ، وهذا مألوف من تعبير البغدادى .

(٢) ط : « تسمى المرأة فرتنى » ، صوابه فى ش والصحاح واللسان (فرتن) .

(٣) درس ، يلزم ويتعدى كما هنا . قال :

درسته الريح ما بين صبا وجنوب درجت حينا وأصل

(٤) ط : « والمصايف ، جمع صيف ، ومرابع : جمع ربيع » والوجه من ش

(توهَّمْتُ آياتٍ لهـا فعرَفْتُها   لستةِ أعوامٍ، وذا العامُ سابعُ)

أراد آيات الدار . واللام بمعنى بَعْد أى بعد ستّة أعوام . وتوهّمت : تفرّست .

وهذا البيت من شواهد أبيات سيبويه(١)، أنشده على أنّ العامُ صفةُ ذا، وسابعُ خبر اسم الإشارة . وأورده ابن هشام أيضاً فى شرح الألفيّة، على أن سابعاً استُعمل مفرداً ليفيد الاتصاف بمعناه مجرّداً ؛ وهذا بخلاف ما يستعمله الشخص مع أصله ليفيد أنّ الموصوف به بعضُ العدد المعيَّن، نحو : سابعُ سبعة، وثامنُ ثمانية، ونحوِهما .

(رَمادٌ كَكُحلِ العينِ ما إنْ تُبينُه   ونُؤْىٌ كجِذْمِ الحَوْضِ أثْلَمُ خاشعُ)

أى من الآيات رماد ونؤىٌ . استأنف وفسّر بعضَ الآيات . زعموا : أن الرماد يبقى ألف سنة . وروى : (لأْياً أُبينُه) اللأْى، بفتح اللام وسكون الهمزة : البطء، ونصب على نزع الخافض : أى أستبينه بعد بطء . والنُّؤْىُ، بضم النون وسكون الهمزة . حفيرة تحفَر حول الخِباء ويجعلُ ترابُها حاجزاً لئلا يدخله المطر . والجِذْم، بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة : الأصل والباقى . وخاشع : لاطىء بالأرض، قد اطمأن وذهب شخوصه .

(كأنَّ مَجرَّ الرامساتِ ذُيولَهَا   عليه قَضيمٌ نمّقتْهُ الصَّوانعُ)

هذا البيت أورده الشارح المحقق (فى شرح الشافية) فى باب المنسوب(٢)، على أن فيه حذف مضاف : أى كأنّ أثر مجرّ الرامسات . ومَجرّ مصدر ميمى

---

(١) سيبويه ١ : ٢٦٠

(٢) أنظر شرح شواهد الشافية للبغدادى ١٠٦ وابن يعيش ٦ : ١١٠، ١١١

لا اسم مكان، فإن أسماء المكان والزمان والآلة لا ترفع فضلاً عن أن تنصب .

٤٣٠ وذيولها : قد انتصب بمجر ، فمجرّ مصدر مضاف لفاعله ، وذيولها مفعوله ، وإنما كان بتقدير مضاف، وهو أثر مجرّ أو مكان مجرّ؛ لأنه إنْ كان مصدراً فلا يصح الإخبار بقوله قضيم ؛ وإن كان اسمَ مكان فلا يصحّ نصْبه المفعول . والرامسات : الرياح الشّديدة الهبوب ، من الرّمس وهو الدفن . وذيولها : مآخيرها : وذلك أن أوائلها تجيء بشدّة ثم تسكن . ورُوى بجر (ذيولِها) على أنه بدل من الرامسات ، وعليه فالمجرّ اسم مكان ، ولا حذف . والقضيم : حصير منسوج ، خيوطُه سيور . كذا فى القاموس وكذا قال شارح ديوانه : « شبّه آثار هذه الرامسات فى هذا الرسم ، بحصير من جريدٍ أو أدم[1] » ترمُله الصوانع ، أى تعمله وتخرُزه . ومثله لذى الرمة :

* ريحٌ لها من هِبابِ الصيف نَمِيم[2] *

أى نمنمة كالوشى . وقال العجاج :

* سجاحة الأولى دَروج الأذيالْ *

ولا يناسبه قولُ الجار بردى (فى شرح الشافية) : إن القضيم جلدٌ أبيض يكتب فيـه ؛ فإنَّ الصوانع جمع صانعة ، والمعهود فى نساء العرب النّسجُ وما أشبهه ، لا الـكتابة . والمعنى يقتضيه أيضاً ؛ فإن الرمل الذى تمرّ عليه الريح يشبه نسجَ الحصير . والصُّنع : إجادة الفعل وليس كل صنع فعـلا ؛ ولا يجوز نسبته إلى الحيوانات غير الآدميّين ، ولا إلى الجمادات ، وإن كان

(١) فى شرح الوزير أبى بكر لديوان النابغة ص ٥٠ : « ومن روى عليه حصير ، فهو حصير يعمل من جريد وأدم

(٢) كذا فى النسختين . وفى الديوان ٥٧٧ واللسان (نمم) :

* فيفا عليه تذيل الريح نميم *

وصدره فى الديوان :

* والركب تعلو بهم صهب يمانية *

الفعل ينسب إليهما . ولا يقال صَنَعٌ بفتحتين ، إلا للرجُل الحاذق المجيد ؛ ولا صَناع ، بالفتح ، إلاّ لامرأة تتقن ما تعمله ضدّ الخرقاء . وفى القاموس : « رجل صنع اليدين بالكسر والتحريك ، وصنيع اليدين وصَناعهما : حاذقٌ فى الصنعة . وامرأة صَنَاع اليدين كسحاب : حاذقة ماهرة بعمل اليدين وجمعهما صُنُع كَكُتُب[(١)] » . وقوله : نمّقته : أى حسَّنته . قال الشارح : كل ما أُلزق بعضه إلى بعض وأُقيم سطورُه ، من نخل أو كتاب ، فهو مُنَمَّق .

(على ظَهْرِ مِبْناةٍ جَديدٍ سيُورُها يَطوفُ بها وسطَ اللَطِيمة بائعُ)

قال أبو عبيدة : المِبناة ، بكسر الميم وسكون البـاء الموحدة : نِطعْ . يقول : هذا الحصير على هذا النطع ، يطوف به بائع فى الموسم . قال الأصمعىّ : كان من يبيع مَتاعاً يفرُش نِطْعا ، ويضع عليه متاعه ، والنِّطع يسمَّى مِبناة . فيقول : نشر هذا التاجرُ حصيراً على نِطع . وإنّما سمِّيت مِبناة ، لأنها كانت تتّخذ قباباً ، والقُبّة والبناء سواء ؛ والأنطاع تبنى عليها القباب . والنِطْع ، بكسر فسكون وبفتحتين وكعنب : بِساط من الأديم . واللطيمة ، قال أبو عمرو : سوقٌ فيها بزّ وطِيب . وقال أبو عبيدة : اللطيمة : العِير التى تحمل دِقّ المتاع وأفضلَه وتحمل إلى الأسواق والمواسم ؛ ولا تسمى لَطيمة إلاّ وفيها طِيب . وقوله : جديدٍ سيورها ، أراد الأديم ؛ وأنشد :

* وقُدَّتْ من أديمهم سُيورى *

(فأسبلَ منِّي عَبرة فرددتُها على النَّحْر : منها مُسْتَهِلٌ ودامعُ[(٢)])

مستَهِلٌ : سائل منصبٌّ له وقع ؛ ومنه استهلّت السماء بالمطر : إذا دام مطرها . ودامع : قاطر .

---

(١) الذى فى القاموس : « وحكى : رجال ونسوة صنع بضمتين » .

(٢) فى النسختين : « وهامع » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته

(على حين عاتبتُ المشيبَ على الصِّبا فقلت: ألمَّا تَصْحُ ، والشَّيْبُ وازع !)

يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى باب الظروف[1]

(وقد حالَ همٌّ دونَ ذلك داخلُ دخولَ الشَّغافِ تبتَغيه الأصابعُ)

٤٣١

أى دون هذا الذى أشبِّب به[2] وأبكى عليه هو الصِبا . وروى : (وقد جالَ همٌّ) . ورُوى أيضا :

ولـكنَّ همًّا دونَ ذلِك داخلٌ مكانَ الشَّغافِ . . . . .

أى غِلاف القلب . وقال الأصمعىّ : الشَّغَاف : داء يدخل تحت الشراسيف فى البطن فى الشق الأيمن ، إذا التقىْ هو والطِحالَ مات صاحبُه . يقول : هذا الهمّ الذى هُوَ لى هو موضعَ الشَغاف الذى يكون فيه القلب . ثم رجع إلى الشغاف فقال : تبتغيه الأصابع : أى تلتمِسه أصابعُ المتطبِّبين ، ينظرون أنَزلَ من ذلك الموضع أم لا ، وإنّما ينزل عند البرء : قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الـكاتب[3]) : « هذا قول الأصمعىّ وأبى عبيدة . وقيل معناه : تلتمسه ، هل انحدر نحو الطحال فيتوقّع على صاحبه الموت ، أم لم ينحدر فترجى له السلامة » وقال أبو على البغدادىّ : يعنى أصابع الأطباء يلمَسُونَنى ، هل وصل إلى القلب أم لا ؟ لأنه إذا اتصل بالقلب تلِف صاحبه . وإنّما أراد النابغةُ : أنه مِن موجدة النعمان عليه ، بين رجاء ويأس ، كهذا العليل الذى يخشى عليه الهلاك ، ولا يأسَ مع ذلك مِن برئه . وهذان التأويلان أشبهُ بغرض النابغة من التأويل الأول .

(وَعيدُ أبى قابوسَ فى غير كُنْهِهِ أتانى ودونى راكِسٌ فالضَواجِع)

---

(١) وهو الشاهد ٤٩٩ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٣٩٦ .

(٢) ط : « أشيب » ، صوابه فى ش .

(٣) الاقتضاب ٣٤٢ .

أبو قابوس . كنية النعمان بن المنذر . قال الأصمعيّ : أى جاءنى وعيده فى غير قدر الوعيد . أى لم أكن بلغتُ ما يغضب علىَّ فيه . وراكس : واد . والضوَّاجع : جمع ضاجعة ، وهو منحني الوادى .

(فبِتُّ كأنّى ساورتنى ضَئيلةٌ من الرُّقْش فى أنيابها السَّمُّ ناقعُ)

المساوَرة : المواثبة ، والأفعى لا تلدغ إلاّ وثباً . وضئيلة : هى الحية الدقيقة القليلة اللحم . والعرب تقول : سلّط الله عليه أفعىً حارية . تحرى : أى ترجع من غلظ إلى دقّة ، ويقلُّ دمها ويشتدّ سمها . قال :

داهية قد صغُرت من الكِبَرْ جاء بها الطُّوفان أيامَ زَخَرْ[1]

وقوله : ناقع : أى ثابت ، يقال : نقَع ينقَع نقوعاً : إذا ثبت . والرُّقشُ من الحيّات : المنقَّطة بسواد . وهى من شرارها ، فلذا خصّها بالذكر . وقال شارح ديوان الحطيئة فى شرح هذا البيت من شعره :

كأنى ساورَتْنى ذاتُ سمٍّ نقيعٍ ما يلائمها رُقاها

النقيع : المنقوع المجموع ؛ وذلك : أن الحيّة تجمع سمّها من أول الشهر إلى النصف منه ؛ فإن أصابت شيئاً لفظته فيه ؛ وإن جاء النصف ولم تصبْ شيئاً تنهّشه لفظته مِنْ فيها بالأرض ، ثم استأنفت تجمع إلى رأس الشهر ؛ ثم تفعل كفعلها الأوّل فهذا دأبها الدهر كلّه اهـ . وهذا البيت من أبيات سيبويه[2] ، أورده على أن ناقعاً رفع على أنّه خبر عن السمّ ، ويجوز فى غير الشعر ناقعاً على الحالية . وقوله : فى أنيابها ، هو الخبر . وأورده المرادىّ فى شرح الألفيّة ، وكذلك ابن هشام فى المغنى[3] ، على أنّ بعضهم قال : ناقع صفة للسمّ — وهو

(١) الرجز لخلف الأحمر ، أو النابغة . انظر الحيوان ٤ : ١١٩ .
(٢) سيبويه ١ : ٢٦١
(٣) شرح شواهد المغنى للسيوطى ٣٠٥ . وانظر جمع الهوامع ٢ : ١١٧ والدرر اللوامع ٢ : ١٤٨

ابن الطَراوة — فإنّه قال : يجوز وصفُ المعرفة بالنكرة إذا كان الوصف خاصًا لا يُوصف به إلاّ ذلك الموصوف . وهذا لا يجيزه أحد من البصريِّين إلاّ الأخفش . ولا حجّة فى هذا البيت قال ابن هشام[1] : إنّه خبر للسمِّ . والظرف متعلّقٌ به ، أو خبرٌ ثان .

٤٣٢

(يُسَهَّدُ فى ليل التِّمَامِ سَليمُها لحَلْىِ النساءِ فى يَدَيْهِ قَعاقِعُ)

ليل التِّمام بكسر التاء : أطول ليلة فى السنة . والسليم : اللديغ . قال الزّجاجى فى أماليه الصغرى[2] : سمت العربُ الملسوعَ سليما تفاؤلاً ، كما سمَّوا المهلكة مَفازة ، من قولهم فوَّز الرجل : إذا مات ؛ كأنهما لفظتان لمعنى . وكان ينشد قول الشاعر :

كأنى من تذكُّرِ آل ليلى إذا ما أظلَمَ الليلُ البهيم
سَليمٌ بانَ عنه أقرَبُوه وأسلَمه المداوى والحَميمُ

ولو كان على ما ذَهَبَ إليه فى السَّليم ، لقيل لكل من به علّة صعبة : سليم ؛ مثل المبرسَم والمجنون والمفلوج ؛ بل كان يلزم أن يقال للميت : سليم اهـ .

وفيه أن المنقول عنه أنه هو وابن الأعرابىّ قالا : إن بنى أسد تقول : إنما سمى السليم سليماً لأنه أُسلِم لما به . على أن العلة لايجب اطّرادها : فتأملْ .

وقوله : لحلى النساء الخ ؛ كان الملدوغُ يُجعَل الحلى فى يديه والجلاجل حتّى لا ينام فيدِبَّ السم فيه .

---

(١) فى النسختين : « قال هشام » . وانما هو ابن هشام فى المغنى ، فى النوع الثانى من الجهة السادسة من الجهات التى يدخل منها الاعتراض على المعرب .

(٢) انظر ملحقات أمالى الزجاجى بتحقيق عبد السلام هارون ص ٢٢٠ وما فى حواشيها من تعليق على هذا النص .

(تَناذَرَها الراقُون من سُوء سَمِّها ... تُطلِّقه طَوراً ، وطَوراً تراجعُ)

وروى أيضاً : (تناذرَها الحاوون) وهو جمع حاوٍ ، وهو الذى يمسك الحيّات . أى أنذر بعضُهم بعضاً بأنّها لا تجيب راقياً . وروى : (من سوء سَمْعها) يعنى أنَّها حيّة صمّاء[1] وقوله : تطلّقه : تخفّ عنه مرّة وتشتدّ عليه مرَّة . قال المبرِّد فى الكامل[2] —عندما أنشدَ هذه الأبياتَ الأربعة ، من قوله : وعيد أبى قابوس ، إلى هذا البيت — ومن التشبيه الصحيح هذه الأبيات ، وهذه صفة الخائف للهموم ؛ ومثل ذلك قول الآخر :

تَبيتُ الهمومُ الطارقاتُ يَعُدْنَني ... كما تعترى الأوصابُ رأسَ المطلَّقِ[3]

والمطلّق هو الذى ذكره النابغة فى قوله : تطلقه طوراً . . الخ . وذلك أنّ المنهوش إذا ألحَّ الوجعُ به تارة وأمسك عنه تارة ، فقد قارب أن يُوءَسَ من برئه[4] . وإنّما ذكر خوفَه من النعمان ومايعتريه من لوعة فى إثر فترة . والخائف لا ينام إلاّ غراراً ، فلذلك شبّه بالملدوغ المسهَّد . اهـ

(أتانى أبيتَ اللعنَ أنّكَ لُمتَنى ... وتلكَ التى تَستَكُّ منها المسامعُ

مقالةُ أنْ قدْقلتَ : سوفَ أنالُه ... وذلك مِنْ تِلقاء مثلِكَ رائعُ)

قال ابن الأنبارىّ فى شرح المفضَّليات : « قوله : أبيت اللعن : أى أبيت أن تأتى من الأخلاق المذمومة ما تلعَن عليه . وكانت هذه تحيّة لَخم وجُذام ، وكانت منازلهم الحيرة وما يليها . وتحيّةُ ملوك غسان : يا خير الفتيان ، وكانت

---

(١) ورواه ابن الأعرابى : « من سوءِ سِمعها » بكسر السين ، والسمع الذِّكر . انظر شرح الوزير أبى بكر .

(٢) الكامل ٥٠٧ .

(٣) أنشده فى اللسان (طلق)

(٤) ط : « يؤيس من برئه » ، وكلاهما صحيح . وأيس : لغة فى يئس .

منازلهم الشام . وحكى ثعلب عن الفرّاء أن المشْيخة كانوا يُضِيفونه على الغلط ، لأنه إذا أضافه خرجَ ذمًّا ، فيقول : أبيَتَ اللّعنِ ، كأنّهم شبّهوه بالإضافة على الغلط . وقال : أراد بيت اللعن أى يا من هو بيت اللعن . والقول هو الأوّل » اهـ . وتستك : تنسد ولا تسمع . ورائع : مفزع ومخوِّف . وقوله : مقالة أن قد قلت ، تفسير لأنك[1] رواه الأصمعى برفع مقالة على أنّه بدل من : أنّك لمتنى . وروُى بفتح التاء أيضاً . قال الأخفش فى كتاب المعاياة : إنه نصب ملامة[2] على : أنك لمتنى . ، فجاء به من بعد ماتم الاسم ، وهو من الصّلة ، وهذا ردىء . اهـ . وقال ابن هشام فى المغنى : ويحكى أن ابن الأخضر[3] سئل بحضرة ابن الأبرش عن وجه النصب[4] فى قول النابغة : مقالة أن قد قلت وأنشد البيتين . فقال :

٤٣٣

ولا تصحبِ الأردىٰ فتردَى مع الرَّدِى[5]

فقيل له : الجواب ؟ فقال ابن الأبرش : قد أجاب . يريد أنّه لما أضيف إلى المبنيّ اكتسب منه البناء ، فهو مفتوح لا منصوب ، ومحله الرفع بدلاً

(١) ط : « للآتى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) هذا بناء على رواية : « ملامة أن قد قلت » . وكان أولى به أن يتقدم بالتنبيه على ذلك فى فعل فى شرحه لشواهد المغنى (مخطوطة دار الكتب ٢ نحو ش) . وقد فسر قول الأخفش : أن ملامة نصبت على أنك لمتنى ، بقوله : (يريد أن ملامة مفعول مطلق عامله لمتنى)

(٣) هو على بن عبد الرحمن بن مهدى ، ابن الأخضر الاشبيلى المتوفى سنة ٥١٤ كما فى بغية الوعاة .

(٤) قال البغدادى فى شرحه لشواهد المغنى (المخطوطة سالفة الذكر ج ٢ : ٨٢٢) : « كذا فى النسخ ، وصوابه : عن وجه الفتح » والبغدادى ألف شرح شواهد المغنى بعد تأليفه للخزانة

(٥) عجز بيت لطرفة هو ختام معلقته فى بعض الروايات . وصدره
اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم

من : أنك لمتنى ؛ وقد روى بالرفع . وهذا الجواب عندى غير جيّد ؛ لعدم إبهام المضاف . ولو صحّ لصحّ البناء فى نحو : غلامك وفرسه ، ونحو هذا ، ممّا لا قائل به .

ثم قال : وإنّما هو منصوب على إسقاط الباء ، أو بإضمار أعنى ، أو على المصدرية . وفى البيت إشكالٌ ، لو سأل السائل عنه كان أولىٰ ، وهو إضافة « مقالة » إلى أنْ قد قلت ، فإنه فى التقدير مقالة قولك ، ولا يضاف الشىء إلى نفسه . وجوابه : أن الأصل مقالة لحذف التنوين للضرورة ، لا للإضافة ؛ وأنْ وصِلَتُها بدلٌ من مقالة ، أو من أنّك لمتنى ، أو خبرٌ لمحذوف . وقد يكون الشاعر إنّما قال : مقالةً ان ، بإثبات التنوين ونقل حركة الهمزة ، فأنشده الناس بتحقيقها ، فاضطرُّوا إلى حذف التنوين اهـ .

ولا يخفى أنّ هذا كلّه تعسفٌ ، وإنما هو من إضافة الأعمّ إلى الأخص ، لأن (مقالة) أعمُّ من (قولك) . وهى من الإضافة البيانيّة كشجرِ الأراك . أى مقالة هى هذا القول .

(أتوعِد عَبداً لم يَخُنْكَ أمانةً   وتَترُكَ عبداً ظالمــاً وهو ضالعُ)

قال أبو عبيدة : ظالم : جائر متحامل . وضَلَعَ أى جار . وروى : (ظالع) أى مذنب ؛ أخِذ مِنْ ظلْع البعير وهو أن يَقِيَ[١] ويعرُج .

(حَملْتَ علىَّ ذنبَه وتركتَه   كذِى العُرِّ يُكوىٰ غيرُه وهوراتعُ)

هذا البيت من شواهد أدب الـكاتب لابن قتيبة[٢] . قال الأصمعىّ : العَرّ بالفتح : الجرب نفسه . وأنشد :

---

(١) يقال وقى يقى ، أى ظلع وعرج ، وفرس واقية للتى بها ظلع . انظر اللسان (وقى ٢٨٥) . وفى النسختين : « يتقى » ، تحريف .

(٢) أدب الكاتب ٢٤٠ والاقتضاب ٣٧١

* كالعُرّ يكمُنُ حيناً ثم يَنتشرُ *

والعُرّ بالضمّ : قَرْح يأخذ الإبل فى مشافرها وأطرافها شبيهٌ بالقَرَع ، وربَّما تفرّق فى مشافرها مثل القُوباء ، يسيل منه ماء أصفر .

قال ابن السِّيد (فى شرحه لأدب الكاتب) : فى معناه خمسة أقوال :

أحدها : أن هذا أمرٌ كان يفعله جُهّال الأعراب ؛ كانوا إذا وقع العر فى إبلِ أحدِهم اعترضوا بعيراً صحيحاً من تلك الإبل فكووا مِشْفَره وعضدَه وفخذه ، يَرَوْنَ أنهم إذا فعلوا ذلك ذهبَ العُرُّ من إبلهم . كما كانوا يعلّقون على أنفسهم كُعوبَ الأرانب خشيةَ العطَب ، ويفقئون عينَ فحل الإبل لئلاّ تصيبَها العين . وهذا قول الأصمعىّ وأبى عمرو وأكثر اللغويِّين .

ثانيها : قال يونس : سألت رؤبة بنَ العجّاج عن هذا ، فقال : هذا وقولُ الآخر :

* كالثور يُضرَب لمّا عافتِ البقرُ *

شىء كان قديماً ، ثم تركه الناس . ويدلّ عليه قول الراجز :

وكانَ شكرُ القومِ عند المِنَنِ[1] كَيَّ الصحيحاتِ وفقءِ الأعيُنِ

ثالثها : قيل : إنما كانوا يكوون الصحيح لئلا يتعلّق به الداء ، لا ليبرأ السقيم ؛ حكى ذلك ابنُ دريد .

رابعها : قال أبوعبيدة : هذا [أمرٌ[2]] لم يكن ، وإنماهومثلٌ لاحقيقة . ٤٣٤

(١) ط : « كان شكر » ش : « كان شكر » والتصحيح للعلامة الألوسى فى بلوغ الأرب ٢ : ٣٠٦ فيما نقله من الخزانة .
(٢) التكملة من الاقتضاب .

أى أخذتَ البرىء وتركتَ المذنب ، فكنتَ كمن كوى البعير الصحيحَ ، وترك السقيم ؛ لو كان هذا مما يكون . قال : ونحوٌ من هذا قولهم : « يشرب عجلانُ ويَسكر مَيسرة » . ولم يكونا شخصين موجودين .

خامسها : قيل : أصل هذا : أن الفصيل كان إذا أصابه العُرُّ لفسادٍ فى لبن أمِّه عمَدوا إلى أمه فكوَوْها ، فتبرأ : ويبرأ فصيلها ببرئها ، لأن ذلك الداء إنّما كان سرى إليه فى لبنها . وهذا أغرب الأقوال وأقربها إلى الحقيقة .

ومن روى كذى العَرّ بفتح العين ، فقد غلِط . لأن العَرّ الجرب ؛ ولم يكونوا يكوون من الجرب ، وإنما [كانوا [1]] يكوون من القروح التى تخرج فى مشافر الإبل وقوائمها خاصّة . وقوله : كذى العرّ ، حال من مفعول تركته ؛ أو تقديره : تركاً كترك ذى العر [2] ، وجملة « يُكوى غيره » تفسيرية ، وجملة « وهو راتعٌ » حال من غير . وهذا ضربه مثلا لنفسه . يقول : أنا برىءٌ ، وغيرى سقيم ؛ فحمّلتنى ذنب السقيم ، وتركته . وقد قال الكميت :

ولا أكوى الصِّحاحَ براتعات بهنّ العُرُّ قبلى ما كُوينا

قال ابن أبى الإصبع (فى التحبير [3]) أنشد ابنُ شرف القيرَوانىّ ابنَ رَشيق :

غيرى جنى ، وأنا المعاقَبُ فيكم فكأننى سبّابة المتندِّمِ

وقال له : هل سمعتَ هذا المعنى ؟ فقال : سمعتُه ، وأخذتَه أنت وأفسدتَه ! فقال : ممن ؟ فقال : من النابغة الذبيانىّ حيث يقول :

---

(١) التكملة من الاقتضاب .
(٢) يعنى أنه مفعول مطلق .
(٣) يعنى تحرير التحبير . انظر التحرير ص ٥٠٩

وكلفتنى ذنبَ امرئٍ وتركتَــه كذى العُرِّ يُـكوىٰ غيره وهو راتعُ

[فهذا المعنى الذى أخذته . و(١)] أمّا إفساده فلأنك قلتَ فى صدر بيتك : إنّك عُوقبت بجناية غيرك ، ولم يعاقَب صاحبُ الجناية ؛ ثم قلتَ فى عجز بيتك : إن صاحبَ الجناية قد شَرِكك فى العقوبة . فتناقض معناك : وذلك أنك شبّهت نفسك بسبّابة المتندم ، وسبّابةُ المتندِّم أولُ شىء يألمُ فى المتندِّم ثم يشرَكها المتندِّمُ فى الألم ؛ فإنّه متى تألّم عضوٌ من الحيوان تألّم كلّه ، لأنّ المدرِك من كلِّ مدرِكٍ حقيقتُه ، وحقيقتُه — على المذهب الصحيح — هى جملته المشاهَدةُ منه والمـكوىّ من الإبل يألم وما به عُرّ ، وصاحب العرّ لا يألم جملة . فمن ههنا أخذتَ المعنى وأفسدتَه انتهى .

وهذا تدقيق فلسفىٌّ لا مدخل له فى الشعر .

(وذلك أمرٌ لم أَكنْ لِأقولَه ولو كُبِّلت فى ساعِدَىَّ الجوامعُ)

كُبِّلتُ : جُمعت من الـكبل وهو القيد . والجوامع : الأغلال ؛ جمع جامعة .

(أتاك بقولٍ لَهلَهِ النسج كاذباً ولم يأتِ بالحقّ الذى هو ناصعُ(٢))

يقال : ثوب لَهـْلَه النسج وهَلْهَل النسج : إذا كان رقيقاً ، وكذلك هلهال . ولهذا سمِّى الشاعرُ المشهور المهلهل(٣) ، لأنه أوّل من أرقّ الشعر . وقيل : سمِّى ببيتٍ قاله . وناصع : بيِّنٌ واضح .

(لعَمْرى ، وما عَمرى علىَّ بهيّنٍ . . . . البيت)

(أقارعُ عَوفٍ لا أحاول غيرها(٤) . . . . البيت)

(١) التكملة من النسخة الخطية لتحرير التحبير المحفوظة بدار الكتب برقم ٤٦٥ بلاغة .
(٢) انظر المعانى الكبير لابن قتيبة ٨٢٧
(٣) انظر ص ١٦٤ من هذا الجزء .
(٤) ط : « أقارع عوفا » صوابه فى ش والديوان

تقدّم شرحُهُما .

(أتاك امرؤٌ مُستعلِنٌ لى بِغْضَةً له من عَدُوٍّ مثلَ ذلك شافعُ)

فانْ كنتَ لاذا الضغنِ عنى منكّلا ولا حَلِفى على البراءة نافع

ولا أنا مأمونٌ بشىءٍ أقولهُ وأنت بأمرٍ لا محالةَ واقعُ

حلفتُ فلم أتركْ لنفسِك رِيبةً وهل يَأْثمنْ ذو إمّةٍ وهو طائعُ)

الضِّغن بالكسر : الحقد . والإِمّة ، بالكسر : الدِّين ، بالكسر ، والقصدُ والاستقامة . يقول : هل يأثم مَن كان على طريقةٍ حسنةٍ وهو طائع .

(بمصطَحَباتٍ من لصَافٍ و ثَبْرةٍ[1] يزُرنَ أُلالاً ، سيْرُهنّ تدافعُ)

الباء متعلّقة بحلفت . وأراد بالمصطحَبات الإِبل التى يحجّ عليها من لصاف وثبْرة . ولَصافِ ، بفتح اللام وكسر الفاء كحذامِ ، ويجوز أن يكون كسَحابٍ ، وهو جبل فى بلاد بنى يربوع . وثَبْرة فى بلاد بنى مالك . وأُلال ، بضم الهمزة[2] ولامين : جبل صغير عن يمين الإمام بعرفة[3] . وقوله : سيرهُنّ تدافع : أى من الإعياء : أى يتحاملن تحاملا ، من الَجهد والتعب .

(تَمام تُبارى الشمسَ خوصاً عيونُها لهنّ رذايا بالطريق ودائع)

قال الشارح : تَمام بالفتح ، طير يشبه السُّمانَى سريع الطيران ، شبّه الإبلَ بها . تبارى الشمسَ ، يعنى فى ارتفاعها . ويروى : (تُبارى الريح) أى تعارضها لسُرعتها . والُخوص ، بالخاء المعجمة : جمع خَوْصاء : أى غائرة عيونُها ذاهبة فى الرأس من الَجهد . والرذايا : المُعيِيَات ، أرذاهنّ السفر فلم تنبعث ، فتُركت

(١) فى النسختين : « وبثره » فى متن البيت وشرحه ، والصواب ما أثبت من الديوان ومعجم ياقوت (ثبرة ، وألال)

(٢) فى ياقوت أنه بفتح الهمزة ، بوزن حمام . ثم قال : « وقد روى الال ، بوزن بلال » .

(٣) فى ياقوت : « قال ابن دريد : جبل رمل بعرفـات عليه يقوم الامام

وأُخذ عنها رحلها . وقد أرذيت الشيء :طرحته ؛ يقال جمل رَذِىٌّ وناقة رذيّة .
وكذلك المُعيِيَة والطَّليح والطِّلْح والرَّجيع . وودائع : قد استُودعت الطريقَ .

(عليهنّ شُعْثٌ عامدون لبِرِّهمْ   فهُنَّ كآرامِ الصَّريم خواضعُ)

ويروى : (فهنّ كأطراف الحَنِيّ) وهو جمع حَنِية ، وهى القوس التى
حُنِيت . يقول : قد ضَمرت الإبلُ ودَقّت من السير . وخواضع : خواشع .
والآرام : جمع رِيم . والصَّريم : ما انفرد من الرمل :

(إلى خير دِينٍ نسكُه قد علمتَه   وميزانه فى سُورة المجْدِ ماتِـعُ)

إلى : متعلّقة بقوله : عامدون . وميزانه : سننه وشرائعه . والسُّورة ،
بالضم . المنزلة . وماتع : مرتفع ؛ يقال : متَع النهار : إذا علا .

(فإنّكَ كالليلِ ، الذى هو مُدْرِكى   وإنْ خِلتُ أنّالمنتأىٰعنكَ واسعُ)

المنتأىٰ على وزن مفتعَل ، من النأى وهو البُعد ؛ يقال : انتأىٰ القومُ :
أى تباعدوا .

قال أبو علىّ (فى إيضاح الشعر) : يحتمل أن تـكون إنْ نافية ، كأنك
قلت : ما خلتُ أنّ المنتأىٰ عنك واسع ، لأنك كالليل المدركى أينما كنتُ .
ويجوز أن تـكون إن للجزاء ، كأنه قال : إن خلتُ أن المنتأىٰ عنك واسع ،
أدركْتَنى ولم أفتْك ، كما يدركنى الليل . والأوّل أشبه اه .

وقد اعترض الأصمعىّ على النابغة فى هذا البيت فقال : تشبيه الإدراك
بالليل ، يساويه إدراك النهار ؛ فلِمَ خصّه دونه ! وإنما كان سبيله أن يأتىَ بما
ليس له قسيم ، حتى يأتى بمعنًى ينفرد به ! (أقول) :إنما قال : كالليل ، ولم يقل:

كالصُّبح مثلا ، لأنه وصفه فى حال سُخطه ، فشبّهه بالليل وهولِه . فهى كلمة جامعة لمعانٍ كثيرة . كذا فى تهذيب الطبع[١] .

وهذا البيت من شواهد تلخيص المفتاح ، أورده شاهداً لمساواة اللفظ للمعنى.

وما أحسن قولَ ابن هانىء الأندلسىّ فى هذا المعنى :

أينَ المَفرُّ ؟ ولا مفرَّ لِهارِبٍ ولك البَسيطان : الثرى والماء

(خطاطيفُ حُجْنٌ فى حبال متينةٍ تُمَدُّ بها إيدٍ إليكَ نوازعُ)

الخطاطيف : جمع خُطّاف ، وهى الحديدة التى تخرج بها الدِّلاء وغيرها من البئر . وحُجْن : معوجّة ، جمع أحجن وحجناء . يقول : أنا فى قبضتك تقدر علىَّ متى شئتَ ، لا أستطيع الهربَ منك . وهو مثَل . ونوازع : جواذب يقال : نزعت من البئر دلواً أو دلوين . وبئر نزوع : إذا كان يُستقى منها باليد

(سيُبلغ عذراً أو نجاحاً مِن امرئٍ إلى ربِّه ربَّ البريَّة راكعُ)

راكع : فاعل سيبلغ ، وهو بمعنى الخاضع والذليل ، يعنى به نفسه .

(وأنتَ ربيعٌ يُنعشُ الناسَ سَيبُه وسَيفٌ أُعيرتْهُ المنيَّةُ قاطع

أى أنت بمنزلة الربيع . ينعش : يرفع ويجبرُ . وسَيبه : عطاؤه . أى أنت سيب وعطاء لوليِّك ، وسيفٌ لأعدائك

(وتُسقى إذا ماشئتَ غير مصرَّدٍ بزَوْراء فى أكنافها المِسْك كارعُ

غير مصرَّد : أى غير ممنوع ولا مقطوع . يقال: صرّد علىّ الشراب : إذا

(١) ذكر المستشرق كرنكو أنه فى نوادر اللغة ، لأبى محمد قاسم بن محمد الأصفهانى ، كما ذكر الميمنى فى الاقليد ٣٧ قال الميمنى : « والذى فى ياقوت فى ترجمة ابن طباطبا صاحب عيار الشعر أن تهذيب الطبع له ٦ : ٢٨٤ مرجليوث . وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم طباطبا » .

سقاه دون الرىّ ؛ وهو التصريد . والزَوراء : إناء مستطيل من فضّة . وقال صاحب الصحاح : هو القدح . وكارع : أى أنّ المسك على شفاه ذلك الإناء

وقال الأصمعىّ : الزَوراء : دار بالحيرة ، وحدَّثنى من رآها وزعم أنّ أبا جعفرٍ هدَمها .

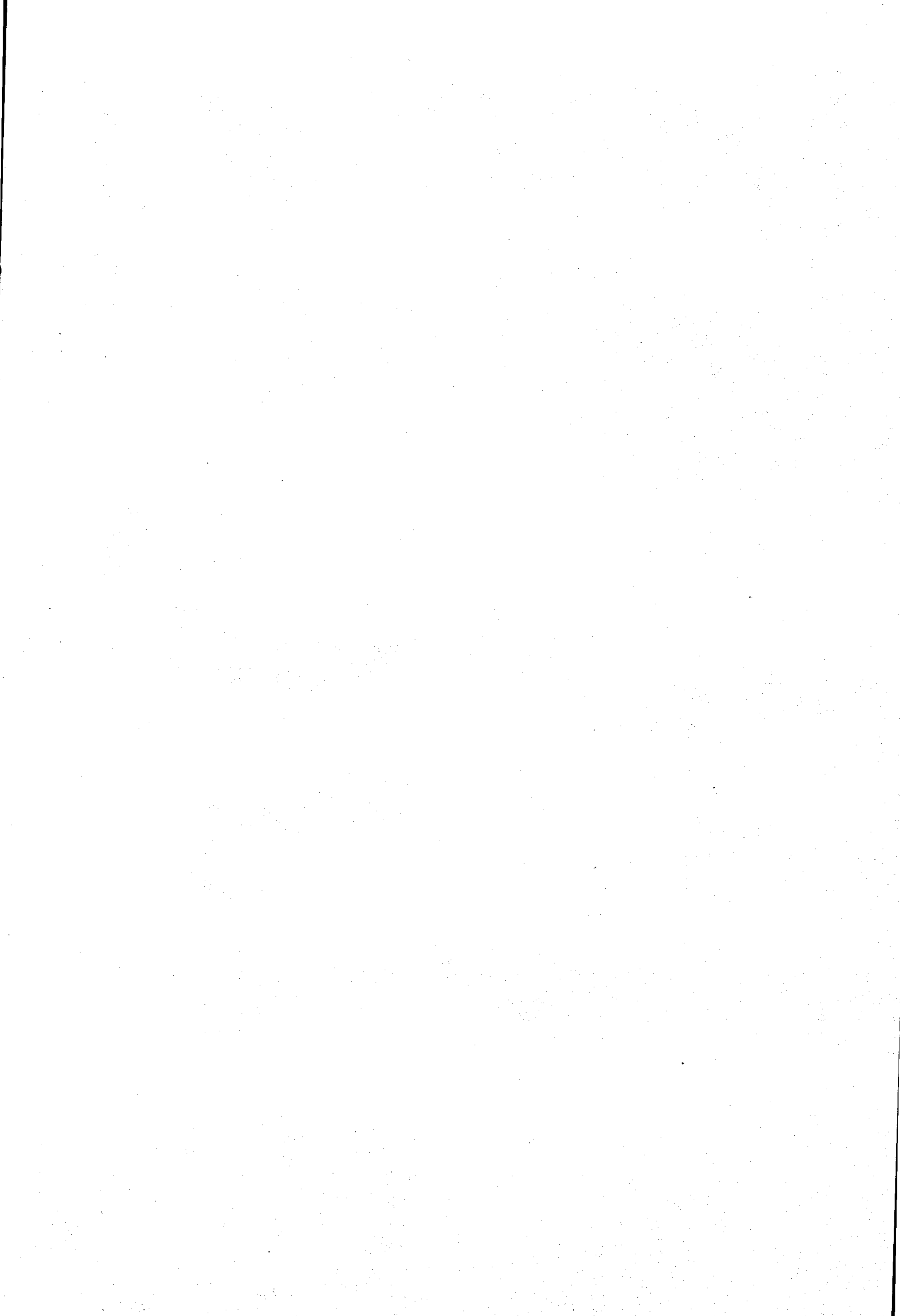
(أبىَ اللهُ : إلاّ عَدلَه ووَفاءه فلا النُّكْرُ معروفٌ ولا العُرفُ ضائعُ)

وهذا آخر القصيدة ، أى ما يريد الله إلاّ عدلَ النعمان بن المنذر ، وإلا وفاءه ، فلا يدعه أن يجورَ ولا أن يغدِر ، فلا النّكر يعرفُه النعمانُ ، ولا الجميل يضيع عنده .

تم الجزء الثانى

والحمد لله وحده

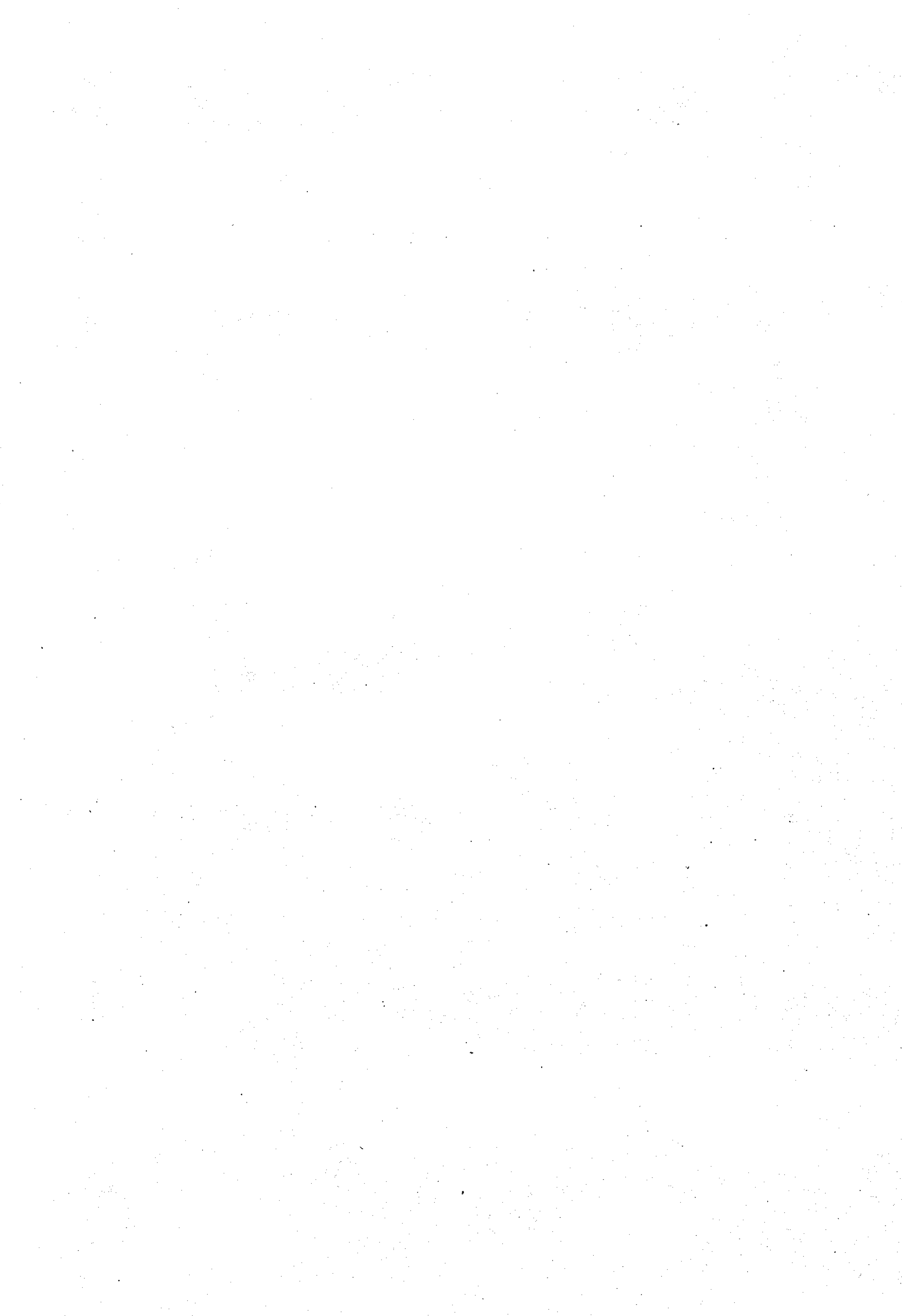
(أ)
فهرس التراجم



الصفحة

(ب)

فهرس الشواهد



(المفعول المطلق)

(المفعول به)

(المنادى)

(الترخيم)

الشاهد　　　　　　　　　　　　　　　　الصفحة

(ما يختص بالنداء)

(الاختصاص)

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الثالث

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الرابعة
١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة . ت : ٤٨٢٧٨٥١

باب الاشتغال

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد المائة[1] :

١٥٦ (فكلاًّ أراهُمْ أصبَحُوا يعقِلونَهُ صَحِيحاتِ مالٍ طالعاتٍ بمَخْرِمِ)

على أنه مما اشتغل الفعلُ فيه بنفس الضمير . إذ التقدير : يعقلون (كُلاًّ)

هذا البيت من معلَّقة زُهير بن أبى سُلمىٰ . وضمير الجمع فى المواضع الثلاثة عائدٌ إلى الحىّ ، وهم قبيلة بنى ذُبيان . وقوله : (فكلاًّ) أى فكلَّ واحد من المقتولين المذكورينَ قبل هذا البيت . وروىٰ الأعلم : (يعقلونهم) بإرجاع الضمير إلى كلٍّ مجموعاً ، باعتبار المعنى ، نحو قوله تعالى : (كلٌّ فى فلَكٍ يَسْبَحُون[2]) . ويعقلونه أى يُؤَدُّونَ عَقْلَه ، أى دِيَتَه . يقال عقَلت القتيلَ ، من باب ضَرب : أدَّيت دِيته ، قال الأصمعىُّ : سُمِّيتِ الديَةُ عقْلاً تسميةً بالمصدر ، لأن الإبل كانت تُعقَل بفِناء ولىِّ القتيل ، ثم كثر الاستعمال حتى أطلق العقل على الدِّية ، إبلاً كانت أو نقداً . وعقَلت عنه : غرِمت عنه مالزمه من دية وجناية . وهذا هو الفرق بين عقلته وعقلت عنه : ومن الفرق بينهما أيضاً ، عقلت له دم فلان : إذا تركتَ القَوَد للدية . وعن الأصمعىّ : كلّمت القاضىَ أبا يوسف ، بحضرة الرَّشيد ، فى ذلك ، فلم يفرقْ بين عقلته وعقلت عنه حتى فهّمته . كذا فى المصباح .

فتفسير الأعلم (فى شرحه للديوان) يعقلونه ، بقوله : يغرَمون ديته ؛

---

(١) البيت من معلقة زهير .
(٢) الآية ٣٣ من سورة الأنبياء :

غير جيّد . والمعنى : أرى حيّ ذبيان أصبحوا يعقلون كلّ واحدٍ من المقتولين من بني عبس . فالرؤية واقعة على ضمير الحيّ ؛ والعقلُ واقع على ضمير كلّ ؛ فلا يصح قول أبي جعفر النحوي وقولُ الخطيب التبريزي ، في شرحيهما لهذه المعلقة : إن كلاً منصوب بإضمار فعلٍ يفسّره ما بعده ، كأنه قال : فأرى كلاً . ويجوز الرفع على أن لا يضمر ، لكن النصب أجود ، لتعطف فعلاً على فعل ؛ لأن قبله « ولا شاركت في الحرب » اهـ . ووجه الرفع حينئذ : أن يكون كلّ مبتدأ ، وجملة يعقلونه الخبر ، وما بينهما اعتراض .

وقوله : (صحيحات مال) أي ليست بعِدَة ولا مطل . يقال : مال صحيح : إذا لم تدخله علة في عِدَة ومطلٍ اهـ(١) . والمال عند العرب : الإبل ، وعند الفقهاء : ما يُتموَّل : أي ما يعدّ مالاً في العرف . وقوله : (طالعات بمخْرِم) هو بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة(٢) ، وهو الثَّنيّة في الجبل ، والطريقُ . يعني : أن إبل الدية تعلو في أطراف الجَبل عند سَوقها إلى أولياء المقتولين . يشير إلى وفائهم . وروى أبو جعفر والخطيب المصراعَ الثاني :

* عُلالةَ ألفٍ بَعد ألفٍ مُصَتَّمِ *

والعُلالة بضم المهملة ههنا : الزيادة . وبناء فُعالة ، للشيء اليسير نحو القلامة . والمصتَّم بضم الميم وفتح الصاد المهملة وتشديد المثناة الفوقيّة : التامّ والكامل .

ورَوى صَعُوداء في شرحه لديوان زهير :

* صحيحات ألفٍ بَعد ألفٍ مُصتَّمِ *

---

(١) كذا في النسختين ، ولم يتبين أول النص ، فلعل في الكلام سقطا .

(٢) أي ، وبكسر الراء ، لا كما يوهمه قوله ، فإن تركه لتقييدها يشعر بأنها مفتوحة ، وليس كذلك .

وقال : مصتَّمَ : مكمَّل ؛ يقال مال صَتْم : تامٌ كثير ، ويقال أُعطيته ألفاً مصتَّمة : أى كاملة .

والبيت المذكور . على رواية الأعلم ، ملفَّق من بيتين . وهذه روايته :

فكلاً أراهُمْ أصبحوا يَعقلونهمْ عُلالةَ ألف بعد ألف مصتَّم

تُساقُ إلى قَومٍ لِقَوْم غَرَامةً صَحيحاتِ مالٍ ، طالعاتٍ بمَخْرِمِ

وقال : وقوله « تساق إلى قوم » أى يَدفع إبلَ الدية قومٌ إلى قوم لِيُبلِغوها هؤلاء .

سبب الشعر

وينبغى أن نورد ما قبل هذا البيت ، حتَّى يتّضح معناه ، وكذلك السبب الذى قِيلتْ هذه القصيدةُ لأجله ، فنقول : قال الشراح : إنَّ زهيراً مدح بهذه القصيدة الحارثَ بن عوف وهَرِم بنَ سِنان المرِّيَّين ، وذكر سعيَهما بالصلح بين عَبْس وذُبيان ، وتحمُّلَهما الحمالة . وكان وَرْد بن حابس العبسيّ قتل هَرِم ابن ضَمضم المرىّ ، فى حرب عبس وذبيان قبل الصلح ، وهى حرب داحس ؛ ثم اصطلح الناسُ ولم يدخل حصين بن ضمضم أخو هرم بن ضمضم فى الصُّلح ، وحلف : لا يغسل رأسه حتى يقتُل وردَ بن حابس ، أو رجلا من بنى عبس ثم من بنى غالب ! ولم يُطلع على ذلك أحداً . وقد حمل الحمالة الحارثُ بن عوف ابن أبى حارثة ، وهَرِم بن سنان بن أبى حارثة . فأقبل رجلٌ من بنى عبس ثم من بنى غالب حتى نزل بحصين بن ضَمضم ، فقال : مَن أنت أيها الرجل ؟ فقال : عبسيّ . فقال : مِن أىّ عبس ؟ فلم يزل ينتسبُ حتَّى انتسب إلى غالب . فقتله حصين فبلغ ذلك الحارثَ بن عوف وهرم بن سنان ، فاشتدّ عليهما ؛ وبلغ بنى عبس ، فركبوا نحو الحارث . فلما بلغ الحارثَ ركوبُ بنى عبس وما قد اشتدَّ عليهم من قتل صاحبهم — وإنما أرادت بنو عبس أن يقتلوا

١

٤٣٨

الحارث — بعث إليهم بمائة من الإبل معها ابنه . وقال للرسول : قل لهم : آللبنُ أحبُّ إليكم أم أنفسُكم ؟ فأقبل الرسول ، حتى قال ما قال ؛ فقال لهم الربيع بن زياد : إن أخاكم قد أرسل إليكم : آلإبلُ أحبُّ إليكم أم ابنُه تقتلونه ؟ فقالوا . نأخذ الإبلَ ونصالح قومنا ويتمّ الصلح . فقال زهير فى ذلك هذه القصيدة .

أبيات الشاهد

وبعد أن تغزّل بخمسة عشر بيتاً قال :

(سَعَى ساعياً غيظِ بن مُرّةَ بعدَما تبزّلَ ما بين العَشيرة بالدَّمِ)

الساعيان : الحارث بن عوف وهرم بن سنان ، وقيل : خارجة بن سنان ؛ وهو أخو هرم بن سنان ؛ وهما ابنا عمّ للحارث بن عوف ، لأنهما ابنا سنان ابن أبى حارثةَ والحارثُ هو ابن عوف بن أبى حارثة ، و [ابن أبى حارثة[1]] هو ابن مرّة بن نُشْبة بن مرّة بن غيظ [بن مرّة[2]] بن عوف بن سعد ابن ذبيان .

ومعنى سَعيا : أى عمِلا [عَملاً[3]] حسناً حين مَشيا للصلح وتحمّلا الديات. وتبزّل ، أى تشقّق . يقول : كان بينهم صلح ، فتشقّقَ بالدم الذى كان بينهم ، فسَعيا فى إحكام العهد بعد ما تشقّق بسفك الدماء .

(فأقسمتُ بالبيتِ الذى طافَ حولَه رجالٌ بَنَوْهُ ، من قريش وجُرْهُمِ)

أراد بالبيت الكعبةَ المعظّمة . وجُرهُم : أمّة قديمة ، كانت أربابَ البيت قبل قريش . وبنَوْه بفتح النون ، من البناء ، وضمُّها خطأ .

(يميناً لَنِعمَ السيِّدانِ وُجِدتُما على كلِّ حالٍ: مِنْ سَحيلٍ ومُبرَمِ)

---

(١) التكملة من ش .
(٢) التكملة من ش .
(٣) التكملة من ش .

يميناً : مصدر مؤكِّد لقوله أقسمت ، وجملة لنعم السيدان . . الخ ، جواب القسم .

وهذا البيت أورده الشارح المحقِّق (فى باب أفعال المدح[١]) على أن المخصوص بالمدح إذا تأخَّر عن نِعْم ، يجوز دخول نواسخ المبتدإ عليه ، فإن ضمير التثنية فى « وجدتما » هو المخصوص بالمدح ، وقد دخل عليه الناسخُ وهو وُجد . وعلى متعلِّقةٌ به . والسَّحيل ، بفتح السين وكسر الحاء المهملتين : المسحول ، أى الذى لم يُحكم فتلُه . والمبرَم : مفعول من أبرم الفاتل الحبلَ : إذا أعاد عليه الفتل ثانياً بعد أوَّل ، فالأوّل سَحيل والثانى مبرم . وقيل : السحيل : ما فُتل من خيط واحد ، والمبرم : ما فتل من خيطين . وأراد بالسحيل الأمرَ السهل الضعيف وبالمبرم الشديدَ القوىَّ .

(تداركتُما عَبْساً وذُبيانَ بَعْدَما تَفانَوْا ودقُّوا بينَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ)

عَبْس وذُبيان : أخوان ، وهما ابنا بَغيض بن رَيث بن غطَفان بن سعد ابن قيس بن عَيْلان بن مضر . أى تداركتماهُما بالصلح ، بعد ما تفانوا بالحرب . « ومَنشم » المشهور بفتح الميم وسكون النون وكسر الشين المعجمة[٢] زعموا أنها امرأة عطّارة من خُزاعة ، تحالفَ قومٌ فأدخلوا أيديَهم فى عطرها على أن يقاتلوا حتّى يموتوا . فضرَب زهير بها المثل . أى صار هؤلاء فى شدّة الأمر بمنزلة أولئك . وقيل : كانوا إذا حاربوا اشتروا منها كافوراً لموتاهم ، فتشاءمُوا بها . وزعم بعضهم : أنّها امرأة من بنى غُدانة ، وهى صاحبة

(١) هو الشاهد ٧٦١ من الخزانة .

(٢) ويقال بفتحها أيضاً . وانظر قول هشام الكلبى فى التفرقة بينهما فى اللسان (نشم ٥٦) حيث جعل التى بكسر الشين منشم بنت الوجيه ، من حمير . والتى بفتحها امرأة من العرب كانت تنتجع العرب تبيعهم عطرها .

« يسارِ الكواعب[١] » وكانت امرأةَ مولاه ، وكان يسارٌ من أقبح الناس ؛ وكان النساء يضحكن من قبحه ، فضحكت منه منشمُ يوماً ، فظن أنها خضعت إليه ، فراودها عن نفسها ، فقالت له : مكانَك ؟ فإن للحرائرِ طيباً . فأتت بموسى فأشمّته طيباً ، ثم أنحت على أصل أنفه[٢] فاستوعبته قطعاً ، فخرج هارباً ودمه يسيل . فضرب المثل فى الشرّ بطيب منشم . وقيل غير ذلك .

(وقد قلتُما إنْ نُدركِ السّلم واسعاً   بمالٍ ومَعروفٍ من القول ، نَسْلَمْ)

السلم : الصلح ، يذكّر ويؤنّث ، وهنا مذكر ، لقوله : واسعا : أى ممكنا . وقال الأعلم : أى كاملاً مَكينا . وقوله : نسلم ، أى من أمر الحرب . وروى بضم النون ، أى نوقِع السلم بين القوم والصلحَ .

(فأصبحتُما منها على خَيرِ مَوطنٍ   بعيدَينِ فيها من عُقوق ومَأثَمِ)

أى أصبحتما من الحرب على خير منزلة . ومِن للبدل . وبعيدَين ، خبر بعد خبر . والعقوق : قطيعة الرحم . والمأثم : الإثم .

(عَظيمَينِ فى عُلْيا معَدٍّ وغيرها   ومن يَستبحْ كنزاً من المجد يَعظُمِ)

عُليا معدّ : مؤنث أعلى ؛ أى فى عُليا منزلة هذه القبيلة . وروى بدل وغيرها « هديتُما » وهو دعاء ، أى دامت هدايتكما إلى طريق الفلاح . ومعنى يستبِحْ كنزاً ، يُصِبْ مجداً مباحاً . والكنز كناية عن الكثرة . يقول : مَن فعل فعلَكما فقد أبيح له المجد ، واستحقّ أن يعظُم عند الناس . روى يعظُمْ بالفتح أى يَصِرْ عظيما ، وبالضم مع كسر الظاء أى يأت بأمرٍ عظيم ، ومع فتح الظاء أى يعظِّمه الناس . وعظيمين خبرٌ ثالث .

---

(١) انظر خبره فى النقائض ٨١٦ ، ١٠٩٣ والفاخر ٩٩ والروض الأنف ١ : ٢/١٦ : ٨٢ وثمار القلوب ٨٢ ونهاية الأرب ٣ : ٣٦ فى مثل « صبرا على مجامر الكرام » .
(٢) فى معظم المراجع أنها قطعت مَذَاكيره لا أنفه .

(فأصبح يُحدىٰ فيهمُ مِن تلادكمْ مغانمُ شَتّىٰ من إفالِ المزنَّم)

يُحدى : يساق ، من الحُداء . وروى « يجرى » . والتِّلاد بالكسر : ما ولد عندهم أصله ، وهو المال القديم ، ثم كثر استعمالهم إياه ، حتى قيل لِملْك الرجل كلّه : تِلاد . وشتّى : متفرقة . والإفال ، بالكسر : جمع أفيل وأفيلة ، وهو الفَصيل ، وإنما خصّ الإفال ، لأنَّهم كانوا يغرمون فى الدية صغار الإبل . والمزنَّم : فحلٌ معروف ، نَسَبَ الإفالَ إليه . والتزنيم : سِمَة يوسَم بها البعير : وهو أن يُشقَّ طرف أذنه ويفتل ، فيتعلّق منه كالزَنَمة . ورُوى « من إفال مُزَنَّمِ » و « من نِتاجٍ مزنَّم » .

(تُعَفَّى الكلومُ بالمِئِينَ فأصبحتْ ينجِّمُها مَن ليس فيها بمجرم)

أى تُمحَى الجراحات بالمئينَ من الإبل ، وإنما يعنى أنَّ الدماء تسقط بالديات . وقوله : ينجِّمها ، أى تُجعَل نجوماً على غارمها . ولم يُجْرِمْ فيها أى لم يأت بجُرمٍ ، مِن قتلٍ تجب عليه الدية ، ولكنّه تحمّلها كرماً وصلةً للرحم .

(ينجِّمها قومٌ لقومٍ غَرامةً ولم يُهَرِيقُوا بينهمْ ملءَ مِحْجَمِ)

يعنى أنّ هذين الساعيين حملا دماء من قتلٍ ، وغرم فيها قومٌ من رهطهما ، على أنهم لم يصبُّوا دم أحدٍ ملءَ محجم . أى أنهم أعطَوا فيها ولم يقتُلوا . ويهَرِيقوا : أصله يُرِيقوا ، وزيدت الهاء المفتوحة .

(فمن مُبلغُ الأحلافِ عنِّي رسالةً وذُبيانَ : هلْ أقسمتمُ كلَّ مُقْسَمِ ؟
فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما فى نفوسكمْ ليَخفى ، ومهما يُكتَمِ اللهُ يَعلَمِ)

٤٤٠

الأحلاف : أسد وغطفان وطيّئ . ومعنى هل أقسمتم الخ ، أى هل حلفتم كلَّ الحلف لتَفعلُنَّ ما لا ينبغى ؟ وهذا البيت أورده ابن هشام فى المغنى (فى بحث هل) . وقوله : فلا تكتمن الله . . الخ ، أى لا تضمروا خلافَ

ما تظهرونه ، فإن الله يعلم السرَّ ، فلا تكتموا ما في أنفسكم من الصلح وتقولوا : لا حاجة لنا إليه . وقيل معنى قوله : هل أقسمتم ، هل حلفتم على إبرام حبل الصلح فتخرجوا من الحِنث ، فلا تُخفوا اللهَ ما تضمرون من الغدر ونقض العهد . ويُكتَم : بالبناء للمفعول ، بخلاف يَعلم ، فإنه للفاعل .

(يُؤخَّرْ فيوضَعْ في كتابٍ فيدَّخَرْ ليوم الحسابِ أو يُعجَّل فيَنقِمِ)

جميع الأفعال بالبناء للمفعول ، ما عدا الأخير ؛ يقال نقَم منه من باب ضرب ، بمعنى عاقبه وانتقم منه . ويؤخَّر : بدل من يعلم ، وقيل : جزم في جواب النهي ، وهو الصواب .

(وما الحربُ إلاَّ ما علمتمْ وذقتمُ وما هو عنها بالحديث المرجَّم)

يقول : ما الحرب إلاَّ ما جرّبتم وذقتم ؛ فإياكم أن تعودوا إلى مثلها . وقوله : وما هو عنها ، أي ما العلم عن الحرب بالحديث ، أي ما الخبر عنها بحديثٍ يُرجَم فيه بالظن . فقوله « هو » كناية عن العِلم . لأنَّه لما قال إلاَّ ما علمتم ، دلَّ على العلم . كذا قال الخطيب وأبو جعفر النحوي . وقال صَعوداء في شرحه : هو ضمير ما ، وكأنه قال : وما الذي علمتم . وقال الزوزني : « هو ضمير القول لا العلم ، لأن العلم لا يكون قولا ، أي وما هذا الذي أقول بحديث مرجَّم ، أي هذا ما شهدتْ عليه الشواهدُ الصادقة من التجارب وليس من أحكام الظنون » وقال الأعلم : هو كناية عن العلم ، يريد : وما علمتم بالحرب . وعن : بدل من الباء ، أي ما هو بالحديث الذي يرمى به بالظنون ويُشَكّ .

وأورد الشارح المحقق هذا البيتَ (في باب المصدر(١)) على أنَّ ضمير المصدر يعمل في الجار والمجرور ؛ وقال : أي ما حديثي عنها . فجعلَه ضميرَ

(١) الشاهد ٥٩٥ من الخزانة .

الحديث . والمرجَّم : الذى يرجَّم بالظنون ؛ والترجيم : الظن . والمعنى : أنه يحضّهم على قَبول الصلح ، ويخوِّفهم من الحرب :

(مَتى تبعثُوها تبعثوها ذميمةً وتضرى[1] إذا ضرّيتموها فتضرَمِ)

أى إن لم تقبلوا الصلح ، وهِجتم الحربَ ، لم تحمَدوا أمرها . والبعث : الإثارة . وذميمة : أى تذمّون عاقبتها . وروى : (دميمة) بالمهملة : أى حقيرة ؛ وهذا باعتبار المبدأ : وضرِى بالشىء ، من باب تعب ، ضراوة : اعتاده واجترأ عليه ؛ ويُعدَّى بالهمزة والتضعيف ؛ قال صَعوداء فى شرحه : مِن العرب مَن يهمز ضرِى ، فيقول : قد ضرئ به : فمن هذه اللغة تقول : « وتضرأ إذا ضرأتموها » وضرِمَت النارُ ، من باب تعب ، أيضاً : التهبت .

(فتعرككُمُ عركَ الرحَى بثفالها وتَلْقَحْ كِشافاً ، ثم تحمِلْ فتُتْئِمِ[2])

معطوف على جواب الشرط ، ويقرأ بضم الميم للوزن — قال صعوداء : وإن رفعته مستأنفا كان صوابا . (أقول) : يمنعه ما بعده من الأفعال السبعة ، فإنها مجزومة — أى تطحنكم وتهلككم[3] : وأصل العرك : دلك الشىء : والثِّفال : بكسر المثلثة : جلدة تكون تحت الرحَى إذا أديرت يقع عليها الدقيق : والباء للمعيّة نحو قوله تعالى : (تَنْبُتُ بالدُّهن[4]) : أى ومعها الدهن : وجاء فلانٌ بالسيف : أى ومعه السيف : والمعنى : عركَ الرحَى طاحنة ؛

---

(١) وفى رواية التبريزى والزوزنى وابن الأنبارى : (وتضر) بالجزم عطفا على ما قبله .

(٢) ط : (فتتأم) ، صوابه فى ش . والرحى يائية واوية يقال رحوان ورحيان ، والياء أعلى .

(٣) ط : (تطحنكم وتهلكهم) باختلاف الضميرين ، صوابه فى ش .

(٤) الآية ٢٠ من « المؤمنون » .

لأنّ الرحَى لا تطحن إلاّ وتحت مجرى الدقيق ثِفال : فعركُ : مصدر مضاف إلى فاعله ، والمفعولُ محذوف أى الحَبّ .

قال صَعوداء : فظَّع بهذا أمرَ الحرب ، وأخبر بأشدّ أوقاتها . قال : والـكِشَاف ، فى لغة كنانة وهذيل وخُزاعة : الإبل التى لم تحمل عامين : وتميم وقيس وأسد وربيعة يقولون : الـكِشاف التى إذا نُتِجَتْ ضرَبها الفحلُ بَعد أيام فلَقِحت ، وبعضهم يقول : هى التى يُحَمل عليها فى الدم : وأبو مضر يردّ هذا كلَّه ، ويزعم أنّ الفحل لا يدنو من الناقة ما دامت فى دَمِها ، وأنشد :

* طَبّ بعسٍّ البول غير ظلاَّمْ *

قال : فهو لا يدنو منها حاملاً ، فكيف يدنو إليها فى دمها ! وقال : الـكِشاف عندنا : أن يحمل على الناقة عامين متوالين وذلك مُضرٌّ بها ، وهو أردأ النتاج : وإلى هذا ذهب زهير أى إنّ الحرب تتوالى عليكم فينالكم منها هذا الضرر : ورُوى : « ثم تحمل فُتتِم[1] » والإتآم : أن تضع اثنين : وليس فى الإبل إتآم ، إنما الإتآم فى الغنم خاصّة ، وإنما يريد بذلك تفظيع الحرب وتحذيرهم إياها . جعل آفة الحرب إياهم بمنزلة طحن الرحَى الحبّ ، وجعل صنوف الشر تتولّد من تلك الحروب ، بمنزلة الأولاد الناشئة من الأمّهات .

قال أبو جعفر والخطيب : شبه الحرب بالنّاقة ، لأنه جعل ما يُحلب[2] منها من الدماء بمنزلة ما يُحلب من الناقة من اللبن ، كما قال :

إنّ المهالب لا يزال لهم فتًى   يَمرِى قوادمَ كُلّ حربٍ لاقِح

---

(١) ط : (فتتأم) ، صوابه فى ش .

(٢) ط (يجلب) بالجيم ، صوابه فى ش والتبريزى ١٥٥ .

وقيل : إنّما شبه الحرب بالناقة إذا حملتْ ثم أرضعت[١] لأنّ هذه الحروب تطول ؛ وهي أشبه بالمعنى : وقوله[٢] تُتْئِم : أي تأتي بتوأمين ، الذكر توأم والأنثى توأمة .

(فتنتجْ لكم غِلمانَ أشأمَ كلُّهم كأحمر عادٍ ثم تُرضِعْ فتَفْطِمِ)

معطوف على قوله فُتْئِم . نُتجت الناقةُ ولداً ، بالبناء للمفعول : إذا وضعته . وأشأم : قال أبو جعفر والخطيب : فيه قولان : أحدهما أنه مصدر ؛ كأنه قال : غلمانَ شؤم ؛ والآخر : أنه صفة لموصوف ، أي غلمان امرئٍ أشأم أي مشئوم . وقال الأعلم : أشأم هنا صفة للمصدر على معنى المبالغة ، والمعنى : غلمان شؤم أشأم ، كما يقال : شغل شاغل : وكلهم : مبتدأ ؛ وكأحمر عاد : خبَره . . وقال صَعوداء : وإن شئت رفعت كُلاً بأشأم ، كما تقول مررت برجال كريمٍ أبوهم . . وفيه أن كُلاّ إذا أضيفت للضمير لا تقع معمولة لعامل لفظي .

ويريد بأحمر عاد : عاقرَ الناقة ، واسمُه قُدار بن سالف ؛ وأحمر لقبه . قال الأصمعيّ : أخطأ زهير في هذا ، لأن عاقر الناقة ليس من عاد ، وإنما هو من ثمود . وقال المبرّد : لا غلَط ، لأنّ ثمود يقال لها عادُ الآخرة ، ويقال لقوم هود عادُ الأولى ؛ والدليل على هذا قوله تعالى : (وأنّه أَهلَكَ عاداً الأولى[٣]) . وقال صَعوداء والأعلم : لا غلَط ، لكنّه جعل عاداً مكان ثمودَ اتساعا ومجازا ، إذ قد عُرِف المعْنِيُّ ، مع تفاوت[٤] ما بين عاد وثمود في الزّمن والأخلاق .

والإرضاع والفطم معروفان ، أي لا تنزع إلاّ عن حولين . وإنما أراد

(١) التبريزي : ثم « أرضعت ثم فطمت » .
(٢) في النسختين : « وقولهم » .
(٣) الآية ٥٠ من سورة النجم .
(٤) ط : (تقارب) ، وأثبت ما في ش .

طولَ شدّتها ، وأنها لا تنقطع إلا عن تَمام ؛ لأنّ المرأة إذا أرضعت ثم فطَمت فقد تمّت .

٤٤٢ (فتُغْلِلْ لكم ما لا تُغِلُّ لأهْلها قُرًى بالعراق مِن قَفيزٍ ودِرْهَمِ)

معطوف على قوله (فتَفطم) : أى فتُغلِلْ لكم هذه الحربُ من الدّيَات بدماء قتلا كم مالا تُغِلُّ قرى بالعراق وهى تغلّ القفيز والدرهم . وهذا تهكّم بهم واستهزاء : يقال : أغلّت الضيعةُ بالألِفِ . صارت ذاتَ غَلّة[1] : والغلّة : كلّ شىء من رَيْع الأرض ، أو من أُجرتها ، ونحو ذلك :

(لعَمْرى ، لنِعمَ الحىُّ جرّ عليهم ، بما لا يُواتيهم ، حُصينُ بن ضَمْضَمِ)

جرّ : من الجريرة : وهى الجناية : وفاعله حُصين : والجملة صفة لموصوف محذوفٍ هو المخصوص بالمدح ، أى لنعم الحىّ حىٌّ جرّ عليهم . . الخ . . وعمرى مبتدأٌ خبرُه محذوف أى قسَمى . وجملة لنعم الحىّ الخ جواب القسَم . ولا يواتيهم : لا يوافقهم ، روى : (لا يُماليهِمْ) والممالأة : المعاونة . وحصين ابن ضمضم هو ابن عمٍّ النابغة الذبيانىّ ، لأنّ النابغة هو ابن معاوية بن ضِباب ابن جابر بن يربوع بن غَيظ [ابن مُرّة[2]] بن عَوف بن سعد بن ذبيان ؛ وحصين هو ابن ضمضم بن ضِباب ، إلى آخر النسب . وجنايته : أنّه لما اصطَلحت قبيلة ذبيانَ مع قبيلة عَبْس ، أبَى حصينُ بن ضمضمٍ أن يدخل فى الصُّلح ، واستتر منهم ، ثم عَدَا على رجل من بنى عبس فقتله كما تقدم بيانه[3] . وإنما مدح حىّ ذبيانَ ، لتحمُّلهم الدياتِ ، إصلاحاً لذات البين :

(وكانَ طوىٰ كشحاً على مُستكِنَّةٍ فلا هوَ أبداها ولم يتجمجَمِ)

---

(١) ط : (ذا غلة) ، صوابه فى ش .
(٢) التكملة من ش والمعارف ٣٨ .
(٣) انظر ما مضى فى ص ٥ من هذا الجزء وما بعدها .

طوىٰ ، بإضمار (قد) عند المبرّد ، قال : لأنّ كان فعلٌ ماض اسمُها ضمير حصين ، ولا يُخبر عنه إلاّ باسم أو بما ضارعه . وخالفه أصحابه فى هذا . . والكشح : الجنب ، وقيل : الخاصرة ؛ يقال طوىٰ كشحَه على فَعلةٍ : إذا أضمرها فى نفسه . والمستكِنّة : المستترة ؛ وهى صفة لموصوف ، أى غدرة مضمَرة ، أو نيّة مستترة ، أو حالة مستكنة ؛ لأنه كان قد أضمر قتل وَردِ بنِ حابس القاتِل أخاه هرمَ بنَ ضمضم أو يقتلَ رجلاً من بنى عبس ؛ ولهذا كان أبىٰ من الصلح . وقوله : ولم يتجمجم ، أى لم يَدَعِ التقدُّمَ فيما أضمر ولم يتردّدْ فى إنفاذه ؛ يقال جمجم الرجلُ وتجمجم : إذا لم يبيّن كلامه : وسيأتى هذا البيت ، إن شاء الله ، فى خبر كان(١) :

(وقال : سأقْضى حاجتى ثم أتّقى   عَدُوِّى بألفٍ من ورائىَ مُلجَم)

حاجته : هى إدراك ثأره . وملجَم ، قال صَعوداء : يروىٰ بكسر الجيم أى ألف فارس ملجِمٍ فرسَه ؛ وروى بفتحها أى ألف فرَس ملجَم . والفرس ممّا يذكّر ويؤنث .

(فشدَّ ولم تَفزَعْ بيوتٌ كثيرةٌ   لدى حيثُ ألقتْ رَحلَها أمُّ قَشعَمِ)

أورد ابن هشام هذا البيتَ فى المغنى(٢) على أنّ (حيث) قد تجرُّ بغير مِن ، على غير الغالب . وقوله : فشد الخ ، أى حَمَل حصينٌ على ذلك الرجلِ من عَبس فقتله . ولم تَفزَع بيوت كثيرة أى لم يعلم أكثر قومِهِ بفعله . وأراد بالبيوت أحياء وقبائل . يقول : لو علموا بفعله لفزعوا أى لأغاثوا الرجل المقتول ولم يدَعوا حصيناً يقتلُه . وإنما أراد بقوله هذا ألاّ يفسدوا صلحهم

---

(١) هو الشاهد ٢٤٦ .

(٢) انظر شرح شواهد المغنى ١٣٢ .

بفعله . وروى : (ولم يُفْزَعْ بُيوتٌ) بالبناء للمفعول . قال الخطيب : أى لم يُفزَع أهلُ بيوت ، يقول شدّ على عدوّه وحْدَه فقتله ، ولم يفزع العامّة بطلب واحد ، أى لم يستعن عليه بأحد ، وإنما قصد الثأر . وقيل : معناه أى لم يعلموا به . وروى : (ولم يُنظِرْ بيوتا) أى لم يؤخّر أهلَ بيتِ ورد بن حابس فى قتله ، لـكنه عجل فقتل هذا الرجل . يقال : أنظرته ، بالألِف ، أى أخّرته . وروى أيضا : (ولم يَنظُر) من نظرت الرجلَ : أى انتظرته . وقوله : لدى حيث الخ ، أى حيث كان شدّة الأمر ، يعنى موضعَ الحرب ؛ وأمّ قَشعم هى الحرب ، ويقال : هى المنية . والمعنى أنّ حُصينا شدّ على الرجل العبسى فقتله ، بعد الصلح ، وحين حطّتْ رحلَها الحربُ ووضعت أوزارَها ، وسكنت . ويقال : هو دُعاء على حصين : أى عدا على الرجلُ بعد الصلح ، وخالف الجماعة ، فصيّره الله إلى هذه الشدّة ! ويكون معنى ألقتْ رحلها ، على هذا ثَبتت وتمكّنت . وقيل : أم قشعم : كُنية العنـكبوت ، وقيل : كنية الضبع . والمعنى : فشدّ على صاحب ثأره بمضيَعَة من الأرض . . وقال صعوداء فى شرحه : وقال قوم : أمّ قشعم : أم حصينٍ هذا الذى شَدّ : أى فلم يفزع البيوت التى بحضرة بيت أمّه . والرحل : ما يستصحبه المسافر من المتاع والثياب . وسيأتى هذا البيت ، إن شاء الله تعالى ، فى الظروف .

٤٤٣

(لدى أسدٍ شاكِى السلاحِ مُقَاذِفٍ له لِبَدٌ ، أظفارُه لم تُقَلَّم)

لدى : متعلّقة بقوله ألقت رحلها . وهذا البيت من أبيات تلخيص المعانى وغيرِه على أنّ التجريد والترشيح قد يجتمعان : فإن شاكِى السلاحِ تجريدٌ ، لأنه وصفٌ بما يلائم المستعارَ له وهو الرجل الشجاع ، وما بعده ترشيح لأنّ هذا الوصف مما يلائم المستعار منه وهو الأسد الحقيقى . قال الأعلمُ والخطيب : أراد بقوله لدى أسدٍ ، الجيشَ ، وحملَ لفظ البيت على الأسد . وقال الزوزنى : البيت

كلّه من صفة حصين بن ضمضم . . وهو الصواب . وقوله : شاكى السلاح ، أى سلاحه شائكة حديدة ذو شوكة وأراد شائك فقلبت الياء من عين الفعل إلى لامه ، يجوز حذف الياء فيقال شاكٌ ، ويكون شاك على وزن فعِلٍ كما قالوا رجل خافٌ ومالٌ ، وأصله خَوِف ومَوِل فيقال شاك. ومقاذِف : مرامى ، يروى باسم الفاعل والمفعول . وروى أيضاً (مقذَّف) اسم مفعول ، وهو الغليظ الكثير اللحم . واللِّبد بكسر اللام : جمع لِبدة وهى زُبرة الأسد ؛ والزُّبْرة : شعر متراكبٌ بين كتفَى الأسد إذا أسنّ . والأظفار : السلاح . وتقليمها : نقْصُها . يقول : سلاحه تامّ حديد(١) . قال الأعلم : وأول مَن كنى بالأظفار عن السلاح أوسُ بن حَجَر ، فى قوله :

لَعمركَ إنّا والأحاليفَ هؤُلاَ   لَفِى حِقبة أظفارها لم تُقَلَّمِ

ثم تبعه زهير ، والنابغة فى قوله :

وبنو جَذِيمة لا مَحالة أنّهم   آتُوكَ غيرَ مقلمى الأظفارِ

أى ليس سلاحهم بناقص . وقال الزوزنى : قوله لم تقلم ، يريد أنّه لا يعتريه ضعف ولا يَعيبه(٢) عدم شوكةٍ ، كما أنّ الأسد لا تقلّم براثنه .

(جرىءٍ ، متي يُظلَم يُعاقِبْ بظُلْمِه   سريعاً ، وإلاّ يُبدَ بالظلم يَظلِمِ)

جرىء بالجرّ صفة لأسدٍ ، المراد به حصين بن ضمضم ، ويجوز رفعه ونصبه . ومتى يُظلَم وإلاّ يُبدَ ، كلاهما بالبناء للمفعول . ويُعاقِبْ ويَظلِم ، بالبناء للفاعل . والجرىء : ذو الجراءة والشجاعة . يقول : هو شجاع ، متى ظُلِم عاقب

٤٤٤

(١) ط : (جديد) بالجيم ، صوابه فى ش .
(٢) فى شرح الزوزنى : (ولا يعيبه) .

الظالم بظلمه سريعاً ، وإن لم يظلمه أحدٌ ظلمَ الناسَ إظهاراً لعزّة نفسه وشدّة جراءته . وسريعاً حال أو صفةُ مصدر ، أى يعاقبْ عقاباً سريعاً . وقوله : وإلاّ يُبْدَ ، الأصل فيه الهمز ، من بدأ يبدأ ، إلا أنّه لما اضطُرّ أبدل من الهمزة ألفاً ثم حذف الألف للجزم ، وهذا من أقبح الضرورات ، ولهذا أورده الشارح المحقق فى أوّل شرح الشافية .

وحكى عن سيبويه : أن أبا زيد قال له : مِن العرب مَن يقول قريت فى قرأت ، فقال سيبويه : كان يجب أن يقول أقرِى ، حتى تكون مثلَ رميت أرمى . وإنما أنكر سيبويه هذا ، لأنه إنما يجوء فعلت أفعل بفتح العين فيهما إذا كان عينُ الفعل أو لامُه من حروف الحلق ، ولا يكاد يكون هذا فى الألف ، إلاَّ أنّهم قد حكَوا أبىٰ يأبىٰ ، فجاء على فعَل يفعَل . قال أبو إسحاق : إنّما جاء هذا فى الألف لمضارعتها حروف الحلق ، فشبِّهت بالهمزة . يعنى فشبِّهت بقولهم قرأ يقرأ وما أشبهه .

(رَعَوا مارَعَوْا مِن ظِمْئِهِمْ ثم أورَدوا غماراً تسيلُ بالرماح وبالدمِ)

هذا إضرابٌ عن قصّة حصين إلى تقبيح الحرب والحثّ على الصلح .

الظِّمء بالكسر وآخره همزة ، أصله العطش ، وهو هنا ما بين الشَّرْبتَين . والغمار : جمع غَمْر بالفتح ، وهو الماء الكثير . يريد : أقاموا فى غير حرب ، ثم أوردوا خيلهم وأنفسهم الحربَ ، أى أدخلوها فى الحرب : أى كانوا فى صلاح من أمورهم ثم صاروا إلى حرب يُستعمل فيها السلاحُ وتسفَك الدماء . وضرَبَ الظمء مثلاً لما كانوا فيه من ترك الحرب ، وضرَب الغمار مثلا لشدّة الحرب . وروى : (تفَرَّىٰ بالسلاح وبالدم) وأصله تتفرّى بتاءين أى تتفتّح وتتكشّف .

(فقضَّوْا مَنَايا بينَهُم ثم أصدَروا إلى كلأٍ مُستَوْبَلٍ مُتَوَخَّمِ)

الكلأ : العشب . وقضّاه : أحكمه ونفّذه . وأصدر : ضدّ أورد . واستوْبلت الشيء : استثقلته ؛ والوبيل: الوخيم الذى لا يُمْرِئ[1] . يقول: فقتل كل واحدٍ من الحيَّين الآخر ، فقوله : فقضوا منايا بينهم ، أى أنفذوها بما بعثوا من الحرب ثم أصدَروا إلى الكلأ أى رجعوا إلى أمرٍ استوبلوه. وضربَ الكلأ مثلا . والمستوبَل : السيّء العاقبة . أى صار آخر أمرهم إلى وَخامةٍ وفساد .

(لعمرُكَ ما جرّت عليهمْ رِماحُهمْ   دمَ ابنِ نَهيكٍ أو قتيلَ المُثَلَّمِ

ولا شارَكوا فى القوم فى دمِ نَوفلٍ   ولا وَهَبٍ منهم ولا ابن المحزَّمِ)

يقول : هؤلاء الذين يعطون دية القتلى لم تجرّ عليهم رماحهم دماء المذكورين . وابنِ نَهيك بفتح النون وكسر الهاء . ونوفل ، ووهب (بفتح الواو والهاء) ، وابن المحزَّم (بالحاء المهملة وتشديد الزاى المعجمة المفتوحة) كلُّهم من عبس . وجرّت : جنَت . والمعنى : أنّ رماحهم لم تقتل أحداً من هؤلاء الذين يَدُونهم ، وإنّما يُعطُون الدياتِ تبرُّعاً ولم يشاركوا قاتليهم فى سفك دمائهم. وروى: (ولا شاركت فى الحرب). والضمير للرماح ؛ قصد بهذا أن يبيِّن براءة ذِمّتهم عن سفك دمهم ، ليكون ذلك أبلغَ فى مدحهم لعقلهم القتلى .

٤٤٥

(فكلاً أراهم أصبحوا يَعقلونه   . . . . البيت)

أى فكلٌّ واحدٍ من هؤلاء المقتولين المذكورين فى البيت الذى قبلَه .

(لحيٍّ حِلاَلٍ يَعْصِمُ الناسَ أمرُهُمْ   إذا طلعت إحدى الليالى بمعظَمِ)

(كرامٍ ، فلا ذو الوِترِ يدرك وِتْرَه   لديْهم ، ولا الجانى عليهم بمُسْلَمِ)

قوله : لحىّ ، هو حال من قوله صحيحات مال ، أو أنه بدلٌ من قوله لقوم ، أو خبر لمبتدأ محذوف أى هى لحى حلال أى المال الصحيحات لحى .

(١) فى اللسان : (وقالوا : هنئنى الطعام ومرئنى ، وهنأنى ومرأنى ، على الإتباع ، إذا أتبعوها هنأنى قالوا : مرأنى، فإذا أفردوه عن هنأنى قالوا : أمرأنى ، ولا يقال أهنانى) .

وأراد بهذا الحىّ حىّ الساعِيَين بالصُّلح بين عبس وذبيان : قال الأعلم : الحِلال : جمع حِلة بالكسر ، وهى مائة بيت . يقول : ليسُوا بحِلّةٍ واحدة ، ولكنهم حلال كثيرة . وقوله : يعصم الناسَ أمرُهم ، أى يلجئون ، إلى هذا الحىِّ ويتمسَّكون به فيعصمهم مما نابهم . وأصل الحِلّةِ الموضع الذى يُنْزَل به ، فاستعير لجماعة الناس . وقوله : إحدى الليالى ، أراد ليلة من الليالى ؛ وفى الكلام معنى التفخيم والتعظيم ، كما يقال : أصابته إحدى الدواهى : أى داهية شديدة . والمعظَم : الأمر العظيم : وقوله : فلا ذو الوتر ، يقول : هم أعزّة لاينتصر منهم صاحب دمٍ ، ولا يدرِكُ وِتْرَه فيهم . وقوله بمسلَم ، أى إذا جنى عليهم جانٍ منهم شرًّا إلى غيرهم لم يسْلموه لهم ، لعزِّهم ومَنَعَتهم .

واعلم أنّ هذه الأبياتَ التى أوردناها على هذا الترتيب ، هى رواية الأعلم وقدّم بعضهم هذين البيتين وأوردهما بعد قوله سابقاً :

فتغلِلْ لكمْ ما لا تُغِلُّ لأهلِها . . . . البيت

والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده

(قد أصبحَتْ أُمُّ الخِيار تدَّعى علىَّ ذنباً كلُّهُ لم أصنَعِ)

تقدم شرحه فى الشاهد السادس والخمسين[1] .

* * *

(١) انظر الجزء الأول ص ٣٠٩ واستشهد به الشارح المحقق هنا على أن (لم) ليست من الحروف المستحقة للصدارة حتى لايجوز أن يعمل ما بعدها فيماقبلها ، لأن ما بعدها قد عمل فيما قبلها . وذلك ــ كما صرح الرضى ــ لامتزاجها بالفعل بتغييرها معناه إلى الماضى فصارت كالجزء منه . ومثلها فى ذلك (لن) و (لا) بخلاف (ما) و (إن) النافيتين .

وأنشدَ بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

١٥٧ (ألقى الصَحيفةَ كيْ يُخَفِّفَ رَحلَهُ والزادَ حتى نَعْلَهُ ألقاها)

على أن (حتَّى) وإن كانت يستأنف بعدها الكلام ، إلاّ أنّها ليست متمحِّضة للاستئناف ، فلم يكن الرفع بعدها أولى ، فهى كسائر حروف العطف . يعنى أنه يجوز فى (نعله) النصب ، والرفع :

أما النصب فمن وجهين : أحدهما نصبه بإضمار فعل يفسره (ألقاها) كأنه قال : حتى ألقى نعله ألقاها ، كما يقال فى الواو وغيرها من حروف العطف . ثانيهما : أن يكون نصبه بالعطف على الصحيفه ، وحتّي بمعنى الواو ، كأنه قال : ألقى الصحيفة حتى نعلَه ، يريد و نعله ، كما تقول : أكلت السمكةَ حتى رأسَها ، [بنصب رأسها[٢]] أى ورأسَها ، فعلى هذا الهاء[٣] عائدةٌ على النعل أو الصحيفةِ ، وألقاها تكريرٌ وتوكيد .

فإن قلتَ : شرط المعطوف بحتّي أن يكون إمّا بعضاً من جمع ، كقدِمِ الُحجّاجُ حتَّي المشاةُ . أو جزءا من كلٍّ ، نحو : أكلت السمكة حتى رأسَها ، أو كجزء ، نحو : أعجبتنى الجاريةُ حتَّي حديثُها ؛ فكيف جاز عطف نعله ، مع أنه ليس واحداً مما ذكر ؟ قلتُ : جاز ، لأنّ ألقى الصحيفةَ والزاد ، فى معنى ألقى ما يثقله ؛ فالنعل بعض ما يُثقِل .

٤٤٦

---

(١) سيبويه ١ : ٥٠ . وانظر أيضاً الخزانة ٤ : ١٤٠ والعينى ٤ : ١٣٤ وابن يعيش ٨ : ١٩ والهمع ٢ : ٢٤ ، ١٣٦ وشرح شواهد المغنى ١٢٧ ومعجم الأدباء ١٩ : ١٤٦ وبغية الوعاة ٢٩٠ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) كذا . والصواب (ها) .

وأما الرفع فعلى الابتداء ، وجملة ألقاها هو الخبر . فحتى ، على هذا . وعلى الوجه الأوّلِ . من وجهى النصبِ ، حرفُ ابتداء ، والجملة بعدها مستأنَفة .

وزعم ابن خلف : أن حتّي هنا عاطفة والجملة بعدها معطوفة على الجملة المتقدّمة وهذا شيء قاله ابن السِّيد ، نقله عنه ابن هشام فى المغنى ، وردَّه بقوله : لأن حتى لا تعطف الجمل ، وذلك لأن شرط معطوفها أن يكون جزءاً مما قبلها أو كجزء ، وهذا لا يتأتى إلاّ فى المفردات . وقد نازعه الدمامينيّ فى هذا التعليل.

وأنشد سيبويه هذا البيتَ على أنّ حتى فيه حرف جر ، وأن مجروزها غاية لما قبله ، كأنه قال : ألقى الصحيفة والزاد وما معه من المتاع حتى انتهى الإلقاء إلى النعل . وعليه فجملة ألقاها للتأكيد ، والضمير يجوز فيه أيضاً أن يعود على النعل وعلى الصحيفة . فقوله : (حتى نعله ألقاها) روى على ثلاثة أوجه .

صاحب الشاهد

وهذا البيت لأبى مرْوان النحوىّ وبعده :

(ومضى يظنُّ بَرِيدَ عمرٍو خلْفَه خوفاً ، وفارقَ أرضَه وقَلاها)

وهما فى قصَّة « المتلمس » حين فرَّ من عمرو بن هند . حكى ذلك الأخفش عن عيسى بن عمر ، فيما ذكره الفارسىّ .

وكان المتلمسُ قد هجا عَمْرَو بنَ هند ، وهجاه أيضاً طرَفة ، فكتب لهما إلى عامله بالبحرَين ِكتابَين ، أوهمهما أنّه أمر لهما بجوائز — وهو قد أمره فيهما بقتلهما — فلما وصلا إلى الِحيرة ، دفع المتلمّس كتابَه إلى غلامٍ ليقرأه ؛ فإذا فيه : « أما بعد ، فإذا أتاك المتلمّسُ فاقطع يديه ورجليه ، وادفنه حيًّا » ، فرمى المتلمّسُ كتابه فى نهر الِحيرة وهرب إلى الشام — وقد ذكرنا خبرهما

فى الشاهد الذى قبل هذا بأربعة شواهد[1] فصارت صحيفةُ المتلمّس مثلاً فيما ظاهِرُه خيرٌ وباطنه شرٌ .

والصحيفة : الكتاب . وقوله : ألق الصحيفة ، أى رماها بنهر الحِيرة ، كما أخبر المتلمّسُ عن نفسه بقوله :

قذفْتُ بها فى النهر من جَنْبِ كافرٍ   كذلك أقْنُو كل قِطٍّ مُضَلِّلِ

وروى أيضا : (ألق الحقيبة) وهى خُرْج يحمل فيه الرجلُ متاعه . وروى أيضا : (ألق الحَشِيّة) وهى الفراش المحشوُّ[2] بالقطن أو الصُّوف يُنام عليه ، قال عنترة :

* وَحشِيّتى سَرْجٌ على عبلِ الشَّوَى *

وأوضحه محمّد بن هانئ الأندلسىُّ بقوله :

قومٌ يبيت على الحشايا غيرُهُمْ   ومَبِيتهم فَوق الجيادِ الضُّمَّرِ

وزعم ابن السِّيد ، وتبعه غيره : أن الحشيّة ما يركَب عليه الراكبُ . وأورد بيت عنترة . وهذا غير لائق به . وقال ابن هشام اللخمىّ : الحشيَّة : هى البَرذعة المحشُوّة . والرَّحل هنا بمعنى الأثاث والمتاع . وقد أنكره الحريرى (فى دُرّة الغواص) بهذا المعنى ، ورد عليه ابن برّىّ فيما كتبه عليه فقال : « قال الجوهرىّ : الرحل : منزل الرجل وما يستصحبه من الأثاث ، والرحل أيضا : رحل البعير وهو أصغر من القَتَب . فقد ثبت فيه الرحل بمعنى الأثاث . وقد فُسِّر بيتُ متمم بن نُويرة على ذلك وهو قوله :

---

(١) هو الشاهد ١٥٢ ص ٤١٥ وما بعدها من الجزء الثانى .

(٢) ط : (المحشى) صوابه فى ش ، والفعل واوى . وأما الحشية فأصلها حشيوة على وزن فعيلة .

كريم الثنا حُلو الشمائل ، ماجد ، صَبور على الضَّرَّاءِ مُشترك الرحل(١)

٤٤٧ قالوا : أراد بالرحل الأثاث . ومثله قول الآخر :

ألقى الصحيفة كى يخفِّف رحلَه . . . . البيت

قالوا : رحله : أثاثه و قُماشه . والتقدير عندهم : ألقى قُماشه وأثاثه حتى ألقى نعله مع جملة أثاثه . وإنما قدّروه بذلك ، ليصح كون ما بعد حتَّي فى هذا الموضع جزءاً مما قبلها . وعليه فسِّر قوله تعالى حكايةً عن يوسف : (قالوا جَزاؤُهُ مَنْ وجِدَ فى رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ(٢)) قالوا : رحله : أثاثه ، بدليل : (ثم استَخْرَجها مِنْ وِعاءِ أخِيه(٣)) انتهى كلام ابن بَرّى .

وقد فسّر ابن السيد (الرَّحل) فى شرح أبيات الجمل بقوله : « الرحل للناقة كالسَّرج [للفرس(٤)] » وتبعه عليه ابن هشام اللخمىّ وابن خلَف وغيرُهما . وهذا مع كونه غيرَ مناسب ، كان الصواب أن يقول : والرحل للبعير ، لا للناقة ! قال الأعلم : « كان الواجب ، فى الظاهر ، أن يقول : ألقى الزاد كى يخفِّف رحلَه والنعلَ حتى الصحيفة ؛ فيبدأ بالأثقَل ثم يُتبعه الأخفَّ ، فلم يمكنه الشعر . أو يكون قدّم الصحيفة لأن الزاد والنعل أحقُّ عنده بالإبقاء ، لأنَّ الزاد يبلّغه الوجْهَ الذى يريده ، والنعلَ يقوم له مقام الراحلة إنْ عَطِبت ، فاحتاج إلى المشى ؛ فقد قالوا : كاد المنتعِل أن يكونَ راكباً » .

(١) كذا فى النسختين . والثناء ، كما فى اللسان : ماتصف به الإنسان من مدح أو ذم ، وليس من الضرورى تصحيحها بالثنا بتقديم النون .
(٢) الآية ٧٥ من سورة يوسف .
(٣) الآية ٧٦ من سورة يوسف . وقد وقعت محرفة فى النسختين ، بل فى مطبوعتى السلفية ودار العصور برسم « فاستخرجها من وعاء أخيه » وقد رددتها الآن إلى حقها بحمد الله .
(٤) التكملة من هامش الشنقيطية ، وبجانبها كلمة « صح » بخط ناسخها .

والبريد : الرسول ، ومنه قول العرب : « الحمَّى بَريد الموت » : وعمرو هو عمرو بن هند الملك ملك الحِيرة . وقد ذكرنا ترجمته قبل هذا الشاهد ببيتين[١]

قال ابن خلف : « أنشد سيبويه هذا البيت لأبى مروان النحوىّ ، قاله صاحب الشاهد فى قصّة المتلمِّس حين فرَّ من عمرو بن هند ، حكى ذلك الأخفشُ عن عيسى ابن عمر فيما ذكره الفارسى . ونسبَه الناسُ إلى المتلمّس » انتهى .

ونَسَبَه ياقوت الحموىّ فى معجم الأدباء إلى مرْوان النحوىّ لا أبى مرْوان ، قال : سمعت بعض النحويين ينسب إليه هذا البيت ، وقال فى ترجمته : هو مروان بن سعيد بن عباد بن حبيب بن المهلَّب بن أبى صُفْرة المهلبيُّ النحوىّ ، أحد أصحاب الخليل المتقدِّمين فى النحو ، المبرِّزِين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[٢] :

١٥٨ (فلا حَسَباً فَخَرْتَ به لَتيمٍ ولا جَدًّا إذا ازدَحَم الجُدُودُ)

على أنه يجوز النصب فى قوله (حسباً) والرفعُ ؛ لوقوعه بعد حرف النفى .

أمّا نصبُه ، فبفعل مقدَّر متعدّ إليه بنفسه ، فى معنى الفعل الظاهر ؛ والتقدير : فلا ذكرتَ حسباً فخَرت به . ولا جَدًّا معطوف على قوله حسباً . وهو بمنزلة قولِك : أزيداً مررتَ به . وإنّما لم يجزْ إضمار الفعل المتعدِّى بحرف

(١) الذى فى الشاهد الذى قبل هذا ببيتين ليس فيه إلا إشارة صغيرة لعمرو بن هند تتعلق بنسبه . لكن انظر الخزانة ج ٢ ص ٤٥٠ : من هذه الطبعة تجد شيئاً عن حياة هذا الرجل .

(٢) سيبويه ١ : ٧٣ . وانظر ابن يعيش ١ : ١٠٩/٢ : ٣٦ وديوان جرير ١٦٥ .

الجر ، لأن ذلك يؤدّى إلى إضمار حرف الجر ؛ ولا يجوز إضماره ، لأنه مع المجرور كشىء واحد ، وهو عامل ضعيف ، فلا يجوز أن يُتصرَّف فيه بالإضمار والإظهار كما يُتصرَّف فى الفعل .

وأما الرفع ، فعلى الابتداء ؛ وجملة فخرت به صفته ، ولئيم هو الخبر . وروى بدلَ قوله : لئيم (كريم) وهو الثابت . وجَدًّا معطوفٌ على حسباً . قال السيرافىّ : لما جاز الرفع مع الاستفهام ، وإن كان الاختيارُ النصبَ ، كان الرفعُ فى حروف النفى أقوىٰ ، لأنها لم تبلغ أن تكون فى القوّة مثل حروف الاستفهام .

و (الحسَب) : الكرم وشرف الإنسان فى نفسه وأخلاقه . و (الَجدّ) : أبو الأب . يقول : ما ذكرتَ لئيمٍ حسباً تفتخر به ، لأنك لم تجد لها شيئاً تذكره ، ولا لك جدٌّ شريف تعوِّلُ عليه عند ازدحام الناس للمَفاخرِ عليه[1] . وقيل : الجدّ هنا : الحظّ ، أى ليس لئيم حظٌّ فى علو المرتَبة والذكر الجميل .

٤٤٨ صاحب الشاهد

وهذا البيتُ من قصيدة طويلة (لجرير) هجا بها الفرزدقَ وتيمَ الرِّباب ، وليست من النقائض ، وهى إحدى القصائدِ الثلاث التى هى خيرُ شِعْرِه . كذا فى منتهى الطلب من أشعار العرب . وزعم الأعلم ، وتبعه ابن خلف وغيره . أن جريراً هجا بها عُمَرَ بن لَجأ ، وهو من تيم عدىّ .

والرِّباب بكسر الراء : جمع رُبّ بضمّها ، قال ابن الكلبىّ فى جمهرة الأنساب : « ولد [عبدُ[2]] مَنَاة بن أد تيماً ، وهم الرِّبابُ ، وعَدِيًّا ، بطنٌ ، وعوفاً والأشيَب ونوراً ؛ وإنما سُمُّوا الربابَ ، لأنّ تيما ، وعديًّا ، ونوراً ،

(١) كذا فى النسختين ، والوجه حذف (عليه) من أحد الموضعين .

(٢) التكملة من ش وجمهرة ابن حزم ١٩٨ وللمعارف ٣٤ .

وعوفاً ، وأشيبَ ، وضَبَّةَ بن أُدّ ، غمسوا أيديَهم فى الرُّبِّ فتحالفوا على بنى تميم ؛ فسُمُّوا الرِّبابَ ، فهم جميعاً الرِّبابُ ، وخُصَّتْ تَيمُ أيضاً بالرِباب » : انتهى :

أبيات الشاهد

ومن هذه القصيدة :

(لَقدْ أخزَى الفرزدقُ رهطَ لَيلىٰ ... وتيمٌ قد أقادهمُ مُقِيدُ

خصَيتُ مجاشِعاً وجَدَعتُ تيما ... وعندى ، فاعلموا ، لهمُ مزيدُ

أتيماً تجعلونَ إلىَّ نِدًّا ! ... وهلْ تيمٌ لِذى حسَب نَديدُ

أزيدَ مناةَ تدعو[1] يا ابن تيم ! ... تبَيَّنْ أينَ تاهَ بك الوعيدُ

أتوعدُنا وتمنَعُ ما أردْنا ... ونأخذُ من ورائك[2] ما نُريدُ

ويُقضَى الأمرُ حين تغيبُ تيمٌ ... ولا يُستَأذَنونَ[3] وهم شهُودُ

فلا حسبٌ فخرتَ به كريمٌ ... ولا جَدٌّ ، إذا ازدحم الجدودُ

لئامُ العالمينَ كِرامُ تيمٍ ... وسيِّدهم ، وإن زَعمُوا ، مَسُودُ

وإنّكَ لو لقِيتَ عبيدَ تيم ... وتيماً ، قلتَ : أيُّهما العَبيدُ

أرىٰ ليلاً يخالفُه نهارٌ ... ولؤمُ التَيم ، ما اختلفا ، جَديدُ

بخُبْثِ البَذْرِ ينبُتُ بذر تيم[4] ... فما طابَ النباتُ ، ولا الحصيدُ

تمنّي التيمُ أن أباه سعْدٌ ... فلا سعدٌ أبوه ، ولا سعيدُ

وما لَكُمُ الفوارسُ يا ابن تيم ، ... ولا المستأذَنون ، ولا الوُفودُ

أهانكَ بالمدينة ، يا ابن تيم ، ... أبو حفص ، وجَدّعكَ النشيد

وإنَّ الحاكمين لغَيرُ تيم ... وفينا العزُّ والحسبُ التَليدُ

(١) فى الديوان : « توعد » .

(٢) ط : « رواتك » ، صوابه فى ش .

(٣) الديوان : يستأمرون » .

(٤) الديوان : « حرث تيم » .

وإنّ التيمَ قد خَبثوا وقَلّوا فما طابوا ولا كثُر العديدُ
إذا تيمٌ ثوَتْ بصعيدِ أرضٍ بكىٰ مِنْ خبْثِ رِيحِهم الصَّعيدُ
أتيماً تجعلونَ إلى تميم بَعيدٌ فضلُ بينهما بَعيدُ
كساك اللؤمُ لؤمُ أبيك تيمٍ ، سَرابيلاً بنائقهُنَّ سُود

وقوله : أتيما تجعلون إلىّ ندًّا البيت ، أورده صاحبُ الكشّاف والقاضى على أنّ النِدَّ مِنْ قوله تعالى : (فلا تَجْعَلوا لِلهِ أندَاداً[1]) بمعنى المِثْل المناوئ أى المعادى وهو مِن ندّ نُدوداً : إذا نفر ، ونادَدْت الرجلَ : خالفته ، خُصَّ بالمخالف المماثِل فى الذات كما خُصَّ المساوى للماثل فى القدْر . قال السعد : وإلىَّ ، كان فى الأصل صفة لقولهِ ندًّا ، فلمَّا قدّم صار حالا منه ، وإلى بمعنى اللام . وقال السَيِّد : هذا لا يصحّ ، لأن ندًّا خبرُ المبتدإ فى الأصل ، وإنما هو حال من قوله تيما . . وفيه : أن تيما فى الأصل مبتدأ ، وعند سيبويه يجوز مجىء الحال من المبتدإ ، وعند الأخفش من الخبر . والاستفهامُ للإنكار . والتنوينُ فى (ذى حَسَب) للتحقير ، يعنى أنّ تيماً ليس ندًّا لِذى حسبٍ حقيرٍ ، فكيف يجْعَلُ نِدًّا لمثْلى ! ويجوز أن يكون للتعظيم ، ويريد بذى حسبٍ نفسَهُ . والنَديد بمعنى النِدّ .

وترجمة جرير تقدمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب[2] .

٤٤٩

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد المائة ، وهو من الحماسة[3] :

---

(١) الآية ٢٢ من سورة البقرة .
(٢) الجزء الأول ص ٧٥
(٣) انظر أيضاً الخزانة ٣ : ١٧٠ بولاق والحماسة ١٢٤ بشرح المرزوقى .

١٥٩ (إذَا الخصْمُ أَبْزَى مائلُ الرأسِ أنْـكَبُ)

وقبله :

(فهلاّ أعدُّونى لمثلى ، تفاقَدُوا !)

على أنّ (إذا الشرطيّة) يجوز عند الـكوفيّين وقوعُ الجملة الاسمية بعدَها لـكن بشرط كونِ خبرها فعلاً ، إلا فى الشاذّ كهذا البيت .

قال ابن جنّي فى إعراب الحماسة : « يروى إذْ وإذا جميعا : فمن رواه إذْ ، حكى الحالَ المتوقَّعة ، كقول الله سبحانه : (إذِ الأَغْلالُ فى أعْنَاقِهِمْ[1]) ومن رواه إذا ، فهو كقولك : أتيتك إذَا زيدٌ قائم ، وهذا جائز على رأى أبى الحسن : وذلك أنه يجيز الابتداء بعد إذا الزمانيّةِ المشروطِ بها » . انتهى

و (أبزَى) من قولهم:رجل أبزَى وامرأة بَزْواء ، وهو الذى يَخرُجُ صدرُه ويَدخل ظهرُه . وأبزى ههنا مَثَلٌ ، ومعناه الراصد المخاتِل ، لأنّ المخاتل ربّما انثنى فيخرج عجزُه . وقال أبو رياش : أبزى : تحامَلَ على خَصْمه ليظلِمه . . فجعل أبزى فعلا ، ولا يمتنع ذلك ، وإنَّما المعروف أن يقال : بزَوت الرجل ، ومنه اشتقاق البازى من الطير ، إذا استُعمِل على وزن القاضى . وعليه فالخصم مرفوع بفعل يفسِّره أبزى ، ويُرفَع (مائل الرأس) على أنّه بدلٌ من الخصْم . و (الأنـكب) : المائل ، وأصله الذى يشتـكى مَنْـكِبَيه فهو يمشى فى شِقّ . ومائل الرأس أى مُصعِّر من الـكِبْر .

وقوله : (تفاقدوا) دعاء قد اعترض به بيَن أوّل الـكلام وآخره يقول : هلاّ جعلونى عدّة لرجلٍ مثلى — فَقَدَ بعضُهم بَعضاً — وقد جاءهم الخصمُ

---

(١) الآية ٧١ من سورة غافر .

متأخِّرَ العُجز مائلَ الرأس منحرفا . وهذا تصويرٌ لحال المقاتل إذا انتصب في وجه مقصوده ، وهو أبلغ في الوصف مِن كلّ تشبيه . ومثلُه قول الآخَر :

* جاءوا بمَذْقٍ هل رأيتَ الذئبَ قطّ *

ألا ترى أنه لو صوّر لونَ المذقِ لمَا قال : هل رأيت الذئب قطّ .

والمعنى : لِمَ أفاتوني أنفسَهم ؟ وهلاّ ادّخروني ليوم الحاجَة إذا كان الخصمُ هكذا ؟ !

أبيات الشاهد — وهذا البيت من أبيات خمسةٍ في الحماسة ، لبعض بني فقْعَس ، أوّلُها :

(رأيتُ مَوَاليَّ الألىٰ يخذُلونَني — علَى حدَثانِ الدهْرِ إذْ يتقَلَّبُ)

الموالي هنا : أبناء العمّ . والألىٰ في معنى الذين ، ويخذلونني مِنْ صلته . يقول : رأيت أبناء عمّي هُمُ الذين يقعُدون عن نصرتي على تقلّب الزمان وتصرُّف الحدَثان . وقوله : على حدثان الخ ، حالٌ : أي يخذلونني مُقاسِياً لِما يحدُث في أوانِ تقلُّبه وتغيُّره :

(فهَلاَّ أعدّوني لمثلي ، تفاقدوا ، — إذا الخصمُ أبزى مائلُ الرأسِ أنكَبُ
وهَلاَّ أعدّوني لمثلي ، تفاقدوا — وفي الأرضِ مبثوثٌ شُجاعٌ وعَقرَبُ)

كرّره تأكيداً وتفظيعا للأمر . والمعنى : هلاَّ جعلوني عُدّةً لرجلٍ مثلي في الناس — فقدَ بعضُهم بعضا — وقد انتشر أعداءٌ كثيرة وأنواعٌ من الشرّ فظيعة ! والشجاع : الحيّة . وكنى به وبالعقرب عن الأعداء والشرّ . وارتفاعُ شجاعٍ ، يجوز أن يكون على البدل من مبثوث ، ويجوز أن يكون على الابتداء ، ومبثوثٌ خبره قُدِّم عليه .

٤٥٠

قال ابن جنّي (فى إعراب الحماسة) : يروَى مبثوثا ومبثوثٌ : فمن نصَب فلأنّه صفةُ نكرةٍ قُدِّم عليها فنُصِب على الحال منها ؛ ومن رَفَع رَفع بالابتداء وجَعَل شجاعٌ وعقربُ بدلاً من مبثوثٌ . فإن قلتَ : فهلّا قال : وفى الأرض مبثوثون أو مبثوثان ؟ قلت : فيه جوابان : أحدهما أنه لم يُرَدْ بشجاعٌ وعقربٌ الاثنان الشافعان للواحد ، وإنّما أريدَ به الأعداء ، الذين بعضهم شُجعانٌ وبعضهم عقاربُ ، أى أعداء فى خبثهما ونُكْرِها ؛ فلمّا لم يُرِد حقيقة التثنية — وإنما أراد الأعداء — ذهبَ به مذهَبَ الجنس . . والوجه الآخر : أنْ يكون أراد : وفى الأرض مبثوثاً شجاع : أى شجاعٌ مبثوث ، فلمّا قدّمه عليه نصبه حالاً منه ، ثم عطف عقربٌ على الضمير فى مبثوثا . وكذلك إذا رفعتَ تعطفُ عقربُ على الضمير فى مبثوث ، فإذا سلكْتَ هذه الطريقَ سقطت عنك كُلْفة الاعتذار من تَرْك التثنية . انتهى ملخَّصاً .

(فلا تأخُذوا عَقْلاً من القوم، إنّنى أرى العارَ يبقىٰ والمعاقلُ تَذْهَبُ
كأنَّك لم تُسْبَقْ مِن الدهر ليلةً إذا أنتَ أدركتَ الذى أنت تطلبُ)

لك فى المعاقل الرفعُ على الاستئناف والنصبُ عطفا على العار . يقول : لا تَرغبوا فى قَبول الدية ، فإنه عار ، والعارُ يبقىٰ أثره والأموال تفنى .

والمعاقل : جمع المَعْقُلة والمعقِلة ، بضم القاف وكسرها ، والميم فيهما مفتوحة . والعقل : الدية ، وأصله الإبل كانت تُعقَل بِفناء ولّى المقتول ، وهو مصدرٌ وصِف به . وحكىٰ الأصمعىّ : صار دَمُه مَعْقُلة على قومه : أى صاروا يَدُونَه .

وقوله : كأنّك لم تُسْبَقْ الخ ، يقول : مَنْ أدركَ ما طلبه مِن الثأر

فكأنه لم يُصَبْ ولم يُوتَر . وهذا بعثٌ وتحضيض على طلب الدم والزهدِ في الدية .

و (بنو فقعَس) : حيٌّ من بني أسد ؛ وفَقْعسٌ اسم مرتجَل غير منقول ، وقيل : الفقعَسة : البلادة . قال ابن الكلبيّ في جمهرة الأنساب : فقعس : ابن طريف بن عمرو بن قُعَين (بالتصغير) ابن الحارث بن ثعلَبة بن دُودانَ ابن أسد بن خُزيمة بن مُدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان .

ونسب صاحبُ الحماسة البصريّة هذه الأبياتَ إلى عَمرو بن أسد الفقعسيّ والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(لا تجزعي إنْ مُنْفِسٌ أهلَكتُه وإذا هلَكت فعند ذلك فاجزَعي)

تقدّم شرحُه مستوفىً في الشاهد السادس والأربعين[1]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستّون بعد المائه ، وهو من شواهد سيبويه[2]

١٦٠ (إذا ابنُ أبي موسى بِلالاً بلَغْتِهِ فقامَ بفأسٍ بَيْنَ وِصْلَيكِ جازِرُ)

على أنّه يقدَّر على مذهب المبرّد ، في رواية رفع ابن ، إذا بُلِغ ابنُ أبي موسى ، بُلِغ بالبناء للمفعول ، فيكون (ابنُ) نائبَ الفاعل لهذا الفعل المحذوف . وبلالاً ينبغي أن يكون بالرفع ، لأنّه بدلٌ من ابن أو عطفُ بيان له ؛

(١) انظر ماسبق في ص ٣١٤ من الجزء الأول .

(٢) في كتابه ١ : ٤٢ . وانظر ابن يعيش ٢ : ٣٠/٤ : ٩٦ وابن الشجري ١ : ٣٤ والخصائص ٢ : ٣٨٠ وديوان ذي الرمة ٢٥٣ .

وقد رأيته مرفوعاً فى نسختين صحيحتين من إيضاح الشعر لأبى علىّ الفارسىّ إحداهما بخطّ أبى الفتح عثمان بن جنّي . وفى نسَخ المغنى وغيره نصْبُ بلال مع رفع ابن . قال الدمامينيّ فى شرحه : « وبلالاً منصوب بفعل محذوف آخر يفسِّره بلَغْتِه ، والتقديرُ : إذا بُلِغَ ابنُ أبى موسى بلغتِ بلالاً بَلَغتِه » . ولا يخفى ما فيه من التكلّف والتقدير المستغنى عنه . وقد رُوى بنصب ابن أيضاً ، قال سيبويه : « والنصب عربىّ كثير ، والرفع أجْوَد » . قال النحّاس : وغلّطه المبرّد فى الرفع ، لأنّ إذا بمنزلة حروف المُجازاة ، فلا يجوز أن يرتفع ما بعدها بالابتداء . قال أبو إسحاق الزجّاج : الرفع فيه بمعنى إذا بُلِغَ ابنُ أبى موسىٰ . وكذلك قال أبو على : إن إذا هذه تضاف إلى الأفعال ، وهى ظرف من الزمان ، ومعناها على أن تدخل على الأفعال[1] ، لأنّ معناها الشرط والجزاء ، وقد جُوزى بها فى الشعر ؛ فإذا وقع بعدها اسمٌ مرتفع ؛ فليس ارتفاعه بالابتداء ، ولكن بأنّه فاعل[2] ، والرافع له يفسِّره الفعلُ الذى بعد الاسم ، كأنه قال : إذا بُلِغَ ابنُ أبى موسى بلال بلغتِه ؛ وكذلك إذا وليها اسمٌ منصوب صار على تقدير : إذا بلغْتِ ابنَ أبى موسى بلالاً بلغتِه .

وقال أبو علىّ أيضاً (فى إيضاح الشعر) : قال القطامىّ :

إذا التيّازُ ذو العضلاتِ[3] قُلنا : إليكَ إليكَ ، ضاقَ بها ذِراعا

فاعل ضاق ضمير التيّاز ، وضاق جوابُ إذا ، والتيّاز يرتفع بفعل مضمَر يفسِّره قلنا ، التقديرُ : إذا خُوطِب التيّاز . وقلنا معناه قلنا له ، وهو مفسِّر

---

(١) ط : « من الأفعال » صوابه فى ش .

(٢) المراد بالفاعل هنا الفاعل أو ما ينوب عنه : وفى النسختين : « بابه فاعل » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ط : « الفضلات » ، صوابه فى ش والديوان ٤٤ واللسان (تيز ١٧٩) .

لخوطِبَ أو كُلِّمَ ونحوِ ذلك مما يفسِّره قلنا له ، وهو رافع التياز ، كإنشاد مَن أنشَد :

* إذا ابنُ أبى موسى بلالاً بلغتِهِ *

والمعنى : ضاق ذَرْع التّياز بأخْذ هذه الناقة ، لأنّه لا يضبطها ، من شدَّتها ونشاطها ، فكيف مَنْ هو دونه ؟ ومَن أنشد : « إذا ابنَ أبى موسى بلالاً » بالنصب ، نصب التياز أيضاً ، فهو بمنزلة إذا زيداً مررت به جئتك ، ويقوّى إنشادَ من أنشد : إذا ابنُ أبى موسى ، بالرفع ، قولُ لبيد :

فإن أنتَ لم ينفعْك علمُك فانتسِبْ لعلّك تَهديك القرونُ الأوائلُ

ألا ترى أنّ أنت يرتفع بفعلٍ فى معنى هذا الظاهرِ كانَ لو أظهرته « فإن لم تنتفع » ! ولو حُمل أنت على هذا الفعل الظاهرِ الذى هو ينفعك ، لوجب أن يكون موضعَ أنت إيّاك ، لأن الكاف الذى هو سببُه هى مفعولةٌ منصوبة ؛ فهذا البيت يقوّى إنشادَ من أنشد : إذا ابنُ أبى موسى ، بالرفع على إضمار فعل فى معنى الظاهر نفسه . انتهى .

وقوله (فقام بفأس) هو جواب إذا . ودخلت الفاء على الفعل الماضى لأنّه دعاء ، كما تقول : إن أعطيتنى فجزاك الله خيراً ؛ ولو كان خبراً لم تدخل عليه الفاء . والفأسُ معروفة ، وهى مهموزة ، وروى بدلها : (بنَصْل) بفتح النون ، والنَّصلُ : حديدة السَّيف والسكّين . والوِصل بكسر الواو : المفصِل وهو ملتقى كلِّ عظمين ، وهو واحد الأوصال ؛ والمراد بوصليها : المفصِلان اللذان عند موضع نحرها . و (الجازر) : اسم فاعل من جزَر الناقةَ : إذا نحرها ؛ وهو فاعل قام . و (بلال) هذا هو بلال بن أبى بُرْدة بن أبى موسى الأشعرىّ . والتاء من بلغته مكسورة خطابٌ لناقته . وكذلك الكافُ

فى وِصليكِ ، دعاء عليها بالنحر والجزْر . إذا بلَّغته إلى ابن أبى موسى . وقد عِيب عليه هذا كما سيأتى .

٤٥٢

وهذا البيت مِن قصيدةٍ لذى الرُمَّة غَيلان ، مدح بها بلالاً ، مطلعها :

(لميَّــةَ أطلالٌ بحُزْوَى دَوائِرُ عَفَتها السَّوافى بَعْدَنا والمَواطِرُ)

إلى أن قال :

(إلى ابنِ أبى موسى بلالٍ طوَتْ بنا قِلاصٌ ، أبوهُن الجديلُ وداعِرُ[1]

بلاداً يبيتُ البُومُ يَدعُو بَنَاتِهِ بها ، ومِنَ الأصداءِ والجنِّ سامرُ

تمرّ[2] برَحْلى بَكْرة حِميَرِيَّة ضِناكُ التَوالى عَيطَلُ الصدر ضامرُ)

تمرّ[2] : تمضى . والضِّناك بالكسر : المكتنزة الغليظة ، وتواليها : مآخيرها . والعَيطَل : الطويلة .

(أقول لها ، إذْ شمّر السَير واستوتْ بها البيدُ واستنّتْ عليها الحرائرُ :

إذا ابن أبى موسى بلالا بلغته . . . . البيت

شمّر السير : قلّص . واستوت بهــا البيد : أى لا عَلَم بها . واستنّت : اطّردت . والحرائر : جمع حَرور ، وهى ريح السَموم .

بلال بن أبى بردة

وبلال هو ابن أبى بُرْدة ابن أبى موسى الأشعرىّ . قال ابن حجر (فى التهذيب) : هو من الطبقة الخامسة من التابعين ، مات سنة نيّف وعشرين ومائة وقال (فى تهذيب التهذيب) هو أمير البَصْرة وقاضيهــا . روىَ عن

(١) فى النسختين : « داغر » ، تصحيف . صوابه من الصحاح والقاموس واللسان وفى القاموس : والإبل الداعرية منسوبة إلى فحل منجب أو قبيلة من بنى الحارث بن كعب ، وهو داعر بن الحماس » .

(٢) فى النسختين : « تمرى » فى الموضعين ، وصححها الشنقيطى مطابقا بذلك الديوان ٢٥٢ والمخصص ٧ : ٥٨ .

أنس ، فيما قِيل ، وعن أبيه وعمّه أبى بكر ، روى له التِرمذىّ حديثاً واحداً ، وذكره البخارى فى الأحكام ، وذكره الصِقِلّىّ فى كتاب الضعفاء . قال خليفة الخيّاط : ولاّه خالد القَسْرىُّ القضاء سنة تسع ومائة ؛ وحُكى عن مالك ابن دِينار أنّه قال لما ولِىَ بلالٌ القضاء :

* يالكِ أُمّةً هلَكت ضَياعاً(١) *

فلم يزل قاضياً حتى قدِم يوسفُ بنُ عمر ، سنةَ عشرين ومائة ، فعزله .

وروى المبرد : أنّ أوّل من أظهر الجور من القضاة فى الحكم بلال ، وكان يقول : إنّ الرَجلين ليختصمان إلىّ فأجد أحدَهما أخفَّ على قلبى فأقضى له !

وروى ابن الأنبارىّ أنه مات فى حَبس يوسف بن عمر ، وأنّه قتله دهاؤه وقال للسجّان : أعْلِمْ يوسفَ أنّى قدْ مُتُّ ، ولك منى ما يغنيك ! فأعلمه فقال يوسف : أحِبُّ أنْ أراه ميْتاً ؛ فرجَع إليه السجّان فألقى عليه شيئاً فغمَّه حتّي مات ؛ ثمَّ أراه يوسفَ .

وقال جُويريَة بن أسماء : لمّا وَلى عمر بن عبد العزيز ، وفَدَ إليه بلال فهنّأه ، ثم لزِم المسجدَ يصلّى ويقرأ ليلَه ونهاره ؛ فدسَّ عمر إليه ثقةً له ، فقال له : إن عملتُ لك ولايَةَ العِراق ، ما تعطينى ؟ فضَمِن له مالاً جزيلا ، فأخبَرَ بذلك عمرَ فنفاه وأخرجه وكتب إلى عامله على الكوفة : إنّ بلالاً غرّنا بالله فكِدْنا نغترُّ به ، ثم سبَكناه فوجدناه كلَّه خَبَثا .

وترجمة ذى الرمّة تقدّمت فى الشاهد الثامن فى أوائل الكتاب(٢) روى

---

(١) لعقيبه بن هبيرة الأسدى، كما فى الخزانة ١ : ٣٤٣ بولاق وفى الدرر اللوامع ١ : ١٣١ . فيها أمةً ذهبت ضياعاً يزيد أميرها وأبو يزيد

(٢) انظر ما مضى فى ص ١٠٦ من الجزء الأول .

المرزُبانىّ فى كتاب الموشَّح[1] عن أبى بكر الجُرجانىّ عن المبرّد عن التوَّزىّ أنه قال : أنشَدَ ذو الرُّمّة قصيدتَه فى بلال بن أبى بُرْدة ، فلما بلغ قولَه :

إذا ابنُ أبى موسى بلالاً بلغته . . . . البيت

قال له عبد الله بن محمد بن وَكيع : هلّا قلتَ كما قال سيِّدُك الفرزدق :

قد استَبْطأتْ ناجيَةٌ ذَمولاً وإنَّ الهمَّ بى وبهـا لسامى

أقول لِناقتى ، لمّـا تَرامتْ بنا بيدٌ مسَربَلَة القَتـامِ :

إلامَ تَلَفَّتِينَ وأنتِ تحتى وخيرُ النـاسِ كلِّهِم أمامى

متى تَرِدى الرُّصافةَ تَستريحى من التصدير والدَّبر الدوامى ؟

٤٥٣

قال الأصبهانىّ فى الأغانى : « وقد أخذ هذا المعنى من الفرزدق داودُ ابن سَلْم فى مدحِهِ قُثَمَ بن العبّاس أخا عبد الله بن العبّاس ــ رضى الله عنهم ــ فأحسَن وقال :

يا ناقَ إنْ أدنيتِنى من قُثَمْ[2] عَتَقْتِ مِن حَلٍّ ومن رِحلتى

إنك إن أدنَيتِ منهُ غداً حالفنى اليسرُ وزال العَدمْ

فى كفِّه بَحْرٌ ، وفى وجهه بدرٌ ، وفى العِرنينِ منهُ شمَمْ[3] »

وقال التاريخىّ : لمـا أنشدَ مرْوانُ بن أبى حَفصة يحيى بنَ خالد :

إذا بلّغتْنا العيسُ يحيى بنَ خالدٍ أخذنا بحَبْلِ اليسر وانقطع العسرُ

قال له يحيى : لا عليك أن لا تقول شيئاً بعد هذا !

---

(١) الموشح ١٧٤ .

(٢) فى النسختين : « ومن رحلى » ، صوابه من الأغانى ٥ : ١٣٣ وفى ط : « إن أديتنى » ، صوابه فى ش. وفى معجم الأدباء ١١ : ٩٧ والكامل ٣٦٩ : « من حل ومن رحلة ياناق إن قربتنى » .

(٣) فى الأغانى : « فى وجهه بدر فى كفه بحر » .

أقول : الفرزدقُ قد سلك طريقةَ الأعشىٰ ميمون فى [١] مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله :

فآليتُ لا أرثى لها من كَلالة ولا من وَجًى حتّى تلاقى محمّدَا

متى ما تُناخى عند باب ابن هاشم تُراحى وتَلْقَىْ من فواضله ندَىٰ

وذو الرُّمّة مأخذه من قول الشمّاخ :

رأيت عرَابة الأوسىَّ يسمو إلى الخيرات منقطعَ القرينِ

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ تلقّاها عَرَابة باليمينِ

إذا بلّغتِنى وحملتِ رحلى عَرَابةَ فاشرَقى بِدَم الوَتين

قال المبرّد فى الكامل : « وقد أحسن كلّ الإحسان فى قوله :

إذا بلّغتنى وحملت رحلى . . . . البيت

يقول : لستُ أحتاجُ أن أرحَل إلى غيره . وقد عابَ بعض الرواة قولَه : فاشرقى بدم الوتين ، وقال : كان ينبغى أن ينظر لها مع استغنائه عنها ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، للأنصاريّة المأسورة بمكّة وقد نجت على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله : إنِّى نذرتُ إن نجوتُ عليها أن أنحرَها : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لبِئسَما جزيْتِها » . وقال صلى الله عليه وسلم « لا نذرَ فى معصية الله جلَّ وعزّ ، ولا نذر للإنسان فى غير ملكه » .

ومما لم يُعَبْ فى هذا المعنى قولُ عبد الله بن رَوَاحة الأنصارىّ لما أمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زيد وجعفرٍ ، على جيش مُؤتة :

(١) ط : « أعشى ميمون » صوابه فى ش .

إذا بلَّغتنى وحملتِ رَحلى مسيرةَ أربعٍ بعد الحِساء
فشأنكِ فانعمى وخلاكِ ذمٌّ ولا أرْجِعْ إلى أهلى ورائى

قال بعض العلماء ، فيما كتبه على الكامل : هذه المرأة غفارية لا أنصارية .

وقد تبع الشّمّاخ(١) فى إساءته أبو دَهْبَلٍ الجُمَحىُّ أيضاً ، فى قوله يمدح المغيرة بنَ عبدِ اللهِ ، وهو مَطلعُ أبياتٍ له فيه(٢) :

يا ناقُ سيرى واشرَقى بِدَم إذا جئتِ المُغيرهْ
سيُثيبنى أُخرىٰ سوا كِ ، وتلك لى منهُ يَسيرهْ
إنّ ابن عبد الله نِعْـمَ أخو الندى وابنُ العشيره(٣)

٤٥٤

وتبعه أيضاً ابنُ أبى العاصية السُّلَمىُّ(٤) ، فإنّه لما قدِم على مَعْن بن زائدة بصنعاء نحر ناقته على بابه ، فبلغ ذلك معناً فتطيَّر وأمر بإدخاله ، فقال : ما صنعتَ ؟ قال : نذرتُ أصلحك الله ! قال : وما هو ؟ فأنشدَه من أبيات :

نذرٌ علَى لئِنْ لقيتُكَ سالمـاً أن يَستمِرَّ بها شِفارُ الجازرِ

فقال معن : أطعمونا من كَبِد هذه المظلومة !

وأوّل من عابَ على الشّماخ عرَابةُ ممدوحُه فإنّه قال له : بئسما كافأتَها به .
وكذا عابَ عليه أُحيحَة بن الجُلاَح ، فإن الشّماخَ لمـا أنشده البيتَ قال له أُحيحة : بِئْسَ المجازاةُ جازيتَها !

---

(١) هذا النص من الموشح ٧٠ وإن لم ينص البغدادى على ذلك .
(٢) كتب الميمنى : « أبيات القصيدة اثنتا عشرة فى ديوانه رواية الزبير ، طبع فى المجلة (R. A. C. G) . وفيه : أخو الندى.
(٣) ط : « أخو الذرى » والتصحيح للشنقيطى بقلمه ، ولم يرد فى الموشح .
(٤) فى الموشح : وتبعهما أيضاً .

وممّن ردَّ عليه من الشعراء أبو نُواس : روى المرزبانيُّ فى كتاب الموشَّح(١) بسنده عن أبى نواس ، أنه قال : كان قول الشماخ عندى عيباً ، فلما سمعتُ قولَ الفرزدق تبعتُه فقلتُ :

وإذا المطىُّ بنا بلَغْنَ مُحَمَّداً فظُهورُهُنَّ على الرِّحال حرامُ(٢)
قَرَّبْنَناَ مِنْ خيرِ مَنْ وَطِىءَ الحصا فلها علينا حُرْمَةٌ وذِمامُ

وقلتُ أيضاً :

أقولُ لناقتى ، إذ قرَّبتنى : لقد أصبحتِ عندى باليمين
فلَمْ أجعلكِ للغِرْبانِ نُحْلاً ولا قلتُ اشرَقى بدم الوتين
حَرُمتِ على الأزِمّةِ والوَلايا وأعلاقِ الرِحالةِ والوَضين

الولايا : جمع وَلِيَّة وهى البَرْذَعة . والأعلاق : ما علِّق على الرحل من العهون وغيره . والوَضين : حِزام الرَّحْل .

قال ابن خلِّكانَ فى ترجمة ذى الرُّمة : « أبو نواس هو الذى كشف هذا المعنى وأوضحه ، حتى قال بعضُ العلماء — ولا أستحضر الآن مَن هو القائل — لمّا وقف على بيت أبى نواس : هذا المعنى ، واللهِ ، الذى كانت العربُ تحوم حولَه فتخطئُه ولا تصيبه : فقال الشّماخ كذا وقال ذو الرّمة كذا ، وما أبانَه(٣) إلاّ أبو نواس بهذا البيت ؛ وهو فى نهاية الحسْن » اهـ .

وقد تقدّم أن أوّل مَن كشف هذا المعنى الأعشىٰ ، لا أبو نواس .

---

(١) الموشح ٦٩ .

(٢) كذا فى ط والموشح بالحاء المهملة ، ولها وجه صالح يؤيده قول أبى نواس فى الأبيات النونية التالية :

حرمت على الأزمة والولايا وأعلاق الرحالة والوضين

لكن الرواية المعروفة : « الرجال » بالجيم ، كما فى ش .

(٣) ش : « وما أتى به » صوابه فى ط .

وردّ أبو تمّامٍ أيضاً على الشّماخ تابعاً لأبى نواس :

لستُ كشمّاخِ المذمَّمِ فى سوءِ مُكافاتِهِ ومُجْتَرَمِهْ
أشْرَقَها مِن دَمِ الوتين ، لقد ضَلَّ كريمُ الأخلاقِ عن شِيَمِهْ
ذلكَ حكمٌ قضى بفيصله أُحيحَةُ بنُ الجُلاحِ فى أُطُمِهْ[1]

وروى المرزُبانيُّ أيضاً عن أحمد بن سليمان بن وهب أنّ محمد بن علىّ القنبرىّ الهمْدانى[2] أنشد عُبيد الله بنَ يحيى بن خاقانَ ، قولَه من قصيدة :

إلى الوزير عُبيدِ الله مَقْصَدُها أعنى ابنَ يحيى حياةَ الدينِ والكرَم
إذا رميتِ برَحلى فى ذَراه فلا نلتُ المنى منه إن لم تشرَقى بدم
وليس ذاكِ لجُرْم منكِ أعلَمه ولا لجهلٍ بما أسديتِ من نِعَم
لكنّه فِعلُ شمّاخٍ بناقته لَدى عَرابَةَ إذْ أدَّته للأُطُمِ

فلما سمع عبيدُ الله هذا البيتَ قال : ما معنى هذا ؟ فقال له أبى سليمان[3] : أعزّ الله الوزير ! إن الشّماخَ بن ضِرار مدَح عَرَابةَ الأوسىَّ بقصيدة ، وقال فيها يخاطب ناقته :

إذا بلّغتنى وحملتِ رحلى . . . . البيت

فعاب من فعله هذا أبو نواس فقال :

---

(١) هذه الأبيات لم ترد فى ديوان أبى تمام ، وإنما وردت منسوبة إليه فى الموشح ٦٩ ويبدو أنها ليست له ، بدليل قول المرزبانى : « ورويت لغيره » .

(٢) فى الموشح : « الهمذانى » بالذال المعجمة .

(٣) فى النسختين : « فقال له ابن سليمان » والوجه ماأثبت مطابقا لما فى الموشح ٧٠ وذلك لأن المتحدث هنا هو أحمد بن سليمان ، فيقتضى سياق الكلام ــ إن كان هو القائل ــ أن يقول (قلت) . ولشىء آخر ، وهو أن الذى فى الموشح بعد قول عبيد الله الآتى : « هذا على صواب والشماخ على الخطأ » ، هو « فقال له أبى » ، دون ذكر لسليمان . وهذا معزز لما ذكرت .

أقول لناقتى إذ قرّبتنى . . . . البيتين

فقال عبيد الله : هذا على صواب ، والشّمّاخ على خطأ ؛ فقال له أبى[١] : قد أتى مولانا الوزير بالحقّ ، وكذا قال عَرابة الممدوحُ للشّمّاخ لما أنشده هذا البيت : بئسما كافأتَها به اهـ .

(تتمات)

(الأولى) قول الشّمّاخ : «تلقّاها عَرابة باليمين» قال المبرّد فى الكامل[٢]: قال أصحاب المعانى : معناه بالقوّة . وقالوا مثلَ ذلك فى قول الله عزّ وجل : (والسّماواتُ مَطْوِيّاتٌ بيمينه[٣]) اهـ .

قال الحاتمىّ : أخذ الشّمّاخ هذا مِن قول بِشْر بن أبى خازم :

إذا ما المكرُمات رُفِعْنَ يوماً وقصَّر مُبتَغوها عن مَداها

وضاقت أذرُعُ المثرِينَ عنها ، سما أوسٌ إليها فاحتواها

ورأيت فى الحماسة البصريّة نسبةَ البيت لُجندب بن خارجة الطائىّ الجاهلىّ ، ورواه هكذا :

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ سما أوسٌ إليها فاحتواها

وذكر بيتين قبله ، وهما :

إلى أوسِ بن حارثةَ بنِ لأْمٍ ليقضىَ حاجتى فِيمن قضاها

فما وطِىء الحصى مثلُ ابنِ سُعدى ولا لَبِسَ النِعالَ ولا احتَذاها

وروى أبو الفرج صاحبُ الأغانى[٤] عن الحسين بن يحيى عن حمّاد بن

---

(١) هذا ما فى الموشح ، وهو الصواب . وفى النسختين : « فقال له ابن سليمان » .

(٢) الكامل ٧٥ ليبسك .

(٣) الآية ٦٧ من سورة الزمر .

(٤) الأغانى ٨ : ١٠١ .

إسحاق عن أبيه أنَّه قال : عرابة الذى عناه الشّماخ بمدحه ، هو أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن أوس بن قَيظىّ بن عمرو بن زيد بن جُشَم ابن حارثة بن الحارث بن الخزْرج : وإنما قال له الشّماخ الأوسىّ وهو من الخزرج ، نسبةً إلى أوس بن قيظى[1]. قال أبو الفرج : لم يصنَع إسحاق شيئاً ! عَرابةُ من الأوس لا من الخزرج ، وإنّما وقع عليه الغلطُ فى هذا ، لأنَّ فى نسب عَرابة الخزرجَ ، وفى الأوس رجل يقال له : الخزرج ، ليس هو الجدّ الذى ينتمى إليه الخزرجيُّون الذى هو أخو الأوس ، هذا الخزرجُ بنُ النبيتِ بن مالكِ بن الأوس.. وردَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أُحُد ، لصِغَره مع تسعةِ نفرٍ : منهم ابن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأبو سعيد الخُدْرىّ ، وأُسَيْد ابن ظُهَيْر . . وأبوه أوس من المنافقين الذين شهدوا مع النبى صلى الله عليه وسلم أُحُداً ، وهو الذى قال : (إنَّ بُيوتَنا عَوْرَةٌ وما هى بِعَوْرَة[2]) وكان من وُجوههم . وقد انقرض عقِبُ عَرابة فلم يبق منهم أحد . اهـ

قال المبرّد فى الكامل[3] : قال مُعاوية لعرابة بن أوس بن قيظىّ الأنصارىّ : بِمَ سُدتَ قومَك ؟ قال : لستُ بسيِّدهم ، ولكنى رجلٌ منهم ! فعزَم عليه ؛ فقال : أعطَيت فى نائبتهم ، وحَلمت عن سَفيهم ، وشدَدت على يَدَىْ حليمهم ؛ فمن فعل منهم مثلَ فعلى فهو مثلى ، ومن قصَّر عنه فأنا أفضل منه ، ومن تجاوَزنى فهو أفضل منى . وكان سبب ارتفاع عَرابة : أنّه قدِم من سفر ، فجمعه الطريق والشّماخَ بن ضِرار المرِّىّ فتحادثا ، فقال له عرابة : ما الذى أقدمك المدينة؟ فقال : قدمتُ لِأمتار بها[4] ؛ فملأ له عرابة رَواحلَه بُرًّا وتمراً ، وأتحفَه بغير ذلك ، فقال الشّماخ ذلك . اهـ

(١) فى الأغانى : « نسبة إلى أبيه أوس بن قيظى » .

(٢) الآية ١٣ من سورة الأحزاب .

(٣) الكامل ص ٧٥ .

(٤) فى الكامل : « لأمتار منها » .

٤٥٦

(الثانية) تتعلّق بشعر الفرزدق .

قال القالىّ فى أماليه[١] : حدّثنا أبو بكر قال : أخبرنى أبو عثمان عن التوَّزىِّ عن أبى عبيدة قال : خرج جَرير والفرزدق إلى هشام بن عبد الملك ، مرتدِفَين على ناقة ، فنزل جرير يبول ، فجعلت الناقة تتلفّت ، فضربها الفرزدق وقال :

علامَ تَلفَّتِينَ وأنتِ تحتى . . . . البيتين

ثم قال : الآن يجىء جرير فأنشِدُه هذين البيتين فيردّ علّى :

تَلفَّتُ أنَّها تحتَ ابنِ قينٍ ، إلى الكِيرَين والفأسِ الكَهام[٢]

مَتى تَرِدِ الرُصافةَ تُخْزَ فيها كخِزيك فى المواسم كلَّ عامِ

فجاء جرير ، والفرزدقُ يضحك ، فقال : ما يضحكك يا أبا فراس ؟ فأنشده البيتين ، فقال جرير :

* تَلفَّتُ أنَّها تحت ابن قين *

كما قال الفرزدق سواء . قال الفرزدق : والله لقد قلتُ هذين البيتين ! فقال جرير : أمَا علمتَ أنّ شيطاننا واحد ! ! اهـ

(الثالثة) تتعلّق بشعر أبى نواس الأوّل :

قال ابن خلّكان ، فى ترجمته : لهذا البيت حكاية جرت لى مع صاحبنا جمال الدين محمود بن عبد الله الإرْبِلِىّ ، الأديب المُجيد فى صنعة الألحان وغير ذلك ، فإنه جاءنى إلى مجلس الحكم العزيز بالقاهرة المحروسة فى بعض شهور سنة خمس وأربعين وستمائة ، وقعد عندى ساعة — وكان الناس مزدَحمين

(١) الأمالى ٢ : ٢٣٥ .

(٢) ط : « الكرين » ، صوابه فى ش وديوان جرير ٥٠٢ والأمالى . وجرير يلهج أبدا بذكر القيون وأدواتهم إذا انتحى هجاء الفرزدق .

لكثرة أشغالهم حينئذ — ثم نهضَ وخرج ، فلم أشعر إلاّ وقد جاء غلامٌ وفى يده رقعة مكتوبٌ فيها هذه الأبيات[١] :

يا أيُّها المَولى الذى بوجوده   أبدت محاسنَها لنا الأيّامُ
إنى حجَجْتُ إلى جَنابك حجّةَ الأشواق، مالا يوجِبُ الإسلام[٢].
وأنختُ بالحَرم الشريف مَطيّتى   فتسرّبتْ واستاقها الأقوامُ
فظلِلتُ أُنشِدُ عند نشْدانى لها   بيتاً لمن هُو فى القَريض إمامُ :
« وإذا المطىُّ بنا بلَغنَ محمّداً   فظهورُهن على الرِحال حرام[٣]»

فوقفتُ عليها وقلتُ لغلامه : ما الخبر ؟ فقال : إنه لما قام من عندك وجدَ مِداسَه[٤] قد سُرِقَ فاستحسنتُ منه هذا التضمينَ — والعربُ يشبِّهون النعلَ بالراحلة ، وقد جاء هذا فى شعر المتقدّمين والمتأخّرين ، واستعمله المتنبِّي فى مواضعَ من شعره — ثم جاءنى من بعدُ جمالُ الدين المذكورُ ، وجرى ذكر هذه الأبيات فقلت له : ولكن أنا اسمى أحمد لا محمد ! فقال : علمتُ ذلكَ ولكنْ أحمدُ ومحمّدُ واحد . . وهذا التضمين حسن ، ولو كان الاسم أىّ شىء كان . اهـ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستّون بعد المائة ، وهو من من شواهدس[٥] .

(١) ابن خلكان ١ : ١٣٦ : « فلم أشعر إلا وقد حضر غلامه وعلى يده » .
(٢) هذا البيت ساقط من ش .
(٣) ش وابن خلكان : « على الرجال » وانظر ماسبق فى ص ٤٠ من هذا الجزء
(٤) فى المصباح (دوس) : « وأما المداس الذى ينتعله الإنسان . فان صح سماعه فقياسه كسر الميم لأنه آلة ، وإلا فالكسر أيضاً حملا على النظائر الغالبة من العربية .
(٥) سيبويه ١ : ٤٥٨ . وانظر أيضاً الخزانة ٣ : ٦٣٩ وابن يعيش ٩ : ١٠ وابن الشجرى ٢ : ٣٣٢ والانصاف ٦١٧ .

١٦١ (فمتى واغلٌ يَزُرْهُمْ يُحَيُّو هُ وتُعْطَفْ عليه كأسُ الساقى)

على أنه فصلَ اضطراراً بين مَتَى وبجزومهِ فعلِ الشرط بواغل ، فواغل فاعلُ فعل محذوف يفسِّره المذكور : أى متى يزرْهم واغل يزرهم . وروى أيضاً (يجئهم) وروى أيضاً (يَنُبْهم) من ناب ينوب .

والواغل : الرجل الذى يدخل على من يشربُ الخمر ولم يُدْعَ ؛ وهو فى الشَّراب بمنزلة الوارش فى الطعام ، وهو الطفيلّى ، يقال : وغَلَ بالفتح يَغِل بالكسر وغْلا بالسكون فهو واغل ووغْل أيضاً بالسكون ؛ كذا فى كتاب النبات للدينوَرىّ . ٤٥٧

والكأس بالهمز مؤنثة ، قال أبو حنيفة (فى كتاب النبات) — وذَكَر أسماء الخمر فقال — : ومنها الكاس ، وهو اسم لها ، ولا يقال للزجاجة كأس إن لم يكن فيها الخمر ثم أورد حججاً على ذلك ، منها قول الله تعالى : (يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأسٍ مِنْ مَعِينٍ[١]) وقد ردّ عليه أبو القاسم علّى بن حمزة البصرىّ اللغوىّ ، فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة ، فيما كتبه على كتاب النبات ، فقال : « قد أساء فى هذا الشرطِ الكأسُ : نفس الخمر كما قال ، والكأس : الزجاجة ، وقولُ الله تعالى الذى احتجّ به هو حُجَّةٌ عليه ، ومثله قوله تعالى : (بأكْوابٍ وأبارِيقَ وكأسٍ مِنْ مَعِينٍ[٢]) أى ظرفٍ فيه خمر من هذه التى هذه صفتُها . وقد قال سبحانه : (وكأساً دِهاقاً[٣]) والدِّهاق : الملأىٰ . ولا يجوز أنه أراد خمراً ملأىٰ . وهذا فاسد من القول . والعرب تقول : سقاه كأساً مُرَّة ، و : جرّعه كأساً من السمّ ، وقال :

* وقد سقَى القومَ كأسَ النَّعْسَةِ السَّهَرُ[٤] *

---

(١) الآية ٤٥ من الصافات . (٢) الآية ١٨ من الواقعة .
(٣) الآية ٣٤ من النبأ .
(٤) لأبى دهبل الجمحى ، كما فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٣٥٠ . وصدره :
* أقول والركب قد مالت عمائمهم *

وأوضحُ من هذا كلِّه وأبعدُ من قول أبى حنيفة ، ما أنشده أبو زياد لريسبان بن عُميرة — من بنى عبد الله بن كلاب — :

وأوّلُ كأسٍ من طَعامٍ تذُوقه ذرا قُضُبٍ يجلو نَقيًّا مفَلَّجا

فجعلَ سِوَا كها كأسا ، وجعلَ الكأس من الطعام ، وبعَّضَ مِنْ[1] تبعيضاً يدلّ على صحّة ما قلناه . وقال آخر[2] .

مَن لم يمُت عَبْطةً يمُتْ هرَما للموتِ كأسٌ والمرء ذائقها

وقال كُراع :الكأس : الزجاجة، والكأس أيضا : الخمر . فبدأ بقولنا.اه
وتُعطَفْ بالبناء للمفعول .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لعدىّ بن زَيد العِبادىّ . وبعده :

(ويقولُ الأعداء : أودىٰ عدِيٌّ وبنوه قد أيقنوا بعَلاق)

وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الستين[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[4] .

١٦٢ (صَعْدَةٌ نابِتَةٌ فى حائرٍ أينَما الريحُ تميِّلْها تَمِلْ)

لما تقدّم قبله . فتكون الريح فاعلة بفعل محذوف يفسِّره المذكور : أى أينما تميِّلْها الريحُ تُميِّلْها .

(١) أى بعض الحرفُ من ، أى أفاد التبعيض .
(٢) هو أمية بن أبى الصلت كما فى العينى ٢ : ١٨٧ وديوانه ٤٢ ، وعيون الأخبار ٢ : ٣٧٤ ونسب فى الكامل ٤٣ إلى رجل من الخوارج .
(٣) الخزانة ١ : ص ٣٨١
(٤) سيبويه ١ : ٤٥٨ . وانظر أيضاً الخزانة ٣ : ٦٤٢،٤٦٠ بولاق ، والعينى ٤ : ٤٣٤ ، ٥٧١ وابن الشجرى ١ : ٣٣٢، ٣٤٧ والانصاف ٦١٨ .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدةٍ لابن جُعيل ، منها هذه الأبيات :

أبيات الشاهد
(وضَجيعٍ قد تعلَّلْتُ به طيِّبٍ أردانُه غيرِ تَفِلْ
فى مكانٍ ليس فيه بَرَمٌ وفراشٍ مُتَعالٍ مُتْمَهِلْ
فإذا قامتْ إلى جاراتِها لاحت الساقُ بخلخالٍ زَجِلْ
وبمَتْنَينِ إذا ما أدبَرتْ كالعِنانين ، ومُرْتجٍّ رَهِلْ
صَعْدةٌ قد سَمَقَتْ فى حائر . . . . البيت)

الضَّجيع : المضاجِع ، مثل النديم بمعنى المنادم والجليس بمعنى المجالس ، من الضُّجوع وهو وضع الجنب على الأرض ؛ وهو مجرور بربَّ المقدرة بعد الواو ؛ وجملة « قد تعلّلت » جواب ربّ وهو العامل فى مجرورها ؛ وقد وقع جواب ربّ قبلَ وصْفه ، والتعلّل : التلهّى . وطيّب : صفةُ ضجيع ، وأرْدانُه : فاعله . والتَفِل ، بفتح المثّناة الفوقيّة وكسر الفاء ، وصفٌ من تفِلت المرأةُ تَفَلاً فهى تَفِلة ، من باب تعب : تركت الطِّيب والأدهان . والبَرَم بفتحتين : مصدرُ برِم به ، بالكسر : إذا سئمه وضجر منه . وفراش مطوف على مكان . ومُتْمَهِل : اسم فاعل من اتمهلّ الشىء ، على وزن اقشعرّ ، أى طال واعتدل ؛ وأصل المادة تَمْهَل بمثناة فوقية فميم فهاء فلام . وزَجِل ، بفتح الزاى المعجمة وكسر الجيم : أى مصوِّت : وذلك أنّهم كانوا يجعلون فى الخلاخيل جَلاجل . وقوله : وبمتنين ، هو تثنية مَتن ، وهو — كما قال ابنُ فارس — مكتنَفا الصُلْب من العصَب واللحم ؛ وهو متعلّق بمحذوف ، أى وإذا ما أدبَرَت أدبَرَت بمتنين كالعِنانين وبمرتجّ الخ ، وهو مثنّى عِنان الفرَس ؛ وعِنانا المتن : حبْلاه ؛ أراد أنّ خَصْرَها مجدولٌ لَطيف ؛ وأراد بالمرتجّ الكفلَ . والرَّهِل ، بفتح فكسرٍ : المضطرب .

٤٥٨

وقوله (صَعدة) أى هى صَعْدة ؛ والصَّعدة : القناة التى تنبُت مستوِيةً فلا تحتاج إلى تثقيفٍ[١] وتعديل ؛ وامرأةٌ صعدة : مستوية القامة ، شبّهها بالقناة . وأنشده الجوهرىّ — فى مادة صعد — ولم ينسُبه إلى أحد . وقال العينيّ : نسبه الجوهرىّ إلى الُحسام بن صُدَاء الكلبى . ولا أدرى أين ذكره

و (الحائر) بالحاء المهملة ، قال أبو نصر : يقال للمكان المطمئن الوسَط المرتفِع الحروف : حائر — وأنشد هذا البيت — وإنما قيل له حائر ، لأنّ الماء يتحيّر فيه فيجىء ويذهب . . قال الأعلم : الحائر : القرارة من الأرض يستقرّ فيها السيل فيتحيّر ماؤه : أى يستدير ولا يجرى ، وجعلَها فى حائر لأنّ ذلك أنعمُ لها وأشد لتثنّيها[٢] إذا اختلفت الريح اهـ . وقال أبو بكر الزُّبيدىّ (فى كتاب لحن العامّة) : ويقولون للحَظيرة تكون فى الدار حيرا ، ويجمعونه أحيارا . والصواب حائر وجمعه حُورانٌ وحِيران . وبالبصرة حائر الَحجّاج ، معروف . وقال أحمد بن يحيى ثعلب : الحائر هو الذى تسمِّيه العامّة حِيراً وهو الحائط اهـ .

وروىَ بدلَ نابتة : (قد سمَقَتْ[٣]) أى طالت وارتفعت .

ابن جعيل

و (ابن جُعَيل) صاحب هذا الشعر ، بضم الجيم مصغّر جُعَل . واسمه كعب بن جُعيل بن قُمير ، مصغّر قمر ، ابن عُجْرة بن ثعلبةَ بن عوف بن مالك ابن بكر بن حَبيب بن عمرو بن تغلِب بن وائل . وهو شاعر مشهور إسلامىّ كان فى زمن معاوية . وفيه يقول عُتبة بن الوَغْل[٤] التغلبيّ :

(١) ط : « تثقيق » ، صوابه فى ش .

(٢) كذا عند الأعلم (سيبويه ١ : ٤٥٨) . وفى ط : « وأسد لنبتها » ٢ وفى ش « وأشد لنبتها » .

(٣) ط « سمت » صوابه فى ش .

(٤) هكذا ضبطه البغدادى بقلمه فى نسخته من فرحة الأديب التى سبقت الإشارة إليها فى التقديم .

سُمِّيت كعبا بِشَرِّ العظـامِ وكان أبوك يُسمَّى الْجُعَـلْ
وإنّ مكانَكَ من وائلٍ مكان القُرادِ من آستِ الْجَمَلْ[1]

هكذا ذكره الآمدىّ فى المؤتلف والمختلف ، ونسب إليه الشعر الذى منه بيت الشاهد .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء[2] : « وكعب بن جُعَيل هو الذى قال له يزيد بن معاوية : اهجُ الأنصار ، فدَلّه على الأخطل . ولـكعبٍ هذا أخٌ يقال له عُمير بن جُعيل بالتصغير ، وهو شاعر أيضاً ، وهو القائل يهجو قومه :

كسا اللهُ حَيَّيْ تغلبَ ابنةَ وائلٍ مِن اللؤمِ أظفاراً بطيئا نصُولها !

ثم ندم فقال :

ندِمتُ على شتمى العشيرة بعد ما مَضَتْ واستتبَّتْ للرواة مَذاهبُهْ
فأصبحتُ لا أستطيعُ دفعاً لما مضى كما لا يَرُدُّ الدَّرَّ فى الضَّرعِ حالبُهْ »

٤٥٩

وفى الشعراء شاعر آخر يقال له ابن جُعيل بالتصغير ، واسمه شبيب التغلَبيّ وستأتى ترجمته إن شاء الله تعالى فى خبر ما ولا[3] وفيهم أيضاً من يقـال له « ابن جُعَل » مكبَّرا ، وهو تغلبيّ أيضاً كاللذَين قبـله ، واسمه عَميرة — بفتح العين — ابن جُعَل بن عمرو بن مالك بن الحارث بن حبيب بن عمرو ابن غَنْم بن تغلب بن وائل ، شاعرٌ جاهليّ ، وهو القائل :

فمن مبلغٌ عنّي إياسَ بنَ جندلٍ أخا طارقٍ ، والقولُ ذو نَفَيانِ
فلا توعِدَنّى بالسلاحِ ، فإنّما جمعتُ سلاحى رهبةَ الحدَثانِ !

---

(١) هذا البيت نسبه الأعلم فى شرح أبيات سيبويه إلى الأخطل .
(٢) الشعراء ٦٣١ — ٦٣٢ .
(٣) فى الشاهد ٢٨٣ .

جمعت ردينيًّا كأنّ سِنانه سَنَا لهبٍ لم يتصِلْ بدُخان

كذا فى المؤتلف أيضاً للآمديّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد المائة ، وهو من شواهد س[1] .

١٦٣ (ألا رَجُلاً جَزاهُ اللهُ خيراً يدُلُّ على محصِّلةٍ تُبيتُ)

على أنّ (ألا) عند الخليل قد تكون للتحضيض ، كما فى هذا البيت ، أى ألا تُرُونَنِي رجلا — هو بضمّ التاء من الإراءة ، لا بفتحها من الرؤية .

قال سيبوَيه : وسألت الخليل عن هذا البيتِ ، فزعم أنه ليس على التمنّي ، ولكنْ بمنزلة قول الرجل : فهلاّ خيراً من ذاك ؟ كأنه قال : ألا تُرُونى رجلا جزاه الله خيرا !

قال ابن هشام فى المغْنى « ومن معانى ألاَ العرضُ والتحضيضُ ، ومعناها طلب الشيء ؛ ولكنّ العرْضَ طلبٌ بِلين ، والتحضيضَ طلبٌ بحثٍّ ؛ وتختصّ ألا هذه بالفعليّة ، ومنه عند الخليل هذا البيت ، والتقدير عنده : ألا تُرُونى رجلاً هذه صفته ! فحُذِف الفعلُ مدلولاً عليه بالمعنى . وزعم بعضُهم : أنه محذوف على شريطة التفسير ، أى ألا جزىٰ الله رجلاً جزاه خيرا . وألا على هذا للتنبيه . وقال يونس : ألا للتمنّي ، ونوّنَ الاسم للضرورة . . وقولُ الخليل أوْلىٰ ، لأنه لا ضرورة فى إضمار الفعل بخلاف التنوين . وإضمار الخليل

(١) سيبويه ١ : ٣٥٩ . وانظر الخزانة ٢ : ١١٢ ، ١٥٦ /٤ : ٤٧٧ بولاق والعينى ٢ : ٣/٣٦٦ : ٣٥٢ . وابن يعيش ٢ : ١٠١ ، ١٠٢ وشرح شواهد المغنى ٧٧ ، ٢١٩ ونوادر أبي زيد ٥٦ .

أولىٰ من إضمار غيره ، لأنه لم يُرِدْ أن يدعوَ لرجل على هذه الصفة ، وإنما قصد طلبَه . وأما قول ابن الحاجب في تضعيف هذا القول : إنَّ « يدُلُّ » صفةٌ لرجل فيلزم الفصل بينهما بالجملة المفسِّرة وهى أجنبيّة ، فمردود بقوله تعالى (إنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ له وَلَد[١]) ثم الفصل بالجملة لازم وإن لم تقدّر مفسِّرة إذ لا تكون صفةً[٢] لأنها إنشائية اهـ كلام المغنى .

وقدّر العاملَ غيرُ الخليل ألا أجد رجلا . وقدَّره بعضهم ألاَ هاتِ رُجلا . ورُوى أيضاً (ألا رجلٍ) بالرفع والجرّ ، فالرفع اختاره الجوهرىّ على أنه فاعل لفعل محذوف يفسِّره المذكور ، أى ألا يدلّ رجل . وقيل : رجل مبتدأ تخصَّصَ بالاستفهام والنفى ، وجملة يدلّ خبرُه . والجرّ على تقدير ألا دَلالةَ رجل ، فحذف المضاف وبقى المضاف إليه على حاله . وقال الصاغانى فى العباب : الجر على معنى أمَا مِنْ رجل . وهما ضعيفان . وجملة جزاه الله خيرا دعائيَّة لا محلَّ لها .

صاحب الشاهد — وهذا البيت من قصيدة طويلة لعمرو بن قِعَاس المُرادىّ . وهذا مطلعها وأبياتٌ منها :

أبيات الشاهد

(ألا يا بَيتُ بالعَلياء بَيتُ ولولا حبُّ أهلِكَ ما أتيتُ
ألا يا بيت أهلُك أوعَدونى كأنّى كلَّ ذنبِهِم جنَيت
٤٦٠ ألا بَكَرَ العواذل فاستَميتُ وهل من راشدٍ لى أن غوَيتُ[٣]

(١) الآية ١٧٦ من النساء .

(٢) فى النسختين : « إذ لا تكون مفسرة » وهو خطأ ظاهر ، فإن الجملة الانشائية يصح التفسير بها ، وصوابه من مغنى اللبيب (مبحث ألا) .

(٣) فى النسختين : « إما غويت » والتصحيح للشنقيطى فى نسخته ومما سيأتى فى الشرح .

إذا ما فاتني لحمٌ غريضٌ ضَربتُ ذراع بَـكرى فاشتويت

وكنت متى أرىٰ رِقًّا مريضا يُصاحُ على جِنازته بكيتُ

أُمَشِّى فى سَراة بنى غُطيف إذا ما سامَني ضَيمٌ أبَيتُ

أرجِّلُ لِمّتي وأجرُّ ذيلى وتحمل بِزّتى أُفُقٌ كميتُ

وبيتٍ ليس مِن شَعَر وصوفٍ على ظهر المطَّية قد بنيتُ

ألا رجلاً جزاه الله خيراً يدلُّ على محصلةٍ تبِيتُ

ترجِّل لَمّتى وتقُمُّ بيتى وأُعطيها الإتاوةَ إن رضِيتُ)

والبيت الأوّل من شواهد سيبويه ، نسبه إلى عمرو بن قِعاس ، وأورده فى باب النداء . قال الأعلم : الشاهد فيه رفع البيت ، لأنه قصدَه بعينه ولم يِصفْه بالمجرور بعده فينصبَه ، لأنه أراد : لى بالعلياء بيتٌ ولـكنى أو ترك عليه لمحبتى فى أهلك .

وقوله : كأنّى كلَّ ذنبهم أتيتُ ، قال المازنىّ : معناه : كأنّى جنيت كلَّ ذنبٍ أتاه إليهم آت . وقوله : فاستميَت : أى علوت عن سَماع عذلهنّ ؛ وهو افتعلت من السموِّ ، أى أنا أعلىٰ من أن أُلامَ على شىء ؛ وهل من راشد لى إن غوَيت . واللحم الغريض : الطرىّ . والبَـكر بالفتح . والرِّقّ بكسر الراء المهملة . يصف نفسَه بالعفّة ورقّة القلب . وأُمشِّى بالتشديد : لغة فى أمْشى بالتخفيف . وغُطيف بالتصغير جدّه الأعلىٰ . والبِزّة ، قال فى المصباح : يقال فى السلاح بِزّة بالـكسر مع الهاء ، وبَزٌّ بالفتح مع حذفها . وروىَ بدله : (وتحملُ شِـكّتى) بكسر الشين وهى السلاح أيضاً . وأفُق بضمّتين : الفرس الرائع ، للأنثى والذكر ؛ كذا فى العباب . وأنشدَ هذا البيت . والـكُميت من

الخيل : بين الأسود والأحمر ، وقال أبو عُبيد : ويُفرق بينه وبين الأشقر بالعُرْف والذَّنَب: فإن كانا أحمرين فهو أشقَر، وإن كانا أسودَين فهو الكميت وقوله : وبيت ليس من شعر الخ ، يريد : إنّني جعلت ظهرَ المطيّة بدلاً من البيت . وهذا أبلغُ من قول محمَّد بن هانىء الأندلسىّ :

قومٌ يبيتُ على الحشايا غيرُهمْ　　ومَبيتُهم فوقَ الجِياد الضُمَّرِ

والحشايا : جمع حشيَّة ، وهى الفِراش .

وقوله : (يدلّ على محصَّلة تبِيت) المحصِّلة بكسر الصاد قال الجوهرىّ وابن فارس[1] — وتبعهما صاحب العباب والقاموس وغيرُهما — : هى المرأة التى تحصِّل تراب المعدِن . وأنشدوا هذا البيتَ . قال ابن فارس : وأصل التحصيل استخراجُ الذهب من حجر المعدن ، وفاعلُه المحصِّل . وهذا ، كما ترىٰ ركيكٌ ، والظاهر ماقاله الأزهرىّ فى التهذيب ، فإنه أنشَد هذا البيتَ وما بعده وقال : هما لأعرابى أراد أن يتزوَّج امرأة بمُتْعة . فصادُه مفتوحة . وأنشد الأخفش هذا البيتَ (فى كتاب المعاياة) وقال : قوله محصّلة موضع يجمع الناسَ أى يحصِّلهم . وتبيت فعلٌ ناقص مضارعُ بات ، اسمها ضمير المحصّلة ، وجملة ترجِّل لِمَّتى فى محل نصب خبرها . وفيه العيب المسمى بالتضمين وهو توقف البيت على بيت آخر[2] وخرّجه بعضهم على أنه بضم أوله من أبات ، أى تجعل لى بيتاً أى امرأة بنكاح ؛ وعليه فلا تضمين ؛ لكنّي لم أجدْ أباتَ بهذا المعنى فى كتب اللغه . وزعم الأعلم أنّه فعلٌ تام فقال : « طلبُها للمبيت إمّا ٤٦١

(١) ط : « وابن قابوس » صوابه فى ش وشرح شواهد المغنى للبغدادى ١ : ٣٧١ مخطوطة دار الكتب .

(٢) فى هامش أصل المطبوعة كما ذكر مصححها : « وفيه أيضاً عيب لم يذكره الشارح ، وهو عيب الردف »

للتَّحصيل أو الفاحشة » . وروى بعضهم : (تَبيث) بالمثلَّثة وقال : العرب تقول : بُثْتُ بالشيء بَوثا وبِثته بَيثا : إذا استخرجتَه . أراد امرأة تعينه على استخراج الذهب من تراب المعدن . وهذا غفلة عما قبله وما بعده .

والترجيل : التسريح وإصلاح الشعر ، واللِّمَّةُ بالكسر : الشعر الذى يجاوز شحمةَ الأذن . وقَمَّ البيتَ قمًّا — من باب قتل — : كنسه . والإتاوة قال فى المصباح : وأتوته آتوه إتاوة بالكسر : رشوَته .

عمرو بن قعاص

و (عمرو بن قِعاس) بكسر القاف بعدها عين ، قال الصاغانى فى العباب : ويقال ابن قِنْعاس أيضاً : أى بزيادة نون بينهما .

وهذه نسبته من جمهرة ابن الكلبِيّ : عمرو بن قِعاس بن عبد يَغوثَ بن مخدش بن عَصَر — بالتحريك — ابن غَنْم — بفتح فسكون — ابن مالك ابن عوف بن منبّه بن غُطيف بن عبد الله بن ناجية بن مالك بن مراد ، المرادِيّ المَذحِجِيّ . ومن ولد [عمرو[1]] ابنِ قِعاس هانئُ بن عُروة بن نِمْران ابن عمرو بن قِعاس ، قتلَه عبيد الله بن زياد مع مُسلم بن عقَيل بن أبى طالب وصلَبهما ا هـ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد المائة[2] :

١٦٤ (تَعُدُّونَ عَقْرَ النِيبِ أفضلَ مَجْدِكُمْ
بنى ضَوطَرَىْ لولا الكَمِيَّ المقنَّعا)

(١) التكملة من ش وتحتها كلمة « صح » .

(٢) انظر أيضاً الخزانة ٤ : ٤٩٨ والكامل ١٥٨ والعينى ٤ : ٤٧٥ وابن الشجرى ١ : ٢٧٩ ، ٢/٣٣٤ : ٢١٠ وابن يعيش ٢ : ٣٨ ، ٨/١٠٢ : ١٤٤ ، ١٤٥ والخصائص ٢ : ٤٥ وشرح شواهد المغنى ٢٢٩ وديوان جرير ٣٣٨ .

على أن الفعل قد حُذف بعد (لولا) بدون مفسِّر : أى لولا تعدّون

قال المبرّد فى الكامل : لولا ، هذه ، لا يليها إلاّ الفعل لأنّها للأمر والتحضيض مُظهراً أو مضمَراً كما قال :

تعدُّون عَقْر النِيب . . . . . البيت

أى هلاّ تعدّون الكمِىَّ المقنّعا .

ومثلَه قدّر ابنُ الشجرىّ فى أماليه وقال : أراد لولا تعدّون الكمىَّ ، أى ليس فيكم كمىّ فتعدّوه .

وكذلك قدّره أبو علىّ (فى إيضاح الشِعر ، فى باب الحروف التى يحذف بعدها الفعل وغيره) وقال : فالناصب للكمىّ هو الفعلُ المرادُ بعد لولا، وتقديره : لولا تلقَون الكمىّ ، أو تبارزون ، أو نحوُ ذلك ؛ إلا أن الفعل حُذف بعدها لدلالتها عليه .

فكل هؤلاء كالشارح جعل لولا تحضيضيَّة وقدّر المضارعَ لأنها مختصةّ به. وخالفهم ابن هشام فى المغنى ، فجعلها للتوبيخ والتنديم وتختصُّ بالماضى ، وقال : « الفعل مضمرَ ، أى لولا عددتم . وقولُ النحويِّين : لولا تعدّون ، مردودٌ ، إذ لم يُرِد أن يحضَّهم على أن يعُدّوا فى المستقبل ، بل المرادُ توبيخُهم على ترك عدِّه فى الماضى . وإنما قال تعدُّون على حكاية الحال ، فإن كان مراد النحويين مثلَ ذلك فحسَن » اهـ .

و (تعدّون) اختُلف فى تعديته إلى مفعولين : قال ابن هشام فى شرح الشواهد : « اختُلف فى تعدِّى عدّ بمعنى اعتقد إلى مفعولين ، فمنعه قوم وزعموا فى قوله :

لا أعُدُّ الإقتار عُدماً ، ولـكنْ فقدُ مَن قد رُزِيتُه الإعدامُ[1]

أنّ عُدماً حالٌ . وليس المعنى عليه . وأثبته آخرون مستدلين بقوله :

فلا تعدُدِ المولىٰ شريكَكَ فى الغنىٰ ولـكنّما المولىٰ شريكُكَ فى العُدمِ[2]

وقولِه : تعدّون عَقر النيب .. الخ اهـ

وجهُ الاستدلال فى البيت الأوّل أنّ قوله شريكَكَ . وفى البيت الثانى أن قوله أفضل مجدكم ، معرفتان لا يجوز نصبهما على الحاليّة ، لأنها واجبة التنـكير .

٤٦٢ وقوله : (الـكمىّ المقنّعا) منصوب على أنه المفعول الأوّل لتعدّون المحذوف بتقدير مضاف ، والمفعول الثانى محذوف : أى لولا تعدّون عقر الـكمىّ أفضلَ مجدكم . ولا يجوز أن يكون من العدّ بمعنى الحساب ، قال اللخمىّ فى شرح أبيات الجمل « وأما عدَّ ، مِن العدد وهو إحصاء الشىْ ، فيتعدّىٰ لمفعولين أحدهما بحرف الجرّ . وقد يحذف — تقول : عددَتك المال ، وعددت لك المال » اهـ . فهو متعدّ باللام ؛ وتقدير (مِنْ) لا يستقيم . وقدّر بعضهم من حروف الجرّ مِن ، وقال : هلاّ تعدّون ذلك من أفضل مجدكم . نقله ابن المستَوفى فى شرح أبيات المفصل . وفيه نظر . وذكَر أيضاً وجوهاً أُخَر : (منها) أنّ أفضل مجدكم بدلٌ من عَقْر النيب . وفيه أن هذا ليس بدلَ اشتمال ولا بدلَ بعض لعدم الضمير ، ولا بدلَ كلّ لأنّه غيره ، ولا بدلَ غلطَ لأنَّه لم يقع فى الشعر . و (منها) أنّه منصوب على المصدر بتقدير مضاف أى تعدّون عقر النيب عدَّ أفضلَ مجدكم . و (منها) أنه نعت أو عطف بيان .

(١) لأبى دواد الإيادى فى العينى ٢ : ٣٩١ .
(٢) للنعمان بن بشير فى العينى ٢ : ٣٧٧ .

و (العقر) . مصدر عقَر الناقةَ بالسيف من باب ضرب : إذا ضرب قوائمَها به . قال فى المصباح : لا يطلق العقْر فى غير القوائم ، وربما قيل : عقر البعير : إذا نحره . و (النِّيب) : جمع ناب ، وهى النـاقة المسنّة . و (المجد) : العز والشرف . و (بنى ضوطرىٰ) : منادىٰ ، قال ابن الأثير فى المرصَّع : بنو ضوطرىٰ ـ ويقال فيه : أبو ضوطرىٰ : هو ذمّ وسبّ . وأنشدَ هذا البيت وقال : وضوطرىٰ هو الرجل الضخم اللئيم الذى لا غَنـاء عنده ، وكذلك الضَوطر والضيطر . ومثله فى سفْر السعادة ؛ وزادَ ضَيطاراً ، وقال : وجمع ضَيطار ضياطرة . وقال حمزة بن الحسين : العرب تقول : يا ابن ضَوطر ، أى يا ابنَ الأمَة . وقال اللخمىّ : الضَّوطر : المرأة الحمقـاء . و (الـكمىّ) : الشجاع المتـكمِّى فى سلاحه ، لأنه كَمى نفسَه أى سترها بالدِرع والبَيضة ؛ كذا فى الصحاح . و (المقنّع) بصيغة اسم المفعول الذى على رأسه البيضة والمغفَر . حاصل المعنى : أنّـكم تعدّون عقر الإبل المسنّة التى لا ينتفَع بها ولا يرجىٰ نسلُها أفضلَ مجدكم ، هلا تعدُّون قتلَ الشجعان أفضلَ مجدكم ؟ وهذا تعريضٌ بجبنهم وضعفهم عن مقارعة الشجعان ومنازلة الأقران .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الفرزدق .

قضية عقر الإبل

و (قضيّة عقْر الإبل) مشهورة فى التواريخ ، محصَّلها أنه أصاب أهلَ الـكوفة مَجاعة ، فخرج أكثر الناس إلى البوادى — وكان غالب أبو الفرزدق رئيسَ قومه — فاجتمعوا فى أطراف السَماوة من بلاد كلْب على مسيرة يوم من الـكوفة ، فعقر غالبٌ لأهله ناقةً صنع منها طعاماً وأهدىٰ إلى قوم من تميم جِفاناً ، وأهدى إلى سُحيم جفنةً فـكفاها وضربَ الذى أتىٰ بها ، وقال : أنا مفتقرٌ إلى طعام غالب ؟ ! ونحر سُحيم لأهله ناقة ؟ فلما كان من الغد نحر غالبٌ لأهله ناقتين ونحر سحيم ناقتين ؛ وفى اليوم الثالث نحر غالبٌ ثلاثاً فنحر

سحيم ثلاثاً ، فلما كان اليومُ الرابع نحر غالب مائةَ ناقة ولم يكن لسحيم هذا القدر فلم يعقر شيئاً ، ولما انقضت المجاعة ودخل الناس الكوفةَ قال بنو رياح لسحيم : جررت علينا عارَ الدهر ، هلاّ نحرت مثل ما نحر غالب ، وكنّا نعطيك مكانَ كلِّ ناقةٍ ناقتين ؟! فاعتذر أن إبله كانت غائبة ، ونحرَ نحوَ ثلاثمائة ناقة . وكان فى خلافة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فمنَع الناسَ من أكلها وقال : إنّها ممّا أُهِلّ لغير الله به ولم يكن الغرضُ منه إلاّ المفاخرة والمباهاة ! فجمِعَت لحومُها على كُناسة الكوفة ، فأكلها الكلابُ والعِقْبان والرّخَم .

٤٦٣

وقد أورد القالىّ هذه الحكايةَ فى ذيل أماليه[1] بأبسَط ممّا ذكرناه ، وأورد ما قيل فيها من الأشعار وما مُدِح به غالبٌ وهُجى به سُحيم .

﴿ تتمّة ﴾

بيت الشاهد نسبه ابنُ الشجَرىّ فى أماليه للأشهب بن رُميلة . وكذا غيره . والصحيح أنه من قصيدة لجرير لا خلافَ بين الرواة أنّها له . وهى جواب عن قصيدةٍ تقدّمت للفرزدق على قافيتها . وكان الفرزدق تزوّج حَدْراء الشَيبانيّة ، وكان أبوها نَصرانيًا وهى من ولد بِسْطام بن قيسٍ ، وماتت قبل أن يصل إليها الفرزدق وقد ساق إليها المهر ، فترك المهرَ لأهلها وانصرف . وكان جرير عاب عليه فى تزويجها ، فقال الفرزدق فى ذلك من قصيدة :

يقولون زُرْ حَدْراءَ ، والتُّربُ دونَها ،   وكيف بشىءٍ وصلُه قد تقطّعا

يقول ابنُ خِنْزِيرٍ : بكيتَ ، ولم تكن   على امرأةٍ عَينى إخالُ لِتَدمعَا

---

(١) ذيل الأمالى ٥٢ — ٥٤ .

وأهوَنُ رزءٍ لامرئٍ غيرِ عاجزٍ رَزيّةُ مُرتجٍّ الروادف أفرعا
وما مات عند ابنِ المراغة مثلُها ولا تبعتْه ظاعناً حيث دعدَعا

فأجابه جرير بقصيدة طويلة منها :

(وحدراء لو لم يُنجها اللهُ برّزت إلى شرِّ ذى حرثٍ دَمالا ومزرعا[1]
وقد كان رجساً طُهِّرتْ من جِماعِهِ وآب إلى شرِّ المضاجع مَضجَعا)

ثم قال :

(تعدُّون عقر النِيب أفضلَ سعيكِم ، بنى ضَوطَرَىٰ ، هلاّ الكميَّ المقنّعا
وقد علِم الأقوامُ أنّ سيوفَنـا عَجمنَ حديدَ البَيضِ حتى تصدَّعا
ألا ربَّ جبّارٍ عليـه مهـابةٌ سقَيناه كأسَ الموت حتّى تضلّعا)

والقصيدتان مسطورتان أيضاً فى منتهى الطلب من أشعار العرب .

وترجمة جرير تقدمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب[2] . وتقدمت ترجمة سُحيم بن وَثيل أيضاً فى الشاهد الثامن والثلاثين[3] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد المائة[4] :

١٦٥ (ونبِّئتُ لَيلىٰ أرسلَتْ بشفاعةٍ إلىَّ ، فهلاَّ نفسُ لَيلىٰ شَفيعُها)

على أن الجملة الاسمية قد وقعت فيه بعد أداة التحضيض شذوذا .

---

(١) الدمال ، كسحاب : السماد . ط : « ومن رعا » صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، ومن ديوان جرير ٣٣٦ .
(٢) الجزء الأول ص ٧٥
(٣) الجزء الأول ص ٢٦٥
(٤) انظر أيضاً الخزانة ٣ : ٥٩٧/٤ : ٤٩٨ ، ٥٢٤ بولاق والعينى ٣ : ٤١٦/٤ : ٤٥٧ ، ٤٧٨ والحماسة ١٢٢٠ بشرح المرزوقى وشرح شواهد المغنى ٧٩ .

هذا البيت أورده أبو تمّام فى أوّل باب النسيب من الحماسة ، مع بيت ثان وهو :

(أأكْرَمُ مِن ليلىٰ علَىّ فتبتغى به الجاهَ أم كنتُ امرأً لا أُطيعها)

قال ابن جنّي فى إعراب الحماسة : « هلاّ من حروف التحضيض ، وبابه الفعل ، إلاّ أنّه فى هذا الموضع استعمل الجملة المركّبة من المبتدإ والخبر فى موضع المركّبة من الفعل والفاعل ؛ وهذا فى نحو هذا الموضع عزيزٌ جدّا » وكذا قال شرّاح الحماسة . وخرّجه ابن هشام فى المغنى على إضمار كانَ الشأنيّة ؛ أى فهلاّ كان هو أى الشأن . ثم قال : وقيل : التقدير فهلاّ شفعت نفسُ ليلى ! لأنّ الإضمار من جنس المذكور أقيَس . وشفيعُها على هذا خبرٌ لمحذوف أى هى شفيعها . ونسب أبو حيّانَ الوجهَ الأوّل لأبى بكر بن طاهر ، ونسب الوجه الثانىَ إلى البصريّين .

٤٦٤

ونُبِّئُ يتعدّى لثلاثة مفاعيل ، المفعول الأوّل التاء وهى نائب الفاعل ، وليلىٰ المفعولُ الثانى ، وجملة أرسلَتْ فى موضع المفعول الثالث . وقوله : بشفاعة أى بذى شفاعة ؛ فالمضاف محذوف أى شفيعاً . يقول : خُبِّرْتُ أنّ ليلى أرسلتْ إلىّ ذا شفاعة ؛ تطلبُ به جاهاً عندى ، هلاّ جعلت نفسَها شفيعَها .

وقوله : أأكرَم من ليلىٰ الخ ، الاستفهام إنكارٌ وتقريع . أنكر منها استعانتَها عليه بالغير . وقوله : فتبتغى ، منصوبٌ فى جواب الاستفهام ، لكنّه سكّنه ضرورة . وأم متّصلة ، كأنه قال : أىَّ هذينِ توهّمتْ ، طلبَ إنسان أكرَم علىَّ منها أم اتّهامَها لطاعتى لها ؟ ! وخبر أكرمُ علىَّ محذوفٌ ، والتقدير أكرم من ليلىٰ موجوداً فى الدنيا . وقد أورد ابن هشام هذا البيتَ فى الباب الخامس من المغنى ، شاهداً على اشتراط الصفة لما وطِّئ به من خبر

أو صفةٍ أو حال . وفى أمالى ابن الشجَرِىّ : فى البيت إعادة ضمير من أطيعها ضميرَ متكلّم وفاقاً لـكنتُ ، ولم يُعَد ضميرَ غائب وفاقاً لامرأً ، على حدّ (بلْ أنتُم قومٌ تجْهَلُون[1]) .

والبيتان نسبهما ابنُ جنّي فى إعراب الحماسة للصِمَّة بن عبد الله القُشَيرىّ

قال أبو رِياش فى شرح الحماسة : « وكان مِن خبر هذين البيتين ، أنّ الصِمَّة بن عبد الله كان يهوىٰ ابنة عمِّه ، تسمَّى ريًّا ، فخطبها إلى عمّه فزوّجه على خمسين من الإبل ، فجاء إلى أبيه فسأله فساق عنه تسعاً وأربعين ، فقال : أَكمِلْها ! فقال : هو عمُّك وما يناظرك فى ناقة ! فجاء إلى عمّه بها ، فقال : والله لا أقبلُها إلاّ كلَّها . فلَجَّ عمُّه ولجّ أبوه ؛ فقال : والله ما رأيت ألأمَ منكما ، وأنا ألأمُ منكما إنْ أقمت معكما ! فرحل إلى الشام فلقى الخليفة فكلّمه ، فأعجب به وفَرض له ، وألحقه بالفُرسان . فكان يتشوّق إلى نجْد ، وقال هذا الشعر » اهـ .

الصمة القشيرى

والصمّة ، كما فى جمهرة الأنساب ، هو الصِمّة بن عبد الله بن الحارث ابن قُرَّة بن هُبيرة . كان شريفاً ، شاعراً ، ناسكاً عابداً — وقُرَّة بن هبيرة وَفد على رسول الله ﷺ ، فأكرمه وكساه واستعمله على صدَقاتِ قومه — وينتهى نسبه إلى قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيلان ابن مضر .

(تتمّة)

نسب العينّي البيتَ الشاهدَ إلى قيس بن الملوَّح . قال : ويقال : قائله ابنُ الدُّمينة .

---

(١) الآية ٥٥ من سورة النمل .

ونسبه ابن خَلِّكانَ فى وَفَيات الأعيان — على ما استقرّ تصحيحه فى آخر نسخة منها — لإبراهيم بن الصولىّ ، وأنّ أبا تمّام أورده فى باب النسيب من الحماسة . وذكر أنّ وفاة إبراهيم بن الصولىّ فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين ، ووفاةَ أبى تمّام فى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . والله تعالى أعلم .

* * *

باب التحذير

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والستون بعد المائة ، وهو من شواهد س[1] .

١٦٦ (فإيّاك إياك المِراءَ فإنّهُ إلى الشَّرِّ دَعَّاءٌ وللشرِّ جالبُ) ٤٦٥

على أن حذف الواو شاذّ .

قال س : « اعلم أنّه لا يجوز أن تقول إياك زيداً ، كما أنّه لا يجوز أن تقول : رأسَكَ الجدارَ . وكذلك : إياك أن تفعلَ ، إذا أردتَ : إياك والفعلَ . فإذا قلتَ : إيّاك أن تفعل ، تريد : إيّاك أعظ مخافةَ أن تفعل ، أو من أجل أن تفعل ، جاز » .

يعنى أنّ [أنْ[2]] تقع بعد إيَّاك على وجهين :

(١) فى كتابه ١ : ١٤١ . وانظر العينى ٤ : ٣٠٨ ، ١١٣ وابن يعيش ٢ : ٢٥ والخصائص ٣ : ١٠٢ ومعجم المرزبانى ٣١٠ .

(٢) التكملة من ش بخط الشنقيطى .

أحدهما أن تجعل أن تفعل مصدراً هو مفعول به ، كما تقول : إياك وزيداً ، وأصلُه أن تقول : إيّاك وأن تفعل ، كما قلتَ : إياك وزيداً ، ولكنهم حذفوا الواوَ لطول الكلام . ويقدّر أيضاً إيّاك من أن تفعل إذا حذّرتَه الفعل .

والوجه الآخر : أن تجعل أن تفعل مفعولاً له ، وهذا لا يحتاج إلى حرفِ عطف ، ويجوز أن يقعَ المصدر موقعَه .

فإذا وقع أن والفعل بمنزلة المفعول ، ثم أوقعت المصدر موقعَه ، لم يكن بدٌّ من إدخال الواو عليه كما تدخل على غيره من المفعولات .

ثمّ قال سيبويه : « إلاّ أنهم زعموا أن ابن أبى إسحاق أجاز هذا البيت » ، وهو قوله : فإياك إياك المراء .. الخ

والشاهد فيه أنه أتى بالمراء وهو مفعول به ، بغير حرف عطف . وعند سيبويه أنّ نصب المراء بإضمار فعل ، لأنّه لم يعطف على إياك . وابن أبى إسحاق ينصبه ويجعله كأنْ والفعلِ ، وينصبه بالفعل الذى نصب إيَّاك ، وسيبويه يقدِّر فيه : اتّقِ المراء ، كما يقدر فعلا آخر ينصِب إيَّاك . وقال المازنى : لمّا كرّر إيّاك مرَّتين ، كانَ أحدُهما عوضاً من الواو . وعند المبّرد : المراء بتقدير أن تمارى ، كما تقول : إيّاك أن تمارى : أىْ مخافةَ أن تمارى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت نسبه أبو بكر محمد التاريخى فى طبقات النُّحاة — وكذلك ابن برّىّ فى حواشيه على دُرّة الغَوّاص الحريريّة ، وكذلك تلميذه ابن خلَف فى شرح شواهد سيبويه — للفضل بن عبد الرحمن القُرَشىّ ، يقوله لابنه[1] القاسم بن الفضل . قال ابن برّىّ : وقبل هذا البيت :

(١) ط : « لابن » ، صوابه فى ش .

(مَن ذا الذى يرجو الأباعدُ نفعَه إذا هو لم تصلُح عليه الأقاربُ)

والأباعد : فاعل يرجو . يريد : كيف يرجو الأجانبُ نفعَ رجل أقاربُه محرومون منه .

و (المراء) : مصدر ماريته أماريه مماراة ومراء : أى جادلته . ويقال ماريته أيضاً : إذا طعنتَ فى قوله ، تزييفاً للقول ، وتصغيراً للقائل . ولايكون المراء إلاّ اعتراضاً ، بخلاف الجدال : فإنّه يكون ابتداء، واعتراضاً . والجِدَال[١] مصدر جادل : إذا خاصم بما يشغَل عن ظُهور الحق ووضوح الصواب . كذا فى المصباح .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسّتون بعد المائة ، وهو من شواهد س[٢] .

١٦٧ (أخاكَ أخاكَ إنّ مَنْ لا أخاله كَساعٍ إلى الهَيْجا بغَير سِلاحِ)

على أن (أخاك) منصوب على الإغراء ، وهو مكرّر . يريد : الزم أخاك . غير أن هذا مما لا يحسنُ فيه إظهارُ الفعل عند التكرير ، ويحسن إذا لم يكرّر لأنهم إذا كرّروا وجعلوا أحدَ الاسمين كالفعل ، والاسمَ الآخرَ كالمفعول ، وكأنّهم جعلوا أخاك الأوّل بمنزلة الزم ، فلم يحسن أن تَدخُل الزمْ على ما قد جُعل بمنزلَة الزمْ .

وجملَة (إنّ من لا أخاله الخ) استئنافٌ بيانىّ . وأكّد لأنّه جواب عن السبب الخاص . ومَنْ : نكرة موصوفة بالجملة بعدَها ، وقيل : موصولة .

---

(١) ط : « والجدل » صوابه فى ش .

(٢) سيبويه ١ : ١٢٩ ونسبه الأعلم إلى إبراهيم بن هَرْمَة القرشى ، وإن كان البغدادى قد نسبه إلى مسكين الدارمى . وانظر العينى ٤ : ٣٠٥ والخصائص ٢ : ٤٨٠ والهمع ١ : ١٧٠/٢ : ١٢٥ .

٤٦٦ ولا : نافية للجنس ، وأخا : اسمُها ، واللام مقحَمة بين المتضايفين ، نحو قولهم : « يا بؤس للحرب » والخبر محذوف أى موجود ونحوُه .

قال ابن هشام فى المغنى : « ومن ذلك قولهم : لا أبا لزيد ، ولا أخا له ، ولا غلامَىْ له ؛ على قول سيبويه : إنّ اسمَ لا مضافٌ لما بعد اللام . وأمّا على قول مَنْ جعل اللامَ وما بعدها صفةً ، وجعلَ الاسمَ مشبَّها بالمضاف لأنّ الصفة من تمام الموصوف ، وعلى قولِ من جعلهما خبراً ، وجعل أبا وأخا على لغةِ مَن قال : إنّ أباها وأبا أباها ، وجعل حذف النون على وجه الشذوذ ؛ فاللام للاختصاص ، وهى متعلِّقة باستقرار محذوف . اهـ

وقوله : (كساع إلى الهيجا الخ) خبر إنّ يقول : استكثِرْ من الإخوان ، فهُم عُدَّة تستظهِرُ بها على الزمان ؛ كما قال النبي ﷺ : « المرء كثيرٌ بأخيه » . وجعلَ مَن لا أخا له يستظهِرُ به ، كمن قاتل عدوَّه ولا سلاح معه . وقد صدَق فإنَّ مَن قطع أخاه وصَرَمه ، كان بمنزلة مَن قاتل بغير سلاح .

وقد أورد هذا البيتَ أبو عُبيد القاسم بن سلاّم فى أمثاله وقال : « هو مثلٌ فى استغاثة الرجل بأهل الثقة » .

و (الهيجا) : الحرب ؛ تمد وتقصر . قال ابن خلف : وهى فَعْلاء أو فَعْلَى فمن قصرَها فيكون المحذوف منها ألفَ المدّ دون ألف التأنيث . وإنما كان حذف ألف المدّ أولىٰ من حذف ألف التأنيث لوجهين : أحدهما أنّ ألف التأنيث لمعنى ، وألف المدّ لغير معنى ؛ فكان حذفُ ما ليس لمعنى ، أولىٰ مما جاء لمعنى . والثانى : أن جميع ما قُصر ، مِما همزته للتأنيث ، لا ينصرف بعد القصر ؛ ولو كان المحذوف منه همزةَ التأنيث لانصرفَ الاسم ، لزوال علامة التأنيث ، كما صرفت قُريقرٍ وحُبَيِّر مصغرى قَرقَرىٰ وحُبارىٰ ، لزوال علامة التأنيث منه . ألا ترى قولَه :

يارُبَّ هَيجا هى خيرٌ منْ دَعَهْ

قصَره ولم يَصرِفه ؟ والقصر فيها ضرورة ، وقيل : هو لغة . ولو كان المحذوف منه ألفَ التأنيث لقال : يا رُبَّ هيجاً هو خير ، وكان ينوِّن هيجاً فيذكِّرها ويقول : هو خير ، ولا يقول : هى خير . اهـ .

صاحب الشاهد

وهذا البيت أول أبيات لمسكينٍ الدارِمىّ . وبعده :

أبيات الشاهد

(وإنّ ابنَ عمٍّ المرء فاعلمْ جَناحُهُ   وهل يَنهض البازى بغير جَناح
وما طالبُ الحاجات إلاّ معـذّباً   وما نال شيئاً طالبٌ لنجاحٍ !
لحا اللهُ مَنْ باع الصديقَ بغيره ،   وما كلُّ بيـع بعته برَباح !
كمفْسِدٍ أدناهُ ومُصلِح غيرِه   ولم يأتمر ، فى ذاك غيرُ صلاح ؟)

فى الأغانى وغيره : أن مسكيناً الدارمىّ لما قدم على معاوية أنشده :

إليكَ ، أميرَ المؤمنين ، رحلَتُها   تُثير القطا ليلاً وهُنَّ هُجُود
على الطائر الميمون والجَدّ صاعد[1]   لـكلِّ أُناسٍ طائرٌ وجُدود
إذا المِنبَرُ الغَربىُّ خلَّى مكانه[2]   فإنّ أميرَ المؤمنينَ يزيدُ

وسأله أن يفرض له ، فأبىٰ عليه — وكان لا يفرض إلاّ لليمَنَ — فخرج من عنده وهو يقول :

أخاكَ أخاكَ إنّ من لا أخا له   . . . . الأبيات

ولم يزل معاوية كذلك حتّي كثُرَت اليمنُ وعزّت قحطانُ وضعُفت عدْنان فبلغ معاويةَ أنّ رجلاً من اليمن قال : هممت أن لا أحل حَبوتى حتى أُخرِجَ كلَّ نزارىّ بالشام . ففرض من وقته لأربعةِ آلافِ رجل من قيس . فقدم

(١) فى النسختين : « ساعد » . صوابه من الشعراء ٥٢٩ والأغانى ١٨ : ٧٢ .
(٢) ط : « حل مكانه » ، صوابه فى ش والشعراء ، وفى الأغانى . « خلاه ربه » .

لذلك على معاوية عُطاردُ بن حاجب ، فقال له : ما فعل الفتى الدارمىّ الصبيحُ الوجه الفصيحُ اللسان — يعنى مِسكينا — فقال : صالحٌ يا أميرَ المؤمنين ؛ قال : أعلِمْه أنّى قد فرضت له ، فله شَرَف العَطاء[١] وهو فى بلاده ، فإنْ شاء [أن[٢]] يقيمَ بها أو عندنا فليفعل ، فإنّ عطاءه سيأتيه ، وبشّرْه بأنّى قد فرضتُ لأربعة آلافٍ من قومه . فكان معاويةُ يُغزى اليمنَ فى البحر وتميماً فى البَرّ ، فقال النَجاشىّ ، وهو شاعر اليمن[٣] :

ألا أيُّها الناس الذين تَجمَّعوا بعَكَّا ، أُناسٌ أنتمُ أم أباعر
أيَترك قيساً[٤] آمنين بدارهمْ ونَركبُ ظهر البحرِ والبحرُ زاخر
فوالله ، ما أدرى ؛ وإنّى لسائلٌ أهمْدانُ تحمى ضيمَها أم يُحابِر[٥]
أم الشرفُ الأعلىٰ من اولادِ حِمْيَر بنو مالك أنْ تَستمرَّ المرائرُ[٦]
أأوصىٰ أبوهم بينَهم أنْ تَواصَلوا وأوصىٰ أبوكم بينكم أنْ تَدابَروا؟!

فرجع القومُ جميعاً عن وَجهِهم ، فبلغ ذلك معاويةَ ، فسَكّن منهم ، وقال : أنا أُغزيكم فى البحر لأنّه أرفقُ من الخيل وأقلُّ مُؤونة ! وأنا أُعاقبكم فى البرّ والبحر[٧] . ففعَل ذلك .

---

(١) فى الأغانى ١٨ : ٧٠ : « قد فرضت له فى شرف العطاء » .
(٢) التكملة من الأغانى .
(٣) فى الأغانى : « فقال شاعر اليمن » . وبعد إنشاد الأبيات : « قال ويقال إن النجاشى قال هذه الأبيات .
(٤) الأغانى : « أتترك قيس » .
(٥) يحابر بن مالك بن أدد ، أبو مراد . ثم سميت القبيلة باسمه .
(٦) الأغانى : « إذ تستمر » .
(٧) المعاقبة هنا بمعنى المناوبة .

مسكين الدارمى

و (مسكين الدارمى) اسمه ربيعة بن عامر بن أُنيف بن شُريح بن عمرو ابن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارِم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم .

قال الكلبيّ : كلُّ عُدَس فى العرب بضم العين وفتح الدال ، إلاّ عدُسَ ابن زيد هذا ، فإنه مضموم الدال . هكذا فى جمهرة النسب .

ومسكين الدارمىّ شاعر شجاعٌ من أهل العراق ، ولقّبَ المسكينَ لقوله :

أنا مسكينٌ لمن أنكرنى ولمن يَعرفنى جِدٌّ نَطِقْ [(١)]

ولقوله :

وسمِّيتُ مِسكيناً ، وكانت لحاجة وإنّى لمسكين إلى اللهِ راغبُ [(٢)]

وهذه القصيدةُ من أحسن شعره :

اتَّقِ الأحمقَ أنْ تصحَبَه إنّما الأحمقُ كالثوب الخلَق

كلّما رقّعتَ منه جانباً حرّكته الريحُ وَهناً فانخرقْ

أو كصَدعٍ فى زجاجٍ فاحشٍ هل ترى صَدْعَ زُجاجٍ يتفّق !

وإذا جالستَه فى مجلس أفسد المجلس منه بالُخرُقْ

وإذا نَهنَهْتَهُ كى يرعوِى زادَ جهلاً وتمادىٰ فى الُحمُقْ

---

(١) الأغانى ١٨ : ٦٨ .

(٢) ورد فى هامش النسختين ما نصه : « كذا هذا البيت فى أكثر الدواوين والتواريخ ، وأنشدنيه شيخنا الإمام ابن الشاذلى غير مرة :

وسميت مسكينا ومابى حاجة وإنى لمسكين إلى الله راغبا .

وقال لى : هكذا الرواية فيه والله أعلم . اهـ ابن الطيب » .

قلت : والذى فى الشعراء ٥٢٩ وأمالى المرتضى ١ : ٤٧٣ والأغانى ١٨ : ٦٨ : « وكانت لجاجة » بجيمين .

وإذا الفاحشُ لاقى فاحشاً فهنا كُمْ وافَق الشنُّ الطَبَقْ

إنما الفُحْشُ ومن يَعتادُه كغُرابِ السَّوء ما شاء نعَقْ

أو حِمارِ السَّوءِ إن أشبعته رمَح النـاسَ وإن جاع نَهَقْ

أو غُلامِ السَّوءِ إن جوَّعتَه سَرق الجارَ وإن يَشبَع فسَقْ

أو كغَيرَىٰ رفَعت من ذيلها ثم أرختهُ ضراطاً[1] فانمزقْ

أيُّها السائلُ عمّا قد مضى[2] هل جديدٌ مثلُ ملبوسٍ خَلَقْ

أنا مسكينٌ لمن أنكَرنى ولمن يَعرفُني جدٌّ نطِـقْ

لا أَبيع الناسَ عِرضى ، إنّني لو أبيعُ النـاسَ عرضى لنفَقْ

ومن شعره يرثى ابن سُميَّة[3] :

رأيتُ زِيادةَ الإسلام ولّتْ جِهاراً حين ودعنا زيادُ

وردَّ عليه الفرزدق بقوله :

أمسكينُ ، أبكى اللهُ عينَك ، إنّما جرىٰ فى ضلالٍ دمعُها إذْ تحدَّرا

بكيتَ امْرأً من أهل مَيسانَ كافراً ككسرىٰ على عِدّانه[4] أو كقَيصرا

أقول لهم ، لمـا أتانى نعيُّهُ : بهِ لا بظبى بالصَّريمة أعفَرا

قال الزمخشريّ فى أمثاله : « به لا بِظَبي ، مثلٌ : أى جعلَ اللهُ ما أصابه

(١) كذا . والصواب : « ضرار » كما فى الشعراء ٥٣٠ .

(٢) فى الشعراء : « عمن قد مضى » .

(٣) يعنى زياد ابن أبيه . وسمية أمه .

(٤) فى النسختين : « على أعدائه » والتصحيح للشنقيطى فى نسخته مطابقا بذلك مافى اللسان (عدد) والأغانى ١٨ : ٦٨ . وفى معجم ياقوت : « على علاته » تحريف . والعدان : الزمان والعهد .

لازماً مؤثِّرا فيه ، ولا كان مثلَ الظبى فى سلامته منه . يُضرَبُ فى الشماتة » .
وأنشد هذا البيتَ .

ثمّ رأيت المَيدانىّ قال : « الأعفر : الأبيض . أى لِتنزلْ به الحادثةُ لا بظبى . يُضْرَب عند الشماتة . قال جريرٌ حين نعى إليه زيادُ ابنُ أبيه . . »
وأنشد هذا البيت ، وقال : ومثله .

* بِهِ لا بكلبٍ نابحٍ فى السَّباسبِ *

ومن شعر مسكين :

اِصحب الأخيارَ وارغبْ فيهمُ ربَّ مَن صَحِبتَه مثل الجربْ
واصدُق الناسَ إذا حدَّثتَهمْ ودعِ الكِذْبَ لمن شاء كَذَبْ
ربَّ مهزولٍ سمينٌ عِرضُه وسمينِ الجسم مهزولُ الحسَبْ

ومن شِعره الجيّدِ مما أثبته السيِّد المرتضىٰ علم الهُدىٰ فى أماليه الدرر والغرر :

إن أدعَ مِسكيناً فما قصرَتْ قِدرى بيوتُ الحىِّ والجُدْرُ
ما مسَّ رَحْلى العنكبوتُ ولا جَدَياتُه من وَضعِه غُبْرُ[1]
لا آخذ الصِبيانَ ألثَمهُمْ والأمرُ قد يُغزَىٰ به الأمر
ولربَّ أمرٍ قد تركتُ ، وما بينى وبين لقائه سِترُ
ومُخاصِمٍ قاومتُ فى كَبَدٍ مثلِ الدِّهان فكان لى العذر
ما علّتى[2] قومى بنو عُدُسٍ وهمُ الملوكُ وخالى البِشر

(١) ط : « رجلى » ، صوابه فى ش وأمالى المرتضى .
(٢) المرتضى : « ماعابنى » .

عمِّى زُرارةَ غـير منتحَل وأبى الذى حدَّثته عمرو
فى المجد غُرتُنـا مبيَّنة للناظرين كأنَّها البـدرُ
لا يرهبُ الجيرانُ غدرَتنا حتّى يوارىَ ذكرَنا القبرُ
لَسنا كأقوامٍ إذا كلَحت إحدى السنينَ فجارُهم تمر
مولاهُمُ لحـمٌ على وَضَم تنتابُه العِقبـانُ والنَّسْر
نارى ونارُ الجارِ واحدةٌ وإليه قَبْلى تُنزَل القِـدر
ما ضرَّ جارىَ أنْ أُجاوره[1] أن لا يـكونَ لبيته سترُ
أعشَىْ إذا ما جارَتى خرجتْ حتّي يَوارىَ جارتى الخِدرُ[2]
وَيَصمُّ عما كان بينهما سمعى، وما بى غيرَه وَقرُ[3]

٤٦٩

قوله : فما قصَرت قدرى الخ ، أى سُترت . يريد : أنَّها بارزةٌ لا يحجبها السَّواترِ والحيطان . وقوله : ما مسَّ رَحْلي العنـكبوت الخ ، هذه كناية مَليحة عن مواصَلة السيَر وهجر الوطَن ؛ لأنَّ العنـكبوتَ إنّما ينسِجُ[4] على مالا تناله الأيدى ولا يكثر استعماله . والجدَيات : جمع جَدْية بالسكون ، وهى باطن دفّة الرَّحل . وقوله : لا آخذُ الصِبْيان الخ ، يقول : لا أُقبلِّ الصبيَّ وأنا أريدُ التعرُّض لأمّه . ومثله لغيره :

ولا أُلقى لِذى الودَعات سَوطى أُلاعِبـه وريبَته أُريد

(١) المرتضى : « إذ أجاوره » .
(٢) المرتضى : « أعمى إذا ما جارتى » .
(٣) التفسير التالى من أمالى المرتضى بنصه ، وإن لم ينص البغدادى عليه .
(٤) المرتضى : « تنسج » وفى اللسان : « الفراء : والعنـكبوت أنثى ، وقد يذكرها بعض العرب . وأنشد قوله :
على هطالهم منهم بيوت كأن العنـكبوت قـد ابتناها »

وأنشد ابنُ الأعرابيّ فى مثله :

إذا رأيتَ صبيَّ القوم يَلْثَمه   ضخمُ المناكب لا عمٌّ ولا خالُ
فاحفظْ صبيّك منه أن يدنّسَه   ولا يغرّنْك يوماً قلةُ المـال

وقوله : قاومت فى كَبَد الخ ، الـكبد : المزَلّة التى لا تثبت فيها الأرجُل . والدِهان : الأديم الأحمر . وقوله : فـكان لى العذر ، إنما يكون العذر إذا كان ثَمَّ ظُلم ؛ فيقول : إنما أقاوم وأخاصم مظلوماً متعدًّى عليه ؛ وإذا كان كذلك ، فيجب الاعتذار على الظالم ويكون العذر لى ، كقوله :

فإن كان سحراً فاعذريني على الهَوىٰ   وإن كان داء غيرَهُ فلَكِ العذرُ

وقوله : فجارهم تمر ، أى يُستحلىٰ الغدر به كما يُستحليٰ التمر . وقوله : نارى ونار الجار واحدةٌ الخ ، يقال : إنه كانت له امرأة تماضةٌ[1] ؛ فلما قال ذلك قالت له : أجلْ ، إنّما ناره ونارك واحدة لأنّه أوقد ولم توقِد ، والقدر تُنزل إليه قبلك ، لأنّه طَبخ ولم تطبخ وأنت تستطعمه . . وقوله : أن لا يكون لبيته سِتر ، يقال : إنّها قالت له : أجلْ ، إن كان له ستر هتـكتَه !

وقوله : أعشى إذا ما جارتى خرجت ، استشهد به فى التفسير عند قراءة (ومَنْ يَعْشَ عَنْ ذِكْرِ الرحمن[2]) بفتح الشين ، ولأجله أوردتُ هذه القصيدةَ ، فإن شُرَّاح شواهد التفسير اختلفوا فى هذا البيت : فبعضهم نسبه إلى حاتِم الطائىّ ، وبعضهم نسبه إلى غيره . قال صاحب الـكشّاف : ومن يَعْش بضم الشين وفتحها ؛ والفرق بينهما : أنّه إذا حصَلت الآفةُ فى بصره قيل:

---

(١) ماضه مماضة ومضاضاً : لاحاه ولاجه . وفى أمالى المرتضى : « تماظه » ، بالظاء ، وهما بمعنى .

(٢) الآية ٣٦ من الزخرف . وقراءة « يعشَ » بفتح الشين هى قراءة يحيى بن سلام والحسن البصرى ، كما فى تفسير أبى حيان ٨ : ١٥ — ١٦ .

عشِىَ ، وإذا نظر نظر العُشْى ولا آفة به قيل : عَشَا . ونظيره عرِج لمن به الآفة ، وعرَج لمن مشىٰ مشية العُرْجان من غير عرَج ، قال الحطيئة :

* متىٰ تأتِه تعشُو إلىٰ ضَوء ناره[1] *

أى تنظر إليها نظرَ العُشْى ؛ لمـا يُضعِف بصرَك من عِظم الوَقود ، واتساع الضَّوء . وهو بيِّنٌ فى قول حاتم :

أعشُو إذا ما جارتى برزَتْ حتّي يوارىَ جارتى الخِدْرُ

وقرئ « يَعشُو[2] » . ومعنى القراءة بالفتح : ومَن يَعْمَ عن ذكر الرحمن ، وهو القرآن . وأما القراءة بالضمّ فمعناها : ومن يتعامَ عن ذكره ، أى يعرف أنه الحقّ وهو يتجاهل ويتغابىَ . اهـ مختصراً .

٤٧٠

* * *

باب المفعول فيه

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والستّون بعد المـائة ، وهو من شواهد س[3] .

١٦٨ (فلأَ بغِيَنَّـكُمُ قنًا وعُوارِضاً ولأُقبِلَنَّ الخيلَ لابَةَ ضَرْغَدِ)

على أن (قناً وعُوارضا) منصوبان على إسقاط حرف الجرّ ضرورة ، لأنّهما مكانان مختصّان ، لاينتصبان انتصابَ الظرف . وهما بمنزلة ذهبتُ الشامَ فى الشذوذ .

(١) تمامه كما فى الديوان ٢٥ :

* تجد خيرنار عندها خير موقد *

(٢) هى قراءة زيد بن على ، كما فى تفسير أبى حيان ٨ : ١٦ .

(٣) فى كتابه ١ : ٨٢ ، ١٠٩ بولاق . وانظر ديوان عامر بن الطفيل ١٤٤ وأمالى ابن الشجرى ٢٤٨ .

أو عَدَ أعداءه بتتبعهم ، والإيقاع بهم حيث حلُّو فى المواضع المنيعة . ومعنى لأبغينّكم : لأطلبنّكم . والبغى له معنيان : أحدهما الطلب ، يقال : بغيت الضالّة . فهو متعدّ إلىٰ مفعول واحد . والآخَر الظلم والتعدّى ، يتعدىٰ بعلىٰ ، يقال : بغىٰ فلانٌ على فلان . فهو فعل لازم .

و (قناً) قال أبو عُبيد البكرىّ فى معجم ما استعجم : هو بفتح القاف وبعده نون ، وهو اسم مقصور يكتب بالألف ، لأنّه يقال فى تثنيته : قنوانِ ؛ هو جبلٌ فى ديار بنى ذُبيان ، قال النابغة[1] :

فإمَّا تُنكِرِى نسبي فإنّى من الصُّهب السِّبالِ بنى ضِبابِ

فإنَّ منازلى وبلادَ قومى جُنوبُ قناً هنالِكِ كالهِضابِ[2]

وقال أبو عمرو الشيبانى : قَناً ببلادى بنى مُرّة ، وقال الشّمّاخ :

تَرَبَّعَ من جَنبَيْ قَناً فعَوارِضٍ نِتاجَ الثُّريَّا نوءها غير مُخدِجِ[3]

وينبئك أنّ قناً جبلانِ ، قولُ الطِرِمّاح :

تحالَفَ يَشْكُرُ واللؤمُ قِدْماً كما جَبلا قَناً متحالفانِ

ولكونه اسم جَبَلين يثنّىٰ فيقال : قَنَوين ، قال الشّمّاخ :

كأنَّها وقد بدا عُوارِضُ والليلُ بينَ قَنَوَين رابضُ

بجَلْهَةِ الوادى قَطاً نَواهضُ

وبما ذكرنا لا يُلتفت إلى قول ابن القوطيّة ، كما نقله أبو حيّان

(١) البيتان ليسا فى ديوانه . وانظر معجم ما استعجم ١٠٩٦ .

(٢) فى معجم ما استعجم : « هنالك فالهضاب » .

(٣) ش : « فتاج الثريا » صوابه فى ط والديوان ١٣ وروايته فيه :

تربع من حوض قنانا ونادقا نتاج الثريا حملها غير مخدج

نتاج الثريا ما ينبته مطرها . وحملها : ماؤها . غير مخدج : غير ناقص .

فى تذكرته : لا أعرف قَنًا فى الأمكنة ، وإنما هو قَبًا بالموحدة ، وليس قُبا المدينة ولا قُبا بطريق مكّة ، هذان يذكَّران ويؤنّثان ، وذلك يذكّر لا غيره ومن ذكّره قصَره وصرفه ، ومن أنّثه مدّه ولم يصرفه اهـ

وأقول : لم يذكُر أحدٌ ممّن ألّف فى المقصور والممدود ، أن قنا يمدّ .

وروى ابنُ الأنبارىّ فى المفضّليات :

* فلأُنْعِينّـكُم المَلا وعُوارِضا *

والمَلا بالفتح : من أرض كلب . وأنعينّـكم من النَّعى ، بالنون ، أى لأذكرنّ معايبكم وقبيحَ أفعالِـكم . يقال : فلان ينعىٰ على فلان ذنوبَه : أى يذكرها ويَصِفها . وروىٰ الجِرمازىّ : « فلأُ بغينّـكُم الملا » من البَغْى ، وهو الطلب . ولم يقع فى رواية ابن الأنبارىّ : قنا ، بدلَ الملا .

٤٧١

و (عُوارِض) بضم العين المهملة وكسر الراء وبعدها ضاد معجمة : جبل لبنى أسد ، وقال أبورياش : هو جبل فى بلاد طَيّئ ، وعليه قبر حاتم . وهذا هو الصحيح . كذا فى معجم ما استعجم . و (اللابة) : الحَرّة بالفتح ، وهى أرض ذات حجارة [سُودٍ[1]] . و (ضرْغَد) بفتح الضـاد والغين وسكون الراء ، قال أبو عُبيد البـكرىّ : هى أرض لهذيل وبنى غاضرة وبنى عامر ابن صعصعة ، وقيل هى حرّة بأرض غطَفان من العالية ، وقال الخليل : ضرغد : اسم جبل ، ويقال : موضع ماء ونخل اهـ . وقال أبو محمد الأعرابى ضرغد من مياه بنى مُرّة .

وقوله : ولأُقبلنّ الخيلَ ، هكذا رواه سيبويه . وفيه قولان :

---

(١) قيد للحجارة ، وبدونه لا يتحقق معنى الحرة ، ولعلها سقطت من النساخ .

(أحدها) لأبى علىّ الفارسىّ ، وهو أنّه فعل لازمٌ يتعدَّى بحرف الجرّ ، والأصلُ لأُقبِلَنَّ بالخيل إلى لابة ضَرغد . كذا حكاه عنه أبو البقاء فى شرح الإيضاح للفارسىّ ، وابنُ خلف فى شرح أبيات سيبويه ، والسَّخَاوىُّ فى سِفر السعادة [١] قال : لأنّ أقبلَ فعلٌ غير متعدّ كقوله تعالى : (فأقْبَلَ بَعْضُهُمْ علىٰ بَعْضٍ [٢]) وتقول : أقبلت بوجهى عليه ؛ فأجاز هنا حذفَ حَرْفَىْ جرٍّ فى فعل واحد . وهذا تعسُّف ، مع أنّه منَع حذْفَ علىٰ ، من قولهم : كررت على مِسْمَعى ، وهو حرفٌ واحد .

والقول (الثانى) للعبدَرىّ شارحِ الإيضاح ، وهو أنّ أقبل هنا متعدّ بمعنى جَعَلَ مقابِلا ، وليس ضدّ أدبر . والمعنى : لأجعلنّ الخيلَ تقابِل ؛ فهو متعدّ إلى مفعولين . وهذا هو المعروف فى اللغة ، فإنّ قَبَل بدون همزة يتعدّى إلى مفعول واحد بمعنى استقبل ، وأقبل بالهمز يتعدَّىٰ إلى مفعولين قال أبو زيد فى نوادره : قَبَلَت الماشيةُ الوادى تقبُله قُبولاً ؛ إذا استقبلَتْه ، وأقبلْتها إيّاه . وقال صاحب الصحاح : وأقبلْته الشىء : أى جعلته يَلِى قبالته ؛ وأقبلتُ الإبلَ أفواهَ الوادى . وحكى السخاوىّ فى سِفر السعادة عن شيخه الإمام الشاطبيّ : أقبلته الرُمح : إذا جعلته قِبَله . وقال أبو حيّان فى تذكرته : ما نقله أبو زيد نقله الهجرىّ أيضاً فى نوادره ، وفى الحديث : أن حكيم بن حِزام كان يشترى العِير من الطعام والإدام ثم يُقبِلُها الشِّعبَ . وأنشد الشَّيبانىّ :

أكلِّفها هَواجرَ حاميـاتٍ وأُقبِلُ وجهَها الريحَ القَبولا اهـ

وروىٰ غير سيبويه ، منهم ابن الأنبارىّ فى شرح المفضليات :

---

(١) منه نسخة فى دار الكتب المصرية بخط البغدادى (برقم ٧٨ مجاميع م) كتبها سنة ١٠٧٤ ومعها كتاب فرحة الأديب للأسود الغندجانى بخط البغدادى أيضاً .

(٢) الآية ٥٠ من الصافات ، و ٣٠ من القلم .

* ولأهبطنّ الخيلَ لابةَ ضرغد *

قال : وروى أيضاً : « ولأوردنّ الخيل » .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ عدّتها ثلاثةَ عشَر بيتاً لعامر بن الطُّفيل العامرى . قال أبو محمد الأعرابى : قالها عامر يوم الرقم ، يوم هزمتهم بنو مُرّة ففرَّ عامر ، واختنق أخوه الحكم بن الطفيل . وفى ذلك اليوم قَتَل عُقبة بن أُنيس الأشْجَعىّ مائةً وخمسين رجلاً من بنى عامر ، أدخلهم شِعبَ الرَّقَم فذبحهم . فسمِّى عقبة ذلك اليوم مُذَبِّحاً . والمخاطَب بشعر عامرٍ بنو مُرّةَ وفَزارة . وقنا وعُوارض : جبلان من بلاد بنى فزارة . . وأوّلها :

٤٧٢

(ولتَسألنْ أسماء وهى حَفيَّـةٌ نُصَحاءها : أطُرِدْتُ أم لم أُطرَدِ)

قصيدة الشاهد

قال ابن الأنبارى : أسماء بنت قُدامة بن سكين الفَزارىّ ، قال أبو محمد الأعرابىّ : كان يهواها عامرٌ ويشبِّب بها فى شعره ، وكان قد فَجَر بها . انتهى . ونصَحاء : جمع نَصيح . وروىٰ شارحُ ديوانه : (فُصَحاءها) بالفاء ، قال : هو جمع فصيح . وطُردتُ ، بالبناء للمفعول والتّكلُّم .

(قالوا لها : فلقـد طَرَدْنا خيـلَه قَلَحَ الكلابِ . وكنتُ غير مُطَرَّدِ)

قَلَحَ منصوبٌ على الذمّ ؛ والقلَح : صفرة تعـلو الأسنانَ ، شبّه عامر بنى فَزارة بها . وجملة وكنتُ إلى آخره حال .

(لا ضَيرَ ، قدْ عَركتْ بمرّةَ بَرْكَها وتركْنَ أشجَعَ مثلَ خُشْبِ الغرْقَدِ)

هذا البيت لم يروه المفضّل فى المفضّليّات ولا شرّاحُها . قال شارح الديوان[1] : يقال للصَّدر : بَرْك بالفتح ، وبِركة بالـكسر . وأشجَع قبيلة . والغرقد : شجَر .

---

(١) ذكر الميمنى انه الأنبارى .

(فلأبغينّكم قنًا وعُوارِضا . . . . البيت)

هذا التفاتٌ من الغَيبة إلى التكلّم . خاطَبَ بنى فَزارة .

(بالخيل تعثُر فى القَصِيدِ كأنّها حِدَأٌ تتَابَعُ فى الطريق الأقصَدِ)

القَصيد : كِسَر القنا ، جمع قَصِيدة . والحِدَأ كعنب : جمع حِدَأة كعنبة ، وهى طائر معروف . وبالخيل : متعلّق بأقْبِلنّ فى البيت قبلَه . وجملة تعثُر حالٌ من الخيل .

(فى ناشئٍ من عامرٍ ومجرِّبٍ ماضٍ إذا سقط العِنانُ من اليدِ)

لم يرْوِ هذا البيت أيضاً صاحب المفضليات[1] . قال شارح الديوان : الناشئ الحدث حين نشأ . وقوله : سقط العنان ، أى لشدة الجَهْد .

(ولأثأرَنَّ بمالكٍ وبمالكٍ وأخى المرورَاةِ الذى لم يُسنَدِ)

معطوف على قوله : فلأبغينكم . يقول : لأدركنّ بثأر مالك ومالك ، أى لأقتُلَنَّ بهما . والمروراة بالفتح : موضعٌ بظهر الكوفة ؛ وقال البكرىّ فى المعجم : هو جبلٌ لأشجَع . وقوله لم يسند : أى لم يُدفَن ولكنْ ترِك للسباع تأكلُه .

(وقتيلُ مُرَّةَ أثأَرَنَّ فإنّه فرْغٌ وإنّ أخاهُمُ لم يُقصَدِ)

قتيل يروى بالحركات الثلاث : بالجر عطفاً على ما قبله أو الواو للقسم ، وبالرفع على المبتدأ والخبر أثأرن ، وبالنصب على أنه مفعول لفعل محذوف يدل عليه أثأرن . وليس مفعولَ أثارن المذكور ، لأنَّ الفعل المؤكَّد لا يتقدَّم معموله عليه . ومُرّة : قبيلة . وأثأرنَّ ، توكيدُه يأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى

(١) ط : « لصاحب المفضليات » ، صوابه فى ش . وذكر الميمنى أن البيت لم يرد فى ديوانه ، وإنما هو عند السيوطى ٢١٦ عن شرح أبيات الإيضاح .

فى أدوات القسم[1] وفِرغ روى بكسر الفاء والغين المعجمة بمعنى الهَدَر ؛ وروى بفتحها مع العين المهملة . أراد أنه رأسٌ عالٍ فى الشَّرف . ولم يُقصَد : لم يقتل ؛ يقال : أقصدت الرجل : إذا قتلته . يقول : قتيلُ بنى مُرّةَ صار دمُه هدَراً ، فلا بد من أخذ ثأرِه منهم ، فإنَّ أخا بنى مرة لم يُقتل إلى الآن ؛ فلا بدَّ من قتلهم وأخذ الثأر منهم .

٤٧٣

وبقيّةُ الأبيات لا حاجةَ لَنا بها .

عامر ابن الطفيل

و (عامر بن الطُفَيل) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرىّ . وهو ابن عمٍّ لبيدٍ الصحابىّ . وكنية عامر فى الحرب أبو عَقيل ، وفى السِّلْم أبو علىّ . وكانت أصيبت إحدى عينيه فى بعض الحروب .

قال ابن الأنبارىّ فى شرح المفضّليّات : كان عامرٌ من أشهر فُرْسان العربِ ، بأساً ونجدة ، وأبعدِها اسماً ؛ حتّى بلغَ أنّ قيصرَ كان إذا قدِم عليه قادمٌ من العرب قال : ما بينَك وبينَ عامر بن الطفيل ؟ فإن ذَكر نسباً عظُم عندَه ؛ حتّى وفد عليه عَلقمة بن عُلاثة فانتسب له . فقال : ابنُ عمٍّ عامرِ ابن الطُفيل ؟ فغضب علقمةُ ، وكان ذلك ممّا أوغر صدرَه وهيّجه إلى أن دعاه إلى المنافرة . وكان عمرو بن معْد يكرِبَ — وهو فارسُ اليَمَن — يقول : ما أُبالى أىَّ ظعينةٍ لقيتُ على ماءٍ من أمْواه معَدّ ، ما لم يلْقَني دونَها عبْداها أو حُرَّاها ! ويعنى بالحرَّينِ : عامرَ بنَ الطُّفيل ، وعُتيبةَ بن الحارث بن شهاب اليربوعىّ ؛ وعنيَ بالعبدين : عنترةَ العَبْسىَّ والسُّلَيكَ بنَ السُّلَكة . قال الأثرم : ويقال : كانت المنافرة أنّ علقمةَ بن عُلاثة شَرِب الخمر ، فضربه عمرُ الحدَّ ، فلحق بالروم فارتدّ ؛ فلمّا دخل على ملك الروم قال : انتسبْ .

---

(١) فى الشاهد الثانى عشر بعد الثمانمائة .

فانتسب له علقمة . فقال : أنت ابنُ عمٍّ عامرِ بن الطُفيل ؟ فقال : ألا أُرانى لا أُعرفُ ها هنا إلاّ بعامر ؟ ! فغضِب فرجَع فأسلم (وتقـدم بيان المنافرة فى الشاهد السادس والعشرين[1]) .

ولمّـا قدمت وفودُ العرب على رسول الله ﷺ فى سنة تسعٍ من الهجرة ، قدم وفدُ بنى عامر ، فيهم عامرُ بن الطفيل ، وأَرْبَدُ بن قيسٍ أخو لبيدٍ الصحابىّ لأمّه — وكانا رئيسَى القوم ومن شياطينهم — فقدم عامر بن الطفيل عدوُّ الله على رسول الله ﷺ وهو يريد الغدرَ به ؛ وقد قال له قومه : ياعامر ، إنّ الناس قد أسلموا فأَسلِمْ .قال : واللهِ لقد كنتُ آليت أنْ لا أنتهى حتى تتبع العرب عَقبِي[2] فأنا أتّبع عقِب هذا الفتىٰ من قريش ! ثم قال لأربَدَ : إذا قدِمنا على الرجل فإنى شاغلٌ عنك وَجهَه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُهُ بالسيف ، فلمّا قدِما على رسول الله ﷺ وجعل يكلّمه وينتظر منْ أربَدَ ما كان أمره به ، فجعل أربدُ لايُحِير شيئاً ، فلمّا رأىٰ عامرٌ ما يصنعُ أربدُ قال له عامر : أتجعلُ لى نصفَ ثِمار المدينة ، وتجعلنى ولىَّ الأمر من بعدكَ وأسْلِم[3] ؟ فأبىٰ عليه صلى الله عليه وسلم ، فانصرف عامرٌ وقال : أمَا والله لأملأنَّها عليك خيلاً ورجالاً . فلمّا ولّى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهمّ اكفِنى عامرَ بنَ الطفيل . فلمّا خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأربد : ويلكَ يا أربدُ : أينَ ما كنتُ أمرتُكَ به ! والله ما كان على ظَهر الأرض رجلٌ أخوفُ عندى علىَّ منك ! وآيمُ اللهِ لا أخافُك بعدَ اليوم أبداً . قال : لا أبالَك ! لا تعجَل علىّ ! واللهِ ما هممتُ بالذى أمرتَنِي به من أمره إلاّ دَخلتَ بينى وبين الرجل حتّي

(١) فى الجزء الأول من الخزانة ص ١٨٣ وما بعدها

(٢) ط : « عن تتبع العرب عقبي » ، صوابه فى ش والسيرة ٩٣٩ .

(٣) ط : « وتجعلنى ولى الأرض بعدك فأسلم » ، صوابه فى ش.

ما أرىٰ غيرَك ، أفأضربُك بالسَّيف ؟ ! وخرجا[١] راجعين إلى بلادهم ، حتّي إذا كانوا ببعض الطريق ، بَعث اللهُ على عامر بن الطفيل الطّاعونَ في عنقه ، فقتله الله في بيت امرأةٍ من بني سَلُولَ فجعل يقول : « يا بني عامر ! أغُدَّةً كغُدّة البَكر في بيت امرأةٍ من بني سَلول[٢] ! » ثم خرج أصحابُه حين وارَوه الترابَ ، حتّي قدِموا أرضَ بني عامر ، فقالوا : ما وراءكَ يا أربد ؟ قال : لاشيء ، واللهِ لقد دعانا إلى عبادة شيءٍ لَوددْتُ أنّه عندي الآنَ فأرميَه بالنَّبْلِ حتّى أقتلَه . فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين ، معه جملٌ له يبيعه ، فأرسلَ اللهُ عليه وعلى جَمَله صاعقةً فأحرقتهما . ٤٧٤

وروىٰ ابنُ الأنباريّ في شرح المفضّليّات : لمّا مات عامرٌ نصبت بنو عامرٍ أنصاباً[٣] ، ميلاً في مِيل حِمًى على قبره ، لا تُنْشَر فيه راعيةٌ ، ولا يُرعىٰ ، ولا يسلُكه راكبٌ ولا ماشٍ ، وكان جبّار بن سَلْمىٰ بن عامر بن مالك غائبا ، فلمّا قدم قال : ما هذه الأنصاب ؟ قالوا : نصبناها حِمًى على قبر عامر . فقال : ضيّقتم على أبي عليّ ، إنَّ أبا عليّ بانَ من الناس بثلاث : كان لايعطَش حتّي يعطَش الجملُ ، وكان لا يضلُّ حتى يضلَّ النجم ، وكان لا يَجبُن حتّي يجبُنَ السيل !

ولعامرٍ وقائعُ في مَذحِج وخَثعم وغطَفان وسائرِ العرب .

* * *

(١) في السيرة ٩٤٠ : « وخرجوا » .

(٢) قال ابن هشام : « ويقال أغدة كغدة الإبل وموتا في بيت سلولية » .

قال الميمني : وهو مثل عند الميداني ٢ : ٣ والعسكري ٢٦ وثمار القلوب ٣٨٢ والنويري ٣ : ٤٢ واللآلي ٧١ .

(٣) الأنصاب : جمع نُصُب ، بضمتين ، وهي كل ماعبد من دون الله . ط « نصابا » صوابه في ش وابن الأنباري ٧٠٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستّون بعد المائة ، وهو من شواهدس[١] :

١٦٩ (لَدْنٌ بِهزِّ الكفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فيهِ كما عَسَلَ الطريقَ الثعْلبُ)

على أنّ حذفَ حرف الجرّ من (الطريق) شاذّ . والأصلُ : كما عسل فى الطريق الثعلبُ .

قال ابن هشام فى المغنى : « وقول ابن الطَّرَاوة : إنّه ظرفٌ ، مردودٌ بأنّه غير مبهَم . وقوله : إنّه اسم لكلِّ ما يقبل الاستطراقَ فهو مبهَمٌ لصلاحيَتِه لكلِّ موضع ، منازعٌ فيه ؛ بل هو اسمٌ لما هو مستطرَق . انتهى

وقال الأعلم : استشهد به سيبويه على وصول الفعل إلى الطريق ، وهو اسمٌ خاصّ للموضع المستطرَق ، بغير واسطةِ حرفِ جرٍّ تشبيهاً بالمكان ، لأنّ الطريق مكان . وهو نحوُ قول العرب : ذهبتُ الشامَ . إلاّ أنّ الطريق أقربُ إلى الإبهام من الشام ، لأنّ الطريق تكون فى كلِّ موضعٍ يُسارُ فيه ، وليس الشام كذلك .

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ من قصيدة طويلة عدّتُها اثنان وخمسون بيتاً ، لساعدةَ ابنِ جؤيّة الهُذلىّ . وقبل بيت الشاهد هذه الأبيات :

أبيات الشاهد

(فتعاوَرُوا ضَرْباً ، وأُشْرِعَ بينَهم أَسَلاتُ ما صاغَ القُيونُ ورَكَّبوا
مِن كلِّ أسحَمَ ذابلٍ ، لا ضَرَّهُ قِصَرٌ ، ولا رَاشُ الكُعوبِ مُعَلَّبُ
خِرْقٍ من الخَطّىّ أُغمِضَ حدُّه مِثْلِ الشِّهابِ رَفعتَه يتلهَّبُ
مما يُتَرَّصُ فى الثِّقاف يَزينُه أخْذَى كخافيةِ العقاب مُحَرَّبُ

(١) فى كتابه ١ : ١٦ ، ١٠٩ . وانظر الخصائص ٣ : ٣١٩ وابن الشجرى ١ : ٤٢ / ٢ : ٢٤٨ وشرح شواهد المغنى ٥ ، ٢٩٩ والأشمونى ٢ : ٩١ ، ٩٧ والتصريح ١ : ٣١٢ وديوان الهذليين ١ : ١٩٠ وشرح أشعار الهذليين ١١٢٠ .

لدن بهزّ الكفّ يعسل متنُه . . . . البيت)

التعاوُر : التداوُل بالطَّعن وغيره . والضَّبْر بفتح المعجمة وسكون الموحَّدة : مصدر ضَبَر : إذا وثَب ، والضَّبْر : الجماعة أيضا . ورُوى موضعَه : (ضَرباً) . وأشرعْت الرمحَ : أى أملته . والأسَلات : الرِماح . والقُيون : جمع قَين ، وهو الحدّاد . وأراد : بما صاغ القيونُ الأسِنّةَ . وقوله : مِن كلِّ أسحم : أى أسوَد . وروى بدله : (أسمر) . وكذلك رُوى : (أظمَى) وهو بمعناه . وأراد به الرُّمح . وذابل : قد جفّ وفيه لِين . يقول : ليس به قصرٌ فيضرُّه ولا ضعفٌ فينثنى . فى الصحاح : « ورمح راشٌ أى خوّار . وناقة راشَة : ضعيفة » . وهو من مادة الريش . وهو خبر مبتدإٍ محذوف : أى ولا هو راشُ الكعوبِ ومُعَلَّب : خبرٌ بعد خبر . والمعلَّب : اسم مفعول من علّبت الشىء : إذا شددته وحزَمته بعِلْباء البعير ، والعلباء بالكسر والمدّ : عصَب العنق . وقوله : خرْقٍ من الخطِّىّ ، هو بكسر الخاء وسكون الراء وبالجر : صفة لأسحمَ ذابلٍ . قال السكرىّ فى شرح أشعار هذيل : « يعنى بالخِرق الرُّمحَ ؛ ضربهُ مثلاً . يقول : هو فى الرماح مثلُ الخِرْق فى الفتيان . والخِرق : الذى فيصرّف فى الأمور ويتخرّق فيها . وأُغمِض حدُّه : يعنى أُلطِف ورُقِّق حدُّ السنان . والشِّهاب : السِراج ، شبَّه السنانَ به ؛ عن غير أبى نصر . وقال الأخفش : خرِق : ماضٍ . وروى بعضُهم .

٤٧٥

* خَرِق من الخطّىّ أُلزم لَهْذَماً *

والخَرِق ، أى بفتح فكسر : الطويل . واللهذم : الحديد القاطع » انتهى.

وقوله : مثلِ الشهاب بالجرّ : صفةُ أخرى . وقوله : مماّ يُترّصُ الخ ، يعنى هذا الرمحُ مماّ يُترَّص أى يُحكَم ؛ فى الصحاح : أترصتُه وترصته : أى أحكمته

وقوّمته ، فهو مُتَرَّص وتَرِيص . وهو بالتاء المثناة والراء والصاد المهملتين . والثِّقافُ بالكسر : الخشبة التى يقُوَّم بها الرمح . وقوله : أخذىٰ : أى سنانٌ أخذىٰ ، وهو بالخاء والذال المعجمتين ، وهو صفة . قال السكّرىّ : أخْذى : منتصب مثل الأخذى[1] من الكلاب وهو المنتصب الأذن . وشبّهه بخافية العُقاب فى الدِّقّة ، والخافية : ما دون الرِّيشات العَشْر من مقدّم الجناح ، وهى ريشةٌ بيضاء . ومخرَّب ، بالخاء المعجمة . يقول : كأنّه غضبانُ من الحرص أن يقعَ فى الدم . يقال : خرّبته بالتشديد فخرِب كفرح . أى أغضبته فغضب .

وقوله (لَدْن بهزّ الكف الخ) بجر لدن صفة أخرى لأسحمَ ذابل ، ويجوز رفعه على أنّه خبر لمبتدإ محذوف أى هو لدن ، واللَّدْن : اللَّيِّن الناعم . ويَعسِل : يشتدّ اهتزازه . وعسَل الثعلبُ والذئب فى عَدْوه : إذا اشتدّ اضطرابه ، بفتح السين فى الماضى وكسرها فى المستقبل ، والمصدرُ عَسَلاً وعَسَلانا بتحريكهما . والباء فى قوله : بهزّ ، بمعنى عند متعلقة بلَدْن . قال ابن خلف ، فى شرح أبيات سيبويه : والأحسن أن يكون ظرفا ليعسِل : أى يعسل متنَه عند هزِّه : فإن قيل : إن (فيه) ظرفٌ قد عمِل فيه يعسِلُ ، فكيف يعمَل فى ظرفٍ آخر ؟ فالجواب : أنّهما ظرفان مختلفان : لأنّ فيه ظرفُ مكان وبهزّ ظرفُ زمان . والهزّ مصدر مضاف إلى الفاعل ، والمفعولُ محذوفٌ : أى بهزّ الكفّ إيّاه . وقال أبو علىّ ، فى إيضاح الشعر : التقدير فى قوله يعسِل متنُه ، يعسل هو ، يريد أنّه لا كَزَازة فيه إذا هززته ولا جُسُوٌّ .

ومثل ذلك قول الآخر[2] :

---

(١) ط : « مثل الأخذة » صوابه فى ش . ولم أجد هذا الشرح للسكرى فى أشعار الهذليين .

(٢) هو تميم بن مقبل ، كما فى ديوانه ٣٢٨ والأمالى ١ : ٢٢٩ والحيوان ٥ : ٢٩ والموشح ١٥ .

أو كاهتزازِ رُدَينيٍّ تعاوَرَه　　أيدى التِجاَرِ فزادُوا متنَه لينا

ومثل ذِكر المتن فى هذه المواضع والمرادُ الجمهورُ[(١)] ، قولُ الآخر :

* يغشيْ قَرَا عاريةٍ أقراؤُه *

ألا ترىٰ أن المعنى يغشى هذه الفلاة ، ولا يريدُ تخصيصَ مكان منها دونَ مكان . قال ابن خلف : ويجوز أن يريد ثَعلَب الرُّمْح ، وهو طَرَفه الداخل فى جُلْبة السِنان: أى يضطربُ وسطه كما يضطرب طرفه ، لاعتداله واستوائه . ونبّه بالأبعَد على الأقرَب ، لأنّه إذا اهتزّ وسَطه ، فأطرافُه أولىٰ . انتهى . ولا يخفىٰ أنّ ذكر الطريق على هذا يكون لغواً . والهاء من (فيه) ضميرُ الهزّ ، كما قاله أبو علىّ وابنُ الشجرىّ . وأعاده ابنُ خلف على لَدْن . وجملة (يعسل متنُه) مفسِّرة لقوله : لدْن . وما ذكر هو رواية س . ورواه السكّرىّ فى أشعار هذيل كذا :

٤٧٦

(لَذٌّ بهزّ الـكفِّ يَعسِلُ نَصْلُه)

واللذُّ بالفتح : اللذيذ . يقول : هذا الرمح إذا هُزَّ بالـكفّ فهو لذيذ أى تلتذّه الـكفّ . والالتذاذ فى التحقيق لِصاحب الـكفّ . وقال السكرىّ : يضطرب نَصْله كما يضطربُ الثعلبُ فى الطريق إذا عَدَا ؛ والنصل : السنان . ورواية سيبويه هى الجيِّدة .

ساعدة بن جؤية

وابن جُؤَيَّة (كما قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف[(٢)]) ساعدَةُ بنُ جُؤَيّة . أخو[(٣)] بنى كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذيل بن مدركة بن إلياس بن مُضَر . شاعر محسِّن جاهلى . وشعره محشوّ بالغريب والمعانى الغامضة ، وليس فيه من المُلَح ما يصلُح للمذاكَرة . انتهى

---

(١) الجمهور : واحد الجماهير ، وهى الجماعات .

(٢) المؤتلف والمختلف ٨٣ .　　(٣) ش : « إحدى » ، صوابه فى ط .

وهو شاعرٌ مخضرمٌ : أدرك الجاهليّة والإسلام، وأسلم ، وليست له صحبة . كذا قال ابن حجر فى الإصابة . فقول الآمدىّ : « جاهلىّ » ليس كما ينبغى .

وجُؤَيّة بضم الجيم بعدها همزة مفتوحة وبعد الهمزة ياء مشدّدة . هذا هو المشهور . وهو مصغر، وفى مكبَّرِهِ خمسةُ أقوال بيّنها ابنُ خلف فى أوائل شرح أبيات سيبويه . ومقابلُ المشهورِ أنّه (ساعدة بن جُوين) . والله أعلم .

وذكر الآمدى أن ابن جؤيّة شاعر آخر ، اسمه عائذ بن جؤية النضْرى[1] اليربوعىّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[2] :

١٧٠ (عزَمْتُ على إقامةِ ذى صَباحٍ لِأمْرٍ مّا يُسَوَّدُ مَنْ يَسُودُ)

على أنّ الشاعر جرّ (ذى صَباحٍ) على لغة خثعم . وهو ظرف لا يتمكّن، والظروف التى لا تتمكّن لا تُجَرُّ ولا تُرفَع . ولا يجوز مثلُ هذا إلاّ فى لغة هؤلاء القوم ، أو فى ضرورة .

قال سيبوَيه : وذو صباحٍ بمنزلة ذاتَ مَرَّة ، تقول : سِيرَ عليه ذا صَباحٍ . خبرنا بذلك يونس . إلا أنّه قد جاء فى لغة خثعم مفارقاً لِذاتِ مَرَّةٍ ولِذات

---

(١) فى النسختين : « النضرى » بالضاد المعجمة ، والصواب ما أثبت ، لأن نسبه ينتمى إلى يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، كما فى المؤتلف : وانظر جمهرة ابن حزم ٢٦٩ .

(٢) فى كتابه ١ : ١١٦ وانظر ابن الشجرى ١ : ١٨٦ وابن يعيش ٣ : ١٢ والهمع ١ : ١٩٧

ليلةٍ[١] . وأما الجيِّـدة العربية فأن تـكون بمنزلتها (يريد بمنزلتها : ظرفا) قال رجل من خثعم : عزمت على إقامة . . البيت . فهو على هذه اللغة يجوز فيه الرفع . انتهى .

وقال أبو البقاء فى شوح الإيضاح : قيل : هو بمنزلة ذاتَ مرَّة ، إلاَّ أنه أخرجه عن الظرف بالإضافة إليه ، وقيل : ذو زائدة : أى على إقامة صباح .

وجعل ابنُ جنِّي ، فى الخصائص ، إضافة ذى إلى صباحٍ من إضافة المسمَّى إلى الاسم ، نحو : كان عندنا ذاتَ مرّة ، أى الدَّفعة المسمّاةَ مرّة ، والوقتَ المسمَّى صباحا . وأنشدَ هذا البيت .

قال أبو علىّ الفارسىّ (فى التذكرة) : هذا البيتُ قاله الشاعر ولم يقل بيتاً غيرَه . وكان استمان هو وقومُه بملكٍ على أعدائهم ، فقال : إن أردتم أعَنْتُكُمْ ، على أن يكون النَّهبُ لى ! فقالوا : لا نريد ذلك ! فقاتَلوا أعداءهم بأنفسهم ، فاستظهرَ عليهم أعداؤُهم ، فلمّا رأىٰ استظهارَهم عليهم أعانَهم راضياً بأن لا يكون له النهب. فقال هذا الشاعرُ هذا البيتَ فقطْ يمدحُه . فاللام متعلّقة بيُسَوِّد ، كأنّه قال : يُسوِّد لأمرٍ مَن يَسود : أى بِعقله وفَضله يَسُود ، ليس للاشىء ، بل لأمر فيه . انتهى .

وفيه : أنّه ليس بيتاً مفرداً ، وإنّما هو من أبيات . وليست القِصّة كما ذكرها : قال أبو محمّد الأعرابيّ فى فُرحة الأديب : هذا البيت لأنَس بن مدركة الخثعَمىّ . وذلك : أنه غزا هو ورئيسٌ آخرُ من قومه بعضَ قبائلِ العرب متساندَين ، فلما قرُبا من القوم أمسَيا فباتا حيث جَنَّ عليهم الليل ، فقام صاحبه

---

(١) فى النسختين : فى لغة خثعم « ذات مرة وذات ليلة » وتصحيحه وإكماله من سيبويه ١ : ١١٥ .

فانصرف ولم يَغنم ، وأقام أنس حتّى أصبح ، فشَنّ عليهم الخيلَ فأصاب وغنِم ، وغَنَّم أصحابَه[1] . فهذا معنى قوله : عزَمتُ على إقامةِ ذى صَباح . وهو آخر الأبيات . قال أبو الندى : وكان أنسٌ مجاوراً لِبنى الحارث بن كعب ، فوجَد أصحابُه منهم جفاءً وغِلْظة فأرادوا أن يفارِقوهم ، فقال لهم : أقيموا إلى الصباح ؛ فلمّا ظفر بنو الحارث ببنى عامر ، يوم فَيف الريح[2] ، قال عند ذلك ما قال . وأول الأبيات :

(دعوتُ بنى قُحافة فاستَجابوا ... فقلتُ : رِدُوا فقد طابَ الوُرودُ

دعوتُ إلى المِصاعِ[3] فجاوبونى ... بورْدٍ ما يُنَهْنِهُه المُذيدُ[4]

كأنّ غَمامةً بَرَقَتْ عليهمْ ... من الأصْيافِ ترجُسُها الرُّعودُ[5]

عزمتُ على إقامةِ ذى صباح ... . البيت) انتهى

ولا يخفى أنّ هذه الأبياتَ أجنبيّةٌ لا يَظهر ارتباطُها بالبيت الأخير .

والمِصاع : مصدر ماصَع أى قاتَل . والمَصْع : الضرب بالسيف . وقوله : (على إقامة ذى صَباح) لا يبعد أن يكون على تقديرِ : على إقامة ليلِ ذى صباح . و (ما) زائدةٌ للتوكيد . يقول : عزمت على الإقامة إلى وقت

---

(١) هكذا ضبطت « غنم أصحابه » بخط البغدادى ، فى فرحة الأديب .

(٢) الميمنى : راجع لخبر يوم فيف الريح النقائض ٤٦٩ والعقد ٣ : ٤٠٩ والميدانى ٢ : ٣٣١ ، ٢٦٦ ، ٣٥٨ ، والعمدة ٢ : ١٦٧ ونهاية القلقشندى ٣٦٦ .

(٣) فى النسختين : « إلى الصباح » ، صوابه من فرحة الأديب مخطوطة البغدادى بدار الكتب ، كما أن التفسير يقتضى ذلك .

(٤) المذيد : الذى يعين على الطرد والدفع ، يقال أذاده : أعانه على الذود . ش : « المريد » ط : « المديد » صوابه من فرحة الأديب .

(٥) ترجسها ، من الرجس ، بالفتح ، وهو الصوت الشديد من الرعد . ط : « ترجبها » صوابه فى ش وفرحة الأديب . وفى فرحة الأديب : « من الأضياف » بالضاد المعجمة .

الصَّبَاح ، لأنّى قد وجدتُ الرأىَ والحزمَ قد أوجبا ذلك . ثم قال : (لأمرٍ مّا يُسوَّد مَن يَسُود) ، يريد : أنّ الذى يُسوِّده قومُه لا يسوِّدونه إلاّ لشىء من الخصال الجميلة والأمور المحمودة رآها قومُه فيه فسوَّدوه لأجلها .

وأنشد صاحبُ الكشّاف هذا البيتَ فى سورة الإخلاص ، فى جواب السائل : لِمَ كانت هذه السورة مع قِصَرها عِدْلَ القرآن ؟

قال الجاحظ فى كتاب (شرائع المروءة) : وكانت العربُ تُسوِّد على أشياء : أمّا مُضَر فتسوِّد ذا رأيها ، وأما ربيعة فمن أطعمَ الطعامَ ، وأما اليمن فعلى النسَب . وكان أهلُ الجاهليّة لا يسوِّدون إلاّ مَن تكاملَتْ فيه ستُّ خصال : السَّخاء ، والنجدةُ ، والصبر ، والحلم ، والتواضع ، والبيان ؛ وصار فى الإسلام سبعا . وقيل لقيس بن عاصم : بِمَ سُدْتَ قومَك ؟ قال : ببَذل الندىٰ ، وكَف الأذىٰ ، ونُصْرة المولى ، وتعجيل القِرىٰ . وقد يُسوَّد الرجلُ بالعقل والعِفّة والأدب والعلم . وقال بعضهم : السُّودد اصطناع العشيرة ، واحتمال الجريرة . وقال الأصمعىّ : ذكَر أبو عمرو بنُ العلاء عيوبَ جميعِ السادة ، وما كان فيهم من الخِلال المذمومة ، إلى أن قال : ما رأيتُ شيئاً يمنعُ من السُودد إلاّ قدْ رأيناه فى سيِّد : وجدنا الحداثةَ تمنع السُّودد ، وسادَ أبو جهل بن هشام وما طَرَّ شاربُه ، ودخل دارَ النَدْوة وما استوت لحيته . ووجدنا البُخل يمنع السُوددَ ، وكان أبو سُفيانَ بخيلاً عاهراً ، وكان عامر بن الطُفيل بخيلاً عاهراً[1] وكان سيِّداً . والظُّلم يمنع من السُودد ، وكان كُليبُ بن وائل ظالماً ، وكان سيِّدَ رَبيعة ، وكان حُذيفة بن بدر ظالماً ، وكان سيِّدَ غطفان . والحُمق يمنع السُوددَ ، وكان عُيَيْنة بن حِصْنٍ أحمقَ وكان سيِّداً . وقِلّة العدد تمنع السُودد ، وكان السيل

(١) فى النسختين « قاهرا » والشنقيطى فى نسخته جعلها « فاجرا » ، ولعل الوجه ما أثبت .

ابن معبد سيداً ولم يكن بالبَصرة مِن عشيرته رَجلان . والفقر يمنع السُودد ، وكان عُتبة بن ربيعة مملِقاً ، وكان سيداً .

٤٧٨

وناظم هذا البيت أنَسُ بن مُدرِك الخثعمىّ ، كما ذكرنا . وهو جاهلىّ . وصَحَّفه ابنُ خلَف فى شرح أبيات سيبوَيه ، بأوسِ بن مُدْرِك ، وقال : أوس من الأسماء المنقولة إلى العلميّة . والأوسُ هنا الذئب ، وإن أمكن أن يكون من العطيّة .

وكشفتُ عن اسمِه فى الجمهرة لابن الكلبيّ فوجدته قال فى جمهرة خثعم ابن أنمار ، ما نصُّه : « أنَسُ بن مُدرك[1] بن كُعيب — بالتصغير — بن عمرو ابن سعد بن عوف بن العَتيك بن حارثة بن سعد بن عامر[2] بن تيم الله ابن مبشّر بن أكْلُب بن ربيعة بن عِفرِس بن حُلْف[3] بن أفتَل وهو خثعم . وهو أبو سفيان الشاعر . وقد رأَس » انتهى .

ونقل ابنُ خلَف عن الجاحظ : أنّ هذا البيتَ لإيَاس بن مُدرِكة الحنَفيّ . وهذا غيرُ مناسبٍ ، فإنّهم نقلوا أنّ قائلَ هذا البيتِ خَثعمىّ لا حنَفيّ . وخَثْعَم أبو قبيلةٍ من اليمن ، وهو خثعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغَوث ابن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد المائة :

---

(١) ويقال ابن مدركة كما فى الأغانى ٧ : ١٦١/٩ : ١٦ والعينى ٤ : ٣٩٩ .

(٢) ط : « تامر » صوابه فى ش والمعمرين للسجستانى .

(٣) كذا ضبطه ابن حزم فى الجمهرة ٣٩٠ بالحاء غير منقوطة مضمومة ولام ساكنة ، ثم قال : وفى الناس يقول حلف بالحاء مفتوحة غير منقوطة ولام مكسورة . وفى النسختين « خلف » بالخاء المعجمة . وضبطه فى القاموس (حلف) بفتح الحاء وسكون اللام .

١٧١ (صَلاءَةُ وَرْسٍ وَسْطُها قَدْ تَفَلَّقا[١])

على أن (وسْط) ساكنة السين، قد تتصرّف وتخرج عن الظرفية كما في هذا البيت.

وصدرُه: (أتتْه بمَجلومٍ كأنّ جَبينه)

فوسْطُها مرفوع على أنّه مبتدأ، وجملة قد تَفَلّق خبره.

كذا أورده أبو عليّ الفارسيّ في الإيضاح الشعريّ، وابن جِنّي في الخصائص وأوردا له نظائر.

قال ثعلب في الفصيح: جَلَس وسْطَ القوم، بسكون السين؛ وجلس وسَطَ الدار واحتَجم وَسَط رأسِه، بفتح السين[٢]. قال شارحُه الإمامُ المرزوقيّ: النحويُّون يَفصِلون بينهما ويقولون: وسْط، بسكون السين، اسمُ الشيء الذي ينفكّ عن المحيط به جوانبُه، تقول: وسْط رأسِه دُهنٌ، لأنّ الدُّهن ينفكّ عن الرأس ووسَط رأسه صُلب لأن الصُّلب لا ينفكُّ عن الرأس. وربّما قالوا: إذا كان آخرُ الكلام هو الأوّل فاجعلْه وسَطاً بالتحريك، وإذا كان آخرُ الكلام غيرَ الأوّل فاجعَلْه وسْطاً بالتسكين. وحَكَى الأخفش: أنّ وسطاً قد جاء في الشعر اسْماً وفارَقَ الظرفيّة، وأنشدَ بيتاً آخِرُه «وسْطُها قدْ تفلّقا» وسْطُها مبتدأ مرفوع. ويقال وَسَطت الأمرَ أسِطُه وَسْطا بالسكون. وأبو العباس

(١) ديوان الفرزدق ٥٩٦ وابن الشجري ٢ : ٢٥٨ والخصائص ٢ : ٣٦٩ والهمع ١ : ٢٠١ ونوادر أبي زيد ١٦٣ .

(٢) الميمني : نظم هذا الفرق يوسف بن محمد العقيلي من رجال الدرر الكامنة. فقال (البغية ٤٢٤ والتاج):

فرق ما بين قولهم وسَطَ الشيء ووسط تحريكاً أو تسكيناً
موضع صالح لبَينٍ فسكِّنْ ولِفِي حرِّكنْ تراه مُبيناً
كجلسنا وسط الجماعة إذ هم وسَطَ الدار كلهم جالسينا

ثعلبُ راعى ، فيما اختاره هنا ، أنّ وسطا إذا كان بعضَ ما أُضيف إليه يُحرَّك السينُ منه ، وإذا كان غيرَ ما أضيف إليه يسكَّنُ سينُه ، ألا ترى أن وَسَط الدار بعضُها ، وأنّ وسْط القوم غيرُهم ! فأمّا تفسيرهم لوسطَ بِبَيْنَ ، فبَيْنَ لشيئين يتباين أحدُهما عن الآخر فصاعداً ، تقول: بينَ زيد وعمرو بينٌ ، لتباينهما ؛ وإن كرّرت بينَ للتأكيد جاز . ووَسطَ لشيئين يتّصل أحدُهما بالآخر ، تقول : وسَطَ الحصير قلم ، ولا تقول: بينَ الحصير قلم ؛ إلا أنّه يُستعار فيُوضعُ بدلاً منه . انتهى .

وقال ابن هشام اللخمى فى شرح الفصيح : وسَطُ الشيء وأوسطه : ما بين طرَفيه ، فإذا سكّنتَ السين كان ظرفا ، وإذا فتحتَها كان اسما ؛ فإنّما يكونُ اسما إذا أردتَ به الوسطَ كلَّه ، ويكون ظرفاً إذا لم تُرِد به الوسطَ كلَّه وذلك إذا حسُنت فيه فى ، تقول : قعدت وَسْطَ الدار ، فوسط الدار ساكن الوسَط — وهو السين — لأنّه ظرف ولأنّك لا تأخذ بقعودك وَسَطَ الدار كلَّه ، وإنّما تريد قعدت فى وسط الدار ، فلمّا أسقطت فى ، انتصبَ على الظرف . فإن قلت : ملأتُ وسَطَ الدارِ قمحا ، فتحتَ السين لأنّه مفعول به ، لأنّ ملأت لا يقع إلا على الوَسَط كلِّه ، فقمحُ نصب على التمييز ، لأنّ التقدير ملأت وَسَطَ الدار من قمح . وكذلك تقول : حفرتُ وسَطَ الدار بئراً ، وبنيت وسَطَ الدار مجلساً ؛ فوسَطَ مفعول به ، وبئراً ومجلساً منصوبان على الحال . قال أبو عليّ فى التذكرة : « فإنْ قلتَ : إنه فى حال ما يُحفَر ليس ببئر ؛ فإنّ ذلك تجوُّز ؛ ألا ترى قولَه تعالى (إنِّى أرَانى أعْصِرُ خَمْراً[1]) فالبئر أقربُ من هذا ؛ ألا ترى أنّ هذا فى حال العَصْر ليس بخمر حتّى يشتد !

٤٧٩

(١) الآية ٣٦ من يوسف .

وبعض الآبار فى العمق أقلّ من بعض ، ولا يخرجه ذلك عن أن يكون بئراً .
ويجوز أن يحمل حَفرت على معنى جعلت ؛ فتنصبه على أنّه مفعول ، فإنّ هذا مذهبُ البصريِّين . وأكثرُ اللغويِّين يجعلون الوسْط والوسط بمعنى واحد ، وهو مذهب أبى العبّاس ، وتمثيله يدلُّ على ذلك ، لأنه قال : وجلس وسْط الناس ، يعنى بينهم ، بسين ساكنة — على أنّ وسطاً ظرف ، ولذلك قدَّرَهُ بالظرف — ثم قال : وجلس وسَطَ الدار واحتجم وسطَ رأسه بتحريك السين.
وهذا لا يجوز عند البصريّين ، لأنّه إذا فتح السينَ كان اسما وإذا كان اسما لم ينصبه إلاّ الفعلُ المتعدِّى . فقولُه : جلس وسَطَ الدارِ واحتجم وسَطَ رأسِهِ ، بفتح السين ، لا يجوز لما قدَّمنا . فإن سكّنت السين كان ظرفا وكان العامل فيه جلس . فاعْلَم ذلك » انتهى .

وهذا مخالفٌ لما قاله الامامُ المرزوقيّ ، فتأمل !

وروى أبو الحسن علىّ بن محمد المداينيّ فى كتاب النساء الناشزات — كما سيأتى[1] — (نصفُها قد تعلّقا[2]) . وعليه لاشاهدَ فيه .

والمجلوم بالجيم واللام : اسم مفعول منْ جلمت الشىء جَلْما ، من باب ضرب : قطّعته ، فهو مجلوم ؛ وجَلَمت الصوفَ والشعَر : قطعته بالجلمين : وهذا هو المراد هنا : قال صاحب المصباح : «الجَلَم بفتحتين : المِقراض ، والجَلَمان بلفظ التثنية مثله ، كما يقال فيه : المقراض والمقراضان والقلَم والقلَمان . ويجوز أن يُجعل الجلمان والقلمان اسماً واحداً على فَعَلان ، كالسَّرَطان والدَّبَران ؛ وتجعل النون حرف إعراب . ويجوز أن يَبقيا على بابهما فى إعراب المثنّى ، فيقال : شريت الجلمين والقلمين » انتهى .

---

(١) فى الصفحة التالية ؟

(٢) كذا فى النسختين . ورواية المدائنى الآتية للبيت : « قد تفلقا » .

وهذه رواية أبى زيد وغيره . ورواه أبو حاتم : (أتته بمَحْلوق) من حَلق رأسه بالموسى ، مثلا ، من باب ضرب .

والجبين : ناحية الجبهة من مُحاذاة النَّزَعة إلى الصُدْغ ، وهما جَبينان : عن يمين الجبهة وشمالها ، قاله الأزهرىّ وابنُ فارس وغيرُهما . فتكون الجبهةُ بين جبينين . وجمعهُ جُبُن بضمتين وأَجْبِنَة مثل أسلحة ، كذا فى المصباح .

و (الصَّلاَية) بفتح الصاد : الحجر الأملس الذى يُسحَق عليه شىء ، ويقال : صَلاءة أيضاً بالهمزة . ورُوِىَ هنا بهما . قال فى الصحاح : « والصَّلاية : الفِهرْ : أى حجرٌ مِلء الكفّ ، وإنّما قال امرؤُ القيس :

* مَداكُ عَرُوسٍ أو صَلاَية حَنظَل[1] *

فأضافه إليه ، لأنّه يفلَق به إذا يبِس » . و (الوَرْس) بفتح الواو وسكون الراء : نبتٌ أصفرُ يزرَع باليمن ويُصبَغ به ، وقيل : صِنف من الكُرْكم ، وقيل : يشبهه . وقوله : (قد تفلّقا) يقال : فلَقته فلْقا من باب ضرب : شققته فانفلق ، وفلّقته بالتشديد : مبالَغة ، ومنه خوخ مُفلَّق ، اسم مفعول ، وكذلك المشمش[2] ونحوه : إذا تفلّق عن نواه وتجفّف ، فإن لم يتجفَّفْ فهو فُلُّوق ، بضم الفاء واللام مع تشديدها . وتفلَّقَ الشىء : تشقّق ، كذا فى المصباح .

٤٨٠

وهذا البيت من أبيات ثمانيةٍ للفرزدق ، رواها أبو الحسن علىُّ بن محمد المدائنى ، فى كتاب النساء الناشزات ، قال : زوّج جريرُ بنُ الخطَفَى بنتَه

---

(١) صدره عند ابن الأنبارى والتبريزى : « كأن سراته لدى البيت قائما » .
وعند الزوزنى : « كأن على المتنين منه إذا انتحى » وعند ابن الأنبارى فى رواية : « كأن على الكتفين منه » . فعلى الرواية الأولى يكون « مداك » ومابعده مرفوعين . وعلى التاليتين يكون النصب .

(٢) فى النسختين : « المشمس » ، صوابه ما أثبت .

عُضيدة بن عُضَيدة ابن أخى امرأته[1] وكان منقوص العضُد ، فخلعها منه ، أى طلّقها بفدية فقال الفرزدق :

ماكانَ ذنبُ التى أقبلتَ تَعتِلُها   حَتَّى اقتحمتَ بها أُسْكُفَّةَ البابِ

كِلاهما حينَ جدَّ الجرىُ بينهما   قد أقلعا وكِلا أنفَيهما رَابِى

يا ابنَ المَراغة ، جهلاً حينَ تجعلُها   دونَ القَلوص ودُونَ البَكرِ والنابِ

وقال الفرزدق أيضا :

لئن أُمَّ غَيلانَ استحلَّ حَرامَها   حِمارُ الغَضا من ثِقْلِ ما كان رَنَّقا[2]

لَمَا نالَ راقٍ مِثلَها مِن كُمابة[3]   علمناه ممّن سار غرباً وشرّقا

حبَتْهُ بمخلوقٍ كأنّ جبينَه   (صَلايةُ ورْسٍ نِصفُها قد تفلّقا)

إذا برَكتْ لابنِ الشَّغور ونُوِّخَتْ[4]   على رُكبتيها للبُروك وألحقا

فما من دِراكٍ فاعلمَنّ لنادمٍ[5]   وإن صكّ عينيهِ الحِمار وصفّقا

وكيفَ ارتِدادى أمَّ غَيلانَ بعدَما   جرى الماء فى أرحامِها وترقرقا

---

(١) فى الديوان ٣٢ : « وقال فى أم غيلان بنت جرير ، وكان جرير زوجها الأبلق الأسيدى » . والأبلق : لقب لعضيدة . وقد ضبط فى النقائض ٨٤٣ « عصيدة » بالتصغير وبالصاد المهملة ، وفى طبقات ابن سلام ٣٢٢ « عصيدة » بالتكبير وبالصاد المهملة أيضا . وابنة جرير هذه هى زيناب ، كما فى النقائض ٨٤٣ وكنيتها أم غيلان كما فى الشعر . وامرأة جرير هذه هى أُمامة كما فى طبقات ابن سلام . وفى ش : « بنته عضيدة من عضيدة » مع أثر تصحيح فى « من » . والصواب ما فى ط .

(٢) ط : « حمار القصا » صوابه فى ش والديوان ٥٩٦ والنقائض ٨٤١ . وفى الديوان والنقائض : « من تفل ما كان ريقا » يريد : تفل عليه بريقه حين رقاها . لكن شرح البغدادى فيما بعد يقتضى الإبقاء على ما ورد فى النسختين .

(٣) كذا . والصواب كما فى الديوان والنقائض : « فما نال راق مثلها من لعابه » .

(٤) ط : « إذا برك الابن » صوابه فى ش والديوان والنقائض .

(٥) فى النسختين : « نفادم » صوابه فى الديوان والنقائض .

ستَعلم مَن يَخزَى ويفضَحُ قومه إذا ألصقتْ عند السِفاد وألصَقا

أُبَيلِقُ ، رَقاء ، أُسَيِّدَ رهْطِه إذا هُوَ رِجْلَىْ أمِّ غَيلانَ فرَّقا

فأجابه جرير بن الخطفى :

هلاّ طلبتَ بعقْرِ جِعْثِنَ مِنقَراً وبمَجرِّها وتركت ذكر الأبلقِ[1]

سَبْعون والوصفاءُ مَهْرُ بناتِنا إذ مَهْرُ جِعْثِن مثلُ حَزْرِ البُنْدُقِ[2]

كم قد أُثيرَ عليكم مِن خِزيةٍ ليس الفرزدقُ بعدها بفرزدق

انتهى ما أورده المدائنيّ .

وقوله : أقبلتَ تعتُلها ، يقال : عتلْت الرجلَ أعتُلِه من بابَى نصر وضرب : إذا جذبتَه جذباً عنيفاً . وضمير المؤنَّث لعُضَيدة بنتِ جرير[3] .

وروى أبو زيدٍ فى نوادره :

* ما بالُ لومِكُما إذ جئتَ تَعتُلها[4] *

خطاباً لجرير وزوجته ، من اللَّوم وهو التعنيف . وروى المبرِّد فى الاعتنان : « ما بالُ لومكِها » بضمير المؤنّث فيكون ضميرَ بنته عُضَيدة[5] . وقوله : حتى اقتحمت بها الخ ، أى إلى أن أدخلتَها عتَبة بابِك .

---

(١) بجرها : مصدر ميمى من الجر بمعنى السحب . وفى ديوان جرير ٤٠٦ : « وبجرها » .

(٢) سبعون ، أى سبعون ناقة . والحزر : الحدس والتخمين . وفى الديوان والنقائض ٨٤٥ : « مثل حر البيذق » .

(٣) كذا . والصواب لأم غيلان بنت جرير .

(٤) الذى فى النوادر ٦٢ : « ما بال لو مكها وجئت تعتلها » . وأصل النوادر المطبوعة صحيح جدا ، وهو بخط صاحب اللسان (والنسخة الآن محفوظة فى الخزانة التيمورية برقم ٣٧٥ لغة فيحتمل أن يكون البغدادى سها فنسب إحدى الروايتين إلى غير موضعها من النوادر والاعتنان كما سيأتى .

(٥) كذا . وانظر ما سبق من التنبيه .

وقوله : كلاهما حين[1] جد الجرى الخ ، ضمير التثنية لابنة جرير عُضيدة ولزوجها . وزعم العينيّ وغيرُه أنّ الضمير للفرسَين . وزاد شارح شواهد المغنى أنّ فيه التفاتاً ، والأصل كِلا كما . وردّ عليه شارح المغنى الحلبيّ ، بأنّه يأباه قولُ الشارحِينَ أنّ البيتَ فى وصف فرسين تجاريا . وهذا لا أصل له ، وكأنّهم فهموه من ظاهر البيت ، وسبَبُه أنّهم لم يقفوا على منشأ الشعر . وقوله : جدّ الجريُ أى اشتدّ العَدْو . وقوله : قد أقلعا ، يقال : أقلَع عن الأمر إقلاعاً : إذا تركه ؛ والصلة هنا محذوفة ، أى أقلعا عن الجرى . وقوله : رابى ، من الرَّبْو وهو النفَس العالى المتتابع ، يقال : ربا يربو : إذا أخذه الربْو . والبُهر بضم الباء وهو تتابع النفَس . وهذا تمثيل وتشبيه ؛ يقول : إنّ بنتَ جرير وزوجَها قد افترقا حين حصَلت الألفة بينهما ، ولم يمضيا على حالهما ، فهما كفرسَين جدَّا فى الجرى ووَقفا قبلَ الوصول إلى الغاية . ٤٨١

وهذا البيتُ من شواهد مغنى اللبيب وغيرِه من كتب النحو ، وأوردَ شاهداً على أنّ (كِلاَ) يجوز مراعاة لفظها فيعود الضمير إليها مفرداً ، ومراعاةُ معناها فيعودُ الضمير عليها مثنّي ؛ وقد اجتمعا فى هذا البيت .

وقوله : يا ابنَ المَرَاغة الخ ، المراغة : الأَتَان . [والفرزدق يقول لجرير يا ابن المراغة تعييراً له بأن عشيرته بنى كليب أصحاب حَمير . وقال الغورى : لأنّ أمه ولدته فى مراغة الإبل . وقال ابن عبّاد : المراغة الأتان[2]] لا تمنَع الفُحولة ؛ وبذلك هجا الفرزدقُ جريراً . وقال بعضهم : المَراغَة أُمُّ جرير لقّبها به الأخطلُ . يريد أنّها كانت مَراغةً للرّجال ، كذا فى العباب للصاغانى .

---

(١) ط : « حتى » ، صوابه فى ش .

(٢) هذه التكلة من ش ، وقد سقطت من ط .

وقوله : جهلاً حين تجعلها الخ ، يريد أنك جهلت فى تزويجك إيّاها لغير أهل الإبل .

وقوله : لئن أمُّ غَيلان الخ ، أمّ غيلان هى بنت جرير ، وأراد بحِمار الغضا زَوجَها ، وهو فاعل استحلّ ؛ وحرامَها مفعوله . يقول : إن استحلّ بُضْعها ما كان حراما عليه قبل العقد . ورنّق بالراء المهملة والنون بمعنى أقام ؛ فى العباب : ورنّق القوم بالمكان : إذا أقاموا به ، ورنّق الطائر : إذا خفَق بجَناحيه ورفرف فوق الشىء ولم يطِرْ . أراد من كثرة إقامته مع الإلحاح .

وقوله : لمَا نالَ راقٍ الخ ، هذا جوابُ القسَم ، وجوابُ الشرطِ محذوف ، وراق ، بالتنوين ، اسمُ فاعلٍ مِنْ رقِيتُ السَّطْح والجبلَ : علوته[1] يتعدّى بنفسه . ومثلَها مفعوله . وكِعابة ، بكسر الكاف : مصدر كعَبت الجاريةُ تَكعُبُ كُعوباً وكِعابة إذا بدا ثديُها ، فهى كاعب وكَعاب بالفتح ؛ وفيه مضاف محذوف : أى من ذات كِعابة . وقوله : علمناه ، الجملة صفة راق .

وقوله : حبَته بمحلوق ، أى خصّصته بإعطاء فرْجٍ محلوق . ورُوى « أتته بمحلوق » . وهذا البيت فى صفة الفرج .

وقوله : إذا بركتْ لابن الشغَور الخ ، هذه كلمة سبّ ؛ والشَّغور ، فى الأصل : الناقة التى تَشغَر بقوائمها إذا أُخِذَت لتُرْكبَ أو تحلَب . وقوله : ونوِّخت ، بالنون والخاء المعجمة بالبناء للمفعول ، يقال : تنوَّخ الجملُ الناقةَ :

(١) الظاهر أنه من الرقيا ، فى النقائض ٨٤١ أن جريرا أصابته حمرة فتورم ، وكان رجل من بنى أسيد بن عمرو بن تميم يقال له الأبلق يرقى من الحمرة ويداوى ، فأتى ابن الخطفى فقال له : ما تجعل لى إن داويتك حتى تبرأ ؟ ، قال جرير : أجعل لك إن أبرأتنى من وجعى هذا حكمك . فداواه ورقاه حتى برئ فقال له جرير : احتكم . فاحتكم عليه الأبلق أن يزوجه أم غيلان بنت جرير فزوّجه إياها .

أناخها ليسفدها . والبُرُوك : مصدر برَك بُروكاً أى استناخ ، قال جرير[١] :

وقد دَميتْ مَوَاقِعُ رُكبتَيها من التَّبْراكِ ليس من الصَّلاةِ

وَقوله : ألحقا ، من ألحق الشيء بالشيء أى أوصله به ، معطوف على بركتْ .

وقوله : فما من دِراك الخ ، أى لا يقدر أن يلحقهما قادمٌ عليهما ، أى لا يتفرَّقا منه لشدّة شبَقِهما . وقوله : وإن صكّ الخ ، إنْ وصليّة وصكّه : ضربه ، والحمارُ فاعله . والتصفيق : الرّد والصرف .

وقوله : أبيلق زَقَّاء ، مصغّر أبلَق وهو اسم زوج بنت جرير ؛ ورقّاء مبالغةُ راقٍ صفة لأبيلق . وأسيِّد مفعولُه مضاف لما بعده . قال المبرد فى الاعتنان كان جرير زوَّج بنتَه الأبلَق الأُسَيدِى ، أسيِّد بن[٢] عمرو بن تميم فلم يحمَدْه . وذكرَ هجاء جرير إيّاه ورهطه .

وقوله : هلاّ طلبتَ بعُقْر الخ ، العُقْر بالضم : دية فرج المرأة إذا غُصِبتْ على نفسها . وجِعِثن بكسر الجيم والمثلثة : اسم أخت الفرزدق . ومِنقَر بكسر الميم وفتح القاف . أراد أولادَ الأشدّ المنقرىّ ، وكان عِمرانُ بنُ مرّة المِنقرىُّ أسَرَ جِعثنَ أُختَ الفرزدق يوم السِّيدَانِ ، وفيه يقول جرير :

غمَزَ ابنُ مُرَّةَ يا فرزدقُ كَينَها غمْزَ الطبيب نَغانغ المعذُورِ
خَزِىَ الفرزدقُ بعد وَقْعةِ سبعةٍ[٣] كالحُصْن من ولد الأشَدِّ ذُكورِ[٤]

---

(١) ديوانه ٨٦ .

(٢) فى النسختين : « بنى عمرو » . وانظر الاشتقاق ٢٠١ ، ٢٠٦ والجمهرة ٢١٠

(٣) فى النسختين : « تسعة » وإن كان الشنقيطى حورها إلى « سبعة » مطابقة لما فى ديوان جرير .

(٤) الأشد هو سنان بن خالد المنقرى ، كما فى الاشتقاق ٢٥١ .

وقال أيضاً [١] :

على حفَرِ السِّيدانِ لاقَيتَ خِزْيَةً ويومَ الرحالم يُنقِ ثوبَكَ غاسِلُه [٢]

وقد نوَّختْها مِنقرٌ قد علمتم لِمعتَلِجِ الدأياتِشُعْرٍ كَلا كِلُه [٣]

يفرِّجُ عِمرانُ بنُ مُرّة كَينَها ويَنزُو نُزَاءَ العَيرِ أعلق حائله [٤]

والغمز : شبه الطعن والدفع . والكَيْنُ : لحم الفرْج . والنغانغ : أورام تحدُث فى الحلق . والمعذور : الذى أصابته العُذْرة ، وهو وجع الحلْق . يريد أنّ أخته نكَحها ، حين أُسِرَتْ ، سبعةٌ من ولد الأشدّ المِنقرَىّ . ويقال : علِقَت الأنثى من الذكر وأعلقت : إذا حملت . والحائل : التى يضربها الفحل فلا تحمِل . وهذا افتراء من جرير على جِعثِن ، فإنّها كانت من النساء الصالحات ، وقد اعترف جريرٌ بقذفه إيّاها وندم عليه ، وكان يستغفرُ الله ممّا قذَفها به ، كما مرّ .

والأبلق . زوج بنت جرير . وقوله : سبعون وانوصفاء ، هوجمع وَصيف . يريدُ أنّ مَهرَ بناتِنا سبعون من الإبل مع انوصفاء .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد المائة :

١٧٢ (ألاَ قالتِ الخَنساء يومَ لَقِيتُها : أَرَاكَ حَدِيثاً نَاعِمَ البالِ أفرَعا [٥])

---

(١) ديوان جرير ٤٨٤ والنقائض ٦٨٢ .

(٢) ط : « ولم الدحا » ، صوابه فى ش والديوان والنقائض .

(٣) فى الديوان والنقائض : « الدأيين » . والدأيات : جمع دأية ، وهى فقار الكاهل . وفى الديوان والنقائض : « بمعتلج » .

(٤) فى الديوان والنقائض : « حابله » بالباء .

(٥) الحماسة ٣٢١ بشرح المرزوقى وللمفضليات ٢٦٨ .

على أنّ صفة الزمان القائمةَ مَقامَ الموصوفِ يلزمُها الظرفيّة عند سيبويه ، كما فى هذا البيت . أى زماناً حديثا :

وهذا البيت أوّلُ أبياتٍ ثلاثةٍ مذكورة فى الحماسة ، ثانيها :

فقلتُ لها : لا تنكِرينى فقلّما يَسُودُ الفتى حتّى يَشيبَ ويَصْلَعا

ولَلقارِحُ اليَعْبُوب خيرٌ عُلَالةً من الجَذَعِ المُرْخَى وأبعدُ مَنْزَعا)

الرواية فى الحماسة وشروحها :

* ألا قالتِ العَصماء لمّا لقيتُها *

والعصماء امرأة . و (الحديث) هنا : نقيض القَديم ، وهو هنا ظرف . يقول : قالت لى هذه المرأةُ لمّا التقيتُ معها : أعلَمك عن قريبٍ ناعمَ الحال أفرعَ ، أى تامَّ شعر الرأس ، لم يتسلّط صَلَعٌ ، ولا حَدَثَ انحسارُ شعر ، فكيف تغيَّرتَ ، مع قربِ الأمد ! والرؤية بصريّة ، وناعمَ البال مفعوله ، وأفرعا صفتُه . وناعِم : من نعُم الشيء بالضم : أى صار ناعماً ليّناً ، وكذلك نعِم ينعَم مثل حذِر يحذَر ، وفيه لغة ثالثة مركبة بينهما : نعِم ينعُم ، بكسر الأول وضمّ الثانى ، ولغة رابعة نعِم ينعِم بكسر عينيهما ، وهو شاذّ ، كذا فى الصحاح .

و (البال) : القلب ، وخطر ببالى : أى بقلبي ؛ وهو رخيّ البال أى واسع الحال ، وهذا هو المراد . قال ابن الأنباريّ فى شرح المفضّليّات : « والأفرَع بالفاء والراء والعين المهملتين ، هو الكثيرُ شعرِ الرأس ؛ يقال : رجل أفرع وامرأة فرعاء ، وقد فرِع من باب فرِح . وضدُّ الأفرَعِ الأزعرُ ؛ والمرأة زَعْراء » انتهى . وقال صاحب الصحاح : « الفرَع بفتحتين : مصدر الأفرَع وهو التامُّ الشعر ؛ وقال ابن دريد : امرأة فرعاء : كثيرة الشعر ، قال :

ولا يقال للرجل إذا كان عظيم اللِحية أو الُجمّة أفرع ، وإنّما يقال أفرع لضدّ الاصلَع » انتهى .

وهذا المصراع الثانى قد وقع فى قصيدة متمِّم بن نُويرة التى رثى بها أخاه مالكَ بنَ نويرة ، وهو :

٤٨٣ تقول ابنةُ العَمْرِىِّ مالك بعدَما أراكَ حديثاً ناعمَ البالِ أفرَعا

وقوله : فقلت لها الخ ، يقول : قلت لهـا : لا تستنكِرِى ما رأيتِ من شحوب لونى وانحسار شعر رأسى ، فما ينال الفتىْ السيادة حتّى يستبدل بشبيبته شيباً ، وبوُفور شعرِ رأسه صَلَعاً . وقوله : وللقارح اليعْبوب الخ ، القارح من الخيل بمنزلةِ البازل من الإبل ، وهو الذى تمتْ واستَحكَمتْ قوّته . والقروح : انتهاء السّن ، واليعبوبُ : الفرس الـكثير الجرى ، والجَذَع : ماله سنَتان . والعُلالة بالضم : بقيّة الجرى ، ويريد به هنا الجرى . والمرخَى : الذى يُرخَى فى سيره قليلاً قليلاً ، لا يُكلَّف أكثرَ من ذلك . ويُروىْ : (المرخِى) بكسر الخاء ، والإرخاء : لينٌ فى العدْو . ويُروى بفتح الخاء وهو المرسَل المهمَل . والمنزَع النزوع إلى الغاية . وانتصاب مَنزعاً وعُلالة على التمييز ، وهذا مثلٌ ضرَبَه فى تفضيل نفسه ، مع شيخوخته وقد أدَّبه الدهر ، على الأحداث الذين لم يجرِّبوا الأمورَ فيقول : َللفرسُ المتناهى فى القوّة والسنّ ، الذى يَجرى جريةَ المـاء ، سهولةً ونفاذا ، خيرٌ بقاء وأبعدُ غاية من ابن سنتَين[1] وهو مُهمَلٌ لم يؤدَّبْ بإسراجٍ ولا إلجام .

وهذا الشعر لم يَذكرْ قائله أحدٌ من شرَّاح الحماسة .

* * *

(١) ط : « سنين » ، صوابه فى ش ، وهو تفسير الجذع .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثالث والسبعون، بعد المائة:

١٧٣ (باكَرْتُ حاجَتَها الدَّجاجَ بسُحْرَةٍ)

عجزُه:

(لأُعَلَّ مِنْها حِينَ هَبَّ نيامُها[١])

على أن (الدَّجاجَ) منصوبٌ على الظرف بتقدير مضافَين، أى وقت صِياح الدجاج، إذا كانت باكرتُ بمعنى بَكَرْت، لا غالبتُ بالبُكور.

أقول: باكَرَ متعدٍّ بنفسه إلى مفعول واحد، قال فى المصباح: «وباكرت بمعنى بكَرت إليه». و (حاجَتَها) : مفعول باكَرْت[٢]. وبكَرَ بالتخفيف، من باب قعد، فعلٌ لازم يتعدّى بإلى؛ يقال: بكَر إلى الشىء بمعنى بادر إليه أىَّ وقتٍ كان. وقال أبوزيد فى كتاب المصادر: بكَر بُكوراً وغَدا غدُوًّا، هذانِ من أوّل النهار. فإذا نُقِلَ إلى فاعَلَ للمغالَبة، تعدَّى إلى مفعولٍ واحد. ومعنى (المغالَبة) أن يغلب[٣] الفاعلُ المفعولَ فى معنى المصدر. فضميرُ المتكلِّم — الذى هو التاء — فاعل، وقد غالبَ الدَّجاجَ — وهو المفعول — فى البكور فغلَبه فيه. فيكون حاجتَها منصوباً بنزع الخافض، وهو إلى، لأنّ أصلَ باكَرَ يتعدَّى به كما ذكرنا. فإذا كان باكر من باب المغالبة، كان للتكثير فى البكور إلى الحاجة، نحو ضاعفت الشىء بمعنى كثّرت أضعافه، فيكون قوله: حاجتَها، مفعولَه، ويكون الدجاج منصوباً على الظرف بتقدير مصدر مضاف، والتقدير صِياحَ الدجاج؛ وهذا المصدر نائب عن اسم الزمن الواقع ظرفا، أى وقتَ صياحه. وقد ذكر ابنُ قُتَيبة هذا البيتَ

(١) البيت من معلقة لبيد. وانظر المعانى الكبير ٤٥٣.

(٢) ط: «بكرت»، صوابه فى ش.

(٣) ط: «يفعل»، صوابه فى ش.

فى أبيات المعانى ، وحمله على المغالبة مع تقديره المضاف ، فقال : « أى بادرت بحاجتى إلى شربها أصواتَ الديَكة ، لأشربَ منها مَرّةً بعد مرّة : وهو العَلَل » انتهى ومعنى بادرت سبَقت : وكذا قال شرّاح المعلقات :

وهذا البيت من معلَّقة لَبيدِ بن ربيعةَ المشهورةِ وقبلَه :

(أُغْلِى السِباء بكلِّ أَدْكَنَ عاتقٍ أَوْ جَوْنةٍ قُدِحَتْ وفُضَّ خِتامها

بصَبوحِ صافيةٍ وجذبِ كَرِينةٍ بمُوَتّرٍ تـأتـاله إبهـامُهـا

باكرتُ حاجتَها الدَّجاجَ بسُحرةٍ . . . . البيت)

قوله : أغلى ، بضم الهمزة ، أى أشترى غالياً . والسباء ، بالكسر والمد : اشتراء الخمر ، ولا يستعمَل فى غيرها ، يقال : سبأت الخمرَ بالهمز أسبؤها بالضم سبْئاً ، بسكون الباء ، ومَسْبَأً : إذا اشتريتَها لتشربَها : قال ابن هَرْمة :

كأساً بفيها صهباءَ معْرَقةً[1] يَغلُو بأيدى التِجَارِ مسبَؤُها

أى إنّها من جودتها يغلو اشتراؤها ؛ واستبأتها مثله ؛ والاسم السِباء على فِعالٍ بكسر الفاء ؛ ومنه سمِّيت الخمر سَبيئة على وزن فَعيلة ، وخمّارها سَبّاء على فعّال بالتشديد . وأمّا إذا اشتريتها لتَحملَها إلى بلدٍ آخر ، قلتَ سبيتُ الخمر ، بلا همز ، كذا فى الصحاح . والباء بمعنى مع . والأدكن : الزِّقُّ الأغبَر . والعاتق ، قيل : هى الخالصة — يقال لـكل ما خَلَص : عاتق — وقيل : التى عتقتْ ، وقيل : التى لم تُفتَح . فهو من صفة الخمر ، وهو الصحيح،

---

(١) ط : « مغرفة » ش : « مفرقة » صوابهما ما أثبت . والمعرقة : التى تمزج قليلا ، كأنه جعل فيها عرق من الماء . ومثله قول البرج بن مسهر :

رفعت برأسه وكشفت عنه بمعرقة ملامة من يلوم

وانظر شرح شواهد المغنى ٢٧٩ . وقبل البيت كما فى اللسان (سبأ) :

خود تعاطيك بعد رقدتها إذا يلاق العيون مهدؤها

لأنه يقال : اشترى زقَّ خمرٍ ، وإنّما اشترى الخمر : فعاتق مضاف إليه . وقيل : العاتق من صفات الزقّ ، فهو وصفٌ لأدكن . والجَونة بفتح الجيم : الخابيةَ . وقُدِحَتْ بالبناء للمفعول بمعنى غُرِفت ، والمِقدَحة بالكسر : المِغرفة ؛ وقيل : قِدحَت : مُزِجت ؛ وقيل : معنـاهُ بُزِلت ، يقال : بَزَلت الشيء بَزْلا ، بالموحّدة والزاى المعجمة إذا ثقبته واستخرجتَ ما فيه . وفُضّ : كُسِر ؛ وخِتامها : طينها . وفيه تقديم وتأخير ، أى فُضّ ختامها وقُدِحت ؛ لأنّه مالم يُـكسَر ختامُها لا يمكن اغترافُ ما فيها . يقول : أشترِى الخمرَ غاليةَ السعرِ : باشتراءِ كلّ زقّ أدكنَ أو خابيةٍ سوداء قد فُضّ ختامها وآغتُرف منهـا . وتحرير المعنى : أشترى الخمرَ للنُدَماء عند غَلاء السعر . وأشترى كلَّ زقٍّ مقيَّرٍ أوخابيةٍ مقيَّرةٍ . وإنما قُيِّرَا لئلاّ يرشَحا بما فيهما .

وقوله : بصَبُوح صافية الخ ، الصَّبوح : شُرب الغداة ، ويريد بالصافية الخمر،والكَرينة ، بفتح الكاف وكسر الراء المهملة : المغنّية بالعود ، والكِران بكسر الكاف ، هو العود : والموتَّر : العود الذى له أوتار . وتأتاله بفتح اللام الجارّة : من قولك تأتّيت له ؛ كأنّها تفعل ذلك على مَهَل وترسُّل . ويروى : (تأتالُه) بضمّ اللام : من قولك أُلتُ الأمر : إذا أصلحته ، كذا فى شروح المعلّقات[1] . وروى : (وصَبوح صافية) : بواوِ رُبّ ، والمعنى : كم صَبوح من خمر صافية ، استمتعت باصطباحها ، وجذبِ عوّادة عوداً موتَّرا يُعالِجُهُ[2] إبهامُ العوّادة ، استمتعت بالإصغاء إلى غِنائها .

وقوله : (باكرت حاجتها) الخ : باكرتُ متعلّقُ قوله : بصَبوح صافية، على رواية الباء ، وهو جوابُ واوِ ربَّ على رواية الواو . ورُوِى : (بادرت)

---

(١) انظر أيضا رسالة الغفران ١٠٨

(٢) فى النسختين : « معالجة » تحريف .

موضعَ با كرت . وضمير حاجتَها راجعٌ إلى الصافية المرادِ منها الخمر ، ومعناه : حاجتى فى الخمر ، فأضاف الحاجةَ إلى ضمير الخمر اتّساعا وجعلَه الشارحُ المحقِّق — فيما يأتى قريباً — من باب إضافة المصدر إلى ظرفه وقال : إلاّ أنه كالمضاف إلى المفعول به المنصوبِ بنزع الخافض ، أى حاجتى إليها وهو فى الحقيقة بمعنى اللام[1] . وروى فى ديوانه : (با كرتُ لذّتَها الدَّجاج) وهو جمع دَجاجة ، بفتح الدال وكسرها ، يطلق على الذكر والأنثى ، والهاء للواحد من الجنس ، والمراد هنا الدُّيوك . والمعنى : با كرت بشُربها صِياح الدِيكة . و (السُّحْرة) بالضم : أوَّل السَّحَر . وقوله : (لأُعَلَّ) متعلِّق بباكرت وبالبناء للمفعول ، من العَلَل وهو الشرب الثانى ، وقد يقال للثالث والرابع : علَل من قولهم : تعلّلت به : أى انتفعت به مرَّة بعد مرّة ، والنهل محرّكة : الشُّرْب الأوّل . أى تعاطيت شُربَها قبلَ صَدْح الديك ، لأسقَى منها مرّة بعد أُخرى ، أى حينَ استَيقظ نِيامُ السَحرِ . وهَبَّ من نومه : استيقَظ . ونِيام : جمع نائم . ومثلُه للنابغة الجعْدىّ :

سَبَقَتْ صِياحَ فَوَاريجِها وصوتَ نَواقيسَ لم تُضْرَبِ

قال الأصمعىّ : الفراريج : الدِيكة . وقال جريرٌ مثلَه :

لما تذكَّرتُ بالدَّيرينِ أرّقَني صوتُ الدَجاج وضَربٌ بالنواقيس[2]

وترجمة لبيد بن ربيعة تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[3]

٤٨٥

* * *

---

(١) انظر شرح الرضى ١ : ١٧٤ . وموضع الاستشهاد بهذا الشطر مرة ثانية يكون بعد الشاهد التالى لهذا ، ولكن البغدادى أهمل ذكره كما سترى مكتفيا بإشارته هنا إليه .

(٢) هما دير فطرس ودير بولس ، بظاهر دمشق .

(٣) انظر الخزانة ٢ : ص ٢٤٦

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد المائة[١] :

١٧٤ (يا سارِقَ الليلةِ أهلَ الدار)

على أنه قد يُتوسّع فى الظروف المتصرِّفة ، فيضاف إليها المصدرُ والصفةُ المشتقة منه ، فإنّ الليل ظرفٌ متصرِّف ، وقد أضيف إليه سارق وهو وصف .

وقد وقع هذا فى كتاب سيبويه . وأورده الفرّاء أيضاً فى تفسيره ، عند قوله تعالى (فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَه[٢]) وقال : « أضاف سارقَ إلى الليلة ونصَب أهلَ . وكان بعض النحْويِّين ينصب الليلةَ ويخفض أهل ، فيقول : يا سارقَ الليلةَ أهلِ الدار » هذا كلامه .

قال ابن خروف فى شرح الكِتاب : « أهلَ الدار منصوب بإسقاط الجارّ ، ومفعولُه الأوّل محذوف والمعنى : يا سارق الليلةِ لأهل الدار متاعاً ، فسارق متعدّ لثلاثة ، أحدها الليلة على السعَة ، والثانى بعد إسقاط حرف الجر ، والثالث مفعول حقيق . وجميع الأفعال متعدِّيها ولازمها يتعدَّى إلى الأزمنة والأمكنة » انتهى .

وفيه نظر ، فان أهل اللغة نقلوا : أنّ سرق يتعدَّى بنفسه إلى مفعولين ، قال صاحب المصباح وغيره : سرقه مالاً يسرقه من باب ضربَ ، وسرَق منه مالاً ، يتعدّى إلى الأول بنفسه وبالحرف على الزيادة انتهى .

فجعَلَ مِنْ فى المثال الثانى زائدة . فالصواب أنّ الليلة هو المفعول الأوّل ، وأهلَ الدار بدلٌ منها ، فيقتضى أن يكون منصوباً بسارقَ آخر ، لان البدل

---

(١) وهو أيضا من شواهد سيبويه ١ : ٨٩ ، ٩٩ . وقال ابن الشجرى فى أماليه ٢ : ٢٥٠ : « ومثل هذا فى الشعر جائز ، قال :

* يا سارق الليلة أهل الدار * » .

وانظر ابن يعيش ٢ : ٤٥ ، ٤٦

(٢) الآية ٤٧ من سورة إبراهيم .

على نيّة تَـكرار العامل، والمفعول الثانى حُذف لإرادة التعميم أى متاعاً ونحوَه.

قال السيّد فى شرح الـكشّاف: « وأهل الدار منصوب بسارق لاعتماده على حرف النداء، كقولك: ياضاربا زيداً، وياطالعاً جبلاً. وتحقيقه: أنّ النداء يناسب الذات، فاقتضى تقدير الموصوف، أى ياشخصاً ضارباً » انتهى. ولم يُجر للمفعول الثانى ذِكراً، وكأنه لوضوحه تركَه.

وقول الفَنارىّ فى حاشية المطول: الظاهر أنَّ انتصاب أهل الدار بمقدّر، أى احذرْ أهلَ الدارِ، خلافُ المعنى المقصود. قال السيِّد: والاتساع فى الظرف أن لايقـدَّر معه (فى) توسُّعاً، فينصب نصب المفعول به، كقوله: ويوماً شهدناه، أو يضاف إليه على وتيرته كـ(مالك يوم الدين) وسارقَ الليلة حيث جعل اليومَ مملوكا والليلةَ مسروقة وأما (مكرُ الليلِ والنهار[١]) فإنْ جعلا ممكوراً بهما — كما يقتضيه سياق كلامه فى المفصّل — كان مثالاً لـما نحن فيه: من إجراء الظرف مجرى المفعول به، وإن جُعلا ماكرَينِ[٢] كانا مشبِّهين به فى إعطاء الظرف حكم غيره. والإضافة فى الـكلّ بمعنى اللام. ولم يقيِّد المصنف — يعنى الزمخشرىّ — الإضافَة بمعنى فى، وإن كانت رافعة مئونة الاتساع وما يتبعه من الإشكال، إمّا لأنّ إجراء الظرف مُجرى المفعول به قد تحقّق فى الضمائر بلا خلاف، وصورة الإضافة لما احتملت وجهَين كانت محمولة على ما تحقّق، فلا إضافةَ عندهم بمعنى فى. وإما لأنّ الاتّساع يستلزم فخامةً فى المعنى، فـكان عند أرباب البيـان بالاعتبارِ أولى. ومَنْ أثبتها من النُّحاة فلِنَظَرِه فى تصحيح العبارة على ظاهرها. انتهى كلامه.

٤٨٦

---

(١) الآية ٣٣ من سورة سبأ.

(٢) ط: « مؤكدين »، صوابه من ش.

وقوله : « وما يتبعه من الإشكال » هو وصف المعرفة بالنكرة ، لأنّ الإضافة على الاتساع لفظيّة ، فيشكل كونُه صفةً للاسم الكريم ؛ فلو كانت الإضافة بمعنى « فى » لكانت معنويّة وصحّ الوصفُ به ، لحصول التعريف للمضاف ؛ بناء على أنّ الإضافة اللفظية لا تكون على تقدير حرف .

واعلم أنّ صاحب الكشّاف قال فى (مالك يوم الدين) : معنى الإضافة على الظرفيّة — بعد أنْ قال : إنّ يوم الدين أُضيف إليه مالك على الاتساع — فظاهره التنافى بينهما ، لأنّ الإضافة على الاتساع لفظيّة ، وكون المعنى على الظرفيّة يقتضى أنّ الإضافة معنويّة . فدفعه السيِّد بقوله : يعنى أنّ الظرف — وإن قُطِع فى الصورة عن تقدير فى ، وأُوقع مَوقِع المفعول به — إلا أنّ المعنى المقصودَ الذى سيق الكلام لأجله ، على الظرفية ؛ لأنّ كونه مالكاً ليوم الدين كنايةٌ عن كونه مالكاً فيه للأمرِ كلِّه ، فإنّ تملُّكَ الزمانِ كتملُّك المكانِ يستلزم تملُّكَ جميعِ ما فيه . انتهى .

وإضافةُ الوصف إلى الظرف المذكور ، من قبيل المجاز اللغوىّ عند السيِّد ، ومن باب المجاز الُحكمىّ عند التفتازانىّ .

وردّه السيِّدُ بقوله : « ومن قال : الإضافة فى مالك يومِ الدين مجازٌ حُكمىّ ، ثمّ زعم أنّ المفعولَ به محذوف عامٌّ يشهد لعمومه الحذف بلا قرينة ؛ وَرَدَ عليه أنّ مثَل هذا المحذوفِ مقدَّرٌ فى حُكم الملفوظ ، فلا مجازَ حُكمياً كما فى « واسألِ القرْية [1] » ، إذ كان الأهلُ مقدَّرا » . انتهى .

* * *

---

(١) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[١] :

١٧٥ (أستغفرُ اللهَ ذنباً)

هو قطعة من بيت ، وهو :

أستغفِرُ اللهَ ذنباً لستُ مُحصيَهُ[٢] رَبَّ العبادِ إليه الوجهُ والعَمَلُ

على أنّ الأصل استغفر الله من ذنب ؛ فحذف مِنْ لأنّ استغفر يتعدّى إلى المفعول الثاني بمن .

ومعناه طلب المغفرة أى الستر على ذنوبه . وأراد بالذنب جميعَ ذُنوبه ؛ فإنّ النكرة قد تعمُّ فى الإثبات . ويدلّ عليه قوله : « لستُ محصيَهُ » أى أنا لا أُحصى عددَ ذُنوبى التى أذنبتُها ، وأنا أستغفر اللهَ من جَميعها . و (ربَّ العباد) صفة للاسم الكريم . قال الأعلم : والوجه هنا : القصد والمراد ، وهو بمعنى التوجّه ، أى إليه التوجه فى الدعاء والطلب والمسألة ، والعبادةُ والعملُ له . يريد : هو المستحقّ للطاعة .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسينَ التى لا يُعرَف قائلها .

* * *

٤٨٧ وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد المائة ، وهو من شواهد المفصّل[٣] :

---

(١) فى كتابه ١ : ١٧ . وانظر الخصائص ٣ : ٢٤٧ وابن يعيش ٧ : ٦٣/٨ : ٥١ والعينى ٣ : ٢٢٦ والهمع ٢ : ٨٢ والأشمونى ٢ : ١٩٤ والتصريح ١ : ٣٩٤ .

(٢) فى النسختين : « أحصيه » وإن كان الشنقيطى حورها فى نسخته إلى « محصيه » ، وهو الصواب ، كما فى المراجع وما سيأتى فى الشرح .

(٣) ابن يعيش ٣ : ٨ . وانظر العينى ٣ : ٣٥٩ .

١٧٦ (كَوكبُ الخرَقاءِ)

وهو قطعة من بيت ، وهو :

إذا كَوكَبُ الخرْقاءِ لاحَ بسُحْرَةٍ سُهَيلٌ، أذاعَتْ غزْلَها فى القَرائبِ

على أنّ الشيء قد يضاف إلى الشيء لأدنى ملابَسة .

بيانه : أنّ الخرقاء هى المرأة التى لا تحسِن عمَلا ، والأخرَق : الرجل الذى لا يحسن صَنعةً وعمَلا — يقال : خرُق بالشيء من باب قرب : إذا لم يعرِفْ عملَه . وذلك إمّا من تنعّمٍ وترفُّه ، أو من عدم استعدادٍ [و] قابليّة . ومنه الخرقاء صاحبة ذى الرُّمّة ، فإنه أولَ ما رآها أراد أن يَستطعِم كلامَها ، فقدَّم إليها دلواً فقال : اخرُزيها لى ، فقالت : إنى خرقاء . أى لا أُحسِن العمل ! وليس الخرقاء هنا المرأةَ الحمقاء ، كما تُوُهِّمَ — فأضاف الكوكبَ إلى الخرقاء ، بملابسةٍ أنّها لما فرّطت فى غزلها فى الصَّيف ولم تستعِدَّ للشتاء استغزَلتْ قرائبَها عند طلوع سُهَيل سحراً — وهو زمان مجىء البرد — فبسبب هذه الملابَسة سمِّى سهيلٌ كوكبَ الخرقاء .

والإضافة لأدنى ملابسة ، من قبيل المجاز اللغوىّ عند السيِّد ، ومن المجاز العقلىّ عند التفتازانىّ . قال السيِّد فى شرح المفتاح فى بيان الإضافة لأدنى ملابسة : « الهيئة التركيبيّة فى الإضافة اللاميّة موضوعة للاختصاص الكامل، المصحِّح لأن يُخبر عن المضاف بأنّه للمضاف إليه . فإذا استُعمِلتْ فى أدنى ملابَسةٍ ، كانت مجازاً لُغوياً، لا حُكميًا ، كما تُوُهِّمَ . لأنّ المجاز فى الحكم إنّما يكون بصرف النسبة عن محلّها الأصلىّ إلى محلٍّ آخَر ، لأجل ملابسةٍ بين المحلَّين . . وظاهرٌ أنّه لم يقصِدْ صرفَ نسبةِ الكوكب ، عن شىء ، إلى الخرقاء بواسطة ملابسةٍ بينهما ، بل نسبَ الكوكب إليها لِظُهور جِدِّها فى تهيئة ملابس

الشتاء : بتفريقها قُطنَها فى قرائبها ليُغزَل لها فى زمان طلوعه ، الذى هو ابتداء البرد ؛ فجُعِلتْ هذه الملابسة بمنزلة الاختصاص الكامل . وفيه لطف » . انتهى كلامه .

وبه يسقط أيضاً كلام السيِّد[1] عيسىٰ الصفَوِىّ فى جعله هذه الإضافةَ حقيقيّة وليست من المجاز فى شىء ، فإنّه قال فى مناقشته : فإنّ ذلك مما لم يُفهَم من كلامهم ، والأصل الحقيقة . مع أنّهم صرحوا بأنّ اللام معناه الحقيقىّ مطلقُ الاختصاص بمعنى المناسبةِ التامّةِ وزيادة الُخصوصيّة . فلا مجاز فى قولنا كوكب الخرقاء . انتهى .

و (كوكب الخرقاء) : فاعلٌ بفعل محذوف يفسِّره لاح . و (سهيلٌ) بالرفع : عطف بيان لكوكب الخرقاء . وجملة (أذاعت) جواب إذا . وأذاعت أى فرّقت ، وفاعله ضمير المضاف إليه ، أعنى الخرقاء . ورُوى : (أشاعت غزْلَها) أى فرّقته ، متعدِّى شاع اللبنُ فى الماء : إذا تفرَّق وامتزج به . قال الأصمعىّ : إذا طلع سهيل عند غروب الشمس أوَّلَ الليلِ ، كان وقت تمام السنة ؛ وفى الشتاء يطلع من أوّل الليل ؛ وفى آخر الصيف قُبيلَ الشتاء من آخر الليل .

وقد أنشد ابن السِّكِّيت هذا البيت فى أبيات المعانى ، وأورد بعده :

(وقالت: سَماء البيتِ فوقَكَ مُنهِجٌ ولمّا تُيسِّرْ أحبُلاً للركائب)

وقال : تقول لزوجها — إذا لاح سهيل — : سماء البيت فوقَكَ مُنهِج ، أى مخلق ، ولمّا تيسِّر لركائبنا أحبُلاً ؛ فكيف تنتجع على هذه الحالة ؟ انتهى .

فجملة قالت معطوفٌ على أذاعت .

---

(١) ط : « أيضا ما للسيد » ، صوابه فى ش .

٤٨٨ قال ابن الأنباريّ : البيت عند العرب إنّما هو من صوف أو شَعَر ؛ فإذا كان من شجر فهو خَيمة . والسماء : السقف ، مذكّر ، وكل عالٍ مُظِلٍّ سماء . والمُنهِج: اسم فاعل من أنهج الثوبُ : إذا أخذ فى البِلى . وتُيسَّر : تسهَّل وتهيَّأْ ، مجزوم بلمّا . وأحبُل : جمع حبْل وهو الرَّسَن ونحوُه . والركائب : جمع رِكاب ، والرِّكاب بالكسر : الإبل التى يُسارُ عليها ، الواحدة راحلة ، وليس له واحدٌ من لفظه .

* * *

باب المفعول له

أنشد فيه ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

١٧٧ (يرْكَبُ كُلَّ عاقرٍ جُمْهُورِ مَخافةً وزَعَلَ المحْبُورِ)
(والهَوْلَ مِنْ تهوُّلِ الهَبورِ)

على أن (زَعلَ المحبور) و (الهولَ) مفعول لأجله . وفيه ردٌّ على الجرمىّ فى زعمِهِ أنّ المسمَّى مفعولاً لأجله هو حالٌ . فيلزَم تنكيره .

وبيان الردّ : أنّ الأوّل معرَّف بالإضافة ، وهى إضافة معنويّة ؛ والثانى معرَّفٌ بألْ ، فلا يكونان حالَين ، فتعيَّن أن يكون كلٌّ منهما مفعولاً لأجله .

وقال ابن برّىّ ، فى شرح أبيات الإيضاح : وانتصاب مخافةَ ، وزعلَ والهولَ ، المعطوفينِ عليه ، على المفعول له . وأصله اللام ، فلمّا سقط الخافضُ تعدَّى إليه الفعل . والرياشىّ زعم أنّه لا يكون إلا نكرةً كالحال والتمييز . وسيبوَيه يجيزُ الأمرين . انتهى .

(١) فى كتابه ١ : ١٨٥ . وانظر ديوان العجاج ٢٨ وابن يعيش ٢ : ٥٤ .

وهذا من أرجوزة للعجّاج. شبّه بعيرَه في السُرعة بالثّور الوحْشيّ الموصوف بهذا الوصف. فقوله (يركب) فاعلُه ضمير الثورِ الوحشيّ الذى خافَ من الصياد فذهب على وَجهه مُسْرِعاً، يصعد تِلالَ الرمْل، ويعتسف المشاقّ. و (العاقرُ): العظيم من الرمْل الذى لا يُنبِتُ شيئاً، شبِّه بالعاقر التى لا تَلِدُ قال أبو عبيدة: العاقر من الرمل: العظيم. وقال غيره: المشرِف الطويل. وهذا التفسير كلُّه واحد؛ لأنّ المشرفَ الطويلَ والرملَ العظيم لا يُنبِتُ، لعدم التراب والرطوبة التى يَكسِبُها المطمئنُّ السهلُ من الرمل. و (الُجمهور) بالضم: الرملة المشْرفة على ما حَولها، وهى المجتمِعة؛ وهو صفةٌ لعاقر. وإنّما خصّه، لأن بقر الوحش إذا دهِمَها القانصُ اعتصمت بركوب الرمل، فلا تقدِرُ الكلابُ عليها. وقوله (مخافة)، مفعول لأجله. قال صاحب اللباب: المفعول له علّةُ الإقدام على الفعل، يكون سبباً غائياً كقوله:

وأغفرُ عوراء الكريمِ ادّخارَه[1]

وسبباً باعثاً ليس غايةً يُقصَدَ قَصدها، نحو قوله — وأنشدَ شعرَ العجّاج — فالخوف، والزَّعل، والهَوْل، كلٌّ منها سببٌ باعثٌ على ركوب الجمهور، لا سببٌ غائىّ. و (زعَلَ) معطوفٌ على مخافة؛ وهو بالزاى المعجمة والعين المهملة بمعنى النشاط، مصدر زَعِلَ من باب فرح؛ والوصف زَعِلٌ بالكسر. قال ذو الرُّمّة يصف ثوراً:

وَلّى يَهُذُّ انهزاماً وَسْطَها زَعِلاً جَذْلانَ قدْ أفْرَختْ عن رُوعِهِ الكُرَبُ[2]

وقال طرَفة بن العبد:

---

(١) انظر الشاهد ١٧٩ فيما سيأتى.

(٢) يهذ: يقطع الفلاة. وفى ديوانه ٢٧: «يهز انهزاما» وفى شرحه: «أى يمر مرا سريعا». ط: «يهر»، وأثبت ما فى ش.

* وبلادٍ زَعِلٍ ظِلمانُها[١] *

و (المحبور) : اسم مفعول من حَبَرَنى الشىء إذا سَرَّنى ، من باب قتل . فزَعَلَ مصدرٌ مضاف إلى فاعله ، فليس مفعولاً لأجله لاختلاف الفاعل ، وإنّما هو مصدرٌ تشبيهىّ . أى زَعلاً كزَعَل المحبور ، فالمحذوف هو المفعول له. وقوله : و (الهَوْلَ) معطوف على مخافة ، وهو مصدرُ هالَهُ يهولُه هوْلاً : إذا أفزعه . قال الشارح : فالهول معناه الإفزاع لا الفزَع ، والثور ليس بمُفزِع بل هو فزِع . فالفاعلان مختلفان . وقد جوَّزه بعضُ النحويِّين، وهو الذى يقوَى فى ظنى وإن كان الأغلبُ هو الأوّل[٢] أ هـ .

٤٨٩

وقد فسّره شراح أبيات الكتاب بالفزع ، وهو المشهور . وعليه فالفاعل متَّحد .

ونقل أبو البقاء فى شرح الإيضاح الفارسىّ عن بعضهم أنّه معطوفٌ على كلّ عاقر ، أى يركب كل عاقرٍ ، ويركب الهول ، فيكون مصدراً بمعنى اسم المفعول .

و (التهوُّل) تفعُّلٌ منه ، وهو أن يعظُم الشىء فى نفسك حتى يهُولك أمرُه . و (الهُبور) جمع هَبْر بفتح فسكون ، وهو ما اطمأنّ من الأرض وما حوله مرتفع . وروى شارح اللب :

* والهولَ من تهوُّرِ الهُبور *

وقال : الهول : الخوف . والتهوُّر : الانهدام . أى ولمخافته من تهوُّر

(١) عجزه كما فى ديوان طرفة ٦٦ :

* كالمخاض الجرب فى اليوم الخدر *

(٢) انظر شرح الرضى ١ : ١٧٦ ، ١٧٧ .

الأمكنة المطمئنَّة . وقد استدلّ صاحبُ اللبِّ لتعريف المفعول له بزعلَ المحبور فقط ، من هذا الشعر . قال شارحه : وإنّما لم يذكر آخرَ البيت — ليكون شاهداً أيضاً للمفعول له المعرَّفِ باللام ، وهو الهول ، كما ذكرَ المعرَّف بالإضافة ـ لأنّه ذكَر فى شرح أبيات الكتاب أنّ الهول عطْفٌ على كلّ ؛ وعلى هذا يكون مفعولا به لا مفعولاً له ؛ فلا يكون الإتيانُ به نصاً فى الاستشهاد . اهـ

قال ابن خلف : زعلَ المحبور عطف على مخافَة ، والهولَ معطوف على كلّ ثم قال : والأصل لمخافةِ ، ولزعلِ المحبور ، وللهولِ ، أى لأجل هذه الأشياء يركبُ كلَّ كثيب . هذا كلامه .

وترجمة العجاج تقدمت فى الشاهد الحادى والعشرين[1]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد المائة ، قول ابن دُرَيد :

١٧٨ (والشَيخ إن قوَّمتَه مِنْ زَيغِه لَم يَقِمِ التثقيفُ مِنه ماالتَوىٰ)

على أنه يجوز أن يقال ضربته تقويماً فما استقام ، إذ قد يطلق أنه حصل التأثير[2] .

والتقويم : التعديل ، يقال : قوّمته تقويماً فتقوّم ، بمعنى عدّلته فتعدل ، ومثله أقامَه أى عدله . و (الزيغ) الميل ، يقال زاغت الشمسُ تَزيغ زَيغاً وأزاغَهُ إزاغة أى أماله . و (التثقيف) تعديل المعوَجّ . و (منه) متعلّق بيقُم . و (ما) موصولة أو موصوفة ، ويجوز أن تكون مصدريّة . و (التوىٰ) تعوّج ؛ وفاعله ضميرُ ما على الأوّل ، وضمير الشيخ على الثانى . وجملة الشرط والجزاء فى محلّ رفع خبر المبتدإ الذى هو الشيخ .

---

(١) الخزانة ١ : ص ١٧٠ (٢) انظر شرح الرضى ١ : ١٧٦

صاحب الشاهد

وهذا البيت من مقصورة ابن دُريد المشهورة . وقبلَ هذا البيت :

بعض المقصورة

(والناسُ كالنبتِ : فمنهُ رائقٌ غَضٌّ نضيرٌ عُودُه مُرُّ الجَنيْ

ومنه ما تقتحِمُ العينُ فإنْ ذُقتَ جَناهُ انساغَ عَذباً فى اللَّها

يُقَوِّم الشارخُ مِنْ زَيْغانِهِ[1] فيَستوى ما انعاج مِنهُ وانحنيْ

والشيخ إن قوّمتَه من زَيغه . . . . البيت

٤٩٠ كذلك الغُصنُ : يسيرٌ عطفُه لَدْناً ، شديدٌ غَمزُه إذا عَسا

مَن ظلَمَ الناسَ تحامَوْا ظلمَهُ وَعزَّ فيهم جانِباه واحتمىْ

وهمْ لمن لانَ لهم جانبُه أظلمُ من حيّاتِ أنباثِ السَفىْ

والناسُ كُلاًّ إنْ فحصتَ عنهمُ جميعَ أقطارِ البلاد والقُرى[2]

عبيدُ ذى المال ، وإن لم يطعموا من غمره فى جُرْعةٍ تَشفى الصدىْ

وهمْ لمن أملقَ أعداءٌ وإن شاركهمْ فيما أفادَ وحوَىْ)

وتقتحمه العينُ . تفوته وتزدريه . واللَّها بالفتح : جمع لَهَاة ، وهى ما بين منقَطِعِ أصلِ اللسان إلى منقَطع القلب من أعلى الفم . والشارخ : الشابّ . والزيغان : العدول عن الحق ، وانعاج . انعطف . و « ما » فيه الوجهان . وقوله : كذلك الغصن ، الإشارة راجعة إلى تقويم الشارخ والشيخ . واللَّدْن : اللّين ، والطرىّ . والغمز : العصر باليد والهزّ . وعسا : صلب واشتدّ . وقوله : أظلم من حيّات الخ ، الأنباث : جمع نَبْث بنون فموحّدة فمثلّثة ، فى القاموس : النَّبْث كفلس : النبش ، وقيل : التراب المستخرج من البئر . والسَّفَى ، بسين مهملة مفتوحة وفاء : التراب ، وهذا من قولهم فى المثل : « أظلمُ من

(١) الأصل فى ياء الزيغان ، هو الفتح ، وأسكنه للضرورة .

(٢) الميمنى : « هذا البيت لا يشبه سائر المقصورة ولا يوجد فى طبعة الجوائب ١١٢ ولا فى غيرها »

حيّة[١] » لأنّها لا تحفر جُحراً ، وإنما تأتى إلى جُحر قد احتفره غيرُها فتدخل فيه وتغلِب عليه ؛ فكلّ بيت قصدت إليه هربَ أهلُه منه وخلَّوه لها .

وهذه القصيدة طويلة ، عدتُها مائتان وتسعة وثلاثون بيتاً ، لها شروح لا تُحصىٰ كثرة . وأحسن شروحها شرح العلاّمة الأديب أبى على محمّد ابن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخمىّ السَّبْتيّ . وقد شرحتها أنا شرحاً موجَزاً مع إيضاح وافٍ ، وتبيين شافٍ ، فى أيام الشبيبةِ . نفع الله به .

ومدح ابنُ دريد بهذه المقصورة الشاهَ وأخاه أبا العباس إسماعيل ابنَي مِيكال يقال : إنها اشتملت على نحو الثلث من المقصور . وفيها كلّ مَثَلٍ سائر ، وخبرٍ نادر ؛ مع سلاسة ألفاظٍ ، ورشاقة أُسلوبٍ ، وانسجام معان يأخذ بمجامع القلوب .

وهذه نُبذةٌ من نسَبه وأحواله . وهو أبو بكر محمّد بن الحسَن بن دُريد[٢] وينتهى نسبُه إلى الأزْد بن الغَوْث ، ومنه إلى قحطان ، وهو أبو قبائل اليمن .

ولد بالبَصرة فى سنة ثلاثٍ وعشرين ومائتين ، ونشأ بها ، وتعلّم فيها ؛ ثم ارتحل منها مع عمّه عند ظهور الزِنج ، وسكَن عُمان ، وأقام اثنتىْ عشرةَ سنة ؛ ثم عاد إلى البَصرة ، وسكن بها زماناً ؛ ثم خرج إلى نواحى فارس ، وصحب ابنَيْ مِيكال — وكانا يومئذ على عمالة فارس — وعمِل لهما كتابَ الجمهرة ، وقلّداه ديوان فارس ، فكانت الكتبُ لا تُكتَب إلاّ عن رأيه[٣] ، ولا ينَفُذ أمرٌ إلاّ بعد توقيعه . وكان سخيّاً [متلافاً[٤]] لا يُمسك درهما .

(١) انظر الحيوان ١ : ٢٢٠/٤ : ١٤٩ ، ١٥٠ ، ٢٠٠/٦ : ٤٠١ .
(٢) دريد : مصغر أدرد تصغير ترخيم . والدرد ، محركة : ذهاب الأسنان .
(٣) سه : « وكانت لا تصدر كتب فارس إلا عن رأيه » .
(٤) التكملة من سه .

ومدحهما بهذه القصيدة المقصورة ، فوصلاه عشرة آلاف درهم[1] . ثمّ انتقل من فارس إلى بغداد ، ودخلها سنة ثمان وثَلثمائة ، بعد عزل ابنَي ميكال وانتقالهما إلى خراسان . ولما دخل بغدادَ أنزله عليُّ بنُ محمّد فى جواره وأفضلَ عليه ، وعرَّف الخليفةَ المقتدرَ العباسيَّ مكانَه من العلم ، فأجرىٰ عليه فى كل شهرٍ خمسين ديناراً ، ولم تزل جاريةً عليه إلى حين وفاته . وتُوُفِّى يومَ الأربعاء لاثنتَي عشرةَ ليلةً بقيت من شعبانَ سنة إحدىٰ وعشرين وثَلثمائة ببغداد .

٤٩١ وكان مواظباً على شُرب الخمر ، قال أبو منصورٍ الأزهريّ : دخلتُ عليه فرأيته سكرانَ فلم أعدِلْ إليه[2] . وقال ابن شاهين : كنّا ندخُل عليه فنستحيي ممّا نرى عنده من العِيدان والشَّراب المصفَّى . وعرض له فى رأس التسعينَ من عُمره فالجُ وسُقِيَ التِرْياقَ فبَرِىء وصحّ ورجَعَ إلى أفضلِ أحواله . ثم عاوده الفالج بعد عام ، لغذاءٍ ضارّ تناولَه ، فكان يحرِّك يديه حركةً ضعيفة ، وبطَل من مَحزِمه إلى قدميه ، فكان إذا دخل عليه داخلُ ضجَّ وتألَّم لدخوله . قال تلميذه أبو عليّ القاليّ : كنتُ أقول فى نفْسى : إن الله عزّ وجل عاقبَه لقوله فى هذه المقصورة ، يخاطب الدهر :

مارستَ مَنْ لو هوتِ الأفلاكُ مِنْ جوانبِ الجوِّ عليه ماشَكا

وكان يصيح من الداخل عليه صياحَ من يُنخَس بالمسالّ — والداخلُ بعيد — وكان مع هذه الحال ثابتَ الذهن كاملَ العقل . وعاش مع الفالج عامَين . وكنت أسأله عن أشياء فى اللغة فيردُّ بأسرعَ من النفَس ، بالصواب . وقال لى مرّة — وقد سألته عن بيت — لئن طُفِئَتْ شَحمتا عَينىَّ لمْ تجد مَنْ يَشفِيك من العلم . وكان ينشد كثيراً :

---

(١) الصواب (بعشرة آلاف درهم) .

(٢) كذا فى النسختين . وفى معجم الأدباء ١٨ : ١٣١ : « فلم أعد إليه » .

فواحَزَنى أن لا حياة لذيذة ولا عملٌ يرضَىٰ به اللهُ صالحُ !

وأشهر مشايخه : أبو حاتم السِجِسْتَانىّ ، والرياشىّ ، وعبدُالرحمن ابن أخى الأصمعىّ ، والأُشْنانْدَانىّ . وسمع الأخبار من عمّه الحسين بن دُريد ، ومن غيره . وله من التآليف : الجمهرة فى اللغة ، وكتاب السَّرْج واللجام ، وكتاب الأنواء وكتاب المجتنى[1] وهذه الكتب عندى والحمد لله والمنّة .. وله كتاب الاشتقاق ، وكتاب الخيل الكبير ، والصغير ، وكتاب الملاحن[2] وكتاب زوّار العرب[3] ، وكتاب الوشاح[4] ، وغير ذلك .

وكان واسعَ الرواية لم يُرَ أحفظ منه ؛ وكانوا يقرءون عليه دواوين العرب فيسابِق إلى إتمامها ، من حفظه . وله شعر رائق . قال بعض المتقدّمين : ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء .

قال المسعودىّ فى مُروج الذهب : كان ابن دريد ببغدادَ ممّن بَرع فى زماننا فى الشعر . وانتهى فى اللغة ؛ وقام مقام الخليل بن أحمد فيها ، وأورد أشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدّمين . وشعره أكثر من أن يُحصىٰ .

* * *

(١) فى النسختين : « المجتبى » ، تحريف ، وقد طبع الكتاب فى حيدر أباد ١٣٤٢ بعناية المستشرق الفاضل كرنكو . وقال ابن دريد فى أوله : « سميناه كتاب المجتنى لاجتنائنا فيه ظرائف الآثار ، كما تجتنى أطايب الثمار » .

(٢) طبع فى مصر سنة ١٣٤٧ بتحقيق إبراهيم بن طفيش الجزائرى سنة ١٣٤٧ وطبع كذلك فى مصر سنة ١٣٢٣ وقبل ذلك فى ليدن سنة ١٨٥٩م وجوتا سنة ١٨٨٢م . وفى النسختين : « الملاحم » ، تحريف .

(٣) وكذا عند ابن خلكان . وعند ابن النديم والقفطى : « رواة العرب » . وهذا كله تحريف ، صوابه « رواد العرب » . وقد طبع هذا الكتاب فى مجموعة « جرزة الحاطب وتحفة الطالب » فى ليدن سنة ١٨٥٩ م باسم « السحاب والغيث ، وأخبار الرواد وما حمدوا من الكلأ » .

(٤) منه ورقتان فى (الميكروفلم) رقم ١٨٩٥ فى مجموعة من مكتبة الاسكوريال .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

١٧٩ (وأَغْفِرُ عَوراءَ الكَرِيمِ ادِّخارَهُ
وأُعرِضُ عن شَتمِ اللئيمِ تَكرُّما[٢])

على أنه يَرِدُ على مَن اشتَرط التنكيرَ فى المفعول له هذا البيتُ وبيتُ العجّاج السابقُ . فإنّ قوله : (ادّخارَه) مفعول له ، وهو معرفة .

قال الأعلَم : « نصب الادخارَ والتكرُّمَ على المفعول له ؛ ولا يجوز مثلُ هذا حتّى يكون المصدرُ من معنى الفعل المذكور قبلَه ، فيضارعَ المصدرَ المؤكِّد لفعله ، كقولك : قصدتك ابتغاء الخير . فإن كان المصدرُ لغير الأوّل لم يجُزْ حذفُ حرف الجرّ ، لأنّه لا يشبه المصدر المؤكِّد لفعله ، كقولك : قصدتُك لرغبة زيدٍ فى ذلك ، لأنّ الراغب غير القاصد » انتهى .

لكن المبرّد أخرجَهما من هذا الباب وجعَلهما من باب المفعول المطلق ، قال فى الكامل: « قوله : ادّخارُه ، أى أدّخرُه ادّخارا . وأضافَه إليه كما تقول: ادّخاراً له . وكذلك تكرما ، إنّما أراد التكرُّمَ فأخرجَه مُخرَجَ أتكرّم تكرُّما » انتهى .

٤٩٢

و (أغفر) : أستُر ؛ يقال : غفر الله لى ، أى ستر عنّي العقوبة فلم يعاقبْنى . و (العَوراء) بالفتح : الكلمة القبيحة ؛ ومنه العَورة للسَوءة

(١) فى كتابه ١ : ١٨٤ . وانظر ديوان حاتم ١٠٨ والكامل ١٦٥ ونوادر أبى زيد ١١٠ وابن يعيش ٢ : ٥٤ والعينى ٣ : ٧٥ والأشمونى ٢ : ١٨٩ والتصريح ١ : ٣٩٢ .

(٢) ويروى : « وأصفح عن شتم اللئيم » و « وأصفح عن ذات اللئيم » كما فى نوادر أبى زيد ١١٠ .

وكلُّ مايُستَحى منه . و (الادّخار) افتعال من الذُخر . وروى أبو زيد في نوادره :

* وأغفرُ عوراء الكريمِ اصطِناعَهُ *

وهو افتعال أيضاً من الصُّنْع ، وهو الفعل الجميل . و (الإعراض) عن الشيء : الصفح عنه . يقول : إذا بلغتنى كلمةٌ قبيحةٌ عن رجُل كريم قالَها فيّ ، غفرتُها له لأجل كرمه وحسبَه ، وأبقَيتُ على صداقته وادّخرتُه ليومٍ أحتاجُ إليه فيه — لأنّ الكريم إذا فرّط منه قبيحٌ ندِمَ على مافعل ، ومنَعه كرمُه أن يعود إلى مثله — وأُعرِض عن ذمِّ اللئيم ، إكراماً لنفسى عنه ! وما أحسنَ قولَ طرَفَةَ بنِ العبْد[1] :

وعَوراء جاءت من أخٍ فرددتُها بِسالمةِ العَينينِ طالبةٍ عُذْرا !

وهذا من إحكام صَنعة الشعر ومقابلةِ الألقاب بما يُشا كلها ويتمِّم معانيها : وذلك أنّه لمّا كان الكلامُ القبيحُ يشبَّه بالأعورِ العينِ ، سُمِّى ضدُّه سالمَ العينين .

وقد أورد صاحبُ الكشّاف هذا البيتَ فى التفسير ، عند قوله تعالىٰ (حَذَرَ المَوْتِ) على أنّه مفعول له ، معرَّفاً بالإضافة ، كما فى ادّخارَه .

وهو من قصيدة طويلةٍ لحاتمٍ الطائىّ ، تتعلق بالكرم ومكارم الأخلاق . وهى مسطورة فى الحماسة البصريَّة وغيرها . وهى هذه :

(وعاذِلَتين هَبَّتا بعد هَجعْةٍ تلُومانِ مِتلافاً مُفيداً مُلوَّما

---

(١) لم يرد هذا البيت فى ديوانه . ونسب فى ذيل الأمالى ٦٢ إلى حاتم طيّء ، وليس فى ديوانه أيضا . وانظر الحيوان ٦ : ٤٠ .

تلومانِ ، لمّـا غوّرَ النجمُ ، ضَلّةً ، فتًى لا يرى الإنفاقَ فى الحمد مَغرَما(١)

فقلتُ ، وقد طال العتابُ عليهما وأوعدتمانى أن تَبينا وتَصرِما :(٢)

ألا لاَ تلوماني على ما تقدَّما كفى بصُروفِ الدهر للمرء مُحكِما

فإنّـكما لا ما مضى تدرِكانه ، ولستُ على ما فاتنى متندِّما

فنفسك أكرِمْها ، فإنّك إن تَهُن عليكَ فلن تلقى لها الدهرَ مُكرِما(٣)

أَهِنْ للذى تَهوَى التلادَ ، فإنّه إذا مُتَّ كان المـال نهبًا مقسَّما

ولا تشقَيَنْ فيه فَيسعَدَ وارثٌ به، حين تغشى أغبَرَ الجوفِ مُظلِما(٤)

يقسِّمه غُنْماً ويَشرى كرامَه وقد صرتَ فى خطٍّ من الأرضِ أعظُما(٥)

قليلاً به ما يحمدَنَّك وارثٌ إذا نالَ ممّـا كنتَ تجمَعُ مغنَما(٦)

تحلَّمْ عن الأدنَينَ واستبقِ وُدَّهمْ ولن تستطيعَ الحِلمَ حتّى تحلَّما

وعوراءَ قد أعرضتُ عنها فلم تَضِرْ وذى أوَدٍ قوَّمتُه فتقوَّما

وأغفر عوراء الكريم ادّخارَه(٧) . . . . البيت

ولا أخذُلُ المولى وإن كان خاذلاً ولا أشتُمُ ابنَ العمِّ إن كان مُفحَما

ولا زادَنى عنه غناى تباعُداً وإن كان ذا نقصٍ من المال مُصرِما(٨)

---

(١) النوادر : « لما غور النسر » .

(٢) الديوان : « ولو عذرانى » .

(٣) الديوان : « فلن تنق » بالفاء .

(٤) الديوان : « تخشى » ، والنوادر : « تحثى » .

(٥) النوادر : « يبيعه غنما » .

(٦) الديوان « قليل .. إذا ساق » . وفى النوادر : « تجمع مقسما » .

(٧) فى الديوان والنوادر « اصطناعه » .

(٨) ط : « مناى » صوابه فى سه والديوان . ط : « مضرما » صوابه من سه :
والمصرم : القليل المال .

٤٩٣

وليل بهيم قد تسربلتُ هَوله إذا الليلُ بالنِكس الدنىء تجهَّما[1]

ولن يَكسِب الصعلوكُ حمداً ولا غنى إذا هو لم يركبْ من الأمر مُعظما

لحا اللهُ صعلوكاً مناهُ وهمُّه من العيش أن يَلقى لَبوساً ومَغنَما !

يَنامُ الضحى، حتّى إذا نومُه استوى تنبَّه مَثلوجَ الفؤاد مُوَرَّما[2]

مقيماً مع المثرينَ ليس ببارحٍ إذا نال جَدوَى من طعامٍ ومَجثِما

ولله صعلوكٌ يساوِرُ همَّه ويمضى على الأحداث والدهرِ مُقدِما !

فَتَى طَلِباتٍ لا يرى الخَمصَ تَرحة ولا شَبعةً إنْ نالها عدَّ مَغنَما

يرى الخَمصَ تعذيباً، وإن يَلقَ شَبْعة يَبِتْ قلبُه، من قِلَّة الهمّ مُبهَما[3]

إذا ما رأى يوماً مكارمَ أعرضتْ تيمَّمَ كُبراهنَّ ثُمَّتَ صَمَّما

ويَغشَى إذا ما كان يومٌ كريهةٍ صدورَ العوالى، فهوَ مختضبٌ دَما

يرى رُمحَه، ونَبلَه، ومِجنَّهُ وذا شُطَبٍ عَضبَ الضريبة مِخذَما

وأحناءَ سَرجٍ قاترٍ، ولجامَه، عَتادَ فتًى هَيجا، وطِرفاً مسوَّما[4]

فذلك إن يَهلِكْ فحُسنَى ثناؤُه وإن عاشَ لم يقعُد ضعيفاً مذمَّما)

قوله : هَبَّنا ، أى استيقظنا . وغوَّرَ النجمُ : أى غابت الثريا . وقوله : ضَلّة ، هو قيدٌ فى اللوم ، لامه ضَلّة : إذا لم يوفَّق للرشاد فى لومه . والمَغْرم بالفتح الغرامة . وأغبر الجوف : القبر ، ومثله : خَطٌّ من الأرض . وقوله : حتى تحلَّما ، أى تتحلّم أى تتكلّف الحِلم . وهذا البيت من شواهد مُغنى اللبيب .

(١) الديوان والنوادر : « بالنكس الضعيف » .

(٢) الديوان : « ليله استوى » . والمورم : الضخم من الرجال .

(٣) فى النسختين : « ولم يلق شبعة » صوابه من الديوان والنوادر .

(٤) ط : « سرح قاتر » صوابه فى ش والديوان ، وسيفسرها البغدادى .

وقوله : فلَم تَضِرْ ، من ضار يضير ضدّ نفع . والأَوَد بفتحتين : الاعوجاج . والنِكْس ، بكسر النون : الردئ ، وأصلُه السَّهم الذى كُسِر فُوقُه . وتجهّم : كلَح وجهُه . ولحاَ الله : قبحَ اللهُ . والصُّعلوك بالضمّ : الفقير . ومثلوج الفؤاد : البليد الذى ليست فيه حَرارةٌ من الهِمَّة . والمَجْثِم ، بفتح الميم وكسر المثلّثة : مكان الجثوم ، وهو برُوك الطائر . وقوله : ولِلّهِ صُعلوك ، تعجّبٌ ومدحٌ ، يقال عند استغراب الشيء واستعظامِه ؛ أى هو صُنْع الله ومُختارُه ، إذ له القدرة على خلق مثله . ويُساوِر : يواثِب . وهمّه ، أى عزَمه ، مفعول . وقوله : ويمضى على الأحداث ، أى لا يشغَلُه الدهرُ وحوادِثُه فى حالة إقدامِه على ما يُريد . وقوله : فتي طَلِباتٍ ، إشارةٌ إلى علُوّ هِمّته . والخَمْص بالفتح : الجوع . والترْحة : ضدُّ الفَرْحة . والشَّبْعة : المرَّة من الشَّبع . وثُمَّتَ : حرفٌ يعطف الجُمَل . ورمحَه ، وما عطف عليه : مفعولٌ أوّل ليَرَى ؛ وعَتادَ هو المفعول الثانى . وذا شُطَب ، هو السيف ، جمع شطبة : وهى الطَريقة فى مَتْن السيف . والمِجَنّ بالكسر : التُرْس والدَّرَقة . والعَضْب : القاطع . والضَّريبة : موضع الضرب والمِخذَم بكسر أوّله وبالمعجمتين : السيف القاطع ؛ وبإعجام الثانى فقط ، من الخَذْم وهو القطع السريع . والأَحْناء : جمع حِنو بالكسر ، يطلق على ما فيه اعوجاجٌ من القتَب والسَّرْج وغيرهما . والقاتر ، بالقاف وبالمثنّاة الفوقيّة : الواقى والحافظ ، لا يَعقر ظَهْر الفرَس . وعَتاد ، بالفتح : العُدَّة . وطِرْفا : معطوف على رمحَه الذى هو أوّل مفعولَى يرى ؛ وهو الكريم من الخيل . والمسوَّم المُعلَم تشهيراً لعِتْقه ولكرمه ، من السُّومة وهى العلامة ، أو المسيَّب فى المرعى ولا يركب إلاّ فى الحروب . وقوله : فذلك إن يَهلِك الخ ، الحُسنىٰ : مصدر كالبُشرىٰ ؛ وقيل : اسم للإحسان .

٤٩٤

والمعنى : لله فقيرٌ[1] يواثبُ هِمّتَه ويَمضى مُقدِماً على الدهر ، والحالُ أنّه فتِيّ طَلِباتٍ يتجدّد طلبهُ كلَّ ساعة ، والدّهرُ يُسعفه بمطلوبه لِجدّه ورَشَده ، ولا يرى الجوعَ شدّةً ولا الشِّبَع غنيمةً ، لعلوِّ همته . فإن يَهلِك فله ثناء حَسَن ، وإن يَعِشْ يَعِشْ ممدَّحاً معزَّزاً .

واستشهد صاحب الكشّاف بهذه الأبيات ، من قوله : صُعلوكٌ يُساورُ همه ، إلى آخر الأبيات السبعة[2] عند قوله : (أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ[3]) على أنّ اسمَ الإشارة ، وهو أولئك ، مؤذِنٌ بأنّ المذكورينَ قبلَه أهلٌ لاكتسابِ ما بعدَه للخصال التى عُدَّت لهم . فإنّه تعالى ذكَر المتّقين بقوله : (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ[4]) ثم عدَّدَ لهم خِصالاً مِنْ كونهم يُؤمنون بالغيب ، ويُقيمون الصلاةَ ، ويُنفقون ممّا رزقهم الله ، ويؤمنون بما أُنزل على رسوله ، ويوقنون بالآخرة . ثم عقّب ذلك بقوله :

فذلك إن يَهلِك فحُسنَي ثناؤُه . . . . البيت

حاتم الطائى

و (حاتم) هو حاتم بن عبد الله بن سَعْد بن الحَشْرَج بن امرِئ القَيْس ابن عَدِيّ بن أخزَم الطائىّ[5] الجواد المشهور ، وأحد شعراء الجاهليّة . ويكنَى أبا عدىّ ، وأبا سفَّانة ، بفتح السين وتشديد الفاء . وابنه أدرك الإسلام وأسلَم .

---

(١) فى النسختين : « سر فقير » ، وحورها الشنقيطى إلى ما أثبت .

(٢) لم يستشهد الزمخشرى بألفاظ هذه الأبيات ، ولم يذكر أنها سبعة . ونص كلامه : « كما قال حاتم : ولله صعلوك . ثم عدد له خصالا فاضلة . ثم عقب تعديدها بقوله : فذلك إن يهلك .. إلى آخر البيت » .

(٣) الآية ٥ من سورة البقرة .

(٤) الآية ٢ من سورة البقرة .

(٥) ط : « أحزم » ، صوابه فى ش . وهو أخزم بن أبى أخزم الذى يضرب المثل فيقال « شنشنة أعرفها من أخزم » . الاشتقاق ٣٩١ .

وقد مضت ترجمته فى الشاهد الثامن والخمسين[١] .

أخرج أحمدُ فى مُسنَده ، عن ابنه عَدىٍّ قال : قلتُ يا رسولَ الله : إنّ أبى كان يَصِلُ الرحمَ ويفعل كذا وكذا، قال : إنّ أباكَ أرادَ أمراً فأدرَكَه، يعنى الذِّكْرَ .

وكانت سَفّانةُ بنتهُ أُتِىَ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا محمّد ، هلكَ الوالدُ ، وغابَ الوافدُ ؛ فإنْ رأيتَ أنْ تُخلِّىَ عنِّي ، ولا تشمِتَ بى أحياءَ العرَب ! فإنّ أبى سيِّدُ قومه : كان يفكُّ العانىَ ، ويَحمى الذمارَ ، ويفرِّج عن المكروب ، ويُطعِم الطعامَ ، ويُفشى السّلام ، ولم يطلبْ إليه طالبٌ قطُّ حاجةً فردّه ! أنا ابنة حاتم طىّ ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا جاريةُ ، هذه صفة المؤمن ! لو كان أبوكِ إسلامياً لترحّمنا عليه ! خلُّوا عنها ، فإنّ أباها كان يحبُّ مكارمَ الأخلاق ! »

قال ابنُ الأعرابىّ : كان حاتمٌ من شعراءِ الجاهليّة ، وكان جواداً يُشبه جودَه شعرُه ، ويصدّق قولَه فعله ؛ وكان حيثُما نزلَ عُرِف مَنزِله ؛ وكان مظفَّرا : إذا قاتل غلَب ، وإذا غَنِم أنهبَ ، وإذا ضرب بالقِداح فاز ، وإذا سابق سَبَقَ ، وإذا أسَر أطلق ؛ وكان أقسمَ بالله : لاَ يقتُلُ واحدَ أمّه ، وكان إذا أهلَّ رجبٌ نَحر فى كلِّ يوم عشرةً من الإبل وأطعَم الناسَ واجتمعوا عليه . وكان أوّلُ ما ظهرَ من جُوده ، أنّ أباه خَلّفه فى إبله ـ وهو غلام ـ فمرَّ به جماعةٌ من الشعراء ، فيهم عَبيدُ بنُ الأبرَص وبِشْر بن أبى خازم ، والنابغة الذُبيانى ، يريدون النُّعمانَ بن المنذر ؛ فقالوا له : هل مِنْ قِرًى ؟ (ولم يَعرِفْهم) فقال : أتسألونى القِرىٰ وقدْ رَأيتم الإبلَ والغنمَ ؟ انزِلوا ! فنزلوا ، فنحر

(١) كذا . وصوابه فى الشاهد الأربعين . انظر الجزء الأول ص ٢٨٦ .

لكل واحدٍ منهم ، وسألهم عن أسمائهم ، فأخبروه ، ففرّق فيهم الإبلَ والغنمَ ، وجاء أبوه ، فقال : ما فعلتَ ؟ قال : طوّقتُك مجدَ الدهر ، تطويق الحمامة ، وعرّفَه القضيّة . فقال أبوه : إذاً لا أساكِنُك بعدَها أبدا ، ولا أووِيك ! فقال حاتم : إذاً لا أبالى !

وأخبار كرم حاتم كثيرة وشهيرة .

ونذكر قضيّة قِراه بعد موته[1] :

روى مُحرِز مَولى أبى هريرة قال : مرّ نفرٌ من عبد القيس بقبرِ حاتم ، فنزلوا قريباً منه . فقام إليه رجل يقال له أبو الخيبَرىّ ، وجعل يَركُض برجله قبرَه ، ويقول : اقْرِنا . فقال بعضهم : وَيلَكَ ! ما يدعوك أن تَعرِض لرجلٍ قد مات ؟ ! قال : إن طيِّئاً تزعُم أنّه ما نزل به أحدٌ إلاّ قراه . ثمّ أجنّهم الليل ، فناموا . فقام أبو الخيبرىّ فَزِعاً ، وهو يقول . وارَاحِلتاه ! فقالوا له : مالك ؟ قال : أتانى حاتم فى النوم وعقَر ناقتى بالسيف ، وأنا أنظر إليها ؛ ثمّ أنشدَنى شعراً حفظته ، يقول فيه :

أبا الخيبَرِى وأنت امرؤٌ ظلومُ العشيرة شتّامُها
أتيتَ بصَحْبِكَ تبغى القِرى لدى حُفرةٍ قد صَدَتْ هامُها[2]
أتبغى لىَ الذمَّ عند المبيت وحولك طىٌّ وأنعامُها
فإنا سنُشبِع أضيافَنا ونأتى المطىَّ فنعتامُها

فقاموا وإذا ناقة الرجل تَكُوس عَقيراً ، فانتحروها وباتوا يأكلون ،

(١) انظر المستجاد رقم ٣٧ والمحاسن المنسوب للجاحظ ٦٣ والبيهقى ١ : ١٤٦ والقالى ٢ : ١٥٥ والإصابة (ترجمة أبى الخيبرى) .

(٢) ويروى : « صيحت هامها » ، وفى معنى « صدت هامها » قول ذى الإصبع :
يا عمرو الا تدع شتمى ومنقصتى أضربك حيث تقول الهامة استقونى

٤٩٥

وقالوا قرانا حاتم حيًّا وميتاً ! وأردفوا صاحبهم وانطلقوا سائرين ، وإذا برجل راكب بعيراً ويقود آخر قد لحقهم ، وهو يقول : أيُّكم أبو الخيبرىّ ؟ قال الرجل : أنا . قال : فخذ هذا البعير ، أنا عَدِيُّ بن حاتم ، جاءنى حاتمُ فى النوم وزعَم أنّه قَرا كم بناقتك ، وأمرنى أن أحملَك ؛ فشأنَك والبعيرَ ؛ ودفعه إليهم وانصرف . وإلى هذه القضيّة أشار ابن دارة الغطفانىّ فى قوله يمدح عدىّ بنَ حاتم :

أبوك أبو سفّانة الخير لم يزلْ لدَنْ شبَّ حتّى مات فى الخير راغبا
به تُضرَب الأمثالُ فى الشعر ميّتاً وكان له إذ ذاك حيًّا مصاحِبا[1]
قَرى قبرُه الأضيافَ إذْ نزلوا به ولم يَقرِ قبرٌ قبلَه الدهرَ راكبا[2]

* * *

باب المفعول معه

أنشد فيه وهو الشاهد الثمانون بعد المائة :

١٨٠ (جَمَعْتَ ، وفُحْشاً ، غِيبةً ونَميمةً
ثَلاثَ خِلالٍ لستَ عنها بمرعَوِى[3])

على أن أبا الفتح بن جنّي أجاز تقدُّمَ المفعولِ معه على المعمول المصاحب ، متمسِّكاً بهذا البيت ، والأصل جمعتَ غِيبةً وفُحشاً . والأولَى المنع ، رعاية لأصل الواو . والشعر ضرورة .

(أقول) : أجازه[4] ابن جني فى الخصائص قال : ولا يجوز تقديم للمفعول

---

(١) فى ديوان حاتم ١١٢ : « فى الجود ميتا » و « إذا كان حيا » .
(٢) الديوان : « قط راكبا » .
(٣) الخصائص ٢ : ٣٨٣ والقالى ١ : ٦٨ والعينى ٣ : ٨٦ والهمع ١ : ٢٢٠ والأشمونى ٢ : ١٣٧ والتصريح ١ : ٣٤٤ / ٢ : ١٣٧ .
(٤) ط : « ذكره » ، وأثبت ما فى ش .

معه على الفعل ، من حيث كانت صورة هذه الواوِ صورةَ العاطفة ، ألا تراك لا تستعملها إلاّ فى الموضع الذى لو شئت لاستعملت العاطفة فيه ! فلما ساوقت(١) حرف العطف قبح : والطيالِسةُ جاء البَرْدُ ، كما قبح : وزيدٌ قام عمرو ؛ لكنّه يجوز جاء والطيالسةَ البَرْدُ كما تقول : ضربت وزيداً عمراً ؛ قال :

جمعتَ وفحشاً غِيبة ونميمة . . . . . البيت . انتهى

وقال ابن الشجرىّ فى أماليه : ولا يجوز تقديم التابع على المتبوع للضرورة إلاّ فى العطف(٢) دون الصفة والتوكيد والبدل . ثم قال : وإنما جاز فى الضرورة تقديمُ المعطوفَ ، لأن المعطوف غيرُ المعطوف عليه ، والصفة هى الموصوف ، وكذلك المؤكِّد عبارة عن المؤكَّد ، والبدل إما أن يكون هو المبدل أو بعضه ، أو شيئاً ملتبساً به . ومثلَه :

ألا يا نخلةً من ذات عِرْق عليكِ ورحمةُ اللهِ السلامُ . . اهـ

٤٩٦

فجعلَه من باب تقديم المعطوف ، لا من باب تقديم المفعول معه ، لأنه هو الأصل . لكنْ فى تنظيره نظر ، فإنّ قوله ورحمة الله ، معطوف عند سيبويه على الضمير المستكنّ فى الظرف أعنى قوله عليك كما تقدم بيانه(٣) . وقوله خلالاً(٤) ، بدل من قوله غيبة ونميمة وفحشاً ، جمع خَلّة بالفتح كالخصلة لفظاً ومعنى . وارعوى عن القبيح : رجعَ عنه .

وهذا البيت من قصيدة جيِّدة فى بابها ، ليزيدَ بن الحكم بن أبى العاص

(١) ط : « سوفت » ش : « سوقت » صوابهما من الخصائص .
(٢) ط : « لا فى العطف » ، صوابه فى ش وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٧٩ .
(٣) الخزانة ١ : ص ٣٩٩ : ٢ ص ١٩٢
(٤) هذا التفات عن روايته للبيت إلى رواية الفارسى فى المسائل البصرية ، وهى كما سيأتى : « خلالا ثلاثا » . وقد جعلها الشنقيطى : « ثلاث خلال » .

صاحب الشاهد الثَّقَفِيّ . قال الأصبهانيّ في الأغاني[١] : عاتب في هذه القصيدة ابنَ عمّهِ عبدَ الرحمن بن عثمانَ بن أبي العاص ، وله قصائد أخر يعاتب فيها أخاه عبدَ ربّهِ ابنَ الحكم .

وأورد هذه القصيدة القاليُّ في أماليه[٢] والأصبهانيّ في أغانيه ، وابنُ الشجريّ في أماليه مختصرةً . وفي رواية كلٍّ واحدٍ منهم ما ليس في رواية الآخر .

وأوردها أبو عليّ الفارسيُّ بتمامها في المسائل البصرية وهذه روايته — لكنه قال : قالها لأخيه من أبيه وأمّهِ عبد ربّهِ بن الحكم . وليس كذلك كما يظهر منها :

(تُكاشِرُني كُرْهاً كأنَّكَ ناصحٌ وعينُكَ تُبدي أنَّ صدرَكَ لي دَوِي
لسانُكَ لي أرْيٌ وغَيبُكَ عَلْقَمٌ وشرُّكَ مبسوطٌ وخيرُكَ ملتوِي[٣]
تُفاوِضُ مَنْ أطوِي طَوَى الكَشْحِ دونَه ومِن دون مَنْ صافيتُه أنت منطوِي
تُصافحُ مَنْ لاقيتَ لي ذا عَداوةٍ صِفاحاً وعَنّي بينُ عينِك منزوِي[٤]
أراكَ إذا استغنَيتَ عنّا هجرتَنا وأنتَ إلينا عند فقرِكَ مُنضَوِي
إليك انعوَى نُصحي ومالي كلاهما ولستَ إلى نصحي ومالي بمُنعوِي
أراك إذَا لم أهوَ أمراً هَوِيتَه ولستَ لما أهوَى من الأمر بالهوِي

---

(١) الأغاني ١١ : ١٠٠ . وقال أبو الزعراء : إن بعض أبياتها لطرفة . فقال الأصبهاني : « ما أظن أبا الزعراء صدق فيما حكاه » .

(٢) الأمالي ١ : ٦٨ .

(٣) في النسختين : « وعينك علقم » ، وقد يتجه ، لكنه يعارض كلام الفارسي نفسه في هذا البيت كما سيأتي ، ولا يتفق مع رواية القالي وإن كان يوافق ما في الأغاني .

(٤) وكذا في الأغاني ، ورواية القالي : « وعني بين » .

أراكَ اجتويتَ الخيرَ منّي وأجتوى أذاكَ فكلٌّ مُجتوٍ قُرْبَ مجتوى(١)
فليتَ كَفافاً كان خيرُك كلُّه وشرُّكَ عني، ما ارتوى الماءَ مُرْتَوِى
لعلَّكَ أنْ تنأى بأرضِكَ نيّةٌ ! وإلاّ فإنّى غيرَ أرضِكَ مُنْتَوى
تبَدَّلْ خليلاً بى، كشكلِكَ شَكلُه، فإنّى خليلاً صالحاً بك مقتوى
فلَمْ يُغوِنى ربّى فكيفَ اصطِحابُنا ورأسُك فى الأغوىٰ من الغَىِّ منغوى!
عدوُّك يخشى صَولتى إن لقيتُه وأنت عدوّى ليس ذاك بمستوى
وكم موطنٍ لولاىَ طِحتَ كما هَوى بأجْرامِهِ من قُلَّة النِيق مُنهَوِى
نَداك عن المولى ونصرُك عاتمٌ وأنتَ له بالظُّلْم والغِمْرِ مختوى
تودُّ له، لو نالَه نابُ حيَّةٍ رَبيبِ صَفاةٍ بين لِمْبَين مُنحَوى
إذا ما بنى المجدَ ابنُ عمِّكَ، لم تُعِنْ وقلتَ: ألا بل ليتَ بُنيانَهُ خَوِى(٢)
كأنّكَ إنْ قيلَ ابنُ عمِّكَ غانمٌ شَجٍ أو عَميدٌ أوْ أخو مَغْلَةٍ لَوى(٣)
تملأتَ من غيظٍ علىَّ، فلم يزلْ بكَ الغيظ حتى كدتَ فى الغيظِ تنشوى
فما بَرِحتْ نفسٌ حسودٌ حُشِيتَها تذيبُك حتى قيلَ: هل أنتَ مكتوِى(٤)
وقال النِطاسيُّون: إنّكَ مُشعَرٌ سُلالاً! ألا بل أنتَ من حسدٍ جَوى(٥)!

---

(١) رواية أبى الفرج :
أراك احتويت الخير منى وأحتوى أذاك فكل يحتوى قرب محتوى
فيحسن صدر الكلام ويفسد آخره ، وهو محرف ما هو هنا وفى الأمالى .
(٢) القالى والأصبهانى : « ألا ياليت » .
(٣) الأغانى :
كأنك إن نال ابن عمك مغنما شج أو عميد أو أخو علة لوى
(٤) الأمالى : « حسبتها تذيبك » ، والأغانى : « حسبتها بذنبك » .
(٥) الأمالى : « ذوى » .

فديتَ امرأً لم يدوَ للنأى عَهــدُهُ وعهدُكَ من قبلِ التنائى هو الدَوِى
« جمعتَ وفحشاً غيبةً ونميمةً : خِلالا ثلاثاً لستَ عنها بمرعوى »
أفحشاً وخبًا واختناء على الندَى كأنّك أفعى كُـديةٍ فرَّ مُحجوى
فيدحو بك الداحى إلى كلِّ سَوءةٍ فياشرَّ مَن يدحو بأطيَشِ مُدْحَوى[1]
أتجمعُ تسآلَ الأخِلاَّءِ ما لَهمْ ، ومالَكَ من دون الأخلاء تحتوى !
بَدَا منكَ غشٌ طالما قد كتمتَه كما كتمتْ داء ابنها أمُّ مُدَّوِى)

قوله : تكاشرنى الخ ، يقال : كاشَر الرجلُ الرجلَ : إذا كشَر كل واحد منهما لصاحبه ، وهو أن يبدىَ له أسنانه عنـد التبسُّم ، وكرها بضمّ الكاف وفتحها : مصدرٌ وُضِع فى موضع الحال ؛ والدَّوِى : وصفٌ من الدَّوَى بالفتح والقصر : المرض ، دوِىَ يدوَى كفرح يفرح ؛ ودَوِى صدرُه أيضاً أى ضَغِن .

وقوله : لسانك لى أرىٌ الخ ، الأرْى : العسل ؛ والعَلْقم : الحنظل ؛ وحذف أداة التشبيه للمبالغة . قال أبو علىّ فى الإيضاح الشِعرىّ : اللسان هنا إمّا بمعنى الجارحة ، أو بمعنى الكلام : فإن جعلته من هذا أمكن أن يكون لى متعلّقا به ، كقولك : كلامُك لى جميل ؛ وإن جعلتَه بمعنى الجارحة احتمل أن تريد المضاف فتحذفَه ، فإذا حذفته احتمل وجهين : أحدهما أن يكون من قبيل صلّى المسجدُ ، أى أهلُه ؛ والآخر أن تحذف المضافَ فتجعل اللسانَ كالكلام ، كما قالوا اجتمعت اليمامةُ : أى أهلُ اليمامة ، فجعلوهم كأنّهم اليمامة ؛ فإذا جعلتَه كذلك أمكنَ أن يتعلّق به لى ، كما يتعلّق بالوجه الأوّل . ويجوز أن يكون لى ،

---

(١) الأغانى :

ويدعو بك الداعى إلى كل سوءة فياشر من يدعو إلى شر من دعى

وقوله : أرْيٌ ، الخبَر ، مثل : حلوٌ حامض . ويجوز فيه أن تجعله خبراً لقوله لسانُك ، وتريد به الجارحة ، لأنك تقول : فلان لطيف اللسان ، تريد به الكلامَ وتلقّيَ الناسِ بالجميل ، فيحتمل ضمير المبتدأ ، وتجعلَ أرْياً بدلاً من الضمير فى لى . ويجوز أن يكون لى حالاً ، كأنه أراد : لسانك أرْيٌ لى فيكون صفةً فلمّا تقدم صار حالاً . . فإن قلتَ : إنّ أرْيٌ معناه مثل أرْى ، فالعامل معنى فعلٍ لم يجز تقدُّم الحال عليه ! فأقول : لك أن تضمر فعلاً يدلّ عليه هذا الظاهرُ ، فيُنصَب الحالُ عنه ، كأنّه قال : لسانك يُستحلَى ثابتاً لى . أو لأنّها كالظرف ، فعمل فيها المعنَي . وأن تجعَل اللِّسان حدثاً أشبهُ للتشاكل[1] لأنه عُطِفَ عليه ، وهو الغَيب اهـ .

وقوله : تُفاوض من أطوِى الخ ، فاوضه : إذا أظهر له أمرَه ، وأطوى ضدّ أنْشُر[2] ، والطَّوَى : الجوع ، وهو مصدر طوِىَ يطوَى من باب فرح ، وهو مفعولُ أطوى : أى تظهر أمرَك لمن أخفى عنه جوعى ، أى تنبسط فى الكلام عند عدوٍّ ولاأظهِره على شىء من أمورى ، وتنقبض عن أصدقائى ولا تظهرهُم على شىء من أمرك نِكايةً فىّ .

وقوله : وعنّي بينُ عينك منزوى ، بينُ مرفوع بالابتداء لأنّه اسمٌ لا ظرف ، ومنزوى خبره ، وعنّي متعلق به ، يقال : انزوت الجلدة فى النار : أى اجتمعت وتقبّضت ، و : زوى مابين عينيه أى قبضها .

وقوله : وأنت إلينا عند فقرك منضوى ، انضوى إليه . لجأ وانضم إليه

وقوله : إليك انعوى نُصحى ومالى ، انعوى بمعنى انعطف وهو مطاوع[3] عويته أى عطفته .

(١) فى النسختين : « التشا كل » .

(٢) فى النسختين : « النشر » ، وحورها الشنقيطى إلى « أنشر » .

(٣) ط : « بمعنى عطف ، وهو مضارع » ، صوابه فى س .

وقوله : أراك إذا لم أهوَ أمراً ، هوِيَ الشيء يهواه هوًى من باب فرح : إذا أحبَّه ، وهَوَى بالفتح يهوِى بالكسر هُوِيًّا ، وكذلك انهوى : إذا سقط إلى أسفل ، وقد جاء[1] فى قوله :

وكم موطن لولاى طحتَ كما هوى . . . . البيت

وقوله : أراك اجتويت الخير ، اجتواه بالجيم أى كرهه . وقوله : فليت كَفافا كان خيرك الخ ، يأتى شرحُه إن شاء الله تعالى فى ليت من أخوات الحروف المشبَّهة فى أواخر الكتاب[2] . وقوله لعلك أنْ تنأى الخ ، أى أرجو أن تنأى من أرضك أى تبعد عنها ، من النأى وهو البُعد ، وإلاّ : أى وإن لم تنأ ، فإنِّى عازمٌ على الرحيل عنها[3]. يقال : نويت نِيّة وكذلك انتويت ، أى عزمت .

وقوله : بك مقتوى ، قال فى الصحاح : « القَتْو : الخدمة . وقتَوت أقتُو قَتْواً ومَقْتًى : أى خدمت . يقال للخادم مَقْتَوِيّ — بفتح الميم وتشديد الياء — كأنّه منسوب إلى المَقْتَى وهو مصدر . . ويجوز تخفيف ياءِ النسبة ». قال أبو علىّ فى الإيضاح الشِعرىّ : نصب خليلا بفعلٍ مضمَر يدلّ عليه مقتَوى . أى أقتو [ى] خليلاً . ويأتى شرح هذه الكلمة مفصّلة فى الشاهد الثالث والخمسين من بعد الخمسمائة .

وقوله : وكم موطن الخ ، طاح الرجل يطوح ويطيح : إذا هلك . والأجرام : جمع جِرم بالكسر ، وهو الجسم ، كأنّه جعل أعضاءه أجراماً توسعاً ، أىْ سقط بجسمه وثِقْله . وليس معناه هاهنا الذنوب كما فسّره ابن

---

(١) فى النسختين : « جاء » .
(٢) فى الشاهد الرابع والثمانين بعد الثمانمائة .
(٣) ط : « عن الرحيل عنها » ، صوابه فى سه .

الشجريّ به ، فإنّه غير مناسِب . والنِيق بكسر النون : أرفَعُ الجبل . وقُلّته : ما استدَقّ من رأسه . وسيأتى ، إن شاء الله تعالى ، شرحُ هذا البيت فى باب الضمائر[١] .

وقوله : نداك عن المولى ، الندَى : الُجود . والمولى : ابنُ العمّ . وعنْ متعلّقة بعاتم ، أى بطىء ؛ يقال : عتَم من باب ضرب : إذا أبطأ وقصّر . ونصرُك : معطوفٌ على نَداك ؛ وخبره محذوف والغِمر . بكسر الغين المعجمة : الِحقد والغلّ ؛ يقال : غمِرَ صدرُه علىّ من باب فرح . ومختوِى بالخاء المعجمة : الجائر المسقِط[٢] .

وقوله : تودّله لونَابَهُ نابُ حيّةٍ ، الحيّة معروفة ، تكون للذكر والأنثى ، قالوا : فلان حيّةٌ ذكر ، والتاء للواحد من الجنس ، كبطّة ودجاجة ، وهنا بمعنى الذكَر بدليل الوَصف للربيب ، من ربّ فلانٌ ولدهَ بمعنى رباّه ، فَعيل بمعنى مفعول. والصَّفاة : الصخرة الملساء . واللِهْب ، بكسر اللام ، ومثلهاللِّصب ، قال أبو علىّ فى المسائل البصرية : هو الشقّ فى الجبل . والمنحوِى ، بالنون والحاء المهملة : المجتمِع .

وقوله : ليت بُنيانَه خَوِى ، يقال : خوى المنزلُ من باب رضى يرضى ورمى يرمى ، لغتان : أى سقط ؛ قال تعالى : ﴿ فهِىَ خاوِيةٌ على عُرُوشِها[٣] ﴾ أى ساقطة على سقوفها .

وقوله : شجٍ أو عميد الخ ، هو خبر كأنّ ، والشَّجِى : الحزين المهموم . والعَميد : الذى قد عَمَده المرض ، أى هدَّه حتى احتاج إلى أن يُعمَد : أى

---

(١) فى الشاهد ٣٩٥ .

(٢) كذا فى ط ، وهو الصواب . وفى ش : المقسط » .

(٣) الآية ٤٥ من سورة الحج .

يستنفَد[1] فهو فعيل بمعنى مفعول . والمَغْلَة بفتح الميم وسكون الغين المعجمة ، قال أبو عليّ : علّة تكون فى الجوف . واللوِى : الذى فى جوفه وجع ، تقول: لَوِىَ لَوًى كفرح فرحًا .

وقوله : فما برحت نفسٌ حسودٌ الخ ، النفس تذكَّر وتؤنث ، ولهذا وصفها بالمذكّر وأنّث لها الفعل والضمير . وحُشِيتها بالبناء للمفعول والخطاب ، من الحشو ، يقال : حشَوت الوسادةَ وغيرَها حشواً . وروى (حسِبتها) بضمير المتكلِّم من الحساب وهو الظنّ . والنِّطاسيُّون : العلماء بالطِبّ ، الواحد نِطاسىّ . ومُشْعَر : اسم مفعول : أى ملبَسٌ شِعاراً ، بالكسر ، وهو ما ولى الجسدَ من الثياب . والسُلال بالضمّ : مرض السلّ . والجوى : من الجوَى وهو داء قلب[2] ، وفعله من باب فرح .

٤٩٩

وقوله : لم يدوَ للنأى عهده ، تقدم تفسير دَوِى . وقوله : أَفُشًا وخِبًا الخ الخِب بكسر الخاء المعجمة : مصدر خَبِبْتَ يارجلُ تَخبّ خِبًّا ، من باب علم : إذا خدَع ومَكر . والاختناء بالخاء المعجمة وبعد المثنّاة الفوقيّة نون قال أبو علّى القالى فى أماليه : هو التقبّض . والندَى : الجود . والكُدْية بالضمّ : الأرض الصُلْبة . وأراد بالأفعى الأُفعوانَ وهو ذكَر الحيّات ، ولهذا أرجع الضمير إليه مذكّرا . ومُحْجَوِى بتقديم المهملة على الجيم ، قال أبو علّى القالىّ فى أماليه نقلا عن ابن دريد : المحجَوِى المنطوى .

وقوله : فيدحو بك الداحى الخ ، الدحو : الرمى ، يقال : ادْحه أى ارمِه ، ويقال للفرس : مرَّ يدحو دَحواً ، وذلك إذا رمى بيديه رمياً لا يرفع سُنْبُكَه عن الأرض كثيراً . والسَّوءة بالفتح : القبح والعيب . وأَطْيَش من الطَّيْش

(١) فى النسختين : « أى يشتد » .

(٢) جعلها الشنقيطى : « داء قلبى » .

وهو الخِفّة. ومُدحوىّ أى مرمىّ، بناه من ادحَوّاه لغة فى دحاه أى رماه

وقوله : « كما كتمت داء ابنها أُمُّ مُدَّوِى » قال الأصمعىّ فى كتاب الصفات، وابنُ دريد فى الجمهرة، وأبو علىّ القالىّ فى أماليه، وابنُ الأثير فى المرصّع واللفظ له : أمّ مُدَّوِى يُضرب بها المثل لمن يورِّى بالشىء عن غيره ويَكنى به عنه. وأصله أنّ امرأة من العرب خطبت على ابنها جارية، فجاءت أُمُّها إلى أُمِّ الغلام تنظُر إليه. فدخل الغلام فقال لأمه : أدَّوِى ! بتشديد الدال على أفتعل. فقالت له : اللجام معلّق بعمود البيت فِى السَّرْج فى جانبه. فأظهرت أنّ ابنها أراد أداة[1] الفرَس للركوب فكَتَمَتْ بذلك زَلَّة ابنها عن الخاطبة. وإنّما أراد ابنُها بقوله أدّوى، أكلَ الدُّوَاية بضمّ الدال، وهى القشرة التى تعلو اللبَن والمرق، تقول منه : دوّى اللبن بتشديد الواو، وقد ادَّويت على وزن افتعلت فأنا مُدَّوٍ بتشديد الدال فيهما، أى أكلت الدُّواية. وأنشد هذا البيت.

وترجمة يزيد بن الحكم تقدمت فى الشاهد التاسع فى أوائل الكتاب[2]

* * *

وأنشد فيه، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد المائة :

١٨١ (عَلَفْتُها تِبْناً وماءً بارداً[3])

على أن التقدير : وسقيتُها ماءً. وقال ابن هشام فى مغنى اللبيب : وقيل

---

(١) فى النسختين : « إداوة » وجعلها الشنقيطى « أداة ».

(٢) الخزانة ١ : ص ١١٣

(٣) الخصائص ٢ : ٤٣١ وابن الشجرى ٢ : ٣٢١ وابن يعيش ٢ : ٨ والعينى ٣ : ١٠١/٤ : ١٨١ والهمع ٢ : ١٣٠ وشرح شواهد المغنى ٣١٤ وأمالى المرتضى ٢ : ٢٥٩ والأشمونى ٢ : ١٤٠ والتصريح ١ : ٣٤٦.

لا حذفَ ، بل ضمّن علّفتها معنى أنلتها وأعطيتها . وأُلزِموا صحّةَ نحوِ علفتها ماء بارداً وتبناً ، فالتزَمُوه محتجّين بقول طرَفة :

* لها شَنَبٌ ترعى به الماء والشجرْ[١] *

وأورده صاحب الكشّاف عند قوله تعالى : (أَفيضُوا عَلَيْنا مِنَ الماء أو ممّا رَزَقَكُمُ اللهُ[٢]) على تضمين أفيضوا معنى أَلْقُوا ، ليصحّ انصبابه على الشراب والطعام معاً ، أو على تقديرٍ بعد أو[٣] أى أو ألقوا ممـا رزقكم الله ، كهذا البيت فى الوجهين .

وأورد له العلّامة الشيرازىّ والفاضلُ اليمنيُّ صدراً ، وجعل المذكورَ عجزاً هكذا :

(لما حطَطْتُ الرحْلَ عنها واردا عَلَفْتُهـا تبناً وماء باردا)

وجعله غيرُهما صدراً وأورد عجزا كذا :

(حتّى شَتَتْ همّالةً عيناها)

ولا يُعرَف قائله . ورأيتُ فى حاشية نسخةٍ صحيحة من الصحاح أنّه لذى الرُّمّة ففتّشتُ ديوانه فلم أجدْه فيه .

٥٠٠ وشَتَت بمعنى أقامت شتاء ، فى القاموس : شتا بالبلد أقام به شتاء كشتّى وتشتّى ، وفاعله ضمير مستتر عائد إلى ما عاد إليه ضمير عَلَفتها . وهمّالة حال من الضمير المستتر ، وهو من هملَت العينُ : إذا صبَّت دمعَها . وعيناها فاعله .

---

(١) الشنب : حدة الأنياب . ط : « سبب » وقد صححها الشنقيطى بما أثبت مطابقا ما فى الديوان ٤ وانظر العينى ٤ : ١٨١ وشرح شواهد المغنى ٣١٤ .
(٢) الآية ٥٠ من سورة الأعراف .
(٣) أى على تقدير عامل بعد « أو » أى أو ألقوا .

وزعم العينيّ أنّ شتَّت بمعنى بدت — ولم أرَ هذا المعنى فى اللغة — وأنّ عيناها فاعله وحمّالة تمييز . وهذا خلاف الظاهر . فتأمّلْ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد المائة ؛ وهو من شواهد سيبويه(١) :

١٨٢ (وما النَّجْدِيُّ والمُتَغوِّرُ)

وهو قطعة من بيت لجميل بن معمر وهو :

(وأنتَ امرؤٌ من أهل نجدٍ ، وأهلُنا تَهَامٍ ، وما النَّجْدِيُّ والمتغوِّرُ !)

على أنّ الرفع فى مثله أَوْلى من النصب على المفعول معه .

قال المبرِّد فى الكامل : قولهم : ما أنت وزيد ، الرفعُ فيه الوجه ، لأنّه عطَف اسماً ظاهراً على اسمٍ مضمر منفصل وأجراه مُجراه ، وليس ههنا فعل فيحمَل على المفعول ، فكأنّه قال : ما أنت وما زيد ، وهذا تقديره فى العربيّة ومعناه ، لست منه فى شىء ، وهذا الشعر كما أصِف لك يُنشَد :

وأنتَ امرؤٌ من أهلِ نجدٍ ، وأهلُنا تَهَامٍ ، فما النجدى والمتَغوِّرُ !

وكذلك قولُه :

تكلِّفنى سَوِيق الكَرْم جَرْمٌ وما جَرْمٌ وما ذاكَ السَّويقُ(٢) !

فإن كان الأوّل مضمراً متّصلاً ، كان النصبُ ، لئلا يحمل ظاهر الكلام على مضمر(٣) ؛ تقول : مالك وزيداً ، فإنّما تنهاه عن ملابسته ، إذ لم يجزْ وَزيد

(١) فى كتابه ١ : ١٥١ وديوان جميل ٩١ والعينى ٤ : ٤٠٨ وشرح شواهد المغنى ١٧٠ والكامل ١٨٨ .

(٢) نسب فى حواشى سيبويه والكامل إلى زياد الأعجم .

(٣) فى الكامل : « لئلا يحمل ظاهر على مضمر » .

وأضمرتَ ؛ لأنّ حروف الاستفهام للأفعال ، فلو كان الفعل ظاهراً لكان على غير إضمارٍ ، نحو قولك : ما زلتُ وعبدَ الله حتّى فعَل ، لأنّه ليس يريد ما زلتُ وما زال عبدُ الله ، ولكنه أراد : ما زلت بعبد الله ، فكان المفعولُ مخفوضاً بالباء فلمّا زال ما يخفضه وَصل الفعلُ إليه فنصبَه ، كما قال تعالى (وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً[1]) . فالواو في معنى مع ، وليست بخافضة ، فكان ما بعدها على الموضع ؛ فعلى هذا يُنْشَد هذا الشعر :

فما لكَ والتلدُّدَ حَوْلَ نجدٍ وقد غَصَّتْ تِهامةُ بالرجالِ[2]

ولو قلتَ : ما شأنك وزيداً ، لاختِير النصب ، لأنّ زيداً لا يلتبس بالشأن ، لأنّ المعطوف على الشيء في مثل حاله . ولو قلت : ما شأنُك وشأنُ زيدٍ ، لرفعته ، لأنّ الشأن يعطف على الشأن . وهذه الآية تفسَّر على وجهين من الإعراب : أحدهما هذا وهو الأجود ، وهو قوله تعالى (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكاءَكم[3]) فالمعنى — والله أعلم — مع شركائكم ؛ لأنك تقول : جَمَعْتُ قومي وأجمعت أمري[4] ويجوز أن يكون لما أدخل الشركاء مع الأمر حمله على مثل لفظه لأن المعنى يرجع إلى شيء واحد فيكون كقوله[5] :

يا ليت زوجَكِ قد غدا متقلِّداً سيفاً ورُمْحا

وقال الآخر :

* شرّاب ألبان وتَمْرٍ وأَقِطْ *

---

(١) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

(٢) نسب في حواشي الكامل إلى مسكين الدارمي .

(٣) الآية ٧١ من سورة يونس .

(٤) في النسختين : « وجمعت أمري » ، والمعروف ان الجمع مشترك بين الذوات والمعاني ، وأن الإجماع مختص بالمعاني فلا يكون في الذوات .

(٥) هو عبد الله بن الزبعرى ، كما في حواشي الكامل .

انتهى كلام المبرّد ، ولجودته سُقناه برمّته .

٥٠١ وقوله : (وما النجدِىُّ والمتغوِّر) ما مبتدأ والنجدى خبره . والمعنى : أنّ أهلى يرتابون بكَ إذا وجدوك عندهم ، لأنّك غريبٌ بعيدُ الدار منهم ، فينكرون كونَك بينهم ؛ فيجب أن تتجنّبَ وتُعرِض . تحذّره بنى عمّها كما يأتى بيانه فى الأبيات . . و (تَهام) بفتح التاء منسوب إلى التَهَم بفتحتين ، بمعنى التِّـهامة بكسر التاء ، وقد بيّنا هذا مشروحاً فى الشاهد الثامن عشر من أوائل الـكتاب[1] . وتَهَام خبرٌ عن قوله (وأهلُنا) وإعرابه كقاض . ولم يقل تَهَامُون ، لأنّه نظر إلى لفظ أهل وهو مفرد ، ويجوز نظراً إلى المعنى تَهامون . وقال ابن خلَف : إنّما قال تهام ، لأنه اكتفى بالواحد عن الجمع ، كقوله :

* كأنّ عينيّ فيها الصاب مذبوحُ[2] *

هذا كلامه فتأمّـلْه .

و (نجد) قال فى الصحاح : هو من بلاد العرب ، وهو خلاف الغَور ، والغَورُ هو تهامة ؛ وكلُّ ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجْد ؛ وهو مذكّر ، وتقول : أنجدنا أى أخذنا فى بلاد نجد . وفى المثل : « أنجَدَ مَنْ رأى حَضَنا » ، وذلك إذا علا من الغَور . وحَضَنٌ محرّكة : جبل . و (المتغوِّر) اسم فاعل مِن تغَوَّر فلان : إذا انتسب إلى الغَور . وغار وغَوَّر أيضاً بالتشديد : إذا أتى الغور ؛ قال فى المصباح : « والغور المطمئنّ من الأرض . والغور قيل يطلق على تهامة وما يلى اليمن ، وقال الأصمعىّ : ما بين ذات عِرْق والبحر

---

(١) الخزانة ١ : ص ١٥٤ وما بعدها

(٢) لأبى ذؤيب الهذلى فى الهذليين ١ : ١٠٤ . وصدره :

* بات الخلى وبت الليل مشتجرا *

غورٌ وتِهامة ، فتهامة أوّلها مدارج ذاتِ عِرْق من قِبَل نجد إلى مرحلتين وراء مكة ، وما وراء ذلك إلى البحر فهو الغَور » .

والبيت من قصيدة . وقبله :

أبيات الشاهد

(وآخرُ عهدٍ لى بها يوم ودَّعت ... ولاح لها خدٌّ مليح ومَحجِرُ
عَشِيَّةَ قالت : لا يَضيعنَّ سِرُّنا ... إذا غبتَ عنّا ، وارعَهُ حينَ تُدبِرُ !
وأعرِضْ إذا لاقيتَ عيناً تخافُها ... وظاهِرْ ببغضٍ ، إنّ ذلك أسترُ
فإنّك إن عرّضتَ بى فى مَقالةٍ ... يَزِدْ فى الذى قد قلتَ واشٍ مكثِّرُ
ويَنشرُ سرًّا فى الصديق وغيرِه ... يَعِزُّ علينا نشرُه حين ينشر
وما زلتَ فى إعمال طَرفِك نحوَنا ... إذا جئتَ[(١)] حتّى كاد حبُّك يَظهَرُ
لأهلىَ ، حتّى لامنى كلُّ ناصح ... شفيق له قُربَى لدىّ وأيصرُ[(٢)]
وقَطّعنى فيك الصديق ملامة ... وإنّى لأعصى نهيَهم حين أُزجر[(٣)]
وما قلتُ هذا ، فاعلمنّ تجنُّياً ... لِصَرم ، ولا هذا بنا عنكَ يُقصرُ[(٤)]
ولكنّنى ـ أهلى فداؤكَ ! أتّقى ... عليكَ عيونَ الكاشحين وأحذر
وأخشَى بنى عمّى عليكَ ، وإنّما ... يَخاف ويُتّقى عِرضَه المتفكِّرُ
« وأنت امرؤ من أهل نجدٍ وأهلنا ... تَهامٍ وما النجْدىُّ والمتغوِّرُ ! »
وطَرْفُكَ إمّا جئتَنا فاحفظنّه ... فزَيغُ الهوَى بادٍ لمن يتبصَّرُ

(١) بدله فى ط : « بعينك » .
(٢) ط : « له فرى لدى وأبصر » صوابه فى س والديوان . وفى الديوان : « لدينا » .
(٣) سقطت الكلمتان الأوليان من س ، كما سقطت الأولى وحرفت الثانية إلى « قيد » فى ط ، وإكماله وتصحيحه من الديوان ومراجعه .
(٤) فى النسختين : « تجنبا » صوابه من الديوان ومراجعه . وفى النسختين : « ولا هذا بساعة يقصر » ، صوابه من الديوان ومراجعه .

وقد حُدِّثوا أنّا التقينا على هوًى فكلّهمُ من غُلّة الغيظ مُوقَرُ[1]
فقلت لها : يا بَثْنَ أوصيتِ حافظاً وكلُّ امرئٍ لم يَرعَهُ اللهُ مُعْوِرُ
سأمْنَح طَرفى حين ألقاكِ غيرَكمْ لكيما يَروا أنّ الهوى حيثُ أُنظرُ
وأكنى بأسماءِ سواكِ ، وأتّقى زيارتَكم ، والحبُّ لا يتغيَّر !
فكم قدْ رأينا واجداً بحبيبه ، إذا خاف ، يبدى بُغضَه حين يَظهَرُ !)

٥٠٢

وفى هذه الأبيات استشهاد ، ولهذا ذكرناها

وترجمة جميل بن مَعْمَر العذرى تقدمت فى الشاهد الثانى والستين[2].

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد المائة ، قولَ الراعى . وهو من شواهد س[3]:

١٨٣ (أزمانَ قَومى والجماعةَ كالذى منَعَ الرِحالةَ أنْ تميل مميلا)

على أنه على تقدير : أزمان كان قومى والجماعةَ . فالجماعة مفعول معه على تقدير إضمار الفعل .

قال سيبويه : زعموا أنّ الراعى كان ينشد هذا البيت نصباً . وقال : كأنّه قال : أزمان كان قومى مع الجماعة . وحذف كان لأنهم يستعملونها كثيراً فى هذا الموضع ، ولا لَبس فيه ولا تغيير معنى[4] .

---

(١) فى الديوان : « من حمله الغيظ » .

(٢) الخزانة ١ : ص ٣٩٧

(٣) فى كتابه ١ : ١٥٤ . وانظر العينى ٢ : ٩٥ / ٣ : ٩٩ والهمع ١ : ١٢٢ / ٢ : ١٥٦ وشرح شواهد المغنى ٢٥١ / والأشمونى ٢ : ١٣٨ والتصريح ١ : ١٩٥ وجمهرة القرشى ١٧٦ .

(٤) إلى هنا كلام سيبويه مع تصرف فى اللفظ .

ومثله قوله تعالى (واتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيمانَ[1]) أراد ما كانت تتلو .

قال ابن عصفور : وإنّما حمل على إضمار كان — ولم يحملْ على تقدير حذفِ مضافٍ إلى قومى ، فيكون التقدير : أزمان كونِ قومى والجماعة — لأنّ المصدر المقدَّر بأن والفعلِ من قَبيل الموصولات ، وحذف الموصول وإبقاء شيءٍ من صلته لا يجوز . فإن قلتَ : ما الدليل على أن قومى من قوله : أزمان قومى ، محمولٌ على فعل مضمر ؟ قلتُ : لأنّه ليس من قبيل المصادر ؛ وأسماء الزمان لا يضاف شيء منها إلاّ إلى مصدر أو جملة تكون فى معناه ، نحو : هذا يومُ قدومِ زيد ؛ وقولهم : يوم الجَمَل ، ويوم حَليمة ، فهو على حذف مضاف ، أى يوم حرب الجمل ونحوه .

قال الأعلم : « وصفَ ما كان من استواء الزمانِ واستقامةِ الأمور ، قبلَ قتل عثمان وشمول الفِتنة . وأراد التزامَ قومِهِ الجماعةَ وتركَهمُ الخروجَ على السلطان . والمعنى : أزمانَ قومى والتزامهم الجماعةَ وتمسّكهمْ بها كالذى تمسّك بالرِحالة ومنعها من أن تَميل وتسقط . والرِّحالة (بالكسر) : الرحل ، وهى أيضاً السَّرْج . ضربَها مثلا » اه .

وهذا البيت من قصيدة طويلة عدّتُها تسعةٌ وثمانون بيتاً ، للراعى . مَدح بها عبدَ الملك بنَ مرْوان ، وشكا فيها من السُّعاة ؛ وهم الذين يأخذون الزكاة من قِبَل السلطان . وهى قصيدة جيِّدة ، كان يقول : من لم يَروِ لى من أولادى هذه القصيدةَ وقصيدتى التى أولُها :

بانَ الأحِبّةُ بالعهدِ الذى عَهِدوا

---

(١) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

— وهى فى هذا المعنى أيضاً — فقد عقّني :

وقبلَ بيت الشاهد :

(أوَلِيَّ أمْرِ اللهِ إنّا مَعْشَرٌ ... حُنَفَاه نسجدُ بُكْرةً وأصِيلا

عُرْبٌ نرى لله فى أموالنا ... حَقَّ الزكاةِ مُنَزَّلاً تنزيلا

قومٌ على الإسلام ، لمّا يَمنَعُوا ... ما عُونَهم ويُضيّعُوا التهليلا

فادفَعْ مظالمَ عَيَّلت أبناءنا ، ... عنّا ، وأنقِذْ شِلوَنا المأكولا

فنُرى عَطِيّةَ ذاكَ ـ إن أعطيتَه ـ ... مِن ربنا فضلاً ومنك جَزيلا

أنت الخليفةُ حِلمُه وفَعالُه ... وإذا أردتَ لظالمٍ تنكيلا

وأبوكَ ضارَبَ بالمدينة ، وحدَه ، ... قوماً هُمُ جعلوا الجميعَ شُكولا

قتلوا ابنَ عفّانَ الخليفةَ مُحْرِماً ... ودعا فلم أرَ مثلَه مخذولا

فتصدّعتْ من بعد ذاكَ عَصاهُمُ ... شِقَقاً وأصبح سيفُهم مسلولا

حتّى إذا استعرتْ عَجاجةُ فتنةٍ ... عَمياء ، كان كتابُها مفعُولا(١)

وَزَنتْ أميّةُ أمرَها فدعَتْ له ... من لم يكن غُمراً ولا مجهولا

مَرْوانَ أحزَمَها إذا نزلت به ... حُدْبُ الأمورِ وخَيْرَها مسئولا(٢)

أزمانَ رفَّعَ بالمدينة ذيلَه ... ولقد رأى زرعاً بها ونخيلا(٣)

وديارَ مُلكٍ خَرَّبتها فِتنةٌ ... ومُشيَّداً فيه الحمامُ ظليلا

إنّى حلفتُ على يَمينٍ برّةٍ ... لا أكذِبُ اليومَ الخليفةَ قِيلا :

٥٠٣

(١) ط : « قرت » ، صوابه فى سه . وفى الجمهرة : « نزلت عماية فتنة » .

(٢) فى الجمهرة : « حدث الأمور » وبعده فى التفسير : « حدث الأمور : حوادثها »

(٣) الجمهرة : « ولقد يرى » .

ما زُرتُ آلَ أبى خُبَيْبٍ وافداً ... يوماً أريد لبَيعَتى تبْـديلا
مِن نِعمَةِ الرحمٰن لا مِن حيلتى ... إنّى أَعُـدّ له علىّ فُضُولا
« أزمانَ قومى والجماعةَ كالذى ... لزِم الرِّحالة أن تَميل مَميلا »)

إلى أن قال :

(إنّ السُّعاة عَصَوكَ حين بَعثتَهم ... وأتوا دَواهىَ، لو علمتَ،وَغُولا[1]
إنّ الذين أمرتَهم أن يَعـدلوا ... لم يفعلوا ممّـا أمرْتَ فَتيلا
أخَذوا المَخاض من الفَصيلِ غُلُبّةً ... ظلُمـاً ويُـكتَب للأمير : أفيلا
أخذوا العَريفَ فقطَّعُوا حَيزومَه ... بالأصبَحيَّة ، قائماً مَغـلولا
أخذوا حَمُولَتَه فأصبحَ قاعداً ... ما يَستطيعُ من الديار حَويلا
يدعو أميرَ المؤمنين ، ودونَه ... خَرْقٌ تجُر بهِ الرياحُ ذُيولا !)

قوله : قوم على الإسلام لمّا يمنعوا ما عونهم ، أورده الزمخشريّ فى تفسيره عند قوله تعالى (وَيمنَعُون الماعُونَ[2]) على أنّ الماعون الزكاة . والتهليل هو قول لا إله إلاّ الله ، أراد كلمة التوحيد . وقوله عَيَّلت أبناءنا ، التعييلُ : سوء الغِذاء ، وعيَّل الرجلُ فرسَه : إذا سيّبه فى المَفازة . والإنقاذ : التخليص . والشِّلْو ، بالـكسر : العِضو . والشُّكول جمع شَكل بفتح أوّله وكسره : الشبْه والمِثل ، أى جعلوا الناسَ متخالِفينَ بعد أن كانوا متّحدين . وقوله : قتلوا ابن عفّان الخ ، يقال : أحرم الرجل إذا دَخل فى حُرمةٍ لا تُهتك . قال العسكريّ (فى باب ما وهم فيه علماء الـكوفيِّين ، من كتاب التصحيف[3]) :

(١) ط : « وأتوا دواعى » ، صوابه فى ش والجمهرة .
(٢) الآية ٧ من سورة المـاعون .
(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف ص ١٢١ . وانظر أيضا ص ١٢٧ .

أخبرنا أبو عليّ الكوكبي حدّثني محمّد بن سُويد حدّثني محمّد بن هُبيرة قال : قال الأصمعيّ للكسائيّ — وهما عند الرشيد — : ما معنى قولِ الراعى :

قتلوا ابنَ عفّانَ الخليفةَ مُحرِما . . . . البيت

فقال الكِسائى . كان مُحرِماً بالحجّ . قال الأصمعيّ : فقوله :

قَتَلوا كِسْرَى بليلٍ مُحرِما فتولّى لم يُمتَّعْ بكَفَن[(1)]

هل كان محْرِماً بالحجّ ؟! قال الرشيد للكسائى : يا عليُّ إذا جاء الشعر فإيّاك والأصمعيّ ! قال الأصمعيّ مُحْرِم أى لم يأتِ ما تستَحَلُّ به عُقوبته ؛ ومن ثَمَّ قيل مسلم مُحْرِم : أى لم يُحِلَّ من نفسه شيئاً يوجب القتل . وقوله : قتلوا كسرى مُحْرِماً ، يعنى حرمةَ العهد الذى كان له فى أعناق أصحابه اه .

٥٠٤

وقوله : حُدْبُ الأمور ، جمع أحدَب وحَدْباء ، أراد الأمور المشكلة . وقوله : مازرت آل أبى خُبَيب الخ ، أبو خُبيب هو عبد الله بن الزُّبير ، وكان ادّعى الخلافةَ يومئذٍ فى الحجاز . وقوله : إنّى أُعدّ له علىّ فضولا ، هو جمع فَضْل بمعنى الإحسان والإنعام ، وهو العامل النصبَ على الظرفيّة فى (أزمانَ) ويجوز رفعه على الابتداء والخبر محذوف ، أى من الفضول أزمانُ قومى الخ . قال صاحب كتاب التنبيه على ما أشكل من كتاب سيبويه : ويجوز رفع أزمان على أنّه خبر مبتدإ محذوف ، دون إظهار كان ، والواو واو مَعَ أيضا ، فتكون إضافة أزمان إلى الجملة الإسميّة على هذا . ثم قال : والأوّل ، أى النصب على الظرفيّة ، أحسن وأكثر اه .

والسُّعاة : جمع ساع ، وهو كلّ من وَلِىَ شيئاً على قوم ، وأكثر ما يقال

---

(1) البيت لعدى بن زيد ، كما فى شرح ما يقع فيه التصحيف ١٢٧ . وانظر ملحقات ديوان عدى ١٧٨ .

ذلك فى وُلاة الصَّدقة أى الزكاة . وقوله : أخذوا المَخاض من الفصيل الخ ، المَخاض : النوق الحوامل ، واحدها خَلِفة[١] . والفصيل : ابنها . والغُلُبَّة ، بضم الغين واللام وتشديد الموحّدة ، هى الغَلَبة بالتحريك والتخفيف . وهو وظلماً مصدرانِ وَقعا حالَين من فاعل أخذوا . ويجوز نصب الثانى بالأوّل على أنّه مصدر معنوىّ . والأفِيل ، ككريم ، من أولاد الإبل : ما أتى عليه سبعة أشهر ، وهو منصوب بيَكتُب بالبناء للفاعل ، أى يكتب الساعى . وعلى رواية البناء للمفعول ، وهى المشهورة ، مفعولٌ لفعل محذوف ، أى ويكتُب أخذْنا من فلان أفيلا . وأورد ابنُ هشام هذا البيتَ فى المغنى على أنّ مِنْ فيه للبدل : أى تأخذ المخاض بدلَ الفصيل . قال ابن يَسعون : ويجوز أن لا تكون بدليَّة ، بل متعلِّقة بأخذوا أى انتزعوه من أمّه . ورُوى بدلَه (مِن العِشار) فهى بيانيَّة : أى كائنة من العِشار . وقوله : أخذوا العريف ، هو رئيس القوم ومتكلِّمهم . والأصبَحيَّة هى السِّياط منسوبة إلى ذى أصْبَحَ من ملوك اليمن ، فإنه الذى اخترعَها . والخَرْق بالفتح : الفلاة .

الراعى

و (الراعى) اسمه عُبَيد بن حُصَين (بتصغيرهما) ابن مُعاوية بن جَندَل ابن قَطَن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نُمير بن عامر بن صعصعة . وكنية الراعى : أبو جندل . ولُقِّبَ الراعىَ لكثرة وصفه الإبلَ والرِعاء فى شعره . وقيل : لُقِّب به ببيت قاله[٢] .

وقال ابن قُتَيبة : اسمه حُصين بن مُعاوية . وكان يقال لأبيه فى الجاهلية الرئيس . وولدُه وأهلُ بيتِه فى البادية سادة أشراف .

---

(١) ومثله الركاب بمعنى المطى ، واحدها راحلة من غير لفظ الجمع ، وكذا واحدة الإبل ناقة .

(٢) هو كما فى الأمالى ٢ : ١٤٠ والمزهر ٢ : ٤٤٢ عن القالى .

وهو شاعر فحلٌ مشهور ، من شعراء الإسلام ، مقدَّم . ذكره الجمحىُّ فى الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميّين . وكانَ يقدِّم الفرزدقَ على جرير ، فاستكفَه جرير فأبى ، فهجاه بقصيدته البائيّة التى مطلعها :

* أقلِّى اللومَ عاذلَ والعِتابا *

ففضحه بها . وتقدَّم بيانه فى ترجمة جرير فى أوائل الكتاب(١) .

وفى المؤتلف والمختلف للآمِدىّ : مَنْ لَقَبُهُ الراعى من الشعراء اثنان : أحدها هذا ، والثانى اسمه خَليفة بن بشير بن عُمير بن الأحوص من بنى عدىّ بن جَناب . وقيل غير ذلك(٢) .

* * *

باب الحال

٥٠٥

أنشد فيه ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد المائة(٣) :

١٨٤ (يقولُ ، وقد تَرَّ الوظيفُ وَساقُها
ألَسْتَ تَرَى أنْ قَدْ أتَيْتَ بمُؤْيِد ؟!)

على أنّه يخرج عن تعريفِ الحالِ الحالُ التى هى جملةٌ بعدَ عاملٍ ليس معه ذو حال .

(١) الخزانة ١ : ص ٦٩ وما بعدها
(٢) انظر المؤتلف ١٢٢ ففى النقل تصرف كبير .
(٣) البيت من معلقة طرفة . وانظر المنصف لابن جنى ١ : ٢٦٩ .

بيانه : أنّ جملة (وقد ترّ الوَظيف) حال ، وعاملها يقول ، ولا صاحب لها ؛ وأمّا فاعل يقول — وهو الضمير المستتر فليس صاحبَ الحال ، لأنّها لم تبيّن هيئتَه ، إذْ ليست من صفاته . وهذا إنّما يرد على تعريف المصنّف الحالَ فإنّه اعتبر فيه تبيينَ الهيئة ولا يرد على تعريف الشارح ؛ فإنّه لم يعتبر فى الحدّ تبيين الهيئة . وقد أوّل الناسُ تعريفَ المصنّف على وجوه ، منهم السيّدُ ركن الدين فى شرحه الكبير على الكافية ؛ وابنُ هشام فى شرح التسهيل ومغنى اللبيب ، وكذا الدّمَامينيّ وغيره .

(وترّ) بالمثنّاة الفوقيّة والراء المهملة ، قال ابن دُريد : ترّ العظمُ يَتُرُّه ترًّا إذا قطعه ؛ وكذلك كلّ عضو انقطع بضَرْبة واحدة فقد تُرَّ ترًّا ، ويُنشَد بالوجهين قولُ طرَفة . وأنشَد هذا البيتَ فى الجمهرة . يريد أنّ ترّ ، ورد لازماً ومتعدياً . وروى برفع (الوظيف) على أنه فاعل ترّ اللازم ، بمعنى انقطع وفسّره يعقوب بن السكّيت فى شرح ديوان طرَفة ، وتبعه الأعلم فى شرحه ، بقوله : طنّ وندر . ورُوى بنصب (الوظيف) على أنّه مفعول ترّ المتعدّى ، بمعنى قطع ، وفاعله ضمير العضب فى بيتٍ قبله . وقوله : (وَساقها) معطوف عليه بالوجهين ؛ وضمير المؤنّث راجع إلى الكَهاة فى بيتٍ قبله ، وهى الناقة الضّخمة . والوظيف ما بين الرُسْغ[1] وفى اليد : ما بين الرسغ والذراع . وقوله : (ألستَ ترَى الخ) مَقول القَول . والخطاب فى الثلاثة لطرفة ، والاستفهام للتوبيخ . والرؤية يجوز أن تكون بَصَريّة ، فَأنْ مع ما بعدها فى تأويل مفرد منصوب على أنّه مفعول الرؤية ؛ وأنْ تكونَ عِلميّة ، فأنْ مخفّفة مِن الثقيلة واسمُها ضمير شأن وجملة قد أتيتَ خبرها ، وهى مع معمولها سادّة مَسَدّ المفعولين

(١) كذا فى النسختين . ولعله : « والوظيف فى الرجل ما بين الرسغ والساق » . وانظر اللسان (وظف) .

للرؤية . (والمؤيِد) : على وزن اسم الفاعل ، قال الأعلم : هو الداهية ؛ وأصلها من الأيْد وهو القوّة ؛ كأنّها داهيَة ذات شِدّة وقوّة . ورواه الخطيب التِبريزىّ فى شرح المعلّقات ، بزنة اسم المفعول أيضاً وقال : أى جئتَ بأمرٍ شديد يشدَّد فيه : من عقرك هذه الناقة . وليس المؤيد[1] من الوأد ، كما توهمه السيِّد فى حواشى هذا الكتاب ، فإنه قال : وأَدَه أى دفنَه حياً ، والمؤيد : الداهية . قال ابنُ جِنّى فى المنصف[2] ، وهو شرح تصريف المازِنىّ : الفعل المعتلّ العين إذا صحَّ ما قبلَ عينه نقلت حركة عينه[3] إلى الساكن قبلها ، نحو أقام واستقام . فأمّا ما اعتلّت فاؤه ، فإنّك لا تنقل إليها حركة العين ، وذلك قولك فى أفعلْت ، نحو آيمت وآولت ، من آمَ وآلَ . لأنه لمّا اعتلت الفاء وهى همزة فقلبت ألفاً صحّت العين ، وعلى ذلك قول الشاعر :

* كرأس الفَدَن المؤيَدِ[4] *

فهذا مُفعَل بزنة اسم المفعول ، من الأَيْد وهو القوّة ؛ ولم يقل المؤاد — أى بهمزة ممدودة بعد الميم المضمومة — وقال طرفة : « أنْ قد أتيتَ بمؤيِد » ، وهى الداهية وهى بزِنَة اسم الفاعل من الأيد أيضاً ، ولم يقل المُئيد — أى بميم مضمومة فهمزة مكسورة بعدها مثنّاة تحتيّة — وقالوا : آيدته فى أفعلته من الأيد ، وأيّدته فعَّلته . وآيدته قليلة مكروهة ، لأنك إن صَحَّحْتَ فهو ثقيل ، وإن أعللتَ جمعتَ بين إعلالين . فعُدِل عن أفعلته إلى فعّلته فى غالب الأمر ا هـ .

---

(١) كذا فى النسختين . ولعلها « الموئد » .

(٢) طبع فى مصر سنة ١٣٧٣ بتحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين .

(٣) ط : « نقلت حركته » ، صوابه فى ش . وانظر المنصف .

(٤) البيت للمثقب العبدى ، كما فى السمط ١١٣ . وهو بتمامه :

يُنْبِى تَجالِيدِى وأَقْتادَها ناوٍ كَرأْسِ الفَدَنِ المُؤْيَدِ

وهذا البيت من معلَّقة طرَفة بن العبد المشهورة . وهذا ما قبلَه :

(وبَرْكٍ هُجُودٍ قد أثارتْ مَخافتى نَوادِيها أمْشى بعَضْبٍ مجرَّدِ
فمَرَّتْ كَهاةٌ ذاتُ خَيْفٍ جُلالةٌ عَقِيلةُ شيخ كالوَبيل يَلَنْدَدِ
يقولُ وقد ترَّ الوظيف وساقها . . . . البيت
وقال ألا ماذا ترَوْنَ بشارب شديدٍ علينا بَغيُهُ متعمِّدِ[1]
فقالوا[2] : ذَروه ، إنما نفعها له وإنْ لا ترُدُّوا قاصىَ البَرْك يَزْدَدِ
فظلَّ الاماء يَمْتَلِلْنَ حُوارَها وتَسعَى علينا بالسَديف المَسرهدِ)

قوله : وبَرْك ، بفتح الموحَّدة ، مجرورٌ بواوِ ربَّ ؛ قال أبو عبيدة : البرك يقع على جميع ما يبرك من الجمال والنُوق على الماء وبالفَلاة مِن حَرِّ الشّمس أو الشَبَع ، الواحد بارك وباركة . وقيل : البرك : جماعة إبل الحىّ ، وقيل لها برك لاجتماع مباركها . وبَرَكَ البعيرُ : إذا ألقى صدرَه على الأرض . والهُجود : النيام ، جمع هاجد وهاجدة ؛ ومصدره الهجود أيضاً بمعنى النوم كالقعود والجلوس . ومخافتى : فاعلُ أثارت ، وهو مصدرٌ مضاف إلى المفعول ، والفاعلُ محذوف أى مخافتها إياىَ . ونَوادِيها : مفعولُ أثارت ، أى أوائلَها وما سبق منها ؛ وهو بالنون ، يقال : لا ينْداك منّى أمرٌ تكرهه ، أى لا يسبق إليكَ منّى وإنما خص النوادىَ لأنّها أبعدُ منه عند فِرارها . فيقول : لا يفلتُ من عَقرى ما قرُبَ ولا ما شَذّ فندّ . وقال ابن السكّيت : النوادى الثِقال أيضاً من الإبل ، الواحدة نادية . وجملة أمْشى ، حالٌ من الياء فى مخافتى . والعَضْب :

---

(١) ش : « نميه » .

(٢) ويروى : « فقال » و « وقال » . وصوب التبريزى رواية « وقالوا » ، وقال : « من روى فقال فروايته بعيدة ، لأنه يحتاج إلى تقدير فاعل » .

السيف القاطع . والمجرّد : المسلول من غِمْده . يقول : رُبَّ إبلٍ كثيرةٍ باركةٍ قد أثارت نواديَ هذا البَرْكِ عن مباركها مخافتها إيايَ فى حال مشيي إليها بسيفٍ مسلولٍ قاطع . يريد أنّه أراد أن ينحر لأضيافه بعيراً فنفَرت منه لتعَوُّدِها ذلك منه .

وقوله : فمرّت كَهاة الخ ، الكَهاة بفتح الكاف ، قال ابن السكّيت : هى الناقة الضخمة . وهذا هو المناسب ، لا ما قاله شُرّاح المعلّقات : من أنها الناقة المسِنّة الضخمة . والخيف بفتح الخاء المعجمة ، قال ابن السكّيت : هو جِلد الضرع وقالوا: هو جلد الضَّرْع الأعلى الذى يسمَّى الجِراب . يقال : ناقة خَيفاء ، إذا كان ضَرْعُها كبيراً . وجُلالة بالرفع : صفة كَهاة ؛ وهى بضمّ الجيم بمعنى الجليلة والعظيمة . وعَقيلة شيخٍ : صفةٌ ثالثة ،أى خير ماله ؛ والعقيلة : الكريمة . وهذا الشيخ قال ابن السكيت : هو بعض بنى عمٍّ طرفة ، كان طرفة عقَر له ناقة .

وقال الزَوزَنيّ : أراد بالشيخ أباه ، يريد أنّه نحر كرائمَ مالِ أبيه لنُدَمائه . وقيل : بل أراد غيره ممن يُغير على ماله . وقوله : كالوبيل ، صفة شيخ . قال ابن السكّيت : الوبيل العصا . وقال الزوزَنىّ : [الوبيل : العصا الضخمة[1]] فى الصحاح : الوبيل : الحُزْمة . فعلى هذا شبَّه عظامَه فى اليبوسة بالحطب ، والشيخَ بأنّه حزمة من الحطب . واليلندد : السيىء الخلُق الشديد الخصومة ؛ صفة ثانية للشيخ . وقوله : يقول وقد ترّ الوظيف الخ ، أى قال الشيخ فى حال عقرى هذه الناقةَ الكريمة النجيبة . ومثلها لا يُعقَر للأضياف — وقوله : وقال ألا[2] ماذا ترون الخ ، فاعل قال ضميرُ الشيخ صاحب الناقة ؛ وذا اسم موصول ؛ وما استفهام منصوب بترون ؛ والباء متعلّقة بمحذوف .

٥٠٧

(١) التكملة من الزوزنى .

(٢) فى ط : « إلى » فى هذا التفسير ، وفى النص السابق فى البيت ، تحريف .

أى قال الشيخ ، مستشيراً أصحابه : ما الذى ترون أن نفعل بطرَفة شارب الخمر يَبغى علينا بعَقْر كرائم أموالنا ؟ وقوله : فقالوا ذروه الخ ، أى ذَروا طرَفة فإنّ نفعَها للشيخ ، فإنّ طرَفة يُخلِف عليه ويَزيده ؛ وإن لم تردُّوا قاصىَ إبلكم يَعقِرْ منها أيضاً . وقيل : معناه : إن لم تردُّوا قاصىَ البَرْك وتردوه إلى أوله زاد فى نِفاره وذهَب . والقاصى : اسم فاعل مِن قَصا يقصو قُصُوًّا : إذا بعُد . وقوله : فظلّ الإماء الخ ، يمتَلِلْن بكسر اللام : أى يَشوين فى المَلّة وهى الرَّماد الحارّ . والإماء : الخدَم . والحُوَار بضمّ المهملة : ولد الناقة . والسَّديف : قطَع السَنام . والمُسَرْهَد : المَرِىء الحسن الغذاء ، وقيل السمين . أى فظلّ الإماء يشتوين الولد الذى خرج من بطْنها تحْت الجمْر والرمادِ الحارّ ، وتَسعى الخدمُ علينا بقطَع سَنامها للقطْع يريد أنّهم أكلوا أطايبها وأباحوا غيرها للخدَم . وذِكْرُ الحُوَار يدلّ على أنّها كانت حُبلى — وهى من أنفَس الإبل عندهم .

وترجمة طرَفة بن العبد تقدمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد المائة :

١٨٥ (وقَدْ أغْتَدِى والطَيرُ فى وُكناتِها بمنجَرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ هيكَل)

لِما تقدَّم قبلَه . وقد بيّنّاه .

وهذا البيت من معلقة امرئ القيس المشهورة[٢] . وقوله : (وقد أغتدى) أى أخرج غدْوةً للصيد . و (الوُكنات) الواو مضمومة ، والكاف

(١) الخزانه ٢ : ص ٤١٩

(٢) انظر له أيضاً الخصائص ٢ : ٢٢٠ وابن يعيش ٢ : ٣/٩٦ : ٩/٥١ : ٩٥ وشرح شواهد المغنى ٢٩٢ .

يجوز ضمُّها وفتحها وسكونها ، جمع وُكْنة بضمٍّ فسكون . قال ابن جنّى فى المحتسب : « ومن ذلك قراءة عبد الكريم الجزَرى : (فتَكِنْ فى صَخْرَةٍ[1]) بكسر الكاف ، من قولهم وَكَن الطائر يَكِنُ وُكونا : إذا استقرَّ فى وُكْنته ، وهى مقره ليلاً ، وهى أيضاً عُشه الذى يَبيض فيه . وكأنّه من مقلوب الكَوْن ، لأنّ الكون الاستقرر » اهـ .

والقاف لغة فى الكاف ، يقال وُقْنة ووُقنات . ورُوى (فى وُكُراتها) بضمّتين جمع وُكر بضمّة فسكون ، وهو جمع وَكْر بفتح فسكون ، والوكر : مأوى الطائر فى العُشّ . و (الطَّير) : جمع طائر كصَحْب جمع صاحب . وهذا المصراع قد استعمله امرؤ القيس فى قصيدته اللاميّة ، قال :

وقد أغتدى والطيرُ فى وُكناتها لِغَيثٍ من الوَسْمىّ رائدهُ خالى

وفى الضاديّة[2] أيضاً ، وتمامه :

* بمنجردٍ عَبْل اليدَين قَبيض *

وفى البائية أيضا[3] ، وتمامه :

* وماء الندَى يَجرى على كلّ مِذْنَب *

وهذا البيت قد وقع فى قصيدةٍ لعلقمةَ الفحلِ أيضا . وجملة : « والطير فى وكناتها » حالٌ من ضمير المتكلّم ، أى أغدو إلى الصيد ملابساً لهذه الحالة . و (المنجرد) من الخيل ، قيل : الماضى فى السير ، وقيل : القليل الشعر القصيرُه . وبمنجرد متعلّق بقوله أغتدى . و (الأوابد) : الوحوش ، جمع آبده .

(١) الآية ١٦ من سورة لقمان .

(٢) ط : « الصادية » صوابه فى ش . وانظر ديوانه ٧٥ .

(٣) انظر ديوانه ٤٦ .

٥٠٨ يريد أنّ هذا الفَرس من سُرعته يَلحق الأوابد فيَصير لها بمنزلة القَيد . قال أبو عليّ فى التذكِرة : قيد الأوابد ، صفةٌ ، وهو مصدر كأنّه قال : يقيِّد الأوابد ، ثم استعمَل المصدر : بحذف الزيادة ، فوصف به . وقال التِبْرِيزىّ : تقدير قيد الأوابد ، ذى تقييد الأوابد . قال الباقِلاّنىّ فى إعجاز القرآن[١] : قوله قيد الأوابد — عندَهم — من البديع ومن الاستعارة ، ويرونْه من الألفاظ الشريفة ، وعنَي بذلك أنّه إذا أُرسل هذا الفرسَ على الصيد ، صار قيداً لها ، وكانت بحال المقيَّد من جهة سُرعة عَدْوه . وقد اقتدى به الناسُ واتّبعه الشعراء ، فقيل قيد النواظر ، وقيد الألحاظ ، وقَيد الكلام ، وقيد الحديث ، وقَيد الرُّهان ، قال ابن يعفُر :

بمقلّص عَتد جَهير . شدُّه قيدِ الأوابدِ والرِهانِ جَواد

وقال أبو تمّام :

لها مَنظرٌ قَيْدُ الأوابد لم يَزَلْ يَروح ويغدو فى خفارته الُحبُّ

وقال آخر :

أَلحاظُه قَيدُ عُيونِ الورَى فليسَ طرْفٌ يتَعدّاه

وقال آخر :

* قيَّد الُحسْنُ عليه الَحدَقا[٢] *

و (الهيكل) قال ابن دريد : هو الفرس العظيم الِجرْم .

وبعد هذا البيت بيتٌ هو من شواهد مغنى اللبيب ، وهو :

(مِكَرّ مِفرٍّ مُقبلٍ مُدبرٍ معاً كجلمُود صَخْرحطّه السيلُ من عَل)

(١) إعجاز القرآن ١٠٧ .

(٢) ط : « الحدقان » صوابه فى إعجاز القرآن ، ومن ش مع أثر محو للنون .

مِكَرٍّ ومِفَرٍّ بكسر الميم فيهما وجرُّهما : أى فرس صالح للكرّ والفرّ . والكرّ : العطف ، يقال : كرَّ فرَسه على عدوّه . أى عطَفه عليه . ومِفعَل يتضمّن مبالغةً ، كقولهم : فلان مِسْعَرُ حَرْبٍ ، وفلانٌ مِقْوَل ومِصقع . وإنّما جعلوه متضمِّناً مبالغةً ، لأنّ مِفعَلاً يكون من أسماء الأدوات ، فكأنّه أداة للكرّ والفرّ ، وآلةٌ لتُسعِرَ الحربَ أى تُلهِبَها ، وآلةُ الكلام . ومُقبل ومُدبر ، بضمّ ميميهما : اسما فاعل من الإقبال والإدبار . والجُلمود ، بالضم : الصخر العظيم الصُّلْبُ . والحطّ : إلقاء الشىء من عُلْو إلى أسفل . وعلٍ ، بمعنى عالٍ أى من مكان عال .

وفى هذا البيت (الاتساع) قال ابن أبى الإصبَع ، فى تحرير التحبير[1] : الاتساع أن يأتىَ الشاعرُ ببيت يتّسع فيه التأويل ، على قدر قُوى الناظر فيه ، وبحَسَب ما تحتمل ألفاظُه ، كقوله فى صفة فَرس :

مِكَرّ مِفَرّ مقبل مدبر معاً .... البيت

لأنّ الحجر يطلب جهة السُّفل لكونها مركزَه ، إذْ كلُّ شىء يطلب مركزَه بطَبعه ؛ فالحجر يُسرع انحطاطُه إلى السفل من العُلو ، من غير واسطة فكيف إذا أعانته قوّة دُفّاع السيل من علٍ ! فهو ، حالَ تدحرُجِه ، يُرى وجهُه فى الآنِ الذى يُرى فيه ظهره ، بسرعةِ تقلّبه ، وبالعكس . ولهذا قال : مقبل مدبر معاً ، يعنى يكون إدباره وإقباله مجتمعَين فى المعِيَّة ، لا يُعقَل الفرقُ بينهما . وحاصلُ الكلام وصفُ الفرس بلين الرأس وسُرعة الانحراف — فى صدر البيت — وشدّة العدْو — فى عجزه . وقيل : إنّه جمعَ وَصفَى الفرسِ بحُسْن الخَلْق وشدَّة العدْوِ ، ولكونه قال فى صدر البيت إنّه حسن الصورة كامل

(١) تحرير التحبير ٤٥٤ .

النصبة فى حالتى إقبالِه وإدباره ، وكرِّه وفرِّه ؛ ثمّ شبّهه بجلمود صخر حطّه السيلُ من العلو بشدّة العدْو ؛ فهو فى الحالة التى ترى فيها لَبَبَه ترى فيها كفلَه ؛ وبالعكس . هذا ، ولم تخطُر هذه المعانى بخاطر الشاعر فى وقت العمل ، وإنّما الكلام إذا كان قويّا من مثل هذا الفحل ، احتمل لقوّته وُجوهاً من التأويل ، بحسَب ما تحتمل ألفاظه ، وعلى مقدارِ قُوى المتكلّمين فيه . ومثله أيضاً [1] :

٥٠٩

إذا قامتا تَضوّع المسكُ منهما نَسيمَ الصبا جاءتْ بريّا القرَنفل

فإنَّ هذا البيت اتّسع النقّاد فى تأويله : فمن قائلٍ : تضوّع المسك منهما بنسيم الصبا [2] ، ومن قائل : تضوّع نسيمُ الصبا منهما ، ومن قائلٍ : تضوّع المسكُ منهما تضوُّعَ نسيم الصَبا — وهذا هو الوجه — ومن قائلٍ : تضوَّع المسكُ منهما — بفتح الميم ، يعنى الجلد — بنسيم الصَّبا .

وقال ابنُ المستوفى فى شرح أبيات المفصَّل : حدّثنى الإمام أبو حامد سليان ، قال : كنّا فى خُوارَزْم ، وقد جرى النظرُ فى بيت امرئْ القَيس :

إذا قامتا تضوَّع المسكُ منهما . . . . البيت

فقالوا : كيف شبَّه تضوُّع المسك بنسيم الصَبا ، والمشبَّه ينبغى أن يكونَ مثلَ المشبَّه به ، والمسك أطيبُ رائحة ! وطال القول فى ذلك فلم يحقّقوه ، وكان سألنى عنه ، فأجبْت لوقتى أنّه شبّه حركة المسك منهما عند القيام بحركة نَسيم الصَبا ، لأنَّه يقال تضوّع الفرْخ أى تحرّك ، ومنه تضوَّع المسكُ تحرّك وانتشرت رائحته : وذلك أنّ المرأة توصَف بالبطء عند القيام ، فحركة المسك تكون إذاً ضعيفةً مثلَ حركة النسيم ، وانتشارُه كانتشاره ؛ فالتشبيه صحيح .

---

(١) الكلام على البيت التالى متقدم فى تحرير التحبير على الكلام فى البيت السابق .
(٢) تحرير التحبير : « نسيم الصبا » ، وما هنا صوابه .

والنسيم : الريح الطيّبة ، ونسيم الريح أوَّلها حين تُقبل بلين . ولقائل أن يقول : إن نسيم الصبا — وهى الريح الطيبة إذا جاءت بريّا القَرَنفُل ، وهى أيضاً ريح طيّبة ، قاربت ريح المسك . وبعد أن جرى ذلك بمدَّة طويلة وقَع إلىّ كتابُ أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارىّ ، فى شرح القصائد السبعيّات ، فوجدته ذكر عند هذا البيت قولاً حسنا ، وهو قوله : ومعنى تضوَّع أخذ كذا وكذا . وهو تفعَّل من ضاع يضُوع ، يقال للفرْخ إذا سمع صوتَ أمِّه فتحرك : قد ضاعته أمُّه تضُوعه ضَوْعاً[1] . فلا حاجة مع قوله أخذ كذا وكذا إلى تمحُّل لذلك ، ويكون التقدير : تضوَّع المسكُ منهما تضوُّعَ نسيم الصَّبا ، أى أخذ كذا وكذا كما أخذ النسيم كذا وكذا . اهـ .

وترجمة امرئ القيس تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد المائة[3] :

١٨٦ (كأنَّ حَوَامِيَــه مُدْبِراً خُضِبْنَ وإنْ لم تَــكُنْ تُخْضَبِ)

على أن (مدبراً) حال من المضاف إليه ، وهو الهاء فى حَوامِيَه .

صاحب الشاهد

وهذا البيتِ من قصيدةٍ فى وصف فرس ، للنابغة الجَعْدىّ . وقبله :

٥١٠

(كَأَنَّ تَمَاثِيـلَ أَرْسَاغِهِ رِقابُ وُعُولٍ على مَشْرَبِ
كأنَّ حَوَامِيَــه مُــدْبِراً . . . . البيت)

وبعده :

(١) فى شرح القصائد السبع ٢٩ : « ضاعه صوت أمه يضوعه ضوعا » .

(٢) الخزانة ١ : ص ٣٢٩ ومابعدها

(٣) ديوان النابغة الجعدى ص ٢٠ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٧ ، ١٥٢ ، ١٥٦

(حِجــارةُ غَيْلٍ برضْراضَةٍ كُسِينَ طِلاءً من الطُّحْلبِ)

التماثيل : جمع تِمثال بالكسر ، وهى الصورة . والأرساغ : جمع رُسْغ بالضمّ ، وهو ، من الدوابّ : الموضعُ المستدِقُّ بين الحافر وموضع الوَظيف من اليد والرجل ، ومن الإنسان : مفصلُ ما بين الكفّ والساعد والقدم إلى الساق[1] والوعول : جمع وَعِل ، قال ابن فارس : هو ذكر الأروى وهو الشاة الجبليّة . وكذلك قال فى البارع ، وزاد : والأنثى وَعِلة بكسر العين ، وتسكّن فيهما . والمشرَب بالفتح موضع الشُرب . وهذا البيت من التشبيه البديع الذى لم يُسبَق إليه : شبّه أرساغه فى غلظها ، وانحنائها ، وعدم الانتصاب فيها ، برقاب وُعولٍ قد مدّتْها لتشربَ الماء[2] . وهذا البيت من شواهد أدب الكاتب[3] قال : « ويُستحبّ أن تكون الأرساغ غِلاظاً يابسة » . وأنشد هذا البيت .

وقوله : (كأنّ حَوامِيَه . . الخ) الحوامى : جمع حاميَة بالحاء المهملة ، وهى ما فوق الحافر ، وقيل : هى ما عنْ يمين الحافر وشِماله ؛ ولكل حافرٍ حاميَتان ؛ قال ابن قتيبة : هما عن يمين السُنبُك وشِماله . والسُّنبُك بالضمّ : طرف مقدَّم الحافر . و (تخضب) بدلٌ من (تكُن) بدل اشتمال ، لاشتمال الخضاب على الكَون . وهو من قبيل بدل الفعل من الفعل ، ولهذا ظهر الجزم . وكُسر للقافية .

والحجارة : جمع حَجر وهى الصَّخرة . والغَيْل ، بفتح الغين المعجمة : الماء الجارى على وجه الأرض . والرَّضراضة : الأرض الصُلبة ، قال ابن السكّيت

(١) هذا التفسير من المصباح المنير .

(٢) قوله « وهذا البيت » إلخ اقتبسه البغدادى من ابن السيد فى الاقتضاب ٣٣٧ .

(٣) أدب الكاتب ص ٩٩ ط : التجارية ١٩٦٣ .

فى أبيات المعانى : ورضراضة : أرضٌ مرصوصة بحجارة بالضاد المعجمة والمهملة قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب [١] : ويستحب أن تكون الحوافرُ صِلاباً غير نَقِدَة — والنقَد ، بالتحريك : أن تراها متقشّرة — وتكونَ سُوداً أو خضراً لا يبْيضّ منها شىء ؛ لأنّ البياض فيها رقّةٌ ا هـ . شبّه حوافره بحجارة مقيمة فى ماء قليل . وذلك أصلبُ لها ، يقال للصخرة التى بعضُها فى الماء وبعضها خارج : أتَان الضَّحْل — والضَّحْل : الماء القليل — وذلك النهايةُ فى صلابتها . وإيّاها عنى المتنبّي بقوله :

أنا صخرةُ الوادى إذا ما زُوحِمَتْ   وإذا نطقتُ فإنَّنى الجوزاء [٢]

وإذا كانت جوانبُ الحوافر صِلاباً على الوصف الذى ذُكر ، وكانت سوداً أو خضراً ، فقاديمها أصلبُ وأشدُّ سواداً وخضرة . وكُسِين ، بالبناء للمفعول من الكُسْوة . والنونُ ضمير الحجارة . والجملة حالٌ من ضمير الظرف ، أعنى قولَه برضراضة . والطِّلاء بالكسر : كلّ ما يُطلَى به ؛ وهو المفعول الثانى لكسا . يقال طلَيته به : أى لطخته به . والطّحلب ، بضمّ اللام وفتحها مع ضمّ الطاء ، وتكسر أيضاً مع كسر الطاء ، وهو خُضرة تعلو الماء المزمِن . وقد طَحلبَ الماء فهو مُطَحلِب بكسر اللام وفتحها .

قال ابن الشجرىّ فى المجلس الثالث من أماليه عند قول المسيَّب بن عامر فى مدح عُمارة بن زياد العبْسىّ :

كسَيفِ الفرند العَضْب أخلِصَ صقلُه   تَراوحهُ أيدِى الرجال قياما [٣]

(١) أدب الكاتب ص ١٠٠ ط : التجارية ١٩٦٣ . وفى لفظه بعض اختلاف

(٢) فى ديوان المتنبي ١ : ١٢ : « فإننى الجوزاء » .

(٣) فى النسختين : « كيف الفرند » و « ترى وجه أيدى » صوابهما من أمالى ابن الشجرى ١ : ١٧ .

٥١١ إنّ قوله قياماً ، نصب على الحال من الرجال . والحالُ من المضاف إليه قليلة ، ومن ذلك قولُ الجَعْدىّ :

* كأنّ حواميَه مدبراً *

نصب مدبراً على الحال من الهاء . . . وأنشدوا فى الحال من المضاف إليه قولَ تأبَّطَ شرًّا :

سلبتَ سلاحى بائساً وشتمتَني فيا خَيرَ مَسْلُوبٍ ويا شرَّ سالبِ

ولستُ أرى أنّ بائساً حال من الياء فى سلاحى ، ولـكنّه عندى حالٌ من مفعول سلبتَ المحذوف ، والتقدير : سلبتَنى بائساً سلاحى[1] . ومثله قوله تعالى : (ذرْنى وَمَنْ خَلَقتُ وَحِيدا[2]) وقوله تعالى : (أهـذَا الذى بَعَثَ اللهُ رَسُولا[3]) أى خلقتُه ، وبعَثَه . وإنَّما وجب العدول إلى ما قلنا ، لعزَّة حال المضاف إليـه . فإذا وجدتْ مندوحةٌ وجب تركه . وسلَب يتعدَّى إلى مفعولَين يجوز الاقتصار على أحدها ، كقولك : سلبت زيداً ثوباً ، وقالوا : سُلِبَ زيدٌ ثوبُه ، بالرفع على بدل الاشتمال ، وثوبَه ، بالنصب على أنّه مفعول ثان ؛ وفى التنزيل (وإنْ يَسْلُبْهم الذبابُ شيئاً لا يَستَنْقِذُوه منه[4]) فيجوز على هذا أن نجعل بائساً مفعولا ثانياً بتقدير حذف الموصوف ، أى سلبتَ سلاحى رجلاً بائساً ، كما تقول : لتعامِلنَّ منِّي رجلاً مُنصِفا . وممّا جاءت الحال فيه من المضاف إليه ، قوله تعالى : (قُلْ بلْ مِلَّةَ إبراهِيمَ حَنِيفا[5]) قيل : إنّ حنيفاً حالٌ من إبراهيم ؛ وأوجَهُ من ذلك ، عندى ، أن تجعله حالاً من المِلّة

(١) بعده فى الأمالى : « وجاء بالحال من المحذوف لأنه مقدر عنده منوى » .
(٢) الآية ١١ من سورة المدثر .
(٣) الآية ٤١ من سورة الفرقان .
(٤) الآية ٧٣ من سورة الحج .
(٥) الآية ١٣٥ من سورة البقرة .

وإن خالفها بالتذكير ، لأنّ الملة فى معنى الدين ، ألا ترى أنّها قد أبدلت من الدين فى قوله تعالى : (ديناً قِيَماً مِلّةَ إبراهِيم[1]) فإذا جعلتَ حنيفاً حالا من الملّة ، فالناصب له هو الناصب للمِلّة ، وتقديره : بل نتّبِع ملّة إبراهيم حَنيفا . وإنّما أضمر نتّبع لأنّ ما حكاه الله عنهم من قولهم : (كونُوا هُوداً أو نَصارَى تَهتَدُوا[2]) معناه اتّبعوا اليهوديّة أو النصرانية ؛ فقال لنبيّه ﷺ : قلْ بلْ نتبعُ مِلّة إبراهيم حنيفا . . وإنّما ضُعف مجىء الحال من المضاف إليه ، لأنّ العامل فى الحال ينبغى أن يكون هو العامل فى ذى الحال . اهـ كلامه .

وقال أيضاً ، فى المجلس الرابع والعشرين[3] : وأمّا قوله مُدْبرا ، فحالٌ من الهاء ، والعامل على رأى أبى علىّ ما تقدّره فى المضاف إليه من معنى الجارّ . يعنى أنّ التقدير كأنّ حوامىَ ثابتةٌ له مدبراً ، أو كائنةٌ له . قال : ولا يجوز تقديمُ هذه الحالِ ، لأنّ العامل فيها معنًى لا فعلٌ محْض . قال : ولا يجوز أن يكون العاملُ ما فى كأنّ مِنْ معنى الفعل ، لأنّه إذا عمل فى حالٍ لم يعمل فى أخرى . يعنى أنّ كأن قد عمل فى موضع خُضِبْن النصبَ على الحال ، فلا يعمل فى قوله مدبرًا . وهذا القول يدلُّ على أنّه يُجيز أن ينصبِ حالَ المضاف إليه العاملُ فى المضاف . وإذا كان هذا جائزاً عنده ، فإنْ جعل خُضِبْن خبرَ كأنّ فالعامل إذاً فى مدبراً ما فى كأنّ من معنى الفعل . وهذا إنّما يجوز إذا كان المضاف ملتبساً بالمضاف إليه : كالتباس الحوامى بما هى له ؛ ولا يجوز فى ضربت غلامَ هندٍ جالسةً ، أن تنصب جالسة بضربْت ، لأنّ الغلام غير مُلتبس بهند كالتباس الحوامى بصاحبها . ولا يجوز عندى أن تنصب جالسة

---

(١) الآية ١٦١ من سورة الأنعام .
(٢) الآية ١٣٥ من سورة البقرة .
(٣) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٥٧ .

٥١٢ بما تقدَّره من معنى اللام[١] فى المضاف إليه ، فكأنَّك قلت : ضربت غلاماً كائناً لهندٍ جالسةً ، لأنَّ ذلك يوجب أن يكون الغلامُ لهندٍ فى حال جلوسها خاصَّة ، وهذا مستحيل . وكذلك قوله : كأنَّ حواميَهُ مُدْبِراً ، إن قدَّرت فيه : حوامىَ ثابتةً له مُدبِراً ، وجب أن يكون الحوامى له فى حال إدباره دون حال إقباله . وهذا يوضِّح لك فسادَ إعمالك فى هذه الحالِ معنى الجارِّ المقدَّرِ فى المضاف إليه . ولا يجوز إذن ضربت غلامَ هند جالسةً لذلك ، ولعدم التباس المضاف بالمضاف إليه . ونظير ما ذكرناه : من جواز مجىء الحال من المضاف إليه إذا كان المضاف ملتبساً به ، قوله تعالى (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لها خَاضِعِينَ[٢]) أخبر بخاضعين عن المضاف إليه ، ولو أخبر عن المضاف لقال خاضعةً أو خُضَّعاً أو خَواضِع . وإنَّما حسُن ذلك ، لأنَّ خضوع أصحاب الأعناق بخضوع أعناقهم . وقد قيل فيه غيرُ هذا ، وذلك ما جاء فى التفسير من أنَّ المراد بأعناقهم كبراؤهم . وقال أهل اللغة : أعناقهم : جماعاتهم ، كقولك : جاءنى عُنُق من الناس : أى جماعة . فالخبر فى هذين القولين عن الأعناق . وقوله : خُضِبن[٣] ، عند أبى علىّ فى موضع نصب بأنَّه حال من الحوامى ، ولم يجعله خبر كأنَّ لأنَّه جعل خبرَها قوله حجارةُ غَيْل ، ولم يُجِزْ أن يكونا خبرين لكأنَّ : على حدِّ قولهم هذا حلوٌ حامض ، أى قد جمع الطعمين ؛ قال : لأنَّك لا تجد فيما أخبروا عنه بخبرين أن يكون أحدُهما مفرداً والآخر جملة : لا تقول زيدٌ خرجَ عاقلٌ . والقول عندى : أن يكون موضعُ خضبن رفعاً بأنَّه خبر كأن ، وقوله حجارةُ غَيْل خبر مبتدإ محذوف ، أى هى حجارة غيل ، وأداة التشبيه محذوفة ، كما قال[٤] :

(١) سه : « الكلام » صوابه فى ط وأمالى ابن الشجرى .
(٢) الآية ٤ من سورة الشعراء .
(٣) هذا الكلام فى الأمالى متقدم على الكلام السابق ، أى فى ١ : ١٥٦ .
(٤) هو النابغة ديوانه ٦٤ واللسان (كرر ٤٥٢ كدن ٢٣٧ أضا ٤٠) .

* فهنّ إضاءٌ صافياتُ الغَلائل[١] *

أى مثلُ إضاء، والإضاء: الغُدران، واحدها أَضاة[٢] فَعَلة جُمعت على فِعال، كرقَبة ورِقاب: شبّه الدروعَ فى صَفائها بالغُدْران.

و (النابغة الجَعْدىّ) كنيته أبو ليلى، وهو كما فى الاستيعاب: قيس ابن عبد الله. وقيل: حيّان[٣] بن قيس بن عبد الله بن عَمرو بن عُدَسَ ابن ربيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وقيل: اسمه حيّان بن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح بن عُدَسَ بن ربيعة بن جَعْدة. وإنّما قيل له النابغة، لأنّه قال الشعر فى الجاهلية، ثمّ أقام مدّةً نحوَ ثلاثين سنة لا يقول الشعر، ثم نبغ فيه فقاله، فسمّى النابغة. وهو أسنُّ من النابغة الذبيانى، لأنّ الذبيانىّ كان مع النعمان بن المنذر، وكان النعمان بن المنذر بعدَ المنذر ابن محرِّق، وقد أدرك النابغةُ الجعْدىّ المنذرَ بنَ محرِّق ونادمَه. ذكر عمر ابن شبّة أنّه عمِّر مائةً وثمانين سنة، وأنّه أنشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

قيس النابغة الجعدى

لبست أُناساً فأفنَيتهم وأفنيت بعد أُناسٍ أُناسا
ثلاثة أَهلِين أفنَيتهم وكان الإلهُ هو المستآسَا

فقال له عمر: كم لبثت مع كلّ أهل؟ قال: ستّينَ سنة.

وقال ابن قتيبة[٤]: عمرَ الجعدىّ مائتين وعشرين سنة ومات بأصبهان.

---

(١) صدره: * علين بكديون وأبطن كرّة *
(٢) ط: « أضاءة » صوابه فى سه وأمالى ابن الشجرى.
(٣) فى الإصابة والاستيعاب ٤ : ١٥١٤ : « حبان » وفى إحدى نسخ الاستيعاب: « حيان » وفى الأغانى ٤ : ١٢٧ : « حسان ».
(٤) فى الشعر والشعراء ٢٤٨ — ٢٤٩.

ولا يدفع هذا ما مرّ ، فإنّه أفنى ثلاثة قرون فى مائة وثمانين سنة ، ثم عمّر إلى زمن ابن الزُّبير وبعدَه .

والبيتان من قصيدة سينيّة . والمستآس : المستعاض ، مُستفعَل من الأوس ، والأوْس : العطية عوضاً . وبعدهما :

٥١٣
وعِشتُ بعَيشَيْنِ ، إنّ المنو ن تلقى المعايش فيها خساسا
فحيناً أصادف غِرّاتِها وحيناً أصادِف منها شِماسا
شهدتُهمُ لا أرجِّي الحيا ةَ حتّي تساقَوا بسمر كئاسا[١]

وهو جمع كأس .

قال السِجِسْتانى فى كتاب للمعمّرين[٢] : وقال حين وفَت له مائة واثنتا عشرة سنة :

مضَتْ مائةٌ لعامٍ وُلِدت فيه وعشرٌ بعدَ ذاك وحِجّتانِ
فأبقى الدهرُ والأيّامُ منّي كما أبقَى من السيف اليمَانى
تَفَلَّلَ وهو مأثورٌ جُراز إذا جُمعت بقائمِهِ اليدانِ[٣]
ألا زعمت بنو كعب بأنّى ـ ألا كذبوا ! كبيرُ السنِّ فانى[٤]
فمن يَحرِصْ على كِبَرى فإنّى مِن الفِتيان أزمانَ الخُنانِ

الخُنان : مرضٌ أصاب الناس فى أُنوفهم وحُلوقهم ، وربّما أخذ النعَمَ ، وربّما قتل ا هـ . وهو بضمّ الخاء المعجمة وبعدها نون مخففة ، فى القاموس :

(١) السمر : الرماح . ويروى : « بسم » كما فى حواشى الشعراء .
(٢) المعمرين ٦٥ .
(٣) ط : « وهو عانور » صوابه فى المعمرين وسمه مع أثر تصحيح وأمالى المرتضى ١ : ٢٦٤ .
(٤) فى الإصابة : « بنو أسد بأنى أبو ولد » .

والخُنان ، كغراب : زكام الإبل ؛ وزمن الخُنان كان فى عهد المنذر بن ماء السماء وماتت الإبل منه[1] .

ووفد الجعدىُّ على النبي صلى الله عليه وسلم مُسْلِماً ، وأنشده ، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من أوّل ما أنشده قوله فى قصيدته الرائية[2] :

أتيتُ رسولَ الله إذ جاء بالهدى ويَتلو كتاباً كالمجرَّة نيِّرا
وجاهدتُ حتّى ما أحسُّ ومَن معى سُهَيلاً ، إذا ما لاح ثُمَّتَ غَوَّرا[3]
أقيمُ على التقوَى وأرضَى بفِعلها وكنتُ من النار المَخُوفة أحذَرا

إلى أن قال :

وإنّا لَقومٌ ما نُعَوِّد خيلَنا ، إذا ما التقَينا ، أن تَحِيد وتَنفِرا
ونُنكِر يوم الرَّوعِ ألوانَ خيلِنا مِن الطعنِ حتّى تحسب الجَونَ أشقَرا[4]
وليس بمعروفٍ لنا أنْ نرُدَّها صِحاحاً ، ولا مستنكَراً أن تُعقَّرا
بلغنا السماء مجدُنا وسناؤنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا[5]

وفى رواية عبد الله بن جراد :

علَونا على طُرِّ العِباد تكرُّما وإنّا لنرجو فوقَ ذلكَ مَظهَرا

---

(١) فى الأغانى ٤ : ١٢٨ : « سئل محمد بن حبيب عن أيام الخنان : ما هى ؟ فقال : وقعةلهم ، فقال قائل منهم وقد لقوا عدوهم : خنوهم بالرماح ! فسمى ذلك العام بالخنان » .

(٢) هى فى ديوانه ٧٠ — ٧٦ وجمهرة القرشى ١٤٥ — ١٤٨ وهى أولى المشوبات . ورويت أيضا فى الاستيعاب ٤ : ١٥١٥ — ١٥١٦ واللآلى ٢٤٧ ، ٧٧٢ وأمالى المرتضى ١ : ٢٦٧ .

(٣) فى أمالى المرتضى : « ثم تغورا » .

(٤) فى الإصابة والأمالى : « نحسب » بالنون .

(٥) الأغانى والإصابة : « مجدنا وجدودنا » وفى الجمهرة : « بلغنا السما مجدا وجودا وسوددا » .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إلى أين يا أبا ليلى ! فقال : إلى الجنة ! فقال : نعم إن شاء الله !

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم تَكن له بَوادرُ تَحمى صفوَه أنْ يُكدَّرا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن له حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصدرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يفضُضِ الله فاك ! فكان من أحسن الناس ثَغراً ؛ وكان إذا سقطت له ثَنِيّة نبتت ، وكان فوه كالبدر[1] المتهلّل يتلألأُ ويَبرُق .

وهذه القصيدة طويلة : نحو مائتى بيت ؛ وأنشد جميعَها للنبى صلى الله عليه وسلم وأوّلها :

خليليَّ غُضّا ساعةً وتَهجَّرا[2] ولُوما على ما أحدثَ الدهرُ أو ذَرا

٥١٤ وهى من أحسن ما قيل من الشعر فى الفخر بالشجاعة ، سَباطةً ، ونَقاوة ، وحَلاوةً . ومنها :

تذكَّرتُ والذكرى تهيج على الفتى ومِن حاجة المحزونِ أن يتذكّرا
نداماىَ عِندَ المنذر بن محرِّق أرى اليومَ منهم ظاهرَ الأرضِ مقفِرا[3]
تَقَضّى زمانُ الوَصْلِ بينى وبينَها ولم ينقض الشوقُ الذى كان أكثرا
وإنّى لأستَشفى برُؤية جارِها إذا ما لِقاؤها علىَّ تعذَّرا
وألقى على جِيرانها مَسْحة الهوى وإن لم يكونوا لى قَبيلاً ومعشرا

(١) سه : « كالبرد » .
(٢) ويروى : « عوجا ساعة » .
(٣) ط : « عبد المنذر » ، صوابه فى سه وسائر المراجع .

تردَّيتُ ثوبَ الذلِّ يومَ لقيتُها وكان ردائى نخوة وتجبرا[١]

حسبنا زماناً كلَّ بيضاء شحمةً ليالىَ إذ نغزو جُذاماً وحِمْيَرا[٢]

إلى أن لقينا الحىَّ بكر بنَ وائلٍ ثمانينَ ألفاً دارعِينَ وحُسَّرا

فلما قَرعنا النبْعَ بالنبع : بعضه ببعض ، أبتْ عِيدانُه أنْ تكسَّرا

سَقيناهمُ كأساً سَقَونا بمثلها ولكنّنا كنّا على الموت أصبرا !

قال عمر بن شبّة : كان النابغةُ الجعدىّ شاعراً مقدَّماً ، إلاّ أنّه كان إذا هاجى غُلِب ؛ وقد هاجى أوسَ بنَ مَغْرَاء ، وليلى الأَخيَليَّة ، وكعبَ ابنَ جُعَيل ، فغلبوه — وهو أشعر منهم — مراراً . ليس فيهم من يقرب منه . وكان قد خرج مع علىّ رضى الله عنه إلى صِفّين ، فكتب معاوية إلى مرْوانَ ، فأخذ أهلَ النابغة ومالَه ، فدخل النابغةُ على معاوية ، وعنده مرْوان وعُبيد الله ابن مروان[٣] ، فأنشده :

مَن راكبٌ يأتى ابنَ هندٍ بحاجتى على النأى والأنباء تنمى وتُجلَبُ !

ويُخبِر عنِّي ما أقولُ ابنَ عامرٍ ونِعمَ الفتى يأوى إليه المعصَّبُ !

فإن تأخذوا أهلى ومالى بظِنَّة فإنِّى لأحرار الرجال مجرِّبُ[٤]

صبورٌ على ما يكره المرء كلِّه سِوَى الظلمِ ، إنِّى إن ظلِمتُ سأغضبُ

---

(١) ط : « نجوة وتجبرا » صوابه فى ش والديوان .

(٢) البيت وما بعده إلى آخر الأبيات فى ديوانه ، ولم يذكر فى جهرة القرشى . ورواها أبو تمام فى الحماسة ١٥٥ — ١٥٦ بشرح المرزوق منسوبة إلى زُفَر ابن الحارث الكلابى .

(٣) فى النسختين : « وعبيد الله بن مروان » وجعلها الشنقيطى فى نسخته « وعبد الله ابن عامر » ، مطابقا ما فى الأغانى ٤ : ١٣٨ .

(٤) الأغانى : « فانى لحراب الرجال » .

فالتفتَ معاويةُ إلى مروانَ فقال : ما ترى ؟ قال : أرى أن لا تردّ عليه شيئاً ! فقال : ما أهونَ عليك أن يَقطع عليَّ عِرضي ثم تَرويه العرب ! أما والله إن كنتَ لممّن يرويه ! أردُد عليه كلَّ شيء أخذتَه . . ثم أقحمَتْه سَنَةٌ ، فدخل على ابن الزُّبير فى المسجد الحرام يَستَجْدِيه — ومدَحه بأبيات — فأعطاه من بيت المال قلائصَ سبْعاً ، وفرساً رَجيلا : وأوقر له الرِّكابَ بُرًّا وتمراً وثياباً .

وفى تاريخ الإسلام للذهبيّ : أنّ النابغة قال هذه الأبيات (١) :

المرء يهوَى أن يَعيـــش ، وطُول عُمرٍ قد يضُرُّه
وتَتابُعُ الأيّامِ حـــتّى ما يرى شيئاً يسُرُّه
تَفنى بشاشتُه ويَبـــقى بعد حُلوِ العيش مُرُّه

ثم دخل بيته فلم يخرج منه حتى مات .

وفى الاستيعاب : كان النابغة يذكُر فى الجاهليّة دينَ إبراهيم والحنيفيّة ، ويصوم ، ويستغفِر — فيما ذكروا — وقال فى الجاهلية كلمته التى أوّلها :

الحمد لله لا شريكَ لهُ من لم يقلْها فنفسَه ظلَما(٢)

٥١٥ وفيها ضُروبٌ من دلائل التوحيد ، والإقرارِ بالبعث والجزاء والجنّة والنار ، وصِفَةِ بعضِ ذلك : على نحو شعر أُميّة بن أبى الصَلْت . وقد قيل إن هذا الشعر لأمية بن أبى الصلت ، ولكنّه قد صحّحه يونس بن حبيب ، وحمّادُ

(١) وكذا فى حماسة البحترى ١٣٦ ومجموعة المعانى ١٢٥ وأمالى المرتضى ١ : ٢٦٦ . ونسب إلى النابغة الذبيانى فى الشعراء ١١١ ومقدمة جمهرة القرشى ٢٨ .
(٢) انظر قصيدة البيت فى الشعراء ٢٥٣ والديوان ١٣٢ والخزانة ٤ : ٤ .

الراوية ، ومحمّدُ بن سلاّم ، وعليُّ بن سليمانَ الأخفشُ ، للنابغة الجعديّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد المائة[١] :

١٨٧ (عَوْذٌ وبُهْثَةُ حاشِدونَ ، عليهمُ حِلَقُ الحديدِ مُضاعَفاً يَتَلَهَّبُ)

على أنّه قد جاء فيه الحال من المضاف إليه : كالبيت الذى قبله . أعنى قوله مضاعفاً حال من الحديد .

قال أبو علىّ فى المسائل الشيرازيّات : قد جاء الحال من المضاف إليه فى نحوِ ما أنشدَه أبو زيد .

عَوْذٌ وبُهْثَةُ حاشِدون ، عليهمُ حَلَقُ الحديدِ مُضاعَفاً يتَلهبُ

انتهى كلامه . قال ابن الشجرىّ ، فى المجلس السادس والسبعين ، فى أماليه : الوجه فى هذا البيت فيما أراه ، أنّ مضاعفاً حالٌ من الحلَق لا من الحديد ، لأمرين : أحدهما أنّه إذا أمكن مجىء الحال من المضاف كان أولى من مجيئها من المضاف إليه ، ولا مانع فى البيت من كون مضاعَفاً حالاً من الحلَق ، لأنّنا نقول : حلَقٌ محكَمٌ ومُحكَمة . والآخر أنّ وصْفَ الحلَق بالمضاعف أشْبَه ، كما قال المتنبى :

أَقبلتَ تبسِمُ والجيادُ عوابسٌ يَخْبُبْنَ بالحلَق المضاعف والقَنا

ويجوز أن يُجعل مضاعفاً حالاً من المضمَر فى يتلهّب ، ويَتلهَّب فى موضع الحال من الحلَق ؛ فكأنه قال : عليهم حَلَقُ الحديدِ يتلهَّبُ مضاعَفا .

---

(١) انظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢/١٦٧ : ٣٢٧ والهمع ١ : ٢٤٠ ونوادر أبى زيد ١١٣ .

وقال فى المجلس الخامس والعشرين مثلَ هذا ، ثم قال : ويتوجّه ضعفُ ما قاله من جهةٍ أخرى : وذلك أنّه لا عامل له فى هذه الحال ، إذا كانت من الحديد ، إلاّ ما قدّره فى الكلام من معنى الفعل بالإضافة . وذلك قوله : ألا ترى أنّه لا تخلو الإضافة من أن تكون بمعنى اللام أو مِن . وأقول : إنّ مضاعَفاً فى الحقيقة إنّما هو حال من الذِكْرِ المستكنّ فى عليهم ، إن رفعتَ الحلق بالابتداء ؛ فإن رفعتَه بالظرف على قول الأخفش والكوفيّين فالحال منه ، لأنّ الظرف حينئذ يخلو من ذكر اھ .

و (عَوذ) بفتح المهملة وآخره ذال معجمة ، هو عَوذ بن غالب بن قُطَيعة — بالتصغير — ابن عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث بن غطَفان . و (بُهْثَة) بضمّ الموحّدة ، وهو بُهثَة بن عبد الله بن غطَفان . فبُهثة ابن عمّ بَغيض . وغطَفان هو ابن سعد بن قَيسِ عَيْلانَ بن مضر ، كذا فى جمهرة الأنساب لابن الكلبيّ .

و (حلَق الحديد) قال صاحب العباب : الحلْقة بالتسكين : الدِّرْع ، والجمع الحلَق بفتحتين على غير قياس ، وقال الأصمعى : حِلَق بالكسر مثل بَدْرة وبِدر ، وقَصْعة وقِصَع . وفى المصباح . الحلْقة : السلاح كلُّه . ثم أورَد الجمعَ مثلَ ما أورده صاحبُ العباب ، وقال : وحكى يونس عن أبى عمرو بن العلاء أنّ الحلقة بالفتح لغة فى السكون ؛ وعلى هذا فالجمع بحذف الهاء قياسٌ مثل قصَبة وقَصَب . وجمع ابنُ السرّاج بينهما وقال : فقالوا حلَق ثم خفّفوا الواحد حين ألحقوه الزيادةَ ، وغيّر المعنى . قال : وهذا لفظ سيبويه . وأمّا حلْقة الباب ، فقد قال صاحب العُباب والمصباح : هى بالسكون أيضاً ، تكون من حديد وغيره ؛ وحلْقةُ القوم كذلك ، وهم الذين يجتمعون مستديرين . وقال صاحب العباب : قال الفرّاء فى نوادره : الحلِقة بكسر اللام لغة بلحَارثِ بن كعب ، فى الحلْقة بالسكون والحلَقة بالفتح قال ابن السكّيت : سمعتُ أبا عمرو الشَّيبانى

٥١٦

يقول : ليس في كلام العرب حَلَقة بالتحريك ، إلاّ في قولهم : هؤلاء حَلَقَة ، للذين يحلِقون الشعر جمع حالق اهـ .

فقول الشاعر : حلق الحديد ، المراد من الحلَق الدُّروع ، سواء كسرت الحاء أو فتحت . وإضافتها إلى الحديد كقولهم : خاتمُ فضة ، وثوبُ خزٍّ . فالمضاعَف لا يكون حالاً إلاّ من ضمير الحلَق المستقرّ في الجارّ والمجرور الواقعَين خبراً ، أو من الحلَق على مذهب سيبويه : من تجويزه مجيء الحال من المبتدإ ، أو من ضمير يتلهَّب . ولا يصحُّ أن يكون حالاً من الحديد إذ لا معنى له . فتأمَّلْ . وأيضاً الدِّرعُ المضاعَفة هي المنسوجة حَلْقتين حلْقتين ، قيل : ويجوز أن يراد بالمضاعَفة درعٌ فوقَ أخرى . و (يتلهّب) : يشتعل ، استُعير للمعانِه . و (الحشْد) يكون لازماً ومتعدِّياً ، يقال حشد القومُ ، من باب قتل وضرب : إذا اجتمعوا . وحشدتُهم : أى جمعتهم .

وهذا البيتُ من أبياتٍ لزيدِ الفَوارسِ ، أوردها أبو محمَّد الأعرابيُّ في كتاب ضالّة الأديب . وهي :

(دُلِّهْتِ أنْ لم تسألى أىَّ امرئٍ بلِوَى النَّقيعة إذ رِجالُكِ غُيَّبُ
إذ جاء يومٌ ضَوءه كظَلامِهِ بادى الكواكبِ مُقمَطِرٌّ أشهَبُ
عَوذٌ وبُهثَةُ حاشدونَ عليهمُ حلَقُ الحديد مضاعَفاً يتلهَّبُ
وَلَّوا تَكبُّهم الرِّماحُ كأنّهمْ أثْلٌ جَأفْتَ أُصولَه أو أثأبُ
لَدُ غُدوةٍ حتّى أغاثَ شريدَهُمْ جوُّ العشارةِ فالعيونُ فزُنقبُ
فتركتُ زراًّ في الغبار كأنّه بشَقيقتَي قُدَميّةٍ متلبِّبُ)

قال أبو محمَّد الأعرابيّ : كان سبب هذه الأبيات ، أنّه أغار زرٌّ بن ثعلبة أحدُ بني عَوذ بن غالب بن قُطيعة بن عَبْس ، في بني عبس وعبدِ الله بنِ غطَفان ،

فأصابوا نَعَماً لبنى بَكر بن سعد بن ضبَّة ، فطردوها . فأتاهم الصَّريخ ، ورئيسُهم يومئذ زيدُ الفوارس ، حتّى أدركوهم بالنَّقيعة تحتَ الليـل ؛ فقتلوا زِرًّا ، والجنيد[1] بن تيجان[2] من بنى مخزوم ، وابن أزنم من بنى عبد الله بن غطفان . فقال زيد الفوارس هذه الأبياتَ فى ذلك ا هـ .

قوله : دُلِّهت بالبناء للمفعول وخطاب المؤنثة ، من التَّدْليه[3] وهو ذَهاب العقل من همٍّ وعِشق ونحوِه . دعاء عليها أنْ لم تسألْ عنه[4] أىُّ فارس كان هناك ! وأىّ امرئٍ خبر مبتدإ محذوف ، أى أنا ؛ ويجوز نصبه على أنّه خبر كان المحذوفةِ مع اسمها ، أى أىَّ امرئٍ كنت ، وبهـا يتعلَّق الظرفان . وإذ الثانية بدلٌ من إذ الأولى . والنَّقيعة ، بالنون : موضع بين بلاد بنى سَليط وضبّة . واللوى : ما التوى من الرمل . ويوم مُقمطِرّ : مشتدّ ، اقمطرّ أى اشتدّ . وأشهب : من الشُّهْبة ، وهو بياضٌ يصدَعه سَواد . وقوله : وَلَّوا تـكبُّهم الخ ، ولّوا : أدبروا ، وجملة تـكبُّهم حالٌ من الواو ، كبَّه : قلبه وصرَعه . والرماح : جمع رمح وجأفت الشجرةَ ، بعد الجيم همزة : أى قلعتها . والأثأب بالمثلثة كجعفر : شجر ، الواحدة أثْأبة . والشريد : الطريد المهزوم ، وهو مفعول . وجوّ العشارة فاعله ، وهو موضع ، وكذلك العيون . وزنقب بالزاى والنون والقاف . وقوله : بشقيقتَي قُدَميّة ، هو مثنّي شقيقة ؛ والشقيقة كلُّ ما انشقّ نِصفين وكلٌّ منهما شَقيقة ؛ أى كأنّه ملفوفٌ بشُقَّتي ثوب قُدَميّة . وقُدَم بضم القاف وفتح الدال : حىٌّ باليمن ، وموضع تُصنَع فيه ثيابٌ حُمْر . ومتلبِّب ،

٥١٧

(١) ط : « والجند » .
(٢) كذا . والمعروف « تيحان » بالحاء المهملة .
(٣) فى النسختين : « من التدلهة » وصححها الشنقيطي بما أثبت .
(٤) ط : « تسأله عنه » صوابه من سه .

من تلبَّبَ بثوبه : إذا التفَّ به وتشمَّر . ولبّبته تلبيباً إذا جمعتَ ثيابَه عند نحره فى الخصومة ثم جَرَرْتَه .

زيد الفوارس

وزيدُ الفوارسِ هو ابن حُصينٍ بن ضِرارٍ الضبِّيّ وهو جاهلىّ . وذكره الآمدىّ فى المؤتلِف والمختلف ، ولم يرفَعْ نسبَه ، ولا ذكر له شيئاً من شِعره . وهذه نسبته من جمهرة ابن الكلبيّ : زيد الفوارس بن حُصين بن ضِرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بَجَالةَ بن ذُهْل بن مالك بن بكر بن سعد ابن ضبّة بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مُضَر بن نزار بن مَعدّ بن عدنان . وضرار بن عمرو وكان يقال له : « الرَّدِيم » لأنّه كان إذا وقف فى الحرب ردَم ناحيتَه — أى سدّها — وطالت رياسته ، وشهد يومَ القُرْنَتَين ، ومعه ثمانية عشر من ولده يقاتلون معه ، وزيدُ الفوارسِ كان فارسَهم . ولهذا قيل له : زَيد الفوارس .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد المائة[1] :

١٨٨ (وإنَّا سَوْفَ تُدْرِكُنا المنايا مُقدَّرةً لنا ، ومقدَّرِينا)

على أنّه يجوزُ عطفُ أحدِ حالَى الفاعل والمفعول على الآخر ، كما فى هذا البيت : فإنَّ (مقدّرة) حالٌ من الفاعل ، وهو (المنايا) ، و (مقدَّرينا) حالٌ من المفعول ؛ أعنى ضميرَ المتكلم مع الغير . أىْ تدركنا المنايا فى حال كوننا مقدَّرين لأوقاتها وكونها مقدَّرة لنا .

و (المنايا) : جمع مَنيّة وهى الموت ، وسمّى منيّة لأنّه مقدّر ، من مَنَي له أى قدّر ، قال أبو قِلابَة الهُذَلىّ :

(١) لم أجد من استشهد به غيره .

فلا تقولنْ لشيءٍ سوفَ أفعلُه حتّى تلاقيَ ما يَمْنِي لك الماني[1]

أي ما يقدّر لك القادر .

وهذا البيت من معلّقة عمرو بن كلثوم التغلبيّ . وهذا مطلعها :

(ألا هُبِّي بصَحنك فاصبَحِينا ولا تُبقِي خُمورَ الأندَرِينا
مشَعْشَعةً كأنَّ الحُصَّ فيها إذا ما الماء خالطَها سخينا
تجورُ بذي اللُّبانةِ عن هَواه ، إذا ما ذاقَها ، حتَّي يَلينا ؟
تَرى اللَّحِزَ الشَّحيحَ ، إذا أُمِرَّتْ عليهِ ، لمالِه فيها مُهينا ؟
صَدَدتِ الكأسَ عنّا أُمَّ عمرٍو ، وكان الكأسُ مَجْراها اليمينا ؟
وما شرُّ الثلاثة ، أُمَّ عمرٍو ، بِصاحبكِ الذي لا تَصبَحِينا !
وإنّا سوفَ تدركنا المنايا . . . . البيت)

ألا : حرفٌ يفتتَح به الكلام ، ومعناه التنبيه . وهُبِّي : معناه قومي من نومك ؛ يقال : هبَّ من نومه يهُبُّ هبًّا ، إذا انتبَه وقام من موضعه . والصَّحْن : القدَح الواسع الضخم . وقوله : فاصبحينا ، أي اسقينا الصَّبوح وهو شُرب الغَداة يقال : صَبَحهُ بالتخفيف صَبْحاً بالفتح . والأندَرِين : قرية بالشام كثيرةُ الخمر ؛ وقيل : هو أندَر ، ثمَّ جمعه بما حَوالَيه ؛ وقيل : هو أندَرون . وفيه لغتان ، منهم من يُعربه إعرابَ جمع المذكّر السالم ، ومنهم من يُلزمه الياء ويجعل الإعراب على النون ، وقال الزجّاج : يجوز مع هذا لزومُ الواو أيضاً .

٥١٨

وقوله : مشعشعة كأنّ الخ ، المشعشَعَة : الرقيقة من العَصْر أو من المِزاج ،

(١) وكذا في اللسان (منى) . وروى في شرح أشعار الهذليين ٧١٣ وديوان الهذليين ٣ : ٣٩ : « ما يمنى لك الماني » ، ووردت نسبته أيضا إلى سويد بن عامر المصطلق في اللسان .

يقال: شَعْشِعْ كأسَك: أى صُبَّ فيها ماء ؛ منصوبٌ على أنّه مفعول اصبَحينا، أى اسقينا ممزوجةً ؛ وقيل : حالٌ من خمور ؛ وقيل بدل منها . والحُصُّ ، بضمّ المهملة : الوَرْس وهو نبت أصفر يكون باليمن ، وقيل هو الزعفران .

وقوله : سخينا قال أبو عمرو الشَيبانيّ : كانوا يسخِّنون لها الماء فى الشتاء ثمَّ يمزُجُونها به فهو على هذا حالٌ من الماء . وقيل : هو صفةُ موصوفٍ محذوف ، أى فاصبحينا شَراباً سخيناً . وفيه نظر . وقيل : سَخينا فِعْلٌ : أى جُدْنا ، يقال سَخِيَ يَسخَى ، من باب تعب ، والفاعل سخٍ ؛ وفيه لغتان أُخريان : إحداهما سخا يسْخو فهو ساخٍ من باب علا ، والثانية سخُوَ يسخُو مثل قرب يقرب سَخاوة فهو سخيّ . ويُروى : (شَحِيناً) بالشين المعجمة ، أى إذا خالطها الماء مملوءة به ، والشَّحْن : المَلء ، والفعل من باب نفع ، والشَحين بمعنى المشحون .

وقوله : تجور بذى اللُّبانة الخ ، من الَجور وهو العدول . واللُّبانة : الحاجة يَمدحُ الخمرَ ويقول: تَعدِل بصاحب الحاجة عن حاجته وهواه إذا ذاقها حتّى يَلين . أى هى تُنسى الهمومَ والحوائجَ أصحابَها ، فإذا شربوها لانُوا ونَسُوا أحزانَهم وحوائجهم .

وقوله : ترى اللَّحِز الخ ، اللَّحِز بفتح اللام وكسر المهملة وآخره زاى معجمة : الضيِّق البخيل ، وقيل : هو السيِّئ الخلق اللئيمُ . وقوله : إذا أُمِرَّت عليه ، أى أُديرت الكأسُ عليه . والمعنى : أنّ الخمر إذا كثر دَورانُها عليه أهانَ مالَه وجاد بِهِ .

وقوله : صددتِ الكأسَ عنّا الخ ، أى صرفتِ الكأسَ عنّا إلى غيرنا . وهذا البيت من شواهد سيبويه[1] على أنّ قوله اليمينا نصب على الظرف .

---

(١) فى كتابه ١ : ١١٣ ، ٢٠١ .

وفيه أربعة أوجه : أحدُها أن يكون مَجراها بدلاً من الكأس وهو مصدر لا مكان واليمينَ ظرفُ خبرِ كانَ . الثانى : أنّ اليمين خبر كانَ ، لا ظرف ، لكنْ على حذف مضاف أى مَجرى اليمين . الثالث : مَجراها مبتدأ ، واليمينَ ظرفُ خبره ، والجملة خبر كانَ : الرابع : أن يُجعل المجرى مكاناً بدلاً من الكأس ، واليمين خبر كان ، لا ظرف . وأمَّ عمرو ، منادى . قال ابن خلف : هى أمُّ الشاعر ، وكان هُوَ جالساً مع أبيه وأبى أمِّه ، وكانت تسقى أباها وزوجَها وتُعرِض عنه استصغاراً له ، فقال لها : إذا سقيتِ إنساناً كأساً اجعلى الكأسَ بعدَه للذى على يمينه حتّى ينقضى الدَّور ، ولا ينبغى أن تَحقِرينى ، فلست بشرِّ الثلاثة ! يعنى نفسَه وأباه وأباها ا هـ . وهذا بعيد .

قال شُرّاح المعلّقات : وبعضهم يَروى هذين البيتين لعَمْرو ابن أخت جَذيمة الأبرش[(١)] : وذلك أنّه لمّا وجده مالكٌ وعقيل[(٢)] فى البرِّيّة ، وكانا يشربان ، وأمّ عمرو هذه تصدُّ عنه الكأس ، فلمّا قال هذا الشعر سَقَياه وحملاه إلى خاله جَذيمة . وله خبر طويل مشهور .

وقوله : (وإنّا سوف تدركنا) الخ ، معنى هذا البيت فى اتصاله بما قبلَه ، أنه لمّا قال لها هبِّي بصحنك ، حثّها على ذلك . والمعنى : فاصبَحينا من قبل حضور الأجَل ، فإنّ الموت مقدَّر لنا ونحن مقدَّرون له .

وهذه القصيدة أنشدَها عمرو بن كلثوم ، فى حَضرة الملكِ عمرو بن هند — وهو ابنُ المنذر — وهندٍ أمّه ، ارتجالاً ، يذكر فيها أيّام بنى تغلِبَ

(١) انظر رسالة الغفران ١٨١ — ١٨٢ والعمدة ٢ : ٢١٧ .

(٢) هما نديما جذيمة اللذان ضُرب المثل بهما فى امتداد الصحبة وطول المنادمة . ولما وجدا عمرًا بالبرية وكان قد استهوته الجن فيما زعموا . رداه إلى جذيمة ، فأثابهما فى ذلك بصحبته ، فنزماه أربعين عاما حتى ضرب الدهر بينهما . انظر ثمار القلوب ١٤٣

٥١٩ ويفتخر بهم . وأنشدَ أيضاً عند الملك يومئذٍ ، الحارثُ بنُ حِلِّزة قصيدتَه التى أولُها :

* آذنَتْنا ببينها أسْماء *

وتقدّمت حكايتها(١) . قال معاوية بنُ أبى سفيان : قصيدةُ عمرو بن كلثوم ، وقصيدةُ الحارث بن حِلِّزة ، من مفاخر العرب ، كانتا معلَّقتين بالكعبة دهراً .

قال ابن قُتيبة فى كتاب الشعراء(٢) : قصيدةُ عمرو بن كُلثُومٍ من جيِّد شِعر العرَب ، وإحدى السبع . ولشغف تغلِبَ بها قال بعضُ الشعراء :

أَلْهى بنى تغلِبٍ عن كلِّ مَكْرُمةٍ قصيدةٌ قالها عَمْرُو بن كُلثُومِ(٣)
يُفاخِرون بها مذْ كان أوَّلُهمْ يا لَلرجال لِشعر غير مَسْئوم(٤)

وكان سبب هذه القصيدة ما رواه أبو عمرو الشيبانىّ ، قال : كانت بنو تغلب بن وائل من أشدِّ الناس فى الجاهليّة . وقالوا : لو أبطأ الإسلام قليلاً لأَكلتْ بنو تغلبَ الناسَ . ويقال: جاء ناسٌ من بنى تغلِب إلى بكر بن وائل يستسقونهم ، فطردتهم بكرٌ ، للحقْد الذى كان بينهم ، فرجَعوا ، فمات منهم سبعون رجلاً عطشاً . ثم إنّ بنى تغلبَ اجتمعوا لحرب بكر بن وائل ، واستعدَّت لهم بكر ، حتّى إذا التقوا كَرهوا الحربَ ، وخافوا أن تعود الحرب بينهم

(١) انظر الخزانة ١ : ٣٢٥ وما بعدها
(٢) الشعر والشعراء ١٨٨ .
(٣) ـه فقط : « تـكرمة » .
(٤) الشعر للموج التغلبى ، وهو قيس بن زمان بن سلمة بن قيس بن النعمان ، وهو ابن أخت القطامى . المؤتلف ١٨٧ ومعجم المرزبانى ٤٧٨ . وقصيدته بكاملها فى ديوان عمرو بن كلثوم ص ٢١ ، وفى الأغانى ٩ : ١٧٦ أن الشعر لبعض شعراء بكر بن وائل وانظر البيان ٤ : ٤١ .

كما كانت ، فدعا بعضُهم بعضاً إلى الصلح ، فتحاكموا إلى الملك عمرو بن هند ، فقال عمرو : ما كنتُ لِأحكمَ بينكما حتّي تأتونى بسبعين رجُلاً من أشراف بكر بن وائل ، فأجعلَهم فى وثاقٍ عندى ، فإن كان الحق لبنى تغلِبَ دفعتهم إليهم ، وإن لم يكن لهم حقٌ خلّيتُ سبيلَهم . ففعلوا ، وتواعدوا ليومٍ بعينه يجتمعون فيه . فجاءت تغلبُ فى ذلك اليوم يقودها عمرو بن كلثوم ، حتى جلس إلى الملك . وقال الحارث بن حِلِّزة لقومه ، وهو رئيس بكر بن وائل : إنّى قد قلت قصيدةً فمن قام بها ظفر بحُجّته وفَلَج على خصمه ! فروّاها ناساً منهم ، فلمّا قاموا بين يديه لم يرضَهم ، فحين علم أنّه لا يقوم بها أحدٌ مقامَه قال لهم : والله إنّى لأكره أنْ آتىَ الملكَ فيكلّمَنى من وراء سبعة ستُور ، وينضحَ أثَرى بالماء إذا انصرفتُ عنه — وذلك لِبرص كان به — غير أنّى لا أرى أحداً يقوم بها مَقامى ، وأنا محتمل ذلك لكم . فانطلَق حتّى أتى الملك ؛ فلمّا نظر إليه عمرو بن كُلثوم قال للملك : أهذا يُناطِقنى وهو لا يُطيق صدرَ راحلته ؟! فأجابه الملك حتَّي أفحمه . وأنشد الحارثُ قصيدتَه :

* آذنتنا ببينها أسماء *

وهو من وراء سبعة سُتور — وهند تسمع — فلمّا سمعتها قالت : تاللهِ ما رأيتُ كاليومِ قطُّ رجلاً يقول مثلَ هذا القولِ يُكلَّم من وراء سَبعة ستور ! فقال الملك : ارفعوا ستراً ! ودنا . فما زالت تقول ويُرفَع سِترٌ فستر ، حتّي صار مع الملك على مجلِسه ، ثمّ أطعمه فى جَفنته ، وأمر أن لا يُنضَح أثَره بالماء ، وجزَّ نواصىَ السَّبعينَ الذين كانوا فى يديه من بكر ، ودفعها إلى الحارث ، وأمره أن لا ينشد قصيدته إلاّ متوضّياً . فلم تزل تلك النَّواصى فى بنى يشكر

بعد الحارث وهو [مِن[١]] ثعلبة بن غَنْم من بنى مالك بن ثعلبة . وأنشد قصيدتَه عمرُو بن كلثوم . هكذا نقل الخطيب التبريزىّ عن أبى عمرو الشيبانىّ . وهذا مخالف لما نقلناه عنه عند ذكر معلَّقة الحارث بن حِلِّزة[٢] والله أعلم .

عمرو ابن كلثوم

وعمرو صاحب هذه المعلَّقة هو عمرو بن كُلثومِ بن مالك بن عتّاب بن سعد ابن زُهير بن جُشَم بنِ بكر بن حُبَيِّب بن عمرو بن غَنْم بن تغلِب بن وائل .

قال أبو عبيد البكرىُّ ، فى شرح نوادر القالىّ[٣] ، عمرو بن كلثوم شاعرٌ فارس جاهلىّ ، وهو أحد فُتّاك العرَب ، وهو الذى فتك بعمرو بن هند . وكنيته أبو الأسود . وأخوه مُرَّة هو الذى قتل المنذرَ بنَ النُعمان . وأمُّه أسماء بنتُ مهلهِل بن ربيعة . ولما تزوّج مهلهِلٌ هنداً بنت عتيبة[٤] ، ولدت له جارية ، فقال لأمّها : اقتُليها وغيِّبيها ! فلمّا نام هتَف به هاتفٌ يقول :

٥٢٠

كم مِنْ فتى مؤمَّلْ وسيِّدٍ شمردَلْ

وعددٍ لا يُجهَلْ فى بطنِ بنت مهلهِلْ

فاستيقظ ، فقال : أين بنتى ؟ فقالت : قتلتُها . فقال : لا ، وإلهِ ربيعة ! وكان أوّلَ من حلف بها . ثم ربّاها وسمّاها أسماء ، وقيل ليلى . وتزوّجها كلثومُ بن مالك . فلمّا حملت بعمرٍو أتاها آتٍ فى المنام فقال :

يا لَكِ ، لَيْلَى ، مِن وَلَدْ يُقدِم إقدامَ الأسدْ

---

(١) ط : « وهو ثعلبة » ، والتكملة من ش وشرح التبريزى للقصائد العشر . على أن الذى من ثعلبة بن غنم ليس الحارث ، بل هو النعمان بن هرم زعيم بكر فى ذلك اليوم . انظر مقدمة التبريزى على كل من معلقة عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة .

(٢) الخزانة ١ : ص ٣٢٥

(٣) سمط اللآلىء ٦٣٥ .

(٤) فى السمط : « هند بنت نعج بن عتبة » .

مِن جُشَمٍ فيه العَدَدْ أقول قولاً لا فنَد[١]

فلما ولدت عَمراً أتاها ذلك الآتى فقال :

أنا زعيمٌ لكِ ، أمَّ عمرِو بماجدِ الجَدِّ كَريمِ النَّجْرْ[٢]

أشجعَ من ذى لِبَدٍ هِزَبْرِ وَقّاصِ أقرانٍ شديدِ الأسْرِ

يَسودُهم فى خمسةٍ وعشرِ

وكان كما قال ، سادهم وهو ابنُ خمسَ عشرةَ سَنَة . ومات وهو ابن مائة وخمسين سنة اهـ .

وقال ابن قُتيبة فى كتاب الشعراء[٣] : عمرو بن كلثوم جاهلىٌّ قديم ، وهو قاتلُ عمرو بن هند الملك . . وكان سبب ذلك أنّ عمرو بن هند قال ذاتَ يومٍ : هل تعلَمون أحداً من العرب تَأنف أمُّه من خدمة أمِّى ؟ قالوا : لا نَعلمها ، إلاّ ليلى أمَّ عمرو بن كلثوم ! قال : ولِمَ ذلك ؟ قالوا : لأنّ أباها مهلهلُ بن ربيعة ، وعمَّها كليبُ وائل أعزُّ العرب ، وبعلَها كلثومُ بن مالك فارسُ العرب ، وابنَها عمرو بن كلثوم سيِّد من هو منه ! فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيره[٤] ويسأله أن يُزِير أمَّه أمَّه . فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة فى جماعةٍ من بنى تغلب ، وأقبلت ليلى فى ظُعُنٍ من بنى تغلِب ، وأمر[٥] عمرُو بن هند برِواقه فضُرب ما بين الحِيرة والفرات ، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته ، فحضروا . ودخل عمرو بن كلثوم رواقه ، ودخلت ليلى بنت مهلهِل

(١) الفند : الكذب . فى النسختين : « لانفد » وصححها الشنقيطى فى نسخته ، مطابقا مافى السمط .

(٢) النجر : الأصل والأرومة . ط : « النحر » صوابه فى ش والسمط .

(٣) الشعراء ١٨٥ — ١٨٨ .

(٤) ط : « ليستزيره » وأثبت مافى ش والشعراء .

(٥) ط : « وأم » صوابه فى ش والشعراء .

على هندٍ قُبَّتَها — وهند أمّ عمرو بن هند عمّة امرئ القيس الشاعر ، وليلى بنتُ مهلهل هى بنت أخى فاطمة بنت ربيعة أمّ امرئ القيس — فدعا عمرو ابن هند بمائدةٍ فنصبها ثمّ دعا بالطُّرَف . فقالت هند : يا لَيلى ، ناوِلينى ذلك الطبَق ! فقالت : لتقمْ صاحبةُ الحاجة إلى حاجتها ! فأعادت عليها . فلمّا ألحّت صاحت ليلى : واذُلّاه ! يا لَتغلِب ! فسمعها ابنُها عمرو بن كلثوم ، فثار الدمُ فى وجهه ، فقام إلى سيفٍ لعمرو بن هند معلّقٍ بالرِواق — وليس هناك سيفٌ غيره — فضرب به رأسَ عمرو بن هند حتّى قتله ، ونادى فى بنى تغلبَ فانتهبوا جميعَ ما فى الرِواق ، واستاقوا نجائبَه ، وساروا نحو الجزيرة . . . وابنه عتّاب بن عمرو بن كلثوم قاتِلُ بِشر بن عمرو بن عُدس . وأخوه مُرّة ابن كلثوم قاتِلُ المنذرِ بن النعمان بن المنذر . ولذلك قال الأخطَل :

أبَني كُليبٍ ، إنّ عَمَّيَّ اللذا   قتَلا الملوكَ وفكّكا الأغلالا

والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد المائة [١] :

١٨٩ (كأنَّه خارجاً مِنْ جنبِ صَفْحَتِه   سَفُّودُ شَرْبٍ نَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَأَدِ)

على أنّ (خارجاً) حالٌ من الفاعل المعنويّ وهو الهاء . لأنّ المعنى يشبه خارجاً . وقد بيّنه الشارح المحقّق .

وعامل الحال ما فى كأنّ من معنى الفعل ؛ قال أبو علىّ الفارسىّ فى الإيضاح الشعرىّ ـ وقد أورَد هذا البيتَ فى باب الحروف التى تتضمّن معنى الفعل ـ :

(١) انظر الخصائص ٢ : ٢٧٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٥٦ / ٢ : ٢٧٧ وديوان النابغة ٢٠ .

العامل فى خارجاً ما فى كأنّ من معنى الفعل . فإن قلتَ : لِمَ لا يكون العاملُ ما فى الكلام من معنى التشبيه ، دونَ ما ذكرتَ ممّا فى كأنّ من معنى الفعل ؟ فالقول أن معنى التشبيه لا يمتنع انتصابُ الحال عنه ، نحو : زيد كعمرو مقبلاً ، إلاّ أنّ إعمالَ ذلك فى البيت لا يستقيم ، لتقدُّم الحال ، وهى لا تتقدَّم على ما يعمل فيها من المعانى .

والهاء فى (كأنّه) عائدة على المِدرَى المرادِ به قَرْنُ الثور . والضمير فى (صفحته) راجعٌ إلى ضُمْران وهو اسم كلب . و (السَّفُّود) خبر كأنّ ، بفتح السين وتشديد الفاء المضمومة ، وهى الحديدة التى يُشوى بها الكباب . و(الشَّرْب) بالفتح : جمع شارب . ونَسُوه أى تركوه حتّى نضِج ما فيه . شبّه قرنَ الثور النافذَ فى الكلب بسَفُّودٍ فيه شِواء . والمفتأد ، بفتح الهمزة قبل الدال : المشْتَوى[1] والمَطْبَخ ، وهو محلُّ الفَأْد بسكون الهمزة ، وهو الطبخ والنضج ، سواء كان فى قِدر أو شواء[2] . والمفتئِد ، بكسر الهمزة : اسمُ فاعل ، وهو الذى يعمل المَلّة ؟ والفئيد ، على فَعيل : كلُّ نار يُشوى عليها .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للنابغة الذُّبيانىّ ، يمدح بها النُّعمانَ بنَ المنذر ، ويعتذر إليه فيها ممّا بلغه عنه . وقد بيّنّا سببَ اعتذاره فى ترجمته فى الشاهد الرابع بعد المائة[3] .

وهذه القصيدة أضافها أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوىّ[4]

---

(١) ط : « المستوى » صوابه فى ش وشرح التبريزى للقصائد .

(٢) ط : « قدراً أو إشواء » . والقدر بالفتح مصدر قدر بمعنى طبخ . والإشواء : مصدر أشوى بمعنى شوى كما فى المصباح

(٣) الخزانة ٢ : ص ١٣٠ وما بعدها

(٤) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادى النحوى ، المعروف بابن النحاس ، المتوفى سنة ٣٣٨ . وشرحه للمعلقات السبع منه نسخ بدار الكتب المصرية .

إلى المعلّقات السبع ، لجودتها . وقد أورد الشارحُ المحقّق فى شرحه عدّةَ أبيات منها . وقبل هذا البيت :

أبيات الشاهد

(كأنّ رَحْلى ، وقد زال النهارُ بنا ... بذى الجُلَيل ، على مُستأنس وَحَدِ[1]
من وحشِ وَجْرَةَ مَوشِىٍّ أكارِعُه ... طاوِى المَصيرِ كسَيف الصَّيْقَل الفَرَدِ
سَرَتْ عليه من الجوزاءِ ساريةٌ ... تُزجى الشَمالُ عليه جامدَ البَرَدِ
فارتاعَ مِن صَوت كَلّابٍ فباتَ له ... طوعُ الشوامتِ مِن خَوفٍ ومن صَرَدِ
فبثّهنّ عليه واستمرَّ به ... صُمْعُ الكعوب بريئاتٍ من الحَرَدِ
فهابَ ضُمْرانُ منه حيث يُوزِعُه ... طَعْنَ المُعارِكِ عند المُحْجَرِ النَجِدِ
شَكَّ الفريصةَ بالمِدرَى فأنفَذَها ... شكَّ المبيطِر إذْ يَشفِى من العَضَدِ
كأنّه ، خارجاً من جنبِ صَفحتِه ... سَفُّودُ شَرْبٍ نَسُوه عند مُفْتَأَدِ
فظَلَّ يَعجُمُ أعْلى الرَّوقِ منقبضاً ... فى حالكِ اللون صَدْقٍ غير ذى أَوَدِ

٥٢٢

لمّا رأى واشقٌ إقعاصَ صاحبه ... ولا سبيلَ إلى عَقْلٍ ولا قَوَدِ
قالت له النفسُ : إنّى لا أرى طَمَعاً ... وإنّ مَولاكَ لم يَسْلَمْ ولم يَصِدِ
فتلكَ تُبلِغُنى النُعمانَ ، إنّ له ... فضلاً علَى الناسِ فى الأدنَى وفى البَعَدِ

الرحل : الناقة . وزال النهار : أى انتصف ، وهو من الزَّوال . وبنا : الباء بمعنى على . والجُليل ، بضمّ الجيم[2] : الثُمام ، وهو موضع ، أى بموضعٍ فيه هذا النبت . وهذا النَّبتُ لا تأكله الدوابّ . والمستأنِس : الناظر بعينيه .

---

(١) الجليل ضبطها البغدادى بالضم ، كما أثبت . والمعروف فتح الجيم ، كما فى اللسان . قال : « واد لبنى تميم ينبت الجليل وهو الثمام » . وفى معجم البلدان حيث ضبطه بالفتح أيضا : وذو الجليل : واد قرب مكة » . وأنشد عجز البيت .

(٢) (انظر التعليق السابق ، ولم أجد من ضبطه بالضم ، فلعلها محرفة عن الجليل « بفتح الجيم » .

ورُوى : (مستوجِس) وهو الذى قد أوجَس فى نفسه الفزع ، فهو ينظر . والوَحَد ، بفتحتين : الوحيد المنفرد ، وهو صاحبها : وعلى بمعنى مع . وجملة وقد زال النهار الخ ، حال . وهذه الأمور مما يوجب الإسراعَ ؛ فإنّ المسافر فى فَلَاةٍ يجدّ فى السير بعد الزوال ليصل إلى منزلٍ يجد فيه رفيقاً وعَلَفاً لدابّته .

وقوله : من وحش ، شبَّه ناقته بثور وحشيّ موصوفٍ بهذه الصفات الآتية . وخصّ وحشَ وَجْرة لأنّها فلاةٌ بين مَرَّان وذات عِرْق ، ستُون ميلاً ؛ والوحش يكثر فيها ، ويقال إنّها قليلة الشرب فيها[1] . والمَوْشِيّ ، بفتح الميم : اسمُ مفعول من وشَيت الثوب أشيه وَشْياً وشيةَ : أى لوّنته ألواناً مختلفة . وأراد به الثورَ الوحشيّ ، فإنّه أبيضُ ، وفى أكارعه أى قوائمه نُقَط سُود ، وفى وجهه سُفْعة . ومَوشِيٍّ بالجرّ صفة وحش، وأكارعُه فاعله . وطاوى المَصير أى ضامره ، والمصير المِعَى ، وجمعه مُصْران ، وجمع مُصران مَصارين . وقوله : كسيف الصَّيقَل ، أى يلمع . والفَرد ، بكسر الراء وفتحها وسكونها : الثور المنفرد عن أُنثاه ، وكذلك الفارد والفريد .

وقوله : سَرَتْ عليه الخ ، السارية : السحابة التى تأتى ليلاً . ومعنى سرتْ عليه الخ ، أى مُطِر بنوءِ الجوزاء . وتُزجى ، مصدرُه الإزجاء بالزاى والجيم ، وهو السَوق . والشَمال فاعله ، وهى ريحٌ معروفة . وجامدَ البرد : مفعولُه : أى ما صلُب من البَرَد .

وقوله : فارتاعَ من صَوت الخ ، أى فزع الثورُ وخاف . والكَلَّاب ، بالفتح : الصَّيَّاد صاحب الكِلاب . وله : أى للكلّاب . والفاء فى قوله : فبات ، عاطفة . وطَوعُ مرفوع ببِبات. والمعنى عند الأصمعىّ : فبات للكلَّاب

---

(١) انظر شرح التبريزى . وفى شرح الوزير أبى بكر زيادة توضيح .

ما أطاعَ شوامتَه ، من الخوف والصَّرَد . وعند أبى عُبيدة : فبات له ما يسرُّ الشوامت . ورُوى (طَوعَ) بالنصب ، فمرفوع بات ضميرُ الكَلَّاب ، وله أى لأجل الثور ، والشوامت : القوائم[1] ، جمع شامتة . أى فبات قائماً بين خوف وصَرَدَ — وهو مصدر صَرِد من باب فرح : إذا وجد البَرْد .

وقوله : فبثّهنّ عليه الخ ، بثّ : فرّق ، وفاعله ضمير الكَلَّاب ، وضمير المؤنّث المجموعُ للكِلاَب المفهومةِ من الكَلَّاب ، وضمير عليه للثور ، وكذلك ضمير به . وأراد بصُمْعِ الكعوبِ قوائمَ الكلاب ، والصُّمْع : الضوامر الخفِيَّة ، الواحدة صَمْعاء . والكُعوب : جمع كَعْب ، وهو المفصِل من العِظَام . قال أبو الفرج الأصبهانىّ فى الأغانى : يعنى بصُمع الكعوب أنّ قوائمه لازقة محدَّدة الأطراف مُلْسٌ ليست بهزيلات[2] . وأصل الصَّمَع دقَّة الشىء ولطافته[3] . وبريئاتٍ حالٌ من الكعوب . والحَرَد ، بفتح المهملتين : أراد به العَيْب ، وأصله استرخاء عَصَبٍ فى يد البعير من شِدَّة العِقال ، وربما كان خِلقةً ، وإذا كان به نَفَضَ يديه وضرب بهما الأرضَ ضرباً شديداً .

٥٢٣ وقوله : فهاب ضُمرانَ ، هو بضمّ الضاد المعجمة : اسم كلب . منه أى من الثور . وروى الأصمعىّ وأبو عبيدة (فكانَ ضُمْرانُ منه) . ويُوزِعه : يُغريه . فى الصحاح : أوزعته بالشىء فأوزِعَ به ، فهو موزَع به ، أى مُغرًى به . أى كان الكلب من الثور حيثُ أمره الكَلَّاب أن يكون . وطعن

---

(١) الوزير أبو بكر : من نصب أراد بالشوامت القوائم . ومثله للتبريزى . وليس ما يمنع أن يراد بالشوامت من يشمت من الأعداء .

(٢) جعلها الشنقيطى « برهيلات » .

(٣) إلى هنا عبارة أبى الفرج فى الأغانى ٩ : ١٦٧ وفيها بدل « هزيلات » « وهلات » ، وبدل « دقة » « رقة » وليس فيها كلمة « ملس » وانظر شرح الوزير.

المُعارِكَ ، بالنصب ، أراد : يطعُن طعناً مثلَ طعن المُعارك . ورُوى (ضَرْبَ المُعَارِك) وهو مثله . والمعارِك : اسم فاعل بمعنى المقاتل . والمُجْحَر : اسمُ مفعول من أجحرته ، بتقديم الجيم على المهملة ، أى ألجأته إلى أن دخل جُحْره فانجحر . و (النَّجُد) يُرْوَى بفتح النون وضمِّ الجيم ، بمعنى الشجاع ، من النَّجدة وهي الشجاعة ، يقال نَجُد الرجل بالضمّ ، فهو وصف للمُعارِك . ورُوى (النَّجِد) بفتح النون وكسر الجيم ، وهو إمّا بمعنى الشجاع ، فإنّ الوصف من النجْدة جاء بضمِّ الجيم وكسرها ، وإمّا وصفٌ من نَجِد الرجلُ من باب فرح أى عرِق من عمل أو كَرْب وشدّة ، واسم العَرَق النَّجَد بفتحتين ، ومنه قوله فى هذه القصيدة : « بعد الأين والنَّجد » . وقد نُجِد يُنْجَد بالبناء للمفعول نَجَدًا بفتحتين ، أى كُرِب ، فهو منجود ونجيد أى مكروب . وعلى هذا فهو وصف المجحَر . ورُوى أيضاً (النَّجَد) بفتحتين ، فهو على حذف مضاف ، أى ذى النَجَد . وروى أبو عبيدة : (حيثُ يوزعه طَعْنُ) بالرفع ، وقال : رفَع ضُمران بكانَ وجعل الخبر فى منْه ، أى كانَ الـكلبُ من الثور كأنّه قطعة منه ، فى قُرْبِهِ . وارتفع الطعنُ بيوزِعُه . وقال : سمعتُ يونس ابنَ حبيب يجيب بهذا الجواب فى هذا البيت .

وقوله : شكّ الفَريصةَ الخ ، فاعل شكّ ضميرُ الثَور . والفَريصة : اللَّحمة بين الجَنْب والـكتِف ، التى لا تزال تُرعَد من الدابّة ، وهى مَقتَل . وأراد بالمِدْرَى قرنَ الثَور : أى شكّ الثورُ بقرنه فريصةَ الـكلْب . وشكّ منصوبُ على المصدر التشبيهىّ ، أى شـكّا مثلَ شكّ المبيطِر وهو البَيطار . ويَشْفِى : يُداوى ليحصُلَ الشفاء . والعَضَد ، بفتحتين : داء يأخذ الإبل فى أعضادها[1] فيُبَط[2] تقول منه : عضِد البعيرُ من باب فرح .

(١) ط : « أعضائها » ، صوابه فى ش والتبريزى والأغانى والوزير .
(٢) بط الجرح يبطه بطا : شقه . والمبطة : المبضع .

وقوله : (كأنّه خارجاً الخ) أى كأنّ القَرْن فى حال خُروجه سَفُّودٌ . ومثله قول أبى ذؤيب الهُذلىّ :

فكأنّ سَفُّودَينِ لمّا يُقتِرا ... عَجِلا له بِشِواءِ شَرْبٍ ينزَعُ

أى فكأنّ سفودين لم يقترا بشِواءِ شَرْبٍ ، ينْزَع ، أى هما جديدان[1] . شبّه قرنَيه بالسفُّودين . وقوله : عَجِلا له ، أى للثور بالطعن الواقع بالكلاب

وقوله : فظل يعجُم الخ ، عجمَه يعجُمه : إذا مضغَه . والرَّوق بالفتح : القَرْن . والحالك : الشديد السواد . والصَّدْق بالفتح ، هو الصُلْب بالضم . والأَوَد ، بفتحتين : العوَج ، أى ظلّ الكلب يمضغ أعلى القرْن لمّا خرج من جَنْبيه ، فى حالك ، يعنى القرن فى شدّة سواده . أى تقبّض واجتمع فى القرن لِمَا يجدُ من الوجع ، كما تقول : صلّى فى ثيابه . قال ابن قُتيبة فى أبيات المعانى[2] — وقد شرح أبياتاً خمسة إلى هنا — : من عادة الشعراء إذا كان الشعرُ مديحاً وقال : كأنّ ناقتي بقرةٌ أو ثورٌ أن تكون الكلابُ هى المقتولة . فإذا كان الشعرُ موعظةً ومرثيَة أن تكون الكلابُ هى التى تقتُلُ الثورَ والبقرة : ليس على أنّ ذلك حكايةُ قصَّةٍ بعينها .

وقوله : لمّا رأى واشقٌ إقعاصَ الخ ، واشقٌ : اسم كلب . والإقعاص : الموت السريع ، يقال رماه فأقعصَه : إذا قتله ، وأصله من القُعاص بالضمّ وهو داء يأخذ الغنم فتموت سريعاً . والعقل : إعطاء الدية . يقول : قُتِل صاحبُه فلم يعقل به ولم يُقَدْ به[3] .

(١) فى النسختين : « حديدان » تصحيف . وفى شرح المفضليات للأنبارى ٨٧٤ : « لما يُقتَِرا » : جديدان لم يستعملا : أو « لما يَفتُرا » يبردا ، هما حارّان .

(٢) المعانى الكبير ٢٢٤ .

(٣) ش : « ولم يفديه » ط : « ولم يفده » صوابهما من شرح الوزير أبى بكر ٢١ .

وقوله : قالت له النفس الخ ، هذا تمثيل ، أى حدّثته نفسُه بهذا ، أى باليأس منه . والمولى : الناصر والصاحب ، وهو هنا الكلب . لم يسلم من الموت ولم يَصِدِ الثور . وقيل : للمولى صاحبُ الكلاب ، لم يسلم من الضرر لأنّ كلبه قتل . وقوله : فتلك تبلغنى النُّعمان الخ ، أى تلك الناقةُ التى تشبه هذا الثورَ تُبلِغنى النعمانَ . وقوله : فى الأدنى الخ ، البعَد بفتحتين قيل : إنّه مصدر ، ويستوى فيه لفظُ الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث ، وقيل : إنّه جمع باعدٍ مثل خادم وخَدَم ، وعلى هذا اقتصر صاحب الصحاح وأنشدَ البيت ، أى فى القريب والبعيد . وروى ابنُ الأعرابىّ (وفى البُعُد) بضمّتين ، وهو جمع بعيد . وروى أبو زيد (وفى البُعَد) بضمّ ففتح ، وهو جمع بُعدَى مثل دُنىً جمع دنيا ، وسُفَل جمع سُفْلَى .

وقد لخّصتُ شرحَ هذه الأبيات ، مع إيضاح وزيادات ، من شرح ديوان النابغة ومن شرح القصيدةِ للخطيب التبريزىّ ومن أبيات المعانى لابن قتيبة . ولله الحمد .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[1] :

١٩٠ (فأرسَلَها العِراكَ ولم يَذُدْها ولم يُشفِقْ على نَغَص الدِخالِ)

على أن المصدر المعرَّف باللام قد يقع حالاً كما فى البيت : فإنّ العراك مصدرُ عاركَ يعارِكُ معاركةً وعِراكاً ، يقال أورَدَ إبلَه العراكَ : إذا أوردها جميعاً الماء ، كما فى قولهم : اعتركَ القومُ : أى ازدحَموا فى المعركة .

(١) فى كتابه ١ : ١٨٧ . وانظر ديوان لبيد ٨٦ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٦٤ وابن يعيش ٢ : ٦٢ / ٤ : ٥٥ والإنصاف ٨٢٢ والعينى ٣ : ٢١٩ والهمع ١ : ٢٣٩ والتصريح ١ : ٣٧٣ .

وفيه مذاهب : الأولُ مذهب سيبويه : أنّه مصـدر وقع حالاً . الثانى مذهبُ أبى علىّ الفارسىّ . وبيَّنهما الشارح المحقِّق . الثالث مذهب ابنِ الطَّرَاوة ، وهو أنّ العراكَ نعتُ مصدرٍ محذوف ، وليس بمحال ، أى فأرسلها الإرسالَ العِراك .

وزعم ثعلبُ أنّ الرواية : (وأوردَها العِراك) وأنّ العراكَ مفعولُ ثانٍ لأوردَها . وأمّا قولهم : أرسلها العراك ، فهو عند الـكوفيّين مضمّن أرسلها معنى أوردها ، فهو مفعول ثان لأوردَها . و (الإرسال) : بمعـنى التخليةَ والإطلاق ، وفاعلُه ضمير الحمار ، وضميرُ المؤنَّث لأتنِه وهى جمع أتانَة[1] . و (الذَّود) : الطرد . و (لم يشفق) أى الحمار ، من أشفق عليه : إذا رحمه . و (النَّغَص) بفتح النون والغين المعجمة وإهمال الصاد : مصدر ، فى الصحاح : نغِصَ الرجُل بالـكسر ينغَص نغَصاً : إذا لم يتمّ مُراده ؛ وكذلك البعير : إذا لم يتمّ شربه . وأنشَد هذا البيت . ورُوى (نغْض) بالضاد المعجمة أيضاً ؛ لـكنّه بسكون الغين ، وهو التحرُّك وإمالة الرأس نحوَ الشىء ؛ يريد أنّها تُميل أعناقَها إلى الماء بشدّة وتعب . قال السيرافىّ : يريد أنّ بعضها يزحَم بعضاً ، حتّى لا يقدر أن يتحرّك لشدّة الازدحام ؛ فهو واقف مزحوم ، لا يقدر أنْ يشرب ، ولا يتمكن من الحركة . و (الدِّخال) بكسر الدال : أن يُداخَل بعيرٌ قد شرب مرَّة فى الإبل التى لم تشرب حتَّى يشربَ معها ، إذا كان كريمًا أو شديدَ العطش أو ضعيفاً . وقال الأعلم : الدِّخال : أن يُدخَل القوىّ بين ضعيفين أو الضعيفُ بين قويّين فيتنغّص عليه شربه .

وهذا البيت من قصيدة للَبيدِ بن رَبيعة الصحابىّ ، وصفَ به حُمُرَ وحْش

---

(١) فى القاموس أن الأتانة قليلة ، والأكثر الأتان بدون هاء . وكلمة « جمع » ساقطة من ش .

تعدو إلى المـاء . يقول : أورد العَير أتُنه المـاء دَفعةً واحدة ، مزدحِمة ، ولم يشفق على بعضها أنْ يتنغّص عند الشرب ، ولم يُذدْها لأنّه يخاف الصيّاد . بخلاف الرِعاء الذين يدبِّرون أمرَ الإبل ، فإنّهم إذا أوردوا الإبلَ جعلوها قطعاً قِطعا ، حتّي ترَوى . وقبله :

٥٢٥

أبيات الشاهد

(رَفعْنَ سُرادِقاً فى يومِ ريحٍ يُصفَّق بين مَيل واعتدالِ)

أراد بالسُّرادق الغُبار . ويصفّق : يردَّد ، تارة مائلاً وتارة مستوياً . والنون ضمير الأُتُن . ورأيتُ فى ديوانه : (فأوردَها العِراكَ) . وفاعله ضمير العير . وهذه القصيدة مطلعها :

(ألم تلُمِمْ على الدِّمَنِ الخوالى لسلْمَى بالمَذَانبِ فالقُفـالِ)

وترجمة لَبيد تقدمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة [1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد المـائة ، وهو من شواهد سيبويه [2] :

١٩١ (جاءوا قَضَّهُمْ بقَضِيضِهِمْ)

هذا مأخوذٌ من بيتٍ أورده سيبويه .

(أتتنى سُلَيمٌ قضَّها بقَضِيضِها تمسَّح حَولى بالبَقيع سِبالَهَا)

أنشده على أنّ قضّهم مصدرٌ وقع حالاً . وبيّنه الشارح المحقّق بما لا مزيد عليه . وقال الأعلم : معنى قضَّها بقضيضها : منقضّاً آخرُهم على أوّلهم ؛ وأصل

(١) الخزانه ٢ : ص ٢٤٦ .

(٢) فى كتابه ١ : ١٨٨ . وانظر ابن يعيش ٢ : ٦٣ والأغانى ٨ : ١٠٠ وديوان الشماخ ٢٠ .

القضّ الكسر ، وقد استعمل الكسر موضع الانقضاض ، كقولهم : عُقاب كاسرة ، أى منقضّة انتهى . والكسر : الوقوع على الشىء بسرعة .

وهذا البيت للشّماخ . وبعدَه :

(يقولون لى: يا، احلِفْ ولستُ بحالفٍ ، أُخادِعُهمْ عنها لكيما أنالهَا

ففرّجتُ غَمَّ النفس عنى بحَلْفةٍ كما قَدّت الشّقْراء عنها جِلالهَا

فقوله : أتتنى سُلَيم ، بالتصغير ، ورُوى بدله (تميم) وهما قبيلتان . والسِّبال جمع سَبَلة وهى مُقدَّم اللحية . أراد أنّهم يمسحون لحاهم وهم يتهدّدونه ويتوعّدونه . وقال الأعلم : يمسّحون لحاهم تأهُّباً للكلام . والبَقيع : موضعٌ بمدينة الرسول ﷺ .

وقوله : يقولون لى يا احلف ، أى يا رجلُ احلِفْ ، أو يا للتنبيه . وقوله : أخادعهم عنها ، أى عن الحَلفة التى طالَبونى أن أحلِف بها ، فأقول لهم لا أحلف ، وأُظهِرُ أنّ الحلف يشقّ علىّ ، حتّى يلحوا فى استحلافى ، فإذا استحلفونى انقطعت الخصومة بيننا . وقوله : لكيما أنالها ، أى أنال الحَلفَة واليمين . ومثله قول بعضهم :

سألونى اليمينَ فارتعتُ منها ليُغرُّوا بذلك الإنخداعِ

ثمّ أرسلتُها كمنحدَرِ السيـــلِ تعالَى من المكان اليَفاع

ومثله لابن الرومىّ :

وإنّى لذو حَلِفٍ كاذبٍ إذا ما اضطُرِرْتُ وفى الحال ضِيقُ

وهل من جُناحٍ على مُسلِمٍ يدافِع بالله ما لا يطيقُ[1] !

(١) طراز المجالس ١٢٩ وشرح المقامات للشريشى ١ : ٩٩ ومحاضرات الراغب ١ : ٢٣١ وسمط اللآلى ١٨٨ .

وقَدّ بمعنى شقّ وقطع طولاً . يريد : كشفت هذا الغمّ عنّي باليمين الكاذبة كما كشفت الشقراء ظَهرَها بشَقّ جُلّها عنه .

وسبب هذه الأبيات ، على ما روى محمّد بن سلام[١] ، قال : كانت عند الشمّاخ امرأةٌ من بنى سُلَيم ، فنازعته وادّعت عليه طلاقاً ، فحضر معها قومُها فأعانوها . فاختصموا إلى كَثِير[٢] بن الصَّلْت — وكان عثمانُ بن عفّان رضى الله عنه قد أقعده للنظر بين الناس — فرأى كَثِير أنّ لهم عليه يميناً ؛ فالتوى الشمّاخ باليمين يحرِّضهم عليها ، ثمّ حلَف . وقال هذه الأبيات .

٥٢٦

وعن القاسم بن معن[٣] قال : كان للشمّاخ امرأةٌ من بنى سُلَيم ، فأساء إليها وضربَها وكسر يدَها ؛ ثمّ لما دخل المدينةَ فى بعض حوائجه ، تعلّقت به بنو سُلَيم يطلبون بظُلامة صاحِبَتِهم ؛ فأنكر ؛ فقالوا له : احلِف ! فجعل يُغلِظ أمْرَ اليمين وشِدّتَها عليه ، لِيرضَوا بها منه ، حتّى رَضُوا . فحَلَف ، وقال :

(ألا أصبحتْ عِرسى من البيت جامحاً بغَيرِ بلاءٍ ، أىُّ أمرٍ بدا لَها
على خيْرةٍ كانت ، أم العِرسُ جامحٌ ، فكيفَ وقد سقنا إلى الحىِّ مالَها
ستَرجعُ غضبَي نَزْرة الحظِّ عندَنا كما قطعتْ عنّا بليلٍ وِصالَها
أتتنى سُلَيم قضها بقضيضها . . . . الأبيات الثلاثة)

وقيل : سببها أنّه هجا قوماً فاستحلفوه ، فحَلَف وتخلّص منهم .

ترجمة الشماخ

والشمّاخ اسمه مَعْقِل بن ضِرار الغطَفانىّ . وهو مُخضرم : أدرك الجاهليّة والإسلام . وله صُحبة . وجعله الجُمَحىّ فى الطبقة الثالثة[٤] من شعراء الإسلام ،

(١) طبقات ابن سلام ١١٢ .
(٢) ط : « بشر » صوابه فى ش وابن سلام والأغانى ٨ : ٩٩ نقلاً عن ابن سلام .
(٣) الخبر عن الأغانى ٨ : ١٠٠ .
(٤) فى النسختين « الثانية » صوابه من الطبقات . وانظر الطبقات ص ١٠٣ .

وقرنَه بالنابغة الجعدىِّ ولَبيد وأبى ذؤيب الهذلى . وقال : إنّه كان شديدَ مُتونِ الشعر ، وأشدَّ كلاماً من لبيد[١] ، وفيه كَزازة ، ولَبيدٌ أسهلُ منه منطقا[٢] .

وقال الحُطَيئة فى وصيّته : أبلِغوا الشمّاخَ أنّه أشعَرُ غطفان . وهو أوصف الناس للحَمير ، يروى أنّ الوليدَ بن عبد الملك أُنشِد شيئاً من شعره فى وصف الحمير فقال : ما أوصَفَه لها ! إنّى لأحسَب أنّ أحدَ أبويه كان حمّاراً ! وكان الشمّاخ يهجو قومَه وضيفَه ويمنُّ عليهم بقِراه . وهو أوصَف الناسِ للقوس ، وأرجزُ الناس على البديهة ، وشهد الشمّاخ وقعة القادسيّة . قال المرزبانىّ : وتوفى فى غزوة مُوقَان فى زمن عثمانَ بن عفّان رضى الله عنه .

قال ابن قُتيبة ، فى كتاب الشعراء[٣] : أمّ الشمّاخ مِن وَلَد الُخرْشُب ، وفاطمة بنت الخرشب أمّ ربيع بن زياد وإخوته العبسيِّين الذين يقال لهم : الكَمَلة[٤] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد المائة ، قولَ المتنبِّى[٥] :

١٩٢ (وقبَّلْتنى على خَوفٍ فماً لِفَمِ)

وصدره :

قبّلتُها ودُموعى مَزْجُ أدمعِها

(١) كذا فى الأغانى عن ابن سلام . والذى فى الطبقات : « أشد أسر كلام من لبيد » .

(٢) انتهى كلام ابن سلام .

(٣) الشعراء ٢٧٥ .

(٤) انظر الكامل ١٣٠ وجمهرة ابن حزم ٢٥٠ .

(٥) ديوان المتنبي ٢ : ٣٠٢ .

على أنّ قوله : (فماً) حالٌ ، وصاحبُ الحال ضمير قبّلتنى المستتر ، أى جاعلةً فاها على فىّ .

أبيات الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ قالها فى صباه ، مطلعُها :

(ضَيفٌ ألمَّ برأسى غير محتشِمِ   والسَّيفُ أحسنُ فِعلاً منه باللِّمَمِ
إبْعَدْ ، بعِدْتَ بياضاً لا بياضَ له   لَأنتَ أسْودُ فى عَينى مِن الظُّلَمِ
بحبِّ قاتلتى والشيب تغذيتى :   هواىَ طفلاً ، وشيبى بالغَ الحُلُمِ
فما أمرُّ برسمٍ لا أسائلُه   ولا بذاتِ خِمارٍ لا تُريقُ دَمى
تنفَّستْ عن وفاءٍ غير مُنْصَدعٍ ،   يومَ الرحيلِ ، وشَعبٍ غيرِ ملتئمِ
قبّلتُها ودُموعى مَزْجُ أدمعِها   وقبّلتنى ، على خوف ، فماً لفمِ
٥٢٧ فذُقتُ ماء حياةٍ من مُقبَّلِها   لوصابَ تُرباً لأحيا سالفَ الأُمَمِ)

قوله : ضيفٌ ألمَّ برأسى الخ ، عَنى بالضيف الشيب . والمحتشِم : المنقبض المستَحِى . يريد . أنّ الشيبَ ظهر فى رأسه دفعة مِن غير أن يظهرَ فى تَراخٍ . وهذا معنى قوله : غير محتشم . ثمّ فضّلَ فعلَ السيف بالشَعر ، على فعل الشيب به ، لأنّ الشيب أقبحُ ألوان الشعر . وهذا مأخوذ من قول البُحتُرىّ :

ودِدتُ بياضَ السيف يومَ لقِينَنى[1]   مكانَ بياضِ الشَيبِ منه بمَفْرِق

وقوله : إبْعَد بعِدت بياضاً الخ ، دعاء على الشَيب . وبعِد يبعَد من باب فرِح : إذا هلَك وذلّ . والبياض الأوّل : الشَّيب ، والثانى : الرَّونق والحسْن . وأسودُ ، هنا : واحد السُود . والظُّلَم : الليالى الثلاثُ فى آخر الشهر . يقول

(١) فى النسختين : « لقيتنى » بالتاء ، وإنما هو ضمير الغوانى فى بيت قبل هذا وهو :

أجدك ما وصل الغوانى بمطمع   ولا القلب من رق الغوانى بمعتق

لِبَياض شَيبه : أنتَ عندى واحدٌ من تلك الظلَم . كقول أبى تمّام فيه :

له مَنظرٌ فى العين أبيضُ ناصعٌ ولكنَّه فى القلب أسودُ أسفعُ

وقيل : أسودُ أفعلُ تفضيلٍ جاء على مذهب الكوفيِّين . وهذا من أبيات مغنى اللبيب .

وقوله : بحبٌّ قاتلتى الخ ، عنَي بقاتلتِه حبيبتَه . يعنى أنّ حبَّها يقتله . والباء من صلَة التغذَية . يقول : تغذّيت بهذين : الُحبِّ والشيب . ثمّ فسّر ذلك بما بعدَه . يقول : هويتُ وأنا طفلٌ وشبتُ حين احتلمتُ لشِدّة ما قاسيتُ من الهوى : فصار غذائى . فقوله : شوائى مبتدأ ، وطفلاً حالٌ سدّ مسدَّ الخبر ؛ ومثله ما بعده . وقد فصَّل بهذا ما أجمله أوّلا ، لأنه بيّن وقتَ العِشق ووقتَ الشَّيب .

وقوله : فما أمرٌّ برسمٍ الخ ، الرسْم من أثَر الدار : ما كان ملاصقاً بالأرض . والطَّلَل : ما كان شاخصاً . يقول : كلٌّ رسمٍ يُذكرنى رسمَ دارها ، فأسأله تسلّياً ؛ وكلُّ ذاتِ خِمارٍ تُذكّرنيها ، فتريق دمى ؛ وقوله : تنفّستْ عن وفاءٍ الخ ؛ يقول : تنفّستْ يومَ الوَداع تحسُّراً على يوم فراق ، عن وفاءٍ ، يعنى عمّا فى قلبها من وفاءٍ صحيحٍ غير منشقّ . ويريد بالشُّعْب الفراق ؛ من قولهم : شعبته : إذا فرقته . والمعنى : وعن حُزْن شَعْب . فحذف المضاف . وقوله : قبَّلتُها ودموعى الخ ، أى بكَينا جميعاً حتّي امتزجتْ دموعى بدُموعها ، فى حال التقبيل . والمَزج : المِزاج ، مصدرٌ سمِّى به الفاعل . يقول : دموعى ما زَجتْ دموعَها . ونصَبَ فماً على الحال .

قال أبو حيّان فى الارتشاف : قال الفرّاء : أكثر كلامِ العرب كلّمتُه فاهُ إلى فىَّ بالنصب ، والرفعُ صحيح وفيما أشبه هذا ، نحو : حاذيته ركبتَه

إلى ركبتى ، والأكثر فيه بالرفع . وإذا كان نكرة فالنصب المؤثَر المختار ، نحو : كلّمته فماً لفم ، وحاذيته ركبةً لرُكبة . ورفعُه وهو نكرةٌ جائزٌ على ضعف ، إذا جعلت اللام خبراً لفم ؛ وإن وضعت الواو موضعَ الصفة ، فقلت : كلّمته فوه وفىّ . وحاذيته ركبتُه وركبتى ، فالواوُ تعمل ما تعمل إلى ، والنصب معها سائغٌ على إعمال المضمر اهـ كلام الفرّاء . قال أبو حيّان : ويعنى بقوله : « والنصب معها » أى مع الواو فى الثانى . « سائغٌ على إعمال المضمر » يعنى جاعلاً ؛ أى جاعلاً فاه ، وجاعلاً ركبتَه . ويُقتَصر فى هذا على موَرِدِ السّماع . ولو قدّمتَ حرف الجرّ فقلت : كلّمنى عبدُ الله إلى فِىّ فوه ، لم يجز النصبُ باجماع من الكوفيين ، وتقتضيه قاعدةُ قولِ سيبَويه فى أنّه لا يجوز : إلى فىّ ، تبيين[1] ، كلَكَ بعد سَقياً لك ؛ وتقديم لك على سَقياً لا يجوز ، فينبغى أن لايجوز هذا . فلو قدّمت فاه إلى فىّ على كلّمته ، فقلت : فاه إلى فىّ كلمتُ زيداً ، فأجازه سيبويه وأكثر البصريّين ، واتّفق الكوفيّون على منعه ، وتبعهم بعض البصريّين . فلو قلت : فوه إلى فىّ كلّمنى عبدالله ، لم يجز ذلك عند أحدٍ من الكوفيّين ، ولا أحفظ نصاً عن البصريّين ، والقياسُ يقتضى الجواز . اهـ

٥٢٨

وقوله : فذقتُ ماء حياةٍ الخ ، جعل ريقَها ماء الحياة ، على معنى أن العاشق إذا ذاقه حَيِيَ به . ومعنى لو صاب تُرباً لو نزل على ترابٍ : من قولهم : صاب المطر يصوب صوباً ، بمعنى أصاب . يقول : لو وقع ريقُها على الأرض لأحيا الموتى من الأمم المتقدّمة . وأوّلُ هذا المعنى للأعشى :

لو أسندَتْ ميْتاً إلى نَحْرِها عاشَ ، ولم يُنقل إلى قابرِ

(١) ش « قاعدة قول سيبويه فى أن إلى فى تبيين» وما أثبته من ط هو الموافق لما فى الارتشاف مخطوطة دار الكتب ٧٢٨ نحو ص ٧٥٦ .

فنقل أبو الطيِّب الإِحْياء إلى ريقها .

وما شرحتُ به هذه الأبيات فهو من شرح الإمام الواحديّ ،لخصته منه باختصار : وترجمة المتنبِّي تقدَّمتْ في البيت الحادى والأربعين بعد المائة[1].

* * *

وأنشد بعده :

(ولقَدْ أمُرُّ على اللئيمِ يَسُبُّني فمَضيْتُ ثُمَّتَ قُلتُ لا يَعنِيني[2])

على أن اللام فى اللئيم زائدة . قد تقدّم الكلام على هذا البيت فى الشاهد الخامس والخمسين[3] .

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد المائة[4] :

١٩٣ (فَما بالُنا أمْسِ أُسْدَ العَرِينِ وما بالنا اليومَ شاء النَّجَفْ)

على أنّ أُسْدَ العرين ، وشاء النجف ، حالانِ ، إمّا على تقدير مِثل ، وإمّا على تأويلهما بوصف ، أى شجعاناً وضعافاً . وهذا ظاهر .

أبيات الشاهد

وهذا البيتُ آخر أبياتٍ أربعةٍ لأحد أصحاب عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهى :

(أيمنعُنا القومُ ماء الفـراتِ وفينا السيوفُ وفينا الحَجَفْ

---

(١) الخزانة ٢ : ص ٣٤٧

(٢) الخصائص ٣ : ٣٣٠ وابن الشجرى ٢ : ٢٠٣ والعينى ٤ : ٥٨ والهمع ١ : ٩/ ٢ : ١٤٠ وشرح شواهد المغنى ١٠٧ والأشمونى ١ : ١٨٠ / ٣ : ٦٠ ، ٦٣ والتصريح ٢ : ١١١ .

(٣) الخزانة ١ : ص ٣٥٧

(٤) وقعة صفين ١٦٥ .

وفينا عليٌّ ، له صولةٌ إذا خوّفوه الرّدَى لم يَخَفْ
ونحن الذينَ ، غَداةَ الزُبيرِ وطَلْحةَ خُضنا غِمار التلف
فما بالنـا أمس أسْدَ العرين . . . . الخ)

ومنشؤها على ما ذكر فى كتاب الفتوح وكتاب الروضة للحجورىّ : أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، لمّا نزل بصِفِّينَ — وصِفِّينُ مدينة عتيقة من بناء الأعاجم ، على شاطئ الفرات ، بالقرب من قِنِّسرين — فسبقه معاوية إلى الفرات ، ومنع عليًّا وأصحابه من الماء ؛ فأرسل علىٌّ رضى الله عنه إلى معاوية ، الأشعثَ بنَ قيسٍ ، وصعصعةَ بنَ صُوحَان ، وقال : اذهبا إلى معاوية وقولا له : خيلُك حالتْ بيننا وبين الماء ، ونحن نَكْره قتالَكم قبل الإعذار ! فأبلغاه الرسالة ، وجرى بينهم [كلام[1]] : فقال الأشعث : إنّك إنْ تمنعْنا الماء ترَمِنّا مالا تريد ، فخلِّ عن الماء قبل أن تُغلَب عليه ! وقال ابن صُوحان : إنّا لا نموت عطَشاً وسيوفُنا على عواتقنا ! فاستشار معاويةُ أصحابه ؛ فقال له الوليد بن عُتبة — وهو أخو عثمان من أمّه — : امنعْهم كما منعوه عثمان ! فقال عمرو بن العاص : ما أظنّ عليّاً يظمأ وفى يده أعِنَّة الخيل وهو ينظر إلى الفرات ، فخلِّ عنه وعن الماء . وقال ابن أبى سَرح : أمنعهم الماء منعَهم الله إياه ! فقال ابن صوحان : إنّما منعه الله الفَجَرة مثلَك ومثلَ هذا الفاسق : الوليد . وبقى أصحابُ علىّ يومَهم وليلتَهم عِطاشاً . فسمع علىٌّ رضى الله عنه صبيا ينشد :

٥٢٩

أيمنعنا القومُ ماءَ الفراتِ . . . (الأبيات الأربعة)

ورجع الأشعث فقال : أيمنعنا القومُ وأنت فينا ! خلِّ عنّى وعنهم غداً ! قال علىّ : ذلك إليك . فنادى منادٍ له : من كان يريد الماء والموتَ فميعاده

(١) التكملة من هامش ش .

الصُّبْح ! فأصبح عَلَى باب مِضرَبِه[١] أربعةَ عشرَ ألفا ، وسار القومُ وكلٌّ يرتجز برجَزه ، ثم قال الأشعث : تقدَّموا ! فلمّا أشرفوا على الماءِ قال لأصحاب معاوية : خلُّوا عن الماء وإلاّ وردْناه ! فقال أبو الأعور السُلَمِيّ : لا والله ، حتّي تأخذَنا السيوفُ وإيّاكم ! فقال الأشعث للأشتَر : أقحِمِ الخيلَ ! فأقحمَها حتى غمستْ سَنابكها فى الماء ، وأخذ القومَ السيوفُ فولَّوا عن الماء اهـ .

فقوله : وفينا السيوف وفينا الحَجَف ، هو جمع حَجَفة بفتح الحاء المهملة والجيم ، يقال للتُرْس إذا كان من جُلود ليس فيه خشبٌ ولا عقب : حجفة ودَرَقة ؛ كذا فى العُباب . وقال ابن دُريد فى الجمهرة : هى جلودٌ من جلود الإبل يُطارَق بعضُها على بعض ويُجعلُ منها التِّرسَةَ . وقوله : ونحن الذين غداة الزُّبير ، يُشير به الى وقعة الجَمل . والغِمار : جمع غَمرة بالفتح ، وهى الشّدّة . وقوله : أُسدَ العرين ، هو بفتح العين المهملة . فى الصحاح : العَرِين والعَرِينة : مأوى الأسد الذى يألفُه ؛ يقال : ليثُ عَرِينةٍ وليثُ غابة . وأصل العرين جماعة الشَّجر . وقوله . شاء النَجَف ، الشاء : جمع شاة ، فى الصحاح : الشاة من الغنم تذكَّر وتؤنّث ، والجمع شِياهٌ بالهاء فى أدنى العدد ، تقول : ثلاث شياه ، إلى العشرة ؛ فإذا جاوزت فبالتاء ، فإذا كثرت قيل هذه شاء كثيرة . وجمع الشاء شُوِيّ . والنَّجَف ، بفتح النون والجيم ، قال ابن الأعرابى : هو الحلْب الجيِّد حتى ينفض الضَّرع[٢] ؛ يقال : انتجفتُ الغنمَ : إذا استخرجتَ أقصى ما فى الضَّرع من اللبن ، وانتجفتِ الريحُ السحابَ : إذا استفرغته ؛ وانتجاف

(١) المضرب : الفسطاط العظيم ، وضبطه صاحب القاموس كمنبر . قال الزبيدى : وضبطه شيخنا كمجلس .

(٢) ش « ينقص الضرع » تصحيف .

الشىء : استخراجه ، وكذلك استنجافه . والنَّجَف والنَّجَفة أيضاً : مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد ، والجمع نِجَاف . وقال ابن الأعرابى : النَّجفة المسنَّاة ، والنَّجَف : التلّ . وقال الأزهرىّ : النَّجَفة التى هى بظاهر الكوفة هى المسنَّاة تمنع ماء السيل أن يَعلوَ منازلَ الكوفة ومقابرَها ؛ وفيه مرقدُ علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه . قال إسحق بن إبراهيم الموصلى يمدح النجف[1] :

ما إن أرى الناس فى سهْل وفى جبلٍ أصفَى هواء ولا أعذَى من النَجَف[2]

والبال هنا بمعنى الشأن والحال ؛ وهو العامل فى أمس وفى الحال ، لكونه بمعنى الفعل . قال التفْتازانىّ — عندما قال الزمخشرىّ فى سورة آل عمران : ما بالُه وهو آمن — قوله : وهو آمن حالٌ عاملُه ما فى بال من معنى الفعل ؛ ولم نجد فى الاستعمال هذه الحالَ بالواو ، قال :

ما بالُ عينِك منها الماء ينسكب[3] انتهى

٥٣٠ واعلم أن مجىء الحال بعد ما بال أكثرىّ ، وقد يأتى بدونها ، كقوله تعالى (فَمَا بالُ القُرونِ الأُولى[4]) . وقد وردت الحالُ بعدَه على وجوه : منها مفردة كبيت الشاهد ، كقوله[5] :

---

(١) فى معجم البلدان (النجف) : « يمدح الواثق ويذكر النجف » .

(٢) وكذا فى ياقوت ، والوجه «رأى» ، وفى الأغانى ٥ : ٨٨ : « لم ينزل الناس» وأعذى ، من قولهم عذا البلد يعذو : طاب هواؤه . والعذاة : الأرض الطيبة البعيدة عن الماء والوخم . وفى النسختين والأغانى : « أغذى » صوابه فى ش .

(٣) هو أول بيت فى ديوان ذى الرمة . وعجزه :

* كأنه من كلى مفرية سرب *

(٤) الآية ٥١ من سورة طه .

(٥) زاد الشنقيطى فى هامش نسخته : « ومنها ماهى جمع » بعد كلمة « الشاهد » ، وهو سهو ، فإن « معلقات » حال مفردة أيضا كما هو فى اصطلاح النحاة ، لأنها ليست بجملة ولا شبهها .

فما بالُ النجومِ معلَّقاتٍ بقَلب الصَبِّ ليسَ لها براحُ

ومنها ماضيَّة مقرونة بقد، كقول العامريّ :

ما بالُ قلبِك يا مجنونُ قد هَلِعا من حُبِّ من لا ترى فى نَيلِهِ طَمَعا

وبالواو معها، كقوله :

ما بالُ جهلِك بعد الحِلم والدِينِ وقد علاكَ مَشيبٌ حين لا حينِ[1]

وبدون قد، كقوله أيضاً :

فما بالُ قلبي هدَّه الشوقُ والهوَى وهذا قَميصى من جوَى الحزْن باليا[2]

ومضارعيّة مثبتة، كقول أبى العتاهية :

ما بالُ دينِكَ ترضى أن تدنِّسه وثوبُ دُنْياكَ مغسولٌ من الدنَس

وبالواو، كقوله :

فما بالُ من أَسعَى لأجبُر عظمَهُ حِفاظاً، وينوِى من سَفاهتِهِ كَسْرِى[3]

ومنفيّة، كما أنشده ابن الأعرابى :

* وقائلةٍ ما بالُه لا يزورُها *

ومنها اسميّة غير مقترنة بواو، كقول ذى الرُمّة :

ما بالُ عينِكَ منها الماء ينسكِبُ

* * *

(١) البيت لجرير فى ديوانه ٥٨٦ وسيبويه ١ : ٣٥٨ .

(٢) ط : « قده الشوق » وأثبت ما فى ش .

(٣) البيت لابن الذئبة الثقفى، كما فى مجالس ثعلب ١٧٣ وشرح شواهد المغنى ٢٦٤ وأمالى القالى ٢ : ١٧٢ . ونسب إلى الأجرد الثقفى فى الشعراء، ولعامر الجرمى فى حماسة الحماسة ١٠٤ ولكنانة بن عبديا ليل الثقفى فى حماسة ابن الشجرى ٧٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[١] :

١٩٤ (ومَا حَلَّ سَعْدِيٌّ غَرِيباً بِبَلْدَةٍ)

على أنّه يجوز تنكيرُ صاحبِ الحال إذا سبقَه نفى : فإنّ (غريباً) حالٌ من (سَعْدِيّ) وهو نكرة . وجاز لأنّه قد تخصّص بالنفى . وببلدة متعلّق بقوله حلّ أى نزل وأقام .

وهذا صدر ، وعجزه :

(فيُنْسَبَ ، إلاّ الزِّبرِقانَ له أبُ[٢])

قال أبو عليّ الفارسىّ فى التذكِرة القصْريّة : قِيل : نصب الشاعر غريباً على الحال فى قوله فينسَبَ كأنّه قال : وما حلّ سعدىّ ببلدة فينسَب إلى الغربة . وهذا لا يجوز : أعنى نصبَ غريباً بيُنْسَب ؛ لتقدُّمه عليه ؛ لأنّ تقديم الصلة على الموصول لا يجوز ، والفِرارُ ممّا يجوز إلى مالا يجوز مرفوض . ولكنّه حالٌ من النكرة . فاعلم ذلك ا هـ .

وروى أيضاً (وما حَلّ سَعدِيٌّ غريبٌ) بالرفع ، فعلى هذا هو وصفٌ لسَعْدىّ . استشهد به سيبويه على نصب (يُنسَبَ) بعد الفاء على الجواب مع دخول إلاّ بعده للإيجاب ، لأنّها عرضَت بعد اتّصال الجواب بالنفى ، ونصبه على ما يجب له . . ويجوز الرفع أيضاً .

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٢٠ .

(٢) ضبطت « الزبرقان » بالرفع فى كتاب سيبويه ، ويرى البغدادى هنا نصبها .

وأورده الشارح المحقّق فى نواصب الفعل المضارع أيضاً على أنّ النفى راجعٌ إلى يُنسَب ، أى يحُلّ ولا ينسب ؛ قال : « ولولا أنّ ما بعد الفاء منفىّ ، لما جاز الاستثناء ، إذ المفرّغ لا يكون فى الواجب » إذ التقدير ما نُسِبَ ذلك السَّعْدىّ إلى أحدٍ إلاّ إلى الزبرقان . فالزبرقان منصوبٌ بنزع الخافض وهو إلى ، وجملةُ له أب حالٌ من الزبرقان أى فى حال كون الزبرقان أباً لذلك السَّعْدىّ . والزبرقانُ سيِّد قومه وأشهرهم ، فإذا تغرَّب رجلٌ من بنى سعد ، وهم رهط الزبرقان ، فسئل عن نسبه ينتسب إليه لشرفه وشُهرته . ٥٣١

الزبرقان بن بدر

والزِّبرقان من الصحابة ، وهو حُصين بنَ بدر بن امرئ القيس بن خَلَف ابن بَهْدَلَةَ بن كعب بن سعد بن زيدِ مناةَ بن تميم . قال ابن عبد البَرّ فى الاستيعاب : وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قومه — وكان أحدَ ساداتهم — فأسلموا . وذلك فى سنة تسعٍ . فولاّه صدَقاتِ قومه . وأقرّه أبو بكر وعمر على ذلك . وإنما سمّى الزبرقانَ لحُسْنه ؛ شبِّه بالقمر ، لأنّ القمر يقال له الزبرقان . قال الأصمعىّ : الزبرقان : القمر ؛ والزبرقان : الرجل الخفيف اللِحْية . وقد قيل : إنّ اسمَ الزبرقانِ القمرُ ابن بدر[1] . والأكثر على أنّه الحصين بن بدر . وقيل : بل سمّى الزبرقانَ لأنّه لبس عمامةً مزبْرَقَة بالزعفران . والله أعلم اهـ .

اللعين المنقرى

وهذا البيت من قصيدة للَّعِين المِنقَرىّ . واسمه مُنازل بن زَمَعه . وكنيته أبو أُكيدِر ، مصغّر أكدَر ، من بنى مِنقَر ، بكسر الميم وفتح القاف ، وهو

---

(١) لعل ذلك لقول الشاعر فيه ، وقد يكون تغييرا لضرورة الشعر :

سيدركنا بنو القمر بن بدر سراج الليل للشمس الحصان

انظر الاستيعاب ٥٦١ .

مِنقَر بن عُبيد ، بالتصغير ، ابنُ مقاعِس وهو الحارث بن عَمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم .

واللَعِين شاعرٌ إسلاميّ فى الدولة الأمَويّة . قال ابن قُتيبةَ فى كتاب الشعراء[1] ، والمبرّدُ فى الاعتنان واللفظ له ، قال راوياً عن أبى عبيدة : اعترض لَعينُ بنى مِنقَر[2] لجرير والفرزدق فقال :

سأقضى بين كلْب بنى كُليب ... وبين القَين قَينِ بنى عِقالِ
بأنّ الـكلبَ مَرتعُه وخيمٌ ... وأنّ القَينَ يعمل فى سِفالِ

فلم يُجبْه أحدٌ منهما ، فقال :

فما بُقْياَ علىَّ تركتُمانى ... ولـكنْ خِفتُما صَرَدَ النبالِ
فدونـكما انظرَا : أهَجوتُ أم لا ... فذُوقا فى المواطن مِنْ نِبالى
وما كان الفرزدقُ غيرَ قَينٍ ... لئيمٍ خالهُ ، للؤْمِ تالى
ويترُكُ جَدَّه الخطَفَى جريرٌ ... ويندُبُ حاجباً وبنى عِقالِ

فلم يلتفتا إليه فسقط اﻫ .

قوله : فما بُقَيا علىَّ الخ ، البُقيا بالضمّ : الرحمة والشفقة . وصَرِدَ السهمُ من باب فرح ، من الأضداد ، إذا نَفَذ وإذا نـكل . فيكون المعنى على النفوذ إنّـكما خفتما نفوذَ سهامى فيكما أى هجائى . وعلى معنى النُكول أى خفتما أن لا تنفُذ سهامُـكما فىَّ فعجَزتما عنِّي .

وقد تمثّل بهذا البيت هارونُ الرشيدُ لمّا أراد قتلَ جعفرِ بن يحيى البرمكىّ . قال ابن قُتيبة : وكان اللعين هجاّء للأضياف ، قال :

---

(١) الشعراء ٤٧٤ .

(٢) ط « ابن منقر » صوابه فى ش .

وأبغض الضيفَ ، ما بى جُلّ مأ كَلِه إلاّ تنفُّجُه عندى إذا قَعدا
ما زال ينفُج كِتفَيه وحبْوَتَه حتَّى أقولُ : لعلّ الضيفَ قد ولَدا[1]

ووجه تلْقيب اللعين بهذا على ما رواه صاحب زَهر الآداب ، قال : سَمِعَه عمر بن الخطّاب يُنشد شعراً ، والناس يُصلّون ، فقال : من هذا اللعينُ ؟ ! فَعلِق به هذا الاسم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد المائة :

١٩٥ (لميّةَ موحِشاً طللُ قديمُ[2])

على أنّهم استشهدوا به لتقدُّم الحال على صاحبها المنكَّر . وفيه ما بيّنه الشارح المحقّق . قال ابن الحاجب فى أماليه على أبيات المفصَّل : يجوز أن يكون موحشاً حالاً من الضمير فى لميّة ؛ فجَعْلُ الحال من المعرفة أولى مِن جعْلها من النكرة متقدّمةً عليها ، لأنّ هذا هو الكثير الشائع ، وذلك قليل ، فكان أولى .

ومن استشهد بهذا البيت ، على ما ذكره الشارح ، ابنُ جنّي فى شرح الحماسة عند قوله :

وهلاّ أعدُّونى لمثلى ، تفاقَدوا ! وفى الأرض مبثوثاً شجاعٌ وعقربُ[3]

قال : من نصب مَبثوثاً فلأنّه وصفُ نكرة قدّم عليها ، فنُصِب على الحال منها ، كقوله :

لعزّةَ موحشاً طللُ قديم

(١) فى الحماسة ١٨٥٦ بشرح المرزوقى . « مازال ينفج جنبيه »
(٢) ابن يعيش ٢ : ٦٢ ، ٦٤ والتصريح ١ : ٣٧٥ .
(٣) هذا هو الشاهد ١٥٩ وقد سبق فى هذا الجزء ص ٢٩

ومنهم صاحب الكشّاف ، أورده عند قوله تعالى (وَجَعَلنا فِيها فِجاجاً سُبُلاً[١]) على أنّ فجاجاً كان وصفاً لقوله سبُلاً ، فلمّا تقدّم صار حالاً منه .

ومنهم الخبيصىّ فى شرحه للكافيَة الحاجبيّة ، قال : قدّم الحالَ وهو موحشا ، على ذى الحال وهو طلل ، لئلاّ يلتبس بالصفة . . قال شارح شواهده الكرْمانىّ : هذا لا يصلح لمطلوبه من وجوه : الأوّل أنّه محتمل غير منصوص ، إذ لا نسلِّم أنّه حال من طلل ، لجواز كونه حالاً من ضمير الظرف ، فلا يكون ذو الحال نكرة . الثانى : أنّه لو تأخّر عن ذى الحال لا يلتبسُ بالصفة ، لأنّ ذا الحال مرفوعٌ والحالَ منصوب . الثالث : أنّه لا يجوز أن يكون حالاً من طلل ، لأنّه مبتدأ ، والحال لا تكون إلاّ من الفاعل أو المفعول أو ما فى قوّتهما اه . وفى كلّ من الأخيرين نظر ظاهر .

وقد تكلّم السخاوى على هذا البيت فى سِفر السعادة[٢] بما يشبه كلام الشارح ، إلاّ أنّ فيه زيادةً تتعلّق بمذهب الأخفش . وهذا ملخّصه : قال النُّحاة : انتصب موحشاً على الحال من طَلَلُ ، والعاملُ الجارّ والمجرور . وهذا كلام فيه نظر ، لأنّ الجارّ والمجرور إمّا أن يقال فيه ما قال سيبويه أو ما قال الأخفش — وبينَ مذهبَ سيبويه وما يرِد عليه من اختلاف العامل فى الحال وذِيها[٣] — ثمّ قال : وإن قُلنا بقول الأخفش فارتفاع طللٌ على أنّه فاعل والرافع له الجارُّ والمجرور ، ولا مِرْية[٤] على قول الأخفش أنّ العامل فى الحال

(١) الآية ٣١ من سورة الأنبياء .

(٢) منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٧٨ مجاميع م) كتبها البغدادى بخطه سنة ١٠٧٤ .

(٣) أى صاحبها . وغيرها الشنقيطى بقلمه إلى « ربها » .

(٤) ش : ولا مزية « صوابه فى ط . والمرية : الشك .

هو العامل فى ذيها(١) . فإذا كان العامل غير متصرِّف لم تتقدَّم الحال عليه ولا على صاحب الحال ؛ ألا ترى أنّه لا يجوز هذا قائماً زيد . ولا قائماً هذا زيد . والذى ينبغى أن يقال : العاملُ فى الحال الجارُّ والمجرور ، وصاحبُ الحال الضميرُ الذى فى الجارّ والمجرور اهـ .

وبعد هذا :

(عفّاه كلُّ أسحَمَ مستَديمُ)

والطلل : ما شخَص من آثار الدار . والموحِش : مِن أوحشَ المنزلُ : إذا ذهب عنه الناس وصار ذا وَحشة ، وهى الخلوة والهمّ ، كذا فى الصحاح . وعفاه بمعنى درَسه وغيَّره . وعفا يأتى متعدِّياً ، يقال عفَت الريح المنزلَ ، ويأتى لازما ، يقال عفا المنزلُ : إذا اندرس وتغيَّر . والأسحم هو الأسوَد ؛ والمراد هنا السَّحاب ، لأنّه إذا كان ذا ماءٍ يُرى أسوَد لامتلائه . والمستديمُ : صفةُ كلّ ، وهو السحاب الممطرِ مَطَرَ الديمة ؛ والدِّيمة : مَطْرةٌ أقلُّها ثلث النهار أو ثلث الليل .

وهذا البيت ، مَن روَى أوّلَه (لعزَّة مُوحِشاً الخ) قال . هو لـكثيِّر عزَّة ، منهم أبو علىّ فى التذكرة القَصْرية . ومَن رواه (لميَّة مُوحِشاً) قال : إنه لذى الرُّمَّة ، فإنّ عزَّة اسمُ محبوبةِ كثيّر ، ومَيَّة اسم محبوبة ذى الرُمَّة . والشاهد المشهور فى هذا المعنى هو :

لميَّة موحِشاً طَلَلُ يَلوحُ كأنّه خِلَلُ

وقد قيل : إنّه لـكثيِّر عَزَّة . والخِلَل بالـكسر : جمع خِلّة ، قال

---

(١) انظر ما سبق فى الحواشى .

الجوهريّ : الخِلّة بالكسر : واحدة خِلَل السيوف ، وهى بطائنُ يغشّى بها أجفانُ السيوفِ منقوشة بالذَّهب وغيره .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد المائة(١) :

١٩٦ (لَئِنْ كانَ بَرْدُ الماءِ ،حرَّانَ صادِياً إلىَّ حبيباً إنّها لَحبيبُ)

على أن الحال تقدّمت على صاحبها المجرور بالحرف : فإنّ قوله : (حرّانَ صادياً) حالانِ ، إمّا مترادفتان أو متداخِلتان ، تقدمّتا على صاحبهما ، وهو الياء المجرورُ بإلَى . وإلى بمعنى عند متعلّقة بقوله حبيباً وهو خبر كانَ .

قال ابن جنِّي فى إعراب الحماسة : « وقد يجوز فى هذا ، عندى ، وجهٌ آخرُ لطيفُ المعنى ، وهو أن يكون حرّانَ صادياً حالاً من الماء ، أى كان برد الماء فى حال حِرّته وصداه حبيباً إلىّ ، وصفَ الماء بذلك مبالغةً فى الوصف وجاء بذلك شاعرُنا فقال :

* وجُبتُ هجيراً يترك الماء صادياً(٢) *

وإذا صَدِىَ فحسبُك به عطشاً ! فإن أمكن هذا ، كان حملُه عليه جائزاً حسناً ورأيت أبا علىّ يستسْهل تقديم حالِ المجرور — فى نحو هذا — عليه ، ويقول : هو قريب من حال المنصوب » اه .

أقول : أراد بشاعره أى بشاعر عصره ، أبا الطيِّب المتنبي . الوجه

---

(١) الشعراء ٦٠٥ والكامل ٣٧٩ والعينى ٣ : ١٥٦ والأشمونى ٢ : ١٧٧ وديوان كثير ٢ : ١٩٢ وديوان عروة بن حزام الورقة ٥

(٢) صدره فى ديوان المتنبى ٢ : ٤٦٨ :

* لقيت المرورى والشناخيب دونه *

الذى أبداه تخيُّلٌ صحيح ، فإنّ الإنسان يحبُّ أن يكون الماء بارداً فى حال كونه حارّاً . ولكنّ الوجهَ الأوّل أحسنُ وأبلغ ، فإنّ الماء الباردَ أحبُّ إلى الإنسان عند عطشه وحرارته من كلّ شىء . وهذا المعنى هو المتداوَل الشائع ، قال المبرّد فى الكامل : هو معنى صحيحٌ ، وقد اعتوره الحكماء وكلهم أجاد فيه .

ومثل بيت الشاهد قولُ عمر بن أبى ربيعة :

قلتُ وَجدى بها كوَجْدِكَ بالما ء إذا ما مُنِعتَ بَردَ الشرابِ !

فإنّ قوله : إذا ما منعتَ برد الشراب ، يفيد ما أفاده قولُه : إلىّ حرّانَ صادياً ، فإنّه يريد عنه وقت الحاجة إليه ، وبذلك صح المعنى . ومثله قول القَطامىّ :

فهُنّ ينبذن مِن قولٍ يُصِبْنَ به مَوَاقعَ الماءِ مِنْ ذى الغُلّة الصادى

ينبذن : يرمين به ويتكلّمن . والغُلّة ، بالضم : حرارة العطش .

ويروى عن علىّ رضى الله عنه ، أنّ سائلا سأله فقال : كيف كان حبُّكم لرسول الله ﷺ ؟ فقال : كان واللهِ أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا ، وآبائنا وأمهاتنا ، ومن الماء الباردِ على الظمأ ! !

والقول فيه كثير . وتعليقُ كونِها حبيبةً إليه على كون الماء حبيباً إليه فى تلك الحالة ، من باب التعليق على المحقّق . وقد تعسَّف بعضُهم فى جعل البرْد مصدراً ناصباً لحرّانَ وصادياً على المفعوليّة بتقدير الموصوف — أى جوفاً حرّانَ — وأنّ المرادَ جوفُ نفسه . وذلك هرباً من وقوع الحال فى مثل هذه

الصورة . حتّى إنّ بعضَهم مع عدم التأويل يقول : لا حجّة فيه ، لأنّ الشعر محلُّ الضرورة .

وقوله : (لئن كان) اللامُ هي اللام المؤذِنة ، وهي الداخلة على أداة شرطٍ ، للإيذان بأنّ الجوابَ بعدها مبنيٌّ على قَسمٍ قبلَها ، لا على الشرط . وتسمّى الموطِّئة أيضاً ، لأنّها وطّأت الجوابَ للقسم أي مهّدته له ، سواء كان القسمُ غيرَ مذكور كقوله تعالى : (لَئِنْ أُخرِجُوا لا يَخْرُجُونَ[1]) أم كان مذكوراً قبلها ، كما هنا ، فإنّ قبلَ هذا البيتِ قولَه :

٥٣٤

(حلَفتُ بربٍّ الراكِعِينَ لربِّهِمْ خُشُوعاً ، وفوقَ الراكِعِين رَقيبُ)

فجملة إنّها لحبيب ، جوابُ القسمِ المذكور وهو حلَفت . وقد أخطأ من قال : إنّ هذه الجملةَ جوابُ الشرط . مع أنّ هذا القائل نقل ضابطةَ اللام الموطِّئة عن مغني اللبيب . وضمير إنّها لعَفْراء بنتِ عمِّ عُرْوَةَ بنِ حِزَام . والبيتان له من قصيدة أوّلُها :

(وإنّي لَتعرُوني لذِكراكِ رَوعةٌ لَها بَيْن جِلدي والعِظَام دَبيبُ
وما هُو إلاّ أنْ أراها فُجاءةً فأُبهتَ حتّى ما أكادُ أُجيبُ
وأُصْرَفُ عَنْ رأيِي الذي كنتُ أرْتَئي وأُنسَى الذي أعددتُ حين تَغيبُ
ويُضمر قلبي عُذرَها ، ويعينها عليَّ ، فمالي في الفؤادِ نصيبُ[2]
وقد علمتْ نفسي مكانَ شفائها قريباً ، وهلْ مالا يُنالُ قريبُ
حلَفتُ بربٍّ الراكعين لربِّهم . . . . البيتين
وقلتُ لعرّافِ اليمامة : داوِني ! فإنّكَ إن أبرأتَني لطبيبُ

(١) الآية ١٢ من سورة الحشر .

(٢) في الديوان والشعراء والأغاني ٢٠ : ١٥٦ : « ويظهر قلبي » ويعينها عليه ، أي يعينها على نفسه . وفي المراجع : « ويعينها عليّ » .

فما بِىَ من سُقمٍ ولا طَيفِ جِنَّةٍ ولـكنّ عمِّى الحميرىّ كذوبُ
عشيَّةَ لا عفراء دانٍ مَزارُها فتُرجَى، ولا عَفراء منكَ قريبُ
فلستُ برائى الشمْسِ إلاّ ذكرتُها ولا البدرِ إلاّ قلتُ سوف تثوبُ
عَشيّةَ لا خَلْفِى مفرٌّ ، ولا الهوى قريبٌ، ولا وَجدى كوجدِ غَريبِ
فوا كبداً أمستْ رُفاتاً كأنّما يُلذِّعها بالـكفّ كفُّ طبيبِ

وفى البيتين الأخيرين إقواء .

عروة ابن حزام

وعُروةُ بن حِزامٍ هو مِن عذْرة ، أحدُ عُشّاق العرب المشهورين بذلك ، إسلامىّ : كان فى مدة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه .

قال أبو عبد الله محمّد بن العباس اليزيدىّ — فى روايته ديوانَ عُروة بن حِزام عن أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب عن لقيطِ بن بُـكَير المحاربىّ[(١)] — قال : كان من حديث عُروة بن حزام وابنة عمّه عَفراء ابنة مالك ، العذريَّين ، أنّهما نشئا جميعاً ، فتعلَّقها علَاقَةَ الصِّبَىٰ ؛ وكان قديماً فى حجر عمّه ، وبلَغَ فـكان يسأله أن يزوّجه إياها ، فيسوِّفُه ؛ حتّي خرج فى عِيرٍ لأهله إلى الشام ، فقدم علىٰ أبى عفراء ابنُ عمٍ لهـا من أهل البلقاء ، وكان حاجًّا ، فخطبها ، فزوّجه إيّاها ، فحملها . وأقبل عُروة فى عِيره ، حتى إذا كان بتَبوكَ نظر إلى رُفقةٍ مُقْبلة من قِبَل المدينة ، فيها امرأةٌ على جمل ، فقال لأصحابه : والله لـكأنّها شمائلُ عَفراء ! فقالوا : ويحكَ ، ماتزال تذكُر عفراء ، ماتُخلُّ بذكرها فى حالٍ من الأحوال ! فلم يُرَعْ إلاّ بمعرفتها ؛ فوقَف متحيِّراً لا يردُّ جواباً . حتّي إذا فقدَها قال :

---

(١) ط : « بن بكر المجادى » ش : « بن بكر المجارى » ، صوابه ما أثبت. ولقيط بن بكير ترجم له فى الفهرست ١٣٨ ومعجم الأدباء ١٧ : ٣٦ كان عالما صدوقا من رواة الـكوفة توفى سنة ١٩٠ فى خلافة الرشيد .

وإنى لتعرونى لذكراكِ روعةَ . . . . الأبيات المتقدّمة

ثم أخذه مرض السِّلّ حتّى لم يُبقِ منه شيئاً . فقال قوم : هو مسحور ؛ وقال قوم : به جِنّة . وكان باليمامة طبيبٌ يقال له « سالم » فصار إليه ومعه أهله ؛ فجعل يَسقيه الدواء فلا ينفعه ؛ فخرجوا به إلى طبيبٍ بحُجْر ، فلم ينتفع بعلاجه ، فقال :

٥٣٥ جَعلتُ لعرّافِ اليمامةِ حُكْمَهُ وعرّافِ حَجْرٍ ، إنْ هما شَفَيانى

فما تَرَكا مِن حيلةٍ يَعلمانِها ولا سَلوة ، إلاّ بها سَقَيانى

فقالا : شفاكَ اللهُ ! واللهِ ما لنا بما حُمِّلت منك الضلوعُ يَدانِ

قال النُعمان بن بَشير : بعثَني معاويةُ مصدِّقاً على بنى عُذرة ، فصدّقتهم ثم أقبلتُ راجعاً ، فإذا أنا ببيتٍ مُفردٍ[1] ليس قُربَه أحد ، وإذا رجلٌ بفِنائه لم يَبق منه إلاّ عَظمٌ وجلِد ، فلمّا سمع وَجْسى ترنّم بقوله :

وعينانِ : ما أوفيتُ نَشْزاً فتَنظُرا بمأْقَيهما إلاّ هُما تِكفانِ

كأنّ قَطاةً عُلِّقت بجَناحها على كَبِدى ، من شدّة الخفقان

قال : وإذا أَخَواتُه[2] حولَه أمثالَ الدُمَى فنظَر فى وجوههنّ ، ثمّ قال :

مَن كانَ من أخَواتى باكياً أبداً فاليومَ ! إنّى أُرانى اليومَ مقبُوضا

يُسمِعْنَنيهِ ، فإنّى غيرُ سامِعِهِ إذا عَلوتُ رقابَ الناسِ مَعْرُوضا

---

(١) فى الشعر والشعراء ٦٠٨ حيث نقل منه البغدادى : « ببيت حريد » وهو الفريد الوحيد المنعزل .

(٢) فى النسختين : « إخوته » ، وإنما هن أخواته الإناث . وفى الديوان : « وإذا والله أمثال الدمى حوله : أخواته وأمه وخالته » ، وفى الشعراء : « وإذا أمثال التماثيل حوله : « أخواته وأمه وخالته » .

قال : فبرزْن ، والله ، يَضربْن وجوهَهُنّ ، ويَنتِفْن شعورَهنّ . فلم أبرحْ حتّى قَضى . فهيّأت من أمره ودفنته . كذا قال ابنُ قتيبةَ فى كتاب الشعراء .

وحكى هذه الروايةَ راوى شعرِه ، عن عُروة بن الزبير ، ثم قال : ومرّ ركبٌ بوادى القُرى ، فسألوا عن الميّت ، فقيل : عروة بن حزام — وكانوا يَرِدُون البَلقاء — فقال بعضُهم لبعضٍ : والله لنأتينّ عَفراء بما يسوءها . فساروا حتّى مرُّوا بمنزلها ، وكان ليلاً ، فصاح صائحٌ منهم — وهى تسمع — فقال :

ألا أيُّها البيتُ المغفَّل أهلُه إليكم نَعينا عُروةَ بنَ حزامِ

ففهمتْ عفراء الصوتَ ونادتْ بهم :

ألا أيُّها الركبُ المَخِبُّون،ويحكمْ ! أحقًّا نعيتُم عُروةَ بنَ حِزامِ [1]

فقال بعضهم :

نعمْ ، قد دفنّاهُ بأرض نَطِيّةٍ مقيماً بها فى سَبْسَب وإكامِ [2]

فأجابته وقالت :

فإن كانَ حقًّا ما تقولونَ فاعلموا بأنْ قد نَعيتُم بدرَ كلِّ تمامِ [3]

نَعيتم فتًى يُسقَى الغَمامُ بوجهه إذا هى أمستْ غيرَ ذاتِ غَمامِ

فلا نفَع الفِتيانَ بعدَكَ لذةٌ ولا ما لقُوا من صِحّة وسلامِ

---

(١) المخبون : المسرعون ، من الخبب . ط : « المجنون » صوابه فى ش والديوان والأغانى ٢٠ : ١٥٥

(٢) النطية : البعيدة : وفى النسختين : « بطيئة » ولا وجه له ، والصواب من ديوان عروة الورقة ٧ . ويروى أيضاً « بعيدة » كما فى شرح الديوان .

(٣) فى الديوان : « كل ظلام » .

وبِنْتَ الحَبالَى لا يُرجِّين غائباً ولا فَرِحاتٍ بعدَهُ بغُلامِ

ثم أقبلتْ على زوجها فقالت له : إنّه قد بلغنى من أمر ذلك الرجل ما قد بلغك ، والله ما كان إلا علَى الحسَنِ الجميل ، وقد بلغنى أنه مات ، فإنْ رأيتَ أن تأذنَ لى فأخرجَ إلى قبره ! فأذِنَ لها ، فخرجتْ فى نسوةٍ من قومه تندبه وتبكى عليه ، حتّى ماتت .

قال : وبلغنى أنّ معاوية بن أبى سفيانَ قال : لو علمتُ بهما لجمعتُ بينهما .

(تنبيه)

٥٣٦ نسب المبرّد فى الكامل بيتَ الشاهد إلى قيس بن ذَريح ، وذكر ما قبله كذا :

حَلفتُ لها بالمشْعَرَينِ وزمزمٍ ، وذُوالعرشِ فوقَ المُقسِمِينَ رقيبُ
لئن كان بردُ الماء حرّان صاديا . . . . البيت

ونسبه العَينيّ إلى كثيِّر عزّة ، وقال : هو من قصيدة أوّلها :

أَبَى القلبُ إلاّ أمَّ عمرٍو وبُغّضتْ إلىَّ نساء ما لهنَّ ذنوبُ
حلفتُ لها بالمأزمينِ وزمزَمٍ وَللهُ فوقَ الحالِفين رقيب
لئن كان بَرْدُ الماء حَرّانَ صادياً . . . . البيت

والصحيح ما قدّمناه . والبيتان من شعر غيره دَخيل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد المائة[1] :

---

(١) انظر الحماسة ١١٤٨ بشرح المرزوقى وعيون الأخبار ١ : ٢٤٧ والأشمونى ٢ : ١٧٨ .

١٩٧ (إذا المرء أعيَتْهُ المُروءةُ ناشئاً فمطْلَبُها كَهْلاً عليهِ شَدِيدُ)

لِما تقدّم قبله .

قال ابن جنّي فى إعراب الحماسة : كهلاً حالٌ من الهاء فى عليهِ ، تقديره : فطلبها عليه كهلاً شديد . ثم قال : فإن قلتَ : فهلاّ جعلتَ كهلاً حالاً من الضمير فى المطْلَب ؟ قيل : للمصدر الخبر لا يضمرُ فيه الفاعل ، بل يحذف معه حذفاً . انتهى

وهذا البيت أحد أبياتٍ أربعة مذكورة فى الحماسة ، وهى :

(متَى ما يرى الناسُ الغنيَّ ، وجارُه فقيرٌ ، يقولوا : عاجزٌ وجليدُ
وليس الغِنى والفقرُ مِنْ حيلة الفتى ولكنْ أحاظٍ قُسِّمتْ وجُدودُ
إذا المرء أعيتْه المروءةُ ناشئاً . . . . البيت
وكائنْ رأينا مِن غَنيٍّ مذمَّمٍ وصُعلوكِ قومٍ ماتَ وهو حَميدُ)

جملة وجاره فقير : من المبتدإ والخبر ، حالٌ من الغنىّ . ويقولوا جواب الشرط . وقوله : عاجز وجليد ، خبرمبتدإ محذوف ، أى هذان عاجز وجليد ؛ والجملة مقُول القَول : والجليد : من الجَلادة وهى الصَّلابة ، أرادالقوّة على السعى وتحصيل المال . وقوله : ولكنْ أحاظٍ ، قال الأعلم : جمع حَظّ على غير قياس ، ويقال : هو جمع أحْظٍ ، وأحْظٍ جمع حَظّ وأصلُه أحْظُظ فأبدل من إحدى الظاءين ياء كراهةَ التضعيف . ويجوز عندى أن يكون أحظٍ جمعَ حظوة ، وهى بمعنى الحظّ ، وفعلها حظِيت أحظَى ؛ فلا شذوذ . انتهى . والحظّ : النصيب . والجُدود : جمع جَدّ بفتح الجيم وهو البَخْت . أى أنَّ الغنى والفقر مماّ قدَّره الله ، فهى حُظوظ وجُدود خلقوا لها على ما علِم اللهُ من مصالح عباده .

وقوله : (أعيتْه) أى أتعبته ؛ متعدّى عِيى بالأمر إذا عجز عنه ،

من باب تعب و (المروءة) : آدابٌ نَفسانيّة تحمل مراعاتُها الإنسانَ على الوقوف عند محاسن الأخلاقِ وجميلِ العادات . يقال : مَرُؤ الإنسان ، فهو مَرِئٌ — مثل قرُب فهو قريب — أى ذو مروءة . قال الجوهريّ : وقد تُشَدَّد فيقال مُرُوّة . ورُوِى : (أعيْته السِيادة) . و (ناشئاً) مهموزُ اللام ، فى الصحاح : الناشىء : الحدث الذى جاوز حدَّ الصغر ، والجارية ناشِىء أيضاً . وهو حالٌ من مفعول أعيْته . و (المطْلَب) مصدرٌ بمعنى الطلب . و (الكهل) : الرجل الذى جاوز الثلاثين ووَخطَه الشَّيبُ ، وقيل : مَن بلغَ الأربعين ؛ والمرأة كهلة .

وكائنْ بمعنى كم للتكثير ، ومذمّ أى غير محمود كثيراً ، والتشديد للمبالغة من الذمّ وهو خلاف المدح والصعلوك ، بالضم : الفقير . أى كم مِن غنيٍّ ساعدَتْه الدُّنيا ثم أصبح مذموماً لبخله ودَناءته ، وكم من فقير تجمّل وأنفق مانال فحمِدَه الناس .

صاحب الشاهد

وهذه الأبيات لرجلٍ من بنى قُريع (بالتصغير) وهو قُريع بن عَوْف ابن كعب بن زيدِ مناةَ بن تميم[١] ؛ كذا فى حماسة أبى تمام وحماسةِ الأعلم . وعيّنه ابنُ جنِّى فى إعراب الحماسة فقال : هو المُعلوط بن بدل القُريعى[٢] . وفى حاشية صحاح الجوهرى (فى مادة حظ) هى للمُعلُوط السعدىّ ، وتروى لسُويد بن خَذّاق العبْدى[٣] وكذا قال ابن برّى فى أماليه على الصحاح والله أعلم .

---

(١) كذا فى النسختين . والصواب « بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم » كما فى جمهرة ابن حزم ٢١٩ — ٢٢٠ والاشتقاق ٢٣٩ ، ٢٥٤ .

(٢) هو قريعى ثم سعدى ، وإن كان صنيع البغدادى يوهم أنهما شخصان ، فهم بنو قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . انظر جمهرة ابن حزم والاشتقاق .

(٣) من قولهم خذق الطائر وخزق ، إذا رمى بذرقه . وفى النسختين : « حذاق » صوابه بالخاء المعجمة كما فى الاشتقاق ٣٣١

و (المعلوط) اسم مفعول من علَطه بسهْمٍ علْطاً : إذا أصابه به. وهو بالعين والطاء المهملتين .

ثم رأيتُ فى كتاب العباب ، فى شرحِ أبيات الآداب تأليف حسَن ابن صالح العدَوىّ اليمنيّ ، قال : البيتُ الشاهد للمخبَّل السَّعْدىّ ، من أبيات مشهورة متداوَلةٍ فى أفواه الناس ، أوَّلها :

(ألا يا لقَومى لِلرُّسوم تَبيدُ ... وعهدُك ممَّنْ حَبلُهنَّ جَديدُ)[1]

وللدار بَعْدَ الحىِّ يُبكيكَ رسْمُها ... وما الدارُ إلاَّ دِمنةٌ وصَعيدُ

لقد زادَ نفسى بابن وَرْدٍ كرامةً ... علىَّ رجالٌ فى الرجال عَبيدُ

يَسُوقُونَ أموالاً وما سَعِدُوا بها ... وهمْ عند مَثْناةِ القيامِ قُعودُ

ولا سَوَّد المالُ اللئيمَ ولا دنا ... لِذاكَ ولكنَّ الكريمَ يسودُ

وكائنْ رأينا من غنيٍّ مذمَّمٍ ... وصُعلوكِ قومٍ ماتَ وهو حَميد

وليس الغِنى والفقرُ من حِيلة الفتى ... ولكنْ أحاظٍ قسِّمتْ وجُدودُ

وما يكسب المالَ الفتى بجلاده ... لديه ، ولكنْ خائبٌ وسَعيدُ

إذا المرء أعيتْه المروءة ناشئاً ... . البيت

وترجمة المخبَّل السعدىّ تأتى فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد الأربعمائة .

* * *

وأنشد بعده :

(فما بالُنا أمسِ أُسْدَ العرينِ ... وما بالُنا اليومَ شاء النَجَفْ)

(١) ط : « حلهن » صوابه فى ش .

وتقدم شرحه قريباً[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد المائة :

١٩٨ (بدَتْ قمراً ومالَتْ خُوطَ بانٍ وفاحتْ عَنْبراً ورَنَتْ غزالا[2])

٥٣٨ على أنّ قمراً وما بعده ، من المنصوبات أحوالاً مؤوّلة بالمشتقّ ؛ أى بَدَتْ مضيئةً كالقمر ، ومالت متثنّية كخُوطِ بانٍ ، وفاحت طيّبةَ النَشْرِ كالعنبر ، ورنَتْ مليحةَ المنظرِ كالغزال .

قال الواحدىّ : هذه أسماء وضِعت موضعَ الحال . والمعنى : بدَت مشْبهة قمراً فى حسنها ، ومالت مشْبهة غصنَ بانٍ فى تثنّيها ، وفاحتْ مشْبهة عنبراً فى طيب رائحتها ، ورنَتْ مشْبهةً غزالاً فى سواد مُقْلتها . وهذا يسمّى التدبيج فى الشعر ، ومثله :

لاحتْ هلالاً ، وفاحت عنبراً وشذَتْ
مِسكاً ، وماستْ قضيباً ، وانثنتْ غصُنا

ومثله :

سفَرنَ بُدُوراً ، وانتَقبْنَ أهِلّةً ، ومِسْنَ غصوناً ، والتفَتْن جآذِرا[3]

انتهى . فقوله : (بدَت) يقال بدا يبدُو وبدُوًّا . أى ظهَر ظهوراً بيِّناً .
و (الخُوط) بضمّ الخاء المعجمة : الغصن الناعم لِسَنَة[4] . وقيل : كلّ قضيب .

(١) انظر ماسبق فى هذا الجزء ص ٢٠١
(٢) ديوان المتنبى ٢ : ١٦٢ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٧٤ .
(٣) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٧٤ .
(٤) جعلها الشنقيطى : « نبته » .

و (فاحتْ) . من فاح المسك فَوحاً وفَيْحاً : انتشرت رائحتُه خاصٌ في الطِيب . و (رَنا) : من الرنوّ كدُنُوّ ، وهو إدامة النظَر بسكون الطرْف كالرَنا ، ولهوٌ مع شغْلِ قلبٍ وبصرٍ وغلبةِ هوى ؛ والرَّنا : مايُرنى إليه لحسنه . كذا في القاموس . وضمير بدت راجعٌ إلى حبيبته ، في قوله قبلَ هذا :

(بجِسْمِيَ مَنْ بَرَتْهُ ، فلو أصارتْ وِشاحِي ثَقْبَ لؤلؤةٍ لَجالا)

أي أفدي بجسْمي الحبيبةَ التي نَحَلَتْه وبَرَته ، حتى لو جعلتْ قِلادتي ثَقْبَ دُرَّةٍ لجالَ جسمي فيه ، لدقَّته .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدةٍ لأبي الطيِّب المتنبِّي ، مَدح بها بدرَ بن عمَّار بن إسماعيلَ الأسديَّ .

وترجمة المتنبيِّ تقدَّمتْ في البيت الحادي والأربعين بعد المائة[1].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد المائة :

١٩٩ (كدأبِكَ مِنْ أمِّ الحُويرِثِ قَبْلَهَا وجارَتِها أمِّ الرَبابِ بمأسَلِ)[2]

على أنّ الدأبَ يعبَّر به عن كل حدثٍ لازمٍ : كالحسْن والجمال . أوغير لازم : كالضرب والقتل ؛ ولهذا يتعلّق به الجارُّ والمجرور ، والظرفُ ، والحال .

فقوله : (كدأبك) بمعنى كتمتُّعِك . فكَنَي ولم يصرِّح .

أقول : جعْل الدأبِ هنا كنايةً عن التمتّع لاوجْهَ له ، كما يعلم قريبا .

---

(١) الخزانة ٢ : ص ٣٤٧

(٢) من معلقة امرىء القيس . وانظر المنصف لابن جني ١ : ١٥٠ .

وهذا البيت من معلّقة امرىء القيس المشهورةِ ومطلعها :

(قِفانَبكِ مِن ذِكرَى حَبيبٍ ومَنزلِ بسِقْطِ اللوى بين الدَّخول فَحوملِ
فتوضِح فالمقراةِ ، لم يعفُ رسْمُها لِما نسَجَتْها من جَنوب وشَمْأل
وقوفاً بها صَحبي علَيّ مطيَّهمْ يقولونَ : لاتهلكْ أسًى ، وتجمَّلِ
وإنّ شِفائى عَبْرةٌ مُهراقةٌ فهل عندَ رسم دارسٍ من مُعَوَّلِ
كدأبِكَ من أمِّ الحويرثِ قبلَها وجارتِها أمِّ الرَّباب بمأسلِ)

والبيتان الأوّلان يأتى شرحهما ، إن شاء الله عزّ وجلّ ، فى أواخر الكتاب ، فى الفاء العاطفة[1] .

وقوفاً بها صحبي الخ ، متعلِّق بقوله : قفانبك ، فكأنَّه قال : قِفا وقوفَ صحبي بها على مطيِّهم ، أو قفا حالَ وقوفِ صحبي . وقوله بها متأخر فى المعنى[2] ، يريد قفانبك فى حالِ وقْف أصحابى مطيَّهم علىّ . وقوله : وإنّ شفائى عَبرةٌ الخ ، العَبْرة : الدمعْة . والمهرَاقة : المصبوبة ؛ وأصلها مُرَاقة من الإراقة ؛ والهاء زائدة . ومعوَّل : موضع عَويل أى بكاء ، أو بمعنى موضع ينال فيه حاجة : يقال عوّلت على فلان أى اعتمدت عليه .

قال الباقِلاّنىّ (فى معجز القرآن[3]) عند الكلام على معايب هذه القصيدة : هذا البيت مختلٌ من جِهةِ أنّه جعلَ الدمعَ فى اعتقاده شافياً كافياً ، فما حاجتُه بعد ذلك إلى طلب حيلة أخرى عند الرسوم ! ولو أراد أن يحسن

٥٣٩

(١) انظر الشاهد الحادى والخمسين بعد الثلثمائة .

(٢) انظر لهذه العبارة وما قبلها إعجاز القرآن ٢٤٧ .

(٣) اسمه المعروف إعجاز القرآن . انظر منه ص ٢٤٧ .

الكلامُ لوجَب أن يدلّ(١) على أنّ الدمع لايَشفيه لشدَّة مابه من الحزن ، ثم يسائل هل عند الرَبْع من حيلةٍ أخرى(٢) وفى هذا مع قوله سابقاً لم يعف رسمها تناقضَ الكلامان وليس فى هذا اقتصار(٣) ؛ لأن معنى عفا ودرس واحد فإذا قال « لم يعف رسمها » ثم قال « قد عفا » فهو تناقض لا محالة ، واعتذار أبى عبيدة أقرب لوصحّ ، ولكن لم يردْ هذا القول موردَ الاستدراك على ما قاله زهير ، فهو إلى الخلل أقرب . انتهى .

وقوله : كدأبك من أمِّ الخ ، قال أبو جعفر النحّاس فى شرحه ، وتبعه الخطيب التبريزىّ : الكاف تتعلّق بقوله قفا نبك ، كأنّه قال : قفا نبك كدأبك فى البكاء ، فهى فى موضع مصدر . والمعنى بكاء مثلَ عادتك . ويجوز أن تتعلق بقوله : وإنّ شفائى عبرة ، والتقدير : كعادتك فى أن تُشفَى من أمِّ الحويرث . والباء فى قوله : بمأسَل ، متعلِّقة بدأبك ؛ كأنّه قال : كعادتك بمأسَل . وهو جبل . وزاد الخطيب : « وأمُّ الحويرث هى هِرّ(٤) أمّ الحارث ابن حصين بن ضَمْضَمْ الكلبىّ ، وأم الرَّباب من كلْب أيضاً . يقول : لقيتَ

(١) وكذا فى إعجاز القرآن ، وإن كان فى بعض أصوله هناك « يدخل » .

(٢ — ٣) مابين هذين الرقمين هنا على جانب من التحريف لايستطاع معالجته ، وأنقل هنا ما يقابله من إعجاز القرآن « ٢٤٥ — ٢٤٦ » : ثم فى هذه الكلمة خلل آخر ، لأنه عقّب البيت بأن قال :

* فهل عند رسم دارس من معول *

فذكر أبو عبيدة أنه رجع فأكذب نفسه ، كما قال زهير :

قف بالديار التى لم يعفها القدم نعم وغيرها الأرواح والديم

وقال غيره : أراد بالبيت الأول أنه لم ينطمس أثره كله ، وبالثانى أنه ذهب بعضه ، حتى لا يتناقض الكلامان . وليس فى هذا انتصار » .

ثم إن الرواية الصحيحة فى بيت زهير هى : « بلى وغيرها » . انظر ديوان زهير ١٤٥ ومعاهد التنصيص ١ : ٢٢٧ وأمالى المرتضى ٢ : ١٩٤ وشرح القصائد السبع ٢٦ وسمط اللآلى ٩٤٤ .

(٤) فى النسختين : « هرة » ، وأصلحها الشنقيطى فأزال التاء بقلمه ، كما شرح التبريزى للمعلقات ، وشرح القصائد السبع الطوال ٢٩ وسمط اللآلى .

مِن وقوفك على هذه الديارِ وتَذَكُّرِك أهلَها كما لقيتَ من أمِّ الحويرث وجارتها . وقيل : المعنى : كأنك أصابك من التعب والنَّصَب من هذه المرأةِ كما أصابكَ من هاتين المرأتين » انتهى .

وقال أبو عُبيد البكريّ فى شرح أمالى القالى(١) : أم الحويرث التى كان يشبِّب بها فى أشعاره ، هى أخت الحارث [حُصَين(٢)] بن ضَمضَم ، من كلب ، وهى امرأة حُجْرٍ أبى امرئ القيس ، فلذلك كان أبوه طرده ونفاه وهَمّ بقتله انتهى . وهذا هو الصواب .

وقال الزوزنىّ : يقول عادتك فى حبٍّ هذه كعادتك فى تَينِك ، أى قلة حظِّك من وصال هذه كمعاناتك الوجدَ بهما . وقوله . قبلها ، أى قبلَ هذه التى شغِفتَ بها الآن . والدأْب : العادة ، وأصلهما(٣) متابَعة العمل والجِدّ فى السعى انتهى كلامه .

فجعَل الزوزنىّ قولَه كدأبك خبرَ مبتدإٍ محذوف . وهذا أقرب من الأوّلَين . فعُلِم مما ذكرنا أنّ الدأب كنايةٌ إمّا عن البكاء ، وإمّا عن المعاناة والمشقّة . والتَّمتعُ لا مساس له ها هنا ، فتأمل .

وترجمة امرئ القيس تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين(٤) .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الموفى المائتين(٥) :

(١) سمط اللآلىء ٩٤٤ .
(٢) التكملة من سمط اللآلىء .
(٣) عند الزوزنى : « أصلها » بإفراد الضمير .
(٤) الخزانة ١ : ص ٣٢٩
(٥) معلقة عنترة . وانظر الخصائص ٢ : ٢١٦ والعينى ٢ : ٤١٤ والهمع ١ : ١٥٢ والتصريح ١ : ٢٦٠ .

٢٠٠ (ولَقَد نَزلتِ ـ فلا تَظُنّي غيرَه ـ
مِنّي بمنزلَة المحَبّ المكْرَم)

على أنّ معناه نزلتِ قريبةً منّي قربَ المحَبِّ المكْرم . وإنّما عُدّى بمن ، لكون معنى بمنزلة فلان : قريباً قُربَه أو بعيداً بُعْدَه .

وهذا البيت من معلّقة عنترةَ العبسىّ . قال أبو جعفر النحاس فى شرحه ، — وتبعه الخطيب التبريزىّ — الباء فى قوله : (بمنزلة) متعلِّقة بمصدر محذوف ، لأنّه لمـّا قال : (نزَلتِ) دلَّ على النزول . وقوله : بمنزلة ، فى موضع نصب ، أى ولقد نزلتِ منّي منزلةً مثلَ منزلة المحَبِّ . وقال الزوزنىّ : يقول : ولقد نزلتِ من قلبي منزلةَ من يُحَبُّ ويكْرَم .

٥٤٠

والتاء فى (نزلتِ) مكسورة ، لأنّه خطابٌ مع محبوبته عَبْلة ، المذكورة فى بيت قبلَ هذا[(١)] وقوله : (فلا تظنّي غيره) ، مفعول ظنّ الثانى محذوفٌ اختصاراً لا اقتصاراً ، أى فلا تظنّي غيره ، واقعاً أو حقّا ، أى غيرَ نزولكِ منّي منزلة المحَبِّ . وبه استشهد شُرّاح الألفيَّة وغيرُهم بهذا البيت . و (المحَبّ) : اسم مفعولٍ جاء على أحبَّ وأحببت وهو على الأصل ، والكثيرُ فى كلام العرب محبوب[(٢)] . قال الكسائىُّ : محبوب من حَببت ، وكأنّها لغة قد ماتت . أى تُركت . وقال الأصمعىّ : تَحبّ بفتح التاء ، ولا أعرفه فى غير التاء ، ولا أعرف حببت . وحكى أبو زيد أنّه يقال حَببت أحِبّ وأنت تَحِبّ ونحن نَحِبّ . و (والمكْرَم) : اسم مفعول أيضاً ، والواو

(١) القبنية هنا مطلقة ، وإلا فان « عبلة » قد ذكرت قبله بثلاثة أبيات فى قوله :

وتحل عبلة بالجواء وأهلنا بالحزن فالصمان فالمتثلم

(٢) أى أن الأكثر فى اسم المفعول مجيئه من الثلاثى « محبوب » ، كما أن الأكثر فى اسم الفاعل مجيئه من المزيد « محِب » .

فى (ولقد) عاطفةٌ . وجملة (لقد نزلت) الخ جوابُ قَسَم محذوف، أى ووالله لقد نزلتِ ، كقوله تعالى : « ولَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَه(١) » . وقوله : « فلا تظنِّي غيره » جملة معترضة بين المجرور ومتعلَّقِه ، فإنّ منّي متعلّق بنَزَلتِ . ولقد خبَط هنا خبْطاً فاحشاً شارحُ شواهدِ الألفيَّة ، فى قوله : الواوُ للقسمِ وجوابُ القسم قولُه : فلا تُظنِّي غيره ، ثم قال : قوله فلا تظنِّي نهىٌ معترِضٌ بين الجارِّ والمجرور ومتعلقه ، والباء فى بمنزلة بمعنى فى ، أى نزلت منِّي فى منزلة الشىء المحبوب المكْرَم . هذا كلامه ؛ ولا يقع فى مثله أصاغرُ الطَّلَبة .

وترجمة عنترة تقدمت فى الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب(٢)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد المائتين :

٢٠١ (خرَجتُ مَعَ البازِى علىَّ سوادُ(٣))

هذا عجز ، وَصدره :

(إذا أنكرتْني بلدةٌ أو نكِرْتُها)

على أن الجملة الاسميّةَ الحاليّة إذا لم يكن مبتدؤها ضميرَ صاحبِ الحال ، فإنْ كان الضمير فيما صدّر به الجملة فلا يُحكم بضعفه مجرّداً عن الواو ، كجملة علىَّ سواد ، فإنّها حال من التاء فى خرجتُ .

فى المصباح : « أنكرته إنكاراً : خلافُ عرَفته ؛ ونكِرته مثل تعبت كذلك ، غير أنّه لا يتصرّف » . أى إذا لم يعرِف قدرى أهلُ بلدةٍ

(١) الآية ١٥٢ من آل عمران .
(٢) الخزانة ١ : ص ١٢٨
(٣) ديوان بشار ٣ : ٤٩ والأغانى ٣ : ٤٩ ومعاهد التنصيص ١ : ٩٧ .

أو لم أعرِفْهم خرجتُ منهم مبتَكراً مصاحباً للبازى ، الذى هو أبكَر الطُّيور ، فى حال اشتمالى على شىء من سواد الليل . و (البازى) على وزن القاضى ، فى الأصل : صفةٌ من بَزَا يبزُو : إذا غلَب. ويُعرَب إعرابَ المنقوص. والجمع بُزاة .

وهذا البيتُ من أبياتٍ لبشّارِ بن بُرْد ، مدَح بها خالداً البرمكى ، وكان قد وفد عليه وهو بفارس ، فأنشدَه :

(أخالدُ ، لَم أهبط إليكَ بذِمّةٍ سِوى أنّني عافٍ وأنتَ جوادُ [1]

أخالدُ ، إنّ الأجرَ والحمدَ حاجتى فأيُّهما تأتى فأنتَ عِمادُ

فإن تُعطِني أُفرِغْ عليكَ مدائحى وإنْ تأْبَ لم تُضْربْ علىَّ سِدادُ [2]

ركابى على حَرْفٍ ، وقلبى مشيَّعٌ ، وما لى بأرضِ الباخلين بِلادُ

إذا أنكرتْني بلدةٌ أو نَكِرْتُها خرجتُ مع البازى، علىَّ سَوادُ [3])

يقال : هبَط من موضع إلى موضع : إذا انتقل إليه ، والهَبوط : الحَدور كرسول فيهما . والذّمة هنا العهد والحرْمة . والعافى : مِن عَفوتَه : إذا أتيته طالباً لمعروفه ، وجمعه العُفاة ، وهم طُلّاب المعروف . وهذا مثلُ قولِ دِعْبلٍ لمّا وفد على عبدِ الله بن طاهر :

٥٤١

جئتُكَ مستشفعاً بلا سَبَبِ إليك ، إلاّ لحرمة الأدَبِ

فاقضِ ذِمامى ، فإنّني رجلٌ غيرُ مِلحّ عليكَ فى الطلبِ

فبعَث إليه عبدُ الله بعشرة آلاف دِرهم ، وبهذين البيتين :

(١) فى الديوان : «لم أخبط إليك بنعمة» وفى الأغانى : «لم أخبط إليك بذمة» .
(٢) وكذا فى الأغانى . وفى الديوان : «لايضرب عليك سداد» .
(٣) فى الديوان : «نهضت» بدل «خرجت» .

أعجلْتَنا فأتاكَ عاجلُ برِّنا ولو انتظرتَ كثيرَهُ لم تقْلِلِ
فخُذِ القليلَ، وكُنْ كأنَّك لم تَسَلْ ونكونُ نحنُ كأنّنا لم نَفْعَلِ

وقد تداول هذين البيتين كثيرٌ من الكرماء ، فيظنّ الناسُ أنّهما لمن تداوَلَهما .

والحَرْف : الناقة القويّة . والمشيَّع ، على وزن المفعول : الشجاع ، كأنّ له شِيعةً ، أى أتْباعا وأنصارا .

روَى الأصبهانىُّ (فى الأغانى) أنّ بشّاراً لمّا أنشَد هذه الأبياتَ دعا خالدٌ بأربعةِ أكياس ، فوضع واحداً عن يمينه ، وآخر عن شِماله ، وآخر بَين يديه ، وآخر من ورائه ، وقال : يا أبا مُعاذ ، هل استقلّ العماد ؟ فلمَس الأكياسَ ثم قال : استقلّ والله أيّها الأمير !

بشار ابن برد

و (بشّار بن برُد) أصله من طُخارِستان[١] من سبْي المهلَّب بن أبى صُفْرة — وهى ناحيةٌ كبيرة مشتملة على بُلدانٍ على نهر جَيْحون مما وراء النهر — وكنيته أبو مُعاذ ، ولقَبه المرعَّث — وهو الذى فى أذنه رِعاث ، وهو جمع رُعْثة ، وهى القِرَطة — لقِّب به لأنّها كانت فى صغَره معلَّقة فى أذنه[٢] . وهو عُقَيلي بالولاء ، نسبةً إلى عُقَيل بن كعب (بالتصغير) وهى قبيلة . وقيل : إنّه ولد على الرِقّ أيضاً وأعتقته امرأةٌ عُقَيليّة . ووُلِدَ أكْمه جاحظَ الحدَقتين قد تغشّاها لحمُ أحمر . وكان ضخماً عظيم الخلْق والوجه مجدَّرا . وهو فى أوّل مرتبة المحدَثين من الشعراء المجيدين . وقد نشأ بالبصرة ، ثمّ قَدِم بغدادَ ومدح المهدىَّ بن المنصور العباسىّ ، ورُمى عنده بالزندقة : رُوى

(١) ضبط فى القاموس وابن خلكان بضم الطاء ، وفى معجم البلدان بفتحها .

(٢) انظر لتلقيبه بالمرعث قولين آخرين فى الأغانى ٣ : ٢٢ عن محمد بن سلام .

أنّه كان يفضِّل النارَ على الأرض ، ويصوِّب رأىَ إبليسَ فى امتناعه من السجود لآدم عليه السلام ، ونُسِب إليه قولُه :

الأرضُ مظلمةٌ ، والنارُ مُشرِقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانت النارُ[(١)]

فأمر المهدىُّ بضربِهِ ، فضُرِب سبعين سوطاً ، فمات من ذلك ، وذلك فى سنةِ ثمانٍ وستِّين ومائة ، وقد نيف على تسعين سنة . ومن شعره :

يا قوم أُذنى لبعْض الحىِّ عاشقةٌ والأذن تعشَق قبلَ العين أحْيانا

قالوا : بمن لا تَرَى تَهْذِى ؟ فقلت لهم : الأذن كالعينِ تُوفى القلبَ ما كانا[(٢)]

ومن هجائه للمهدىّ قولُه :

خليفةٌ يزنى بعمّاتِه يَلعبُ بالدَّبُّوق والصَّوْلجَان

أبدلنا اللهُ به غيرهُ ودسَّ مُوسَى فى حِرِ الخيزُران

وبينَه وبين حمّاد عَجْرَد أهَاجٍ فاحشةٌ ، ومن هجوه فيه :

نِعْمَ الفتَى ، لو كان يعبُدُ ربَّه ويقيمُ وقتَ صَلاتِه ، حمّادُ

وابيضَّ من شُرب المُدامةِ وجهُه وبياضه يومَ الحساب سوادُ[(٣)]

وقُتل حمّادُ عَجْرَد على الزندقة أيضاً فى سنة ستّ وستّين ومائة[(٤)] . ودُفن بشارٌ على حمّاد عَجْرد فى قبر واحدٍ[(٥)] ، فكتب أبو هشامٍ الباهلىُّ على قبرهما :

(١) انظر البيان ١ : ١٦ . وقد رد عليه قوله صفوان الأنصارى فى البيان ١ : ٢٧ .

(٢) ش : «تونى القلب» ، أى تؤنيه وتعطيه .

(٣) لعله تابع صاحب الوفيات فى إيراد هذا البيت بعد سابقه ، والحق أن بينهما ثالثاً ، كما فى الحيوان ٤ : ٤٤٥ والأغانى ٥ : ١٦٢ مع نسبة الشعر فى الأغانى إلى أبى الغول :

هدلت مشافره الدنان فأنفه مثل القدوم يسنها الحداد

(٤) ش : « ست وثمانين ومائة » . وفى الوفيات ١ : ٨٩ : « سنة سبع وقيل ثمان وستين ومائة ، وقد نيف على تسعين سنة » .

(٥) فى الأغانى ٣ : ٩٧ وابن خلكان (فى ترجمة حماد عجرد) أنهما قبران .

قد تبعَ الأعمَى قفَا عَجْرَدٍ فأصبَحا جارَيْنِ فى دارِ
صارَا جميعاً فى يدَى « مالك » فى النارِ . والـكافرُ فى النار
قالتْ جميعُ الأرضِ : لا مرحباً بقُـرب حمّـادٍ وبشّـارِ

وترجمته فى الأغانى طويلة .

وأمّا (خالد) فهو خالد بن بَرمَكَ البرمكيّ[1] . وكان بَرْمَكُ من مجوس بَلخ وكان يخدمُ « النوبَهار[2] » وهو معبَدٌ للمجوس بمدينة بلْخ تُوقَد فيه النيران . وكان برمك عظيمَ المقدار ، وسادَ ابنُه خالدٌ ووَزَر لأبى العباس عبدِ الله السفّاح العبّاسيّ . وهو أوّل مَن وزَر مِن آل برمك . ولم يزل وزيراً إلى أن توفى السفاحُ ، ثمّ وزَر لأخيه أبى جعفرٍ المنصور ، إلى أن توفى فى سنة ثلاث وستّين ومائة . وكانت ولادته فى سنة تسعين من الهجرة .

يحيى البرمكى

و (يحيى البرمَـكىّ) هو أبو جعفر والفضل ، قال المسعوديّ : لم يبلغْ مبلغَ خالدِ بن برمكَ أحد من ولده : فى جوده ، ورأيه ، ورياسته ، وعلْمه ، وجميع خلاله ؛ لا يحيى ، فى رأيه ووفور عقله ؛ ولا الفضل بن يحيى ، فى جوده ونزاهته ؛ ولا جعفر بن يحيى ، فى كتابته وفصاحة لسانه ؛ ولا محمّد بن يحيى ، فى سَرْوه وبُعد همّته ؛ ولا موسى بن يحيى ، فى شجاعته ورياسته .

* * *

(١) لياقوت فى رسم (نوبهار) بحث ممتع فى اشتقاق كلمة « برمك » إذ قال : « كانوا يسمون السادن الأكبر برمك ، لتشبيههم البيت بمكة ، يسمون سادنه ابن مكة فكان كل مَن ولى منهم السدانة برمكا » .

(٢) معناه الربيع الجديد ، ونُو بالضم بمعنى الجديد ط : « النور بها » ش : « النور بهاد » ، صوابهما ما أثبت . وفية يقول الشاعر :

أوحش النوبهار من بعد جعفر ولقد كان بالبرامك يعمر

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثانى بعد المائتين :

٢٠٢ (نَصَفَ النهارُ الماءُ غامِرُهُ)

هذا صدرٌ وعجزه : (ورَفِيقُهُ بالغَيْبِ ما يدرِى[1])

على أن ضمير صاحب الحال إذا كان فى آخر الجملة الحاليّة ، فلا شكّ فى ضعفه وقلّتِه[2] : فإنّ الماء مبتدأ ، وغامِرُه خبرُه ، والجملة حالٌ من ضمير نَصَفَ العائدِ إلى الغائص ، والضمير الذى ربط جملة الحال بصاحبها ، فى آخرها . وهذا على رواية نصبِ (النهار) على أنّه مفعول به — قال صاحب المصباح[3] : نَصَفْتُ الشىء نَصفاً ، من باب قتل : بلغت نِصفَه — وأما على رواية رفعه فالجملة حالٌ منه ؛ ولا رابط ، فتقدَّر الواو . وعليها كلام صاحب المغنى ، قال : وقد تخلو الجملة الحاليّة من الواو والضميرِ ، فيقدَّر الضمير فى نحو : مررت بالبُرِّ قفيزٌ بدرهم ؛ أو الواوُ ، كقوله يَصِف غائصاً لطلب اللؤلؤ انتَصَفَ النهارُ وهو غائصٌ وصاحبُه لا يدرى ما حالُه :

نَصف النهارُ الماءُ غامره . . . البيت . انتهى

فنَصَف على هذا أيضاً من باب قتل ، قال صاحب المصباح[3] : إن بلغ الشئُ نصفَ نفسِه ، ففيه لغات : نصف ينصُف من باب قتل يقتل ، وأنْصف بالألف ، وتنصّف ؛ وانتصف النهار : بلغت الشمسُ وسط السماء ، وهو وقت الزوال » .

---

(١) ابن يعيش ٢ : ٦٥ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٩٠ والهمع ١ : ٢٤٦ وشرح شواهد المغنى ٢٩٧ والأشمونى ٢ : ١٩٢ .

(٢) ط : « فلا شك فى ضعفه وقوته » ، وهو من عجيب التحريف . صوابه فى ش وشرح الرضى للكافية ١ : ١٩٤ .

(٣) ط : « المفتاح » صوابه فى ش . والنص فى المصباح المنير .

وقد أثبت هاتين الروايتين العسكريُّ في كتاب التصحيف[1] ، والسيِّد الجرجانيُّ في شرح المفتاح . أمّا العسكريّ فهذا كلامُه : قال الرياشيّ : « الذى يروى نَصف النهارُ ، بالرفع ، يريد معنى الواو أى انتصف النهارُ والماء غامره وهو تحت الماء ، يعنى الغوّاص ، وشريكه بالغيب ، أى بحيث يغيب عنه ولا يدرى ما حاله ؛ وإنّما يغوص بحبل معَه طرَفُه وطرفُه الآخرُ مع صاحبه . قال الرياشيّ: الحال إذا لم يرجع إلى الأوّل منها شيء فهو قبيح فى العربية . قال : وإذَا صَيَّرتَه ظرفاً فهو جيِّد فى العربية . وقال المازنيّ : الجيِّد نصب[2] النهارَ على الظرف » انتهى . وكونُ النصبِ على الظرف ، تجوّز ؛ والصواب على المفعوليّة .

٥٤٣

وأما السيِّد فقد قال : « النهار منصوب ، من نصفت الشيء : بلغت نصفَه . والمراد طول مُكثه تحتَ الماء . وفى الصحاح برفع النهار ، من نصف الشيءُ : بمعنى انتصف . فالجملة الحاليّة حينئذ خالية عن الضمير أيضا ، فاحتاج إلى أن قدّر الواو محذوفة ، أى والماء غامره أى ساتره » انتهى فعُلم من هذا أنّ مَن قال بوجود الضمير فى هذه الجملة ، جعَل صاحبَ الحال ضمير الغوّاص المستترَ فى نَصَف الناصبِ للنهار . وأن من قال بعدم الضمير ، جعَلَ الجملةَ حالاً من النهار المرفوع بنصف وقدّر الواو للربط ، وأمّا الضمير الموجود فغير رابطٍ ، لأنّه ليس عائداً على صاحب الحال ، وهو النهار ، بل هو عائدٌ على الغوّاص .

والعَجب من كلام ابن الشجريّ فى أماليه ، فإنّه جعل الجملةَ حالاً من النهار المرفوع ، وقال : « الرابط الضمير » وهذا لا يصحّ فإنّ الضمير ليس للنهار .

---

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ٢٨٥ .

(٢) ط : « نصف » صوابه فى ش .

وهذه عبارته : ولو حذفتَ الضمير من جملة الحالِ المبتدإ به وا كتفيت بالواو ، جاز ، نحو : جاء زيد وعمرو حاضر . ولو حَذفتَ الواوَ ا كتفاء بالضمير فقلت : خرج أخوك يده على وجهه ، جاز ، كقوله :

نصف النهار الماء غامره . . . . انتهى

وأعجبُ منه قول ابن السِيد فى شرح شواهد أدب الكاتب ، فى جعله الجملة حالاً ، وصاحبَ الحال غيرَ مذكور فى هذا البيت ، بل هو فى بيتٍ قبلَ هذا بأبيات . وهذا كلامه : « جملة الماء غامرُه حالٌ وكذلك الجملة التى بعدها . وكان ينبغى أن يقول : والماء غامره ، فيأتىَ بواو الحال ؛ ولكنّه ا كتفى بالضمير منها . ولو لم يكن فى الجملتين عائدٌ إلى صاحب الحال لم يجزْ حذف الواو . وأما صاحب هاتين الحالين فليس بمذكور فى البيت ، ولكنه مذكور فى البيت الذى قبله ، وهو :

« كَجُمانة البحْرىّ جاء بها غوّاصُها من لُجّة البحرِ » انتهى

وأغربُ من هذين القولين صنيعُ ابن جنّي فى سرّ الصناعة ، فإنه حكم على هذه الجملة بأنه لا رابط معها . ثم نقض كلامَه بجعْل الضمير رابطاً للحال بصاحبها المحذوف . وهذا ما سطّره : إذا وقعت الجملةُ الاسمية بعد واو الحال كنتَ فى تضمينها ضميرَ صاحبِ الحال وتركِ تضمينها إيّاه مخيراً ؛ فالأوّل نحو جاء زيد وتحته فرس ، والثانى جاء زيد وعمرو يقرأ . فأمّا إذا لم يكن واوٌ فلا بدَّ من الضمير ، نحو أقبل محمّد على رأسه قَلَنْسوة . وإذا فَقدتْ جملةُ الحال هاتين الحالتين ، انقطعتْ ممّا قبلها ، ولم يكن هناك ما يربط الآخر بالأول ؛ وعلى هذا قولُ الشاعر :

نصفَ النهارُ الماءُ غامرُه . . . . البيت

يصف غائصاً غاص فى الماء من أوّل النهار وهذه حالُه . فالماء من غامِرُه ربطت الجملة بما قبلها حتي جرَتْ حالاً على ما فيها ، فكأنّك قلت : انتصف النهارُ على الغائص غامراً له الماء ، كما أنك إذا قلت : جاء زيد ووجهه حسَن ، فكأنك قلت : جاء زيد حسناً وجهه . هذا كلامه فتأمله .

٥٤٤ وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمونٍ، مدحَ بها قيسَ بن مَعْدِ يكرِبَ الكندىَّ . وقد أجاد فى التغزُّل بمحبوبته فى أوَّلها ، إلى أن شبهها بالدُرَّة ، ثم وصَف تلك الدُرَّة كيف استُخْرِجتْ من البحر فقال :

(كجُمانةِ البَحْرىّ جاء بها غوّاصُها من لُجَّةِ البحرِ[1])
صُلبُ الفؤادِ رئيسَ أربعَةٍ متخالِفِى الألوانِ والنَّجْرِ
فتنازَعُوا حتّى إذا اجتمعوا ألقَوا إليه مقالِدَ الأمرِ
وعَلَتْ بهم سجْحاء خادِمةٌ تَهوى بهمْ فى لُجَّةِ البحرِ[2]
حتى إذا ما ساء ظَنُّهُمُ ومضَى بهمْ شهرٌ إلى شهرِ
ألقَى مَراسِيَه بتهلُكةٍ[3] ثُبِتَتْ مَراسِيها فما تجرى
فانصبّ أسقَفُ رأسُهُ لَبِدٌ نُزِعَتْ رباعِيَتاه للصَّبْرِ
أشْفَى يمجُّ الزَيتَ ملتمسٌ ظمآنُ ملتهبٌ من الفَقْرِ
قَتَلَتْ أباه ، فقال : أتْبَعُهُ أو أستفيدَ رَغيبةَ الدَهْرِ
نَصَفَ النهارُ الماء غامِرُه ، وشريكُهُ بالغَيبِ ما يَدْرى

---

(١) قابل الأستاذ الميمنى هذه الأبيات على نسخة رامبور من ديوان الأعشى ، فأثبت مقابلته هنا .

(٢) فى نسخة رامبور من ديوان الأعشى : « سجحاء حارسه » بدون نقط فى الكلمة الأخيرة .

(٣) رامبور : « بمهلكة » :

فأصابَ مُنيتَه ، فجاء بهـا   صَدَفيَّةً كمضيئةِ الجمْرِ
يُعْطَى بها ثمناً ويمنعُها   ويقولُ صاحبُه : ألا تشرى ؟[١]
وترى الصوّارى يسجدُونَ لها   ويضمُّها بيدَيه للتَّجْرِ[٢]
فلتلك[٣] شِبْهُ المالكيَّةِ إذْ   طَلعتْ ببهجتِها من الخِدرِ)

الُجمانة ، بضمّ الجيم : حبَّة تُعمَل من فضّة كالدرّة ، وجمعها جُمَان . أى هى كجُمانة البَحْرىّ . وصُلبُ الفؤادِ ، بالضمّ : أى قوىُّ الفؤاد وشديدُه ، هو صفةٌ لغوّاص . ورئيسَ أربعة بالنصب حال منه ، وقوله : متخالِفِى الألوان : صفة أربعة ، والإضافة لفظيّة . والنُّجْر ، بفتح النون وسكون الجيم : الأصل . أى أنّ هؤلاء الأربعةَ أصلهم مختلف ، وكذلك ألوانُهم مختلفة . والسَّجحاء ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة : [الطويلة[٤]] الظّهر ، وأراد بها السَّفينة . والمَراسى : جمع مِرْساة بالكسر ، وهى آلة تُرسَى بها السفينة . وقوله : فانصبَّ أسقَفُ الخ . أى رمى بنفسه فى البحر وغاصَ لإخراج الدر . والأَسقَف ، بفتح الألف والقاف ، من السَّقَف بفتحتين ، وهو طولٌ فى انحناء . ولَبِدُ ، بكسر الباء أى متلبد . وأشْفَى فعل ماض ، يقال أشفى على الشىء : أى أشرَفَ عليه . ويمجُّ : يقذف مِن فِيه ، كما هو عادة الغائص . وفاعلهما ضمير أسقَف . وملتمسٌ وما بعده من الوصفين نُعوت لأسقف . وقوله : قتلَتْ أباه الخ ، أى أنَّ أباه هلَك فى حُبِّ هذه الدرّة أو فى تحصيلها ، فقال

(١) تشرى هنا بمعنى تبيع كما سيأتى ، وكما فى قول يزيد بن مفرغ :
وشريت بردا ليتنى   من بعد برد كنت هامه
(٢) ط : « للتحر » صوابه من ش والتفسير التالى .
(٣) ط : « فتلك » ، صوابه من ش .
(٤) التكملة من القاموس .

هذا الغائص : أتبع أبى فى الهلاك أو أستفيدَ مالاً كثيراً . والرَّغيبة : العطاء الكثير . وقوله : نصف النهار . . الخ رُوى (ورفيقُه) بدل (وشريكه) . ومُنْيَتَهُ ، هى ما يتمنّاه . وصدفيّة : حالٌ من الضمير المجرور بالباء . ويُعطَى ، بالبناء للمفعول . ويمنعها أى ويمنع الدرّة من البيع . وقوله : ألا تَشرى : أى ألاَ تبيعها . والصَّوارى : جمع صارٍ ، وهو الملاّح والبحْرىّ . وروى (الشَّوارى) بدلَه ، وهو جمع شارٍ بمعنى المشترى . وسجودُهم لها ، لعزّتها ونَفَاستها . والتَّجْر : مصدر تَجَرَ تَجراً وتِجارة من باب نصر .

٥٤٥

ومن أبيات المديح :

(أنتَ الرئيسُ ، إذا هُمُ نزَلوا	وتواجَهوا كالأُسْدِ والنُمرِ
أو فارسُ اليَحْموم يتبعُهُم	كالطَّلْقِ يتْبَعُ ليلةَ البَهْرِ
ولأنتَ أشجعُ مِن أُسامةَ إذ	يَقعُ الصُراخُ ولُجَّ فى الذُّعْرِ[(١)]
ولأنتَ أجودُ بالعطاءِ مِن الرَّ	يَّانِ لما ضُنَّ بالقَطرِ[(٢)]
ولأنْتَ أحيا من مخبَّأةٍ	عذراء تقطُنُ جانِبَ الكِسْرِ
ولأنتَ أبيَنُ ، حين تنطِقِ مِن	لُقمانَ لمّا عىَّ بالأمرِ[(٣)]
لو كنتَ مِن شىءٍ سوى بَشَرٍ	كنتَ المنوِّرَ ليلةَ البَدرِ[(٤)]

فارسُ اليحموم هو ملك العرب النعمانُ بن المنذر . واليحموم : اسم فرسه

(١) رامبور : « دعيت نزال ولج » .
(٢) ط : « فى القطر » صوابه فى ش والديوان .
(٣) ط : « ولأنت أحكم » ، وأثبت مافى ش والديوان . وفى الديوان أيضا : « عى بالمكر » وفى شرح شواهد المغنى : « ولأنت أنطق ... بالفكر » .
(٤) ينسب هذا البيت أيضاً إلى زهير . ديوانه ٩٥ وبشرح الأعلم ٦٤ . والشعراء ٨٨ ونسبه ابن قتيبة فى الشعراء ١٣٠ إلى المسيب بن علس .

والطَّلْق ، بالفتح ، الليلة التى لا حَرَّ فيها ولا برد . وليلةُ البَهْر : ليلة البدر ، حين يبهَرُ النجومَ أى يغلبها بنوره .

قيس بن معد يكرب

وقَيْس بن مَعْدِ يكربَ الكِنْدىّ ، مات فى الجاهليَّة ، يقال له الأشجّ لأنه شُجَّ فى بعضِ أيامهم . وله عدّة أولادٍ ، أكبرُهم حُجَيّة ، وبه كنى زماناً ثم كنى بولده « الأشعث » واسمه معْد يكرب ، وسُمِّى الأشعثَ لأنّه كان أبداً أشعثَ الرأس ؛ وقد أسلم ووُلد له « النُّعمان بن الأشعث » وقد بُشِّرَ به وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والله لَجَفْنةٌ من ثريدٍ أطعِمُها قومى ، أحبُّ إلى منه ! وهلَك صغيراً . وللأشعث عدّة أولاد أيضاً ، منهم « قيس بن الأشعث » وأخذ قَطيفةَ الحسين رضى الله عنه يوم قُتِل ، فكان يقال له : قيس قطيفة .

ولقيس بن معد يكربَ بنتٌ اسمها « قَتيلة » تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتُوفّى قبل أن تصل إليه . وابنه « سيف بن قيس » وفد على النبيّ صلى الله عليه وسلم فأمره أن يؤذِّن لهم ؛ فأذّن حتى مات . كذا فى جمهرة الأنساب لابن الكلبيّ .

وأعشى ميمون صاحب الشعر ، تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد الثالث والعشرين(١) ، وقد نقلتُ شعره هذا من ديوانه(٢) . وقد رواها له أبو عُبيدةَ ،

---

(١) الخزانة ١ : ص١٧٥

(٢) ظ : « وقال قد نقلت » صوابه فى ش . الميمنى : القصيدة وجدتها فى نسخة ديوان الأعشى ببلد رامبور (الهند) غير منقوطة فى ٥٢ بيتا وليست فى طبعة الديوان لأنها رواية ثعلب ، إلا أن مصححها الأستاذ رودلف هبر ، ألحقها فيما جمعه من شعر المسيب ٣٥١ ولكنها مخرومة مبتورة عنده . وكان العاجز قد قام بجمع بعض الفوائد على طبعته بعد عثوره على نسخة رامبور الرديئة ، وتطبع فى المجلد الثانى المشتمل على الترجمة الألمانية بالعربية ، كما قد كتب به الأستاذ المشار إليه » .

وابنُ دُرَيد ، وغيرها . وأمّا الأصمعيّ فقد أثبتها للمسيِّب بن عَلَس الُجماعى ، وهو خال الأعشى ميمون المذكور ، وهو أحد الشعراء الثلاثة المقِلّين الذين فُضّلوا فى الجاهليّة .

قال أحمدُ بن أبى طاهر : كان الأعشى راوية المسيّب بن عَلَس — والمسيّب خاله — وكان يَطْرُد شعرَه[١] ويأخذ منه . كذا فى الموشّح للمرزُبانيّ .

والمسيِّب : اسم فاعل[٢] لُقِّبَ به لأنه كان يرعى إبل أبيه فسيَّبها ، فقال له أبوه : أحقُّ أسمائِك المسيَّب . فغلَب عليه . وقال ابن دُريد فى كتاب الاشتقاق : إنّ اسمه زُهير ، وإنّه لقِّب بالمسيَّب لقوله :

فإن سَرَّكم ألاّ تثوب لقاحُكم غِزاراً ، فقولوا للمسيّب يلحق[٣]

وهو جاهليّ ولم يدرك الإسلام . ونسبه فى الجمهرة كذا : المسيّب ابن عَلَس بن مالك بن عمرو بن قُمامة بن زيد بن ثعلبَة بن عدِىّ بن مالك ابن جُشَمَ بن بلال بن جُماعة بن جُلَىّ بن أحْمَسَ بن ضُبيعة بن ربيعة بن نزار ابن مُضَر — وعَلَس بفتح العين واللام ، منقولٌ من اسم القُراد[٤] . وقُمامة بضمّ القاف ، وجُماعة بضمّ الجيم ؛ وروى ابنُ السكِّيت خُماعة بالخاء المعجمة

٥٤٦

(١) ط : « يطرى » صوابه فى ش والموشح . والطرد : السرقة والاغتصاب وسارق الشعر لا يطرى من سرق منه .

(٢) الصواب أنه كمعظم ، كما فى القاموس . وفى شرح الأنبارى للمفضليات ٩٢ : « إنما لقب زهير بن علس بالمسيب حين أوعد بنى عامر بن ذهل ، فقالت له بنو عامر ابن ضبيعة : قد سيبناك والقوم » .

(٣) فى النسختين : « بالحق » ، صوابه من الاشتقاق ٣١٦ . فيحتمل أن يكون صواب ماهنا « ياالحق » بحذف المنادى .

(٤) قيل إن « علس » اسم أمه ، فلا يصرف .

المضمومة . وجُلَيّ بضم الجيم وفتح اللام وتشديد المثنّاة التحتيّة . وأحمس أفعل من الحماسة . وضُبيعة بالتصغير .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثالث بعد المائتين :

٢٠٣ (فألْحَقَهُ بالهادِياتِ ودونَه جَواحِرُها فى صَرَّةٍ لم تَزَيَّلِ[1])

على أنّ قوله : (ودونه جَواحرها) جملة حاليّة ، لا الظرف وحدَه حالٌ والمرفوع بعده فاعله ، خلافاً لمن زعمه فى نحو : جاءنى عليه جُبَّةُ وشيٍ ، لأنّه لو كان من الحال المفردَة لامتنعت الواوُ ، فإنّها لا تكون مع الحال المفردة ؛ فلمّا ذكرَتْ فى بعض المواضع ، عُرف أنّ الجملة حالٌ لا الظرف وحدَه . . وصاحبُ الحال الهاء فى قوله : (فألحقَه) وهى ضمير المفعول . وفاعل ألحقه ضميرٌ مستتر راجعٌ إلى الغلام فى بيتٍ قبله . والهاء ضمير الكميت . أى فألحقَ الغلامُ الكميتَ بالهاديات ، ويجوز العكسُ ؛ فيكون فاعل ألحقَ ضميرَ الكميت والهاء ضميرَ الغلام أى فألحق الكميتُ الغلامَ بالهاديات . وأراد بالهاديات أوائلَ الوحش ومتقدِّماتها — يقال : أقبلَتْ هَوادى الخيلِ : إذا تقدّمت أوائلُها — جمع هاديَة ، والهادى : أوّل كلّ شىء . وضمير (دونَه) يعود على ما عاد عليه الهاء . و (جواحرها) : أى متأخراتها — والهاء ضمير الهاديات — وهو جمع جاحرة ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة ، يقال جَحَرَ فلانٌ أى تأخر . وجواحرها مبتدأ ودونَه الخبر تقدم عليه ، والجملة حالٌ كما تقدّم أى ودونَ مكانه ، أو ودونَ غايته التى وصل إليها ، أو دون بمعنى عند ؛ وقيل : دُونَ هنا بمعنى أقربَ . وردّه الزوزنىُّ بأنّه إنما يكون

(١) الشاهد من معلقة امرئ القيس .

دون بمعنى أقرَب منه إذ أُتِيَ باسمَين ، نحو هذا دونَ ذاك[١] . و (الصَّرَّة) بفتح الصاد وتشديد الراء المهملتين ، يجوز أن يكون هنا إمّا بمعنى الضَّجة والصَّيحة ، وإمّا بمعنى الجماعة ، وإمّا بمعنى الشدّة من كرب أو غيره ؛ وقيل الصَّرَّة هنا الغُبار فقوله : فى صَرَّة ، فى بعض الوجوه حالٌ من الهاديات ، وفى بعضها حال من جواحرها ، كذا قال الزوزنىّ[٢] . ويجوز أن يتعلّق الجارّ فى جواحرها . وجملة (لم تَزَيَّلِ) صفة صَرة ؛ وأصله تَتَزَيّل ، بتاءين ، أي لم تتفرق . وصفَ بهذا البيت شدّةَ عدْوِ فرسهِ ، يقول : إنّ هذا الفرسَ لمّا لحق أوائلَ الوحش ، بقيتْ أواخرُها لم تتفرَّق ؛ فهى خالصةٌ له .

وهذا البيتُ من جملة أبياتٍ فى وصف الفرَس ، من معلّقة امرئ القيس المشهورة ، والأبيات هذه :

أبيات الشاهد

(وقد أغتَدِى والطيرُ فى وُكُناتِها بمنجردٍ قَيدِ الأوابدِ هَيكلِ

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً كجلمودِ صَخرٍ حطَّه السيلُ من عَلِ

كُميتٍ يَزِلُّ اللِبْد عن حالِ مَتْنِهِ كما زَلّتِ الصَّفواء بالمتنزل

على الذَّبلِ جيّاشٌ كأنَّ اهتزامَهُ إذا جاشَ فيه حَمْيُهُ ، غَلْيُ مِرْجَلِ

٥٤٧ يَزِلّ الغلامُ الخِفُّ عن صَهَواته ويُلوى بأثواب العَنيفِ المثقَّلِ

دَرير كخُذْرُوف الوَليـدِ أمَرَّه تتابعُ كفَّيْهِ بخَيْطٍ مُوَصَّلِ

له أيطَلا ظَبْيٍ ، وساقا نَعامةٍ ، وإرخاء سِرْحان ، وتقريبُ تتفل

(١) العجب أن الزوزنى فى شرحه للبيت لم يعارض أن تكون دون بمعنى أقرب بل هو لم يثبت غير هذا المعنى قال : «فهى دونه ، أى أقرب منه . فلعله من سهو البغدادى ، ولم يتعرض التبريزى لهذه الكلمة .

(٢) لم أجد هذا الكلام أيضاً عند الزوزنى ، وانظر الحاشية السابقة . ولعلهما عن شارح آخر غير الزوزنى ، كما أنه غير التبريزى وابن الأنبارى .

مِسحٍّ إذا ما السابحاتُ على الوَنا أثَرْنَ غباراً بالكَديد المركّلِ
ضليعٍ ، إذا استدبرتَه سدّ فَرْجَه بضافٍ فُويق الأرضِ ليس بأعزَل
كأنّ سَراتَه لَدَى البيت قائماً مَداكُ عَروسٍ أو صَلاية حنظَلِ[1]
كأنّ دِماء الهاديات بنحره عُصارةُ حِنّاء بشَيبٍ مُرجّلِ
فعنّ لنا سِربٌ كأنّ نعاجَه عَذارى دَوارٍ فى مُلاءٍ مُذيّلِ
فأدبَرْنَ كالجِزْع المفصَّل بينَه بجيدٍ مُعَمّ فى العَشيرة مُخوَلِ
« فألحقَه بالهادياتِ ودونَه جواحِرُها في صَرّة لم تَزَيّلِ »
فعادى عداءً بينَ ثورٍ ونعجة دِراكاً ولم يَنضَحْ بماءٍ فيغسَلِ
فظلّ طُهاةُ اللحمِ ما بينَ منضِجٍ صَفيفَ شواءٍ أو قديرٍ معجَّل
فرُحنا يكادُ الطرفُ يقصُرُ دونَه متى ما تَرَقَّ العينُ فيه تَسهَّلِ
فباتَ عليه سَرجُه ولجامُه وباتَ بعينى قائماً غيرَ مُرسَلِ)

قوله : وقد اغتدى الخ ، تقدّم شرحه قريباً[2] . وقوله : مِكرّ مِفرّ الخ ، بكسر أوّلها وفتح ثانيهما ، وهما بالجرّ صفتان لقوله منجرد ، وكذلك مُقبل ومُدبر ، صفتان له ، لـكنّهما اسما فاعلٍ بضم أوّلها . قال صاحب القاموس : كرّ عليه : عطَف ، وعنه : رجع ؛ فهو كرّار ومِكرّ بكسر الميم . وقال

---

(١) هذا البيت لم يرد فى ش وورد فى ط بلفظ :
كأن على الكتفين منه إذا انتحى مداك عروس أو صلاية حنظل
وهى غير الرواية التى اعتمدها المؤلف بالشرح فيما سيأتى . وأظن أن البيت كان ساقطا من نسخة المؤلف سهواً ، فأثبته ناسخ أصل المطبوعة الأولى أو طابعها وفق الرواية المشهورة .

(٢) انظر ص ١٥٦ وما بعدها من هذا الجزء

الزَوزَنيّ : مِفعَل يتضمَّن مبالغة ، كقولهم : فلانٌ مِسعَر حرب . وإنما جعلوه متضمِّناً مبالغةً لأنّ مِفعَلاً يكون من أسماء الأدوات كأنه أداة للكَرّ والفرّ وآلة لتسعّر الحرب » . والجُلمود ، بالضمّ : الصّخرة الملساء . وعلٍ بمعنى فوق ؛ واستشهد به سيبوَيه وصاحبُ مغنى اللبيب على أنّه بمعناه ، وأنّ الجرَّ بمِنْ لأنّه قدّره نكرة غير مضاف إلى شىء فى النيَّة .

قال ابن رشيق فى باب الاتساع ، من العمدة « إنّ الشاعر يقول بيتاً يتّسع فيه التأويل ، فيأتى كلٌّ واحدٍ بمعنى ، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوّته واتساع المعنى ، من ذلك قولُ امرئ القيس :

مِكرٍّ مفرٍّ مُقبلٍ مدبرٍ معاً . . . . البيت

فإنّما أراد أنّه يصلح للكرّ وللفرّ ، ويحسُن مقبلاً ومدبراً . ثمّ قال : معاً ، أى جميع ذلك فيه . وشبّهه فى سرعته وشدّة جريه بجلمودٍ حطّه السيل من أعلى الجبل — وإذا انحطّ من علٍ كان شديدَ السُّرعة ؛ فكيف إذا أعانته قوّة السيل من ورائه ! — وذهب قوم ، منهم عبد الكريم ، إلى أنّ معنى قوله : كجلمود صخر الخ ، إنّما هو الصَّلابة ؛ لأنّ الصخر عندَهم كُلَّما كان أظهرَ للشمْس والريح كانَ أصْلَب . وقال بعض مَن فسّره مِن المحدَثين : إنّما أراد الافراط : فزعم أنّه يُرَى مُقبلاً مدبراً فى حال واحدة عندَ الكرّ والفرّ ، لشدَّة سرعته ؛ واعترَضَ على نفسه فاحتجّ بما يُوجَد عِياناً ، فمثّله بالجُلْمود المنحدِر من قُنّة الجبَل : فإنّك ترى ظهرَه فى النَّصبة ، على الحال التى ترى فيها بطنه وهو مقبل إليك . . ولعلّ هذا ما مرّ قطُّ ببال امرئ القيس ، ولا خطَر فى وهْمه » انتهى .

وحاصل هذا وصفُه بلين الرأس ، وسرعة الانحراف ، فى صدر البيت ،

وشدَّة العدْو فى عجزه . وقيل : إنه جمع وصنى الفَرَس بحسن الخَلق وشدّة العدْو ، لـكونه قال فى صدر البيت : إنّه حسَنُ الصورة كاملُ النَصْبة فى حالتَىْ إقباله وإدباره وكَرّه وفَرّه ، ثمّ شبّهه فى عجز البيت بجلمودِ صخر حطّه السيل من العلو ، لشدّة العدْو ، فهو فى الحالة التى ترى فيها لَبِبَة ترى فيها كفلَه . وبالعكس .

وقوله : كميت يزلّ اللبِدْ الخ ، الـكميت : الذى عُرْفه وذنَبه أسْوَدان ؛ وهو مجرورٌ صفةُ منجرد . والحال : مقعَد الفارس من ظهر الفرس . والمتْن : ما اتّصل بالظَهر من العجز . والصَّفْواء : الصَّخرة الملْساء التى لا يثْبُت فيها شىء . والمتنزِّل ، اسم فاعل : الطائر الذى يتنزَّل على الصخرة ؛ وقيل : هو السَيْل ، لأنّه يتنزّل الأشياء ؛ وقيل : هو المطر . والباء للتعدية . يقول : هذا الـكميتُ يزِلُّ لِبِدُه عن حال مَتْنه ، لانمِلاس ظهره(١) واكتِنازِ لحه — وهما يُحمَدان من الفرَس — كما يُزِلّ الحجرُ الأملسُ النازلَ عليه ، فلا يثبت عليه شىء .

وقوله : على الذَّبْل جيّاش الخ ، الذَّبْل : الضمور . والجَيّاش : الفرس الذى يَجيش [فى(٢)] عدْوِه ، كما تجيش القدْر فى غلَيانها . واهتزامه : صوته . وحَمْيه : غليه . والمِرْجَل ، بكسر الميم : كلّ قِدْرٍ من حديد ، أو حَجَر ، أو نُحاس ، أو خزَف أو غيره . يقول : تغلى حرارة نشاطه على ذُبول خَلْقه وضُمْر بَطْنه ، وكأنّ تـكسُّر صهيله فى صدره غليانُ قِدْر . جعله ذكى القلب نشيطا فى العدْو مع ضُمْره ثم شبّه تـكسُّر صهيله فى صدره بغليان القِدر(٣) .

(١) فى النسختين « لاغلاس ظهره » ، وأصلحها الشنقيطى بما أثبته .

(٢) التـكملة من ش والزوزنى .

(٣) انظر هذا الـكلام عند الزوزنى .

ورُوى (على العَقْبِ جياش) . والعَقْب ، بفتح فسكون : جَرْىٌ بعْدَ جرْى ؛ وقيل : معناه إذا حرّكته بعَقِبك جاشَ ولم تحتجْ إلى السوط ، فإذا كان آخرُ عدْوه على هذه الحالة ، فما ظنُّك بأوله ؟ ! وجيّاشٍ بالجرّ صفة منجرد .

وقوله : يَزِلّ الغلامُ الخِفُّ الخ ، يزلّ : يزلق . والخِفّ بكسر المعجمة : الخفيف ؛ وسمع أبو عُبيدة فتحها . والصَّهْوة : موضع اللِبْد ، وهو مقعد الفارس . وجَمعها بما حَوْلها[١] . ويُلوى ، بالضمّ : أى يُذهبها ويُبعِدها . والعَنيف : مَن ليس له رِفْق . والمثقَّل : الثقيل . قال بعضهم : إذا كان راكبُ الفرس خفيفاً رَمى به ؛ وإن كان ثقيلاً رَمى بثيابه . والجيِّد أنّ المعْنِي بأثواب العنيف نفسُه ، لأنّه غير حاذقٍ بركوبه . وقيل : معناه أنّه إذا ركبه العنيف لم يتمالك أن يُصلح ثِيابه ، وإذا ركبه الغلامُ الخِفّ زلّ عنه لسرعته ونشاطه ، وإنّما يصلح له مَن يُداريه .

وقوله : درير كخُذْرُوف الوليد الخ ، درير : مستدرّ فى العدْو . ويصف سرعة جريه : والخُذْرُوف ، بالضمّ : الفرّارة[٢] التى يلعب بها الصبيان يُسمع لها صوت . وأمَرّه : أحْكَم فَتْله . يقول : هو يُدِرّ الجرىَ أى يديمه ويواصله ويُسرع فيه إسراع خُذروف الصبى إذا أحْكَم فتل خَيطه وتتابعتْ كفّاه

(١) هذا الكلام للتبريزى ، وقال الزوزنى : « وإنما عبر بصهواته ولا يكون له إلا صهوة واحدة لأنه لالبس فيه ، فجرى الجمع والتوحيد مجرى واحداً عند الاتساع ؛ لأن إضافتها إلى ضمير الواحد تزيل اللبس ، كما يقال رجل عظيم المناكب وغليظ المشافر ، ولا يكون له إلا منكبان وشفتان » .

(٢) كذا فى النسختين . والصواب « الخرارة » بالخاء كما هو عند التبريزى فى الشرح ، والزمخشرى فى الأساس (خرر) واللسان (خذرف) . وانظر القاموس (خذرف ، خرر) والخذروف لا يفر ، وإنما هو يدور ويصوت ، فيترجم بأنه « الدوارة » كما فى شرح البطليوسى ، وبأنه « الخرارة » .

في فتله وإدارته بخيطٍ انقطَعَ ثم وُصِل . وذلك أشدّ لدَورانه لانملاسه[1] .

وقوله : أيطَلا ظَبْي الخ ، الأَيْطَل : الخاصرة : وإنّما شبّهه بأيطَل الظّبي لأنّه طاوٍ . وقال : ساقا نعامة ، والنعامة قصيرة الساقين صُلْبتُهما ، وهى غليظة ظَمْياء ليست برَهِلة . ويستحبُّ من الفرَس قِصَر الساق ، لأنه أشدُّ لرمْيها لوظيفها . ويُستحَبّ منه مع قِصَر الساق طولُ وَظيفِ الرجْل وطولُ الذراع ، لأنّه أشدّ لدحْوِه أى لرميه بها . والإِرْخاء : جرىٌ ليس بالشّديد . وفرسٌ مِرْخاء . وليس دابّةٌ أحسَنَ إرخاءً من الذئب . والسِّيرحان : الذئب . والتقريب : أن يرفع يدَيه معاً ويضعَهما معاً . والتتفل بضمّ التاء الأولى وفتحها مع الفاء : ولد الثعلب ، وهو أحسن الدوابّ تقريبا .

٥٤٩

وقوله : مِسَحّ إذا ما السابحات الخ ، المِسَحّ ، بكسر الميم : الفرَس الذى كأنّه يصبُّ الجرىَ صبًّا . والسابحات : اللواتى عدْوُهنّ سِباحة . والسباحة فى الجرى : أن تدحُوَ بأيديها دحواً : أى تبسطُها . والوَنا ، بفتح الواو والنون ، يمدّ ويقصر : الفتور . والكَديد ، بفتح الكاف : الموضع الغليظ . والمركّل ، اسم مفعول : الذى يركّل بالأرجل . يقول : إنّ الخيلَ السّريعة إذا فتَرت فأثارت الغبارَ بأرجُلها من التعب ، جرى هذا الفرسُ جرياً سهلاً كما يسُحُّ السَّحابُ المطر . وعلى تتعلّق بأثَرْنَ ، وكذلك الباء .

وقوله : ضليع إذا استدبَرْتَه الخ ، الضليع : العظيم الأضلاعِ المنتفخُ الجنْبَين[2] ضلُع يضلُع ضَلاعة . والاستدبار : النظر إلى دُبُر الشىء . والفرْج ، هنا : ما بين الرِّجْلين . والضافى : السابغ . والأعزل : المائل الذَّنَب . ويُكره

(١) فى النسختين : « لاغلاسة » صوابه من الزوزنى ، وفيه : « لا غلاسه ومرونه على ذلك » وانظر الحاشيه (١) ص ٢٤٥ من هذا الجزء

(٢) ط « الجبين » ، صوابه فى ش .

من الفرَس أن يكون أعزلَ ذنبُه إلى جانب ، وأن يكون قصير الذنَب ، وأن يكون طويلاً يطأ عليه . ويستحبُّ أن يكون سابغاً قصيرَ العَسيب .

وقوله : كأنّ سَراتَه لدى البيت الخ ، السَّراة بالفتح : الظهر . والمَداك ، بالفتح : الحجَر الذى يُسحَق به ؛ والمِدْوَك بالكسر : الحجر الذى يُسحَق عليه ؛ من الدَّوْك وهو السحق والطَّحْن . والصَّلاية بالفتح : الحجر الأملس الذى يُسحَق عليه شئٌ . يقول : إذا كان قائماً عند البيت غير مُسْرج رأيتَ ظهْره أملسَ ، فكأنّه مَداكُ عَروسٍ : فى صفائها وانملاسها . وإنّما قيّد المَداك بالعَروس ، لأنّه قريبُ العَهْد بالطيب . وقيَّد الصَّلاية بالحنظل ، لأنّ حَبَّ الحنظَل يخرج دهنه فيَبرُق على الصلاية . ورواه العسكرىّ فى التصحيف[١] (صرَاية) ، قال : وممَّا يُروى على وجهين «مداك عروس أو صَراية حنظل»: رواية الأصمعىّ « صَراية » بالصاد مفتوحة غير معجمة وتحت الياء نقطتان ، وهى الحنظلة الخضراء ، وقيل : هى التى اصفرَّت ، لأنّها إذا اصفرَّت برَقت ، وهى قبل أن تصفرَّ مغبرَّة . قال : ومثله :

إذا أعرضَتْ قلت دُبَّاءة من الُخضْر مغموسة فى الغدُر[٢]

أى مِنْ بريقها ، كأنّها قَرعة . قال الشاعر :

كأنَّ مفارِق الهامات مِنهمْ صَرايات تهاداها الجَوارى

ورواه أبو عُبيدة « صِراية » بكسر الصاد ، وقال : هو المـاء الذى ينقَع فيه الحنظل — ويقال صَرى يَصرِى صَرياً وصراية — وهو أخضرُ صافٍ . ورواه بعضهم « صَرابة حنظل » بباء تحتها نقطة واحدة . فمن قال هذا أراد الملوسة والصفاء . يقال : اصرأبَّ الشىء أى املاسَّ . انتهى .

---

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢٢٣ .

(٢) البيت لامرئ القيس فى ديوانه ١٦٦ .

وقوله: كأنَّ دماء الهاديات بنحْره الخ، الهاديات: المتقدِّمات والأوائل. ويريد بعُصارة الحِنَّاء ما بقِى من الأثر. والمرجَّل، بالجيم: المسَرَّح، والترجيل: التسريح. يقول: إنَّه يلحق أوَّلَ الوحش — فإذا لحق أوَّلَها عُلِم أنَّه قد أحرز آخرها — وإذا لحقها طعَنها فتصيب دماؤُها نحْرَه. وقوله: فَعَنَّ لنا سِرْبٌ الخ، عَنَّ: عرَض وظهر. والسِّرْب، بالكسر: القطيع من البقر، والظِباء، والنساء. والنِّعاجُ: جمع نعْجة، وهى الأنثى من بقر الوحش، ومن الضأن. «ودَوَار» بالفتح: صنم كانوا يدُورون حولَه أسابيع، كما يُطاف بالبيت الحرام. والمُلاء، بضمّ الميم: جمع مُلاءة، وهى المِلْحَفة. والمذيَّل: السابغ؛ وقيل: معناه له هدب؛ وقيل: إنّ معناه له ذيل أسود. وهو أشبه بالمعنى، لأنَّه يصف بقر الوحش، وهى بيضُ الظهورِ سودُ القوائم. يقول: إنّ هذا القطيعَ من البقَر يلُوذ ببعْضِه ويدُور كما تدور العَذارى حولَ دَوَار. وهو نسك كانوا فى الجاهلية يدورون حوله. وقال العسكرىّ فى التصحيف: «يروى دُوار، بدال مضمومة ودَوار، بدال مفتوحة وواو مخففة. وهو نُسكٌ كان لهم فى الجاهليّة يُدار حولَه. ودَوَّار — فى غير هذا، بفتحة الدال وتشديد الواو — سجنٌ فى اليمامة. ودُوَّار، مضموم الدال مثقّل الواو: موضع» انتهى.

وقال الزَوزَنِىّ: والمذيَّل: الذى أُطيل ذيلُه وأُرخى. يقول: تعرّض لنا قطيعٌ من بقَر الوحش كأنّ إناثَه عَذارى يَطُفْن حولَ حجرٍ منصوب يُطاف حوله، فى مُلاءٍ طويلة الذيل. شبّه البقر فى بياض ألوانها بالعذارى، لأنّهنّ مصُوناتٌ بالخدور لا يغير ألوانهن [حَرُّ الشمس] وغيره[1] وشبّه

(١) ط: «لايغير ألوانهن غبرة» وفى ش: «لايغير ألوانهن وغيره» وتصحيحه من الزوزنى، وفيه: «لايغير ألوانهن حر الشمس وغيره».

طولَ أذنابها وسبوغ شَعرها بالملاء المذيّل . وشبّه حُسن مشيها بحسن تبختُر العذارى فى مشيهنّ .

وقوله : فأدبرن كالجَزْع المفصَّل الخ ، الجَزع ، بالفتح : الخرَز ، وقال أبو عُبيدة بالكسر ، وهو الخرَز الذى فيه سوادٌ وبياض . وبِجيد : أى فى جِيد ، وهو العنق ومعنى مُعِمّ مُخوِل له أعمام وأخوال ، وهم فى عَشيرة [واحدة(١)] كأنّه قال : كريم الأبوين . وإذا كان كذلك كان خَرَزه أصفى وأحسَن . يصف أنّ هذه البقرَ من الوحش تفرّقت كالجَزْع ، أى كأنّها قِلادة فيها خرَز قد فُصِّل بينه بالخرز ، وجُعِلت القِلادةُ فى عُنق صبيٍّ كريمِ الأعمامِ والأخوال . شبّه بقرَ الوحش بالخرَز اليمانىّ ، لأنّه يسودُّ طرفاه وسائرُه أبيض ، وكذلك بقرُ الوحش يسودُّ أكارعُها وخُدودها، وسائرُها أبيض . شرط كونَه جِيدَ مُعِمّ مُخول ، لأنّ جواهر قِلادة مثلِ هذا الصبيّ أعظمُ من جواهر قلادةِ غيره . وشرط كونَه مفصّلاً لتفرّقِهنّ عند رؤيته .

وقوله : فألحقه بالهاديات ، تقدّم شرحه(٢) . وقوله : فعادى عداءً بين ثَور ونعْجة الخ ، عادَى : والى بين اثنين فى طَلَق ، ولم يعرَق أى أدرك صيده قبل أن يعرَق . وقوله : فيغسَل ، أى لم يعرَق فيصيرَ كأنّه قد غُسل بالماء . ودِراكاً بمعنى مدارَكة ، فى موضع الحال . ولم يرد ثَوراً ونعجة فقطْ ، وإنّما أراد الكثير ؛ والدليل عليه قوله دِراكاً ، ولو أرادها فقطْ لاستغنى عنه بعادَى . وفيه مبالغةٌ لا تخفى .

وقوله : فظلّ طُهاةُ اللّحم الخ ، هو جمع طاهٍ ، وهو الطبّاخ . والصَّفيف : الذى قد صُفِّف مُرقَّقا على الجمر ، وهو شواء الأعراب . والقدير : ما طبخ

(١) التكملة من التبريزى .

(٢) فى ص ٢٤١ من هذا الجزء وهو بيت الشاهد .

فى قِدر . ووُصف بمعَجّل ، لأنهم كانوا يستحسنون تعجيلَ ما كان من الصيد ويستطرفونه . يقول : ظلّ المُنضِجون اللّحم وهم صِنفان : صِنف يُنضجون شواءً مصفوفاً على الحجارة فى النار والجمر ، وصِنفٌ يطبُخون اللحمَ فى القِدر . يقول : كثُر الصيدُ فأخصبَ القومُ فطبَخوا واشتَوَوْا . ومِن للتفصيل والتفسير(١) ، نحو هم من بينِ عالِمٍ أو زاهد ؛ يريد أنّهم لا يعدُون الصِنفين . وصَفيفَ منصوبٌ بمنضج ، وهو اسم فاعل . وقدير : مجرور بتقدير مضافٍ معطوف على مُنضِج ؛ والتقدير : أو طابخٍ قدير ؛ أولا تقديرَ لكنّهُ معطوفٌ على صفيف ، وخُفِض على الجِوار أو على توهُّم أنّ الصفيفَ مجرورٌ بالإضافة ، وعند البغداديِّين هو معطوف على صَفيف من قبيل العطف على المحلّ ، ولا يشترطون أن يكون المَحلّ بحقّ الأصالة . كذا فى مغنى اللبيب .

وقوله : ورُحنا يكاد الطرف الخ ، يقول : إذا نظرَتِ العينُ إلى هذا الفرَس أطالت النظر إلى ما يُنظَر منه ، لحسْنه ، فلا تكاد العينُ تستوفى النظرَ إلى جميعه . ويحتمل أن يكون معناه : أنه إذا نظرتَ إلى هذا الفرس لم تُدِمِ النظرَ إليه لئلاّ يصابَ بالعين ، لحسنه . وقوله : متى ما تَرَقّ الخ ، أى متى نظرتْ إلى أعلاه نظرَتْ إلى أسفله ، لكماله ، ليستتمّ النظر إلى جميع جَسَده . وأصلهما تَترقَّ وتَتَسَهّل بتاءين ، وجُزِما على أنّ الأوّل فعلُ الشرط والثانى جوابه . وما زائدة ، ورُوِى :

(ورُحنا وراحَ الطِّرْفُ ينفُضُ رأسَهَ)

والطِّرف ، بالكسر : الكريم الطَرَفين . وينفض رأسه ، من المرح والنشاط .

٥٥١

---

(١) انما يستقيم هذا على رواية : « من بين منضج » ، لكن الرواية التى أوردها البغدادى من قبل « ما بين منضج » .

وقوله : فباتَ عليه سَرْجُه ، فى بات ضميرُ الـكميت ، وجُملة عليه سرجه خبر بات ، وباتَ الثانى معطوفٌ على الأوّل ، وبعينى خبره ، أى بحيث أراه ، وقائماً حال ، وغيرَ مرسل أى غيرَ مهمل . ومعناه : أنّه لما جىء به من الصَّيْد لم يُرفَع عنه سَرجُه وهو عَرِقٌ ، ولم يقلع لجامه فيعتلف[1] على التعب فيؤذِيه ذلك . ويجوز أن يكون معنى فبات عليه سرجه الخ ، أنهم مسافرون ، كأنّه أراد الغدُوّ فـكان مُعَدًّا لذلك . والله أعلم .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأربعين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد المائتين :

٢٠٤ (وإنّ امرأً أَسْرَى إليكِ ودُونَه
مِنَ الأرْضِ مَوماةٌ وبَيداء سَمْلَقُ[3])

لما تقدَّم قبله : فإنّ جملة قوله : (ودونَه من الأرض مَوماة) من المبتدإ والخبر ، حالٌ لا الظرف وحدَه ، كما بيّنّاه . وصاحبُ الحال الفاعلُ المستتر فى قوله أسرى العائد إلى امرئ . وأسرى بمعنى سرى ، قال فى الصحاح : « وسَريت سُرًى ومَسْرًى وأسريت ، بمعنًى : إذا سِرت ليلاً . وبالألِف لغةُ أهلِ الحجاز ، وجاء القرآن بهما جميعاً . والـكاف من إليكِ مكسورةٌ ، لأنّه خطابٌ مع ناقته . و (دون) هنا بمعنى أمامَ وقدّامَ . و (المَوماة) بالفتح : الأرض التى لا ماء فيها ، وفى القاموس : الموماء والمَوماة : الفَـلاة ، والجمع

---

(١) فى النسختين : « فيتملق » صوابه من التبريزى .
(٢) الخزانة : ١ ص ٣٢٩
(٣) ابن الشجرى ١ : ٣١٧ والإنصاف ٥٨ وديوان الأعشى ١٤٩ .

الموامى . وأشار إلى أنّها فَوْعَلة : لأنّه ذكرها فى المعتلّ الآخِرِ بالواو . و (البَيداء) : القفر ، فَعْلاء من باد يبيد : إذا هلك . (والسَّمْلَق) الأرض المستوية . وبَيداء معطوف على موماة وسَملق صفته ، وجملة أسرى إليكِ صفة امرئ . وخبر إنّ (لمحقوقةٌ) فى بيتٍ بعدَه ، وهو :

(لَمحقوقةٌ أن تَستجيبي لصَوتهِ وأنْ تعلَمى أنَّ المُعَانَ مُوَفَّقُ)

وقد أنشد المحقّق الشارح هذين البيتين فى باب الضمير[1] على أنّ الكوفيين استدلُّوا بهذا على أنّه يجوز تركُ التأكيدِ بالمنفصل ، فى الصفةِ الجارية على غير مَن هى له ، عند أمن اللَّبس ؛ والأصل لمحقوقة أنت . وهذه مسألةٌ خِلافيّة بين البصريِّين والكوفيِّين يأتى الكلامُ فيها إن شاء الله تعالى فى باب الضمير .

ومطلع هذه القصيدة :

(أرِقتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّقُ وما بىَ من سُقمٍ وما بى مَعْشَقُ)

قال ابن قُتيبة فى كتاب الشعراء[2] : سمع كسرى أنوشِروانَ يوماً الأعشى يتغنى بهذا البيت ، فقال : ما يقول هذا العربىّ ؟ قالوا : يتغنَّى بالعربية . قال : فسِّروا قوله . قالوا : زعم أنّه سهِر من غير مَرض ولا عِشْق . قال : فهذا إذاً لِصٌ .

٥٥٢

وبعد هذا المطلع بأبياتٍ فى وصف الخمرة ، وهو من أبيات الكشّاف والقاضى :

(تُريكَ القَذى مِن دُونِها وهىَ دونَه إذا ذَاقَها مَنْ ذَاقها يتمطّقُ)

(١) انظر الشاهد السابع والثمانين بعد الثلثمائة .
(٢) الشعر والشعراء ٢١٤ .

وهذا وصفٌ بديع فى صَفاء الخمرة . والتّمطّق : التذوق . قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : أراد أنّها من صفائها تُريك القَذاة عاليةً عليها ، والقَذى فى أسفلها فأخذه الأخطل فقال :

ولقد تُباكِرُنى على لَذّاتها صهباء عاليـة القذَى خرطومُ

اهـ ، وسيأتى إن شاء الله عزّ وجل ، بعضُ هذه القصيدةِ فى باب الضمير وبعضها فى عَوْضُ من باب الظروف[١] .

وترجمة الأعشى تقدّمت فى الشاهد الثالث والعشرين[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد المائتين[٣] :

٢٠٥ (كما انتَفَضَ العُصْفُورُ بَلَّله القَطْرُ)

هذا عجز ، وصدره :

(وإنّى لتعْرُونى لذِكْراك هَزّةٌ)

على أنّ الأخفَش والكوفيّين استدلّوا بهذا على أنّه لم تجبْ (قدْ) مع الماضى المثبَت الواقع حالاً ؛ فإنّ جملة (بلَّله القَطْرُ) من الفعل والفاعل ، حالٌ من العُصفور وليس معها قد ، لا ظاهرةً ولا مقدَّرة .

وهذه المسألة أيضاً خلافيّة : ذهبَ الكوفيّون إلى أنّ الماضىَ المثبَت

---

(١) فى الشاهد السابع والثمانين بعد الثلثمائة ، ثم الشاهد الحادى والعشرين بعد الخمسمائة .

(٢) الخزانة ١ : ص ١٧٥

(٣) ابن يعيش ٢ : ٦٧ وشرح شواهد المغنى ٦٢ والعينى ٣ : ٦٧ ، ٢٧٨ والقالى ١ : ١٤٩ والأغانى ٢١ : ٩٧ والانصاف ٢٥٣ والهمع ١ : ١٩٤ والأشمونى ٢ : ١٢٤ ، ٢١٥ والتصريح ١ . ٣٣٦ / ٢ : ١١ وشرح السكرى للهذليين ٩٥٧ .

بدون قد ، يقع حالاً بدليل قوله تعالى (أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ[١])
فحَصِرَتْ حالٌ بدليلِ قراءة الحَسَن البِصْرِيّ ويَعقوبَ والمفضَّلِ عن عاصم[٢] :
(أَوْ جَاؤُكم حَصِرَةً صُدُورُهُمْ) وقول أبي صخرٍ الهُذليّ :

* كما انتَفَضَ العُصفورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ *

وقال البِصريُّون : لا يجوز وقوعُه حالاً بدون قَدْ ، لوجهين : أحدهما أنّه لا يدلّ على الحال[٣] ، والثاني أنّه إنما يصلح أن يوضع موضعَ الحال ما يصلُح أن يقال فيه الآنَ[٤] ، نحو : مَررت بزيدٍ يَضْرَبُ ، وهذا لا يصلح في الماضي ؛ ولهذا لم يجز ما زال زيد قام ، وليس زيد قام ، لأنّ ما زال وليس يطلبانِ الحال وقامَ ماضٍ ، ولا يلزم على كلامنا إذا كان مع الماضي قد ، لأنّ قد تقرِّب الماضيَ من الحال . وأما الآية والبيت ، فقدْ فيهما مُقدَّرة ؛ وقال بعضهم : حَصِرَتْ صفةٌ لقومٍ المجرورِ في أوّل الآية ، وهو : (إلاَّ الذين يَصِلونَ إلى قَوْمٍ) وما بينهما اعتراض ، ويؤيِّده أنه قُرِئ باسقاط أوْ . وعلى ذلك يكون جاؤكم صفةً لقَوم ويكون حَصِرَتْ صفةً ثانيةً . وقيل : صفة لموصوف محذوف أي قوماً حصرتْ صدورُهم . قال صاحب اللباب : وهذا مذهب سيبويه ؛ وهو ضعيف ، لأنّه إذا قدّر الموصوف يكون حالاً موطّئة ، وصفة الموطئة في حكم الحال في إيجاب تصدُّرها بقدْ ، وهو يَمنع حذفَ قدْ ، لا سيّما والموصوف محذوف ، فإنّ الصفة تكون في صورة الحال ، فالإتيان بقدْ يكون أَولى .

---

(١) الآية ٩٠ من سورة النساء .

(٢) وكذا حفص عن عاصم فيما ذكر المهدوى . وحكى عن الحسن « حصرات » بالجمع ، كما قرىء « حاصرات » . وقرىء « حصرة » بالرفع على أنه خبر مقدم ، فهى جملة اسمية في موضع الحال . تفسير أبي حيان ٣ : ٤١٧ .

(٣) ط : « يدل على الحال » صوابه في ش . وفي الإنصاف : « أحدهما أن الفعل الماضي لا يدل على الحال ، فينبغى ألا يقوم مقامه » .

(٤) في الإنصاف : « الآن أو الساعة » .

وقال المبرّد : جملة حَصِرَت ، إنشائيّةٌ معناها الدعاء عليهم ، فهى مستأنفة . ورُدّ بأنّ الدعاء عليهم بِضيق قلوبهم عن قتال قومهم لا يتّجه . وقيل : حَصِرَت بدَل اشتمال من جاؤكم لأنّ المجىء مشتملٌ على الحصَر . وفيه بُعدٌ ، لأنّ الحصَرَ من صفة الجائين ، لا من صفة المجىء .

٥٥٣ وقد بَسط ابنُ الأنباريّ الكلامَ على هذه المسألة ، فى كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف .

واستشهد ابنُ هشام بهذا البيت فى شرح الألفيّة على أنّ المفعولَ له يُجر باللاّم إذا فقد بعض شروطه ، فإنّ قوله هنا لذكراك ، مفعولٌ له جُرّ باللامِ ، لأنّ فاعله غيرُ فاعل الفِعل المعلَّل : وهو قوله لتَعرونى ؛ فإنّ فاعلَه هَزّة ، وفاعلَ ذكراكِ المتكلّم ، فإنّه مصدرٌ مضاف لمفعوله وفاعلُه محذوف ، أى لذكرى إيّاك .

و (الهَزّة) بفتح الهاء : الحركة[1] ، يقال هزَزْت الشىْ : إذا حرّكته ؛ وأراد بها الرِّعْدة . ورُوى بدلَها (رِعْدة) . وروى القالىّ فى أماليه (فَترة[2]) . وسُئل ابنُ الحاجبِ : هل تصحّ رواية القالى ؟ فأجاب : يستقيم ذلك على معنيَين : أحدهما أن يكون معنى لَتعرونى لتُرعِدنى ، أى تجعل عندى العُرَواء ، وهى الرِّعْدة ، كقولهم : عُرِىَ فلانٌ[3] : إذا أصابه ذلك ، لأنّ الفتور الذى هو السكونُ عن الإجلال والهَيبة ، يحصُل عنه الرِّعْدة غالباً عادةً ، فيصحّ نسبةُ الإرعاد إليه ؛ فيكون كما انتفض منصوباً انتصابَ

---

(١) وبالكسر : النشاط والارتياح .

(٢) لم أجد هذه الرواية عند القالى ، وإنما الرواية عنده هى « هزة » . فيحتمل أن تكون رواية نسخة من الأمالى ، لأن كثيرا مما أشار البكرى فى التنبيه إلى أن القالى أخطأ فيه ورد فى الأمالى المطبوعة مُصححاً أو مغيراً .

(٣) كذا فى ش . وفى ط : « عرا فلان » .

قولك : أخرجته كخرُوجِ زيد ، إمّا على معنى كإخراج زيد[1] ، وإمّا لتضمّنه معنى خرج غالباً ، فكأنّه قيل خرج ، فصحّ لذلك مثل خروج زيد ، وحسن ذلك تنبيهاً على حصول للطاوِع الذى هو المقصود فى مثل ذلك ، فيكون أبلغَ فى الاقتصار على المطاوع، إذ قد يحصُل المطاوع دونَه مثل أخرجته فلا يخرج . والثانى : أن يكون معنى لَتعرونى لَتأتينى وتأخُذنى فترة ، أى سكون ، للسرورِ الحاصل من الذكرى ، وعبَّر بها عن النَّشاط لأنها تستلزمه غالباً ، تسميةً للمسبَّب باسم السبب ، كأنّه قال : لَيأخذُنى نشاطٌ كنشاطِ العصفور . فيكون كما انتفض ، إمّا منصوباً نصبَ له صوتٌ صوتَ حِمار — وله وجهان : أحدهما أن يكون التقدير يصوِّت صوتَ حمار ، وإن لم يجزْ إظهارُه استغناء عنه بما تقدَّم . والثانى أن يكونَ منصوباً بما تضمَّنَتْه الجملة من معنى يصوِّت — وإمّا مرفوعاً صفة لفَتْرة ، أى نشاطٌ مثلُ نشاطِ العصفور . وهذه الأوجه الثلاثة المذكورة فى الوجه الثانى ، فى إعراب كما انتفض ، تجرى على تقدير رواية رعدة وهزّة . وروى الرمّانى عن السكّرىّ عن الأصمعىّ :

إذا ذُكرتْ يرتاحُ قلبى لذِكرِها ... كما انتفضَ العصفورُ بلّله القطرُ

وهذا ظاهر اهـ

و (انتفَض) بمعنى تحرّك ، يقال : نفضت الثوب والشجر : إذا حرّكته ليسقُط ما فيه . وبلّه يبلّه بلاًّ : إذا ندّاه بالماء ونحوه . و (القَطْر) : المطَر .

وفى شرح بديعيّة العُميانِ لابن جابر : أنّ هذا البيت فيه من البديع صنعة (الاحتباك) وهو أن يُحذف من الأوّل ما أُثبتَ نظيرُه فى الثانى ، ويُحذَف

(١) فى النسختين : « كإخراج خروج زيد » والوجه ما أثبت .

من الثانى ما أُثبت نظيرُه فى الأوّل ، فإنّ التقدير فيه . وإنّى لتعرونى لذكراك هزّة وانتفاضة كهزة العصفور وانتفاضته . فحذف من الأوّل الانتفاضُ لدلالة الثانى عليه ، وحُذف من الثانى الهزّة لدلالة الأوّل عليه ا هـ .

وهذا البيت من قصيدةٍ لأبى صخر الهُذَلىّ . أورد بعضَها أبو تمّام فى باب النسيب من الحماسة ، وكذلك الأصبهانىُّ بعضَها فى الأغانى ورواها تماماً أبو علىّ القالى فى أماليه ، عن ابن الأنبارى وابن دُريد . وهى هذه :

(لليلَى بذاتِ الجيشِ دارٌ عرفتُها ... وأُخرى بذاتِ البَيْنِ آياتُها سَطْرُ
كأنّهما مِلآنِ لم يتغيّرا ... وقد مرّ للدارَين من عهدنا عصر[١]
وقَفت بربعيها[٢] فعَىَّ جوابُها ... فقلت ــ وعينى دمعُها سَرَبٌ همْرُ :
ألا أيُّها الركبُ المخِبُّون ، هل لكمْ ... بساكنِ أجْراع الحمَى بعدنا خُبْرُ[٣]
فقالوا : طوينا ذاكَ ليلاً ، وإن يَكنْ ... به بعضُ مَن تهوَى فما شعَر السفْرُ
أمَا ، والذى أبكَى وأضحكَ والذى ... أَماتَ وأَحيا والذى أمرُه الأمرُ
لقدْ كنتُ آتيهَا،وفى النفسِ هَجرُها ... بتاتاً لأُخرَى الدّهرِ ما طلعَ الفجرُ
فما هُوَ إلاّ أنْ أراها فُجاءةً ... فأُبْهتَ لا عُرفٌ لدىَّ ولا نُكْرُ
وَأنسى الذى قد كنتُ فيهِ هجرتُها ... كما قدْ تُنَسِّى لُبَّ شاربِها الخمْرُ
وَما تركتْ لى مِنْ شذى أهتدى به ... ولا ضِلَع إلاّ وفى عَظْمِها كسر[٤]
وَقد تركتْنِي أغبِطُ الوحشَ أن أرى ... قرينين منها لم يفزِّعهما نَفْرُ[٥]
ويمنَعنى من بعض إنكارِ ظلْمِها ... إذا ظلَمتْ يوماً وإن كان لى عذرُ

٥٥٤

(١) الأمالى : « من بعدنا » .
(٢) الأمالى : « برسميها » .
(٣) الأمالى : « بأجراع » .
(٤) الأمالى : « شدى » و « فى عظمها وقر » .
(٥) الأمالى : « أليفين منها لايروعهما الذعر » .

مَخافةَ أنِّي قد عَلمت لئن بدا لى الهجرُ منها ما على هَجْرها صبرُ
وأنّيَ لا أدرى إذا النفسُ أشرفَتْ على هَجرِها ما يَبلُغَنّ بىَ الهجر[1]
أبى القلبُ إلاّ حُبّها عامريّةً لها كُنيةٌ عَمْرٌو، وليس لها عمرو
تـكاد يدى تَندَى إذا ما لمستُها وينبُت فى أطرافها الورَق الخضْرُ،[2]
وإنِّى لَتعرُونى لذِكراكِ فَتْرة كما انتفضَ العصفورُ بلَّله القَطْرُ،[3]
تمنّيتُ من حُبّي عُليّةَ أنّنـا على رَمَثٍ فى البحر ليس لنا وَفْرُ
على دائمٍ لا يعبُر الفُلْك مَوْجه ومن دوننا الأعداء واللّججُ الخُضر
فنَقضى همومَ النفْس فى غير رِقبةٍ ويُغرق من نَخشى نميمتَه البحرُ،[4]
عجِبتُ لِسَعى الدّهر بَينى وبينَها فلما انقضَى ما بينَنا سَكنَ الدهر
فيا حبَّ ليلَى، قد بلغتَ بىَ المدَى وزدتَ على ما لَيس يبلغُه الهجرُ
ويا حبَّها زِدنى جوًى كلَّ ليلةٍ ويا سَلوَةَ الأيّامِ مَوْعِدُكِ الحَشْرُ
فليس عَشيّات الحِمى برواجعٍ لنا أبداً ما أبرمَ السَّلَمُ النَّضْرُ،[5]
هجرتُك حتّى قيل: ما يعرف الهوَى، وزُرتكِ حتّي قيل: ليس له صَبْرُ
صَدقتِ! أنا الصَّبُّ المصابُ، الذى به تباريحُ حُبٍّ خامرَ القلبَ أو سِحْرُ
فيا حبّذا الأحياء ما دمتِ حَيّةً ويا حَبّذَا الأمواتُ ما ضَمّكِ القبرُ)

فقوله: مِلآنِ، أصلُه من الآنِ[6]. وقوله: أمَا والذى أبـكَى وأضحكَ

---

(١) ط: «بها الهجر».
(٢) الأمالى: «النضر».
(٣) انظر لـكلمة «فترة» ما سبق فى حواشى (٢) ص ٢٥٦ من هذا الجزء.
(٤) ط: «ويغدو من نخشى نميمته»، صوابه من الأغانى وتصحيح الشنقيطى بقلمه.
(٥) كذا فى النسختين، والمعروف: «فليست».
(٦) فى الهمع للسيوطى عند الـكلام على الآن: قال الفراء: وذهب بعضهم إلى أنه معرب وفتحته إعراب على الظرفية، واستدل له بهذا البيت. قال السيوطى: والمختار عندى القول بإعرابه، فهو منصوب على الظرفية، وإن دخلته (من) جر.

الخ ، هو من أبيات الكشّاف ومغنى اللبيب ، أنشده فى أمّا . وقوله : فما هو إلاّ أن أراها فُجاءة الخ ، هو من أبيات سيبويه[1] ، ويأتى شرحه إن شاء الله عزّ وجل فى نواصب الفعل[2] . وقوله : وما تركت لى من شَذًى ، هو بفتح الشين والذال المعجمتين ، بمعنى الشدّة وبقيّة القوّة . والضِّلَع ، بكسر الضاد وفتح اللام . وقوله : تمنّيت من حُبِّي عُلَيّة أنّنا على رَمَث ، هو بفتح الراء والميم وبالثاء المثلثة ، قال القالى : أعواد يُضَمّ بعضُها إلى بعضٍ كالطَّوْف[3] ، يركبُ عليها فى البحر . وقوله : ما أبرَمَ السَلَمُ النَّضْرُ ، يقال أبرم السَّلَمَ : إذا خرجَتْ بَرَمتُه وهى ثَمرته . قال فى الصحاح : « البرَمَ محرّكةً : ثمر العِضاه ، الواحدة بَرَمةٌ ؛ وبَرَمةُ كلّ العِضاه صفراء إلاّ العُرفط فإنّ بَرَمته بيضاء ؛ وبرَمة السَلَم أطيبُ البَرَم ريحاً » . ٥٥٥

حكى الأصبهانىّ فى الأغانى عن أبى إسحاقَ إبراهيمَ الموصلىّ قال : دخلتُ على الهادى فقال : غنِّني صوتاً ، ولك حُكمُك ! فغنّيته :

وإنّى لتَعرونى لذِكراكِ هِزّةٌ كما انتفض العصفورُ بلَّله القَطْرُ

فقال : أحسنتَ والله ! وضرَب بيده إلى جيب دُرّاعته[4] فشقّ منها ذراعاً ، ثمّ قال : زدنى ! فغنّيته :

هجرتُكِ حتى قيل : لا يعرف الهوَى وزُرتكِ حتى قيل : ليس له صَبر

فقال : أحسنتَ . ثم ضرب بيده إلى دُرّاعته فشقّ منها ذراعاً آخر ، ثم قال : زدنى ! فغنيتُه :

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٣٠ .

(٢) انظر الشاهد السبعين بعد الستمائة من الخزانة ، وسيبويه .

(٣) ط ، « كالطوق » ، صوابه فى ش .

(٤) الدّراعة ، كرمانة : جُبة مشقوقة المقدم .

فيا حبَّها زِدْنى جَوًى كلَّ ليلةٍ ويا سَلوة الأحبابِ موعدُك الحشرُ

فقال : أحسنتَ ! وشقَّ باقى دُرّاعته من شدّة الطرب ، ثمّ رفع رأسَه إلىّ وقال : تمنَّ واحتَكِم ؟ فقلتُ : أتمنّى عيْن مَرْوان بالمدينة . قال : فرأيته قد دارتْ عَيناه فى رأسه ، فخِلتُهما جَمْرتين ، ثم قال : يا ابن اللَّخْناء ، أتريد أن تَشْهَرنى بهذا المجلِس ، وتجعلَني سَمَراً وحَديثاً ، يقول الناس أطربَه فوهبه عَيْن مَروان . أما والله لولا بادرةُ جهلِك التى غَلَبت على صحّة عقلك ، لألحقتُك بمن غَبَر من أهلك . وأطرق إطراقَ الأفعُوان ، فخِلتُ مَلَكَ الموتِ بينى وبينه ينتظِر أمره . ثم رفعَ رأسه وطلب إبراهيمَ بن ذَكْوانَ وقال : يا إبراهيمُ خذْ بيدِ هذا الجاهِل وأدْخِله بيتَ المـال ، فإنْ أخذ جميعَ ما فيه فدعه وإيّاه ؟ قال : فدخلتُ وأخذتُ من بيت المال خمسين ألف دينار .

أبو صخر الهذلى

و (أبو صَخر الهذلىّ) هو عبد الله بن سَلْم[1] السهْمىّ الهذلىّ شاعرٌ إسلامىٌّ من شعراء الدولة الأمويّة . كان متعصِّباً لبنى مَرْوانَ مواليًا لهم ، وله فى عبد الملك بن مَرْوان وأخيه عبدِ العزيز مدائحُ كثيرة . ولمّا ظهر عبدُ الله ابن الزُّبير فى الحجاز وغلَب عليها ، بعد موت يزيدَ بنِ معاوية ، وتشاغَل بنو أميّة فى الحرْب بينهم فى مَرْج راهطٍ وغيره دخل عليه أبو صخر الهذلىُّ فى هُذَيل ، ليقبضوا عطاءهم ، وكان عارفاً بهواهُ فى بنى أميّة ، فمنعه عطاءه ؛ فقال : تمنَعُني حقاً لى وأنا امرؤ مسلمٌ ما أحدثْتُ فى الإسلام حدَثاً ولا أخرجت من طاعة يداً ! قال : عليكَ ببنى أميّة ، اطلُبْ منهم عطاءك ! قال : إذاً أجدُهمْ سَبْطةً أكُفُّهم ، سَمْحةً أنفسهم ، بُذَّلاً لأموالهم ، وَهّابين لمجتديهم ، كريمة

(١) فى النسختين : « سالم » ، صوابه من الأغانى ٢١ : ٩٤ عن السكرى وحواشى اللآلى ٣٩٩ ، وفى شرح السكرى للهذليين ٩١٥ : « بن سلمة » وكذا فى شرح شواهد المغنى ٦٢ . وعند العينى ١ : ١٦٢ « مسلم » .

أعراقُهم ، شريفَةً أُصولهم ، زاكية فروعهم ، قريباً من رسول الله ﷺ نسبُهم وسبَبهم [١] ، لهم السودد فى الجاهلية [٢] والمُلْكُ فى الإسلام ، لا كمن لا يُعَدُّ فى عِيرها ولا نَفيرها ، ولا حَكم آباؤه فى نَقِيرها وقِطْميرِها ، ليس من أحلافها المطيِّبين ، ولا من ساداتها المطعِمين ، ولا من هاشِمها المنتخبين [٣] ، ولا عبدِ شمْسها المسوَّدين ؟! وكيفَ تُقاسُ الأرؤس بالأذْناب [٤] وأينَ النَصْلُ من الجَفن ، وأين السِّنان من الزُّجّ والذُّنابَى من القُدامى ؟! وكيف يُفضَّل الشّحيحُ على الجواد ، والسُّوقَةُ على الملوكِ ، والجائعُ بخلاً على المطعِم فضلاً ؟! فغضب ابنُ الزبير حتَّى ارتعَدت فرائصه ، وعَرِق جبينُه ، واهتزَّ من قَرْنه إلى قدَمه وامتُقِـع لونه ، ثم قال له : ياابن البوَّالة على عَقبيها ، ياجِلفُ ياجاهل ، أما والله لولا الحرماتُ الثلاثُ : حُرْمة الإسلام ، وحُرمة الشهْر الحرام ، وحرمة الحَرَم ، لأخذتُ الذى فيه عيناك ! ثم أمَرَ به إلى سجنِ عارِم [٥] ، فحبس فيه مدّة ، ثم استوهبته هُذيل ومَن له فى قريش خُئُولة ، فأطلقه بعد سنَةَ ، وأقسم أن لا يعطيه عطاء مع المسلمين أبداً . فلمّا كان عامُ الجماعة [٦] وولى عبدُ الملك

٥٥٦

(١) بين هذا الكلام وتاليه فى الأغانى ٢١ : ٩٤ : « ليسوا إذا نسبوا بأذناب ولا وشائظ ولا أتباع ، ولا م فى قريش كفقعة القاع » .

(٢) فى النسختين : « لهم سودد فى الجاهلية » ، والأوفق ما أثبت من الأغانى .

(٣) ط : « هاشميها » ، صوابه فى ش والأغانى . وقبل هذه الفقرة فى الأغانى : « ولا من جودائها الوهابين »

(٤) الأغانى : « وكيف تقاتل » ، صوابها « تقابل » .

(٥) فى القاموس : « سجن عارم حبس فيه عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية » وقال ياقوت فى (عارم) : « ثم كان بعد ذلك سجناً للحجاج ، ولا أعرف موضعه ، وأظنه بالطائف » .

(٦) فى النسختين : « الحجاج » ، وصححها الشنقيطى بما أثبته . وعام الجماعة هو العام الذى أجمع الناس فيه على عبد الملك بن مروان ، وهو سنة ٧٣ انظر الطبرى فى حوادث سنة ٨٦ وهذا هو عام الجماعة الثانى ، لأنه سبق عام جماعة قبله وكان ذلك سنة ٤١ حين أجمعت كلمة الأمة الإسلامية على معاوية بعد تنازل الحسن بن على .

ابن مرْوان وحجّ ، لقيه أبو صَخر ، فقرَّبه وأدناه وقال له : إنه لم يَخْفَ علىَّ خبرُك مع الملحِد(١) ، ولا ضاعَ لدىَّ هواكَ ولا موالاتُك . فقال : إذا شَفَى اللهُ منه نفسى ، ورأيتهُ قتيلَ سيفِك وصريعَ أوليائك ، مصلوباً مهتُوكَ السِتْر ، مفرّق الجمْع ، فما أُبالى ما فاتنى من الدنيا ! ثم استأذَنه فى مديح ، فأنشده قصيدةً ، وأمر له عبدُ الملك بما فاته من العطاء ، ومِثْـلِهِ من ماله ، وحمَله وكساه . كذا فى الأغانى .

* * *

وأنشد بعده :

(يقولُ ، وقد تَرَّ الوظيفُ وساقُـها : ألستَ تَرَى أنْ قد أتَيْتَ بمؤْيِدِ)

تقدّم شرحه فى الشاهد الرابع والثمانين بعد المائة (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه (٣) :

٢٠٦ (أفى السِّـلمِ أعياراً ، جَفاء وغِلْظةً
وفى الحربِ أشباهَ النِّساءِ العَوارِكِ)

على أنّ (أعْياراً) و (أشْباهَ النساءِ) منصوبان على الحال عند السيرافى ومَن تبعه ، وعلى المصدر عند سيبويه .

قال السُّهيلى فى الروض الأنُف : هذا البيتِ لِهند بنتِ عتبة (٤) ، قالته

(١) مع الملحد ، ساقطة من الأغانى .
(٢) الخزانة : ص ١٥١ من هذا الجزء .
(٣) فى كتابه ١ : ١٧٢ . وانظر السيرة ٤٦٨ والروض الأنف ٢ : ٨٢ ــ ٨٣ والعينى ٣ : ١٤٢ .
(٤) لم ينسبه السهيلى ، وإنما فسره ، والنسبة فى أصل السيرة .

لفَلِّ قريشٍ حين رجَعوا من بَدْر . يقال : عرَكت المرأة : إذا حاضَت . ونصبَ أعياراً على الحال ، والعاملُ فيه مختزَل ، لأنّه أقام الأعيار مُقامَ اسمٍ مشتق ، فكأنّه قال : فى السلم بُلداء جُفاةً مثلَ الأعيار . ونصبَ جفاء وغلظة نصبَ للمصدرِ الموضوعِ موضعَ الحال ، كما تقول : زيد الأسدُ شِدّةً ، أى يُماثله مماثلة شديدة ؛ فالشدّة صفة للمماثَلة ، كما أنّ للمشافَهة صفة للمكالَمة إذا قلتَ : كلّمته مشافهة ، فهذه حالٌ من المصدر فى الحقيقة . وتعلُّق حرفِ الجرّ من قولها أفى السلم ، بما أدّتْه الأعيار من معنى الفعل ، فكأنّها قالت : أفى السلم تتبلّدون . وهذا الفعل المختزَلُ الناصبُ للأعيار ، ولا يجوز إظهارُه اهـ . وزعم العَينىّ أنّ قوله : جفاء ، منصوبٌ على التعليل ، أى لأجلِ الجفاءِ والغلْظة . ولا يخفى سقوطه . والهمزة للاستفهام التوبيخىّ . و (السلم) بكسر السين وفتحها : الصُّلح ، يذكَّر ويؤنث . و (الأعيار) : جمع عَير بالفتح : الحمار أهليًّا كان أمْ وحشيا ؛ وهو مَثَلٌ فى البَلادة والجهل . و (الجفاء) قال فى المصباح : وجفا الثوبُ يجفُو : إذا غلُظ ، فهو جافٍ ، ومنه جفاء البَدْو ، وهو غِلْظتهم وفَظَاظَتهم . والغِلْظة بالكسر : الشدّة وضد اللِّينِ والسَّلاسة . وروى (أمثال) بدل قوله أشباه . و (العَوارك) : جمع عارِك ، وهى الحائض ، من عرَكتِ المرأة تعرُك ، كنصر ينصر ، عروكاً أى حاضَت . وبّختْهم وقالت لهم : أتجفون الناسَ وتُغلِظون عليهم فى السلم ، فإذا أقبلتِ الحربُ لِنْتُم وضعفتم ، كالنساء الُحيض ؟ ! حرّضتِ المشركينَ بهذا البيت على المسلمين . والفَلّ بفتح الفاء : القوم المنهزمون .

هند بنت عتبة

وهند بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمْس بن عبد مناف ، القرشيّة العبشميّة ، والدة معاوية بن أبى سفيان ، أخبارُها قبلَ الإسلام مشهورة . وشهدت أُحُداً وفعلتْ ما فعلتْ بحمزة ؛ ثم كانت تؤلِّب وتُحرِّض على المسلمين ، إلى أن جاء

الله بالفتح ، فأسلم زوجُها ، ثم أسلمت هى يومَ الفتح . كذا فى الإصابة لابن حَجَر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد المائتين[1] ، وهو من شواهد س[2] :

٢٠٧ (أنا ابنُ دَارةَ مَشْهُوراً بِها نَسَبِي وَهَلْ بِدَارَةَ يالَلنَاسِ مِنْ عارِ)

على أن قوله (مشهوراً) حالٌ مؤكِّدة لمضمون الخبر . ومضمونه هنا الفخر ورُوى : (أنا ابن دارة معروفاً بها نسبى) . وقوله : نَسَبِي ، نائبُ الفاعلَ لقوله مشهوراً . والباء مِن بها متعلّقة به لا نائبُ الفاعل ، كما وَهِم العينى . وهذه الحال سببيّة . و (هل) للاستفهام الإنكارىّ . و (من) زائدة ، و (عار) مبتدأ منعَ من رفعه حركةُ حرف الجرّ الزائد . و (بدارةَ) خبرُه . و (يالَلنَاسِ) اعتراضٌ بين المبتدأ والخبر . ويا لِلنداء لا للتنبيه ؛ ولَلنَاسِ منادى ، لا أنّ المنادَى محذوفٌ تقديره : قومى[3] . واللام للاستغاثة ، وهى تدخل على المنادى إذا استُغيث نحو : يالله ، لا أنَّها للتعجُّب المجرَّد خلافاً للعينىّ فى الثلاثة . و(دارة) اسمُ أمِّ الشاعر ، وهو سالم بن دارة[4] ، قال ابن قتيبة :

---

(١) الحق أن هذا الشاهد هو (الثامن) بعد المائتين ، وأن قبله شاهدا قد سقط ، ليس يدرى سبب سقوطه بدليل أن الشاهد التالى رقه هو (التاسع بعد المائتين) . والشاهد المفقود هو كما فى شرح الرضى ١ : ١٩٦ وسيبويه ١ : ١٧٢ :

أفى الولائم أولاداً لواحدةٍ وفى العِيادةِ أولاداً لِعَلاَّتِ

وفى نسخة ش عولجت أرقام الشواهد بعد هذا بأن جعل الشاهد التالى لهذا هو الثامن بعد المائتين . ثم سلسلت أرقام الشواهد إلى آخر الكتاب .

(٣) ط : « إلا أن المنادى محذوف . . . الخ » ، وهو تناقض ظاهر ، صوابه من ش ، ويدل له أيضا قول البغدادى قريبا : خلافا للعينى فى الثلاثة .

(٤) فى النسختين : « سالم بن أبى دارة » بإقحام « أبى » ، صوابه فى الشعراء ٣٦٢ والأغانى ٢١ : ٤٩ والمؤتلف ١١٦ ونوادر المخطوطات ١ : ص ٩٢ .

وهى من بنى أسد ، وسمِّيت بذلك لأنّهـا شبِّهت بدارةِ القمر ، من جمالها .
وقال الحُلوانىّ فى كتاب أسماء الشعراء المنسوبين إلى أمّهاتهم : « دارةُ لقبُ أمه ، واسمها سَيفاء ، كانت أخيذةً أصابها زيدُ الخيلِ من بعض غطفان من بنى أسد ، وهى حُبلى ، فوهبها زيدُ الخيل لزُهير بن أبى سُلمى . فرُبَّما نُسِب سالمُ بن دارة إلى زيد الخيل » اهـ . وقال أبو رياش فى شرح الحماسة ، والأصبَهانىّ فى الأغانى : دارة لقبُ جدِّه ، واسمُه يَربوع . وعلى هذا قد رُوى :

(أنا ابنُ دارةَ معروفاً بها نسَبي)

ورُوى أيضاً : (معروفاً له نسبَى)

قصيدة البيت

وهذا البيت من قصيدة طويلةٍ لسالم بن دارةَ[1] ، هجا بها زُميل بن أُبير أحدَ بنى عبدِ الله بن [عبد] مناف الفَزارى[2] منها :

(بلِّغ فَزارةَ إنّى لن أساليَها حتّى ينيكَ زميلُ أمَّ دينارِ
لا تأمَننَّ فَزاريًّا خَلوتَ به بعد الذى امتلّ أيرَ العيرِ فى النارِ
وإنْ خلوتَ به فى الأرض وَحْدَكما فاحفَظْ قلوصَك واكتُبْها بأَسْيارِ
إنّى أخافُ عليها أنْ يُبَيِّتها عارِى الجواعِرِ يغشاها بقُسْبارِ
أنا ابنُ دارةَ معروفاً له نسبَي وهَل بِدارةَ يا لَلناس مِن عار
جُرثُومة نَبتتْ فى العِزّ واعتَدلتْ تَبغى الجرائمَ مِنْ عُرفٍ وإنكارِ
مِن جِذْم قيسٍ ، وأخوالى بنو أسَدٍ من أكرمِ الناسِ ، زَنْدى فِيهمُ وارى)

وأمّ دينار هى أمُّ زُميل . وقوله : بعد الذى امتلّ أيرَ العير الخ : العَير ،

(١) انظر لها الروض الأنف ٢ : ٢٨٨ وشرح الحماسة للتبريزى ١ : ٢٠٥ والإصابة ٣ : ١٦٢ .

(٢) التكملة من الخزانة ٢ : ١٢٧ سلفية ، وجمهرة ابن حزم ١٧٦ والاشتقاق ١٠٦ .

بالفتح : الحمار . وامتلّ أيرَ العير أى شَوَى أير الحمار فى المَلّة ، وهى الرَّماد الحارّ . وبنو فزارة يُرْمون بأكل أير الحمار مشويا . وسيأتى إن شاء الله تعالى شرح هذا مستوفى فى باب المثنى . والقَلوص : الناقة الشابّة . واكتُبْها : من كتبَ الناقةَ يكتبها بضمّ التاء وكسرها : ختَم حَياءها أوخزَمها بسَيرٍ أو حَلقةِ حديد لئلاّ يُنزَى عليها . والأسيار : جمع سَير من الجلد . وعارى الجواعر : أى بارز الاسْت والفقْحة . والقُسبار ، بضمّ القاف : الذَّكَر الطويل العظيم . وجُرثومة الشىء ، بالضمّ : أصلُه . وتَبغى : مِن البَغْى ، يقال بغَى عليه بَغْياً : إذا علا عليه واستطال ؛ فأصلُه تبغى على الجرائم . والعُرف ، بالضمّ : المعروف . والجِذم ، بالكسر والفتح : الأصل . ووَرَى الزَّنْد : كرَمى : خرج نارُه ؛ ويقال : « ورت بك زِنادى » يقال هذا فى التمدّح والافتخار . وتقدّمَ سببُ هجوِه لبنى فَزارةَ وسببُ هذه القصيدةِ ، مع ترجمته ، فى الشاهد الخامس بعد المائة[1] .

٥٥٨

* * *

باب التمييز

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع بعد المائتين[2] :

٢٠٩ (وسِتُّوكَ قد كَرَبَتْ تَكمُلُ)

على أنّ العددَ الذى فى آخره النون يُضاف إلى صاحبه أكثرَ من إضافته إلى المميز . أى قرُب أن يكمُل ستُّون سنةً من عُمرِكَ .

(١) الخزانة ٢ : ص ١٣٩ وما بعدها

(٢) انظر الهمع ١ : ٢٥٤ والأغانى ١٨ : ١٩٣ .

وهذا المصراع من قصيدةٍ للكميت بن زيد ، مدَح بها عبدَ الرحمن ابن عَنْبَسة بن سعيد بن العاص بن أميَّة . وأوّلُها :

(أأبْكاكَ بالعُرُفِ المَنْزِلُ   وما أنتَ والطَّلَلُ المحْوِلُ
وما أنتَ ، ويكَ ، ورسمُ الديارِ   وستُّوكَ قد كَرَبتْ تَكمُلُ)

قال الأصبَهانيّ فى الأغانى : « كان بين بنى أسد وبين طيِّءٍ حربٌ ، فاصطلحوا وبقى لِطَيِّئٍ دمُ رَجلين ، فاحتمل ذلك رجلٌ من بنى أسد ، فمات قبل أن يوَفِّيه[1] . فاحتمله الكميت ، فأعانه فيه عبد الرحمن بن عَنبسة ، فمدحه الكميت بهذه القصيدة ، وأعانه الحكَمُ بن الصَلْت الثَقَفيّ ، فمدحه بقصيدته التى أولها :

[رأيت الغوانى وحشا نفورا

وأعانه زياد بن المغفَّل الأسدى فمدحه بقصيدته التى أولها[2] :]

* هل للشَّبَاب الذى قد فات من طلب *

ثم جلس الكميت ، وقد خرج العطاء . فأقبل الرجلُ يُعطى الكميتَ المائتين والثلثمائةِ وأكثَرَ وأقلَّ ، وكانت دية الأعرابىّ ألفَ بعير ، ودية الحضَرىّ عشرةَ آلاف درهم ، وكانت قيمة الجمل عشرةَ دراهمَ ، فأدّى الكميتُ عشرين ألفاً عن قيمة ألفَى بعير » اهـ

فقوله : أأبكاك ، يخاطب نفسَه ويقرِّرها مستفهِماً . والعُرُف ، بضمّ العين والراء المهملتين : موضع . والمنزل : فاعلُ أبكاك ، قال الزمخشرىّ فى كتاب

(١) فى الأغانى : « قبل أن يؤديه » .
(٢) التكملة من الأغانى .

الأمكنة والمياه : عُرْفة الأملَح ، وعُرْفة رقد ، وعرفة أعيار[١] : مواضعُ تسمَّى العُرَف[٢] . وأنشدَ بيتَ الكميت . وفى المحكَم لابن سِيدهْ : العُرُف بضمّتين موضع ، وقيل جبل . وأنشد البيت أيضا . وكذا ضبطه أبو عُبيد البكرىّ فى معجَم ما استعجم ، وقال : هو ماء لبنى أسد . وأنشد البيت ، وقال : ويخفّف بسكون الراء ، قال عبّاس بن مرداس :

خُفافيّةٌ بطنُ العَقيق مَصِيفُها وتَحتلُّ فى البادِينَ وجْرَةَ والعُرْفا

فدلّ قولُ عبّاس أنّ العُرف بوادى بنى خُفَاف اه .

وقوله : وما أنتَ الخ ، استفهامٌ توبيخىّ يُنكر بكاءه ، وهو شيخٌ ، على الأطلال . والطَّلَل : الشاخِص من آثار الدار ، وشخصُ كلّ شىء . والمُحوِل : اسم فاعل مِن أحولَ الشَّىء : إذا مرّ عليه حَولٌ ، وهى السنة . ووَيْك : كلمة تفجُّع ، وأصله ويلَك . و (ستُّوكَ) مبتدأ ، وما بعده خبره ، والجملة حالية . و (كَرَبَ) بفتح الراء كُرُوباً : دنا . وكرَبَ من أخوات كاد تعمل عملَها ، واسمها ضمير الستِّين . وجملة (تكمُل) فى موضع نصبٍ خبرها .

وترجمة الكميت بن زيد تقدّمت فى الشاهد السادس عشر[٣] .

* * *

٥٥٩

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد المائتين :

٢١٠ (فَيالَكَ مِنْ لَيلٍ كأنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ[٤])

---

(١) فى النسختين : « أعيال » صوابه فى كتاب الزمخشرى ٧١ ومعجم البلدان .

(٢) العرف : جمع عُرفة ، وهى كل متن منقاد ينبت الشجر ، ذكر منها ياقوت ثلاث عشرة عرفة وانظر القاموس (عرف) .

(٣) الخزانة ١ : ص ١٤٤

(٤) الشاهد من معلقة امرىء القيس . وانظر العينى ٤ : ٢٦٩ والهمع ٢ : ٣٢ وشرح شواهد المغنى ١٩٥ والأشمونى ٢ : ٢١٧ .

على أن قوله : (مِنْ ليلٍ) تمييزٌ عن المفرد الذى هو الضمير المبهم فى قوله (يا لك) .

وفيه أنّ الضمير غيرُ مبهَم ، لتقدُّم مَرجِعه فى البيت قبلَه ، وهو قوله « ألا أيّها الليلُ الطويلُ » كما يأتى ، فالتمييز فيه عن النسبة لا عن المفرد ، ومِنْ لبيان الجنس . وقال المرادىّ فى شرح الألفيّة : مِنْ زائدة فى الكلام الموجَب ، ولهذا يُعطَف على موضع مجرورها بالنصب ، كقول الحطيئة :

يا حُسْنَهُ مِنْ قَوامٍ ما ومُنْتَقباً(١)

وصحّح هذا أبو حيّان فى الارتشاف . و (يا) : حرف نداء ، واللام للتعجُّب تدخل على المنادى إذا تُعُجِّب منه . ولأجل هذا أورد ابنُ هشامٍ هذا البيتَ فى المغنى ، قال فى شرح بانت سُعاد : الأصل يا إياك أو يا أنت ، ثمّ لمّا دخلت لامُ الجرّ انقلبَ الضميرُ المنفصل ، المنصوبُ أوالمرفوع ، ضميراً متّصلاً مخفوضاً . وأورده المرادىّ فى شرح الألفيّة على أنّ اللام فيه للاستغاثة ، استغاث به منه لطوله ، كأنّه قال : يا ليلُ ما أطولَك ! قال ابنُ هشام : وإذا قيل يا لَزيد بفتح اللام فهو مستغاث ، فإن كسرت فهو مستغاثٌ لأجله ، والمستغاث محذوف ، فإن قيل يا لك احتملَ الوجهين . والباء فى قوله : (بكل) متعلِّقة بِشُدَّت . و (المغار) بضمّ الميم : اسمُ مفعول بمعنى المُحكَم ، من أغَرْتُ الحبلَ إغارةً : إذا أحكمتَ فَتْله . و (يذبُل) : اسم جبَل ، لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل ، وصرفه للضرورة . يقول : إنّ نجوم الليل لا تفارق محالَّها ، فكأنّها مربوطة بكلِّ حبْل مُحْكَم الفَتْل فى هذا الجبَل . وإنّما استطالَ الليلَ لمقاساةِ الأحزان فيه .

---

(١) ط : « ومنتقبا » والقصيدة بائية ، وهى مفتتح ديوان الحطيئة . وصدره :

* طافت أمامة بالركبان آونة *

صاحب الشاهد

وهذا البيت من معلّقة امرئ القيس المشهورة . وفيها خمسة أبيات في وصف الليل ، وهي :

أبيات الشاهد

(وليلٍ كموج البَحْر أرخَى سُدولَه عليَّ بأنواعِ الهُموم ليَبتَلِي
فقلتُ له لمـا تمطَّى بصُلْبِه وأردفَ أعجازاً وناءَ بكَلْكَلِ
ألاَ أيُّها الليلُ الطويلُ ، ألا انجلِي بصُبح ، وما الإِصباحُ منِكَ بأمْثَلِ
فيالكَ من ليلٍ كأنَّ نجومَه . . . . البيت
كأنّ الثريّا عُلِّقت فى مَصامِها بأمراسِ كَتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ)

فقوله : وليل ، الواو واو ربَّ والسُدول : السُتور ، جمع سُدلْ ؛ وسدل ثوبَه : إذا أرخاه . يقول : رُبَّ ليل يحا كى أمواجَ البحرْ فى توحُّشه وهَوله ، وقد أرخَى على ستورَ ظَلامِهِ معَ أنواع الحزن لِيختبرنى : أأصبر أمْ أجزَع ! وهذا ، بعد أن تغزَّلَ ، تمدَّحُ بالصَّبْر والجلَد . وقوله : فقلت له لمـا تمطّى الخ ، تمطَّى : امتدّ . وناء: نهض. والكَلْكَل: الصدر. والأعجاز: الأواخر ، جمع عَجُز؛ وهو من استعمال الجمع موضع الواحد . وقد استشهد ابنُ مالكٍ بهذا البيت على أنّ الواوَ لا تدلّ على الترتيب ، لأنّ البعير ينهَض بكلكله ، والأصل : فقلت له لمـا ناء بكلكله وتمطّى بصلبه وأردف أعجازَه .

وقوله : ألا أيُّها الليلُ الطّويل الخ ، انجلِي : أمرٌ بمعنى انكشِفْ ؛ والياء إشباع . والإِصْباح : الصَّباح . والأمثَل : الأفضل . وأورد هذا البيتَ فى تلخيص المفتاح على أنّ صيغة الأمر فيه للتمنِّي ، ومعناه تمنّى زوالِ ظلام الليل بِضياء الصبُح ؛ ثم قال : وليس الصباح بأفضل منك عندى ، لاستوائهما فى مقاساة الهموم ، أو لأنّ نهاره يظلم فى عينه لتوارد الهموم . فليس الغرض طلبَ الانجلاء من الليل لأنه لا يقدر عليه ، لـكنّه يتمناه تخلّصاً مما يَعرض له

٥٦٠

فيه ، ولاستطالة تلك الليلة كأنّه لا يرتقِب انجلاءها ولا يتوقّعه . فلهذا حُمل على التمنى دون الترجّي (١) .

قال الإمام الباقلاّنيّ ، فى إعجاز القرآن(٢) : « ومما يعدُّونه من محاسن هذه القصيدة هذه الأبياتُ الثلاثة ، وكان بعضهم يعارضُها بقول النابغة :

كِليني لِهَمٍّ يا أُميمةَ ناصب ... وليلٍ أُقاسيه بطيء الكواكبِ

وصدرٍ أراحَ الليلُ عازبَ همِّه ... تضاعَفَ فيه الحُزْنُ مِن كلّ جانب

تقاعَسَ حتّى قلتُ ليسَ بمنقضٍ ... وليسَ الذى يتلو النجومَ بآيبِ

وقد جرى ذلك بين يدى بعضِ الخلفاء ، فقدِّمتْ أبياتُ امرىء القيس واستُحسِن استعارتُها ، وقد جعل لليل صدراً يثْقُل تنحّيه ، ويُبطىء تقَضّيه ، وجعلَ له أردافاً كثيرة . وجعل له صُلباً يمتدّ ويتطاول . ورأوا هذا بخلاف ما يستعيره أبو تمّامٍ من الاستعارات الوحشيّة البعيدة المستنكَرة . ورأوا أنّ الألفاظَ جميلةٌ . واعلم أنّ هذا صالحٌ جميلٌ ، وليس من الباب الذى يقال إنّه متَناهٍ عجيب . وفيه إلمام بالتكلّف ، ودخول فى التعمّل » انتهى .

وقوله : كأنّ الثريّا عُلِّقت الخ ، المَصام بفتح الميم : موضع الوقوف . والأمراس : الحبال ، جمع مَرَس محرّكة . والجندَل : الحجارة . يقول : كأنّ الثريّا مشدودةٌ بحبالٍ إلى حجارةٍ ، فليست تمضى .

قال العسكريّ فى التصحيف(٣) : ومما خالف فيه ابنُ الأعرابى الأصمعيَّ فى المعنى لا فى اللفظ ، قولُه :

كأنّ الثريّا علِّقت . . . . البيت

(١) هذا من كلام العباسى أيضاً فى معاهد التنصيص ١ : ٩٠ .
(٢) إعجاز القرآن ٢٧٥ — ٢٧٦ .
(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢٢٢ .

فالماء فى مَصَامِها عند الأصمعىّ ترجع إلى الثريّا . ومعنى مَصامِها : مَوْضعها ومُقامها . وهو يصف الليلَ وأنّ نجومَهَ لا تَسير ، من طوله ، فكأنّ لها أواخىّ فى الأرض تحبسها . هذا مذهب الأصمعىّ . ورأيتُ هذا البيتَ فى نوادر ابن الأعرابىّ وفسّره بتفسيرٍ عجيب ، فقال ورواه :

(كأنّ نجوماً عُلِّقت فى مَصامِهِ)

ثم فسّر وقال : شبَّه ما بين الحوافر وجُثمانه ، بالأمراس ، وصُمّ جَندل ، يعنى جثمانه . فأخذ هذا البيتَ وصيَّره فى وصف الفرس ، وحمَلَه على أنّه بَعدَ :

(وقد أغتدى والطيرُ فى وكناتها بمنجَرد قيْدِ الأوابد هيكل) ا ه

وترجمة امرئ القيس قد تقدّمت فى الشاهد التاسع والأربعين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشرَ بعد المائتين[2] :

٢١١ (وَيلُمِّها رَوْحَـةً والرِّيحُ مُعْصِفَةٌ
والغَيثُ مُرْتَجِزٌ واللَّيل مُقْتَرِبُ)

لما تقدّم قبله ، أعنى كونَ التمييز يكون عن المفرد إذا كان الضمير مبهَماً لا يعرَف المقصودُ منه ؛ فإنّ الضمير فى (ويلُمِّها) لم يتقدَّم له مرجعٌ ، فهو مبهَم ، ففسّره بقوله : (رَوحةً) فهو تمييز عن المفرد ، أى وَيلُمٍّ هذه الروحةِ فى حال عصف الريح . فجملة والريح معصفة حال . و (مُعصِفة) : شديدة ، يقال : أعصَفَتِ الريحُ وعَصَفَت ، لغتان ؛ والغَيث هنا : الغيم . ومُرتجز : مصوِّت ، يريد صوت الرَّعد والمطر . و (مقترب) : قد قرب .

(١) الخزانة ١ : ص ٣٢٩
(٢) ديوان ذى الرمة ٣٣ .

أبيات الشاهد ٥٦١

وهذا البيتُ من قصيدةٍ طويلةٍ جدًّا لذى الرُّمَّةِ . وهذا البيتُ من أواخرها . شبّه بعيره بالنَعام فى شدَّة العَدْو ، ثم وصفَ النعامَ بما يقتضى شدةَ إسراعه فقال :

(حتَّي إذا الهَيقُ أمسَى شامَ أفرُخَه وهُنَّ لا مُؤيِسٌ نأياً ولا كَثَبُ
يَرْقَدُّ فى ظِلِّ عَرَّاصٍ ويَطْرُدُه حَفيفُ نافجةٍ عُنوانُها حَصِبُ
تَبرى له صَعلةٌ خَرْجاء خاضعةٌ فالخرقُ دونَ بناتِ البَيضِ مُنْتَهَبُ[1]
كأنّها دلوُ بِئرٍ جَدَّ ماتِحُها حتّي إذا ما رآها خانَها الكَرَبُ
ويلُمُّها روحة . . . . البيت
لا يَذْخَرانِ مِن الإيغالِ باقيةً حتّي تكاد تفرَّى عنهما الأُهُبُ)

الهَيق ، بالفتح : ذكَر النعام . وشام : نظَر إلى ناحيةِ فراخِهِ . وأفرُخ : جمع فَرْخ . وهُنّ : أى الأفرخ . والنَّأى : البُعد . والكَثَب ، بفتح الكاف والمثلثة القُرْب . يقول : موضعُهنَّ ليس منه بالبعيد الذى يُؤيِسه من أنْ يطلبَهنّ أى يحمله على اليأس ، ولا بالقريب فيفْتُر[2] . وقوله : يرقَدّ ، أى يعدو الهَيق عَدْواً شديداً . والعَرَّاص ، بمهملات : غَيمٌ كثيرُ البرق . والحَفيف ، بإهمال الأول : صوت الريح . والنافجة : الريح الشديدة الباردة . وعُنوانها : أوائلها . وحَصِب ، بفتح فكسر : فيه ترابٌ وحَصْباء ، وهذا مما يوجب الإسراعَ إلى المأوى . وقوله : تَبرِى له صَعَلةٌ الخ ، تَبرِى : تعرض لهذا الهَيق . صَعْلة : نعامة دقيقة العنق وصغيرة الرأس . خَرْجاء : مؤنث الأخرَج ، وهو ما فيه سَواد وبَياض . خاضعة : فيها طمأنينة . والخَرق ، بالفتح : الأرض البعيدة ،

(١) ط : « متهب » صوابه فى ش والديوان ٣٢ .
(٢) ط : « فيغير » ، صوابه فى ش .

تنخرق فيها الرياح . وبَنات البَيض : الفراخ ، لأنّها تخرُج من البَيضة . يقول : الهَيق والصَعْـلة يعدُوان عدْواً شديداً كأنّهما ينتهبانِ الأرضَ انتهاباً ، كأنهما يأ كلانها ، من شدة العدْو ، فهما يركضان إلى فراخهما خائفَين البردَ والمطر وغيرَهما . وقوله : كأنّها دلو الخ ، أى كأنَّ هذه الصَعْـلةَ دَلوٌ انقطع حبلُها بعد أن وصلت إلى فَمِ البـئر فمضَت تهوِى ، شبَّهها بهذه الدلوِ التى هَوَتْ إلى أسفل . وجَدَّ : اجتهد . والماتح ، بالمثنّاة الفوقيّة : المستقى من البئر بالدلو . والـكَرَب : العقد[1] الذى على عَراقىّ الدَّلْو ؛ والعَراقى : العُودان اللذان فى وسط الدلو . والمراد بخانها الـكَرَب ، انقطع .

وقوله : (ويُلمِّها رَوْحةً ، الخ) أى ويلَ أُمٍّ هذه الروحة . وإنما لم يجز أن يعود الضميرُ على صَعْلة ، كما عاد عليها ضمير كأنّها فى البيت المتقدِّم ، لأنه قد فُسِّر بروحة ، والتفسير يجب أن يكون عينَ المفسَّر ، والرَّوحة غير الصَّعلة ؛ فلا يفسِّرها . ولو قال : ويلمِّها رائحة ، لـكان مرجعُ الضمير معلوماً : مِنْ صَعْلة ، وكان من تمييز النسبة لا المفرد . و (الروحة) مصدر راح يرُوح رَواحا[2] ورَوحة : نقيض غدا يغدو غدُوًا . والرواح أيضاً : اسمٌ للوقت مِن زوال الشمس إلى الليل .

وقوله : لا يَذخَرانِ : أى لا يُبقِيان ، يعنى الهَيقَ والصَعْـلة . والإيغال : الجِدُّ فى العَدْو . والباقية : البقِيَّة . وتفَرّى : تشقَّق . والأُهُب ، بضمّتين : جمع إهَاب ، أراد جلودَهما . وهذا غايةٌ فى شدّة العدْو .

واعلم أنّ قولهَم : ويلُمِّهِ وَوَيلُمِّها ، قال ابن الشجَرِىّ : يروى بكسر اللام

---

(١) كذا فى النسختين ، وقد فسر فى المعاجم بأنه الحبل . وانظر ما سيأتى فى الشاهد ٢١٤ .

(٢) ط : « رواحة » صوابه فى ش .

٥٦٢ وضمِّها ، والأصل ويلٌ لأمِّهِ ، فحذف التنوين ، فالتقَى مثلان : لامُ ويل ولام الخفض ، فأُسكنت الأولى وأُدغمت فى الثانية فصار ويلٌ أمٍّ مُشدداً واللام مكسورة ، فخُفِّف — بعد حذف الهمزة — بحذف إحدى اللامين . فأبو على ومَن أخذ أخْذَه نصُّوا على أن المحذوفَ اللامُ المدغمة ، فأقرُّوا لامَ الخفض على كسرتها ، وآخرون نصُّوا على أنّ المحذوفة لامُ الخفض ، وحرّكوا اللامَ الباقية بالضمّة التى كانت لها فى الأصل . انتهى .

قال أبو علىّ فى الإيضاح الشِعرىّ : حذف الهمزة من أُمّ فى هذا الموضع لازم ، على غير قياس ، كقوله :

* يابا المغيرة والدنيا مفجِّعةٌ[١] *

ثم سُئِل لم لا يجوز أن يكون الأصل وىْ لامّه ، فتكون اللام جارّة ووَىْ للتعجُّب ؟ فأجاب بأنّ الذى يدلّ على أنّ الأصل ويلٌ لامّه ، والهمزةَ مِن أمٍّ محذوفةٌ قولُ الشاعر[٢] :

لأمٍّ الأرضِ ويلٌ ما أجنَّتْ   غداةَ أضرَّ بالحسَنِ السبيل

وقال ابن السِّيد ، فى شرح شواهد أدب الكاتب : ويلمه بكسر اللام وضمّها : فالضمّ أجاز فيه ابن جنّي وجهين : أحدهما أنّه حذَف الهمزةَ واللام وألقى ضمّةَ الهمزة على لام الجرّ ، كما رُوى عنهم (الحمدُ لُلّه) بضمّ لام الجرّ . وثانيهما : أن يكون حذَف الهمزة ولامَ الجرّ ، وتكون اللام المسموعة[٣]

---

(١) ويروى : « أبا المغيرة » كما فى العقد ٣ : ٥٩ ، ٢٤١ . والبيت لحارثة بن بدر الغدانى ، كما فى العقد . وعجزه :

* وإن من غرت الدنيا لمغرور *

(٢) هو عبد الله بن عنمة الضبي ، كما فى الحماسة ١٠٢١ بشرح المرزوقى واللسان (ضرر ، حسن) . وانظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ٥ .

(٣) وكذا فى الاقتضاب ٣٦٤ وجعلها الشنقيطى فى نسخته « اللام المضمومة » .

هى لامُ ويل . وأما كسْر اللام ففيها ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون أراد ويلَ أمِّه ، بنصب ويل وإضافته إلى الأمّ ، ثم حذَف الهمزةَ لكثرة الاستعمال ، وكسرَ لام ويل إتباعاً لكسرة الميم . والثانى : أنْ يكون أراد ويلٌ لأمِّه ، برفع ويل على الابتداء ولأمِّه خبرُه ، وحذَف لامَ ويْل وهمزة أُمّ ، كما قالوا أيْشٍ لك ، يريدون أىّ شىء . فاللام المسموعة على هذا لامُ الجرّ . والثالث : أنْ يكون الأصل وَىْ لأمِّه ، فيكون على هذا قد حذفَ همزة أمّ لا غير ؛ وهذا عندى أحسنُ هذه الأوجه ، لأنّه أقلّ للحذف والتغيير . وأجاز ابنُ جنِّي أن تكون اللامُ المسموعة هى لام ويل ، على أن يكون حذفَ همزةَ أمّ ولامَ الجرّ وكسَر لام ويل إتباعاً لكسرة الميم . وهذا بعيد جداً . هذا إعلالها . وأما معناها فهو مدحٌ خرج بلفظ الذمّ : والعربُ تستعمل لفظَ الذمِّ فى المدح ، يقال : أخزاه اللهُ ما أشعرَه ! ولعنه اللهُ ما أجرأه ! وكذلك يستعملون لفظَ المدح فى الذمِّ ، يقال للأحمق : يا عاقل ؛ وللجاهل : يا عالم : ومعنى هذا يا أيُّها العاقلُ عندَ نفسِه أو عند مَن يظنّه عاقلاً : وأمّا قولهم : أخزاه الله ما أشعره ! ونحو ذلك من المدح الذى يُخرجونه بلفظ الذمّ فلهم فى ذلك غرضان : أحدهما : أنّ الإنسانَ إذا رأى الشىءَ فأثنى عليه ونطَق باستحسانه ، فربّما أصابه بالعين وأضرَّ به ، فيعدِلون عن مدحِه إلى ذمّه لئلاّ يؤذوه : والثانى : أنهم يريدون أنّه قد بلغ غايةَ الفضل وحَصَل فى حدٍّ مَن يُذَمُّ ويُسَبُّ ، لأنّ الفاضل يَكثُر حسّادُه والمعادون له ، والناقص لا يلتفت إليه : ولذلك كانوا يرفعون أنفسَهم عن مهاجاة الخسيس ومجاوبة السفيه[1] :

---

(١) إلى هنا ينتهى كلام ابن السيد ، وهو فى الاقتضاب ٣٦٤ — ٣٦٥ . وقد تصرف فيه البغدادى بالتقديم والتأخير .

وفى القاموس : رجل وَيلمةٌ ، بكسر اللام وضمها ، داهٍ : ويقال للمستَجاد : ويلمهٌ ، أى ويلٌ لأمّهِ ، كقولهم : لا أبَ لك ، فركّبوه وجعلوه كالشئ الواحد ثمّ لحقتْه الهاء مبالغةً كداهية : انتهى :

وهذا استعمال ثانٍ ، جعل المركّب فى حكم الكلمة الواحدة : وليست الهاء فى آخره ضميراً ، بل هى هاء تأنيث للمبالغة ، فلا تعريف : ولهذا يقع وصفاً للنكرة ، قال أبو زيد فى كتاب مسائيَة : يقال هو رجلٌ وَيلُمّةٌ :

وروى ابنُ جنّي فى سرّ الصناعة عن أبى علىّ عن الأصمعىّ أنّه يقال : رجل وَيلُمّة . قال : وهو من قولهم :

ويلُمّ سعدٍ سعداً (١)

والاشتقاق من الأصوات بابٌ يطول استقصاؤه ؛ وعلى هذا يجوز دخول لام التعريف عليه ؛ قال الرياشىّ : الويلمّهِ (٢) من الرجال : الداهية الشديد الذى لا يطاق . ولا يُلتفَت إلى قول أبى الحَسَن الأخفش — فيما كتبه على كتاب مسَائيَة — : « من كلام العرب السائر أنْ يقولوا للرجل الداهيَة : إنّه لَويلُمّهِ صَمَحْمَحاً ، والصمحمَح : الشديد ، هذا هو المعروف ؛ والذى حكاه أبو زيد غير ممتنع ، جَعَلَه اسماً واحداً . [فأعربَه (٣)] فأمّا حكاية الرياشىّ : فى إدخال الألف واللام على اسمٍ مُضاف ، فلا أعلم له وجها ، انتهى .

---

(١) لكبيشة بنت رافع فى السيرة ٦٩٩ تندب به سعد بن معاذ حين استشهد يوم الخندق . قال ابن اسحاق : « يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ » .

(٢) فى النسختين : « الويلة » بالتاء ، صوابه من كتاب مسائية لأبى زيد ٢٤٤ ومن النقد التالى لأبى الحسن الأخفش .

(٣) التكملة من كتاب مسائية الملحق بنوادر أبى زيد .

أقول : الذى رواه عن العرب مِن قولهم إنّه لَوَيلُمّهُ صَمَحْمَحاً ، غير الذى قاله أبو زيد كما بيّنّاه : فإنّه جُعِل الكلمتان(١) فى حكمِ كلمةٍ واحدة ، فلا إضافة فيه ، والهاء للمبالَغة ، والكلمة حينئذ نكرة ، فيدخل عليها لام التعريف . فتأمّلْ .

وترجمة ذى الرُّمَّة تقدَّمتْ فى الشاهد الثامن فى أوائل الكتاب(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد المائتين(٣) :

٢١٢ (وَيْلُمِّ أيّامِ الشباب مَعيشةً ... مَعَ الكُثرِ يُعْطَاهُ الفَتَى المتلِفُ النَدِى)

على أنّ قوله : (معيشةً) تمييزٌ عن النسبة الحاصلة بالإضافة ، كما بينه الشارح المحقِّق .

وقوله : (ويلمِّ أيّام) الخ ، دعاء فى معنى التعجُّب ، أى ما ألذَّ الشبابَ مع الغنى . وقد بيّنّا قبل هذا البيت أصلَها ومعناها . قال الطَّبَرْسىّ فى شرح الحماسة : ويل ، إذا أُضيفت بغير لام ، فالوجْهُ فيه النصب ، تقول : ويل زيد، أى ألزم الله زيداً ويلاً . فإذا أُضيفت باللام فقيل : ويلٌ لزيد ، فالوجه أن تُرفَع على الابتداء . وجاز ذلك مع أنّه نكرة ، لأنّ معنى الدعاء منه مفهوم ، والمعنى : الويلُ ثابت لزيد . فالأصل فى البيت : ويلٌ لأمٍّ لذات الشباب . قصد الشاعر إلى مدْح الشباب وحَمْد لذّاتِه بين لذّات المعاش . وقد طاعَ

(١) ش : « جعل الكلمتين » .

(٢) الخزانة ١ : ص ١٠٦ .

(٣) انظر له ديوان علقمة ١٣٥ والبيان ٣ : ٣٤ والحماسة ١٢٠٢ بشرح المرزوقى والسمط ٤٢٩ واللسان (نجد ، قلل) .

لصاحبه الكُثْر — وهو كثرة المال — فاجتمع الغِنَى والشبابُ له وهو سخىّ . انتهى

صاحب الشاهد وهذا البيت أوّل أبياتٍ أربعةٍ لعلْقمة بن عَبَدة . وهى ثابتة فى ديوانه . وقد اقتصر أبو تمّام فى الحماسة على البيت الأوّل والثانى ، وهو :

(وقد يَعقل القُلُّ الفَتى دُونَ همّهِ وقد كان ، لولا القُلُّ ، طَلاَّعَ أَنْجُدِ)

ونَسَبَهما لبعض بَنى أسَد . ونسبهما فى مختار أشعار القبائل ، لابنه وهو خالد بن علقمة بن عَبَدة . ونسبهما بعضهم لابن ابنه ، وهو عبد الرحمن ابن علىّ بن علقمة بنعَبَدة . ونسبهما الأعلم الشنتمرىّ فى حماسته ، لحميد ابن سجار الضبيّ . وكذا هو فى حاشية الصحاح منسوب لحميد .

و (الكُثْر) بضمّ الكاف ومثله القُلّ : المال الكثير والمال القليل ؛ يقال : ماله قُلٌّ ولا كُثر . قال أبو عبيد : سمعتُ أبا زيد يقول : الكُثْر ، والكثير واحد : قال فى الصحاح : هما بالضمّ والكسر . وقوله : مع الكُثر ، فى موضع النصب صفة لمعيشة . وجملة يُعطاه الخ ، بالبناء للمفعول : حال من الكُثْر ؛ والهاء ضمير الكثر ، وهو المفعول الثانى للعطاء . والفتى نائبُ الفاعل ، وهو مفعوله الأوّل . والمتلِفُ ، بالرفع : صفة للفتى ؛ وكذلك الندى . ورُوى : (يُعطاهاَ) بضمير المؤنّث على أنّه عائد على المعيشة مع قَيْدها .

٥٦٤

و (الفتى) قال فى الصحاح : هو السَّخىُّ الكريم ، يقال : هو فَتيٌّ بيِّنُ الفتوّة ، وقد تفتّي وتفاتَى ؛ والجمع فِتيانٌ ، وفِتْية ، وفُتُوّ على فعول ، وفِتِيّ مثل عصىّ . و (المتلِف) : المفرّق لماله ، يقال رجل متلِفٌ لماله ومتلاف بالمبالغة . و (الندِىّ) : السخىّ ، قال فى الصحاح : وندَوت من الجود ، يقال : سَنَّ للناس الندَى فنَدَوْا بفتح الدال ، ويقال : فلان نَدِىّ الكفّ : إذا كان سَخيًّا . وقد رُوى فى ديوانه البيتُ هكذا :

(وبلٌ بلذَّات الشباب مَعيشة . . . .)[١] الخ

ورُوى أيضاً :

(فويلمّ لذّاتِ الشبابِ معيشةً)

وقوله : وقد يَعقِل القُلُّ ، مِن عقَلَه ، من باب ضرب ، إذا منعه . والقُلّ ، بالضمّ فاعل ، والفتى مفعول . وروى : (وقد يَقصُر القُلّ) مِن قصَره : إذا حَبسه ، أو من قصَرت قَيدَ البعير : إذا ضيَّقته ، من باب دخل يدخل . ورُوى أيضاً : (وقد يُقعِد القلّ) مِن أقعده : إذا منعه من القيام لحاجته . والهَمّ ، بالفتح : أول العزيمة ، قال ابن فارس : الهمّ : ما هممت به ؛ وهممت بالشئ همّا ، من باب قتل : إذا أردتَه ولم تفعله ؛ ومثله الهِمّة بالكسر وبالتاء . وقد يُطلَق على العزم القوىّ ، كذا فى المصباح . ودونَ بمعنى قَبْل . وأنجُد : جمع نُجْد ، وهو ما ارتفعَ من الأرض . قال فى الصحاح : ومنه قولهم فلان طَلّاعُ أنجد وطَلّاع الثنايا : إذا كان سامياً لمعالى الأمور .

ومعنى هذا البيتِ قد تداوله الشعراء وتصرَّفوا فيه ، منهم مُسْلم بن الوليد ، فقال :

عرَف الحقوقَ وقصَّرت أموالُه عنها وضاقَ بها الغنيُّ الباخل[٢]

ومنه قول آخر[٣] :

أرى نفسى تَتوق إلى أمورٍ يقصِّر دونَ مبلَغهنّ مالى[٤]

---

(١) ش : « للذات » مع أثر تغيير .

(٢) ملحقات ديوان مسلم ٣٣٤ عن الغيث المسجم ، وليس فى صلب ديوانه .

(٣) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، كما فى عيون الأخبار ١ : ٣٤٠ والحماسة ١٠٤٠ بشرح المرزوقى .

(٤) فى عيون الأخبار : « خالى » .

فلا نَفْسى تطاوعنى ببُخْلٍ ولا مالى يبلِّغنى فَعالى

ومنه قول الآخر :

رزُقت لبًّا ولم أُرزَقْ مُروءته وما المروءة إلاّ كثْرة المالِ[1]

إذا أردتُ مُساماةً تَقاعَدَ بى عمّا أحاوِل منها رِقّةُ الحالِ

وقريبٌ منه قول الآخَر :

الناسُ اثنانِ فى زمانِك ذا لو تبتغى غَير ذينِ لم تجِدِ :

هذا بخيلٌ وعنـده سَعَة ، وذا جوادٌ بغير ذاتِ يدِ

وأما البيتان الأخيران من الأبيات الأربعة فهما :

(وقد أقطعُ الخَرْقَ المخوفَ به الردَى بعَنْسٍ كجفن الفارسىّ المسَرَّدِ[2]

كأنّ ذِراعيها على الخَلِّ بعدَ ما وَنينَ ذراعًا ماتحٍ متجرِّدِ)

والخَرق ، بالفتح : الأرض الواسعة التى تنخرِق فيها الرياح . والردَى نائب فاعل المخوف . والعَنْس ، بفتح العين وسكون النون : الناقة القويّة الشديدة . والخَلّ مصدر خلَّ لحمه خَلاّ وخُلولا : أى قَلّ ونحُف ، كذا فى العباب . وقوله : ونين ، فعل ماض من الونَى بالقصر وهو الضعف والفتور والـكلال والإعياء . والماتح : الذى ينزل البئر فيملأُ الدلو ، وذلك إذا قلّ ماؤها ، وفعله ماح يميح . وأما الماتح بالمثنّاة الفوقيّة ، فهو مستقى الدلْو . والمتجرِّد : المشمِّر ثيابَه .

٥٦٥

علقمة بن عبدة

و (عَلقَمَة) شاعرٌ جاهلىّ ، ونسبته — كما فى الجمهرة لابن الـكلبىّ والمؤتلف والمختلف للآمدىّ — عَلقَمة بن عَبَدة بن ناشرة بن قيس بن عَبيد ابن ربيعة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم انتهى . وعَبَدة بفتح العين والباء ؛

(١) البيتان فى البيان ٣ : ٢٠٦ وعيون الأخبار ١ : ٢٣٩ .

(٢) كذا فى الديوان . وفى النسختين : « المفرد » .

وأما عبْدة بن الطبيب فهو بسكون الباء . كذا فى الصحاح . والعَبَدة محرّكة بمعنى القوّة ، والسِّمَن ، والبقاء ، وصَلاءة الطِّيب ، والأَنَفة .

قال صاحب المؤتلف والمختلف(١): عَلْقَمة فى الشعراء جماعة ليسوا ممّن أعتمد ذِكرَه ، ولكنْ أذكرُ عَلْقَمَةَ الفحلَ ، وعَلقمة الخَصِىَّ — وهما من رَبيعةِ الجُوعِ — فأمّا عَلقمةُ الفحلُ فهو علقمة بن عَبَدة . . . إلى آخر نسبه المذكور . ثم قال : وقيل له عَلقَمة الفحلُ ، مِن أجل رجلٍ آخر يقال له علقمة الخصِىّ . وأما عَلقمة الخَصىّ ، فهو علقمة بن سَهْل أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيدِ مَناةَ بن تميم ؛ ذكر أبو اليقظان أنّه كان يُكنى أبا الوضّاح . قال : وكان له إسلامٌ وقدْر . وكان سببَ خِصائه أنّه أُسِر باليمن ، فهرَب فظُفِرَ به ، فهرب ثانية ، فأخِذ وخُصِى . وكان شاعراً ؛ وهو القائل :

يقولُ رجالٌ مِنْ صديقٍ وصاحبٍ : أراكَ أبا الوضّاحِ أصبحتَ ثاويا

فلا يعدَمِ البانُونَ بيتاً يكُنُّهم ولا يعدَم الميراثَ منى المواليا

وخَفّتْ عيونُ الباكياتِ وأقبلوا إلى مالِهمْ قد بِنْتُ عنه بماليا

حراصاً على ما كنتُ أجمعُ قبلَهم ؛ هنيئاً لهم جَمْعى وما كنتُ آلِيا اهـ

وقال غيره : إنما لُقِّب بالفحل لأنّه خَلَف على امرأة امرئْ القيس لما حَكَمت له بأنّه أشعر منه . وذلك ما حكاه الأصمعىّ : أنّ امرأ القيس لمّا هرب من المنذر بن ماءالسماء ، وجاوَرَ فى طيِّئٍ ، تزوّج امرأة منهم يقال لها أمّ جُندب . ثم إنّ علْقمة بن عبدَة نزل عنده ضيفاً وتذاكرا الشعر ، فقال امرؤ القيس : أنا أشعَرُ منك ! وقال علقمة : أنا أشعر منك ! واحتكما

(١) المؤتلف والمختلف ١٥٢ .

إلى امرأته أمّ جُندبٍ لتحكم بينهما ، فقالت : قُولاَ شِعراً تصِفان فيه الخيلَ على رويٍّ واحد . فقال امرؤ القيس :

خَليليَّ مُرَّا بى على أمِّ جُندبٍ لنَقضىَ حاجات الفؤادِ المعذَّبِ

وقال علقمة :

ذهبت مِنَ الهجرانِ فى كلِّ مَذهَبِ ولم يكُ حقّاً كلُّ هذا التجنُّبِ

ثم أنشداها جميعاً . فقالت لامرئ القيس : علقمة أشعَرُ منك ! قال : وكيف ذلك ؟ قالت : لأنك قلت :

فللسَّوط أُلهوبٌ وللسَّاق دِرَّة وللزَّجْرِ مِنه وقعُ أهوجَ مِنعَبِ[1]

فجَهَدتَ فرسَك بسوطك ومَرَيْتَه بساقك ، وقال علقمة :

فأدرَكهنَّ ثانياً مِن عِنانه يمرُّ كَمرِّ الرائحِ المتحلِّبِ

فأدرك طريدتَه وهو ثانٍ من عنان فرسه ، لم يَضْرِبه بسوط ، ولا مَرَاه بساق ، ولا زَجَره ! قال : ما هُو بأشعرَ منِّى ، ولكنّكِ له وامق ! فطلَّقها ، فخَلَفَ عليها علقمة ، فسمِّى بذلك ، الفحل . وقد أورد ابن حَجَر فى الإصابة ابنَه ، فى المخضرمين ، فيمن أدرك النبيَّ صلى الله عليه وسلم ولم يره ، قال : علىّ بن علقمة بن عبَدَة التميمىّ ، ولد علقمةَ : الشاعرِ المشهور الذى يعرف بعلقمة الفحل ، وكان من شعراء الجاهليّة من أقران امرئ القيس . ولعلّ هذا ولدٌ اسمُه عبد الرحمن ، ذكَره المرزُبانىّ فى معجم الشعراء . فيلزم مِن ذلك أن يكون أبوه من أهل هذا القسم ، لأنّ عبد الرحمن لم يدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم . انتهى

٥٦٦

* * *

(١) وكذا فى الديوان ٥١ واللسان (نعب) . لكن فى ش ولم يمس بتغيير : « أخرج مهذب » وهى رواية اللسان (هذب) .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثالث عشر بعد المائتين :

٢١٣ (لله دَرُّ أنُوشِرْوانَ من رَجُلٍ ما كانَ أعرَفَهُ بالدُّونِ والسِفَلِ[١])

على أنّ قوله (مِنْ رجلٍ) تمييزٌ عن النسبة الحاصلة بالإضافة . وقد بيّنه الشارح المحقّق رحمه الله تعالى .

و (أنُوشِرْوانَ) هو أشهر ملوك الفُرْس وأحسنُهم سيرةً وأخباراً . وهو أنوشِرْوان ابن قُباد[٢] ابن فيروز . وفى أيامه وُلد النبيُّ صلى الله عليه وسلم . وكان ملكاً جليلاً محبَّباً للرعايا ، فتح الأمصارَ العظيمة فى الشرق ، وأطاعته الملوك . وقتَلَ مَزْدَكَ الزِّنديقَ وأصحابَه — وكان يقول بإباحة الفُروج والأموال — فعظُم فى عيون الناس بقتله . وبنى المبانىَ المشهورة ، منها السُّور العظيم على جبل الفَتح عند باب الأبواب ، ومنها الإيوانُ العظيمُ الباقى الذِّكر ؛ وليس هو المبتدئَ ببنائه ، بل ابتدأ به سابورُ ، وأنُوشِرْوانَ أتمّه وأتقنَه ، حتّي صار من عجائب الدنيا ؛ وانشقَّ لولادة النبيّ صلى الله عليه وسلم . وأخبار أنوشِروانَ مشهورة فلا نُطيل بها .

وقوله : (ما كانَ أعْرَفَهُ) كان زائدة بين ما وفعلِ التعجّب . و (الدُّون) بمعنى الرديء ، وهو صفة ، ومنه ثوبٌ دُون ؛ وقيل : مقلوب من الدنُوّ ؛ والأدنى : الرديء . وفى القاموس أنّ الدُّون للشريف والخسيس ، ضدّ . و(السِّفَل) بكسر السين وفتح الفاء : جمع سِفْلة ، بكسر الأوّل وسكون الثانى ، والأصل فتح الأوّل وكسر الثانى نحو كَلِمة وكِلْمة . قال صاحب القاموس وسِفْلة الناس بالكسر ، وكفَرِحة : أسافلهم وغوغاؤهم ؛ وسَفِلة

(١) لم أجد له مرجعاً غير الخزانة .

(٢) ويقال « قباذ » بالذال المعجمة أيضا . معجم استينجاس ٩٥١ .

البعير ، كفرحة : قوائمه انتهى . والأوّل مستعارٌ من الثانى ؛ وأصل الأوّل كفرحة ، وقد يخفّف بحذف حركة الأوّل ونقل الكسر إليه ، كما يقال فى لَبِنة لبْنة ؛ أو أنّ سِفْلة جمع سَفِيل ، كعِلْية جمع علىّ ؛ كذا فى الأساس . والفعل سفُل ككرم سَفالة ، بالفتح : أى نذُل نذالة . وأما السَّفَلة بالتحريك فهو جمع سافل . وقول مُكانس :

واترك كلام السفله والنُّكتةَ المبتَذَله[1]

يجوز أن يقرأ بفتحتين وبفتحة فكسرة . قال فى المصباح : « سفَل سُفولا ، من باب قعد ، وسفُل من باب قرُب ، لغة : صار أسفل من غيره ، فهو سافل . وسفَل فى خلقه وعمله سَفْلا ، من باب قتل ، وسَفالا ؛ والاسم السُّفل بالضم . وتسفَّل . خلافُ جاد ؛ ومنه قيل للأراذل سَفِلة ، بفتح فكسر ، وفلان من السَّفِلة . ويقال أصله سَفِلة البهيمة ، وهى قوائمها . ويجوز التخفيف .. والسُّفْل خلاف العُلو ، بالضمّ ، والكسرُ لغة ؛ وابنُ قتيبة يمنع الضمّ . والأسفل خلاف الأعلىٰ » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد المائتين[2] :

٢١٤ (والأكرَمينَ ، إذا ما يُنسَبُون ، أبَا) ٥٦٧

هذا عجز ؛ وصدره :

(سِيرى أُمامَ فإنّ الأكثرِينَ حَصًى)

(١) ط : « والنكبة » ، صوابه فى ش .
(٢) ديوان الحطيئة ٦ والهمع ٢ : ٩٧ .

على أنّه كان الظاهر أن يقول آباء بالجمع ؛ وإنّما وحّد الأبَ لأنّهم كانوا أبناء أبٍ واحد .

وقوله : (سِيرى) فعل أمر للمؤنّثة . و (أُمام) بضمّ الهمزة : منادًى مرخَّم ؛ أي يا أُمامة . و (حَصًى) تمييز للأكثرين ، وكذلك (أبا) تمييز للأكرمين . ومعنى الحصى العَدَد ؛ وإنّما أُطلق على العدد لأنّ العرب أمّيّون لا يقرءون ولا يعرفون الحساب ، إنّما كانوا يعدون بالحصى فأطلق الحصَى على العدَد واشتقّ منه الفعل(١) فقيل أحصيت الشئ أى عددته . و (إذا) : ظرف للأكرمين . و (يُنسَبون) بالبناء للمفعول . و (الأكرمين) معطوفٌ على اسم إنّ ، وخبرُها (قومٌ) فى البيت الذى بعده ، وهو :

(قومٌ هُمُ الأنفُ ، والأذنابُ غيرُهُمُ ومَن يُسوِّى بأنف الناقةِ الذَنَبا
قومٌ إذا عقَدُوا عَقْداً لجارِهِم شَدُّوا العِنَاجَ وشدُّوا فوقَه الكَرَبا)

وهذه الأبياتُ من قصيدةٍ للحُطيئة يمدح بها بَغِيض بن عامر بن لَأْى صاحب الشاهد ابن شَمّاس(٢) بن لأى بن أنف الناقة ، واسمه جَعفر ، بن قُرِيع (بالتصغير) ابن عَوف بن كعب بن سعد بن زيدِ مَناةَ بن تميم . ويهجو الزِّبرقان واسمه ، حُصين (بالتصغير) ابن بدر بن امرئ القيس بن خلَف [بن بَهْدَلَة(٣)] ابن عوف بن كعب المذكورِ نسبُه . وإنّما لقِّب جعفرٌ بهذا ، لأنّ أباه نحر جَزوراً ، فقسّمها بين نسائه ؛ فقالت له أمُّه — وهى الشَمُوس ؛ من بنى وائل ابن سعدِ هُذيم — : انطلِقْ إلى أبيك فانظُرْ هل بقى شىء من الجزور عنده ؟

---

(١) فى النسختين : « من الفعل » .
(٢) وكذا فى طبقات ابن سلام ٩٧ لكن فى مقدمة ديوانه ٣ والأغانى ٢ : ٥٠ وجمهرة ابن حزم ٢٢٠ : « بغيض بن عامر بن شماس بن لأى بن أنف الناقة » .
(٣) التكملة من الاشتقاق ٢٥٤ والجمهرة ٢١٨ — ٢١٩ والأغانى ٢ : ٥٠ .

فأتاه فلم يجد إلاّ رأسها ، فأخذ بأنفها يجرّه ، فقالوا : ما هذا ؟ قال : أنف الناقة . فسمّي أنف الناقة . وكان آل شمّاس فى الجاهليّة يُعيَّرون به ويغضبون منه . ولمّا مدحهم الحطيئة بهذا — وإنّما مدح منهم بغيض بن عامر — صار فخراً لهم . وأراد بأنف الناقة بغيضاً وأهلَ بيته . وأراد بالذَّنَب الزِبرقان وأهلَ بيته .

قال ابن رشيق ـ فى بابِ مَن رفعَه الشعر ومَن وضعه ، من العُمدة[1] ـ : كان بنو أنف الناقة يَفرَقون من هذا الاسم ، حتَّى إنّ الرجلَ منهم كان يُسأل : ممّن هو ؟ فيقول : من بنى قُريع . فيتجاوز جعفراً أنفَ الناقة ويُلغى ذِكرَه فِراراً من هذا اللَّقب . إلى أن قال الحطيئة هذا الشعر ، فصاروا يتطاولون بهذا النسب ويمُدّون به أصواتَهم فى جهارة .

وقوله : قوم إذا عقدوا عقداً الخ ، هذا البيت من شواهد أدب الكاتب[2] عَقَد الحبلَ والعَهْد يعقده عقداً . والعناج ، بكسر للمهملة والنون والجيم : حبل يُشَدّ أسفلَ الدَّلو العظيمة إذا كانت ثقيلة ثم يُشدّ إلى العَرَاقىّ فيكون عوناً لها وللوَذَم فإذا انقطعت الأوذامُ فانقلبتْ أمسكها العِناج ولم يدَعْها تسقُط فى البئر ؛ يقال : عَنَجْتُ الدلوَ أعنُجها عنْجاً ، من باب نصر ؛ والعِناج اسم ذلك الحبل ؛ يقال قولٌ لا عِناج له : إذا أُرسِل على غير رَويّة . وإذا كانت الدلو خفيفة فعناجُها خيطٌ يُشدّ فى إحدى آذانها إلى العَرقُوة . والوَذَم : السُّيور التى بين آذان الدَّلو وأطراف العراقىّ . والكَرَب ، بفتحتين : الحبل الذى يُشدّ فى وسط العَراقىّ ثم يثنّى ويُثلَّث ليكون هو الذى يلى الماء ،

---

(١) العمدة ١ : ص ٢٥ ط : الخانجى .

(٢) أدب الكاتب ص ١٤١ سلفية والاقتضاب ٣٥١ .

فلا يعفن الحبل الكبير . يقال : أكْرَبْت الدلوَ فهى مُكرَبة . والعَراقىّ : العُودانِ المصَلَّبان تُشدّ إليهما الأوذام . وأراد الحطيئة أنّهم إذا عقدوا عقداً أحكموه ووثّقوه كإحْكام الدلو إذا شُدّ عليها العِناج والكرب . وليس هناك عِناج ولا كَرَب فى الحقيقة ، وإنّما هو تمثيل ومطلع هذه القصيدة :

(طافَتْ أُمامةُ بالرُّكبانِ آونةً يا حُسْنَه مِنْ قوامٍ مّا ومُنْتَقبا)

واستشهد به المرادىّ فى شرح الألفيّة على أنّ مِنْ فى التمييز زائدة ، ولهذا صحّ عطف المنصوب على مجرورها . أى يا حسنَه قواماً ومنتقباً . وآونة : جمع أوانٍ ، كأزمنة جمع زَمان ، وقوله : يا حُسْنَه ، لفْظه لفظُ النداء ، ومعناه التعجب ، فيا للتنبيه لا للنداء ؛ والضمير مبهَم قد فسِّر بالتمييز . والقَوام ، بالفتح ووهِم من ضبطه بالكسر : القامة ، يقال : امرأة حَسَنة القَوام أى القامة. وما : زائدة : والمُنْتَقَب ، بفتح القاف : موضع النِّقاب . وبعده بأبيات :

(إنّ امرأً رهطُه بالشام مَنزِلُهُ برَمْلِ يَبْرِينَ جاراً شَدّ ما اغتربا)

وأورده ابنُ هشام فى أواخر الباب الخامس من المغنى على أنّ أصله : ومنزله برمل يبرين ؛ فحذف حرف العطف ، وهو الواو ؛ وبابُه الشعر . ثم قال : « كذا قالوا ؛ ولك أن تقول الجملة الثانية صفة ثانية لا معطوفة » . وقوله : امرَأً عنى الحطيئة بالمرء نفسَه . وقوله : رهطُه بالشام ، جملةٌ اسميّة صفة لاسم إنّ ، وأراد : بناحية الشام ؛ فإنّ الحطيئة عَبْسيّ ومنزل بنى عَبْس شَرْج والقَصِيم والجِواء(١) وهى أسافل عَدَنَة(٢) ؛ وكان الحطيئة جاور بغَيض

---

(١) فى النسختين . « الجوى » صوابه من ياقوت والقاموس ، وهو فى مطلع معلقة عنترة . والجواء يمد ولا يقصر ، كما فى كتاب المقصور والممدود لابن ولاد ٢٦ .

(٢) عدنة : موضع بنجد فى جهة الشمال من الشربة . وفى ش : « عذبة » تحريف .

ابن شمّاس المذكور ، برمل (يَبْرين) وهى قرية كثيرة النخل والعيون بالبحرَين بحِذاء الأحساء ، لبنى عوف بن سعد بن زيد مناة ، ثمّ لبنى أنف الناقة . وإعرابها بالواو رفعاً ، وبالياء نصباً وجرًّا ، وربّما التزموا الياء وجعلوا الإعراب بالحركات على النون ، ويقال أيضاً رمل أبْرين ، ولابن جنّي فيه كلامٌ جيِّد نقله ياقوت فى معجم البلدان . وقوله : منزله برمل يَبرين ، جملة اسميّة ثانية ، إمّا معطوفة بالواو المحذوفة ، وإمّا صفة ثانية لاسم إنّ . وجاراً : حالٌ من المضمر المستقرٌ فى قوله : برمل يبرين ، العائد على المنزل . وقوله : شدّ ما اغتربا ، منصوبٌ على التعجّب ، وما مصدريّة ، أى ما أشدّ اغترابَه ، والجملة خبر اسم إنّ . ومثله قول جَرير :

فقلت للرَكْبِ إذْ جدّ المسيرُ بنا ما بُعْدُ يبرينَ مِن باب الفراديسِ (١)

وبابُ الفَراديس من أبواب الشام . وإنّما بسطتُ شرحَ هذا البيت ، لأنّه وقع فى مغْنى اللبيب ولم يشرحْه أحدٌ من شُرّاحه بشىء .

وسبب مَدْحِ الحطيئة بَغيضاً وهجوِ الزِبْرقان ، هو ما ذكره الأصبهانىّ فى الأغانى(٢) أنّ الزبرقان قدِم على عُمر ، رضى الله عنه ، فى سنةٍ مجدبةَ ليؤدِّى صدَقاتِ قومه ، فلقيه الحطيئة بقَرقَرى ، ومعه ابناه أوسٌ وسوادةُ ، وبناته وامرأته ، فقال له الزبرقان — وقد عَرَفه ، ولم يعْرِفه الحطيئة — : أين تريد ؟ فقال : العراقَ ، فقد حَطمتنا هذه السنة ! قال : وتصنع ماذا ؟ قال : وددت أن أصادِف بها رجلاً يَكفيني مؤنةَ عِيالى وأُصْفيه مدائحى ! فقال له الزبرقان : قد أصبْتَه ، فهل لك فيه يُوسِعك تمراً ولبَناً ، ويجاورُك أحسنَ جِوار ، قال :

(١) فى النسختين : « للكرب أوجد » ، وأصلحها الشنقيطى بما أثبت من الديوان ٣٢٢ .

(٢) الأغانى ٢ : ٥٠ .

هذا وَأبيك العيشُ ، وما كنت أرجو هذا كلَّه ! عِنْدَ مَنْ؟[١] قال: عندى . قال : ومَن أنت ؟ قال : الزبرقان . فسيّره إلى أمه — وهى عمّة الفرزدق — وكتب إليها : أنْ أحسِنى إليه وأكثرى له من التمر واللبن . وقال آخَرون : بل سيَّره إلى زوجته هُنَيدة[٢] بنت صَعْصعة المجاشِعيّة ، فأكرمْته وأحسنتْ إليه ، فبلغ ذلك بَغيض بن عامر ، من بنى أنف الناقة ، وكان يُنازِع الزبرقانَ الشرف ، وكان الحطيئةُ دَميمًا سيىء الخَلْق فهان أمرُه عليها وقصَّرتْ به ؛ فأرسل إليه بَغيضُ وإخوته : أن ائتنا . فأبَى وقال : شأن النساءِ التقصيرُ والغفلة ، ولستُ بالذى أحمِل على صاحبها ذَنْبها ! وألحّوا عليه فقال : إنْ تُرِكتُ وجُفيت تحوَّلت إليكم . وأطمَعُوه ووعدوه وعداً عظيماً ، فدسُّوا إلى زوجة الزبْرِقان أنّ الزبرقان يُريد أن يتزوَّج ابنته مُليكة — وكانت جميلةً — فظهر منها جَفوَة . وألحّوا عليه فى الطلب فارتحل إليهم ، فضربوا له قُبّة ، وربطوا بكلّ طُنُب من أطنابها حُلّة هَجَريّة[٣] وأراحوا عليه [إبلَهُمْ[٤]] وأكثروا عليه التمرَ واللبن . فلمّا قدِم الزبرقانُ سأل عنه ، فأُخبر بقصته ، فنادىٰ فى بنى بَهدلة بن عوف وركب فرسَه وأخذ رمحه ، وسار حتّى وقف على القُريعيِّين ، وقال : ردُّوا علىّ جارى ! قالوا ما هو لك بجارٍ ، وقد أطرحتَه وضيّعته ! وكاد أن يقع بين الحيَّين حرب . فاجتمع أهل الحِجا ، وخيَّروا الحطيئة ، فاختار بَغيضاً ، وجعل يمدح القُريعيِّين من غير أن يهجُوَ الزبرقان — وهم يحرِّضونه

٥٦٩

(١) فى الأغانى بعد كلمة « كله » : « قال : فقد أصبته . قال : عند من » .

(٢) كذا فى الأغانى فى غير ما موضع . وفى النسختين : « عبيدة » . وانظر العقد ٢ : ١٩٦ وثمار القلوب ٢٣٦ حيث ذكرا أن هنيدة هذه زوج الزبرقان بن بدر وعمة الفرزدق . وكانت تلقب « ذات الخمار » .

(٣) استظهر مصححو الأغانى ٢ : ١٨٢ أنها « جلة هجرية » بالجيم .

(٤) التكملة من الأغانى .

على ذلك وهو يأبىٰ — حتى أرسل الزبرقان إلى رجلٍ من النمر بن قاسط ، يقال له دِثار بن شيبان ، فهجا بغيضاً وفضّل الزبرقان ، فقال من جملة أبيات :

وَجدنا بيت بَهْدَلَةَ بنِ عوفٍ تعالَى سَمْـكُه ودَجَا(١) الفِناء

وما أضحى لشَمّاسِ بن لَأيٍ قديمٌ في الفَعال ولا رِباء

سِوى أنّ الحطيئةَ قال قولا فهذا مِنْ مقالته جَزاء

ولما سمع الحطيئةُ هذا ، ناضل عن بَغيضٍ وهجا الزبرقان ، في عدة قصائد ؛ منها قوله :

واللهِ ما مَعشَرٌ لامُوا امرأً جُنُباً من آلِ لَأْيِ بن شمّاس بأكياسِ

ما كان ذَنْبُ بغيضٍ ، لا أَبا لَـكُمُ ! في بائسٍ جاء يحدُو آخِرَ النَّاسِ

لَقد مَرَيْتُكُمُ لو أنّ دِرّتَكُمْ يوماً يجيءُ بها مَسْحِي وإبْسَاسِي

فما مَلكتُ .. بأنْ كانت نفوسُكمُ كَفَارِكٍ كرِهتْ ثَوبي وإلْباسي

حتى إذا ما بَدَا لي غَيبُ أنفسِكمْ ولم يكنْ لِجِرَاحِي فيكمُ آسي

أزمعتُ يأساً مُبيناً من نَوالِكمُ ولَن تَرى طارداً للحُرِّ كاليأس(٢)

ما كان ذَنبُ بغيضٍ أنْ رأى رجلاً ذا فَاقةٍ عاشَ في مُستوعِرٍ شاسِ

جاراً لِقومٍ أطالُوا هُونَ مَنْزِلِه وغادَروه مُقيماً بين أرْمَاس

مَلُّوا قِرَاهُ وهَرَّتْهُ كِلابُهمُ وجَرَّحُوهُ بأَنيابٍ وأضْرَاسِ

دعِ المَكارمَ لا تَرْحَلْ لِبُغيَتِها واقعُدْ فإنّك أنتَ الطّاعمُ الكَاسي

مَن يفعلِ الخيرَ لا يَعْدَم جَوازِيَه لا يَذهَبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والناسِ

ما كان ذَنبيَ أنْ فَلّتْ مَعاوِلَكمْ مِن آلِ لَأيٍ صَفَاةٌ أصلُها رَاسي

٥٧٠

(١) دجا : اتسع وامتلأ بأهله ، ومنه دجا الإسلام أي انتشر . ط : «دحى الفناء» ش : « دحى الفناء » وفي الأغاني : «ودحا الفناء» .

(٢) ط : « كالياسي » صوابه في ش والأغاني . والياس : اليأس .

قد ناضَلوكَ فسلُّوا مِن كِنانَتِهم   مجداً تليداً ونَبلاً غيرَ أنْـكاسِ

والجُنُب بضمّ الجيم والنون: الغريب. والبائس هنا الحطيئة، وهو الذى لقى بؤساً وشدّةً من الفقر، يُقال[1]: أصابت الناسَ سنةٌ شديدة، وكان الحطيئة فيمن انحدرَ مع الناس، فلم يكن به مِن القوّة أن يكون فى أوّل الناس. وقوله: لقد مَرَيتُـكم الخ، أى طلبتُ ماعندكم؛ وأصله من مَرَيت الناقة، هو أن يمسَح ضرْعَها لتدِرّ. والدِّرّة بالكسر: اللَّبَن. والإبْساس: صوتٌ تُسكَّن به الناقةُ عند الحلب، يقول: بَسْ بَسْ. وقوله: فما ملكتُ بأن كانت الخ، يقول: لم أملك بُغضكم فأجعله حُبًّا. والفارك: المرأة المُبْغضة لزوجها. وقوله: كرِهَتْ ثوبى، أى كرهتْ أنْ تدخل معى فى ثوبى وأن تُدخلَنى فى ثوبها[2]. وقوله: حتّى إذا ما بدا لى الخ، أى بدا لى ما كان غائباً فى أنفسكم من البِغْضة. ولم يكنْ فيكم مصلحٌ لمـا بى من الفَساد وسوء الحال. والآسى: المداوِى. وقوله: أزمعتُ يأساً الخ، هو من أبيات مغنى اللبيب، أورده على أنّ بعضهم قال مِنْ متعلّقة بيأساً، والصواب أنّ تعلُّقها بيَئِسْتُ محذوفة، لأنّ المصدر لا يوصَف قبل أن يأتى معمولُه. والإزماع: تصميم العزم. والمستَوعَرُ: المكان الوَعْر. والشأس: المكان المرتفع الغليظ. والهُون بالضمّ: المذلة. وغادروه: أى تركوه كالميّت بين أموات القبور. وقوله ما كان ذنبى الخ، فَلّتْ بالفاء: ثَلمت، والفُلول: الثُّلَم. والصَّفاة، بالفتح: الصخرة الملساء. أى أردتموهم بسوء فلم تعمَل فيه معاولُـكم. يقول: ما كان ذنبى! فإنّى مدحت هؤلاء لأنّهم أشرفُ منكم ولهم مجدٌ راسٍ لا تُطيقون إزالَته. وقوله: قد ناضلوك الخ، النِّـكس، بالكسر: السَّهم يُقلَب فيجعل أسفلُه أعلاه إذا

---

(١) فى النسختين: « يقول ».

(٢) ط: « وأن تدخلنى فى ثوبى »، صوابه فى ش.

انكسر طَرفه . والمناضلة : المفاخرة . وأراد بالمجد القديم النَّواصىَ ؛ وكانت العرب إذا أنعمتْ على الرجل الشريف المأسور جَزُّوا ناصيتَه وأطلَقوه ، فتكون الناصية عند الرجل يفخَر بها . وقوله : دَع المكارم الخ ، أورده الفرّاء فى معانى القرآن فى سورة هود ، على أنّ الكاسى بمعنى المكسوّ ، كما أنّ العاصم فى قوله تعالى : (لا عاصِمَ اليوْمَ[1]) بمعنى المعصوم . قال : ولا تنكرنّ أن يخرج المفعول على فاعل ، ألا ترى أن قوله (مِنْ ماءٍ دَافقٍ[2]) بمعنى مدفوق ، و (عيشة راضية[3]) بمعنى مرْضيّة ؛ يستدلّ على ذلك بأنّك تقول : رُضِيَتْ هذه المعيشة ، ودُفِق الماء ، وكُسِيَ العُريان ، بالبناء للمفعول ، ولا تقول ذلك بالبناء للفاعل . ٥٧١

ولما بلغ الزبْرقان هذا البيتُ استعدىٰ عليه عمرَ بنَ الخطّاب ، رضى الله عنه ، فقال : ما أُراه هَجاكَ ، ولكنّه مَدَحَك . فقال : سلْ حسّانَ بن ثابت . فسأله ؛ فقال حسّان : هَجاه وسَلَح عليه ! فحبسه عمر ؛ فقال وهو فى الحَبْس :

ماذا تَقولُ لأفراخٍ بذى مَرَخٍ ... حُمْرِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ
ألقيتَ كاسِبَهم فى قَعْرِ مُظلمةٍ ... فاغفرْ ، عليكَ سلامُ اللهِ يا عمرُ

(ذو مَرَخ : اسم مكان[4] ؛ وأراد بالأفراخ أطفالَه الصِغار . وحُمر الحواصل ، يعنى لا ريشَ لها) وتكلّم فيه عَمرو بن العاص ؛ فأخرجَه عمر ، فقال : إيّاكَ وهِجاء الناس ! قال : إذاً يموت عيالى جوعاً ! هذا مكسبى ومنه مَعاشى !

---

(١) الآية ٤٣ من سورة هود .
(٢) الآية ٦ من سورة الطارق .
(٣) الآية ٢١ من سورة الحاقة و ٧ من القارعة .
(٤) هو واد بين فدك والوابشية ، كما فى معجم البلدان .

وعنْ زَيد بن أسلَمَ(١) عنْ أبيه قال : أرسل عمرُ إلى الحطيئة — وأنا عنده ؛ وقد كلّمه عمرو بن العاص وغيرُه فأخرجه من السجن — فأنشده :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذى مَرَخ

فبكىٰ عمرُ ثمّ قال : علىَّ بالكرسىّ ؛ فجلس عليه ، وقال : أشيروا علىَّ فى الشاعرِ ، فإنّه يقول الهجْوَ ويشبِّب بالنساء وينسب بما ليس فيهم(٢) ويذمُّهم ، ما أُرانى إلاّ قاطعاً لسانه ! ثم قال : علىَّ بطَسْتٍ ؛ ثمَّ قال : علىَّ بالمِخصَف ، علىَّ بالسكّين ، بل علىَّ بالموسىٰ ! فقالوا : لا يعودُ يا أميرَ المؤمنين ؛ وأشاروا عليه أنْ قُلْ : لا أعودُ . فقال : لا أعود يا أمير المؤمنين .

وروىٰ عبدُ الله بن المبارَك : أنّ عُمر رضى الله عنه لمّا أطلق الحطيئةَ أراد أن يؤكّد عليه الحُجّة ؛ فاشترى منه أعراضَ المسلمينَ جميعاً بثلاثة آلافِ درهم . فقال الحطيئة فى ذلك :

وأخذتَ أطرافَ الكلامِ فلم تَدَعْ شتماً يضرُّ ولا مديحاً يَنفعُ
وحَميتنى عِرضَ اللئيم فلَم يَخفْ منّي وأصبحَ آمناً لا يفزَعُ(٣)

وقد ترجمنا الحطيئة فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة(٤).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامسَ عشَرَ بعد المائتين(٥) :

٢١٥ (فاَصدَعْ بأمرِكَ ماعَليْكَ غَضاضةٌ وآبشَرْ بذاكَ وقَرَّ مِنهُ عُيوناَ)

(١) زَيد بن أسلَم العدوى مولى عمر ، روى عن أبيه وابن عمر وأبى هريرة وأَنَس . توفى سنة ١٣٦ . تهذيب التهذيب . ط : يزيد بن أسلم وكذا فى الأغانى ٢ : ٥٣ . تحريف .

(٢) فى الأغانى : « وينسب بالحرم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم » .

(٣) فى الأغانى ٢ : ٥٤ : « فلم يخف ذمى » .

(٤) الخزانة ٢ : ص ٤٠٦

(٥) شرح شواهد المغنى ٢٣٥ عرضا . وليس فى ديوان أبى طالب .

على أنَّه يجوز جمعُ المثنّي فى التميز إذا لم يُلبس : إذا كان الظاهر أن يقال : وقَرَّ منه عَينين أو عيناً . لـكنّه جمع لعدَم اللَبْس ، ولأنَّ أقل الجمع اثنانِ على رأى .

٥٧٢ وهذا البيت أحد أبياتٍ خمسة لأبى طالب عمِّ النبيّ صلى الله عليه وسلم . وهى :

(واللهِ لنْ يَصِلوا إليكَ بجَمْعِهِم حتّي أُوَسَّدَ فى الترابِ دَفِينا
فاصْدَعْ بأمْركَ ، ما عليكَ غَضاضةٌ وأبشِرْ بذاكَ وقَرَّ مِنه عُيونا
ودَعوتَني وزعمتَ أنّكَ ناصحٌ ولقَدْ صدَقتَ وكنتَ ثَمّ أمِينا
وعَرَضتَ دِيناً لا مَحالة أنّه مِن خيرِ أديانِ البَرِيّة دِينا
لولا المَلامةُ أو حِذارُ مَسَبّةٍ لوَجَدْتَني سَمحاً بذاك مُبينا)

قال السُّيُوطيّ فى شرح شواهد المغنى : أخرج ابنُ إسحاقَ ، والبَيْهَقىُّ فى الدلائل ، عن يعقوبَ بنِ عُتبة بن المُغيرة بن الأخنَس : أنّ قريشاً أتت أبا طالب فـكلّمتْه فى النبيصلىالله عليه وسلم ؛ فبعث إليه ؛ فقال له: يا ابنَ أخى ، إنّ قومَك قد جاءونى فقالوا كذا وكذا ؛ فأبقِ علىَّ وعلىٰ نفسِك ولا تحمِّلنى مِن الأمْر ما لا أطيقُ أنا ولا أنت ، فاكففْ عن قومك ما يَكرهون من قولك . فظنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنّه قد بَدَا لعمِّه فيه وأنه خاذِلُه ، فقال : ياعمِّ ، لو وُضعت الشمسُ فى يمينى والقمر فى يسارى ، ما تركتُ هذا الأمرَ حتّي يُظهِرَه الله أو أهلِكَ فى طلَبه ؟ ثم استَعْبَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فبـكىٰ ؛ فلما ولّى قال له — حينَ رأىٰ ما بلَغَ من الأمر برسول الله صلى الله عليه وسلم — : يا ابن أخى امضِ على أمرِكَ وافعلْ ما أحببت ،

فوالله لا أُسلِمُك لشيءٍ أبدا . وقال أبو طالب فى ذلك هذه الأبيات[1] انتهى.

وقد أنشد الزمخشريُّ هذه الأبيات عند قوله تعالى (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ[2]) من سورة الأنعام بناء على القول بأنّها نزلت فى أبى طالب .

وقوله : والله لن يَصِلوا إليك الخ ، أنشدَ هذا البيتَ ابنُ هشامٍ فى المغنى على أنّ القَسمَ قد يُلقَى بلن نادراً . ونازَعه الدمامينيّ فى الحاشية الهندية ، بأنّه يحتمِل أن يكون ممّا حذِف فيه الجوابُ لدلالة ما بعده عليه ، تقديره : والله إنك لآمنٌ على نفسِك ، فيكون قوله : لن يَصِلوا إليك الخ ، جملةً مستأنفة لا جوابَ القسم . وأُوسِّد ، بالبناء للمفعول : مِن وسَّدته الشيء : إذا جعلتَه تحتَ رأسِه وسادة . ودَفينا : حالٌ من ضمير أوسَّد بمعنى مدفون . وقوله : فاصْدَعْ بأمْرِك الخ ، يقال : صدَعْت بالحقّ إذا تكلّمت به جِهاراً . وقيل فى قوله تعالى (فاصْدَعْ بما تؤمَر[3]) أى شُقَّ جماعاتِهم بالتوحيد ، وقيل : افرُق بذلك بين الحقّ والباطل ، وقيل : أظهِرْ ذلك . وهو مأخوذٌ من قولهم : صدَعت القومَ صدعاً فتصدّعوا : أى فرّقتهم فتفرّقوا . وأصل الصَدْع الشقّ . وروى (فانفذ بأمرك) . والغَضَاضة ، قال فى الصحاح : يقال ليسَ عليك فى هذا الأمر غَضاضة أى ذِلّة ومنقَصة . وفى المصباح : غضّ الرجل صوتَه وطرفه ، ومِن طرْفه وصوته غضًّا ، من باب قتل : خَفَض ، ومنه يقال غضّ

(١) الخبر عند السيوطى ٢٣٥ . وقد عمل البغدادى هنا على أن يقارب فى الألفاظ بين ما كتبه السيوطى ، وما هو عند ابن إسحاق فى السيرة ١٦٨ . وأما الأبيات فقد أغفلها ابن اسحاق ، والثانى عند السيوطى هكذا :

فامض لأمرك ما عليك غضاضة ... أبشر وقر بذاك منه عيونا

وفى السيوطى فى البيت الثالث « قبل » موضع « ثم » ، وفى الرابع : « قد عرفت » بدل « لا محالة » وفى الخامس « سبة » مكان « مسبة » .

(٢) الآية ٢٦ من سورة الأنعام .

(٣) الآية ٩٤ من سورة الحجر .

من فلان غَضًّا وغَضاضة : إذا تنقّصه . وقوله : وآبشر بذاك ، أى بعدم وُصولهم إليك ، أو بظهور أمرك ، أو بانتفاءِ الغضاضة عنك ، أو بالمجموع ؟ ويكون ذاك إشارةً إلى ما ذُكر . وابشَر ، بفتح الشين ، لأنّه يقال بَشِرَ بكذا يَبْشَر ، مثل فرح يفرح وزناً ومعنى ، وهو الاستبشار أيضاً ، والمصدر البُشور ، ويتعدّى بالحركة فيقال بشَرته أبشُره ، من باب قتل ، فى لغة تِهامةَ وما والاها ؛ والاسم منه البُشْر بضمّ الباء ، والتعديةَ بالتثقيل لغةُ عامةِ العرب ، كذا فى المصباح[1] . وقوله : وقَرّ منه عيوناً : أى من أجله . قال الطِّيبيّ : « وإنما جمع العين ، لأنّ المرادَ عيون المسلمين ، لأنّ قرّة عينِه عليه الصلاة والسلام قرّةٌ لأعيُنهم » . وهذا المعنى صحيح ، إلاّ أنّ اللفظ لا يساعد . وهو تمييز محوَّل عن الفاعل . قال ثعلبُ فى فصيحه : وقرِرْت به عيناً أقَرُّ بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المستقبل ؛ وقرَرْتُ فى المكان أقِرّ ، بفتحها فى الماضى وكسرها فى المستقبل ؛ ومصدر الأول القُرّ والقُرور بضمّ أولهما ؛ ومصدر الثانى القَرار والقَرّ بفتحهما . قال شارحه أبو سَهل الهَرَوىّ : قولهم : أقرّ اللهُ عينَك ، معناه لا أبكاك اللهُ فتسخنَ بالدمع عينُك ؛ فكأنّه قال : سرّك الله ؛ ويجوز أن يكون صادفتَ ما يرضيك لتقرّ عينُك من النظر إلى غيره . وأما قول بعضهم : معناه برّد اللهُ دَمعتَها ، لأنّ دمعة السُّرور باردة ودَمعة الحزن حارّة فإنّه خطأ ، لأنّ الدمع كلّه حارّ . . وقوله : ودعوتَني ، أى إلى الإيمان . وزعمتَ : أى قلت ؛ فإنّ الزعمَ أحد معانيه القول ؛ ورُوى بدلَه . (وعلمتُ) فهو بضمّ التاء . وثَمّ بفتح الثاء إشارة إلى مقام القول

(١) اعتمد البغدادى على مافى المصباح ، والحق أن ذلك غير متعين ، فى القاموس « وبشرت به ، كعلم وضرب : سررت » . كما يصح أن تكون أمرا من أبشر إبشاراً ، مطاوع بشره بالتخفيف ، كما فى قوله تعالى : « وأبشروا بالجنة » ، وحذفت همزة القطع للضرورة ، لتوافق الرواية الثانية فى البيت التى أوردتها فى حواشى الصفحة السابقة .

والنصح أوالدّعوة ، وروى بدَله : (قبْلُ) بضمّ اللام : أى قبلَ هذا . وقوله : وعَرّضت الخ ، مِن زائدة على رأى مَن يقول بزيادتها فى الإثبات ، أوتبعيضيّة : أى من بعض الأديان الفاضلة . ودينًا، الثانى ، إمّا تمييز وإمّا تأكيد للأوّل . وقوله : لولا المَلامة ، أى لولا ملامة الكُفّار لى والحِذار ، بالكسر : المحاذَرة . وسَمْحاً : منقاداً . ومُبِيناً : مظهِراً ، من الإبانة وهى ضدّ الإخفاء .

وترجمة أبى طالب تقدّمت فى الشاهد الحادى والتسعين[1]

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد ، السادس عشر بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٢١٦ (ثلاثُونَ للهَجْرِ حَوْلاً كَميلاَ)

وهذا عجزٌ وصدره :

(على أنّني بعدَ ما قدْ مَضَى)

٥٧٤ على أنّه فصل بالمجرور ضرورةً بين التمييز وهو (حَولاً) وبين المميِّز وهو (ثلاثون) .

وأنشده سيبويه فى باب كَمْ ، مع بيت بعده ، وهو :

(يذَكِّرُنيكِ حَنينُ العَجُولِ ونَوحُ الحَمامةِ تدعو هَديلا)

قال الأعلم فى شرح أبياته : الشاهد فى فصله بينَ الثلاثين والحول بالمجرور

---

(١) الخزانة ٢ : ص ٧٥

(٢) فى كتابه ١ : ٢٩٠ . وانظر مجالس ثعلب ٤٩٢ والإنصاف ٣٠٨ وابن يعيش ٤ : ١٣٠ والعينى ٤ : ٤٨٩ والهمع ١ : ٢٥٤ وشرح شواهد المغنى ٣٠٧ والأشمونى ٤ : ٧١ .

ضرورة . فجعلَ سِيبَوَيه هذا تقويةً لما يجوز فى كَمْ من الفصْلِ عوضاً لما مُنِعتْه من التصرُّف فى الكلام بالتقديم والتأخير ، لتضمُّنها معنى الاستفهام والتصدُّر بها لذلك . والثلاثون ونحوها من العدد لا تمتنع من التقديم والتأخير لأنّها لم تتضمَّن معنًى يجبُ لها به التصدُّر ، فعملتْ فى المميَّز متّصلاً بها على ما يجب فى التمييز . انتهى

وقوله : على أنّني ، متعلّق بما قبله من الأبيات ، لا بقوله يذكّرنيك ، كما زعمه شارحُ شواهد المغنى ، فإنّ يذكرنيك خبر أنّني . و (الحوْل) : العام ، وقال صاحب المصباح : حال حَوْلاً ، من باب قال : إذا مضىٰ ؛ ومنه قيل للعام حَول وإنْ لم يَمض ، لأنّه سيكون حولاً ، تسميةً بالمصدر ؛ والجمع أحوال . و (الكَميل) : الكامل . و (ثلاثون) فاعل مضىٰ . والذِّكر متعدٍّ لمفعول واحد ، يقال ذكَرته بلسانى وبقلبي ؛ والاسم ذُكر بالضمّ والكسر ، نصّ عليه جماعةٌ منهم أبو عُبيدة وابن قُتيبة ؛ وأنكر الفرّاء الكسرَ فى القلب وقال : اجعلْنى على ذُكرٍ منك بالضمّ لا غير . ويتعدَّى إلى مفعولين بالألف والتضعيف كما هنا ، فإنّ الياء مفعول أوّل والكاف مفعول ثان . وحنينُ فاعلُه . ونَوْحُ معطوف عليه . والحنين : ترجيع الناقة صوتَها إثرَ وَلَدِها ؛ هذا أصله ، ومنه معنى الاشتياق . والعَجول من الإبل : الوالهُ التى فقدت ولدَها بذبحٍ أو مَوت أو هِبَة ؛ وقيل الناقة التى ألقت ولدَها قبل أن يتمّ بشهر أو بشهرين . ونَوح الحَمامة : صوتٌ تستقبل به صاحِبَها ؛ لأنّ أصلَ النَّوح المقابلة[1] ؛ وجملة تدعو حال مِن الحمامة . والهَديل ، قال ابن قُتيبة فى أدب الكاتب : العرب تجعله مرّةً فرخاً تزعم الأعراب أنّه كانَ على عهد نوح

---

(١) ط : « التقابل » .

عليه السلام ، فصاده جارحٌ من جوارح الطير ؛ قالوا : فليس مِن حمامة إلاَّ وهى تبكى عليه . ومرَّة يجعلونه الطائرَ نفسَه . ومرَّة يجعلونه الصوت انتهى فعلى الأوَّل هو مفعول تدعو بمعنى تبكيه وترثيه ؛ وكذلك على الثانى ، بمعنى تطلبه ليسافِدها ، لأنّه بمعنى الذَّكَر . قال فى العباب : الهديل : الذَّكَر من الحمام ، وقيل الحمام الوحشىّ كالقَمارىّ والدَّباسىّ . وعلى الثالث مفعول مطلق ، وناصِبُه إمّا تدعو بمعنى تَهْدِل ، وإمّا فعلٌ مقدَّر من لفظه ، أى تهدِل هديلاً . قال فى العباب : والهديل : صوت الحمام ، يقال هدَل الحمامُ يهدِل هَديلاً مثل هدَر يهدِر هديراً . وقال الجاحظ[1] : يقال فى الحمام الوحشىّ من القَمارىّ والفَواخِت والدَبَاسىّ وما أشبه ذلك : هدل يهدِل هديلاً ويقال هدر الحمام يهدر . وقال أبو زيد : الجمل يهدر ولا يقال باللام[2] . ولا يجوز على هذا أن ينتصب هديلاً على الحال من ضمير تدعو ، لأنّ مجىء المصدر حالاً سماعىّ ، ولا ضرورة هنا تدعو إليه .

ومعنى البيتين : لم أنس عهدَكِ على بعده ، وكلَّما حنّتْ عَجولٌ أو صاحتْ حَمامةٌ رَقّتْ نفسى فذكرتُكِ .

وهما من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يُعرف لها قائل . ونقل العَينىّ عن الموعب ، أنّهما للعبّاس بن مِرْداس الصحابىّ والله أعلم — وتقدّمت ترجمة العبّاس فى الشاهد السابع عشر[3] — وكذا رأيته أنا فى شرح ابن يسعون على شواهد الإيضاح لأبى علىّ الفارسىّ ، منسوباً إلى العبّاس بن مرداس .

* * *

(١) فى الحيوان ٣ : ٢٤٣ .
(٢) الذى فى الحيوان : « وأما أصحابنا فيقولون : إن الجمل يهدر ولا يكون باللام ، والحمام يهدل وربما سكن الراء » . وانظر شرح شواهد المغنى .
(٣) الخزانة ١ : ص ١٥٢

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد المائتين ، وهو من شواهد س[١] :

٢١٧ (تقولُ ابنتى حين جَدَّ الرحيـــلُ أبرَحتَ رَبًّا وأبرَحتَ جارا)

على أن (ربًّا) و (جاراً) تمييزان . قال ابن السرّاج فى الأصول : وأمّا الذى ينتصب انتصابَ الاسم بعد المقادير ، فقوله : ويحَه رجلاً ، ولله دَرُّه رجلاً ، وحَسْبُك به رجلاً ؛ قال عبّاس بن مرداس :

ومُرَّةُ يحمَعْهمْ إذا ما تبدَّدوا ويَطعُنهمْ شَزْراً فأبرحتَ فارسا[٢]

قال سيبويه : كأنّه قال : فكفَى بك فارساً ، وإنما يريد كَفَيْتَ فارساً ؛ ودخلت هذه الباء توكيداً . ومنه قول الأعشى :

فأبرَحتَ رَبًّا وأبرَحتَ جاراً . . . . انتهى

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ، مدح بها قيسَ بن مَعْد يكربَ الكِنْدىّ وكان الأعشى مدَحه بقصيدةٍ داليّة ، فقال له قيس : إنّك تَسرق الشعر ؛ فقال له الأعشى : قيِّدنى فى بيتٍ حتّى أقول لك شعراً . فحبسه وقيَّده . فقال عند ذلك هذه القصيدة . وزعم ابن قُتَيْبة أنّ القائل له إنّما هو النعمان بن المنذر وهذا غير صحيح ، بدليل قوله فيها :

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٩٩ . وانظر ديوان الأعشى ٣٧ ونوادر أبى زيد ٥٥ والتصريح ١ : ٣٩٩ .

(٢) كذا فى ط ، ش ، وحورها الشنقيطى إلى « يحميهم » مطابقا بذلك ما فى سيبويه والأصمعيات ٢٠٦ . على أن « يحمعهم » فيه إسكان آخر المضارع المرفوع ، وورد مثله فى قول امرىء القيس :

فاليوم أشرب غير مستحقب إثما من الله ولا واغل

أبيات الشاهد

(إلى المرءِ قيس نُطيل السُرىٰ ونَطوى مِن الأرض تِيهاً قِفارا)

ومطلع هذه القصيدة :

(أأزْمَعْتَ مِن آل ليلىٰ ابتكارا وشطَّتْ على ذى هوًى أن تُزارا)

إلى أن قال بعد ثلاثة أبيات[1] :

(وشَوقٍ عَلوقٍ تناسيتُه بزَيّافةٍ تستخفُّ الضِّفارا[2]

بَقيّةُ خَمْسٍ مِن الراسما تِ بيضٍ تُشَبِّهُهن الصُّوارا

دُفعن إلى اثنين عند الخُصُوصِ وقد حَبَسا بينهنَّ الإصارا

فهذا يُعِدُّ لهنَّ الخَلا ويَنقُل ذا بينهنَّ الحِضارا

فكانتْ بقيّتهنَّ التى تَروق العُيونَ وتَقضى السِفارا[3]

فأبقىٰ رواحى وسيرُ الغُدوّ منها ذُؤابَ جِداءٍ صِغارا[4]

أقول لها حينَ جدّ الرحيـــلُ أبرحْت جدّا وأبرحتِ جَارا

إلى المرءِ قيس نُطيل السُرىٰ ونَطوى من الأرض تِيهاً قِفارا[5]

فلا تشتكِنَّ إلىَّ السِفارَ وطولَ العَنا واجعَليه اصطبارا

رَواح العشيِّ وسَير الغُدوِّ يدَ الدهرِ حتّى تلاقى الخِيارا

تُلاقِينَ قيساً وأشياعَه يُسَعِّر للحرب ناراً فَنارا)

٥٧٦

قوله : وشوقٍ عَلوق ، أى ربَّ شوق ، وهو مضاف إلى عَلوق . والعَلوق بفتح المهملة : الناقة التى تُعطَّف على غير ولدها فلا تَرْأمه وإنّما تشَمُّه بأنفها

(١) الحق أنه بعد ستة عشر بيتا من أول القصيدة . انظر الديوان ٣٤ — ٣٧ .

(٢) فى الديوان : « بجوالة » .

(٣) فى الديوان : « فكانت سريتهن » .

(٤) فى الديوان : « ذوات حذاء » .

(٥) لم يرد هذا البيت فى ديوانه .

وتمنع لبنَها . والعلوق أيضاً من النّساء : التى لا تحبُّ غير زوجها ، ومن النوق : التى لا تألف الفحل ولا ترأم الولد . والزَّيّافة : الناقة المسرِعة ، وقيل المتبخترة ، من زاف يَزِيف زَيفا : إذا تبختر فى مِشيته . والضُّفار : جمع ضَفْرة وضَفيره ، بالضاد المعجمة والفاء ، وهى البطان المعرَّض ؛ والبِطان بالكسر هو للقَتَب الحزامُ الذى يُجْعل تحتَ بطن البعير ، وهو بمنزلة التصدير للرحل : وقوله : بقيّة خمس ، أى تلك الزيّافة بقيّة نوقٍ خمس . والراسمات ، من الرَّسيم وهو ضربٌ من سير الإبل السَّريع ، وقد رسَم يرسُم رسيًا . وبِيض : جمع بيضاء أى كريمة . والصّوار ، بضمّ الصاد وكسرها : القطيع من بقر الوحش ؛ والجمع صِيران . وقوله : دفعن إلى اثنين الخ ، أى دفع قرينه[1] تلك النوقَ الخمس إلى رَجلين عند الخُصوص ، وهو موضع قُرْبَ الكُوفة . والإِصار بكسر الهمزة ، قال الصَّغانىّ فى العباب : والإصار والأيصر : حبلٌ قصير يُشَدُّ به فى أسفل الخباء إلى وَتِد ؛ وكلُّ حَبْس يُحبس به شىء أو يُشَد به فهو إصار ، قال الأعشى يصف النوق . . وأنشَد هذا البيت . وقوله : فهذا يُعِدّ : أى يهيء . والخَلا ، بفتح الخاء المعجمة : الحشيش الرَّطْب . والحَضار ، بفتح المهملة وكسرها وبعدها ضاد معجمة : الكرائم من الإبل ، كالهِجان : واحده وجمعُه سواء . وقوله : فكانت أى تلك الزيّافة . والسِّفار ، بالكسر : المسافرَة والسَّفر ، وهما قطع المسافة . وقوله : فأبقى رَواحى الخ ، الرواح : مصدر راح يرُوح ، وهو نقيض غَدَا يغدو غُدوًّا . والذُّؤاب : جمع ذُؤابة ، بذال مضمومة بعدها همزة فموحَّدة ، وهى الجلدة التى تعلَّق على آخِرة الرَّحل . والجِداء : جمع جَدْية ، بالجيم ، وهى شىء يحشى تحتَ دفَّتَي السَّرج والرَّحل .

٥٧٧

(١) ط : « قرينة »

أراد أنّها لم يَبقَ من ظهرها شيء من كثرة السَّير . ثمّ بعدَ وصفِ ضُمرها ببيتين آخَرين قال :

(أقول لها حين جدَّ الرحيلُ . . . . البيت)

أى أقول لتلك الزيّافة . وجَدَّ بمعنى اشتدّ . وأبرحتِ بكسر التاء خطاب للزيّافة . قال أبو عُبيد فى الغريب المصنَّف : ما أبرح هذا الأمر : ما أعجبه . وأنشَدَ هذا البيت . قال شارحُ أبياته ابنُ السِيرافىّ : المعنى اختَرتِ ربًّا وهو الملك ، وجاراً عظيم القدر . وقيل أبرحت [أعجبت[1]] قال صاحب الصحاح وتبعه صاحب العباب : وأبرحَه أى أعجَبه . وأنشد هذا البيت وقال : أى أعجبت وبالغت . وأبرحَه أيضاً بمعنى أكرمه وعظّمه . . وعلى هذا فربًّا مفعول به ، وهو بمعنى المالك والسيِّد ، والمراد به نفْس الشاعر أو ممدوحه . وهذا هو الظاهر المتبادر من سَوق الكلام . وقال صاحب العباب : ويُروىٰ :

(تقول له حِينَ حانَ الرحيلُ أبرحتَ . . . الخ)

أى تقول للأعشى الناقةُ : أبرحتَ بى فى طلب ربّك هذا الذى طلبتَه وعذّبتنى وحَسَرتنى انتهى . . وعلى هذا فأبرحتَ معناه أصبتَنى بالبَرْح وهو الشِدَّة والعذاب ، ويكون ربًّا أصله فى طلبِ ربّك . ولا يخفىٰ هذا التعسُّف ، مع أنّ هذه الروايةَ غير ثابتة ، وغير منْسجمة مع ضمير الغائب . وقال ابن حبيب : يريد : تقول له ناقته : أعظَمت وأكرمْت ، أى اخترت رباً كريماً وجاراً عظيم القَدْر يُبْرِح بمن طَلَب شأوَه . وروى أيضاً — كما فى الشرح :

(تقول ابنتى حين جدَّ الرحيلُ . . . البيت)

وإنّما رُوى ، فى كتاب س وفى نوادر أبى زيد ، العجزُ مقروناً بالفاء هكذا :

---

(١) التكملة مما يستفاد من الشرح التالى .

(فأبرحْت ربا وأبرَحْت جارا)

وتمَّمه شُرَّاح شواهده بما ذكره الشارح[١]. وهذه الرواية لا ارتباط لها بما بعدَها ، كما هو الظاهر . قال أبو عُبيدة ، كما فى النوادر : أبرحتَ فى معنى صادفت كريماً . وقال غيره : أبرحت بمن أراد اللَّحاق بك تُبْرِح به فيَلقَى دون ذلك شِدَّة . والبَرْح : العذاب والشدَّة ؛ ومن ذلك برَّحت بفلان[٢] انتهى . فالربّ على الأوَّل الممدوح ، وعلى الثانى الصاحب . وقال النحّاس : قال الأصمعىّ : أبرْحت ربًّا أى أبلغت . وقال الأسعدى : أبرح فلانٌ رجلاً : إذا فضله . وهذا كلُّه على أنَّ ربًّا مفعول به لا تمييز . وقال الأعلَم : قوله : فأبرْحت ربا الخ ؛ الشاهد فيه نصب ربٍّ وجارٍ على التمييز . والمعنى أبرَحْت مِن ربٍّ ومن جارٍ ، أى بلغْت غايةَ الفضل فى هذا النوع . وصدر البيت :

(تقول ابنتى حين جد الرحيل أبرحتَ ربًّا) الخ

والمعنى على هذا . أبرَحَ ربكَ وأبرَحَ جارُك . ثمّ جُعِل الفعل لغير الربِّ والجارِ ، كما تقول : طبتَ نفساً : أى طابت نفسُك . وهذا أبْينُ من التفسير الأول ؛ وعليه يدلُّ صدر البيت . وأراد بالربِّ الملكَ الممدوح . وكلُّ من ملَك شيئاً فهو ربُّه . انتهى .

٥٧٨

---

(١) هذا دليل على أن صدر البيت فى الكتاب ١ : ٢٩٩ لم يكتبه سيبويه وأنه زيادة طرأت بعد زمن تأليفه . والتاء فى (فابرحت) و (أبرحت) مضبوطة فى النوادر بالفتح ، ولا ضير فى هذا فإنه المناسب لما سيق بعد من التفسير ، وضبطت كذلك فى الكتاب بالفتح ، وإنما هذا مجاراة لهذا الصدر الزائد بدليل ما سيأتى من شرح الأعلم وقوله : « وهذا أبين من التفسير الأول » وما سيجىء من قول البغدادى بعده : « والمقدار الذى أورده س هجز . . . الخ » .

(٢) انظر نوادر أبى زيد ص ٥٥ . والنقل هنا يصحح خطأين هناك : الأول « أبرحت ممن » ، صوابه « بمن » ، والثانى «فتلقى » بالتاء ، وصحته « فيلقى » بالياء ، كما هنا .

وقال الشارح المحقق : أبرحتَ أى جئت بالبَرْح وصرت ذا بَرْح؛ والبَرْح : الشدّة . فمعنى أبرحتَ صرتَ ذا شِدَّة وكمال ، أى بالغت وكملت ربّا . فهو نحو كفىٰ زيدٌ رجلاً ، أى أبرَحَ جارُهو أنت . . فالربّ على قول الأعلم الممدوحُ ، وعلى قول الشارح نفسُ الشاعر ؛ ومعنى البيت على هذا إنّما هو بقطْع النظر عمّا بعده وقبله ؛ وإلاّ فلا يناسب السِّياق . والمقدارُ الذى أورده س ، عجزٌ للصدر الذى هو :

(أقولُ لها حين جدَّ الرحيلُ)

والفاء من تصرُّف النُسّاخ ، فتكون التاء مكسورة ، والمعنى على ما ذكره الأعلم — والله أعلم — وأورد قبلَه قول العبّاس بن مِرداس السُلَمِىّ :

ومُرَّةُ يَحميهم إذا ما تبدّدوا ويَطْعُنُهم شَزْراً فأبْرَحْتَ فارسا[1]

قال الأعلم : « المعنى فأبرَحْتَ من فارسٍ ، أى بالغتَ وتناهيت فى الفُروسيّة ــ وأصل أبرحتَ مِن البَراح ، وهو المتّسِع من الأرض المنكشف ــ أى تبيَّنَ فضلك تَبيُّنَ البَراحِ من الأرض[2] » .

وترجمة الأعشى ميمون تقدَّمت فى الشاهدَ الثالث والعشرين وترجمة قيس أيضاً تقدّمت فى الشاهد الثانى بعد المائتين[3] .

* * *

(١) كذا ورد واضحاً فى ش بخط ناسخها ، ولا أثر لقلم الشنقيطى فيه أما المطبوعة الأولى فالذى فيها « يجمعهم » . انظر حواشى ٢ : ص ٣٠٢ من هذا الجزء

(٢) كلمة « من الأرض » ساقطة من ش . وفى ط : « أى تبين فضلك وتبين » باقحام واو قبل « تبين » .

(٣) انظر لترجمة الأعشى الخزانة ١ : ص ١٧٥ ولترجمة قيس الخزانة ٣ : ص ٢٣٩

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامنَ عشَرَ بعد المائتين :

٢١٨ (يا جارَتا ما أنْتِ جارَهْ[1])

على أن (جارة) تمييز ، لأنّ ما الاستفهاميّة تفيد التفخيم ، أى كَمُلتِ جارة .

وهذا المصراع عجز ؛ وصدره :

(بانَتْ لتحزُنَنا عَفارَه)

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدةٍ للأعشى ميمون . . قال الشاطبيّ فى شرح الألفيّة : أجاز الفارسيُّ أن تكون جارة فى هذا البيت تمييزاً ، لجواز دخول مِن عليها ، لأنَّ ما استفهامٌ على معنى التعجُّب ، فجارة يصحُّ أن يقال فيها : ما أنت مِن جارة ؛ كما قال الآخر :

يا سيِّداً ما أنتَ مِن سيِّد مُوطَّأَ الأكنافِ رَحْب الذِراعْ[2] انتهى

وروىٰ أوَّلَه أبو علىّ فى إيضاح الشعر :

بانت لِطيَّتها عَراره يا جارَةً ما أنْتِ جارَه

والطِّيَّة ، بالكسر وتشديد الياء التحتيّة : النِّيَّة والقصد . وعَرارة : امرأة

وقال قبلَه فى قول الشاعر :

وأنت ما أنت فى غَبراء مُظلِمةٍ :

٥٧٩

الظرف حال ، والعامل ما فى قوله ما أنت مِن معنى المدح والتعظيم ، كأنّه قال : عظمت حالاً فى غبراء . وليس فى الكلام ما يصحُّ أن يكون عاملاً فى الظرف غيرَ ما ذكرنا ، وإذا صحَّ معنى الفعل ـ وذلك من حيث ذكرنا ـ

(١) ديوان الأعشى ١١١ وابن يعيش ٣ : ٢٢ والأشمونى ٣ : ١٧ .

(٢) البيت للسفاح بن بكير فى المفضليات ٣٢٢ والهمع ١ : ١٧٣ ، ٢/٢٥١ : ٩٠ .

كان قولُ الأعشى : جارة ، فى موضع نصب بما فى ما أنت ؛ كما ذكرنا . انتهى . ولا يصح أن تكون ما نافيةً كما زعمه العينيّ ؛ لأنّ نصب جارة على التمييز إنّما هو من الاستفهام التعجّبي . وهذه عبارته : « ما نافية وأنت مبتدأ وجارة خبره . ويُروى : (ما كُنتِ جارَه) فهذا يؤكّد معنى النفى . ويجوز أن تكون ما استفهاميّة فى موضع الرفع على الابتداء ، وأنت خبره ، وجارة تكون تمييزا والمعنى عظمتِ مِن جارة . انتهى . ولا يخفى أنّ المعنى ليس على النفى ؛ وإنّما هو على التعجّب كما ذكره الجماعة .

و (بانت) : من البَيْن وهو الفِراق . وقوله : (لتحزننا) يجوز فتح التاء وضمّها ، فإنّه يقال حزَنه يحزُنه ، وهى لغة قريش ، وأحزنه يُحزِنه ، وهى لغة تميم ؛ وقد قرئ بهما . وحزِن يأتى لازماً أيضا[1] ، يقال حزِن الرجل فهو حزِن وحزين ، من باب فرِح يفرح . و (عَفارة) بفتح العين المهملة : اسم امرأة ؛ وهى فاعلٌ لأحد الفعلين على سبيل التنازع . وقوله : (يا جارتا) الخ ، هو التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وجارة الرجل : امرأته التى تجاوره فى المنزل . و (ما) : اسم استفهام مبتدأ عند س وأنت الخبر ؛ وعند الأخفش بالعكس . وقال العينيّ[2] : عَفارة : امرأة يحتمل أن تكون هى الجارَة أو غيرها ، فإنْ كانت عينَها فقد انتقل من الإخبار إلى الخطاب ، والجارَة هنا زوجته انتهى . . والظاهر أنّ الجارَة هى عَفارة وأنّها عشيقته فتأمّلْ . ثمّ رأيت فى شرح شواهد الإيضاح لأبى علىّ الفارسىّ لابن برّىّ قال ــ وأنشد :

(يا جارتا ما أنت جاره)

(١) كذا فى النسختين ، وظنى أن «أيضا» « مقحمة » .

(٢) لم أجده فى شرح الشواهد فلعله مما سقط من شواهد العينى المطبوعة .

وقبله :

(بانت لتحزننا عَفاره)

ويروىٰ :

بانت لِطِيَّتِها عفاره

هو لأعشى بنى قيس ، والجارة هنا زوجه ، قال ابن دريد : والطِّيَّة : المنزل الذى تنويه . وعَفارة : اسم امرأة ويحتمل أن تكون هى الجارَة وغيرها ، فإن كانت الجارة فقد انتقل من الإخبار إلى الخطاب . وقوله ياجارتا ، يريد يا جارتى ، فأبدل من الكسرة فتحة فانقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ؛ ويجوز أن تكون ألفَ النُدبة ، لمّا وصَلَها حذف الهاء ، كأنّه لمّا فقدها ندبَها . وقوله : ما أنت جاره ، ما نافية وأنت مبتدأ أو اسم ما ، وجارة إما فى موضع نصب خبر لِما ، وإمّا فى موضع رفع خبر لأنت . ويُروى : (ما كُنت) فهذا يؤكّد معنى النفى ، كما قال تعالى (ما هذا بَشَرا[1]) ويجوز أن تكون ما استفهاماً فى موضع رفع بأنّها خبر أنت ، وجارة فى موضع نصب على التمييز ، أى ما أنت منْ جاره . ويجوز أن تكون حالا ، والعامل فيها معنى الكلام ، أى كَرُمت جارةً ، أو نَبُلْتِ جارة . ويجوز أن تكون ما مبتدأ — وإن كانت نكرة — لما فيها من معنى التفخيم والتعجُّب ، ولأنّها تقع صدراً ؛ غير أنّه أوقعها على مَن يعقل ، فكان الوجه ما بدأنا به .

٥٨٠

هذا كلامه برُمّته ، وتعسُّفه ظاهر .

وقال شارحٌ آخرُ لأبيات الإيضاح : « جلبَهَ أبو علىّ شاهداً على أنّ

---

(١) الآية ٣١ من سورة يوسف .

جارةً الموقوفَ عليها ، يحتمل أن تكون تمييزاً لإمكان [إدخال[١]] مِنْ عليها . ويحتمل أن تكون حالا » . ثمّ إنّه أخذَ جميعَ الكلام الذى نقلناه من ابن برّى .

وترجمةُ الأعشى تقدّمت الحوالة عليها فى البيت الذى قبل هذا . وبعد هذا البيت :

(أرْضَتْكَ مِنْ حُسْنٍ ومِنْ دَلٍّ تُخالِطه غَرارَهْ
وسَبَتْكَ حِينَ تبسّمتْ بينَ الأرِيكة والسِتارَهْ)

والغَرَارة ، بفتح المعجمة : الغفلة كالغِرّة بالكسر . والأريكة : السّرير المزيَّن ؛ والجمع أرائك .

كَمَلَ الجزء الأول من المطبوعة الأولى ويليه الثانى وأوله باب المستثنى

* * *

باب المستثنى

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد المائتين[٢] :

٢١٩ (وَبَلْدةٍ ليسَ بها طُورِىُّ ولا خَلا الجِنَّ بها إنسِىُّ)

على أنّ تقدُّم المستثنى على المنسوب والمنسوبِ إليه شاذ[٣] . والأصل : ولا بها إنسىٌّ خلا الجنّ .

---

(١) التكملة من هامش ش وإلى جوارها كلمة « صح » .

(٢) نوادر أبى زيد ٢٢٦ والمنصف ٣ : ٦٢ والإنصاف ٢٧٤ والهمع ١ : ٢٢٦ ، ٢٣٢ وديوان العجاج ٦٨ واللسان (طور ، طأى) .

(٣) فى النسختين : « المستثنى غير المنسوب والمنسوب إليه شاذ » تحريف . وفى الرضى ١ : ٢٠٩ : إذا تقدم المستثنى على المستثنى منه وجب أن يتأخر عما نسب إلى المستثنى منه ، نحو ماجاءنى إلا زيدا أحد . وإن تقدم على المنسوب — يعنى الحكم — وجب تأخيره عن المستثنى منه ، نحو القوم إلا زيدا ضربت . ولا يجوز عند البصريين تقدمه عليهما فى الاختيار » . عليهما أى المنسوب وهو الحكم ، والمنسوب إليه وهو المستثنى منه ، فلا يقال إلا زيداً القوم ضربت .

قال ابن الأنبارىّ فى الأنصاف : ذهب الكوفيّون إلى أنّه يجوز تقديمُ حرف الاستثناء فى أوّل الكلام نحو إلاّ طعامَك ما أَكل زيدٌ ، نصَّ عليه الكِسائى ، وإليه ذهب الزَجَّاجُ فى بعض المواضع ؛ واستدلوا بهذا البيتِ ونحوه . ومنعه البصريُّون ، وأجابوا عن البيت بأنّ تقديره : وبلدةٍ ليس بها طورىّ ولا إنسىٌّ ما خلا الجنَّ . فحذف إنسيًّا وأضمر المستثَني منه ، وما أظهَره تفسيرٌ لمَا أضمَره[1] . وقيل : تقديره : ولا بها إنسىٌّ خلا الجنّ . فَبِها مقدرة بعْدَ لا ، وتقديم المستثَني[2] فيه للضرورة ، فلا يكون فيه حجّة .

صاحب الشاهد وهذان البيتان من أُرجوزة للعجّاج . وقوله : (وبلدة) الواو فيه واو ربٍّ ؛ والبلدة : الأرض ، يقال هذه بلدتنا أى أرضنا . وروى أبو عُبيد البكرىُّ فى شرح نوادر القالىّ[3] والصاغانى فى العُباب :

(وخفْقَةٍ ليس بها طُورىُّ)

بفتح الخاء المعجمة والفاء والقاف[4] ؛ وقال : الخَفْقَة : المَفازة الملْساء ذات آل . قال أبو عُبيد : هذا صحّة إنشاده ، لأنّ قبلَه :

(وبلدةٍ نِياطُها نَطِىُّ)

أى بعيد . وبعدَه :

(للرّيح فى أقْرابها هُوِىُّ)

والأقراب : الجوانب . وجملة : (ليس بها طُورىّ) صفة بلدة . وطورىّ

---

(١) هذا الجواب ذكره الرضى أيضا فى شرحه ١ : ٢٠٩ .

(٢) ش : « الاستثناء » .

(٣) اللآلىء ٥٦٦ وفيه كما فى الأمالى ١ : ٢٥٥ : « طوئى » والطوئى كالطورى وزنا ومعنى .

بمعنى أحد ، لا يكون إلاّ مع النفْى كما هنا ؛ وهو فى الأصل منسوب إلى طُور الدار ، قال شارح النوابغ الزمخشرية : طُورَ الدار بالضمّ هو ما يمتدّ معها من فِنائها وحُدودها ، تقول : أنا لا أطور بفلان ولا أطور طورَه : أى لا أدور حوله ولا أدنو منه انتهى . ولا وجه لقول أبى علىّ القالىّ فى أماليه : إن طُوريًّا منسوب إلى الطُّورة ، وهى فى بعض اللغات الطِّيَرة — على وزن العنبة — وهو ما يتشاءم به من الفأل الردئ . وقد رواه أبو زيد فى نوادره بهذا اللفظ(١) . وكذلك صاحبُ الصحاح والعباب وغيرهم . ورواه أبو علىّ القالىّ فى أماليه (طوئىّ) على وزن طوعِىّ قال : أنشدنى أبو بكر بنُ الأنبارى وأبو بكر بن دُريد ، للعجّاج :

(وبلدةٍ ليس بها طوئىّ)

وهو بمعنى طُورىّ . وزاد فيها لغتين أيضا ، قال : يقال ما بها طُؤوىّ(٢) على مثال طُعْوىّ ، وما بها طاوىٌ غير مهموز . وأورد فيها كلمات كثيرة فى هذا المعنى تلازم النفى ، كقولهم : ما فى الدار أحد ، وما بها عَرِيب ، وما بها دَيّار . وكأنّه ، والله أعلم ، استقصى فيها جميعَ هذه الألفاظ . وقوله : ولا الخ ، الواو عطفتْ جملة بها إنسىٌّ على جملة بها طورىّ المنفية بليس ؛ ولا لتأكيد النفى ، إلاّ أنّه فصل بين العاطف والمعطوف بجملة خلا الجنّ ، لضرورة الشعر . قال ابن السرّاج فى الأصول : وحكى عن الأحمر أنّه كان يجيز : ما قام صغير ولا خلا أخاك كبير . وإنّما قاسه على قوله :

---

(١) الذى فى النوادر : « طؤوى » . وأنشده فى اللسان (طأى) : « طوئى » وقال : س« وما بالدار طوئى مثل طوعى ، وطؤوى ، أى ما بها أحد » .

(٢) ط : « طوئى » ش : « طؤى » والوجه ماأثبت ، كما فى الأمالى .

وبلدةٍ ليس بها طُورِىٌّ ولا خَلَا الجنَّ ولا إنسىٌّ

وليس كما ظنَّ ، لأنَّ إنسىّ مرتفعٌ بيها على مذهبهم . انتهى .

و (خَلَا) : أداة استثناء ، ومثلها عَدَا يكونان فعلين وينصب ما بعدهما على المفعول به ، لأنَّ معناها عند سيبويه جاوَز ؛ وفاعلهما ضميرُ مصدرِ الفعل المتقدِّم على قولٍ ومنه — فى خلا — ما أنشده ابنُ خروف وغيرُه : (ولا خلا الجنَّ) بالنصب . ويكونان حرفين وينجرُّ ما بعدهما على أنّهما حرفاَ جرّ ، ومنه — فى خلا — قول الأعشىٰ :

خَلَا اللهِ ما أرجُو سِواكَ ، وإنَّما أعُدُّ عِيالى شُعبةً مِن عيالِكا[1]

وهذا كله ما لم تتصلْ بهما ما المصدريّة . فإن اتّصلت بهما فإنّ المختار النصب ، والجرُّ قليل ، وتكون ما معَ ما بعدها فى تأويل مصدرٍ منصوبٍ نصبَ غير وسوى ، عند ابن خروف ، ومصدرٍ فى موضع الحال عند السِيرافى .

و (إنسىّ) : واحد الإنس ، بالكسر ، وهو البشَر ، يفرق بينه وبين واحده بياء النسبة كرومٍ وروميّ . فقوله : خلا الجنّ استثناء منقطع ، لأنّه من غير جنس المستثنى منه .

وترجمة العجّاج تقدّمت فى الشاهد الحادى والعشرين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[3] :

---

(١) هكذا نسبه البغدادى إلى الأعشى ، وليس فى ديوانه . وانظر العينى ٣ : ١٣٧ والهمع ١ : ٢٢٦ ، ٢٣٢ واللسان (خلا ٢٦٦) .

(٢) الخزانة ١ : ص ١٧٠

(٣) فى كتابه ١ : ٣٦٤ . وانظر ديوان الهذليين ١ : ١١٦ ومعجم البلدان (رهوة).

٢٢٠ (فإنْ تُمسِ فى غارٍ برَهْوَةَ ثاوياً أنيسُكَ أصداءُ القُبورِ تَصيحُ)

على أنّه جعل الأصداء أنيساً، مجازاً واتّساعاً. لأنّها تقوم — فى استقرارها بالمكان، وعمارتها له — مقامَ الأناسىّ.

وقوّىٰ سيبويه بهذا مذهبَ بنى تميم فى إبدال ما لا يعقل ممّن يعقل، إذ قالوا: ما فى الدار أحد إلا حمارٌ، فجعلوه بمنزلة ما فى الدار أحد إلّا فلان.

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لأبى ذُؤيب الهُذَلىّ رثىٰ بها ابنَ عمٍّ له قُتِل. مطلعُها:

أبيات الشاهد

(لَعَمْرُكَ إنّى يومَ فارقتُ صاحبى على أنْ أراه قافلاً لَشحيحُ
وإنّ دُموعى إثْرَهُ لَكثيرةٌ لوَ انّ الدُموعَ والزَّفيرَ يُريحُ ٤
فوالله لا أنسى ابنَ عمٍّ كأنّه نُشيبة ما دامَ الحَمامُ يَنوحُ)

إلى أن قال بعد أبياتٍ ثلاثة:

(فإنْ تُمْسِ فى رَمْسٍ برَهْوَةَ ثاوياً أنيسُكَ أصداءُ القُبورِ تَصيحُ
على الكُرْهِ منّى ما أُكفكف عَبْرةً ولكنْ أُخلّى سَرْبَها فتَسيحُ
فما لكَ جيرانٌ، وما لكَ ناصرٌ ولا لَطَفٌ يَبكى عليكَ نَصيحُ![1])

قوله: (فإن تُمسِ) يقال أمسى: إذا دخل فى المَساء، وهو خلاف أصبح: إذا دخل فى الصباح. قال ابن القوطيّة: المساء ما بين الظهر إلى المغرب. و (الرَّمْس): القبر؛ قال فى المصباح: «رمست الميت رمْساً، من باب قتل: دفنته. والرمس: التراب، تسمية بالمصدر ثم سمى القبر به، والجمع رموس. وأرمسته بالألف لغة». و (رهْوة): مكان، قال ياقوت

(١) نصيح: ذو نصح، كما فى شرح ديوان أبى ذؤيب ص ١١٧. ش «فصيح» صوابه فى ط والديوان.

فى معجم البلدان : قال أبو عبيد : الرَّهوة : الجَوْبة تكون في مَحَلّة القوم يسيل إليها ماء المطر . وقال أبو سعيد[١] : الرهو : ما اطمأنّ من الأرض وارتفعَ ما حوْله ؛ قال : والرهوة شِبه تلّ يكون فى متون الأرض على رءوس الجِبال ومَساقط الطيور والصقور والعِقبان . ورهوة طريق بالطائف ، وقيل هو جبل فى شِعر خُفاف بن نُدْبة ، وقيل عقَبة فى مكانٍ يُعرف . وقال الأصمعىّ : رهوة فى أرض بنى جُشَمَ ونصرٍ ابنىْ معاوية بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة .

و (ثاويًا) خبر قوله (تُمسِ) وهو متعلّق برهوة ، يقال ثوى بالمكان وفيه : إذا أقام . و (أنيسك) مبتدأ ، و (أصداء) خبره ، والجملة حال من ضمير ثاويًا . وجملة تصيح صفة لأصداء ؛ ولا يضرّ إضافته إلى المعرّف باللام ، لأنّ اللام للجنس ومدخلها قريبٌ من النكرة . والأنيس : المؤانس ؛ وفعله أنِسْت به إنسًا من باب علم ، وفى لغةٍ من باب ضرب ؛ والأُنس بالضمّ اسم منه ؛ واستأنست به وتأنّست به : إذا سكن القلب ولم ينفر ، كذا فى المصباح : والأصداء : جمع صَدًى بالقصر ، وهو ذَكَر البوم ، وهو يسكن فى القبور ، وقال الأعلم : هو طائرٌ يقال له الهامة يزعمُ الأعرابُ أنّه يخرُج من رأس القتيل إذا لم يُدرَك بثأره فيقول : اسقونى ! اسقونى ! حتّى يُؤخذَ بثأره . وهذا مثل ؛ وإنّما يُراد به تحريضُ ولىِّ المقتول على طلب دَمِه . فجعلَه جهلةُ العَرب حقيقة . انتهى .

وقوله : على الكُره منّي ، متعلّق بقوله : أكفكف ؛ يقال كفكفت الدمع والرجلَ : إذا كففته ومنعته . والعَبْرَة ، بالفتح : الدّمعة ؛ وفعله عَبِرتْ عينُه كفرِحَت ، والسَّرْب ، بفتح السين وسكون الراء المهملتين : الطريق ،

(١) فى معجم البلدان : « أبو عبيد » ، وبعده : « الرهوة » . وفى مقدمة معجم البلدان أن لأبى سعيد السيرافى كتاباً فى جزيرة العرب .

يقال خَلٍّ له سَرْبه . وقوله : فما لك جيران الخ ، هذه الجملة جواب قوله فإن تُمس . وجِيران : جمع جار . ولَطَف بفتح اللام والطاء المهملة ، هو الرقيق والملاطِف . وهذا الكلام منه على طريق التحزُّن والتحسُّر .

وقد تقدمت ترجمةُ أبى ذؤيب فى الشاهد السابع والستين[1] والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٢٢١ والحربُ لا يَبقَى لجا حِمها التَخيُّلُ والمِراحُ[3]
إلاَّ الفتَى الصبَّارُ فى النَّجَداتِ والفرَسُ الوَقاحُ

على أنّ الفتى وما بعده استثناء منقطع ، بدلٌ من قوله : التخيُّلُ والمراح . والجاحم ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة : المكان الشديد الحرّ ، من جَحَمتِ النارُ فهى جاحمة : إذا اضطرمَت[4] ، ومنه الجحيم . والتخيُّل : التكبُّر من الخيَلاء . يقول : إنّ الحرب تزيل نَخوة المنخوّ . وذلك أنّ أصحاب الغَناء يتكرّمون عن الخُيَلاء ، ويختال المتشبّع ، فإذا جُرِّب فلم يُحمَد افتضَحَ وسقَط والمِراح ، بالكسر : النشاط . أى أنّها تكفُّ حدّة البَطِر النشيط[5] ، والصبّار : مبالغة صابر . والنّجدة : الشدّة والبأس . والوَقاح ، بالفتح : الفرَس الذى حافرُه صُلبٌ شديد ، ومنه الوَقاحة .

---

(١) الخزانة ١ : ص ٤٢٢
(٢) فى كتابه ١ : ٣٦٦ . وانظر الحماسة ٥٠٢ بشرح المرزوقى .
(٣) فى النسختين : « لجاحها إلا التخيل » ، وقد رج الشنقيطى على « إلا » .
(٤) ط : « اضطربت » .
(٥) ط : « النظر » ، صوابه فى ش .

وهذان البيتان قد تقدَّم شرحهما مفصَّلًا فى الشاهد الحادى والثمانين ، فى اسم ما ولا المشبهتين بليس[1]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[2] :

٢٢٢ (عَشِيَّةَ لاتُغنى الرماحُ مكانَها ولاالنَّبْلُ ، إلاَّالمشْرَفىُّ المصمِّمُ)

على أنّ ما بعد إلاّ ، وهو المشرفىّ ، بدلٌ من الرماح والنَّبْل ، والاستثناء منقطع .

وأورده صاحب الكشّاف ، أيضاً ، شاهداً على رفع الاسم الكريم فى قوله تعالى (قُل لا يعْلَمُ مَنْ فى السَموات والأرضِ الغَيْبَ إلاّ اللهُ[3]) وإنّما رفع على لغةِ تميم . والحجازيُّون ينصِبونه مطلقاً .

وقد جاء هذا البيت فى شعرَين ، قافية أحدِهما مرفوعة ، وقافية الآخر منصوبة . والأوّل هو الشائع المستشهَد به ، وقد ورد فى كتاب سيبويه مُغْفَلا ، ولم ينسبُه أكثر شُرَّاح شواهده .

والمنصوب جاء فى قصيدةٍ للحُصَين بن الحُمام المرِّىّ . أمّا الأوّل فهو لِضرار بن الأزْوَر الصَحابىّ من قصيدةٍ قالها فى يوم الرِدّة : قال أبو محمد الأعرابىُّ (فى فُرحة الأديب) : أكتَبَنا أبو الندىٰ : قال ضرار بن الأزوَر وهو فارس المحبَّر فى الرِّدَّة ، لبنى خزيمة — وكان خالدُ بن الوليد بعثَه فى خيل

---

(١) الخزانة ١ : ص ٤٧٠

(٢) فى كتابه ١ : ٣٦٦ . وانظر العينى ٣ : ١٠٩ والأشمونى ٢ : ١٤٧ .

(٣) الآية ٦٥ من سورة النمل .

على البَعوضة : أرض لبنى تميم ، فقَتل عليها مالكَ بن نُويرة فارسَ بنى يربوع ، وبنو تميم تدَّعى أنّه آمنَه . فقاتل يومئذٍ ضرارُ بن الأزوَرِ قتالاً شديداً — فقال فى ذلك ، وبلغه ارتدادُ قومِه من بنى أسد :

(بنى أسدٍ قد ساءنى ما صنَعتم ... وليس لقومٍ حاربوا الله مَحْرَمُ

وأعلَمُ حقا أنّكم قد غوَيتم ، ... بنى أسدٍ ، فاستأخِروا أو تقدَّموا

نهَيتكمُ أن تَنهَبوا صدَقاتِكمْ ... وقلتُ لكم يا آلَ ثعلَبةَ اعلَموا

عصَيتمْ ذوِى أحلامِكمْ وأطعتمُ ... ضُجَيماً ؛ وأمرُ ابنِ اللقَيطَةِ أشأَمُ

وقد بعثوا وفداً إلى أهل دُومةٍ ... فقُبِّحَ مِن وفدٍ ومَنْ يَتَيمَّمُ[1]

ولو سَألَتْ عنا جَنوبُ لَخُبِّرت ... عشيَّةَ سالت عَقْرَباء بها الدم[2]

عَشيةَ لا تُغنى الرِّماحُ مكانَها ... ولا النَّبلُ إلاَّ المشرفىُّ المصمِّمُ

فانْ تبتغى الكفّار غيرَ مُنيبةٍ ، ... جنوبُ ، فإنّى تابعُ الدينِ فاعلموا[3]

أقاتلُ ، إذْ كانَ القتالُ غنيمةً ... وَللهُ بالعَبْدِ المجاهِدِ أعلَمُ)

ضُجَيم هو طُليحة[4] بن خُويلد ، وكانت أمُّه حِميَرِيّة أخيذة . وابن اللقَيطة : عُيينة بن حِصْن . وقوله : يا آل ثعلبة ، أراد ثعلبة الحلاَّف بن دُودان بن أسد[5] .

---

(١) فى معجم البلدان (دومة الجندل) : « وما قد تيمموا » .

(٢) ط ومعجم البلدان : « ولو سئلت » : صوابه فى ش وفرحة الأديب بخط البغدادى ، وهى محفوظة بدار الكتب برقم (٧٨ مجاميع م) الورقتين ٢٧ ، ٢٨ . وقد تابعتُ فى ضبط كل هذا النقل ما كتبه هناك بقلمه . وفى معجم البلدان : « عقرباء وملهم » . وروى ابن السيرافى : « عقرباء من الدم » على الإقواء ، وردها عليه أبو محمد .

(٣) البلدان : « غير ملية . . . تابع الدين مسلم » .

(٤) فى النسختين وفرحة الأديب : «طلحة» ، وإنما هو بالتصغير ، كما فى الإصابة وجمهرة ابن حزم ١٩٦ ، ٤٤٣ والاشتقاق ٥٥١ .

(٥) الذى فى الجمهرة ١٩٢ أن الحلاف هو الحارث الحلاف بن سعد بن ثعلبة ابن دودان .

وقال لنا أبو الندى : عَقرباء بالبـاء : أرض باليمامة . قال : وعَقْرَما بالميم باليمن ، وأنشد لرجلٍ من جُعْفِىّ[١] فى قتل مالكٍ بن مازن[٢] أحد بنى ربيعة ابن الحارث :

جَدعتمْ بأفعى بالذهابِ أنوفَنَا فمِلنا بأنفيكم فأصبح أصْلَمَا[٣]

فمن كانَ محزوناً بمقتلِ مالك فانّا تركناه صَريعاً بعَقْرَمَا ا هـ

وقوله عشيَّة سالت هو بتقدير مضاف أى لخبَّرت خبَرَ عشيّةَ سالت[٤] . وعشيّة الثانية بدل منها . وجنوب فيما بعد هذا منادى ، وهى امرأة .

و (العَشِيَّة) واحدة العَشِىّ ، قال فى المصباح : العَشِىُّ قيل ما بين الزّوال إلى الغُروب ، ومنه يقال للظُّهر والعصر صَلاتا العَشِىّ ؛ وقيل هو آخر النّهار ، وقيل العَشِىّ من الزّوال إلى الصباح ، وقيل العشى والعشاء من صلاة المغرب إلى العتَمة . وجملة (لا تُغْنِي الرّماحُ) الخ فى محل جرٍّ بإضافة عشيَّة إليها . و (مكانَها) ظرف لقوله لا تُغنى ، وهو العـامل فيه . قال العَينيّ : الضمير فى مكانها للحرب ، يدّل عليه لفظ الجهاد ، لأنّه لا يكون إلاّ بمكان الحروب . وأغنيت عنك بالألِف ، مغنيَ فلان : إذا أجزأت عنه وقمت مَقامه . وحكىٰ الأزهرىّ : ما أغنى فلانٌ شيئاً ، بالغين والعين ، أى لم ينفع فى مهمٍّ ولم يَكف مؤُنة . وقوله : (ولا النَّبلُ) بالرفع عطفاً على الرماح . والنَّبْل بالفتح : السهام العربية ، وهى مؤنّثة ، ولا واحد لها من لفظها ، بل الواحد سَهْم . وقوله :

(١) معجم البلدان : « جعفر » تحريف .

(٢) معجم البلدان عن ابن الـكلبي فى الجمهرة : « أسلم بن مالك بن مازن » .

(٣) جعله كالأفعى فى شدته . والذهاب : غائط من أرض بنى الحارث بن كعب ، كما فى ياقوت . ط : « بأنى مالك بألوفنا » ، صوابه فى ش واضحاً وفى فرحة الأديب ، ومعجم البلدان (عقرما) ، وهو موضع باليمن .

(٤) ط : « خبر عن عشية سالت » ، وهو خطأ تنبه له ناشر المطبوعة الأولى .

(إلاّ المشْرِفىُّ) بالرفع على لغة تميم بدل من الرِّماح والنَّبْل ، وإن لم يكن من جنسهما ، مجازاً على ما تقدَّم قبله . ولا وجه لما نقله ابنُ الأنبارىُّ عن بعضهم : من أنّ نصب المشرفىّ على المعنى ، قال : كأنّه أراد بقوله : لا تُغنى الرماح ، أى لا تستعملها ولا تستعمل إلاّ المشرفىّ . وهذا تعسُّف ظاهر . والمشرفىُّ بفتح الميم ، هو السيف المنسوب إلى مَشارف ، قال البَكرىّ فى معجم ما استعجم : قال الحرْبىّ : والمشارف قُرًى مِنْ قرى العرب تدْنو من الرِيف ، واحدها مَشْرَف . وقال[1] فى موضع آخر : وهى مثل خَيْبَرَ ودومة الجندل[2] وذى المرْوة والرَّحْبة . وقال البكرىّ ، فى مؤتة أيضا : وكان لقاؤهم — يعنى المسلمين — الرومَ فى قرية يقال لها مَشارفُ مِن تُخوم البَلقاء ، ثمّ انحاز المسلمون إلى مؤْتة وهو موضع من أرض الشام من عمَل البلْقاء . فالسيف المشْرَفىّ ، إن كان منسوباً إلى الأول فالنسبة على القياس ، لأنّ الجمع يُرَدّ إلى الواحد فينسَب إليه ، وإن كان منسوباً إلى الثانى فالنسبة على خلاف القياس . وبهذا التحقيق يُعرَف مافى قول الصاغانىّ وغيره : والسيوف المشْرَفيّة منسوبة إلى مشارف الشّام ، قال أبو عُبيدة : هى قُرًى[3] من أرض العرب تدنو من الريف ، يقال سيف مشرفىٌّ ولا يقال مَشارفىّ ، لأنّ الجمع لا ينسَب إليه إذا كان على هذا الوزن . انتهى . وقال صاحب المصباح — بعد أن نقل هذا — وقيل هذا خطأ ، بل هى نسبة إلى موضع من اليمن . وقال ابن الأنبارىّ فى شرح

(١) الكلام للبكرى ، والضمير راجع إلى الحربى .

(٢) ط : « دومة والجندل » صوابه فى ش ومعجم البكرى . ودومة الجندل ، بضم أوله وفتحه ، وقد أنكر ابن دُريد الفتح وعده من أغلاط المحدثين ، كما ذكر ياقوت .

(٣) وفى العمدة ٢ : ١٨٠ قول ثالث إنها منسوبة إلى مشرف : قرية باليمن . وفى ياقوت قول رابع إنها منسوبة إلى مشرف ، وهو المشرف بن مالك بن دعر بن حجر ابن جزيلة بن لخم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب .

المفضَّليات ، عند الكلام على هذا البيت : والمشرفىُّ منسوبٌ إلى المشارف ، وهى قرًى للعرب تدنو من الريف ، ويقال بل هى منسوبة إلى مَشْرَفٍ ، رجل من ثَقيف[1] فالقول الأوّلُ [هو القول الأول[2]] من كلام البكرىّ ويدل على الجمعيّة دخول اللام عليها فى كلامهما[3] و (المصمّم) : اسم فاعل من صمّم ، قال صاحب الصحاح : وصمّم السيفُ : إذا مضى فى العَظْم وقطعه ، فإذا أصاب المَفْصل وقطَعه يقال : طَبّق . قال الشاعر يصف سيفاً :

٧

* يصمِّم أحياناً وحيناً يطبِّق[4] *

ومثله قول ابن الأنبارىّ : والمصمِّم الذى يَبرى العَظْم بَرْياً ، حتّى كأنه وقع فى المَفصل من سرعة مَضائه . والمطبِّق الذى يقع على المَفصل ، ومنه قول الكميت يصف رُجلاً شبَّهه بالسيف :

فأراكَ حينَ تُهَزُّ عند ضريبةٍ فى النائبات مصمِّماً كمطبِّقِ

أى هو يمضى فى نفس العَظْم ويَبريه ، وكأنّه إنّما طَبّق أى وقع على المَفصِل . فهذا الرجل حين يُهَزّ لما ينوب من الخطوب ، كهذا السيف فى مضائه ، أى يركب مَعالىَ الأمور وشِدادها ، ولا يَثْنيه شىء ، كهذا السيف . وإنّما كانت الرماح والنَّبل لا تُغنى ، لأنّ الحرب إذا كانت بالليل لا تغنى إلاّ السيوف ، لاختلاط القوم ومواجهةِ — بعضِهم بعضاً ، كذا قال العَينى . وهذا مِن تفسير العشيَّة بالليل . وليس كذلك ، بل هو من شدَّة المحارَبة حيث استقلّ عملَهما فنازَلَ بالسيف : وذلك أنّ أوّلَ الحرب المناضلةُ بالسهام ، فإذا

---

(١) انظر الحاشية السابقة ، فهذا قول خامس .

(٢) التكملة من ش .

(٣) أى ابن الأنبارى والبكرى . ط : « كلامها » صوابه فى ش .

(٤) وكذا ورد الشطر فى اللسان (صمم ٢٤٠) بدون نسبة .

تقاربوا فالتراشُق بالرماح[1] فإذا التقَوا فالمجالَدة بالسيوف . فالشاعر يَصِف شدَّة المحارَبة ، بالتقاء الفريقين ، فلم يفِدْ حينئذ إلاّ التضارُب بالسيوف .

وأما الثانى ، وهو الشعر المنصوب ، فمطلع القصيدة :

(جزَى اللهُ أفْناء العشيرة كلّها ... بِدَارةِ مَوْضوعٍ عُقوقاً ومَأثَما

بنى عمِّنا الأدنَينَ منهمْ ورهطَنا ... فَزارة إذْ رامتْ بنا الحرب مُعظَما

ولمّا رأيتُ الودَّ ليس بنافِعِي ... وإن كان يوماً ذا كوا كِبَ مُظلِما

صبَرْنا ، وكان الصبرُ منّا سجيةً ، ... بأسيافنا يقطَعْن كفّاً ومِعصَما

يفلِّقنَ هاماً مِن رجالٍ أعِزّةٍ ... علينا ، وهمْ كانوا أعقَّ وأظلَما

فليتَ أبا شِبْلٍ رأى كرَّ خَيلِنا ... وخَيلِهِم بين السِّتارِ فأظلَما

نطارِدُهم نَستنقذُ الجُرْدَ كالقَنا ... ويَستنقِذونَ السمهريَّ المقوَّما

عَشِيّةَ لا تغنى الرماح مكانَها ... ولا النَّبْلُ ، إلا المشرفيَّ المصمِّما

لدنْ غُدوة حتّي إذا الليلُ ما تَرى ... من الخيل إلا خارجيا مسوَّما[2]

وهذه القصيدة مسْطورة فى المفضليّات ، وعدتها واحد وأربعون بيتا[3] .

وأفناء العشيرة : أوباشهم ، يقال هو من أفناء الناس : إذا لم يُعلم ممَّن هو . ودارة مَوضوع : اسم مكان ، وكذلك السِّتار وأظلَم ، موضعان . وقوله : نطاردهم الخ ، هذا هو العامل فى عشيّة . ورُوى :

(١) كتب الشنقيطى فى هامش نسخته : « قلت : قوله فبالتراشق بالرماح » خطأ محض ، والصواب : فالتطاعن بالرماح ، لأنها هى التى يطعن بها فقط ، ولأن الرشق بالسهام وحدها » .

(٢) فى المفضليات ٦٥ : « حتى أتى المليل » ، وفى الحماسة « من الصبح حتى تغرب الشمس » .

(٣) هى اثنان وأربعون بيتا .

« نُقاتِلهم نَستنقِذ الجُرْدَ كالقَنا ويستودعون السَّمْهرِيَّ المقوَّما »

وروى ابن قتيبة :

« نحاربُهم نستودِع البيضَ هامَهُم ويستودعون السَّمهريَّ المقوَّما[1] »

والجُرْد : الخيل القصيرة الشعور ، وذلك مدحٌ لها . والسمهريّ : القنا . والمقوّم : المعدّل المثقّف . يقول : نحن نستنقِذ الخيل الجُرْدَ منهم ، وهم يستنقذون الرماحَ منّا بأن نطعُنَهم بها ونتركها فيهم . وقوله : لدن غدوة الخ ، ظرف لنُطاردهم أيضا . والخارجيُّ من الخيل : الجواد فى غير نسب تقدّمَ له ، كأنّه نَبغ بالجودة ، وكذلك الخارجيُّ من كلّ شيء . والمسوَّم : المعْلَم للحرب. يقول : إنّ الناس انكشفوا فى هذه الحرب فلم يبقَ إلاّ أهلُ هذه الخيل الأشِدّاء ، الذين سوّموا أنفسَهم وخَيلهم ، شجاعةً وجَراءة ، لأنّه لا يثبت عند انهزام الناس إلاّ الأبطال .

وفى هذه القصيدة بيتٌ من شواهد سيبويه ، وأورده المراديّ فى باب إعراب الفعل من شرح الألفيّة :

(ولولا رجالٌ من رِزامِ بن مازنٍ وآلِ سُبَيع أو أسوءَكَ عَلْقَما[2]
لأقسمتُ : لا تنفكُّ منِّي مُحاربٌ على آلة حدباءَ حتّى تَنَدَّما)

أورده شاهداً على نصب أسوءك بإضمار أنْ بَعْدَ أو . ورِزامٌ هو رِزامُ ابن مازنِ بن ثَعلبةَ بن سعد بن ذُبيان. ووهِم العَينيّ فزعم أنّه أبو حَيّ من تميم ، قال : وهو رِزام بن مالك بن عمرو بن تميم . . وسُبَيع بالتصغير ، هو سُبيع بن عمرو بن فُتَيَّة (مصغَّر فتاة) ابن أمة بن بَجالة بن مازن بن ثعلبة

---

(١) فى الشعراء ٦٣٠ : « ويستودعونا » .

(٢) فى سيبويه ١ : ٤٢٩ : « من رزام أعزة » .

ابن سعد بن ذُبيان(١) . وكان سُبَيع شريفاً ، وهو صاحب الرُّهن التى وُضعت على يديه فى حرب عَبْس وذُبيان ، ولمّا حضره الموتُ قال لابنه مالك بن سبيع : إنّ عندى مَكْرُمة لا تَبيد أبداً إن احتفظْتَ بهذه الأُغَيلِمة . . وعَلْقَم منادى مرخمُ علقمة ، وهو علقمةُ بن عبيد بن عبد بن فُتَيَّة المذكور . . وآلِ سبيع بالجرِّ عطفاً على مجرور مِنْ(٢) . وأسوءك مؤوّل بمصدر معطوف على رجال . ورُوِى . (ولولا رِجالٌ من رِزام أعزّةٌ) بالرفع صفة رجال (٣) .

وقوله : لأقسمتُ لا تنفكّ الخ ، هو جواب لولا . وقوله : لا تنفكّ الخ ، جواب القسم . ومُحارِب : قبيلة ، وهو محارب بن قَيس بن عَيلان(٤) . والآلة : الحالة ، والحدْباء ، بالحاء المهملة : الصعْبة . والمعنى : لولا أنّ هؤلاء الرجال أو مساءتك لَحُمِلتَ على أمرٍ عظيمٍ صعْب ، لا تطمئنّ عليه إذا ركبتَه . وتَنَدَّم أصله تتندّم بتاءين ، فحذف إحداهما .

ضرار ابن الأزور

وأمّا (ضِرار بن الأزور) فهو مالك بن أوس بن جَذيمة(٥) بن ربيعة ابن مالك بن ثعلبة بن دُودانَ بن أسدِ بن خُزَيمة الأسَدىّ . الفارس ، الشاعر ، الصحابىّ . أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأنشده :

خَلَعتُ القِداحَ وعِفْتَ القيا ... نَ والخمرَ تَقليةً واستهالا(٦)

---

(١) انظر مختلف القبائل ٣٣ وشرح ما يقع فيه التصحيف للعسكرى ٤٩٣ .

(٢) ضُبطت فى كتاب سيبويه بالرفع عطفاً على « رجال » .

(٣) وهى رواية سيبويه ، كما تقدم .

(٤) كذا ، وإنما هو محارب بنى خصفة بن قيس بن عيلان . جمهرة ابن حزم ٢٥٩ والاشتقاق ٢٩٢ والمعارف ٣٨ .

(٥) فى الإصابة ٤٢٦٧ « خزيمة » وفى الاستيعاب ١٢٠٤ « جذيمة » كما هنا .

(٦) فى الاستيعاب : « تعلة وانتهالا » وفى رواية أخرى فيها : « والخمر أشربها والثمالا » وفى هوامش ض عن غير مصدر معروف :

تركت القهان وعزف القيان ... وأدمنت تصلية وابتهالا

وفى الخيل لابن الأعرابى :

جمنت القداح وعزف القيا ... ن والخمر تصلية وابتهالا

وكرِّى المحبَّرَ فى غمرة وجَهْدى على المسلمين القتالا[١]

فيا ربِّ لا أُغْبَنَنْ بَيعتى فقد بِعتُ أهلى ومالى بِدالا[٢]

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: « رَبِح البيع ».

قال البَغَوىّ: ولا أعلم لِضرار غيرَها ويقال: إنّه كان له ألْف بعير بِرُعاتها، فترك جميعَ ذلك وحضر وقْعة اليَرْمُوك وفتْحَ الشام. وكان خالدُ ابن الوليد بعَثَه فى سَرِيّةٍ فأغارَ على حيٍّ من أسَد، فأخذوا امرأةً جميلة؛ فسأل ضرارٌ أصحابَه أن يهبُوها له، ففعلوا، فوطئها ثمّ ندم؛ فذكر ذلك لخالدٍ فكتب إلى عُمر رضى الله عنه، فكتب إليه: أن ارضَخْه بالحجارة! فجاء الكتاب وقد مات ضرار.. وقيل: إنّه ممن شرب الْخمر مع أبى جَندل، فكتب فيهم أبو عُبيدة إلى عمر، فكتب إليه عمر: أن ادعُهمْ فسائِلهمْ، فإن قالوا إنّها حلالٌ فاقتلهم، وإن زعموا أنّها حرام فاجلِدْهم! ففعل، فقالوا: إنها حرام؛ فجلدهم.

وضِرارُ هو الذى قَتَلَ مالكَ بنَ نُويرة بأمرِ خالدِ بن الوليد — كما تقدَّم شرحُه مفصَّلاً فى الشاهد السادس والثمانين[٣] واختُلف فى وفاة ضرار، فقال الواقدىّ: استُشهد باليمامة: وقال موسى بن عقبة: بأجْنادِين. وقيل: نزل حَرَّانَ فمات بها. والله أعلم.

الحصين ابن الحمام

وأما الْحُصَين بن الْحُمَام المُرِّىّ، فهو جاهلىّ. وهو بضم الحاءِ وفتح الصاد

---

(١) فى النسختين: « وكر المجنب »، وأثبت مافى الاستيعاب والخيل لابن الأعرابى ٥٦، إذ أن المحبر هو اسم فرس ضرار كما تقدم قريبا. وفى الإصابة وأصول الاستيعاب: « المجبر » بالجيم، تحريف.

(٢) عند ابن الأعرابى، وكذا فى الاستيعاب: « صفقتى ».

(٣) الخزانة ٢: ص٢٠ وما بعدها

المهملتين . والحُمَام بضمّ الحاء المهملة وتخفيف الميم . وهو فارسٌ شاعر . قال ابن قُتيبة فى كتاب الشعراء(١) : هو من بنى مُرة ، جاهلى ، يُعَدُّ من أوفياء العرب . قال أبو عبيدة : اتّفقوا على أنّ أشعَر المُقِلّين ثلاثة : المسيّب ابن علَس ، والحُصين بن الحُمام ، والمتلمّس .

وهذه نسبته ، كما فى الجمهرة وشرح المفضّليّات : الحُصَين بن الحُمام ابن رَبيعة بن مُسَاب (بضمّ الميم وتخفيف السين) ابن حرام بن وائلة(٢) ابن سَهْم بن مُرَّة بن عَوف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيث بن غطَفان ابن سعْد بن قيس بن عَيلان بن مُضَر بن نِزار .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد المائتين ، وهو من شواهد س(٣) :

٢٢٣ (ولا عَيبَ فيهمْ غيرَ أنّ سُيوفَهُمْ
بِهنَّ فُلولٌ مِنْ قِراعِ الكَتائب)

على أنّه عند سيبويه استثناء منقطع جُعل كالمتّصل ، لصحة دخول البدل فى المبدَل منه . وبيّنه الشارح المحقّق أحسن بيان .

وقوله : (أنّ سيوفهم الخ) مؤول بمصدرٍ مجرور ، أى غير كونِ سيوفهم بها فلول الخ . و (الفُلول) : جمع فَلّ ، بفتح الفاء ، وهو كسْرٌ فى حَدّ

---

(١) الشعراء ٦٣٠ .

(٢) ط والأغانى ١٢ : ١١٨ : « وائلة » ، صوابه فى ش وابن سلام ١٣١ وشرح المفضليات ١٠١ وجمهرة ابن حزم ٢٥٤ ، وقد ضبطت مساب فى شرح المفضليات بفتح الميم .

(٣) فى كتابه ١ : ٣٦٧ . وانظر الهمع ١ : ٢٣٢ والكامل ٣٢ ، ١٩٦ وشرح شواهد المغنى ١٢١ ومعاهد التنصيص ٢ : ٣١ وديوان النابغة ٦ .

السَّيف ؛ وسيفٌ أفلُّ بيِّنَ الفَلَل ؛ يقال فلّه فانفلّ أى كسره فانكسر ؛ وفللت الجيش أى هزمتهم . و (القِراع) المضاربة ، مصدر قارعه ؛ يقال قرعته بالمقرعة[1] : إذا ضربته بها ؛ وقرعت الباب : إذا طرقته . و (الكتائب) : جمع كَتيبة ، وهى الطائفة المجتمعة من الجيش .

وهذا البيت مشهورٌ ، قد تداوله العلماء فى تصانيفهم ، وقد أورده علماء البديع شاهداً لتأكيد المدح بما يُشبه الذمّ ، فإنّه نفىٰ العيب عن هؤلاء القوم على جهة الاستغراق ، ثمّ أثبتَ لهم عيباً وهو تثلُّم سيوفهم من مُضارَبة الجيوش . وهذا ليس بعيب ، بل هو غاية المدح ؛ فقد أكّد المدحَ بما يشبه الذمّ . وأورده صاحب الكشّاف أيضا ، عند قوله تعالى : (لئلاّ يكونَ للناس عَلَيْكُمْ حُجَّة إلاّ الذين ظَلَموا مِنْهم[2]) . على أنّ الآية أشبَهُ بتأكيد الذمّ بما يشبه المدحَ : عكس البيت فإنّ إطلاق الحجّة على قول الذين ظلموا ، ذمٌّ فى صورة مدح ، لا أنّه مدحٌ فى صورة ذمّ . وأورده سيبويه فى باب ما لا يكون إلاّ على معنىٰ ولكن . قال النحّاس : فرّق سيبويه بين هذا الباب وبين الباب الذى قبله ، لأنّ الذى قبله يجوز فيه الرفع والنصب ، والنصبُ أجوَد ؛ وهذا الباب لا يجوز فيه عنده إلاّ النصب ، لأنّه ليس من الأوّل فى شىء . وأجاز المبرد فى جميع ما فى هذا الباب الرفع ، وكذا فى : لاعيب فيهم غير أنّ سيوفَهم انتهى . وعلى قول المبرّد فتكون غيرُ بدلاً من الضمير المستقرّ فى الظرف .

(١) ط : « قارعته بالمقرعة » ش : « قرعته بالقرعة » ، وقد جمعت الصواب منهما .

(٢) الآية ١٥٠ من سورة البقرة .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ للنابغة الذُبيانيّ، مدح بها عمرو بن الحارث الأصغر ابن الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر، ملوك الشام الغسّانيّين، وذلك لمّا هرب من النُّعمان بن المنذر اللّخميّ، من ملوك الحيرة. وليس الممدوح بهـا النعمان بن الحارث — كما وهم شارحُ شواهد المغنى — لتصريح للممدوح بها فى القصيدة، كما سيأتى. ومطلع القصيدة :

١٠

أبيات من قصيدة الشاهد

(كِلِينى لهمٍّ يا أُميمةُ ناصبِ ... وليل أُقاسيهِ بطَيءِ الكَواكبِ)

وتقدّم شرح هذا البيت وسبب هروبه[١]، فى الشاهد السابع والثلاثين بعد المائة مفصلاً[٢]. وقال بعد ثلاثة أبياتٍ شُرِحت هناك :

(حلَفْتُ يميناً غيرَ ذى مَثْنَوِيَّة ... ولا عِلْمَ إلاّ حُسْنُ ظَنٍّ بصاحب :

لئن كان لِلقَبرين قبر بجِلِّق ... وقبرٍ بصيداء التي عِندَ حارِبِ[٣]

ولِلحارث الجَفْنيِّ سيِّدِ قومه ، ... ليَلتمِسَنْ بالجمع أرضَ المحاربِ)

البيت الأوّل من شواهد سيبويه، أورده بنصب ما بعد إلاّ على الاستثناء المنقطع، لأنّ حُسن الظنّ ليس من العلم. ورفعهُ جائز على البدل من موضع العلم وإقامة الظنّ مُقام العـلم اتساعاً ومجازاً. وقوله : غير ذى مَثْنَوِيّة، هو مصدر بمعنى الاستثناء فى اليمين؛ أى حلَفت غير مسْتثنٍ فى يمينى، ثقةً بفعل هذا الممدوح، وحُسْنَ ظَنٍّ به.

(١) أنكر بعضهم صحة « الهروب » وصححها بالهرب، ووجدتها فى شعر للطفيل بن عامر بن واثلة عند الطبرى ٨ : ١٣.

متى نهبط المصرين يهرب محمد ... وليس بمنجى ابن اللعين هروب

(٢) الخزانة ٢ : ص ٣٢١ وما بعدها

(٣) كذا فى النسختين وكذلك فى معجم البلدان (حارب) وهى رواية صحيحة والذى فى الديوان : « الذى عند حارب ». وفى شرح الديوان ٣ : « قال أبوعمرو : صيداء : أرض بالشام. وقال الأثرم : حارب : اسم رجل، وقيل هو موضع ». وقال ياقوت : « هو موضع من أعمال دمشق بحوران قرب مرج الصفر ».

وروى أبو عبيدة :

* وما ذاك إلاّ حسنُ ظنٍّ بصاحبِ *

وعليه فلا شاهد فيه، والإشارة لليمين . . وجملة المصراع الثانى على الروايتين معترضة بين القَسَم وجوابه . وقوله : لئن كان للقبرين الخ، اللام الداخلة على إنْ موطِّئة للقسم، أى وطّأت أنّ الجوابَ الذى بعد الشرط للقسَم؛ فجملة قولِه الآتى : ليلتمسن بالجمع الخ، جواب القسم . وجوابُ الشّرط محذوفٌ دلّ عليه جوابُ القسم، واسم كان ضمير عمرٍو الممدوح المتقدِّم فى قوله :

(علىَّ لعمرٍو نعمةٌ بعد نعمةٍ لوالدِه ليستْ بذاتِ عَقاربِ)

وأراد بالقبرين المقبورَينِ : الحارث الأعرج، ابن الحارث الأكبر، وهو الجفنيّ الآتى ذِكْره : يقول : لئن كان عَمْرُو ابنَ هذين الرجلين المقبورَين فى هذين المكانين، ليُمضينَّ أمرَه وليلتمسَن أرضَ مَنْ حارَبَه . وجِلِّق بكسر الجيم واللام المشدّدة، هى الشام . وصَيداء : مدينة بالشام بالساحل . وحارِب : موضع، وقيل اسم رجل . وقوله : وللحارث الجَفْنِيّ الخ، بفتح الجيم، وهو جَفْنة بن عمرو مُزيقياء بن عامر بن ماء السماء؛ وهم الملوك الذين كانوا بالشام . وقوله : ليلتمسن، هذا جواب القسم مؤكَّد بالنون الخفيفة . وقوله : بالجمع، أى بجموع العساكر والجيوش .

وقال بعد ما ذُكِر :

(لهُمْ شِيمةٌ لم يُعطِها اللهُ غيرَهمْ من الناسِ، والأحلامُ غيرُ عوازبِ
مَجلّتُهمْ ذاتُ الإلهِ، ودِينُهمْ قَويمٌ، فما يَرجُونَ غيرَ العواقبِ)

والشِّيمة : الطبيعة . وقوله : والأحلام الخ، أى لا تعزُب عقولهم عنهم كما

تعزُب الماشية عن أهلها ، أى لا تغيب . وقوله : مجلتهم ذات الإله ، المجلّةُ بفتح الميم والجيم : الكتاب ، لأنّه يُجَلّ ويُعظَّم ، وأراد به الإنجيل ، لأنّهم كانوا نَصارىٰ . قال العسكريّ (فى كتاب التصحيف[1]) : قرأته على ابن دُريد : (مَجلّتهم) بالجيم ، وقال لى : سمعتُ أبا حاتم يقول : رواية الأصمعىّ بالجيم ، قال : وهو كتاب النصارى[2] . وكذا كلّ كتابٍ جمَع حِكمَةً وأمثالاً ، فهو عند العرب مَجلّة ، ومن هذا سمَّى أبو عُبَيدة[3] كتابه الذى جمَع فيه أمثالَ العرب المَجلَّة[4] . وروى أيضاً : (مَحلّتهم) بالحاء المهملة أى منزلتهم بيت المقْدس وأرض الشام ومنازل الأنبياء وهى القُدس . وروى ابن السِكّيت : (مخافَتهم) يريد يخافون أمرَ الله . وذاتُ الإله : كتابه . وقَويم : مستقيم . وقوله : فما يَرجُون الخ ، قال الأصمعىّ : أى ما يطلبون إلاّ عواقبَ أمورِهم ، فليس يَرجون شيئاً من أمْر الدنيا ، وإنّما يرجون ما بعد الموت .

وبعد البيت المستشهَد به ، أعنى قوله :

ولا عيبَ فيهم غير أنّ سيوفهم . . . . البيت :

(تُخُيِّرْنَ من أزمانِ يومِ حَليمةٍ إلى اليومِ قد جُرِّبن كلَّ التَجارب)

وأورده ابنُ هشامٍ فى المغْني على أنّ (مِنْ) تأتى لابتداء الغاية فى الزمان

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢٥٧ .

(٢) فى كتاب العسكرى : « وهو الكتاب كتاب النصارى » .

(٣) فى النسختين : « أبى عبيد » ، صوابه من العسكرى . وقال الميمنى : المعروف أن أمثال أبى عبيد تسمى الأمثال السائرة كما فى الخزانة فى غير ما موضع ، فلعل الصواب « أبو عبيدة » لأن لأبى عبيدة أيضاً كتابا فى الأمثال .

(٤) إلى هنا ينتهى نص العسكرى . والذى فى الفهرست ٧٩ ، ٨٠ « كتاب الأمثال » .

أيضاً ، وهو مذهب الكوفيين والأخفش والمبرّد وابن دُرُسْتَوَيْهِ ، بدليل : (مِنْ أوَّلِ يَوْمٍ[١]) . وفى الحديث : « فمُطِرْنا من الجمعة إلى الجمعة » . وهذا البيتُ . وقيل : التقدير : منْ مُضِيّ أزمان ، ومِن تأسيسِ أوّلِ يوم . وردَّه السُّهيلى بأنّه لو كان هكذا لاحتِيجَ إلى تقدير الزمان[٢] ! وتُخُيِّرن وجُرِّبن كلاهما بالبناء للمفعول ؛ والنون ضمير السيوف . والتجارِب جمع تجرِبَة . وكلَّ منصوبٌ على المصدر . وإلى متعلّقة بقوله تُخُيِّرن .

يوم حليمة

ويوم حَليمة[٣] ، قال العسكرىُّ فى التصحيف[٤] : هو يومٌ كان بين ملوكِ الشام ، من الغسّانيين ، وملوكِ العراق ، قُتل فيه المنذر — إمّا جَدّ النعمان أو أبوه — وقيل فى هذا اليوم « ما يوم حليمةَ بِسرّ » انتهى .

وفى (الدُّرّة الفاخرة) لحزة الأصبهانىّ ، وهى الأمثال التى جاءت على وزن أفعل التفضيل ، وكذلك فى مستقصى الأمثال للزمخشرىّ ، واللفظُ للأوّل : « أعزُّ من حَليمة[٥] » هى بنت الحارث بن أبى شِمْر الغسّانى الأعرج ملك عرب الشام ، وفيها سار المثل[٦] فقيل : « ما يومُ حَليمة بسِرّ » أى خفىّ . وهذا اليوم هو اليوم الذى قتل فيه المنذرُ بن المنذر ملكُ عرب العراق ، فسار بعَرَبها إلى الحارث الأعرج الغسّانىّ — وهو ابن الحارث الأكبر ، وكان فى عرب الشام — وهو أشهر أيّام العرب . وإنّما نُسب هذا اليومَ إلى حَليمة

(١) الآية ١٠٨ من سورة التوبة .

(٢) فى حاشية الأمير على المغنى : « الظاهر أنه لارد ، وأنه لامانع من جعل نفس المغنى والتأسيس مبدأ ، كما تجعل الدار مبدأ للخروج ولا حاجة لتقدير زمن » . فانظره .

(٣) انظر أمثال الميدانى ٢ : ٢٠٢ ، ٣٦٢ وثمار القلوب ٢٤٨ .

(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف ٤٤٤ فى باب مايشكل من أيام العرب ووقائعها .

(٥) أمثال العسكرى ١٨٤ وثمار القلوب ٢٤٨ والكامل ٤٠١ وكنايات الجرجانى ١٠٥ ونهاية الأرب ٣ : ٥١ .

(٦) ط : « سائر المثل » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

لأنَّها حضرت المعركة مُحضِّضَةً لعسكر أبيها ، فتزعم العربُ أنَّ الغبار ارتفع في يوم حَليمة حتّى سدَّ عينَ الشمس وظهَرت الكواكبُ المتباعدة عن مطلَع الشمس ، فسار المثلُ بهذا اليوم فقالوا : « لأُرِيَنَّكَ الكواكب ظُهرا » .

وأخذه طرَفة فقال :

إنْ تُنوِّلْه فقد تمنَعُه وتُريه النجمَ يَجرى بالظُّهُرْ . اهـ

وفى شرح ديوان النابغة : سبب ذلك أنَّ المُلكَ كان فى الضَّجاعِم ، فأتى رجلٌ منهم رجلاً من غسَّانَ يقال له جِذْع ، فسأله الخراج ، فأعطاه ديناراً ؛ فقال : هاتِ آخرَ ، وشدَّد عليه ، فاستأجله فلم يفعَل ، فلما ضَيّق عليه دخل جِذعٌ منزلَه فالتحف على سيفه ثم خرج ، فضرب به الضَّجْعَمىَّ فقتَلَه . فقال القائل[1] : « خُذْ من جِذعٍ ما أعطاك » . ووثبتْ غسَّانُ ورأسوا عليهم رجلاً ، ثمّ أوقعوا بالضَّجاعم فغلبتْهم غسّانُ وأخذَت الملكَ منهم . . وأما حَليمة فهى ابنة الغسّانى الذى رُئِّس عليهم ، وكانت من أجمل النساء ، فأعطاها طِيباً وأمرها أن تطيِّبَ مَن مرَّ بها من جنده ؛ فجعلوا يمرُّون بها وتطيِّبهم ، فمرَّ بها شابٌّ فلمّا طيّبته تناولها فقبَّلها ؛ فصاحت وشكَت ذلك إلى أبيها ؛ فقال : اسكُتى فما فى القوم أجلدُ منه ، حينَ فَعل هذا بكِ واجترأ عليكِ ، فإنّه إمَّا أن يبلىَ بَلاءً حَسَناً ، فأنتِ امرأتُه ، وإمّا أنْ يُقتَل ، فذاكِ أشدُّ عليه ممّا تريدين به من العقوبة ، فأبلىَ الفتَى ، ثم رجع فزوّجَه ابنته حَليمة . انتهى

وفى القاموس : وحَليمة بنت الحارث بن أبى شِمْر ، وجّه أبوها جيشاً إلى المنذرِ بن ماء السماء ، فأخرجت لهم مِرْكَنا مِن طيبٍ وطيّبتهم منه[2] —

12

(١) ط : « القائل » ، صوابه فى ش . وانظر القاموس (جذع ، حلم) .

(٢) النقل إلى هنا عن القاموس (حلم) ، وسائر القصة إلى كلمة « المخبل » . من مادة (جذع) ، وما بقى لم أعثر على مكانه من القاموس .

والمِرْكَن، بكسر الميم : الإجّانة التى تُغسَل فيها الثياب — وسببه : أنّ غسان كانت تؤدّى كلّ سنة إلى مَلكِ سَليحٍ دينارَين من كلّ رجل، وكان يلى ذلك سَبْطةُ بنُ المنذر السَّليحىّ، فجاء سَبْطةُ يسأل الدينارين من جِذْعِ بن عمروٍ الغسّانىّ، فدخل جِذعٌ منزلَه فخرج مشتملاً بسيفه، فضرب به سَبْطةَ حتّى بَرَد، وقال : خُذْ من جِذعٍ ما أعطاك. يُضرَب فى اغتنام مايجودُ به البخيل. وسَليح، كجريح : قبيلة باليمن. وجِذع، بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ثم إنّ جيش الحارث توجّه إلى المنذر، فقالوا : أتينا مِن عندِ صاحبنا، وهو يَدين لك ويُعطيك حاجتك، فتباشر هو وأصحابه وغَفَلوا بعض الغفلة، فحمل ذلك الجيشُ على المنذر فقتلوه. فقيل فى ذلك اليوم : « ما يوم حليمة بِسِرٍّ » أى بخفىّ. فصار يُضرَب لكلّ أمر مشهور.

وترجمة النابغة تقدّمت فى الشاهد الرابع بعد المائة[١]

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد المائتين، وهو من شواهد سيبويه[٢] :

٢٢٤ (فتى كَمَلَتْ أخلاَقُه، غيرَ أنَّه جوادٌ فما يُبقِى مِن المال باقيا)

لما تقدّم قبلَه. قال ابن جِنّي فى إعراب الحماسة[٣] : أخبرنا أبو بكرٍ محمّدُ ابن الحسن، قراءة عليه، عن أحمدَ بنِ يحيي قال : لما أنشدته — يعنى ابنَ الأعرابيّ — قولَ الشاعر :

ولاعيبَ فيهمْ غير أنّ سُيوفهم . . . . البيت

---

(١) الخزانة ٢ : ص ١٣٥

(٢) فى كتابه ١ : ٣٦٧. وانظر ديوان النابغة الجعدى ١٧٣ وشرح شواهد المغنى ٢٠٩ والهمع ١ : ٢٣٤ والحماسة بشرح المرزوقى ٩٦٩.

(٣) كتاب التنبيه على شرح مشكل الحماسة الورقة ١٤٤ مخطوطة أحمد الثالث.

قال : هذا استثناء قَيْسٍ[(١)] ، يقولون : غيرَ أنّ هذا أشرفُ من هذا ، وهذا أطْرف من هذا . يكون مدحاً بعد مدح . وأُنشدَ فيه أيضاً :

فتًي تمّ فيه ما يسُرُّ صديقَه على أنّ فيه ما يَسوء الأعاديا

انقضت الحكاية . وهذا الاستثناء على إغرابه[(٢)] جارٍ مجرى الاستثناء المعهود ؛ ألا ترى أنّه إذا قال : فتىً تمّ فيه ما يسرُّ صديقه ، جاز أن يظن أنه مقصور على هذا وحده ، فإذا قال : على أنّ فيه ما يسوء الأعاديا ، أزال هذا الظنَّ ، وصار معناه أنّ فيه مسرةً لأوليائه ومساءةً لأعدائه ، وليس مقصوراً على أحد الأمرين . فهو إخراجُ شيء من شيء ، لخلاف الثاني الأول . وكذلك : فتى كملت أخلاقُه . . البيت ، لما كان إتلافه للمال عيباً عند كثيرٍ من الناس ، استثنى هذه الحالةَ فأخرجَها من جُملة خِلال المدح ، لمخالفتها إيّاها عندَهم وعلى مذهبهم . وليس شيء يُعْقَد[(٣)] على أصله فيخرج عنه شيء منه[(٤)] في الظاهر ، إلاّ وهو عائد إليه وداخل فيه في الباطن ، مع التأمُّل[(٥)] . انتهى كلامه .

وأورده علماء البديع أيضاً في باب[(٦)] تأكيدِ المدح بما يشبه الذمّ .

وهذا البيت من أبيات للنابغة الجعديّ ، رثى بهـا أخاه . وقد أوردها أبو تمّام في باب المراثي من الحماسة ، وهي من قصيدةٍ . . وقبله :

ألم تعلَمِي أنّي رُزِئت مُحارِباً فما لكِ منه اليوم شيءٌ ولا ليا[(٧)]

---

(١) كذا ضبط بالإضافة في كتاب ابن جني .
(٢) في كتاب ابن جني . « على إعرابه » بالعين المهملة .
(٣) ط : « يعقد » صوابه في ش وكتاب ابن جني ، وفيه : « يعقد عقد » .
(٤) ابن جني : « فيخرج عقد شيء منه » .
(٥) ابن جني : « ومع التأمل » .
(٦) في النسختين : « كتاب » .
(٧) ط : « شيئا » صوابه في ش والديوان ١٧٣ .

١٣ ومِنْ قبلِه ما قدْ رُزِئتُ بوَحْوَحٍ وكانَ ابنَ أُمِّى والخليلَ المصافيا
فتًى كملتْ خَـيراته غير أنّه جوادٌ فما يُبقى مِن المال باقيا
فتًى تمّ فيه ما يسرُّ صديقَه على أنّ فيه ما يسوء الأعاديا
يقول لمن يَلحاه فى بَذْل مالِه : أأُنفِق أيّامى وأُتركُ ماليا !
يُذرِّ العُروقَ بالسَّنَان ، ويشترى من الحمدِ ما يَبقَى ، وإنْ كان غاليا)

قوله : ألم تعلمى الخ ، يخاطب امرأتَه . ومحارب ، قال أبو عُبيد البكرىّ فى شرح نوادر القالىّ[(١)] : « هو مُحارب بن قيس بن عُدَس ، من أشراف قومه » . وهو تفجُّعٌ وتوجُّع . يقول : قد فُجِعنا به فأصبحنا لا نستمتِع به ولا ننتفع بمكانه . ثم ذكَر أنّه قد فُجِـع قبله بأخيه وَحْوح ؛ وهو مأخوذ من قولهم وحوَح الرجلُ : إذا ردَّد صوتاً فى صدره ، وهو نحو النحنحة .

وقوله : فتًى كملت الخ ، رُوى أيضاً : (فتى كملت فيه المُروءة) ؛ ويجوز أن يحمل الفتى على ابنه وعلى أخيه . . قال المرزُبانىّ فى الموشَّح[(٢)] : أخبرنى الصُولىُّ عن أبى العَيناء عن الأصمعىّ قال : أنشدت الرشيدَ أبياتَ النابغة الجَعْدىّ ، من قصيدته الطويلة :

فتى تم فيه ما يسر صديقه . . . . البيت
فتى كملت أعراقُه غير أنّه . . . . البيت
أشمُّ طويلُ الساعدَين سَمَيذَعٌ إذا لم يرُح للمجد أصبحَ غاديا[(٣)]

فقال الرشيد : ويله ، لِمَ لَمْ يروِّحْه فى المجد كما أغداه ! ألاّ قال :

(١) سمط اللآلى ٦٢٧ .
(٢) الموشح ٦٧ .
(٣) فى الموشح : « شمردل » .

* إذا راح للمعروف أصبح غاديا *

فقلت : أنت واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، فى هذا ، أعلم منه بالشعر .

ومن أبيات الغزل فى هذه القصيدة :

بَدَتْ فِعلَ وُدّ ، فلمّا تبعتُها تولّتْ وبَقّتْ حاجتى فى فؤاديا

وحلتْ سوادَ القلبِ لا أنا باغياً سِواها ، ولا فى حُبِّها مترَاخِيا

قال شارح أبيات الموشّح : قوله فعل ذى وُدّ ، إمّا مصدرٌ لِبَدَت ، لأنّ المصادر وما يشتقّ منها يعبَّر عنها بلفظ الفعل ، قال تعالى : (والذِينَ هُمْ للزَّكاةِ فاعلُون[1]) أو لفعلٍ محذوف ، أى بدت وفعلَتْ فعلَ ذى ودّ ، أى فاعلةً فِعلَه.

وقال العَينيّ : هو بتقدير : كفعل ذى وُدّ ، والمعنى : فعلتْ معى فعلَ ذى محبة . .

وقوله : وحلّتْ سوادَ القلب ، هذا البيت من شواهد النحاة أو ردوه شاهداً على عملِ « لا » عمَلَ ليس فى المعرفة ، وهو شاذّ . وأجيب عنه بوجهين : أحدهما أنّ الأصل لا أرى باغياً ، فلما حذف الفعل برزَ الضمير ، فباغياً حال . والثانى : أنّ أنا مبتدأ ، والفعل المقدَّر المذكور خبره . ورُوى (لا أنا مبتغٍ سِواها[2]) وعليه لا شاهدَ فيه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد المائتين[3] :

٢٢٥ (فما تركَ الصُّنْعُ الذى قدتَرَكْتَهُ ولا الغيظُ منّى ليسَ جِلداً وأعظُما)

على أنّ ليس ، ولايكون ، وخَلَا ، وعَدَا ، لا يستعمَلن فى الاستثناء

(١) الآية ٤ من سورة المؤمنون .

(٢) فى النسختين : « أنا لامبتغ سواها » تحريف ، صوابه من أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٨٢ .

(٣) الأغانى ٤ : ٤٩ .

المفرّغ ، وقد جاء التفريغ فى ليس ، كما فى البيت ، فإن المستثنى منه محذوف ، أى ما ترك الصنْع شيئاً إلاّ جِلداً وأعْظُماً . فالمنصوب بعد ليس خبرها ، واسمُها قد بيّنه الشارح . والرواية إنّما هى .

(فما ترك الصنُعُ الذى قد صنعتَه)

١٤ بالخطاب مع عُمر بن عبد العزيز ، أراد بصنعه تقريب ضَدّه : زيدِ بن أسلم[1] ، وما عامل به الأحوَص من الجفاء . وقوله (ولا الغيظُ) عطف على الصنع .

ثم ذكر الشارحُ أنّ هذه الأفعال لم تستعمَل إلاّ فى الاستثناء المتصل . . أقول : قد وردت خَلَا فى الاستثناء المنقطع ، كقول العجّاج — وهو من أبياته — كما مرّ شرحه[2] :

وبلدةٍ ليس بها طُورِىُّ ولا خَلا الجنّ بها إنسىُّ

فإن قوله إنسىّ هو المستثنى منه ، والجن هو المستثنى ، وجنس كلّ منهما مغايرٌ لجنس الآخر .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للأحوص الأنصارى — وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الخامس والثمانين[3] —

روَى صاحبُ الأغانى بسنده : أنّ عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة أدنى زيدَ بن أسلمَ[4] ، وجفا الأحوص ، فقال له الأحوص :

ألستَ أبا حفص ـ هُدِيتَ ـ مُخبِّرى أفى الحقِّ أنْ أُقصَى وتُدنِي ابنَ أسلما

(١) الخزانة ٣ : ص ٢٩٥ من هذا الجزء .
(٢) الخزانة ٣ : ص ٣١١ من هذا الجزء .
(٣) الخزانة ٢ : ص ١٦ .
(٤) فى النسختين : « يزيد بن أسلم » ، صوابه فى الأغانى ٤ : ٤٩ وقد سبقت ترجمته فى ٢٩٥ من هذا الجزء .

فقال عمر : ذلك هو الحقّ . . . قال الزبير : وأنشدنيها عبدُ الملك ابن الماجُشُون(١) :

قصيدة الشاهد

ألا صِلَةُ الأرحامِ أقربُ للتقى … وأظهرُ فى أكْفائه لو تكرّما
فما تركَ الصُّنعُ الذى قد صنعتَه … ولا الغيظُ منِّى ليس جِلداً وأعْظُما
وكنّا ذَوِى قربى إليكَ فأصبحتْ … قَرابتُنا ثدياً أَجَدَّ مصرَّما(٢)
وكنت لما أرجوه منكَ كبارقٍ … لوَى قَطرَه من بعد ما كان غَيَّما(٣)
وقد كنتَ أرجى الناسِ عِندى مودّةً … ليالىَ كان الظنُّ غَيباً مُرَجَّما
أعُدُّكَ حِرْزاً إن جَنيتُ ظُلامةً … ومالاً ثَرِيًّا حينَ أحمِلُ مَغْرَما
تَداركْ بعُتْبَى عاتباً ذا قرابة … طوَى الغَيظ لم يفتح بسُخْطٍ له فما(٤) اهـ

وهذه القصيدة أرسلها إلى عمرَ وهو منفيّ بدَهْلَكٍ ، كان سليمان بن عبد الملك قد نفَاه — لِما تقدَّم فى ترجمته — فبقى هناك محبوساً مدَّة سليمان ؛ ثم ولى

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون . والماجشون لقب ليعقوب بن أبى سلمة عم والد عبد الملك ، ومعناه المورّد بالفارسية ، لقبته بذلك سُكينة بنت على بن الحسين ، لأنه كان أبيض تعلوه حمرة . وقد غلب هذا اللقب على هذه الأسرة . توفى سنة ٢١٣ . تهذيب التهذيب ووفيات الأعيان واللآلىء ٦٤٤ .

(٢) فى النسختين : « تدنى أجذ » ، وفى الأغانى : « ثديا أحذ » ، كلاهما تحريف ما أثبته . وفى اللسان عن الأصمعى : « يقال جُدّ ثدى أمه بالبناء للمجهول — وذلك إذا دعى عليه بالقطيعة » .
وأنشد :

رويد عليا جدماندى أمهم … إلينا ولكن ودهم متماين

(٣) الأغانى : « وكنت وما أملت منك » .

(٤) هذا الصواب من الأغانى . وفى النسختين :

تدارك بعتبى عاتب ذا قرابة … طوى العقب لم يفتح لسخط له فا

وفى ط : « طوى العتب » .

عمرُ بن عبد العزيز فكتب إليه يستأذنه فى القُدوم ويمدحه ، فأبى أن يأذنَ له . وكان فيما كتب إليه :

أيا راكباً إمّا عرَضْتَ فبلِّغَنْ هُديتَ ، أميرَ المؤمنين رسائلى
وقل لأبى حَفْص إذا ما لقيتَه : لقد كنتَ نفّاعاً قليلَ الغوائل
فكيفَ ترَى للعيش طِيباً ولَذّةً وخالُك أمسى مُوثقاً فى الحبائلِ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد المائتين(١) :

٢٢٦ (وكلٌّ أبِىٌّ باسلٌ غيرَ أنَّني إذا عرَضَتْ أُولَى الطَّرائدِ أبسَلُ)

على أنّ غيراً تستعمَل فى الاستثناء المتّصل . وقد مرّ ما فيه آنفاً .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ مشهورة للشَّنْفَرىٰ تسمَّى لاميّةَ العَرب ، مطلعها :

أبيات الشاهد

(أَقِيموا بنى أُمّى صدورَ مطيِّكُمْ فإنِّى إلى قومٍ سِواكُمْ لأَمْيَلُ
فقد حُمَّتِ الحاجاتُ والليلُ مُقْمِرٌ وشُدَّت لِطيّاتٍ مَطايا وأَرحلُ
وفى الأرضِ منأًى للكريمِ عن الأَذىٰ وفيها لمن خافَ القِلى متعزَّلُ
لَعَمْرُكَ ما بالأرض ضِيقٌ على امرئٍ سَرىٰ راغباً أو راهباً وهو يَعقلُ
وَلى دونكم أهلونَ : سِيدٌ عَمَلَّسٌ وأَرْقَطُ زُهلُولٌ وعَرْفاءُ جيأَلُ
هم الأهلُ ، لا مستودَعُ السِّرِّ ذائعٌ لديهِمْ ، ولا الجانى بما جَرَّ يُخذَلُ
وكلٌّ أبِىٌّ باسلٌ غيرَ أنَّني . . . . البيت
وإنْ مُدَّتِ الأيدى إلى الزادِ لم أكُنْ بأَعجَلِهِمْ إذْ أجشَعُ القومِ أعجَلُ
وما ذاكَ إلاّ بَسْطة عن تفضُّلٍ عليهِمْ وكان الأفضلَ المتفضِّلُ)

١٥

(١) انظر لامية العرب .

وهذه القصيدة قد شرحها جماعةٌ ، منهم الخطيب التّبريزىّ ، والزمخشرىّ ، وابن الشَّجَرىّ ، وابن أكرم[1] . ولم يحضُرنى الآن غيرُ الأوّل والثانى : قال القالىُّ فى أماليه[2] : إنّ القصيدة المنسوبة إلى الشَّنفرىْ ، التى أوّلها : « أقيمُوا بنى أُمّى صدورَ مطيِّـكم » هى من المقدّمات فى الُحسن والفصاحة والطول . وكان أقدَرَ الناس على قافية . انتهى . وعِدّتها ثمانية وسِتّون بيتاً ، وقد استشهد الشارحُ منها بستّة أبيات أُخَرَ فى باب الجمع ، وفى الأفعال الناقصة ، وفى ربَّ من حروف الجر ، وفى حروف الشرط[3] .

وقوله : أقيموا بنى أُمّى الخ ، يقال أقام صدرَ مطيته . إذا جدّ فى السير ، وكذلك إذا جدّ فى أىّ أمرٍ كان . يؤْذن قومَه بالرحيل ، وأنّ غفلتهم عنه توجب مفارقَتهم . وَبنى أُمّى : منادى ، وأضاف الأبناء إلى الأمّ لأنّها أشدُّ شفقةً ، كما قيل فى قوله تعالى حكايةً عن هرون : (يا ابنَ أُمَّ[4]) . وأَمْيَل ، هنا بمعنى مائل ، ونظيره كثير نحو أكبر وأوحد .

وقوله : فقد حُمَّت الحاجاتُ الخ ، يريد تَنبَّهوا من رَقْدتكم ، فهذا وقت الحاجة ، ولا عُذر لكم ، فإنّ الليل كالنهار فى الضَّوء والآلةُ حاضرة . وحُمَّت بضمّ الحاء المهملة ، يقال حُمّ الشىء ، بالبناء للمفعول : أى قُدِّر وهُيِّئ . وأقمر الليلُ : أى أضاء . والطِّيَّة ، بكسر الطاء المهملة ، قال صاحب الصحاح : « الطِّيَّة النِّيَّة ، قال الخليل : الطِّيَّة تكون منزلاً وتكون منتأًى ، تقول : مضى

(١) وكذا شرحها أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، وقد طبع الشرح فى مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٠ .
(٢) الأمالى ١ : ١٥٦ .
(٣) هذ الإحصاء من أدلة عناية البغدادى بمؤلفاته .
(٤) الآية ٩٤ من سورة طه .

لِطيَّته : أى لنيته التى انتواها ؛ وبعدت عنَّا طيَّته وهو المنزل الذى انتواه ؛ ومضىٰ لطيَّته ، وطِيَّة بعيدة : أى شاسعة » .

وقوله : وفى الأرض منأى الخ ، المنأى : اسم مكانٍ مِن نأىٰ أى بَعُد ؛ وهو متعلِّق قوله عن الأذى . والقِلَىٰ ، بكسر القاف : البُغض ؛ وإن فتحتَها مددت . ومُتعزَّل ، بفتح الزاء: اسم مكان مِن تعزَّله بمعنى اعتزله .

وقوله : ولى دونَكم الخ ، أورد الشارح هذا البيتَ فى باب الجمع . ودون هنا بمعنى غير . والسِّيد ، بكسر السين : الذئب ؛ والأنثى سِيدة ؛ وربّما سمِّى به الأسد . والعَمَلَّس ، بفتح العين والميم واللام المشدّدة : القوىُّ على السير السريع . وأراد بالأرقَط النَّمِر ، وهو ما فيه سوادٌ يشوبه نُقَطٌ بيض . والزُّهلول بضمّ الزاى : الأملس ؛ وفى العباب : يقال للضبُع عَرْفاء لكثرة شَعَر رَقبتها . وأنشد هذا البيت . وجَيأل ، على وزن فيعل : اسم للضبع معرِفة ، وتكون بدلاً من عرفاء ؛ وهو غير منصرف للعلمية والتأنيث .

وقوله : هم الأهل الخ ، أى ما ذكرتُه من الوحوش هم الأهل لا غيرهم . وبيَّن وجه انحصارِ الأهليّة فيهم دونَ مَن عَداهم من الإنس بقوله : لا مستودع السِرّ إلى آخره ، أى السرّ المستودَع عندهم غير ذائع . والجانى : اسم فاعل[1] مِن جنىٰ عليه جناية : أى أذنب . والباء سَبَبيّة . وجَرَّ بمعنى جَنى ، يقال جرَّ عليهم جَريرةً أى جنى عليهم جناية . ويُخذَل ، بالبناء للمفعول ، مِن خذلته وخذلت عنه ، من باب قتل ، والاسم الخِذْلان : إذا تركتَ نُصرته وإعانته وتأخرتَ عنه .

(١) ط : « اسم فعل » ، صوابه فى ش .

وقوله : (وكلٌّ أبىٌّ الخ) أى كلُّ واحدٍ من هذه الوحوش . والأبىُّ : الصعب الممتنع ؛ من أبىَ يأبى فهو آبٍ وأبىٌّ . و (الباسِل) : الجرىء الشّجيع ؛ من بَسُل بَسالة ، مثل ضخم ضخامة ، بمعنى شجُع فهو باسل . وقوله : غير أنّني الخ ، استثناء منقطع . و (عَرضتْ) مِنْ عرض له كذا ، من باب ضرب : أى ظهر . و (أُولى) : مؤنث الأوّل . و (الطّريدة) : ما طَرَدْتَ من صيد وغيره ، والمراد هنا الفُرسان ومطاردة الأقران فى الحرب إذا حمل بعضُهم على بعض ؛ يقال هم فُرسان الطِّراد . و (أبسَلِ) : أفعل تفضيل .

وقوله : وإنْ مُدَّت الأيدى الخ ، وصَف عدمَ شَرَهه على الطعام وصبْرَه على الجوع . وهذا مدحٌ عند العرب . والزاد : ما يؤكل ؛ وأصله الطعام المتّخذ للسفر . والباء فى قوله : بأعجلهم ، زائدة دخلت فى خبر الكَون المنفىّ . وقد استشهد له شُرّاحُ الألفيّةَ بهذا البيت . وأجشَع : أفعل تفضيل من الجشع بفتحتين ، وهو أشدُّ الحرص ؛ وفعله من باب فرح . وأعجَل ، الأول ، بمعنى عَجِلٍ بفتح فكسر ، لا أنّه أفعل تفضيل كالثانى ، لأنّ مراده أن ينفىَ العَجلة عن نفسه إذا مدَّ القومُ أيديَهم إلى الزاد ؛ وليس فى نفى زيادة العجلة كبيرُ مَدح . والشرط والجواب ، هنا ، كلاهما حكاية حالٍ ماضية ، ولذلك صحَّ وقوعُ لم فى جواب الشرط .

وقوله : وما ذاك إلاّ بسطةٌ الخ ، الإشارة راجعةٌ إلى عدم مدٍّ يده إلى الزاد مستعجلاً ، وقيل راجعة إلى مجموع ما مدَح به نفسَه . والبَسْطة : السَعة . والتفضُّل : الإنْعام ؛ يقال تفضّلَ عليه وأفضَل إفضالاً بمعنًى . والأفضَل خبر كان تقدَّم على اسمها وهو المتفضِّل .

الشنفرى

و (الشَّنْفَرىْ) شاعرٌ جاهليٌّ قَحْطانىّ من الأزْد . وهو كما فى الجمهرة وغيرها من بنى الحارث بن ربيعة بن الأَواس بن الحَجْر بن الهنْء بن الأزد .

وهو بفتح الشين وآخره ألف مقصورة وهو اسمه . والأَواس بفتح الهمزة [١] .
والحَجْر بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم . والهِنْء بتثليث الهاء وسكون النون وبعدها همزة . وزعم بعضهم أنّ الشنفَرَى لقبُه — ومعناه عظيم الشَفَة — وأنّ اسمه ثابت بن جابر . وهذا غلطٌ كما غَلِط العَينيُّ فى زعمه أنّ اسمه عمرو بن برّاق (بفتح الباء وتشديد الراء المهملة) بل هما صاحباه فى التلصّص ، وكان الثلاثة أعدَى العدّائينَ فى العرب ، لم تلحقْهم الخيل ؛ ولكن جرى المثلُ بالشنفَرَى فقيل : « أعدَى من الشنْفَرَى » .

ومن حديثه ما ذكره أبو عمرو الشيبانيُّ — كما نقله ابنُ الأنباريّ فى شرح المفضليات ، وحمزةُ الأصبهانيُّ فى الدُّرَّة الفاخرة — ، قال : أغار تأبَّطَ شرًّا — وهو ثابت بن جابر — والشَّنْفَرَى الأزديُّ ، وعمرو بن برّاق علي بَجيلة (بفتح الباء وكسر الجيم) . فوجدوا بَجيلةَ قد أقعَدُوا لهم على الماء رصَداً ؛ فلمّا مالُوا له فى جوف الليل قال لهم تأبَّطَ شرًّا : إنّ بالماء رصداً . وإنّى لأسمعُ وَجيبَ قلوبِ القومِ — أى اضطرابَ قلوبهم — قالوا : والله ما نسمع شيئاً ، ولا هو إلاّ قلبك يَجِب ! فوضع يدَه على قلبه فقال : والله ما يَجِب وما كان وجّاباً ! قالوا : فلا والله ما لنا بُدٌّ من وُرود الماء ! فخرج الشَّنفرى ، فلمّا رآه الرصَد عرَفوه ، فتركوه فشرِب ثمَّ رجَع إلى أصحابه فقال : والله ما بالماءِ أحدٌ ، ولقد شربتُ من الحوض ! فقال : تأبَّط شرًّا : بَلَى ، لا يريدونَكَ ولكنْ يريدُونَنى . ثمَّ ذهب ابنُ برّاقٍ فشرِب ثم رجع ، فلم يَعْرِضوا له ، فقال : ليس بالمـاء أحد ! فقال تأبَّط شرًّا : بَلَى ، لا يريدونك ولكنْ يريدونَنى ! ثم قال للشَّنفرى : إذا أنا كَرَعت فى الحوض فإنّ القوم سيَشُدُّونَ علىّ

(١) ضبط فى شرح المفضليات للأنبارى ١٩٥ هكذا : « الإِواس بن حِجْر » .

فيأسِرونني ، فاذهبْ كأنّك تهرُب ثم ارجعْ فكنْ فى أصل ذلك القرْن ، فإذا سمعتَني أقول : خذُوا ، خذوا فتعالَ فاطلِقْني . وقال لابن برّاق : إنّى سآمُرك إن تستأسِرَ للقوم ، فلا تُبعِدْ منهم ولا تمكّنْهم من نفسك . ثم أقبلَ تأبَّط شرّا حتّي ورد الماء ، فلما كرعَ فى الحوض شدُّوا عليه فأخذوه وكتَفوه بوَتَر ، وطار الشنفَرىٰ فأتىٰ حيثُ أمرَه ، وانحاز ابن برّاق حيثُ يرونه ؛ فقال تأبَّط شرّا : يا بَجيلة ، هل لكم في خير ! هل لكم أن تُياسرونا[1] فى الفِداء ويَستأسِرَ لكم ابنُ براق ! فقالوا : نعم ، ويلَك يا ابنَ برّاق ! إنّ الشنفَرىٰ قد طار ، فهو يصطلى نارَ بنى فلان ، وقد علمتَ الذى بيننا وبين أهلك ، فهل لكَ أن تَستأسِر ويُياسرونا[2] فى الفِداء ! فقال : أما والله حتّي أرُوز نفْسى شوطاً أو شوطين . فجعَل يعدُو فى قِبَلِ الجبل ثمّ يرجع ، حتّي إذا رأوا أنّه قدْ أعيا وطَمِعوا فيه اتّبعوه ، ونادىٰ تأبَّط شرّا : خذُوا ! خذوا ! فذهبوا يسعَون فى أثَره ؛ فجعل يُطمِعهم ويُبعِد عنهم ؛ ورجَع الشّنفَرىٰ إلى تأبّط شرّا فقطع وَثاقه ، فلمّا رآه ابنُ برّاقٍ قد قُطِع عنه انطلَق ، وكرَّ إلى تأبّط شرّا فإذا هو قائم ؛ فقال : أعجبَكم يا معشر بَجيلة عدْوُ ابن برّاق ، أمَا والله لأعدُوَنّ لكم عَدْواً أُنسِيكُمُوه ! ثم انطلقَ هو والشنفرىٰ . انتهى .

السليك وخبره

ومن المشهورين فى العَدْو (السُّلَيك بن السُّلَكَة) وهو تميميّ من بنى سعد . والسُّلَيك بالتصغير : فرْخ الحَجَلة[3] ، والأنثى سُلَكة بضم السين وفتح اللام ؛ وهى اسمُ أُمّه ، وكانت سوداء ، وإليها نُسِب . وذكر أبو عبيدة

---

(١) فى النسختين : « أن تياسرونا » .

(٢) فى النسختين : « وكروا » ، صوابه فى شرح المفضليات للأنبارى ٦ .

(٣) كونه بالتصغير ليس قيداً ، بل هو تقرير للصيغة ، فانه يقال لذكر من فراخ القطا أو الحجل سلك ، كصرد ، ويجمع هذا على سلكان بالكسر كصردان ، فالتصغير ليس أصلاً .

السُّلَيكَ في العَدَّائين ، مع المنتَشِر بن وَهْب الباهلي ، وأوفىٰ بن مَطَر المازنيّ .
والمَثَلُ للسُّليك من بينهم ، فقيل : أعدىٰ من السُّليك » .

ومن حديثه فيما ذكره أبو عبيدة ، كما نقله حمزة الأصبهانيُّ في الدرَّة الفاخرة:
أن السُّليك رأته طلائعُ لجيشٍ بكرِ بن وائل ، جاءوا متجردين[1] ليُغيروا
على بني تميم ، ولا يُعلَم بهم ، فقالوا : إنْ عَلِم بنا السليكُ أنذرَ قومَه فبعثوا
إليه فارسَين على جَوادين ، فلمّا هايجاه خرج يعدُو كأنَّه ظَبي ، فطارداه يوماً
أجمع ، ثم قالا : إذا كان الليلُ أعيا فيسقُط فنأخذه . فلمّا أصبحا وجدا أثَره
قد عثُر بأصل شجَرة ، وقد وثَب وانحطمت قوسه ، فوجدا قطعةً منها قد
ارتزَّت بالأرض ، فقالا : لعلَّ هذا كان من أوَّل الليل ثم فتَر ، فتبعاه فإذا
أثَره متفاجًا[2] قد بَالَ في الأرض وخَدَّها ، فقالا : ماله ! قاتَلَه الله ! ماأشدَّ
مَتْنَه[3] ! والله لا نتبعُه ! فانصرفا . ووصل السُّليك إلى قومه فأنذرهم ، فكذَّبوه
لبُعْد الغاية ، وجاء الجيش فأغاروا عليهم .

رجعنا إلى حديث الشَّنفَرىٰ . روىٰ الأصبهانيّ في الأغاني ، وابنُ الأنباريّ
في شرح المفضّليات[4] : أنَّ الشنفَرىٰ أسرته بنو شَبابة (وهم حيٌّ من فَهم بن
عمرو بن قَيس عَيلان) وهو غلامٌ صغير ، فلم يزلْ فيهم حتَّى أسرتْ بنو
سَلامانَ بن مُفرِج (بسكون الفاء وآخره جيم) رجلاً من فَهْم ثم أحدَ بني
شَبابة (بفتح الشين المعجمة) ، ففدته بنو شَبابة بالشَّنفرى ، فكان الشَّنفرى
في بني سَلامان (بفتح المهملة) يَظُنُّ أنّه أحدُهم ، حتى نازعته ابنةُ الرجُل

١٨

(١) في الأغاني ١٨ : ١٣٦ : « جازوا منحدرين » .

(٢) متفاج ، من الفجج ، وهو تباعد ما بين الرِّجلين .

(٣) وكذا في الأغاني . والمتن : الصلابة والقوة . ويقال أيضاً متن في الأرض ، إذا ذهب .

(٤) انظر شرح الأنباري ١٩٦ .

الذى كان فى حِجْره — وكان قد اتَّخذه ابناً — فقال لها : اغسِلى رأسى يا أُخَيَّة فأنكرت أن يكون أخاها فلَطَمته ، فذهب مغاضباً إلى الذى هو فى حِجْره فقال له : أخبرنى مَنْ أنا ؟ فقال له : أنت من الأواس بن الحجر[1] ؛ فقال : أمَا إنّى سأقتُل منكم مائةَ رجل بما اعتَبدْتمونى ! ثم إن الشَّنفرى لزم دارَ فَهْم وكان يُغير على بنى سَلامانَ على رجليه فيمن تبعه من فَهم ، وكان يغير عليهم وحدَه أكثر ، ومازال يقتل منهم حتّى قتل تسعة وتسعين رجلا ، حتّي قعد له فى مكانٍ أُسيدُ بنُ جابر السَّلَامانىّ (بفتح الهمزة وكسر السين) ومع أُسيدِ ابنُ أخيه وخازمٌ البقْمىّ[2] — وكان الشَّنفرى قَتَلَ أخا أُسيد بن جابر — فمر عليهم الشَّنفرى ، فأبصر السَّوادَ بالليل فرماه — وكان لايرى سواداً إلّا رماه — فشكّ ذراعَ ابن أخى أُسيدٍ إلى عضُده ، فلم يتكلّم ، وكان خازمٌ منبطحاً يرصُده ، فقطع الشنفرى بضربة أُصبعَين من أصابع خازم ، وضبطه خازم حتّي لحقه أُسيدٌ وابن أخيه ، فأخذوا سِلاحَ الشّنفرى وأسَرُوه وأدّوه إلى أهلهم ، وقالوا له : أَنشِدْنا فقال « إنّماَ النَّشيد على المَسرّة » فذهبتْ مثلا . ثم ضربوا يدَه فقطعوها ؛ ثم قالوا له — حين أرادوا قتله — : أين نَقْبُرك ؟ فقال :

لاتقْبُرونى ! إنّ قَبرى مُحرّمٌ عَليكمْ ؛ ولكنْ أبشِرى أمّ عامرِ[3]
إذا احتُملتْ رأسى وفى الرأس أكثرى وغُودِر عند الملتَقى ، ثمّ سائرى[4]

(١) انظر حواشى ص ٣٤٤ من هذا الجزء .

(٢) فى ش وشرح المفضليات ١٩ : « حازم » ، وفى الأغانى ٢١ : ٨٨ : « الفهمى » صوابه ما هنا وهو ما فى شرح المفضليات ١٩٦ فإن الفهميين كانوا أصحاب الشنفرى . وفى الشرح : « البقوم من حوالة بن الهنء بن الأزد » . ولا تكاد تجد « حازم » بالحاء المهملة فى أعلام الجاهلية .

(٣) وكذا فى الحماسة ٤٨٧ بشرح المرزوقى وفى ذيل الأمالى ٣٦ : « لا تقتلونى إن قتلى محرم » .

(٤) فى الحماسة وشرح المفضليات : « إذا احتملوا » .

هنالكَ لا أرجو حياةً تسُرّني سَجيسَ الليالي مُبسَلا بالجرائرِ

وكانت حَلْفَة الشنفرى على مائةِ قتيل من بني سَلامان ، فبقي عليه منهم رجلٌ إلى أن قُتل . فمرّ رجلٌ من بني سَلامانَ بجمجمته ، فضربها برجله فعقَرته فتمّ به عددُ المائة ! .. وذرِع خَطوُ الشنفرى يومَ قُتل ، فوُجد أوّلُ نَزوةٍ نزاها إحدى وعشرين خُطْوة ، والثانية سبعَ عشرةَ خُطْوة ، والثالثة خمسَ عشْرةَ خُطْوة .. وكان حَرام بن جابر — أخو أسِيد بن جابر المذكور — قَتَل أبا الشنفرى ؛ ولمّا قدِم مِنى ، وبها حَرام بن جابر ، فقيل للشنفرى : هذا قاتل أبيك ، فشدّ عليه فقتله ، ثم سبقَ الناسَ على رجْليه وقال :

قَتلْتُ حَرَاماً مُهْدِياً بِملبِّدٍ ببطْنِ مِنًى وسْطَ الحَجيجِ المصوِّتِ

فرصَد له أسِيد بن جابر ، فأمسكه مع ابن أخيه[1] .

وقيل في سبب قتل الشنفرى غير هذا ، وهو مسطورٌ في شرح المفضّليّات والأغاني .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[2] :

٢٢٧ (في ليلةٍ لا نَرىٰ بِها أحَداً يَحكي علينا ، إلاّ كَواكِبُها)

على أن قوله (كواكبُها) بالرفع بدلٌ من الضمير في (يحكي) الراجع إلى

---

(١) عند الأنباري : « ابني أخيه » .

(٢) في كتابه ١ : ٣٦١ . وانظر أمالي ابن الشجري ١ : ٧٣ . وشرح شواهد المغني ١٤٢ والهمع ١ : ٢٢٥ والأغاني ١٣ : ١١٥ وملحقات ديوان عدي بن زيد ١٩٤ .

(أحد) ، مع أن مرجع الضمير ليس معمولاً للابتداء أو أحدِ نواسخه . وأما (نرى) فهى بَصَرِيّة ، والمُبْصَرُ هو أحد وكواكبها ، لا أنّها قلبيّة فتكون من النواسخ ؛ خلافاً لسيبويه فيهما : أى فى اشتراط مرجع الضمير أن يكون معمولاً للابتداء أو ناسخِه ، وفى جعله نرى قلبيَّة .

١٩ هذا محصَّل ما نقله الشارح المحقّق عن سِيبَوَيه ؛ وليس فى كلام سيبويه فى هذا المقام واحدٌ منهما ، ولعلّ ما نقله الشارح ثابتٌ فى موضع آخر من كتابه . وأما عبارته هنا فهى هذه : « وتقول ما مررت بأحد يقول ذاك إلاّ عَبْدِاللهِ ، وما رأيت أحداً يفعل ذلك إلاّ زيداً . هذا وجه الكلام . وإن حملته على الإِضمار الذى فى الفعل ، فقلت : إلاّ زيدٌ — فرفعْتَ — فعرَبىٌّ ، قال الشاعر :

فى ليلةٍ لا نَرَى بها أحداً   يحكى علينا إلاّ كواكبها

وكذلك ما أظنُّ أحداً يقول ذلك إلا زيداً . وإن رفعتَ فجائزٌ حسَن . وإنّما اختِير النصب ههنا ، لأنّهم أرادوا أن يجعلوا المستثنَى بمنزلة المبدَل منه ، ولا يكونُ بدلاً إلاّ من منْفىّ ، لأنّ المبدل منه منصوبٌ منفىّ ، ومُضمَره مرفوع ، فأرادوا أن يجعلوا المستثنى بدلاً من أحد ، لأنّه هو المنفىّ ، وجعلوا يقولُ ذلك وصفاً للمنفىّ . وقد تكلَّموا بالآخَر لأنّ معناه معنى المنفىّ إذْ كان وصفاً لمنفى . انتهى كلام سيبويه[1] .

وهو صريح فى عدم اشتراط واحدٍ منهما ، يدلُّك عليه عطفُ قوله : وكذلك ما أظنّ أحداً يقول ذلك إلاّ زيداً ، على قوله : ما رأيتُ أحداً يفعل ذلك إلا زيدًا ؛ فإنّه سوَّى بين الفعل القلْبىّ والفعل البَصَرىّ وغيرِهما .

---

(١) نقلا عن أمالى ابن الشجرى . وانظر سيبويه ١ : ٣٦١ .

ومعنى قوله : تكلَّموا بالآخر ، أى تكلّموا بالرفع فى المستثنى .

وكذلك فى شرح أبيات سيبويه للنحّاس والأعلم : قال النحّاس : قال محمّد بن يزيد : أبدل الكواكب من المضمَر فى يحكى ؛ ولو أبدله من أحد لكان أجوَد ، لأنّ أحداً منفىٌّ فى اللفظ والمعنى ، والذى فى الفعل بعدَه منفىٌّ فى المعنى . قال : ومثل ذلك ما علمت أحداً دخل الدار إلاّ زيداً ، وإلاّ زيدٌ ، النصب على البدل مِن أحد وعلى أصل الاستثناء ، والرفع على البدل من المضمر . انتهى

قال ابنُ هشام فى المغنى فى القاعدة التى يُعطَى الشىء فيها حكمَ ما أشبهه فى معناه ، من الباب الثامن : قولهم إنّ أحداً لا يقول ذلك ، فأُوقعَ أحد فى الإثبات لأنّهُ نفسُ الضمير المستتر فى يقول ، والضميرُ فى سياق النفى ، فكأنّ أحداً كذلك وقال :

فى ليلةٍ لا نَرى بها أحداً . . . . البيت

فرفع كواكبُها بدلاً من ضمير يحكى ، لأنّه راجع إلى أحد ، وهو واقع فى سياقِ غير الإيجاب ، فكان الضمير كذلك .

وقال أيضاً ، فى باب الاستثناء ، من الجهة الخامسة فى الباب الخامس : « إن قلت ما رأيت أحداً يقول ذلك إلاّ زيدٌ ، إنْ رُفع زيدٌ فرفعهُ من وجهٍ وهو كونه بدلاً من ضمير يقول ، ومنه هذا البيت . وإنْ نُصب فنصبُه من وجهَين على البدلية من أحد ، وعلى الاستثناء . فإن قلت : ما أحد يقول ذلك إلاّ زيد ، فرفعه من وجهين : كون زيد بدلاً من أحد ، وهو المختار ، وكونه بدلاً من ضميره ؛ ونصبُه من جهة وهو على الاستثناء » وسيأتى بيان هذا فى الشرح قريبا .

وقد نقل الدَّمَامينيُّ هنا ما اعترض به الشارحُ المحقِّق على سيبويه ولم يزدْ عليه بشيء . وقال ابنُ الشجَريّ في أماليه : رفع كوا كبُها على البدل من المضمَر في يحكي ، ولولا احتياجه إلى تصحيح القافية كانَ النصبُ فيها أولى من ثلاثة أوجه : إبدالها من الظاهر الذى تناوله النفى على الحقيقة ، والثانى نصبها على أصل باب الاستثناء كقراءة ابن عامر : (ما فَعَلُوه إلاّ قليلاً منهم[1]) والثالث أنّه استثناء من غير الجنس كقولك : ما فى الدار أحدٌ إلاّ الخيامَ . وأهلُ الحجاز مجمِعون فيه على النَّصب ، وعلى ذلك أجمع القُرَّاء فى قوله تعالى : (ما لَهُمْ بهِ مِنْ عِلْمٍ إلاّ اتّباعَ الظّنّ[2]) انتهى

٢٠

وقوله : (يحكى عَلَينا) الحكاية بمعنى الرواية . وعلى بمعنى عَنْ ؛ وقد يقال ضمِّن يحكى معنى يَنُمّ . قالها ابن هشام فى الباب الأوّل من المُغنى .

وهذا البيت نسبَهَ الشارح المحقّق إلى عدىّ بن زيد ، موافقةً لشُرّاح شواهد سيبويه ولم ينْسُبْه سيبويه فى كتابه إلى أحد ، وإنّما أورده غُفلا . وقد تصفّحتُ ديوان عدىّ بن زيدٍ مرّتين فلم أجده فيه ؛ وإنما هذا البيت من أبياتٍ لأُحَيْحَة بنِ الجُلاَح الأنصارىّ ، أثبتها له الأصبهانىّ في الأغانى ، وهى :

(يَشتاقُ قَلبى إلى مُلَيكَةَ لو أمسىْ قريباً لمن يُطَالبُها[3]

---

(١) الآية ٦٦ من سورة النساء . وهى قراءة أُبى ، وابن أبى إسحاق ، وابن عامر ، وعيسى بن عمر . تفسير أبى حيان ٣ : ٢٨٥ .

(٢) الآية ١٥٧ من سورة النساء . وفى النسختين : « وما لهم به من علم » بإقحام الواو ، وهو تحريف رددته إلى نصابه . وفى الكتاب العزيز فى الآية ٢٨ من سورة النجم : « وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن » فهذه بالواو فى أولها .

(٣) الأغانى ١٣ : ١١٤ ، ١١٥ : « أمست قريبا ممن » .

ما أحسنَ الجيدَ مِن مُلَيكة والـــلَبّاتِ إذ زانَهــا ترائبُها
ياليتَنى ليلةً ، إذا هجعَ الـــنَّاسُ ونامَ الكلابُ ، صاحبُها
فى ليلةٍ لا نَرَى بهــا أحداً يحكى علينا ، إلاّ كواكبُها
لِتَبكِنى قَينةٌ ومِزْهَرُها ولْتَبكِنى قَهوةٌ وشاربُها
ولْتَبكِنى ناقةٌ إذا رُحِلتْ وغابَ فى سَرْبَخٍ مناكِبُها
ولْتَبكِنى عُصبةٌ إذا اجتمَعتْ لم يَعلَمِ الناسُ ما عواقبُها !)

وبهذه الأبيات عُرف أنّ القافية مرفوعة .

وقوله : لو أمسىٰ الخ ، لو للتمنى ؛ واسم أمسى ضمير القلب ؛ ومَن موصولة بمعنى : التى . ومُلَيكة ، بالتصغير : اسم امرأة . وقوله : ما أحسنَ الجيدَ ، ما تعجّبيّة . واللَّبّة بفتح اللام : موضع القِلادة من الصّدر . والتّرائب : جمع تَريبة وهى عظام الصّدر مابين التَّرقُوتين إلى الثدْى . وقال ابن الشجَرىّ : « اللبّة : الموضع الذى عليه طرَف القِلادة . والترائب واحدتها تَريبة ، وقيل تريب ، وهو الصدر ؛ وإنّما جمعَهُما بما حولها ؛ كأنّه سمّى مايجاور اللبّة لَبّةً ، وما يجاور التريبةَ تريبة ؛ كما قالوا : شابتْ مفارِقُه » . وقوله : ياليتنى ليلةً الخ ، صاحبها خبر لَيت ؛ وليلةً ظرفٌ لصاحبُها ؛ وإذا بدلٌ منها بدل اشتمال ، والضمير مقدَّر أى هجع الناس فيها .

وقوله : (فى ليلةٍ لا نرى بها . . الخ) فى ليلةٍ بدل من قوله إذا ، وجملة لانرى بها الخ صفة ليلة ؛ ونرى بالنون ، ويروى بالتاء ، وهو قريب . وجملة يحكى علينا : صفة أحداً . ورُوى بدله : (يسعَى عَلينا) مِن سعى به إلى الوالى : إذا وشَى به ونمَّ عليه .

وقوله لتبكنى ، هو أمر الغائب . والقَينة ، بالفتح : الأمَة ، مغنِّيَةً كانت كما هنا أو غير مغنِّية . والمِزْهر ، بكسر الميم : العُود الذى يُضرَب به ، من آلات الملاهى . والقَهوة : الخمر . وقوله : إذا رُحلت ، بالبناء للمفعول ، من

رحلت البعيرَ رَحلاً ، من باب نفع : إذا شددتَ عليه رحلَه ؛ وهو أصغر من القتَب . وقوله : وغابَ فى سَرْبَخٍ الخ ، السَّرْبَخ ، بفتح السين وسكون الراء المهملتين وفتح الموحَّدة وآخره خاء معجمة : الأرض الواسعة . وقوله : ما عواقبها ، ما استفهاميةٌ مبتدأ وعواقبها الخبر ، والجملة فى موضع مفعولَى علِمَ المعلَّق عن العمل بالاستفهام . وقال ابنُ الشجَرىّ فى أماليه ، مشيراً إلى أنَّ هذا البيتَ لأُحَيْحَةَ بن الجُلاحِ بقوله : « والبيت الذى أُنشده سيبوَيه شاهداً على جواز الرفع ، مِنْ مقطوعةٍ لرجلٍ من الأنصار . ورُوى أنّه لمَا أُدخِلت حَبَّابةُ على يزيدَ بنِ عبد الملك ، دخلتْ وعليها ثيابٌ مُعَصْفَرَةٌ ، وبيدها دُفٌّ ، وهى تَصفِقُه بيدها وتغنِّي بهذه الأبيات :

٢١

ما أحسَنَ الجيدَ من مُلَيكةَ والـ ـلبَّاتِ إذْ زانهـا ترائبُها !
يا ليتَني ليلةً ، إذا هجَعَ الـ ـناسُ ونامَ الكلابُ ، صاحبُها
فى ليلةٍ لا نرى بها أحداً يَحكى علينا ، إلاَّ كواكبُها

ثم قال ابنُ الشجرىّ : « ووقَع فى أكثرِ نسَخ كتاب سيبويه غيرَ منسوب إلى شاعرٍ مسمًّى ، ووجدتُه فى كتاب لُغوىّ منسوباً إلى عَدِىّ بن زيد ، وتصفَّحتُ نسختين من ديوان شعر عدىٍّ فلم أجد فيهما هذه المقطوعة ، بل وجدتُ له قصيدةً على هذا الوزن وهذه القافية ، أولها :

لم أرَ مِثلَ الأقوامِ فى غَبَنَ الأيـ ـام ينسَوْنَ ما عواقبُها
يَرون إخوانَهم ومَصْرعَهمْ وكيفَ تعتاقُهم مَخالبُها
فما تُرجِّى النفوسُ مِنْ طلَبِ الخـيْر وحُبُّ الحياةِ كاذبُها[1] »

---

(١) كذا هنا وفى أمالى ابن الشجرى ، وحماسة البحترى ١٢٥ وأوله عنده : « ماذا ترجى » ، وهى صحيحة يؤيدها الشرح التالى لابن الشجرى إذ يقول : « إن حب النفوس للحياة قد يستحيل بغضا ، لكنها فى الأغانى ٢ : ٣٧ : «كاربها» قال أبو الفرج : « كاربها هنا : غامها . . . يقال كربة الأمر وكرثه . . . إذا غمه » وانظر ديوان عدى ٤٥ .

ثم قال : « قوله : فى غبَن الأيّام ، يدلُّ على أنّهم قد استعملوا الغبَن المتحرِّك الأوسط فى البيع ، والأشهر غبَنه فى البيع غبْناً ، بسكون وسطه ؛ والأغلب على الغبَن المفتوح أنْ يستعمَلَ فى الرأى ، وفعلُه غَبِن يَغبَن ، مثل فرِح يفرح ، يقال غبِنَ رأيُه ، والمعنى : فى رأيه . ومفعول الغَبَن فى البيت محذوف ، أى فى غبَن الأيّام إيّاهم . ومما استعمِل فيه الغبَن المفتوح الأوسط فى البيع ، قول الأعشىٰ :

لا يقبَلُ الرِشوةَ فى حُكمِهِ ولا يُبالى غَبَنَ الخاسرِ

وقوله : ما عواقبها ، ما استفهاميَّة وينسَون معلَّقٌ كما عُلِّق نقيضُه ، وهو يعلمون ؛ والتقدير : ينسَون أىُّ شىءٍ عواقبُها . ومعنى قوله : وحبُّ الحياة كاذِبُها ، أنّ حبَّ النفوس للحياة قد يستحيل بغضاً ، لِما يتكرّر عليها من الشدائد والآفات التى يتمنى صاحبُها الموتَ ، كما قال المتنبِّي :

كَفَىٰ بكَ داءً أنْ ترىٰ الموتَ شافياً وحَسْبُ المَنَايا أن يَكُنَّ أمانيا » اهـ

وبعد أن نسبَ هذه الأبياتَ صاحبُ الأغانى لأُحَيحة بن الجُلاح ، بيَّن منشأها فقال : إنّ تُبَّعاً الأخيرَ ، وهو أبو كَرِب بن حسَّان بنِ تُبَّع بن أسعَد الحِميَرىّ[1] ، أقبلَ من اليمن يريد الشرقَ كما كانت التبابعة تفعَل — فمرَّ بالمدينة فخلَّف بها ابنَه ومضى ، حتّي قَدِم العراق ، فنزل بالمشقَّر ؛ فقتِل ابنُه بالمدينة غِيلةً فبلغه الخبر ، فكرَّ راجعاً حتّي دخل المدينة ، وهو مُجمعٌ على

(١) الأغانى : « وهو أبو كرب بن حسان بن أسعد الحميرى » .

إخرابها ، وقطع نخلها ، واستئصالِ أهلها وسبْي الذرّيّة ؛ فنزل بسفح أُحدٍ فاحتفر بها بئراً — فهى التى يقال لهـا إلى اليوم : بئر الملِك — ثم أرسل إلى أشراف أهل المدينة ليأتوه ، فـكان ممَّن أرسل إليـه زيدُ بن ضبيعة ، وابن عمّه زَيد بن أمية ، وابن عمه زيد بن عبيد وكانوا يسمّون الأزياد[1] ، وأُحيحة بن الجلاح ؛ فلما جاء رسوله قال الأزياد : إنّما أرسَل إلينا ليُملِّـكنا على أهل يثرب ! فقال أُحيحة : واللهِ ما دَعاكُم لخير ! — وكان يقال إنّ مع أحيحة تابعاً من الجِنّ يُعْلِمه الخبر ، لـكثرة صوابه ، لأنّه كان لا يظنّ شيئاً إلاّ كان كما يقول — فخرجوا إليه ، وخرج أُحيحة ومعه قَينةٌ له ، وخباء ، وخَمر ، فضَرب الخباءَ وجعَل فيه القَينة والخمر ، ثم استأذن على تبّـعٍ ، فأذن له وأجلسه على زِرْبِيَّة تحتَه ، وتحدّث معه وسأله عن أمواله بالمدينة ؛ فجعل يُخبره عنها ؛ فخرج مِن عنده فدخل خباءه فشرب الخمر ، وقرَض أبياتاً وأمر القَينة أن تغنّيَه بها ؛ وجعل تُبّـعٌ عليه حرساً وكانت قينته تُدعى مُليـكة ، فقال :

يَشتاق قلبي إلى مُليـكةَ لو أمسَى قريباً لمن يُطالبُها !

الأبيات المتقدِّمة . فلم تزل القينة تغنّيه بذلك يومَه وعامّةَ ليلته ؛ فلمّا نام الحرسُ قال لها : إنّى ذاهب إلى أهلى فشُدّى[2] عليك الخِباء ، فإذا جاء رسولُ الملك فقولى : هو نائم ؛ فإذا أبَوا إلاّ أن يُوقظونى فقولى: قد رجَع إلى أهله وأرسلَني إلى الملك برسالة ، فإن ذهبوا بكِ إليه فقولى له : يقول لكَ أُحيحة « اغدِر بقَينةٍ أوْ دَعْ » ثم انطلقَ فتحصّن فى أُطُمِه الضَّحْيان ، فأرسل تُبّعٌ من جوف الليل إلى الأزْياد فقتلهم ، وأرسل إلى أُحيحةَ ليقتله فخرجت إليهم القَينة ، فقالت : هو راقد فانصرفوا وتردّدوا عليها مِراراً ؛ كلَّ ذلك تقول : هو

(١) عددهم فى الأغانى ١٣ : ١١٥ أربعة ، بتـكرير الأوسط فيما أرى .
(٢) فى الأغانى : « فسدى » بالسين .

راقد ! ثم عادوا فقالوا : لتُوقِظِنّه أو لندخُلَنّ عليكِ ؟ قالت : فإنّه قد رجَع إلى أهله وأرسلَنى إلى الملك برسالة ! فذهبوا بها إلى الملك وأبلغته الرسالة ، فجرّد له كتيبةً من خيله ثم أرسلهم فى طلبه ، فوجدوه قد تحصَّن فى أُطمه ؛ فحاصَروه ثلاثاً ، فكان يقاتِلهم بالنَّهار ويَرميهم بالنَّبْل والحجارة ، ويرمى إليهم فى اللّيل بالتَّمر ؛ فلما مضت الثلاثُ رجَعوا إلى تُبّعٍ فقالوا : بعثْتَنا إلى رجل يقاتلنا بالنهار ويُضيفنا فى الليل ! فتركَه وأمرهم أن يحرقوا نخلَه ، وشبَّت(١) الحربُ بين أهل المدينةُ : أَوسِها وخَزْرجِها ويهودِها ، وبين تُبّع ، وتحصّنوا فى الآطام ؛ فخرج رجلٌ من أصحاب تُبعٍ حتّي جاء بنى عَدىٍّ بن النجّار وهم متحصِّنون فى أُطمهم ، فدخل حَديقةً من حدائقهم فرقى(٢) بها عَذقاً منها يجُدّها(٣) ، فاطَّلعَ إليه رجلٌ مِن بنى عَدىٍّ من الأُطم ، فنزل إليه فضربه بمِنْجل حتّي قتله ، ثمّ ألقاه فى بئر ؛ فلما انتهى ذلك إلى تُبّعٍ زاده غيظاً وحَنَقا ، وجَرَّد إلى بنى النجّار جَريدةً من خيلِه ، فقاتلهم بنو النجّار ... فبينا يُريد تُبّعُ إخرابَ المدينة أتاه حَبْرانِ من اليهودِ فقالا : أيُّها الملك ، انصرفْ عن هذه البلدة ، فإنَّها محفوظة ، وإنَّها مُهاجَرُ نبيٍّ من بني إسماعيلَ ، اسمُه أحمد ، يخرُج من هذا الحرم . فأعجبه ماسمِع منهما وكفَّ عن أهلها . انتهى مانقلته من الأغانى مختصراً .

والأُطُمُ ، قال فى الصحاح : هو مثل الأُجُم ، يخفَّف ويثقَّل ، والجمع آطام وهى حُصون لأهل المدينة ، والواحدة أطَمة بفتحات . والضَّحْيان ، بفتح الضاد المعجمة وسكون الحاء المهملة وبعدها ياء مثنّاة تحتيَّة : اسم حصنٍ لأُحَيحة ،

(١) ط : « وشدت » ، صوابه فى ش والأغانى .
(٢) فى النسختين : « فرمى » ، وصححها الشنقيطى فى نسخته بما يطابق الأغانى . وفى الأغانى ١٣ : ١١٦ : « فرقى عذقا منها يجبره » .
(٣) العذق بالفتح : النخلة بحملها . وبالكسر : كباسة التمر .

وقد بينه صاحبُ الأغانى بعد هذا فقال : وكان لأُحيحة أُطمان ، أُطُم فى قومه يقال له المستظَلّ ، وهو الذى تحصَّن فيه حين قاتل تُبعاً أبا كَرِب الحِميرىّ ، وأطمه الضَّحْيان بالعُصْبة فى أرضه التى يقال لها الغابة ، بناه بحجارة . وكانت الآطام عزَّهم ومنَعَتَهم وحصونَهم التى يتحرزون فيها من عدوِّهم . انتهى كلامه .

٢٣ وقد خالفَ بينَ كلامَيْه فقال هناك : تحصَّن بأطمه الضَّحيان . وقال فى موضع آخر : تحصَّن فى أُطمه المستظِلّ .

أحيحة بن الجلاح

و (أُحيحة) هو أُحيحة بن الجُلاح بن الحَرِيش بن جَحْجَبىٰ بن كُلْفة بن عَوف بن عمرو بن عَوف بن مالك بن الأوس . ويكنى أُحيحة أبا عَمْرو .

و (أُحيحة) بضمّ الهمزة وبالحاءين المهملتين : مصغر الأَحِيحة ، وهو الغَيظ وحزازة الغمّ[١] . و(الجُلَاح) بضمّ الجيم وتخفيف اللام وآخره حاء مهملة وهو فى اللغةُ السيل الجُرَاف . و(الحَريش) بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين وآخره شين معجمة ، وهو نوعٌ من الحيَّات أرقَط . و (جحجَبى) بحاء مهملة ساكنة بين جيمين مفتوحتين وبعد الموحدة ألف مقصورة ، وهذه المادة غير مذكورة فى الصحاح ، قال صاحب القاموس : « جحجب العدوَّ : أهلكه ؛ وفى الشىء : تردَّد وجاء وذهب . وجَحْجَب : اسم . وجحجَبىٰ : حىٌّ من الأنصار » انتهى :[٢] و (كُلْفة) بضمّ الكاف وسكون اللام .

وكان أُحيحةُ سيِّدَ الأوس فى الجاهليَّة ، وكانت أمُّ عبدِ المطلب بن هاشم تحتَه . والمنذر بن محمد بن عقُبة بن أُحيحة ، صحابىٌّ شَهِد بدراً وقُتل يومَ بئرِ

---

(١) وفى الاشتقاق ٤٤١ : « واشتقاق جحجبى من الجحجبة ، وهو التردد فى الشىء والمجىء والذهاب » .

(٢) جاءت « حزازة » بزاءين معجمتين فى النسختين .

مَعُونة ، كذا فى الجمهرة . وعدَّ عبدانُ فى الصحابة محمَّدَ بنَ عقبة هذا ، لكنَّه نسبَه إلى جدِّه فقال : محمد بن أحيحة . وقال : بلغنى أنّه أوّلُ من سمِّى محمداً ، وأظنُّه أحدَ الأربعةِ الذين سمُّوا محمّداً قبل مولِد النبيّ ﷺ . وأبوه كان زوجَ سَلمى أمِّ عبدِ المطَّلب . قال ابن الأثير : مَنْ يكونُ أبوه تزوج أمَّ عبد المطلب ، مع طُولِ عُمرِ عبدِ المطلب ، كيف تكون له صُحبة مع النبيّ ﷺ ؟! هذا بعيد ، ولعلّه محمّد بن المنذر بن عُقبة بن أحيحة الذى ذكروا أباه فيمن شَهِد بدراً . قال ابن حَجَر فى الإصابة : وفيه نظر ، لأنّهم لم يذكروا للمنذر ولداً اسمُهُ محمّد . انتهى . والصواب مافى الجمهرة[1] ، وبه يزول الإشكال .

قال صاحبُ الأغانى[2] : وكانت عند أُحيحة سَلمىٰ بنتُ عمرو بن زَيدِ ابن لَبيدِ بن خِداش ، إحدى نساءِ بنى عدىّ بن النجار ، له منها عمرو ابن أحيحة ، ثمّ أخذها هاشمٌ بعد أُحيحةَ فولدت له عبدَ المطَّلِب بن هاشم ، وكانت امرأةً شريفة لا تنكِح الرجالَ إلاّ وأمرُها بيدها ، وإذا كرِهتْ من من رجل شيئاً تركَتْه . وكان أحيحةُ كثيرَ المال شحيحاً عليه ، يبيع بيعَ الربا بالمدينة ، حتّى كاد يُحيط بأموالهم ، وكان له تسعٌ وتسعون بئراً[3] كلُّها يُنضَح عليها ، وكان له أُطمان : أُطم فى قومه يقال له المستظَلّ — وهو الذى تحصَّن فيه حين قاتلَ تُبَّعاً الحِميرىّ — وأطمه الضَّحيان بالعُصْبة فى أرضه التى يقال لها الغابة ، بناه بحجارةٍ سود ويزعمون أنّه لمّا بناه أشرَف هو وغلامٌ له[4] ثم قال : لقد بنيتُ حِصْناً حَصيناً ما بنيٰ مثله رجلٌ من العربِ أمنعَ منه[5] ،

(١) انظر أيضاً السيرة ٣٢٢ ، ٤٩٤ ، ٦٤٩ .

(٢) الأغانى ١٣ : ١١٩ والأغانى ١٣ : ١١٨ .

(٣) ط : « بعيرا » ، صوابه فى ش والأغانى ١٣ : ١١٨ ، ويؤيده تذكير « تسع » .

(٤) فى النسختين : « لما بناه هو وغلام له أشرف » صوابه من الأغانى .

(٥) فى الأغانى : « ما بنى مثله رجل من العرب أمنع ولا أكرم » .

ولقد عرَفتُ موضِعَ حَجرٍ منه لو نُزِع وقعَ جميعاً . فقال غلامُه : أنا أعرفه ! قال : فأرِنيه يا بُنيّ ! قال : هو هذا ! وصرف إليه رأسه ، فلما رأى أحيحةُ أنّه قد عرَفه دفعه مِن رأس الأُطُم فوقع على رأسه فمات . وإنّما قتلَه لئلاّ يعرِفَ ذلك الحجرَ أحدٌ . فلما بناه قال :

بنيتُ بعدَ مُسْتَظَلٍّ ضاحياً بنيته ، بعُصْبةٍ ، مِن ماليا
للستر مما يتبع القواضِيا أخشى رُكَيبا أو رُجَيلا غاديا[1]

٢٤ وسيأتى — إن شاء الله تعالى — تتمّة الكلامِ عليه فى شرح شواهد الشافيَة[2] ، عندشرحِ قوله : أخشى رُكَيبا أو رُجيلا غاديا . فإنّه من شواهده وشواهد الكشّاف أيضاً . ولم يعرف أحد تَتِمّتَه ولا أصله ، ممّن كتب على الكشّاف وغيره .

المحمدون فى الجاهلية

واعلم أنّ جملةَ مَنْ سُمّى بمحمّد فى الجاهلِيَّة ، ذكَرهم ابنُ حَجَر فى شرح البخاريّ . وهذا كلامه[3] :

قال عِياضٌ : حمىٰ اللهُ عزَّ وجلَّ هذا الاسمَ أن يسمَّى به أحدٌ قبلَه ؛ وإنّما سمّى بعضُ العرب محمّداً قُربَ مِيلاد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، لمّا سمِعوا من الكُهّان والأحبار ، أنّ نبيًّا سيُبعَث فى ذلك الزمان يسمَّى محمّداً ، فرجَوا أنْ يكونوا هم ، فسمَّوا أبناءهم بذلك ، وهم ستّةٌ لا سابعَ لهم . كذا قال . وقال السُّهيليُّ فى الروض الأُنف : لا يُعرف فى العرب مَن تَسمَّى محمّداً قبلَ النبيّ صلى الله عليه وسلم إلاّ ثلاثة : محمّدُ بنُ سفيانَ بن مجاشع ، ومحمّد بن أُحيحة

(١) فى ـــ : « والسر مما » ، وفى الأغانى : « عاديا » بالعين المهملة .
(٢) شرح شواهد الشافية ١٥٠ .
(٣) فتح البارى ٦ : ٣٥٨ — ٣٥٩ .

ابن الجلاح ، ومحمد بن حُمْران بن ربيعة . وسبق السُّهيليَّ إلى هذا القولِ أبو عبدِ الله بن خالَوَيه (فى كتاب ليسَ[1]) . وهو حصْرٌ مردود . وقد جمعتُ أسماء مَنْ تَسمّى بذلك فى جزءٍ مفردٍ فبلغوا نحوَ العشرين ، لكنْ مع تكرير فى بعضهم و وَهمٍ فى بعض ، فتَلخَّص منه خمسةَ عشرَ نفسا .

وأشهرهم محمّد بن عَدىّ بن ربيعة التميمىّ السعدىّ . وقد سئل محمّدُ ابنُ ربيعةَ — والسائلُ ابنُه — قال له : كيفَ سمّاك أبوكَ فى الجاهليَّة محمّداً ؟ قال : سألتُ أبى عمّا سألتَنى فقال : خرجتُ رابعَ أربعةٍ من بنى تميم أنا أحدُهم ، وسُفيان بن مُجاشِع ، ويزيد بن عَمرو بن ربيعة ، وأُسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر ، نريد ابنَ جفْنةَ الغسَّانىَّ بالشام ، فنزلنا على غَدير دَير ، فأشرفَ علينا الدّيْرانىُّ فقال لنا : إنّه سَيُبعث منكمْ وشيكاً نبيٌّ ، فسارِعوا إليه . فقلنا : ما اسمه ؟ قال : محمد . فلمّا انصرفنا وُلِد لكلٍّ مِنّا ولدٌ فسماه محمّداً . وقال ابن سعد ، عن علىِّ بن محمّدٍ عن مَسلمةَ بن محارب عن قَتادة بن السَّكن قال : كان فى بنى تميمٍ محمّدُ بن سفيانَ بنِ مجاشع ، قيل لأبيه : إنّه سيكون نبىٌّ فى العرب اسمُه محمد ، فسمى ابنه محمّداً . فهؤلاء الأربعة ليس فى السِّياق ما يُشعِر بأنّ فيهم مَن له صُحبة ، إلاّ محمّدَ بنَ عَدىّ . قال ابن سعدٍ لمّا ذكَره فى الصحابة : عداده فى أهل الكوفة . وذكر عَبْدان المرْوَزِىّ أنّ محمّد بن أُحيحة ابن الُجلاَح أوّلُ من تسمَّى محمّداً فى الجاهليّة ، وكأنّه تلقّى ذلك مِن قصّة تُبّعٍ لماحاصرَ المدينةَ وخرج إليه أُحيحةُ المذكور هو والحَبْر الذى كان عندَهم بيثرِب ، فأخبره الحَبْر أنّ هذا بلدُ نبىٍّ يبعَث يسمّى محمداً ، فسمَّى ابنه محمّداً وذكر البلاذُرِىُّ منهم محمّدَ بن عُقبَة بن أُحيحة ، فلا أدرى : أهما واحدٌ نُسب مرّةً إلى أبيه ومرةً

(١) لم أجد هذا النص فى كتاب ليس .

إلى جَدّه ، أم هما اثنان . . (أقول : الصواب أنهما واحدٌ نُسِبَ مرّةً إلى أبيه ، ومرّة إلى جَدّه ، كما تقدّمَ بيانه [١])

ثمّ قال ابن حَجر : ومنهم محمد بن براء البكريّ ، ذكره [ابن[٢]] حبيب . وضبط البلاذرى أباه فقال : محمد بن بَرّ (بتشديد الراء ليس بعدها ألف) بن طريف بن عُتْوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مَناة بن كنانة ؛ ولهذا نسبوه أيضاً العُتْواريّ . وغفَل ابنُ دِحية فعدّ فيهم محمَّدَ بن عُتوارة ، وهُو هو ، نُسِب إلى جدِّه الأعلى . ومنهم محمد بن اليحمديّ الأزديّ ، ذكره المفجع البصريّ فى كتاب المنقذ[٣] . ومحمد بن خَولى الهمْدانىّ . ذكره ابن دُريد[٤] . ومنهم محمد بن حِرماز بن مالك ، ذكره أبو موسىٰ فى الذيل . ومنهم محمد بن حُمْران بن أبى حُمران ، واسمه ربيعة بن مالك الُجعفىّ ، المعروف بالشويعر ، ذكره المرزُبانيّ فقال : هو أحد من سُمِّى فى الجاهلية محمداً ، وله قصَّة مع امرئ القيس[٥] . ومنهم محمَّدُ بن خُزَاعىٍّ بن عَلقمة بن حرابة[٦] السُلَمىّ ، من بنى ذَكْوان ، ذكره ابن سعد عن علىٍّ بن محمَّد عن سلمة بن الفضل[٧] عن محمد بن إسحاق قال : سُمِّى محمد بن خزاعىّ طمعاً فى النُبوَّة . وذكر الطبرانىّ أنّ أبرَهَة الحبشىَّ توَّجَه وأمره أن يغزُوَ بنى كنانة فقتلوه ، وكان ذلك من أسباب قصة الفيل . وذكر محمد بن سعد لأخيه قيسِ بن خزاعىّ يَذْكُره[٨] من أبيات يقول فيها :

٢٥

(١) انظر ما مضى فى ص ٣٢٦ سلفيه .
(٢) التكلة من فتح البارى . وانظر حواشى الاشتقاق ٩ .
(٣) فتح البارى : « المعقد » ، تحريف .
(٤) فى الاشتقاق ص ٩ .
(٥) وكذا فى الاشتقاق ٨ — ٩ ، ٤٠٨ .
(٦) ـه : « حرامة » .
(٧) فى النسختين : « سله بن الفضل » صوابه من الإصابة فى ترجمة محمد . وانظر تهذيب التهذيب ٤ : ١٥٤ فقد ذكر أنه ليس أثبت فى ابن إسحاق من سلمة هذا .
(٨) فى النسختين . « فذكره » . وأثبت ما فى فتح البارى ٦ : ٣٠٩

فَذلِكُمْ ذو التاج مِنَّا مُحَمَّدٌ ورَايَتُهُ فى حَوَمة الموتِ تَخفُقُ

ومنهم محمّد بن عمر بن مُغْفِل (بضمّ أوله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام) وهو والدُ هُبَيْبٍ (بموحَّدَتين ، مصغر) وهو على شرط المذكورين ، فإنّ لولده صحبةً . ومات هو فى الجاهليَّة . ومنهم محمَّد بن الحارث بن حديج[1] ابن حويص ، ذكره أبو حاتم السِجستانىُّ فى كتاب المعمّرين ، وذكر له قصّةً مع عُمر ، وقال : إنّه أحدُ مَن تسمَّى محمّداً فى الجاهليّة . ومنهم محمَّد الفقيمىّ ، ومحمّد الأسيدىّ ذكرهما ابن سعد ولم ينسُبهما بأكثر من ذلك . . فعُرِف بهذا وجهُ الردِّ على الحصر الذى ذكره القاضى عِياض . وعجبٌ من السُهيلى ، كيفَ لم يقف على ما قاله القاضى مع كونه قال قبله[2] ؟! . وقد تحرّر لنا من أسمائهم قدرُ الذى ذكره القاضى عِياض مرّتين بل ثلاثَ مرّات ، فإنّه ذكر فى الستّة الذين جزَم بهم: محمّدَ بنَ مسلمة وهو غلط[3] فإنّه وُلد بعد ميلاد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ففضل له خمسةٌ . وقد خَلَص لنا خمسةَ عشَر[4] ، والله أعلم . انتهى ما قاله ابن حَجر .

وقال زين الدين العراقىّ : قلت : عدُّه — أعنى عياضاً — محمّدَ بنَ

(١) س وفتح البارى : « خديج » كتب مصحح المطبوعة الأولى : « ضبطه الزرقانى على المواهب بمهملتين فتحتية فجيم مصغر » .

(٢) فتح البارى : « كان قبله » .

(٣) الميمنى : « تسرعه إلى تغليط عياض لا وجه له ، فإن ولادته بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، لا تنفى تسميته بمحمد قبل المبعث ، وهو مرادهم بذلك . ولعله نظر إلى قول ابن دُريد فى الاشتقاق : ومحمد بن مَسلمة الأنصارى ، سمى فى الجاهلية محمدا » .

(٤) الميمنى : « ليس هذا التخلص من عنائه بل هو للحافظ مغلطاى . وهذا لفظه فى حاشية الاشتقاق ٦ : بلغ أسماء من سمى محمدا خمسةَ عشرَ رجلاً ذكرتهم فى كتابى المسمى بالإشارة . ا هـ . فرجع الحق إلى نصابه والحمد لله . وقد أقر الحافظ نفسه بذلك فى الإصابة رقم ٨٤٩٨ . والإشارة لعله يريد ما كتبه على كتاب ليس » .

مسلمة ، فيه نظر من حيثُ أنّه وُلد بعدَه بعشْر سنين ، ولـكنّه صحيح من حيث أنّه لم يكن ظهرت النُّبوَّة والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد المائتين :

٢٢٨ ﴿ قَلَّمَا عَرَّسَ حَتَّي هِجتُهُ بالتَّباشيرِ مِنَ الصُّبحِ الأُوَلْ[(١)] ﴾

على أنّ أبا عليّ قال : إنّ (قلّما) قد تجىء بمعنى إثبات الشىء القليل ، كما فى هذا البيت ، والكثير أن تكون للنفى الصرْف . وهذا كلام أبى علىّ فى الإيضاح الشعرىّ[(٢)] قال : وأما قولُ لبيد :

* قلّما عرّس حتّي هجتُه *

فإنّ قولهم قلما ، يستعملَ على ضربين : أحدهما أن يكون بمعنى النفى لايثبَت به شىء ، والآخر أن يكون خلافَ كثُر يُثبَت به شىء قليل . فمن الأوّل قولهم : قلّما سرت حتّي أدخلَها ، فتنصِب الفعلَ معه بعد حتّي ، كما تنصِب فى قولك : ماسرت حتّي أدخلَها ؛ ومنه : قلّما سرتُ فأدخلَها فتنصِب معه الفعلَ بعد الفاء كما تفعلُ ذلك بالنفى ، ومنه قَلَّ رجلٌ جاءنى إلاّ زيدٌ ؛ كما تقول : ماجاءنى إلاّ زيدٌ ؛ فهذا فى هذه المواضع بمنزلة النفى . ولو أردتَ نفىَ كثُر لجاز الرفعُ فى الفعل بعد حتَّي ، كما تقول : سرت قليلاً حتَّي أدخلُها . ولو أُجرىَ هذا الضربُ مُجرىٰ الأوّل — على معنى أنّ القليل لم يُعتدَّ به لقلّته — لـكان ذلك قياساً على كلامهم ؛ ألا تراهم قالوا : ما أدرِى أأذّن أو أقام، فجُعِل

(١) ديوان لبيد ١٨٢ والمعانى الكبير ٧٣ .

(٢) الكلام التالى لم أجده فى نسختىْ دار الكتب من الايضاح ، والأولى منهما برقم ١١٢٠ نحو وعليها هذه العبارة : من نعم الله على عبده الفقير الله ... عبد القادر ابن عمر البغدادى . والثانى برقم ١٠٠٦ نحو ، وهى تزيد على الأولى زيادة كبيرة .

الفعلُ غيرَ مُعْتَدٍّ به ! والبيت ممّا قد ثبت فيه التعريس ولم ينفِه ألبتّة ، يدُلُّكَ على ذلك قولُ ذى الرُّمَّة :

٢٦ زارَ الخيالُ لمىٍّ هاجعاً لَعِبَتْ به التَّنائفُ والمَهْرِيَّةُ النُّجُبُ[1]

مُعَرِّساً فى بياضِ الصُّبح وَقعتهُ وسائرُ السيرِ إلاّ ذاكَ منْجذِبُ

انتهى . بيانه : أنّ ذا الرمة أراد بالهاجع المعرِّسَ نفسَه . والهاجع : النائم . ولعبت به : ترامَتْ به بلْدة إلى بلدة . والمَهْرِيَّة ، بالفتح : الإبل المنسوبة إلى مَهْرة ، وهى حى باليَمَن . والنُّجُب : جمع نجيب : كرام الإبل . والتعريس : الإقامة فى آخر الليل . ومعرساً : صفة هاجعاً . أى زارنى خيالُ مىٍّ وأنا معرّس نائم . وجملة فى بياض الصبح وقعته ، صفةٌ لقوله : معرساً . يريد الوقعة التى ينامها عند الصُّبح ؛ لأنّ كلَّ مَن سار ليلتَه فذلك وقتُ إراحته ونومه . ويُروَى : (وسائرُ الليـل) . ومنجذب : خبر سائر أى ماض . وقوله : إلاّ ذاك ، استثناء للتعريس من السير ؛ وهذا وجه الدليل . ويروى أيضاً : (فى سَوادِ اللَّيل) . والتفسير فى السَّير واللَّيل والسَّواد سواء . وهذا الشعر من قصيدةٍ طويلة لذى الرمّة مطلعُها :

ما بالُ عينك منها الماء ينسكب

وهذه القصيدة أوّل ديوانه .

واعلم أنّ أبا علىٍّ قد تكلّم هنا على أقلّ وقلّ وقلّما ، بكلامٍ جيّدٍ قد اختصره الشارح المحقّق ، أحببتُ أن أنقله هنا برمّته تتميماً للفائدة : قال[2] :

---

(١) ديوان ذى الرمة ص ٧ .

(٢) وهذا النقل أيضا لم أجده فى نسختىْ الإيضاح السالفتى الذكر . والظاهر أن لأبى على إيضاحين : الإيضاح النحوى ، والإيضاح الشعرى .

اعلم أنّهم قالوا : أقلُّ رجلٍ يقول ذلك ، وأقلُّ امرأةٍ تقول ذلك ، وأقلُّ امرأتين تقولان ذلك ، فحملوا الصفةَ فيها على المضاف إليه أقلّ لا على أقلّ . فإن قال قائل : ما موضعُ تقول ذلك وتقولان ذلك ؟ فالقول فيه : أنّ موضعه جرٌّ على ما عليه استعمالهم ، ولا يجوز أن يكون موضعُه رفعاً ، لأنّه لو كان رفعاً لـكان ينبغي أن يكون محمولاً على أقل ، إمّا أن يكون وصفاً له أو خبراً . فإن قلتَ : إذا كان أقلُّ مبتدأً فما خبره ؟ فالقول فيه : أنّه لا يخلو من أن يكون مضمراً متروكَ الإظهار والاستعمال ، كما كان خبرُ الاسمِ بعدَ لولا كذلك[1] . أو يكون قد استغُنى عن الخبر بالصفة الجارية على المضافِ أقلُّ إليه ، وصار أقلُّ لا خبر له لما فيه مِن معنى النفى ، كما أنّ قلّما فى قولهم :

. . . . قلّما وصالٌ على طول الصدود يدومُ[2]

غير مسند إلى فاعلٍ ؛ لما فيه من معنى النفى ، فكما صار قَلَّ غيرَ مسندٍ إلى فاعلٍ ، كذلك أقلُّ غير مسنَد إليه خبَر ، لأنّ كلاًّ واحدٍ منهما قد جرى مَجرى صاحبه ؛ ألا ترى أنّهم قالوا قلَّ رجلٌ يقولُ ذلك إلا زيدٌ ، كما قالوا : ما رجلٌ يقول ذلك إلا زيدٌ ، وقالوا : أقلُّ رجلٍ يقول ذلك إلاّ زيدٌ ، فأبدلوا زيداً من أقلُّ وأجرَوه مُجرى قلَّ رجلٌ يقولُ ذلك إلا زيدٌ ! ألا ترى أنّه لم يُبْدَل من رجلٍ المجرورِ بل أُجرى مُجرى قلَّ رجلٌ فأمّا صفة الاسم الذى يضاف إليه أقلّ ، فإنّه يكون فعلاً أو ظرفاً ، لأن الظرف كالفعل والفاعل ، ألا ترى أنّه فى صلة الموصول كالفعلِ : فى استقلال الموصول به[3] ! وقال

(١) الرضى : « وفيه نظر ، لأنه لامعنى لقولك أقل رجل يقول ذلك إلا زيد موجود كما لا معنى لقولك أقائم الزيدان موجود » .

(٢) للمرار الفقعسى فى سيبويه ١ : ١٢ ، ٤٥٩ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٣٩ ، ١٤٤ والإنصاف ١٤٤ والمنصف ١ : ١٩١/٢ : ٦٩ . وصدره :

* صددت فأطولت الصدود وقلما *

(٣) ســ : « كالفعل فى الاستمال الموصوف به » .

أبو الحسن : لو قلتَ أقلُّ رجُلٍ ذى جُمّة ، أو نحو ذلك ، لم يحسن . قال أبو علىّ : وإنّما امتنع هذا ، لأنّ أقلّ قد أُجرى مُجرى حرفِ النفى فلم يظهر له خبر ، كما أنّ قلَّ جرى مجراه فلم يُسنَد إلى فاعل . فإذا علمتَ أنّه قد أُجرى مجرى حرفِ النفى — بما ذكرتُ ، وبأنّهم قالوا : قلَّ رجلٌ يقول ذلك إلاَّ زيدٌ — كان قولهم : أقلُّ رجل يقول ذلك ، أقلّ فيه بمنزلة حرف النفى ؛ وحرف النفى ينبغى أن يدخل على كلامٍ تامّ ، والكلام التامُّ الفعلُ والفاعلُ وما فى حكمهما من الظروف ، وليس المبتدأ وخبرُه ممـا يجرى مجرى الفعل والفاعل هنا . ألا ترى أنّ أبا الحسَن يقول : لو قلتَ أقلُّ رجل وجههُ حسَن ، لم يحسُن . فدلّ ذلك على أنّهم جعلوا أقلّ بمنزلة ما ، وما حقُّها أن تنفىَ فعلَ الحـال ، فى الأصل ؛ ويؤكّد ذلك أنه صِفة ؛ والصفة ينبغى أن تكون مصاحبـةً للموصوف ، فكما لا تدخل ما فى نفى الفعل إلاّ على فعل وفاعل ، كذلك ينبغى أن يكون الوصفُ الواقعُ بعد الاسم المضاف إليه أقلُّ فعلاً وفاعلاً ، أو ظرفاً ، لأنّ الظَّرف كالفعل . وإذا كانت كذلك ، فلو أوقعت جملة من ابتداء وخبر بَعْدَه لم يحسُن ، لأنّ ما فى الأصل لا تنفيها ، إنّما تنفى الفعلَ ؛ ولو أوقعت صفةً لا معنى للفعل فيها ، نحو ذى جُمَّة ، وما أشبهها ممّا لا يشابه الفعل ، لم يجز . ولو أوقعت الصفة المشابِهة للفعل ، نحو ضارب وصالح لم يحسُن فى القياس أيضاً ، ألا ترى أنّ هذا موضعُ جملة ، واسم الفاعل لا يسدُّ مسدَّ الجملة ؛ ولذلك لم تستقلَّ الصلة به ، واسم الفاعل فى صفة الاسم المجرور برُبَّ أحسنُ منه فى صفة الاسم المضاف إليه أقلُّ . لأنّ ربَّ وما انجرَّ به من جملة كلام ، ألا ترى أنّ الفعل الذى يتعلّق به مرادٌ ، وإن كان قد يترك من اللفظ ، كما أنّ ما يتعلّق به الكاف ، من قولك : الذى كزيد ، كذلك : فإذا كانت كذلك كانت فَضلة ، والفضلة لا تمتنع أن تُوصَف بالصفات التى لا تناسب الفعل والتى تناسبهُ ،

٢٧

وليس صفة المضاف إليه أقلّ كذلك ، ألا ترى أن أقلّ بمنزلة حرف النفى كما كان قلّ كذلك ، وحكم حرف النفى أن يدخل على جملة . ووجه جواز وصف الاسم المضاف إليه أقلُّ بصالحٍ ونحوه هُوَ أنّ [(١)] هذا الضربَ قد أجرى مجرى الْجُمَل فى غير هذا الموضع ، ألا ترى أنّ سيبويه قد أجاز حكاية عاقلة لبيبة ونحوها إذا سُمّى بهـا ، فجعَله فى ذلك بمنزلة الجمل ، حيث كان فى حكمها ، من حيث كان حديثاً ومحدَّثا عنه ؛ وقد جرى هذا النحو مجرى الفعل والفاعل أيضاً فى الاسماء المسمّى بها الفعل ، فكذلك فيما ذكرنا . والأقيَس فيما يُجرُّ بربَّ أن يُوصَف بفعلٍ وفاعل ، لأنّ أصلَ ربّ وإن كان كما ذكرنا ، فقد صار عندهم بمنزلة النفى ، ألا ترىٰ أنّها لا تقع إلاّ صدرًا كما أنّ النفى كذلك ؛ وأنّ المفرد بعد قلّ دلّ [(٢)] على أكثرٍ من واحد ، وهذا مما يختصّ به النفى ونحوه ؛ فإذا كان كذلك ، صار ذلك الأمر كالمرفوض ، وصار الحكم لهذا الذى عليه الاستعمال الآن . وقد صار كالنفى بما لزمه بما ذكرنا ، كما صار أقلُّ رجلٍ بمنزلة ذلك ، فكما أنّ حكم صِفة المضافِ إليه أقلُّ أن يكون على ما ذكرنا ، كذلك حكم ما انجرّ برُبّ . ومما يدلُّ على أنّ أقلّ منزّلٌ منزلةَ النفى ، امتناعُ العوامل الداخلة على المبتدإ من الدخول عليه ، امتناعَها من الدخول على ما لزِمَه حرفُ النفى . وممّا جرى مجرى أقلُّ رجل ، فيما ذكرنا ، قولهُم : خَطيئة يوم لا أصيدُ فيه ؛ ألا ترىٰ أنّ الكلام محمولٌ على ما أضيف خطيئة إليه ، كما كان محمولاً على ما أضيف أقلُّ إليه ، ولم يعدْ على خطيئة ممّا بعده ذِكر ، كما لم يعدْ على أقلّ شىء ممّا بعده . وقياس خطيئة أن تمتنع العواملُ الداخلة على المبتدإ والخبر من الدخول عليها ، كما امتنعت من الدخول على أقلّ ، لاتّفاقهما فيما ذكرتُ

---

(١) فى النسختين : « واق » . وبدله فى الرضى : « فلإعطائه معنى الفعل » .

(٢) كذا فى النسختين ، وغيره الشنقيطى بقلمه هكذا « بعده قد دل » .

وفى المعنى ، ألا ترىٰ أنّه يريد ما يومٌ لا أصيد فيه إلاَّ الخطيئة[١] ، فصار كقولهم أقلّ من جهة المعنى ومن جهة حمْل ما بعدها على ما أُضيف إليه من دونها . والقياس فيها وفى أقلّ أن يكون ما جرىٰ بعدهُما من الكلام قد سدّ مسدّ الخبر ، وصار معنى أقلُّ امرأتين تقولان ذلك ، ما امرأتان تقولان ذلك ؛ وكذلك خطيئة ، فحُمل الكلام علىٰ المعنى ، فلم يُحتَج إلى إضمار خبرٍ كما لم تحتج إليه فى قولك : أذاهبٌ أخَواك ، وما أشبهه . انتهى كلام أبى عليّ ، وسُقناه برمّته لِنفَاسته .

٢٨

صاحب الشاهد

وبيت الشاهد من قصيدةٍ طويلةٍ للَبيد بن رَبيعة الصحابىّ ، عدّة أبياتها خمسة وثمانون بيتاً ، ولا بدّ من ذكرِ أبياتٍ متّصلة به ليتّضح معناه ، وهى :

أبيات الشاهد

(ومَجُودٍ مِن صُباباتِ الكَرىٰ عاطفِ النُّمْرُقِ صَدْقِ المبْتذَلْ

قال هجِّدْنا فقد طالَ السُّرىٰ وقدَرنا إنْ خَنَىٰ الدهرِ غَفَلْ

يتّقى الأرضَ بدَفٍّ شاسِفٍ وضُلوعٍ تحتَ صُلْبٍ قد نَحَلْ

فلمّا عرّسَ حتّى هجتُه بالتَباشير مِنَ الصُبحِ الأُوَلْ

يلْمِسُ الأحلاسَ فى منزِله بيدَيه ، كاليَهودىِّ المُصَلّ

يَتمارَى فى الذى قلتُ له ولقدْ يَسمَعُ قولى حيَّهَلْ

فوَردْنا قبلَ فُرّاطِ القَطا إنّ مِنْ وِرْدِى تَغْليسَ النَّهَلْ)

قوله : ومَجُودٍ من صُبابات الخ ، الواو واو رُبَّ ؛ والمجود : الذى جاده النُعاس[٢] وألحَّ عليه حتّى أخذه فنام ؛ من الجود بالفتح وهو المطر الغزير ،

---

(١) سه : « الخطأ » . وانظر لقولهم خطيئة يوم لا أصيد فيه سيبويه ١ : ونهاية مادة (خطأ) من اللسان .

(٢) ط : « الناس » صوابه فى سه .

يقال أرض مَجُودة أى مَغيثَة ، وجِيدَت الأرضُ : إذا مُطِرت جَوْدا . وقال أعرابىّ : المجود : الذى قد جاده العطش أى غلبه ، كذا فى شرح أبى الحسن الطوسى . وهذا لا يناسب قوله : صُبابات الكرىٰ ، فإنّ الكرَى النومُ وصُبابته بقيّته . والجيّد ماذكره صاحب القاموس : من أنّ الجُوَاد ، كغراب : النُعاس ، وجادَه الهوىٰ : شاقَه وغلَبَه ؛ وبهذا يلتئم بما بعده . يريد : أنّه هبّ من نومه قبل أن يستكمِلَه ، فهو نَعْسَانٌ مِن بقيّة النوم . وقوله : عاطف النُمرُق ، صفة مَجُود ، والإضافة لفظية ، يريد عطَف نُمرُقَتَه وثَنَاها فنام . والنمرقة ، مثلّثة النون : الوِسادة والطِّنفسة فوق الرحْل ، وهى المرادة هنـا ؛ والطنفسة مثلّثة الطاء والفاء ، وبكسر الطاء وفتح الفاء ؛ وبالعكس : البِساط . وقوله : صَدْق المبتذَل ، بفتح الصاد أى جَلْد قوىّ لا يغيِّر عند ابتذاله نفسَه ولا يسقُط ؛ ولا يجوز أن يقال صَدْق المبتذل ، إلاّ إذا امتُهِن ووُجِد صادق المَهْنة يُوجَد عنده ما يُحَبُّ ويُراد . وفى القاموس : الصَّدْق : الصُّلب المستوى من الرماح والرجالِ ، والكاملُ من كلِّ شىء ؛ وهى صَدْقَة . والمبتذَل : مصدرٌ بمعنى الابتذال ، وهو ضد الصِّيانة ، يقال سيف صَدْق المبتذَل أى ماضى الضريبة . وقوله : قال هجّدنا الخ ، قال هو متعلّق رُب . والتهجيد من الأضداد : يقال هجّده إذا نوّمه ، أى دعنا ننام ، وهو المراد هنا ، وهجّده : إذا أيقظه . والفاء للتعليل . والسُّرىٰ بالضمّ : سير عامة الليل . وقوله : وقدرنا ، أى وقدَرنا على ورود المـاء ، وذلك إذا قرُبوا منه . وفى القاموس : وبيننا ليلة قادرةٌ : هيِّنة السَّير لا تعبَ فيها . والخَنىٰ ، بفتح المعجمة والقصْر : الآفة والفساد ؛ أى إنْ غفل عنّا فسادُ الدهر فلم يعُقْنا . وقيلَ : قدَرنا ، أى على التهجيد ؛ وقيل : على السَّير . وقوله : يتقى الأرض الخ ، أخبرَ عن صاحبه النعَسانِ بأنّه يتّقى الأرض أى يتجافىٰ عنها . والدَفّ ، بفتح الدال : الجنْب . ورُوِى :

(يتقي الرِّيحَ) . والشاسف ، بتقديم المعجمة على المهملة : اليابس ضُمْراً وهُزالاً ، وقد شَسَف كنصر وضرب وكرم ، شُسُوفاً وشَسافة ، ويكسَر : إذا يبِس ونحل جسمُه ، كمنع وعلم ونصر وكرم ، نُحولاً : ذهب من مرضٍ أو سفَر .

وقوله : (قلّما عرَّس الخ) ما المتّصلة بِقَلَّ كافّةٌ لها عن طلب الفاعل ، وجاعلةٌ إيّاها بمنزلة ما النافية في الأغلب ، وهنا لإثبات القِلّة كما تقدَّم ؛ وما تتّصل بأفعالٍ ثلاثة فتكفُّها عن طلب الفاعل ، وهي قَلّما وطالما وكثُر ما ، وينبغي أن تتَّصل بالأوّلَين كتابةً . و (التعريس) : النزول في آخر الليل للاستراحة والنَّوم ، ومثله الإعراس . و (هِجتُهُ) : أيقظته من النوم ؛ وهاج يَهيج يجيء لازماً ومتعدِّياً ، يقال هاج : إذا ثار ، وهجته : إذا أثرته . وحتّي هنا حرف جرّ بمعنى إلاّ الاستثنائية ، أي ما عرّس إلاّ أيقظته ، أي نامَ قليلا ثم أيقظته ؛ وأكثر دُخولها على المضارع ، كقوله :

ليسَ العطاء من الفُضولِ سَماحةً حتّي تَجودَ وما لديكَ قَليلُ[1]

وقوله : (بالتَّباشير) أي بظهورها ؛ والتباشير : أوائل الصبح ، وهو جمع تَبشير ، ولا يُستعمَل إلاّ جمعاً ؛ قال في القاموس : التباشير البُشرىٰ ، وأوائل الصبح وكلّ شيء ، وطرائقُ على الأرض من آثار الرياح ، وآثارٌ بجنْب الدّابّة من الدَّبَر ، والبواكر من النَخل ، وألوان النخْل أوّلَ ما تُرطِب . انتهى

ولكونه مشترَكاً بين هذه المعاني ، بيَّن المرادَ بقوله : (من الصبح) و (الأُوَل) صفة التباشير ، وهو بضمٍّ الهمزة وفتح الواو جمع أُولىٰ مؤنث

---

(١) البيت للمقنع الكِندى . انظر العيني ٤ : ٤١٢ وشرح شواهد المغني ١٢٨ .

الأوّل ، كالكُبَر جمع كُبرى . وقد جاء هذا المصراعُ الثانى فى شعر النابغة الجعدىّ ، وهو :

وشمولٍ قَهْوةٍ باكرتُها فى التَّباشير من الصُبح الأُوَلْ

والنابغة وإن كان عصرِىَّ لَبيد ، إلاّ أنّه أسنُّ منه — كما بيّنّاه فى ترجمتهما[1] — وقد عيب هذا البيتُ على النابغة ، قال صاحب تهذيب الطبع : وأما الأبيات المستكرهة الألفاظ ، المتفاوتة النسج ، القبيحة العبارة ، التى يجب الاحتراز منها كقول[2] النابغة الجعدىّ :

وشمولٍ قهوةٍ باكرتُها فى التَّباشيرِ من الصُّبح الأُولْ

يريد بالتباشير الأُوَل من الصُبح . وعابه المرزُبانىّ أيضاً فى كتابه الموشّح[3] .

وقوله : يلمس الأحلاسَ ، فاعل يلمس ضمير المجُود . واللَّمْس : الطَّلَب ، وفعله من بابى قتل وضرب . والأحلاس . جمع حِلْس ، بالكسر ، وهو كِساء رقيق يكونُ على ظهر البَعير تحتَ رَحْله . أى يطلبها بيديه وهو لا يعقِل من غلَبةِ النعاس . وقوله : كاليهودى المُصَلْ ، قال الطوسىّ فى شرحه : كأنه يهودىٌّ يصلّى فى جانب يسجُد على جبينه هذا . كلامه . واليهودىُّ يسجد على شِقٍّ وجهه ، وأصلُ ذلك أنّهم لما نُتق الجبلُ فوقَهم ، قيل لهم : إمّا أن تسجدوا وإمّا أن يُلقى عليكم ، فسجدوا على شِقّ واحدٍ مخافةَ أن يسقط عليهم الجبل ، فصار عندهم سُنّةً إلى اليوم . وقوله : يمارىَ فى الذى قلتُ له الخ ،

---

(١) هذا سهو من البغدادى ، فإنه إنما تعرض للمقارنة بين سن النابغتين فى هذا الجزء من الخزانة ص ١٦٧ . وترجمة لَبيد تقدمت فى ٢ : ص ٢٤٦

(٢) الوجه : « فكقول » .

(٣) الموشح ص ٦٧ .

هذا البيت أورده الشارح فى اسم الفعل[١]، وهناك يشرح إن شاء الله تعالى .

٣٠ التمارى فى الشىء والامتراء فيه : المجادلة والشكُّ فيه ؛ يقال ما ريت الرجل أُماريه مِراءً ومُماراة : إذا جادلته ؛ والمِرية : الشكّ . قال الطوسىّ : يقول : قال له الصبحَ ؛ والنجاء ، قدْ أصبحتَ ؛ ونحو هذا من الكلام . وحَيَّهَلْ : أى أسرِع وأعْجِل : قال السيِّد المرتضىٰ فى أماليه[٢] : (غُرَر الفوائد ، ودُرَر القلائد) : قد قال الناسُ فى وصف قلَّة النوم . ومواصلة السُّرىٰ والإدلاج ، وشعَث السارِينَ ، فأكثروا ؛ فمن أحسن ما قيل فى ذلك قولُ لَبيد . وأنشدَ هذه الأبياتَ الخمسةَ ، وأورد لها نظائرَ جيِّدة . وقوله : فوردنا قبل فُرَّاط القطا الخ ، القَطا مشهورٌ بالتبكير والسَّبْق إلى الماء : وفُرَّاط القَطا : أوائلها ؛ وهو جمع فارطٍ ، يقال فرطت القومَ أفرُطهم فرطاً ، من باب نصر : أى سبقتهم إلى الماء . وقوله : إنّ من وِردىَ الخ ، أى من عادتى . والتغليس : السير بغَلَس ، وهو ظُلمة آخر الليل ؛ يقال غلّسنا الماء أى وردناه بغَلَس . والنَّهَل : الشَّرْبة الأولىٰ ؛ والعلَل الشَّربة الثانية : قال الطُوسىّ : قال أبو الوليد : أراد المنهَل ، ولكنّه لم يستقم له البيت .

وترجمة لَبيد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة[٣] ومطلع هذه القصيدة :

(إنّ تقوىٰ ربِّنا خيرُ نَفَلْ وبإذْن الله رَيْثى والعَجَلْ[٤]
أحمَدُ اللهَ ، فلا نِدَّ له بيدَيه الخيرُ ، ما شاءَ فعلْ)

---

(١) وهو الشاهد الحادى والستون بعد الأربعمائة .
(٢) أمالى المرتضى ١ : ٥٤٧ .
(٣) الخزانة ٢ : ص ٢٤٦
(٤) ط : « وعجل » .

من هَداه سُبُلَ الخير اهتدى ناعمَ البال ، ومَن شاء أضَلّْ !)

قوله : خير نَفَل ، هذه رِواية الأصمعىّ ، وروى أبوعبيدة : (خير النَّفَل) والنفل : الفضل والعطيّة ؛ كذا قال الطوسيّ : واستشهد صاحب الكشّاف بهذا البيت فى سورة الأنفال على أنّ النفَل بالتحريك الغنيمة . وأصله الزيادة ، ولهذا يقال هذا نفَل أى فَضْل وزيادة ؛ ومنه النافلة فى الصلاة . والرَّيث مصدر رِثْت أريث : إذا أبطأت .

قال السيِّد المرتضىٰ فى أماليه[1] : وممّن قيل إنّه على مذهب الجَبْر من المشهورين ، لَبيدُ بن ربيعةَ العامرىّ واستدلَّ بقوله :

إنَّ تَقوىٰ ربِّنا خيرُ نَفَلْ وبإذنِ اللهِ رَيْثى والعَجَلْ
مَنْ هَداه سُبُلَ الخير اهتدَى ناعمَ البالِ ، ومَنْ شاء أضَلّ

وإن كان لاطريق إلى نَسَب الجَبْر إلى مذهب لبيدٍ إلاّ هذان البيتان ، فليس فيهما دلالةٌ على ذلك . وأمّا قوله : وبإذن الله رَيثى والعَجَل ، فيحتمل أن يريد بعلمه ، كما يُتأوَّل عليه قوله تعالى : ﴿ وَما هُمْ بِضَارِّين بِهِ مِنْ أحدٍ إلاَّ بإِذْنِ اللهِ[2] ﴾ : أى بعلمه . وإن قيل فى هذه الآية انّه أراد : بتخليته وتمكينه — وإن كان لاشاهد لذلك فى اللغة — أمكن مثلُه فى قوْل لبيد . وأمّا قوله : مَنْ هداه سُبُلَ الخير الخ ، فيحتمل أن يكون مصروفاً إلى بعض الوُجوه التى يُتأوَّل عليها الضلال والهدى المذكوران فى القرآن ، ممّا يليق بالعدل ولايقتضى الإجبار ، اللهمَّ إلاّ أن يكون مذهب لبيد فى الإجبار معروفاً بغير هذه الأبيات ، فلا يُتأوَّل له هذا التأويل ، بل يحمَل على مراده ، على موافقة المعروف من مذهبه . انتهى كلامه .

* * *

(١) أمالى المرتضى ١ : ٢١ . (٢) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد المائتين :

٢٢٩ ﴿ وما اغترَّه الشَّيبُ إلاّ اغتِرارَا[١] ﴾

٣١ على أنّ ما بعدَ إلاّ مفعول مطلق مؤكِّد للفعل قبلَه .

ووجَّه الشارحُ المحقِّق صحَّةَ التفريغ فى المفعول المطلق المؤكَّـد . وقوله : إنّ ابنَ يَعيشَ قال: أصلُه وما اغترّه اغتراراً إلاَّ الشيبُ ، فقدَّم وأخر . فهذا القول إنّما هو لأبى علىٍّ الفارسىّ ، وابنُ يَعيشَ مسبوقٌ به . قال ابنُ هشامٍ فى المُغنَي : قال الفارسىُّ : إنّ إلاّ قد توضَع فى غير موضعها مثل : ﴿إنْ نَظُنُّ إلاّ ظنًّا ﴾[٢] . وقوله :

وما اغترَّه الشَّيبُ إلاَّ اغتراراً

لأنّ الاستثناء المفرَّغ لايكون فى المفعول المطلق التوكيدىّ ، لعدم الفائدة فيه . وأجيب : بأنّ المصدر فى الآية والبيت نَوْعىٌّ على حذف الصفة ، أى إلاَّ ظنًّا ضعيفاً ، وإلّا اغتراراً ضعيفاً . انتهى . وكذا قال الُخفَاف الإشبيلىّ فى شرح الجمل : قال : وهذا عندى أن تكون إلاّ فى موضعها ، ويكونَ ممّا حُذف فيه الصفة لفهم المعنى ، كأنّه قال : إنْ نظنُّ إلاّ ظنًّا ضعيفاً ، وما اغترَّه الشَّيب إلّا اغتراراً بيِّناً[٣] . وهذا أَولى لأنَّه قد ثبت حذفُ الصفة ولم يثبتْ وضعُ إلاّ فى غير موضعها .. وهذا جوابٌ ثانٍ ، لكنْ جواب الشارح المحقّق أدقّ .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

---

(١) ديوان الأعشى ٣٥ وابن يعيش ٧ : ١٠٧ وشرح شواهد المغنى ٢٤٠ .

(٢) الآية ٣٢ من سورة الجاثية .

(٣) كذا فى النسختين ، ولعلها « هينا » .

(أَحلَّ له الشَّيبُ أثقالَه)

وأحلّ : أنزل ؛ والإحْلال : الإنزال . والأَثقال : جمع ثَقَل بفتحتين ، وهو متاع المسافر وحَشَمُه .

والبيت من قصيدةٍ للأعشى مَيمون ، وقد تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب[1] . وهذا مطلع القصيدة :

(أأزمعتَ مِنْ آلِ لَيلى ابتكارا   وشَطَّتْ على ذى هوًى أنْ تُزارا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد المائتين :

٢٣٠ (يُطالبُنى عمِّى ثمانين ناقةً   ومالىَ يا عَفراء إلاَّ ثمانيـا[2])

على أنّ الفرّاء يُجيز النصب على الاستثناء المفرَّغ ، نظراً إلى المقدَّر ؛ استدلالاً بهذا البيت : فإن المستثنى منه محذوفٌ تقديره : ومالى نوقٌ إلاّ ثمانيا . وردَّه الشارح المحقّق بما ذكره[3] .

أقول : هذا البيت من قصيدةٍ نونيَّة طويلةٍ ، عدَّتها ثلاثة وسبعون بيتاً ، لعُرْوة بن حِزامٍ العُذْرىّ . والبيت قد تحرَّف على مَن استشهَد به ، وروايته هكذا :

(يُـكلِّفنى عمِّى ثمانين بَـكْرةً   وَما لىَ يا عَفراء غيرُ ثمانِ)

ورُوى أيضاً :

(يُـكلِّفنى عمِّى ثمانينَ ناقةً   وما لىَ والرحمنِ غيرُ ثمانِ

(١) الخزانة ١ : ص ١٧٥

(٢) ديوان عروة ٤ وأمالى القالى ٣ : ١٦٠ برواية : « غير ثمان » .

(٣) شرح الرضى على الكافية ١ : ٢١٧ .

وعلى هذا فالاستثناء على الطريقة المألوفة .

وهذه القصيدة ثابتةٌ فى ديوانه أقلَّ ممّا ذكرنا ، وعدَّتها على مافيه ثلاثة وثلاثون بيتاً ، وأوردها بالعدد الأوّلِ[1] القالىُّ فى آخر ذيل أماليه وفى أوّل نوادره[2] . وقد ترجمْنا عُروة بنَ حِزامٍ مع عَفراء العذريَّين ، وذكرنا حكايتَهما مفصَّلة فى الشاهد السادس والتسعين بعد المائة[3] .

والقصيدة غراميَّةٌ فلا بأس بإيرادها ؛ لانسجامها ورقَّتها ، وأخْذها بمجامع القلوب . قال القالىُّ فى الذيل وفى النوادر : قال أبو بكر : وقصيدة عُروة النونيَّةُ يختلف الناسُ فى أبيات منها ، ويتفقون على بعضها ؛ فأوّل الأبياتِ المجمَع عليها وما يتلوها ، ممّا لايُختَلف فيه ، أنشدنى جميعَه أبى رحمه الله ، عن أحمد بن عُبيد وغيره ، وعبدُ الله بن خلفٍ الدلاّل عن أبى عبد الله السَّدوسىّ ، وأبو الحسن بن برّاء عن الزُّبَير بن بكّار ؛ وألفاظهم مختلطةٌ بعضُها ببعض : ٣٢

(خليليَّ مِنْ عُليا هِلالِ بنِ عامرٍ بصنعاء عُوجا اليومَ وانتَظِرانى
ولا تَزهَدا فى الأجر عندى وأجْمِلا فإنّكما بى اليومَ مُبتَلَيانِ
ألم تعلما أنْ ليسَ بالمَرْخِ كلّه أخٌ وصَديقٌ صالحٌ ، فَذَرانى

(١) عدد أبياتها فى الأمالى اثنان وثمانون ، لا ثلاثة وسبعون . وسيسرد البغدادى هذه القصيدة ثلاثة وسبعين بيتاً ، فلعلها كذلك فى نسختة من الأمالى . وعدد أبياتها فى الديوان ١٢٨ بيتا .

(٢) الميمنى : لا قرار له ، فتارة يسمى الجزء اللاحق بذيل الأمالى : صلة الذيل ، وأخرى : النوادر ، وأخرى غير ذلك على أن هذه القصيدة ليست فى آخر ذيل الأمالى بل هى مطلع صلة الذيل التى سماها هنا (النوادر) غلطاً . وانظر ٣ : ١٥٧ من الطبعة الثانية . والقصيدة أو بعضها فى الأغانى ٢٠ : ١٥٤ والعينى ٢ : ٥٥٣ والسيوطى ص١٤١ وتزيين الأسواق ص ٧٣ .

(٣) فى هذا الجزء من الخزانة ص ٢١٥ .

أفى كلِّ يومٍ أنت رامٍ بلادَها ... بعينين إنساناهما غَرِقانِ

ألا فاحملانى ، باركَ اللهُ فيكما ! ... إلى حاضرِ الرَّوحاء ثُمَّ دَعانى

على جَسْرة الأصلاب ناجيةِ السُّرى ... تُقطِّع عَرْضَ البيدِ بالوخدَانِ

ألِما على عَفراء ، إنَّكما غداً ... لشحطِ النوى والبَيْنِ مُعترفانِ(١)

فياواشِيَيْ عفرا ، دَعانى ونظرةً ... تَقَرُّ بها عيناىَ ، ثُمَّ كِلانى

أغرَّكما منى قميصٌ لبِستُه ... جديدٌ وبُردا يَمْنةٍ زَهَيانى(٢)

متى ترفعا عنِّي القميصَ تَبَيَّنا ... بِىَ الضُّرَّ من عفراء يا فتَيانِ(٣)

وتعترفا لحماً قليلًا وأعظُما ... دِقاقاً وقلباً دائمَ الخفقانِ

على كبدى من حُبِّ عفراء قُرْحةٌ ... وعيناىَ ، مِنْ وجْدٍ بها ، تَكِفانِ

فعفراء أرجى الناس عندى مَودَّةً ... وعفراء عنِّي المعرَضُ المتدانى

قال أبو بكر : قال بعض البصريِّين : ذكَّر المعْرِض ، لأنه أراد : وعفراء عنِّي الشخص المعْرض . وقال الكوفيّون : ذكَّره بناءً على التشبيه ، أى وعفراء عنِّي مثل المعْرض ، كما تقول العرب : عبد الله الشمسُ مُنيرةً ، يريدون مثلُ الشمس فى حال إنارتها .

فياليت كلَّ اثنينِ بينهما هوًى ... مِن الناسِ والأنعام يلتقيانِ(٤)

فيقضى حَبيبٌ مِن حَبيب لُبانةً ... ويَرعاهُما ربِّى فلا يُرَيانِ

ويُروى : (فيستُرْهما ربِّى) على أنّ الأصلَ يستُرُهما ، فسكَّن الراء لكثرة الحركات .

---

(١) فى الديوان والأغانى والأمالى : « بشحط » .

(٢) فى الديوان : « زهوان » ، وفى الأمالى : « زهيان » .

(٣) ط : « الضد » تحريف ، وفى سه : « الداء » وأثبت ما فى الديوان والأمالى وفى الديوان أيضا : « حتى تكشفا عنى القميص » .

(٤) فى شرح شواهد المغنى للسيوطى : « يأتلفان » .

هوىَ ناقتى خلفى وقدّامىَ الهوىَ ، وإنّى وإيّاها لمختلفانِ
هواىَ أمامى ليس خلفى معرَّجٌ وشوقُ قلوصى فى الغدوِّ يمانِ
هواىَ عراقىٌّ ، وتثنى زمامها لبرقٍ ، إذا لاح النجومُ ، يمانِ
متى تجمعى شوقى وشوقكِ تظلعى ومالكِ بالعبءِ الثقيلِ يدانِ
يقول لىَ الأصحاب ، إذ يعذلوننى : أشوقٌ عراقىٌّ وأنتَ يمانِ !
وليس يمانٍ للعراق بصاحب عسى فى صروف الدهرِ يلتقيانِ
تحمّلتُ من عفراء ما ليس لى به ولا للجبالِ الراسياتِ يدانِ
كأنّ قطاةً علِّقتْ بجناحها على كبدى من شدّة الخفقان !
جعلتُ لعرّاف اليمامةِ حكمَه وعرّافِ حجرٍ إنْ هما شفيانى[(١)]
فقالا : نعم ، نشفى من الداء كلّه وقاما مع العوّادِ يبتدرانِ[(٢)]
فما تركا من رقيةٍ يعلمانها ولا سلوةٍ إلاّ وقد سقيانى
ولا شفيا الداء الذى بىَ كلَّه وما ذخرا نصحاً وما ألوانى
فقالا : شفاك اللهُ ، واللهِ ما لنا بما ضمّنت منكَ الضلوعُ يدانِ !
فرحتُ من العرّاف تسقط عمّتى عن الرأس ما ألتاثها ببنانى
معى صاحبا صدقٍ ، إذا ملت ميلةً وكانا بدفَّىْ نضوتى عدلانى[(٣)]
فيا عمُّ ياذا الغدرِ لا زلتَ مبتلًى حليفاً لهمٍّ لازمٍ وهوانِ
غدرتَ ، وكان الغدرُ منكَ سجيةً فألزمتَ قلبى دائمَ الخفقانِ

٣٣

(١) الأمالى : « وعراف نجد » . وحجر ، بالفتح ، هى اليمامة .
(٢) ط : « يبتدرانى » وأثبت مافى ـه والديوان والأمالى .
(٣) فى النسختين : « وكان » ، صوابه فى الديوان والأمالى .

وأورثتني غمًّا وكرباً وحسرةً ... وأورثتَ عيني دائمَ الهملانِ[1]

فلا زلتَ ذا شوقٍ إلى مَن هويته ... وقلبك مقسومٌ بكلِّ مكانِ

وإنّي لأهوى الحشرَ، إذ قيل إنّني ... وعفراءَ يومَ الحشرِ مُلتقيانِ

ألا يا غُرابَي، دِمنةِ الدار، بيِّنا: ... أبالهجرِ من عفراءَ تنتحبانِ

فإن كان حقًّا ما تقولانِ فاذهبا ... بلحمي إلى وكريكما فكلاني

كِلاني أكلاً لم يرَ الناسُ مثله ... ولا تهضما جنبيَّ وازدرِداني

ولا يعلمنَّ الناسُ ما كان ميتتي ... ولا يأكلنَّ الطيرُ ما تذَران[2]

ألا لعنَ اللهُ الوُشاةَ وقولَهم: ... فلانةُ أمستْ خُلّةً لفلانِ

إذا ما جلسْنا مجلساً نستلِذُّه ... تَواشَوا بنا، حتّى أملَّ مكاني

تَكنّفني الواشُون من كلِّ جانبٍ ... ولو كان واشٍ واحدٌ لكفاني

ولو كان واشٍ باليمامة دارُه ... أحاذره من شؤمه، لأتاني[3]

يكلِّفني عمّي ثمانينَ بكرة ... ومالِيَ والرحمنِ غيرُ ثمانِ[4]

فيا ليتَ مَحْيانا جميعاً، وليتنا ... إذا نحن مُتنا ضمَّنا كفنانِ

ويا ليتَ أنّا الدهرَ في غير رِيبةٍ ... خليّان نرعى القفرَ مؤتلفانِ

فواللهِ ما حدّثتُ سِرّكِ صاحباً ... أخاً لي ولا فاهتْ به الشفتانِ

سِوى أنّني قد قلتُ يوماً لصاحبي ... ضُحًى وقَلوصانا بِنا تخدانِ

ضُحَيّاً ومسَّتْنا جَنوبٌ ضعيفةٌ ... نسيمٌ لريّاها بنا خفقانِ[5]

(١) ط: «وألبستني غما»، وأثبت ما في ش والديوان والأمالي.

(٢) الديوان والأمالي: «ما كان قصتي».

(٣) في رواية بالديوان: «وداري بأعلى حضرموت أتاني».

(٤) الأمالي: «ثمانين ناقة».

(٥) ط: «ضحينا» صوابه في ش والديوان والأمالي.

تحمّلتُ زفْراتِ الضحىٰ فأطقتُها ... ومالى بزَفْرات العَشِىِّ يَدانِ

فيا عمُّ لا أُسقِيتَ مِنْ ذى قرابة ... بلالاً ، فقد زَلّت بكَ القدَمانِ

ومنَّيتَني عَفراء حتّي رجوتُها ... وشاعَ الذى مُنِّيتُ كلَّ مكانِ

فواللهِ لولا حُبُّ عفراء ما التقىٰ ... علىَّ رواقا بيتِك الخَلَقانِ

خَلِيقان هَلْهالانِ لا خيرَ فيهما ... قبيحانِ يَجرى فيهما اليرَقانَ (١)

رواقان خفّاقانِ لا خيرَ فيهما ... إذا هبّت الأرواحُ يَصْطَفِقَانِ (٢)

ولم أتبعَ الأظعانَ فى رَونق الضُّحىٰ ... ورَحْلى على نَهّاضة الحدَيانِ

لِعفراء إذْ فى الدهر والناس غِرّةٌ ... وإذْ خُلُقانا بالصِّبا يَسَرانِ

لأدنوَ من بيضاء خفّاقةِ الحشا ... بُنَيّةِ ذى قاذورة شنَآنِ

كأنّ وشاحَيها إذا ما ارتدَتْهُما ... وقامتْ ، عِنانا مُهْرةٍ سَلِسانِ

يَعَضُّ بأبدانٍ لها ملتقاهما ... ومَتْناها رِخْوان يضطربان (٣)

وتحتهما حِقْفان قد ضربَتْهما ... قِطارٌ من الجَوزاءِ ملتبدانِ (٤)

أعفراءُ كم مِن زَفرةٍ قد أذقتِني ... وحُزنٍ ألجَّ العينَ فى الهَمَلانِ (٥)

٣٤

(١) عجزه في الديوان : « إذا هبت الأرواح يصطفقان » ، وما هنا يطابق مافى الأمالى . وفى البيت إقواء .

(٢) ط : « رواقك » ، صوابه في ـه والأمالى . وفى الأمالى : « رواقان هفهافان » ، وفى الديوان :

رواقان تهوى الريح فوق ذراها ... وبالليـل يسرى فيهما الثقلان

(٣) كذا فى النسختين ، والذى فى الديوان والأمالى : «ومتناهما» وهما صحيحان

(٤) ط : « خفقان » ، صوابه فى ـه والديوان والأمالى .

(٥) فى النسختين : « الخ » صوابه فى الديوان والأمالى ، وقال اللحيانى فى تفسير قوله تعالى : « ويمدهم فى طغيانهم يعمهون » ، أى يُلجهم ، قال ابن سيده : فلا أدرى أمن العرب سمع يلجهم ، أم هو ، إدلال من اللحيانى وتجاسر .

قلتُ : البيت شاهد على تعدية ألج ، فليس إدلالا من اللحيانى .

وعينانِ ما أوفيتُ نشزاً فتنظرا   بمأقيهما إلاّ هما تكِفانِ !
فهل حادِيا عفراء ـ إن خِفْتُ فوتَها   علىَّ ، إذا ناديتُ ـ مُرعَوِيان
ضرُوبان للتالى القَطُوفِ إذا وَنى   مُشِيحانِ من بَغضائنا حذِرانِ [1]
فما لكما من حادِيَين ! رُميتُما   بحمىً وطاعونٍ ، ألا تقفان
وما لكما مِن حادِيينِ ! كُسِيتُما   سَرابيلَ مُغلاةً من القَطِرانِ
فويلى على عَفراء ويلاً كأنّه   على الكَبْدِ والأحشاءِ حَرُّ سنان [2]
ألا حبّذا من حبِّ عَفراء « مُلتقَى   نَعَمْ وألالا » حيثُ يلتقيانِ

قال أبو بكر : أخبرنى أبى عن الطوسىّ قال : أراد بقوله : مُلتقى نعَمْ وألالاَ ، شفتيها ، لأنّ الكلمتين فى الشفَتين تلتقيان . ورُوى :

ألا حبّذا من حبِّ عَفراء ملتقَى   نعامٍ وبَرْكٍ حيثُ يلتقيانِ [3]

وقيل [4] : هما موضعان .

لوَ انّ أشدَّ الناس وجداً ومثلَه   من الجنِّ بعدَ الإنْسِ يلتقيانِ ،
فيشتكيان الوجدَ ثُمّتَ أشتكى ،   لأضعفَ وَجدى فوقَ ما يجدانِ
فقد تركتْنى ما أعِى لمحدِّث   حديثاً وإنْ ناجيته ونجانى
وقد تركتْ عفراء قلبى كأنّه   جَناحُ غُرابٍ دائمُ الخفَقانِ)

* * *

(١) ط : « إذا دنا » صوابه فى سه والديوان والأمالى .
(٢) فى الديوان والأمالى : « حد سنان » .
(٣) ط : « عذراء » صوابه فى سه مع أثر تصحيح ، ومن الديوان والأمالى ومعجم البلدان برسم (البرك) .
(٤) فى الديوان والأمالى : « وقال » ، يعنى الطوسى .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الحادي والثلاثون بعد المائتين :

٢٣١ (مَهامِهاً وخُروقاً لا أنيسَ بها إلاّ الضوابحَ والأصداءَ والبُومَا[١])

على أنّ النصب فيه قليل، كقوله : لا أحدَ فيها إلاّ زيداً .

وفيه أنّ البيت من الاستثناء المنقطع ، فإنّ الضوابح وما بعده ليستْ من جنس الأنيس ، بخلاف المثال فإنّه استثناء متّصل .

والبيت قد أنشده الفرّاء للنَّصب على الانقطاع ، كما نقله السيد المرتضى في أماليه عند الكلام على قول النبيِّ صلى الله عليه وسلم : « لا يموتُ لمؤمنٍ ثلاثةٌ من الأولاد[٢] فتمسُّه النارُ إلاّ تحِلّةَ القسَم » قال : الاستثناء منقطع ، كأنّه قال : [فتمسُّه النار[٣]] ، لكنّ تحِلّة اليمين ، أى لكنّ ورودَ النار لا بدَّ منه ؛ فجرى مجرى قول العرب : سار الناس إلاّ الأثقال[٤] ، وأنشد الفراء :

مَهامِهاً وخُروقاً لا أنيسَ بها . . . . البيت[٥]

وهذا البيت آخر أبياتٍ عدّتُها أحدَ عشرَ بيتاً للأسود بن يَعْفُر ؛ [وهى] فى [آخر] المفضّليّات[٦] :

(قد أصبحَ الحبْلُ مِنْ أسماءَ مَصروما بعد ائتلافٍ وحُبٍّ كان مكتُوما

واستَبدَلتْ خُلّةً منّى ، وقد علمتْ أنْ لن أبيتَ بوادى الخسفِ مَذمُوما

٣٥

(١) المفضليات ٤١٩ وأمالى المرتضى ٢ : ٥٢ .

(٢) كذا فى ط والأمالى . وفى ش : « الولد » وفى هامشها : « خ:الأولاد » أى فى نسخة .

(٣) التكملة من ش والأمالى .

(٤) بعده فى أمالى المرتضى : « وارتحل العسكر إلا أهل الخيام » .

(٥) الذى فى الأمالى : « مهامها وحذوفا » ، وفى الأمالى وشرح الكافية للرضى ١ : ٢٢٠ : « إلا الصوائح » ، وسهلت فى الرضى فجاءت « إلا الصوايح » .

(٦) ص ٨٤٦ — ٨٤٩ .

عَفٌّ صَليبٌ إذا ما جُلْبَةٌ أزَمَتْ ... مِن خيرِ قومِكَ موجوداً ومعدوما

لما رأتْ أنَّ شَيبَ الرأسِ شامِلُه ... بعد الشباب ، وكان الشيبُ مسئوما

صدَّتْ وقالتْ : أرى شيباً تَفَرَّعَه ... إنَّ الشبابَ الذى يَعلو الجراثيما

كأنَّ ريقتَها بعد الكَرَىٰ اغتبقَتْ ... صِرْفاً تَخَيَّرَها الحانُونَ خُرْطُوما

سُلافَةَ الدَّنِّ مرفوعاً نصائبُـه ... مُقلَّدَ الفَغْوِ والريحانِ مَلثُوما

وقد ثوىٰ نِصفَ حولٍ أشهُراً جُدداً ... ببابِ أَفّانَ يبتارُ السَّلاليما

حتَّى تناولهـا صَهباء صافيـةً ... يَرشُو التجَّارَ عليها والتَّراجِيما

وَمَمحةِ المثى شِمْلالٍ قطعتُ بها ... أرضاً يَحارُ بها الهادُونَ دَيموما

مَهامِهـا وخروقاً لا أنيسَ بهـا ... . البيت)

قوله : قد أصبح الحبْل ، هو الوصْل . والمصروم : المقطوع . وقوله : واستبدلت خلَّةً الخ الخُلة : الخليل ؛ وهو فى الأصل مصدرٌ ولهذا يكون للواحد والجمع والمؤنَّث . قال الأصمعىّ : الخسْف : الذُّلّ ؛ وأصله أن تبيت الدابّةُ على غير علَف ، ثمّ أطلِق على من أقام على ذُلّ . وقوله : عفٌّ صَليبٌ . إلى آخره ، الصَّليب : الجَلْد على المصائب ، الصبورُ على النوائب . والجُلْبة ، بضمّ الجيم وبالموحدة . القَحط . ورُوى : (إذا ما أَزْمةٌ أزَمَت) والأَزْمة : الشِدَّة ؛ وأزَمَت : اشتدَّت ، من باب ضرب ؛ وأصل الأزْم العَضّ بالأسنان يقول : أنا صبورٌ على النوائب فى الجدْب ، حيث لا يقوم أحدٌ بحقٍّ يَنوبه ، لشِدَّة الزمان . والموجود : الحىّ ؛ والمعدوم : الميّت . وقوله : وكان الشيبُ مسئوماً ، قال الضَّبّيّ : مسئوم : مملول ، مفعول من سئِمته سآمة ، إذا مللته . وقوله : أرىٰ شَيباً تفرَّعه ، قال الضَّبّيّ : تفرَّعه أى صار فى فُروعه ، وفرْع كلِّ شىء : أعلاه . والجُرثُومة ، بالضمّ : أصل الشجَرة تجمَع إليها الرياحُ

الترابَ . يريد : أنّ الشباب يعلو ويرتفع مالا يقدر عليه الشيوخ ؛ وإنّما هذا مثَل . وقوله : كأنّ رِيقتها الخ ، اغتبَقَتْ مِنَ الغَبوق وهو شُرب العشىّ . والصِّرْف : ما لم يُمزَج . والحانونَ : جمع حانٍ بالمهملة ، وهو الخمّار . والخرطوم : أول ما ينزل من الدنّ (١) شبَّه رائحة فيها وطعْم ريقها بعد السكرى بريح الخمْر الصِّرْف . قال الأصمعىّ : إنّما خصّ الغَبوق لأنّه أقربُ من نومها ؛ قال : وإنّما خصَّ الحانينَ لأنّهم أبصَرُ بالخمر مِن غيرهم . وقوله : سُلافةَ الدَّنِّ الخ قال الضبّىّ : أراد بالمرفوعِ نَصائبُه الإبريقَ يُقلِّد الرَّيحانَ . ونصائبه : قوائمه . والفَغْوُ ، بفتح الفاء وسكون الغين المعجمة : ضَرْبٌ من النَّبت يكون طيِّباً ، وقد قيل إنّه الحِنّاء ، وهو الفاغِيَة . وقال أحمد : نصائبه ما انتصب عليه الدَّنُّ من أسفله ، وهو شيء محدَّد دقيق ؛ يُجعَل لهُ ذلك ليُرْفَع الدَّنُّ للرِّيح والشمس . يقول : قلِّد هذا الدَّنُّ الريحانَ . وهذا مثَلٌ ؛ يقول : مِنْ طِيب رائحته كأنّه قُلِّد الرَّيحانَ والمِسْك . ولذلك ذكر الفَغْو يريد رِيح الرَّيْحان . ويُرْوَى (الريحان) نصباً وخفضاً . وقوله : وقد نوىٰ نِصفَ حَولٍ الخ ، باب أفّانَ بفتح الهمزة وتشديد الفاء : موضع . ويَبتار : يختبر ويمتحِن . والسَّلالِم : ما يتَّصل به إلى حاجته . ورُوى (يَبْتاع (٢)) . والمعنى : يصونها فى مكانٍ مرتفع . وأنكر أحمدُ ما قال الضبّىّ فى الإبريق وقال : لم يذكر الإبريقَ بَعد ، وإنما نوىٰ نِصف حولٍ ليشتريَ الخمر ، أى فهو يطلبها ، لم يشترها بعد ؛ وكيف يجعلها فى الأباريق ؟ وإنّما هو يَبتار : يصعد سُلَّماً بعد سُلم ، لأنّها وُضعت على السُّطوح لبروز الشمس والريح . وقوله : حتى تناولها الخ ، قال الضبّىّ : الصَّهباء من عِنَبٍ أبيض ، والصافية : الخالصة . والتِّجار : جمع تاجر ، وهم تُجّار الخمر . والتَّراجِم : خدَمٌ

٣٦

(١) ط : « الدم » صوابه فى سه وشرح الأنبارى للمفضليات ٨٤٨ .

(٢) ط : « ينتاع » بالنون ، صوابه فى سه وشرح المفضليات ٨٤٩ .

من خَدَم الخمّارين ؛ ويقال : يريد التراجمة ، لأنّ باعةَ الخمر عُجْمٌ يحتاجون إلى من يُفهِم الناسَ كلامَهم . وقوله : وسَمْحةِ المشْى ، الواو واو رب . والسَّمْحة : السهلة . والدَّيموم : القَفْر التى لا ماء فيها ولا عَلَم . والشِّمْلال : السريعة .

وقوله : (مهاماً . . الخ) هو بدلٌ من قوله : أرضا ، فى البيت السابق . والمهمه : القفر . (والأنيس) : مَن يُؤنَس به وإليه . و (الضَوابح) : جمع ضابِح ، بالضاد المعجمة وبالموحَّدة والحاء المهملة ، وهو الثَّعلَب ؛ والضُّبَاح بالضم : صوته . و (الأصداء) : جمع صدًى ، وهو ذَكر البُوم . و (الُخروق) : جمع خَرْق ، بفتح الخاء المعجمة وآخره قاف ، وهى الفلاة التى تنخرِق فيها الرياح .

وترجمة الأسود بن يعفر تقدَّمت فى الشاهد الرابع والستين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

٢٣٢ (ولا أمرَ للمَعْصىِّ إلاّ مُضَيَّعا)

هذا عجزٌ . وصدره :

(أمرتُكمُ أمرى بمنْعرَج اللِوىٰ)

لما تقدَّم قبله . وقوله : وقال الخليل : مضيَّعا حالٌ الخ ، بهذا يسقُط قولُ

(١) فى الخزانة ١ : ص ٤٠٥

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٢ ، وانظر نوادر أبى زيد ١٥٣ والمفضليات ٣٢ ونقائض جرير والأخطل ٩٤ .

الأعلم حيث قال فى شرح شواهد سيبويه : « الشاهد فيه نصب مضيَّع على الحال من الأمْر ، وهو حالٌ من النكرة ، وفيه ضَعفٌ لأنّ أصلَ الحال أن يكون للمعرفة » انتهى .

وأقول : إنْ جُعِلَ حالاً من الضمير المستقرّ فى قوله : للمعصىّ ، فإنّه خبرُ لا النافية ، فلا يَرِد عليه ما ذكر .

وقال النحّاس : « ويجوز أن يكون حالاً للمضمَر ، التقدير : إلاّ أمراً فى حال تضييعه ، فهو حالٌ من نكرة » .

أقول : هذا التقدير يقتضى أن يكون مضيَّعا صفةً لا حالاً .

وقال الأعلم : « ويجوز نصبه على الاستثناء ، والتقدير : إلاّ أمراً مضيَّعا . وفيه قبح ، لوضع الصفة موضعَ الموصوف » .

أقول : لا قُبح ، فإنّ الموصوف كثيراً ما يُحذَف لقرينة .

وقال ابن الأنبارىّ فى شرح المفضّليّات : « الاستثناء منقطع ، ولو رفع فى غير هذا الموضع لجاز بجعله خبراً لِلا » .

أقول : يجب حينئذٍ أن يقال ولا أمراً للمعصىّ بالتنوين إلاّ ، هذا مذهب البَغداديِّين .

وهذا البيت من أبيات للكَلْحَبَة العُرَنىّ ، وقد شرحناها وذكرنا موردِها مفصَّلا وترجمناه فى الشاهد الحادى والستين[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد المائتين :

---

(١) الخزانة ١ : ص ٣٨٨ وما بعدها وقد وقع البغدادى فيما نبه عليه هناك من أن العرنى تحريف وأن الصواب (عرينى) وقد صححه الشنقيطى فى نسخته .

٢٣٣ (رأيتُ الناسَ ما حاشا قُرَيشاً فإنّا نحنُ أفضلُهُمْ فَعالا [١])
على أن الأخفش رَوَى حاشا موصولةً بما المصْدريّة .

قال ابن عَقيل فى شرح التسهيل : وسيبويه منعَ من دخول ما على حاشا ، قال : لو قلت أتونى ما حاشا زيداً ، لم يكن كلاما . وأجازه بعضهم على قلّة .. وأخطأ العَينيُّ حيث زعم أنّ ما هنـا نافية ، فإنّ مرادَ الشاعر تفضيلُ قومِه على ما عدا قريشاً ، لا تفضيلُ قومه على قريش أيضاً . وقياسه[٢] على قول النبيّ ﷺ : أُسامةُ أحبُّ الناس إلىَّ ما حاشا فاطمة . فى أنّ ما نافية ، كما قال صاحبُ المغْني ، يردُّه أنّه صرّح أنّ ما فى البيت مصدريّة ، فإنّه قال : « وتوهّم ابنُ مالك أنّ ما فى الحديث ما المصدريّة وحاشا الاستثنائية ، فاستدلَّ به على أنّه قد يقال قام القوم ما حاشا زيداً ، كما [قال[٣]] رأيت الناسَ ما حاشا قريشاً .. البيت انتهى كلام المغنى .

٣٧

و (رأيتُ) : من الرؤية القلْبية ، تطلُب مفعولَين ، والثانى هنا محذوف تقديره : دونَنا ، أو الجملةُ الاسميّة هى المفعول الثانى والفـاء زائدة كما قال الدمامينيّ . وزعم العَينىّ ، وتبعه السُّيوطىّ فى شواهد المغنى : أنّ رأيت من الرأى ، ولهذا اكتفى بمفعولٍ واحد . وهذا لا معنًى له هنا . فتأمّل . ورُوى أيضاً : (فأمّا الناسُ ما حاشا قُريشا) فالفاء فى المصراع الثانى فاء الجواب . و (الفَعال) بفتح الفاء قال ابن الشَّجَرىّ فى أماليه : هو كلُّ فعلٍ حسن : من حلم ، أو سخاء ، أو إصلاحٍ بين الناس ، أو نحو ذلك . فإن كُسِرَت فاؤه صلَح لما حسُن من الأفعال وما لم يحسُن .

(١) العينى ٣ : ١٣٦ والهمع ١ : ٢٣٣ وشرح شواهد المغنى ١٢٧ والأشمونى ٢ : ١٢٥ والتصريح ١ : ٣٦٥ .
(٢) الضمير عائد إلى العينى . وانظر العينى ٣ : ١٣٦ والمغنى (مبحث حاشا) .
(٣) التكملة من المغنى .

وهذا البيت قال العينىُّ ، وتبعه السيوطى : إنّه للأخطل من قصيدة . وقد راجعتُ ديوانَه مرّتينِ ولم أجدْه فيه ، ورأيتُ فيه أبياتاً على هذا الوزن يهجو بها جريراً ويفتخر بقومه فيهـا ، وليس فيها هذا البيت ، وأوّل تلك الأبيات :

لقـد جاريتَ يا ابن أبى جَريرٍ عَذُوماً ليس يُنظِرُكَ المِطالا (١)

والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعـد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه(٢) :

٢٣٤ (سُبحانَه ثمّ سُبحاناً نَعوذُ بهِ وقَبْلَنا سبّحَ الُجودِيُّ والُجمُد)

على أنّ سبحان الله فيه بمعنى سبحاناً . يريد : أنّ سبحانَ غير عَلَمٍ ، لمجيئه نـكرةً كما هنا ، ومعرفاً بالإضافة وباللام كما بيَّنه فى باب العَلَم . ويأتى الـكلام عليه إن شاء الله .

وأنشده سيبويه على أنّ تنـكيره وتنوينَه ضرورة ، والمعروف فيـه أن يضافَ أو يجعل مفرداً معرفة ، كقوله :

سُبحان مِن عَلقَمَةَ الفاخرِ(٣)

---

(١) عذوما ، من العذم ، وهو العض بالأسنان ، والعذوم : اللوام ، وأصله من العض. ط : « عزوما » من العزم ، والوجه ما أثبت من سـ والديوان ١٦٣ .

(٢) فى كتابه ١ : ١٦٤ . وانظر ديوان أمية بن أبى الصلت ٣٠ ومعجم البـكرى ٣٩١ وابن يعيش ١ : ٣٧ ، ١٢٠/٤ : ٣٦ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٤٨/٢ : ٢٥٠ والهمع ١ : ١٩٠ .

(٣) للأعشى . انظر الشاهد التالى . وصدره :

* أقول لمـا جاءنى فخره *

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ من أبياتٍ لورقةَ بنِ نوفل ، قالها لكُفَّار مكَّةَ حين رآهم يعذِّبون بِلالاً على إسلامه ؛ وهى[1] :

(لقد نصَحْتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم : أنا النَّذيرُ فلا يغرُرْكُمُ أحدُ
لا تعبُدُنَّ إلَهاً غيرَ خالِقِكُمْ فإن دُعِيتم فقولوا : دونه حَدَدُ[2]
سبحانَ ذى العرشِ لا شىءٌ يعادِلُه ربُّ البريَّةِ فردٌ واحدٌ صَمَدُ
سبحانَه ثم سُبحاناً نعوذُ به وقَبلَنا سبَّحَ الجودىُّ والجُمُدُ[3]
مُسخَّرٌ كلُّ مَنْ تحت السماءِ له لا ينبغى أن يناوى مُلكَه أحدُ
لم تُغنِ عن هُرمُزٍ يوماً خزائنُه والخُلدَ قد حاولتْ عادٌ فما خلَدوا
ولا سليمانَ إذْ دانَ الشُّعوبُ له الجنُّ والإنسُ تجرى بينها البُرُدُ
لا شىءَ مما ترى تَبقَى بَشَاشَتُه يَبقَى الإلَهَ ويُودى المالُ والولدُ)

٣٨

قوله : دونه حَدَد ، هو بفتح الحاء والدال المهملتين ، قال صاحب الصحاح : دونَه حَدَد أى منع . وأنشد هذا البيت . وهو من الحدِّ بمعنى المنع ؛ أى قولوا : نحن نمنع أنفسَنا من عبادةِ إلَه غيرِ الله . . وقوله : (نعوذ به) أى كلما رأينا أحداً يعبُد غيرَ الله عذْنا برحمته وسبَّحناه حتَّى يعصِمَنا من الضلال . وروى الرياشىّ : (نعودُ له) بالدال المهملة واللام ، أى نعاوده مرَّة بعد أخرى . و (الجُودِىّ) : جبل بالمَوصِل ، وقيل بالجزيرة ، كذا ورد فى التفسير ؛ قال أبو عُبيد فى المعجم : رُوى أنّ السفينة استقلّت بهم فى اليوم العاشر من

(١) انظر الروض الأنف ١ : ١٢٠ والبداية والنهاية ٢ : ٢٩٨ والأغانى ٣ : ١٥ حيث نَسَبَ الشعر إلى ورَقة بن نوفل . قال السُّهيلى : نسبه أبو الفرج إلى ورقة . وفيها أبيات تنسب إلى أمية بن أبى الصلت .

(٢) فى الروض والأغانى : « حدد » .

(٣) الروض : « سبحانا يدوم له » ، وفى الأغانى .

رجب ، واستقرَّت على الُجوديِّ يوم عاشوراء من المحرَّم . وروىٰ سعيدٌ عن قَتادةَ أنّ البيت بُني من خمسة أجبُل : من طُورِ سَيناء ، وطُور زَيتا[١] ، ولُبنانَ ، والُجوديّ ، وحِراء . والُجمُد (بضمّ الجيم والميم ، وتخفَّف الميم أيضاً بالسكون) . قال أبو عبيد : هو جبلٌ تِلقاء أَسْنُمة ، قال نُصَيب[٢] :

وعَن شمائلهم أَنقاء أسنُمةٍ وعن يَمينِهم الأنقاء والُجمُد

وقال فى أسنمة : بفتح الألف وسكون السين وضمّ النون [وكسرها معاً[٣]] وقال عُمارة بن عَقيل : هى أُسنُمة بضمّ الهمزة والنون ، وقال : هى رملة أسفَلَ الدَّهناء على طريق فلْج وأنتَ مُصعِدٌ إلى مكّة ، وهو نَقاً محدَّد طويل ، كأنّه سَنام انتهى . ورُوى أيضاً : (وقبلُ سبَّحه الجودىُّ . . الخ) بضمّ لام قبل .. وقوله : لا ينبغي أن يناوى الخ ، أى يعادى ؛ وناواه :عاداه ؛ وأصله الهمز لأنّه من النوء وهو النُّهوض . ورُوى : (أنْ يُساوى) أى لا يعادِله . وقوله : ولا سليمان إذ دانَ الخ ، دان بمعنى ذلَّ وأطاع . والشُّعوب : جمع شَعْب ، بفتح فسكون ، وهو ما تشعَّب أى تفرَّق من قبائل العرب والعجم ؛ وبينه هنا بقوله : الجنُّ والإنس ؛ وضمير بينها للشعوب . والبُرُد بضمّتين . جمع بَريد ، وهو الرسول . وقوله : ويُودِى المال الخ ، يقال أودى الشىء : أى هلك ، فهو مُودٍ .

---

(١) وطور زَيتا ، ساقط من ط . وفى ش : « وطور تيناء » صوابه من معجم مااستعجم ٤٠٣ ، وتاريخ مكة للأزرقى ٣٠ . والأزرق يروى الخبر عن زَيد بن نافع عن سعيد عن قَتادة . وفى النسختين ، وكذا فى معجم البكرى : « وروى أبو سعيد عن قتادة » ، وكلة « أبو » مقحمة . وهو سعيد بن أبى عَروبة . قال فى التهذيب : « وقال ابن أبى خيثمة : أثبتالناس فى قتادةسعيد بن أبى عروبة ، وهشام الدستوائى».

(٢) فى معجم ما استعجم ٣٩١ حيث نقل البغدادى : « النصيب » .

(٣) التكملة من معجم ما استعجم ١٥١ .

ورقة بن نوفل

ووَرقة بن نوفل يعدّ من الصحابة : وقد ألّف أبو الحسن برهان الدين إبراهيمُ البِقاعيّ الشافعيّ ، تأليفاً فى إيمان ورقةَ بالنبيّ وصحبتِهِ له ، ﷺ ، ولقد أجادَ فى جمعه ، وشدَّد الإنكار على مَن أنكر صحبته ، وجمعَ فيه الأخبارَ التى نُقلت عن ورقة ، رضى الله عنه ، بالتصريح بإيمانه بالنبي ﷺ ، وسروره بنبوّته ؛ والأخبارَ الشاهدةَ له بأنّه فى الجنة ، وما نقله العلماء من الأحاديث فى حقّه ، وما ذكروه فى كتبهم المصنِّفة فى أسماء الصحابة ؛ وسمَّى تأليفَه : (بذل النُّصح والشفَقَة ، للتعريف بصُحبة السيِّدِ وَرَقة ، وقال فى ترجمته : هو ورَقة بن نَوفَل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصىّ ؛ يجتمع مع النبيّ ﷺ فى جدِّ جدِّه . قال الزُّبَير بن بَكَّار : كان ورقة قد كَرِه عبادةَ الأوثان ، وطلَبَ الدينَ فى الآفاق ، وقرأ الكتب ؛ وكانت خديجةُ رضى الله عنها تسأله عن أمر النبى ﷺ ، فيقول لها : ما أُراه إلاّ نبيَّ هذه الأمّة الذى بشَّر به موسىٰ وعيسىٰ . وقال ابن كَثير[1] : قال ابن إسحاق : وكانت خديجةُ بنت خُويلِدٍ بن أسد بن عبد العُزَّى ذَكرتْ لوَرقة — وكان ابنَ عمِّها ، وكان نَصرانيًّا قد تتبَّع الكتب وعَلِم من عِلْم الناس — ما ذكر لها غلامُها ، يعنى مَيْسَرة ، من أمر الراهب [يعنى الذى قال له لمّا نزل محمد ﷺ تحت شجرة قريبة من الراهب[2]] فى السفْرةِ التى سافرها لخديجة إلى الشام : ما نَزَل تحتَ هذه الشجرة إلاّ نبيٌّ وما كان مَيسرة يرى منه إذ كان المَلَكان يُظلاّنه ؛ فقال ورقة : إنْ كان [هذا[2]] حقا يا خديجة ، إنّ محمّداً لَنبيٌّ هذه الأمّة ، وقد عرفتُ أنّه كائنٌ لهذه الأمة نبيٌّ يُنتظَر ، هذا زمانه . قال : فجعل ورقة يستبطىء الأمرَ ويقول : حتّى متى ! وقال فى ذلك :

٣٩

(١) البداية والنهاية ٢ : ٢٩٦ .

(٢) التكملة من ش .

لجِجْتُ وكنتُ فى الذِّكرى لَجُوجا لهمٍّ طالما بَعَثَ النَّشيجا
ووصفٍ من خَديجةَ بعدَ وصفٍ فقد طال انتظارى يا خديجا
ببطن المَكَّتَيْن على رجائى حديثَكِ أن أرىٰ منه خروجا[1]
بما خبَّرتِنا من قول قَسٍّ من الرُّهبان أكره أن يعوجا
بأنّ محمّداً سيَسُود يوماً ويَخصِمُ من يكون له حَجيجا
ويُظهِر فى البلاد ضياء نُورٍ يُقيم به البَرِيَّةَ أن تَموجا[2]
فيلقى من يُحاربُه خَساراً ويلقىٰ من يُسالمه فُلوجا[3]
فياليتى إذا ما كان ذاكُمْ شَهِدتُ وكنتُ أوَّلَهم وُلوجا
أرجّى بالذى كرهوا جميعاً إلى ذى العرش إن سَفلوا عُروجا
وهل أمرُ السفاهة غيرُ كُفرٍ بمَن يَختارُ مَنْ سَمَكَ البُروجا[4]
فإن يَبقَوا وأبقَ تكنْ أمورٌ يضِجُّ الكافرونَ لها ضَجيجا
وإن أهلِكْ فكلُّ فتًى سيَلقىٰ من الأقدار مُتلِفة خروجا[5]

ومات ورقة فى فترة الوحى، رضى الله عنه، قبل نزول الفرائض والأحكام.

---

(١) فى النسختين «المكتبين» صوابه في ش مع أثر إصلاح والبداية والنهاية والسيرة ١٢١ والروض الأنف ١ : ١٢٥ قال السُّهيلى : « ثنى مكة وهى واحدة لأن لها بطاحا وظواهر » . وكانت قريش قبيل الإسلام فريقين : أحدهما قريش الظواهر ، وهم الذين يتحرجون أن يبنوا إلى جنب بيت الله بيوتاً فنزلوا فى ظواهر مكة ، والآخرون المقيمون ببطحاء مكة مجاورين البيت ، كان يقال لهم قريش البطاح .

(٢) هذا يوضح معنى النور والضياء ، فالضياء هو المنتشر عن النور ، والنور هو الأصل . عن السهيلى .

(٣) الفلوج : النصر والغلبة . ط : « من يجاريه » ، صوابه فى ش والسيرة والبداية والنهاية .

(٤) ط : « الشفاعة » صوابه فى ش . وفى السيرة والبداية « السفالة » .

(٥) ط : « متلفه » صوابه فى ش والسيرة والبداية .

وقال الزُّبير فى كتاب نسَب قريش : ورقة بن نوفلٍ لم يعقِب وقال رسول الله ﷺ : « لا تَسبُّوا ورَقة ، فإنِّى رأيته فى ثيابٍ بيض » . وهو الذى يقول(١) :

ارفعْ ضعيفَك لا يَحُرْ بك ضعفُه يوماً فتدرِكَه العواقبَ قد نَما(٢)

يَجزِيك أو يُثنى عليك ، وإنَّ مَنْ أثنيْ عليكَ بما فعلتَ كمَن جزىٰ

ومَرَّ ببلال بن رَبَاح رضى الله عنه ، وهو يُعذَّب برمْضاء مكّة فيقول : أَحَدٌ ! أَحَد ! فوقف عليه فقال : أَحدٌ أَحد واللهِ يا بلال ! ونهاهم عنه فلم ينتهوا ، فقال : والله لئن قتلتموه لأتخذَنَّ قبرَه حَنانا ! وقال :

* لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم *

. . . الأبيات التى شرحناها وفيها بيت الشاهد .

وقد نسَب هذه الأبيات إلى ورقة السُّهيلىُّ أيضاً ، وكذا الحافظ أبو الربيع الـكلاعىّ فى سيرته . وقال السهيلىّ : قوله : حنانا ، أى لأتخذنَّ قبره مَنسِكا ومُتَرَحَّما ، والحنان : الرحمة .

وقد وقع بيت الشاهد فى كتاب س غيرَ معزوٍّ إلى واحد ، واختلف شُرّاحُ شواهده ، فأكثرهم قال : إنَّها لأميَّة بن أبى الصلت ، وقال بعضهم : إنّها لزَيد بن عَمرو بن نُفَيل . والصواب ما قدَّمناه .

---

(١) البيتان التاليان نُسبا أيضا إلى القَريض اليهودى وهو السموءل بن عاديا أو ابنه سعية بن غريض ، ولزيد بن عمرو بن نفيل ، ولزهير بن جناب ، ولعامر المجنون الجرمى الذى يقال له مدرج الريح ، قال أبو الفرج ٣ : ١٣ « والصحيح أنه لغريض أو لابنه » ونُسبا فى السمط ٢٠٦ إلى ورقة كما هنا ، وكذلك فى حماسة البحترى ٣٩٨ وجعله يهوديا وفى الشعراء ٣٤١ والعقد ١:٢٧٩/٥ : ٢٧٥ إلى زهير ابن جناب . وفى اللآلىء ٢٠٦ .

(٢) فى الشعراء والعقد « عواقب ماجنى » .

وحاصل ما ذكره البقاعيّ فى شأن ورقة بن نوفل : أنّه ممن وحّد الله فى الجاهليّة ، فخالفَ قريشاً وسائرَ العرب فى عبادة الأوثان وسائرِ أنواع الإشْراك ، وعرّف بعقله الصحيح أنّهم أخطئوا دينَ أبيهم إبراهيم الخليلِ عليه السلام ، ووحّد الله تعالى واجتهد فى تطلب الحنيفيّة دينِ إبراهيم ليعرف أحبَّ الوجوه إلى الله تعالى فى العبادة ؛ فلم يكتفِ بما هَدَاه إليه عقله ، بل ضرب فى الأرض ليأخُذَ علمَه عن أهل العلم بكتُبِ الله المنْزَلة من عنده ، الضابطةِ للأديان ، فأدّاه سؤاله أهلَ الذكرِ الذين أمر اللهُ بسؤالهم إلى أن اتّبعَ [الدين[1]] الذى أوجبه الله فى ذلك الزمان ، وهو الناسخ لشريعة موسىٰ عليه السلام : دين النّصرانيّة ، ولم يتّبعهم فى التبديل ، بل فى التوحيد ؛ وصار يبحث عن النبيّ ﷺ الذى بَشَّر به موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام ، فلما أخبرته ابنةُ عمِّه الصدِّيقة الكبرىٰ خديجةُ رضوان الله عليها بما رأت وأُخبرتْ به فى شأن النبيّ ﷺ من المَخَايل : بإظلال الغمام ، ونحوها ، ترَجّى أن يكون هو المبشَّر به ، وقال فى ذلك أشعاراً يتشوّق فيها غايةَ التشوُّق إلى إنجاز الأمر الموعود ، لينخلِع من النّصرانية إلى دينه ، لأنّه كان قال لزَيد بن عمرو بن نُفيل — لمّا قال لهم العلماء : إنّ أحبَّ الدين إلى الله دينُ هذا المبشَّر به — : أنا أستمرُّ على نَصْرانيّتى إلى أن يأتى هذا النبيّ ! فلما حقّق الله الأمرَ وأوقعَ الأرهاصاتِ : بالسّلام من الأشْجار والأحجار على النبي ﷺ ، وبمناداة إسرافيلَ عليه السلامُ للنبيِّ ﷺ مع الاستتار منه ، وخافَ النبيُّ ﷺ من ذلك فاشتدَّ خوفه ، فنقل ذلك إلى ورقة رضى الله عنه ، اشتدَّ سرورُه بذلك وثبّته ، وشدَّ قلبَه وشجّعه . فلمّا بَدَا له الأمر بفراغ نَوبة إسرافيلَ وأتاه جبريلُ عليه السلام وفعلَ ما أمره اللهُ به : من شقِّ صدرِه

(١) التكملة من ش .

الشَّريف ، وغَسْل قلبِه وإيداعِهِ الحِكْمَةَ والرحمةَ وما شاء الله ، وتبدَّى له جبريلُ وأُنزل عليه بعضُ القرآن وأخبره به ، قَفَّ شَعَرُ ورقة وسبَّح اللهَ وقدَّسه ، وعظُم سروره بذلك ، وشهد أنّه أتاه الناموسُ الأكبرُ الذى كان يأتى الأنبياء قبلَه عليهم السلام ، وشهد أنّه الذى أُنزِل عليه كلامُ الله ، وشهِد أنّه نبيُّ هذه الأمّة ، وتمنّي أن يعيش إلى أن يجاهد معه . هذا ، مع ما لَه بالنبيِّ عليه الصلاة والسلامُ وزوجِهِ الصِدِّيقــة خَدِيجةَ ، من عظَم القُرْب ، والانتساب الموجب للحبِّ ، رضى الله عنه وأرضاه !

ومن شعره :

أتُبكِر أم أنتَ العشيَّةَ رائحُ ... وفى الصدْرِ من إضمارِكَ الحزنَ قادحُ[1]

لفرقةِ قومٍ لا أحبُّ فِراقَهم ... كأنَّكَ عنهم بَعْدَ يومينِ نازحُ

وأخبارِ صِدْقٍ خبِّرتْ عن محمَّدٍ ... يخبِّرُها عنه إذا غابَ ناصحُ

فتَاكِ الذى وَجَّهْتِ ، يا خيرَ حُرَّةٍ ... بغَورٍ وبالنَّجْدَينِ حيثُ الصَّحاصحُ[2]

إلى سوقِ بُصرى فى الرِّكابِ التى غدتْ ... وهُنَّ من الأحمـالِ قُعْصٌ دَوالحُ[3]

يخبِّرنا عن كلِّ حبرٍ بعلمِهِ ... ولِلحقِّ أبوابٌ لهنَّ مَفاتحُ[4]

بأنّ ابنَ عبدِ اللهِ أحمدَ مُرْسلٌ ... إلى كلِّ من ضُمَّتْ عليه الأباطحُ

وظَنِّي به أن سوفَ يُبعَث صادقاً ... كما أُرسِل العَبْدانُ : هودٌ وصالحُ

---

(١) ط : « وفي الصبر » صوابه في ش والروض ١ : ١٢٧ والبداية ٢ : ٢٩٧ وفي ش : « قارح » .

(٢) ط : « وفي النجدين » ، وأثبت ما في ش والروض والبداية . وفي الروض : « فتاك التي وجهت » ، وفي البداية : « أتاك الذى وجهت » .

(٣) في ط : « ذوابح » صوابه فى ش مع أثر تصحيح والروض الأنف والبداية . وهو من قولهم دلح بحمله ، إذا مشى به وقد أثقله .

(٤) الروض : « تخبرنا عن كل خير » والبداية « فيخبرنا عن كل خير » .

ومومي وإبراهيمُ ، حتى يُرى له بَهاء ومنشورٌ من الذِكْر واضحُ
ويَتبعهَ حيًا لؤيٌّ بن غالب شبابُهم والأشيَبون الجحَاجحُ
٤١ فإن أبقَ حتى يدركَ الناس أمره فإنى به مُستبشرٌ الودِّ فارحُ[1]
وإلاّ فإنى يا خَديجةُ ، فاعلمى ، عَن أرضِكِ في الأرض العَريضةِ سائحُ[2]

ومن شعره أيضاً :

وإن يكُ حقًّا يا خديجةُ ، فاعلمى حديثُكِ إيّاها فأحمدُ مُرسَلُ
وجبريلُ يأتيه وميكالُ فاعلَمى ، من الله وحيٌ يشرحُ الصَّدرَ مُنزَلُ
يفوزُ به مَن فاز فيها بتوبةٍ ويشقىٰ به العاتى الغَرير المضَلَّلُ
فريقانِ : منهم فِرقةٌ فى جِنانهِ وأخرىٰ بأجوازِ الجحيم تُغلَّلُ
فسبحانَ مَن تَهوى الرياحُ بأمره ومَن هو فى الأيَّام ما شاء يَفعَلُ
ومَنْ عرشُه فوقَ السماواتِ كلِّها وأقضاؤه فى خَلقه لا تبدَّلُ

ومن شعره أيضاً :

يا للَرجالِ وصَرْفِ الدهر والقَدَر وما لشىءٍ قضاهُ اللهُ من غِيَرِ[3]
جاءتْ خديجةُ تَدْعونى لأُخْبِرَها وما لَنا بِخَفِىِّ الغَيب مِن خَبَرِ
جاءتْ لتسألَني عنه لأُخْبِرَها أمراً أُراه سيأتى الناسَ من أخرِ
فخبَّرَتْنى بأمرٍ قد سمعت به فيما مضىٰ من قديم الدَهْرِ والعُصُرِ
بأنَّ أحمدَ يأتيه فيُخبرهُ جبريلُ أنَّكَ مبعوثٌ إلى البَشرِ
فقلتُ علَّ الذى تَرْجِينَ يُنْجِزُهُ لكِ الإلهُ فرَجِّى الخيرَ وانتظرى

(١) في الروض والبداية : « حتى يدرك الناس دهره » .
(٢) أورد بعده في البداية أبياتاً أربعة زادها الأموى .
(٣) في الروض ١ : ١٢٥ : « لصرف الدهر » .

وأرسِليه إلينـا كى نسائلَه … عن أمره ، ما يرى فى النَّوم والسَّهرِ
فقال حين أتانا منطقاً عَجَباً … يَقِفُّ منهُ أعالى الجِلد والشَّعرِ :
إنِّى رأيتُ أمينَ الله واجَهَنى … فى صورةٍ أُكمِلتْ مِن أعظَمِ الصُّوَرِ
ثم استمرَّ فـكاد الخوفُ يَذعَرُنى … ممَّا يسلِّم ما حَولى من الشجرَ
فقلت : ظَنِّي ، وماأدرى أيصدُقُني ، … أنْ سوف يُبعثُ يتلو مُنْزَلَ السُّور(١)
وسوف أُبْليكَ إن أعلنتَ دعوتَهم … من الجهاد بِلا مَنٍّ ولا كَدَرِ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه(٢) :

٢٣٥ (سُبحانَ مِن علقمةَ الفاخِرِ)

هذا عجز ، وصدره : (أقولُ لمَّا جاءنى فخرُه)

على أنَّ ترك تنوين (سُبحان) ليس لأنَّه غير منصرفٍ للعلمِّية وزيادة الألف والنون ، بل لأجل بقائه على صورة المضاف لما غلب استعماله مضافاً والأصل سبحان الله ، فحذف المضاف إليه للضرورة . وهذا ردٌّ على سيبويه ومَن تبعه ، فى زعمه أن سبحان علَمٌ غير منصرف . ويأتى إن شاء الله تعالىٰ بقيَّةُ الـكلام عليه فى باب العلَم .

قال الراغب : « قوله : سبحان مِن عَلقمةَ الفاخر » تقديره : سبحان علقمة ، على التهـكُّم ، فزاد فيه مِن ، ردًّا الى أصله ؛ وقيل : أراد سبحان الله مِنْ أجلِ علقمة ، فحذف المضاف اليه » اهـ .

---

(١) الروض : « تبعث تتلو » .

(٢) في كتابه ١ : ١٦٣ . وانظر ديوان الأعشى ١٠٦ وابن يعيش ١ : ٣٧ ، ١٢٠ وابن الشجرى ١ : ٢٥٠ / ٣٤٧ : ٢ ومجالس ثعلب ٢٦١ والخصائص ٢ : ١٩٧ ، ٣ / ٤٣٥ : ٤٢ والهمع ١ : ١٩٠ .

أقول : الوجه الأول ضعيفٌ لغةً وصناعة : أمّا الأوّل فلأن العرب لا يستعملونه إلاّ مضافاً إلى الله ، ولم يسمع إضافته إلى غيره ؛ وأمّا صناعةً فلأنَّ مِن لا تزاد في الواجب عند البصريِّين ـ وسبحانَ في البيت للتعجُّب ، ومِن داخلة على المتعجب منه ؛ والأصل فيه أن يسبِّح اللهُ تعالى عند رؤية العجيب من صنائعه ، ثم كثُر حتى استعمل في كلِّ متعجَّبٍ منه . قال بعضهم : يستلزم التنزيهُ التعجُّبَ مِن بُعد ما نُزِّه عنه من المنزَّه فكأنّه قيل ماأبعده منه ، فقد يُقصَد به التنزيه أصلاً والتعجُّب تبعاً ، كما في (سُبحانَ الذى أَسْرَى بِعَبْدِهِ[1]) وقد يقصد به التعجُّب ويجعل تنزيهه تعالى ذَريعة له ، فيسبّح اللهُ عند رؤية العجيب من صنائعه . ثم كثر حتّى استُعمِل عند كلِّ تعجب من شيء[2] كما في : (سُبْحَانَكَ هذا بُهْتَانٌ عَظِيم[3]) اهـ .. والمعنى أعجب من علقمة إذ فاخر عامرَ بن الطُّفيل .

٤٢

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون، قبّحه الله تعالى ! هجا بها علقَمَةَ ابن عُلاثة الصَّحابيّ رضى الله عنه ، ومدح ابنَ عمِّه عامراً المذكور ، لعنه الله تعالى ! وغلَّبه عليه في الفخر .

سبب القصيدة

وسبب هذه القصيدة أنّ علقمة بن عُلاثة الصحابيّ نافر ابن عمِّه عامرَ بنَ الطُّفيل عدوَّ الله ـ والمنافرة : المحاكمة في الحَسب والشرف ـ فهاب حُكَّامُ العَرَب أن يحكُموا بينهما بشيء ـ كما تقدّم في الشاهد السادس والعشرين[4] ، ثم أنّ الأعشى مدح الأسودَ العنْسيّ فأعطاه خمسمائة مثقال ذَهبًا[5] ، وخمسمائة

(١) الآية ١ من سورة الإسراء .

(٢) ط : « عند كل من يعجب من شيء » ، صوابه في ش .

(٣) الآية ١٦ من سورة النور .

(٤) انظر الخزانة ١ : ص ١٨٣ وما بعدها

(٥) الذى في الأغاني ٨ : ٨٠ : « فقال الأسود : ليس عندنا عين ولكن نعطيك عرضا . فأعطاه خمسمائة مثقال دهنا » ، وهو الوجه .

حُلَلاً وعَنبرًا ، فخرج فلمّا مرَّ ببلاد بنى عامر – وهم قوم علقمة وعامر – خافهم على ماممعه ، فأتىٰ علقمةَ بنَ عُلاثة فقال له : أجِرْنى ! قال : قد أجرتُك من الجنّ والإِنس ، قال الأعشىٰ : ومِن الموت ، قال : لا . فأتىٰ عامرَ بنَ الطفيل فقال له : أجرنى ! قال : قد أجرتك من الجنّ والإِنْس ، قال الأعشىٰ : ومن الموت ؟ قال عامر : ومن الموت أيضاً ! قال : وكيف تُجيرنى من الموت ؟ قال : إنْ مُتَّ فى جوارى بعثتُ إلى أهلك الدية ! قال : الآن علمتُ أنّك قد أجرتنى! فحرَّضه عامرٌ على تنفيره على عَلقمة ، فغلَّبه عليه بقصائد ، فلمّا سمع علقمةُ نذَر ليقتُلنّه إن ظَفِر به ، فقال الأعشى هذه القصيدة . ومطلعها :

(شاقكَ مِنْ قَتْلَةَ أطلالُها ... بالشَّطّ فالجزع إلى حاجرِ[1]

لو أسنَدَتْ ميتاً إلى نحرِها ... عاشَ ولم يُنقَل إلى قابرِ

حتى يقولُ الناسُ ممَّا رأوا ... يا عجباً للميِّت الناشرِ

دعْها ، فقد أعذَرْتَ فى ذكرها ، ... واذكُر خَنيْ عَلقمةَ الخاترِ

أسفَهًا تُوعِدنى جاهلاً ... لستَ على الأعداء بالقادر[2]

يَحلفُ بالله : لَئِن جاءه ... عنّى نَبأً من سامعٍ خابرٍ ،

لَيجعلَنّي ضُحْكةً بعدَها ، ... خُدِعْتَ يا علقمُ مِن نادرٍ)

إلى أن قال :

---

(١) فى القاموس (قتل) : « وسموا قتلة كحمزة » . وفى النسختين : « قيلة » صوابه من الديوان ١٠٤ وشرح شواهد المغنى ٣٠٥ وصبح الأعشى ١ : ٣٨٨ حيث القصيدة . وقتلة : فتنة لآل عمرو بن مرثد ، كان الأعشى قد تزوجها ، وأكثر من ذكرها فى شعره . . انظر ديوانه ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢١٤ ، ٢٢٦ وهى التى يسميها حينا « قتيلة » .

(٢) ط : « فسفها » وأثبت ما فى ش . وفى الديوان : « أجذعا توعدنى سادرا » .

(إنّ الذى فيه تَماريتُما بُيِّن للسامعِ والناظرِ
ماجُعِلَ الجُدُّ الظَّنونُ الذى جُنِّبَ صَوبَ اللَّجِبِ الماطرِ
مِثلَ الفُراتىِّ إذا ماجرىٰ يَقذِفُ بالبُوصىِّ والماهرِ
أقولُ ، لمّا جاءنى فخرُه : سُبحانَ مِن علقمةَ الفاخرِ
علقمُ لاتَسفَهْ ولا تَجعلَنْ عِرضَك للوارد والصادرِ
وأوَّلُ الحُكمِ على وجهه ، ليس قضائى بالهوى الجائرِ [١]
حكّمتموه فقضىٰ بينكم أبلجَ مثلَ القمرِ الباهرِ
لايأخُذ الرّشوة فى حُكمِهِ ولا يُبالى غَبنَ الخاسرِ
سُدْتَ بَنى الأحوص لاتعدُهم وعامرٌ سادَ بنى عامرِ [٢]
قد قلتُ شعرى فمضىٰ فيكما فاعترفَ المنفورُ للنافرِ)

وهى قصيدة طويلة ، ومنها :

ولستَ بالأكثر منه حصًى وإنَّما العزَّة للكاثرِ) [٣]

وسيأتى شرحه مع أبياتٍ فى باب أفعل التفضيل .

وقد نهى النبيُّ ﷺ عن رواية هذه القصيدة ، ولهذا لم أذكرها كلها .

٤٣ قال السيوطىُّ فى شرح شواهد المُغْنى : وعلقمة بن عُلاثة صحابىٌّ ، قَدِم على رسول الله ﷺ وهو شيخٌ فأسلَم وبايَع ، ورَوىٰ حديثاً واحداً . أخرج

(١) فى الديوان : « أوّل » .

(٢) فى الديوان : « لم تعدم » . وفى الأغانى ١٥ : ٥٥ والسيوطى : « إن تسد الحوص فلم تعدم » .

(٣) المشهور فى الرواية « منهم » . وقال البغدادى فى الشاهد ٦١٧ : « والرواية الصحيحة فى هذا البيت — كما رواه أبو زيد فى نوادره ، وهى ثابتة فى ديوانه ويدل عليها سياق الأبيات — إنما هى : « منه ، أى من عامر » . وأقول : الثابت فى نوادر أبى زيد ٢٥ : « منهم » مؤيدا بالتفسير . ففى تفسير النوادر : « أراد بأكثر منهم حصى » . كما أن رواية الديوان هى « منهم » .

ابن منده وابنُ عساكر من طريق الأعمش عن أبى صالح قال حدثنى علقمة ابن عُلاثة قال : أكلتُ مع رسول الله ﷺ رءوساً . واستعمله عمر بن الخطاب على حوران ، فماتَ بها . وأخرج أبو نعيم والخطيب وابن عساكر عن محمّد ابن مَسلمة قال : كنتُ عند النبيّ ﷺ وعنده حسّان ، فقال : ياحسّانُ أنشِدْنا من شعْر الجاهليَّة ماعفا الله لنا فيه ، فأنشده حسّان قصيدةَ الأعشىٰ فى علقمة ابن عُلاثة :

علقمُ ما أنتَ إلى عامرٍ الناقضِ الأوتارِ والواترِ

فقال النبى ﷺ : ياحسّانُ لاتُنْشِدْنى مثلَ هذا بعد اليوم ! » فقال حسّان : يارسولَ الله ، مايمنعُني من رجلٍ مُشركٍ هو عند قيصرَ [أنْ[1]] أذكُرَ هجاء له ؟ فقال : « ياحسّان إنِّى ذُكِرتُ عند قيصرَ وعنده أبو سُفيانَ ابنُ حَرب وعَلقَمة بن عُلاثة ، فأمّا أبوسفيانَ فلم يترُك فىَّ ، وأمّا علقمةُ فحسن القَول ، وإنّه لا يشكرُ اللهَ من لا يشكر الناس » فقال حَسّان : يارسولَ الله ، مَن نالتك يدُه وجبَ علينا شكرُه ! وقال وَكيع ، فى الغُرر ، عن الزُّهرىّ : قال : رَخَّص رسول الله ﷺ فى الأشعار كلّها ، إلاّ هاتين الكلمتين[2] : التى قال أُميّةُ بن أبى الصَّلْت فى أهل بدر[3] .

ماذا ببدرٍ فالعَقنْقَلِ من مَرازبةٍ جَحاجِحْ[4]

والتى قال الأعشى فى علقمة بن عُلاثة :

---

(١) التكملة من ش وشرح شواهد المغنى ٣٠٧

(٢) الميمنى : وثالثة نَهَى عنها . وهى للأفوه الأزدى . ومنها :

ريشت جُرم نبلا فرى جرمها منهن فوق وغرار

(٣) السيرة ٥٢١ والروض ٢ : ٦٤

(٤) فى النسختين : « فى العقنقل » صوابه فى السيرة وابن سلام ٢٢١ والإصابة

* شاقك من قَتْلَةَ أطلالُها[١] *

انتهى مارواه السيوطىّ

قال شارح ديوان الأعشى محمّدُ بن حَبيب وكذلك ابن قُتيبة فى كتاب الشعراء[٢] : إنّ علقمة بن عُلاثة لما نَذر بدم الأعشى جعلَ له على كلّ طريق رَصَداً ، فاتّفق أنّ الأعشى خرج يريد وَجهاً ومعه دَليل ، فأخطأ به الطريق فألقاه على ديار بنى عامر بن صعصعة ، فأخذه رهطُ عَلقمة بن عُلاثة فأتَوه به ، فقال له علقمة : الحمدُ لله الذى أمكننى منك ! فقال الأعشى :

٤٤

أعَلقمُ قد صيّرَتنى الأمورُ   إليكَ وما أنتَ لى منقصُ[٣]

فهبْ لى ذُنوبى فدتكَ النُّفوسُ   ولا زلتَ تنمو ولا تنقُص

فقال قومُ عَلقمة : ياعلقمة اقتُله وأرِحْنا منه والعَرَبَ من شرِّ لسانه ! فقال علقمة : إذاً تُطْلبوا بدمه ، ولا يُغْسَلَ عنّى ماقاله ، ولا يُعرفَ فضْلى عند القدرة ! فأمر به فحُلّ وَثاقُه وألقَى عليه حُلّة ، وحمَله على ناقة وأحسَن عطاءه وقال : انجُ حيث شئتَ[٤] ، وأخرَج معه من بنى كلابٍ مَن يُبْلغه مأمَنَه ، فقال الأعشى بعد ذلك :

علقمُ ياخيرَ بنى عامرٍ   للضيفِ والصاحبِ والزائرِ

والضاحك السنّ على هِمّةٍ   والغافر العثرة للعاثرِ[٥]

(١) فى النسختين : « قيلة » . وانظر ما سبق من تحقيق

(٢) الشعراء ٢١٦

(٣) فى الديوان ٣٣ : « وما كان لى منكص »

(٤) فى ط : « حيث منيت » ، صوابه فى ش والسيوطى ٣٠٦

(٥) فى الشعراء : « على همه »

وترجمة عَلقَمة بن عُلاثَة تقدّمت فى الشاهد السادس والعشرين[1] ، وترجمة عامر بن الطفَيل فى الشاهد الثامن والستين بعد المائة[2] .

وقتلة[3] : اسم امرأة . والشطّ : جانب النهر ، وموضع. والخنيٰ : الفُحش . والخاتِر : الغادر . وقوله ماجُعِل الجُدُّ الخ مانافية ، والجُدُّ بضمّ الجيم : البئر القديمة التى لايُدرىٰ أفيها ماء أم لا . والصَّوْب : المطَر . واللَّجِب ، بفتح اللام وكسر الجيم : السَّحاب والفُرَاتىّ ، يعنى الفراتَ المعروف ، أو الماء المعروف . والبُوصِىّ ، بضمّ الموحّدة : ضربٌ من السُّفُن . والماهر : السابح[4] . يريد أنّ البئر التى بها ماء ليست كالبحر الذى تجرى فيه السفن وغيرُها . وجملة (سبحانَ مِن عَلقمةَ الفاخرِ) مقُول القَول . والفاخر ، بالخاء المعجمة . والمنفور : المفضول : والنافر : الفاضل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد المائتين :

٢٣٦ (وما أُحاشِى مِنْ الأَقْوامِ مِنْ أَحدٍ[5])

هذا عجزٌ ، وصدرُه : (ولا أرىٰ فاعلاً فى الناسِ يُشْبِهُهُ)

على أنّ المبرّد استدلّ به على فعليّة حاشىٰ ، بتصرفه .

قال ابنُ الأَنبَارىّ ، فى مسائل الخلاف : ذهب الكوفيُّون إلى أنّ حاشا

---

(١) الخزانة ١ : ص ١٨٣ وما بعدها

(٢) الخزانة ٣ : ص ٨٠ وما بعدها

(٣) انظر حواشى ص ٣٩٩ من هذا الجزء

(٤) ط : « السائح » ، صوابه فى ش وشرح ثعلب بأسفل ديوان الأعشى ١٠٥

(٥) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٨٥/٨ : ٤٨ ، ٤٩ ومجالس ثعلب ٥٠٤ والإنصاف ٢٧٨ والهمع ١ : ٢٣٣ والأشمونى ٢ : ١٦٧ وشرح شواهد المغنى ١٢٧

فى الاستثناء فعل ماض ، وذهب بعضُهم إلى أنه استُعمِل استعمالَ الأدوات ؛ وذهب البصريُّون إلى أنّه حرفُ جرّ ، وذهب أبو العبّاس المبرّد إلى أنّه يكون فعلاً ويكون حرفاً . أمّا الكوفيُّون فاحتجُّوا على فعليته بالتصرُّف كقول النابغة :

* وما أُحاشى مِنَ الأقوامِ مِن أحدٍ *

وبأنّ لامَ الخفضِ تتعلّق به ، قال تعالىٰ : (حاشَ لِلّهِ[1]) وحرف الجرّ إنّما يتعلّق بالفعل لا بالحرف ؛ وبأنّ الحذف يلحقه ، فإنّهم قالوا فى حاشا لله : حاشَ لله . واستدلّ البصريُّون على حرفيّته بأنّه لا يقال ما حاشا زيداً ، كما يقال ما خَلا زيداً وما عدَا عمرا ، وبأنّ نون الوقاية لا تلحقه فلا يقال حاشانى ؛ ولو كان فعلاً لَقيل . وأجابوا عن قول الكوفيِّين بالتصرُّف ، بأنّ أُحاشى مأخوذٌ من لفظ حاشىٰ وليس متصرِّفاً منه ، كما يقال بَسمَل ، وهلَّل ، وحَمْدَل ، وسَبْحَل ، وحَوْقَل : إذا قال بسم الله ، ولا إله إلا الله ؛ والحمدُ لله ، وسُبحانَ الله ، ولا حَولَ ولا قوّة إلاّ بالله ؛ وكذلك يقال لبَّى ، إذا قال لبَّيك . فكما بُنيت هذه الأفعالُ من هذه الألفاظ وإن كانت لا تتصرَّف ، فكذلك ههنا . وقولهم : إنّ لامَ الجرِّ تتعلّق به ، قلنا : لا نسلِّم ، فإنّها زائدة لا تتعلّق بشىء . وأما قوله تعالى : (حاشَ لِلّهِ) فليس لهم فيه حُجَّة ، فإن حاشَ فيه ليست للاستثناء وإنّما هى للتنزيه . وقولهم : لحقه الحذف ، قلنا : جوابه من وجهين : أحدهما أنّ الأصل حاش لله والألف فى حاشا حدثت زيادتُها ، والثانى أنّ الحرف يدخله الحذف كثيراً ، كرُبَّ وإنَّ ، يلحقهما التخفيف ، وكقولك : سَوْ أفعَلُ فى سوف أفعل ؛ ويقال فيه سَفَ أفعَلُ أيضاً اهـ كلامه مختَصَرا .

٤٥

(١) الآيتين ٣١ ، ٥١ من سورة يوسف

وبهذا وبكلام الشارح المحقِّق يُرَدُّ على ابن هشام ، فى المغْني ، قوله انّ أحدَ أوجه حاشا أنْ تكونَ فعلاً متعدّياً متصرّفاً ، تقول : حاشيته بمعنى استثنيته ، ودليل تصرُّفِه قوله :

ولا أُحاشى من الأقوامِ مِن أحَدِ

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ طويلة للنابغة الذُّبيانى مدَح بها النُّعمانَ بن المنذر ملكَ الحيرة ، وقد تقدَّم شرحُ أبياتٍ منها فى الشاهد التاسع والثمانين بعد المائة (١) . وقبله :

فتِلك تُبْلِغني النُّعمانَ إنّ لَه ... فضلاً على الناسِ فى الأدنىٰ وفى البعدِ
ولا أرىٰ فاعلاً فى الناس يُشبهه ... ولا أُحاشِى منَ الأقوام من أحَدِ
إلاّ سليمانَ إذْ قال الإلٰه له : ... قُمْ فى البَرِيّة فاحدُدْها عن الفَنَدِ

وقوله : فتلك تبلغنى ، الإشارة إلى الناقة التى وصفها فى أبياتٍ شُرحت هناك . وقوله : ولا أُحاشى ، أى لا أستثنى أحداً ممَّن يفعل الخير فأقول حاشا فلان . ومن زائدة ، وأحد مفعول . . وقوله : إلاّ سليمان ، هذا استثناء من قوله : من أحد ، أو بدل من موضع أحد ؛ والمراد به سُليمان بن داود عليهما السلام ؛ وإذ تعليليّة . وقوله : إذ قال الإلٰه له الخ ، يريد لكونه نبياً ، إذ الخطاب إنّما يكون مع الأنبياء ، وإنّما خصّ بالذكر من الأنبياء سليمانَ لأنّه كان له المُلكُ مع النُبوّة . يريد : لا يشبهه أحدٌ ممّن أوتىَ المُلكَ ، إلاّ سليمان النبيّ . وقوله : فاحدُدْها ، أى امنَع البريَّة ؛ والحدّ : المنع ؛ ورجُلٌ محدود : ممنوع ؛ والحدَّاد : السجان ، لأنّه يَمنع . والفَنَد ، بفتح الفاء والنون : خطأُ الرأى والضَّيـع ، وقال ابن الأعرابىّ : الفند : الظلم .

(١) الخزانة ٣ : ص ١٨٧ وما بعدها

وترجمة النابغة تقدَّمتْ فى الشاهد الرابع بعد المائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد المائتين ، وهو من شواهد س [٢] :

٢٣٧ (لم يَمنعِ الشُّربَ منها غَيْرَ أن نطقَتْ)

هذا صدرُ البيت ، وأنشده بتمامه فى باب الظروف ، وتمامه :

(حَمامةٌ فى غُصونٍ ذاتِ أوْقالِ [٣])

على أنّ (غير) إذا أُضيفت إلى أنْ أو أنّ المشدّدة ، فلا خلاف فى جواز بنائها على الفتح . فإن قلتَ : أن حرفٌ ، والحرف لا يضاف إليه ! قلتُ : قال ابن هشامٍ فى حواشى الألفيّة : إنّهم جعلوا ما يُلاقى المضافَ من المضاف إليه كأنّه المضافُ إليه ؛ ونظيره تعليلُ الزمخشريِّ البناء فى يوم فى (يَوْمَ لا تَمْلِكُ [٤]) بإضافة يوم إلى لا ؛ والحروف مبنيّة ، مع علمنا بأنّ أحداً لا يتخيّل الإضافة إلى الحرف . وجعل بعضهم المضافَ إليه مجموعَ (أنْ نَطَقَتْ حَمامة) أى جملتها . قال الدَّمامينى فى شرح المغْنى المزج : سأل بعضُ الناس كيف أُضيفت غير [٥] لِمَبْنِيٍّ ، مع أنّ هذا المضافَ إليه فى تقدير مُعْرب ،

٤٦

---

(١) الخزانة ٢ : ص ١٣٥

(٢) فى كتابه ١:٣٦٩ ، وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢/٤٦ : ٢٦٤ وابن يعيش ٣ : ٨/٨٠ : ١٣٥ والإنصاف ٢٨٧ والهمع ١ : ٢٩١ وشرح شواهد المغنى ١٥٦ والتصريح ١ : ١٥ واللسان (وقل)

(٣) ويروى : « فى سحوق ذات اوقال » ، كما فى اللسان (وقل) وقال : « السحوق : ما طال من الدوم . وأوقاله : ثماره »

(٤) الآية ١٩ من سورة الانفطار

(٥) ط : « غير المبنى » ، صوابه فى ش

وهو النطق ، فلم تُضَف فى الحقيقة إلاّ لمعْرب ، فقلت : المعْرب إنّما هو الاسم الذى يؤوَّل به ، وأمّا الحرف المصدرىُّ وصلِته فمبنيٌّ ، ألا تراهم يقولون : المجموع فى موضع كذا . . إلى آخر ما بيّنه . وظاهره جواز بناء (غير) عند إضافتها إلى أحد هٰذين اللفظين من المبنيّات لا غير . وقد عمّم سيبويه وغيره فى إضافتها إلى كل مبنيّ ؛ قال ابن هشام فى المغنى ، فى (غير) انّه يجوز بناؤها على الفتح إذا أضيفت لمبنيّ كقوله :

لم يمنعِ الشربَ منها غيرَ أنْ نطقتْ . . . . البيت

وقوله :

لُذْ بقيسٍ حينَ يأبىٰ غيرَهُ تُلْفِهِ بحراً مُفيضاً خيْرَهُ[١]

وذلك فى البيت الأوّل أقوىٰ ، لأنّه انضمَّ إلى الإبهام والإضافة لمبنيّ تضمُّنُ غير معنى إلاّ ، وقال (فى الأمور التى يكتسبها الاسم بالإضافة ، من الباب الرابع) : إنّ البناء يكون فى ثلاثة أبواب : أحدها أن يكون المضاف مبهَمًا كغير ، ومثل ، ودُون . الثانى : أن يكون المضاف زماناً مبهَمًا والمضاف إليه إذْ ، نحو (ومِنْ خِزْىِ يومَئذٍ[٢]) . الثالث : أن يكون المضاف زماناً مبهَمًا والمضاف إليه فعلٌ مبنيٌّ ، سواء كان البناء أصليًّا كقوله : على حين عاتبت المشيب[٣] .

أو عارضاً كقوله : على حينَ يستَصبين[٤] .

---

(١) انظر شرح شواهد المغنى ١٥٦ والعينى ٣ : ١٣٨

(٢) الآية ٦٦ من سورة هود

(٣) من صدر بيت للنابغة ، هو بتمامه .

على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت ألما أصح والشيب وازع

(٤) قطعة من بيت ، هو بتمامه كما فى العينى ٣ : ٤١٠ وشرح شواهد المغنى ٢٩٨ :

لأجتذبن منهن قلبى تحلما على حين يستصبين كل حليم

وكذلك يجوز البناء إذا كان المضاف إليه فعلاً معرَباً أو جملة اسمية على الصحيح اهـ .

وقد بيّن الشارحُ المحقّق علّة البناء ، فى الظروف ، وفى الإضافة .

وقد ذهب الكوفيّون إلى جواز بناء (غير) فى كل موضع يحسن فيه (إلاّ) سواء أضيفت إلى متمكّن أو غير متمكّن . وقد بسطَ الكلام ابنُ الأنباريّ ، فى مسائل الخلاف ، على مذهبِهم ، وذكر ماردّ به البصريون عليهم مفصَّلاً ، ومن أحبّ الاطلاعَ عليه فلينظرْه هناك .

وهذا البيت من قصيدةٍ لأبى قَيس بن الأسلت . وقبله :

(ثمّ ارعويْت وقد طال الوقوفُ بنا فيها ، فصرتُ إلى وَجناء شِملالِ
تعطيك مشياً وإرْقالاً ودأْدأةً إذا تَسَرْبَلتِ الآكامُ بالآلِ
تَردى الإكامَ إذا صرّتْ جنادبُها منها بصُلبٍ وَقاحِ البطْن عَمّالِ
لم يَمنع الشُّربَ منها غيرَ أنْ نطقَت . . . . البيت)

قوله : ارعويت ، أى رجعت . والوَجناء : الناقة الشديدة ، وقيل العظيمة الوَجنتين . والشِّملال ، بالكسر : الخفيفة السريعة . وضمير فيها للدار . يريد : أنه طال وقوفُه على دار حبيبته وليس فيها أحد . والإرقال : مصدر أرقلتِ الناقةُ : إذا أسرعتْ ، وكذلك الدأْدأَة مصدر دأْدأتْ بمعناه ، وهما نوعٌ من العَدْو . وقوله : إذا تسربلت الخ ، الظرف متعلّق بقوله تعطيك ، يريد : وقت اشتداد الحرّ فى الظهيرة ، لأنّ الآكام ــ وهى الجبال ــ إنّما تتسربل بالآل ــ وهو السَّراب ــ عند الظهيرة . والسِّربال : القميص ، وتسربل أى لبِس سِربالاً ، والآكام فاعلُه ، وهو جمع أُكُم بضمّتين ، كأعناق جمع عُنُق ، وهو جمع إكام بالكسر ، مثل كُتُب جمع كِتاب ، والإكام أيضاً جمع أَكَم بفتحتين ، مثل جبال جمع جبل ، وأَكَم أيضاً جمع أَكَمة بفتحات . يقول:

٤٧

إنّها نشيطة فى العدْو وقتَ الهاجرة . وقوله تَردى الإكامَ الخ ، مِن ردى الفرسُ بالفتح يَردى رَدْيا ورديَانا : إذا رجم الأرض رَجْماً ، بينَ العدْو والمشْى الشديد . والإكام ، بالكسر : جمع أكَم بفتحتين كما تقدَّم ، والأكمة : الجبَل الصغير . وإذا متعلّق بقوله تَردى . وصَرَّت : صوَّتت . والجنادب : جمع جُنْدب ، وهو نوعٌ من الجراد يصوِّت عند اشتداد الهاجرة . وقوله : بصُلب ، أى بخفٍّ صلبٍ شديد . والوَقاح ، بالفتح : هو الصُّلْب ، ومنه الوقاحة لصلابة الوجه . يريد : انّ خُفَّها ظَهْرُه وبَطنه صلبٌ . وعَمّال ، بالفتح مبالغة عامل ، وهو المطبوع على العمل .

وقوله : (لم يَمنَعِ الشربَ منها . . الخ) ضميرُ منها راجعٌ للوجناء ، والشّرب مفعول يمنع ، وغيرَ فاعلُه لكنَّهُ بنى على الفتح جوازاً لإضافته إلى مبنيّ . ورُوِى الرفع أيضاً .و (نطَقَتْ) : صوَّتت وصدَحت ، عبَّر عنه بالنُّطق مجازاً . و (فى) بمعنى على . و (ذاتٍ) بالجرِّ صفة لغصونٍ ، لا بالرفع صفة لحمامةٌ كما وهم ابن المستوفى فى شرح شواهد المفصَّل . و (الأوقال) : جمع وَقْل ، بفتح الواو وسكون القاف ، قال الدِّينَوَرىُّ (فى كتاب النبات) : قال أبو عبد الله الزُّبير بن بَكَّار : المُقْل إذا كان رَطْباً لم يُدرِك فهو البَهْش ، فاذا يبِس فهو الوَقْل ، والدَّوم : شجر المُقل . وأنشد هذا البيت اهـ : وبهذا التفسير قد أصابَ المحزّ وطبّق المفْصِل ، وبه يضمحلُّ التعسُّف الذى ارتكبه شُرّاح الشواهد . قال ابن السّيرافىّ (فى شرح شواهد إصلاح المَنْطق) : يريد لم يمنعْها أن تشرب إلاّ أنّها صوّتت حمامة فنفرت . يريد : أنّها حديدةُ النفْس ، يخامِرها فزَعٌ وذُعر ، لحدّة نفسها . وذلك محمودٌ فيها اهـ .

أبو قيس ابن الأسلت

و (أبو قيس بنُ الأسْلَت) قال صاحبُ الأغانى : لم يقعْ إلىَّ اسْمُه .

والأسلت لقبُ [أبيه(١)] واسمه عامر بن جُشَم بن وائل بن زيد(٢) بن قَيس ابن عُمارة(٣) بن مُرة بن مالك بن الأوس .. وهو شاعرٌ من شعراءِ الجاهليّة. وكانتْ الأوس قد أسندَتْ إليه حربَها يومَ بُعاث ، وجعلته رئيساً عليها فكفى وساد . وأسلم عُقْبةُ بن أبي قيس(٤) ، واستشهد يومَ القادسية . وكان يزيدُ بن مِرْداس السُّلمى قَتَل قيسَ بنَ أبي قيس(٥) فى بعض حروبهم ، فطلبه بثأره هارونُ بن النُّعمان بن الأسلت ، حتى تمكن من يزيدَ بن مِرداس فقتله بقيس — وهو ابن عمِّه — ولقيسٍ يقول أبوه ، أبو قيس بن الأسلت :

أقَيْسُ إنْ هَلكتُ وأنتَ حَيٌّ فلا تعدمْ مواصلةَ الفقيرِ(٦)

وقال هشام بن الكلبى : كانت الأوس قد أسندوا أمرَهم فى يوم بُعاثٍ إلى أبى قيس بن الأسلت ، فقامَ فى حربهم وآثَرَها على كلِّ أمر ، حتّي شحِبَ وتغيَّر ، ولبِثَ أشهراً لايقرُب امرأته(٧) ، ثمَّ إنّه جاء ليلةً فدَقَّ على امرأته ففتحتْ له ، فأهوى إليها بيده فدفعتْه وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ! فقالت : والله ماعرفتُك حتّي تكلّمتَ ! فقال فى ذلك أبو قيسٍ القصيدةَ التى أوّلها:(٨)

قالتْ ولم تَقصِدْ لِقيل الخنى : مهلًا فقد أبلغتَ أسماعى
استنكَرَتْ لونًا له شاحباً والحربُ غولٌ ذاتُ أوجاعِ(٩)

(١) التكملة من الأغانى ١٥ : ١٥٤
(٢) فى النسختين : « يزيد » ، صوابه من الإصابة والأغانى وجمهرة ابن حزم ٣٤٥
(٣) وكذا فى الأغانى ، لكن فى الإصابة ٩٣٥ من باب الكنى ، والجمهرة : « عامر »
(٤) الجمهرة ٣٤٥
(٥) الجمهرة ٣٤٦
(٦) وكذا فى الأغانى ، لكن فى الإصابة عن الأغانى: « فلا يعدم فواضلك الفقير »
(٧) فى الأغانى : امرأة
(٨) انظر المفضليات ٢٨٤ وجمهرة القرشى ١٢٦
(٩) ويروى : « أنكرته حين توسمته » فى المفضليات والجمهرة .

مَنْ يذُقِ الحربَ يجدْ طعمَها مُرًّا ، وتتْرُكْه بجَعجاعِ

قدْ حَصَّت البَيضةُ رأسى ، فما أطعَم نوماً ، غيرَ تَهجاعِ

٤٨

أسعى على جُلّ بنى مالكٍ كلُّ امرئٍ فى شأنه ساعى[1]

لا نألمُ القتلَ ، ونجزى به الـ أعداءَ كَيلَ الصَّاعِ بالصَّاعِ

اهـ كلام الأغانى .

وقال ابن حَجَر (فى الإصابة): أبو قيس بن الأسلت اسمه صَيفىٌّ، وقيل: الحارث، وقيل: عبدالله ، وقيل: صِرمة[2] وقيل غير ذلك .. واختُلف فى إسلامه : فقال أبو عُبيدٍ القاسمُ بن سلّام فى ترجمة ولده عُقبة بن أبى قيس: له ولأبيه صحبة. وذكر عبدُ الله بن محمّد بن عمارة بن القدّاح بأسانيد عديدة : كان أبو قيس يحضُّ قومَه على الإسلام ، وذلك بعد أن اجتمع بالنبي ﷺ وسمع كلامه. وكان يتألّه فى الجاهليّة ويدعى الحنيفيّة ، وكان يقول : ليس أحدٌ على دين إبراهيمَ إلا أنا وزيدَ بن عمرو بن نُفيل . وكان يذكر صفَة النبيِّ ﷺ وأنّه يهاجر إلى يثرب . وشَهِد وقعة بُعاث ، وهو يوم للأوس على الخزرج ، وكانت قبلَ الهجرة بخمس سنين. وزعموا أنّه لمّا حضره الموتُ أرسل إليه النبىُّ ﷺ يقول له : «قل لا إله إلاّ اللهُ أشفَع لك بها » فسُمِعَ يقول ذلك ؛ وقيل : قال : والله لا أسلمُ إلى سنَة فمات قبل الحول ، على رأس عشْرة أشهرٍ من الهجرة ، بشهرين . وقد جاء عن ابن إسحق : أنّه هرَب إلى مكّة فأقام بها مع قريش إلى عام الفتح اهـ باختصار . وعلى هذا فكان ينبغى لابن حجَر ألاّ يذكره فى القسم الأوّل ، وهم الذين جزم بصُحْبتهم .

(١) ط : «حبل بنى مالك» صوابه فى س والمفضليات والجمهرة والأغانى والشاهد ٤٣٣

(٢) ط : «صرمة» ، صوابه من س مع أثر تصحيح ومن الإصابة .

روى صاحبُ الأغانى بسنده إلى المبرِّد قال : قال لى صالحُ بن حسَّان : أنشدْنى بيتاً خَفِراً فى امرأةٍ خَفِرةٍ شريفة ، فقلنا : قول حاتم :

يُضيءُ لها البيتُ الظَّليل خَصَاصُهُ إذا هى يوماً حاوَلَتْ أن تَبَسَّما[1]

فقال : هذه من الأصنام ، أريد أحسنَ من هذا ! قلنا : قول الأعشى :

كأنَّ مِشْيَتَها مِن بيت جارتها مَرُّ السَّحابةِ : لا رَيثٌ ولا عَجَلُ

فقال : هذه خَرَّاجة وَلاَّجة ! قلنا : بيت ذى الرُّمَّة :

تنوء بأُخراها فلأياً قِيامُهـا وتمشى الهُوَينَى من قَريب فتبهر[2]

فقال : ليس هذا ممّـا أردتُ ، إنّما وصَفَ هذه بالسِمَن وثِقَل البَدَن ! فقلنا : ما عندنا شىء . فقال : قول أبى قيس بن الأسلت :

ويكرِمُها جاراتُها فيزُرْنَهـا وتَعتلُّ عن إتيانهنَّ فتُعذَرُ

وليس لها أن تَستَهِينَ بجارةٍ ، ولـكنَّها منهن تَحيا وتَخفَرُ[3]

ثم قال : أنشدونى أحسن بَيتٍ وُصفتْ به الثريا : قلنا : بيت ابن الزَّبِيرِ الأسَدىّ :

وقد لاحَ فى الغَور الثُريّا كأنّما به رايةٌ بيضاء تَخفُق للطعْنِ

قال : أريد أحسنَ من هذا ، قلنا : بيت امرئ القيس :

إذا ما الثريّا فى السماء تعرَّضتْ تعرُّضَ أثناء الوِشاح المفصَّلِ

قال : أريد أحسنَ من هذا ، قلنا : بيت ابن الطَّثرية :

---

(١) الخَصَاص ، كسَحَاب : الفرج بين الأصابع ونحوها . ط : « خصاصة » صوابه فى س مع أثر تصحيح ومع الضبط ، ومن الأغانى .

(٢) ط : « فتنبهر » ، صوابه من س وديوان ذى الرمة ٢٢٧ والأغانى ١٥ : ١٥٩

(٣) فى النسختين : « تستعين » ، صوابه من الأغانى ومعاهد التنصيص ١ : ١٤٢

إذا ما الثريّا فى السماء كأنّها جُمانٌ وهى مِن سِلْكه فتسرَّعا(١)

٤٩ قال : أريد أحسنَ من هذا ، قلنا : ما عندنا شىء ، قال : قول أبى قيس ابن الأسلَت :

وقد لاحَ فى الصبْح الثُّريّا لمن رأى كعُنقُودِ مُلاَّحيةٍ حينَ نوَّرا (٢)

قال : فحكم له عليهم فى هذين المعنَيين بالتقدُّم . انتهى .

وهذا البيت الأخير من أبيات علم المعانى ، ولأجله أوردتُ هذه الحكاية .

(تتمة)

البيت الشاهد ، كونُه لابن الأسلت هو ما ذكره أبو حنيفة الدِّينَورىُّ (فى كتاب النَّبات) ، وهو فى معرفة الأشعار أديبٌ غير مُنازَع فيها . وقد نسبَه الزمخشرىُّ فى الأحاجىِّ إلى الشّماخ ، وقد راجعتُ ديوانَه فلم أجدْه فيه . ونَسبَه بعضُ شُرَّاح [شواهد كتاب(٣)] سيبوَيه لرجلٍ من كِنانة . ونسبَه بعضُ فضلاء العجم فى شرح أبيات المفصّل تبعاً للزمخشرىِّ فى شرح أبيات الكِتاب لأبى قيس بن رِفاعةَ الأنصارىّ .

أقول : لم يُوجَد فى كتب الصحابة مَن يقال له أبو قيس بن رِفاعة ، وإنّما الموجود قيس بن رِفاعة(٤) وهو واحد أو اثنان . قال ابن حَجَر (فى الإصابة) فى القسم الأوّل : قيس بن رفاعة الواقِفىّ ، من بنى واقِف

(١) وكذا فى الأغانى ومعاهد التنصيص . لكن فى إعجاز القرآن ٢٦٥ : وديوان المعانى ١ : ٣٣٤ وحماسة ابن الشجرى ٢١٤ : « فتبددا » .
(٢) معاهد التنصيص ١ : ١٣٨ .
(٣) التكملة من هامش بخط ناسخها وبجانبه « صح » .
(٤) انظر تحقيق هذا فى هوامش الخزانة ٣ : ٣٧٨ سلفية .

ابن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ، الأنصاريّ . ذكره المرزُبانيُّ فى معجم الشعراء وقال : أسْلَمَ ، وكان أعوَر ، وأنشد له :

أنا النذيرُ لكمْ مِنِّي مجاهرةً كى لا نلام على نَهى وإنذار(١)

مَن يَصْلَ نارى بلا ذَنبٍ ولا تِرةٍ يَصْلَ بنارِ كريمٍ غيرِ غدَّارِ

وصاحبُ الوِتر ليس الدَّهرَ يُدرِكُه عندى ، وإنّى لَدَرَّاكٌ لأوتارى

ثم قال ابن حجر : قيس بن رِفاعة بن المميس(٢) بن عامر بن عانس بن نمير الأنصاريّ ذكره العدويُّ وقال : كان شاعراً ، وأدرك الإسلام فأسلم . وذكره ابنُ الأثير فقال : كان من شعراء العرب . قلت : يحتمل أن يكون الذى قبلَه . انتهى .

قلتُ : كيف يكون هو الذى قبلَه مع اختلاف النَّسبين ؟ ! والظاهر أنّهما اثنان . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد المائتين (٣) :

٢٣٨ (غيرَ أنّى قدْ أستعِين على الهـ مِّ إذا خَفَّ بالثوىّ النجاء)

على أن (غيراً) يجوز أن تكون مبنيَّة على الفتح لإضافتها إلى أنَّ المشدّدة ، ويجوز أن تكون منصوبةً لكونها استثناء منقطِعا .

---

(١) فى النسختين: «وإقدار» ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته وعن الاصابة ٧١٦٣

(٢) ـه : «المميس» . والذى فى الإصابة ٧١٦٤ : « قيس بن رفاعة بن المعمر ابن عامر بن عائش الأنصارى »

(٣) من معلقة الحارث بن حلزة . وانظر الصفحة التالية

وهذا البيت من قصيدةِ الحارث بن حِلّزة اليَشكُرىّ ، وهى سابعة المعلّقات السبعة(١) وأوّلها :

(آذنَتْنا ببَينِها أسماء ربَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواء
آذنتنا ببينها ثمَّ ولَّتْ ليتَ شِعرى ! متى يكونُ اللقّاء
بَعدَ عهدٍ لها بِبُرْقة شَمّا ء فأدنى ديارها الخَلْصاء
لاأرى مَن عهدتُ فيها ، فأبكى اليومَ دَلْهاً ، وما يَرُدُّ البكاء !
وبعينيكَ أوقدتْ هندٌ النا رَ أصيلاً تُلوِى بها العَلياء
أو قدتْها بين العَقيق وشَخْصَيـ ـنِ بعُودٍ ، كما يلوحُ الضِّياء
فتنوَّرْتُ نارَها مِن بعيدٍ بخَزازَ هيهاتَ مِنْكَ الصلاء(٢)
« غيرَ أنّى قدَ آستَعينُ على الهـ ـمِّ إذا خفَّ بالثَّوىِّ النجاء »
بزَفوفٍ كأنّها هِقْلةٌ أُ مُّ رِئالٍ دَوِّيّةٌ سَقْفاء)

قوله : آذنَتْنا ، أى أعلمْتنا . والبَين : الفِراق . وأسماء : حبيبته . والثاوى : المقيم ، يقال ثوى يثوِى ثَواء وثَواية : إذا أقام ؛ وروى جماعةٌ من اللُّغويّين أثوى بمعناه(٣) وأنكرها الأصمعىّ . ويُمَلُّ بالبناء للمفعول ، من المَلَل وهو الضَجَر والسأم . وهذا المصراع الثانى من قبيل إرسال المثل .

وقوله بعد عهدٍ لها الخ ، البُرْقة ، بالضمّ : رابيةٌ فيها حجارةٌ يخلِطها

(١) كذا فى النسختين ، وهو وجه جائز فى العربية . وفى حاشية الصبان على الأشمونى ٤ : ٦١ : « فلو قدم وجعل اسم العدد صفة جاز إجراء القاعدة وتركها ، كما لو حذف تقول مسائل تسع ورجال تسعة ، وبالعكس . كما نقله الامام النووى على النحاة . فاحفظها فإنها عزيزة » .

(٢) لم يذكر البغدادى فى الشرح إلا هذه اللغة فى خزاز ، وهى التى وردت فى ط . لكن فى ش « خزازى » ، وهى لغة أخرى روى بها البيت .

(٣) وشاهده قول الأعشى :

أثوى وقصر ليلة ليزودا ومضى وأخلف من قتيلة موعدا

رمل وطين ، وشَماء : اسم أكَمَة . وأدنىٰ : أقرَب . والخَلْصاء : موضع أيضاً . يقول : عزمتْ على فراقِنا بعد أن لقيتُها ببُرْقَةِ شمَّاء ، والخَلْصاء هى أقرب ديارها إلينا .

ثم أورَد بيتين آخَرَين فيهما أسامى أماكنَ معطوفة على الخلْصاء ، لا فائدة فى إيرادها .

وقوله : لا أرىٰ مَنْ عهدت الخ ، دلْهاً أى باطلاً ، وهو مفعولٌ مطلق ، وقيل : هو من قولهم دَلَّهنى أى حيَّرنى ، فهو تمييز . يقول : لا أرىٰ فى هذه المواضع مَن عهدتُ ، وهى أسماء ، فأنا أبكى اليومَ بكاءً باطلاً ، أو ذاهبَ العقل . وما استفهاميَّةٌ للإنكار ، أى لا يردّ البكاء شيئاً على صاحبه . يعنى : لمّا خلتْ هذه المواضعُ منها بكيتُ جزعاً لِفراقها ، مع عِلمى أنّه لا فائدةَ فى البكاء . ورُوى أيضا :

لا أرىٰ مَن عَهدتُ فيها فأبكى أهلَ وُدِّى وما يُرِدُّ البكاء

أى فأنا أبكى أهلَ مودَّتى ، شوقاً إليهم ، حين نظرتُ إلى منازلهم الخالية ، ورُوى أيضاً : (وما يحير البكاء) مِن أحاره بالمهملة أى رَجَعَه .

وقوله : وبعينيك أوقدتْ الخ ، أى وترى بعينيك أو بمرأى عينيك ؛ يقال : هو منّي بمرأًى ومسمَعٍ : أى حيثُ أراه وأسمعه . والمعنى : أوقدتْ النارَ تَراها لقُربها منك . وهند ممَّن كانت تواصله بتلك المنازل . وأَصِيلا : ظرف بمعنى العشيّ ؛ ورُوى بدله (أخيراً) أى فى آخر عهدِكَ بها . يقول : قد رأيتَ نارَها بتلك المنازل ، ثم رأيتَها قد نزلت بالعلياءِ ، فرأيتَ نارها من بعيد . والعَلْياء ، بالفتح : ما ارتفع من الأرض ؛ وإنّما يريد العَالية وهى أرض الحجاز وما والاها من بلادِ قيس . ويقال : قد ألْوَت الأرضُ بالنار تلوى بها إلواءً : أى رَفعَتْها ؛ وكذلك الناقة : ألوت : إذا رفعتْ ذَنبَها فلوَّحتْ به .

وقوله : أوقدتَها بين العَقِيق الخ ، العَقيق وشَخْصان ، قال الأخفش : شخصان : أكَمَة لها قرنان ناتئان ، وهما الشعبتان . والعُود هو عُود البَخُور . وأراد بالضياء ضياء الفَجْر[١] ، وقيل ضياء السِّراج .

وقوله : فتنوَّرتُ نارها الخ ، يقال : تنوَّرتُ النار : إذا نظرتَها بالليل لتعلم: أقريبة هى أم بعيدة ؟ أكثيرة أم قليلة ؟ وخَزَازٌ ، بفتح الخاء المعجمة والزاءين المعجمتين : موضع . وقوله : هيهات الخ ، يقول رأيتُ نارها فطمِعْتُ أن تكون قريبة ، وتأمَّلتُها فإذا هى بعيدة بخَزَاز ، فلمَّا يئستُ منها قلت : هيهات ! أخبر أنَّه رآها بالعلياء ، ثمّ أخبر أنّه رآها بين العَقيق وشخصين ، ثمّ بخَزَاز ، وهو جبل . والصِّلاء : مصدر صلا النارَ وصلِيَ بالنار يَصلى صِلاء . إذا ناله حرُّها .

وقوله : (غيرَ أنى قد استعين . . الخ) بنقل حركة الهمزة إلى دال قد[٢] و (خَفَّ) فلان للمضىِّ ، إذا تحرَّك لذلك ، يقال خفّ يَخِف خِفَّة . و(الثَّوِىّ) مبالغة ثاوٍ : أى مقيم . و (النَّجاء) بفتح النون والجيم : للمضىِّ ، يقال منه نجا ينجو نَجاء ونَجْواً . والباء للتعدية . أى اذا اضْطُرَّ المقيمُ للسفرِ وأقلقَه السير والمضى ، لِعِظَمِ الخطْب وشدَّة الخوف . وبهـذا البيت خَرَج من صفة النساء وصار إلى صفة ناقته على طريقة الاستثناء المنقطع من قوله فتنوَّرت ، أو من قوله وما يردُّ البكاء ، أى وما يردُّ علىّ بكائى بعد أن تباعدَتْ عنِّي فاهتممت بذلك ، لـكنِّي أستعين على همِّى بهذه الناقة الآتى وصفها فيا بعـد . فغير للاستثناء المنقطع ، وفتحتها إمّا حركة اعراب ، وإمّا فتحة بنـاء ، بنيت لإضافتها إلى مبنيّ ، فتـكون حينئذ فى محل نصب .

٥١

---

(١) ط : « الفىء » ، ولا يكون للفىء ضياء ، وإنما الفىء ظل يفىء من جانب المغرب إلى جانب المشرق بعد الزوال ، صوابه فى سه والتبريزى فى شرح المعلقة

(٢) كتب مصحح المطبوعة الأولى : « قوله بنقل الحركة إلخ لا حاجة إلى ذلك ، لاستقامة الوزن بدونه » .

وقوله : بزَفوفٍ كأنّها الخ ، الباء متعلّقة بأستعين . والزَّفوف ، بفتح الزاى المعجمة وبفاءين ، أراد به الناقة السريعة ؛ من الزَّفيف وهو السُّرعة ، وأكثر ما يستعمل فى النَّعام . شبَّه ناقته فى وَطاءتها وسُرعتها بنعامة تزِفُّ — والزَّفيف مثل الدفيف — وذلك أنّ النعامة إذا عدَتْ نَشرت جَناحَيها ورَفعتْ ذنَبها ومرّت على الأرض أخفَّ من الريح ، وربَّما ارتفعَتْ من الأرض لخفّتها . والزفيف للنَعام ، والدَّفيف للطير ؛ يقال زفَّ النعام يزِفُّ زَفًّا وزَفيفاً ، ودَفّ الطَّير يدِف دَفًّا ودَفيفاً . والهِقْلة ، بكسر الهاء وسكون القاف : أُنثى النعام ، والهقل ذكَره . والرِّئال ، بكسر الراء المهملة بعدها همزة مفتوحة : جمع رَأْل ، بفتح الراء وسكون الهمزة ، وهو ولد النَّعام . والدَوِّيّة ، بتشديد الواو ، منسوبة إلى الدَّوّ وهى الأرض البعيدة الواسعة ؛ وهو صفة أمّ ؛ وكذلك سَقْفاء ، من السَّقَف ، بفاء بعد قاف ، وهو طولٌ في انحناء ، والذكر أسْقَف . يقول : أستعين على إزالة همٍّ بناقةٍ مسرعة كأنّها فى إسراعها نعامةٌ لها أولاد ، طويلةٌ منحنيةَ لا تفارق المَفاوِز .

وقد تقدّمتْ ترجمةُ الحارث بن حِلِّزة ، مع شرح أبياتٍ من هذه المعلّقة ، فى الشاهد الثامن والأربعين[1] ، فى باب التنازُع .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[2] :

٢٣٩ (أُنيخَتْ فألقتْ بَلْدةً فوقَ بَلْدةٍ

قَليل بها الأصواتُ إلاّ بُغامُها)

---

(١) الخزانة ١ : ص ٣٢٥ وما بعدها .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٠ ، وانظر الهمع ١ : ٢٢٩ وشرح شواهد المغنى ٧٨، ٢٤٨ والأشمونى ٢ : ١٥٦ واللسان (بغم) وديوان ذى الرمة ٦٣٨ .

على أنّ (إلاّ) صفة للأصوات ، وهي وإن كانت معرَّفةً بلام الجنس فهي شبيهة بالمنكر . ولمّا كانت إلاّ الوصفيّةُ في صورة الحرف الاستثنائيّ نُقل إعرابُها الذي تستحقّه إلى ما بعدها ، فرَفْعُ (بُغامُها) إنّما هو بطريق النقل من إلاّ إليه . والمعنى : أنّ صوتاً غيرَ بُغامِ الناقة قليلٌ في تلك البلدة ، وأمّا بغامها فهو كثير .

قال الشارح المحقّق : « ويجوز في البيت أن تكون إلاّ للاستثناء وما بعدها بدلاً من الأصوات ، لأنّ في قليلٍ معنى النفي » . والمعنى على هذا : ما في تلك البلدة مِن جنس الأصوات إلاّ بُغامها ، بخلاف المعنى الأوّل ، فإنّه يقتضي أن يكون فيها صوتٌ غير البُغام لكنّه قليلٌ بالنسبة إلى البُغام . قال : « ومذهب سيبويه جوازُ وقوعِ إلاّ صفةً ، مع صحّة الاستثناء » . نسبَ ابنُ هشامٍ في المغني هذا الجوازَ إلى جماعات من النحويّين ، ثمّ قال : وقد يقال إنّه مخالفٌ لمثال سيبويه : لو كان معنا رجلٌ إلاّ زيدٌ لغُلِبْنا ، ولقوله تعالى : (لو كانَ فيهما آلِهَةٌ إلاّ اللهُ لفَسَدَتا[1]) قال : فلا يجوز في إلاّ هذه أن تكون للاستثناء من جهة المعنى ، إذ التقدير حينئذ : لو كان فيهما آلهةٌ ليس فيهم الله لفسدتا ، وذلك يقتضي بمفهومه أنّه لو كان فيهما آلهةٌ فيهم الله لم يفسُدا ، وليس ذلك المراد . ولا من جهة اللفظ ، لأنّ آلهة جمعٌ منكَّرٌ في الإثبات فلا عُمومَ له ، فلا يصحُّ الاستثناء منه ، لو قلتَ قام رجل إلاّ زيد ، لم يصحّ اتفاقاً . انتهى .

٥٢

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لذي الرُّمَّة وقبله :

أبيات الشاهد

(ألا خَيَّلَتْ ميٌّ وقد نامَ صحبتي ... فما نَفَّرَ التهويمَ إلاّ سَلامُها
طُروقاً وجُلْبُ الرَّحل مشدودةٌ به ... سَفينةُ بَرٍّ تحتَ خدِّي زِمامُها

(١) الآية ٢٢ من الأنبياء .

«أُنيخَتْ فألقَتْ بلدةً فوقَ بلدةٍ قَليلٍ بها الأصواتُ إلاّ بُغامُها»
يَمانِيَةٌ في وَثْبِهـا عَجْرَفِيَّةٌ إذا انضمَّ إطْلاها وأودىٰ سَنامُها)

قوله : ألا خيَّلت مَىٌّ الخ ، خيَّلت أى رأينا منها خيالًا[1] جاء فى المنام . ومىّ : اسم محبوبته . وجملة قد نام الخ حالِيَّة . والتهويم : مصدر هوَّم الرجل : إذا هزَّ رأسَه من النُعاس . يقول : نفَر نومُنا حينَ سلَّم الخيالُ علينا . وقوله : طُروقا الخ ، الطُّروق مصدر طرَق : أى أتى ليلاً ، وهو من باب قعد . يريد : خيَّلَتْ طُروقًا . وجُلْب الرحْل ، بكسر الجيم وضمِّها : عيدانه وخشَبه ، وهو مبتدأ ، ومشدودةٌ خبره ، وسفينة نائب فاعل الخبر ، وبه أى بالجلب . وأراد بسَفينة البَرِّ الناقة . وزمامُها مبتدأ ، وتحتَ خدِّى خبره ، والجملة صفة سفينة يريد : أنّه كان نزَل عن ناقته آخرَ الليلِ وجَعَل زمامَها تحتَ خدِّه ونام .

وقوله : (أُنيخَتْ فألقت . الخ) هو مجهولُ أَنَخْتُها : أى أبْرَكْتُها . والبَلدة الأولى : الصَدْر ، والثانية : الأرض . أى أُبْرِكَتْ فألقتْ صدرَها على الأرض . والضمير فى أُنيخت ، وألقت ، وبغامُها ، راجعٌ إلى سفينةُ برٍّ المرادِ بها الناقة . و (قَليلٍ) بالجرّ صفةٌ سببيّةٌ للبلدة الثانية . و (الأصوات) : فاعل قليل ، والرابط ضمير بها . ويجوز رفع قليل على أنّه خبر الأصوات والجملة صفة . و (البُغام) بموحَّدة مضمومة بعدها غين معجمة ، قال صاحب الصحاحِ : بُغام الظَبْيَة : صوتُها ، وكذلك بُغام الناقة : صَوتٌ لا تُفصح به ، وقد بغمت تبغِم بالكسر .

وقوله يَمانية فى وثبها الخ ، بالتخفيف ، أى هذه الناقة منسوبةٌ إلى اليمن .

---

(١) وفى شرح الديوان ٦٣٨ : « خيلت : أرتنا خيالها فى النوم » وفى ط : « رأينا منها خيالا » :

والوثب ، بالمثلّثة : مصدر وثَب وَثْباً ووُثوباً : إذا طَفَر . والعَجْرَفيّة : الجفاء ورُكوب الرأس[١] ، وهو أن يسير سيراً مختلطاً . وإطلاها : خاصرتاها ، مُثَنَّى إطل بكسر الهمزة . وأودَى : ذهب وهلك . يقول : هى فى ضُمْرها هكذا شديدة ، فكيف تكون قَبل الضُّمْر ؟!

وترجمة ذى الرُّمَّة تقدّمت فى الشاهد الثامن من أوائل الكتاب[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[٣] :

٢٤٠ (وكُلُّ أخٍ مُفارِقُهُ أخُوهُ لَعَمْرُ أبيكَ إلاّ الفرقَدانِ)

على أنّ (إلاّ) صفةٌ لكلّ ، مع صحّة جَعْلِها أداةَ استثناء ، ونصبِ الفرقدين على الاستثناء ، كما هو الشرط فى وصْفيَّة إلاّ .

قال ابن هشامٍ فى المغنى : والوصف هنا مخصِّص ، فإنّ ما بعْد إلاّ مطابقٌ لما قبلها ، لأنّ المعنى : كلُّ أخوين غير هذين الكوكبين متفارقان . وليست إلا استثنائيّة ، وإلاّ لقال : إلاّ الفرقدَين ، بالنصب ، لأنّه بعد كلامٍ تامٍّ موجَب كما هو الظاهر مع كونه لِمُستغرِق وهو كلُّ أخٍ ؛ كما نصب الشاعر فى هذا البيت — وهو من أبياتٍ مذكورةٍ فى مختار أشعار القبائل ، لأبى تمّام صاحب الحماسة ، لأسعَد الذُّهْلىّ — وهو :

وكلُّ أخٍ مُفارِقُهُ أخُوه لشَحط الدار إلاّ ابنَي شَمامِ

(١) فى النسختين : « وركوب للرأس » ، وقد صححها الشنقيطى بما أثبت .
(٢) فى الخزانة ١ : ص ١٠٦ وما بعدها
(٣) فى كتابه ١ : ٣٧١ وانظر الكامل ٧٦٠ والإنصاف ٢٦٨ وابن يعيش ٢ : ٨٩ والهمع ١ : ٢٢٩ وشرح شواهد المغنى ٧٨ والأشمونى ٢ : ١٥٧ وحماسة البحترى ٢٣٤ .

قال أبو عُبيد القاسم فى أمثاله : ابنَى شَمام هنا : جبلان . وهو بفتح الشين المعجمة وكسر الميم كَحَذامِ[1] . وفى المرصّع لابن الأثير : ابنا شَمام جَبَلان فى دار بنى تميم ممّا يلى دارَ عمرو بن كلاب ، وقيل : شمام هو جبلٌ . وابناه : رأساه ، وأنشد الخليل :

وإنــكما على غِيَرَ الليــالى لأبقَى مِنْ فُروعِ ابنَي شمامِ اﻫ

وقال حمزة الأصبَهانىّ فى أمثاله التى جاءت على أفعل : ابنا شمام : هضبتان فى أصل جبلٍ يقال له شَمام .

وعند ابن الحاجب فى البيت الشاهد شذوذٌ من ثلاثة أوجه : أحدها : أنّه اشترط فى وقوع إلا صفةً تُعذِّرُ الاستثناء ، وهنا يصحُّ لو نصَبه : وثانيها : وصفُ المضاف ، والمشهور وصفُ المضاف إليه . وثالثها : الفصل بين الصفة والموصوف بالخبر ، وهو قليل . قال صاحب المقتبس : وفى البيت تخريجٌ يتراءى لى غيرَ بعيد عن الصواب ، وهو أن يُجعَل قولُه : مفارقه أخوه ، صفة لـكلّ — وساغ ذلك لـكونه نـكرة ، إذْ إضافتُه لفظيَّة ـ ثم يُجعل إلاّ الفرقدان خبراً للمبتدإ الموصوف ، ولا يَخرُج جعلُها خبراً عن الوصفيَّة ، لأنّ الخبر أيضاً صفة حقيقيَّة . فتكون إلاّ فى قوله تعالى : (إلاّ اللهُ لَفَسَدَتا[2])صفة نحويَّة وفى البيت صفة معنوية . وبهذا الوجه يَخرُج الـكلام عن تخلُّلِ الخبر بين الصفة والموصوف . وتقديرُ البيت على ماذكرتُ : وكلُّ أخٍ مفارق أخاه مُغايرٌ للفرقَدين : أى ليس على صفتهما ، لأنهما لايفترقان منذ كانا . انتهى . وردَّه السيِّد عبدُ الله (فى شرح اللُّبّ) بقوله : ولا يجوز أن يجعل مُفارقُه صفةً

---

(١) ط : « كجذام » ، صوابه فى سـ

(٢) الآية ٢٢ من الأنبياء

وإلاّ الفرقدان خبراً حتى يتخلّص من هذه الفسادات كما قيل ، لفساد المعنى . ووجهُه أنّ المراد الحكم على كلّ أخٍ بأنه مفارقٌ أخاه فى الدنيا سِوى الفرقدَين فإنّهما لا يفترقان إلاّ عند فناء الدنيا ، وليس المعنى على ماذكره ، فإنّه يقتضى مفهومُه أنّ كلّ أخٍ لا يفارق أخاه مثلُ الفرقدين فى اجتماع الشَّمْل . وليس فى الدنيا أخوانِ لا يفترقان . فتأمّلْ .

وفى البيت تخاريجُ أُخر : إحداها للكوفيّين ، نقله عنهم ابنُ الأنبارى فى مسائل الخلاف : أنّ إلاّ هنا بمعنى الواو ، وهى تأتى بمعناه كثيراً كقوله تعالى : (لئلا يكونَ للناسِ عَلَيْكُم حُجّةٌ إلاّ الذين ظَلَموا[1]) أى ولا الذين[2] ظلموا لا تكون لهم أيضاً حجّة ، وقوله تعالى : (لا يُحبُّ اللهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ مِن القَول إلاّ من ظُلِم[3]) أى ومن ظُلِم لا يُحِبُّ أيضاً الجهرَ بالسُّوءِ منه — وكذا قال السيِّد المرتضى فى أماليه فى أحدِ أوجُهِ إلاّ فى قوله تعالى : (خالدِينَ فيها مادامتِ السمواتُ والأرضُ إلاّ ماشاء رَبُّك[4]) : إنّ إلا بمعنى الواو — وأَوْرَدَ هذا البيت وغيرَه شاهداً لمجىء إلاّ بمعنى الواو[5] — وأجابَ البصريُّون أنّ إلاّ فى البيت بمعنى غير ، وفى الآيات للاستثناء المنقطع . (ثانيها) ماذهب إليه الكسائى . أنّ أصله إلاّ أن يكون الفرقدان ، وقد ردّ سيبويَه هذا القولَ كما بيَّنه الشارح المحقِّق .

قال أبو علىّ — فى الإيضاح الشِّعْرِىّ — : أنشد سيبويه هذا البيت[6]

---

(١) الآية ١٥٠ من البقرة .

(٢) كذا فى ط والإنصاف ، لكن جعلها الشنقيطى فى نسخته : « أى والذين »

(٣) الآية ١٤٨ من النساء

(٤) الآية ١٠٧ من سورة هود

(٥) أمالى المرتضى ٢ : ٨٧ — ٩١ .

(٦) فى النسختين : « على البيت » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

وقال : لا يجوز أن يكون قوله : إلاّ الفَرقدان ، على تقدير إلاّ أن يكون الفرقدان . وإنّما لم يجزْ هذا لأنّك لاتحذف الموصولَ ، وتدَع الصلة ، لأنّ الصلّة تُذكر للتخصيص والإيضاحِ للموصول ، فإذا حذفتَ الموصولَ لم يَجُزْ حذفه وذكرُك ما يكون إيضاحاً له . ونَظير ذلك أجمعون فى التوكيد ، لا يجوز أن تَذكُره وتحذِف المؤكَّد . فإنْ قلتَ : لم لايكونُ كالصفة والموصوف فى جواز حذف الموصوف وذكر الصفة ، وكذلك تحذف الموصولَ وتذكُر الصلة ؟ قلتُ : لم يكن فى هذا كالوصف إذا كان مفرداً ؛ ألا ترى أنّ الوصف إذا كان مفرداً كان كالموصوف فى الإفراد ؛ وإذا كان مثله جازوقوعُه مواقع الموصوفِ ، من حيثُ كان مفرداً مثلَه ، مع استقباحٍ لذلك . فأمّا الصلة فلا تقع مواقعَ المفرد ، من حيث كانت جُمَلاً ، كما لم يجز أن تبدَل الجمل من المفرد ، من حيث كان البدلُ فى تقدير تكرير العامل ، والعامل فى المفرَد لايعمَل فى لفظ الجملة ، فكذلك لايجوز أن تَحذف الموصولَ وتقيم الصلة مقامه . فإن قلتَ : هلّا جاز حذفها كما جاز حذف الصلّات وإبقاء الموصولة ، كقوله : بعد اللتيا والتى[1] ؟ قلت : إبقاء الموصول وحذفُ الصلة أشبَهُ من عكس ذلك ، لأنّ الموصول مفرد وليس كالصلة التى هى جملة ؛ فكذلك جاء فى الشعر ولم يمتنع ، كما لايمتنع أن يذكَر المؤكَّدُ ولا يذكر التأكيد . ولو ذكرتَ أجمعون ونحوَه ، ولم تَذكُر المؤكَّد لم يجز . انتهى كلام أبى علىّ ؛ ولكثرة فوائده نقلناه برُمّته .

٥٤

(ثالثها) : مانقله بعض شُرّاح أبيات المفصَّل مِن فضلاء العجم ، وهو أنّ إلاّ هنا بمعنى حتَّى ، والمعنى : كلُّ أخٍ مفارقه أخوه حتّى إنّ الفرقدين ، مع

---

(١) إشارة إلى قول العجاج فى ديوانه ٦ وسيبويه ١ : ٣٧٦/٢ : ١٤٠ :

* بعد اللتيا واللتيا والتى *

شدّة اجتماعهما وكثرة مصاحبتهما ، يُفرِّق كلٌّ واحدٍ منهما عن صاحبه ؛ فما ظنُّك بغيرهما ! قال : وعلى هذا تكون إلاّ مستعملةً استعمالَ حتّي ، للمناسبة بين الاستثناء والغاية ؛ ويكون ذلك كقولهم : مات الناسُ حتّي الأنبياء . هذا كلامه ، وليس المعنى على ما زعمه ، وفيه تعسُّفٌ أيضاً .

(رابعها) : ما ذكره ابنُ الأنباريّ فى مسائل الخلاف : أنّ إلاّ هنا للاستثناء المنقطع ، قال : أراد لكن الفرقدان فإنّهما لا يفترقان ، على زعمهم فى بقاء هذه الأشياء(١) . هو غير متبادَر منه ، وهو كقول الأعلم فى شرح أبيات الكتاب : « وهذا على مذهب الجاهليَّة » ، مع أنّ قائل هذا البيتِ صحابيٌّ كما سيأتى . وسبقهُما المبرّد فى الكامل ، فإنه بعد أن نَسَبَ البيتَ لعمرو بن معد يكرب ، اعتذر عنه فقال : وهذا البيت قاله قبل أن يُسلِم . ثم أورد عقبَه بيتَ أبى العَتاهِيَة ، دليلاً على ما فهمه ، بقوله : وقال إسماعيلُ ابن القاسم :

ولم أرَ ما يدومُ له اجتماعٌ   سيفترِقُ اجتماعُ الفَرقدينِ

ونحن نقول : محمل هذا البيت أنّهما يفترقان عند قيام الساعة . ولكل وجهة . و (الفرقدان) : نجمان قريبان من القُطْب لا يفارق أحدُهما الآخر .

وبقى فى البيت احتمالُ وجهٍ آخر ، لم أرَ مَن ذكره ، وهو أن تكون إلاّ للاستثناء ، والفرقدان منصوبٌ بعد تمام الكلام الموجَب ، لكنّه بفتحةٍ مقدرة على الألف ، على لغة من يُلزم المثنّي الألفَ فى الأحوال الثلاثة ، وهى لغة بنى الحارث بن كعب . والله أعلم .

---

(١) فى الإنصاف : « على زعمهم فى بقاء هذه الأشياء المتأخرة إلى وقت الفناء »

وقوله : (وكلُّ أخٍ مفارقه أخوه) قال الفالىّ[١] فى شرح اللبـاب : يحتمل وجوهاً من الإعراب : أحدها أن يكون كلُّ مبتدأ ومفارقه خبره وأخوه فاعل مفارقه . الثانى : أن يكون كلُّ مبتدأ ومفارقه مبتدأ ثانياً وأخوه خبره والجملة خبر الأول . الثالث : أن يكون كلُّ مبتدأ وأخوه مبتدأ ثانياً ومفارقه خبر المقدَّم والجملة خبر الأوّل . الرابع : أن يكون كلُّ مبتدأ ومُفارِقه بدلاً منه وأخوه خبر كلّ : أى مفارقُ كلِّ أخٍ أخوه . الخامس : أن يكون مفارقه بدلاً من كلّ وأخوه مبتدأ وكلُّ أخٍ مفارقُه خبرٌ مقدَّم انتهى .

٥٥

وقوله : (لَعَمْرُ أبيـك) مبتدأ خبره محذوف تقـديره : قسَمى . والجملة معترضة .

صاحب الشاهد

وهذا البيت جاء فى شعرَين لصحابيَّين : أحدهما عَمرو بن مَعْدِ يكرب ، أنشده الجاحظ فى البيان والتبيين له ، وكذا نَسَبه إليه المبرّد في الـكامل ، وصاحب جمهرة الأشعار ، وغيرهم — وتقدَّمت ترجمتـه فى الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة[٢] — .

حضرمى ابن عامر

الثانى حَضْرَمىُّ بن عامر الأسَدىّ : قال الآمدىّ (فى المؤتلف والمختلف) : هو حَضْرَمىُّ بن عامر بن مُجَمِّع بن مَوْءَلَة بنِ هشامِ بن ضب[٣] بن كعب ابن القين بن مالك بن ثَعلَبة بن دُودان بن أسد . وهو شاعرٌ فارس سيِّد ، وله فى كتابِ بنى أسدٍ أشعارٌ وأخبارُ حِسَان ، وهو القائل :

ألا عجِبَت عُميرةُ أمْسِ لمّـا رأتْ شيبَ الذُّؤابة قد علَانى
تقول : أرى أبى قد شَابَ بعدى وأقْصَرَ عنْ مطالبَةِ الغَوانى[٤]

(١) فى النسختين : « القالى » بالقاف ، وإنّما هو الفالى بالفاء ، صاحب شرح اللباب
(٢) الخزانة ٢ : ص٤٤٤
(٣) وكذا فى المؤتلف ٨٤ ، لـكن فى الإصابة : « ضبة » .
(٤) فى النسختين : « قد أرى أبى » ، صوابه من المؤتلف وشرح شواهد المغنى .

إلى أن قال :

وذى فَخْمٍ عزَفْتُ النفسَ عنهُ   حِذارَ الشامتِينَ ، وقد شَجانى
قطَعتُ قَرينتى عنه فأغنى   غِناه فلم أراه ولم يرانى[١]
وكلُّ قرينةٍ قُرِنَتْ بأخرى   ولو ضَنَّت بها ، ستفُرَّقانِ
وكلُّ أخٍ مفارِقُه أخوه   لعمرُ أبيك إلا الفرقدانِ
وكلَّ إجابتى إيّاه أنّى   عَطفتُ عليه خوّارَ العِنانِ[٢] اهـ

والذؤابة : الخُصلة من الشعر . والفَخْم ، بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة : التعظُّم والاستعلاء ، ومثله الفُخَيمة بالتصغير . وعزَفْت ، بالعين المهملة والزاى والفاء ، أى صرفت . وحِذارَ مفعولٌ لأجله لقوله عزفت . وجملة وقد شَجانى ، أى أحزننى ، حاليّة . وقوله : قطعتُ قرينتى ، هو جواب رُبَّ المقدَّرة فى قوله : وذى فَخْم . ومعناه كلُّ نفسٍ مقرونةٍ بأخرىٰ ستفارقها . وضنَّت : بَخلت . وقوله : وكلَّ إجابتى ، كلَّ فعلٌ ماض من الكَلال . ويُروىٰ : (وكان إجابتى إيّاه[٣]) .

وحَضْرَمِيّ بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وبعد الراء ميم مكسورة بعدها ياء مشدّدة . ومُجَمِّع بوزن اسم الفاعل من جمَّع تجميعًا . ومَوْءَلة ، بفتح الميم وسكون الواو وبعدها همزة مفتوحة ، قال فى القاموس : وبنو مَوْءلة

(١) شرح شواهد المغنى : « فلن أراه ولن يرانى » ، والرواية هنا على لغة مَن يرفع المضارع بعد « لم » كما جاء فى قوله :

لولا فوارس من ذهل وإخوتهم   يوم الصليفاء لم يوفون بالجار

(٢) السيوطى : « فكان إجابتى »

(٣) كتب مصحح المطبوعة الأولى ، أى طبعة بولاق : « بياض بالأصل ، وبهامشه لعل موضع البياض : وخوار العنان : سهل المعطف كثير الجرى . اهـ » . وليس فى سه أثر البياض .

كمَسْعَدة : بطن ، وهو مَفعلة اسم مكان من وأل إليه يئل بمعنى لجأ وخلَص ؛ والموئل : الملجأ . وضبطه ابن حَجَر فى الإصابة موَلة بفتحات ، وأورد حمام بدل هشام[1] وأورد باقىَ النسب كما ذكرنا ، وقال : ذكره ابن شاهين وغيره فى الصحابة . وروىٰ أبو يعلى وابن قانع[2] ، من طريق محفوظ بن علقمة ، عن حَضرمىّ بن عامر الأسدىّ ـ وكانت له صحبة أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « إذا بالَ أحدُكُمْ فلا يَستَقبِلُ الريحَ ولا يستَنْجى بيمينه » ـ قال السيُوطىُّ فى شرح شواهد المغنى : ولم أقف لحضرمىّ على رواية غير هذا الحديث .

٥٦

قال ابن حَجر : وروىٰ ابن شاهين من طريق المدائنى عن جماعة أنّهم قالوا : وفد بنو أسد بن خزيمة ، وفيهم حضرمىّ بن عامر وضِرار بن الأزوَر ، وسَلمة وقَتادة وأبو مُكْعِت . فذكر الحديثَ فى قصّة إسلامهم وكتب لهم رسولُ الله ﷺ كتاباً . قال : فتعلَّم حضرمىّ بن عامر سورة (عَبسَ وَتوَلّى) فزاد فيها : «وهو الذى أنعَمَ على الحُبلىٰ ، فأخرجَ منها نَسَمةً تسعىٰ» ، فقال له النبيُّ ﷺ : « لا تزِدْ فيها » .

وأخرجه من طريق منجاب بن الحارث من طُرُقٍ ذكر فيها[3] أنّ السورة (سَبّح اسمَ ربِّك الأعلى) وروى عمر بن شَبّة بإسنادٍ صحيح إلى أبى وائل قال : « وفد بنو أسدٍ فقال لهم النبىُّ ﷺ : مَن أنتم ؟ قالوا : نحن بنو الزِنْية أحلاس الخيل ! قال : بل أنتم بنو الرِشْدة ! فقالوا : لا ندَعُ اسمَ أبينا » وذكر قصّة طويلة .

وقال المرزُبانىُّ فى معجمه : كان حضرمىٌّ يكنى أبا كِدام[4] ؛ ولمّا سأله

(١) السيوطى : « بدل همام » .
(٢) فى النسختين : « ابن نافع » ، وأثبت مافى الإصابة وشرح شواهد المغنى .
(٣) فى النسختين : « ذكرها فيها » ، وصوابه من الإصابة
(٤) كِدَام ككتاب

عمر بن الخطاب عن شعره في حرب الأعاجم ، أنشده أبياتاً حسنة في ذلك .

وروى أبو عليّ القاليّ [(١)] من طريق ابن الكلبيّ قال : كان حضرميُّ ابن عامر عاشِرَ عَشَرةٍ من إخوَتِه ، فماتوا فورِثهم ، فقال فيه ابنُ عمٍّ له يقال له جَزْء بن مالك : يا حضرميُّ ورِثتَ تسعة إخوةٍ فأصبحتَ ناعماً ! فقال حضرميٌّ ، من أبيات :

إن كنتَ قاوَلتَني بها كذِباً جزء ، فلاقيتَ مثلَها عَجِلا (٢)

فجلس جَزْء على شَفيرِ بئر هو وإخوته ــ وهم أيضاً تسعة ــ فانخسفت بهم فلم ينج غيرُ جَزْء ، فبلَغ ذلك حضرميَّ بنَ عامر فقال : كلمةٌ وافقَتْ قدَرا ، وأبقَتْ حِقْدا ! انتهى ما أورده ابن حجر في الإصابة .

وهذا البيت الذى نقله عن أبى عليّ القاليّ ، هو أحد أبياتٍ ثلاثةٍ أوردها ابنُ السِّيد البَطَلْيوسيُّ في شرح شواهد أدب الكاتب (٣) وهى :

يزعمُ جَزْء ولم يَقُل جَللاً أنّي تَرَوَّحتُ ناعماً جَذِلا

إنْ كنتَ أَزْنَنْتَني بها كذباً جَزْء ، فلاقيتَ مثلَها عَجِلا

أفرَحُ أنْ أُرْزَأ الكِرامَ وأنْ أُورَثَ ذَوداً شصائصا نَبَلا

وجَزْء ، بفتح الجيم وسكون الزاى وثالثه همزة ؛ وهو منادى في البيت الثانى . والجلل هنا بمعنى الحقير (٤) ويأتى بمعنى العظيم أيضاً ، وهو من الأضداد .

---

(١) في الأمالى ١ : ٩٧

(٢) الأمالى : « إن كنت أزننتنى » .

(٣) في النسختين : « آداب الكاتب » تحريف

(٤) تبع البغدادى في هذا ابن السيد في الاقتضاب ٣٦١ . ولا تعارض بين هذا التفسير وبين رواية القالى : « ولم يقل سدداً » إذا المعنى أنه لم يوفق إلى السداد ، فأتى بزعمه أمراً معظما .

وتَرَوَّحَ بالحاء المهملة : صار ذا راحة . وناعم : وصفٌ من النعيم ، وهو الخَفْض والدَّعَة والمال . وجَذْلان بمعنى فرحان ، من الجَذل ، بفتحتين ، وهو الفرَح . وأزْنَنْتَني : اتّهمتنى ؛ يقال زَنَنْتُه وأزننته بكذا : إذا اتّهمته به ونسبتَه إليه . وقوله : أفرح ، أراد أأفرح ، على معنى التقرير[1] والإنكار ، فترك ذكر الهمزة وهو يريدها حين فُهِم ما أراد ؛ وهذا قبيح ، وإنّما يحسُن حذفها مع أمْ .

وقد أورده صاحب الكشاف فى تفسيره دليلاً على حذف همزة الاستفهام.

والرُّزْء ، براء مضمومة وزاى ساكنة بعدها همزة ، قال صاحب القاموس: رزأه مالَه ، كجَعَلَه وعمِلَه ، رُزْءا بالضمّ : أصاب منه شيئاً . فالمفعول الثانى فى البيت محذوف ، أى أرْزَأَ الكرامَ مالَهم . وأورث بالبناء للمفعول . والذَّود من الإبل : دون العشرة ، وأكثرُ ما يُستعمل فى الإناث . والشَّصائص التى لا ألبان لها ؛ الواحد شَصُوص ، بفتح المعجمة وإهمال الصادين ؛ يقال شَصَّت الناقة وأَشصّت . والنَّبَل ، بفتح النون والموحَّدة : الصِّغار ؛ قال فى القاموس : والنَّبَل محرَّكة : عِظام الحجارة والمدَرِ وصغارُها .

(تتمة)

٥٧

أوردَ الآمدىُّ (فى المؤتلف والمختلف) اثنَين من الشعراء ممّن اسمه حَضْرَمىّ ، أحدهما هذا الصحابىّ .

حضرمى بن الفلندح

والثانى حَضْرَمىُّ بنُ الفَلَنْدَح (بفتح الفاء واللام وسكون النون وفتح الدال وآخره حاء مهملة) قال : هو أخو بنى حَرام بن عُوف المَشْجَعىّ . وبنو مَشْجَعة بن تيم بن النّمر بن وَبَرة ، أبو كلب بن وَبَرة ؛ شاعرٌ ، وهو القائل :

(١) فى النسختين : « التقدير » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته

إذا نفحتْ من نحوِ أرضكِ نفحةٌ رياحُ الصَّبا[1] يا قَيْلُ طابَ نسيمُها
كأنّكِ فى الجلباب شمسٌ نقيَّة تجوّبُ[2] عنها يومَ دَجنٍ غيومُها: انتهى

وقيل مرخّم قيلة[3] بالقاف اسم امرأة ، ولا أعرف هل هو إسلامىٌّ أو لا .
والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد المائتين :

٢٤١ (ولم يَبْقَ سوى العُدْوا نِ دِنّاهُم كما دانوا)[4]

على أن (سِوى) قد خرجت من الظرفيّة إلى الاستثناء عند الكوفيِّين ، وهى هنا مرفوعة بضمّة مقدّرة على الألف على أنّها بدلٌ من فاعل لم يبقَ المحذوفِ ، أى لم يبق شىء سوى العُدْوان . وهذا عند البصريِّين شاذ لا يجىء إلا فى ضرورة الشعر .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ للفِنْد الزِمّانىّ ، قالها فى حرب البَسوس[5] ؛ أورد قطعةً منها أبو تمّام فى أول الحماسة ، وهى :

أبيات الشاهد

(صَفَحْنا عن بنى ذُهلٍ وقُلنا : القومُ إخوانُ
عَسىٰ الأيامُ أن يَرْجِعْنَ قوماً كالذى كانوا
فلمّا صرّحَ الشَّرُّ فأمسى وهو عُريانُ
ولم يَبقَ سِوى العُدوا نِ ، دِنّاهُمْ كما دانوا

(١) فى المؤتلف ٨٥ : « الصبايا قبل » ، وما هنا صوابه .
(٢) المؤتلف : « تجرب » بالراء ، وما هنا صوابه
(٣) انظر الحاشية ١ : ص ٣٩٩ من هذا الجزء
(٤) العينى ٣ : ١٣٢ والهمع ١ : ٢٠٢ والأشمونى ٢ : ١٥٩ والتصريح ١ : ٣٦٢ والحماسة ٣٥ بشرح المرزوقى وأمالى القالى ١ : ٢٦٠ وشرح شواهد المغنى ٣١٩
(٥) كتاب البسوس ٩٣

مَشَيْنا مِشيةَ اللَّيثِ، غَدَا ، والليثُ غَضبانُ
بضربٍ فيه توهينٌ وتخضيعٌ وإقرانُ
وطَعنٍ كفَم الزِقِّ غَدَا والزِّقُّ ملآنُ
وبعضُ الحلمِ عندَ الجهـل للذلَّة إذعانُ
وفى الشرِّ نجاةٌ حيـنَ لا ينجيك إحسانُ)

الصفح : العفو ، وحقيقته أعرضْنا عنهم وأوليناهم صَفْحَةَ عُنُقنا . ورُوى : (عن بنى هِنْدٍ) ، وهى هند بنت مرِّ بن أُدّ أُختُ تميم . وقوله : عسى الأيّام الخ ، قال المرزوقىّ : لا يجوز أن يكون الذى بمعنى الذين ، لأنّ الموصول والصلة يصير صفةً لقومٍ آخرين كالقوم المذكورين ، بل التقدير : أن يرددْن دأبَ القومِ كائناً كالدأْب الذى كانوا عليه . وفى هذا الوجه يجوز أن يكون الذى للجنس ، كما قال تعالىٰ (والذى جاء بالصِّدْق وصَدّق به [(١)]) ثم قال : (أولئك) . والفصل بين هذا الوجه والوجهِ الأوّل أنه أمّل فى الوجه الأول أنّهم إذا عفَوا عنهم أدّبتهم الأيّامُ وردّت أحوالَهم كأحوالهم فيما مضىٰ : فى الاتفاق والتوادّ ؛ وفى الوجه الثانى أمَّل أن يرجع الأيام أنفسَهم ، إذا صفَحوا عنهم ، كما عهِدت : سلامةَ صُدور وكرَمَ عُهود[(٢)] انتهى .

ومعنى يَرْجِعن يردُدن من باب فَعل وفعَلته ، يقال رَجع فلان رُجوعاً ومَرْجِعاً[(٣)] ورُجعاناً ورجَعته رجْعاً ؛ والعائد محذوف : أى كالذى كانوه ، وهو خبر كان .

---

(١) الآية ٣٣ من الزمر

(٢) النقل هنا مقتضب فارجع إلى شرح المرزوقى ٣٤ .

(٣) بكسر الجيم كما فى القاموس ، وكذلك مرجعة بكسرها . ونبه على شذوذهما .

وهذا البيت أورده ابن هشام فى المغْنى على أنّ بعضهم استدلّ به على أنّ المعرفة إذا أُعيدَت نكرةً كانت عَيْنا(١) ، على القاعدة المشهورة .

و (صرّح) بمعنى انكشف ، ويأتى أيضاً متعدِّياً بمعنى كشفه . وجملة (وهو عريان) خبر أمسى ؛ وذِكرُ العُريانِ مثَلٌ لظهور الشرّ . ورُوى (فأضحى وهو عُريان) وهذه أحسَن ، لأنّ الشىء فى الضُّحى أشهَر . وقوله : (ولم يَبقَ سوى العُدْوان) معطوفٌ على قوله صرَّح . وقوله : (دنّاهم .. الخ) جوابُ لمّا . والعُدوان : الظُّلم الصريح . والدِّين : الجزاء . وأورد البيضاوىُّ هذا البيتَ فى قوله تعالى : (مَالِكِ يَومِ الدِّينِ) على أن الدِّين الجزاء . والمعنى : لما أصَرُّوا على البغى وأبَوا أن يَدَعوا الظلمَ ، ولم يَبق إلاّ أن نقاتلهم ونعتدىَ عليهم كما اعتدَوا علينا ، جازَيناهم بِفِعْلهم القبيحِ كما ابتدءونا به . وإطلاق المُجازَاة على فعلهم مشاكَلةٌ ، على حدِّ قوله تعالى : (فَمَن اعتَدَى عَلَيكُمْ فاعْتَدُوا عَلَيه(٢)) .

وقوله : مَشَينا مِشيَة الخ ، هذا تفصيلٌ لما أجمله فى قوله دِنّاهم ، وتفسيرٌ لكيفيّة المجازاة . وكرَّر الليثَ ولم يأت به مضمَراً ، تفخيماً وتعظيماً . والمعنى : مَشينا إليهم مِشيَة الأسد ابتَكر وهو جائع . وكنىٰ عن الجوع بالغضَب ، لأنّه يصحبَه . وغدَا بمعجمة فمهملة ، ولا يجوز بمهملتين لأنّ الليث لايكون ماشياً عادياً فى حال . فإن قيل : اجعلْه من العدْوان ، قلتُ : الليث لايمشى فى حال عُدوانه وإنّما يشُدُّ شدًّا ؛ ويجوز على رواية (شَددْنا شَدَّة الليث) على أنَّه من العُدوان .

---

(١) الوجه عينها ، أى عين المعرفة .

(٢) الآية ١٩٤ من سورة البقرة

وقوله: بضربٍ فيه توهينٌ الخ، الباء تتعلّق بمشينا. والتوهين: التضعيف والإقران: مواصَلة لافُتور فيها: ورُوى:

بضربٍ فيه تفجيعٌ وتأييمٌ وإرنان

والتأييم: جعل المرأة أيِّما، والأيِّم هي التى قُتِل زوجُها أو مات. والإرنان، من الرنين والبكاء، يقال رنّ وأرنّ.

وقوله: وطعنٍ كفم الزِّقّ الخ، غذا بمعجمتين بمعنى سال، يقال غذا يغذو غَذْواً والاسم الغذاء، أى وطعنٍ فى اتِّساعه وخروجِ الدم منه كفَم الزِّقِّ إذا سال بما فيه وهو مملوء. وجملة غذا مع ضميره بتقدير قد، حاليّة.

وقوله: وبعض الحلم الخ، الإذعان: الانقياد، يقال أذعَنَ لـكذا: إذا انقادَ له، وأذعن بكذا: إذا أقرَّ به. اعتذَرَ فى هذا البيت عَن تركهم التحلُّم مَع الأقرباء، بأنّه كان يُفضى إلى الذُّلّ.

وقوله: وفى الشرِّ نجاةٌ الخ أراد فى دفع الشرّ، ويجوز أن يريد وفى عمل الشر نجاةٌ، كأنّه يريد: وفى الإساءة تخلصٌ إذا لم يخلِّصك الإحسان.

الفند الزمانى

و (الفِنْد الزِمَّانىّ) اسمه شَهْلُ بنُ شَيبانَ بن ربيعةَ بن زِمَّان الحَنَفىّ. فهو منسوبٌ إلى جدِّ أبيه. (وشَهْل) بالشين، وليس فى العرب شَهْل بالمعجمة إلاّ هو وشَهْل بن أنمار من قبيلة بَجيلة. و (زِمّان) بكسر الزاى وتشديد الميم، هو إمّا فِعلان مِن زممت، أو فِعّال من الزمن. و (الفِنْد) بكسر الفاء وسكون النون: القطعة من الجبل، وإنّمالقِّب به، لأنّ بكر بن وائل بعثوا إلى بنى حَنيفة(١) ـ فى حرب البَسوس ـ لينصروهم، فأمدُّوهم به وكتبوا إليهم: قد بعثنا إليكم بثلثمائة فارس! فلمّا أتى بَـكراً وهو مُسِنٌّ قالوا: وما

(١) ط: «إلى بكر بن حنيفة»، صوابه فى سه والأغانى ٢٠: ١٤٤

يغنى هذا العَشَبة ! قال : أو ماترضَون أن أكون لكم فِنْداً تأوُون إليه ؟ فلقِّب به .. والعَشَبة ، بفتحات العين المهملة والشين المعجمة والتاء الموحّدة : الشيخ الكبير ؛ ويقال العَشَمة بالميم بدل الموحّدة ، كذا فى إعراب الحماسة لابن جنّي .

وفى الأغانى[1] : كان الفِنْد أحدَ فرسان ربيعةَ المشهورين المعدُودين ، شَهِد حَربَ بكرٍ وتَغلِبَ وقد قارب المائةَ سنة ، فأبلى بلاء حسناً . وإنّما لقِّبَ فِنْداً ، لأنّ بكرَ بن وائل بَعثُوا إلى بنى حَنيفة يستنصِرُونهم . وذكر الحكايةَ التى ذكرناها ، ثم قال : فوجَّهوا إليهم بالفِنْد الزِمَّانىّ ، فى سبعين رجلاً ، وكتبوا إليهم : إنّا قد بعثنا إليكم ألفَ رجل !.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد المائتين[1] :

٢٤٢ (تَجانَفُ عن جَوِّ اليمامة ناقتي   وما عَدَلت عَنْ أهلِها لِسوائِكا)

على أنّ خروج (سَواء) عن الظرفيَّة شاذٌ خاصٌ بالشعر ، وإذا خرجت كانت بمعنى غير .

وقد استفتى بعضُهم من جملة أسئلة أربعة : هل تكونُ سواء بمعنى غير ؟ فأجابه أبو نزار الملقَّبُ بملك النُّحاة ، بأنّه قد نُصَّ على أنّها لاتأتى إلاّ ظرف مكان ، وأنّ استعمالها اسماً متصرِّفاً بوجوه الإعراب بمعنى غير خطأٌ .

ونقل ابن الشَّجَرىّ فى أماليه صورةَ الاستفتاءِ الأسئلة الأربعة ، وما أجاب

---

(١) وهو من شواهد س فى كتابه ١ : ١٣ ، ٢٠٣ ولا أدرى كيف أهمل البغدادى الإشارة إليه . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٣٥ / ٢ : ٤٥ ، ١١٩ ، ١٢٤ وابن يعيش ٢ : ٤٤ ، ٨٤ والإنصاف ٢٩٥ والهمع ١ : ٢٠٢ وديوان الأعشى ٦٥ .

به أبو نزار ، وجوابَ الإمام أبى منصور الجَوَاليقىّ[١] واستجهَلَ أبا نزار وذمَّه ، وخطَّأه تبعاً للجواليقىّ ، وأجاب هو أيضاً عن الأسئلة وقال فى سِوَى : وأمَّا سوى فإنَّ العرب استعملتها استثناء ، وهى فى ذلك منصوبة على الظرف ، بدلالةِ أنّ النصب يظهر فيها إذا مُدَّت ؛ فإذا قلتَ أتانى القوم سواءك فكأنَّك قلت مكانَك . واستدلّ الأخفشُ على أنّها ظرف بوصلهم الاسمَ الناقصَ بها فى نحو: أتانى الذى سِوَاك . والكوفيُّون يرونَ استعمالها بمعنى غير .
وأقول : إدخال الجارّ عليها فى قول الأعشى :

وما قصدتْ مِنْ أهلِها لِسوائكا

يخرجُها عن الظرفيَّة . وإنّما استجازت العربُ [ذلك[٢]] فيها تشبيهاً لها بغير ، من حيث استعملوها استثناء . وعلى تشبيهها بغيرٍ قال أبو الطيِّب :

أرض لها شرفٌ سواها مثلها لو كان مثلك فى سواها يوجد

رفع سوى الأولى بالابتداء وخفض الثانية بفى ، فأخرجهما من الظرفيَّة . فمن خطَّأه فقد خطَّأ الأعشى فى قوله : لسوائكا ؛ ومَن خطَّأ الأعشى فى لغته التى جُبِل عليها ـ وشعرُه يُستشهَد به فى كتاب الله تعالى ـ فقد شهد على نفسه بأنّه مدْخُول العقلِ ضاربٌ فى غَمْرة الجهْل . ومن العجب أنّ هذا الجاهلُ يُقدِم على تخطئة سلف النحويِّين وخلَفهم ، وتخطئة الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميِّين ، ولا يؤثر عنه أنَّه قرأ مُصَنَّفاً فى النحو إلاّ مقدِّمةً من تأليف عبد القاهر الجُرجَانىّ ، قيل : إنّها لا تبلغ أن تكون فى عَشْر

(١) انظر الأشباه والنظائر للسيوطى ٣ : ٦٦ ، ٦٩

(٢) التكملة من سه وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٢٤ والأشباه والنظائر ٣ : ٦٩

أوراق ! وقيل : إنّه لايملك من كتب النحو واللغة مامقداره عشر[1] أوراق ! وهو مع ذلك يردُّ بقِحَّته على الخليل وسيبوَيه ! إنّها لوصمة اتّسم بها زمانُنا هذا لايَبيدُ عارُها[2] ولا ينقضى شَنارُها. وإنّما طلب بتلفيق هذه الأهواس، أن تُسَطّر فتوى ، فيُثبت خطَّه فيها مع خطّ غيره فيقال : أجاب أبو نزار بكذا ، وأجاب غيره بكذا ! وقد أدرك لَعمرُ الله مطلوبَه ، وبلغ مقصودَه ؛ ولولا إيجاب حقّ مَن أوجبتُ حقّه والتزمتُ وِفاقَه ، واحترمتُ خطابه ، لصنْتُ خَطّى ولفظى عن مجاورة خطّه ولفظه : انتهى كلام ابن الشجَرىّ .

٦٠

وأجاب الجواليقىّ بقوله : وأمّا سوى فلم يختلفوا فى أنّها تكون بمعنى غير ، تقول : رأيتُ سواك : أى غيرك . وحكى ذلك أبو عُبيد عن أبى عبيدة . وقال الأعشى :

* وما قصدَتْ عن أهلها لسوائكا[3] *

أى لغيرك ، وهى أيضاً غير ظرف ؛ وتقدير الخليل لها بالظرف فى الاستثناء بمعنى مكان وبدل ، لايخرجها عن أن تكون بمعنى غير . وفيها لغات : إذا فتِحتْ مُدَّت لاغير ، وإذا ضُمّت قُصِرت لاغير ، وإذا كُسِرت جاز المدّ والقصرُ أكثر . وما يحمل المتكلّم بالقول الهُراء إلاّ فشوُّ الجهل . انتهى .

وقد حكىٰ ابنُ الأنبارىُّ (فى مسائل الخلاف) مذهبَ البصريّين والكوفيين مفصَّلا ، فلا بأس بإيراده مجملاً . قال : ذهب الكوفيّون إلى أنّ

(١) ط : « عشر أوراق » صوابه فى سه والمرجعين السالفين .

(٢) ط : « لا يبيد » ، صوابه فى سه مع أثر تصحيح والمرجعين السابقين .

(٣) ط : «عن » ، صوابه من المراجع المتقدمة ، وبذلك صححت فى سه . وإنما أتى « عن » مع رواية « وما عدلت » .

سواء تكون اسماً وتكون ظرفاً ، واحتجُّوا على أنّها تكون اسماً بمنزلة غير ولا تلزم الظرفيَّة ، أنَّهم يُدخلون عليها حرفَ الخفض ، قال المرَّار بن سلامة العِجْليّ :

ولا يَنطقُ الفحشاءَ مَن كان مِنهمُ إذا جلسوا مِنَّا ولا مِن سِوائنا

وقال الآخر :

وما قصَدَت من أهلها لسوائكا

وقال أبو دُواد :

وكلُّ مَن ظنَّ أن الموتَ مُخطِئُه مجلَّل بسواءِ الحق مكذوبُ [1]

وقال الآخر [2] :

أكرُّ على الكتيبة لا أُبالى أفيها كان حَتفى أمْ سواها

ورُوى عن بعض العرب أنّه قال : أتانى سواؤُك ؛ فرفع . وذهب البصريون إلى أنّها لا تكون إلاّ ظرفاً ، واحتجُّوا بأنّها ماا ستعملت فى اختيار الكلام [3] إلاّ ظرفاً ، قالوا : مررت بالذى سواك . فوقوعها صلة يدلُّ على ظرفيّتها ، بخلاف غير . وقولِهم : مررت برجُل سواكَ ، أى برجلٍ مكانك ، أى يُغنى غَناءك ويسدّ مَسدَّك . والذى يدلُّ على تغايُر سوىٰ وغير ، أنّ سوى لاتضاف إلاّ إلى معرفة ، نحو مررت برجل سواكَ ، وسوى العاقل ؛ ولو قلتَ: سوى عاقل لم يجزْ ، ولو قلتَ غيرِ عاقل ، جاز . ويدلُّ على ظرفيَّة سوى ، أنّ العامل يتعدّاها ، قال لَبيد :

وابذُلْ سَوامَ المـالِ إ نَّ سواءها دُهْماً وجُونا

---

(١) كذا فى ط . وفى س : « محلل » ، والذى فى الإنصاف « معلل » .

(٢) هو العباس بن مرداس كما سبق فى الخزانة ١ : ص ١٠٢ وما بعدها

(٣) ط : « خيار الكلام » صوابه فى س والإنصاف .

فنصَبَ سواءها على الظرف ودُهما بأنّ . . وأجابوا عن الأبيات بأنّه إنّما جاز ذلك لضرورة الشعر ، وعندنا يجوز خروجُها عن الظرفيَّة فى ضرورة الشعر ، ولم يقع الخلافُ فى حال الضرورة ، وإنّما استعمَلوها بمنزلةِ غيرٍ فى الضرورة ، لأنّها فى معناها ؛ وليس شىء يُضطرُّون إليه إلاّ ويحاولون له وجهاً . وأما رواية : أتانى سواؤك ، فروايةٌ تفرَّد بها الفرّاء عن أبى ثَرْوان ؛ وهى رواية شاذَّة غريبة ، فلا يكون فيها حُجّة . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد من قصيدة للأعشى مَيمون ، مدحَ بها هَوْذة[1] بن علىّ ابن ثمامة الحَنفى ، ومطلعها :

(أحَيَّتْكَ تيَّا أم تُرِكْتَ بدائكا ... وكانتْ قَتولاً للرجال كذلكا[2]

وأقصرتَ عن ذِكرى البطالةِ والصِّبا ... وكان سفيهاً ضَلَّة من ضلالكا[3]

وما كان إلا الحَيْنَ يومَ لقِيتَها ... وقَطْعَ جديدٍ حبلُها مِنْ حبالكا

وقامتْ تُرينى بعدَ ما نام صحبتى ... بياضَ ثَنَاياها وأسودَ حالكا)

٦١

ثم وصف الفقر والفاقة فى أبيات . . إلى أن قال :

(إلى هَوذَةَ الوهَّابِ أهديتُ مِدْحتى ... أرجِّى نَوالاً فاضلاً من عطائكا

تجانَفُ عن جَوِّ اليمامة ناقتِي ... وما عَمَدَتْ من أهلها لسوائكا

ألَمَّتْ بأقوامٍ فعافتْ حِياضهم ... قَلوصى ، وكان الشربُ فيها بمائكا[4]

فلمّا أتتْ آطامَ جوٍّ وأهلَه ... أُنيخَتْ فألقتْ رحلَها بفِنائكا[5]

---

(١) وردت « هوذة » فى ط بالدال المهملة فى جميع مواضعها هنا ، وهو تصحيف ظاهر :

(٢) فى ديوانه ٦٤ : « أتشفيك تيا » :

(٣) فى الديوان : « وكان سفاها » :

(٤) فى الديوان : « الشرب منها » .

(٥) ط : «فألق» ، صوابه فى ش ، وفى الديوان ٦٦ : « وألقت » :

سمعتُ برَحْب الباع والجودِ والندىٰ   فألقيتُ دَلوى فاستقَتْ برِشائكا

وما ذاكَ إلاّ أن كفَّيكَ بالندىٰ   يَجُودانِ بالإعطاءِ قبلَ سُؤالكا

فتيً يحمل الأعباء ، لو كان غيرُهُ   من النَّاس ، لم يَنْهضْ بها مُتماسِكا

وأنت الذى عوَّدْتنى أنْ تَريشَني   وأنتَ الذى آوَيتَني فى ظلالكا

وإنَّك فيما نابنى بىَ مُولَعٌ   بخيرٍ وإنِّى مُولَعٌ بثنائكا

وجدتَ عَليًا بانياً فورِثتَه   وطَلْقاً وشيبانَ الجوادَ ومالِكا

ولم يَسْعَ فى العَلياء سَعيَكَ ماجدٌ   ولا ذو إناً فى الحىِّ مثل إنائكا

وفى كلِّ عام أنت جاشمُ رِحلةٍ   تَشُدُّ لأقصاها عزيم عزائكا[١]

مورِّثةٍ مالاً وفى المجد رِفعةً   لما ضاعَ فيها من قُروءِ نسائكا)

قوله : أحيَّتْك ، الهمزةُ للاستفهام ، والتحيّة معروفة . وتَيّا بفتح المثنّاة الفوقيّة وتشديد المثنّاة التحتيّة ، الظاهرُ أنّه اسمُ محبوبته[٢] وقد تغزّل بها فى أكثر قصائده ، كقوله :

تذكرت تَيّا وأترابَها   وقد أخْلَفَتْ بعضَ ميعادها

وقوله :

عَرفتَ اليومَ من تَيّا مُقاما   بجَوٍّ أو عرَفْتَ لها خِياما

وقيل : إنّها اسم اشارةٍ بمعنى هذه . وأراد بالأسود الحالكِ شعرَها .

وقوله : (تجَانَفُ عَنْ جوٍّ . . الخ) أصله تتجانف بتاءين من الجنف وهو الميل . و (جَوّ) بفتح الجيم وتشديد الواو : اسم اليمامة فى الجاهليّة ، حتّى سمّاها الحميرىُّ لمّا قتل المرأةَ التى تُسمّى اليمامة باسمها ، وقال الملك الحميرىّ :

---

(١) ط : « عزائكا » صوابه فى س والديوان

(٢) فى شرح ثعلب بالديوان ٦٤ : « تيا بالفتح وتيا بالكسر : مثل تلك » :

وقُلنا فسَمُّوها اليمامةَ باسمها   وسِرنا وقلنا لا نريد إقامَهْ

وقال الأعشى فى مدح الحنَفىّ أيضاً ، وهو صاحب اليمامة ، ويذمُّ الحارث ابن وَعلة :

وإنّ امرأً قد زرتُهُ بعد هذه   بجَوّ لَخيرٌ منكَ نَفْساً ووالدا

كذا فى معجم ما استعجم للبكرىّ . ورُوى (عن جلِّ اليمامة) وفى الروايتين حذف مضاف ، فالأوّل عن أهل جوِّ اليمامة ، والثانى عن جُلّ أهل اليمامة : أى مُعظمَ أهلها . يعنى : أنّه لم يقصِد سواه من أهل اليمامة . وضمير (أهلِها) لليمامة . وجَعل الميلَ عن غير هَوذة إلى هَوذة فِعْلَ الناقة ، وإنّما هو فِعل صاحبِها . واللام فى (لسوائكا) بمعنى إلى غيرك .

٦٢

قال صاحب التصحيف[1] : قال أبو عُبيد : لا يكون سواء وسوى اسماً ، هوَ صفة ، وقال فى قوله :

وما قصدتْ من أهلها لسوائكا :

قال الزجاج : سواء زيد وعمرو فى معنى ذوا سواء ، وسواء عنده مصدر ، وإنّما هو لمكان سوائكا . انتهى .

وقال ابن وَلّاد (فى المقصور[2] والممدود) : سوى بمعنى غير مكسورُ الأوّل مقصور ، يكتب بالياء ؛ وقد يفتح أوَّله فيمدّ ، ومعناه معنى المكسور قال الأعشى بفتح ومدّ :

* وما قصدت من أهلها لسَوائِكا *

وقوله : وجَدْتَ عَليًّا بانياً الخ ، علىّ أبوه ، وطَلْق وشيبانُ ومالكٌ

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢٩٨

(٢) المقصور والممدود ٥٤

أعمامُه . وقوله : لِمَا ضاعَ فيها مِن قُروء نسائكا ، يعنى الغزوة التى شغلته عن وطء نسائه فى الطُهْر .

وهذه القصيدة تُشْبه أشعارَ المحْدَثين والمولّدين فى الرقّة والانسجام ؛ ولهذا أوردنا أكثرها .

وترجمة الأعشىٰ تقدّمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد المائتين[2] :

٢٤٣ (خالَطَ مِنْ سَلْمىٰ خَياشِيمَ وَفَا)

على أنّ أصله (وفَاها) فحذف المضاف إليه .

قال أبو علىّ (فى إيضاح الشعر) : اعلم أنّ أبا الحسن الأخفشَ قال فى قول الراجز :

خالط من سَلمىٰ خياشيمَ وفا :

إنّ التقدير : وفاها ، فحذف المضاف إليه . وكذلك قال فى قوله : ليسَ غَيْرَ : إنّ التقدير ليس غَيْرَهُ . وحكىٰ بعضُهم أنّ من الناس من قد لحّنَه . والتلحين ليس بشىء ؛ لاحتماله ما قال أبو الحسن . وفيه قولٌ آخر : أنّه جاء على قول مَنْ لم يُبْدِل من التنوين الألف فى النصب ولكن جعل النصب فى عدم إبدال التنوينْ ألفاً كالجرِّ والرفع ، كما جعلوا النصبَ فى نحو :

---

(١) الخزانة ١ : ص ١٧٥

(٢) ديوان العجّاج ٨٣ وابن يعيش ٦ : ٨٩ والعينى ١ : ١٥٢ والهمع ١ : ٤٠ ويسّ ١ : ١٢٥ والمخصص ١ : ١٣٦ — ١٣٨ / ١٤ : ٩٦ / ١٥ : ٧٨ :

كفى بالنأى مِنْ أسماء كافِ[1]

مثل الجرّ والرفع . وكذلك جُعِل النصب مِثلهما فى نحو قوله :

وآخذ من كل حيٍ عُصَم[2]

أى عُصَماً . وهذه اللغة ، وإن لم يحكها سيبويه ، فقد حكاها أبو الحسن وغيره . ووجْهُها من القياس ما أعلمتُك . فإذا جاز أن يُقدَّر على هذه اللغة قدَّرناه عليها ، وكانت الألف فى الكلمة ، التى هى بدلٌ من عين الفعل ؛ وجاز ذلك لأنّه ليس يبقى الاسم المتمكّن على حرف . ألا ترى أنّ الألف منقلبةٌ عن العين ، فصار فى ذلك كالأسماء التى لما أُمِنَ إلحاقُ التنوين بها جاز أن تبقى على حرفين أحدُهما حرفُ لِين : كقوله : ذو — التى فى معنى الذى — وذا ، وتا ، ونحو ذلك ممّا جاء على حرفين أحدُهما حرفُ لين ، لمّا لم يكن ممّا يلحقه التنوين . فكذلك « خياشيم وفا » لا يمتنع أن يكون على حرفين أحدُهما حرفُ لِين ، على الوجه الذى ذكرنا . انتهى

وبسط هذا الكلامَ فى التذْكِرة القصْرية ، وأطال وأطابَ فى المسائل العسكرية .

وهذا البيت من أُرجوزةٍ للعجّاج ، مطلعها :

(ياصاحِ ، ما هاجَ العيونَ الذُّرَّفا   مِنْ طَلَلٍ أمسى يحاكى المصْحَفا

رُسومُهُ والمذهَبَ المزخْرَفا   جرَتْ عليه الريحُ حتّي قد عفَا)

والبيت الأوّل من شواهد شروح الألفية فى التنوين ، إلى أن قال :

---

(١) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ١٤٢ وعجزه :

« وليس لحبها إذ طال شاف »

(٢) للأعشى فى ديوانه ٢٩ . وصدره :

« إلى المرء قيس أطيل السرى »

(خالَطَ مِنْ سَلمى خَياشيمَ وفا   صَهْباءَ خُرْطُوماً عُقاراً قَرْقفا)

٦٣ والخياشيم : جمع خَيشومٍ ، وهو أقصى الأنف . والصَّهباء : فاعل خالَط ، وهى الخمر ، سمِّيت به للونها وهو الصُّهْبة وهى الشُّقرة . والخُرطوم : السُّلافة ؛ فى الأساس : وشَرِب الخرطومَ : أى السُّلافة لأنَّها أوّل ما ينعصر . والعُقار ، بالضمّ : الخمْر ، سمِّيت بذلك لأنَّها عاقرت العقلَ على قول . يَصِف طِيبَ نكهتها كأنَّ فيها خمراً . وإنَّما جمع الخياشيمَ باعتبار أجزائه وأطرافِهِ . وحيثُ كان الأصل فاها ، فحذف المضاف إليه ، ينبغى أن يكون خَياشيم كذلك أيضاً ، أى خياشيمها وفاها .

وترجمة العجّاج تقدَّمت فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد المائتين[٢] :

٢٤٤ (وَلا سيَّما يوماً بِدَارةِ جُلْجُلِ)

على أنّه رُوى بنصب (يوم) بعد (لا سيا) .

وقد ذكر الشارح المحقِّق ما قيل فى توجيهه . وهذا عجزٌ ، وصدرُه :

ألا رُبَّ يومٍ صالحٍ لك مِنهُما

---

(١) الخزانة ١ : ص ١٧٠

(٢) من معلقة امرئ القيس : وانظر ابن يعيش ٢ : ٨٦ والهمع ١ : ٢٣٤ وشرح شواهد المغنى ١٤١ ، ٢٤٧ والأشمونى ٢ : ١٦٧ والتصريح ١ : ١٤٤

وسيّ بمعنى مِثْل ، وأصله سِيْو[١] وقال ابن جنى : سِوْى مِن سويته فتسوّى ؛ فلما اجتمع حرفا العلّة وسَبق أحدُهما بالسكون ، قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء .

ويجوز فى الاسم الذى بعدها الجرُّ والرفعُ مطلقاً ، والنصب أيضاً إذا كان نكرة ؛ وقد روى بهنَّ فى قوله : ولا سيما يوم . والجرُّ أرجَحُهَا[٢] وهو على الإضافة ؛ و (ما) إمّا زائدة ، وإمّا نكرة غير موصوفة ويوم بدلٌ منها . والرفعُ على أنّه خبر لمبتدإ محذوف والجملة صلةُ ما إن كانت موصولة ، أو صفتها إن كانت نكرةً موصوفة ، تقديره : لا مثْلَ الذى هو يومٌ ، أو لا مثلَ شىء هو يوم . وسِيّ فى الوجهين نكرة ، لأنه بمعنى مِثل فلا يتعرَّف فى الإضافة ، لتوغُّله فى الإبهام ؛ ولهذا جاز دخول لا التى لنفى الجنس . وضُعِّف الرفعُ بحذف العائد المرفوع مع عدم الطُول فى نحو لا سيما زيدٌ — وأما فى البيت فقد طالت الصلةُ أو الصفة بالجارّ والمجرور بعد يوم فإنّه صفته — وبإطلاقِ ما على مَنْ يعقِل . كذا قال ابنُ هشامٍ (فى المغْني) وفيه : أنّه لا مانع من الإطلاق ، قال تعالى : (والسَّماءِ وما بنَاها . والأرضِ وما طَحَاها . ونَفْسٍ وما سَوَّاها[٣]) ولهذا لم يتعرَّض له الشارح المحقِّق .

وعلى الجرّ والرفع ففتحةُ سِيّ إعرابٌ لأنّه مضاف ، فيكون اسمَ لا والخبرُ محذوفٌ أى لنا . قال ابن هشام[٤] : « وعند الأخفش ما خبرٌ لِلا . ويلزمه قطعُ سيّ عن الإضافة من غير عوض . قيل : وكون خبر لا معرفةً . وجوابه

(١) ط : « سو » ، وصوابه فى ش .
(٢) فى النسختين : « أرجحهما » ، والصواب من المغنى ١ : ١٢٣
(٣) الآيات ٥ — ٧ من سورة الشمس
(٤) فى المغنى ٢ : ١١ عند الكلام على (ما)

أنه يُقدَّر ما نكرةً موصوفة ، أو يكون قد رجع إلى قول سيبويه فى لا رجلَ قائم : إنّ ارتفاع الخبر بما كان مرتفعاً به ، لا بلا النافية . وفى الهيتيّات[1] للفارسىّ : إذا قيل : قاموا لا سيّما زيد ، فلا مهملة وسىّ حال ، أى قاموا غيرَ مماثلين لزيدٍ فى القيام . ويردُّه صحّةُ دخول الواو ، وهى لا تدخل على الحال المفْردة ، وعدمُ تكرار لا ، وذلك واجبٌ مع الحال المفْردة » انتهى .

وأما من نصَب فقد تكلفوا لتوجيهه : فقيل : إنّه تمييز ثم قيل : ما نكرة تامّة مخفوضة بالاضافة وكأنّه قيل : ولا مثل شىء ؛ ثم جىء بالتمييز . ففتحة سىّ إعرابُ أيضاً . وقال الفارسىّ : ما حرفُ كافٌّ لسىّ عن الإضافة ، فأشبهت الإضافةَ فى : على التَّمرة مثلها زُبْداً . ففتْحتُها على هذا بناء . وقيل : منصوبٌ بإضمار فعلٍ ، أى أعنى يوماً . وقد بيّنه الشارح المحقِّق . وقيل : على الاستثناء . وقيل منصوبٌ على الظرف ويكون صلةً لما . كذا فى شرح اللبّ .

٦٤

وأما انتصابُ المعرفة نحو : ولا سيما زيداً ، فقد منعه الجمهور ، وقال ابن الدهّان : لا أعرف له وجهاً . وقد وجَّهه الشارح المحقِّق بأنه تمييز . وقال ابن هشام : « ووجَّهه بعضُهم بأنّ ما كافة ، وأنّ لا تنزّلت منزلة إلاّ فى الاستثناء ورُدّ بأن المستثنى مُخرَجٌ ، وما بعدها داخلٌ من باب الأَوْلىٰ . وأجيب بأنّه مُخرَجٌ ممّا أفهمه الكلامُ السابقُ من مساواته لما قبلها . وعلى هذا فيكون استثناء منقطعا » انتهى .

وأُورِدَ أيضاً على جعْلها للاستثناء ، بأنّها لو كانت بمعنى إلاّ لما جاز دخولُ الواو العاطفة عليه ، كما لا يجوز دخولها على إلاّ . وأجيب بأنّ معنى لا سيّما ،

---

(١) مسائل لأبى على الفارسى أملاها فى « هِيت » بالكسر ، وهى بلدة على الفرات .

خُصوصاً ، فكأنّه قال : وخصوصاً هذا اليومَ ، أى فأخصُّ هذا اليومَ من سائر الأيام خصوصاً ، لكونه أبلغَ فى الحظوة منها ؛ فهو فى المعنى مقدَّر بفعل ينصبه . وإنما أطلق عليه أنّه بمنزلة إلاّ نظراً إلى المعنى ، لأنّ الاستثناء أيضاً تخصيص . وإنّما أدخل الواو نظراً إلى المعنى أنّه مقدَّرٌ بجملة ، أى وأخصُّ هذا اليومَ لأنّه ليس مثلَ الأيام الصالحة بل هو أفضل . كذا فى شرح اللباب .
وقد جعلها الشارح واو الاعتراض ، وبيَّن المعنى ، ثم ذكر أنّ قولهم : ولا سيما ، قد تحذف واوُها وقد تخفف ياؤها ، كقوله .

فِهِ بالعُقود وبالأيمانِ لا سِيَما عَقْدٌ وَفاء مِنْ أعظَمِ القُرَبِ

لكن قال ثعلب : مَن استعمله على خلافِ ما جاء فى قوله : ولا سيّما يوم بدارة جُلجل ، فهو مخطئٌ .

(تتمة)

فى شرح التسهيل : قد يقع بعد ما ظرفٌ نحو : يُعجبنى الاعتكافُ لا سيّما عند الكعبة ، قال :

يَسُرُّ الكريمَ الحمدُ لا سِيّما لدى شهادةِ مَنْ فى خيره يتقلّب

وقد تقع جملة فعليّة كقوله :

فُقِ الناسَ فى الخير لا سيّما يُنيلك من ذى الجلال الرِضا[1]

والغالب وصلها بالاسميّة . وقال المرادىّ : إنّه وقع بعدها الجملة الشرطية ؛ فما كافّة بناء على أنّ الشرطيّة لا تكون صلةً للموصول . وفيه كلامٌ فى شروح الكشاف . وهذا كما حكى الجوهرىُّ : فلان يكرمُني لا سيّما إنْ زُرته .

---

(١) ش : « بنيلك » . والصواب أن تكون فعلاً كما فى ط . وانظر الهمع ١ : ٢٣٥

ولا يصحُّ جعلُ ما زائدة ، لأنّه يلزم إضافة سيّ إلى الجملة الشرطية ، ولا يضاف إلى الجمل إلاّ أسماء الزمان .

وقد يقع بعدها جملةٌ مقترنة بالواو فعليّة كما وقع فى عبارة الكشاف : لا سيّما وقد كان كذا ، واسميّة كما فى قول صاحب المواقف : « لا سيّما والهِمَمُ قاصرة » .

وفى شرح التسهيل : انّه تركيبٌ غيرُ عربىّ ، وكلام الشارح يخالفه . وفى شرح المواقف أنّ قوله : والهمم قاصرة ، مؤوّل بالظرف نظراً إلى قرب الحالِ من ظرف الزمان ، فصحَّ وقوعُها صلة لِمَا . وهذا من قبيل الميل إلى المعنى والإعراضِ عن ظاهر اللفظ ، أى لا مِثلَ انتفائه فى زمان قُصور الهمم . وهذا لا يرضاه نحوىٌّ ؛ كيف والجملة الحاليّة فى محل النصب ، والصلة لا محل لها ؟!

أبيات الشاهد

وهذا البيت من معلّقة امرئ القيس المشهورة . وهذه أبياتٌ منها :

٦٥

(وإنَّ شِفائى عَبْرةٌ لو سَفحتُها ... فهل عندَ رسمٍ دارسٍ مَن معوَّلِ

كدأبكَ مِن أمِّ الُحويرث قبلها ... وجارتِها أمِّ الرَّباب بمأسَلِ

إذا قامتا تَضوَّعَ المسكُ منهما ... نَسيمَ الصَّبا جاءتْ بريَّا القرَنفُلِ

ففاضتْ دموعُ العينِ منّي، صَبابة ، ... على النَّحر حتّى بلَّ دَمعى مَحْمَلى [(١)]

ألاَ رُبَّ يومٍ صالحٍ لك مِنهُما ... ولا سيَّما يوماً بدارةِ جُلجُلِ [(٢)]

ويومَ عَقرتُ للعذارىٰ مَطِيَّتى ... فياعجبًا لرحلِها المتحمَّلِ

فظلَّ العَذارىٰ يرتَمِين بلَحمها ... وشحمٍ كهُدَّاب الدِّمقْس المفتّلِ

(١) ط : « محل » صوابه فى س

(٢) س : « يوم »

ويومَ دخلتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنيزةٍ فقالت : لك الويلات ! إنّك مُرجلى
تقولُ ، وقد مالَ الغبيطُ بنا معاً : عَقرتَ بَعيرى يا امرأ القيسِ فانزلِ
فقلتُ لها : سِيرى وأرخى زِمامَه ولا تُبعِدِينى مِن جَنَاك المعلَّلِ)

البيتان الأوّلان قد تقدَّم شرحُهما فى باب الحال فى الشاهد التاسع والتسعين بعد المائة [١] .

وقوله : إذا قامتا الخ ، ضمير المثنّى لأُمّ الحويرث وأُمّ الرّباب . وتضوع : فاحَ متفرِّقا . والمِسك يذكَّر ويؤنّث ، وكذلك العنبر ؛ ومَن أنَّثه ذهب به إلى معنى الريح ، ورواه (تَضَوَّعُ المِسكُ) على أنّه فعل مضارع أصله تَتضوع بتاءين . ونصب نسيمَ الصَّبا لأنّه قام مقام نعتٍ لمصدرٍ محذوف ؛ قال ابن هشامٍ فى المغنى ، فى بيان كيفية التقدير : إنّه إذا استدعى الكلامُ تقديرَ موصوف وصفةٍ مضافة ، مثلاً ، فلا يقدِّر أنّ ذلك حُذف دَفعةً واحدة ، بل على التدريج ، نحو : تضوَّع المسكُ منهما نسيمَ الصبا ، أى تضوُّعاً مثلَ تضوُّعِ نسيمِ الصبا . انتهى .

وأورد صاحبُ تحرير التحبير هذا البيتَ فى باب الاتساع [٢] ، وهو أن يأتى الشاعرُ ببيتٍ يتّسع فيه التأويلُ على قدْر قُوى الناظر فيه ، وبحسَب ما تحتمله ألفاظه : فإنّ هذا البيت اتّسعَ النقادُ فى تأويله : فمن قائلٍ [٣] : تضوَّع المسكُ منهما تضوُّعَ نسيمِ الصبا — وهذا هو الوجهُ عندى — ومن قائلٍ : تضوع المَسك منهما ، بفتح الميم يعنى الجلد ، بنَسيم الصَّبا . انتهى .

(١) فى هذا الجزء ص ٢٢٣ وما بعدها

(٢) تحرير التحبير ٤٥٤ وقد تصرف البغدادى فى نقله

(٣) فى تحرير التحبير : « فن قائل تضوع مثل المسك منهما نسيم الصبا ، ومن قائل تضوع نسيم الصبا منهما ، ومن قائل تضوع المسك منهما ... إلخ » .

والريّا: الرائحة الطيّبة لا غير. وجملة جاءت الخ، بتقدير قد، حالٌ من الصَبا. و نسيم الصَبا هُبوبها بضَعف. قال الدِينَوَرِىُّ (فى كتاب النبات): القَرنفُل أجودُ ما يُؤتى به من بلاد الصين، وقد كثر مجىء الشعرِ بوصف طِيبه. وأنشد هذا البيت، ثم قال: وقالوا: قد أخطأ امرؤُ القيس، فإنّه لا يقال تضوَّع المسكُ حتّى كأنّه ريّا القَرنفُل، إنّما كان ينبغى أن يقول: تضوَّعَ القَرنفل حتّى كأنّه ريا المسك. انتهى.

وقد تبعه الإمامُ الباقِلّانى (فى كتاب إعجاز القرآن[1]) قال: وفيه خَلَلٌ[2]، لأنّه بعد أن شبّه عَرْفَها بالمسكِ شبّهَ ذلك بنسيم القَرنفُل. وذِكرُ ذلك بعدَ المِسك نقصٌ. وكذلك قوله: إذا قامتا تضوَّع المسكُ منهما. ولو أرادَ أن يجوِّد أفاد أنّ بهما طِيباً على كلِّ حال. فأما فى حال القيامِ فقط، فذلك تقصير. وقوله: نسيم الصبا، فى تقدير المنقطع عن المصراع الأوّل[3]. انتهى.

والعَيبان الأخيران ليسا كما زعمه، فتأمَّل.

٦٦ وقوله: ففاضتْ دموعُ العَين الخ، فاضت: سَالَت. والصَّبابة: رِقة الشّوق، ونصبُها على أنّها مفعولٌ له. والمِحْمَل، بكسر الأوّل: السير الذى يُحمَل به السّيف، قال شُرّاح المعلّقة: وممّا يُسأل عنه هنا أن يقال: كيف يُبلُّ الدمعُ مِحْمَلَه وإنّما المِحْمَل على عاتقه؟ فيقال: قد يكون منه على صدره فإذا بكى وجرى عليه الدمعُ ابتلَّ — وقال الإمام الباقِلّانىّ[4]: «قوله:

---

(١) إعجاز القرآن ٢٤٨ — ٢٤٩

(٢) إعجاز القرآن: «ثم فيه خلل آخر»

(٣) بعده فى الإعجاز: «لم يصله به وصل مثله»

(٤) إعجاز القرآن ٢٤٩

منّي ، استعانه ضعيفة ، عند المتأخّرين ، فى الصنعة [١] ؛ وهو حشوٌ غير مليح ولا بديع . وقوله : على النحر ، حشوٌ آخر لأنّ قوله : بلّ دمعى مِحْملى ، يغْنى عنه . ثمّ قوله : حتّي بلّ دَمعى الخ ، إعادةُ ذكر الدّمْع حشوٌ آخر ، وكان يكفيه أن يقول : حتّي بلّت محملى . فاحتاج لإقامة الوزن إلى هذا كلّه . ثمّ تقديره أنّه قد أفرط فى إفاضة الدمع حتّي بلّ محمله تفريطٌ منــه وتقصير ، ولو كان أبدعَ لــكان يقول : حتّي بلّ دمعى مغَانيَهم وعِراصَهم . ويشبه أن يكون غرضُه إقامةَ الوزن والقافية ، لأنّ الدمعَ يَبعُد أن يبلّ المحمَل ، وإنّما يقطُر من الواقف والقاعدِ ، على الأرض . أو على الذيل . وإنْ بلَّه فلقلّته وأنّه لا يقطُر . وأنت تجد فى شعر المتأخّرين ما هو أحْسَنُ [٢] من هذا البيت » انتهى .

وقوله : (ألا رُبّ يومٍ صالح . . الخ) رُبّ هنا للتكثير ؛ ومنهما أى من أمّ الحويرث وأمّ الرَباب . ورُوِى :

* ألا ربّ يومٍ لك منهنّ صالح *

أى من النساء وفيه الـكفُّ وهو حذف النون من مفاعيلن . والمعنى : ألا ربّ يوم لك منهن سرورٌ وغِبطة بوصال النساءِ وعيشٍ ناعم معهنّ . وقوله : ولا سيّما الخ ، أى وليس يومٌ من تلك الأيّام مثلَ يوم دارة جُلجُل ، فإنّ هذا اليوم كان أحسن الأيّام وأفضلَها . يريد التعجُّبَ من فضل هذا اليوم . ودارة جُلجُل ، بضم الجيمــين : اسم غَدير ؛ قال البــكرىّ (فى معجَم

(١) ط : « فى الصفة » صوابه فى سـ والإعجاز .

(٢) فى النسختين : « أحد » صوابه من الإعجاز ، ونصه : « وأنت تجد فى شعر الخبزرزى ما هو أحسن من هذا البيت وأمتن وأعجب »

ما استعجم) : قال أبو عُبيدة : دارة جُلجل موضعٌ بديار كِندة . وقال أبو الفرج : قال الكلبيّ : هو عند عين كندة . انتهى .

قال الإمام الباقِلاّنيّ [١] : وهذا البيت خالٍ من المحاسن والبديع ، خاوٍ من المعنى ؛ وليس له لفظٌ يروق ، ولا معنيً يرُوع ؛ من طباع السُّوقة ؛ فلا يرعك تهويله باسم موضعٍ غريب .

وقوله : ويومَ عقَرتُ الخ ، يومَ معطوف على يوم فى قوله : ولا سيّما يوم ، لكنّه بُني على الفتحة لإضافته إلى مبنيّ ؛ أو هو منصوبٌ بتقدير : اذكرْ . والعقْر : الضرب بالسيف على قوائم البعير ؛ وربّما قيل عقَره : إذا نَحَره . والعَذَارىٰ : البنات الأبكار . والرَّحْل : كلُّ شيءٍ يُعَدُّ للرحيل : من وعاءٍ للمتاع ، ومَركَب للبعير ، وحِلْس ورَسَن . والمتحمّل : اسم مفعول ، أى المحمول . وأورد ابن هشامٍ هذا البيت (فى المغْني) على أنّ لامَ للعذارى للتعليل . وقوله : فيا عجبًا ، الألِف بدل من الياء فإنّها تبدل فى النداء إليها جوازاً . ويقال : كيف يجوز أن يُنادىٰ العجبُ وهو ممّا لا يجيب ولا يفهم ؟ فالجواب : أنّ العرب إذا أرادت أن تُعظِم أمرَ الخبر جعلته نداء ؛ قال سيبوَيه : إذا قلت يا عجباً كأنّك قلت : تعالَ يا عجبُ فإنّ هذا من إبّانك . فهذا أبلغ من قولك تعجّبت . والمعنى : انتبهوا للعجب كذا فى شروح المعلّقة .

وقال الإمامُ الباقِلاّنيّ [٢] : قال بعض الأدباء : قوله يا عجبا ، يعجّبهم من سَفَهِه فى شَبابه من نحره ناقتَه لهنّ [٣] . وإنّما أراد ألاّ يكون الكلامُ من هذا المصراع منقطعاً عن الأوّل ، وأراد أن يكون الكلامُ ملائماً له . وهذا

(١) إعجاز القرآن ٢٥٠

(٢) إعجاز القرآن ٢٥١

(٣) فى النسختين : « ناقته أى » صوابه فى إعجاز القرآن

الذى ذكره بعيد ، وهو منقطع عن الأول ، وظاهر أنه يتعجب من تحمُّل العذارى رحلَه . وليس فى هذا تعجُّب كبير ، ولا فى نحر الناقة لهنّ تعجُّب . وإن كان يعنى به أنهن حملنَ رحلَه ، وأنّ بعضهنّ حملَتْه ، فعبَّر عن نفسه برحله ، فهذا قليلاً[١] يشبه أن يكون عجباً . لكن الكلام لا يدلُّ عليه . ولو سلم البيتُ من العيب لم يكن فيه شىء غريب ، ولا معنى بديع ، أكثرُ من سَفاهته[٢] ، مع قلَّة معناه وتقارُب أمره ، ومشاكلتِه طبْعَ المتأخرين . ومن أول القصيدة[٣] لم يمرّ له بيتٌ رائع ، وكلامٌ رائق .

وقوله : فظل العذارى الخ ، يرتمين : يناول بعضُهنّ بعضا . والهُدّاب ، بالضمّ والتشديد ، هو الهُدْب وهو طرف الثوب الذى لم يتمّ نسجُه . والدِّمَقْس : الحرير الأبيض ويقال له القزّ[٤] . قال الإمام الباقِلاّنىّ : هذا البيت يعدُّونه حسناً ، ويعدُّون التشبيهَ مَليحاً واقعًا . وفيه شىء : وذلك أنه عرَّف اللحمَ ونكَّر الشحم ، فلا يعلم أنه وصف شحمها ، وذكر تشبيهَ أحدِهما بشىء واقع ، وعجزَ عن تشبيه القسمة الأولى فمرَّتْ مُرسَلة ؛ وهذا نقصٌ [فى الصنْعة[٥]] وعجز عن إعطاء الكلام حقَّه . وفيه شىء آخر من جهة المعنى : وهو أنه وصف طعامَه لضيوفه بالجوْدة ، وهذا قد يعاب ، وقد يقال : إنّ العربَ تفتخر بذلك ولا تَراه عيباً ، وإنما الفُرْسُ هم الذين يرَوْن هذا عيباً شنيعاً . وأما تشبيه الشَّحْم بالدِّمَقْس فشىء يقع للعامَّة ويجرى على ألسنتهم ،

---

(١) ط : « قليل » ، وكان فى ش الف فى نهاية الكلمة فمحيت ، والوجه ما أثبت من أصل ش ومن إعجاز القرآن .

(٢) فى النسختين : « سلامته » ، وهو عكس المراد ، صوابه فى إعجاز القرآن

(٣) فى الإعجاز : « وإلى هذا الموضع »

(٤) ش : « ويقال هو القز »

(٥) التكملة من إعجاز القرآن

فليس بشىء قد سبَق إليه . وإنّما زادَ[١] المفتّل للقافية ، وهذا مفيد . ومع ذلك فلست أعلَم العامّة تذكر هذه الزيادة . وفيه شىء آخر : وهو أنّ تبجُّحه بما أطعم الأحبابَ مذمومٌ ، وإنْ سُوِّغ التبجُّح بما أُطعِمَ الأضيافُ ؛ إلا أنْ يُورد الكلام مُورَدَ المُجون ، على طرائق أبى نواس [فى[٢]] المزاح والمداعبَة .

وقوله : ويومَ دخلتُ الخ ، هو معطوفٌ على يوم عقرت . والخِدْر ، بالكسر : الهَودج هُنا . وخدر عنيزة بدلٌ منه . وعُنَيزة بالتصغير : لقبُ ابنة عمِّه فاطمة . وفيه ردٌّ على من زعم أنّه لم يُسمَع تلقيبُ الإناث . وأنشد ابن هشامٍ هذا البيت (فى بحث النون ، من المغْنى) على أن التنوين اللاحقَ لعُنيزة تنوينُ الضرورة ، وهو التنوين اللاحق لما لا ينصرف . وقوله : مُرْجلى : اسمُ فاعل من أرجلته إذا صيَّرته راجلاً ؛ ورَجل الرجلُ يَرْجَلُ ، من باب علم : إذا صار راجلاً . وقوله : لكَ الويلاتُ ، فيه قولان : أحدهما : أن يكون دعاء منها عليه إذ كانت تخاف أن يَعقِر بعيرَها . والثانى : أن يكون دعاء منها له على الحقيقة ، كما تقول العرب للرجل إذا رمى فأجاد : قاتله الله ما أرماه ! وحقيقةُ مثلِ هذا أنه يَجرىَ مجرى المدحِ والثناء . وقال الإمام الباقِلّانىّ : دخلتُ الخدر خدر عنيزة ، ذكرَه تكريراً[٣] لإقامة الوزن ، لا فائدةَ فيه [غيره[٤]] ، ولا مَلاحةَ ولا رونق . وقوله : فقالت لك الخ ، الكلام مؤنّثٌ من كلام النساء ، نقله من[٥] جهته إلى شعره ؛ وليس فيه غير هذا . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « أراد » صوابه من الإعجاز
(٢) التكلة من الإعجاز
(٣) فى النسختين : « ذكر تكريره » صوابه فى الإعجاز ٢٥٣
(٤) التكلة من إعجاز القرآن
(٥) فى النسختين : « من » ، وأثبت ما فى الإعجاز

وطَعنُه الأول ليس بصحيح ، لأنه من باب الإبهام والتفسير ؛ وهو عندهم من محاسن الكلام .

وقوله : تقول وقد مالَ الخ ، الغَبيط ، بفتح المعجمة : الهودج بعينه ، وقيل قَتَب الهَودَج ، وقيل مَرْكبٌ من مَرا كب النساء . وعَقَرتَ هنا بمعنى جَرَحتَ ظهره — قال الإمام الباقِلاّنيّ : كرّر قولَه سابقاً بقوله : تقول وقد مال الخ ، ولا فائدةَ فيه غير تقدير الوزن ؛ وإلاّ فحكاية قولها الأوّلِ كافٍ . وهو فى النظم قبيح ، لأنه ذكر مرّة « فقالت » ومرة « تقول » ، فى معنًى واحدٍ وفصْل خفيف . وفى المصراع الثانى أيضاً تأنيثٌ من كلامهنّ . انتهى .

طعنُه الأوّل غيرُ واردٍ ، لأنّه من باب الإطناب ، بسَطَه ثانياً للتلذُّذ والإيضاح . وقوله ثانياً تقولُ ، غيرُ مَعيبٍ ، لأنّه من حكاية الحالِ الماضية وقد عُدّ حسَنا .

٦٨

ثم قال الباقِلاّنيّ : وذكر أبو عبيدة أنه قال : عقرت بعيرى ولم يقل ناقتى ، لأنّهم يحملون النِّساء على ذكور الإبل لأنها أقوىٰ . وفيه نظر ؛ لأنّ الأظهر أنّ البعير اسمٌ للذكر والأنثىٰ . واحتاج إلى ذكر البعير لإقامة الوزن[1] .

وقوله : فقلتُ لها سِيرى الخ ، جناها : ما اجتنيَ منها من القُبَل . والمعلّ : المُلْهى الذى يعلله ويتشفَّى به . ورُوى بفتح اللام ، أى الذى عُلِّل بالطِيب أى طُيِّب مرّةً بعد مرّة ، مِن العَلَل بفتحتين وهو الشرب الثانى . ومعنى البيت : أنّه تهاونَ بأمر الجمل فى حاجته ، فأمرَها أن تُخلِّيَ زِمامَه ولا تُبالىَ بما أصابه . قال الباقِلاّنيّ : هذا البيت قريب النسْج ، ليس له معنًى بديع ولا لفظ شريف ، كأنّه من عبارات المنحطّين فى الصنعة .

---

(١) إلى هنا نهاية النقل عن الإعجاز ٢٥٤

والمراد باليوم فى هذه المواضع مطلقُ الوقت والزمان ، وإلاّ فجميع هذه الأمور قد صَدَرت فى يوم واحد ، كما يُعرف من خبر (يومِ دارة جُلجُل) وقد رواه ابن الأنبارىّ فى شرح المعلّقة قال : كان من حديثه على ما حدَّث ابن رَأْلان[١] عن أبى شَفْقَل[٢] ، راوية أبى فِرَاس همّام بن غالب الفرزدق أنّه قال : لم أرَ أَرْوىٰ من الفرزدقِ لأخبار امرئ القيس وأشعاره ! وخرجنا يوماً إلى المِرْبد بعَقِب طَشٍّ قد وَقَع[٣] ، واتّصل به خبرُ نسوةٍ أشرافٍ قد خَرَجن إلى مُتَنَزَّهٍ لهنّ ؛ فقال : سِرْ بنا ؛ حتّى قَرُب من مُجتَمَعِهِنّ ؛ فخلّفنى وصار إليهنّ ؛ فلمّا رأينه قلن : قد علمْنا أنّا لن نفوتك . فلم يزل يومَه الأطولَ يحدِّثهنّ ويفاكِهُهنّ ويُنْشِدُهنّ إلى أنْ ولّى النهار ؛ ثم انصرف إلىّ فقال : سِرْ بنا . فلم أرَ يوماً قطُّ أشبهَ بيوم دارة جُلجُلٍ مِنْ يومنا هذا ! ثم أنشأ يحدِّث حديثَ يومِ دارة جلجل : فقال : حدَّثنى الثِقَةُ أنّ حىَّ امرئ القيس تحمّلوا — وهو يومئذ شابٌّ حديثُ السِنِّ ، يهوىٰ ابنةَ عمٍّ له ، يقال لها : فاطمة ، ويكنى عنها بعُنَيزة — وتخلّف النساء وفيهنّ فاطمة ، وارتحل امرؤ القيس لا يرى[٤] الحىُّ مَسيرَه ، إلى أن نأىٰ عن الحىّ فأخفىٰ شخصَه بقرب غديرٍ يُعرف بدارة جُلجل ، وقال لمن كان معه : سيمرُّ النساء بالغَدير ، فلا بدَّ أن يتبرَّدن فيه . وأمعنَ الحىُّ فى المسير وارتحل النساء بعدهم ، فمررن على الغدير ، ولا يدرين أنّ وراءهن أَحداً ، فنزلنَ وعنـد الغَدير شجرة ،

(١) فى النسختين : « ابن والان » صوابه من شرح القصائد السبع ١٣ ، واسمه عبد الله .

(٢) ط : « سقنقل » س : « شنفل » صوابهما ما أثبت ، انظر القاموس ولسان العرب والأغانى ١٩ : ٩ ، ٣٦ . وهذا الرجل وسابقه يرويان عن الفرزدق ، ليس غيرهما كما فى الأغانى .

(٣) الطش والطشيش : مطر ضعيف فوق الرذاذ .

(٤) فى النسختين : « ليرى » ، وهو عكس المعنى

فأنخنَ إبلَهُنَّ إلى تلك الشجرة ، ونزَعْن ثيابَهنَّ فدخَلْن الغَـدير ، وجاء امرؤ القيس فأخذ ثيابهنَّ وقال : لا تأخذ امرأةٌ منكنَّ ثيابَها حتّى تخرج كما هى ! فناشدْنَه اللهَ وطلبنَ إليه ، حتّي طال يومُهنّ وخَشِين أن يفوتَهُنّ المنزل ، فجعَلن يَخْرُجْنَ واحدةً واحدة ، حتّي بلغ إلى فاطمة فرآها واستَمْتَع بالنظر إليها ؛ ثم قلن له : قد أتعبتَنا فاجلِسْ ! فجلس يُنشدهن ويحدِّثهن ويَشربُ من شرابٍ معَه ؛ فقالت إحداهن : أطعِمْنا لحماً . فقام إلى مطيَّته فنحَرها وأطعمهنّ من لحمها ، وشرب حتّي انتشى . . حتّي إذا أرادوا الرواح قالت امرأةٌ منهنّ : أتدعْنَ امرأ القيس يَهلِك ! فقالت فاطمـة : فَكَكْن رَحْله واحملنَه معَكنّ وأنا أحمله معى فى هودجى ؛ ففعلن ، فجعل يُميل رأسَه إليها فيقبِّلها — وجعَل هَوْدجُها يميل بها وهى تنادى به وتقول : قد عقرتَ بعيرى فانزل ! — حتّي إذا بلغ قريباً من الحىِّ كَمَن فى غَمْض من الأرض . وسار النساء حتّي لحقن برحالهنّ . انتهى .

٦٩

وروى ابنُ عبدِ ربِّه (فى العِقْد الفَريد[١]) نحواً من هذا ، مع بعض مخالفة . ونصُّه : قال الفرزدق : أصابنا بالبصرة ليلاً مطرٌ جَوْد ، فلمّا أصبحتُ ركِبت بَغلتى وسرت إلى المرْبَد ، فإذا أنا بآثار دوابّ ، فاتّبعت الأثر حتّي انتهيتُ إلى بغال عليها رِحالٌ موقوفةٍ على غَدير ، فأسرعت إلى الغدير فإذا فيه نسوةٌ مُستنقِعات فى الماء ؛ فقلْت : لم أرَ كاليوم أشبهَ بيومِ دارةِ جُلجُل ؛ وانصرفت مستحيياً ، فنادينَني : يا صاحب البغلةِ ، ارجِعْ نسألْك عن شىء . فرجَعت إليهنّ فقعدن فى المـاء إلى حلوقهنّ ثم قلن : باللهِ لَمّا أخبرتَنا ما كان من حديث دارة جلجل ! قلت : حدَّثنى جَدِّى — وأنا يومئذ

---

(١) العقد ٦ : ٢٩٥

غلامٌ حافظ — أنّ امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عمه فاطمة ـ ويقال لها عُنيزة ـ وأنه طلبها زماناً فلم يَصِلْ إليها ، حتى كان يومُ الغدير وهو يومُ دارة جلجل : وذلك أنّ الحيّ تحمّلوا ، فتقدّم الرجال و [تخلّفَ[1]] الخدَمُ والثّقَل ؛ فلمّا رأى ذلك امرؤ القيس تخلّف بعد ما سار مع رجال قومه غَلوة ، فكَمَن في غامض[2] حتى مرّ به النساء ، وفيهن عنيزة ، فلمّا وردن الغدير قلن : لو نزلنا فاغتسلنا في هذا الغَدير فذهبَ عنّا بعض الكَلال ! فنزلن في الغدير ونحّين العبيد ، ثم تجرّدن فوقفْن فيه[3] ؛ فأتاهن امرؤ القيس فأخذ ثيابَهنّ فجمَعها وقعَد عليها ، وقال : واللهِ لا أعطي جاريةً منكنّ ثوبَها — ولو قعَدتْ في الغدير يومَها — حتى تخرج متجرِّدة فتأخذَ ثوبها ! فأبَيْنَ ذلك عليه ، حتى تعالَى النهارُ ، وخشِينَ أن يقصُرن عن المنزل الذي يُرِدْنه ، فخرجنَ جميعاً غيرَ عُنيزة فناشدته الله أن يَطرح ثوبَها ، فأبىٰ ، فخرجتْ فنظر إليها مُقبلةً ومُدْبرة ، وأقبلنَ عليه فقلن له : إنّك عذّبتنا وحبَستنا وأجَعْتَنا . قال : فإنْ نحرتُ لكنَّ[4] ناقتي أتأ كلن معي ؟ قلن : نعم ! فجرّد سيفَه فعرْقَبَها ونحرَها ثم كشطَها ، وجمعَ الخدمُ حطباً كثيراً فأجّجن ناراً عظيمة ، فجعل يقطَع أطايبَها ويُلقي على الجمر ، ويأكلنَ ويأكلُ معهنّ ، ويشرب من فَضلة خمرٍ كانت معه ويغنّيهنّ ، ويَنبذ إلى العبيد من الكَباب ؛ فلمّا أرادُوا الرحيلَ قالتْ إحداهنّ : أنا أحمل طِنفَستَه ، وقالت الأخرى : أنا أحمل رحلَه وأنساعه[5] . فتقسّمنَ متاعهَ وزاده وبقيتْ عُنيزة لم تحمِل شيئاً ، فقال لها :

---

(١) التكملة من العقد والأغاني ١٩ : ٢٧

(٢) الأغاني : « غابة » محرف ، وفي العقد : « غيابة » .

(٣) العقد : « فوقفن فيه »

(٤) ط : « لكم » صوابه في سـ والعقد

(٥) ط : « رأسه وأتساعه » صوابه في سـ والعقد

يا ابنةَ الكِرام ، لا بُدّ أن تحمِليني مَعَكِ فإنّي لا أطيق المشي ! فحملَتْه على غارِبِ بَعيرها ، فكان يجنَح إليها فيُدخل رأسَه في خِدْرها فيقبِّلها ، فإذا امتنعت مالَ هودجُها فتقول : عقرتَ بعيري فانزِلْ ! . . وكان الفرزدق أروى الناسِ لأخبار امرئ القيس وأشعاره ، وذلك أن امرأ القيس رأى من أبيه جفوةً فلحق بعمه شُرَحْبِيل بن الحارث ، وكان مُسترضَعاً في بني دارم [فأقامَ [(١)]] فيهم . وهم رهط الفرزدق . انتهى .

وقد روى أيضاً خبرَ هذا اليومِ أبو زكريّا يحيى بن عليٍّ الخطيبُ التِبريزيّ ، في شرح هذه المعلّقة على وجهٍ مجمل .

وتَرْجمة امرئ القيس تقدّمت في الشاهد التاسع والأربعين[(٢)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد المائتين[(٣)] :

٢٤٥ (فأَنتِ طلاقٌ ـ والطلاقُ أَلِيَّةٌ ـ ثلاثاً ومن يَخْرَقْ أَعَقُّ وأظلَمُ)

على أنّ الواو في قوله : (والطلاق أليّة) اعتراضيّة ، والجملة اعتراضٌ للتقوية والتسديد بين قوله : (فأنت طلاق) و : (ثلاثا[(٤)]) . وقد ردّه أبو عليّ كما سيأتي .

و (الأليّة) : اليمين . أراد أنّ الطلاق يَلزَم المطلِّق كما يَلزَم الوفاء

---

(١) التكملة من العقد .

(٢) الخزانة ١ : ص ٣٢٩

(٣) مجالس العلماء للزجاجي ٣٢٨ وابن يعيش ١ : ١٢ وشرح شواهد المغني ٦١ والأشباه والنظائر ٣ : ٤/٤٢ : ٢٢٠

(٤) في النسختين : « فانت طلاق ثلاثا » ، وصوابه ما أثبت

بمضمون اليمين . والرواية الصحيحة : (والطَّلاق عزيمة) ، ووقع فى أكثر النسخ المصراعُ الأوّلُ فقط ، اكتفاء بشهرة الشعر .

وقد نقل السعد كلامَ الشارح هنا (فى بحث الجملة الحاليّة من المطوّل) قال الفنارىُّ فى حاشيته : قوله :

فأنتِ طلاقٌ والطلاق ألية (آخره) : بها المرء ينجو من شِباك الطَّوامث

الشِّباك : الحبائل . والطوامث : الحُيَّض ؛ مِن طَمَثت المرأة : حاضَت . وفى وقوع هذه الجملة متوسِّطة بين أجزاء كلام واحد ، كما هو الظاهر من كلامه ، نوعُ خفاء ، إذ الظاهر أنّ قوله : بها المرء الخ ، كلامٌ مستقلّ . وقيل : آخر المصراع المذكور :

* ثلاثاً ومن يَخرَقْ أعقُّ وأظلَمُ *

لكن الرواية فى هذا البيت (عزيمة) مكان (أليّة) . ولعلَّ فيه روايةً أخرى لم أطّلع عليها . انتهى .

وقال بعضهم : هذا الاعتراض على مذهب الزمخشرىّ ، فإنَّ الاعتراض عنده ما يُساق لنكتةٍ سوى رفعِ الإيهام . ويكون لا محلَّ لها .

وهذا البيت مبنيٌّ على مسألة فقهيّة . وأوّل من تكلَّم عليه الإمام محمّد ابنُ الحسَن ، أو الكسائىُّ ، على اختلاف سيذكر .

ونقل ابنُ هشامٍ فى المغْني الجوابَ وبحثَ فيه وزاد ، ثمّ تكلّم عليه السيد معين الدين الإيجىّ فى رِسالةٍ أفردَها وزاد على ابنِ هشامٍ فيما استنبطه . وكلٌّ منهما لم يرَ ما كتبه عليه أبو علىٍّ الفارسىُّ (فى المسائل القَصْرية) وقد تنبَّه لما قالاه وردَّه ، فينبغى أن نُورد كلامَ كلٍّ منهم على حِدَة ، لكنْ نُقدِّمُ ابتداء ذكرَ السائل والمجيب أوّلاً فنقول :

قال أبو عليّ الفارسيُّ : حدثنا الشيخ أبو الحسن الكَرْخيُّ عن يحيى ابن الحَريش الرَّقِّيّ قال : أرسلني الكِسائيُّ إلى محمّدِ بن الحسن ، أسألُه عن الجوابِ في هذه الأبيات :

(إن تَرفُقي يا هندُ فالرفْقُ أيمنُ   وإن تَخرَقي يا هندُ فالخُرْقُ أشأمُ
فأنتِ طلاقٌ ، والطلاقُ عَزيمة   ثلاثاً ؛ ومن يخرق أعقّ وأظلَمَ
فَبِيني بها أنْ كُنت غيرَ رَفيقةٍ   فما لامرئٍ بعدَ الثلاث مُقدَّمُ)

قال : فأتيت محمّدَ بنَ الحسن بالأبيات فقال : إنْ نصب الثلاث فهي ثلاثُ تطليقات ، وإنْ رفع الثلاث فهي واحدة ، كأنّه أراد أن يخبر أنّ عزيمة الطلاق ثلاث . قال : فرجَعْتُ إلى الكِسائيِّ فأخبرتُه بقول محمّد ، فتعجّبَ من فطنته . انتهى .

وهذا هو المسطور في كُتب الحنفيَّة كالمبسوط والزَّيلعيّ ؛ لكنْ ذكروا أنّ رسول الكسائي إلى محمّد هو ابن سَماعة . ولا مخالفةَ ، لجواز أنْ يكونا ذهبا معاً برسالة الكسائيّ ، وكلٌّ منهما حكىٰ الجواب .

وقال ابن هشام (في المغني) : كتب الرشيدُ ليلةً إلى القاضي أبي يوسُفَ يسأله عن قول القائل — وأنشد الأبيات[1] — فقال : ماذا يلزمه إذا رفع الثلاث وإذا نصبها ؟ قال أبو يوسف : فقلت : هذه مسألةٌ نحويّة فقهية ، ولا آمنُ الخطأَ إنْ قلتَ فيها برأيي . فأتيت الكسائيَّ وهو في فراشه فسألته ، فقال : إنْ رفع ثلاثاً طَلَقت واحدةً لأنّه قال أنت طلاق ، ثم أخبرَ أنّ الطلاق التامَّ ثلاث ؛ وإنْ نصبها طَلَقَت ثلاثاً ، لأنّ معناه : أنت طالق ثلاثاً ،

(١) إنما أنشد ابن هشام البيتين الأولين فحسب ، وأما ثالثهما فقد أنشده بعد تمام القصة ، وبعد الكلام على البيت الشاهد

٧١ وما بينهما جملة معترضة . فكتبتُ بذلك إلى الرشيد ، فأرسلَ إلىّ بجوائز فَوَجَّهتُ[1] بها إلى الكسائى . انتهى ملخّصاً . هذا كلامه .

وقال السيد معين الدين : قد وجدتُ فى كتابٍ من كُتب النحو أنّ المسألة قد وقعت بين الإمام محمّدٍ والكسائىّ بحضرة الرشيد ، فقال الكسائىّ : أنت يا محمّدُ تزعمُ أنّ الماهر فى علمٍ يمكنُ أن يَستنبط من العلوم ، وأنت ماهرٌ فى الفقه فاستنبِط من هذا البيت . فقال : فى نصب العزيمة ورفع الثلاث طلقة ، وفى رفعها ونصب الثلاث ثلاث . فقال الكسائىّ : أصبتَ ، والقول ما قُلت ! انتهى .

و (الرِّفق) من باب قتل : خلاف (الُخرْق) والعنف ؛ وخرِق خَرَقًا ، من باب فرح : إذا عمِل شيئاً فلم يَرفُق فيه ؛ فهو أخرقُ وهى خرقاء ، والاسم الُخرْق بالضمّ . و (أيمَن) وصفٌ بمعنى ذى يُمْن وبركة ، لا أنّه أفعلُ تفضيل . وكذلك (الأشام) معناه ذو شآمة ونحُوسة . و (العزيمة) قال الكرمانىّ فى شرح البخارىّ : هى فى الأصل عَقْد القَلْب على الشيء ، استُعمل لكلّ أمرٍ محتوم . وفى الاصطلاح : ضدُّ الرخصة . وفعله من باب ضرب ، يقال : عزم على الشيء وعزمَه عزماً بمعنى عقد ضميره على فَعْله . وقال النَوَوى : حقيقة العزم حدوثُ رأيٍ وخاطرٍ فى الذهن لم يكن . والعزم والنيّة متقاربان يُقامُ أحدُهما مُقامَ الآخر . و (يَجنى) مضارع جنىْ على قومه جناية : أذنب ذَنباً يؤاخَذ به . وروىْ الجماعة : (ومن يَخرَق) فقال ابن يعيش : مَن شرطيّة . وردّ عليه الدماميني بأنّه يلزمه حذف الفاء والمبتدإ من جملة الجزاء ، والتقدير : فهو أعقُّ وأظلم ؛ وليس هذا بمتعيِّن لجواز أن تكون موصولة ،

(١) سه : « فتوجهت » صوابه فى ط ومجالس العلماء والأشباه والنظائر ٣ : ٤٢

وتسكينُ القـاف للتخفيف ، كقراءة أبي عمرو : (وما يُشْعِرْكُم[1]) . بإسكان الراء . و (أعقّ) خبر مَنْ الموصولة ، فلا حذفَ ولا ضرورةَ ولا قبح . انتهى .

والذى ذكره الجعبرىّ : أنّ وجهَ الإسكان فيه طلب التخفيف عند اجتماع ثلاثِ حركات ثِقـالٍ من نوع واحد أو نوعين . ويَخْرق ليس منهما . وأما التسكين فى قوله :

فاليومَ أشْرَبْ غير مُستحقِبٍ[2]

فقد قيل إنّه للضرورة . . وقوله : (أعقّ) من العُقوق وهو ضدّ البِرّ .

وقوله : فبينى بها الخ ، هى أمرٌ من البَينُونة وهى الفراق ؛ وضمير بها للثلاث أى كونى ذاتَ طلاقٍ بائن بهذه التطليقات الثلاث ، لكونِك غير رفيقة . فأنْ مفتوحة الهمزة مقدَّرٌ قبلَها لام العلة . ومُقَدّم : مصدرٌ ميمىّ : أى ليس لأحدٍ تقـدمٌ إلى العِشْرة والألفة بعد إيقـاع الثلاث . كذا قال الدمامينيّ . وأجاز بعضهم أن يكون مُقَدّمٌ بمعنى مَهْرٍ مقدّم : أى ليس له بعدَ الثلاث مَهْرٌ يقدّمه لمطلَّقته ثلاثاً ، إلاّ بعد زوج آخر . فيكون اسمَ مفعول . هذا كلامه .

وأمّا ما بحثه ابنُ هشامٍ بعـد الجواب المذكور فهذا نصُّه : أقول : إنّ الصوابَ أنّ كلاًّ من الرفع والنصب محتمِل لوقوع الثلاث ولوقوع الواحدة : أمّا الرفع فلأنّ أل فى الطلاق إمّا لمجاز الجنس وإمّا للعهد الذِكْرىّ : أى وهذا الطلاق المذكور عزيمةٌ ثلاثٌ . فعلى العَهْدِيّة تقع الثلاث ، وعلى الجنسيّة تقع

---

(١) من الآية ٩ فى سورة الأنعام

(٢) صدر بيت لامرئ القيس : وتمامه :

* إثماً من الله ولا واغل *

واحدة . وأمّا النصب فلأنّه محتمِل لأن يكون على المفعول المطلق — وحينئذ يقتضى وقوعَ الثلاث ، إذ المعنى : فأنت طالق ثلاثاً ، ثم اعترض بينهما بقوله والطلاق عزيمة — ولِأنْ يكون حالاً من الضمير المستتر فى عزيمة ، وحينئذ لا يلزم وقوعُ الثلاث ، لأنّ المعنى : والطلاق عزيمة إذا كان ثلاثاً ، فإنّما يقع ما نواه . هذا ما يقتضيه اللفظ مع قطع النظر عمّا بعده ، فإنّه يعيِّن الثلاث . انتهى كلامُه .

٧٢

وقال الفَنارىُّ (فى حاشية المطوَّل) : قد انتصر جدُّنا شمسُ الدين الفنارىُّ للكسائىِّ وأبى يوسفَ حيث قال : ولقائل أن يقول : إنَّما لم يعتبر الكسائى وأبو يوسف ، حين ارتفاع الثلاث ، كونَ اللام للعهد ؛ لأنّ ثلاث وعزيمة لا يصحُّ أن يكونا خبرين عن الطّلاق المعهود ، فإنَّ الطلاقَ رُخصةٌ وليس بعزيمة . وكذا حين انتصاب الثلاث ، لا يصحُّ أن يكون ثلاثاً حالاً من ضمير عزيمة ، لما قلنا . فلم يتعيَّن أيضاً — قالَ — اللهمَّ إلاّ أن تحمل العزيمةَ على المعنى اللغوىِّ . والعُرفُ أملَك . وفيه بحثٌ : أمّا أوّلاً فلأنّه لا دخل فى لزوم المحذور المذكور لجعل اللام للعهد ، إذْ منشؤه عدم اجتماع الثلاث والعزيمة ، وهذا الاجتماعُ لازمٌ على تقدير الحَمْل على مجاز الجنس ؛ اللهمَّ إلاّ أن يُرادَ الحملُ على الجنس المطلَق ، ويُجعَلَ الإخبارُ بالعزيمة والثلاث بالنظر إلى أنواع الطلاق . وأمّا ثانياً : الأملَكُ[1] فى مثله هو العُرف العامّ ؛ فالظاهر أنّ المعنى : الطلاقُ الذى ذكرتُ ليسَ بلغْوٍ ولا لَعب ، بل هو معزومٌ عليه . نعمْ الكلامُ ، على تقدير جعلِ ثلاثاً حالاً من المستتر فى عزيمة ، محتملٌ لوقوع الثلاث ، بأن يكون المعنى والطلاق الذى ذكرتُه إذ كان ثلاثا . فتأمَّلْ . انتهى .

---

(١) كذا فى النسختين باسقاط فاء الجواب

ونازعه الدّمامينىّ فى الأخير فقال : الكلام محتملٌ لوقوع الثلاث على تقدير الحال أيضاً ، بأن تجعل أل للعهد الذِكرىّ ، كما تقدَّم له فى أحد وجهىْ الرفع . كأنّه قال : والطلاق الذى ذكرتُ معزومٌ عليه حالَ كونه ثلاثاً . ولا يقدر حينئذ إذا كان ، بل إذْ كان .

وأمَّا كلام السيِّد مُعين الدين ، فإنّه قال : الشعر يحتمل اثْنَىْ عَشَر وجهاً ، لأنّ اللام إمَّا للجنس وإمَّا للعهد ، وعزيمة إمّا مرفوع وإمّا منصوب على الحال أو على المفعول المطلق(١) ، تخرج من ضرب أربعة فى ثلاثة : اثنا عشر ؛ لكن أربعةً منها تركيبٌ باطل . أمّا الثمانية فعلى تقدير أنّ اللام (للجنس) إمّا أن يكون عزيمة وثلاث مرفوعين ، فيلزمه على ما قال ابن هشام واحدة ؛ والظاهر أنّه يلزمه ثلاث إذْ ليس الطَّلاق عندَه إلاّ عزيمة ثلاث ، وطلاقه فرد ممّا ادّعاه . وإمّا أن يكون عزيمة منصوباً وثلاث مرفوعاً ، فيلزمه واحدة ، وهو أحد وجهىْ الإمام محمَّد ، وفيه أنّ ذا الحال مبتدأ . وإمّا أن يكون عزيمة مرفوعاً وثلاث حالاً من المستتر فى عزيمة ، يلزمه واحدة ؛ وهو وجهٌ ثانٍ لابن هشام وللإمام ؛ لكنْ فى كلام الإمام إيهام ، لأنّه يحتمل أن يكون ثلاث مفعولاً مطلقاً ، وحينئذٍ يَلزمه ثلاث . وإمّا أن يكون عزيمة مرفوعا وثلاث مفعولاً مطلقاً فيلزمه ثلاث ؛ وهو ثالث وجوه ابن هشام . فهذه وجوهٌ أربعة .

وعلى تقدير أنّ اللام (للعهد) إمّا أن يكون عزيمة وثلاث مرفوعَين ، كأنّه قال : أنت طلاقٌ وهذا الطلاق عزيمة ثلاث ، فيلزمه ثلاث ، وهو رابع وجوهِ ابن هشام . وإمّا أن يكون عزيمة منصوباً وثلاث مرفوعاً ، فيلزمه ثلاث .

(١) كذا فى النسختين ، وكتب مصحح الطبعة الأولى ما نصه : « ولعل الصواب : وعزيمة إما مرفوع وإما منصوب ، وثلاث إما مرفوع ، أو منصوب على الحال ، أوعلى المفعول المطلق يدل على ذلك التقسيم الآتى » .

وإمّا أن يكون عزيمة مرفوعاً وثلاث منصوباً حالاً من المستتر ، فتلزمه ثلاث .
وإمّا أن يكون عزيمة مرفوعاً وثلاث مفعولاً مطلقاً ، فيلزمه ثلاث . فهذه أربعة أخرى فتكون ثمانية .

وأمّا الأربعة التى فسدت لأجل الإعراب فهى ، بتقدير أنّ اللام (للجنس) إمّا أن يكون عزيمة منصوباً وثلاث حالاً من المستتر أو مفعولا مطلقا . وبتقدير أنّ اللام (للعهد) إمّا أن يكون [عزيمة[1]] منصوباً وثلاث حالاً من المستتر أو مفعولاً مطلقاً . وعلى الوجهين وهو أنّه حال ، يلزمه واحدة وعلى الوجهين الآخرين يلزمه ثلاث . هذا كلامه .

٧٣

وقد كتب ابن قاسم العبادىّ على مواضعَ من هذه الرسالة ، فكتب عند قوله « الشِّعْر يحتمل اثنَيْ عشَر وجْها » : لا بدّ على سائر التقادير فى وقوع أصل الطلاق ، عند الشافعيّة ، من النيّة ، كما هو ظاهر ، لأنّ أنتِ طلاقُ[2] من الكنايات عندهم . وكتب عند قوله : « والظاهر أنه يلزمه ثلاث » : قد يمنع من هذا الظاهر عند الشافعيّة أنّ أنتِ طلاقُ كنايةُ عندَهم ، وشرط تأثير الكناية فى أصل الوقوع والعَدَدِ النيّةُ . ولا يقوم مقامَ النِيّة ما اقترن بالكناية مما يدلُّ على الوقوع أو العِدّة من القرائنَ ؛ ولهذا صرّحوا بعدم الوقوع بقوله أنتِ بائنٌ بينونةٌ محرّمةٌ ولا تحلِّين لى أبداً ، إذا لم يَنْوِ . وحينئذ فالقياس فى قول الشاعر : فأنتِ طلاق ، عدمُ الوقوع رأساً إنْ لم ينو . فإن نوى الطلاقَ الثلاثَ وقع الثلاثُ ، وإن نوى أصلَ الطلاق فقطْ فالقياسُ وقوعُ واحدة . وقوله : والطلاق عزيمة ثلاث ، على تقدير رفع عزيمة وثلاث

(١) التكملة من سه .
(٢) سه : « أنت طالق » .

وكونِ ألْ فى الطَّلاق للجنس ، لا يصلح لتقييد الطلاق الذى أوقعه بالثلاث ؛ لأنّه إن أراد أنّ جنس الطلاق ليس إلاّ الثلاث ، فهو غير صحيح ، إذ الجنسُ موجودٌ فى الواحدة والثِنْتَين أيضاً ؛ وإن أراد أنّ الجنسَ قد يكونُ فى الثلاث ، فهذا لا يقتضى تقييدَ هذا الطلاقِ الواقع بالثلاث ؛ فليُتأمَّل . وما ذكرناه لا ينافيه قول الروض : فإن قال أنتِ بائنٌ ثلاثًا ونوى الطلاقَ لا الثلاثَ وقعن أى الثلاث . انتهى ، لأنّه قيّد البينونة التى نوىٰ بها الطلاقَ ، بالثلاث ، وما ذكر لا تقييدَ فيه ، ولا ارتباط فيه للثلاثِ بالطلاق الذى أوقعه . فليتأمل . وكتب عند قوله : « وطلاقُه فَرْدٌ ممّا ادّعاه » قد يقال : ما ادّعاه ليس بصحيح بظاهره إذ جنْس الطلاقِ لا ينحصر فى الثلاث ، فلا يلزم أن يكون طلاقُه فرداً من جنس الثلاث ؛ نعم إنْ قصد ذلك بأن قصد طلاقاً من أفراد الثلاث فسلَّم ؛ فليتأمل . . وكتب عند قوله : « وفيه أنّ ذا الحال مبتدأ » : قد يقال هذا لا يرِد ، لأنّ المراد أنّ هذا التقدير والحمل[1] يقتضى هذا الحكم ، وأما أنّ هذا التقدير ضعيفٌ فشىء آخر لا ينافى ذلك . . وكتب عند قوله : « وحينئذ يلزم ثلاث » : هذا ظاهرٌ إن أُريد المفعول المطلق من طالق لا من الطلاق .

وكتب شيخُنا الشِهاب الخفَاجىُّ ، عند بيانه للأربعة التى فسدت لأجل الإعراب : وما ادّعاه من بُطلان الوجوه الأربعة إذا رفع الطلاق ونصب عزيمة وثلاث ، على الحاليّة أو المفعوليّة ، غير مسلَّم ، لأنّه يجوز أن يكون خبرَ مبتدإ مقدَّر : أى وهذا الطلاق . وباب التقدير واسع . انتهى .

هذا ما وقفتُ عليه ممّا كتب على هذا الشعر . وكلامُهم دائرٌ على أنّ ثلاثاً إمّا مفعولٌ مطلق لطلاق المنكّر أو المعرّف ، وإمّا حال من الضمير المستتر .

(١) ط : « والحل » ، صوابه فى س .

ومنعَ الكلَّ أبو عليّ (فى المسائل القَصْرية) ومنعَ كونَه تمييزاً أيضاً ، وعيَّن أن يكون ثلاثاً مفعولاً مطلقاً إمّا لعزيمة أو لَطُلِّقتِ محذوفا ، وإمّا ظرف لعزيمة . وحقَّق أنّ مُفادَ البيت الطلاقُ الثلاث لا غير | و إ هذا كلامُه : قوله :

فأنتِ طلاقٌ والطلاق عزيمة ثلاث . . . . البيت

٧٤ لا يخلو إذا نصبتَ ثلاثاً أن يكون متعلقًا بطلاق أو غيره ، فلا يجوز أن يكون متعلقًا بطلاق ؛ لأنه إنْ كان متعلقًا به لم يَخْلُ من أن يكون طلاقُ الأوّلَ أو الثانى ، فلا يجوز أن يكون متعلقًا بطلاقُ الأوّل ، لأنّ الطلاق مصدرٌ فلا يجوز أن يتعلّق به شىء بعدَ العطف عليه ، ولا يجوز أن يُنصبَ ثلاث طلاق الثانى ؛ لأنَّه قد أخبر عنه للفصل . فإذا بطل الوجهان جميعاً ، ثبتَ أنّه متعلّقٌ بغيره : فيجوز أن يكون متعلقًا بعزيمة ، أى أعزمُ ثلاثاً ؛ ولم يُحتَجْ إلى ذكر الفاعل لأنّ ما تقدَّم من قوله : فأنت طلاق ، قد دلّ على الفاعل ، ألا ترى أنّ معناه : أنت ذاتُ طلاق ، أى ذات طلاق ، أى قد طلَّقتك . فلا فصلَ بين أنتِ ذاتُ طلاق ، وبين قد طلقتك ، لمّا أضفتَ المصدر إلى الفعل استغنيتَ عن إظهار المفعول ، لجَرْىِ ذكره فى الكلام . فحذفته كما استغنيت[1] عن ذكر المفعول فى قوله : (والحافِظِينَ فُرُوجَهم والحافِظاتِ[2]) فلم يحتجْ إلى ذكر الفاعل فى عزيمة إذ كان مصدراً كالتدبير والتكبير ، وكما لم يحتج إليه فى قوله تعالى : (أو إطعامٌ فى يوْمٍ ذى مَسْغَبَةٍ . يَتيماً[3]) لتقدُّم ذكره ، فلذلك لم يُحتج إلى ذكر الفاعل فى عزيمة فصار كأنّه قال : أنت طلاق والطلاقُ عزيمتى ثلاثاً ، أى أعزِمُه ثلاثاً . فيكون ثلاثاً

(١) لعلها « كما استغنى » .
(٢) الآية ٣٥ من الأحزاب .
(٣) الآيتين ١٤ ، ١٥ من سورة البلد .

المنصوبُ متعلقا بعزيمة ، أو يكونُ تعلقه به على جهة الظرف ، كأنه قال : أعزم ثلاث مرات أو ثلاثَ تطليقات ، فإذا كان كذلك وقع ثلاث تطليقات لتعلّق الثلاث بما ذكرناه ، ولا يجوز أن يكون أقلَّ من ذلك لتعلقه بالعزيمة . والأشبهُ فيمن نصب ثلاثاً أن يكون الطَّلاق الثانى المعرَّفُ باللام يراد به الطلاقُ المنكور الذى تقدَّم ذكره ، أى ذلك الطلاق عزمتُه ، أى عزمت عليه ثلاثاً . فإذا كان كذلك لم يتجه إلاّ إلى الإيقاع للثلاث ، وأما إذا رفع ثلاثاً أمكن أن يكون المراد : الطلاق عزيمة ثلاث ، أى جنس الطلاق ذو عزيمة ثلاث ، وأمكن أن يكون طلاق ذو عزيمة ثلاث . فإذا أمكن أن يكون المرادُ به طَلاقَه خاصّةً ، وأمكن أن يكون غيرَ طلاقه ولكنْ جنسَ الطلاق ، لم نُوقِع به شيئاً حتَّى يتَيَقَّنَ ذلك بإقرارٍ من المطلِّق أنّه أراد ذلك ، فأمّا إذا لم يقترن إلى هذا اللفظ ، الذى يحتمل الطلاق الخاصّ والطلاقَ العامَّ ، شىء يُدَلُّ به أنّه يريد به طلاقَه خاصّة ، لم نُوقِعْه . والأشبهُ فى قولهم : واحدة ، واثنتان ، وثلاث ، فى الطلاق ، وإيصالِهِمْ إيّاه بهنَّ ، أن يكون مراراً ، فينتصب على أنّه ظرفٌ من الزمان ، يقوِّى ذلك قوله تعالى (الطلاقُ مَرّتان[1]) والمعنى : الطلاق فى مرتين ، إلاّ أنّه اتّسع فيه فأُقيم مُقامَ الخبر ، كما أُقيم ظرفُ الزمان مُقامَ الفاعلِ فى قولهم : سِيرَ عليه طَوْرانِ ، وسير عليه مَرّتان وشهران ، فكذلك قوله مرّتان . وإذا كان كذلك كان قولهم : أنت طالق واحدة ، كأنّك قلت أنت طالق مرّة ، وأنت طالق ثنتين ، أى مرتين . وكذلك ثلاثاً . فيكون ذلك ظرفاً من الزمان . ويجوز فيمن نصب ثلاثاً فى البيت أن لا يحمله على عزيمة ، ولكن يحمله على فعلٍ مضمَر ، كأنّه لما لم يجز أن يحمله على طلاق الأوّل ولا على طلاق الثانى ، وكان المعنى والمراد أن يكون الثلاث محمولاً

---

(١) الآية ٢٢٩ من سورة البقرة .

على الطلاق ، أضمر طلّقت . ودلّ عليه ما تقدّم من ذكر الطلاق ، فكأنه قال : طلّقتك ثلاثاً . فأمّا حملُ الثلاث على التفسير فى قولهم : أنت طالق ثلاثاً ، فليسَ ذلك من مواضع التفسير ، ألا ترى أنّ التفسير جميع ما كان منتصباً منه فقدّره[1] النحويون على جواز إدخال مِنْ فيه ، وأنّ منه ما يُرَدُّ إلى الجمع ومنه ما يقرّ على الواحد ، كقولهم : عشرون من الدّراهم ، ولله دَرُّه مِن رجل.

75

ولا يجوز ذلك فى هذا ، ألا ترى أنّه لا يستقيم : أنت طالقٌ من واحد ، ولا من العدد ، ولا ما أشبه ذلك ! فإذا كان كذلك لم يكن تفسيراً . وأيضاً فإنّ التفسير لا يجوز أن يكون معرّفاً ، والتعريفُ فى هذا غيرُ ممتنع ، تقول : أنتِ طالقُ الثلاثَ ، وأنتِ طالقٌ الثِّنتين أو الطلقتين . فإذا كان كذلك كان ظرفاً ، والظرف يكون تارةً معرفة وتارة نكرة .

وقد تقول : أنتِ طالقٌ من ثلاثٍ ما شئتِ ، فيكون ما شئتِ معرفة ، كأنّك قلت : الذى شِئْتِهِ ، فيكون معرفة . ولو كان تفسيراً لم تقع المعرفة فى هذا الموضع .

ولا يجوز أن ينتصب على أنّه حال ، لأنّه لو كان حالاً لم يجز أن يقع خبراً للابتداء فى قوله : (الطَّلاقُ مَرّتان) كما لا يكون الحال خبراً للمبتدأ . ولو قلت : قمتُ خلفَك ، فنصبت خلفك على تقدير الحال ، أى قمتُ ثابتاً فيه ، لم يجز الإخبار عنه ، لأن الحال لا يكون خبرَ مبتدأ .

فإنْ قلت : يكون قوله : والطلاق عزيمة ، اعتراضاً بين الصلة والموصول ، وتحمل ثلاثاً على الطلاق الأوّل[2] ، قيل : لا يجوز أن تحمله على الاعتراض ،

(١) كذا فى ط . وفى سه : « فقد » وأمامها بياض يتسع لثلاث كلمات : وبالهامش « لعله اتفق » ، أى لعله ، فقد اتفق النحويون .
(٢) كذا فى ط . وفى سه : « وتحمل طلاقا على الثلاث الأول » .

كما أنّ قولَه : (وأقرضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً [١]) في قولنا اعتراض ، ألا ترى أنّ ذلك اعتراضٌ بين الخبر والمخبر عنه ! وكذلك قوله تعالى : (قُلْ إنّ الهُدىٰ هُدىٰ الله [٢]) اعتراضٌ بين المفعول الذى هو (أن يُؤتىٰ أحد [٣]) .
ولا يعترض بين الطلاق وثلاث ، لأنّه لا مِثل له يُشبَّه به .

هذا كلام أبى علىٍّ ، وقد حذفنا منه بعضَ ما يُستغنيٰ عنه . وفى مَنْعِهِ الاعتراضَ ردٌّ على الشارح وغيرِه ، حيثُ جعلوا الجملةَ معترِضةً ، كما تقدّم التنبيهُ عليه .

* * *

كمل الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع وأوله « باب خبر كان وأخواتها »

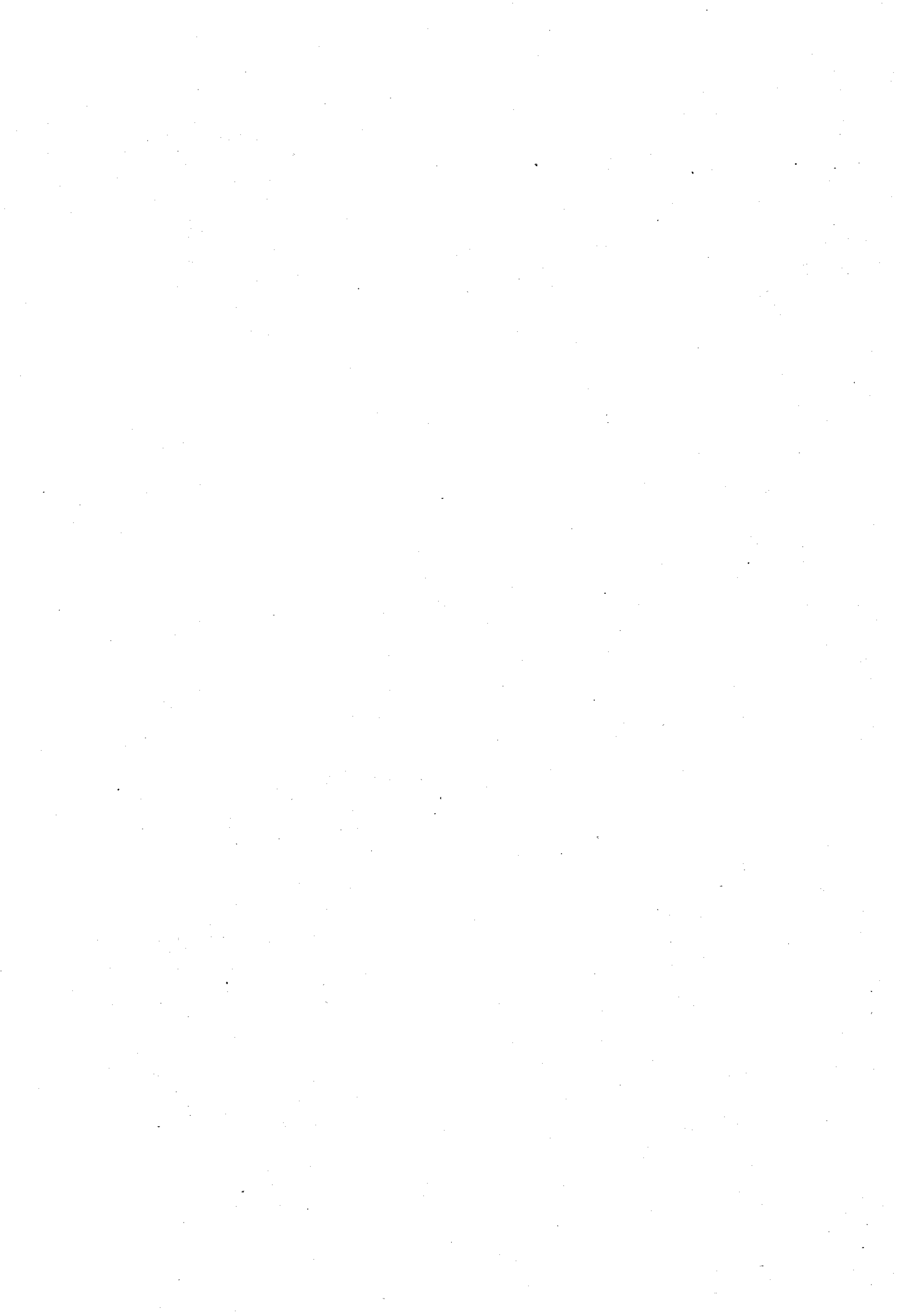
﴿ والحمد لله وحده ﴾

---

(١) الآية ١٨ من سورة الحديد . وفى الآية ٢٠ من المزمل : « وأقرضوا الله قرضا حسنا » بصيغة الأمر ، وليست مرادة هنا ، بل المراد قوله تعالى فى سورة الحديد : « إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم » حيث اعترضت الجملة بين اسم إن وخبرها .

(٢) الآية ٧٣ من آل عمران : وتمامها : « ولا تؤمنوا إلا لمن تَبِع دينكم قل إن الهدى هُدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » . وانظر تفسير أبى حيان ٢ : ٤٩٤ — ٤٩٧ .

(٣) كتب مصحح المطبوعة الأولى : « قوله اعتراض بين المفعول ، هكذا بالأصل الذى بأيدينا ، ولعله : اعتراض بين الفعل الذى هو تؤمنوا وبين المفعول ... الخ » .



(٢)

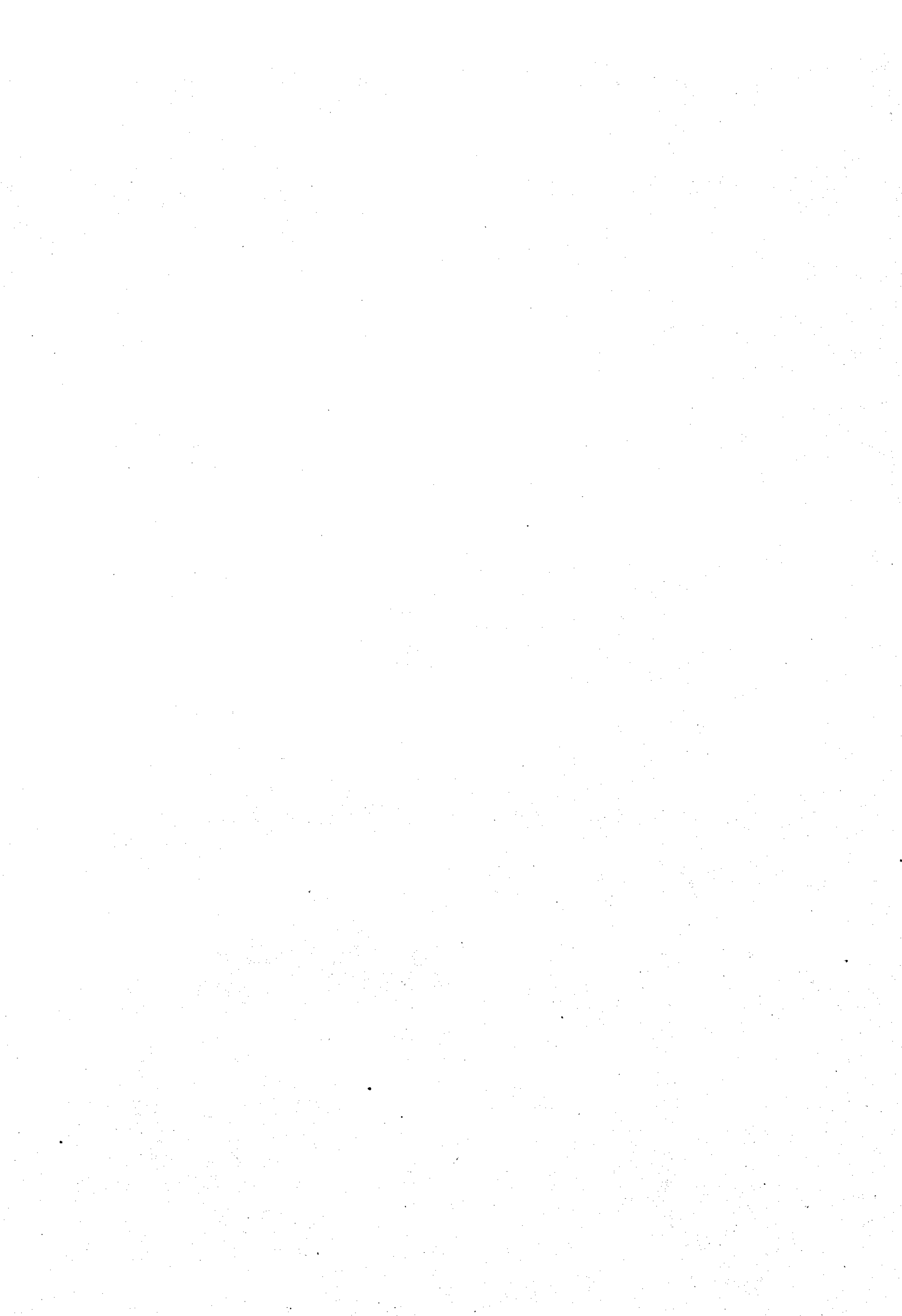
فهـــرس التراجم



الصفحة

(ب)

فهرس الشواهد



الاشتغال

« التحذير »

« المفعول فيه »

الشاهد		الصفحة
٢٢٢ عَشِيَّةَ لا تُغنى الرماحُ مكانَها	ولا النَّبلُ ، إلاَّ المشرَفىُّ المصمِّمُ	٣١٨
٢٢٣ ولاعَيبَ فيهم غيرَ أن سيُوفهمْ	بِهنَّ فُلولٌ من قِراع الكتائب	٣٢٧
٢٢٤ فتى كَمُلت أخلاقُه ، غيرَ أنه	جوادٌ فما يُبقى مِن المال باقيا	٣٣٤
٢٢٥ فما تركَ الصُنْعُ الذى قد تركتَهُ	ولا الغيظُ منى ليسَ جلدًا وأعظُما	٣٣٧
٢٢٦ وكلُّ أبىٌّ باسلٌ غيرَ أننى	إذا عَرضت أُولى الطَرائدِ أبسلُ	٣٤٠
٢٢٧ فى ليلةٍ لا نَرى بها أحداً	يَحكِى علينا ، إلاَّ كواكبُها	٣٤٨
٢٢٨ قلَّما عرَّسَ حتَّى هِجتُه	بالتَّباشيرِ من الصُّبحِ الأُوَلْ	٣٦٣
٢٢٩ وما اغترَّه الشيبُ إلااغترارًا		٣٧٤
٢٣٠ يُطالبُنى عمِّى ثمانين ناقةً	ومالىَ ياعفراء إلاَّ ثمانيا	٣٧٥
٢٣١ مَهامِهاً وخروقاً لا أنيسَ بها	إلاَّ الضوابحَ والأصداء والبُومَا	٣٨٢
٢٣٢ ولا أمرَ للمَعصىِّ إلا مُضيَّعا		٣٨٥
٢٣٣ رأيتُ الناسَ ما حاشا قُريشاً	فإنَّا نحنُ أفضلُهمْ فَعالا	٣٨٧
٢٣٤ سُبحانَه ثمَّ سُبحاناً نعوذُ به	وقَبْلنا سبَّحَ الجُودِىُّ والجُمُد	٣٨٨
٢٣٥ سُبحانَ مِن علقمةَ الفاخرِ		٣٩٧
٢٣٦ وما أُحاشِى من الأقوامِ من أحدِ		٤٠٣
٢٣٧ لم يَمنع الشُّربَ منها غير أن نطقت	حمامةٌ فى غصونٍ ذات أوقالِ	٤٠٦
٢٣٨ غيرَ أنِّى قد أستعِين على الهـ	ـمِّ إذا خفَّ بالثَّوىِّ النجاء	٤١٤
٢٣٩ أُنيخت فألقتْ بلدةً فوقَ بَلدةٍ	قليلٍ بها الأصواتُ إلاَّ بُغامُها	٤١٨
٢٤٠ وكُلُّ أخٍ مُفارِقُه أخُوهُ	لَعمرُ أبيكَ إلاَّ الفرقدانِ	٤٢١